فهرست الموضوعات

المَدَاخِلُ التي أمامَها العَلامَة ° إضافَةٌ من مُسَوَّدَةِ الخِطَط لا تُوجَد في المُبَيَّضَة .

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

المواعظ والاعتبار

في ذكر الخطط والآثار

لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي

٧٦٦ - ٨٤٥ هـ

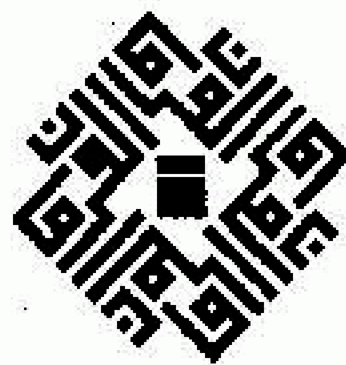
١٣٦٥ - ١٤٤٢ م

حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه

الدكتور أيمن فؤاد سيد

المجلد الرابع

١



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

ذكر المساجد الجامعة

اعْلَم أنَّ أرْضَ مصر لمَّا فُتِحَت في سنة عشرين من الهجرة ، واخْتَطَّ الصَّحابَةُ ـ رضي الله عنهم ـ فُسْطاطَ مصر كما تَقَدَّم . لم يكُن بالفُسْطاطِ غير مَسْجِدٍ واحِدٍ وهو الجَامِعُ الذي يُقالُ له في مَدِينَةِ مصر «الجامِعُ العَتيق» و«جَامِعُ عَمْرو بنِ العَاص» .

وما بَرِحَ الأَمْرُ على هذا إلى أن قَدِمَ عبدُ الله بن عليِّ بن عبد الله بن عَبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ من العِراق في طَلَبِ مَرْوان بن محمد في سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة . فنَزل عسكرُه في شمالي الفُسْطاط ، وبَنَوا هناك الأبنية ، فسُمِّيَ ذلك الموضع بـ«العَسْكَر» ، وأُقِيمَت هناك الجُمُعَةُ في مَسْجِدٍ . فصارَتِ الجُمُعَةُ تُقامُ بمَسْجد عَمْرو بن العَاص ، وبجَامِع العَسْكَر إلى أن بَنَى الأميرُ أحْمَد ابن طُولُون جامِعَه على جَبَلِ يَشْكُر في سنة تسعٍ وخمسين ومائتين حين بَنَى القَطَائِع ، فتَلاشَى من حينئذٍ جَامِعُ العَسْكَر ، وصارَتِ الجُمُعَةُ تُقامُ بجَامِع عَمْرو وبجَامِع ابن طُولُون ، إلى أن قَدِمَ جَوْهَرُ القائِد من بِلادِ القَيْرَوان بالمغرب ، ومعه عَساكِرُ مَوْلاه المُعِزّ لدين الله أبي تَمِيم مَعَدّ ، فبَنَى القاهِرَة ، وبَنَى الجَامِعَ الذي يُعْرَف بـ «الجَامِع الأَزْهَر» في سنة ستين وثلاث مائةٍ . فكانت الجُمُعَةُ تُقامُ في جَامِع عَمْرو ، وجَامِع ابن طُولُون ، والجَامِع الأَزْهر ، / وجَامِع القَرافَة الذي يُعْرَف اليوم بـ «جَامِع الأَوْلِياء» [1] .

ثم إنَّ العَزيزَ بالله أبا مَنْصور نِزار بن المُعِزّ لدين الله ، بَنَى في ظَاهِر القاهِرَة من جِهَةِ بابِ الفُتُوح الجَامِعَ الذي يُعْرَف اليوم بـ«جَامِع الحَاكِم» ، في سنة ثمانين وثلاث مائةٍ ، وأكمله ابنُه الحَاكِمُ

---

[1] فيما يلي ٢٨٨ ، ٨٥٩.

بأمْرِ الله أبو عليّ منصور ، وبَنَى جَامِعَ المَقْس وجَامِعَ راشِدَة . فكانتِ الجُمُعَةُ تُقامُ في هذه الجَوامِع كلِّها إلى أنِ انْقَرَضَت دَوْلَةُ الخُلَفَاءِ الفاطِميّين في سنة سبعٍ وستين وخمس مائةٍ ، فبَطَلَت الخُطْبَةُ من الجَامِع الأَزْهَر ، واسْتَمَرَّت فيما عَدَاه [1] .

فلمَّا كانتِ الدَّوْلَةُ التُّرْكيَّة ، حَدَثَ بالقاهِرَة والقَرَافَة ومصر وما بَيْن ذلك عِدَّةُ جَوامِعَ أُقيمَت فيها الجُمُعَة . وما بَرِحَ الأَمْرُ يَزْدادُ حتى بَلَغَ عَدَدُ المواضِع التي تُقامُ بها الجُمُعَة ، فيما بين مَسْجِد تِبْر ـ من بَحْري القاهِرَة[a] ـ إلى دَيْرِ الطِّين ـ قِبْلي مَدينَة مصر ـ زيادَةً على مائة مَوْضِع . وسيأتي من ذِكْر ذلك ما فيه كِفايَة إن شاءَ الله تعالى .

وقد بَلَغَت عِدَّةُ المساجِد التي تُقامُ بها الجُمُعَة : مائة وثلاثين مَسْجِدًا [2] ، منها بمَدينَةِ مِصْر : جَامِعُ عمْرو بن العَاص ، والجَامِعُ الجَديد ، والمَدْرَسَةُ المُعِزِّيّة ، وجَامِعُ ابن اللَّبَّان ، وجَامِعُ القُرَّاء ، وجَامِعُ تَقِيّ التَّمَّار ، وجَامِعُ راشِدَة ، وجَامِعُ الفِيلَة ، وجَامِعُ دَيْر الطِّين ، وجَامِعُ بَسَاتِين الوَزير .

ومنها بالقَرافَةِ : جَامِعُ الأَوْلياء ، وجَامِعُ الأَفْرَم ، وخانْكاه بَكْتَمُر ، وجَامِعُ ابن عبد الظَّاهِر ، وجَامِعُ الحَرَّاني[b] ، وجَامِعُ الضَّرَّاب ، وجَامِعُ قَوْصُون ، وجَامِعُ الشَّافِعي ، وجَامِعُ الدَّيْلَمي ، وجَامِعُ مَحْمود ، وجَامِعُ   قريبًا من[c] تُرْبَة السِّتّ .

ومنها بالرَّوْضَة : جَامِعُ المِقْياس ، وجَامِعُ غَبْن[d] ، وجَامِعُ الرَّيِّس ، وجَامِعُ الأباريقي ، وجَامِعُ المَقْسي .

ومنها بالحُسَيْنيَّة خارج القاهِرَة : جَامِعُ أحمد الزَّاهِد ، وجَامِعُ آل مَلِك ، وجَامِعُ كَراي ، وجَامِعُ الكافِري[e] بالقرب من السُّميساطية ، وجَامِعُ الخَنْدَق ، وجَامِعُ نائِب الكَرَك ، وجَامِعُ سُوَيْقَة الجُمَّيْزَة ، وجَامِعُ قَيْدان[f] ، وجَامِعُ ابن شَرَف الدّين ، وجَامِعُ الظَّاهِر ، وجَامِعُ الحاج كمال التَّاجِر ، تَجَدَّدَ هو وجَامِعُ سُوَيْقَة الجُمَّيْزَة في أيَّام الظَّاهِر بَرْقُوق .

---

a) العبارة في بولاق : خارج القاهرة من بحريها . b) بولاق : جامع الجواني . c) بولاق : وجامع بقرب . d) بولاق : جامع عين . e) بولاق : الكافوري . f) بولاق : جامع قيدار .

---

[1] فيما يلي ١٠٣.   بغداد في أيَّام الخَليفَة الرَّاضي لدين الله أحمد بن المستضيء

[2] حاشية بخط المؤلِّف : «وأكثر ما بَلَغَت عِدَّةُ جَوامِع   أَحَدَ عَشَر جامِعًا» .

ومنها خَارِج القاهِرَة مِمَّا يلي النِّيل : جَامِعُ كوم الرِّيش . جَامِعُ جَزيرَة الفيل . جَامِعُ أمين الدِّين ابن تاج الدِّين مُوسَىٰ . جَامِعُ الفَخْر على النِّيل . جَامِعُ الأَسْيُوطي . جَامِعُ الواسِطي . جَامِعُ ابن بَدْر . جَامِعُ الخَطيري . جَامِعُ ابن غَازي . جَامِعُ المَقْس . جَامِعُ ابن التُّرْكماني . جَامِعُ بنت التُّرْكماني . جَامِعُ الطَّواشي . جَامِعُ باب الرَّخَاء . جَامِعُ الزَّاهِد . جَامِعُ مَيْدان القَمْح . جَامِعُ صَارُوجا . جَامِعُ ابن زَيْد . جَامِعُ بِرْكَة الرَّطْلي . جَامِعُ الكِيمُخْتي . جَامِعُ باب الشَّعْرِيَّة . جَامِعُ ابن مَيَّالَة . جَامِعُ ابن المَغْرِبي . جَامِعُ العَجَمي بقَنْطَرَة الموسْكي . الجَامِعُ المعلَّق بقَنْطَرَة الموسْكي أيضًا . جَامِعُ الجاكي بسُوَيْقَة الرِّيش . جَامِعُ السُّروجي بسُوَيْقَة الرِّيش أيضًا . جَامِعُ البَكْجَري . جَامِعُ ابن حَسُّون بالدِّكَّة [1] . جَامِعُ ابن المَغْرِبي على الخَليج . جَامِعُ الطَّبَّاخ بخُطِّ اللُّوق . جَامِعُ السِّتّ نُصَيْرَة بخُطِّ باب اللُّوق ـ حيث كان الكُوم فحُفِر فإذا بقَبْرٍ عُرِفَ بالسِّتّ نُصَيْرَة ، وعُمِلَ عليه مَسْجِدٌ ، وأُقيمَت به الجُمُعَة في أيَّام الظَّاهِر بَرْقُوق . جَامِعُ شاكِر بجوار قَنْطَرَة قَدَادَار ، [a]عُمِّرَ سنة ستٍّ وعشرين وثمان مائة . جَامِعُ غَيط القاصِد خَلْف قَنْطَرَة قَدادار[a] . جَامِعُ الجَزيرَة الوُسْطَىٰ . جَامِعُ كَريم الدِّين بخُطِّ الزَّرْبِيَّة[b] [2] . جَامِعُ ابن غُلامِها بخُطِّ الزَّرْبِيَّة[b] أيضًا . الجَامِعُ الأَخْضَر . جَامِعُ سُوَيْقَة المُوَفَّق . جامِعُ سُلْطان شَاه ببابِ الخَرْق [3] . جامِعُ زَيْن الدِّين الخَشَّاب

---

a-a) العبارة ساقطة من نسخة باريس : انتقال نظر . b) بولاق : الزربية .

---

[1] جَامِعُ ابن حَسُّون بخُطِّ الدِّكَّة من المَقْس . أنشأه شَمْسُ الدِّين محمد بن عليّ بن حَسَب الله ابن حَسُّون ، أحَد الفُقَهاء الشَّافعية ، المتوفى في عاشر شعبان سنة ٦٩٩هـ/١٣٩٧م . قال المَقْريزي : «نُوزِع في إقامة الخُطْبَة فيه» وأضاف : «وهو من أصْحاب جَدِّي لأمِّي ، وله إليَّ تَرْداد ، عُمِّر وتَزَهَّدَ ... وتوفي وقد قارَب الاختِلاط» . (درر العقود الفريدة ٣: ٧٢) . وانظر كذلك المقريزي : السلوك ٣: ٨٨٤ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ١: ٥٤٠ .

[2] حَدَّدَ محمد بك رمزي موضع جَامع كريم الدِّين بخُطِّ الزَّرْبِيَّة ، والذي أنشأه كريم الدِّين عبد الكريم بن إسحاق بن هِبَة الله بن السَّديد القِبْطي المعروف بكريم الدِّين الكبير ناظِر الخاصّ حول سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م ، بموضع الجامع الذي كان يُعْرف بجامع الشيخ العبيط بخط قصر الدُّوبارة (مَيدان سيمون بوليفار الآن) والذي جَدَّده الخديو إسماعيل وَقْت إنْشاء سراي الإسماعيلية في سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م ، ويُنْسَب إلى الشَّيْخ محمد العَبيط المدفون به . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٠هـ[2] ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ١١٣ (٤٦-٤٧) .

وقد هَدَمَت وزارةُ الأوقاف هذا الجامع القديم وأقامت في مكانه الجامع المعروف الآن بـ«جامع عمر مكرم» الواقع بين مبنى متحف وزارة الخارجية ومبنى مجمع التَّحْرير ، وراجع كذلك سعاد ماهر : مساجد مصر ٣: ١٠٥-١١١ .

[3] ما زال جَامِعُ سُلْطان شاه قائمًا بشارع غيط العِدَّة بباب الخَلْق ، أقامه في أوَّل الأمرِ المقرُّ السَّيْفي الأمير سُلْطان شاه ابن قَرا أمير طَبْلَخاناه في دَوْلَة السُّلْطان الأشْرَف شَعْبان ابن =

خارِج بابِ اللُّوق ـ كان زَاوِيَةً للفُقَراء ، فأُقِيمَت به الجُمُعَة بعد سنة ثمان مائة . جَامِعُ مَنْكَلي بسُوَيْقَة القَيْمَري .

ومنها فيما بين القاهِرَة ومِصْر : جَامِعُ بَشْتاك . جَامِعُ الإسْماعيلي على البِرْكَة النَّاصِرِيَّة . جَامِعُ السِّتّ مِسْكَة . جَامِعُ آق سُنْقُر بِبَحْرَة[a] السَّقَّائين . جَامِعُ الشَّيْخ محمد بن حَسَن الحَنَفي . جَامِعُ سِتّ حَدَق بالمَرِيس . جَامِع الطَّيْبَرْسي . جَامِعُ الرَّحْمَة عِمارَة الصَّاحِب أمين الدِّين عبد الله ابن غَنَّام . جَامِعُ مُنْشَأة المَهْراني . جَامِعُ يُونُس بالسَّبْع سِقايات على البِرْكَة . جَامِعُ بَرَكَة الأُسْتادَّار بحَدْرَة ابن قَمِيحَة . جَامِعُ ابن طُولُون . جَامِعُ المَشْهَد النَّفِيسي . جَامِعُ البَقْلي بالقُبَيْبات . جَامِعُ شَيْخو . جَامِعُ قانِباي برأس سُوَيْقَة مُنْعِم . جَامِعُ أُلْمَاس . جَامِعُ قَوْصُون . جَامِعُ الصَّالِح . المَدْرَسَةُ النَّاصِرِية حَسَن بسُوق الخَيْل . جَامِعُ أُلْجاي . جَامِعُ المارْديني . جَامِعُ أَصْلَم . جَامِع [b].

ومنها بقَلْعَةِ الجَبَل : جَامِعُ النَّاصِري . وجَامِعُ التَّوْبَة . وجَامِعُ الإصْطَبْل . والجَامِعُ المُؤَيَّدي [1].

ومنها خارِج القاهِرَة بالتُّرَب وما قَرُب من القَلْعَة : تُرْبَةُ جَوْشَن [2]، والتُّرْبَةُ الظَّاهِرِية بَرْقُوق ، وتُرْبَةُ طَشْتَمُر حُمُّص أخْضَر بالصَّحراء . جَامِعُ الخُضَري . جَامِعُ التَّوْبَة . الجَامِعُ المُؤَيَّدي .

ومنها بالقاهِرَة : الجَامِعُ الأَزْهَر ، والجَامِعُ الحاكِمي ، والجَامِعُ الأَقْمَر ، والمَدْرَسَةُ الظَّاهِرِية بَرْقُوق ، والمَدْرَسَةُ الصَّالِحِية و[المَدْرَسَةُ][c] الحِجازية ، والمَشْهَدُ الحُسَيْني ، وجَامِعُ الفَكَّاهين[d]، والزِّمامية ، والصَّاحِبية ، والبُوبَكْرية ، والجَامِعُ المُؤَيَّدي ، والأَشْرَفِيَّة ، وجَامِعُ الدَّواداري قَرِيبًا من البَرْقِيَّة ، وجَامِعُ التَّوْبَة بالبَرْقِيَّة ، ومَدْرَسَةُ ابن البَقْري والباسِطية .

---

a) بولاق : بمجرى . b) بياض بالنسخ . c) زيادة اقتضاها السِّياق . d) بولاق : الفاكهاني .

= حسين سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، ثم جدَّدَه في سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م السُّلْطانُ الأَشْرَفُ قايتباي ، كما جدَّدَه بعد ذلك الخديو إسماعيل باشا سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م ، لقُربه من قَصْر عابدين . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٣:٢١٣ (٥٤)) .

ويلاحظُ أنَّ المقريزي لم يُفَصِّل الحَديث على جميع المساجد الجامعة التي أَجْمَل ذِكْرَها هنا ، وذَكَر بعضها في المساجد الجامعة ، وبعضها الآخر مع المدارس ، وانظر فيما يلي (٣٥٤-٣٦٠) المساجد التي اسْتُجِدَّت بها خُطْبَة .

[1] جاء هنا على هامش نُسْخَة آياصوفيا : «وبها جامِعُ خامِس عَمَّرَه النَّاصِر فَرَج بالحُوش السُّلْطاني ، قاله محمد» ، وهو ناسِخُ النُّسْخَة . وانظر فيما يلي ٣٢٧ .

[2] وتُعْرَف بتُرْبَة عُثْمان بن جَوْشَن السعودي . (فيما يلي ٦:٧٦٥) .

ذِكْرُ الجَوامِع

اعْلم أنّه لمَّا اتَّصَلت مَباني القاهِرَة المُعِزِّيَّة بمَباني مَدينَة فُسْطاط مصر بحيث صارَتا كأنَّهما مَدينَةٌ واحِدَة، واتَّخَذَ أهْلُ القاهِرَة وأهْلُ مصر القَرافَتَيْن لدَفْنِ أمْواتِهم، ذَكَرْتُ ما في هذه المواضِع الأربعة من المساجِد الجامِعَة [1]، وأَضَفْتُ إليها ما في جَزيرَة فُسْطاط مصر - التي يُقالُ لها الرَّوْضَة - من الجَوامِع أيضًا، فإنَّها مُتَنَزَّهُ أَهْلِ البَلَدَيْن، وجَمَعْتُ إلى ذلك ما في ظَواهِر القاهِرَة ومصر من الجَوامِع مع التَّعْريف بحالِ من أَسَّسَها [2]، والله المُوَفِّق [a].

a) بولاق : وبالله التوفيق .

[1] الجامِع جـ الجَوامِع. هي المساجِد الجامِعَة ذات المنابر التي تُقامُ فيها صَلاةُ الجُمُعَة وتُلْقَى من على مَنابِرِها خُطْبَةُ الجُمُعَة، بينما تختصُّ المساجد (م. مَسْجِد) بأداءِ الصَّلَوات الخمس فقط. وكان من التَّقْليد في المدينة الإسلامية أن لا يوجد بها سوى مَسْجِدٍ جامعٍ واحدٍ فقط، ومع نمو المُدُن الإسلامية واتِّساعها تَعَدَّدَت المَساجدُ الجامعة في المدينة الواحدة. (راجع عن المسجد الجامع ودوره الديني والثقافي، Grabar, O., «The Architecture of the Middle Eastern City from Past to Present: The Case of the Mosque» in *Middle Eastern Cities*, I.M. Lapidus (ed.), Berkeley - Los Anglos 1969, pp. 26-46.؛ حسين مُؤنس: المساجد، عالم المعرفة – ٣٧، الكويت ١٩٨١؛ Pedersen, Johs., *EI²* art. *Masdjid* VI, pp. 629-64؛ وعن عمارة المساجد وتخطيطها انظر Hillenbrand, R., *EI²* art. *Masdjid* VI, pp. 664-76؛ وعن دور الأوقاف في إنْشاء المساجد الجامعة والصَّرْف على القائمين عليها والمرتَّبين في وظائفها راجع، محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٧٨-٢٠٣ والمُقَدِّمَة.

[2] حَظِيَت جَوامِعُ مصر ومَساجِدُها باهْتمام العَديد من الباحثين العرب والمستشرقين، فقَدَّمُوا دِراسات شامِلَة تَناوَلَت هذه الجَوامِع والمساجد وتَطَوُّرها، بالإضافة إلى دراسات مُتَخَصِّصَة دَرَسَت جامعًا أو مسجدًا بعينه دراسةً تاريخية ومعمارية. وأهَمُّ الدِّراسات الشَّامِلَة التي سأحيل عليها القارئ هي: Hautecœur, L. & Wiet, G., *Les Mosquées du Caire*, I-II, Paris 1932; Creswell, K. A. C., *EMA = Early Muslim Architecture: Umayyads, Early ʿAbbasids & Tulunids*, I-II, Oxford 1932-40; id., *MAE = The Muslim Architecture of Egypt* I. Ikhshids and Fatimids, Oxford 1952, II. Ayyubids and Early Mamluks, Oxford 1958؛ عبد العزيز مرزوق: مساجد القاهرة قبل العصر المملوكي، القاهرة ١٩٤٢؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ١-٢، القاهرة ١٩٤٦؛ وزارة الأوقاف: مساجد مصر، ١-٢، القاهرة ١٩٤٨؛ أحمد فكري: مَساجِد القاهِرَة ومَدارِسُها (المَدْخَل) - القاهرة ١٩٦١، (العَصْر الفاطمي) - القاهرة ١٩٦٥ - (العَصْر الأيوبي)، القاهرة ١٩٦٩؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصَّالحون، ١-٥، القاهرة ١٩٧١-١٩٨٠؛ Meinecke, M., *Die Mamlukische Architektur in Ägypten und Syrien*, I-II, Glückstadt 1992.

الجَامِعُ العَتِيق

[أثر رقم ٣١٩]

هذا الجَامِعُ بمَدينَة فُسْطاطِ مِصْر - ويُقالُ له «تاجُ الجَوامِع»، و«جَامِعُ عَمْرو بن العَاص» - وهو أوَّلُ مَسْجِدٍ أُسِّس بدِيارِ مصر في المِلَّة الإسْلامية بعد الفَتْح[1].

(a)خَرَّجَ الحافِظُ أبو القاسِم بن عَساكِر من حَديثِ مُعاوِيَة بن قُرَّة، قال: قال عُمَرُ بن الخَطَّاب - رضي الله عنه -: مَنْ صَلَّى صَلاةً مَكْتُوبَةً في مَسْجِدِ مصرٍ من الأَمْصار كانت له كحَجَّةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، فإنْ صَلَّى تَطَوُّعًا كانت له كعُمْرَةٍ مبرورة.

وعن كَعْب: مَنْ صَلَّى في مَسْجِد مصرٍ من الأَمْصار صَلاةَ فَريضَةٍ عَدَلَت حَجَّةً متقبَّلَةً، ومَنْ صلَّى صَلاةَ تَطَوُّع عَدَلَت عُمْرَةً متقبَّلة، فإن أصيبَ في وَجْهِه ذلك، حَرُم لحْمُه ودَمُه على النَّار أن تطعمه، وذَنْبُه على من قَتَلَه.

وأوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِي في الإسْلام مَسْجِد قُباء، ثم مَسْجِدُ رَسُولِ الله ﷺ(a). قال هِشامُ ابن عَمَّار: حدَّثَنا المُغيرةُ بن المُغيرة، حدَّثَنا يحيى بن عَطَاء الخُراساني عن أبيه، قال: لمَّا افْتَتَحَ عُمَر البُلْدانَ كَتَبَ إلى أبي مُوسَىٰ وهو على البَصْرَة، يأْمُرُه أن يتَّخِذَ مَسْجِدًا للجَماعَة ويتَّخِذَ للقَبائِل

---

a-a) هذه الفقرة موجودة في هامش آياصوفيا وساقطة من نسخة الفاتح.

---

[1] راجع عن تاريخ جَامِع عمرو وتَخْطيطه الأَصْلي، ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٩٢؛ أبا عبيد البكري: جغرافية مصر ٥٥؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ٤٠؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٩- ٧٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٣٧- ٣٤٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٦- ٧١؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ٢٣٩- ٢٤٥؛ Corbett, E.R., «The History of the Mosque of ʿAmr at Old Cairo», *JRAS* XVII (1890), pp. 759-800; Wiet, G., *CIA* Egypte II, pp. 1-16; Creswell, K.A.C., «La mosquée de ʿAmru», *BIFAO* XXXII (1932), pp. 121-66; id., *EMA* I, pp. 28-29, II, pp. 171-219; Hautecoeur, L., *Les Mosquées du Caire*, pp. 199-207؛ محمود أحمد: بيان تاريخي عن مسجد عمرو بن العاص وشرح مميزاته الفنية، القاهرة ١٩٣٥؛ نفسه: جامع عمرو بن العاص بالفسطاط من الناحيتين التاريخية والأثرية، القاهرة ١٩٣٨؛ محمد عبد العزيز مرزوق: مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ٩- ٢٦؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٢٢٣- ٢٣١؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، ٦٧- ١٠٠؛ فريد شافعي: العمارة العربية في مصر ١: ٣٦٣- ٣٨٤؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١: ٥٥- ٧٤؛ Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 16-18؛ عاصم محمد رزق: أَطْلَس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة ١: ١٧- ٣٤.

مَساجِدَ ، فإذا كان يومُ الجُمُعَة انْضَمُّوا إلى مَسْجِدِ الجماعَة . وكَتَبَ إلى سَعْدِ بن أبي وَقَّاص ، وهو على الكُوفَة ، بمثل ذلك . وكَتَبَ إلى عَمْرِو بن العَاص ، وهو على مصر ، بمثل ذلك . وكَتَبَ إلى أُمَرَاء أجْناد الشَّام ألَّا يتبدَّدوا إلى القُرَىٰ ، وأن ينزلوا المَدائِن ، وأن يَتَّخِذُوا في كلّ مَدينَةٍ مَسْجِدًا واحِدًا ، ولا تَتَّخِذَ القَبائِلُ مَساجِدَ . فكانَ النَّاسُ مُتَمَسِّكِينَ بأَمْرِ عُمَر وعَهْده .

وقال أبو عُمَر محمد بن يُوسُف بن يَعْقُوب بن حَفْصٍ الكِنْدي في كِتاب «أَخْبارِ مَسْجِدِ أهْل الرَّاية الأعْظَم وأوَّل أَمْرِه وبِنائِه ، وزيادَة الأُمَرَاءِ فيه وغيرهم ، ومَجالِس الحُكَّام والفُقَهاء منه ، وغير ذلك» ، قال هُبَيْرَة بن أبيض عن مَشْيَخَة[a] تُجيب : إنَّ قَيْسَبَة بن كُلْثوم التُّجيبي ، أَحَدَ بني سُوم ، سارَ من الشَّام إلى مصر مع عَمْرو بن العَاص ، فدَخَلَها في مائة راحِلة وخمسين عَبْدًا وثلاثين فَرَسًا . فلمَّا اجْتَمَعَ[b] المُسْلمون وعَمْرو بن العَاص على حِصَارِ الحِصْن ، نَظَرَ قَيْسَبَةُ بن كُلْثوم فرأى جِنانًا تَقْرُبُ من الحِصْن ، فعَرَجَ إليه في أهلِه وعَبيدِه فنَزَلَ وضَرَبَ فيه فُسْطاطَه ، وأقامَ فيها طُولَ حِصارِهم الحِصْن حتى فَتَحَه الله عليهم .

ثم خَرَجَ قَيْسَبَةُ مع عَمْرو إلى الإسْكَنْدَرية وخَلَّفَ أهْلَه فيها ، ثم فَتَحَ الله عليهم الإسْكَنْدَرية ، وعادَ قَيْسَبَةُ إلى مَنْزِلِه هذا فنَزَلَه ، واخْتَطَّ عَمْرو بن العَاص دارَه مُقابِل تلك الجِنان التي نَزَلَها قَيْسَبَة ، وتَشَاوَرَ المسلمون أين يكون المَسْجِدُ الجَامِعُ ، فرأوا أن يكون مَنْزِلَ قَيْسَبَة . فسألَه عَمْرو فيه وقال : أنا أَخْتَطُّ لك يا أبا عبد الرَّحْمَٰن حيث أَحْبَبْت . فقال قَيْسَبَةُ : لقد عَلِمْتُم يا مَعاشِرَ المسلمين أنِّي حُزْت هذا المنزل ومَلَكْته ، وإنِّي أَتَصَدَّقُ به على المسلمين . وارْتَحَلَ فنَزَلَ مع قَوْمِه بني سُوم واخْتَطَّ فيهم[2] .

فبُنِيَ مَسْجِدًا في سنة إحدى وعشرين من الهجرة . وفي ذلك يقول أبو قَبَان بن نُعَيْم بن رِبْعي[c] التُّجيبي :

---

a) بولاق : شيخه . b) بولاق : أجمع . c) بولاق : بدر .

---

[1] حاشية بخَطّ المُؤلِّف : «قَيْسَبَة بن كُلْثوم بن حُباشة ابن عمرو بن هرم بن عامِر بن خَوْلي بن وائل بن سَوْم بن عَدِيّ ابن أشْرَس ، واسْمُه سَكَن بن كندة واسمه ثَوْر بن عُفَيْر بن عَدي ابن الحارِث بن مُرَّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُب بن غريب ابن زَيْد بن كهلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان ابن عابر بن فالِح بن أرفَخْشذ بن سَام بن نوح أبو الحسي الشَّاعر» .

[2] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦١– ٦٢؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٧؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٦٦.

[الطويل]

وبابِلْيون[1] قد سَعِدْنا بفَتْحِها وحُزْنَا لعَمْرُ اللهِ فَيْئًا ومَغْنَمَا
وقَيْسَبَة الخَيْر بن كُلْثُوم دَارَه أباحَ جِماهَا للصَّلاةِ وسَلَّمَا
فكُلُّ مُصَلٍّ في فناها[a] صَلاته تعارَف أهْل المِصْر ما قُلْتُ فاعْلَما

وقال أبو مُصْعَب قَيْس بن سَلَمَة الشَّاعِر في قَصيدَتِه التي امْتَدَحَ فيها عبد الرَّحْمَان بن قَيْسَبَة :

[الكامل]

وأَبوكَ سَلَّمَ دارَه وأباحَها لجِبَاه قَوْمٍ رُكَّعٍ وسُجُودِ

وقال اللَّيْثُ بن سَعْد : كان مَسْجِدُنا هذا حَدائِقَ وأَعْنابا .

وقال الشَّريفُ محمدُ بن أَسْعَد الجَوَّاني : ومن جملة مَزارِعها جَامِعُ مصر ، وقد بقي إلى الآن من جملة الأَنْشَاب التي كانت في البُسْتان في مَوْضِع الجَامِع شَجَرَةُ زَنْزَلَخْت ، وهي باقية إلى الآن خَلْف المِحْراب الكبير والحَائِط الذي به المِنْبَر . ومن العُلَماءِ من قال : إنَّ هذه الشَّجَرَة باقية من عَهْدِ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ وكان لها نَظيرُ شَجَرَة أخرى في الوَرَّاقين احْتَرَقَت في حَريق مصر سنة أربعٍ وستين وخمس مائة .

وظَهَرَ بالجَامِعِ العَتيقِ بِئْرُ البُسْتَان التي كانت به ، وهي اليوم يَسْتَقي منها النَّاسُ الماءَ بمَوْضِعِ حَلْقَة الفَقيه ابن الجميزي[b] المالِكي .

قال الكِنْدِيُّ : وقال يَزيدُ بن أبي حَبيب : سَمِعْتُ أَشْيَاخَنا مِمَّن حَضَرَ مَسْجِدَ الفَتْح يقولون : وَقَفَ على إقامَةِ قِبْلَة المَسْجِد الجَامِع ثمانون رَجُلًا من أَصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ ، فيهم الزُّبَيْرُ ابن/ العَوَّام ، والمِقْدادُ ، وعُبادَةُ بن الصَّامِت ، وأبو الدَّرْدَاء ، وفُضالَةُ بن عُبَيْد ، وعُقْبَةُ بن عامِر ـ رضي الله عنهم .

وفي رِوايَة : أَسَّسَ مَسْجِدَنا هذا أربعةٌ من الصَّحابَةِ : أبو ذَرٍّ ، وأبو بَصْرَة ، ومحمئة بن جَزْء الزُّبيدي ، ونُبَيْه بن صَواب[2] .

---

a) في النسخ : فنانا . b) بولاق : الجيزي .

---

[1] حاشية بخَطّ المؤلِّف : «باب ليون كان قَصْرًا بالشَّرَف الذي يُعْرَف اليوم بالرَّصْد ، وليون اسم بَلَدِ مصر بلُغَة السُّودان والرُّوم» . (وانظر فيما تقدم ٢:٨-٩) .

[2] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٢؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٧؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٦٧ .

وقال عبد الله بن أبي جَعْفَر: أقامَ مِحْرابَنا هذا عُبادَةُ بن الصَّامِت، ورَافِعُ بن مالِك، وهما نَقيبان.

وقال داودُ بن عُقْبَة: إنَّ عَمْرو بن العَاص بَعَثَ رَبيعَةَ بن شُرَحْبيل ابن حَسَنَة وعَمْرو بن عَلْقَمَة القُرَشي ـ ثم العَدَوي ـ يُقيمان القِبلَة، وقال لهما: قُومَا إذا زالَتِ الشَّمْسُ ـ أو قال: انْتَصَفَتِ الشَّمْسُ ـ فاجْعَلاها على حَاجِبَيْكُما، فَفَعَلا.

وقال اللَّيْثُ: إنَّ عَمْرو بن العَاص، كان يَمُدّ[a] الحِبال حتى أُقيمَت قِبْلَةُ المَسْجِد. وقال عَمْرو ابن العَاص: شَرِّقُوا القِبْلَة تُصيبُوا الحَرَم، قال: فَشَرَّقَت جِدًّا. فلمَّا كان قُرَّةُ بن شَريك تَيامَن بها قَليلًا. وكان عَمْرو بن العَاص إذا صَلَّى في مَسْجِدِ الجَامِع يُصَلِّي ناحِيَة الشَّرْق إلَّا الشيءَ اليَسير[1].

وقال رَجُلٌ من تُجيب: رأيتُ عَمْرو بن العَاص دَخَلَ كَنيسَةً فَصَلَّى فيها، ولم يَنْصَرِف عن قِبْلَتِهم إلَّا قليلًا. وكان اللَّيْثُ وابنُ لَهِيعَة إذا صَلَّيا تَيامَنا. وكان عُمَرُ بن مَرْوان ـ عَمُّ الخُلَفَاء ـ إذا صَلَّى في المَسْجِدِ الجَامِع تَيامَن[2].

وقال يَزيدُ بن أبي[b] حَبيب في قَوْلِه تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [الآية ١٤٤ سورة البقرة]: هي قِبْلَةُ رَسُولِ الله ﷺ التي نَصَبها الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ مُقابِل الميزاب، وهي قِبْلَةُ أَهْل مصرَ وأَهْلِ المَغْرِب. وكان يقرأها (فلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها) بالنون... وقال: هكذا أَقْرَأَناها أبو الخَيْر.

وقال الخَليلُ بن عبد الله الأَزْدي: حَدَّثني رَجُلٌ من الأَنْصارِ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أتاه جِبْريلُ فقال: «ضَعِ القِبْلَة وأنت تَنْظُر إلى الكَعْبَة»، ثم مالَ بيده فأماطَ كلَّ جَبَلٍ بينه وبين الكَعْبَة. فوَضَعَ المَسْجِدَ وهو ينظر إلى الكَعْبَة، وصارَت قِبْلَتُه إلى الميزاب.

وقال ابنُ لَهِيعَة: سَمِعْتُ أَشْياخَنا يقولون: لم يكن لِمَسْجِدِ عَمْرو بن العَاص مِحْرابٌ مُجَوَّف، ولا أَدْرى بَناهُ مَسْلَمَة أو بَناهُ عبدُ العَزيز. وَأَوَّلُ من جَعَلَ المِحْرابَ قُرَّة بن شَريك[3].

---

a) بولاق: يعد. b) أبي: ساقطة من بولاق.

---

[1] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٧.

[2] القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٣٩.

[3] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٢ وفيه: أنَّه أوَّل من جعَلَ المِحْراب المُجَوَّف؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٧.

وقال الواقِديُّ : حَدَّثَنا محمدُ بن هِلال قال : أوَّلُ من أَحْدَثَ المِحْرابَ المُجَوَّف عُمَر بن عبد العَزيز ليالي بنى[a] مَسْجِدَ النَّبيِّ ﷺ .

وذَكَرَ عُمَرُ بن شَبَّة أنَّ عُثْمانَ بن مَظْعون تَفِلَ في القِبْلَةِ ، فأصْبَحَ مُكْتَئِبًا . فقالت له امْرَأتُه : ما لي أراكَ مُكْتَئِبًا ؟ قال : لا شيء إلَّا أنِّي تَفِلْتُ في القِبْلَة وأنا أُصَلِّي . فعَمَدَت إلى القِبْلَة فغَسَلَتْها ، ثم عَمِلَت خَلُوقًا فخَلَّقَتها . فكانَت أوَّلَ من خَلَّقَ القِبْلَة .

وقال أبو سَعيد سَلَف الحِمْيَري : أَدْرَكْتُ مَسْجِدَ عَمْرو بن العَاص طوله خمسون ذِراعًا في عَرْض ثلاثين ذِراعًا ، وجُعِلَ الطَّريقُ يُطيف به من كلِّ جِهَةٍ ، وجُعِلَ له بابان يُقابِلان دارَ عَمْرو ابن العَاص ، وجُعِل له بابان في بَحْريه وبابان في غَرْبيه . وكان الخارِجُ إذا خَرَجَ من زُقاقِ القَناديل وَجَدَ رُكْنَ المَسْجِد الشَّرْقي مُحاذيًا لرُكْن دار عَمْرو بن العَاص الغربي ، وذلك قبل أن تُؤْخَذَ[b] من دارِ عَمْرو بن العَاص ما أُخِذَ ؛ وكان طُولُه من القِبْلَة إلى البَحْري مثل طُول دار عَمْرو بن العَاص ، وكان سَقْفُه مُطَأطأً جِدًّا ولا صَحْنَ له ، فإذا كان الصَّيْفُ جَلَسَ النَّاسُ بفِنائِه من كلِّ ناحيةٍ ، وبينه وبين دارِ عَمْرو سَبْع أذرع [1] .

قُلْتُ : وأوَّلُ من جَلَسَ على مِنْبَرٍ أو سَريرٍ ذي أعْوادٍ رَبيعَةُ بن مُحاسِن .

وقال القُضاعِيُّ في كِتابِ «الخِطَط» : وكان عَمْرو بن العَاص قد اتَّخَذَ مِنْبَرًا ، فكَتَبَ إليه عُمَرُ ابن الخَطَّاب - رضي الله عنه - يَعْزِم عليه في كَسْرِه ، ويقول : أما بحَسْبِك أن تقوم قائِمًا والمسلمون جُلُوسٌ تحت عَقِبَيْك ، فكَسَرَه [2] .

قال كاتِبُه[c] : وفي سنة إحدى وستين ومائة ، أَمَرَ المَهْدي محمدِ بن أبي جَعْفَر المَنْصُور بتَقْصير المنابِر ، وجَعَلَها بقَدْرِ مِنْبَر رَسُولِ الله[d] ﷺ [3] .

قال القُضاعِيُّ : وأوَّلُ من صُلِّيَ عليه من المَوْتَى داخِل الجَامِع أبو الحُسَيْن[e] سعيد بن عُثْمان ، صَاحِب الشُّرَط ، في النِّصْف من صَفَر ؛ وكانت وَفاتُه فَجْأةً ، فأُخْرِجَ ضَحْوَةَ يوم الأحد السَّادِس

a) كذا في جميع النسخ . b) بولاق : أخذ . c) بولاق : مؤلفه . d) بولاق : النبي . e) بولاق : أبو الحسن .

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٦٧.

[2] نفسه ٤ : ٦٣؛ نفسه ١ : ٦٧؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٧.

[3] نفسه ٤ : ٦٨.

عشر من صَفَر ، وصُلِّيَ عليه خَلْفَ المَقْصُورَة ، وكُبِّرَ عليه خَمْسًا . ولم يُعْلَم أَحَدٌ قبله صُلِّي عليه في الجَامِع [1].

وذَكَرَ عُمَر بن شَبَّة في «تاريخ المَدينَة» أنَّ أوَّلَ من عَمِلَ مَقْصُورَةً بلَبِنٍ عُثْمَان بن عَفَّان وكانت فيها كُوًى تَنْظُر النَّاسُ منها إلى الإمام ، وأنَّ عُمَرَ بن عبد العزيز عَمِلَها بالسَّاج .

قال القُضاعِيُّ : ولم تَكُنِ الجُمُعَةُ تُقامُ في زَمَنِ عَمْرِو بن العَاص بشيءٍ من أرْضِ مصر إلَّا في هذا الجَامِع ، قال أبو سَعيد عبدُ الرَّحْمَٰن بن يُونُس : جاءَ نَفَرٌ من غافِق[a] إلى عَمْرو بن العَاص ، فقالوا : إنَّا نكون في الرِّيف فنَجْمَعَ في العيدَيْن الفِطْر والأَضْحى ، ويَؤُمُّنا رَجُلٌ مِنَّا ؟ قال : نَعَم . قالوا : فالجُمُعَة ؟ قال : لا ، ولا يُصَلِّي الجُمُعَة بالنَّاسِ إلَّا من أقامَ الحُدُودَ ، وأَخَذَ بالذُّنوب ، وأعْطَى الحُقُوق [2].

وأوَّلُ من زادَ في هذا الجَامِع مَسْلَمَة بن مَخْلَد الأنْصاري سنة ثلاثٍ وخمسين ، وهو يومئذٍ أميرُ مصر من قِبَل معاوية [3]. قال الكِنْدِيُّ في كِتابِ «أَخْبار مَسْجِد أَهْل الرَّايَة» : ولمَّا ضاقَ المَسْجِدُ بأَهْلِه ، شُكِيَ ذلك إلى مَسْلَمَة بن مَخْلَد ـ وهو الأميرُ يومئذٍ ـ فكَتَبَ فيه إلى مُعاوية بن أبي سُفْيانَ ، فكَتَبَ إليه يأمُرُه بالزِّيادَةِ فيه . فزَادَ فيه من شَرْقيه ممَّا يلي دار عَمْرو بن العَاص ، وزادَ فيه من بَحْريه ، ولم يُحْدِث فيه حَدَثًا من القِبْلي ولا من الغَرْبي ،/ وذلك في سنة ثلاثٍ وخمسين ، وجَعَلَ له رَحْبَةً في البَحْري منه كان النَّاسُ يُصَيِّفون فيها ، ولاطَهَ بالنُّورَة ، وزَخْرَفَ جُدْرانه وسُقوفَه ـ ولم يكن المَسْجِدُ الذي لعَمْرو جُعِلَ فيه نَوْرَة ولا زُخْرُف ـ وأَمَرَ بابْتِناء منارِ المَسْجِد الذي في الفُسْطاط ، وأَمَرَ أن يُؤَذِّنوا في وَقْتٍ واحِد ، وأَمَرَ مُؤَذِّني الجَامِع أن يؤذِّنوا للفَجْر إذا مضَى نصف الليل ، فإذا فَرَغُوا من أذانِهم أذَّن كلُّ مؤذِّنٍ في الفُسْطاط في وَقْتٍ واحِد ، قال ابنُ لَهيعَة : فكان لأذانِهم دَوِيٌّ شَديد .

---

a) بولاق : بحانق .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٣؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٦٨؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٨.

[2] ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٣٧٥؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ٢٣٨.

[3] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٦٨، وانظر كذلك ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٣١.

فقال عابِدُ بنِ هِشَام الأزْدي ـ ثم السَّلاماني ـ لِمَسْلَمَة بن مَخْلَدٍ :

[الوافر]

لقد مُدَّت لـمَسْلَمَة اللَّيالي ... على رَغْم العِداةِ مع الأمانِ
وساعَدَه الزَّمانُ بكلِّ سَعْدٍ ... وَبَلَّغَهُ البَعيدَ من الأماني
أَمَسْلَم فارْتَقي لا زِلْتَ تَعْلُو ... على الأيَّامِ مسلم والزَّمانِ
لقد أحْكَمْتَ مَسْجِدَنا فأضْحَى ... كأحْسَن ما يكون من المباني
فَباهَ به البِلاد وساكنوها ... كما تاهَت بزينتها الغَواني
وكم لك من مَناقِبَ صَالِحات ... وأجدل بالصَّوامِع للآذان
كأن تَجاوُب الأصْوات فيها ... إذا ما اللَّيْل أَلْقَى بالجران
كصَوْتِ الرَّعْدِ خَالَطَهُ دَوِيٌّ ... وأرْعَب كلَّ مُخْتَطف الجنان

وقيل إنَّ مُعَاوِيَة أَمَرَه بِبنَاءِ الصَّوامِع للأذان [1].

قَالَ : وجَعَلَ مَسْلَمَة للمَسْجِدِ الجَامِعِ أرْبع صَوامِع في أرْكانِه الأرْبع ، وهو أوَّلُ من جَعَلَها فيه ، ولم تكن قبل ذلك . قَالَ : وهو أوَّلُ من جَعَلَ فيه الحُصْر ، وإنَّما كان قبل ذلك مَفْرُوشًا بالحَصْبَاء ، وأَمَرَ أَلَّا يُضْرَب بناقُوسٍ عند الأذان ـ يعني الفَجْر [2] ـ وكان السُّلَّم الذي يَصْعَدُ منه المُؤَذِّنون في الطَّريق حتى كان خالِدُ بن سَعيد فحَوَّله داخِل المَسْجِد .

قال القاضي القُضَاعِي : ثم إنَّ عبد العزيز بن مَرْوان هَدَمَه في سنة تسعٍ وسبعين من الهجرة ـ وهو يومئذٍ أميرُ مصر من قِبَل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مَرْوان ـ وزادَ فيه من ناحية الغرب ، وأَدْخَلَ فيه الرَّحْبَة التي كانت في بَحْرِيه ، ولم يَجِد في شَرْقيه مَوْضِعًا يُوَسِّعه به [3]. وذَكَرَ أبو عُمَر الكِنْدِيُّ في كِتاب «الأُمَرَاء» أنَّه زادَ فيه من جَوانِبِه كلِّها [4].

ويُقالُ : إنَّ عبدَ العزيز بن مَرْوان لما أَكْمَلَ بناءَ المَسْجِد ، خَرَجَ من دارِ الذَّهَبِ عند طُلوع الفَجْر ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ فرأى في أهْلِه خِفَّةً ، فَأَمَرَ بأَخْذِ الأبْوابِ على من فيه ، ثم دَعَا بهم رَجُلًا رَجُلًا ، فيقول للرَّجُل : أَلَكَ زَوْجَة؟ فيقول : لا ، فيقول : زَوِّجوه ، أَلَكَ خادِم؟ فيقول : لا ، فيقول : اخْدِموه ، أَحَجَجْت؟ فيقول : لا ، فيقول : أَحِجُّوه ، أعليك دَيْن؟

---

[1] راجع ، فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية ٦٣٥-٦٤٩.

[2] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٦٨؛ وانظر كذلك فيما يلي ٢ : ٢٧٣.

[3] نفسه ٤ : ٦٢؛ نفسه ١ : ٦٨.

[4] وذلك في سنة سبع وسبعين (الكندي : ولاة مصر ٧٣).

فيقول : نعم ، فيقول : اقْضُوا دَيْنَه . فأقامَ المَسْجِدُ بعد ذلك دَهْرًا عامِرًا ، ولم يَزَل إلى اليوم .

وذَكَرَ أنَّ عبدَ الله بن عبد الملك بن مَرْوان ـ في ولايته على مصر من قِبَلِ أخيه الوَليد ـ أَمَرَ برَفْعِ سَقْفِ المَسْجِد الجَامِع ـ وكان مُطَأطأً ـ وذلك في سنة تسعٍ وثمانين [1].

ثم إنَّ قُرَّةَ بن شَرِيكٍ العَبْسي هَدَمَه مُسْتَهَلَّ سنة اثنتين وتسعين بأمْرِ الوَليدِ بن عبد الملك ـ وهو يومئذٍ أميرُ مصر من قِبَلِه ـ وابْتَدَأَ في بُنْيانِه في شَعْبان من السنة المذكورة ، وجَعَلَ على بِنائِه يحيى ابن حَنْظَلَة مَوْلَى بني عامِرِ بن لُؤَيّ ، وكانوا يَجْمَعون الجُمُعَة في قَيْسارِيَّة العَسَل حتى فُرِغَ من بِنائِه ، وذلك في شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وتسعين ، ونَصَبَ المِنْبَرَ الجَديد في سنة أربعٍ وتسعين [2]. ونَزَعَ المِنْبَرَ الذي كان في المَسْجِد . وذَكَرَ أنَّ عَمْرو بن العَاصِ كان جَعَلَه فيه ، فلعلَّه بعد وَفاةِ عُمَر ابن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ وقيل هو مِنْبَرُ عبد العزيز بن مَرْوان ، وذَكَرَ أنَّه حُمِلَ إليه من بعض كَنائِس مصر . وقيل إنَّ زكريا بن بَرْقَني[a] ـ ملك النُّوبَة ـ أَهْداهُ إلى عبد الله بن سَعْدِ بن أبي سَرْح ، وبَعَثَ معه نَجَّارَه حتى رَكَّبَه ، واسْمُ هذا النَّجَّار بُقْطُر من أَهْلِ دَنْدَرَة . ولم يَزَلْ هذا المِنْبَر في المَسْجِد حتى زادَ قُرَّةُ بن شَرِيك في الجَامِع ، فَنَصَبَ مِنْبَرًا سِواه ، على ما تقدَّم شَرْحُه [3].

ولم يكن يُخْطَب في القُرَىٰ إلَّا على العِصِيّ[b] ، إلى أن وَلِيَ عبدُ الملك بن مُوسَىٰ بن نُصَيْر اللَّخْمِي مصر ، من قِبَلِ مَرْوان بن محمد ، فأَمَرَ باتِّخاذ المَنابِر في القُرَىٰ وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وذَكَرَ أنَّه لا يَعْرِف مِنْبَرًا أَقْدم منه ـ يعني من مِنْبَر قُرَّة بن شَرِيك ـ بعد مِنْبَر رَسُولِ الله ﷺ . فلم يَزَلْ كذلك إلى أن قُلِعَ وكُسِرَ في أيَّامِ العَزيز بالله بنَظَرِ الوَزيرِ يَعْقوب بن كِلِّس ، في يوم الخميس لعشرٍ بقينَ من شهر رَبيع الأوَّل سنة تسعٍ وسبعين وثلاث مائةٍ ، وجُعِلَ مَكانَه مِنْبَرٌ مُذَهَّب . ثم أُخْرِجَ هذا المِنْبَرُ إلى الإسْكَنْدَرية ، وجُعِلَ في جَامِع عَمْرو بها ، وأُنْزِلَ إلى الجَامِع المِنْبَر الكبيرُ الذي هو به الآن ، وذلك في أيَّام الحاكِم بأمْرِ الله في شهر رَبيعِ الأوَّل سنة خمسٍ وأربع مائةٍ .

وصُرِفَ بنو عبد السَّميع عن الخَطابَة ، وجُعِلَت خَطابَةُ الجَامِع العَتيق لجَعْفَرِ بن الحَسَن ابن خِداع الحُسَيْني ، وجُعِلَ إلى أخيه الخَطابَة بالجَامِع الأَزْهَر . وصُرِفَ بنو عبد السَّميع بن عُمَر ابن

---

a) في صبح الأعشى : مرقيا . b) بولاق : العصا .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٨١؛ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٣؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٦٩.

[2] نفسه ٨٦؛ نفسه ٤ : ٦٣؛ نفسه ١ : ٦٩؛ وابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٣١؛ ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ الغرباء) ١٧٥- ١٧٦.

[3] ابن دقماق : الانتصار ٤ :٦٣- ٦٤؛ أبو المحاسن :=

الحُسَيْن/ بن عبد العزيز بن عبد الله بن عُبَيْد الله بن العَبَّاس من جَميعِ المَنَايِر ، بعد أن أقامُوا هم وسَلَفُهم فيها ستين سنة . ١٩:٢

وفي شهر رَبيعِ الأوَّل من هذه السنة وُجِدَ المِنْبَرُ الجَديدُ الذي نُصِبَ في الجَامِع قد لُطِّخ بعَذِرَة ، فوُكِّل به من يَحْفَظه ، وعُمِلَ له غِشَاءٌ من أدْم مُذَهَّب في شَعْبانٍ من هذه السنة ، وخَطَبَ عليه ابنُ خِدَّاع وهو مُغَشَّى .

وزيادَةُ قُرَّة من القِبْلي والشَّرْقي ، وأَخَذَ بعضَ دارِ عَمْرو وابنه عبد الله بن عَمْرو فأدْخَلَه في المَسْجِد ، وأَخَذَ منهما الطَّريق الذي بين المَسْجِد وبينهما ، وعَوَّضَ وَلَدَ عَمْرو ما هو في أيْديهم اليوم من الرِّباع ، وأَمَرَ قُرَّةُ بعَمَل المِحْراب المُجَوَّف على ما تقدَّم شَرْحُه ؛ وهو المِحْرابُ المعروف بعَمْرو ، لأنَّه في سَمْتِ مِحْرابِ المَسْجِد القَديم الذي بَنَاه عَمْرو .

وكانت قِبْلَةُ المَسْجِد القَديم عند العُمُد المُذَهَّبَة في صَفِّ التَّوابيتِ اليوم ، وهي أربعة عُمُد : اثنان في مقابلة اثنين ، وكان قُرَّةُ أذْهَبَ رُءُوسَها ، وكانت مَجالِسَ قَيْس ، ولم يكن في المَسْجِد عُمُدٌ مُذَهَّبَةٌ غيرها ، وكانت قَديمًا حَلْقَة أهْل المَدينة ، ثم زُوِّقَ أكثر العُمُد وطُوِّق في أيَّام الإخْشيد سنة أربعٍ وعشرين وثلاث مائةٍ [١] . ولم يَكُن للجَامِع أيَّامَ قُرَّة بن شَريك غير هذا المِحْراب ، فأمَّا المِحْرابُ الأوْسَط الموجود اليوم ، فعُرِفَ بمِحْرابِ عُمَر بن مَرْوان عَمّ الخُلَفَاء ، وهو أخو عبد الملك وعبد العَزيز ، ولعلَّه أحْدَثَه في الجِدار بعد قُرَّة . وقد ذَكَرَ قَوْمٌ أنَّ قُرَّة عَمِلَ هذين المِحْرابين [٢] .

وصارَ للجَامِعِ أربعةُ أبْوابٍ ، وهي الأبْوابُ الموجودة في شَرْقيه الآن ، وآخِرُها بابُ إسْرائيل وهو بابُ النَّحَّاسين . وفي غَرْبيه أربعةُ أبْوابٍ شارِعَة في زُقاقٍ كان يُعْرَف بزُقاقِ البَلاط ، وفي بَحْريه ثلاثَةُ أبْواب [٣] .

وبَيْتُ المال الذي في عُلُوِّ الفَوَّارَة بالجَامِع بَنَاهُ أُسامَةُ بن زَيْدٍ التَّنوخي ، مُتَوَلِّي الخَراج بمصر ، سنة سبعٍ وتسعين في أيَّام سُلَيمان بن عبد الملك ، وأميرُ مصر يومئذٍ عبد الملك بن رِفاعَة الفَهْمي ، وكان مالُ المسلمين فيه [٤] .

= النجوم الزاهرة ١ : ٦٩- ٧٠؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٨؛ وراجع ، فريد شافعي : العمارة العربية ٦٢٤- ٦٣٥.

[١] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٤، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٧٠- ٧١.

[٢] حاشية بخطِّ المؤلِّف : «ابن خِداع هو أبو القاسم الحسين النَّسَّابة ابن جعفر بن أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن محمد الأرْقَط بن عبد الله».

[٣] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٣؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٧١.

[٤] نفسه ٤ : ٦٤؛ نفسه ١ : ٧١، وانظر كذلك =

وطُرِقَ المَسْجِدُ في لَيْلةٍ[a] سنة خمسٍ وأربعين ومائة في وِلاية يَزيد بن حَاتِم المُهَلَّبي من قِبَل المَنْصور، طَرَقَه قَوْمٌ ممَّن كان بايَع عليّ بن محمد بن عبد الله بن حَسَن بن حَسَن بن عليّ بن أبي طالِب، رضي الله عنه - وكان أوَّلَ عَلَويّ قَدِمَ مصر - فَنَهَبُوا بَيْتَ المالِ، ثم تضارَبوا عليه بسُيُوفهم، فلم يَصل إليهم منه إلَّا اليَسير، فأنْفَذَ إليهم يَزيدُ مَنْ قَتَلَ منهم جَماعَةً، وانْهَزَمُوا[1].

وذُكِرَ أنَّ هذا المكان تَسَوَّرَ عليه لِصٌّ في إمارَة أحمد بن طُولُون، وسَرَقَ منه بَدْرَتَيْ دنانير. فظَفِرَ به أحمد بن طُولُون واصْطَنَعه وعَفَا عنه.

وفي سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مائةٍ، أَمَرَ العَزيزُ بالله بعَمَل الفَوَّارة تحت قُبَّة بَيْت المال، فعُمِلَت. وفُرِغَ منها في شهر رَجَب سنة تسعٍ وسبعين وثلاث مائةٍ.

ثم زَادَ فيه صَالِحُ بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس، رضي الله عنهما - وهو يومئذٍ أميرُ مصر من قِبَل أبي العَبَّاس السَّفَّاح - في مُؤَخَّره أرْبَعَ أساطِين، وذلك في سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائةٍ، وهو أوَّل من وَلِيَ مصر لبني العَبَّاس، فيُقالُ: إنه أدْخَلَ في الجَامِع دارَ الزُّبَيْر بن العَوَّام - رضي الله عنه - وكانت غَرْبِي دارِ النُّحاس. وكان الزُّبَيْرُ تَخَلَّى عنها، ووَهَبَها لمواليه لخُصومَةٍ جَرَت بين غِلْمانِه وغِلْمان عَمْرو بن العَاص، واخْتَطَّ الزُّبَيْرُ فيما يلي الدَّار المعروفة به الآن. ثم اشْتَرَى عبدُ العَزيز ابن مَرْوان دارَ الزُّبَيْر من مَواليه، فَقَسَمَها بين ابْنَيْه[b] الأَصْبَغ وأبي بكر. فلمَّا قَدِمَ صَالِحُ بن عليّ، أَخَذَها عن أمّ عاصِم بنت عاصِم بن أبي بكر، وعن طِفْلٍ يَتيم - وهو حَسَّانُ بن الأَصْبَغ - فأَدْخَلَها في المَسْجِد؛ وبابُ الكَحْل من هذه الزِّيادَة، وهو البابُ الخامِس من أبْوابِ الجامِع الشَّرْقية الآن. وعَمَّرَ صَالِحُ بن عليّ أيضًا مُقَدَّم المَسْجِد الجَامِع عند البابِ الأوَّل مَوْضِع البَلاطَة الحَمْراء[2].

ثم زادَ فيه مُوسَىٰ بن عيسىٰ الهاشِمي - وهو يومئذٍ أميرُ مصر من قِبَل الرَّشيد - في شَعْبان سنة خمسٍ وسبعين ومائةٍ، الرَّحْبَة التي في مُؤَخَّره، وهي نصف الرَّحْبَة المعروفة بأبي أيُّوب[3]. ولمَّا ضاقَ الطَّريقُ بهذه الزِّيادَة أَخَذَ مُوسَىٰ بن عيسىٰ دارَ الرَّبيع بن سليمان الزُّهْري، شَرِكَة بني مِسْكين،

a) في النسخ: وطُرِقَ في ليلة المسجد. b) بولاق: ابنه.

= ابن رستة: الأعلاق النفيسة ١١٦.

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٥.

[2] نفسه ٤: ٦٥.

[3] الكندي: ولاة مصر ١٥٨؛ ابن عبدالحكم: فتوح مصر ١٣٢.

بغير عِوَضٍ للرَّبيع، ووَسَّعَ بها الطَّريق، وعَوَّضَ بني مِسْكين [الحَوانيت المُلاصِقَة لدارِ خَلَف الكِنْدي][a] [١].

ووَصَلَ عبدُ الله بن طَاهِر بن الحُسَيْن بن مُصْعَب، مَوْلَى خُزاعَة، أميرًا من قِبَل المأْمُون، في شهر رَبيع الأوَّل سنة إحدى عشرة ومائتين، وتَوَجَّه إلى الإسْكَنْدَرية مُسْتَهَلَّ صَفَر سنة اثنتي عشرة ومائتين، وَرَجَعَ إلى الفُسْطاطِ في جُمادَىٰ الآخرة من السنة المذكورة، وأَمَرَ بالزِّيادَة في المَسْجِد الجَامِع، فزِيدَ فيه مِثْله من غَرْبيه. وعادَ ابنُ طاهِر إلى بَغْداد لخمسٍ بقين من رَجَب من السنة المذكورة [٢].

وكانت زِيادَةُ ابن طَاهِر المِحْراب الكبير وما في غَرْبيه إلى حَدِّ زِيادَة الخَازِن. فأَدْخَلَ فيه الزُّقاق المعروف - كان[b] - بزُقاقِ البَلاط، وقِطْعَةً كبيرة من دارِ الرَّمْلِ، [حتى لم يَبْق منها غيرُ دارِ الضَّرْب اليوم وقَيْسارِيَّة بَدْر والمَيْضأه وزادَ فيه][a] ورَحْبَةً كانت بين يديْ دار الرَّمْل [٣]، ودُورًا ذَكَرَها القُضَاعي.

وذَكَرَ بعضُهم أنَّ مَوْضِعَ فُسْطاط عَمْرو بن العَاص حيث المِحْراب والمِنْبَر، قالَ: وكان الذي تَمَّمَ زِيادَة عبد الله بن طاهِر، بعد مَسيره إلى بَغْداد، عيسَىٰ بن يَزيد الجَلودي. وتكامَل ذَرْعُ الجَامِع، سوى الزِّيادتين، مائة وتسعين ذِراعًا بذراع العَمَلِ طُولًا في مائة وخمسين ذراعًا عَرْضًا. ويُقالُ إنَّ ذَرْعَ جَامِع ابن طُولُون مثل ذلك، سوى الرِّواق المحيط بجَوانِبه الثلاثة.

ونَصَبَ عبدُ الله بن طَاهِر اللَّوْحَ الأَخْضَر، فلمَّا احْتَرَقَ/ الجَامِعُ احْتَرَقَ ذلك اللَّوْح. فجَعَلَ ٢:
أحمدُ بن محمد العُجَيْفِي هذا اللَّوْحَ مَكان ذلك، وهو هذا اللَّوْحُ الأَخْضَر الباقي إلى اليوم [٤].

ورَحْبَةُ الحارِث هي الرَّحْبَةُ البَحْرية من زِيادَة الخازِن، وكانت رَحْبَةً يَتَبايَع النَّاسُ فيها يوم الجُمُعَة [٥].

---

a) العبارة زيادة من ابن دقماق. b) بولاق: أوّلًا.

---

[١] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٥.

[٢] الكندي: ولاة مصر ٢٠٧-٢٠٨.

[٣] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٥-٦٦ وهو نصّ أكثر تفصيلًا، وابن عبد الحكم: فتوح مصر ١٣٢. وواضحٌ أنَّ المَقْريزي يَنْقل من كِتابِ الكِنْدي المفقود «أخبار مَسْجِد أهْل الرَّاية الأعْظَم».

[٤] نفسه ٤: ٦٦.

[٥] نفسه ٤: ٦٦.

وذَكَرَ أبو عُمَر الكِنْدِيُّ في كتاب «المَوالي» أنَّ أبا عَمْرو الحارِث بن مِسْكين بن محمد ابن يُوسُف - مَوْلَى محمد بن رَيَّان بن عبد العَزيز بن مَرْوان - لمَّا وَلِيَ القَضَاء من قِبَل المُتَوَكِّل على الله في سنة سبعٍ وثلاثين ومائتين، أَمَرَ ببِنَاء هذه الرَّحْبَة ليتَّسِع النَّاسُ بها، وحَوَّل سُلَّم المؤذِّنين إلى غَرْبيّ المَسْجِد وكان عند باب إسْرائيلَ، وبَلَّطَ زِيادَة ابن طاهِر، وأَصْلَح بُنْيان السَّقْف، وبَنَى سِقايَةً في الحَذَّائين، وأَمَرَ ببِنَاء الرَّحْبَة الملاصِقَة لدارِ الضَّرْب ليتَّسِع النَّاسُ بها [1].

وزِيادَةُ أبي أيُّوب أحمد بن محمد بن شُجَاع بن أُخْت أبي الوَزير أحمد بن خالِد صَاحِب الخَراج في أيَّام المُعْتَصِم. كان أبو أيُّوبُ هذا أَحَدَ عُمَّالِ الخَراج زَمَن أحمد بن طُولُون، وزيادَته في بقيَّة الرَّحْبَة المعروفة برَحْبَةِ أبي أيُّوب، والمِحْرابُ المَنْسُوب إلى أبي أيُّوب هو الغَرْبيّ من هذه الزِّيادَة عند شُبَّاكِ الحَذَّائين، وكان بناؤها في سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين. ويُقالُ: إنَّ أبا أيُّوب ماتَ في سِجْنِ أحمد بن طُولُون بعد أن نَكَبَه واصْطَفَى أمْوالَه، وذلك في سنة ستٍّ وستين ومائتين. وأَدْخَل أبو أيُّوب في هذه الزِّيادَة أماكِنَ ذكرها [2].

قال: وكان قد وَقَعَ في مُؤَخَّرِ المَسْجِد الجَامِع حَريقٌ، فعُمِّرَ وزيدَت هذه الزِّيادَةُ في أيَّام أحمد ابن طُولُون. ووَقَعَ في الجَامِع، في ليلةِ الجُمُعَة لتسعٍ خَلَوْن من صَفَرَ سنة خمسٍ وسبعين ومائتين، حَريقٌ أَخَذَ من بعد ثلاث حَنايا من باب إسْرائيل إلى رَحْبَةِ الحارِث بن مِسْكين، فهَلَكَ فيه أكثر زِيادَة عبد الله بن طَاهِر، والرِّواق الذي عليه اللَّوْحُ الأَخْضَر. فأَمَرَ خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولُون بعِمارَته على يَدِ أحمد بن محمد العُجَيْفي، فأُعيدَ على ما كان عليه، وأَنْفَق فيه ستة آلاف وأربع مائة دينار، وكُتِبَ اسْمُ خُمارَوَيْه في دائِر الرِّواق الذي عليه اللَّوْحُ الأَخْضَر، وهي موجودة الآن، وكانت عِمارَتُه في السنة المذكورة [3].

وأَمَرَ عيسَىٰ النُّوشَري، في ولايته الثَّانية على مصر في سنة أربعٍ وتسعين ومائتين، بإغْلاقِ المَسْجِد الجَامِع فيما بين الصَّلَوات. فكان يُفْتَح للصَّلاةِ فقط، وأقامَ على ذلك أيَّامًا، فضَجَّ أَهْلُ المَسْجِد ففُتِحَ لهم [4].

وزادَ أبو حَفْص العَبَّاسي، في أيَّام نَظَره في قَضَاءِ مصر خِلافَةً لأخيه محمد، الغُرْفَة التي يؤذِّن فيها المؤذِّنون في السَّطْح. وكانت ولايتُه في رَجَب من سنة ستٍّ وثلاثين وثلاث مائة، وكان إمامَ

---

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٦.
[2] نفسه ٤: ٦٧ حيث أَوْرَد أسماء هذه الأماكن.
[3] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٧.
[4] الكندي: ولاة مصر ٢٨٥.

مصر والحَرَمَيْن وإليه إقامَة الحَجّ. ولم يَزَل قاضِيًا بمصر خِلافَةً لأخيه، إلى أن صُرِفَ من القَضَاءِ بالخَصيبي في ذي الحجَّة سنة تسعٍ وثلاثين وثلاث مائةٍ، وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة بعد قُدُومِه من الحَجّ [١].

ثم زادَ فيه أبو بكر محمد بن عبد الله الخازِن رِواقًا واحِدًا من دارِ الضَّرْب - وهو الرِّواقُ ذو المِحْراب والشُّبَّاكين، المتَّصل برَحْبَةِ الحارِث، ومِقْدارُه تِسْع أذْرُع - وكان ابْتِداءُ ذلك في رَجَب سنة سبعٍ وخمسين وثلاث مائةٍ، وماتَ قبل تَمامِ هذه الزِّيادَة، وتَمَّمها ابنُه عليُّ بن محمد، وفَرَغَت في العَشْر الأخر من شهر رَمَضان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائةٍ [٢].

وزادَ فيه الوَزيرُ أبو الفَرَج يَعْقُوب بن يُوسُف بن كِلِّس، بأَمْرِ العَزيز بالله، الفَوَّارَة التي تحت قُبَّة بيت المال - وهو أوَّلُ مَنْ عَمِلَ فيه فَوّارَة - وزادَ فيه أيضًا مَساقِفَ الخَشَب المُحيطَة بها، على يَدِ المعروف بالمَقْدِسي الأُطْروش مُتَوَلّي مَسْجِد بَيْتِ المقدس، وذلك في سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مائةٍ، ونَصَبَ فيها الحباب الرُّخام التي للماء [٣].

وفي سنة سبعٍ وثمانين وثلاث مائةٍ جُدِّد بَياضُ المَسْجِد الجَامِع، وقُلِعَ شيءٌ كثير من الفُسَيْفِساءِ الذي كان في أروقته، وبُيِّضَ مَواضِعُه، ونُقِشَت خمسةُ ألْواحٍ وذُهِّبت، ونُصِبَت على أبْوابِه الخمسة الشَّرْقية، وهي التي عليها الآن. وكان ذلك على يَدِ بَرْجَوان الخَادِم، وكان اسْمُه ثابِتًا في الألْواحِ فقُلِعَ بعد قَتْله [٤].

(a)وقال أبو محمد الحَسَن بن إبراهيم بن زُولاق: أوَّلُ تَنُّورٍ عُمِلَ في الجَامِع العَتيق، تَنُّورُ أبي زُرْعَة محمد بن عُثْمان بن القاضي، كان يُوقَد كُلَّ لَيْلَةِ جمعة سنة سبعٍ وثمانين ومائتين، ثم تَنُّورُ أبي بكر محمد بن علي المَاذَرائي سنة ثلاثٍ وثلاث مائةٍ، ثم تَنُّورُ أخيه أبي الطَّيِّب أحمد بن علي سنة ثلاثٍ وثلاث مائةٍ، ثم تَنُّورُ ذَكا أمير مصر سنة خمسٍ وثلاث مائةٍ، ثم تَنُّورُ تَكين أمير مصر سنة ستّ عشرة وثلاث مائةٍ، ثم تَنُّورُ محمد بن عبد الله الخازِن باسم الأمير أبي القاسِم أونُجُور ابن الإخْشيد سنة تسعٍ وأربعين وثلاث مائةٍ، ثم تَنُّورُ الوَزير يَعْقُوب بن يُوسُف بن كِلِّس سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مائةٍ، ثم تَنُّورُ جارِيته سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مائةٍ(a).

---

a-a) هذه الفقرة ساقطة من بولاق وهي موجودة في هامش نسخة آياصوفيا.

---

[١] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٧-٦٨.

[٢] نفسه ٤: ٦٨.

[٣] نفسه ٤: ٦٨.

[٤] نفسه ٤: ٦٨ وذلك في أيَّام الحاكم بأمرِ الله.

وقال المُسَبِّحي في «تاريخه» : وفي سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ أُنْزِلَ من القَصْرِ إلى الجَامِعِ العَتيق بألفٍ ومائتين وثمانية وتسعين مُصْحَفًا ما بين خَتْماتٍ ورَبْعاتٍ ، فيها ما هو مَكْتُوبٌ كلّه بالذَّهَب ، ومُكِّنَ النَّاسُ من القِراءَة فيها . وأُنْزِلَ إليه أيضًا بتَنُّورٍ من فِضَّة عَمِله الحاكِمُ بأمْرِ الله برَسْمِ الجَامِع ، فيه مائة ألف درهم فِضَّة . فاجْتَمَعَ النَّاسُ ، وعُلِّق بالجَامِع بعد أن قُلِعَت عَتَبَتا الباب حتى أُدْخِل به . وكان من اجْتِماعِ النَّاسِ لذلك ما يتجاوَز الوَصْف [1].

قال القُضاعِي : وأَمَرَ الحاكِمُ بأمْرِ الله بعَمَلِ الرِّواقَيْن اللذين في صَحْنِ المَسْجِد الجَامِع ، وقَلْعِ العُمُد الخَشَب والجِسْر الخَشَب التي كانت هناك ، وذلك في شَعْبانِ سنة ستٍّ وأربع مائةٍ . وكانتِ العُمُدُ والجِسْرُ قد نَصَبها أبو أيُّوب أحمد بن محمد بن شُجاع ، في سنة سبعٍ وخمسين ومائتين ، زَمَن أحمد بن طُولُون . لأن الحَرَّ اشْتَدَّ على النَّاسِ فَشَكَوا ذلك إلى ابن طُولُون ، فَأَمَرَ بنَصْبِ العُمُدِ الخَشَب ، وجَعَلَ عليها السَّتائِر في السنة المذكورة .

وكان الحاكِمُ قد أَمَرَ بأن تُدْهن هذه العُمُد الخَشَب بدُهْنٍ أَحْمَر وأَخْضَر فلم يَثْبُت عليها ، ثم أَمَرَ بقَلْعِها ، وجَعَلَها بين الرِّواقين ، [فكَمُل بهما عِدَّة الرِّواقات الموجودة الآن ، وهي : سبعة في مقدَّمه ، وسبعة في مُؤَخَّره ، وخمسة في شرقيه ، وخمسة في غربيه][a] [2].

وأوَّل ما عُمِلَتِ المقاصيرُ في الجَوامِعِ في أيَّام مُعاوِيَةَ بن أبي سُفْيَان سنة أرْبعٍ وأربعين . ولعلَّ قُرَّة ابن شَرِيك لمَّا بَنَى الجَامِعَ بمصر عَمِلَ المَقْصُورَة .

/وفي سنة إحدى وستين ومائة أَمَرَ المَهْـدي بنَزْعِ المقاصير من مَساجِد الأَمْصَار ، وبتَقْصير المنابِر ، فجُعِلَت على مِقْدارِ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ ، ثم أُعِيدَت بعد ذلك . ٢

ولمَّا وَلِيَ مِصْر مُوسَىٰ بن أبي العَبَّاس من أَهْلِ الشَّاش من قِبَل أبي جَعْفَر أَشْناس ، أَمَرَ المُعْتَصِمُ أن يَخْرُج المؤذِّنون إلى خارِج المَقْصُورَة ـ وهو أوَّلُ من أخْرَجَهُم ـ وكانوا قبل ذلك يُؤَذِّنون داخِلِها [3].

ثم أَمَرَ الإمامُ المُسْتَنْصِرُ بالله بن الظَّاهِر بعَمَل الحَجَر المقابِل للمِحْراب ، وبالزِّيادَة في المَقْصُورَة في شَرْقيها وغَرْبيها حتى اتَّصَلَت بالحَذَّائين[c] من جانبيها ، وبعَمَلِ مِنْطَقَةِ فِضَّة في صَدْرِ المِحْراب

---

a) هذه العبارة زيادة من ابن دُقماق . b) في الانتصار : ظاهرها . c) في الانتصار : بالجدارين .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٩٦؛ وانظر كذلك فيما يلي ٧٠٧.

[2] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٨.

[3] نفسه ٤ : ٦٨؛ وراجع : فريد شافعي ، العمارة العربية ٦٤٩- ٦٥١.

الكبير أُثْبِت عليها اسم أمير المؤمنين، وجُعِلَ لعَمودَيِ المِحْرابِ أَطْواقُ فِضَّة. وَجَرَى ذلك على يَدِ عبد الله بن محمد بن عَبْدون في شهر رَمَضان سنة ثمانٍ وثلاثين وأربع مائةٍ [1].

قال كاتِبُه [a]: ولم تَزَل هذه المِنْطَقَة الفِضَّة إلى أن اسْتَبَدَّ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف ابن أَيُّوب على مملكة مصر - بعد مَوْتِ الخَليفَة العاضِد لدين الله - في محرَّم سنة سبعٍ وستين وخمس مائة. فقَلَعَ مَناطِقَ الفِضَّة من الجَوامِع بالقاهِرَة ومن جَامِع عَمْرو بن العَاص بمصر، وذلك في حادي عشر شهر ربيعِ الأوَّل من السنة المذكورة [2].

قال القُضاعِيُّ: وفي شهر رَمَضان من سنة أربعين وأربع مائةٍ، جُدِّدَتِ الخِزانَةُ التي في ظَهْرِ دارِ الضَّرْب في طَريق الشُّرْطَة مقابلة لظَهْر المِحْراب الكبير. وفي شَعْبان من سنة إحدى وأربعين وأربع مائةٍ، أُذْهِب بقيَّةُ الجِدار القِبْلي حتى اتَّصَلَ الإذْهابُ من جِدار زِيادَة الخازِن إلى المِنْبَر، وَجَرَى ذلك على يد القاضي أبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي زكريا [3].

وفي شهر رَبيعِ الآخر من سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة، عُمِلَت لمَوْقِف الإمام في زَمَن الصَّيْف مَقْصُورَةُ خَشَب ومِحْرابٌ سَاج مَنقوش بعَمُودَيْ صَنْدَل. وتُقْلَعُ هذه المَقْصُورَة في الشِّتاء إذا صَلَّى الإمامُ في المَقْصُورَة الكبيرة [4].

وفي شَعْبان سنة أربعٍ وأربعين وأربع مائةٍ، زِيدَ في الخِزانَة مَجْلِسٌ من دارِ الضَّرْب وطَريق المُسْتَحم، وزُخْرِفَ هذا المجلس وحُسِّن [5]، وجُعِلَ فيه مِحْرابٌ، ورُخِّم بالرُّخام الذي قُلِعَ من المِحْراب الكبير حين نَصَبَ عبد الله بن محمد بن عَبْدون مِنْطَقَة الفِضَّة في صَدْر المِحْراب الكبير [6]. وجَرَت هذه الزِّيادَة على يد القاضي أبي عبد الله أحمد بن محمد بن يَحْيى.

وفي ذي الحجَّة من سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة، عَمَّر القاضي أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن أبي زكريا غُرْفَةَ المؤذِّنين بالسَّطْح وحَسَّنَها، وجَعَلَ لها رَوْشَنًا على صَحْنِ الجامِع وجَعَلَ بعدها

---

a) بولاق: قال مؤلفه.

---

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٨- ٦٩.

[2] المقريزي: السلوك ١: ٤٥؛ وفيما يلي ١٠٠.

[3] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٩، وانظر ترجمة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن أبي زكريا، المتوفى سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م، عند، ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر ٧٥.

[4] نفسه ٤: ٦٩.

[5] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف: «هذا المجْلِس يُعْرَف اليوم بقاعَة الخَطابَة؛ يجلس فيه الخَطيبُ يوم الجُمُعَة ومن يَخْرُج للخُطْبَة وإليه يَدْخُل إذا خَرَجَ من الصَّلاة».

[6] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٩.

مُمرًّا يُنْزَل منه إلى بَيْتِ المال، وجَعَلَ للسَّطْحِ مَطْلعًا[1] من الخِزانَة المستجدَّة في ظَهْر المِحْراب الكبير، وجَعَلَ له مَطْلَعًا آخر من الدِّيوان الذي في رَحْبَة أبي أيُّوب.

وفي شَعْبان من سنة خمسٍ وأربعين وأربع مائةٍ، بُنيَتِ المِئْذَنَةُ التي فيما بين مِئْذَنَة عَرَفَة والمِئْذَنَة الكبيرة، على يد القاضي أبي عبد الله أحمد بن أبي زَكريا[2]. انتهي ما ذَكَرَهُ القُضَاعِي.

وفي سنة أربعٍ وستين وخمس مائةٍ تَمكَّن الفِرِنْجُ من دِيارِ مصر وحَكَمُوا في القاهِرَة حُكْمًا جائِرًا، ورَكِبُوا المسلمين بالأَذَى العَظيم، وتَيَقَّنُوا أنَّه لا حامي للبِلاد من أجْلِ ضَعْفِ الدَّوْلَة، وانْكَشَفَت لهم عَوْراتُ النَّاس. فجَمَعَ مُرِّى [Amaury] - مَلِكُ الفِرِنْج - بالسَّاحِل جُموعَه، واسْتَجَدَّ قَوْمًا قَوَّى بهم عَساكِره، وسارَ إلى القاهِرَة من بِلْبَيْس بعد أن أخَذَها، وقَتَلَ كثيرًا من أهْلِها. فأَمَرَ شاوَرُ بن مُجيرِ السَّعْدي - وهو يومئذٍ مُسْتَوْلٍ على دِيارِ مصر وَزارَةً للعاضِد - بإحْراقِ مَدينَة مصر. فخُرِّج إليها في اليوم التاسع من صَفَر من السنة المذكورة عشرون ألف قارورة نَفْط وعشرة آلاف مشعل مُضْرَمَةٌ بالنيران، وفُرِّقَت فيها. ونَزَلَ مُرِّى [Amaury] بجُموع الفِرِنْج على بِرْكَة الحَبَش، فلمَّا رأى دُخَانَ الحَريق تَحَوَّلَ من بِرْكَةِ الحَبَش، ونَزَلَ على القاهِرَة مِمَّا يلي باب البَرْقِيَّة، وقاتَلَ أهْلَ القاهِرَة وقد انْحَشَرَ النَّاسُ فيها.

واسْتَمَرَّتِ النَّارُ في مصر أربعة وخمسين يومًا، والنَّهَّابَةُ تَهْدِم ما بها من المباني، وتَحْفِر لأَخْذِ الخَبايا إلى أن بَلَغَ مُرِّى [Amaury] قُدومَ أَسَدِ الدِّين شِيرِكوه بعَسْكَرٍ من جِهَة الملك العادِل نُور الدِّين محمود بن زَنْكي صاحِبِ الشَّام، فَرَحَلَ في سابع شهر رَبيع الآخر من السنة المذكورة، وتَراجَعَ المصريون شيئًا بعد شيءٍ إلى مصر، وتَشَعَّثَ الجامِعُ[3].

فلمَّا اسْتَبَدَّ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين بمَمْلَكَة مصر، بعد مَوْتِ العاضِد، جَدَّدَ الجامِعَ العَتيق بمصر في سنة ثمانٍ وستين وخمس مائةٍ، وأعادَ صَدْرَ الجامِع والمِحْراب الكبير، ورَخَّمه ورَسَمَ عليه اسْمَه، وجَعَلَ من[a] سِقايَة قاعَة الخَطابَة قَصَبَةً إلى السَّطْح يَرْتَفِق بها أهْلُ السَّطْح، وعَمَّرَ المَنْظَرَة التي تحت المِئْذَنَة الكبيرة وجَعَلَ لها سِقايَةً، وعَمَّرَ في كَتِف دارِ عَمْرو الصُّغْرَى البَحْري مِمَّا يلي

---

a) بولاق: في.

---

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٩، وانظر وصف ابن رُشْدَة لبَيْت المال بالجامع الكبير بفسطاط مصر في الأعلاق النفيسة ١١٦.

[2] نفسه ٤: ٦٩.

[3] انظر تفصيل ذلك فيما تقدم ٢: ١٤٢-١٤٦.

الغربي قَصَبَةً أخرى إلى مُحاذاةِ السَّطْح ، وجَعَلَ لها مَمْشاةً من السَّطْح إليها يَرْتَفِقُ بها أَهْلُ السَّطْحِ ، وَعَمَّرَ غُرْفَةَ السَّاعات وحُرِّرَت ؛ فلم تَزَل مستمرَّةً إلى أثناءِ أيَّام الملك المُعِزّ عِزّ الدِّين أَيْبَك التُّركماني ، أوّل من مَلَكَ من المماليك ، وجَدَّدَ بَياضَ الجَامِع ، وأزالَ شَعَثَه ، وجَلَّى عُمُدَه ، وأَصْلَح رُخامَه حتى صارَ جَميعُه مَفْروشًا بالرُّخام ، وليس في سَائِرِ أَرْضِه شيءٌ بغير رُخامٍ حتى تحت الحُصْر [١].

ولمَّا تَقَلَّدَ قاضي القُضَاة تاجُ الدِّين عبد الوهَّاب بن الأَعَزّ أبي القاسِم خَلَفُ بن رَشيد/ الدِّين محمود بن بَدْر المعروف بابن بِنْت الأَعَزّ العَلائي الشَّافِعِي [٢]، قَضَاءَ القُضَاةِ بالدِّيار المصرية ونَظَرَ الأَحْباسَ في وِلايته الثَّانية أيَّام الملك الظَّاهِر رُكْنِ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، كَشَفَ الجَامِع بنفسه فوَجَدَ مُؤَخَّره قد مالَ إلى بَحْريه ، ووَجَدَ سُورَه البَحْري قد مالَ ، وانْقَلَبَ عُلُوُّه عن سَمْتِ سِفْله ، ورأى في سَطْحِ الجَامِع غُرَفًا كثيرةً مُحْدَثَةً ، وبعضها مُزَخْرَفٌ . فهَدَمَ الجَميعَ ، ولم يَدَع بالسَّطْحِ سوى غُرْفَةِ المؤذِّنين القَديمَة وثَلاث خَزائِن لرُؤَساءِ المؤذِّنين لا غير . وجَمَعَ أَرْبابَ الخِبْرَة ، فاتَّفَقَ الرأيُ على إبْطالِ جَرَيَان الماءِ إلى فَوَّارَةِ الفَسْقِيَّة ـ وكان الماءُ يَصِلُ إليها من بَحْرِ النِّيل ـ فأَمَرَ بإبْطالِه لما كان فيه من الضَّرَرِ على جُدُرِ الجَامِع ، وعَمَّرَ بَغْلات بالزِّيادَة البَحْرية تَشُدُّ جِدار الجَامِع البَحْري ، وزادَ في عُمُدِ الزِّيادَة ما قَوَّى به البَغْلات المذكورة ، وسَدَّ شُبَّاكين كانا في الجِدارِ المذكور ليَتَقَوَّى بذلك ، وأَنْفَقَ المصروفَ على ذلك من مَالِ الأَحْباس [٣].

وخُشِيَ أن يَتَداعَى الجَامِعُ كلُّه إلى السُّقُوط ، فحَدَّثَ الصَّاحِبُ الوَزيرُ بَهاءُ الدِّين عليُّ ابن محمد بن سَليم بن حِنَّا في مُفاوَضَةِ السُّلْطان في عِمارَة ذلك من بَيْت المال . فاجْتَمَعا معًا بالسُّلْطانِ الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس ، وسألاه في ذلك ، فَرَسَمَ بعِمارَة الجَامِع . فهُدِمَ الجِدارُ البَحْري من مُقَدَّم الجَامِع ـ وهو الجِدارُ الذي فيه اللَّوْحُ الأخضر ـ وحُطَّ اللَّوْحُ ، وأُزيلَتِ العُمُدُ والقَواصِرُ العشر ، وعُمِّرَ الجِدارُ المذكور ، وأُعيدَتِ العُمُدُ والقَواصِرُ كما كانت ، وزيدَ في العُمُد أربعة ، قُرِنَ بها أربعة مِمَّا هو تحت اللَّوْح الأَخْضَر والصَّفّ الثَّاني منه ، وفَصَلَ اللَّوْحَ الأَخْضَر أجزاء ، وجَدَّدَ غيره وأُذْهِب ، وكُتِبَ عليه اسْمُ السُّلْطانِ الملك الظَّاهِر ، وجُلِيَت العُمُدُ كلُّها ، وبُيِّضَ الجَامِع بأَسْرِه ـ وذلك في شهر رَجَب سنة ستٍّ وستين وستّ مائة ـ

---

[١] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٩.

[٢] انظر ترجمة عنه، ابن حجر: رفع الإصر ٢٥٨- ٢٦٣.

[٣] ابن دقماق : الانتصار ٤:٦- ٧٠.

وصُلِّي فيه شهر رَمَضان بعد فَراغِه، ولم تَتَعَطَّلِ الصَّلاةُ فيه لأَجْلِ العِمارَة [١].

ولمَّا كان في شُهورِ سنة سبعٍ وثمانين وستِّ مائةٍ، شَكا قاضي القُضاة [وناظِر الأَحْباس][a] تقيُّ الدِّين أبو القاسِم عبد الرَّحمٰن بن عبد الوَهَّاب بن بنت الأَعَزّ للسُّلْطان الملك المَنْصور قَلاوون، سوءَ حالِ جَامِع عَمْرو بمصر، وسوءَ حالِ الجَامِع الأَزْهَر بالقاهِرَة، وأنَّ الأَحْباسَ على أَسْوَأ الأَحْوال، وأنَّ مَجْدَ الدِّين بن الحَبَّاب أَخْرَبَ هذه الجِهَة لمَّا كان يتحدَّث فيها، وتَقَرَّب بجزيرَة الفيل ـ الوَقْف الصَّلاحِي على مَدْرَسَة الشَّافعية ـ إلى الأمير عَلَم الدِّين الشُّجاعي، وذَكَرَ له بأنَّ في أطْيانِها زِيادَةً، فقاسُوا ما تَجَدَّد بها من الرِّمالِ وجَعَلوه للوَقْف، وأَقْطَعوا الأَطْيانَ القَديمَة الجارية في الوَقْف. وتقرَّب أيضًا إليه بأنَّ في الأَحْباسِ زِيادَةً، من جملتها بالأَعْمال الغربية ما مبلغه في السنة ثلاثون ألف دِرْهَم، وأنَّ ذلك لجِهَة عِمارَة الجامِعَيْن، وسأل السُّلْطان في إعادَةِ ذلك وإبْطالِ ما أُقْطِعَ منه. فلم يُجِب إلى ذلك وأَمَرَ الأمير حُسَام الدِّين طُرُنْطاي بعِمارَة الجَامِع الأَزْهَر، والأمير عِزّ الدِّين الأَفْرَم بعِمارَة جَامِع عَمْرو. فحَضَرَ الأَفْرَمُ إلى الجَامِع بمصر ورَسَمَ على مُباشري الأَحْباس، وكَشَفَ المساجِد لغَرَضٍ كان في نفسه، وبَيَّضَ الجَامِعَ وجَرَّدَ نصف العُمُد التي فيه، فصارَ العَمُودُ نصفه الأَسْفَل أبيض وباقيه بحالِه، ودَهَنَ واجِهَة غُرْفَة السَّاعات بالسِّيلَقُون، وأَجْرَى الماءَ من البِئْر التي بزُقاقِ الأَقْفال إلى فَسْقِيَّة الجَامِع، ورَمَى ما كان بالزِّيادات من الأَتْربَة [٢].

ونَظَرَ العَوَامُّ به فيما فَعَلَه بالجَامِع، فصاروا يقولون: «نَقَلَ الدِّيماسَ من البَحْرِ إلى الجَامِع» لكونِه دَهَنَ الغُرْفَة بالسِّيلَقُون، «وأَلْبَس العَوامِيدَ للشَّيْخ العُرْيان» لكونِه جَرَّدَ نِصْفَها التَّحْتاني، فصارَ أبيضَ الأَسْفَل أَسْمَرَ الأعلى، كما كان الشَّيْخُ العُرْيان، فإنَّ نِصْفَهُ الأَسْفَل كان مَسْتُورًا بمِئْزَرٍ أبيض وأعْلاه عُرْيان، ولم يَفْعَل بالجَامِع سِوَى ما ذُكِر.

ولمَّا حَدَثَتِ الزَّلْزَلَةُ في سنة اثنتين وسبع مائة [٣] تَشَعَّثَ الجَامِعُ، فاتَّفَقَ الأميران بَيْبَرْس الجاشْنْكير ـ وهو يومئذٍ أُسْتادَّارُ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ـ والأميرُ سَلار وهو نائِبُ السَّلْطَنة، وإليهما تَدْبيرُ الدَّوْلَة، على عِمارَة الجَامِعَين بمصر والقاهِرَة. فتَوَلَّى الأميرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس عِمارَة الجَامِع الحاكِمي بالقاهِرَة، وتَوَلَّى الأميرُ سَلار عِمارَة جَامِع عَمْرو بمصر.

---

a) زيادة من ابن دقماق.

---

[١] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٠.

[٢] نفســه ٤: ٧٠.

[٣] انظر مصادر خبر هذه الزَّلْزَلَة فيما يلي ١٠٣هـ [٢].

فاعْتَمَدَ سَلارُ على كاتِبِه بَدْر الدِّين بن خَطَّاب ، فَهَدَمَ الحَدَّ البَحْري من سُلَّم السَّطْح إلى بابِ الزِّيادَة البَحْرية والشَّرْقية ، وأعادَه على ما كان عليه ، وعَمِلَ بابَيْن جديدين للزِّيادَة البَحْرية والغَرْبية ، وأضافَ إلى كلِّ عَمُودٍ من الصَّفِّ الأخير المقابِل للجِدار الذي هَدَمَه عَمُودًا آخر تقويةً له ، وجَرَّدَ عُمُدَ الجامِع كلَّها ، وبَيَّضَ الجامِعَ بأسْره ، وزادَ في سَقْفِ الزِّيادَة الغربية رِواقَيْن ، وبَلَّطَ سِفْل ما أسْقَفَ منها . وخَرَّبَ بظَاهِر مصر وبالقَرافَتين عِدَّةَ مَساجِد وأَخَذَ عُمُدَها ليُرَخِّم بها صَحْن الجامِع ، وقَلَعَ من رُخامِ الجامِع الذي كان تحت الحُصْر كثيرًا من الألْواح الطِّوال ، ورَصَّ الجَميعَ عند بابِ الجَامِع المعروف بباب الشَّرابيين ، فَنَقَلَ من هناك إلى حيث شاءُوا ، ولم يَعْمَلْ منه في صَحْنِ الجَامِع شيءٌ ألبتَّة ، وكان فيما نَقَلَ من ألْواحِ الرُّخام ما طُولُه أربعة أذْرُع في عرض ذِراع وسُدْس ، ذَهَبَ بجميع ذلك [1] .

ولمَّا وَلِيَ عَلاءُ الدِّين بن بَرْوانَة[a] نِيابَة دارِ العَدْل ، قَسَّمَ جَامِعَيْ مصر والقاهِرَة ، فجَعَلَ جَامِعَ القاهِرَة مع نبيه الدِّين بن السَّعْرَتي ، وجَامِع عَمْرو مع بَهاء/ الدِّين بن السُّكَّري ، فسُقِّفَتِ الزِّيادَةُ البَحْرية الشَّرْقية ـ وكانت قد جُعِلَت حَاصِلًا للحُصْر ـ وجُعِلَ لها دَرابْزين بين البابين يَمْنَع الجَانبين من المارِّ من بابِ الجَامِع إلى باب الزِّيادَة المسلوك منه إلى سُوقِ النَّحَّاسين ، وبَلَّط أرْضَها ، ورَقَعَ[b] بعض رُخام صَحْنِ الجَامِع ، وبَلَّطَ بعض المجازات ، وعَمِلَ عَضائِد أعْتاب تَحُوز الصَّحْن عن مَواضِع الصَّلاة [2] .

ولمَّا كان في شهور سنة ستٍّ وتسعين وستِّ مائةٍ اشْتَرَى الصَّاحِبُ تاجُ الدِّين دارًا بسُوقِ الأكْفانِيين وهَدَمَها ، وجَعَلَ مكانَها سِقايةً كبيرةً ورَفَعَها إلى مُحاذاة سَطْح الجَامِع ، وجَعَلَ لها مَمْشًى يُتَوَصَّل إليها من سَطْح الجَامِع ، وعَمِلَ في أعْلاها أربعة بيوت يُرْتَفَق بهم في الخَلاء ومَكانًا بِرَسْم أزْيار الماء العَذْب ، وهَدَمَ سِقايَةَ الغُرْفَة التي تحت المِئْذَنَة المعروفة بالمَنْظَرَة وبَنَاهَا بُرْجًا كبيرًا من الأرض إلى العُلُوّ حيث كان أوَّلًا ، وجَعَلَ بأعْلى هذا البُرْج بَيْتًا مُرْتَفِعًا يَخْتَصُّ بالغُرْفَة المذكورة كما كان أوَّلًا ، وبَيْتًا ثانيًا من خارِج الغُرْفَة يَرْتَفِقُ به من هو خَارِجَ الغُرْفَة مِمَّن يقرب منها [3] .

---

a) بولاق : مروانة . b) بولاق : رفع .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧١.
[2] نفسه ٤ : ٧١.
[3] نفسه ٤ : ٧١.

وعَمَّر القاضي صَدْرُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن البارِنْباري سِقَايَةً في رُكْنِ دَارِ عَمْرو البَحْريّ الغربيّ من دارِه الصُّغْرىٰ بعدما كانت قد تَهَدَّمَت، فأعادَها كأحسن ما كانت [وجَعَلَ بجوارها مَزْيَرَةً بِرَسْمِ الأَزْيار، وانْتَفَعَ النَّاسُ بذلك كلِّه] [a]. ثم إنَّ الجَامِعَ تَشَعَّثَ ومالَت قَواصِرُه ولم يَبْقَ إلَّا أن يَنسقُط [1]؛ وأَهْلُ الدَّوْلَة ـ بعد مَوْتِ الملك الظَّاهِر بَرْقُوق ـ في شُغْلٍ من اللَّهْوِ عن عَمَلِ ذلك؛ فانْتَدَبَ الرَّئيسُ بُرْهانُ الدِّين إبراهيم بن عُمَر بن عليّ المَحَلّي، رَئيسُ التُّجَّار يومئذٍ بديار مصر، لِعمارَةِ الجَامِع بنفسه وذويه، وهَدَمَ صَدْرَ الجَامِع بأَسْرِه فيما بين المِحْرابِ الكبير إلى الصَّحْنِ طُولًا وعَرْضًا، وأزالَ اللَّوْحَ الأخْضَر وأعادَ البِناءَ كما كان أوَّلًا، وجَدَّدَ لَوْحًا أخْضَرَ بَدَلَ الأوَّل ونَصَبَه كما كان ـ وهو الموجود الآن ـ وجَرَّدَ العُمُدَ كلَّها، وتَتَبَّعَ جُدُرَ الجَامِع فرَمَّ شَعْثَها كلَّه، وأَصْلَحَ من رُخام الصَّحْن ما كان قد فَسَدَ، ومن السُّقوفِ ما كان قد وَهَى، وبَيَّضَ الجَامِعَ كلَّه. فجاءَ كما كان، وعادَ جَديدًا بعدما كادَ أن يَسْقُط لَوْلا أقامَ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ هذا الرَّجُل ـ مع ما عُرِفَ من شُحِّه وكثرة ضِنَّته بالمالِ ـ حتى عَمَّرَه. فشَكَرَ الله سَعْيَه، وبَيَّضَ مُحَيَّاه. وكان انتهاءُ هذا العَمَلِ في سنة أربعٍ وثمان مائةٍ، ولم يَتَعَطَّلْ منه صَلاةُ جُمُعَة ولا جَماعَة في مُدَّةِ عِمارَته [2].

[b]وذَكَرَ ابنُ جُبَيْر في «رِحْلته» أنَّ جَامِعَ عَمْرو بن العَاص يُنْفَقُ عليه كُلَّ يومٍ نحو الثلاثين دينارًا مصرية في مصالحه، وذلك في سنة ثمانٍ وسبعين وخمس مائة[b] [3].

قال ابنُ المُتَوَّج: إنَّ ذَرْعَ هذا الجَامِع اثنان وأربعون ألف ذِراع بذراع [عَمَل][a] البَزّ المصري القَديم ـ وهو ذِراع الحُصْر [العَبَدَاني][a] المستمرّ إلى الآن ـ فمن ذلك مُقَدَّمُه ثلاثة عشر ألف ذِراع وأربع مائةٍ وخمسة وعشرون ذراعًا، ومُؤَخَّره مثل ذلك، وصَحْنُه سبعة آلاف وخمس مائة ذِراع، وكلٌّ من جانبيه الشَّرْقي والغَرْبي ثلاثة آلاف وثمان مائة وخمسة وعشرون ذراعًا. وذَرْعُه كلُّه بِذِراع العَمَلِ [المحَرَّر على القَصَبَة الحاكمية][a] ثمانية وعشرون ألف ذِراع.

وعَدَدُ أبْوابِه ثلاثة عشر بابًا: منها في القِبْلي باب الزَّيْزَلَخْتَة الذي يَدْخُلُ منه الخَطِيبُ ـ كان به شَجَرَة زَيْزَلَخْت عَظِيمَة قُطِعَت في سنة ستٍّ وستين وسبع مائةٍ ـ وفي البَحْري ثلاثة أبْواب، وفي

---

a) زيادة من الانتصار لابن دقماق. b-b) هذه الفقرة ساقطة من بولاق، وجاءت على هامش آياصوفيا.

---

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧١، ولم يُشِر ابنُ دقماق إلى الأعمال التي تَمَّت في الجامع بعد مَوْتِ الظَّاهِر بَرْقُوق، لأنَّه ألَّف كتابه نحو سنة ٨٠٤هـ.

[2] فيما يلي ٤٧٠.

[3] ابن جبير: الرحلة ٢٤.

الشَّرْقي خمسة، وفي الغَرْبي أربعة. وعَدَدُ عُمُدِه ثلاث مائةٍ وثمانية وسبعون عمُودًا، (aوعَدَدُ مآذِنه خمس وبه ثلاث زيادات a)، فالبَحْرية الشَّرْقِيَّة كانت لجُلُوسِ قاضي القُضَاة بها في كلِّ أسبوعٍ يومين [١].

وكان بهذا الجَامِع «القَصَـصُ»، قال القُضاعِي: رَوَى نَافِعُ عن ابن عُمَر - رضي الله عنهما - قال: لم يُقَصّ في زَمَنِ رَسُولِ الله ﷺ، ولا أبي بكر ولا عُمَر ولا عُثْمان - رضي الله عنهم - وإنَّما كان القَصَصُ في زَمَنِ مُعاوِيَة - رضي الله عنه [٢].

وذَكَرَ عُمَر بن شَبَّة قال: قيل للحَسَن: متى أُحْدِثَ القَصَصُ؟ قال: في خِلافَةِ عُثْمان ابن عَفَّانَ. قيل: مَنْ أوَّل من قَصَّ؟ قال: تَمِيم الدَّارِي. وذَكَرَ عن ابن شِهابٍ قال: أوَّلُ من قَصَّ في مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ تَمِيمٌ الدَّاري اسْتأْذَنَ عُمَرَ أن يُذَكِّر النَّاسَ فأَبَى عليه، حتى كان آخِرِ ولايته فأذِنَ له أن يُذَكِّر في يوم الجُمُعَة قبل أن يَخْرُج عُمَر. فاسْتأْذَنَ تَمِيمٌ عُثْمانَ بن عَفَّان - رضي الله عنه - في ذلك، فأذِنَ له أن يُذَكِّر يومين في الجُمُعَة. فكان تَمِيمٌ يفعل ذلك.

ورَوَى ابنُ لَهِيعَة عن يَزيدِ بن أبي حَبيبٍ، أنَّ عليًّا - رضي الله عنه - قَنَتَ فدَعَا على قَوْمٍ من أهْلِ حَرْبه؛ فبَلَغَ ذلك مُعاوِيَة فأَمَرَ رَجُلًا يَقُصُّ بعد الصُّبْح وبعد المغرب يدعو له ولأهْلِ الشَّام، قال يَزيدُ: وكان ذلك أوَّلَ القَصَصَ.

ورُوِيَ عن عبد الله بن مُغَفَّل قال: أَمَّنا عليٌّ - رضي الله عنه - في المَغْرِب، فلمَّا رَفَعَ رَأْسَه من الرَّكْعَة الثَّالِثَة ذَكَرَ مُعاوِيَة أوَّلًا، وعَمْرو بن العَاص ثانيًا، وأبا الأَعْوَر - يعني السُّلَمي - ثالثًا، وكان أبو مُوسَىٰ الرَّابع.

وقال اللَّيْثُ بن سَعْد: هما قَصَصَان: قَصَصُ العامَّة، وقَصَصُ الخاصَّة. فأمَّا «قَصَصُ العامَّة» فهو الذي يَجْتَمِعُ إليه النَّفَرُ من النَّاسِ يَعِظُهم ويُذَكِّرهم، فذلك مَكْروهٌ لمن فَعَلَه ولمن اسْتَمَعَه. وأمَّا «قَصَصُ الخاصَّة» فهو الذي جَعَلَه مُعاوية وَلَّى رَجُلًا على القَصَصِ، فإذا سَلَّم من صَلاةِ الصُّبْح، جَلَسَ وذَكَرَ الله - عَزَّ وجَلَّ - وحَمِدَه ومَجَّدَه، وصلَّى على النبيّ ﷺ، ودَعا للخَليفَةِ ولأهْلِ ولايته ولحَشَمِه وجُنودِه، ودَعَا على أهْلِ حَرْبِه وعلى المشركين كافَّةً [٣].

(a-a) ساقطة من بولاق.

---

[١] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٩-٦١، نَصٌّ أكثر تفصيلًا.

[٢] نفسه ٤: ٧٢.

[٣] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف: «قال الأَوْزاعي عن عبد الله ابن عامر عن عَمْرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جَدِّه يَرْفعه: «لا =

ويُقالُ أوّلُ[a] من قَصَّ بمصر سُلَيْمان بن عِتْر التُّجِيبي في سنة ثمانٍ وثلاثين، وجُمِعَ له القَضَاءُ إلى القَصَص، ثم عُزِلَ عن القَضَاءِ وأُفْرِدَ/ بالقَصَص[١]. وكانت وِلايَتُه على القَصَصِ والقَضَاءِ ٢: سبعًا وثلاثين سنة: منها سنتان قبل القَضَاء. ويُقالُ: إنَّه كان يَخْتِم القُرْآنَ في كُلِّ ليلةٍ ثَلاث مرَّات، وكان يَجْهَر بِبِسم الله الرَّحْمَٰن الرَّحيم، ويَسْجُدُ في المُفَصَّل، ويُسَلِّم تَسليمَةً واحدةً، ويقرأ في الرَّكْعَة الأولى بالبَقَرَة وفي الثانية بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الآية ١ سورة الإخلاص]، ويَرْفَعُ يَدَيْه في القَصَصِ إذا دَعَا.

وكان عبدُ الملك بن مَرْوان شَكَا إلى العُلَماءِ ما انْتَشَرَ عليه من أَمْرِ رعيَّته، وشُخُوصِه في[b] كلِّ وَجْهٍ. فأشارَ عليه أبو حَبيبٍ الحِمْصي القاضي بأن يَسْتَنْصِر عليهم برَفْع يَدَيْه إلى الله تعالى. فكان عبدُ الملكِ يَدْعُو ويَرْفَع يَدَيْه، وكَتَبَ بذلك إلى القُصَّاصِ، فكانوا يَرْفَعُون أيْديهم بالغَداةِ والعَشِيّ[٢].

[c]قال ابنُ شِهابٍ عن عبد الله بن عبد الله بن عُتْبَة بن مَسْعود: أَوَّلُ من جَمَعَ القُرْآنَ في مُصْحَفٍ وكَتَبَه عُثْمانُ بن عَفَّان ثم وَضَعَه في المَسْجِدِ فأمَرَ به يُقْرأ كلَّ غَداةٍ[c].

وفي هذا الجَامِع «مُصْحَفُ أسْماءَ»، وهو الذي تِجاه المِحْراب الكبير. قال القُضاعِي: كان السَّبَبُ في كَتْبِ هذا المُصْحَف أنَّ الحَجَّاجَ بن يُوسُف الثَّقَفِيّ كَتَبَ مَصاحِفَ وبَعَثَ بها إلى الأمْصَارِ، ووَجَّه إلى مصر بمُصْحَفٍ منها. فغَضِبَ عبدُ العَزيز بن مَرْوان من ذلك ـ وكان الوالي يومئذٍ من قِبَلِ أخيه عبد الملك ـ وقال: يَبْعَثُ إلى جُنْدٍ أنا فيه بمُصْحَفٍ؛ فأَمَرَ فكُتِبَ له هذا المُصْحَف الذي في المَسْجِد الجَامِع اليوم.

a) بولاق: إنَّ أول. b) بولاق: وتخوفه من. c-c) هذه الفقرة ساقطة من بولاق.

= يَقُصُّ على النَّاس إلَّا أميرٌ أو مأمُورٌ أو مرائي. وقال كُثَيِّر ابن مُرَّة عن عَوْف بن مالِك الأَشْجَعي يَرْفعه: «لا يَقُصُّ إلَّا أميرٌ أو مأمورٌ أو مُرائي»، وفي روايةٍ أو يَتَكلَّف بَدَل مُرائي. وعن مُقاتِل بن حَيَّان: مَرَّ عُمَر بن الخَطَّاب بقاصٍ فخفَقه بالدُّرَّة وقال: من أنت؟ قال: مُذَكِّر. قال: قل أنا أحْمَق مُراءٍ متكَلِّف. وقيل للحسَن مَتَى أُحْدِثَ القَصَص؟ قال: في ...» وأضاعَ نص هامش النسخة بقية الخبر.

[١] انظر حول هذا الموضوع، ابن الجوزي: القُصَّاص والمذَكِّرين، تحقيق قاسم السامرائي، الرياض – دار أمية ١٤٠٣هـ؛ Pellat, Ch., *EI*[2] art. *Kâss* IV, pp. 763-65.

[٢] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٢.

فلمَّا فَرَغَ منه قال : من وَجَدَ فيه حَرْفًا خَطَأً فله رأسٌ أحمر وثلاثون دينارًا . فتداوَلَه القُرَّاءُ ، فأتى رَجُلٌ من حَمْراءِ[a] الكوفَة اسمه زُرْعَة بن سُهَيْلٍ[b] الثَّقَفِي ، فَقَرأه تَهَجِّيًا ، ثم جاءَ إلى عبد العَزيز بن مَرْوان فقال له : إنِّي قد وَجَدْتُ في المُصْحَفِ حَرْفًا خطأً . فقال : مُصْحَفي ؟ قال : نَعَم . فنَظَرَ فإذا فيه ﴿إنَّ هذا أخي له تِسْعٌ وتِسْعون نَعْجَةً﴾ [الآية ٢٣ سورة ص] ، فإذا هي مكتوبة «نَجْعَة» قد قُدِّمَتِ الجيمُ قبل العين . فأَمَرَ بالمُصْحَفِ فأُصْلِحَ ما كان فيه وأُبْدِلَتِ الوَرَقَة ، ثم أَمَرَ له بثلاثين دينارًا وبرأسٍ أحمر [1].

ولمَّا فَرَغَ من هذا المُصْحَف ، كان يُحْمَل إلى المَسْجِد الجامِع غَداةَ كلِّ جُمُعَة من دار عبد العزيز ، فيُقْرأ فيه ثم يُقَصُّ ، ثم يُرَدّ إلى موضعه . فكان أوَّل من قرأ فيه عبد الرَّحْمَٰن بن حُجَيْرَة الخَوْلاني ، لأنَّه كان يَتَوَلَّى القَصَصَ والقَضَاء يومئذٍ وذلك في سنة ستٍّ وسبعين [2]. ثم تَوَلَّى بعده القَصَصَ أبو الخَيْر مَرْثَدُ بن عبد الله اليَزَني ، وكان قاضِيًا بالإسْكَنْدَرية قبل ذلك .

ثم توفِّي عبدُ العزيز في سنة ستٍّ وثمانين فبيعَ هذا المُصْحَف في مِيراثِه ، فاشْتَراهُ ابنُه أبو بكر بألف دينار ، ثم توفِّي أبو بكر فاشْتَرَتْه أَسْمَاءُ ابنة أبي بكر بن عبد العَزيز بسبع مائة دينار ، فأَمْكَنَتِ النَّاسَ منه ، وشَهَرَته فنُسِبَ إليها . ثم[c] توفِّيت أَسْمَاءُ فاشْتَراهُ أخُوها الحَكَمُ بن عبد العَزيز ابن مَرْوان من مِيراثِها بخمس مائة دينار . فأشارَ عليه تَوْبَةُ بن نَمِر الحَضْرَمي القاضي ـ وهو مُتَوَلِّي القَصَص يومئذٍ بالمَسْجِد الجَامِع بعد عُقْبَة بن مُسْلم الهَمْداني وإليه القَضَاءُ ، وذلك في سنة ثمانِ عشرة ومائةٍ ـ فجَعَلَه في المَسْجِد الجَامِع ، وأَجْرَى على الذي يَقْرَأ فيه ثلاثة دنانير في كلِّ شهرٍ من غَلَّةِ الإسْطَبْل . فكان تَوْبَةُ أوَّلَ من قَرَأ فيه بعد أن أُقِرَّ في الجَامِع [3].

وتولَّى القَصَص بعد تَوْبَة أبو إسماعيل خَيْر بن نُعَيْم الحَضْرَمي القاضي في سنة عشرين ومائةٍ ، وجُمِعَ له القَضَاءُ والقَصَص [4]. فكان يقرأ في المُصْحَف قائِمًا ، ثم يَقُصُّ وهو جالِس ، فهو أوَّلُ من

---

a) بولاق : قراء. b) بولاق : سهل. c) بولاق : فلما.

---

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١١٧– ١١٨؛ ابن دقماق : الانتصار ٤: ٧٢.

[2] ابن دقماق : الانتصار ٤:٧٣ وانظر ترجمة عبدالرحمن بن حجيرة عند ابن حجر: رفع الإصر ٢١٤- ٢١٦.

[3] نفسه ٤:٧٣ ، وكذلك ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١١٧، ١١٨؛ ابن حجر: رفع الإصر ١٠٩- ١١١.

[4] انظر ترجمته عند ابن حجر: رفع الإصر ١٥٣- ١٥٦.

قَرَأ في المُصْحَف قائِمًا. ولم تَزَلِ الأئمةُ يَقْرأون في المَسْجِد الجَامِع في هذا المُصْحَف في كلِّ يوم جُمُعَة، إلى أن وَلِيَ القَصَص أبو رَجَب العَلاءُ بن عَاصِم الخَوْلاني في سنة اثنتين وثمانين ومائةٍ، فَقَرَأ فيه يوم الاثنين. وكان قد جَعَلَ المُطَّلِب الخُزاعي، أمير مصر من قِبَل المأمون، رِزْقَ أبي رَجَب العَلاء عشرة دَنانير على القَصَص، وهو أوَّلُ من سَلَّمَ في الجَامع تَسْليمَتَيْن بكتابٍ وَرَدَ من المأمون يَأْمُرُ فيه بذلك. وصَلَّى خَلْفَه محمدُ بنُ إدْريس الشَّافِعِيّ حين قَدِمَ إلى مصر، فقال: هكذا تكونُ الصَّلاة، ما صَلَّيْتُ خَلْفَ أَحَدٍ أَتَمَّ صَلاةٍ من أبي رَجَب ولا أَحْسَن [1].

ولمَّا وَلِيَ القَصَصَ حَسَنُ بن الرَّبيع بن سُلَيْمان من قِبَلِ عَنْبَسَة بن إسحاق ـ أمير مصر من قِبَل المُتَوَكِّل ـ في سنة أربعين ومائتين، أَمَرَ أن تُتْرَك قِراءَةُ «بِسْم الله الرَّحْمَٰن الرَّحيم» في الصَّلاةِ فتَرَكَها النَّاسُ، وأَمَرَ أن تُصَلَّى التَّراويحُ خَمْس تَراويح، وكانت تُصَلَّىٰ قبل ذلك سِتَّ تَراويح، وزادَ في قِراءَةِ المُصْحَف يومًا. فكان يُقْرأ يوم الاثنين ويوم الخَميس فيوم الجُمُعَة [2].

ولمَّا وُلِّيَ حَمْزَة بن إبراهيم بن أيُّوب[a] الهاشِمي القَصَص ـ بكِتابٍ من المكْتفي ـ في سنة اثنتين وتسعين ومائتين، صَلَّى في مُؤَخَّرِ المَسْجِد حين نُكِّسَ، وأَمَرَ أن يُحْمَلَ إليه المُصْحَفُ ليَقْرأ فيه. فقيل له: إنَّه لم يُحْمَل المُصْحَفُ إلى أحَدٍ قبلك، فلو قُمْتَ وقَرَأْتَ فيه في مَكانِه؟ فقال: لا أَفْعَلُ، ولكنِ ائْتُوني به، فإنَّ القُرْآنَ علينا أُنْزِلَ، وإلَيْنا أَتَىٰ. فأُتِي به فَقَرأ فيه في المُؤَخَّر. وهو أوَّلُ من قَرَأ في المُصْحَفِ في المُؤَخَّر، ولم يُقْرَأ في المُصْحَفِ بعد ذلك في المُؤَخَّر، إلى أن تَوَلَّى أبو بكر محمد بن الحَسَن السُّوسي الصَّلاةَ والقَصَص في اليوم العشرين من شَعْبان سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ، فَنَصَبَ المُصْحَفَ في مُؤَخَّرِ الجَامِع حِيالَ الفَوَّارَة، وقَرَأ فيه أيَّامَ نُكِّسَ الجَامِع [3]. فاسْتَمَرّ الأَمْرُ على ذلك إلى الآن [4].

ولمَّا تَوَلَّى القَصَصَ أبو بكر محمد بن عبد الله بن مُسْلم المَلَطي في سنة إحدى وثلاث مائةٍ، عَزَمَ على القِراءَة في المُصْحَف في كلِّ يومٍ. فتَكَلَّم عليُّ بن قُدَيْد في ذلك ومَنَعَ منه [5]، وقال: أَعْزَمُ

a) بولاق: أيوب بن إبراهيم.

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٣.
[2] نفسه ٤: ٧٣، وفيما تقدم ٢: ٧٩.
[3] نفسه ٤: ٧٣.
[4] انظر كذلك، الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٤١٩؛ السخاوي: تحفة الأحباب ٢٢١.
[5] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٣.

على أن يُخلِّق المُصْحَف ويُقَطِّعه ؟ أَيَرَى عبد العَزيز بن مَرْوان حَيًّا فيكْتُب له مثله ؟ فرَجَعَ إلى
٢٥ القِراءَة ثلاثة/ أيَّام .

وكان قد حَضَرَ إلى مصر رَجُلٌ من أَهْلِ العِراق ، وأَحْضَرَ مُصْحَفًا ذَكَرَ أنَّه مُصْحَفُ عُثْمان ابن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ وأنَّه الذي كان بين يَدَيْه يوم الدَّار ـ وكان فيه أَثَرُ الدَّم ـ وذكر أنَّه اسْتُخْرِجَ من خَزائِن المُقْتَدِر . ودَفَعَ المُصْحَفَ إلى عبد الله بن شُعَيْب المعروف بابن بنت وَليد القاضي ، فأخَذَه أبو بكر الخَازِن وجَعَلَه في الجَامِع وشَهَرَه ، وجَعَلَ عليه خَشَبًا مَنْقُوشًا . وكان الإمامُ يقرأ فيه يَوْمًا وفي مُصْحَفِ أَسْمَاء يَوْمًا . ولم يَزَلْ على ذلك إلى أن رُفِعَ هذا المُصْحَفُ ، واقْتُصِرَ على القراءَةِ في مُصْحَفِ أَسْمَاء ، وذلك في أيَّامِ العَزيز بالله لخمسٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مائة .

وقد أَنْكَرَ قَوْمٌ أن يكون هذا المُصْحَف مُصْحَفَ عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ لأنَّ نَقْلَه لم يَصِحّ ولا[a] يَثْبُت بحكايَةِ رَجُلٍ واحِدٍ[1] .

ورأيت أنا هذا المُصْحَف ، وعلى ظَهْرِهِ ما نُسْخَتُه :

---

a) بولاق : ولم .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٣-٧٤ (بتفصيلٍ أكثر) . وأَوْرَدَ السَّمْهُودي نَقْلًا عن أبي عُبَيْدٍ القاسم بن سَلَّام ، المتوفى سنة ٢٢٢هـ/٨٣٧م ، قَوْلَه : «رأيتُ المُصْحَفَ الذي يُقالُ له الإمام ، مُصْحَف عُثْمان بن عَفَّان - رضي الله عنه - اسْتُخْرِجَ لي من بعض خَزائِن الأمَرَاء ، وهو المُصْحَفُ الذي كان في حِجْره حين أُصيب ، ورأيت آثارَ دَمِه في مَوَاضِعَ منه» (وَفاء الوفا ٢ : ٦٦٩) . وقد ذَكَرَ خَليفَة بن خَيَّاط أنَّ أوَّلَ قَطْرَةٍ من دَمِ عُثْمان قَطَرَت على قَوْلِه تعالى : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُم الله﴾ وأنَّ الدَّمَ بقي عليها لم يُحَكّ بعد وَفاتِه (تاريخ ١٥٣) . ووَصَفَ السَّمْهودي هذا المُصْحَف فقال : إنَّ بالقاهِرَة مُصْحَفًا عليه أَثَرُ الدَّم عند قَوْله تعالى : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُم الله﴾ ، وأضافَ الصُّفَاقِصي في كِتاب «غَيْث النَّفْع في القِراءات السَّبْع» : «ورأيت فيه - يعني مُصْحَف عُثْمان - أَثَرَ الدَّمِ ، وهو بالمَدْرَسَة الفاضِلية بالقاهِرَة» (غَيْث النفع ٢٣٠) وانظر فيما يلي ٤٦٢ . وواضِحٌ أنَّ المقريزي وابن دُقْماق قد اعْتَمدا على هذه المصادِر دون أن يُصَرِّحا بها .

ويذكر أحمد تيمور باشا أنَّه لمَّا خَرِبَت المَدْرَسَةُ الفاضِلِيَّة نَقَلَ السُّلْطانُ الأشْرَف قانْصُوه الغُوري هذا المُصْحَف إلى القُبَّة التي أنشأها تجاه مَدْرَسَته المعروفة [عند تقاطع شارع المعز لدين الله مع شارع الأزهر] ، فما زال هناك حتى سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م فنُقِلَت مع آثارٍ نبوية أخرى إلى المَسْجد الزَّيْنَبي ، ثم إلى خِزانَة الأمْتِعَة في القَلْعَة ، ثم في سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م إلى ديوان الأوْقاف ، ثم في سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م إلى قَصْر عابدين ثم في السنة نفسها إلى المَشْهَد الحُسَيْني . (أحمد تيمور : الآثار النبوية ، القاهرة ١٩٥١ ، ٣٨-٤٦ ؛ أيمن فؤاد : الكتاب العربي المخطوط ٢٩٥-٢٩٧ ؛ وفيما يلي ٧٧٥ ، ٨٠١-٨٠٢) .

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمين . هذا المُصْحَفُ الجامِعُ لِكِتابِ اللهِ ، جَلَّ ثناؤه وتَقَدَّسَت أَسْماؤه ، حَمَلَه المُبارَكُ مَسْعود بن سَعِيد[a] الهِيتي لجماعَةِ المسلمين القُرّاءِ للقُرْآن التّالين له ، المتقرِّبين إلى الله جَلَّ ذِكْرُه بقِراءَته والمتعلِّمين له ، ليكون مَحْفُوظًا أَبدًا ما بقي وَرَقُه ولم يَذْهَب رَسْمُه[b] ابْتِغاءَ ثَوابِ الله عَزَّ وجَلَّ ، ورَجاءَ غُفْرانِه . وجَعَلَه عُمْدَتَه[c] ليومِ فَقْرِه وفاقَتِه وحاجَتِه إليه . أنالَه اللهُ ذلك برأفَتِه ، وجَعَلَ ثَوابَه بينه وبين جَماعَةِ من نَظَرَ فيه» .

وقد دَرَسَ ما بعد هذا الكلام من ظَهْر المُصْحَف . والمُنْدَرِسُ يُشْبِه أن يكون :

« [d] وتَبَصَّر في وَرَقِه ، وقَصَدَ بإيداعه فُسْطاطَ مصر في المَسْجِد الجامِع ، جَامِع المسلمين العَتيق ، ليُحْفَظ حِفْظَ مثله مع سَائِر مَصاحِفِ المسلمين ، فرَحِمَ اللهُ مَنْ حَفِظَه ومَنْ قَرَأ فيه ومَنْ عُنِيَ به . وكان ذلك في يَوْمِ الثلاثاء مُسْتَهَلّ ذي القِعْدَة سنة سبعٍ وأربعين وثلاث مائةٍ ، وصَلَّىٰ الله على محمد سَيِّد المرسلين وعلى آلِه وسَلَّم تَسْليمًا كثيرًا ، وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكيل» [1] .

قال ابنُ المُتَوَّج : ودليلُ بُطْلانِ ما قالَه هذا المُعْتَرِض ـ ظُهُورُ التَّعَصُّبِ على عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ من تُجِيب وحُلفائِهم[e] ـ أنَّ النّاسَ قد جَرَّبُوا هذا المُصْحَف ، وهو الذي على الكُرْسي الغَرْبي من مُصْحَفِ أَسْمَاء ، أنَّه ما فُتِحَ قَطُّ إلَّا وحَدَثَ حادِثٌ في الوُجود لتَحقيقِ ما حَدَثَ أوَّلًا . والله أَعْلَم [2] .

قال القُضَاعِيُّ : «ذِكْرُ المَواضِعِ المعروفة بالبَرَكَة من الجامِع يُسْتَحَبّ الصَّلاةُ والدُّعاءُ عندها[f]» : منها البَلاطَةُ التي خَلْفَ البابِ الأَوَّل في مَجْلِس ابن عبد الحَكَم . ومنها بابُ

---

a) بولاق : سعد . b) بولاق : اسمه . c) بولاق : عُدَّة . d) بياض في آياصوفيا والفاتح . e) بولاق : خلفائهم . f) ابن دقماق : وإجابة الدعاء منها .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤:٧٢-٧٤ ومصدره فيه ابن يونس ، ويتفق نصه – فيما عدا مواضع يسيرة – مع نص المقريزي .

[2] نفسه ٤ : ٧٤ .

البَرادِع ، رُوِيَ عن رَجُلٍ من صُلَحاءِ المصريين - يُقالُ له أبو هارون الخرقي - قال : رأيتُ الله - عَزَّ وجَلَّ - في مَنامي ، فقلت له : يارَبُّ أنت تَراني وتَسْمَع كلامي؟ قال : نَعَم . ثم قال : أتريدُ أن أُرِيكَ بابًا من أبْوابِ الجنَّة؟ قلت : نعم يارَبّ . فأشَار إلى بابِ أصْحابِ البَرادِع ، أو البابِ الأَقْصى مِمَّا يلي رَحْبَة حارِث . وكان أبو هارُون هذا يُصَلِّي الظُّهْر والعَصْر فيما بينهما [١] .

وقال ابنُ المُتَوَّج : وعند المِحْرابِ الصَّغير ، الذي في جِدارِ الجَامِع الغَرْبي ظاهِر المَقْصورَة فيما بين بابَي الزِّيادَة الغربية ، [الصَّلاة عنده مُسْتَحبَّة و][a] الدُّعاءُ عنده مُسْتَجاب [٢] . قال : ومن ذلك بابُ مَقْصورَةِ عَرَفَة ، ومنها عند خَرزَةِ البِئْر التي بالجَامِع ، ومنها قُبال اللَّوْح الأَخْضَرِ ، ومنها زاوية فاطِمَة . ويُقالُ إنَّها فاطِمَة ابنة عَفَّان لِمَّا وَصَّى والِدُها أن تُتْرَك لله في الجَامِع ، فتُرِكَت في هذا المكانِ فعُرِفَ بها . ومنها سَطْحُ الجَامِع ، والطَّوافُ به سَبْع مرَّات : يبدأ بالأُولى من باب الخِزانَة الأُولى التي يَسْتَقْبِلُها الدَّاخِلُ من بابِ السَّطْح وهو يَتْلو إلى أن يَصِل إلى زَاوِيَة السَّطْح اليُسْرى[b] التي عند المِئْذَنَة المعروفة بعَرَفَة ، يَقِفُ عندها ثم يَدْعُو بما أرادَ ، ثم يَمُرُّ وهو يَتْلو إلى أن يَصِل إلى الرُّكْنِ الشَّرْقي - عند المِئْذَنَة المشهورة باليَسْرَة[c] - ثم يَدْعُو بما أراد . وَيَمُرُّ إلى الرُّكْن البَحْري للشَّرْقي ، فيَقِفُ مُحاذيًا لغُرْفَة المُؤَذِّنين ويَدْعُو . ثم يَمُرُّ وهو يَتْلو إلى المكانِ الذي ابتدأ منه ، يَفْعَل ذلك سَبْعَ مَرَّاتٍ فإنَّ حاجَته تُقْضَى [٣] .

قال القُضاعِيُّ : ولم يَكُنِ النَّاسُ يُصَلُّون بالجَامِع بمصر صَلاةَ العيد ، حتى كانت سنة ستٍّ - ويُقالُ سنة ثمانٍ - وثلاث مائة ، فصَلَّى فيه رَجُلٌ يُعْرَف بعليّ بن أحمد بن عبد الملك الفَهْمي - يُعْرَف بابن أبي شَيْخَة - صَلاةَ الفِطْر . ويُقال إنَّه خَطَبَ من دَفْتَرٍ نَظَرًا ، وحُفِظَ عنه : اتَّقوا الله حَقَّ تُقاته ، ولا تَموتُنَّ إلَّا وأنتم «مُشْرِكون»! فقال بعضُ الشُّعَراءِ :

[السريع]

وقامَ في العيدِ لنا خاطِبٌ فَحَرَّضَ النَّاسَ على الكُفْرِ

وتوفي سنة تسعٍ وثلاث مائة .

---

a) زيادة من ابن دقماق . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : الكبيرة .

---

[١] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٤. وأقول ...

[٢] نفسه ٤ : ٧٤-٧٥ وبدأ الخبر بصيغة المتكلم:

[٣] نفسه ٤ : ٧٥، والنّص عنده أكثر تفصيلًا .

وبالجَامِع زَوايا يُدَرَّسُ فيها الفِقْه[1] منها : «زاويةُ الإمام الشَّافِعي» فعُرِفَت به ، يُقال إنَّه دَرَّسَ بها الشَّافِعِيّ فعُرِفَت به ، وعليها أرْضٌ بنَاحية سَنْدَيس وَقَفَها السُّلْطانُ الملكُ العَزيزُ عُثْمان ابن السُّلْطان الملك النَّاصِر صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، ولم يَزَلْ يَتَوَلَّى تَدْرِيسَها أعْيانُ الفُقَهاءِ وجُلَّةُ العُلَماء .

ومنها «الزَّاويةُ المَجْدِيَّة» بصَدْرِ الجَامِع ، فيما بين المِحْرابِ الكبير ومِحْرابِ الخَمْس ، داخِل المَقْصُورَة الوُسْطَىٰ ، بجوار المِحْراب الكبير . رَتَّبَها مَجْدُ الدِّين أبو الأشْبال الحارِث بن مُهَذَّب الدِّين أبي المحاسِن مُهَلَّب بن حَسَن بن بَرَكات بن عليّ بن/ غَيَّاث المُهَلَّبي الأَزْدي البَهْنَسي الشَّافِعِيّ ، وَزير الملك الأشْرَف مُوسَىٰ بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب بحَرَّان ، وقَرَّرَ في تَدْريسها قَريبَه قاضي القُضَاةِ وَجيه الدِّين عبد الوهَّاب البَهْنَسي ، وعَمِلَ على هذه الزَّاوية عِدَّةَ أوْقافٍ بمصر والقاهِرَة . ويُعَدُّ تَدْرِيسها من المناصِب الجَليلَة ، وتوفِّي المَجْدُ في صَفَر سنة ثمانٍ وعشرين وستّ مائةٍ بدِمَشْق عن ثَلاثٍ وستين سنة .

ومنها «الزَّاويةُ الصَّاحِبِيَّة» حَوْل عَرَفَة ، رَتَّبَها الصَّاحِبُ تاجُ الدِّين محمدَ بن فَخْر الدِّين محمد ابن بَهَاء الدِّين بن حِنَّا ، وجَعَلَ لها مُدَرِّسَيْن : أحَدُهما مالِكيّ ، والآخر شَافِعِيّ ، وجَعَلَ عليها وَقْفًا بظاهِر القاهِرَة بخُطِّ البَرَادِعيين .

ومنها «الزَّاويةُ الكَمالية» بالمَقْصُورَة المجاورَة لبابِ الجَامِع الذي يُدْخَلُ إليه من سُوقِ الغَزْل . رَتَّبَها كمالُ الدِّين السَّمَنُّودي ، وعليها فُنْدقٌ بمصر مَوْقُوفٌ عليها .

ومنها «الزَّاويةُ التَّاجِيَّة » أمامَ المِحْراب الخَشَبِ . رَتَّبَها تاجُ الدِّين السَّطْحي ، وجَعَلَ عليها دورًا بمصر موقوفةً عليها .

ومنها «الزَّاوِيَةُ المعينية» في الجانِب الشَّرْقي من الجَامِع . رَتَّبَها مَعِينُ الدِّين الدَّهْروطي ، وعليها وَقْفٌ بمصر .

ومنها «الزَّاوِيَةُ العَلائِيَّة» ـ تُنْسَبُ لعَلاءِ الدِّين الضَّرير ـ وهي في صَحْنِ الجَامِع ، وهي لقِراءَةِ مِيعاد .

ومنها «الزَّاوِيَةُ الزَّيْنِيَّة» . رَتَّبَها الصَّاحِبُ زَيْنُ الدِّين لقِراءَة مِيعادٍ أيضًا .

ذَكَرَ ذلك ابنُ المُتَوَّج .

وأخْبَرَني المُـقْرِئُ الأديبُ المؤرِّخُ الضَّابِطُ شِهابُ الدِّين أحمد بن عبد الله بن الحَسَن الأوْحَدي ـ رحمه الله ـ قال : أخْبَرَني المؤرِّخُ ناصِرُ الدِّين محمد بن عبد الرَّحيم بن الفُرات [2]، قال : أخْبَرَني

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤: ١٠٠-١٠١ .

[2] هذه هي الإشارةُ الصَّريحَة الوحيدة عند المَقْريزي في الخِطَط إلى شِهابِ الدِّين أحمد بن عبد الله الأوْحَدي، ومعاصره ناصر الدِّين محمد بن عبد الرحيم بن الفُرات .=

العلّامةُ شَمْسُ الدِّين محمد بن عبد الرَّحْمَٰن بن الصَّائِغ الحَنَفي ، أنّه أَدْرَكَ بجَامِعِ عَمْرو بن العَاص بمصر ـ قَبْل الوَباء الكَائِن في سنة تسعٍ وأربعين وسبع مائةٍ ـ بِضْعًا وأربعين حَلْقَةً لإقْراءِ العِلْم لا تكادُ تَبْرَح منه [1].

وقال ابنُ المأمون : حدَّثني القاضي المكين ابنُ حَيْدَرَة ـ وهو من أعْيَانِ الشُّهودِ بمصر ـ أنَّ من جُمْلَةِ الخِدَم التي كانت بيد والِدِه مُشارَفَة الجَامِع العَتيق ، وأنَّ القَوَمَة بأجْمَعِهم كانوا يَجْتَمِعُون قَبْل لَيْلَةِ الوَقُود بمُدَّةٍ[a] إلى أن يُكْمِلوا ثمانية عشر ألف فَتيلَة ، وأنَّ المُطْلَق برَسْمِه خاصَّةً في كلِّ لَيْلَةِ بِرَسْمِ وَقُودِه أَحَدَ عشرَ قِنْطارًا ونصف زَيْتًا طَيِّبًا [2].

ذِكْرُ المحاريب التي بدِيارِ مِصْر وَسَبَبِ اخْتلافِها وتَعْيِين الصَّوابِ فيها ، وتَبْيِين الخَطَأ منها [3]. اعْلَم أنَّ مَحارِيبَ دِيارِ مصر التي يَسْتَقْبِلُها المُسْلمون في صَلواتِهم أَرْبَعَةُ مَحارِيب :

---

a) بولاق : عنده .

= (راجع مقدمة الجزء الأوّل ٦١*، ٦٢*-٦٣*).

[1] أورد المقريزي الخَبَر نفسه في ترجمته للأوْحَدي في كتاب «دُرَر العُقود الفريدة» بالصيغة التالية : «حَدَّثنا المُقْرئُ المُؤرِّخ شهاب الدِّين أحمد بن عبد الله الأوْحَدي ، قال : حَدَّثنا العَدْلُ المُؤرِّخُ ناصِرُ الدِّين محمد بن عبد الرَّحيم ابن علي بن الفُرات ، قال : حَدَّثنا العَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّين محمد ابن عبد الرَّحمن بن الصَّائغ الحَنَفي أنَّه أَدْرَكَ بجامع عمرو ابن العاص خمسين حَلْقَة للإشْغال بالعِلْم لا تَزالُ موجودةً فيه دائمًا» . (درر العقود الفريدة ١:١٨٨).

[2] ابن المأمون : أخبار مصر ٦٤، ١٠٤؛ وفيما تقدم ٢: ٥٢٦.

[3] المِحْرابُ جـ. المحاريب . مكانٌ مُسَطَّح ثم أصبح مُجَوَّفًا في صَدْرِ المساجِد والجَوامِع يُحَدِّدُ اتِّجاه القِبْلَة . راجع لمزيدٍ من التَّفصيل حَوْل المحاريب وتَحْديد اتِّجاه القِبْلَة ، القَلْقَشندي : صبح الأعشى ٣:٣٣٩-٣٤٠، وهو يُحيل على كتاب «الابْتهاج في شَرْح المِنْهاج للنَّوَوي» لتقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبْكي ، المتوفى سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م ، ومنه نسخة في ستة مجلَّدات في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ١٣٢٤ (مُصَوَّرَة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ١-٦ فقه شافعي) ؛ الزركشي : إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تحقيق أبو الوفا المراغي ، القاهرة ١٩٦٥، ٣٦٢-٣٦٤؛ وأيضًا Creswell, K.A.C., *EMA* I, pp. 97-99؛ فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية ٥٨٤-٦٢٤؛ Kessler, Ch., «Mecca - Oriented Architecture and Urban Growth of Cairo», *Atti del Terzo Congresso di Studi Arabi e Islamici* (Ravello 1966), Napoli - IUO 1967, p. 425; id., «Mecca - Oriented Urban Architecture in Mamluk Cairo : The Madrasa - Mausoleum of Sultan Shaʿbân II» in Arnold H. Green (ed.), *In Quest of an Islamic Humanism : Arab and Islamic Studies in Memory of Mohamed Nowaihi,* Cairo - AUC 1982, pp. 97-108; Febervàri, G., *EI*² art. *Mihrâb* VII, pp. 10-11; King, D. A., *EI*² art. *Kibla* V, pp. 84-91; id., «Architecture and Astronomy : The = Ventilators of Medieval Cairo and their =

أَحَدُها مِحْرَابُ الصَّحَابَة ـ رضي الله عنهم ـ الذي أَسَّسُوه في البِلاد التي اسْتَوْطَنُوها والبِلاد التي كَثُرَ مَمَرُّهم بها من إقْليم مصر. وهو مِحْرابُ المَسْجِد الجَامِع بمصر ـ المعروف بجَامِع عَمْرو ـ ومِحْرابُ المَسْجِد الجَامِع بالجِيزَة، وبمَدِينَة بِلْبَيْس، وبالإسْكَنْدَرية، وقُوص، وأُسْوان. وهذه المَحَارِيبُ المذكورة على سَمْتٍ واحِدٍ، غير أنَّ مَحاريبَ ثَغْرِ أُسْوان أَشَدُّ تَشْريقًا من غيرها؛ وذلك أنَّ أُسْوانَ مع مَكَّة ـ شَرَّفَهَا الله تعالى ـ في الإقْليم الثَّاني، وهو الحَـدُّ الغَرْبي من مَكَّة بغير مَيْلٍ إلى الشَّمال ـ ومِحْرابُ بِلْبَيْس مُغَرِّبٌ قليلًا.

والمِحْرَابُ الثَّاني مِحْرَابُ مَسْجِد أحمد بن طُولُون، وهو مُنْحَرِفٌ عن سَمْتِ مِحْرابِ الصَّحابَةِ. وقد ذُكِرَ في سَبَبِ انْحِرافِه أقوالٌ: منها أنَّ أحمد بن طُولُون، لمَّا عَزَم على بِناءِ هذا المَسْجِد، بَعَثَ إلى مِحْرابِ مَدينَة رَسُولِ الله ﷺ من أَخَذَ سَمْتَه، فإذا هو مائِلٌ عن خَطِّ سَمْتِ القِبْلَةَ المستخرج بالصِّناعَة نحو العَشْر دَرَج إلى جِهة الجَنُوب. فوُضِعَ حينئذٍ مِحْرابُ مَسْجِده هذا مائِلًا عن خَطِّ سَمْتِ القِبْلَة إلى جهة الجَنُوب بنحو ذلك، اقْتِداءً منه بمِحْرابِ مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ. وقيل: إنَّه رَأَى رَسُولَ الله ﷺ في مَنامِه، وخَطَّ له المِحْراب. فلمَّا أَصْبَحَ وَجَدَ النَّمْلَ قد أطافَ بالمكانِ الذي خَطَّه له رَسُولُ الله ﷺ في المنامِ[1]. وقيل غيرُ ذلك.

وأنت إن صَعِدْتَ إلى سَطْحِ جَامِع ابن طُولُون، رأيتَ مِحْرَابَه مائِلًا عن مِحْرابِ جَامِع عَمْرو ابن العَاص إلى الجنوب، ورأيتَ مِحْرابَ المَدَارِس التي حَدَثَت إلى جانِبِه قد انْحَرَفَت عن مِحْرابِه إلى جِهَة الشَّرْق، وصارَ مِحْرابُ جَامِع عَمْرو فيما بين مِحْراب ابن طُولُون والمَحاريب الأُخَر. وقد عُقِدَ مَجْلِسٌ بجَامِع ابن طُولُون، في وِلايَة قاضي القُضَاة عِزِّ الدِّين عبد العزيز بن محمد ابن جَماعَة، حَضَرَه عُلَماءُ الميقات ـ منهم الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّين محمد بن محمد بن مُوسَىٰ الغَزُولي، والشَّيْخُ أبو الطَّاهِر محمد بن محمد ـ ونَظَرُوا في مِحْرابِه، فأَجْمَعوا على أنَّه مُنْحَرِفٌ عن خَطِّ

Secrets», *JAOS* 104 (1984), pp. 97-133; id., = «Aspects of Fatimid Astronomy . From Hard-Core Mathematical Astronomy to Architectural Orientations in Cairo», in *L'Égypte Fatimide, son art et son histoire*, Barrucand, M. (ed.), Paris 1999, pp. 497-517; id., *World-Maps for Finding the Direction and Distance to Mecca - Innovation and Tradition in Islamic Studies*, al-Furqan & Brill 1999; Shedic, I. R., *Qibla Orientation Versus Street Alignment in the Mosques and Madrasas from Qaytbay to the End of Mamluk Period*, Ph. D. Thesis AUC 1984, Thesis n. 619؛ محمد محمد الكحلاوي: «أثر مراعاة اتِّجاه القِبْلَة وخَطّ تنظيم الطريق على مخططات العمائر الدينية المملوكية لمدينة القاهرة»، مجلة كلية الآثار – جامعة القاهرة ٧ (١٩٩٦)، ٧٧–١٨٧.

[1] فيما يلي ٧٣.

سَمْتِ القِبْلَة إلى جِهَة الجنُوب ، مُغَرِّبًا بقَدْرِ أَرْبَعَ عشرةَ درجة . وكُتِبَ بذلك مَحْضَرٌ ، وأُثْبِتَ على ابن جَماعَة .

والمِحْرابُ الثَّالِث مِحْرَابُ جَامع القاهِرَة ـ المعروف بالجَامِع الأَزْهَر ـ وما في سَمْتِه من بَقِيَّة مَحاريب القاهِرَة . وهي مَحارِيبُ يَشْهَدُ الامْتِحانُ بتَقَدُّم واضِعِها في معرفة اسْتِخْراجِ القِبْلَة ، فإنَّها على خَطِّ سَمْتِ القِبْلَة من غير مَيْلٍ عنه ولا انْحِرافٍ أَلْبتَّة .

والمِحْرابُ الرَّابعُ مَحارِيُب المساجِد التي في قُرَىٰ بلاد السَّاحِل ، فإنَّها تُخالِفُ مَحارِيب الصَّحابَة ؛ إلَّا أنَّ مِحْرابَ جامِع مُنْيَة غَمْر قريبٌ من سَمْتِ مَحاريب الصَّحابَة . فإنَّ الوَزيرَ أبا/ عبد الله محمد بن فاتِك ، المنعوت بالمأمُون البَطائِحِيّ ـ وَزير الخَليفَة الآمِر بأحْكامِ الله أبي عليّ مَنْصُور بن المُسْتَعْلي بالله ـ أَنْشَأَ جَامِعًا بِمُنْيَة زِفْتَا في سنة ستّ عشرة وخمس مائةٍ ، فجَعَلَ مِحْرابَه على سَمْتِ المحاريب الصَّحيحَة .

وفي قَرافَةِ مصر بجوار مَسْجِدِ الفَتْح عِدَّةُ مَساجِد تُخالِفُ مَحاريب الصَّحابَة مُخالَفَةً فاحِشَةً . وكذلك بمَدينَة مِصْر الفُسْطاط غير مَسْجِدٍ على هذا الحُكْم .

فأمَّا مَحارِيبُ الصَّحابَةِ التي بفُسْطاطِ مصر والإسْكَنْدَرية فإنَّ سَمْتَها يُقابِلُ مَشْرق الشِّتاء ـ وهو مَطالِعُ بُرْج العَقْرَب ـ مع مَيْلٍ قَليلٍ إلى ناحية الجَنُوب . ومحارِيبُ مَساجِدِ القُرَى ، وما حَوْلَ مَسْجِد الفَتْح بالقَرافَة ، فإنَّها تَسْتَقْبِل خَطَّ نصف النَّهار ـ الذي يُقالُ له خَطُّ الزَّوال ـ وتَميلُ عنه إلى جِهَة المغرب . وهذا الاخْتِلافُ بين هذين المِحْرابين اخْتِلافٌ فاحِشٌ يُفْضِي إلى إبْطالِ الصَّلاة .

وقد قال ابنُ عبد الحكَم : قِبْلَةُ أهْلِ مصر أن يكونَ القُطْبُ الشَّمالي على الكَتِف الأَيْسَر . وهذا سَمْتُ مَحاريب الصَّحابَة . قال : وإذا طَلَعَت مَنازِلُ العَقْرَب ، وتكَمَّلَت صُورتُه ، فمُحاذاته سَمْت القِبْلَة لديار مصر وبَرْقَة وإفْرِيقِيَّة وما والاها .

وفي الفَرْقَدَيْن والقُطْب الشَّمالي كفاية للمستدلِّين : فإنَّهم إن كانوا مُسْتَقْبِلين في مَسيرِهم من الجَنوب جِهَة الشَّمال اسْتَقْبَلُوا القُطْبَ والفَرْقَدَيْن ، وإن كانوا سَائِرين إلى الجَنُوب من الشَّمال اسْتَدْبَروها ، وإن كانوا سَائِرين إلى الشَّرْق من المغرب جَعَلُوها على الأُذُنِ اليسرى ، وإن كانوا سَائِرين من الشَّرْق إلى المَغْرب جَعَلوها على الأُذُن اليُمْنى ، وإن كان مَسيرُهم إلى النَّكْباءِ التي بَيْن الجَنُوب والدَّبُور جَعلوها على الكَتِف الأيمن ، وإن كان مَسيرُهم إلى النَّكْباءِ التي بين الشَّمال والدَّبُور وجَعَلوها على الحاجِب الأيمن ، وإن كان مَسيرُهم إلى النَّكْباء التي بين الشَّمال والصَّبَا جَعلوها على الحاجِب الأيسر .

وإذا عُرِفَ ذلك ، فإنَّه يَسْتَحيلُ تَصْويبُ مِحْرابَيْن مختلفين في قُطْرٍ واحِدٍ إذا زادَ اخْتلافِهما على مِقْدارِ ما يُتَسامَح به في التَّيامُن والتَّياسُر . وبَيانُ ذلك أنَّ كلَّ قُطْرٍ من أقْطارِ الأرْضِ ، كبِلادِ الشَّام وديار مصر ونَحْوهما من الأقْطار ، قِطْعَةٌ من الأرْضِ واقِعَةٌ في مُقابَلَة جزءٍ من الكَعْبَة ، والكَعْبَةُ تكون في جِهَةٍ من جِهات ذلك القُطْر . فإذا اخْتَلَفَ مِحْرابان في قُطْرٍ واحِدٍ ، فإنَّا نَتيَقَّن أنَّ أحَدَهُما صَوابٌ والآخَر خَطأ ؛ إلَّا أن يكون القُطْرُ قَريبًا من مَكَّة ، وخِطَّته التي هو محدود بها مُتَّسِعَة اتِّساعًا كثيرًا يَزيد على الجزء الذي يَخُصُّه لو وُزِّعَت الكَعْبَةُ أجْزاءً مُتماثِلة ، فإنَّه حينئذٍ يَجُوزُ التَّيامُن والتَّياسُر في مَحاريبه . وذلك مثل بلاد البُجَة ، فإنَّها على السَّاحِل الغَرْبي من بَحْر القُلْزُم ، ومَكَّة واقِعَة في شَرْقيها ، ليس بينهما إلَّا مَسافَةُ البَحْر فقط وما بين جَدَّة ومَكَّة من البَرِّ . وخِطَّةُ بِلاد البُجَة مع ذلك واسِعَةٌ مستطيلة على السَّاحِل : أوَّلها عَيْذاب ، وهي محاذية لمَدينَة رَسُولِ الله ﷺ ، وتَميل عنها في الجَنُوب مَيْلًا قَليلًا ، والمَدينَة شامِيَّة عن مَكَّة بنحو عشرة أيَّام . وآخر بِلاد البُجَة من ناحية الجَنُوب سَواكِن ، وهي مائلة في ناحية الجَنُوب عن مَكَّة مَيْلًا كثيرًا . وهذا المِقْدارُ من طُول بِلادِ البُجَة يَزيدُ على الجُزْءِ الذي يَخُصُّ هذه الخِطَّة من الأرض ، لو وُزِّعَتِ الأَرْضُ أجْزاءً متساويةً إلى الكَعْبَة ، فيتعيَّن - والحالَة هذه - التَّيامُن أو التَّياسُر في طَرَفَيْ هذه البِلاد لطَلَبِ جِهَةِ الكَعْبَة .

وأمَّا إذا بَعُدَ القُطْرُ عن الكَعْبَة بُعْدًا كثيرًا ، فإنَّه لا يَضُرُّ اتِّساع خِطَّته ، ولا يُحْتاجُ فيه إلى تَيامُن ولا تَياسُر لاتِّساع الجُزْء الذي يَخُصّه من الأرْض . فإنَّ كلَّ قُطْرٍ منها له جُزْءٌ يخصّه من الكَعْبَة ، من أجْل أنَّ الكَعْبَة من البلاد المعمورة كالكُرَة من الدَّائِرَة ، فالأقْطارُ كلُّها في اسْتِقْبالِ الكَعْبَة مُحيطَةٌ بها كإحاطَةِ الدَّائِرَة بمركزها .

وكُلُّ قُطْرٍ فإنَّه يَتَوَجَّه إلى الكَعْبَة في جُزْءٍ يخُصّه . والأجْزاءُ المنقسمة - إذا قُدِّرَت الأرْضُ كالدَّائِرَة - فإنَّها تتَّسعُ عند المحيط ، وتَتَضايَقُ عند المَرْكز . فإذا كان القُطْرُ بَعيدًا عن الكَعْبَة ، فإنَّه يَقَعُ في مُتَّسعِ الحَدِّ ، ولا يُحْتاجُ فيه إلى تَيامُنٍ ولا تَياسُر ، بخِلافِ ما إذا قَرُبَ القُطْرُ من الكَعْبَة فإنَّه يَقَعُ في مُتضايِقِ الجُزْء ، ويُحْتاجُ عند ذلك إلى تَيامُنٍ أو تَياسُر .

فإن فَرَضْنا أنَّ الواجِبَ إصابَةُ عَيْنِ الكَعْبَة في اسْتِقْبالِ الصَّلاة لمن بَعُدَ عن مَكَّة - وقد عَلِمْتَ ما في هذه المسألَة من الاخْتِلافِ بين العُلَماء - فإنَّه لا يُتسامَح في اخْتِلافِ المحاريب بأكثر من قَدْرِ التَّيامُنِ والتَّياسُر الذي لا يَخْرُجُ عن حَدِّ الجِهَة ، فلو زادَ الاخْتِلافُ حُكِمَ بِبُطْلان أحَدِ المِحْرابَيْن ولابد ؛ اللَّهمَّ إلَّا أن يكونا في قُطْرَيْن بعيدين بعضُهما من بعضٍ ، ولَيْسا على خَطٍّ واحِدٍ من

مُسامَتَةِ الكَعْبَة ، وذلك كبلاد الشَّام ودِيار مصر . فإنَّ البِلادَ الشَّامِيَّة لها جانِبان ، وخِطَّتُها مُتَّسِعَة مُسْتَطيلَة في شَمالِ مَكَّة ، وتَمْتَدُّ أكثر من الجُزْءِ الخاصّ بها بالنسبة إلى مِقْدارِ بُعْدِها عن الكَعْبَة . وفي هذين القُطْرَيْن يَجْري ما تقدَّم ذكره في أرْضِ البُجَة . إلَّا أن التَّيامُنَ والتَّياسُرَ ظُهوره في البلاد الشَّامية أقَلّ من ظُهورِهِ في أرْضِ البُجَة ، من أجْلِ بُعْدِ البلاد الشَّامِيَّة عن الكَعْبَة وقُرْبِ أرْضِ [٢] البُجَة ./ وذلك أنَّ البلادَ الشَّامِيَّة وَقَعَت في مُتَّسَعِ الجُزْءِ الخاصّ بها ، فلم يَظْهَرْ أثَرُ التَّيامُن والتَّياسُر ظُهورًا كثيرًا كظُهورِه في أرْضِ البُجَة ، لأنَّ البِلادَ الشَّامِيَّة لها جانِبٌ شَرْقِيٌّ وجانِبٌ غَرْبِيٌّ ووَسَط .

فجانِبُها الغَرْبِيُّ هو أرْضُ بَيْتِ المَقْدس وفَلَسْطين إلى العَريش أوَّل حَدّ مصر ، وهذا الجانِبُ من البلاد الشَّامِيَّة يُقابِلُ الكَعْبَة على حَدّ مَهَبّ النَّكْباء التي بين الجَنُوب والصَّبا . وأمَّا جانِبُ البِلاد الشَّامِيَّة الشَّرقي فإنَّه ما كان مَشْرِقًا من مَدينَة دِمَشْق إلى حَلَبَ والفُرات ، وما يُسامِتُ ذلك من بِلاد السَّاحِل ، وهذه الجِهَة تُقابِلُ الكَعْبَة مَشْرِقًا عن أوْسَط مَهَبّ الجنوب قَليلًا . وأمَّا وَسَطُ بِلاد الشَّام فإنَّها دِمَشْق وما قارَبَها ، وتُقابِلُ الكَعْبَة على وَسَطِ مهبّ الجَنُوب ، وهذا هو سَمْتُ مَدينَة رَسُولِ الله ﷺ مع مَيْلٍ يَسيرٍ عنه إلى ناحِيَةِ المَشْرق .

وأمَّا مِصْرُ فإنَّها تُقابِلُ الكَعْبَة فيما بين الصَّبا ومَهَبّ النَّكْباء التي بين الصَّبا والجَنُوب . ولذلك لَمَّا اختلف هذان القُطْران ـ أعْني مصر والشَّام ـ في مُحاذاةِ الكَعْبَة ، اخْتَلَفَت مَحارِيبُهما . وعلى ذلك وَضَعَ الصَّحابَةُ ـ رضي الله عنهم ـ مَحاريبَ الشَّام ومصر على اخْتِلافِ السَّمْتَيْن . فأمَّا مِصْرُ بعينها وضَواحِيها ، وما هو في حَدّها أو على سَمْتِها ، أو في البلاد الشَّامِيَّة ، وما في حَدّها أو على سَمْتِها ، فإنَّه لا يَجُوزُ فيها تَصويبُ مِحْرابَيْن مختلفين اخْتِلافًا بَيِّنًا .

فإن تَباعَدَ القُطْرُ عن القُطْرِ بمسافَةٍ قَريبَةٍ أو بعيدَةٍ ، وكان القُطْران على سَمْتٍ واحِدٍ في مُحاذاةِ الكَعْبَة ، لم يَضُرّ حينئذٍ تباعُدهما ، ولا تختلف مَحارِيبُهما ، بل تكون مَحارِيبُ كلّ قُطْرٍ منهما على حَدّ واحِدٍ وسَمْتٍ واحِد ، وذلك كمصر وبَرْقَة وإفريقيَّة وصِقِلِّيَّة والأَنْدَلُس . فإنَّ هذه البلاد ، وإن تَباعَد بعضُها عن بَعْض ، فإنَّها كُلَّها تُقابِلُ الكَعْبَة على حَدّ واحِدٍ ، وسَمْتُها جَميعها سَمْتُ مصر من غير اخْتِلافٍ ألبتَّة . وقد تَبيَّن بما تَقرَّر حالُ الأقْطارِ المختلفة من الكَعْبَة في وُقُوعِها منها .

وأمَّا اخْتِلافُ مَحاريب مصر فإنَّ له أسْبابًا : أحَـدُها حَمْلُ كثيرٍ من النَّاس قَوْلَه ﷺ ـ الذي رَواهُ الحافِظُ أبو عيسَىٰ التِّرْمِذي ، من حَديثِ أبي هُرَيْرَة ـ رضي الله عنه ـ «ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِب

قِبْلَة» ؛ على العُمُوم . وهذا الحَديثُ قد رُوِيَ مَوْقُوفًا على عُمَر وعُثْمان وعليّ وابن عبَّاس ومحمد ابن الحَنَفِيَّة ـ رضي الله عنهم ـ ورُوِيَ عن أَبِي هُرَيْرَة ـ رضي الله عنه ـ مَرْفُوعًا . قال أحمدُ ابن حَنْبَل : هذا في كلّ البُلْدان ، قال : هذا المَشْرِقُ وهذا المَغْرِبُ وما بينهما قِبْلَة . قيل له : فصَلاةُ مَنْ صَلَّىٰ بينهما جائِزَة ؟ قال : نَعَم ، وينْبَغِي أن يَتَحَرَّىٰ الوَسَط . وقال أحمدُ بن خَالِد : قَوْلُ عُمَر «ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ قِبْلَة» قاله بالمَدِينَة . فمن كانت قِبْلَتُه مِثْلَ قِبْلَة المَدِينَة ، فهو في سَعَةٍ مِمَّا بين المَشْرِق والمَغْرِب . ولسَائِرِ البُلْدانِ من السَّعة في القِبْلَةِ مثل ذلك بين الجَنُوب والشَّمال . وقال أبو عُمَر بن عبد البَرّ : لا خِلافَ بين أَهْلِ العِلْم فيه .

قال كاتِبُه [a]: إذا تَأَمَّلْتَ وَجدْتَ هذا الحَديث يَخْتَصُّ بأَهْلِ الشَّام والمَدِينَة ، وما على سَمْتِ تلك البِلاد شَمالًا وجَنوبًا فقط . والدَّليلُ على ذلك أنَّه يَلْزَم مَن حَمَلَه على العُمُوم إبْطالُ التَّوَجُّه إلى الكَعْبَة في بعضِ الأَقْطار ، والله سبحانه قد افْتَرَضَ على الكافَّةِ أن يَتَوجَّهُوا إلى الكَعْبَةِ في الصَّلاةِ حيثما كانوا بقَوْلِه تعالى : ﴿ومِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُم شَطْرَهُ﴾ [الآية ١٥٠ سورة البقرة] .

وقد عَرَفْتَ ـ إنْ كنت تَمَهَّرْتَ في مَعْرِفَةِ البُلْدَان وحُدودِ الأقاليم ـ أنَّ النَّاسَ في تَوَجُّههم إلى الكَعْبَةِ كالدَّائِرَة حَوْل المركز : فمن كان في الجِهَة الغربية من الكَعْبَة ، فإنَّ جِهَةَ قِبْلَةِ صَلاتِه إلى المَشْرق . ومن كان في الجِهَة الشَّرْقية من الكَعْبَة ، فإنَّه يستقبل في صَلاتِه جِهَة المغرب . ومن كان في الجِهَة الشَّمالية من الكَعْبَة ، فإنَّه يَتَوَجَّه في صَلاتِه إلى جِهَةِ الجَنُوب : ومن كان في الجِهَةِ الجَنُوبية من الكَعْبَة ، كانت صَلاتُه إلى جِهَةِ الشَّمال .

ومن كان من الكَعْبَة فيما بين المَشْرِق والجَنُوب ، فإنَّ قِبْلَتَه فيما بين الشَّمالِ والمَغْرب . ومن كان من الكَعْبَة فيما بين الجَنُوب والمَغْرب ، فإنَّ قِبْلَتَه فيما بين الشَّمال والمَشْرق . ومن كان من الكَعْبَة فيما بين المَشْرِقِ والشَّمال ، فقِبْلَته فيما بين الجَنُوبِ والمَغْرب . ومن كان من الكَعْبَةِ فيما *بين الشَّمالِ والمغرب ، فقِبْلَته فيما بين الجَنوبِ والمَشْرق .*

فقد ظَهَرَ ما يَلْزَم ، من القَوْلِ بعُمُوم هذا الحَديث ، من خُروج أَهْل المشرق السَّاكِنين به وأَهْل المَغْرب أيضًا ؛ عن التوجُّه إلى الكَعْبَة في الصَّلاةِ عَيْنًا وجِهَةً . لأنَّ مَن كان مَسْكَنُه من البِلاد ما هو في أَقْصَى المَشْرِق من الكَعْبَة ، لو جَعَلَ المَشْرق عن يَسارِه والمَغْرب عن

---

a) بولاق : مؤلفه .

يَمينِه ، لكان إنَّما يستقبل حينئذٍ جَنوبَ أرْضِه ، ولم يَسْتَقْبِل قَطّ عَيْن الكَعْبَةِ ولا جِهَتَها .

فوَجَبَ ـ ولا بُدّ ـ حَمْل الحَديث على أنَّه خاصٌّ بأهْلِ المَدينَة والشَّام وما على سَمْتِ ذلك من البِلاد . بدَليل أنَّ المَدينَةَ النَّبويَّة واقِعَةٌ بين مَكَّة وبين أوْسَط الشَّام على خَطٍّ مستقيم ، والجانِبُ الغربي من بلاد الشَّام ـ التي هي أرْضُ المَقْدِس وفَلَسْطين ـ يكون عن يمين من يستقبل بالمَدينَة الكَعْبَة ، والجانِبُ الشَّرْقي ـ الذي هو حِمْص وحَلَب وما والَى ذلك ـ واقِعٌ عن يَسار من اسْتَقْبَل/ الكَعْبَة بالمَدينَة .

والمَدينَةُ واقِعَةٌ في أوْسَطِ جِهَة الشَّام على جِهَة مستقيمة . بحيث لو خَرَجَ خَطٌّ من الكَعْبَة ومَرَّ على استقامة إلى المَدينَة النَّبويَّة ، لَنَفَذَ منها إلى أوْسَط جِهَة الشَّام سَوَاء . وكذلك لو خَرَجَ خَطٌّ من مُصَلَّى رَسُولِ الله ﷺ ، وتَوَجَّه على اسْتِقَامة ، لوَقَعَ فيما بين الميزاب من الكَعْبَة وبين الرُّكْن الشَّامي .

فلو فَرَضْنا أنَّ هذا الخَطَّ خَرَقَ المَوْضِعَ الذي وَقَعَ فيه من الكَعْبَة ومَرَّ ، لنَفَذَ إلى بَيْت المَقْدِس على اسْتِواءٍ من غَيْر مَيْلٍ ولا انْحِراف ألبتَّة . وصارَ مَوْقِعُ هذا الخَطّ فيما بين نَكْبَاء الشَّمال والدَّبُور وبين القُطْب الشَّمالي ، وهو إلى القُطْب الشَّمالي أقْرَب وأمْيَل ، ومُقابَلَته ما بين أوْسَط الجَنوبِ ونَكْباء الصَّبا والجَنوب ، وهو إلى الجَنوب أقْرَب .

والمَدينَةُ النَّبويَّة مُشَرِّقَةٌ عن هذا السَّمْت ، ومُغَرِّبَةٌ عن سَمْتِ الجانِب الآخر من بلاد الشَّام ـ وهو الجانِب الغربي ـ تَغْريبًا يَسيرًا . فمن يَسْتَقْبل مَكَّة بالمَدينَة يَصيرُ المَشْرِقُ عن يَسارِه ، والمغربُ عن يَمينِه ، وما بينهما فهو قِبْلَتُه ، وتكون حينئذٍ الشَّامُ بأسْرِها وجملة بِلادِها خَلْفَه . فالمَدينَةُ على هذا في أوْسَط جِهاتِ البِلاد الشَّاميَّة .

ويَشْهَدُ بصِدْقِ ذلك ما رَوَيْناه من طَريقِ مُسْلِم ـ رحمه الله ـ عن عبد الله بن عُمَر ـ رضي الله عنهما ـ قال : رَقِيْتُ على بَيْت أُختي حَفْصَة ، فرأيتُ رَسُولَ الله ﷺ قاعِدًا لحاجَتِه ، مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ مُسْتَدْبِر القِبْلَة . وله أيضًا من حَديثِ ابن عُمَر : بَيْنا النَّاسُ في صَلاةِ الصُّبح ، إذ جاءَهم آتٍ فقال : إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قد أُنْزِلَ عليه الليلة ، وقد أُمِرَ أن يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَة ، فاسْتَدَارَ إلى الكَعْبَة .

فهذا ـ أعَزَّكَ الله ـ أوْضَحُ دَليلٍ أنَّ المَدينَة بين مَكَّة والشَّام على حَدٍّ واحِد ، وأنَّها في أوْسَطِ جِهَة بِلاد الشَّام . فمَنِ اسْتَقْبَل بالمَدينَة الكَعْبَة ، فقد اسْتَدْبَر الشَّام . ومَنِ اسْتَدْبَر بالمَدينَة الكَعْبَة ، فقد اسْتَقْبَل الشَّام . ويكون حينئذٍ الجانِبُ الغَرْبي من بِلادِ الشَّام ، وما على سَمْتِه من البلاد ، جِهَة

القِبْلَة عندهم أن يجعلَ الواقِفُ مَشْرِقَ الصَّيْف عن يَساره ، ومَغْرِبَ الشِّتاء عن يَمينه ، فيكون ما بَيْن ذلك قِبْلَتَه . وتكون قِبْلَةُ الجانِب الشَّرْقِي من بِلادِ الشَّام وما على سَمْت ذلك من البُلْدان ، أنَّ يجعلَ المُصَلِّي مَغْرِبَ الصَّيْفِ عن يَمينه ، ومَشْرِقَ الشِّتاءِ عن يَساره ، وما بينهما قِبلَتُه . ويكون أَوْسَطُ البلاد الشَّامية ـ التي هي حَدُّ المَدينَة النَّبَوِيَّة ـ قِبْلَةَ المُصَلِّي بها أن يجعل مَشْرِق الاعْتِدال عن يَسارِه ، ومَغْرِبَ الاعْتِدال عن يَمينه ، وما بينهما قِبْلَةٌ له . فهذا أَوْضَحُ اسْتِدْلالٍ على أنَّ الحَديثَ خاصٌّ بأَهْل المَدينَة ، وما على سَمْتِها من البلاد الشَّامية ، وما وراءَها من البُلْدان المُسامِتَة لها .

وهكذا أَهْلُ اليَمَن وما على سَمْتِ اليَمَن من البلاد . فإنَّ القِبْلَةَ واقِعَةٌ فيما هنالك بَيْن المشرق والمغرب ، لكن على عكس وُقوعِها في البلاد الشَّامية . فإنَّه تَصيرُ مَشارِقُ الكواكِب في البلاد الشَّامِيَّة ، التي على يَسار المُصَلِّي ، واقِعَةً عن يَمِين المُصَلِّي في بلاد اليَمَن . وكذلك كلُّ ما كان من المغارِب عن يَمِين المُصَلِّي بالشَّام ، فإنَّه يَنْقَلِب عن يَسار المُصَلِّي باليَمَن . وكلُّ من قامَ ببلاد اليَمَن مُسْتَقْبِلًا الكَعْبَة ، فإنه يَتَوجَّه إلى بِلادِ الشَّام فيما بين المَشْرق والمغرب .

وهذه الأَقْطارُ سُكَّانُها هم المُخاطَبون بهذا الحَديث ، وحُكْمُه لازِمٌ لهم ، وهم خاصٌّ بهم دون مَنْ سِواهم من أَهْلِ الأَقْطار الأُخَر . ومن أَجْل حَمْلِ هذا الحَديث على العُمُوم ، كان السَّبَبُ في اخْتِلافِ مَحارِيب مصر .

السَّبَبُ الثَّاني في اخْتِلافِ مَحارِيبِ مصر : أنَّ الدِّيارَ المصرية لمَّا افْتَتَحَها المسلمون ، كانت غَاصَّةً[a] بالقِبْطِ والرُّوم مَشْحونَةً بهم ، ونَزَلَ الصَّحابَةُ ـ رضي الله عنهم ـ من أَرْضِ مصر في مَوْضِعِ الفُسْطاط ـ الذي يُعْرَف اليوم بمَدينَة مِصْر ـ وبالإسْكَنْدرية ، وتركوا سائِرَ قُرَىٰ مصر بأَيْدي القِبْط ، كما تَقَدَّم في مَوْضِعه من هذا الكِتاب [1] . ولم يَسْكُن أَحَدٌ من المسلمين بالقُرَىٰ ، وإنَّما كانت رابِطَةٌ تخرج إلى الصَّعيد ، حتى إذا جاءَ أوانُ الرَّبيع انتشر الأَتْباعُ في القُرَىٰ لرَعْي الدَّواب ومعهم طَوائِفُ من السَّادات . ومع ذلك فكان أميرُ المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ يَنْهى الجُنْدَ عن الزَّرْع ، ويَبْعَثُ إلى أُمَراءِ الأَجْناد بإعْطاء الرَّعِيَّة أُعْطياتهم وأرْزاق عِيالِهم ، ويَنْهاهُم عن الزَّرْع .

رَوَى الإمامُ أبو القاسِم عبد الرَّحْمٰن بن عبد الله بن عبد الحَكَم في كِتابِ «فُتُوح مِصْر» من طَريقِ ابن وَهْب ، عن حَيْوَة بنِ شُرَيْح ، عن بَكْرِ بن عَمْرو ، عن عبد الله بن هُبَيْرَة : أنَّ عُمَرَ ابن

a) بولاق : خاصَّة .

[1] فيما تقدم ١ : ٨٠ .

الخَطّاب أَمَرَ بناذِره[a] أن يَخْرُج إلى أُمَرَاءِ الأجْنادِ يتقدَّمون إلى الرَّعِيَّة : أنَّ عَطاءَهم قائِمٌ ، وأنَّ أرْزاقَ عِيالِهم سَابِل ، فلا يَزْرَعون ولا يُزارِعون .

قال ابنُ وَهْب : وأَخْبَرَني شَريكُ بن عبد الرَّحمٰن المُرادي ، قال : بَلَغَنا أنَّ شَريكَ بن سُمَيّ الغُطَيْفي[b]، أتَى إلى عَمْرو بن العَاص ، فقال : إنَّكم لا تُعْطونا ما يَحْسِبُنا أَفَتَأْذَن لي بالزَّرْع ؟ فقال له عَمْرو : ما أَقْدِرُ على ذلك . فزَرَعَ شَريك من غير إذْنِ عَمْرو . فلمَّا بَلَغَ ذلك عَمْرًا ، كَتَبَ إلى عُمَرَ بن الخَطَّاب يُخْبره أنَّ شَريكَ بن سُمَيّ الغُطَيْفي[b] حَرَثَ بأرْضِ مصر . فكَتَبَ إليه عُمَر «أنِ ابْعَثْ إليَّ به» .

فلمَّا انتهى كِتابُ عُمَر إلى عَمْرو أَقْرَأَه شَريكًا فقال شَريك لعَمْرو : قَتَلْتَني يا عَمْرو ؛ فقال عَمْرو : ما أنا بالذي قَتَلْتك ، أنت صَنَعْتَ هذا بنَفْسِك ؛ فقال له : إذا كان هذا من رَأْيِك فأْذَنْ لي بالخُروج من غير / كِتابٍ ، ولَكَ عليَّ عَهْدُ الله أن أَجْعَلَ يَدي في يَدِه . ٢٦

فأَذِنَ له بالخُروجِ ، فلمَّا وَقَفَ على عُمَر قال : تُؤَمِّنُني يا أمير المؤمنين؟ قال : ومِنْ أَيِّ الأَجْناد أنت؟ قال : من جُنْد مصر ؛ قال : فلعلَّك شَريك بن سُمَيّ الغُطَيفي[b]؛ قال : نَعَم يا أمير المؤمنين ؛ قال : لأجعلنَّك نَكَالًا لمن خَلْفَك ؛ قال : أَوَ تَقْبَل مِنِّي ما قَبِلَ الله تعالى من العِباد ؟ قال : وتَفْعَل؟ قال : نعم .

فكَتَبَ إلى عَمْرو بن العَاص أنَّ شَريكَ بن سُمَيّ جاءَني تائِبًا فَقَبِلْتُ منه[1] .

قال : وحَدَّثَنا عبدُ الله بن صَالِح عن عبد الرَّحْمَن بن شُرَيْح ، عن أبي قَبيل ، قال : كان النَّاسُ يجتمعون بالفُسْطاط إذا قَفَلُوا ، فإذا حَضَرَ مَرافِقُ الرِّيف خَطَبَ عَمْرو بن العَاص النَّاسَ فقال : قد حَضَرَ مَرافقُ ريفكم[c] فانْصَرفوا . فإذا حَمَضَ اللَّبَن ، واشْتَدَّ العُودُ ، وكَثُرَ الذُّبابُ ، فحَيَّ على فُسْطاطِكم ، ولا أَعْلَمَنَّ ما جاءَ أَحَدٌ[d] قد أَسْمَنَ نفسَه وأَهْزَلَ جَوادَه .

وقال ابنُ لَهِيعَة : عن يَزيد بن أبي حَبيب ، قال : كان عَمْرو يقول للنَّاسِ إذا قَفَلُوا من غَزْوِهم : إنَّه قد حَضَرَ الرَّبيعُ ، فمن أَحَبَّ منكم أن يَخْرُج بفَرَسه يُرْبِعُه فلْيَفْعَلْ ، ولا أَعْلَمَنَّ ما جاءَ رَجُلٌ[e]

---

a) عند ابن عبد الحكم : مناديه ، وفي سائر النسخ بناذره . b) بولاق : الغطفاني . c) بولاق : الريف ربيعكم . d) ابن عبد الحكم : أحدكم . e) بولاق : أحَدٌ .

---

[1] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٦٢ .

قد أَسْمَنَ نفسه وأَهْزَل فَرَسَه . فإذا حَمَضَ اللَّبَنُ ، وكَثُرَ الذُّبابُ ، ولَوَى العُود ، فارْجِعُوا إلى قَيْرَوانِكم [1] .

وعن ابن لَهيعَة ، عن الأَسْوَد بن مالِك الحِمْيَري ، عن بُحَيْرِ بن ذاخِر المَعَافِري ، قال : رُحْتُ أنا ووالدي إلى صَلاةِ الجُمُعَة تَهْجيرًا - وذلك بعد خَميسِ النَّصارَىٰ بأيَّامٍ يسيرة - فأَطَلْنا الرُّكوعَ ، إذْ أَقبل رِجالٌ بأَيْديهم السِّياط يَزْجُرون النَّاسَ ، فذُعِرْتُ ؛ فقلتُ : يا أَبَتِ مَنْ هؤلاء ؟ فقال : يا بُنَيّ هؤلاء الشُّرَط . فأقامَ المؤذِّنون الصَّلاةَ ، فقامَ عَمْرو بن العَاص على المِنْبَر . فرأيتُ رَجُلًا رَبْعَةً ، قَصْدَ[a] القامَة ، وافِرَ الهامَة ، أَدْعَج أَبْلَج ، عليه ثِيابٌ مُوَشَّاةٌ كأنَّ به العِقْيان تأْتَلِق ، عليه حُلَّةٌ وعِمامَةٌ وجُبَّةٌ ، فحَمِدَ الله وأَثْنَى عليه حَمْدًا مُوجَزًا ، وصَلَّى على النَّبي ﷺ ، ووَعَظَ النَّاسَ وأَمَرَهُم ونَهاهُم ؛ فسَمِعْتُه يَحُضُّ على الزَّكاةِ وصِلَةِ الأَرْحامِ ، ويأْمُرُ بالاقْتِصاد ، ويَنْهَى عن الفُضُولِ وكَثْرَة العِيال ، وإخْفاضِ الحالِ في ذلك ، فقال :

«يا مَعْشَرَ النَّاسِ إيَّاكُم وخِلالًا أَرْبَعًا ، فإنَّها تَدْعُو إلى النَّصَبِ بعد الرَّاحَةِ ، وإلى الضِّيقِ بعد السَّعَة ، وإلى الذِّلَّةِ بعد العِزَّة . إيَّاكُم وكَثْرَة العِيال ، وإخْفاضَ الحال ، وتَضْييع المال ، والقِيل بعد القَال في غير دَرَكٍ ولا نَوَال . ثم إنَّه لا بدَّ من فَراغٍ يؤول إليه المَرْءُ في تَوْديعِ جِسْمِه ، والتَّدْبير لشأْنِه ، وتَخْليته بين نَفْسه وبين شَهَواتِها . ومن صارَ إلى ذلك ، فلْيأْخُذ بالقَصْدِ والنَّصيب الأَقَلّ ، ولا يَضَعْ[b] المرءُ في فَراغِه نَصيبَ العِلْم من نفسه ، فيَحُوزَ[c] من الخَيْرِ عاطِلًا ، وعن حَلالِ الله وحَرامِه غافِلًا .

يا مَعْشَرَ النَّاس إنَّه قد تَدَلَّتِ الجَوْزاءُ ، وذَكَتِ[d] الشِّعْرَىٰ ، وأَقْلَعَت السَّماءُ ، وارْتَفَعَ الوَباءُ ، وقَلَّ النَّدَىٰ ، وطابَ المَرْعَى ، ووَضَعَت الحَوامِلُ ، ودَرَجَت السَّخائِل ، وعلى الراعي بحسن رَعِيَّته حُسْن النَّظَر . فحَيَّ لكم - على بَرَكَةِ الله تعالى - إلى رِيفِكُم ، فنُولُوا[e] من خَيْرِه ولَبَنِه وخِرافِه وصَيْدِه ، وأَرْبِعوا خَيْلَكم وأَسْمِنُوها وصُونُوها وأَكْرِمُوها ، فإنَّها جُنَّتُكم من عَدُوِّكم ،

---

a) بولاق : قصير . b) بولاق : يضيع . c) بولاق : فيجوز . d) بولاق : ذلت . e) في النسخ : فنالوا .

---

[1] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٣٩ .

وبها مَغانِمكم وأنْفالُكم ، واسْتَوْصُوا بمن جاوَزْتُموه من القِبْطِ خَيْرًا ، وإيَّاي[a] والمُسَوَّماتِ[b] المَعْسولاتِ ، فإنَّهن يُفسِدْن الدِّين ، ويُقَصِّرْن الهِمَم .

حَدَّثَني عُمَر أميرُ المؤمنين أنَّه سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يقول : «إنَّ الله سيَفْتَحُ عليكم بَعْدي مِصْرَ ، فاسْتَوْصُوا بقِبْطِها خَيْرًا ، فإنَّ لهم فيكم صِهْرًا وذِمَّة» . فكُفُّوا أيْديكم ، وعُفُّوا فُروجَكُم ، وغُضُّوا أبْصارَكُم . ولا أعْلَمَنَّ ما أتَى رَجُلٌ قد أسْمَنَ جِسْمَه وأهْزَل فَرَسَه ، واعْلَموا أنِّي مُعْتَرِضُ الخَيْل كاعْتِراضِ الرِّجال ، فمَنْ أهْزَلَ فَرَسَه من غيرِ عِلَّةٍ ، حَطَطْتُه من فَريضَته قَدْر ذلك . واعْلَمُوا أنَّكم في رِباطٍ إلى يومِ القِيامَة ، لكَثْرَة الأعْداءِ حَوْلكم ، وتَشَوُّفِ قُلوبُهم إليكم ، وإلى دارِكم مَعْدَن الزَّرْع والمال والخَيْر الواسِع والبَرَكَة النامِيَة .

وحَدَّثَني عُمَر أميرُ المؤمنين أنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يقول : «إذا فَتَحَ الله عليكم مصر ، فاتَّخِذوا فيها جُنْدًا كَثيفًا ، فذلك الجُنْدُ خَيْرُ أجْنادِ الأرض» . فقال له أبو بكر - رضي الله عنه : ولِمَ يا رَسُولَ الله ؟ قال : «لأنَّهم وأزْواجهم في رِباطٍ إلى يَوْمِ القِيامَة»[١] .

فاحْمَدُوا الله مَعْشَرَ النَّاسِ على ما أوْلاكم ، فتَمَتَّعوا في رِيفِكم ما طابَ لكم . فإذا يَبِسَ العُودُ ، وسَخُنَ الماءُ ، وكَثُرَ الذُّبابُ ، وحَمَضَ اللَّبَنُ ، وصَوَّحَ البَقْلُ ، وانْقَطَعَ الوَرْدُ من الشَّجَر ، فحَيَّ إلى فُسْطاطِكم على بَرَكَةِ الله ، ولا يَقْدَمَنَّ أحَدٌ منكم ذو عِيالٍ إلَّا ومعه تُحْفَة لعِيالِه ، على ما أطلقَ من سَعَته أو عُسْرَته . أقول قولي هذا ، وأسْتَحْفِظُ الله عليكم» .

قال : فحَفِظْتُ ذلك عنه . فقال والدي ، بعد انْصِرافِنا إلى المَنْزِل ، لمَّا حَكَيْتُ له خُطْبَتَه : إنَّه يا بُنَيّ يَحْدُو[c] النَّاسَ إذا انْصَرَفُوا إليه على الرِّباط كما حَداهُم[d] على الرِّيف والدَّعَة[٢] .

---

a) بولاق : إياكم ، والمثبت من النسخ وفتوح مصر . b) بولاق : الموسمات ، ابن عبد الحكم : المشمومات ، والمثبت قراءة النجوم الزاهرة . c) بولاق : يحذر . d) بولاق : يحذرهم .

---

[١] انظر كذلك فيما تقدم ١ : ٢٤ .

[٢] راجع خبر خُطْبَة عَمْرو بن العَاص عند ، ابن =

قالَ: وكان إذا جاءَ وَقْتُ الرَّبيع واللبن[a] كَتَبَ لكلِّ قَوْمٍ بربيعهم ولَبَنِهم إلى حيث أَحَبُّوا. وكانت القُرَىٰ التي يأْخُذ فيها معظمهم: مُنُوف ودِسبندِس[b] وأَهْناس وطَحَا. وكان أَهْلُ الرَّايَة مُتَفَرِّقين: فكان آلُ عَمْرو بن العَاص وآلُ عبد الله بن سَعْد يأْخُذون في مَنْف[c] ووَسيم، وكانت هُذَيْلُ تأخُذ في بَنَا وبُوصير، وكانت عَدْوان تأْخُذُ في بُوصير، وقُرى عَكٌّ التي تأْخُذ فيها معظمهم بُوصير ومُنوف ودشبندِس[d] وأَتْريب.

وكانت بَلِيُّ تأْخُذ في مَنْفٍ وطَرابية[e]، وكانت فَهْمٌ تأخُذ في أَتْريب وعَيْن / شَمْس ومُنُوف، وكانت مَهْرة تأخُذ في مِنَا ونُمَيّ وبَسْطَة ووُسيم، وكانت لَخْمُ تأخُذ في الفَيُّوم وطَرابية[f] وفُرَيْبِط[f])، وكانت جُذامُ تأخُذُ في فُرَيْبِط[f] وطَرَابية[g])، وكانت حَضْرَمَوْتُ تأخُذ في بَنَا وعَيْن شَمْس وأَتْريب، وكانت مُرادُ تأخُذ في مَنْف والفَيُّوم ومعهم عَبْس بن زَوْف، وكانت حِمْيَرُ تأخُذ في بُوصير وقُرَى أَهْناس، وكانت خَوْلانُ تأخُذ في قُرَىٰ أَهْناس والقَيْس والبَهْنَسا.

وآلُ وَعْلَةَ يأْخُذون في سَفْطِ من بُوصير، وآلُ أَبْرَهَة يأخُذون في مَنْف، وغِفَار وأَسْلَم يأْخُذون مع وَائِل من جُذام وسَعْد في بَسْطة وفُرَيْبِط وطَرابية، وآلُ يَسار بن ضَبَّة في أَتْريب. وكانت المَعافِرُ تأْخُذ في أَتْريب وسَخَا ومُنُوف، وكانت طائِفَةٌ من تُجِيب ومُراد يأْخُذون باليَدْقُون.

وكان بَعْضُ هذه القَبائِل رُبَّما جاوَرَ بَعْضًا في الرَّبيع، ولا يُوقف في معرفة ذلك على أَحَدٍ؛ إلَّا أنَّ مَعْظَم القَبائِل كانوا يأخُذون حَيْث وَصَفْنا. وكان يُكْتَب لهم بالرَّبيع فيربّعون وباللَّبن ما أقامُوا، وكان لغِفار ولَيْث أيضًا مُرْتَبعٌ[g] بأتْريب.

قال: وأقامَت مُدْلج بخَرِبْتا فاتَّخَذُوها مَنْزِلًا وكان معهم نَفَرٌ من حِمْيَر حالَفُوهم فيها فهي مَنازِلُهم، ورَجَعَت خُشَيْن وطائِفَةٌ من لَخْم وجُذام فَنَزَلوا أكْناف صَان وإبْليل وطَرابْية[g]. ولم تكن قَيْسٌ بالحَوْف الشَّرْقي قَديمًا، وإنَّما أَنْزَلَهم به ابنُ الحَبْحاب. وذلك أنَّه وَفَد إلى هِشام ابن

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: سمنود. c) بولاق: منوف. d) بولاق: سنديس. e) بولاق: طرانية. f) في بولاق والنسخ: قربيط بالقاف، وصوبها محمد رمزي إلى فريبط بالفاء (القاموس الجغرافي ٢/ ١: ١٣٠). g) بولاق: مربع.

= عبد الحكم: فتوح مصر ١٣٩- ١٤١؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٧٢- ٧٤.

عبد الملك ، فأَمَرَ له بفَرِيضَةِ خمسة آلاف رجل ، فَجَعَلَ ابنُ الحَبْحاب الفَرِيضَةَ في قَيْس ، وقَدِمَ بهم فأَنْزَلَهم الحَوْفَ الشَّرْقي بمصر [١].

فانْظُر ـ أَعَزَّكَ الله ـ ما كان عليه الصَّحابَةُ وتابِعوهُم عند فَتْحِ مصر من قِلَّة السُّكْنَى بالرِّيف . ومع ذلك فكانَت القُرَىٰ كلُّها في جَميع الإقْليم ، أعْلاه وأسْفَلَه ، مَمْلوءَةً بالقِبْط والرُّوم . ولم يَنْتَشِر الإسْلامُ في قُرَىٰ مصر إلَّا بعد المائة من تاريخ الهجرة ، عندما أَنْزل عُبَيْدُ الله بن الحَبْحاب ـ مَوْلَى سَلُول ـ قَيْسًا بالحَوْفِ الشَّرْقي . فلمَّا كان في المائة الثَّانية من سِني الهجرة ، كَثُرَ انْتِشارُ المسلمين بقُرَىٰ مصر ونَواحِيها . وما بَرِحَتِ القِبْطُ تَنْقُضُ وتُحارِبُ المسلمين إلى ما بعد المائتين من سِني الهجرة [٢].

قال أبو عُمَر[a] محمد بن يُوسُف الكِنْدي في كِتابِ «أُمَراءِ مِصْر» : وفي إمْرَةِ الحُرّ بن يُوسُف أمير مصر ، كَتَبَ عُبَيْدُ الله بن الحَبْحاب ـ صاحِب خَراجِ مصر ـ إلى هِشامِ بن عبد الملك بأنَّ أَرْضَ مصر تحتمل الزِّيادَة . فزَادَ على كلِّ دينارٍ قِيراطًا ، فانْتَقَضَت[b] كورة نَتُو وطُمَيّ وقُرْبَيْط وطَرابِيَة وعامَّة الحَوْف الشَّرْقي . فبَعَثَ إليهم الحُرُّ بأَهْلِ الدِّيوان فحارَبُوهم ، فقُتِلَ منهم بَشَرٌ[c] كثيرٌ . وذلك أَوَّل نَقْضِ القِبْط بمصر ، وكان نَقْضُهم في سنة سبعٍ[d] ومائةٍ ، ورَابَط الحُرُّ بن يُوسُف بدِمْياط ثلاثة أشهر [٣].

ثم نَقَضَ أَهْلُ الصَّعيد ، وحارَبَ القِبْطُ عُمَّالَهم في سنة إحدى وعشرين ومائةٍ . فبَعَثَ إليهم حَنْظَلَة بن صَفْوان أميرُ مصر ، أَهْلَ الدِّيوان ، فقَتَلُوا من القِبْطِ ناسًا كثيرًا فَظَفِرَ بهم [٤].

وخَرَجَ يُحَنَّس[e] ـ وهو رَجُلٌ من القِبْط ـ من سَمَنُّود ، فَبَعَثَ إليه عبد الملك بن مَرْوان ابن مُوسَىٰ بن نُصَيْر أمير مصر ، فقَتَلَ يُحَنَّس[e] في كثيرٍ من أصْحابِه ، وذلك في سنة اثْنتين وثلاثين ومائةٍ [٥].

---

a) بولاق : أبو عمرو . b) بولاق : فنقضت . c) بولاق : خَلْقٌ . d) بولاق : تسع . e) بولاق : بحنس .

---

[١] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٤١- ١٤٣.
[٢] انظر حول هذا الموضوع فيما تقدم ١: ٢١٩هـ [١].
[٣] الكنـدي: ولاة مصر ٩٥؛ وفيما تقدم ١: ٢١٢- ٢١٣.
[٤] نفسه ١٠٣.
[٥] نفسه ١١٦.

وخالَفَتِ القِبْطُ أيضًا برَشيد ، فبَعَثَ إليهم مَرْوان بن محمد الحِمار ـ لمّا دَخَلَ مِصْرَ فارًّا من بني العَبّاس ـ عُثْمان بن أبي نَسْعَة[a] فَهَزَمَهم[1].

وخَرَجَ القِبْطُ على يَزيدَ بن حَاتِم بن قَبيصَة بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة أمير مصر بناحِية سَخا ، ونابَذُوا العُمّالَ ، وأَخْرَجُوهم في سنة خمسين ومائةٍ ، وصارُوا إلى شَبْرا سُنْباط ، وانْضَمَّ إليهم أَهْلُ البَشْرُود والأُوسِيَّة والبُجوم[b]. فأَتَى الخَبَرُ يَزيدَ بن حَاتِم ، فَعَقَدَ لنَصْر بن حَبيب المُهَلَّبي على أَهْلِ الدِّيوان ووُجوهِ أَهْلِ مصر ، فخَرَجُوا إليهم ، فبَيَّتهم[c] القِبْطُ وقَتَلُوا من المسلمين ، فأَلْقَى المسلمون النّارَ في عَسْكَر القِبْطِ ، وانْصَرَفَ العَسْكَرُ إلى مصرَ مُنْهَزِمًا[2].

وفي وِلايَةِ مُوسَىٰ بن عليّ بن رَباح على مصر ، خَرَجَ القِبْطُ ببَلْهيب في سنة ستٍّ وخمسين ومائةٍ ، فخَرَجَ إليهم عَسْكَرٌ فهَزَمَهُم[3]. ثم نَقَضَت القِبْطُ في جُمادَىٰ الأولىٰ سنة ستّ عشرة ومائتين ، مع مَنْ نَقَضَ من أَهْلِ أَسْفَلِ الأرض من العَرَبِ ، وأَخْرَجُوا العُمّال ، وخَلَعُوا الطّاعَةَ لسُوءِ سِيرَةِ العُمّال فيهم[4]. فكانت بينهم وبين الجُيُوش حُروبٌ امتدَّت إلى أن قَدِمَ الخَليفَةُ عبد الله أمير المؤمنين المَأْمُون إلى مصر ، لعَشْرٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة سبع عشرة ومائتين ، فعَقَدَ على جَيْشٍ بَعَثَ به إلى الصَّعيد ، وارْتَحَلَ هو إلى سَخَا .

وأَوْقَع الأَفْشينُ بالقِبْطِ في ناحيةِ البَشْرُود حتى نَزَلُوا على حُكْمِ أميرِ المؤمنين ، فحَكَمَ بقَتْلِ الرِّجال وبَيْعِ النِّساء والأَطْفال ، فبيعُوا وسُبِيَ أكثرُهم . وتتبَّع كُلَّ من يُومَأ إليه بخِلاف ، فقَتَلَ ناسًا كثيرًا ، ورَجَعَ إلى الفُسْطاط في صَفَرَ ، ومَضَى إلى حُلْوان ، وعادَ لثَمانٍ عشرة خَلَت من صَفَرَ . فكان مُقامُه بالفُسْطاطِ وسَخَا وحُلْوان تسعة وأربعين يومًا[5].

فانْظُر ـ أَعَزَّكَ الله ـ كيف كانت إقامَةُ الصَّحابَة إنَّما هي بالفُسْطاط والإسْكَنْدَرية ، وأنَّه لم يكن لهم كثيرُ إقامَةٍ بالقُرَىٰ ، وأنَّ النَّصارَىٰ كانوا مُتَمَكِّنين من القُرَىٰ والمسلمون بها قَليل ، وأنَّهم لم يَنْتَشِروا بالنَّواحي إلّا بعد عَصْر الصَّحابَة والتّابِعين ، يتبيَّنُ لك أنَّهم لم يُؤَسِّسُوا في القُرَىٰ والنَّواحِي مَساجِدَ .

---

a) بولاق : سبعة . b) بولاق : التخوم . c) بولاق : ولقيهم . d) بولاق : أبو عمرو .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ١١٨.
[2] نفسه ١٣٧ – ١٣٨.
[3] نفسه ١٤١.
[4] نفسه ٢١٤.
[5] نفسه ٢١٦.

وتَفَطَّن لشيءٍ آخَرَ ، وهو أنَّ القِبْطَ ما بَرِحُوا ، كما تقدَّم ، يَثِبُونَ[a] لمحارَبَةِ المسلمين دالَّةً منهم بما هم عليه من القُوَّةِ والكَثْرَة . فلمَّا أَوْقَعَ بهم المأْمُون الوَقْعَة التي قُلْنا ، / غَلَبَ المسلمون على أماكِنهم من القُرَىٰ لما قَتَلوا منهم وسَبَوا ، وجَعَلُوا عِدَّةً من كَنائِس النَّصارَىٰ مَساجِد .

وكَنائِسُ النَّصارَىٰ مُؤَسَّسَةٌ على اسْتِقْبالِ المَشْرِق واسْتِدْبارِ المَغْرِب ، زَعْمًا منهم أنَّهم أُمِروا باسْتِقْبالِ مَشْرِق الاعْتِدال ، وأنَّه الجِنَّة لطُلوعِ الشَّمْسِ منه . فَجَعَلَ المسلمون أَبْوابَ الكَنائِسِ مَحارِيبَ عندما غَلَبُوا عليها وصَيَّرُوها مَساجِد ، فجاءَت مُوازِيةً لخَطِّ نِصْفِ النَّهار ، وصارَت مُنْحَرِفَةً عن مَحاريب الصَّحابَة انْحِرافًا كثيرًا يَحْكُم بخَطَئِها وبُعْدِها عن الصَّوابِ كما تَقَدَّم .

السَّبَبُ الثَّالِث : تَساهُل كثيرٍ من النَّاسِ في مَعْرِفَة أَدِلَّة القِبْلَة ، حتى إنَّك لَتجِد كثيرًا من الفُقَهاءِ لا يَعْرِفُون مَنازِلَ القَمَرِ صُورَةً وحِسابًا ، وقد عَلِمَ مَنْ له مُمارَسَةٌ بالرِّياضيات أنَّ بمَنازِل القَمَرِ يُعْرَف وَقْتُ السَّحَر وانْتِقالُ الفَجْر في المنازل ، وناهيكَ بما يَتَرَتَّب على معرفة ذلك من أَحْكامِ الصَّلاة والصِّيام . وهذه المنازِلُ التي للقَمَرِ من بعض ما يُسْتَدَلُّ به على القِبْلَة والطُّرُقات ، وهي من مَبادِئ العِلْم وقد جَهِلوه ، فمن أَعْوَزَه الأَدْنى أَحْرِ به[b] أن يَجْهَل ما هو أَعْلى منه وأَدَقّ .

السَّبَبُ الرَّابع : الاعْتِذارُ بنَجْم سُهَيْل ، فإنَّ كثيرًا ما يَقَعُ الاعْتِذارُ عن مُخالَفَةِ مَحارِيب المتأخِّرين بأنَّها بُنِيَت على مُقابَلَة سُهَيْل ، ومن هنا يَقَعُ الخَطَأ . فإنَّ هذا أَمْرٌ يُحْتاجُ فيه إلى تَحْرير ، وهو أنَّ دائِرَة سُهَيْل مَطْلَعها جَنوب مَشْرق الشِّتاء قَليلًا ، وتَوَسُّطها في أَوْسَطِ الجَنوب ، وغُروبها يَميلُ عن أَوْسطِ الجَنوب قَليلًا . فلعلَّ من تَقَدَّمَ من السَّلَفِ أَمَرَ ببناء المَساجِد في القُرَىٰ على مُقابَلَةِ مَطالِع سُهَيْل ـ ومطلعه في سَمْتِ قِبْلَة مصر تَقْرِيبًا ـ فجَهِلَ من قامَ بأَمْرِ البُنْيان فَرْقَ ما بَيْن مَطالِع سُهَيْلٍ وتَوَسُّطه وغُروبه ، وتَساهَلَ فَوَضَعَ المِحْرابَ على مُقابَلَةِ تَوَسُّطِ سُهَيْل ـ وهو أَوْسَط الجَنوب ـ فجاءَ المِحْرابُ حينئذٍ مُنْحَرِفًا عن السَّمْتِ الصَّحيح انْحِرافًا لا يُسَوِّغ التَّوَجُّه إليه أَلْبَتَّة .

السَّبَبُ الخامِس : أنَّ المحارِيبَ الفاسِدَة بديار مصر أَكْثَرُها في البلاد الشَّمالية التي تُعْرَف بالوَجْه البَحْري . والذي يَظْهَر أنَّ الغَلَطَ دَخَلَ على من وَضَعَها من جِهَةِ ظَنِّه أنَّ هذه البِلاد لها حُكْمُ بِلاد الشَّام . وذلك أنَّ بلادَ مصر التي في السَّاحِل كثيرة الشَّبَه ببلاد الشَّام في كَثْرَةِ أَمْطارِها وشِدَّةِ بَرْدِها وحُسْنِ فَواكِهها ، فاسْتَطْرَد الشَّبَه حتى في المَحاريب ووَضْعها على سَمْتِ المَحاريب الشَّامية ، فجاءَ شيئًا خطأً .

---

a) بولاق : يثبتون . b) بولاق : فحريه .

وبَيانُ ذلك أنَّ هذه البلادَ ليست بشمالية عن الشَّام ، حتى يكون حُكْمُها في اسْتِقْبالِ الكَعْبَة كالحُكْم في البلاد الشَّامِيَّة ، بل هي مُغَرَّبة عن الجانِبِ الغَرْبي من الشَّام بعِدَّةِ أيَّامٍ ، وسَمْتاهُما مُخْتَلِفان في اسْتِقْبالِ الكَعْبَة لاخْتِلافِ القُطْرَيْن . فإنَّ الجانِبَ الغَرْبي من الشَّام كما تقدَّم مُقابِلُ مِيزاب الكَعْبة على خَطٍّ مُسْتقيم ، وهو حيثُ مَهَبّ النَّكْباء التي بين الشَّمالِ والدَّبُور ؛ ووَسَط الشَّام كدِمَشْق وما والاها شَمال مَكَّة من غير مَيْل ، وهم يَسْتَقْبِلُون أَوْسَط الجَنوب في صَلاتِهم ، بحيث يكونُ القُطْبُ الشَّمالي المسمَّى بالجَدْي وَرَاءَ ظُهورِهم .

والمَدينَةُ النَّبَويَّةُ بين هذا الحَدِّ من الشَّام وبين مَكَّةَ مُشَرَّقَة عن هذا الحَدِّ قليلًا ، فإذا كانت مصر مُغَرَّبَةً عن الجانِب الغربي من الشَّام بأيَّام عديدة ، تَعَيَّنَ ووَجَبَ أن تكون مَحارِيبُها ـ ولابد ـ مائِلَةً إلى جِهَة المَشْرق بقَدْر بُعْد مِصر وتَغْرِيبها عن أوْسَط الشَّام ، وهذا أَمْرٌ يُدْرِكُه الحِسُّ ، ويَشْهَدُ لصِحَّتِه العَيان . وعلى ذلك أَسَّسَ الصَّحابَةُ ـ رضي الله عنهم ـ المَحارِيبَ بدِمَشْق وبَيْتِ المَقْدس مُسْتَقْبِلَةً ناحِيَةَ الجَنوب وأَسَّسُوا المحارِيبَ بمصر مستقبلةَ المَشْرق مع مَيْلٍ يَسيرٍ عنه إلى ناحية الجَنُوب . فَدَرِّب[a] ـ رَحِمَكَ الله ـ نَفْسَكَ في التَّمْييز ، وَعَوِّدْ نَظَرَكَ التأمُّل ، وارْبَأْ بنَفْسك أن تُقادَ ، كما تُقادُ البَهيمَة ، بتَقْليدِك من لا يُؤْمَن عليه الخَطأ . فقد نَهَجْتُ لك السَّبيلَ في هذه المسألة وأَلَنْت لك من القَوْلِ ، وقَرَّبْتُ لك حتى كأنَّك تُعايِنُ الأَقْطارَ وكَيْف مَوْقِعُها من مَكَّة .

ولي هنا مَزِيدُ بَيانٍ فيه الفَرْقُ بين إصابَة العَيْن وإصابَة الجِهَة . وهو أنَّ المُكَلَّفَ لو وَقَفَ ، وفَرَضنا أنَّه خَرَجَ خَطٌّ مُسْتَقيمٌ من بين عينيه ، ومَرَّ حتى اتَّصَلَ بجِدارِ الكَعْبَة من غير مَيْلٍ عنها إلى جِهَة من الجِهات ، فإنَّه لابد أن يَنْكَشِفَ لبَصَرِه مَدًى عن يَمينه وشماله لا ينتهي بَصَرُه إلى غيره إن كان لا يَنْحَرِف عن مُقابلته . فلو فَرَضْنا امْتِدادَ خَطَّيْن من كِلا عَيْنَي الوَقْف ـ بحيث يَلْتَقِيان في باطِن الرأس على زاوِيَةٍ مُثَلَّثَة ، ويَتَّصِلان بما انتهى إليه البَصَرُ من كِلا الجانِبَيْن ـ لكان ذلك شَكْلًا مُثَلَّثًا ، بِقِسْمَة الخَطّ الخارِج من بين العَيْنَيْن إلى الكَعْبَة بنصفين ، حتى يصير ذلك الشَّكْلُ بين مُثَلَّثَيْن مُتَساوِيين .

فالخَطُّ الخارِجُ من بَيْن عَيْنَيْ مُسْتَقْبِل الكَعْبَة ، الذي فَرَّقَ بين الزَّاوِيَتين ، هو مقابلة العَيْن التي اشْتَرَطَ الشَّافِعِيُّ ـ رحمه الله ـ وُجوبَ اسْتقباله من الكَعْبَة عند الصَّلاة . ومنتهى ما يَكْشِف بَصَرُ

a) بولاق : فرض .

وقال غيره: واشْتَرَى له حَمَّامَ شَمُول ودارَ النُّحاس بمصر وحَبَسَهما على سَدَنَتِه ووَقُود مَصابِيحه ومن يَتَوَلَّى أمْرَه ويؤذِّن فيه. [a]قال كاتِبُه: شاهَدْتُ لَوْحًا بأعْلَى مِحْرابِ الجامِع المذكور فيه اسْمُ الآمِر وتاريخُ بِنائِه على ما ذَكَرَ ابنُ عبد الظَّاهِر، وفيه ذِكْرُ تَجْديد السُّلْطان الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس له في سنة [a]. ولم تَكُن فيه خُطْبَةٌ لكنَّه يُعْرَف بالجامِع الأقْمَر.

فلمَّا كان في شهر رَجَب سنة تسعٍ وتسعين وسبع مائةٍ، جَدَّدَه [b]صَديقُنا الأميرُ الوَزيرُ المُشيرُ الأُسْتادَّار يَلْبُغا بن عبد الله السَّالِمي، رَحِمَه الله[b] أَحَدُ المماليك الظَّاهِرِيَّة، وأنشأ بظَاهِرِ بابِه البَحْري حَوانيتَ يَعْلوها طِباق للسُّكْنى[c]، وجَدَّد في صَحْنِ الجَامِع بِرْكَةً لَطيفةً يصل إليها الماءُ من سَاقِية، وجَعَلَها مرتفعةً ينزل منها الماءُ إلى من يَتَوَضَّأُ من بزابيز نُحَاس، [b]بَنَى له منارَةً وعَمِلَ به مِنْبَرًا للخُطْبَة في يوم الجُمُعَة والعيدَيْن[b]. فكانت أوَّلُ جُمُعَة جُمِعَت فيه [d]يَوْمَ الجُمُعَة[d] رابع شهر رَمَضان من السنة المذكورة. وخَطَبَ فيه شِهابُ الدِّين أحمد بن مُوسَى الحَلَبي - أَحَد نُوَّابِ القُضَاة الحَنَفية - وأُرْتِجَ عليه، واسْتَمَرَّ إلى أن ماتَ في تاسع[e] عشرين شهر رَبيعِ الأوَّل سنة إحدى

---

a-a) هذه العبارة من المُسَوَّدَة عِوَضًا عن ما جاء في النُّسَخ وهو: «وما زال اسم المأمون والآمِر على لَوْح فوق المحراب، ومن تجديد الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس للجامع المذكور». b-b) هذه العبارة من المُسَوَّدَة عِوضًا عن ما جاءَ في المُبَيَّضَة. c) إضافة من المُسَوَّدَة. d-d) ساقطة من بولاق. e) بولاق: سابع.

= تُشبه شَكْل الدِّينار الفاطمي - لأوَّل مَرَّة اسم الإمام عليّ إلى جانب النَّبي محمد ﷺ (محمد وعلي) تغييرا عن الاعتقاد الشِّيعي للدَّوْلَة.

(راجع، Williams, C., «The Cult of ʿAlid Saints in the Fatimid Monuments of Cairo, Part I: The Mosque of al-Aqmar», *Muqarnas* I (1983), pp. 37-52; Behrens-Abouseif, D., «The Façade of the Aqmar Mosque in the Context of Fatimid Ceremonial», *Muqarnas* IX (1992), pp. 29-38؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٦١٨- ٦٢٠).

[1] نَظَرًا للإهمال الذي شهده هذا الجامع مِمّا أدّى إلى تَخَرُّب أجزاء كبيرة منه، فقد قامت لجنةُ حِفْظ الآثار العربية بإصلاحه بين سنتي ١٣٢٠-١٣٤٧/١٩٠٢-١٩٢٨م. ثم قامت مُؤخَّرًا طائفة البُهْرَة بعملية تَرْميم كاملة للجامع وأعادت بناء الجناح الأيْسَر لواجهة الجامع الذي فُقِد منذ فترة طويلة.

راجع كذلك عن الجامع الأقْمَر، محمد عبد العزيز مرزوق: مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ٨٢- ٩٥؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٦٩- ٧٣؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ١: ٩٥- ١٠٢؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١: ٣١٤- ٣٢٥؛ Creswell, K.A.C., *MAE* I, pp. 241-46; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 514-29; Ja'farus Sâdiq M. Saifuddin, *Al-Aqmar . A Living Testimony Fatemiyeen*, London 2000؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٦٤١- ٦٦٧).

[2] يوجَد فوق القِبْلَة أربعةُ أسطرٍ من النَّسْخ المملوكي =

المستقبِل من الجانبين ، هو حَدُّ مقابَلَة الجهة التي قال جَماعَةٌ من عُلَماءِ الشَّريعَة بصِحَّة اسْتِقْباله في الصَّلاة .

والخَطّان الخارِجان من العَيْنَيْن إلى طَرَفَيْه هما آخِر الجِهَة من اليمين والشِّمال . فمهما وَقَعَت صَلاةُ المُسْتَقْبِل على الخَطِّ الفاصِلِ بين الزّاويتين كان قد اسْتَقْبَلَ عَيْنَ الكَعْبَة ، ومهما وَقَعَت صَلاتُه منحرفةً عن يَمِينِ الخَطِّ أو يَسارِه ـ بحيث لا يخرج / اسْتِقْبالُه عن منتهى حَدِّ الزّاويتين المحدودتين بما يكشف بَصَرُه من الجانبين ـ فإنَّه مُسْتَقْبِلٌ جِهَةَ الكَعْبَة . وإن خَرَجَ اسْتِقْبالُه عن حَدِّ الزّاويتين من أَحَدِ الجانبين ، فإنَّه يَخْرُجُ في اسْتِقْبالِه عن حَدِّ جِهَة الكَعْبَة .

وهذا الحَدُّ في الجِهَة يَتَّسِع بِبُعْد المَدَى ويَضِيقُ بقُرْبِه ، فأَقْصَى ما ينتهي إليه اتِّساعُه رُبْعُ دائِرَة الأُفُقِ ، وذلك أنَّ الجِهاتِ المعتبرة في الاسْتِقْبال أَرْبَع : المَشْرِق ، والمَغْرِب ، والجَنُوب ، والشِّمال . فمن اسْتَقْبَل جِهَةً من هذه الجِهات ، كان أَقْصَى ما ينتهي إليه سَعة تلك الجِهَة رُبْع دائِرَة الأُفُق . وإنِ انْكَشَفَ لبَصَرِه أكثر من ذلك ، فلا عِبْرَة به من أَجْل ضَرورَة تَساوي الجِهات . فإنّا لو فَرَضْنا إنْسانًا وَقَفَ في مَرْكَزِ دائِرَةٍ ، واسْتَقْبَلَ جزءًا من مُحيطِ الدّائِرَة ، لكانت كلُّ جِهَة من جِهاتِه الأَرْبَع ـ التي هي وراءُه وأمامُه ويمينُه وشمالُه ـ تُقابِل رُبْعًا من أَرْباعِ الدّائِرَة .

فتَبَيَّنَ بما قُلْنا أنَّ أَقْصَى ما ينتهي إليه اتِّساعُ الجِهَة قَدْر رُبْع دائِرَة الأُفُق . فأيُّ جَزْءٍ من أَجْزاءِ دائِرَة الأُفُق قَصَدَه الوَاقِفُ بالاسْتِقْبال في بَلَدٍ من البُلْدان ، كانت جِهَةُ ذلك الجُزْء المستقبل رُبْعَ دائِرَةِ الأُفُقِ ، وكان الخَطُّ الخارِج من بين عَيْنَي الوَاقِف إلى وَسَط تلك الجِهَة هو مقابلة العَيْنِ ، ومنتهَى الرُّبْع من جانبيه يَمْنَةً ويَسْرَةً هو منتهَى الجِهَة التي قد اسْتَقْبَلَها .

فما خَرَجَ من مَحارِيب بَلَدٍ من البُلْدان عن حَدِّ جِهَة الكَعْبَة ، لا تَصِحُّ الصَّلاةُ لذلك المِحْراب بوَجْهٍ من الوُجُوه . وما وَقَعَ في جِهَةِ الكَعْبَة ، صَحَّتِ الصَّلاةُ إليه عند مَنْ يَرَى أنَّ الفَرْضَ في اسْتِقْبالِ الكَعْبَة إصابَة جِهَتِها . وما وَقَعَ في مُقابَلَة عَيْن الكَعْبَة ، فهو الأَسَدُّ الأَفْضَل الأَوْلَى عند الجُمْهور .

وإنْ أَنْصَفْتَ عَلِمْتَ أنَّه مهما وَقَعَ الاسْتِقْبالُ في مقابَلَة جِهَة الكَعْبَة ، فإنَّه يكون سَديدًا . وأَقْرَبُ منه إلى الصَّواب ما وَقَعَ قَرِيبًا من مُقابَلَة العَيْن يَمْنَةً أو يَسْرَةً ، بخِلافِ ما وَقَعَ بعيدًا عن مُقابَلَةِ العَيْن فإنَّه بَعيدٌ من الصَّواب ، ولعلَّه هو الذي يَجْري فيه الخِلافُ بين عُلَماءِ الشَّريعَة ، والله أَعْلَم .

وحيث تَقَرَّرَ الحكْمُ الشَّرْعي بالأَدِلَّة السَّمْعِيَّة والبراهين العَقْلية في هذه المسألة ، فاعْلَم أنَّ المَحارِيبَ المخالِفَة لمحارِيب الصَّحابَة ، التي بقَرافَة مصر وبالوَجْه البَحْري من ديار مصر ، واقِعةٌ في

آخِر جِهَة الكَعْبَة من مصر، وخارِجَةٌ عن حَدِّ الجِهَة. وهي مع ذلك في مُقابَلَة ما بَيْن البَجَة والنُّوبَة، لا في مُقابَلَة الكَعْبَة، فإنها مَنْصُوبَة على مُوازَاة خَطِّ نِصْف النهار.

و«مَحاريبُ الصَّحابَة» على مُوازاةِ مَشْرِقِ الشِّتاء تِجاه مَطالِع العَقْرَب، مع مَيْلٍ يسير عنها إلى ناحية الجَنُوب. فإذا جَعَلْنا مَشْرِقَ الشِّتاءِ المذكور مُقابَلَة عَيْن الكَعْبَة لأهل مصر، وفَرَضْنا جِهَةَ ذلك الجُزْء رُبْعَ دائرة الأُفُق، صار سَمْتُ المَحارِيب التي هي مُوازِيَة لخَطِّ نِصْف النَّهار خارِجًا عن جِهَة الكَعْبَة، والذي يستقبلها في الصَّلاة يُصَلِّي إلى غير شَطْر المَسْجِد الحَرام. وهو خَطَرٌ عَظِيمٌ، فاحْذَرْه.

واعْلَم أنَّ صَعيدَ مصر واقِعٌ في جَنُوبِ مَدينَةِ مِصر، وقُوص واقِعَةٌ في شَرقيِّ الصَّعيد وفيما بين مَهَبِّ ريح الجَنُوب والصَّبا من دِيار مصر. فالمتوجِّه من مَدينَة قُوص إلى عَيْذاب يستقبل مَشْرِق الشِّتاء سَواءً، إلى أن يَصِل إلى عَيْذاب، ولا يَزالُ كذلك إذا سارَ من عَيْذاب حتى ينتهي في البَحْر إلى جَدَّة، فإذا سارَ من جَدَّة في البَرِّ اسْتَقْبَلَ المَشْرِقَ كذلك حتى يحلّ بمَكَّة، فإذا عادَ من مَكَّة اسْتَقْبَلَ المغرب.

فاعْرِف من هذا أنَّ مَكَّةَ واقِعةٌ في النِّصْف الشَّرْقيّ من الرُّبْع الجَنوبي بالنسبة إلى أرْضِ مصر. وهذا هو سَمْتُ مَحاريب الصَّحَابَة التي بديار مصر والإسْكَنْدَرية، وهو الذي يجب أن يكون سَمْتَ جَميعِ مَحارِيبِ إقْليم مصر.

بُرْهـانٌ آخر: وهو أنَّ من سَارَ من مَكَّةَ يُرِيدُ مصر على الجادَّة، فإنَّه يَسْتَقْبِل ما بين القُطْبِ الشَّمالي ـ الذي هو الجَدْي ـ وبين مغرب الصَّيْف مُدَّةَ يومين وبعض اليوم الثالث، وفي هذه المُدَّة يكون مَهَبُّ النُّكْباء ـ التي بَيْن الشَّمال والمغرب ـ تِلْقاء وَجْهِه. ثم يَسْتَقْبِلُ بعد ذلك في مُدَّة ثلاثة أيّام أَوْسَطَ الشَّمال، بحيث يَبْقَى الجَدْيُ تِلْقاءَ وَجْهِه، إلى أن يصل إلى بَدْر. فإذا سارَ من بَدْرٍ إلى المَدينَة النَّبويَّة، صارَ مَشْرِقُ الصَّيْف تِلْقَاء وَجْهِه تارَةً، ومَشْرِقُ الاعْتدال تارَةً، إلى أن ينتهي إلى المَدينَة. فإذا رَجَعَ من المَدينَة إلى الصَّفْراء، اسْتَقْبَلَ مَغْرِبَ الشِّتاء إلى أن يَعْدل إلى يَنْبُع، فيصير تارَةً يسير شَمالًا وتارةً يسير مغربًا، ويكون يَنْبُع من مَكَّةَ على حَدِّ النُّكْباءِ التي بين الشَّمالِ ومغرب الصَّيْف. فإذا سارَ من يَنْبُعَ اسْتَقْبَلَ ما بَيْن الجَدْي ومغرب الثُّرَيَّا ـ وهو مغرب الصَّيْف ـ وهَبَّتِ النُّكْباء تِلْقاء وَجْهِ إلى أن يصل إلى مَدْيَن. فإذا سارَ من مَدْيَنَ، اسْتَقْبَلَ تارَةً الشَّمال وأُخْرى مَغْرب الصَّيْف حتى يَدْخُل أَيْلَة. ومن أَيْلَة لا يَزالُ يستقبل مَغْرب الاعْتِدال تارَةً، ويميل عنه إلى جِهَة الجَنُوب مع اسْتِقْبالِ مَغْرب الشِّتاء أخرى، إلى أن يَصِلَ إلى القاهِرَة ومصر. فلو

فَرَضْنَا خَطًّا خَرَجَ من مَحارِيبِ مصر الصَّحيحَة التي وَضَعَها الصَّحابَةُ ، ومَرَّ على اسْتِقامَةٍ من غير مَيْلٍ ولا انْحِرَافٍ ، لاتَّصَلَ بالكَعْبَةِ ولَصِقَ بها .

واعْلَمْ أنَّ أَهْلَ مصر والإسْكَنْدرية وبلاد الصَّعيد وأَسْفَلِ الأرْضِ وبَرْقَة وإفْرِيقِيَّة وطَرابُلُس ٢ المغرب وصِقِلِّيَّة والأَنْدَلُس وسَواحِلِ المغرب إلى السُّوس الأَقْصَىٰ والبَحْر المحيط ، وما على / سَمْتِ هذه البلاد ، يَسْتَقْبِلون في صَلاتِهم من الكَعْبَة ما بين الرُّكْنِ الغَرْبي إلى الميزاب .

فمَنْ أَرادَ أن يَسْتَقْبِل الكَعْبَةَ في شيءٍ من هذه البِلاد ، فليَجْعَل بَناتَ نَعْشٍ إذا غَرَبَت خَلْف كَتِفه الأيسر ، وإذا طَلَعَت على صُدْغِه الأيسر ، ويكون الجَدْيُ على أُذُنِه اليُسْرى ، ومَشْرِقُ الشَّمْس تِلْقاء وَجْهِه ، أو رِيحُ الشَّمال خَلْفَ أُذُنِه اليُسْرى ، أو رِيحُ الدَّبُور خَلْف كَتِفه الأَيْمَن ، أو رِيحُ الجَنُوب التي تَهُبُّ من ناحِيَة الصَّعيد على عَينِه اليُمْنى ، فإنَّه حينئذٍ يستقبلُ من الكَعْبَةِ سَمْتَ مَحارِيبِ الصَّحابَة الذين أَمَرَنا الله باتِّباع سَبيلهم ، ونَهانَا عن مُخالَفَتهم بقَوْله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية ١١٥ سورة النساء] . أَلْهَمَنا الله بمَنِّه اتِّباعَ طريقِهم ، وصَيَّرَنا بكَرَمِه من حِزْبِهم وفَرِيقِهم . إنَّه على كلِّ شيءٍ قَدير .

الجامِعُ بالعَسْكَر[a]

هذا الجامِعُ ظَاهِر مصر[b]، وهو حَيْثُ الفَضَاء الذي هو اليوم فيما بين جَامِع أحمد ابن طُولُون وكُوم الجَارِح بظَاهِر مَدينَة مصر ، وكان إلى جانِبِ الشُّرْطَة والدَّار التي يسكنها أُمَرَاءُ مصر ، ومن هذه الدَّار إلى الجَامِع بابٌ ، وكان يُجْمَع فيه الجُمُعَة ، وفيه مِنْبَرٌ ومَقْصورَة[1] . وهذا الجَامِعُ بِناهُ الفَضْلُ بن صَالِح بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس[2]، في ولايته إمارَة مصر ، مُلاصِقًا لشُرْطَةِ العَسْكَر ـ التي كان يُقالُ لها الشُّرْطَة العُلْيا ـ في سنة تسعٍ وستين ومائةٍ فكانوا يَجْمَعون فيه .

---

a) بولاق : جامع العسكر . b) بولاق : بظاهر مصر .

---

[1] انظر أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١: ٣٢٦، ٢: ٦١؛ Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 32-34.

[2] انظر الكندي : ولاة مصر ١٥٢– ١٥٤، وفيما تقدم ٢: ٦٦.

وكانت وِلايَةُ الفَضْلِ إمارَة مصر، من قِبَل المَهْدِي محمد بن أبي جعفر المَنْصور، على الصَّلاةِ والخَراج. فَدَخَلَها سَلْخَ المحرَّم سنة تِسعٍ وستين ومائةٍ في عَسْكَرٍ من الجُنْدِ عَظيم أَتَى بهم من الشَّام، ومصر تَضْطَرِم لما كان في الحَوْف، ولخُرُوج دِحْيَة بن مُعَصَّب[a] بن الأَصْبَغ بن عبد العزيز ابن مَرْوان. فقامَ في ذلك، وجَهَّزَ الجُنُود حتى أَسَرَ دِحْيَة وضَرَبَ عُنُقَه في جُمادَى الآخرة من السنة المذكورة. وكان يقول: أنا أَوْلَى النَّاسِ بولاية مصر لقِيامي في أَمْرِ دِحْيَة، وقد عَجَزَ عنه غيري حتى كَفَيْت أَهْلَ مصر أَمْرَه. فعَزَلَه مُوسَىٰ الهادي لمَّا اسْتُخْلِف بعد مَوْتِ أبيه المَهْدي بعد ما أَقَرَّه. فَنَدِمَ الفَضْلُ على قَتْلِ دِحْيَة، وأَظْهَرَ تَوْبَةً، وسارَ إلى بَغْداد. فماتَ عن خمسين سنةٍ في سنة اثنتين وسبعين ومائةٍ[1].

ولم يَزَلِ الجَامِعُ بالعَسْكَر إلى أن وَلِيَ عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب مَوْلَى خُزاعَة على صَلاةِ مصر وخَراجِها، من قِبَل عبد الله أمير المؤمنين المَأْمُون، في رَبيعِ الأوَّل سنة إحدى عشرة ومائتين، فزادَ في عِمارَتِه، وكان النَّاسُ يُصَلُّون فيه الجُمُعَة قبل بِناء جَامِع أحمد ابن طُولُون. ولم يَزَل هذا الجامِعُ إلى ما بعد الخمسِ مائة من سِنِي الهجرة[2].

قال ابنُ المأمُون في «تاريخه» من حَوادِث سنة سبع عشرة وخمس مائةٍ: وكان يُطْلَق في الأَرْبَع ليالي الوَقُود ـ وهي مستهلّ رَجَب، ونصفه، ومستهلّ شَعْبان، ونصفه ـ برَسْم الجَوامِعِ السِّتَّة: الأَزْهَر والأَنْوَر والأَقْمَر بالقاهِرَة، والطُّولُوني والعَتِيق بمصر، وجَامِع القَرافَة، والمَشَاهِدِ التي تَتَضَمَّن الأَعْضاءَ الشَّريفَة، وبعضِ المساجِد التي يكون لأَرْبابِها وَجاهَة؛ جملةٌ كَثيرةٌ من الزَّيْت الطَّيِّب، ويختصُّ بجَامِع راشِدَة وجَامِع سَاحِل الغَلَّة بمصر والجَامِع بالمَقْس يَسير[3].

ويعني بجَامِعَ سَاحِل الغَلَّة جَامِع العَسْكَر، فإنَّ العَسْكَرَ حينئذٍ كان قد خَرِبَ وحُمِلَت أَنْقاضُه، وصارَ الجَامِعُ بسَاحِل مصر، وهو السَّاحِلُ القَديم المذكور في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب[4].

ذِكْرُ العَسْكَر

كان مَكانُ العَسْكَرِ في صَدْرِ الإسْلامِ يُعْرَفُ بعد الفَتْح بالحَمْراءِ القُصْوَىٰ. وهي كما تقدَّم خِطَّةُ بني الأَزْرَق، وخِطَّةُ بني رُوبيل،

a) بولاق: مصعب.

[1] فيما تقدم ٢: ٦٦.

[2] المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ٧١و.

[3] ابن المأمون: أخبار مصر ٦٩ وفيما تقدم ٢: ٥٢٤.

[4] انظر فيما تقدم ٢: ١٥٨–١٦٣.

وخِطَّةُ بني يَشْكُر بن جَذيلة من لَخْم. ثم دَثَرَت هذه الحَمْراءُ وصارَت صَحْرَاء [١].

فلمَّا زالَت دَوْلَةُ بني أُمَيَّة، ودَخَلَت المُسَوِّدَةُ إلى مصر في طَلَبِ مَرْوان بن محمد الجَعْدي في سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائةٍ - وهي خَرابٌ فَضَاءٌ يُعْرَف بعضُه بجَبَلِ يَشْكُر - نَزَلَ صَالِحُ بن عليّ ابن عبدُ الله بن عَبَّاس وأبو عَوْن عبد الملك بن يَزيد بعَسْكَرهما في هذا الفَضَاء، وأَمَرَ عبد الملك أبو عَوْن أصحابَه بالبِناء فيه فبَنَوا، وسُمِّي من يومئذٍ بالعَسْكَر [٢].

وصارَ أُمَرَاءُ مصر إذا قَدِمُوا يَنْزلون فيه من بعد أبي عَوْن، وقال النَّاسُ من عَهْدِه: «كُنَّا بالعَسْكَرِ»، و«خَرَجْنَا إلى العَسْكَر»، و«كُتِبَ من[a] العَسْكَر». فصارَت «مَدينَةُ الفُسْطاط والعَسْكَر»، ونَزَلَ الأُمَرَاءُ من عَهْدِ أبي عَوْنٍ بالعَسْكَر [٣].

فلمَّا وَلِيَ يَزيدُ بن حَاتِم إمارَة مصر، وقامَ عليُّ بن محمد بن عبد الله بن حَسَن وطَرَقَ المَسْجِد، كَتَبَ أبو جَعْفَرَ المَنْصور إلى يَزيد بن حَاتِم يأْمُرُه أن يَتَحَوَّل من العَسْكَرِ إلى الفُسْطَاط، وأن يَجْعَل الدِّيوانَ في كَنائِس القَصْرِ وذلك في سنة ستٍّ وأربعين ومائةٍ [٤].

إلى أن قَدِمَ الأميرُ أبو العَبَّاس أحمد بن طُولُون من العِراق، أميرًا على مصر، فنَزَلَ بالعَسْكَر بدار الإمارَة التي بَنَاها صَالِحُ بن عليّ بعد هَزيمَةِ مَرْوان وقَتْلِه، وكان لها بابٌ إلى الجَامِع الذي بالعَسْكَر.

وكان الأُمَرَاءُ يَنْزِلون بهذه الدَّار إلى أن نَزَلَها أحمد بن طُولُون، ثم / تَحَوَّلَ منها إلى القَطائِع. وجَعَلَها أبو الجَيْش خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولُون، عند إمارَته على مصر، دِيوانًا للخَراج. ثم فُرِّقَت حَجَرًا حَجَرًا بعد دُخُولِ محمد بن سُلَيْمان الكاتِب إلى مصر وزَوالِ دَوْلَةِ بني طُولُون. وسَكَنَ محمد بن سُلَيْمان أيضًا بدارٍ في العَسْكَر عند المُصَلَّى القَديم [٥]، ونَزَلَها الأُمَرَاءُ من بعده إلى أن وَلِيَ الإخْشيدُ محمد بن طُغْج، فنَزَلَ بالعَسْكَرِ أيضًا.

---

a) بولاق: وكنت في.

---

[١] انظر ما سبق وذكره المقريزي عن العسكر فيما تقدم ٢: ٥٦- ٥٩، وما ذُكِرَ هناك من مصادر ومراجع.

[٢] فيما تقدم ٢: ٥٦، وفيه أنَّ ذلك كان في سنة ١٣٣هـ.

[٣] فيما تقدم ٢: ٥٦.

[٤] الكندي: ولاة مصر ١٣٧، وفيما تقدم ٢: ٦٢.

[٥] فيما تقدم ٢: ٥٧.

ولمَّا بَنَى أحمد بن طُولُون القَطائِع اتَّصَلَتْ مَبانيها بالعَسْكَر، وبَنَى الجَامِعَ على جَبَلِ يَشْكُر، فعَمُر ما هنالِك عِمارَةً عَظيمَةً، بحيث كانت هناك دارٌ [a]تُعْرَف بدار الفيل[a] على بِرْكَة قارون أَنْفق عليها كافُور الإخْشيدي مائة ألف دينار وسَكَنَها [a]في سنة ستٍّ وأربعين وثلاث مائةٍ[a]، وكان هناك مارِسْتانُ أحمد بن طُولُون[1] أَنْفَقَ عليه وعلى مستغلّه ستين ألف دينار.

وقَدِمَت عَساكِرُ المُعِزِّ لدين الله مع كاتِبِه وغُلامِه جَوْهَرِ القائِد، في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائةٍ، والعَسْكَرُ عامِرٌ. غير أنَّه منذ بَنَى أحمد بن طُولُون القَطائِع هُجِرَ اسْمُ العَسْكَر، وصارَ يُقالُ «مَدينَةُ الفُسْطاط والقَطائِع». فلمَّا خَرَّبَ محمد بن سُلَيْمان الكاتِب قَصْرَ ابن طُولُون ومَيْدَانَه - كما ذُكِرَ في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب - صارَت القَطائِعُ فيها المساكِنُ الجَلِيلَة حيث كان العَسْكَر[2].

وأَنْزَلَ المُعِزُّ لدين الله عمَّه أبا عليّ في دارِ الإمارَة، فلم يَزَلْ أَهْلُه بها إلى أن خَرِبَت القَطائِعُ في الغَلاءِ الكائِن بمصر في خِلافَة المُسْتَنْصِر أعْوام بضعٍ وخمسين وأربع مائةٍ. فيُقالُ إنَّه كان هنالِك ما ينيفُ على مائة ألف دار[3]، ولا يُنْكَر ذلك. فانْظُر ما بين سَفْحِ الجَبَلِ - حيث القَلْعَة الآن - وبين سَاحِل مصر القَديم الذي يُعْرَف اليوم بالكَبارَة، وما بين كُوم الجَارِح من مصر وقَناطِر السِّباع، فهناك كانت القَطائِعُ والعَسْكَرُ. ويَخُصُّ العَسْكَرُ من ذلك ما بين قَناطِر السِّباع وحَدْرَة ابن قَميحة إلى كُومِ الجارِح، حيث الفَضَاء الذي يَتَوَسَّط فيما بين قَنْطَرَة السَّدّ وباب المَجْدَم من جِهَة القَرافَة فهناك كان العَسْكَر.

ولمَّا اسْتَوْلَى الخَرَابُ في المِحْنَة زَمَن المُسْتَنْصِر، أَمَرَ الوَزِيرُ النَّاصِرُ للدين [الحَسَنُ بن عليّ ابن][b] عبد الرَّحْمَٰن اليازوري ببِناءِ حائِطٍ يَسْتُر الخَرَابَ إذا تَوَجَّه الخَلِيفَةُ إلى مصر فيما بين العَسْكَرِ والقَطائِع وبين الطَّريق، وأَمَرَ فبُنِيَ حائِطٌ آخَر عند جَامِع ابن طُولُون.

فلمَّا كان في خِلافَةِ الآمِر بأحْكام الله أبي عليّ مَنْصور بن المُسْتَعْلى بالله، أَمَرَ وَزيرُه أبو عبد الله محمد بن فاتِك المنعوت بالمَأْمُون البَطائِحي فنُودِيَ مُدَّةَ ثلاثَةِ أيَّامٍ في القاهِرَة ومصر بأنَّ:

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) إضافة اقتضاها السياق.

---

[1] فيما تقدم ٢: ٥٧، وفيما يلي ٦٩١- ٦٩٢.

[2] فيما تقدم ٢: ١٠٤.

[3] مَصْدَرُ هذا الخبر ابن دحية: النبراس في مناقب بني العباس ١٤٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤٠؛ وفيما تقدم ٢: ١١٢.

من كان له دَارٌ في الخَرَابِ أو مكانٌ يعمره ، ومن عَجَزَ عن عِمارَته يبيعه أو يؤجِّره من غير نَقْلِ شيءٍ من أَنْقاضِه ، ومَنْ تأخَّر بعد ذلك فلا حَقَّ له ولا حِكْرَ يلزمه . وأباحَ تَعميرَ جَميع ذلك بغير طَلَبِ حقٍّ . فعَمَّرَ النَّاسُ ما كان منه مِمَّا يلي القاهِرَة ، من حيث مَشْهَد السَّيِّدَة نَفِيسَة إلى ظَاهِر بابِ زَوِيلَة ، ونُقِلَت أَنْقاضُ العَسْكَر ، فصارَ الفَضَاءُ الذي يُتَوَصَّلُ إليه من مَشْهَدِ السَّيِّدَة نَفيسَة ومن الجَامِع الطُّولُوني ومن قَنْطَرَة السَّدّ ، ويُسْلَك فيه إلى حيث كُوم الجارِح . والعَامِرُ الآن من العَسْكَرِ جَبَلُ يَشْكُر الذي فيه جَامِع ابن طُولُون ، وما حَوْلَه إلى قَناطِر السِّباع [1] ، كما ستقف عليه إن شاءَ الله تعالى .

جَـامِعُ ابن طُولُون

[أثر رقم ٢٢٠]

هذا الجَامِعُ على جَبَلٍ يُقالُ له جَبَلُ يَشْكُر فيما بين القاهِرَة ومصر [a]، قال ابنُ عبد الظَّاهِر : وهو مَكانٌ مَشْهورٌ بإجابَةِ الدُّعاءِ ، وقيل إنَّ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ ناجَى رَبَّه عليه بكلمات [2] .

وابتدأ في بِناءِ هذا الجَامِع الأميرُ أبو العَبَّاس أحمد بن طُولُون ، بعد بِناءِ القَطائِع ، في سنة ثلاثٍ وستين ومائتين [3] . قال جامِعُ «السِّيرَة الطُّولُونية» : كان أحمدُ بن طُولُون يُصَلِّي الجُمُعَة في المَسْجِد

---

a) العبارة في الأصول : هذا الجامِع موضعه يُعْرَف بجَبَل يَشْكُر ، والمثبت من مُسَوَّدَة الخطط .

---

[1] انظر فيما تقدم ٢: ٥٨؛ ٣: ٥٧- ٥٨، ٣٣٣.

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٨١؛ وفيما تقدم ١: ٣٣٩.

[3] ما زالَ جَامِعُ أحمد بن طُولُون قائمًا إلى اليوم بمَنْطِقَة الصَّلِيبَة جَنُوب القاهرة (بين مَيْدان الرُّمَيلة شمالًا ومَيْدان السيدة زينب جنوبًا) ، وهو الأثَرُ الوَحيدُ الباقي من مَدينة القَطائِع الطُّولُونية . وتَبْلُغ مِساحَةُ الجَامِع ١٧٢٤٤ مترًا مُرَبَّعًا ، وتُحِيطُ به من خارجه - ما عَدا جهة القِبْلَة - ثلاثة أَزِوقَة خارجية مكشوفة على شكل طريقٍ حَوْلَ الجَامِع ، تُعْرَف بـ«الزِّيادات» ، مجموع مساحتها ٩٠٣٧ مترًا مربعًا . فتكون المساحةُ الإجمالية للجَامِع والزِّيادات الخارجية ٢٦٢٨١ مترًا مربعًا تُعادل ستة أَفْدِنَة ورُبْع فَدَّان . ويُعَدُّ هو وجَامِعُ الحاكم بأمْرِ الله الواقع عند بابِ الفُتُوح ، وجَامِعُ الظَّاهر بَيْبَرْس الواقع في مَيْدان الظَّاهر خارج سُور القاهرة الشَّمالي ، أكبر مَساجِد الصَّلاة في مصر مساحَةً (فيما يلي ١٠٧- ١٠٨، ١٨٨- ١٨٩) .

ونَظَرًا لكبر مِساحَة الجَامِع وتَعَذُّر الصَّرْفِ عليه لم يكن من بين المساجِد المَأهُولَة في العَصْر الفاطِمي ، ونَزَلَ به في عَهْد السُّلطان النَّاصر صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب طائفةٌ من المغاربة الوافدين على مصر وأقامُوا فيه أكثر من مائة سنة ، ثم جُعِلَ شُونَةً للغِلال في زَمَنِ الملك الظَّاهر بَيْبَرْس ، إلى أن عَمَّرَه وجَدَّدَه السُّلْطانُ حُسامُ الدِّين لاجين سنة ٦٩٦هـ/١٩٩٦م وأقامَ فيه الشَّعائر الدِّينية ، ثم عادَ إلى الخَراب ، إلى أن جُعِلَ مَصْنَعًا لعمل الأحْزِمَة الصُّوفية في العَصْر العُثْماني . وفي سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م تَحَوَّل =

القَديم[١] المُلاصِق للشُّرْطَة، فلمَّا ضاقَ عنه[a] بَنَى الجامِع الجَديد مِمَّا أفاءَ الله عليه من المالِ الذي وَجَدَه فَوْقَ الجَبَلِ في المَوضِع المعروف بتَنُّور فِرْعَوْن، ومنه بنى العَيْن. فلمَّا أرادَ بِناءَ الجَامِع قَدَّر له ثلاث مائة عَمُود، فقيل له ما تَجِدُها، أو تُنْفِذ إلى الكنائِس في الأرْياف والضِّياع الخَراب فتحمِل ذلك. فأنْكَرَ ذلك ولم يَخْتَره، وتَعَذَّبَ قَلْبُه بالفِكْر في أمْرِه.

---

a) بولاق: عليه.

= إلى ملجأ للعَجَزَة وظَلَّ كذلك حتى تألَّفت لجنة حِفْظ الآثار العربية سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م فقامَت بترميمه وإصْلاحِه إصْلاحًا كامِلًا وأعادَت إليه سابق رَوْنَقه، كما أزالت الأبنية المحيطة به وعلى الأخَصّ من الجِهَة البَحْرِية. ونَظَرًا لصُعوبَة صِيانَة الجَامِع فقد أُهْمِل مَرَّة ثانيةً فبدأ المجلسُ الأعلى للآثار مشروعًا لترميمه وإصْلاحه، وما تزال هذه الأعمال جارية به ولم تتمّ إلى الآن.

راجع عن تاريخ الجَامِع ووَصْفِه وتَخْطيطه، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٧٦-٨٥؛ ابن دُقْماق: الانتصار ٤: ١٢٢-١٢٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٤٠-٣٤١؛ المقريزي: السلوك ٢: ٨٢٧؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٢٣٩، ٣٥٩-٣٦٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٣٢٦، ٣: ٨، ٨: ١٠٦-١٠٧ (وتعليقات محمد رمزي عليه)؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ٤٥-٤٨؛ Marcel, J.J., «Mémoire sur la mosquée de Touloun et les inscriptions qu'elle renferme, comprenant un précis de la dynastie des Toulounides», *Description de l'Égypte*, t. XVIII, 3[e] partie, Etat Moderne, Paris 1830, pp. 1-34; Corbett, E.R., «The Life and Works of Ahmed ibn Tulun», *JRAS* (1891), pp. 527-62; Salmon, G., *Études sur la topographie du Caire*, pp. 12-27; Williams, R., «The Mosque of Ibn Tûlûn», *MW* VIII (1918), pp. 221-34; Briggs, M. S., *Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine*, pp. 47-68; Hassan, Z.M., *Les Tulunides*, pp. 298-338؛ محمود عكوش: تاريخ ووَصْف الجامع الطُّولُوني، القاهرة ١٩٢٧؛ محمود أحمد: بيان تاريخي عن الجامع الطُّولُوني وشرح مميزاته الفنية، القاهرة ١٩٣٥؛ زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في مصر ٣٧-٤٧؛ Hautecoeur, L., *Les Mosquées du Caire*, I, pp. 208-16; Wiet, G., *CIA* Égypte II, pp. 73-90; Pauty, E. *La mosquée d'Ibn Touloun et ses alentours*, Le Caire 1936; Creswell, K.A.C., *EMA*, II pp. 332-56؛ محمد عبد العزيز مرزوق: مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ٢٧-٥٢؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٣٢-٤٦؛ Fattal, A., *La mosquée d'Ibn Tulun au Caire*, Beyrouth 1960؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ١٠١-١٣٦؛ فريد شافعي: العمارة العربية في مصر ٤٦٣-٤٩٥؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١: ١٣٥-١٥١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٥٧-٩٦؛ Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 42-55; Tarek Swelim, *The Mosque of Ibn Tûlûn*, Ph.D. Harvard University 1994 (وهي تحت الطبع الآن بالمعهد الهولندي بالقاهرة).

[١] حاشية بخط المؤلِّف: «المسجد القديم هذا هو جامع العَسْكَر المُقَدَّم ذكره».

وبَلَغَ النَّصْرانيَّ الذي تَوَلَّى له بِناءَ العَيْن ـ وكان قد غَضِبَ عليه وضَرَبَه ورَمَاه في المُطْبِق ـ الخَبَرُ. فكَتَبَ إليه يقول: أنا أبْنيه لكَ كما تُحِبُّ وتَخْتار بلا عُمُدٍ إلَّا عَمُودَي القِبْلَة. فأَحْضَرَه، وقد طالَ شَعْرُه حتى نَزَلَ على وَجْهِه، فقال له: وَيْحَك، ما تقولُ في بِنَاءِ الجَامِع! فقال: أنا أُصَوِّره للأمير حتى يَراه عَيانًا بلا عُمُدٍ إلَّا عمودَي القِبْلَة [1]. فأَمَرَ بأن تُحْضَر له الجُلُود، فأُحْضِرَت، وصَوَّرَه له، فأَعْجَبَه واسْتَحْسَنَه، وأَطْلَقَه وخَلَعَ عليه، وأَطْلَقَ له للنَّفَقَة عليه مائة ألف دينار، فقال له: أنْفِق وما احْتَجْتَ إليه بعد ذلك أطْلَقْناهُ لك.

فوَضَعَ النَّصْرانيُّ يَدَهُ في البِناءِ في المَوْضِع الذي هو فيه، وهو جَبَلُ يَشْكُر، فكان يَنْشُر منه ويعمل الجير، ويَبْني إلى أن فَرَغَ من جَميعِه، وبَيَّضَه وخَلَّقَه، وفَرَشَ فيه الحُصْر، وعَلَّقَ فيه القَناديل بالسَّلاسِل الحِسَان الطِّوال، وحَمَلَ إليه صَناديقَ المصاحِف، وقَفَلَ[a] إليه القُرَّاءُ والفُقَهاءُ، وصَلَّى فيه بَكَّارُ بن قُتَيْبَة القاضي، وعَمِلَ الرَّبيعُ بن سليمان بابًا فيما رُوِيَ عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا، ولو كَمَثَل مِفْحَصِ[b] قَطاةٍ، بَنَى الله له بَيْتًا في الجَنَّة».

٢٢ فلمَّا كان في أوَّلِ جُمُعَةٍ صَلَّاها أحمد بن طُولُون فيه، وفَرَغت الصَّلاة،/ جَلَسَ محمد ابن الرَّبيعُ خارج المَقْصورَة، وقامَ المُسْتَمْلي وفَتَحَ باب المَقْصورة، وجَلَسَ أحمد بن طُولُون ولم يَنْصَرِف، والغِلْمانُ قِيامٌ وسَائِرُ الحُجَّابِ، حتى فَرَغَ المَجْلِس. فلمَّا فَرَغَ المَجْلِس، خَرَجَ إليه غُلامٌ بكيسٍ فيه ألف دينار، وقال: يقول لك الأمير: نَفَعَكَ الله بما عَلَّمَك، وهذه لأبي طاهِر، يعني ابنه. وتَصَدَّقَ أحمد بن طُولُون بصَدَقاتٍ عَظيمَةٍ فيه، وعَمِلَ طعامًا عَظيمًا للفُقَراءِ والمساكين؛ وكان يَوْمًا عَظيمًا حَسَنًا.

وراحَ أحمد بن طُولُون، ونَزَلَ في الدَّارِ التي عَمِلَها فيه للإمارَة ـ وقد فُرِشَت وعُلِّقَت، وحُمِلَت إليها الآلاتُ والأواني وصَناديقُ الأشْرِبَة وما شاكَلَها ـ فنَزَلَ بها أحمد وجَدَّدَ طُهْرَه وغَيَّرَ ثِيابَه، وخَرَجَ من بابِها إلى المقصورَة، فرَكَعَ وسَجَدَ شُكْرًا لله تعالى على ما أعانَه عليه من ذلك ويَسَّرَهُ له. فلمَّا أرادَ الانْصِرافَ، خَرَجَ من المَقْصورَة حتى أَشْرَفَ على الفَوَّارَة، وخَرَجَ إلى بابِ الرِّيح. فصَعِدَ النَّصْرانيُّ الذي بَنَى الجامع المنارَة[c]، ووَقَفَ إلى جانِب المركب النُّحاس وصاحَ:

---

a) بولاق: ونقل. b) بولاق: كمفحص. c) إضافة من المسودة.

---

[1] وفيما يلي ٨٩٤.

يا أحمد بن طُولُون يا أمير الأمان، عَبْدُك يُريدُ الجائِزَة، ويسأل الأمان ألَّا يجري عليه مثل ما جَرَى في المرَّةِ الأولى. فقال له أحمدُ بن طُولُون: انْزِل فقد أمَّنَكَ الله، ولكَ الجائِزَة. فنَزَلَ وخَلَعَ عليه، وأَمَرَ له بعشرة آلاف دينار، وأَجْرَى عليه الرِّزْقَ الواسِعَ إلى أن مات [1].

وراحَ أحمدُ بن طُولُون في يوم الجُمُعَة إلى الجَامِع، فلمَّا رَقِيَ الخَطيبُ المِنْبَر وخَطَبَ أبو يَعْقُوب البَلْخي، دَعَا للمُعْتَمِد ولوَلَده وأُنْسِيَ أن يَدْعُو لأحمد بن طُولون، ونَزَلَ عن المِنْبَر. [a]قال نَسيمُ الخادِم: فأشارَ إليَّ أحمد[a] أنِ اضْرِبْه خمس مائة سَوْط؛ فذَكَرَ الخَطيبُ سَهْوَه، وهو على مَرَاقي المِنْبَر، فعادَ وقال: الحَمْدُ لله وصلَّى الله على محمد، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [الآية ١١٥ سورة طه]، اللَّهُمَّ وأَصْلِح الأمير أبا العباس أحمد بن طُولُون مَوْلَى أمير المؤمنين، وزادَ في الشُّكْر والدُّعاء له بقَدْرِ الخُطْبَة، ثم نَزَلَ. [b]قال نَسيم: فنَظَرَ إليَّ مَوْلاي[b] أن اجْعَلْها دَنانير. ووَقَفَ الخَطيبُ على ما كان منه، فحَمِدَ الله على سَلامَتِه، وهَنَّأه النَّاسُ بالسَّلامَة.

[c]قال: كان أحمد بن طُولُون في الجَامِع إذا رأى الصُّنَّاعَ عند العَشاء يَبْنون[c] - وكان شَهْرُ رَمَضان - قال: مَتَى يَشْتَري هؤلاء الضُّعَفاء إفْطارًا لعِيالهم وأوْلادِهم؟ اصْرِفُوهم العَصْر، فصارَت سُنَّةً إلى اليوم بمصر. فلمَّا فَرَغَ شهرُ رَمَضان قيل له: قد انقضى شهرُ رَمَضان، فيعودون إلى رَسْمِهم. فقال: قد بَلَغَني دُعاؤهم وقد تَبَرَّكْتُ به، وليس هذا ممَّا يوفِّر العَمَل علينا.

وفُرِغَ منه في شهر رَمَضان سنة خمسٍ وستين ومائتين [2]، وتقرَّبَ النَّاسُ إلى ابن طُولُون بالصَّلاةِ فيه، وألْزَمَ أوْلادَه[d] كلَّهم صَلاة الجُمُعَة في فَوَّارَةِ الجَامِع، ثم يَخْرُجون بعد الصَّلاة إلى مَجْلِس الرَّبيع بن سُلَيْمان ليَكْتُبُوا العِلْمَ، مع كلِّ واحِدٍ منهم وَرَّاقٌ وعِدَّةُ غِلْمان. وبَلَغَتِ النَّفَقَةُ على هذا الجَامِع في بِنائِه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار.

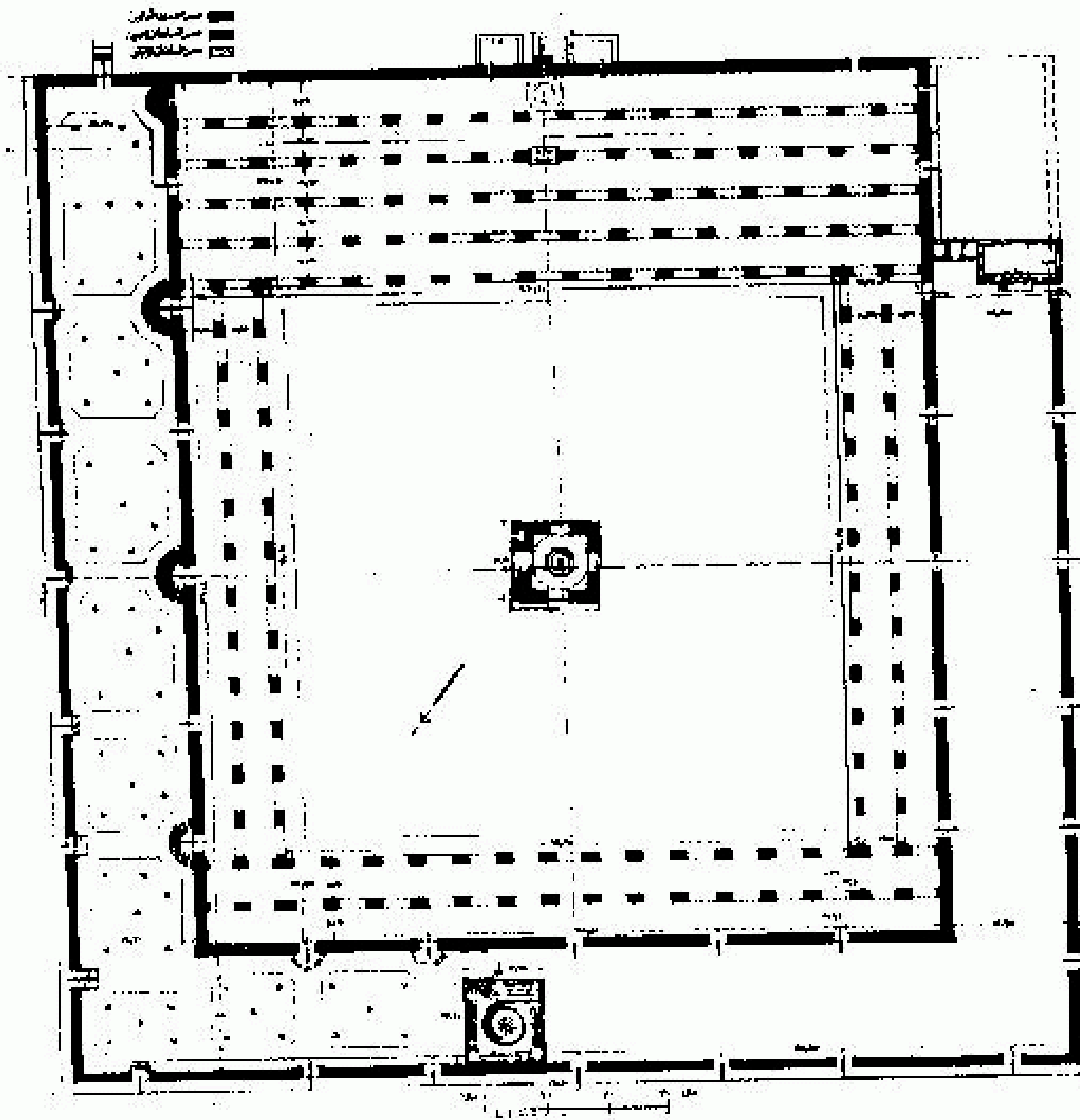
---

a-a) النسخ: فأشار أحمد إلى نسيم الخادم، والمثبت من المُسَوَّدَة. b-b) النسخ: فنظر أحمد إلى نسيم، والمثبت من المُسَوَّدَة. c-c) النسخ: ورأى أحمد بن طولون الصناع يبنون في الجامع عند العشاء، والمثبت من المُسَوَّدَة. d) بولاق: أولادهم.

---

[1] البلوي: سيرة أحمد بن طولون ١٨٢-١٨٣؛ المقريزي: مسودة الخطط.

[2] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢٣ وفيه أنَّ ذلك في سنة ستٍّ وستين ومائتين. ويُؤكِّد تاريخ الانتهاء من بناء الجامع - الذي يتَّفق مع ما ذكره المقريزي - النَّصُّ التذكاري لإنشاء الجامع الموجود الآن على أحَد دعامات الجامع تجاه القِبْلَة =



مُخَطط جامع ابن طولون (عن اللجنة)

= ونصُّه :

«بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم – الآيات ١٨ سورة التوبة ، و١٠٦ سورة آل عمران ، و٢٩٥ سورة الفتح ، و٢٥٦ سورة البقرة – أَمَرَ الأميرُ أبو العبَّاس أحمد بن طُولُون مَوْلَى أمير المؤمنين أدامَ الله له العِزَّ والكرامة والنِّعْمَة التَّامَّة في الآخِرة والأولى ، ببناء هذا المَسْجِد المبارك المَيْمُون من خالِص ما أفاءَ الله عليه وطَيَّبه لجماعة المسلمين ابْتِغاء رِضْوان الله والدَّار الآخرة وإيثار[ا] لما فيه تسنية الدِّين وأُلْفَة المؤمنين ، ورَغْبَةً في عِمارَة بيوت الله وأداء فَرْضِه وتلاوة كِتابِه ومُداوَمَة ذكره ، إذْ يقول الله تَقَدَّسَ وتعالى – الآيات ٣٦-٣٨ سورة النور – في شهر رَمَضَان من سنة خمسٍ وستين ومائتين – الآيات ١٨٠-١٨٢ سورة الصَّافات . اللَّهم صَلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ وارْحَم محمدًا وآل محمدٍ ، وبارِكْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كأفْضَلِ ما صَلَّيْت وتَرَحَّمْت وبارَكْت على إبراهيم ... وعلى آل إبراهيم وأنعم ، إنَّك حميدٌ مجيد» .

كان أوَّلُ من نَشَرَ هذه الكتابة ج. مارسيل في كتاب «وصف مصر» Marcel, J.J., «Inscriptions, monnaies et médailles», *Description de l'Égypte*, État moderne planches t. II (Paris 1817), pl. f et g؛ وانظر كذلك van Berhem, M., *CIA* Égypte I, n° 10; Salmon, G., *Etudes sur la topographie du Caire*, p. 22؛ محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولوني ٢٢-٢٤؛ Wiet, G., *CIA* Egypte II, pp. 73-81; id., *RCEA* II, n°682؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٤٠-٤١؛ Grohmann, A., «Die Bauinschrift der Moschee des Ahmad Ibn Tûlûn (265/879)», in *Studies in Islamic Arts and Architecture in Honour of Professor K.A.C. Creswell*, Cairo AUC 1965, pp. 84, 94.

ويُقالُ إنَّ أحمد بن طُولُون رأى في مَنامِه كأنَّ الله تعالى قد تجَلَّى ووَقَعَ نُورُه على المَدينَة التي حَوْل الجَامِع، إلَّا الجَامِع فإنَّه لم يَقَعْ عليه من النُّورِ شيءٌ. فتألَّم وقال: والله ما بَنَيْتُه إلَّا لله خالِصًا ومن المالِ الحَلال الذي لا شُبْهَةَ فيه[١]. فقال له مُعَبِّرٌ حاذِقٌ: هذا الجَامِعُ يَبْقَى ويَخْرَبُ كلُّ ما حَوْله، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الآية ١٤٣ سورة الأعراف]، فكلُّ شيءٍ يَقَعُ عليه جَلالُ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ لا يَثْبُت. وقد صَحَّ تَعْبِيرُ هذه الرُّؤْيا[a]، فإنَّ جميعَ ما حَوْلَ الجَامِع خَرِبَ دَهْرًا طَويلًا ـ كما تقدَّم في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب ـ وبقي الجَامِعُ عامِرًا، ثم عادَت العِمارَةُ لما حَوْله كما هي الآن.

وقال القُضَاعِي: وذَكَرَ أنَّ السَّبَبَ في بِنائِه أنَّ أهْلَ مصر شَكَوا إليه ضِيقَ الجامِع يوم الجُمُعَة بجُنْدِه وسُودانِه، فأَمَرَ بإنْشاء المَسْجِد الجامِع بجَبَلِ يَشْكُر بن جُدَيْلَة من لَخْم. فابتدأ بُنْيانَه في سنة ثلاثٍ وستين ومائتين، وفَرَغَ منه سنة خمسٍ وستين ومائتين[b]؛ [c]وقيل إنَّه بَنَاهُ في صَفَر سنة تسعٍ وخمسين[c][٢]!

وقيل إنَّ أحمد بن طُولُون قال: أُريدُ أن أَبْني بناءً إن احْتَرَقَت مصرُ بَقِيَ، وإن غَرِقَت بَقِيَ. فقيل له: يُبْنَى بالجير والرَّماد والآجُرّ الأحْمَر القَوي النَّار إلى السَّقْف، ولا يُجْعَل فيه أساطِين رُخام، فإنَّه لا صَبْرَ لها على النَّار. فبَنَاهُ هذا البِناء وعَمِلَ في مُؤَخَّره مَيْضَأةً، وخِزانَةَ شَرابٍ فيها جَميعُ الشَّرابات والأدْوية وعليها خَدَمٌ، وفيها طَبيبٌ جالِسٌ يوم الجُمُعَة لحادِثٍ يَحْدُث للحاضِرين للصَّلاة. وبَناهُ على بِناءِ جَامِعِ سامَرَّا، وكذلك المنارَة، وعَلَّق فيه سَلاسِل النُّحاس المُفَرَّغَة والقَناديل المحكمة، وفَرَشَه بالحُصْرِ العَبَدانية والسَّامانية[٣].

حَديثُ الكَنْز

قال جَامِعُ «السِّيرة»: لمَّا وَرَدَ على أحمد بن طُولُون كِتابُ المُعْتَمِد بما اسْتَدْعاه من رَدِّ الخَراج بمصر إليه، وزادَه المُعْتَمِدُ ـ مع ما طَلَبَ ـ الثُّغورَ الشَّامِيَّة، رَغِبَ بنفسه عن أدْناسِ المعاوِن[d] ومَرافِقِها، فأمَرَ بتَرْكِها وكَتَبَ بإسْقاطِها في سَائِر

a) المسودة: تفسير هذا المنام. b) النسخ والمسودة: سنة ستٍّ وستين ومائتين، والتاريخ الصَّواب هو الوارد في النَّصّ والذي جاء أيضًا في طبعة بولاق. c-c) إضافة من المسودة. d) بولاق: عن المعادن، والمثبت من النسخ والمسودة.

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٧٦؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٥: ٢٨٥.

[٢] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢٢؛ المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ٧٣و ـ ظ.

[٣] نفسه ٤: ١٢٢ - ١٣٢، وبدأ الخبر بالعبارة التالية: «نَقَلْتُ من خَطِّ الحافظ جمال الدّين اليَغْموري ...».

الأعْمال ، ومَنَعَ المتقبّلين من الفَسْخ على المزارعين ، وحَظَرَ[a] الارْتِفاق على العُمّال . وكان قَبْل إسْقاطِ المَرافِق بمصر قد شاوَرَ عبد الله بن دَشُّومَة[1] في ذلك - وهو يومئذٍ أمينٌ على أبي أيّوب مُتَولّي الخَراج - فقال : إن أمّنَني الأميرُ تكلّمت بما عندي . فقال له : قد أمَّنَكَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ . فقال : أيُّها الأمير إنَّ الدُّنْيا والآخِرَة ضُرّتان ، والحازِمُ من لم يَخْلِط إحْداهُما مع الأخرى ، والمُفَرِّط من خَلَطَ بينهما فتَتْلَف أعْمالُه ويَبْطُل سَعْيُه . وأفْعالُ الأمير - أيَّدَهُ الله - الخَيْر ، وتَوَكُّلُه توكّل الزُّهّاد ، وليس مثله/ [٢] من رَكِبَ خِطَّة لم يُحْكِمْها . ولو كنّا نَثِقُ بالنَّصْر دائمًا طُول العُمْر لما كان شيءٌ عندنا آثَر من التَّضْييق على أنْفُسِنا في العاجِل بعِمارَة الآجِل ، ولكن الإنسانَ قَصيرُ العُمْر كثيرُ المصائِب ، مَدْفُوعٌ إلى الآفات . وتَرْكُ الإنْسانُ ما قد أمْكَنَه وصارَ في يَدِه تَضْييع ، ولعلَّ الذي حَماه نفسه يكون سَعادَةً لمن يأتي من بعده ، فيعود ذلك تَوْسِعَةً لغيره بما حُرِمَه هو . ويَجْتَمِعُ للأمير - أيَّدَه الله - بما قد عَزَمَ على إسْقاطِه من المَرافِق في السَّنَة بمصر دون غيرها مائة ألف دينار ، وإنْ فَسَخَ ضِياع الأُمَراء والمُتَقَبِّلين في هذه السَّنَة ، لأنّها سنة ظَمَأ تُوجِب الفَسْخ ، زادَ مالُ البَلَد ، وتوفَّر توفُّرًا عَظيمًا يَنْضافُ إلى مال المَرافِق ، فيضبط به الأمير - أيَّدَه الله - أمْرَ دُنْياه . وهذه طَرِيقَةُ أُمُور الدُّنْيا وإحْكام أمُور الرِّئاسَة والسِّياسَة ، وكلّ ما عَدَلَ الأمير - أيَّدَه الله - إليه من أمْرٍ غير هذا فهو مُفْسِدٌ لدُنْياه . وهذا رأيي ، والأمير - أيَّدَه الله - على ما عَساه يَراه .

فقال له : نَنْظُرُ في هذا إن شاء الله . وشَغَلَ قَلبَه كلامُه ، فباتَ تلك الليلةَ بعد أن مَضَى أكثر اللَّيْلِ يُفكِّر في كلامِ ابن دَشُّومَة ، فرأى في مَنامِه رَجُلًا من إخْوانِه الزُّهّاد بطَرَسُوس وهو يقول له : بِئْسَ[b] ما أشارَ به عليك مَن اسْتَشَرْتَه في أمْرِ الارْتِفاق والفَسْخ برأي تُحْمَد عاقِبَتُه فلا تَقْبَلْه ، ومن تَرَكَ شيئًا لله - عَزَّ وجَلَّ - عَوَّضَه الله عنه ، فأمْضِ ما كنت عَزَمْت عليه[2] .

فلمّا أصْبَحَ أنْفَذَ الكُتُبَ إلى سائِر الأعْمال بذلك ، وتقدَّم به في سائِر الدَّواوين بإمْضائِه ، ودَعَا بابن دَشُّومَة فعرَّفَه بذلك . فقال له : قد أشارَ عليك رَجُلان ، الواحِدُ في اليَقْظَة والآخَرُ مَيِّتٌ في

a) بولاق : وخطر . b) بولاق : ليس .

[1] لم تذكر المصادر من اسم عبد الله بن دشُّومَة سوى هذا القدر (المقريزي : المقفى الكبير ٤: ٣٩٨-٤٠٠) .

[2] البلوي : سيرة أحمد بن طولون ٧٣- ٧٤؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٧٧- ٧٨؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤: ٣٩٨- ٣٩٩؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ٩-١٠ (عن خطط ابن عبد الظاهر) ، وقارن مع ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب (قسم مصر) ٨٥- ٨٦.

النَّوْم ، وأنت إلى الحَيِّ أقْرَبُ وبضَمانِه أوْثَق . فقال : دَعْنا من هذا ، فلَسْتُ أَقْبَلُ منك ! ورَكِبَ في غَدِ ذلك اليوم إلى نحو الصَّعيد . فلما أَمْعَنَ في الصَّحْرَاءِ ساخَت في الأرض يدُ فَرَسِ بعض غِلْمانِه - وهو رَمْل - فسَقَطَ الغُلامُ في الرَّمْلِ ، فإذا بفَتْقٍ ، ففُتِحَ فأصيبَ فيه من المالِ ما كان مِقْدارُه ألف ألف دينار ، وهو المَطْلَبُ[a] الذي شاعَ خَبَرُه . وكَتَبَ به إلى العِراق أحمد بن طُولُون يُخْبر المُعْتَمِد به ، ويَسْتَأْذِنه فيما يَصْرفه فيه من وُجُوهِ البِرِّ وغيرها ، فبَنَى منه المارِسْتان . ثم أصابَ بعده في الجبَلِ مالًا عَظيمًا ، فبَنَى منه الجامِع ، ووَقَفَ جَميعَ ما بقي من المال في الصَّدَقاتِ . وكانت صَدَقاتُه ومعروفُه لا تُحْصَى كثرةً .

ولمَّا انْصَرَفَ من الصَّحْراءِ ، وحَمَلَ المال ، أحْضَرَ ابن دَشُّومَة وأراهُ المالَ ، وقال له : بِئْسَ الصَّاحِب والمُسْتشار أنت ! هذا أوّل بَرَكَة مشورة المَيِّت في النَّوْم ، ولولا أنَّني أمَّنْتُك لَضَرَبْتُ عُنُقَك . وتَغَيَّرَ عليه وسَقَطَ مَحَلُّه عنده . ورُفِعَ إليه بعد ذلك أنَّه قد أجْحَفَ بالنَّاسِ ، وأَلْزَمَهُم أَشْياءَ ضَجُّوا منها . فقَبَضَ عليه وأَخَذَ مالَه وحَبَسَه ، فماتَ في حَبْسه[1] .

وكان ابن دَشُّومَة واسِعَ الحيلَة بَخِيل الكَفّ ، زَاهِدًا في شُكْرِ الشَّاكرين ، لا يهشّ إلى شيءٍ من أعْمالِ البِرّ . وكان أحمدُ بن طُولُون من أهْلِ القُرْآن ، إذا جَرَت منه إساءَة اسْتَغْفَرَ وتضرَّع[2] .

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر : سَمِعْتُ غيرَ واحِدٍ يقول : إنَّه لمَّا فَرَغَ أحمدُ بن طُولُون من بِناء هذا الجامِع ، أسَرَّ للنَّاسِ بسَماعِ ما يقوله النَّاسُ فيه من العُيُوب . فقال رَجُلٌ : مِحْرابُه صَغير ، وقال آخَرُ : ما فيه عَمُود ، وقال آخَر : ليست له مَيْضَأة . فجَمَعَ النَّاسَ وقال : أمَّا المِحْرابُ فإنِّي رأيت رَسُولَ الله ﷺ وقد خَطَّه لي ، فأصبحت فرأيت النَّمْلَ قد أطافَت بالمكانِ الذي خَطَّه لي[3] . وأمَّا العُمُدُ فإنِّي بَنَيْتُ هذا الجامِع من مالٍ حَلالٍ وهو الكَنْز ، وما كنت لأشوبَه بغيرِه ، وهذه العُمُدُ إمَّا أن تكون من مَسْجِدٍ أو كَنيسَةٍ فنزَّهْته عنها . وأمَّا المَيْضَأةُ فإنِّي نَظَرْتُ

---

a) بولاق : الكنز .

---

[1] البلوي : سيرة أحمد بن طولون ٧٣-٧٧؛ ابن سعيد : المغرب ٨٥-٨٦ (عن ابن الدَّاية) ؛ ابن أَيْبَك : كنز الدرر ٥ : ٢٧١؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٧٨؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ٢٤٧؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ١٦٢-١٦٣.

[2] المقريزي : مُسَوَّدَة الخطط ٧٣ظ - ٧٥و.

[3] فيما تقدم ٣٨؛ وقارن الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٢٠٣-٢٠٤.

فوَجَدْت ما يكون بها من النَّجاسات فطَهَّرته منها، وها أنا أبنيها خَلْفَه. ثم أَمَرَ بِبنائِها[١].

وقيل: إنَّه لمَّا فَرَغَ من بِنائِه رَأَى في مَنامِه كأنَّ نارًا نَزَلَت من السَّمَاء فأخَذَت الجامِعَ دون ما حَوْلَه. فلمَّا أَصْبَحَ قَصَّ رُؤْياه فقيل له: أَبْشِر بقَبُول الجامِع، لأنَّ النَّارَ كانت في الزَّمانِ الماضي إذا قَبِلَ الله قُرْبانًا نَزَلَت نارٌ من السَّماء أَخَذَته، ودَليلُه قِصَّة قابيل وهابيل.

قالَ: ورأيتُ من يقول إنَّه عَمِلَ به مِنْطَقَةٌ من عَنْبر طائِفَةa) بجَميعه. ولم أَرَ مُصَنِّفًا ذكره، إلَّا أنَّه مُسْتَفاضٌ من الأفْواهِ والنَّقَلَة[٢]. وسَمِعتُ من يقول: إنَّ حَوْلَه عُمِّرَ حتى كانت خَلْفَه مَسْطَبَةٌ ذِراعٌ في ذراع: أُجْرَتُها في كلِّ يوم اثنا عشر دِرْهَمًا في بكرة النَّهارِ لشَخْصٍ يبيع الغَزْل ويَشْتَريه، والظُّهْر لخَبَّازٍ، والعَصْر لشَخْصٍb) يَبيعُ الحِمَّص والفُول[٣].

وقيل عن أحمد بن طُولُون: إنَّه كان لا يَعْبَث بشيءٍ قَطّ، فاتَّفَق أنَّه أَخَذَ دَرْجا أبيض بيده وأخرجه ومدَّه، واستيقظ لنفسه وعَلِمَ أنَّه قد فُطِنَ به، وأُخِذَ عليه لكونه لم تكن تلك عادَتَه. فطَلَبَ المِعْمار على الجَامِع، وقال: تُبْنَى المنارَة التي للتأذين هكذا؛ فبُنِيَت على تلك الصُّورَة[٤].

والعامَّةُ يقولون: إنَّ العُشارِيّ الذي على المنارَة المذكورة يدور مع الشَّمْس. وليس صَحيحًا، وإنَّما يدور مع دَوَران الرِّياح. وكان الملكُ الكامِلُ قد اعْتَنَى بوَقُودِها ليلة النِّصْف من شَعْبان ثم أبْطَلَها[٥].

---

a) بولاق: دائرة. b) بولاق: لشيخ.

---

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٧٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٤٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٠-١١.

[٢] نفسه ٧٩، ٨٠.

[٣] نفسه ٨٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١١.

[٤] المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ٧٥و.

وانظر حَوْل أصْلِ مِئْذَنَة جَامع ابن طُولُون وطِرازها الذي يُشْبه كثيرًا مآذِن جَوامِع مَدينة سامَرًّا بالعراق وجَامع أبي دُلَف شمال هذه المدينة، والتي جُدِّدَت أثناء عملية تَجْديد الجَامِع التي قامَ بها السُّلْطانُ المملوكي المنْصور حُسام الدِّين لاجين سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، فريد شافعي: «مئذنة جامع ابن طُولُون، رأيٌ في تكوينها المعماري»، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٤ (١٩٥٢)، ١٦٧-١٧٤؛ نفسه: العمارة العربية في مصر الإسلامية ٤٧٩-٤٨٥؛ السيد عبد العزيز سالم: المآذن المصرية، الإسكندرية ١٩٨٢، ١٥-١٦؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، ١١٧-١١٩؛ Wiet, G., *CIA* Égypte II, pp. 74-75; Creswell, K.A.C., *EMA* II, pp. 350-55; Muhammad, R., «The Minaret of Ibn Tûlûn», *Sumer* XXIII (1967), pp. 83-96.

[٥] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨٠.

وقال المُسَبِّحِيُّ: إنَّ الحاكِمَ أنْزَلَ إلى جَامِع ابن طُولُون ثمان مائة مُصْحَف وأربعة عشر مُصْحَفًا.

وفي سنة ستٍّ وسبعين وثلاث مائةٍ، في لَيْلَةِ الخميس لعشر خَلَوْن من جُمادَى الأولى، احْتَرَقَت الفَوَّارَةُ التي كانت بجَامِع ابن طُولُون فلم يَبْقَ منها شيءٌ. وكانت في وَسَطِ صَحْنِه قُبَّةٌ مُشَبَّكَة من جَميع جَوانِبها وهي مُذَهَّبَة، على عشر عُمُد رُخَام، / وستة عشر عَمُود رُخَام في جَوانبها، مفروشة كلُّها بالرُّخام. وتحت القُبَّة قَصْعَةُ رُخامٍ فُسْحَتُها أربعة أذرع، في وَسَطِها فَوَّارَةٌ تَفُور بالماء، وفي وَسَطِها قُبَّةٌ مزوَّقة يُؤَذَّن فيها وفي أخرى على سُلَّمِها، وفي السَّطْحِ علاماتُ الزَّوال، والسَّطْحُ بدَرابْزين ساج فاحْتَرَقَ جَميعُ هذا في ساعَةٍ واحِدَةٍ.

وفي المحرَّم سنة خمسٍ وثمانين وثلاث مائةٍ، أَمَرَ العَزيزُ بالله بن المُعِزّ ببناءِ فَوَّارَة عِوَضًا عن التي احْتَرَقَت. فعَمِلَ ذلك على يدِ راشِد الحَنَفي، وتَوَلَّى عِمارَتَها ابنُ الرُّومِيَّة وابنُ البَنَّاء. وماتَتْ أمُّ العَزيز في سَلْخِ ذي القعدة من السَّنَة. والله أعْلَم.

تَجْدِيدُ الجَامِع

وكان من خَبَرِ جَامِع ابن طُولُون أنَّه لمَّا كان غَلاءُ مصر في زَمانِ المُسْتَنْصِر، وخَرِبَتِ القَطائِعُ والعَسْكَرُ، عُدِمَ السَّاكِنُ هناك، وصارَ ما حَوْلَ الجَامِع خَرابًا [1]. وتَوالَت الأيَّامُ على ذلك، وتَشَعَّثَ الجَامِعُ، وخَرِبَ أكثرُه، وصارَ أخيرًا يَنْزِلُ فيه المَغارِبَةُ بأباعِرِها ومَتاعِها عندما تَمُرُّ بمصر أيَّام الحَجِّ [2].

---

[1] لم يُشِر المَقريزي إلى أعمالِ الصِّيانَة والتَّرميم التي قامَ بها في الجَامِع الخُلفاءُ الفاطِميون المتأخِّرون ووُزَراؤهم، حيث أصْلَحَ أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجمالي البابَ الشّمالي الشَّرقي لسُور الجامِع الخارجي في صفر سنة ٤٧٠هـ/ سبتمبر سنة ١٠٧٧م كما تَدُلُّ على ذلك الكتابةُ الموجودة بأعلى الباب (van Berchem M., *CIA* Égypte I, n°11; Salmon, G., *op.cit.*, p. 25؛ محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولوني ٨٩؛ Wiet, G., *CIA* Égypte II, pp. 151-52; id., *RCEA* VII, n°2716). وأنشأ وَلَدُه الوَزيرُ الأفْضَلُ شاهِنْشاه مِحْرابًا جَديدًا للجامِع في سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، ما زال يُوجَد على أحَدِ دَعائِم بَيْتِ الصَّلاة إلى الآن. (van Berchem, M., *op.cit.*, I, °12; Wiet., G., *RCEA* VIII, n°2806; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 460-62)؛ كما نَفَّذَ القاضي أبو الثُّرَيّا نَجْم بن جَعْفَر بعض الأعمال في الجَامِع باسم الخَليفَة الحافِظ لدين الله يَدُلُّ عليها شَريطٌ من الكتابة بالخَطِّ الكوفي في إطارٍ خشبي يُفيدُ أنَّها تَمَّت في شَوَّال سنة ٥٢٦هـ/ يناير ١١٣٢م. (van Berchem, M., *op.cit.*, I, p. 35 n°13; Wiet, G., *CIA* II, p. 181 n°566, id., *RCEA* VIII, n° 3048؛ محمود عكوش: المرجع السابق ٩٠).

[2] ابن جبير: الرحلة ٢٦- ٢٧، وفيه: «جَعَلَه السُّلْطانُ - يعني النَّاصِر صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب - مأوًى للغُرَباءِ من المغاربة يسكنونه ويُحَلِّقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاقَ في كلِّ شهر».

فهيَّأ الله ـ جَلَّ جَلالُه ـ لعِمارَة هذا الجَامِع أن كان بين الملك الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون وبين الأمير بَيْدَرا[a] أُمورٌ مُوحِشَة تَزايَدَت وتأَكَّدت . إلى أن جَمَعَ بَيْدَرا[a] من يَثِق به ، وقُتِلَ الأَشْرَفُ بناحِيَة تَرُّوجَة في سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائةٍ ـ كما سيأتي ذكره إن شاءَ الله تعالى عند ذِكْرِ مَدْرَسَتِه ـ وكان ممَّن وافَق الأمير بَيْدَرا على قَتْلِ الأَشْرف الأميرُ حُسامُ الدِّين لاجِين المَنْصوري والأميرُ قَراسُنْقُر .

فلمَّا قُتِلَ بَيْدَرا[a] في مُحارَبَة مَماليك الأَشْرَف له ، فَرَّ لاجين وقَراسُنْقُر من المعركة ، فاخْتَفَى لاجين بالجَامِع الطُّولُوني وقَراسُنْقُر في دارِه بالقاهِرَة . وصارَ لاجين يتردَّد بمفرده من غير أَحَدٍ معه في الجَامِع ـ وهو حينئذٍ خَرابٌ لا ساكِنَ فيه ـ وأَعْطَى الله عَهْدًا إنْ سَلَّمَه الله من هذه المِحْنَة ومَكَّنَه من الأَرْضِ ، أن يُجَدِّدَ عِمارَةَ هذا الجَامِع ويجعل له ما يَقُومُ به .

ثم إنَّه خَرَجَ منه في خُفْيَةٍ إلى القَرافَة ، فأقامَ بها مُدَّةً ورَاسَلَ قَراسُنْقُر ، فتَحَيَّل في لِحاقِه به ؛ وعَمِلا أَعْمالًا إلى أن اجْتَمَعا بالأمير زَيْن الدِّين كَتْبُغا المَنْصُوري ـ وهو إذ ذاك نائِبُ السَّلْطَنَة في أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، والقائِمُ بأُمُورِ الدَّوْلَة كلِّها ـ فأَحْضَرَهُما إلى مَجْلِسِ السُّلْطانِ بقَلْعَةِ الجَبَلِ ، بعد أن أَتْقَنَ أَمْرَهُما مع الأُمَراءِ ومَماليكِ السُّلْطان ، فخَلَعَ عليهما ، وصارَ كلٌّ منهما إلى دَارِه وهو آمِنٌ . فلم تَطُل أيَّامُ الملك النَّاصِر في هذه الوِلاية حتى خَلَعَه الأميرُ كَتْبُغا ، وجَلَسَ على تَخْتِ المُلْك ، وتلقَّب بالملك العادِل ، فجَعَلَ لاجين نائِبَ السَّلْطَنَة بديار مصر .

وجَرَت أُمُورٌ اقْتَضَت قِيامَ لاجين على كَتْبُغا وهم بِطَريقِ الشَّام ، ففَرَّ كَتْبُغا إلى دِمَشْق ، واسْتَوْلَى لاجينُ على دَسْتِ المملكة ، وصارَ إلى مصر وَجَلَسَ على سَرِيرِ المُلْك بقَلْعَةِ الجَبَلِ ، وتَلَقَّبَ بالملك المَنْصور في المحرَّم من سنة ستٍّ وتسعين وستّ مائةٍ . فأقامَ قَراسُنْقُر في نِيابَةِ السَّلْطَنَة بديار مصر ، وأَخْرَجَ النَّاصِرَ محمد بن قَلاوون من قَلْعَةِ الجَبَلِ إلى كَرَك الشَّوْبَك فجَعَلَه في قَلْعَتِها . وأعانَه أَهْلُ الشَّام على كَتْبُغا حتى قَبَضَ عليه ، وجَعَلَه نائِبَ حَماة ، فأقامَ بها مُدَّةَ سنين بعد سَلْطَنَة مصر والشَّام .

وخَلَعَ على الأَمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الدَّواداري ، وأقامَه في نِيابَةِ دارِ العَدْل ، وجَعَلَ إليه شِراءَ الأَوْقافِ على الجَامِع الطُّولُوني ، وصَرَفَ إليه كلَّ ما يَحْتاجُ إليه في العِمارَة ، وأَكَّدَ عليه في أَلَّا يُسَخِّر فيه فاعِلًا ولا صَانِعًا ، وأَلَّا يُقيمَ مُسْتَحِثًّا للصُّنَّاع ، ولا يَشْتَري لعِمارَتِه شيئًا ممَّا يُحتاجُ إليه

---

a) بولاق : بيدر .

من سَائِر الأصْنافِ إلّا بالقيمة التّامّة، وأن يكون ما يُنْفَقُ على ذلك من مالِه. وأَشْهَدَ عليه بوَكالته. فابْتاعَ مُنْيَة أَنْدونَة من أراضي الجيزَة ـ وعُرِفَت هذه القَرْيَة بأَنْدونَة كاتِب بمصر كان نَصْرانِيًّا في زَمَنِ أحمد بن طُولُون، ومِمَّن نَكَبَه وأَخَذَ منه خمسين ألف دينار[1] ـ واشْتَرَى أيضًا ساحَةً بجوار جَامِعِ أحمد بن طُولُون ـ مِمَّا كان في القَديمِ عامِرًا ثم خَرِبَ ـ وحَكَرَها. وعَمَّرَ الجامِعَ، وأزالَ كلَّ ما كان فيه من تَخْريب، وبَلَّطَه وبَيَّضَه ورَتَّبَ فيه دُرُوسًا لإلْقاءِ الفِقْه على المذاهِب الأربعة التي عَمَلُ أَهْلِ مصر عليها الآن، ودَرْسًا يُلْقَى فيه تَفْسيرُ القُرْآن الكريم، ودَرْسًا لحَديثِ النَّبيّ ﷺ، ودَرْسًا للطِّبّ. وقَرَّر للخطيب مَعْلومًا، وجَعَلَ له إمامًا راتِبًا ومؤذِّنين وفَرَّاشين وقَوَمَة، وعَمِلَ بجوارِه مَكْتَبًا لإقْراءِ أيْتامِ المسلمين كِتاب الله عَزَّ وجَلَّ، وغير ذلك من أنْواع القُرُباتِ ووُجوه البِرّ. فبَلَغَت النَّفَقَةُ على عِمارَة الجَامِع وثَمَن مستغلّاته عشرين ألف دينار[2].

فلمَّا شاءَ الله سبحانه أن يَهْلِكَ لاجين، زَيَّنَ له سُوءُ عَمَلِه عَزْلَ الأمير قراسُنْقُر من نِيابَة السَّلْطَنَة، فعَزَلَه، ووَلَّى مَمْلوكه مَنْكُوتَمُر ـ وكان عَسُوفًا عَجُولًا حادًّا، ولاجين مع ذلك يَرْكَن إليه، ويُعَوِّل في جَميعِ أُمُورِه عليه، ولا يُخالِفُ قَوْلَه ولا يَنْقُضُ فعله ـ فشرع مَنْكُوتَمُر في تأخيرِ

---

[1] انظر فيما تقدم ١: ٥٦٥.

[2] عاصَرَ عملية تَجْديد الجَامِع وإعادَة تَعْميره التي قامَ بها السُّلْطانُ المَنْصُور لاجين، الرَّحّالَةُ المغربي القاسِمُ بن يُوسُف التُّجيبي السَّبْتي، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، الذي زارَ مصر في سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م أثناء عملية التجديد وأشار إليها في رحلته المُسَمّاة «مُسْتَفاد الرِّحْلة والاغْتِراب»، تحقيق عبد الحفيظ منصور، تونس – الدار العربية للكتاب ١٩٧٥، ٧؛ وانظر كذلك، النويري: نهاية الأرب ٣١: ٣٢١–٣٢٢؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٣١٥؛ المقريزي: السلوك ٢: ٨٢٧–٨٢٨؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٢٧٩، ٣٥٩–٣٦٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ١٠٦–١٠٧.

وانظر وَصْفًا لعمارة السُّلْطان حُسَام الدِّين لاجين في الجَامِع الطُّولُوني في الوَثيقَة رقم ١٧، ١٨ محفظة ٣ مجموعة المحكمة الشَّرْعِيّة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، التي أَوْرَدَ مقتطفات منها عبد اللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة الآثار «العصر المملوكي»، ٢٧٨–٢٧٩. وراجع كذلك Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 223-29.

ومِمَّا تَخَلَّفَ من هذه العمارة قطعةٌ من الخَشَبِ طولها ١,٤٠ مترًا مكتوبٌ عليها سطران بقلم نسخ مملوكي متوسط، نَصُّها:

«أَمَرَ بتَجْديد هذا الجَامِع مَوْلانا السُّلْطان الملك المَنْصُور حُسَام الدُّنْيا والدِّين لاجين» (van Berchem, M., *CIA.*, I n° 567-68; id., *RCEA* XIII, n° 5025-26؛ محمود عكوش: المرجع السابق ٨٦، ٩٢–٩٩). وأُثْبِتَ تاريخ الانتهاء من هذه الأعمال على أَرْبَع حَشْوات كانت على المِنْبَر الذي عمله المَنْصور لاجين، وهي موجودة الآن بمتحف فكتوريا وألبرت في لندن، ونصُّه:

«أَمَرَ بعَمَلِ هذا المِنْبَر المبارَك مَوْلانا السُّلْطانُ الملكُ المَنْصُور حُسَامُ الدُّنْيا والدِّين لاجين المَنْصُوري، وذلك في العاشر من صَفَر من شهور سنة سِتٍّ وتسعين وستّ مائة أَحْسَنَ الله عاقبتها». (Wiet, G., *CIA* Egypte II, n° 568; id., *RCEA* XIII n° 5020؛ محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولوني ٩٥–٩٧).

أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ من الصَّالحية والمَنْصورية ، وأَعْجَلَ في إظْهارِ التَّهَجُّم لهم ، والإعْلانِ بما يُريدُه من القَبْضِ عليهم وإقامَة أُمَرَاءَ غيرهم . فتوَحَّشَت القُلُوبُ منه ، وتمالأت على بُغْضِه ، ومَشَى القَوْمُ بَعْضُهم إلى بَعْض ، وكاتَبوا إخْوانَهم من أَهْلِ البلاد الشَّامية حتى تَمَّ لهم ما يُريدون . فواعَد جَماعَةٌ منهم إخْوانَهم على قَتْلِ السُّلْطان لاجين ونائِبِه مَنْكُوتَمُر ، فما هو إلَّا أن صَلَّى السُّلْطانُ العِشَاء الآخرة من ليلة الجمعة العاشر من شهر رَبيع الأوَّل سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائةٍ ، وإذا بالأمير كُرْجي ـ وكان ٢٦ مِمَّن هو قائِمٌ / بين يده ـ تقدَّم ليُصْلِحَ الشَّمْعَة ، فضَرَبَه بسَيْفٍ قد أَخْفاه معه أطارَ به زِنْدَه ، وانْقَضَّ عليه البقيَّةُ مِمَّن واعَدوهم بالسُّيوفِ والخَنَاجِرِ ، فقَطَّعوه قِطَعًا وهو يقول : الله الله .

وخَرَجُوا من فَوْرِهم إلى بابِ القُلَّة من قَلْعَةِ الجَبَلِ ، فإذا بالأمير طُغْج قد جَلَسَ في انْتِظارِهم ومعه عِدَّةٌ من الأُمَرَاء ـ وكانوا إذْ ذاك يَبِيتُون بالقَلْعَةِ دائمًا ـ فأُمِروا بإحْضار مَنْكُوتَمُر من دارِ النِّيابَة بالقَلْعَةِ ، وقَتَلوه بعد مُضيِّ نصف سَاعَة من قَتْلِ أسْتاذِه الملك المَنْصور حُسَام الدِّين لاجين المَنْصُوري ، رحمه الله ، فلقد كان مَشْكُور السِّيرَة[1] .

وفي سنة سبعٍ وستين وسبع مائةٍ جَدَّدَ الأميرُ يَلْبُغا العُمَري الخاصَّكي دَرْسًا بجَامِع ابن طُولُون فيه سبعة مُدَرِّسين للحَنَفِيَّة ، وقَرَّر لكلِّ فَقِيهٍ من الطَّلَبَة في الشهر أربعين درهمًا وأرْدَبَّ قَمْح . فانْتَقَلَ جَماعَةٌ من الشَّافِعِيَّة إلى مَذْهَب الحَنَفِيَّة .

وأوَّلُ من وَلِيَ نَظَرَه بعد تَجْديدِه الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الجاوْلي ، وهو إذ ذاك دَوادار السُّلْطان الملك المَنْصور لاجين . ثم وَلِيَ نَظَرَه قاضي القُضَاة بَدْرُ الدِّين محمد بن جَماعَة ، ثم من بعده الأميرُ مَجْليسُ في الأيَّام النَّاصِرية[b] محمد بن قلاوون ، فجَدَّدَ في أوْقافِه طاحُونًا وفُرْنًا وحَوانيت ، فلمَّا ماتَ وَلِيَه قاضي القُضَاة عِزُّ الدِّين بن جَماعَة ، ثم وَلَّاه النَّاصِر للقَاضي كَريم الدِّين الكبير ، فجَدَّدَ فيه مِئْذنتين ؛ فلمَّا نَكَبَهُ السُّلْطان عادَ نَظَرُه إلى قاضي القُضَاة الشَّافِعِي . وما بَرِحَ إلى أيَّام النَّاصِر حَسَن بن محمد بن قَلاوون ، فوَلَّاه للأمير صَرْغَتْمُش ، وتَوَفَّر في مُدَّةِ نَظَرِه من مالِ الوَقْفِ مائة ألف دِرْهَم فِضَّة ، وقُبِضَ عليه وهي حاصِلَة . فباشَرَه قاضي القُضَاة إلى أيَّام الأَشْرَف شَعْبان ابن حُسَيْن ، ففَوَّضَ نَظَرَه إلى الأمير أُلْجَاي اليُوسُفي إلى أن غَرِقَ .

---

a) بولاق : مكين . b) بولاق : أيام الناصر .

---

[1] المقريزي : مُسَوَّدَةُ الخطط ٧٦و .

فتَحدَّثَ فيه قاضي القُضَاةِ الشَّافِعِيّ، إلى أن فَوَّضَ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق نَظَرَه إلى الأمير قُطْلُوبُغا الصَّفَوي[1] في العشرين من جُمادى الآخرة سنة اثنتَيْن وتسعين وسبع مائةٍ. وكان الأميرُ مِنْطاش في[a] مُدَّةِ تحكُّمه في الدَّوْلَة فَوَّضَه إلى المذكور في أواخِر شوَّال سنة إحدى وتسعين وسبع مائة. ثم عادَ نَظَرُه إلى القُضَاة بعد الصَّفَوي، وهو بأَيْديهم إلى اليوم.

وفي سنة اثنتين وتسعين وسبع مائةٍ، جَدَّدَ الرِّواق البَحْري الملاصِق للمِئْذَنَة الحاج عُبَيْد ابن محمد بن عبد الهادي الهُوَيْدي البازْدار مُقَدَّمُ الدَّوْلَة، وجَدَّدَ مِيضأةً بجانِب المِيْضَأة القَديمَة[2]. وكان عُبَيْدٌ هذا بازْدارًا، ثم تَرَقَّى حتى صارَ مُقَدَّم الدَّوْلَة في شهر رَبيع الأوَّل سنة اثنتين وتسعين وسبع مائةٍ، ثم تَرَكَ زِيَّ المقدَّمين وتَزَيَّا بزيِّ الأُمَرَاء، وحازَ نِعْمَةً جَليلَةً وسَعادَةً طائِلَةً، حتى ماتَ يوم السبت رابع عشر صَفَرَ سنة ثلاثٍ وتسعين وسبع مائةٍ[3].

ذِكْرُ دارِ الإمارة

وكان بجوار الجامِع الطُّولُوني دارٌ[4] أنْشَأها الأميرُ أحمدُ ابنُ طُولُون عندما بَنَى الجامِع، وجعَلَها في الجِهَةِ القِبْليَّة، ولها بابٌ من جِدار الجامِع يخرج منه إلى المَقْصُورَة بجوار المِحْراب والمِنْبَر، وجَعَلَ في هذه الدَّار جَميعَ ما يُحْتاجُ إليه من الفَرْش والسُّتُور والآلات. فكان ينزل بها إذا رَاحَ إلى صَلاةِ الجُمُعَة، فإنَّها كانت تِجاه القَصْر والمَيْدان، فيجلس فيها ويُجَدِّدُ وُضُوءَه ويُغَيِّرُ ثِيابَه، وكان يُقالُ لها: «دارُ الإمارَة». وموضعها الآن سُوقُ الجَامِع، حيث البَزَّازين وغيرهم. ولم تَزَلْ هذه الدَّارُ باقيةً إلى أن قَدِمَ الإمامُ المُعِزُّ لدين الله أبو تَميم مَعَدّ من بِلادِ المَغْرِب، فكان يُسْتَخْرَج فيها أَمْوالُ الخَراج.

---

a) في: ساقطة من بولاق.

---

[1] الأمير قُطْلُوبُغا الصَّفَوي، قدِم إلى مصر في رمضان سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م، وأُنْعِمَ عليه بإمْرَة مائة وتَقْدِمَة ألف سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م، ثم اسْتَقَرَّ حاجب الحُجَّاب سنة ٧٩٣هـ وولي ولاية قَلْيُوب في العام نفسه، وتوفي في أوَّل ربيع الآخر سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م. (المقريزي: السلوك ٣:٧١٢).

[2] المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ٧٦ظ، وكتب بخطه على الهامش: «يذكر خَبَرُ الأذان بمصر».

[3] راجع أخبار عُبَيْد البازْدار عند المقريزي: السلوك ٣:٧١٢، ٧٥٧.

[4] انظر عن دار الإمارة الطُّولُونية، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٣:١٥-١٦؛ Salmon, G., *Études sur la topographie du Caire*, pp. 28-34; Fu'âd Sayyid A., *op.cit.*, pp. 54-55.

قال الفَقيهُ الحَسَنُ بن إبراهيم بن زُولاق في كِتاب «سِيرَة المُعِزّ» : ولستٌّ عشرةَ بقيت من المحرَّم - يعني من سنة ثلاثٍ وستين وثلاث مائةٍ - قَلَّدَ المُعِزُّ لدين الله الخَراجَ وجَميعَ وُجوهِ الأعْمالِ والحِسْبَة والسَّواحِلِ والأَعْشار والجَوالي والأحْباس والمَواريث والشُّرطَتَيْنِ ، وجميع ما يَنْضاف إلى ذلك وما يَطْرأ في مصر وسائِرِ الأعْمال ، أبا الفَرَجِ يَعْقُوب بن يُوسُف بن كِلِّس وعُسْلوج ابن الحَسَن ، وكَتَبَ لهما سِجلًّا بذلك قُرِئ يوم الجُمُعَة على مِنْبَرِ جَامِع أحمد بن طُولُون ، وجَلَسا غَد هذا اليوم في دار الإمارَة في جَامِع أحمد بن طُولُون للنِّداء على الضِّياع وسائِرِ وُجوه الأعْمَال [1] .

ثم خَرِبَت هذه الدَّارُ فيما خَرِبَ من القَطائِع والعَسْكَر ، وصَارَ مَوْضِعُها ساحَةً إلى أن حَكَرَها الدُّوَيْداري عند تَجْديدِ عِمارَةِ الجَامِع كما تقدَّم . وقد تَقَدَّم[a] ذِكْرُ بِناءِ القَيْساريَّة في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب عند ذِكْرِ الأَسْواق [2] .

ذِكْرُ الأَذان

بمصر وما كان فيه من الاخْتِلاف[3] . اعْلَم أنَّ أوَّل من أَذَّن لرَسُولِ الله ﷺ بِلالُ بن رَباح ، مَوْلَى أبي بكرٍ الصِّدِّيق - رضي الله عنهما - بالمَدينَة الشَّريفَة وفي الأَسْفَار . وكان ابنُ أمِّ مَكْتوم - واسمه عَمْرو بن قَيْس بن شُرَيْح ، من بني عامِرِ بن لُؤَي ، وقيل اسمه عبد الله وأمّه أمّ مَكْتوم ، واسمها عاتِكَة بنت عبد الله بن عَنْكَثَة من بني مَخْزوم - ربما أَذَّن بالمَدينَة .

وَأَذَّنَ أبو مَحْذورَة ، واسمه أَوْس - وقيل سَمُرَة - ابن مُعَيْر بن لُوذَان بن رَبيعَة بن مُعَيْر بن عُرَيْج ابن سَعْد بن جُمَح . وكان استأْذن رَسُول الله ﷺ في أن يُؤَذِّن مع بِلال ، فأَذِنَ له ، وكان يُؤَذِّن في المَسْجِد الحَرام ، وأقامَ بمَكَّة وماتَ بها ، ولم يأْت المَدينَة .

وقال :/ ابنُ الكَلْبي : كان أبو مَحْذورَة لا يُؤَذِّن لرَسُولِ الله[b] ﷺ بمَكَّة إلَّا في الفَجْرِ ، ولم يُهاجِر وأقامَ بمَكَّة .

---

a) إضافة من المُسَوَّدَة . b) بولاق : للنبي .

---

[1] انظر فيما تقدم ١: ٢٢١، ٣: ١٤- ١٥.

[2] فيما تقدم ٣: ٣٠٢.

[3] يُعَدُّ الفَصْلُ الذي أفْرَدَه المقريزي هنا للحديث عن الأذان وما كان فيه من الاختِلاف ، فَصْلًا مُتَمَيِّزًا غير مَسْبوق ، حيث لا نجد هذه المعلومات حَوْلَ الأذان وتَطَوُّره واختلاف عبارات النِّداء إلى الصَّلاة مجموعةً في مكانٍ واحدٍ كما فَعَلَ المقريزي . (انظر كذلك ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ١: ٢٤٦- ٢٤٨؛ البلاذري : أنساب الأشراف ١: ١٨٧- ١٩٣؛ Junboll, Th. W., EI² art. Adhân I, (pp. 193-94 .

وقال ابنُ جُرَيْج : عَلَّم النَّبِيُّ ﷺ أبا مَحْذورَة الأَذَان بالجِعْرانَة حين قَسَم غَنائِم حُنَيْن ، ثم جَعَلَه مُؤَذِّنًا في المَسْجِد الحَرام .

وقال الشَّعْبِيُّ : أَذَّن لرَسُولِ الله ﷺ بِلالٌ وأبو مَحْذورَة وابنُ أُمِّ مَكْتُوم . وقد جاءَ أنَّ عُثْمانَ ابن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ كان يُؤَذِّن بين يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ عند المِنْبَر .

وقال محمدُ بن سَعْد عن الشَّعْبي : كان لرَسُولِ الله ﷺ ثَلاثَةُ مُؤَذِّنين : بِلالٌ وأبو مَحْذورَة وعَمْرو بن أم مَكْتُوم ؛ فإذا غابَ بِلالٌ أَذَّن أبو مَحْذورة ، وإذا غابَ أبو مَحْذورة أَذَّن ابنُ أم مَكْتوم [1] . قُلْتُ [a]: لعلَّ هذا كان بمَكَّة .

وذَكَرَ ابنُ سَعْد أنَّ بِلالًا أَذَّنَ بعد رَسُولِ الله ﷺ لأبي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ، وأنَّ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ أرادَه أن يؤذِّن له فأَبَى عليه ، فقالَ له : إلى مَنْ تَرَى أن أَجْعَلَ النِّدَاء ؟ فقال : إلى سَعْدِ القَرَظ ، فإنَّه قد أَذَّنَ لرَسُولِ الله ﷺ . فدَعَاه عُمَر ـ رضي الله عنه ـ فجَعَلَ النِّدَاءَ إليه وإلى عَقِبِه من بعده [2] . وقد ذَكَرَ أنَّ سَعْدَ القَرَظ كان يؤذِّن لرَسُول الله ﷺ بقِبَاء .

وذَكَرَ أبو داوُد في «مَراسيله» ، والدَّارَقُطْني في «سُنَنِه» ، قال بُكَيْر بن عبد الله الأَشَجّ : كانت مَساجِدُ المَدِينَة تسعة ، سِوَى مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ ، كلُّهم يُصَلُّون بأذانِ بِلالٍ ـ رضي الله عنه [3] .

وقد كان عند فَتْحِ مصر الأذانُ إنَّما هو بالمَسْجِدِ الجَامِع ، المعروف بجَامِع عَمْرو ، وبه صَلاةُ النَّاسِ بأَسْرهم . وكان من هَدْيِ الصَّحابَة والتَّابِعِين ـ رضي الله عنهم ـ المُحافَظَةُ على الجَماعَةِ ، وتَشْديدُ النَّكير على من تَخَلَّفَ عن صَلاةِ الجُمُعَة [b] .

قال أبو عُمَر الكِنْدِيّ [4] في ذِكْرِ من عُرِّفَ [5] على المُؤَذِّنين بجَامِع عَمْرو بن العَاص بفُسطاط مصر : وكان أَوَّلُ من عُرِّف على المُؤَذِّنين أبو مُسْلِم سَالِم بن عَامِر بن عَبْدٍ المُرادي ـ وهو من أَصْحابِ رَسُول الله ﷺ ، وقد أَذَّن لعُمَر بن الخَطَّاب ـ سارَ إلى مصر مع عَمْرو بن العَاص يؤذِّن

a) في نسخة باريس : قال المُؤَلِّف .   b) بولاق : الجماعة .

[1] ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣: ٢٣٤.

[2] نفسـه ٣: ٢٣٦.

[3] أبو داود : المراسيل ، تحقيق أحمد حسن جابر ، القاهرة - مجلة الأزهر ١٤٠٩هـ ، ١: ٥٠؛ الدارقطني : السُّنَن ، بيروت - عالم الكتب د.ت ، ٢: ٨٥.

[4] في كتاب «أخبار مَسْجِد أَهْل الرَّاية الأَعْظَم» .

[5] عُرِّف أي صَارَ عَرِيفًا .

له حتى افْتُتِحَت مصر ، فأقامَ على الأذان ، وضَمَّ إليه عَمْرو بن العَاص تسعةَ رِجالٍ يُؤَذِّنون هو عَاشِرُهم . وكان الأَذانُ في وَلَدِه حتى انْقَرَضُوا .

قال أبو الخَيْر : حدَّثَني أبو مُسْلم ـ وكان مُؤَذِّنًا لعَمْرو بن العَاص ـ أنَّ الأذانَ كان أوَّلُه «لا إله إلَّا الله» وآخِرُه «لا إله إلَّا الله» ، وكان أبو مُسْلِم يُوصي بذلك حتى مات ، ويقول : هكذا كان الأَذان .

ثم عُرِّفَ عليهم أَخُوه شُرَحْبيل بن عامِر ـ وكانت له صُحْبَة ـ وفي عَرافَتِه زادَ مَسْلَمَةُ بن مَخْلَد في المَسْجِد الجَامِع ، وجَعَلَ له المنارَ ولم يكن قبل ذلك . وكان شُرَحْبيل أوَّلَ من رَقِيَ مَنارَةَ مصر للأذان . وأنَّ مَسْلَمَة بن مَخْلَدٍ اعْتَكَفَ في مَنارَةِ الجَامِع ، فسَمِعَ أصْواتَ النَّواقيس عاليةً بالفُسْطاط ، فدَعَا شُرَحْبيل بن عامِر فأخبره بما ساءَه من ذلك . فقال شُرَحْبيل : فإنِّي أُمَدِّدُ بالأذانِ من نصف اللَّيْل إلى قُرْبِ الفَجْر ، فانْهَهُم أيُّها الأمير أن يَنْقُسُوا إذا أذَّنت . فنَهاهُم مَسْلَمَةُ عن ضَرْبِ النَّواقيس وَقْت الأَذان . ومَدَّدَ شُرَحْبيل ومَطَّطَ أكثر اللَّيْل ، إلى أن ماتَ شُرَحْبيل سنة خمسٍ وستين [1] .

وذُكِرَ عن عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ أنَّه أوَّلُ من رَزَقَ المؤذِّنين . فلمَّا كَثُرَت مَساجِدُ الخُطْبَة ، أَمَرَ مَسْلَمَة بن مَخْلَد الأنْصاري ، في إمارَته على مصر ، ببناء المنار في جَميعِ المساجِد خَلا مَساجِدِ تُجيب وخَوْلان . فكانوا يُؤَذِّنون في الجَامِع أوَّلًا ، فإذا فَرَغُوا أذَّن كلُّ مُؤَذِّنٍ في الفُسْطاطِ في وَقْتٍ واحِدٍ ، فكان لأذانِهم دَوِيٌّ شَديد .

وكان الأَذانُ أوَّلًا بمصر كأذَانِ أهْلِ المَدينة ، وهو : «الله أكبر ، الله أكبر ...» وباقيه كما هو اليوم . فلم يَزَلِ الأَمْرُ بمصر على ذلك في جَامِع عَمْرو بالفُسْطاط ، وفي جَامِع العَسْكَر ، وفي جَامِع أحمد بن طُولُون وبقيَّة المساجِد إلى أن قَدِمَ القائِدُ جَوْهَر [a]من بِلادِ المَغْرِب[a] بجُيوشِ المُعِزّ لدين الله وبَنَى القاهِرَة . فلمَّا كان في يوم الجُمُعَة الثَّامِن من جُمادَى الأُولى سنة تسعٍ وخمسين وثلاث مائةٍ ، صلَّى القائِدُ جَوْهَرٌ الجُمُعَة في جَامِع أحمد بن طُولُون ، وخَطَبَ به عبدُ السَّميع ابن عُمَر العَبَّاسي بقَلَنْسُوة وَشْي[b] وطَيْلَسان وَشْي[c]، وأذَّنَ المؤذِّنون : «حَيَّ على خَيْرِ العَمَلِ» .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : وسبني . c) بولاق : دبسي .

---

[1] انظر كذلك فيما يلي ٨٩.

وهو أوَّلُ ما أُذِّنَ به بمصــر. وصلَّى به عبدُ السميع الجُمُعَة، فقرأ «سُورَة الجُمُعَة» و﴿إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُون﴾ [الآية ١ سورة المنافقون]، وقَنَت في الرَّكْعَةِ الثَّانية، وانْحَطَّ إلى السُّجُودِ ونَسِي الرُّكوع. فصاحَ به عليّ بن الوَليد قاضي عَسْكَر جَوْهَر: بَطَلَتِ الصَّلاةُ، أَعِد ظُهْرًا أَرْبع رَكْعات.

ثم أُذِّن بـ«حَيّ على خَيْرِ العَمَل» في سَائِرِ مَساجِدِ العَسْكَر، إلى حُدُودِ مَسْجِد عبد الله. وأنْكَرَ جَوْهَرٌ على عبد السَّميع أنَّه لم يَقْرَأ «بِسْمِ الله الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ» في كلِّ سُورةٍ، ولا قَرَأها في الخُطْبَة، [a]فصَلَّىٰ به الجُمُعَة الأخرىٰ وفَعَلَ ذلك، وكان عبدُ السَّميع قد دَعَا لجَوْهَرٍ في الجُمُعَة الأولى في الخُطْبَة[a]، فأنْكَرَه جَوْهَرٌ ومَنَعَه من ذلك[1].

ولأرْبَعٍ بقِين من جُمادَىٰ الأولىٰ المذكور، أُذِّنَ في الجَامِع العَتيق بـ«حَيّ على خَيْرِ العَمَل»، وجَهَروا في الجَامِع بالبَسْمَلَة في الصَّلاة. فلم يَزَلِ الأمْرُ على ذلك طُول مُدَّةِ الخُلَفَاء الفاطِميين؛ إلَّا أنَّ الحاكِمَ بأمْرِ الله في سنة أربع مائةٍ، أَمَرَ بجَمْعِ مؤذِّني القَصْر وسَائِر الجَوامِع، وحَضَرَ قاضي القُضَاة مالِكُ بن سَعيدٍ الفارِقي، وقرأ أبو عليّ العَبَّاسي سِجِلًّا فيه الأمْرُ بتَرْكِ «حَيّ على خَيْرِ العَمَل» في الأذَان، وأن يُقالَ في صَلاةِ الصُّبْح[b]: «الصَّلاةُ خَيْرٌ من النَّوْم»، وأن يكون ذلك من / ٢ مُؤَذِّني القَصْر عند قَوْلِهم: «السَّلامُ على أميرِ المؤمنين ورَحْمَة الله». فامْتُثِلَ ذلك. ثم عادَ المؤذِّنون إلى قَوْلِ «حَيّ على خَيْرِ العَمَل» في رَبيعِ الآخر سنة إحدى وأربع مائةٍ. ومَنَعَ في سنة خمسٍ وأربع مائة مؤذِّني جامِع القاهِرَة ومؤذِّني القَصْر من قَوْلِهم بعد الأذَان: «السَّلامُ على أمير المؤمنين»، وأمَرَهُم أن يقولوا بعد الأذَان: «الصَّلاةُ رَحِمَكَ الله»[2].

ولهذا الفِعْلِ أصْلٌ، قال الواقِدِيُّ: كان بِلالٌ ـ رضي الله عنه ـ يقف على باب رَسُولِ الله ﷺ، فيقول: «السَّلامُ عليك يا رَسُولَ الله»، ورُبَّما قال: «السَّلامُ عليك بأبي أنت وأُمِّي يا رَسُولَ الله، حَيّ على الصَّلاة، حَيّ على الصَّلاة، السَّلامُ عليك يا رَسُول الله».

قال البلاذُري، وقال غيره: كان يَقُول: «السَّلامُ عليك يا رَسُولَ الله ورَحْمَةُ الله وبَرَكاتُه، حَيّ على الصَّلاةِ، حَيّ على الفَلاحِ، الصَّلاةُ يا رَسُولَ الله».

---

a-a) العبارة ساقطة من بولاق. b) أضاف بعد ذلك في اتعاظ الحنفا: وأن يُزاد في أذان الفَجْر.

---

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ١٢٠ – ١٢١.
[2] نفسه ٢: ٨٢، ٨٦.

فلمَّا وَلِيَ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الخِلافَة ، كان سَعْدُ القَرَظ يقف على بابِه فيقول : «السَّلامُ عليك يا خَليفَة رَسُولِ الله ورحمةُ الله وبركاتِه ، حَيّ على الصَّلاة ، حَيّ على الفَلاح ، الصَّلاةُ يا خَليفَة رَسُولِ الله»[1] .

فلمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَر ـ رضي الله عنه ـ كان سَعْدُ يقف على بابِه فيقول : «السَّلامُ عليك يا خَليفَة خَليفَة رَسُولِ الله ورَحْمَةُ الله ، حَيّ على الصَّلاة ، حَيّ على الفَلاح ، الصَّلاةُ يا خَليفَةَ خَليفَةِ رَسُولِ الله» .

فلمَّا قال عُمَر ـ رضي الله عنه ـ للنَّاسِ : أنتم المُؤْمِنون وأنا أَميرُكم . فدُعِي «أَميرَ المؤمنين» ، اسْتِطالَةً لقَوْلِ القائِل يا خَليفَة خَليفَة خَليفَة رَسُولِ الله ، ولمن بعده خَليفَة خَليفَة خَليفَة رَسُولِ الله ، كان المُؤَذِّنُ يقول : «السَّلامُ عليك ، أميرَ المؤمنين ، ورَحْمَة الله وبَرَكاتِه ، حيّ على الصَّلاة ، حيّ على الفَلاح ، الصَّلاةُ يا أمير المؤمنين» . ثم إنَّ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ أَمَرَ المؤذِّن فزادَ فيها «رَحِمكَ الله» . ويُقال إنَّ عُثْمانَ ـ رضي الله عنه ـ زادَها .

وما زالَ المُؤَذِّنون إذا أَذَّنوا سَلَّموا على الخُلَفاءِ وأُمَراء الأعْمَال ، ثم يُقيمُون الصَّلاةَ بعد السَّلام . فيَخْرُجُ الخَليفَةُ أو الأميرُ فيُصَلِّي بالنَّاسِ ، هكذا كان العَمَلُ مُدَّةَ أيَّام بني أُمَيَّة ، ثم مُدَّة خِلافَة بني العَبَّاس ، أيَّامَ كانت الخُلَفاءُ وأُمَراءُ الأعْمالِ تُصَلِّي بالنَّاس . فلمَّا اسْتَوْلَى العَجَمُ ، وتَرَكَ خُلفاءُ بني العبَّاسِ الصَّلاةَ بالنَّاسِ ، تُرِكَ ذلك كما تُرِكَ غيره من سُنَنِ الإسلام .

ولم يَكُن أحَدٌ من الخُلَفَاءِ الفاطِميين يُصَلِّي بالنَّاسِ الصَّلواتِ الخَمْس في كلِّ يوم ، فسَلَّم المُؤَذِّنُون في أيَّامهم على الخَليفَةِ بعد الأذانِ للفَجْر فوق المنارات . فلمَّا انْقَضَت أيَّامُهم ، وغَيَّرَ السُّلطانُ صَلاحُ الدِّين رُسُومَهم ، لم يَتَجاسَر المُؤَذِّنون على السَّلام عليه ، احْتِرامًا للخَليفَةِ العَبَّاسي بِبَغْداد ، فجَعَلُوا عِوَضَ السَّلامِ على الخَليفَة السَّلامَ على رَسُولِ الله ﷺ ، واسْتَمَرَّ ذلك قَبْلَ الأذانِ للفَجْرِ في كلِّ ليلةٍ بمصر والشَّام والحِجاز ، وزِيدَ فيه بأمْرِ المُحْتَسِب صَلاح الدين عبد الله [بن عبد الله][a] البُرُلُّسي «الصَّلاةُ والسَّلامُ عليك يا رَسُولَ الله» . وكان ذلك بعد في[b] سنة ستين وسبع مائةٍ ، فاسْتَمَرَّ [c]إلى يَوْمِنا ، وإنَّها لمن جَميلِ العَوائِد وأحْسَنِ الأفْعالِ[c] [2] .

---

a) إضافة مما يلي . b) بولاق : بعد . c-c) بولاق : فاستمر ذلك ، والمثبت من المُسَوَّدَة .

---

[1] راجع كذلك ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣: ٢٣٤- ٢٣٧.

[2] صَلاحُ الدِّين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البُرُلُّسي المالكي مُدَرِّس المَدْرَسَة الأَشْرَفِيَّة ، اسْتَقرَّ في حِسْبَةِ القاهرة =

فلمَّا[a] تغلَّب أبو عليّ كُتَيْفات[b] بن الأَفْضَل شاهِنْشاه بن أمير الجيُوش بَدْرِ الجَماليّ، على رُتْبَةِ الوَزارَة في أيَّامِ الحافِظِ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسِم محمد بن المُسْتَنْصِر بالله، في سادِس عَشَر ذي القعدة سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائةٍ، وسَجَنَ الحافِظَ وقَيَّدَه، واسْتَوْلَى على سَائِر ما في القَصْرِ من الأَمْوالِ والذَّخائِر وحَمَلَها إلى دارِ الوَزارَة ـ وكان إماميًّا مُتَشَدِّدًا في ذلك ـ خالَفَ ما عليه الدَّوْلَة من مَذْهَبِ الإسْماعِيلية، وأَظْهَرَ الدُّعاءَ للإمام المُنْتَظَر، وأزالَ من الأذان قَوْلَ[c]: «حَيّ على خير العَمَل»، وقولَهم: «محمَّدٌ وعليٌّ خَيْرُ البَشَر»، وأَسْقَطَ ذِكْر إسْماعيل بن جَعْفَر الذي تُنْسَبُ[d] إليه الإسْماعِيلية. فلمَّا قُتِلَ في سادِس عشر المحرَّم سنة ستٍّ وعشرين وخمس مائةٍ، عادَ الأَمْرُ إلى الخَلِيفَةِ الحافِظ، وأُعيدَ إلى الأَذانِ ما كان أَسْقَطَ منه [1].

وأوَّلُ من قال في الأَذان باللَّيْل: «محمدٌ وعليٌّ خَيْرُ البَشَر» الحُسَيْن المعروف بأميركا ابن شَكَنْبَه، ويُقالُ اشْكَنْبَه ـ وهو اسْمٌ أَعْجَمي معناه الكِرْش ـ وهو عليٌّ بن محمد بن عليّ ابن إسماعيل بن الحَسَن بن زَيْد بن الحَسَن بن عليّ بن أبي طالِب، وكان أَوَّلُ تأْذينه بذلك في أيَّامِ سَيْفِ الدَّوْلَة بن حَمْدان بحَلَب في سنة سبعٍ وأربعين وثلاث مائةٍ، قاله الشَّريفُ محمد بن أسْعَد الجَوَّاني النَّسَّابَة.

ولم يَزَلِ الأذانُ بحَلَب يُزادُ فيه «حيّ على خَيْرِ العَمَل، ومحمدٌ وعليٌّ خَيْرُ البَشَر» إلى أيَّام نُورِ الدِّين محمود. فلمَّا فَتَحَ المَدْرَسَةَ الكبيرة المعروفة بالحَلاوية، اسْتَدْعى أبا الحَسَن عليّ بن الحَسَن ابن محمد البَلْخي الحَنَفي إليها، فجاءَ ومعه جَماعَةٌ من الفُقَهاءِ، وأَلْقَى بها الدُّرُوس. فلمَّا سَمِعَ الأذانَ أَمَرَ الفُقَهاءَ فصَعِدوا المنارَةَ وَقْتَ الأذان، وقال لهم: مُرُوهُم يُؤَذِّنوا الأذانَ المَشْروع، ومَنِ امْتَنَعَ كُبُّوه على رأسِه؛ فصَعِدوا وفَعَلوا ما أَمَرَهُم به، واسْتَمَرَّ الأَمْرُ على ذلك [2].

---

a) بولاق: ولما. b) بولاق: أبو علي بن كتيفات. c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: تنتسب.

= في سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م عِوَضًا عن البُرْهان الأخنائي، وتوفي خامس عشرين صَفَرَ سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٥م. (المقريزي: السلوك ٣: ٧٣، ٩٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٨٥). وهو الذي أَمَرَ المؤذِّنين أن يقولوا في ليلة الجمعة بعد أذان العشاء الآخرة وقَبْل الفَجْر: «الصَّلاةُ والسَّلامُ عليك يا رَسُول الله»، واسْتَمَرَّ ذلك إلى سَلْطَنَة الملك الظَّاهِر بَرْقُوق، حين أَمَرَ مُحْتَسِبُ القاهِرَة نَجْمُ الدِّين محمد الطُّنْبدي المُؤَذِّنين في سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م أن يقولوا ذلك عَقِيبَ كُلّ أذانٍ إلَّا المَغْرب واسْتَمَرَّ ذلك. (المقريزي: السلوك ٣: ٦٣٩؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٣٣١؛ وفيما يلي ٨٧).

[1] فيما تقدم ٢: ٣٤٩-٣٥٠، وفيما يلي ٣٩٥.

[2] النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ١: ٤٨١.

وأمَّا مصرُ فلم يَزَل الأَذانُ بها على مَذْهَبِ القَوْمِ ، إلى أن اسْتَبدَّ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف ابن أَيُّوب بسَلْطَنَةِ ديار مصر ، وأزالَ الدَّوْلَة الفاطِمية في سنة سبعٍ وستين وخمس مائةٍ - وكان يَنْتَحِل مَذْهَبَ الإمام الشافِعِيّ - رضي الله عنه ، وعَقِيدَةَ الشَّيْخ أبي الحَسَن الأشْعَري - رحمه الله[1] - فأَبطَلَ من الأَذَانِ قَوْلَ «حَيّ على خَيْرِ العَمَل» ، وصارَ يُؤَذَّن في سَائِرِ إقْليمِ مصر والشَّام بأذانِ أَهْلِ مَكَّة ، وفيه تَرْبيعُ التَّكْبير وتَرْجِيعُ الشَّهادَتَيْن .

٢٧٢:٢ /فاسْتَمَرَّ الأَمْرُ على ذلك إلى أن بَنَت الأتْراكُ المدارِس بديار مصر ، وانْتَشَرَ مَذْهَبُ أبي حَنِيفَة - رضي الله عنه - في دِيار[a] مصر ، فصارَ يُؤَذَّن في بعضِ المدارِسِ التي للحَنَفِيَّة بأذانِ أَهْلِ الكُوفَة ، وتُقامُ الصَّلاةُ أيضًا على رأيهم ، وما عَدَا ذلك فعلى ما قُلْنا . إلَّا أنَّه في لَيْلَةِ الجُمُعَة إذا فَرَغَ المُؤَذِّنون من التأذين ، سَلَّمُوا على رَسُولِ الله ﷺ ، وهو شيءٌ أَحْدَثَه مُحْتَسِبُ القاهِرَة صَلاحُ الدِّين عبد الله بن عبد الله البُرُلُّسي بعد سنة ستين وسبع مائةٍ[2] . فاسْتَمَرَّ إلى أن كان في شَعْبان سنة إحدى وتسعين وسبع مائةٍ - ومُتَوَلِّي الأَمْر بديارِ مصر الأمير مِنْطاش القائِم بدَوْلَة الملك الصَّالِح المَنْصور أمير حاج ، المعروف بحاجِي بن شَعْبان بن حُسَيْن بن محمد بن قلاوون - فسَمِعَ بعضُ الفُقَراءِ الخَلَّاطين سلامَ المُؤَذِّنين على رَسُولِ الله ﷺ في ليلة جُمُعَة ، وقد اسْتَحْسَن ذلك طائِفَةٌ من إخْوانِه ، فقال لهم : أتُحِبُّون أن يكون هذا السَّلامُ في كلِّ أذانٍ ؟ قالوا : نعم . فباتَ تلك الليلة ، وأَصْبَحَ مُتَواجِدًا يَزْعُم أنَّه رأى رَسُولَ الله ﷺ في مَنامِه ، وأنَّه أَمَرَه أن يَذْهَب إلى المُحْتَسِب ، ويُبَلِّغه عنه أن يَأْمُر المُؤَذِّنين بالسَّلام على رَسُولِ الله ﷺ في كلِّ أَذان . فمَضَى إلى مُحْتَسِب القاهِرَة ، وهو يومئذٍ نَجْمُ الدِّين محمد الطَّنْبَدي - وكان شَيْخًا جَهُولًا ، وبَلْهانًا بَهُولًا[b] ، سيِّئَ السِّيرَة في الحِسْبَة والقَضَاء ، مُتَهافِتًا على الدِّرْهَم ولولا[c] قادَه إلى البَلاء ، لا تَحَشَّم[d] من أَخْذ البَراطِيل والرِّشْوَة ، ولا يَرْعَى[e] في مُؤْمِنٍ إلًّا ولا ذِمَّة ، وقد ضَرِيَ على الآثام ، وتَجسَّد من أَكْلِ الحَرَام يَرَى أنَّ العِلْم إرْخاءُ العَذَبَة ولِبْس الجُبَّة ، ويَحْسَبُ أنَّ رِضا الله سبحانه في ضَرْبِ العِبادِ بالدِّرَّة وولايَة الحِسْبَة . لم تَحْمَد النَّاسُ قَطُّ أياديه ، ولا شَكَرَت أبَدًا مَساعيه ، بل جَهالاتُه شائِعَةٌ ، وقَبائِحُ أَفْعالِه ذائِعَة . أَشْخَصَ غير مَرَّةٍ إلى مَجْلِسِ المظالِم ، وأُوقِفَ مع من أُوقِفَ للمحاكمة بين

---

a) دِيار ، ساقطة من بولاق . b) بولاق : مهولًا . c) بولاق : ولو . d) بولاق : لا يحتشم . e) بولاق : لا يراعي .

---

[1] فيما يلي ٤٤٠.

[2] فيما تقدم ٨٥.

يدي السُّلْطان من أَجْلِ عُيوبٍ فَوادِح ، حَقَّقَ فيها شِكاتُه عليه القَوادِح . وما زال في السِّيرَة مَذْمُومًا ، ومن العامَّة والخاصَّة مَلُومًا ـ وقال له : رَسُولُ الله ﷺ يأْمُرك أن تتقدَّم لسَائِر المؤذِّنين بأن يَزيدُوا في كلِّ أذان قَوْلَهم : «الصَّلاةُ والسَّلامُ عليك يا رَسُول الله» ، كما يَفْعَل في ليالي الجُمَع . فأَعْجَب الجاهِلَ هذا القَوْلُ ، وجَهِلَ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ لا يَأْمُر بعد وَفاتِه إلَّا بما يُوافِق ما شَرَعَه الله على لِسانِه في حَياتِه . وقد نَهَى الله سبحانه وتعالى في كِتابِه العَزيز عن الزِّيادَة فيما شَرَعَه حيث يقول : ﴿أَمْ لَهُمْ شركَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ﴾ [الآية ٢١ سورة الشورى] . وقال رَسُولُ الله ﷺ : «إيَّاكُم ومُحْدَثاتِ الأمُور» ؛ فأَمَرَ بذلك في شَعْبانَ من السنة المذكورة[1] .

وتَمَّت هذه البِدْعَةُ ، واسْتَمَرَّت إلى يَوْمِنا هذا في جَميعِ ديار مصر وبِلاد الشَّام ، وصارَت العامَّةُ وأَهْلُ الجَهالَة تَرَى أنَّ ذلك من جملة الأَذَان الذي لا يُحَلُّ تَرْكُه ، وأَدَّى ذلك إلى أن زَادَ بعضُ أَهْلِ الإلْحاد في الأَذَان ببعض القُرَىٰ السَّلام بعد الأذان على شَخْصٍ من المعتقدين الذين ماتُوا . فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجِعُون !

وأمَّا «التَّسْبيحُ في اللَّيْل على المآذِن» ، فإنَّه لم يكن من فِعْلِ سَلَفِ الأُمَّة . وأوَّلُ ما عُرِفَ من ذلك أنَّ مُوسَىٰ بن عِمْران ـ صلوات الله عليه ـ لمَّا كان بَني إسْرائيل في التِّيه بعد غَرَقِ فِرْعَوْن وقَوْمِه ، اتَّخَذَ بُوقَيْن من فِضَّة مع رجلين من بني إسرائيل يَنْفُخان فيهما وَقْت الرَّحيل ، ووَقْت النُّزول ، وفي أيَّام الأَعْياد ، وعند ثُلُثُ الليل الأخير من كلِّ ليلة . فتَقُومُ عند ذلك طائِفَةٌ من بني لاوي ـ سِبْط مُوسَىٰ عليه السَّلام ـ ويقولون نَشيدًا مُنَزَّلًا بالوَحْي ، فيه تَخْويفٌ وتَحْذيرٌ وتَعْظيمٌ لله تعالى وتَنْزيهٌ له تعالى ، إلى وَقْتِ طُلوع الفَجْر .

واسْتَمَرَّ الحالُ على هذا كلَّ ليلةٍ مُدَّةَ حياة مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ وبعده أيَّام يُوشَع بن نُون ومَنْ قامَ في بني إسرائيل من القُضَاة . إلى أن قامَ بأمْرِهم داود ـ عليه السَّلام ـ وشَرَعَ في عِمارَةِ بَيْتِ المَقْدِس ، فرَتَّبَ في كلِّ لَيْلَةٍ عِدَّةً من بني لاوي يقومُون عند ثُلُث الليل الآخر : فمنهم من يَضْرِب بالآلات كالعُود والسَّنْطير والبَرْبَط والدُّفِّ والمِزْمار ، ونحو ذلك . ومنهم من يَرْفع عَقيرَتَه بالنَّشائِد المنزَّلة بالوَحْي على نَبيِّ الله مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ والنَّشائِد المنزَّلة بالوَحْي على داود ـ عليه السَّلام .

ويُقالُ إنَّ عَدَدَ بني لاوي هذا كان ثمانية وثلاثين ألف رجل قد ذُكِرَ تَفْصيلُهم في كِتاب الزَّبُور . فإذا قامَ هؤلاء ببَيْتِ المَقْدِس ، قامَ في كلِّ مَحَلَّة من مَحالِّ بَيْت المقدس رِجالٌ يرفعُون

---

[1] المقريزي : السلوك ٣: ٦٣٩؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٣٣١.

أصْواتَهم بذِكْرِ الله سبحانه من غير آلات ـ فإنَّ الآلاتِ كانت مِمَّا يَخْتَصُّ ببَيْتِ المَقْدِس فقط ، وقد نُهُوا عن ضَرْبِها في غير البَيْت ـ فيَتَسامَعُ من في قُرَىٰ[a] بيتَ المَقْدس ، فيقوم في كلِّ قَرْيةٍ رِجالٌ يَرْفَعُون أصْواتَهم بذِكْر الله تعالى حتى يعمّ الصَّوتُ بالذِّكْر جَميعَ قُرَى بني إسرائيل ومُدُنَهم .

وما زالَ الأمْرُ على ذلك في كلِّ ليلةٍ إلى أن خَرَّبَ بُخْت نَصَّر بَيْتَ المَقْدِس ، وجَلَا بني إسرائيل إلى بابِل ، فبَطَل هذا العَمَلُ وغيره من بِلاد بني إسرائيل مُدَّة جَلائِهم في بابِل سبعين سنة . فلمَّا عادَ بنو إسرائيل من بابِلَ وعَمَّروا البَيْت العِمارَة الثَّانية ، أقامُوا شَرائِعَهم ، وعادَ قِيامُ
٢ بني لاوي بالبَيْت في اللَّيْل ، وقِيامُ أهْلِ مَحالِّ القُدْس وأهْلِ القُرىٰ والمُدُن على ما كان العَمَلُ/ عليه أيَّامَ عِمارَة البَيْت الأوَّل[b] . واسْتَمَرَّ ذلك إلى أن خَرِبَ القُدْسُ بعد قَتْلِ نَبيِّ الله يَحيَىٰ ابن زَكَرِيّا ، وقِيام اليَهود على رُوح الله ورَسُوله عيسَىٰ بن مَرْيَمَ ـ صَلواتُ الله عليهم ـ على يد طِيطَش ، فبَطَلَت شَرائِعُ بني إسْرائِيل من حينئذٍ ، وبَطَلَ هذا القِيامُ فيما بَطَلَ من بِلاد بني إسْرائيل .

وأمَّا في المِلَّةِ الإسْلامية ، فكان ابْتِداءُ هذا العَمَلِ بمصر وسَبَبُه أنَّ مَسْلَمَة بن مَخْلَد أميرُ مصر بَنَى مَنارًا لجَامِع عَمْرو بن العَاص واعْتَكَفَ فيه ، فسَمِعَ أصْواتَ النَّواقيس عاليةً ، فشَكَا ذلك إلى شُرَحْبيل بن عامِر عَريف المؤَذِّنين . فقال : إنِّي أُمَدِّدُ الأذان من نصف الليل إلى قُرْبِ الفَجْر ، فانْهَهم أيُّها الأمير أن يَنْقُسُوا إذا أذَّنْت . فنَهاهُم مَسْلَمَة عن ضَرْبِ النَّواقيس وَقْت الأذان ، ومَدَّدَ شُرَحْبيل ومَطَّطَ أكثر اللَّيْل[1] .

ثم إنَّ الأميرَ أبا العَبَّاس أحمد بن طُولُون كان قد جَعَلَ ، في حُجْرَةٍ تَقْرُب منه ، رِجالًا تُعْرَف بالمُكَبِّرين ، عِدَّتهم اثنا عشر رجلًا ، يبيت في هذه الحُجْرَة كلَّ ليلة أربعة يجعلون اللَّيْل بينهم عَقِبًا . فكانوا يُكَبِّرون ويُسَبِّحون ويُحَمِّدون الله سبحانه في كلِّ وقتٍ ، ويقرأون القُرْآن بألْحانٍ ، ويَتَوَسَّلون ويقولون قَصائِدَ زُهْدية ، ويُؤَذِّنون في أوْقاتِ الأذَان ، وجَعَلَ لهم أرْزاقًا واسِعَةً تُجْرى عليهم .

---

a) بولاق : فيتسامع من قرية . b) بولاق : الأولى .

---

[1] فيما تقدم ٨٣.

فلمَّا ماتَ أحمد بن طُولُون ، وقامَ من بعده ابنُه أبو الجَيْش خُمارَوَيْه ، أَقَرَّهُم بحالِهِم ، وأجْراهُم على رَسْمِهِم مع أبيه . ومن حينئذٍ اتَّخَذَ النَّاسُ قِيامَ المُؤَذِّنين في اللَّيْل على المَآذِن ، وصارَ يُعْرَف ذلك بـ«التَّسْبيح» .

فلمَّا وَلِيَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب سَلْطَنَة مصر ، ووَلَّى القَضَاءَ صَدْرَ الدِّين عبد الملك بن دِرْباس الهَدَباني المارَاني الشَّافِعِيّ ـ كان من رأيه ورأي السُّلْطان اعْتِقادُ مَذْهَب الشَّيْخ أبي الحَسَن الأَشْعَري في الأُصُول [1] . فحَمَلَ النَّاسَ إلى اليوم على اعْتِقاده حتى يُكَفَّر من يُخالِفُه [a]، وتَقَدَّم الأَمْرُ إلى المُؤَذِّنين أن يُعْلِنوا ـ في وَقْتِ التَّسْبيح على المآذِن باللَّيْل ـ بذِكْر العَقيدَة التي تُعْرَف بالمُرْشِدَة . فَوَاظَبَ المؤذِّنون على ذِكْرِها في كلِّ ليلةٍ بسائِر جَوامِع مصر والقاهِرَة إلى وَقْتِنا هذا .

وممَّا أُحْدِثَ أيضًا : «التَّذْكِيرُ في يوم الجُمُعَة» من أثناء النَّهار بأنْواعٍ من الذِّكْر على المآذِن ، ليتهيَّأ النَّاسُ لصَلاةِ الجُمُعَة . وكان ذلك بعد السبع مائة من سني الهجرة ؛ قال ابنُ كَثِير ، رَحِمَهُ الله : في يومِ الجُمُعَة سادِس رَبيعِ الآخِر سنة أربعٍ وأربعين وسبع مائةٍ ، رُسِمَ بأن يُذْكَر بالصَّلاةِ يوم الجُمُعَة في سَائر مآذِن دِمَشْق ، كما يُذْكَر في مآذِن الجَامِع الأُمَوي ، فَفَعَلَ ذلك [2] .

الجامعُ الأزهر [b][3]

[أثر رقم ٩٧]

هذا الجَامِعُ أوَّلُ مَسْجِدٍ أُسِّسَ بالقاهِرَة [4]. والذي أنشأه القائِدُ جَوْهَرٌ الكاتِب الصَّقْلَبي ، مَوْلى الإمام أبي تَميمٍ مَعَدّ الخَليفَة أمير المؤمنين المُعِزّ لدين الله ، لمَّا اخْتَطَّ القاهِرَة .

---

a) بولاق : من خالفه. b) في المُسَوَّدَة قبل هذا العنوان : ذكر الجوامع التي يقام بها الجُمُعَة .

---

[1] فيما يلي ٤٤٠.

[2] ابن كثير : البداية والنهاية ١٤ : ٢١٠.

[3] جاءَ في المُسَوَّدَة قبل ذكر الجامع الأزهَر العنوان التالي : «ذِكْرُ الجَوامِع التي يُقامُ بها الجُمُعَة» .

[4] كان الجامع الأزهَر يُعْرَف على الأقلّ حتى مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي باسم «جامع القاهِرَة» . (المسبحي : نصوص ضائعة ١٣، ٢٣، ٢٩، ٣٨، ٣٩) ، ولكن بعد بناء جامع الحاكم وافتتاحه للصَّلاة سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م أصبح يذكره باسم «الجامع الأنْوَر» (أخبار مصر ٦٤) ، وجامع القاهِرَة باسم «الجامع الأزْهَر» =

وشُرِعَ في بِناءِ هذا الجَامِع في يوم السبت لستٍّ بقين من جُمادَىٰ الأولىٰ سنة تسعٍ وخمسين وثلاث مائةٍ، وكَمُلَ بِناؤه لتسع خَلَوْن من شهر رَمَضَان سنة إحدى وستين وثلاث مائةٍ، وجُمِعَ فيه [١].

(aقال المؤلِّفُ: رأيتُ مكتوبًاa) بدائِرِ القُبّة التي في الرّواق الأوّل - وهي على يَمْنَة المِحْراب والمِنْبَر - ما نَصُّه بعد البَسْمَلَة:

«مِمَّا أَمَرَ بِبنائِه عَبْدُ الله ووَلِيُّه أبو تَمِيم مَعَدٌّ الإمام المُعِزّ لدين الله أمير المؤمنين، صَلواتُ الله عليه وعلى آبائِه وأبنائِه الأكرمين، على يَدِ عَبْدِه جَوْهَر الكاتِب الصِّقْلِّبي، وذلك في سنة ستين وثلاث مائةٍ» [٢].

---

a-a) من المُسَوَّدَة، وجاءَ عوضها في المُبَيَّضة: وكُتِبَ.

= (نفسه ٦٢) . وانظر كذلك ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٣٨٠؛ وفيما تقدم ٢: ٢١٤، ٣٠٧، ٤١٨: ١٧؛ وفيما يلي ٩٧. وكان التخطيط الأوّل للجامع الأزهر أقل بكثير ممّا عليه جامع الأزهر الحالي، فيجب أن نحذف من تصوّرنا كلّ المباني المضافة إليه وهي من الغرب: الرّواق العبّاسي، والمدرسة الطَّيْبَرسية، ومَدْخل قايتباي، والمدرسة الآقْبُغاوية، ثم الميضأة والمدرسة الجوهرية ثم جميع الإيوان المضاف خلف المحراب الفاطمي والذي أقامه في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي عبد الرحمن كتخدا، الذي يوجد ضريحه في الجهة الجنوبية الغربية للجامع.

وبذلك فلم يتبق من الجامع الفاطمي سوى القليل، وأهمه الصّحْن والأروقة المحيطة به والخمس بوائك الموازية لحائط القِبْلة، وبالتالي فمن الصعوبة بمكان أن نتعرّف على الشّكْل الخارجي للجامع الفاطمي الذي كان يتكوّن من رُباعي أضلاع طوله ٨٨ مترًا وعرضه ٧٠ مترًا، وضلعي بيت الصّلاة ٨٥ مترا (موازية لحائط القِبْلة) و٢٥ مترًا حتى الصّحْن ويتكون من خمسة صفوف من الأعمدة.

(راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٢٥٥-٢٥٨، ٤: ٢٩-٩٢؛ Ravaisse, P., «Sur trois mithrâbs en bois sculpté», *MIE* II/2 (1889), pp. 632-34; van Berchem, M., *CIA* Égypte I, pp. 43-50, 630, 632-33 et 674-76; Briggs, M.S., *op.cit.*, pp. 67-69; Wiet, G., *CIA* Égypte II, pp. 103-25; Hautecoeur, L., *Les mosquées du Caire* I, pp. 218-20; Creswell, K.A.C., *MAE* I, pp. 36-64, 254-57؛ محمد عبد العزيز مرزوق، مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ٥٣-٦٦؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٤٧-٦٣؛ محمد عبد الله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، القاهرة ١٩٥٨؛ Jomier, J., *EI*[2] art. *al-Azhar* I, pp. 837-44؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ١: ٤١-٥٩؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ١: ١٦٥-٢٢٦؛ عبد العزيز محمد الشناوي: الأزهر جامعًا وجامعة، القاهرة ١٩٨٣؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 191-207, Rabbat, N., «Al-Azhar Mosque : An Architectural Chronicle of Cairo's History», *Muqarnas* 13 (1996), pp. 45-67؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ١٤٩-١٩٧).

[١] يَخْتلف نَصُّ المُسَوَّدَة عن هذا النَّصّ حيث أَوْرَدَ المَقْريزي في المُسَوَّدَة النَّصَّ الذي ذكره ابنُ عبد الظاهر في كتاب الروض الزاهر ٢٧٧-٢٧٨.

[٢] فُقِدَت الآن هذه الكتابة التاريخية، وكلُّ ما نعرفه =

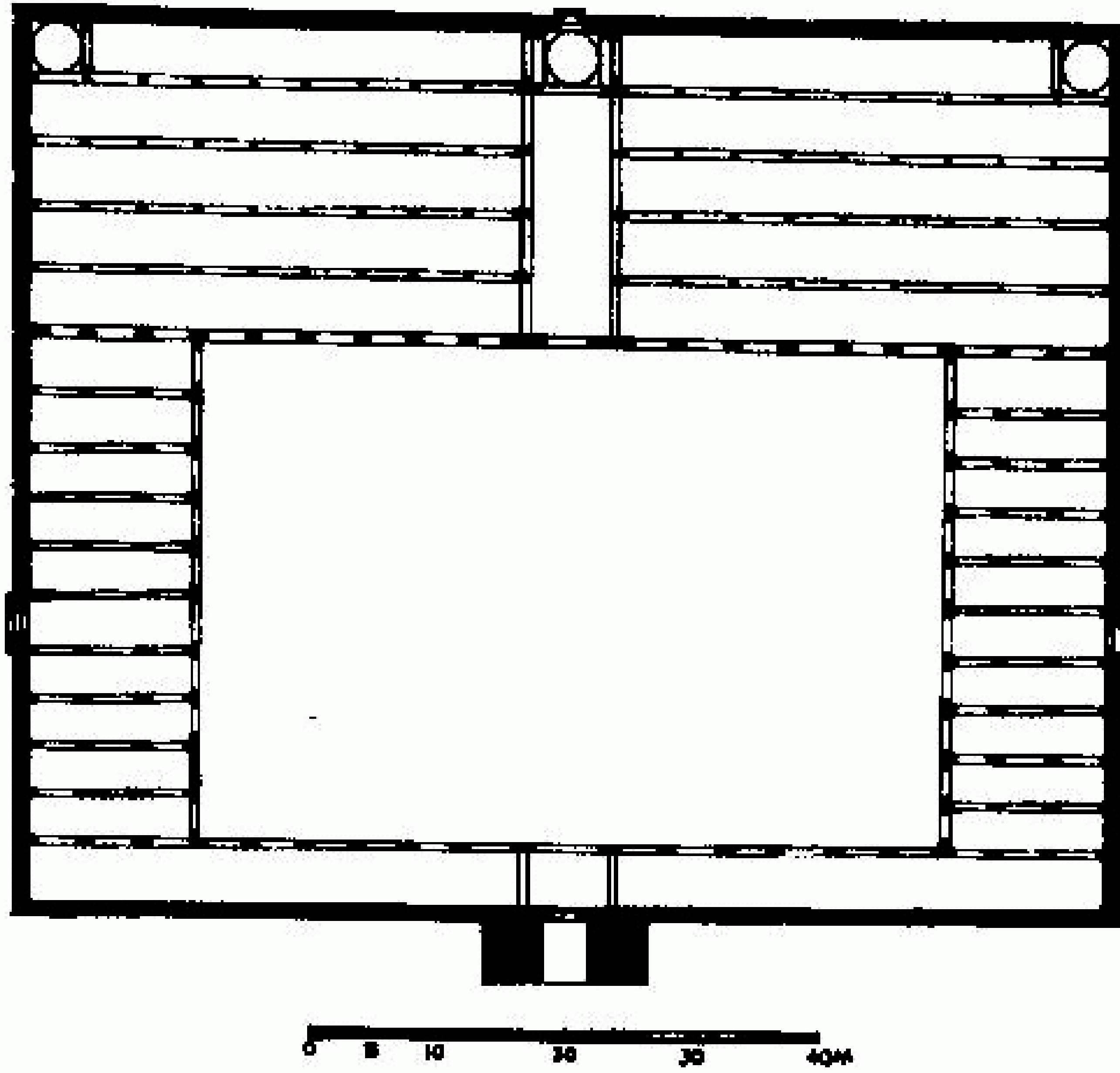


الجامِعُ الأزْهَر (المِحْرابُ الفاطمي)

وأوَّلُ جُمُعَة جُمِعَت فيه في شهر رَمَضان لسبعٍ خَلَوْن منه سنة إحدى وستين وثلاث مائةٍ. ثم إنَّ العَزيزَ بالله أبا مَنْصور نِزار بن المُعِزّ لدين الله جَدَّدَ فيه أشياءَ.

= عنها هو ما ذكره المقريزي هنا، ونَقَلَه عنه علي مبارك في خططه ٤: ٢٩(١٠)، وحسن عبد الوهاب في تاريخ المساجد الأثرية ١: ٤٩، وأحمد فكري في مساجد القاهرة ومدارسها ١: ٤١؛ وكذلك van Berchem, *CIA* Égypte I, n° 20, Wiet, G., *RCEA* V, n° 1821; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 192.

وكان اكْتِشافُ قطعةِ حَجَرٍ في نهاية القرن التاسع عشر تشتمل على كتابةٍ كوفية تَتَعَلَّق بالسَّبْع سقايات التي أنشأها جَعْفَرُ بن الفَضْلِ بن الفُرات، والتي حَفِظَ لنا المقريزي النَّصّ الكامل لإنشائها الذي يتطابق مع الكتابة المكتشفة (فيما تقدم ٣: ٤٥١)، يجعلنا نَثِقُ في صِدْقِ وصِحَّة نَقْشِ الأزْهَر - كما أوْرَدَه المَقْريزي - والذي يَنْسَجِم تمامًا مع سائر الكتابات والنُّقُوش الفاطمية التاريخية.



مُخَطَّط الجامع الأزهر الفاطمي (عن Creswell)

وفي سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مائةٍ ، سأل الوَزيرُ أبو الفَرَج يَعْقُوب بن يُوسُف بن كِلِّس ، الخَليفَة العَزيز بالله ، في صِلَةِ رِزْق جَماعةٍ من الفُقَهاء ، فأَطْلَقَ لهم ما يكفي كلَّ واحِدٍ منهم من الرِّزْق النَّاضّ [1] ، وأَمَرَ لهم بشِراء دارٍ وبنائِها ، فبُنِيَت بجانِب الجَامِع الأَزْهَر . فإذا كانَ يومُ الجُمُعَة حَضَروا إلى الجَامِع ، وتَحَلَّقُوا فيه بعد الصَّلاة إلى أن يُصَلَّى العَصْر . وكان لهم أيضًا من مالِ الوَزير صِلَةٌ في كلِّ سنةٍ ، وكانت عِدَّتُهم خمسة وثلاثين رجلًا . وخَلَعَ عليهم العَزيزُ يوم عيد الفِطْر ، وحَمَلَهم على بَغَلات [2] .

ويُقالُ إنَّ بهذا الجَامِع طِلَّسْمًا فلا يَسْكُنه عُصْفُورٌ ولا يُفَرِّخ به [3] . [a]وما ذَكَرَه ابنُ عبد الظَّاهِر من أَمْرِ الطِّلَّسْم الذي به فإنَّه صَحيحٌ وهو باقٍ مُسْتَمِرُّ العَمَلِ إلى وَقْتِنا هذا وهو سنة ثمانٍ وتسعين وسبع مائةٍ[a]، وليس هو مَخْصُوصٌ بالعَصافير فقط بل هو لسائر الطُّيُور ليس يبيت به شيءٌ من الحَمام ولا اليمام ولا العَصافير ولا غَيْرها ولا يُفَرِّخون به إلى الآن . ورأيت به[b] صُوَرَ ثلاثة طُيور

a-a) من المُسَوَّدَة ، وجاء عوضه في المُبَيَّضَة : وكذا سائر الطُّيُور من الحمام واليمام وغيره وهو . b) في المُسَوَّدَة : ثمان مائة ، سبق قلم .

[1] النَّاض . هو الرِّزْقُ إذا تحَوَّل عَيْنًا بعد أن كان متاعًا . (ابن منظور : لسان العرب ١٤: ١٨٠) .

[2] ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٢٧٨؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٨: ١٢١– ١٢٢؛ وفيما يلي ٣٨٩– ٣٩٠.

[3] نفسه ٢٧٨؛ نفسه ٨: ١٢١؛ النويري : نهاية الأرب ٣٠: ١٣٥.

منقوشة ، كلُّ صُورَةٍ على رأس عَمُود ، فمنها صُورَتان في مُقَدَّم الجامِع بالرِّواق الخامِس : منهما صُورَة في الجِهَة الغربية في العَمُود ، وصُورَة في أحد العَمُودين اللذين على يَسار من اسْتَقْبَل سُدَّة المؤذِّنين . والصُّورَة الأُخرى في الصَّحْن في الأعْمِدَة القِبْلية ممَّا يلي الشَّرْقية .

ثم إنَّ الحاكِمَ بأمْرِ الله جَدَّدَه ، ووَقَفَ على الجامِع الأَزْهَر وجامِع المَقْس والجامِع الحاكِمي ودارِ العِلْمِ بالقاهِرَة رِباعًا بمصر ، وضَمَّنَ ذلك كِتابًا نُسْخَتُه :

«هذا كِتابٌ أَشْهَدَ قاضي القُضاة مالِك بن سَعيد بن مالِك الفارِقي على جَميع ما نُسِبَ إليه ممَّا ذُكِرَ ووُصِفَ فيه ، مَنْ حَضَرَ من الشُّهود في مَجْلِسِ حُكْمِه وقَضائِه بفُسْطاط مصر في شهر رَمَضان سنة أربع مائة . أَشْهَدَهُم - وهو يومئذٍ قاضي عبد الله ووليّه المنصور أبي عليّ الإمام الحاكِم بأمْر الله أمير المؤمنين ابن الإمام العَزيز بالله - صَلوات الله عليهما -/ على القاهِرَة المُعِزِّيَّة ومصر والإسْكَنْدرية والحَرَمَيْن - حَرَسَهُما الله - وأجْناد الشَّام والرَّقَّة والرَّحْبَة ونَواحي المغرب وسائِر أعمالهن ، وما فَتَحَه الله ويَفْتَحُه لأمير المؤمِنين من بِلادِ الشَّرْق والغَرْب - بمَحْضَرِ رجل مُتَكَلِّم أنَّه صَحَّت عنده مَعْرِفَةُ المواضِع الكامِلَة والحِصَص الشَّائِعَة ، الذي[a] يُذْكَر جَميعُ ذلك ويُحَدَّد في هذا الكِتاب ، وأنَّها كانَت من أمْلاكِ الإمام الحاكِم إلى أن حَبَسَها على الجامِع الأَزْهَر بالقاهِرَة المَحْروسَة ، والجامِع براشِدَة ، والجامِع بالمَقْسِ اللذين أَمَرَ بإنْشائِهما وتأْسيس بِنائهما ، وعلى دارِ الحِكْمَة بالقاهِرَة المَحْروسَة التي وَقَفَها والكُتُب التي فيها قَبْل تاريخ هذا الكِتاب .

منها ما يَخُصّ الجامِعَ الأَزْهَر والجامِعَ براشِدَة ودار الحِكْمَة بالقاهِرَة المحروسة ، مَشاعًا جَميع ذلك غير مَقْسوم . ومنها ما يَخُصّ الجامِع بالمَقْسِ على شَرائِط يَجْري ذِكرها .

فمن ذلك : ما تَصَدَّقَ به على الجامِع الأَزْهَر بالقاهِرَة المَحْروسَة ، والجامِع براشِدَة ودارِ الحِكْمَة بالقاهِرَة المحروسة : جَميعُ الدَّارِ المعروفة بدار الضَّرْب ، وجَميعُ القَيْسارِيَّة المعروفة بقَيْسارِيَّة الصُّوف ، وجَميعُ الدَّار

---

a) بولاق : التي .

المعروفة بدار الخرَق الجَديدَة، الذي ذلك[a] كلُّه بفُسْطاطِ مصر.

ومن ذلك ما تَصَدَّقَ به على جَامعِ المَقْس: جَميع الأربعة[b] الحَوانيت والمنازِل التي عُلُوّها والمخزنَيْن، الذي ذلك كلُّه بفُسْطاطِ مصر بالرَّايَةِ في جَانِب الغَرْب من الدَّارِ المعروفة كانت بدَارِ الخرَق. [c]فيهن الحانُوت المعروف بسَكَن ابن الشُوري التي في الجانِب الشَّرْقي من هذه الدَّار المعروفة بدار الخرَق، ومن ذلك الحانوتان النافِذ أحَدُهما إلى الآخر المعروفان بسَكَن. ومن ذلك الحانوت الذي في الجانب الغربي من هذه الدَّار المعروفة بدار الخرَق المذكورة في هذا الكتاب[c]. وهاتان الدَّاران المعروفتان بدارِ الخرَق في المَوْضِع المعروف بحَمَّام الفَار.

ومن ذلك: جَميعُ الحِصَصِ الشَّائِعَة من الأربعة الحَوانيت المتلاصِقَة التي بفُسْطاطِ مصر بالرَّايَةِ أيضًا بالمَوْضِعِ المعروف بحَمَّام الفَأر، وتُعْرَفَ هذه الحَوانيت بحِصَص القَيْسي بحُدودِ ذلك كلِّه وأرْضه وبنائِه وسُفْله وعُلُوِّه وغُرَفِه ومُرْتَفَقاتِه وحَوانيته وسَاحاتِه وطُرُقِه ومَمَرَّاتِه ومَجاري مِياهِه، وكلِّ حَقٍّ هو له داخِلٌ فيه وخَارِجٌ عنه.

وجَعَلَ ذلك كلَّه صَدَقَةً مَوْقُوفَةً مَحَرَّمَةً مُحَبَّسة بتَّةً بَتْلَة، لا يجوزُ بَيْعُها ولا هِبَتُها ولا تَمْليكها، باقيةً على شُروطِها جاريةً على سُبُلِها [المُقَرَّرَة][d] المعروفة في هذا الكِتاب. لا يُوهِنُها تَقادُم السِّنين، ولا تُغَيِّر بحُدوثِ حَدَثٍ، ولا يُسْتَثْنَى فيها ولا يُتَأَوَّل، ولا يُسْتَفْتَى بتَجَدُّدِ تَحْبيسها مَدَى الأوْقات، وتَسْتَمِرُّ شُروطُها على اخْتِلافِ الحالات حتى يَرِثُ الله الأرْضَ والسَّمٰوات؛ على أن يُؤْجِر ذلك في كلِّ عَصْرٍ من ينتهي إليه ولايَتُها، ويرجع إليه أمْرُها - بعد مُراقَبَة الله والاجْتلابِ ما يُوَفِّر مَنْفَعَتَها من إشْهارِها - عند ذوي الرَّغْبَة في إجارَة أمثالها. فيبتدأ من ذلك بعِمارَة ذلك، على حَسَبِ المصلحة وبَقَاءِ العَيْن ومَرَمَّته، من غير إجْحافٍ بما حُبِسَ ذلك عليه. وما فَضَلَ كان مَقْسومًا على ستين سَهْمًا؛ فمن ذلك للجَامِع الأَزْهَر

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: أربعة. c-c) ساقطة من بولاق. d) زيادة من ابن عبد الظاهر.

بالقاهِرَة المَحْروسَة، المذكور في هذا الإشْهاد: الخُمسُ والثُّمْنُ ونِصْفُ السُّدْس ونِصْفُ التُّسع يُصْرَفُ ذلك فيما فيه عِمارَة له ومَصْلَحَة. وهو من العَيْن المُعِزِّي الوَازِن ألف دينار واحد[a] وسبعة وستون دينارًا ونصف دينار وثُمْن دينار، من ذلك: للخَطيب بهذا الجَامِع أربعةٌ وثمانون دينارًا، ومن ذلك لثَمَنِ ألف ذِراع حُصْر عَبَدانية تكون عُدَّةً له بحيث لا ينقطع من حُصْرِه عند الحاجَة إلى ذلك، ومن ذلك لثَمَنِ ثلاثة عشر ألف ذِراع حُصْر مَظْفُورَة لكُسْوَة هذا الجَامِع في كلِّ سنةٍ عند الحاجَة إليها: مائة دينار واحدة وثمانية دنانير. ومِنْ ذلك لثَمَنِ ثَلاثَة قَناطير زُجاج وفِراخِها: اثنا عشر دينارًا ونصف ورُبْع دينار. ومن ذلك لثَمَن عُودٍ هِنْدي للبَخور في شهر رَمَضان وأيَّام الجُمَع، مع ثَمَن الكافُور والمِسْك وأُجْرَة الصَّانِع: خمسة عشر دينارًا [b]ومن ذلك لثَمَن قُلَّتَيْن زَيْت مَغْربي وَزْن كلٍّ واحدة منهما مائة رَطْل واحدة واثنا عشر رطلًا بالرَّطْل الفُلْفُلي[b]. ومن ذلك لِنِصْف قِنطَار شَمْع بالفُلْفُلي: سبعة دنانير.

ومن ذلك لكَنْسِ هذا الجَامِع ونَقْل التُّراب، وخِياطَة الحُصْرِ وثَمَن الخَيْط وأُجرَة الخِياطَة: خمسة دنانير. ومن ذلك لثَمَنِ مشاقَة لسَرْجِ القَناديل، عن خمسة وعشرين رِطْلًا بالرَّطْل الفُلْفُلي: دينارٌ واحِد. ومن ذلك لثَمَنِ فَحْمٍ للبَخُور، عن قِنْطارٍ واحِد بالفُلْفُلي: نصف دينار. ومن ذلك لثَمَنِ أرْدَبين مِلْحًا للقَناديل: رُبْع دينار. ومن ذلك ما قُدِّرَ لمؤنَة النُّحاس والسَّلاسل والتَّنانير والقِباب التي فَوْق سَطْح الجَامِع: أربعة وعشرون دينارًا.

ومن ذلك لثَمَنِ سَلْب ليف وأربعة أَحْبل وسِتّ دِلاء أَدَم: نصف دينار. ومن ذلك لثَمَنِ قِنْطارين خِرَقًا لمَسْح القَناديل: نصفِ دينار. ومن ذلك لثَمَن عشر قِفافٍ للخِدْمَة وعشرة أرْطال قِنَّب لتَعْليقِ القَناديل، ولثَمَنِ مائتي مَكْنَسَة لكَنْس هذا الجامِع: دينارٌ واحد ورُبْع دينار. ومن ذلك لثَمَنِ أزْيارٍ فَخَّارٍ تُنْصَب على المَصْنَعِ ويُصَبُّ فيها الماءُ، مع أُجرَةِ حَمْلها: ثلاثة دَنانير.

---

a) بولاق: واحدة. b-b) ساقطة من بولاق.

ومن ذلك لثَمَنِ زَيْتٍ وَقُودِ هذا الجَامِع، راتِبُ السَّنَة ألف رطل ومائتا رطل مع أُجْرَة الحَمْل: سبعة وثلاثون دينارًا ونصف.

ومن ذلك لأرْزاقِ المُصَلِّين - يَعْني الأئِمَّة - وهم ثلاثة، وأربعة قَوَمَة وخمسة عشر مُؤَذِّنًا: خمس مائة دينار وستة وخمسون دينارًا ونصف، منها للمُصَلِّين لكلِّ رَجُلٍ منهم ديناران وثُلُثا دينار وثُمن دينار في كلِّ شهرٍ من شهور السَّنَة، والمُؤَذِّنون والقَوَمَة لكلِّ رَجُلٍ منهم ديناران في كلِّ شَهْر.

ومن ذلك للمُشْرِف على هذا الجَامِع في كلِّ سنةٍ: أربعة وعشرون دينارًا.

ومن ذلك لكَنْسِ المَصْنَع بهذا الجَامِع، ونَقْلِ ما يَخْرُج منه من الطِّين والوَسخ: دينارٌ واحد/ ومن ذلك لمَرَمَّة ما يُحْتاج إليه في هذا الجامِع في سطحه وأتْرابه وحِياطَتِه وغير ذلك ممَّا قُدِّرَ لكلِّ سنة: ستون دينارًا.

ومن ذلك لثَمَنِ مائةٍ وثمانين حَمْلِ تِبْنٍ ونصف حَمْلِ جارية، لعَلَفِ رأسي بَقَر للمَصْنَع الذي لهذا الجَامِع: ثمانية دنانير ونصف وثُلْث دينار.

ومن ذلك للتِّبْنِ المخَزّنِ يُوضَعُ فيه بالقاهِرَة: أربعة دَنانير.

[a]ومن ذلك لثَمَن أربعين إرْدبًّا فُولًا لعَلَفِ الرأسين: أربعةٌ وعشرون دينارًا وسُدْس[a].

ومن ذلك لثَمَنِ قَدّانين قُرْطٍ، لتَرْبيع رأسي البَقَرِ المذكورين في السنة: سبعة دنانير. ومن ذلك لأجرةِ مُتَوَلِّي العَلَف، وأُجْرَة السَّقَّاء والحِبال والقَواديس وما يَجْري مَجْرى ذلك: خمسة عشر دينارًا ونصف. ومن ذلك لأُجْرَةِ قَيِّم المَيَضَأة إن عُمِلَت بهذا الجامِع: اثنا عشر دينارًا»[1].

وإلى هنا انْقَضَى حَديثُ الجَامِعِ الأَزْهَر، وأَخَذَ في ذِكْر جَامِع راشِدَة ودار العِلْم وجَامِع المَقْس. ثم ذَكَرَ أنَّ تَنانيرَ الفِضَّة ثلاثة تَنانير وتسعة وثلاثون قِنْديلًا فِضَّة: فللجَامِعِ الأَزْهَر تَنُّوران

a-a) ساقطة من بولاق.

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٤٤ - ١٤٨.

وسبعة وعشرون قِنْديلًا، ومنها الجامِع راشِدَة تَنُّورٌ واثنا عشر قِنْديلًا. وشَرَطَ أن تُعَلَّق في شهر رَمَضان، وتُعاد إلى مَكانٍ جَرَت عادَتُها أن تُحْفَظ به.

وشَرَطَ شُرُوطًا كثيرةً في الأَوْقافِ: منها أنَّه إذا فَضَلَ شيءٌ واجْتَمَعَ يُشْتَرَى به مِلْكٌ، فإن عازَ شيئًا واسْتُهْدِمَ ولم يف الرَّيْعُ بعمارَته بيعَ وعُمِّر به، وأشياءٌ كثيرة. وحَبَسَ فيه أيضًا عِدَّةَ آدُرٍ وقَياسِرَ لا فائِدَة في ذكرها، فإنَّها مما خَرِبَت بمصر.

قال ابنُ عبد الظَّاهِر عن هذا الكِتاب: ورأيتُ منه نُسْخَةً [عند نَجْم الدِّين بن الحِلِّي][a]، وانْتَقَلَت [هذه النُّسْخَة الآن][a] إلى قاضي القُضَاة تقيّ الدِّين بن رَزِين[1].

وكان بصَدْرِ هذا الجَامِع في مِحْرابِه مِنْطقةُ فِضَّة، كما كان في مِحْرابِ جَامِع عَمْرو ابن العَاص بمصر، قَلَعَ ذلك صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب في حادي عشر رَبيعٍ الأوَّل سنة تسعٍ وستين وخمس مائةٍ، لأنَّه كان فيها أسْماءُ[b] خُلَفَاءِ الفاطِميين، فجاءَ وَزْنُها خمسة آلاف دِرْهَم نُقْرَة، وقَلَعَ أيضًا المناطِقَ من بقيَّة الجَوامِع[2].

ثم إنَّ المُسْتَنْصِرَ جَدَّدَ هذا الجَامِعَ أيضًا، وجَدَّدَه الحَافِظُ لدين الله، وأنشأ فيه مَقْصورَةً لطيفةً تُجاوِر الباب الغربي الذي في مُقَدَّم الجَامِع بداخِل الرِّواقات ـ عُرِفَت بمَقْصُورَة فاطِمَة من أجْلِ أنَّ فاطِمَة الزَّهْرَاء ـ رضي الله تعالى عنها ـ رُئِيت بها في المنام[3]. ثم إنَّه جُدِّدَ في أيَّام الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس البُنْدُقْداري.

ذِكْرُ تَجْديدِه وإعادَة الخُطْبَة به ـ قَال جَامِعُ «السِّيرة للملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس» ومنها نَقَلْتُ، وذَكَرَ ذلك أيضًا القاضي ناصِر الدِّين شافِع بن علي الكاتِب في كِتابِ «نَظْمِ السُّلُوك في تواريخ الخُلَفَاءِ والمُلُوك»[c]: لمَّا كان يومُ الجُمُعَة الثَّامِن عَشَر من رَبيع

a) زيادة من الروض الزاهر. b) بولاق: انتهاء. c-c) هذه العبارة من المُسَوَّدَة وجاء عوضها في النُّسخ: «قال القاضي محيي الدِّين بن عبد الظَّاهِر في كتاب «سيرة الملك الظَّاهِر».

[1] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٩.

[2] المقريزي: السلوك ١: ٤٥؛ وفيما تقدم ٢١- ٢٢.

[3] لم يُشِر المقريزي إلى بعض أعمال التَّجديد التي قامَ بها الخُلَفاءُ الفاطِميون في الجامِع الأزْهَر، ووَصَلَ إلينا ما يَدُلُّ عليها، منها: بابٌ ذو مِصْراعين من خَشَب شوح تركي محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامي برقم ٥٥١ أُحضِرَ من الجامع الأزْهَر وعليه اسم «مَوْلانا أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمْر الله، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطَّاهرين وأبنائه»، وهذا الباب يدلّ على العمارة التي قامَ بها الإمامُ الحاكم بأمْرِ الله في الجامع سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م. (van Berchem,

الأوّل[a] سنة خمسٍ وستين وستّ مائةٍ ، أُقيمَت الجُمُعَة بالجَامِع الأَزْهَر بالقاهِرَة [1] . وسَبَبُ ذلك أنّ الأميرَ عِزّ الدّين أَيْدَمُر الحِلّي كان جارَ هذا الجامِع من مُدَّة سنين ، فرَعَى ـ وَفَّقَه الله ـ حُرْمَةَ الجار ، ورأى أن يكون كما هو جاره في دار الدُّنيا أنَّه غدًا يكون ثَوابُه جارَه في تلك الدَّار ، ورَسَمَ بالنَّظَر في أمْرِه ، وانْتَزَعَ له أشياءَ مَغْصُوبَةً كان شيءٌ منها في أيْدي جَماعَةٍ وحَاطَ أُمُورَه حتى جَمَعَ له شيئًا صالِحًا .

وجَرَى الحَديثُ في ذلك ، فتبرَّع الأميرُ عِزُّ الدِّين له بجملةٍ مستكثرةٍ من المالِ الجَزيل ، واسْتَطْلَق[b] له من السُّلْطان جملةً من المالِ ، وشَرَعَ في عِمارَتِه . فعَمَّر الواهي من أَرْكانِه وجُدْرانِه وبَيَّضَه وأَصْلَح سُقُوفَه ، وبَلَّطَه وفَرَشَه وكَساه حتى عادَ حَرَمًا في وَسَطِ المَدينَة ، واسْتَجَدَّ به مَقْصورَةً حَسَنَة ، وأَثَّرَ فيه آثارًا صَالِحَةً يُثيبُه اللهُ عليها .

وعَمِلَ الأمير بَيْلَبَك الخازِنْدار فيه مَقْصورَةً كبيرةً ، رَتَّبَ فيها جَماعَةً من الفُقَهاء لِقراءَةِ الفِقْه على مَذْهَبِ الإمام الشّافِعِيّ ـ رحمه الله ـ ورَتَّبَ في هذه المَقْصورَة مُحَدِّثًا يُسْمِعُ الحَديث النَّبويّ والرَّقائق ، ووَقَفَ على ذلك الأَوْقاف الدَّارّة ، ورَتَّبَ به سبعة

---

a) كذا في السلوك ، وفي الروض الزاهر ونهاية الأرب : الثامن من ربيع الأول . b) بولاق : وأطلق .

M., *CIA* Egypte I, n° 453; Weill, J.D., *Les bois a épigraphes jusqu'à l'époque mamelouke*, pp. 16-18; Pauty, E., *Les bois sculptés jusqu'à l'époque ayyoubide*, pp. 30-31; Wiet, G., *RCEA* VI, n° 2173؛ زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٢٠١–٢٠٢). ومِحرابٌ مُتَنَقِّل محفوظٌ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٤٢ يحمل كتابةً تاريخيةً بالخط الكوفي تُفيد قيام الإمام الآمر بأحكام الله بعَمَلِ المحراب برَسْم الجامع الأزهر الشريف في شهور سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م . Ravaisse, P., «Sur trois mihrâbs en bois sculptés», *MIE* II/2 (1889), pp. 628-31; van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 455; Weill, J.D., *op.cit.*, pp. 5-6; Pauty, E., *op.cit.*, p. 64; Wiet, G., *RCEA* VIII, n° 3013; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 194, 198-99) .

[1] أهدَى السُّلْطانُ الظّاهر بيبَرس – بمناسبة إعادة الخُطْبَة إلى الجامع الأزهر – مِنبَرًا إلى الجامع ضاعَ كلُّ أثرٍ له الآن ، وإن كان قد تَخَلّف عنه لَوْحٌ خشبي عليه ثلاثة أسْطُر من النَّسْخ المملوكي المبكّر اقْتَناها في نهاية القرن التاسع عشر المستشرق الفرنسي شارل شيفر Charles Schefer (١٨٢٨–١٨٩٨م) ، ثم آلَت إلى المتحف الوطني بالجزائر ، نَصُّها :

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم . مِمّا أمَرَ بعَمَلِ هذا المِنْبَر المبارَك لجامع الأزْهَر مَوْلانا السُّلْطان الملك الظّاهِر المُجاهِد المُرابِط المُؤَيَّد المَنْصور رُكْنُ الدُّنْيا والدِّين أبو الفَتْح بيْبَرس الصَّالحي قسيم أمير المؤمنين بالدِّيار المصرية أعَزَّ الله أنْصارَه بتاريخ الثّالِث عشر من ربيعِ الأوّل سنة خمسٍ وستين وستّ مائة من الهجرة النبوية» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 128; Wiet, G., *RCEA* XII, n° 4562) .

لِقِراءة القُرآن، ورتَّب به مُدَرِّسًا أثابَه الله على ذلك[١].

ولمَّا تكَمَّل تَجْديدُه تحدَّث في إقامَةِ جُمُعَة فيه. فنُودي في المَدينَة بذلك، واسْتَخْدَم له الفَقيه زَيْن الدِّين[٢] خَطيبًا، وأُقيمَتِ الجُمُعَة فيه في اليوم المذكور. وحَضَرَ الأتابَكُ فارِسُ الدِّين، والصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّين عليّ بن حِنَّا، ووَلَدُه الصَّاحِبُ فَخْر الدِّين محمد، وجَماعَةٌ من الأُمَرَاء والكُبَراء وأَصْنافِ العالَم على اخْتلافِهم، وكان يومَ جُمُعَةٍ مَشْهُودًا.

ولمَّا فُرِغَ من الجُمُعَة، جَلَسَ الأميرُ عِزُّ الدِّين الحِلِّي والأتابَكُ والصَّاحِبُ، وقُرئَ القُرْآنُ، ودُعِيَ للسُّلْطان. وقامَ الأميرُ عِزُّ الدِّين ودَخَلَ إلى دارِه، ودَخَلَ معه الأُمَرَاءُ، فقَدَّمَ لهم كلَّ ما تَشْتَهي الأنْفُس وتَلَذُّ الأعْيُنُ، وانْفَصَلُوا[٣].

وكان قد جَرَى الحَديثُ في أمْرِ جَوازِ الجُمُعَة في الجَامِع، وما وَرَدَ فيه من أقاويل العُلَماء، وكُتِبَت[a] فُتْيا أُخِذَ فيها خُطُوطُ العُلَماء بجَوازِ الجُمُعَة في هذا الجَامِع وإقامَتِها، فكَتَبَ جماعَةٌ خُطوطَهم فيها. وأُقيمَت صَلاةُ الجُمُعَة به واسْتَمَرَّت، ووَجَدَ النَّاسُ به رِفْقًا وراحَةً لقُرْبِه من الحارات البَعيدَة من الجَامِع الحاكِمي[٤].

قال: وكان سَقْفُ هذا الجَامِع قد بُنِيَ قَصيرًا، فزيدَ فيه بعد ذلك وعُلِّيَ ذِراعًا. واسْتَمَرَّتِ الخُطْبَةُ فيه حتى بُنِيَ الجامِعُ الحَاكِمِي[٥] فانْتَقَلَت الخُطْبَةُ إليه بعد ذلك[b]، فإنَّ الخَليفَةَ كان يَخْطُبُ فيه جُمُعَةً[c]، وفي الجَامِع الأَزْهَر جُمُعَةً[c]، وفي جَامِع ابن طُولُون جُمُعَةً[c]، وفي جَامِع مصر جُمُعَةً[c].

---

a) بولاق: وكتب منها. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: خطبة.

---

[١] حاشية بخَطِّ المُؤلِّف: «قال هِشام بن عَمَّار: حَدَّثنا يزيد بن أبي مالِك عن أبيه قال: كان أبو الدَّرْداء يُصَلِّي الغَدَاة ثم يقرأ في الحَلَقَة حتى إذا أرادَ القيام قال: هل من وَليمَةٍ نَشْهَدُها أو عَقيقَةٍ أو فِطْرَة؟ فإن قال أصحابُه: نَعَم، قامَ إليها، وإن قالوا: لا، قال: اللَّهُمَّ إنِّي أُشْهِدُك أنِّي صائم. وهو الذي سَنَّ هذه الحِلَق التي يَقْرأُ فيها النَّاسُ القُرْآن بالمساجِد إلى اليوم. انتهى».

[٢] الفقيهُ زَيْنُ الدِّين إدريس بن صَالح بن وُهَيْب المصري القَلْيوبي، المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، أوَّلُ من خَطَبَ في الجامع الأزْهَر بعد إعادَة خُطْبَة الجُمُعَة إليه في عَهْد السُّلْطان الظَّاهر بَيْبَرس. (الصفدي: الوافي بالوفيات ٨: ٣١٩-٣٢٠).

[٣] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٧.

[٤] نفســه ٢٧٧؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ١٠٧؛ المقريزي: السلوك ١: ٥٥٦.

[٥] نفســه ٢٧٩.

وانقَطَعَتِ الخُطْبَةُ من الجَامِعِ الأَزْهَرِ لمَّا اسْتَبَدَّ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب بالسَّلْطَنَة . فإنّه قَلَّدَ وَظيفَةَ القَضَاء لقاضي القُضَاة صَدْر الدِّين عبد الملك بن دِرْباس ، فَعَمِلَ بمقتضى مَذْهَبِه ـ وهو امْتِناعُ إقامَة خُطْبتَيْن للجُمُعَة في بَلَدٍ واحِدٍ ، كما هو مَذْهَبُ الإمام
٢٧٦ الشَّافِعِيّ ـ رحمه الله ـ فأَبْطَلَ الخُطْبَةَ من الجَامِع الأَزْهَر ، وأَقَرَّ الخُطْبَة / بالجَامِع الحاكِمي من أجْلِ أنَّه أَوْسَع . فلم يَزَلِ الجَامِعُ الأَزْهَرُ مُعَطَّلًا من إقامَةِ الخُطْبَة[a] فيه مائة عامٍ ، من حين اسْتَوْلَى السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، إلى أن أُعِيدَت الخُطْبَةُ في أيَّام الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس كما تَقَدَّم ذكره[1] .

ثم لمَّا كانتِ الزَّلْزَلَةُ بديارِ مصر في ذي الحِجَّة سنة اثنتين وسبع مائةٍ ، سَقَطَ الجَامِعُ الأَزْهَر والجَامِعُ الحاكِمي وجَامِعُ مصر وغيره ، فتقاسَم أُمَرَاءُ الدَّوْلَة عِمارَة الجَوَامِع ؛ فتَوَلَّى الأميرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس الجاشَنْكير عِمارَةَ الجَامِع الحَاكِمي ، وتولَّى الأميرُ سَلار عِمارَة الجَامِع الأَزْهَر ، وتَوَلَّى الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَكْتَمُر الجوكَنْدار عِمارَة جَامِع الصَّالِح ؛ فجَدَّدُوا مَبانيها ، وأعادُوا ما تَهَدَّم منها[2] .

ثم جُدِّدَت عِمارَةُ الجَامِع الأَزْهَر على يَدِ القاضي نَجْم الدِّين محمد بن حسين بن عليّ الأَسْعَرْدي ، مُحْتَسِب القاهِرَة ، في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائةٍ .

ثم جُدِّدَت عِمارَته في سنة إحدى وستين وسبع مائةٍ عندما سَكَن الأميرُ الطَّواشي سَعْدُ الدِّين بَشير الجَامَدار النَّاصِري في دارِ الأمير فَخْر الدِّين أبان الزَّاهِدي الصَّالِحي النَّجْمي ، بخُطِّ الأبَّارين بجوار الجَامِع الأَزْهَر ، بعدما هَدَمَها وعَمَّرَها دارَه التي تُعْرَف هناك إلى اليوم بدارِ بَشير الجامَدار .

---

a) بولاق : الجمعة .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٢٧٧؛ النويري : نهاية الأرب ٣٠:١٣٥- ١٣٦؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٨:١٢١- ١٢٣؛ بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة ١٠٧؛ العيني : عقد الجمان ٢: ٦؛ المقريزي : السلوك ١: ٥٥٦.

[2] راجع أخبار هذه الزلزلة عند ، بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة ٣٧٨- ٣٧٩؛ النويري : نهاية الأرب ٣٢:٥٧- ٥٩؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٩:١٠٠- ١٠٣؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١: ٢٥٣؛ المقريزي : السلوك ١:٩٤٢- ٩٤٥؛ العيني : عقد الجمان ٤:٢٦٠- ٢٦٢؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٨: ٢٠١؛ السيوطي : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، دراسة وتحقيق محمد كمال الدّين عزّ الدّين ، بيروت ـ عالم الكتب ١٩٨٧، ٢٠٠- ٢٠٥؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١:٤١٦- ٤١٧؛ عبد الله يوسف الغنيم : سِجِلّ الزّلازل العربي – أحداثُ الزّلازل وآثارُها في المصادر العربية ، الكويت ٢٠٠٢، ١٨٧- ١٩٧، ٣٦٨؛ وفيما تقدم ٢٥، وفيما يلي ١١٤.

فأحَبَّ لقُرْبِه من الجَامِع أن يُؤَثِّر فيه أثَرًا صَالِحًا ، فاسْتَأْذَنَ السُّلْطانَ الملك النَّاصِرَ حَسَن بن محمد ابن قَلاوون في عِمارَة الجَامِع ـ وكان أثيرًا عنده خَصيصًا به ـ فأَذِنَ له في ذلك . وكان قد استُجِدَّ بالجَامِع عِدَّةُ مَقاصير ، ووُضِعَت فيه صَنادِيقُ وخَزائِنُ حتى ضَيَّقَته ، فأَخْرَجَ الخَزائِنَ والصَّناديق ، ونَزَعَ تلك المقاصِير ، وتَتَبَّع جُدْرَانَه وسُقُوفَه بالإصْلاحِ حتى عادَت كأنَّها جَديدَة ، وبَيَّضَ الجَامِعَ كلَّه وبَلَّطَه ، ومَنَعَ النَّاسَ من المُرورِ فيه ، ورَتَّبَ فيه مُصْحَفًا ، وجَعَلَ له قارِئًا . وأنْشأ على بابِ الجَامِع القِبْلي حانُوتًا لتَسْبيل الماءِ العَذْب في كلِّ يومٍ ، وعَمِلَ فَوْقَه مَكْتَبَ سَبيلٍ لإقْراءِ أيْتامِ المسلمين كِتاب الله العَزيز . ورَتَّبَ للفُقَراء المُجاوِرين بالجَامِع[a] طَعامًا يُطْبَخ كلَّ يومٍ ، وأَنْزَلَ إليه قُدُورًا من نُحاسٍ جَعَلَها فيه . ورَتَّبَ فيه دَرْسًا للفُقَهاء من الحَنَفِيَّة ، يجلس مُدَرِّسُهم لإلْقاءِ الفِقْه في المِحْراب الكبير ، ووَقَفَ على ذلك أوْقافًا جَليلَةً باقيةً إلى يَوْمِنا هذا . ومُؤَذِّنو الجَامِع يَدْعون في كلِّ جُمُعَة ، وبعد كلِّ صَلاةٍ ، للسُّلْطانِ حَسَن إلى هذا الوَقْت الذي نحن فيه .

وفي سنة أربعٍ وثمانين وسبع مائةٍ ، وَلِيَ الأميرُ الطَّواشي بَهادُر ، المُقَدَّم على المماليك السُّلْطانية ، نَظَرَ الجَامِع الأَزْهَر . فَتَنَجَّزَ مَرْسُومُ السُّلْطان الملك الظَّاهِر بَرْقُوق : بأنَّ مَنْ ماتَ من مُجاوِري الجَامِع الأَزْهَر عن غير وَارِثٍ شَرْعي وَتَرَكَ مَوْجودًا ، فإنَّه يأْخُذُه المُجاوِرُون بالجَامِع . ونَقَشَ ذلك على حَجَرٍ عند البابِ الكبير البَحْري .

وفي سنة ثمان مائةٍ هُدِمَت منارَةُ الجَامِع ، وكانت قَصيرَةً ، وعُمِّرَت أطْوَلَ منها ، فبَلَغَت النَّفَقَةُ عليها من مالِ السُّلْطان [b]الملك الظَّاهِر بَرْقُوق[b] خمسة عشر ألف دِرْهَم نُقْرَة ، وكَمُلَت في رَبيعٍ الآخر من السنة المذكورة . فعُلِّقَت القَنادِيلُ فيها لَيْلَةَ الجُمُعَة من هذا الشهر ، وأُوقِدَت حتى اشْتَعَلَ الضَّوْءُ من أعْلاها إلى أسْفَلِها . واجْتَمَعَ القُرَّاءُ والوُعَّاظُ بالجَامِع ، وتَلَوا خَتْمَةً شَريفَةً ، ودَعَوا للسُّلْطانَ .

فلم تَزَلْ هذه المِئْذَنَةُ إلى شَوَّالَ سنة سبعٍ عشرة وثمان مائة ، فهُدِمَت لمَيْلٍ ظَهَرَ فيها ، وعُمِلَ بَدَلَها مَنارَةٌ من حَجَرٍ على بابِ الجَامِع البَحْري بعدما هُدِمَ البابُ وأُعيد بِناؤه بالحَجَر ، ورُكِّبَت المنارَةُ فوق عَقْدِه ، وأُخِذَ الحَجَرُ لها من مَدْرَسَةِ الملك الأَشْرَف التي كانت تِجاه قَلْعَةِ الجَبَل[1] .

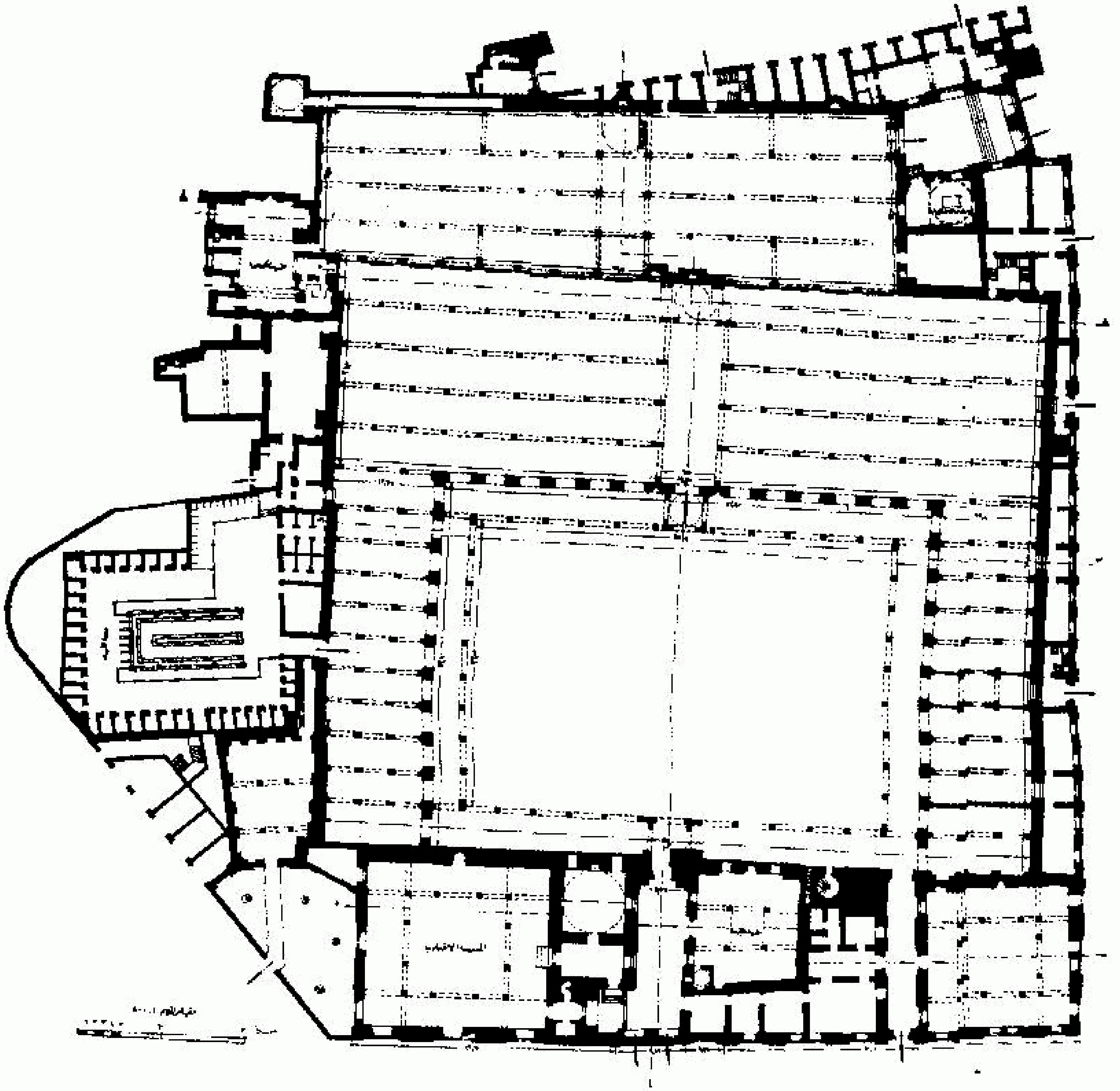
---

a) ساقطة من بولاق . b-b) ساقطة من بولاق .

---

[1] المَدْرسة الأَشرفية ، انظر عنها فيما يلي ٦٦١- ٦٦٦.

وهَدَمَها الملكُ النَّاصِرُ فَرَج بن بَرْقُوق ، وقامَ بعمارَة ذلك الأميرُ تاجُ الدِّين التَّاج الشَّوْبَكي ، والي القاهِرَة ومُحْتَسِبُها ، إلى أن تَمَّت في جُمادَى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمان مائةٍ [١]. فلم تَقُم غير قَليل ، ومالَت حتى كادَت تَسْقُط ، فهُدِمَت في صَفَر سنة سبعٍ وعشرين وأُعيدَت [٢].



المُخَطَّط الحالي للجامع الأزْهَر ويتضمَّن مُخَطَّط المَدْرَسَة الطَّيْبَرسِيَّة والمَدْرَسَة الآقبغاوية (فيما يلي ٥٣٦ ، ٥٤٠) (عن اللجنة)

[١] المقريزي : السلوك ٤ : ٣١٩.

[٢] نفسه ٤ : ٦٥٨.

وفي شَوَّالٍ منها ابتدئَ بعَمَلِ الصِّهْريج الذي بوَسَط الجَامِع، فوُجِدَ هناك آثارُ فَسْقِيَّةِ ماء، ووُجِدَ أيضًا رِمَمُ أمْوات. وَتَمَّ بِناؤُه في رَبيعِ الأوَّل، وعُمل بأعْلاه مَكانٌ مرتفع له قُبَّة يُسَبَّل فيه الماءُ، وغُرِسَ بصَحْنِ الجامِع أرْبعُ شَجَرات نارِنْجٍ[a]، فلم تُفْلِح وماتَت.

ولم يَكُن لهذا الجَامِع مَيْضَأَةٌ عندما بُنِيَ، ثم عُمِلَت مَيْضَأتُه حيث المَدْرَسَة الآقْبُغاوية، إلى أن بَنَى الأميرُ آقْبُغا عبدُ الواحِد مَدْرَسَته المعروفة بالمَدْرَسَة الآقْبُغاوية هناك[1]. وأمَّا هذه المَيْضأةُ التي بالجَامِع الآن فإنَّ الأميرَ بَدْرَ الدِّين جَنْكَلي بن البابا بَناها، ثم زِيدَ فيها بعد سنة عشرٍ وثمان مائةٍ مَيْضأةُ المَدْرَسَة الآقْبُغاوية.

وفي سنة ثمانِ عشرة وثمان مائةٍ وَلِيَ نَظَرَ هذا الجَامِع الأميرُ سُودُون[c] القاضي حاجِب الحُجَّاب[2]، فجَرَت في أيَّام نَظَرِه حَوادِثُ لم يَتَّفِق مثلها. وذلك أنَّه لم يَزَل في هذا الجَامِع منذ بُنِيَ عِدَّةٌ من الفُقَراءِ يُلازِمون الإقامَة فيه، وبَلَغَت عِدَّتُهم في هذه الأيَّام سبع مائةٍ وخمسين رَجُلًا، ما بين عَجَمٍ وَزَيالِعَةٍ ومن أهْلِ ريفِ مصر ومَغارِبة، ولكلِّ طائِفَةٍ رِواقٌ يُعْرَف بهم[3]. فلا يَزالُ الجامِعُ عامِرًا بتِلاوَةِ القُرْآنِ ودراسَتِه وتَلْقِينِه، والاشْتِغالِ بأنْواعِ العُلوم من[a] الفِقْه والحَديث والتَّفْسير والنَّحْو، ومَجالِس الوَعْظ وحِلَق الذِّكْر. فيجد الإنْسَانُ إذا دَخَلَ هذا الجَامِع من الأُنْسِ بالله، والارْتياح وتَرْويح النَّفْس، ما لا يجده في غيره، وصارَ أرْبابُ الأمْوالِ يَقْصُدُون / هذا الجَامِع ٧٧:٢ بأنْواع البِرِّ من الذَّهَب والفِضَّة والفُلُوس إعانةً للمُجاورين فيه على عِبادَة الله تعالى، وكلُّ قَليلٍ تُحْمَل إليهم أنْواعُ الأطْعِمَة والخُبْز والحَلاوات لا سِيَّما في المواسِم.

فأَمَرَ في جُمادَىٰ الأولىٰ من هذه السَّنَة بإخْراجِ المُجَاوِرين من الجَامِع، ومَنْعِهم من الإقامَة فيه، وإخْراجِ ما كان لهم فيه من صَناديقَ وخَزائِنَ وكراسي المَصَاحِف[4] زَعْمًا منه أنَّ هذا العَمَلَ مِمَّا

a) ساقطة من بولاق. c) بولاق: سودوب.

[1] فيما يلي ٥٤٠-٥٤٤.

[2] توفي سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٥٨، المنهل الصافي ٦: ١٤٩-١٥١؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣: ٢٨٤-٢٨٥).

[3] هذه أقْدَمُ إشارَة وَصَلَت إلينا عن «نظام الأرْوِقَة» الذي اشْتَهَرَ به الجامعُ الأزْهَر، وأصْبَحَ أحَدَ أهمِّ سِماتِه في العَصْر العُثْماني وحتى النِّصف الأوَّل من القرن العشرين. (راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ٤٩-٥٨ (٢٠-٢٥)؛ عبد العزيز الشناوي: الأزهر جامعًا وجامعة، القاهرة ١٩٨٣، ١: ٢٤١-٣١٠).

[4] المقريزي: السلوك ٤: ٣١٩.

يُثابُ عليه، وما كان إلّا من أعْظَم الذُّنوب وأكثرها ضَرَرًا، فإنّه حَلَّ بالفُقَراءِ بَلاءٌ كبيرٌ من تَشَتُّت شَمْلِهم وتعذُّر الأماكِن عليهم، فساروا في القُرَىٰ، وتَبَذَّلوا بعد الصِّيانَة، وفُقِدَ من الجَامِع أكثر ما كان فيه من تِلاوَةِ القُرْآن ودِراسَةِ العِلْم وذِكْرِ الله. ثم لم يُرْضِه ذلك حتى زادَ في التَّعَدِّي، وأشاعَ أنَّ أُناسًا يَبِيتُون بالجَامِع ويَفْعَلُون فيه مُنْكرات. وكانت العادَةُ قد جَرَت بمَبِيتِ كثيرٍ من النَّاسِ في الجَامِع ما بين تاجِرٍ وفَقيهٍ وجُنْدي وغيرهم، منهم من يَقْصِد بمبيته البَرَكَة، ومنهم من لا يجد مَكانًا يأْويه، ومنهم يَسْتَرْوِح بمَبِيته هناك خُصُوصًا في ليالي الصَّيْفِ وليالي شَهْر رَمَضان، فإنَّه يمتلئ صَحْنُه وأكثرُ رواقاتِه.

فلمّا كانت ليلةُ الأحَد الحادي عشر من جُمادَى الآخرة، طَرَقَ الأميرُ سُودُون[a] الجَامِع بعد العَشاء الآخرة ـ والوقت صَيْف ـ وقَبَضَ على جَماعَةٍ وضَرَبهم في الجَامِع، وكان قد جاءَ معه من الأعْوانِ والغِلْمانِ وغَوْغاءِ العامَّة ومَنْ يُرِيدُ النَّهْب جَماعَةٌ، فَحَلَّ بمَنْ كان في الجَامِع أنْواعُ البَلاء، ووَقَعَ فيهم النَّهْبُ، فأُخِذَت فُرُشُهُم وعَمائِمُهُم، وفُتِّشَت أَوْساطُهُم، وسُلِبُوا ما كان مَرْبوطًا عليها من ذَهَبٍ وفِضَّة[1].

وعَمِلَ ثَوْبًا أَسْوَدَ للمِنْبَر وعَلَمَيْن مُزَوَّقين، بَلَغَت النَّفَقَةُ على ذلك خمسة عشر ألف درهم على ما بَلَغَني. فعاجَلَ الله الأمير سُودُون[b]، وقَبَضَ عليه السُّلْطان في شهر رَمَضان، وسَجَنَه بدِمَشْق.

جَامِعُ الحَاكِم

[أثر رقم ١٥]

هذا الجَامِعُ بُنِيَ خارِجَ بابِ الفُتُوح ـ أحَدُ أبْوابِ القاهِرَة ـ وأوَّلُ من أسَّسَه أميرُ المؤمنين العَزيزُ بالله نِزار بن المُعِزّ لدين الله مَعَدّ، وخَطَبَ فيه وصَلَّى بالنَّاسِ الجُمُعَة، ثم أكمله ابنُه الحَاكِمُ بأمْرِ الله. فلمّا وَسَّعَ أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي القاهِرَة، وجَعَلَ أبْوابَها حيث هي اليوم، صارَ جَامِعُ الحَاكِم داخِل القاهِرَة، وكان يُعْرَف أوَّلًا بـ«جَامِع الخُطْبَة»، ويُعْرَف اليوم

---

a) بولاق: سودوب.

---

[1] المقريزي: السلوك ٤: ٣٢٢– ٣٢٤.

بـ«جَامِع الحاكِم»، ويُقالُ له «الجَامِعُ الأَنْوَر»[١].

قال الأمير المختار عِزّ المُلْك محمد بن عبيد الله بن أحمد المُسَبِّحي في «تاريخ مصر» [a]ومنه نَقَلْتُ[a]. وفيه - يعني في[b] شهر رَمَضان سنة ثمانين وثلاث مائةٍ - خُطَّ أساسُ الجَامِع الجَديد بالقاهِرَة مِمَّا يلي بابِ الفُتُوح من خارِجه، وبُدِئَ بالبِناءِ فيه وتَحَلَّقَ فيه الفُقَهاءُ الذين يتحلَّقون في جَامِع القاهِرة - يعني الجَامِع الأَزْهَر - وخَطَبَ فيه العَزيزُ بالله[٢].

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) إضافة من المُسَوَّدَة.

[١] جامعُ الحاكم (الأنْوَر)، ثاني جامع يبنى بمدينة القاهرة وأحد أكبر مساجدها الجامعة مساحةً. يَجْمَع في تخطيطه بين عناصر إفريقية وعناصر مصرية، فتخطيطه بلا جدال يماثل تخطيط جامع ابن طُولُون، ولم تستخدم العواميد في بوائكه وإنّما اسْتُعيضَ عنها بالدَّعائم. ويَفْتَح المَدْخَلُ الرئيس له في منتصف جدار مُؤخِّر الجامع في موضعٍ يقابل المِحْراب، يتّفق في ذلك مع مَدْخَل جامع المهدية الفاطمي، ويَبْرُز هذا المَدْخَل خارج سَمْتِ جدار المُؤَخَّر بنحو ستة أمتار مُتَّخِذًا هيئة بُرْجين على شكل محاريب يتوسطهما مَمَرٌّ يؤدي إلى بابٍ، بحيث أصبح شكلُ المَدْخَل يُماثِل البَوّابَة بالمعنى المُصْطَلَح عليه في عمارة الأسْوار، بينما كانت المداخل الرئيسة للجوامع قبل ذلك تفتح في الجدارين الجانبيين غير جداري القِبْلَة والمُؤخَّر كما هو واضح في جامع ابن طُولُون. ومِئذنتا هذا الجامع طرازٌ فريدٌ بين مآذن مصر الإسلامية وقد بنيتا من الحجر: واحدة في الركن الغربي الشمالي، والأخرى في الركن الشمالي الشرقي على شكل محور أسْطواني. وتُمَثِّل الزَّخْرَفَة ذات الأشكال الهندسية والنباتية على قاعدة هاتين المئذنتين وعلى المَدْخَل الرئيس للجامع مرحلةً حاسمةً في تشكيل الزَّخرفة الإسلامية.

وقد تَعَرَّضَ هذا الجامع للتخريب على فتراتٍ متباعدةٍ وكان مهجورًا قبل وصول الحملة الفرنسية إلى مصر، واستخدم في نهاية القرن التاسع عشر مقرًّا للجنة حفظ الآثار العربية، وبنيت في صَحْنه مَدْرسةٌ تُعْرَف بمَدْرَسَة السِّلاحدار، فظَلَّ غير مقام الشعائر إلى أن قامت طائفة البُهرة بإعادة بنائه وتجديده وافْتُتِحَ للصَّلاة في عام ١٩٨٠م. (راجع، علي مبارك ٢: ٢٠٠؛ ٤: ١٦٧-١٧٠ (٧٩-٨١)؛ Herz, M., «Mosquée du calife al-Hakem bi Amr Illah», *CR de comité* XXIV (1907), pp. 132-34; Flury, S., *Die Ornamente der Hakim - und Azhar - Moschee. Materialien zur Geschichte der älteren Kunst des Islam*, Heidelberg 1912, pp. 8-26, 43-50; Creswell, K.A.C., «The Great Salients of the Mosque of al-Hakim at Cairo», *JRAS* (1923), pp. 573-84; id., *MAE* I, pp. 65-66, 115-17, Wiet, G., *CIA* Égypte II, pp. 125-29; id., *RCEA* VI, n^os 2089-93; Hautecoeur, L. & Wiet, G., *Les Mosquées du Caire*, I, pp. 220-25؛ محمد عبد العزيز مرزوق: مساجد القاهرة قبل المماليك ٦٧-٨١؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ١: ٦٣-٨٥؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ١: ٢٣٥-٢٣٩؛ Ritta, C.F., «The Early Fatimid Mosque of al-Hakim», *Orient Art* XXVII (1981), pp. 302-15; Bloom, J.M., «The Mosque of al-Hâkim in Cairo», *Muqarnas* I (1983), pp. 15-36; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 334-51؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ١٩٩-٢٢٨).

[٢] المسبحي: نصوص ضائعة ١٣؛ المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ١٢٢ظ.

وقال في حَوادِث سنة إحدى وثمانين وثلاث مائةٍ: لأربعٍ خَلَوْن من شهر رَمَضان، صَلَّىٰ العَزيزُ بالله في جَامِعِه صَلاة الجُمُعَة وخَطَبَ. وكان في مَسيره بين يَدَيْه أكثرُ من ثلاثة آلاف، وعليه طَيْلَسانٌ، وبيده القَضِيب، وفي رِجْلِه الحِذاءُ. ورَكِبَ لصَلاةِ الجُمُعَة في رَمَضان سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاث مائةٍ إلى جامِعِه ومعه ابنُه مَنْصُور، فجُعِلَت المِظَلَّةُ على مَنْصُور، وسارَ العَزيزُ بغير مِظَلَّة [1].

وقال في حَوادِثِ سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائةٍ: وأَمَرَ ـ يعني[a] ـ الحاكِمُ بأَمْرِ الله ـ بأن يَتِمّ بِناءُ الجَامِع الذي كان الوَزيرُ يَعْقُوب بن كِلِّس بدأ في بُنْيانه عند بابِ الفُتُوح، فقَدَّرَ للنَّفَقَةِ عليه أربعون ألفَ دينار، فابتدئَ في العَمَلِ فيه. وفي صَفَر سنة إحدى وأربع مائةٍ زِيدَ في مَنارَة جَامِع باب الفُتُوح، وعُمِلَ لها أَرْكانٌ طُول كلِّ رُكْنٍ مائة ذِراع [2].

وفي سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ، أَمَرَ الحاكِمُ بأَمْرِ الله بعَمَل تَقْدير ما يَحْتاج إليه جَامِعُ باب الفُتُوح من الحُصُر والقَناديل والسَّلاسِل، فكان تكسير ما ذرع للحُصُرِ ستة وثلاثين ألف ذِراع، فبَلَغَتِ النَّفَقَةُ على ذلك خمسة آلاف دينار.

قال: وتَمَّ بِناءُ الجَامِع الجَديد بباب الفُتُوح وعُلِّق على سَائِر أَبْوابِه سُتورٌ دَبيقيَّة عُمِلَت له، وعُلِّق فيه تَنانيرُ فِضَّةٍ عِدَّتها أربع، وكثيرٌ من قَناديل فِضَّة، وفُرِشَ جميعُه بالحُصُرِ التي عُمِلَت له، ونُصِبَ فيه المِنْبَرُ، وتكامَل فرشُه وتَعْليقُه.

وأُذِنَ في ليلة الجُمُعَة سادس شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ لمن باتَ في الجَامِع الأَزْهَر أن يَمْضوا إليه. فمَضَوْا، وصارَ النَّاسُ طُولَ ليلتهم يَمْشون من كلِّ واحِدٍ من الجامعين إلى الآخَر ـ بغير مانِعٍ لهم، ولا اعْتِراضٍ من أَحَدٍ من عَسَسِ القَصْر ولا أَصْحابِ الطَّوْف ـ إلى الصُّبح وصَلَّىٰ فيه الحاكِمُ بأَمْرِ الله بالنَّاسِ صَلاةَ الجُمُعَة، وهي أَوَّلُ صَلاةٍ أُقيمَت فيه بعد فَراغِه.

وفي ذي القعدة سنة أَرْبَعٍ وأَرْبع مائةٍ، حَبَسَ الحاكِمُ عِدَّةَ قَياسِرَ وأَمْلاكٍ على الجَامِع الحاكِمي بباب الفُتُوح.

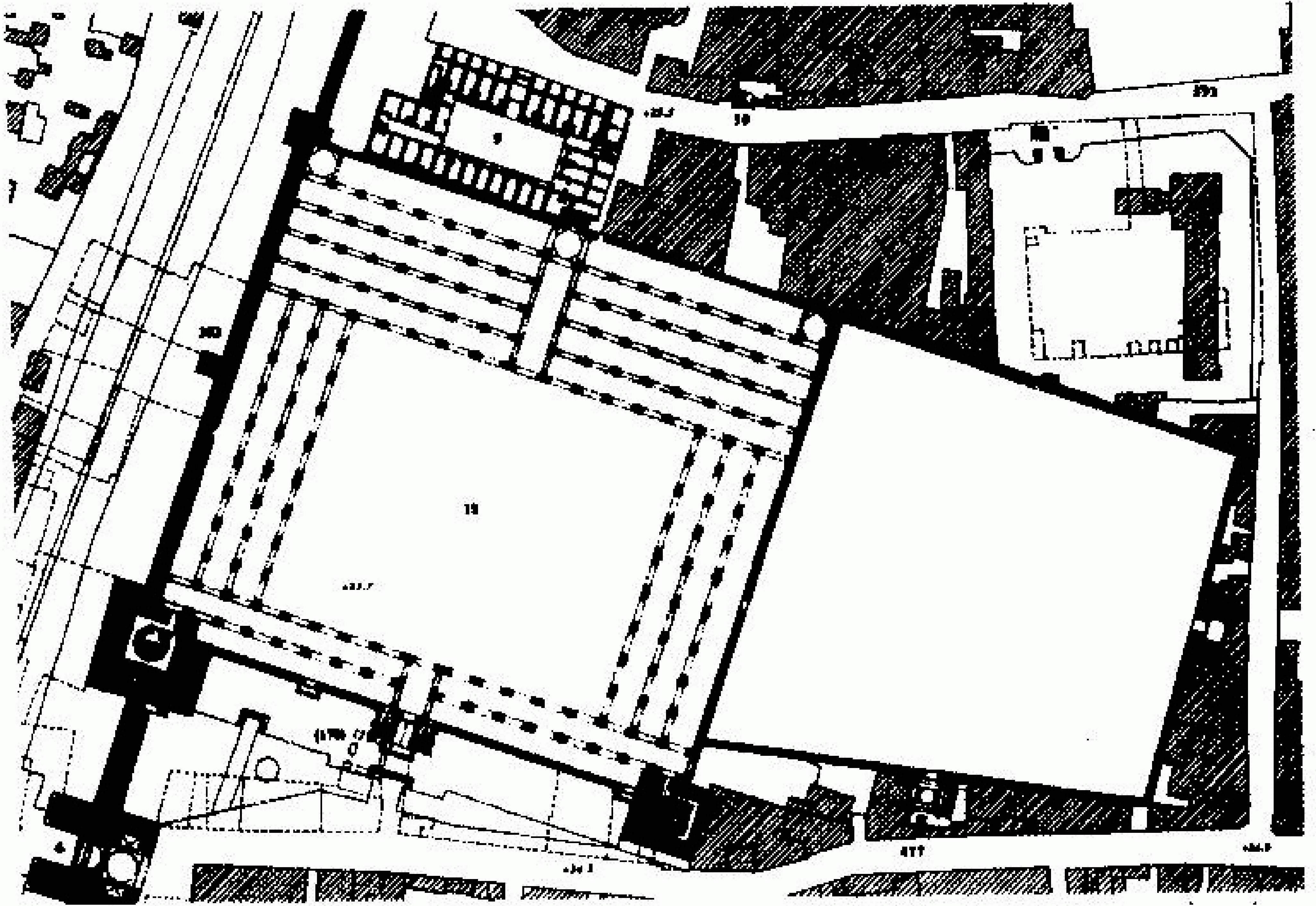
---

a) إضافة من المُسَوَّدة.

---

[1] المسبحي: نصوص ضائعة ١٤.
[2] نفسه ٢٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٤٥؛ مُسَوَّدة الخطط ١٢٢ظ.

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: وعلى بابِ الجَامِعِ الحاكِمي مكتوبٌ أنّه «أَمَرَ بعَمَلِه الحاكِمُ أبو عليّ المنصور في سنة ثلاثٍ وتسعينَ وثلاث مائةٍ»، وعلى مِنْبَرِه مكتوبٌ أنّه «أَمَرَ بعَمَلِ هذا المِنْبَرِ للجَامِعِ الحاكِمي المُنْشَأ بظاهِرِ باب الفُتُوح في سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ»[1].



مُخَطَّطُ جَامِع الحاكم وتَصَوُّرٌ افتراضي لزِيادَة الجَامِع (عن B. O'ken)

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٩، الروضة البهية ٦٨. ولا شَكَّ أنَّ الكتابة التاريخية التي شاهَدَها ابنُ عبد الظَّاهر وأشار إليها فقط المقريزي، هي الكتابة نفسها التي شاهَدَها سنة ١٨٣٥م السير جاردنر ولكنسون Sir Gardner Wilkinson على الباب الغربي للجامع (Wilkinson, , I. G., *Topography of Thebes and General View of Egypt*, London 1853, pp. 299-300) ونَشَرها البارون فون هامر-بورجستال في «المجلة الآسيوية» سنة ١٨٣٨م (Hammer-Purgastall, Baron von, «Inscription coufique de la mosquée de Hâkim bi Emrillâh», *JA* 3° série V (1838), pp. 588-91). وسَقَطَت هذه اللَّوْحَة التذكارية التي كانت توجد فوق المَدْخَل الرئيس ومعها أحجارٌ سَدَّت المَدْخَل نحو سنتي ١٨٧٥-١٨٧٦م، حتى إنَّ ماكس فان برشم كتب في عام ١٨٩١م أنَّ النَّقْشَ الذي ذكره ابنُ عبد الظاهر ورآه ولكنسون أعلى الباب الغربي للجامع ثم نشره هامر- بورجستال، قد اختفى وأنّه لم يستطع العثور عليه حيث أُدْخِلَت جملةُ تعديلات على الباب. (van Berchem, M., «Notes d'archéologie arabe. Monuments et inscriptions fatimides», *JA* 8° série t. XVII (1891), p. 433). وأثناء عملية ترميم الجامع الأنْوَر سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م عُثِر على قطعة حجر صغيرة تحت المَدْخَل أُضيفت إلى قطعٍ أُخرى كان قد كُشِفَ عنها في أعوام ١٩٠٠ و١٩٢٤م وضُمَّت إلى دار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامي)، تمكن من خلالها - بعد تجميعها وترميمها - الدكتور الشيخ محمد =

[a]وشَاهَدْتُ جزءًا من «سِيرَة الحاكِم» يقول فيه[a]: وفي يوم الجُمُعَة أُقِيمَت الجُمُعَة في الجَامِع الذي كان الوَزِيرُ أَنْشَأه بباب الفُتُوح [b]وأَمَرَ أميرُ المُؤمنين بإتْمامِه[b].

[c]ورأَيْتُ في «سيرة الإمام العَزيز بالله قال[c]: في يوم الأَحَد عاشر / رَمَضان سنة تسعٍ وسبعين وثلاث مائةٍ، اخْتُطَّ[d] أساسُ الجَامِع الجَديد بالقاهِرَة، خارج الطَّابِيَة ممَّا يلي باب الفُتُوح.

قال: وكان هذا الجَامِعُ خارِجَ القاهِرَة، فجُدِّدَ بعد ذلك بابُ الفُتُوح. وعلى البَدَنَة التي تُجاوِرُ بابَ الفُتُوح وبعض البُرْج مكتوبٌ «إنَّ ذلك بُنِيَ سنة ثمانين[e] وأربع مائةٍ في زَمَنِ المُسْتَنْصِر بالله ووَزارَة أَمير الجُيُوش». فيكون بينهما سَبْعٌ وثمانون سنة[1].

قال: والفَسْقِيَّةُ وَسَطُ الجَامِع بَنَاها الصَّاحِبُ عبد الله بن عليّ بن شُكْر، وأجْرَى الماءَ إليها، وأزالَها القاضي تاجُ الدِّين بن شُكْر وهو قاضي القُضَاة في سنة ستين وستِّ مائةٍ. والزِّيادَةُ التي إلى جانِبه قيل إنَّها بِناءُ وَلَدِه الظَّاهِر عليّ ولم يُكْمِلْها. وكان قد حُبِس فيها الفِرِنْج، فعَمِلُوا فيها كنائِسَ هَدَمَها الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين، وكان قد تَغَلَّبَ عليها، وبُنِيَت إسْطَبْلات.

وبَلَغَني أنَّها كانت في الأَيَّام المتقدِّمة قد جُعِلَت أَهْرَاءً للغِلال. فلمَّا كان في الأيَّام الصَّالِحِيَّة ووَزارَة مُعين الدِّين حَسَن بن شَيْخ الشُّيُوخ للملك الصَّالِح أَيُّوب وَلَدِ الكامِل، ثَبَتَ عند الحاكِم

---

a-a) تتَّفق هذه العبارة مع ما جاء في الروض الزاهر مصدر النقل، وجاءت العبارة في المُسَوَّدَة: وشاهدت جزءًا من «سيرة الحاكم» يقول فيه. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة. c-c) تتَّفق هذه العبارة مع ما جاء في الروض الزاهر مصدر النقل، وجاءت في المُسَوَّدَة: «ورأيت في «سيرة الإمام العزيز بالله» قال. d) من المُسَوَّدَة، وفي النُّسَخ: اخْتُطّ. e) بولاق: ثلاثين.

= شاكر – الذي أشرَف على عملية ترميم الجامع – من إعادة بناء اللوح التذكاري للجامع الأنور المكوَّن من ستة أسطر من الكتابة الكوفية البارزة المزهرة، ونَصُّه:

«بسم الله الرَّحمَن الرَّحيم. ﴿ونُريدُ أنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذين اسْتُضْعِفُوا في الأَرْضِ ونَجْعَلَهُم أئِمَّةً ونَجْعَلَهُم الوارِثين﴾ [الآية ٥ سورة القصص]. ممَّا أمَرَ بعَمَلِه عبدُ الله ووَلِيّه أبو علي المنصور الإمام الحاكم بأمْرِ الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطَّاهرين في شهر رَجَب سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائة» (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n°28; Wiet, G., *RCEA* VI, n°2093; id., *Inscriptions historiques sur peirre*, pp. 35-36 n° 52; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, p. 336؛ محمد شاكر: اللوحة التاريخية للجامع الأنور، سورت – الجامعة السيفية ٢٠٠٢).

[1] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٩؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ١٢٢– ١٢٣؛ وفيما تقدم ٢: ٢٧٤ نصُّ ما وَرَد على البَدَنَة المجاورة لبابِ الفُتُوح.

أنَّها من الجامع ، وأنَّ بها مِحْرابًا ، فانْتُزِعَت وأُخْرِجَ الخَيْلُ منها ، وبُنِيَ فيها ما هو الآن في الأيَّام المُعِزِّيَّة على يد الرُّكْن الصَّيْرَفي ، ولم يُسَقَّف [١].

ثم جُدِّدَ هذا الجامعُ في سنة ثلاثٍ وسبع مائةٍ ، وذلك أنَّه لمَّا كان يوم الخميس ثالث عشرين ذي الحجَّة سنة اثنتين وسبع مائةٍ ، تَزَلْزَلَت أرْضُ مصر والقاهِرَة وأعْمالُهما ، ورَجَفَ كلُّ ما عليهما واهْتَزَّ ، وسُمِعَ للحيطان قَعْقَعَةٌ وللسُّقُوفِ قَرْقَعَةٌ ، ومارَت الأرْضُ بما عليها وخَرَجَت عن مَكانِها . وتَخَيَّلَ النَّاسُ أنَّ السَّماءَ قد انْطَبَقَت على الأرْض ، فَهَرَبوا من أماكِنِهم ، وخَرَجُوا عن مَساكِنِهم ، وبَرَزَتِ النِّساءُ حاسِرات ، وكَثُرَ الصُّراخُ والعَويلُ ، وانتشرت الخَلائِقُ ، فلم يَقْدِر أحَدٌ على السُّكون والقَرار ، لكَثْرَة ما سَقَطَ من الحيطان ، وخَرَّ من السُّقُوف والمآذِن وغير ذلك من الأَبْنِيَة . وفاضَ ماءُ النِّيل فَيْضًا غير المعتاد ، وأَلْقَى ما كان عليه من المراكِب التي بالسَّاحلِ قَدْر رَمْيَة سَهْم ، وانْحَسَرَ عنها فصارَت على الأَرْضِ بغير ماء .

واجْتَمَعَ العالَمُ في الصَّحْراء خارِجَ القاهِرَة ، وباتُوا ظاهِرَ بابِ البَحْر بحُرَمِهم وأَوْلادِهم في الخِيَم ، وخَلَت المَدينَةُ ، وتَشَعَّثَت جَميعُ البُيوت حتى لم يَسْلَم ولا بَيْتٌ من سُقُوطٍ أو تَسَقُّطٍ أو مَيْل . وقامَ النَّاسُ في الجَوامِع يَبْتَهِلون ، ويَسْأَلون الله سبحانه طُولَ يوم الخميس وليلة الجُمُعَة ويوم الجُمُعَة [٢].

فكان مِمَّا تَهَدَّم في هذه الزَّلْزَلَة الجامِعُ الحاكِمي ، فإنَّه سَقَطَ كثيرٌ من البَدَنات التي فيه ، وخَرِبَ أعالي المِئْذَنَتَيْن ، وتشعَّثَت سُقُوفُه وجُدْرانُه . فانْتُدِبَ لذلك الأميرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس الجاشْنَكير ، ونَزَلَ إليه ومعه القُضاةُ والأُمَراءُ فكَشَفَه بنفسه ، وأَمَرَ برَمِّ ما تَهَدَّم منه وإعادَةِ ما سَقَطَ من البَدَنات ، فأُعيدَت وفي كلِّ بَدَنَةٍ منها طاق ، وأقامَ سُقُوفَ الجامِع وبَيَّضَه حتى عادَ جَديدًا ، وجَعَلَ له عِدَّةَ أَوْقافٍ بناحية الجيزَة وفي الصَّعيد وفي الإسْكَنْدَرِية ، تُغِلُّ كلَّ سنةٍ شيئًا كثيرًا [٣]، ورَتَّبَ فيه دُرُوسًا أربعة لإقْراءِ الفِقْه على مَذاهِبِ الأئِمَّة الأربعة ، ودَرْسًا لإقْراءِ الحَديث النَّبَويّ ، وجَعَلَ لكلِّ دَرْسٍ مُدَرِّسًا وعِدَّةً كثيرةً من الطَّلَبَة .

---

[١] المقريزي : مُسَوَّدَة الخطط ١٢٣ظ ؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٩.

[٢] نفسه ١٢٣ظ ؛ وانظر فيما تقدم ٢٥ ، ١٠٣.

[٣] تُوجَدُ وقفيةُ المُظَفَّر بيبرس الجاشنكير ، وهي مُؤَرَّخَة في ٢٦ شوال سنة ٧٠٧هـ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة برقم ٢٢/ ٤، ٢٣/ ٤، ٢٤/ ٤.

وتَخَلَّف عن أعمالِ التَّرميم التي قامَ بها بَيْبَرْس الجاشْنَكير لَوْحٌ من الحَجَر الكَلْسي يَحْمل النَّصَّ التالي : «بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ . وكان الفَراغُ في شهر ذي الحِجَّة سنة ثلاث وسبع مائة» .

van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n°31; Wiet,) . (G., *RCEA* XIII, n° 5159

فرَتَّبَ في تَدْريس الشَّافِعِيَّة قاضي القُضَاة بَدْرَ الدِّين محمد بن جَماعَة الشَّافِعِيّ، وفي تَدْريس الحَنَفِيَّة قاضي القُضَاة شَمْسَ الدِّين أحمد السُّروجي الحَنَفي، وفي تِدْريس المالِكِيَّة قاضي القُضَاة زَيْنَ الدِّين عليّ بن مَخْلوف المالِكِي، وفي تَدْريس الحَنابِلَة قاضي القُضَاة شَرَفَ الدِّين الحَرَّاني [a]، وفي دَرْسِ الحَديث الشَّيْخُ سَعْدَ الدِّين مَسْعودًا الحارِثي، وفي دَرْس النَّحْو الشَّيْخَ أَثِيرَ الدِّين أبا حَيَّان، وفي دَرْس القِراءَات السَّبْع الشَّيْخَ نُورَ الدِّين الشَّطَنُوفي، وفي التَّصْدير لإفادَة العُلُوم عَلاءَ الدِّين عليّ بن إسماعيل القُونَوِيّ، وفي مَشْيَخَةِ الميعاد المَجْدَ عيسَىٰ بن الخَشَّاب.

وعَمِلَ فيه خِزانَةَ كُتُبٍ جليلَة، وجَعَلَ فيه عِدَّةَ مُتَصَدِّرين لتَلْقين القُرْآنِ الكريم، وعِدَّةَ قُرَّاءٍ يَتَناوَبون قِراءَةَ القُرْآن، ومُعَلِّمًا يُقْرِئُ أيْتامَ المسلمين كِتابَ الله عَزَّ وجَلَّ. وحَفَرَ فيه صِهْريجًا بصَحْنِ الجَامِع ليُمْلأَ في كلِّ سنةٍ من ماءِ النِّيل، ويُسَبَّل منه الماءُ في كلِّ يومٍ، ويَسْتَقي منه النَّاسُ يوم الجُمُعَة، وأَجْرَى على جَميعِ من قَرَّرَه فيه مَعاليمَ دارَّة. وهذه الأَوْقافُ باقيةٌ إلى اليوم، إلَّا أنَّ أحْوالَها اخْتَلَّت كما اخْتَلَّ غيرُها. فكان ما أُنْفِقَ عليه زيادَةً على أربعين ألف دينار.

وجَرَى في بِنائِه لهذا الجَامِع أَمْرٌ يُتَعَجَّبُ منه، وهو ما حَدَّثَني فيه شَيْخُنا الشَّيْخُ المعروف المُسْنِد المُعَمَّر، أبو عبد الله محمد بن ضِرْغام بن شُكْر المُقْرِئ بمَكَّةَ في سنة سبعٍ وثمانين وسبع مائةٍ[1]، قال: أَخْبَرَني من حَضَرَ عِمارَةَ الأمير بَيْبَرْس للجَامِع الحاكِمي عند سُقُوطِه في سنة الزَّلْزَلَة، أنَّه لمَّا شَرَعَ البُناةُ في تَرْميم ما وَهَى من المِئْذَنَة التي هي من جِهَة باب الفُتُوح، ظَهَر لهم صُنْدوقٌ في تضاعيف البُنْيان. فأَخْرَجَه الموكَّلُ بالعِمارَة وفَتَحَه، فإذا فيه قُطْنٌ مَلْفُوفٌ على كَفٍّ إنسانٍ بزِنْده، وعليه أَسْطُرٌ مكتوبةٌ لم يَدْرِ ما هي، والكَفُّ طَرِيَّة كأنَّها قريبة عَهْدٍ بالقَطْع. ثم رَأَيْتُ هذه الحِكايَة بخَطِّ مُؤَلِّف «السِّيرَة النَّاصِرِيَّة» مُوسَىٰ بن محمد بن يحيى أَحَد مُقَـدَّمي الحَلْقَة[2].

ثم جُدِّدَ هذا الجَامِعُ، وبُلِّطَ جَميعُه في أيَّام الملك النَّاصِر حَسَن بن محمد بن قَلاوون في ولايته الثانية، على يد الشَّيْخ/ قُطْبِ الدِّين محمد الهِرْماس في سنة ستين وسبع مائةٍ[3]. ووَقَفَ قطعةَ ٧٩:٢

---

a) بولاق: الحوَّاني.

---

[1] لم يترجم له المقريزي في درر العقود الفريدة.

[2] عنوان هذه السيرة «نُزْهَة النَّاظِر في سيرة الملك النَّاصر» لموسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، والموجود من هذه السيرة يبدأ بحوادث سنة ٧٣٣هـ (انظر فيما تقدم ٣:٧٢).

[3] انظر خبر الهِرْماس فيما تقدم ٣:٢٥٢- ٢٥٣.

أرْضٍ على الهِزْماس وأوْلاده ، وعلى زِيادَةٍ في مَعْلوم الإمام بالجَامِع ، وعلى ما يُحْتاج إليه في زَيْتِ الوَقود ومَرَمَّةٍ في سَقْفه وجُدْرانِه .

وجَرَى في عِمارَة الجَامِع على يد الهِزْماس ما حَدَّثني به الشَّيْخُ المُعَمَّر شَمْسُ الدِّين محمد ابن عليّ ، إمامُ الجَامِع الطَّيْبَرْسي بشاطئ النِّيل قال : أخبرني محمد بن عُمَر البُوصيري ، قال : حَدَّثنا قُطْبُ الدِّين محمد الهِزْماس ، أنَّه رأى بالجَامِع الحاكِمي حَجَرًا ظَهَرَ من مَكانٍ قد سَقَطَ ، مَنْقُوشَة عليه هذه الأبْياتُ الخَمسة :

[الكامل]

إنَّ الذي أَسْرَرْتُ مَكْنُونَ اسْمِه ... وكَتَمْتُه كَيْما أفُوزَ بوَصْلِه
مالٌ له جِذْرٌ تَساوَى في الهَجا ... طَرَفاه يُضْرَب بَعْضُه في مِثْلِه
فيَصيرُ ذاكَ المالُ إلَّا أنَّه ... في النِّصْف منه تُصابُ أَحْرُفُ كُلِّه
وإذا نَطَقْت برُبْعِه متكلِّمًا ... من بَعْدِ أوَّلِه نَطَقْت بكُلِّه
لا نَقْطَ فيه إذا تَكامَل عَدُّه ... فيَصيرُ مَنْقُوطًا بجُمْلَةِ شَكْلِه

قال : وهذه الأبياتُ لُغْزٌ في الحَجَرِ المُكَرَّم .

وقال العَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّين محمد بن النَّقَّاش في كِتاب «العِبَر في أخْبار من مَضَى وغَبَر»[1] : وفي هذه السنة ـ يعني سنة إحدى وستين وسبع مائةٍ ـ صُودِرَ الهِزْماسُ وهُدِمَت دارُه التي بَناها أمامَ الجَامِع الحاكِمي[2] ، وضُرِبَ ونُفِيَ هو ووَلَدُه . فلمَّا كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذي القعدة ، اسْتَفْتَى السُّلْطانُ الملك النَّاصِرُ حَسَن بن محمد بن قَلاوون في وَقْفِ حِصَّةِ طَنْدَتا[3] ، وهي الأرْضُ التي كان قد سَأَلَهُ الهِزْماسُ أن يَقِفَها على مَصالِح الجَامِع الحاكِمي ، فعَيَّنَ له خمس مائةٍ وستين فَدَّانًا من طين طَنْدَتا ، وطَلَبَ المُوَقِّعين وأَمَرَهُم أن يَكْتُبُوا صُورَةَ وَقْفِها ، ويُحْضِرُوه ليَشْهَدوا عليه به ـ وكان قد تَقَرَّرَ من شُروطِه في أوْقافِه ما قيل إنَّه رِوايةٌ عن أبي حَنيفَة ـ رحمة الله

[1] لم يرد عنوان هذا الكتاب في «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة أو في «تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان ، ورُبَّما كان المؤَلِّف هو شَمْسُ الدِّين محمد بن علي بن عبد الواحد ابن يحيى بن عبد الرَّحيم الدُّكالي الشَّافعي المعروف بابن النَّقَّاش ، خَطيب جَامِع ابن طُولُون ، المتوفى سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م . (المقريزي : درر العقود الفريدة ٣:٣٧٤- ٣٧٦، السلوك ٣: ٧٩؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٤: ١٩٠؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ١٣، الدليل الشَّافي ٢:٦٦١) . وإن لم يذكر له أحد ممن ترجم له كتابا بهذا العنوان .

[2] انظر عن دار الهِزْماس ، فيما تقدم ٣:٢٥٢-٢٥٣ .

[3] طَنْدَتا هي مدينة طَنْطا الحالية عاصمة محافظة الغربية . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ١٣:١٢٨-١٣٠ (٤٤-٤٥) ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢/٢:١٠٢-١٠٣) .

تعالى عليه ـ من أنَّ للوَاقِف أن يَشْتَرِطَ في وَقْفِه التَّغْيير والزِّيادَة والنَّقْص وغير ذلك ـ فأحْضَرَ الكَرْكي المُوَقِّع إليه الكِتاب مَطْويًّا، فقرأ منه طُرَّتَه وخُطْبَته وأوَّلَه، ثم طَواه وأعادَه إليه مَطْويًّا، وقال: اشْهَدوا بما فيه ـ دون قِراءَةٍ وتأمُّل ـ فشَهِدوا هم بالتَّفْصيل الذي كَتَبُوه وقرَّروه مع الهِرْماس.

ولمَّا اطَّلَعَ السُّلْطانُ على ذلك بعد نَفْي الهِرْماس، طَلَبَ الكَرْكي وسأَلَه عن هذه الواقِعَة. فأجابَ بما قد ذكرنا، والله أَعْلَم بصِحَّةِ ذلك، غير أنَّ المعلوم المُقرَّر أنَّ السُّلْطانَ ما قَصَدَ إلَّا مَصالِحَ الجَامِع، نعم سَأَلَه أَزْدَمُر الخازِنْدار: هل وَقَفْتَ حِصَّةً لَطيفَةً على أوْلادِ الهِرْماس، فإنَّه قد ذَكَرَ ذلك؟ فقال: نَعَم، أنا وَقَفْتُ عليهم جُزْءًا يَسيرًا لم أعْلَم مِقْدارَه. وأمَّا التَّفْصيلُ المذكور في كِتابِ الوَقْفِ فلم أَتَحَقَّقه ولم أطَّلِع عليه.

فاسْتَفْتَى المُفْتين في هذه الواقِعَة. فأمَّا المُفْتُون ـ كابن عَقِيل، وابن السُّبْكي، والبُلْقيني والبَسْطامي، والهِنْدي، وابن شَيْخ الجَبَل، والبَغْدادي ونحوهم ـ فأجابوا ببُطْلان الحُكْم المترتِّب على هذه الشَّهادَة الباطِلَة وبُطْلان التَّنْفيذ، وكان الحَنَفيُّ حَكَمَ والبقيَّة نَفَّذوا. وأمَّا الحَنَفيُّ فقال: إنَّ الوَقْفَ إذا صَدَرَ صَحيحًا على الأَوْضاعِ الشَّرْعية، فإنَّه لا يَبْطُل بما قاله الشَّاهِد، وهو جَوابٌ عن نفس الواقِعَة. وأمَّا الشَّافِعِيُّ فكَتَبَ ما مضمونه: إنَّ الحَنَفِيَّ إنِ اقْتَضَى مَذْهَبُه بُطْلان ما صَحَّحَه أوَّلًا، نَفَذَ بُطْلانُه، وحاصِلُ ذلك أنَّ القُضاةَ أجابوا بالصِّحَّة، والمُفْتين أجابوا بالبُطْلان.

فطَلَبَ السُّلْطانُ المُفْتين والقُضَاة. فلم يَحْضُر من الحُكَّام غير نائِب الشَّافِعِي، وهو تاجُ الدِّين محمد بن إسحاق بن المُنَاوي، والقُضَاةُ الثلاثة الشَّافِعِيّ والحَنَفيّ والحَنْبَليّ وُجِدُوا مَرْضَى لم يُمْكِنهم الحُضُور إلى سِرْياقوس ـ فإنَّ السُّلْطانَ كان قد سَرَحَ إليها على العادَة في كلِّ سنة ـ فجَمَعَهم السُّلْطانُ في بُرْجٍ من القَصْرِ الذي بمَيْدانِ سِرْياقوس عشاءَ الآخرة، وذكر لهم القَضِيَّة، وسألهم عن حُكْم الله تعالى في الواقِعَة. فأجابَ الجَميعُ بالبُطْلان غير المُناوي، فإنَّه قال: مَذْهَبُ أبي حَنيفَة أنَّ الشَّهادَة الباطِلَة إذا اتَّصَل بها الحُكْمُ صَحَّ ولَزِمَ. فصَرَخَت عليه المُفْتُون شافِعِيهم وحَنَفِيهم، أمَّا شافِعِيهم فإنَّه قال: ليس هذا مَذْهَبَك ولا مَذْهَبُ الجُمْهُور، ولا هو الرَّاجِحُ في الدَّليل والنَّظَر. وقال له ابنُ عَقيل: هذا مِمَّا يُنْقَضُ به الحُكْمُ لو حَكَمَ به حاكِمٌ، وادَّعَى قِيامَ الإجْماعِ على ذلك. وقال له سِراجُ الدِّين البُلْقيني: ليس هذا مَذْهَبَ أبي حَنيفَة، ومَذْهَبُه في العُقُودِ والفُسُوخِ ما ذكرت من أنَّ حُكْمَ الحَاكِم يكون هو المُعْتَمَد في التَّحْليل والتَّحْريم. وأمَّا الأَوْقافُ ونحوها فحُكْمُ الحَاكِم فيها لا أَثَرَ له كمَذْهَبِ الشَّافِعِيّ.

وادَّعوا أنَّ الإجماعَ قائِمٌ على ذلك، وقامُوا على المُناوي في ذلك قَوْمَةً عَظيمَةً، فقال: نحن نَحْكُم بالظَّاهِر. فقالوا له: ما لم يَظْهَرِ الباطِنُ بخِلافِه. فقال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «نَحْنُ نَحْكُمُ بالظَّاهِر». قالوا: هذا الحَديثُ كَذِبٌ على النَّبِيِّ ﷺ، وإنَّما الحَديثُ الصَّحيحُ حَديثُ «إنَّما أنا بَشَرٌ، ولَعَلَّ بَعْضَكُم أن يكون أَلْحَن بحُجَّتِه من بَعْض ...» الحَديث.

٢٨ /قال المُناوي: الأَحْكامُ ما هي بالفَتاوى. قالوا له: فبماذا تكون؟ أفي الوُجود حُكْمٌ شَرْعِيٌّ بغير فَتْوَى من الله ورَسُولِه؟

وكان قد قال في مَجْلِس ابن الدُّرَيْهِم القائِم على نَفيس اليَهودي - المَدْعو برَأْس الجَالُوت[1] بين اليَهُود - لا يُلْتَفَت لقَوْلِ المُفْتين. فقيل له في هذا المَجْلِس: ها أنت قد قُلْتَ مَرَّتين: إنَّ المُفْتين لا يُعْتَبَرُ قَوْلُهُم، وأنَّ الفَتاوَى لا يُعْتَدّ بها. وقد أخْطَأْت في ذلك أَشَدَّ الخَطَأ، وأنْبَأْت عن غاية الجَهْلِ، فإنَّ مَنْصِبَ الفَتْوَى أوَّل من قامَ به رَبُّ العالمين، إذ قال في كِتابِه المُبين: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ الله يُفْتِيكُمْ في الكَلَٰلَةِ﴾ [الآية ١٧٦ سورة النساء]، وقال يُوسُف - عليه السَّلام -: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فيه تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [الآية ٤١ سورة يوسف]، وقال النَّبِيُّ ﷺ لعائِشَة - رضي الله عنها -: «قد أَفْتاني الله رَبِّي فيما اسْتَفْتَيْتُه».

وكُلُّ حُكْمٍ جاءَ على سُؤالِ سائِلٍ تَكَفَّلَ بيَيانِه قُرآنٌ أو سُنَّة فهو فَتْوَى، والقائِمُ به مُفْتٍ، فكيف تقول: لا يُلْتَفَت إلى الفَتْوَى أو إلى المُفْتين؟ فقال سِراجُ الدِّين الهِنْدي وغيرُه: هذا كُفْرٌ، ومَذْهَبُ أبي حَنيفَة أنَّ من اسْتَخَفَّ بالفَتْوَى أو المُفْتين فهو كافِرٌ.

فاسْتَدْرَك نفسه بعد ذلك وقال: لَم أُرِد إلَّا أنَّ الفَتْوَىٰ إذا خالَفَتِ المَذْهَب فهي باطِلَة. قالوا له: وأَخْطَأْت في ذلك أيضًا، لأنَّ الفَتْوَىٰ قد تُخالِفُ المَذْهَب المُعَيَّنَ، ولا تُخالِفُ الحَقَّ في نَفْس الأَمْر. قال: فأَرَدْتُ بالفَتْوَىٰ التي تُخالِف الحَقّ. قالوا: فأَطْلَقْت في مَوْضِعِ التَّقْييد، وذلك خَطَأ. فقال السُّلْطانُ حينئذٍ: فإذا قُدِّرَ هذا، وادَّعَيْت أنَّ الفَتْوَى لا أَثَرَ لها، فنُبْطِل المُفْتين والفَتْوَى من الوُجُود. فتلكَّأ وحارَ وقال: كَيْفَ أَعْمَلُ في هذا؟ فَتَبَيَّنَ لبَعْضِ الحاضِرين أنَّه اسْتَشْكَل المسألة، ولم يَتَبَيَّن له وَجْهُها، فقال: لا شَكَّ أنَّ مولانا السُّلْطان لم يُنْكِر صُدُورَ الوَقْفِ، وإنَّما أَنْكَرَ المَصارِف، وأن تكون الجِهَة التي عَيَّنَها هي هِرْماس وشُهودُه وقُضاتُه،

---

[1] عن وظيفة رأس الجالوت Head of the Disspora، أي رئيس يهود المَنْفَى، راجع، Cohen, M. R., *Jewish Self - Government in Medieval Egypt. The Origins of the Office of Head of the Jews, Ca. 1065-1126*, Princeton N.J. 1980.

وللسُّلْطان أن يَحْكُم فيها بعِلْمِه، ويُبْطِل ما قَرَّرَه من عند أَنْفُسهم.

قال: وكيف يَحْكُم لنَفْسِه؟ قيل له: ليس هذا حُكْمًا لنفسه لأنَّه مُقِرٌّ بأَصْلِ الوَقْفِ، وهو للمُسْتَحِقِّين ليس له فيه شَيءٌ، وإنَّما بَطَلَ وَصْفُ الوَقْفِ، وهو المَصْرَف الذي قُرِّرَ على غير جِهَة الوَقْف. وله أن يُوقِع الشَّهادَة على نفسه، بحُكْم أنَّ مَصْرَفَ هذا الوَقْفِ الجِهَةُ الفُلانِيَّة دون الفُلانِيَّة.

ولم يزالوا يَذْكُرون له أَوْجُهًا تُبيِّن بُطْلانَ الوَقْف إمَّا بأَصْلِه أو بوَصْفِه، إلى أن قال: يَبْطُلُ بوَصْفِه دون أَصْلِه. وأَذْعَنَ لذلك بعد إتْعابٍ من العُلَماء، وانْزِعاجٍ[a] شَديدٍ من السُّلْطان في بَيانِ وُجوهٍ ذَكَرَها[b] تُبيِّنُ وَجْهَ الحَقِّ، وأنَّه إنَّما وَقَفَه على مَصارِفِ[c] الجامِع المذكور. وهذا مِمَّا لا يَشُكُّ فيه عاقِلٌ ولا يَرْتاب. فالْتَفَتَ بعد ذلك وقال للحاضِرين: كيف نَعْمَل في إبْطالِه؟ فقالوا: بما قَرَّرْناه من إشْهادِ السُّلْطانِ على نفسه بتَفْصيلٍ صَحيح، وأنَّه لم يَزَل كذلك منذ صَدَرَ منه الوَقْفُ إلى هذا الحَدِّ وغير ذلك من الوُجوه.

فجَعَلَ يُوهِم السُّلْطان أنَّ الشُّهودَ الذين شَهِدوا في هذا الوَقْف، مَتَى بَطَلَ هذا الوَقْف ثَبَتَ عليهم التَّساهُل، وجُرِّحُوا بذلك، وقَدَحَ ذلك في عَدَالَتِهم، ومَتَى جُرِّحوا الآن، لَزِمَ بُطْلان شَهادَتِهم في الأَوْقاف المتقدِّمة على هذا التاريخ.

وخَيَّلَ بذلك للسُّلْطان حتى ذَكَرَ له إجْماعَ المُسْلمين على أنَّ جَرْحَ الشَّاهِد لا يَنْعَطِف على ما مَضَى من شَهاداتِه السَّالِفَة، ولو كَفَرَ - والعِياذُ بالله - وهذا مِمَّا لا خِلافَ فيه. ثم اسْتَقَرَّ رَأْيُه على أن يُبْطِلَه بشَاهِدَيْن يَشْهَدان أنَّ السُّلْطانَ لمَّا صَدَرَ منه هذا الوَقْف كان قد اشْتَرَط لنفسه التَّغْيير والتَّبْديل والزِّيادَة والنَّقْص، وقامَ على ذلك.

قال كاتِبُه[d]: انْظُر تَثَبُّتَ القُضَاة، وقَايِس بين هذه الواقِعَة وما كان من تَثَبُّت القاضي تاج الدِّين المُناوي - وهو يومئذٍ خَليفَة الحُكْم - ومُصادَمَته الجِبال، وبين ما سَتَقِف عليه من التَّساهُل والتَّناقُض في خَبَرِ أَوْقَاف مَدْرَسَة جَمال الدِّين يُوسُف الأُسْتادّار[1]، ومَيِّز بعَقْلِك فَرْقَ ما بين القَضِيَّتَيْن. وهذه الأَرْضُ التي ذُكِرَت، هي الآن بيد أَوْلاد الهِرْماس، بحُكْم [e]ما في[e] الكِتاب

---

a) بولاق: إزعاج. b) بولاق: ذكروها. c) بولاق: مصالح. d) بولاق: مُؤَلِّفُه. e-e) ساقطة من بولاق.

---

[1] فيما يلي ٦٤٤-٦٤٧.

الذي حاوَل السُّلْطانُ نَقْضَه فلم يُوافِق المُناوِي . والجَامِعُ الآن مُتَهَدِّمٌ ، وسُقُوفُه كلُّها ما من زَمَنٍ إلَّا ويَسْقُط منها الشَّيءُ بعد الشَّيء فلا يُعاد .

وكانت مَيْضَأةُ هذا الجَامِع صغيرةً بجِوار مَيْضَأتِه الآن فيما بينها وبين بابِ الجَامِع ، ومَوْضِعُها الآن مَخْزَنٌ تَعْلوه طَبَقَةٌ عَمَّرَها شَخْصٌ من الباعَة يُعْرَف بابن كَرْسون المَراحِلي وهذه المَيْضَأةُ الموجودة الآن أُحْدِثَت ، وأَنْشأ الفَسْقِيَّة التي فيها ابنُ كَرْسون في أعْوامِ بِضْعٍ وثمانين وسبع مائةٍ ، وبَيَّضَ مِئْذَنَتي الجَامِع . واسْتَجَدَّ المِئْذَنَة التي بأعْلَى البابِ المجاور للمِنْبَر رَجُلٌ من البَاعَة ، وكَمُلَت في جُمادَى الآخرة سنة سبعٍ وعشرين وثمان مائةٍ ، وخَرَقَ سَقْفَ الجَامِع حتى صارَ المُؤَذِّنون يَنْزِلون من السَّطْحِ إلى الدَّكَّةِ التي يُكَبِّرون فَوْقَها وَرَاءَ الإمام .

هَيْئَةُ صَلاةِ الجُمُعَة

في أيَّام الخُلَفاء الفاطِميين . قال المُسَبِّحيُّ : وفي يوم الجُمُعَة غُرَّة رَمَضَان سنة ثمانين وثلاث مائةٍ ، رَكِبَ العَزيزُ بالله إلى جَامِع القاهِرَة بالمِظَلَّة المُذَهَّبَة ، وبين يَدَيْه نحو خمسة آلاف ماشٍ[a] ، وبيده القَضيبُ وعليه الطَّيْلَسانُ والسَّيْفُ ، فَخَطَبَ وصَلَّى صَلاةَ الجُمُعَة ، وانْصَرفَ فأخَذَ رِقاعَ المتظلِّمين بيده ، وقرأ منها عِدَّةً في الطَّريق ؛ وكان يَوْمًا عَظيمًا ذكرته الشُّعراءُ[1] .

قال ابنُ الطُّوَيْر : إذا انْقَضَى رُكُوبُ أوَّلِ شهر رَمَضَان اسْتَراحَ / في أوَّلِ جُمُعَة ، فإذا كانت الثَّانية رَكِبَ الخَليفَةُ إلى الجَامِع الأَنْوَر الكبير ، في هَيْئَةِ المواسِم ، بالمِظَلَّة وما تقدَّم ذكره من الآلات ، ولِباسُه فيه ثِيابُ الحَرِير البيض ، تَوْقيرًا للصَّلاة من الذَّهَب والمِنْديل والطَّيْلَسان المُقَوَّر الشَّعْريين[2] . فيَدْخُل من بابِ الخَطابَة والوَزيرُ معه ، بعد أن يتقدَّمه في أوائِل النَّهار صاحِبُ بَيْتِ المال ـ وهو المقدَّم ذكره في الأُسْتاذين ـ وبين يَدَيْه الفُرُش المختصة بالخَليفَة إذا صارَ إليه في هذا اليوم ، وهو محمولٌ بأيدي الفَرَّاشين المميَّزين ، وهو ملفوفٌ في العَراضي الدَّبيقي[b] . فيُفْرَش في المِحْراب ثلاث طَرَّاحات ، إمَّا سامان أو دَبيقي أبيض أَحْسَن ما يكون من صَنْفهما ، كلٌّ منهما منقوشٌ بالحُمْرَة . فتجعل الطَّرَّاحات مُتطابِقات ، ويعلَّق سِتْران يَمْنَة ويَسْرَة ، وفي السِّتْرِ الأيمن

a) المُسَوَّدَة : مثناة . b) بولاق : الدبيقية .

[1] المسبحي : نصوص ضائعة ١٣؛ المقريزي : اتعاظ ٢ : ٢٦٧؛ مسودة الخطط ١٢٤و ، والعنوان فيه : «ذِكْرُ هَيْئَة صلاة الجمعة أيَّام الخُلَفَاء» .

[2] حاشية بخط المؤلِّف : «الطَّيْلَسانُ المُقَوَّر يُعْرَف اليوم بالطَّرْحَة» .

كِتابَةٌ مَرْقُومَة بالحَرِير الأحمر واضِحَةٌ منقوطة ، أوَّلها «البَسْمَلَة» و«الفاتِحَة» و«سُورَة الجُمُعَة» ، وفي السِّتْر الأيسر مثل ذلك وسُورَة ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [الآية ١ سورة المنافقون] . وقد أُسْبِلا وفُرِشَا في التَّعْليق بجانبي المِحْراب لاصِقَيْن بجسمه .

ثم يَصْعَدُ قاضي القُضَاة المِنْبَر وفي يَدِه مَدْخَنَة لطيفة خَيْزُران يُحْضِرُها إليه صَاحِبُ بَيْتِ المال فيها جَمَرات ، ويجعل فيها نَدّ مثلَّث لا يُشَمُّ مثله إلَّا هناك ، فيُبَخِّر الذُّرْوَة التي عليها الغِشاء كالقُبَّة لجُلُوس الخَلِيفَة للخَطابَة ، ويُكَرِّر ذلك ثلاث دَفْعات ؛ فيأتي الخَليفَةُ في هَيْئَةٍ مُوَقَّرةٍ من الطَّبْلِ والبُوقِ ، وحوالي رِكابِه ـ خارِج أصْحابِ الرِّكاب ـ القُرَّاءُ ، وهم قُرَّاءُ الحَضْرَة ، من الجانبين ، يُطَرِّبون بالقِراءَة نَوْبَةً بعد نَوْبَة يستفتحونه[a] بذلك من رُكوبِه عن[b] الكرسي ، على ما تَقَدَّمَ طُول طَرِيقِه إلى قاعَة الخَطَابَة من الجامِع . ثم تُحْفَظ المَقْصُورَة من خارجها بترتيبِ أصْحابِ البابِ وإسْفِهْسَلار العَساكِر ، من أوَّلها[c] إلى آخرها صِبْيانُ الخاصّ وغيرهم مِمَّن يجري مَجْراهم ، ومن داخِلها من بابِ خُروجه إلى المِنْبَر واحِد فواحِد ، فيَجْلِس في القاعَة ، وإنِ احْتاجَ إلى تَجْديد وُضوءٍ فَعَلَ ، والوَزيرُ في مكانٍ آخر .

فإذا أُذِّن بالجُمُعَة دَخَل إليه قاضي القُضَاة فقال له : «السَّلامُ على أمير المؤمنين الشَّريف القاضي الخَطيب[d] ورحمة الله وبركاته ، الصَّلاة يرحمك الله» . فيخْرُج ماشِيًا وحَوالَيْه الأُسْتاذُون المُحَنَّكون والوَزيرُ وراءَه ، ومن يليهم من الخَواصّ ، وبأيْديهم الأسْلِحَة من صِبْيانِ الخاصّ ، وهم أُمَرَاءُ وعليهم هذا الاسْم . فيَصْعَد إلى[d] المِنْبَر إلى أن يَصِل إلى الذُّرْوَة تحت تلك القُبَّة المُبَخَّرَة ، فإذا اسْتَوَى جَالِسًا والوَزيرُ على بابِ المِنْبَر ووَجْهُه إليه فيُشيرُ إليه بالصُّعُود فيَصْعَد إلى أن يَصِلَ إليه ، فيقبِّل يَدَيْه ورِجْلَيْه بحيث يَراهُ النَّاسُ ، ثم يُزَرِّر عليه تلك القُبَّة لأنَّها كالهَوْدَج ، ثم ينزل مستقبِلًا فيقف ضابِطًا لبابِ المِنْبَر ، فإن لم يكن ثَمَّ وَزيرُ صَاحِبُ سَيْفٍ ، زَرَّرَ عليه قاضي القُضَاة كذلك ، ووَقَفَ صَاحِبُ البابِ ضَابِطًا للمِنْبَر ، فيَخْطُب خُطْبَةً قَصِيرَةً من مَسْطُورٍ يُحْضَر إليه من ديوان الإنْشَاء ، يَقْرَأ فيها آيَةً من القُرْآن المَجيد[e] ؛ ولقد سمعته مرَّةً في خَطابَتِه بالجَامِع الأزْهَر وقد قَرَأَ في خُطْبَتِه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ الآية [الآية ١٥ سورة الأحقاف] . ثم يُصَلِّي فيها[f] على أبيه وجَدِّه ـ يعني بهما محمَّدًا ﷺ وعليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ويَعِظُ النَّاسَ وَعْظًا بَليغًا قَليلَ اللَّفْظ .

---

a) بولاق : يستفتحون . b) بولاق : من . c) بولاق : داخلها . d) ساقطة من بولاق . e) بولاق : الكريم . f) فيها : ساقطة من بولاق .

وتَشْتَمِلُ الخُطْبَةُ على أَلْفاظٍ جَزْلَة ، ويذكر من سَلَفَ من آبائِه حتى يصل إلى نفسه ، فقال وأنا أَسْمَعُه : «اللَّهم وأنا عَبْدُك وابن عَبْدِك ، لا أَمْلِكُ لنَفْسي ضَرًّا ولا نَفْعًا» . ويتوسَّلُ بدَعَواتٍ فَخْمَة تَليقُ بمثله ، ويَدْعو للوَزير إن كان ، وللجُيُوش بالنَّصْر والتأليف ، وللعَساكِر بالظَّفَر ، وعلى الكافِرين والمُخالِفين بالهَلاكِ والقَهْر ، ثم يختم بقوله : «اذْكُروا الله يَذْكُرْكُم» ، فيَطْلُع إليه من زَرَّرَ عليه ، ويفكّ ذلك التَّزْرير وينزل القَهْقَرَىٰ . وسَبَبُ التَّزْرير عليهم قِراءَتهم من مَسْطُور لا كعادَة الخُطَباء .

فيَنْزِلُ الخَليفَةُ ، ويَصيرُ على تلك الطَّرّاحات الثلاث في المِحْراب وَحْدَه إمامًا ، ويقف الوَزيرُ وقاضي القُضَاة صَفًّا ، ومن ورائهما الأُسْتاذون المُحَنَّكون والأُمَراءُ المُطَوَّقون . وأَرْبابُ الرُّتَبِ من أَصْحابِ السُّيوف والأَقْلام ، والمؤذِّنون وُقوفٌ وظُهورُهم إلى المَقْصورَة لحِفْظِه . فإذا سَمِعَ الوَزيرُ الخَليفَة أَسْمَع القاضي ، فأَسْمَع القاضي المُؤَذِّنين ، وأَسْمَع المُؤَذِّنونَ النَّاس . هذا والجامِعُ مَشْحُونٌ بالعالَم للصَّلاة وَراءَه ، فيقرأ ما هو مكتوبٌ في السِّتْرِ الأيمن في الرَّكْعَة الأولى ، وفي الرَّكْعَة الثانية ما هو مكتوبٌ في السِّتْرِ الأيسر ، وذلك على طَريقِ التَّذْكار خيفةَ الإرْتاج [a]. فإذا فَرَغَ خَرَجَ النَّاسُ ورَكبوا أَوَّلًا فأَوَّلًا ، وعادَ طالِبًا القَصْر والوَزيرُ وَراءَه ، وضُرِبَت البُوقاتُ والطُّبولُ في العَوْد .

فإذا أَتَتِ الجُمُعَةُ الثَّانية رَكِبَ إلى الجامِعِ الأَزْهَرِ من القَشَّاشين [1] ، على المِنْوالِ الذي ذَكَرْناه والقالَب الذي وَصَفْناه .

فإذا كانت الجُمُعَةُ الثَّالثة أَعْلَم برُكوبِه إلى مصر للخَطابَة في جَامِعِها ، فيُزَيِّنُ له من بابِ القَصْر أَهْلُ القاهِرَة إلى جَامِعِ ابن طُولُون ، ويُزَيِّنُ له أَهْلُ مصر من جَامِعِ ابن طُولُون إلى الجَامِع بمصر ، يُرَتِّب ذلك والي مصر : كلُّ أَهْلِ مَعيشَةٍ في مَكانٍ . فيَظْهَر المُخْتارُ من الآلات والسُّتور المثمَّنات ، ويهتمون بذلك ثلاثة أيَّام بلياليهن ، والوالي مارٌّ وعائِدٌ بينهم ، وقد نَدَبَ مَنْ يَحْفَظ النَّاسَ ومَتاعَهم . فيركب يوم الجُمُعَة المذكور شاقًّا / لذلك كلّه على الشَّارِع الأَعْظَم إلى مَسْجد ٢/
عبد الله [2] الخَراب اليوم ، إلى دارِ الأَنْماط ، إلى الجَامِع بمصر . فيدخل إليه من المَعونَة ـ ومنها بابٌ مُتَّصِل بقاعَةِ الخَطيب ـ بالزيّ الذي تقدَّم ذكره في خُطْبَةِ الجامِعين بالقاهِرَة وعلى تَرْتيبهما . فإذا

---

a) بولاق : الارتجاج .

---

[1] حاشية بخطّ المُؤلِّف : «القَشَّاشين يُعْرَف اليوم بالخَرَّاطين» .

[2] انظر عن مسجد عبد الله وموقعه فيما تقدم ١٢٥:٢هـ ٥ .

قَضَى الصَّلاةَ عادَ إلى القاهِرَة من طَرِيقه بعينها، شاقًّا بالزِّينَة إلى أن يَصِل إلى القَصْر، ويُعْطي أرْبابَ المساجِد التي يَمُرُّ عليها كلَّ واحِدٍ دينارًا [1].

وقال ابنُ المأمُون: ووَصَلَ من الطِّرازِ الكُسْوَةُ المختصَّةُ بغُرَّةِ شهر رَمَضَان وجُمْعَتَيْه: بِرَسْم الخَليفَة للغُرَّةِ بَدْلَة كبيرة موكبية مكمَّلة مُذَهَّبَة، وبرَسْمِ الجَامِع الأَزْهَر للجُمُعَة الأولى من الشهر بَدْلَةٌ موكبية حَريري مكمَّلة مِنْديلُها وطَيْلَسانُها بَياض، وبرَسْم الجَامِع الأَنْوَر للجُمُعَة الثَّانية بَدْلَةٌ مِنْديلُها وطَيْلَسانُها شعري، وما هو برَسْم أخي الخَليفَة للغُرَّة خاصَّةً بَدْلَةٌ مُذَهَّبَة، وبرَسْم أرْبَعِ جِهات للخَليفَة أرْبَعُ حُلَل مُذَهَّبات، وبرَسْم الوَزير للغُرَّة خِلْعَةٌ مُذَهَّبة مكمَّلة موكبية، وبرَسْم الجُمُعَتَيْن بَدْلَتان حَريريتان. ولم يكن لغير الخَليفَةِ وأخيه و[a]الوَزير في ذلك شيءٌ فنذكره [2].

جَامِع راشِدَة

هذا الجَامِعُ عُرِفَ بـ«جَامِع راشِدَة» لأنَّه في خِطَّةِ راشِدَة. قالَ القُضَاعِي: خِطَّةُ راشِدَة بن أدّ ابن جُذَيْلة من لَخْم، هي مُتاخِمَة للخِطَّة التي قبلها إلى الدَّيْر المعروف كان بأبي تَلْمُوس[b] ثم هُدِمَ، وهو الجَامِعُ الكبير الذي براشِدَة. وقد دَثَرَت هذه الخِطَّةُ، ومنها المقبرةُ المعروفة بمَقْبَرَةِ راشِدَة، والجِنانُ [c]المعروف كان[c] بكَهْمَس بن مَعْمَر[d]، ثم عُرِفَ بالماذَرائي[e]، وهو اليوم يُعْرَف بالأمير تَميم [3].

وقال المُسَبِّحيّ في حَوادِث سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائةٍ: وابتدئَ بِناءُ جَامِع راشِدَة في سابع عشر رَبيع الآخر، وكان مكانَه كنيسةٌ حَوْلَها مَقابِر لليهود والنَّصارى، فبُنِيَ بالطُّوب، ثم هُدِمَ وزِيدَ فيه وبُنِيَ بالحَجَرِ، وأُقيمَت به الجُمُعَة [4].

---

a) الواو ساقطة من بولاق. b) بولاق: تكموس. c-c) بولاق: التي كانت تعرف. d) بولاق: بعر. e) بولاق: ثم عرفت بالمارداني.

---

[1] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٧٢-١٧٦؛ المقريزي: مسودة الخطط ١٢١و-١٢٥ظ.

[2] ابن المأمون: أخبار مصر ٨١-٨٢.

[3] حاشية بخطِّ المؤلِّف: «هذه الجِنان تُعْرَف اليوم بالبُشتان المَعْشُوق بجوار رباط الآثار النَّبَوي وبِرْكَة الحَبَش».

ويَدُلُّ على مكان الجامِع الآن مجموعةُ المساكِن القائمة بالجِهَة الغربية من عِزْبَة إسْطَبْل عَنْتر، ويُعْرَف عند أهْلِ الجِهَة بمقام السِّتّ راشِدَة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤:١٧٧هـ[4]).

[4] المسبحي: نصوص ضائعة ١٩؛ ابن دقماق: الانتصار ٤:٧٨-٧٩.

وقالَ في سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مائةٍ: وفيه ـ يعني شهر رَمَضان ـ فُرِشَ جامِعُ راشِدَة وتكامَلَ فَرْشُه وتَعْليقُ قَنادِيله وما يُحْتاج إليه. ورَكِبَ الحاكِمُ بأمْرِ الله عَشِيَّة يوم الجُمُعَة الخامس عشر منه، وأشْرَف عليه [1].

وقالَ في سنة ثمانٍ وتسعين وثلاث مائةٍ: وفيه ـ يعني شهر رَمَضان ـ صلَّى الحاكِمُ بجامِعِه الذي أنْشَأَهُ براشِدَة صَلاةَ الجُمُعَة وخطَب [2]. وفي شهر رَمَضان سنة أربع مائة، أُنْزِلَ بقَناديل وتنُّور من فِضَّة زنتها ألوف كثيرة، فعُلِّقَت بجَامِعِ راشِدَة. وفي سنة إحدى وأربع مائةٍ هُدِمَ، وابْتُدِئَ في عِمارَتِه من صَفَر [3].

وفي شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ: صَلَّى الحاكِمُ في جَامِع راشِدَة صَلاةَ الجُمُعَة، وعليه عِمامَةٌ بغير جَوْهَر وسَيْفٌ مُحَلًّى بفِضَّة بيضاء دَقيقَة، والنَّاسُ يَمْشون بركابِه من غير أن يُمْنَع أحَدٌ منه. وكان يأْخُذ قِصَصَهم، ويقف وُقوفًا طَويلًا لكلٍّ منهم [4].

واتَّفَقَ يوم الجُمُعَة حادي عشر جُمادَى الآخر سنة أربع عشرة وأربع مائةٍ، أن خُطِبَ فيه خُطْبَتان معًا على المِنْبَرِ. وذلك أنَّ أبا طالِب عليّ بن عبد السَّميع العبَّاسي اسْتَقَرَّ في خَطابَتِه بإذْنِ قاضي القُضَاة أبي العَبَّاس أحمد بن محمد بن العَوَّام، بعد سَفَرِ العَفيف البُخاري إلى الشَّام. فتَوَصَّلَ ابن عُصْفُورَة إلى أن خَرَجَ له أمْرُ أمير المؤمنين الظَّاهِر لإعْزاز دين الله أبي الحَسَن عليّ بن الحَاكِم بأمْرِ الله، أن يَخْطُب، فَصَعِدَا جميعًا المِنْبَر، ووَقَفَ أحَدُهُما دون الآخر وخَطَبا معًا. ثم بعد ذلك اسْتَقَرَّ أبو طالِب خَطيبًا، وأن يكون ابنُ عُصْفَوَرة يَخْلُفُه [5].

وقال ابنُ المُتَوَّج: هذا الجَامِعُ فيما بين دَيْر الطِّين والفُسْطاط. وهو مشهورٌ الآن بجَامِع راشِدَة، وليس [ذلك][a] بصَحيح، وإنَّما جَامِعُ راشِدَة كان جَامِعًا قَديمَ البِناء بجوار هذا الجَامِعِ عُمِّرَ في زَمَنِ الفَتْح عَمَّرَته راشِدَةُ، وهي قَبيلَةٌ من القَبائِل كقَبيلَة تُجيب ومُهْرَة، نَزَلَت في هذا المكانِ، وعَمَّرُوا فيه جَامِعًا كبيرًا. [قال ابنُ المُتَوَّج][a]: أَدْرَكْتُ أنا بَعْضَه ومِحْرابَه. وكان

a) ذلك: زيادة من ابن دقماق.

[1] المسبحي: نصوص ضائعة ٢٣؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ٥٨.

[2] نفسه ٢٥؛ نفسه ٢: ٧٣.

[3] نفسه ٢٩.

[4] نفسه ٣١.

[5] المسبحي: أخبار مصر ٩-١٠؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ١٣٤.

فيه نَخْلٌ كثيرٌ من نَخْلِ المُقْل، ومن جملة ما رأيتُ فيه نَخْلَةً من المُقْلِ عَدَدت لها سبعة رؤوس مُفرَّعَة منها؛ فذاك الجامِعُ هو المعروف بـ«جَامِع راشِدَة». وأمَّا هذا المَوْجُودُ الآن فمن عِمارَة الحاكِم [1].

ولم يكن في بِناءِ الجَوامِعِ أحْسَنُ من بِنائِه. وقيل عَمَّرَته حَظِيَّةُ الخَليفَة وكان اسْمُها راشِدَة، وليس بصَحيحٍ، والأوَّل هو الصَّحيح [2]. وفيه الآن نَخْلٌ وسِدْرٌ وبِئْرٌ وساقية رجل، وهو مَكانُ خُلْوَةٍ وانْقِطاع، ومَحَلُّ عِبادَةٍ وفَراغ من تَعَلُّقات الدُّنْيا.

قال كاتِبُه [a]: هذا وَهْمٌ من ابن المُتَوَّج في مَوْضِعَيْن:

أوَّلُهما: أنَّ راشِدَة عَمَّرَت هذا الجامِع في زَمَنِ فَتْحِ مصر، وهذا قَوْلٌ لم يقله أحَدٌ من مؤرِّخي مصر. فهذا الكِنْديُّ ثم القُضاعِيُّ ـ وعليهما يُعَوَّلُ في معرفة خِطَط مصر ـ ومن قَبْلِهما ابنُ عبد الحَكَم؛ لم يَقُل أحَدٌ منهم إنَّ راشِدَةَ عَمَّرت زَمَنَ الفَتْحِ مَسْجِدًا، ولا يُعْرَف من هذا السَّلَفِ ـ رحمهم الله ـ في جُنْدٍ من أجْنادِ الأمْصار التي افْتَتَحَتْها الصَّحابَةُ ـ رضي الله عنهم ـ أنَّهم أقامُوا خُطْبَتَيْن في جُنْدٍ [b] واحِدٍ.

وقد حَكَيْنا ما تقدَّم عن المُسَبِّحي ـ وهو مُشاهِدٌ ما نَقَلَه من بِناء الجامِع المذكور في مَوْضِع الكَنيسَة بأمْرِ الحاكِم بأمْرِ الله وتَغْييره لبِنائِه غير مَرَّة، وتبعه القُضَاعِي على ذلك. وقد عَدَّ القُضاعِيُّ والكِنْديُّ في كِتابَيْهِما/ المذكور فيهما خِطَط مصر، ما كان بمصر من مَساجِد الخُطْبَة القَديمَة والمُحْدَثَة، وذَكَرا مَساجِد راشِدَة، ولم يذكرا فيها جامِعًا اخْتَطَّته راشِدَة، وذَكَرَا هذا الدَّيْر، وعَيَّنَ القُضاعِي اسمه، وأنَّه [c] هُدِمَ وبُنِيَ في مَكانِه جَامِعُ راشِدَة. وناهيك بهما مَعْرِفَةً لآثارِ مصر وخِطَطِها.

والوَهْـمُ الثَّاني: الاسْتِدْلالُ على الوَهْمِ الأوَّلِ بمُشاهَدَةِ بقايا مَسْجِدٍ قَديمٍ. ولا أدْري كيف يُسْتَدَلُّ بذلك؟ فمن أنْكَر أن يكون قد كان هناك مَسْجِدٌ؟ بل المُدَّعَى أنَّه كان لراشِدَة مَساجِد، لكنَّ كَوْنَها اخْتَطَّت جَامِعًا هذا غير صَحيح.

---

a) بولاق: مؤلفه. b) بولاق: مسجد. c) وأنَّه: ساقطة من بولاق.

---

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤:٧٨ (نفس النص نقلا عن ابن المُتَوَّج).

[2] ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٨٣.

وقال ابنُ أبي طَيّ في أخبارِ سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائةٍ في كِتابِه «تاريخ حَلَب» : كانت النَّصارَىٰ اليَعْقوبية قد شَرَعُوا في إنْشاءِ كَنيسَةٍ كانت قد انْدَرَسَت لهم بظَاهِر مصر في المَوْضِع المعروف براشِدَة ، فثَارَ قَوْمٌ من المسلمين وهدَمُوا ما بَنَى النَّصارَىٰ . وأُنْهِيَ إلى الحَاكِم ذلك ، وقيل له : إنَّ النَّصارَىٰ ابتدأوا بِناءَها ، وقال النَّصارَىٰ : إنَّها كانت قَبْلَ الإسْلام . فأَمَرَ الحاكِمُ حُسَيْنَ ابن جَوْهَر بالنَّظَرِ في حالِ الفريقين ، فمالَ في الحُكْمِ مع النَّصارَىٰ ، وتَبَيَّنَ للحاكِم ذلك ، فأَمَرَ أن تُبْنى تلك الكَنيسَة مَسْجِدًا جَامِعًا ، فبُنِيَ في أَسْرعِ وَقْتٍ ، وهو جَامِعُ راشِدَة ، وراشِدَة اسْمٌ للكنيسة ، وكان بجواره كَنيستان : إحداهُما لليَعْقوبية والأُخْرى للنَّسْطورية ، فهُدِمَتا أيضًا وبُنِيَتا مَسْجِدَيْن .

وكان في حَارَة الرُّوم بالقاهِرَة آدُرٌ للرُّوم وكَنيستان لهم ، فهُدِمَتا وجُعِلتا مَسْجِدَيْن أيضًا ، وحُوِّلَ الرُّوم إلى المَوْضِع المعروف بالحَمْراء ، وأَسَّسَ الرُّومُ ثلاثَ كنائِس عِوَضًا عَمَّا هُدِمَ لهم . وهذا أيضًا مُصَرِّحٌ بأنَّ جَامِعَ راشِدَة أَسَّسَه الحَاكِمُ ، وفيه وَهْمٌ لكَوْنِه جَعَلَ راشِدَة اسْمًا للكَنيسَة ، وإنَّما راشِدَة اسْمٌ لقَبيلَةٍ من العَرَبِ نَزَلُوا عند الفَتْحِ هناك ، فعُرِفَت تلك البِقاع بخِطَّة راشِدَة .

وقد جُدِّدَ جَامِعُ راشِدَة مِرارًا ، وأدركته عامِرًا تُقامُ فيه الجُمُعَة ويمتلئُ بالنَّاسِ لكَثْرَةِ من حَوْلَه من السُّكَّان ، وإنَّما تَعَطَّل من إقامَة الجُمُعَة بعد حَوادِث سنة سِتٍّ وثمان مائةٍ[1] .

[a]وقال الشَّريفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني النَّسَّابَة : راشِدَةُ بَطْنٌ من لَخْم ، وهم وَلَدُ راشِدَة ابن الحارث بن أد بن جُذَيْلَة ، من لَخْم بن عَدِيّ بن الحارِث بن مُرَّة بن أدد ـ وقيل راشِدَة بن أدوب ـ ويُقال لراشِدَةَ : خالِفة ، ولهم خِطَّةٌ بمصر بالجَبَلِ المعروف بالرَّصْد المطلّ على بِرْكَة الحَبَشِ ، وقد دَثَرت الخِطَّةُ ولم يَبْقَ في مَوْضِعِها إلَّا الجَامِعُ الحاكِمي المعروف بجَامِع راشِدَة[a] .

---

a-a) هذه الفقرةُ لا توجد في الأصول التي اعتمدتها ، وتوجد فقط في طبعة بولاق (ا)

---

[1] المقريزي : السلوك ٢:٥١٦ وفيه أنَّ السُّلطان النّاصر محمد بن قلاوون جدَّدَ هذا الجامع سنة ٧٤١هـ/١٣٤١م ، وانظر كذلك فيما يلي ٢٢٧ حيث يذكر المقريزي أنَّ عُمُدَ الجامع استُخْدِمَت في بناء جامع الماردِيني (المارداني) خارج باب زويلة سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م . وانظر أيضًا عن الجامع Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 352.

جامعُ المقس

هذا الجَامِعُ أنشأه الحاكِمُ بأَمْرِ الله على شاطئ النِّيل بالمَقْس في [a] [1]، لأنَّ المَقْسَ كان خِطَّةً كبيرةً. وهي بَلَدٌ قَديمٌ من قَبْل الفَتْح كما تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذلك في هذا الكِتاب [2].

وقال في الكِتاب الذي تَضَمَّنَ وَقْفَ الحَاكِم بأَمْرِ الله الأَماكِنَ بمصر على الجَوامِع ـ كما ذُكِرَ في خَبَرِ الجَامِع الأَزْهَر [3] ـ ما نَصُّه:

---

a) بياض في الأصول.

---

[1] جامعُ المَقْس. بناه الحاكمُ بأمْر الله سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، ويبدو ممَّا يلي في نَصّ المَقْريزي أنَّه لم تكن تقامُ به الجُمُعَة إلى أن وَسَّعَه النَّاصِر صَلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب عند بناء سوره الذي وصل إلى حَدِّ بُرْج المَقْس على النيل غربًا (ميدان رمسيس الآن)، فصارَت تقام به الجُمَعُ والجماعات. ثم جَدَّدَ بناءَه مرّةً أخرى في سنة ٧٧٠هـ/١٣٩٦م الوزيرُ الصَّاحِبُ شَمْس الدِّين عبد الله المَقْسي.

وفي العصر المملوكي كان هذا الجامع يقع على الخَليج النَّاصري بباب البَحْر، وأصبح يعرف في العصر العُثْماني بجامع أَوْلاد عِنان (الجبرتي: عجائب الآثار ٣:٤٨) نسبةً إلى الشيخ الصَّالح الزَّاهِد محمد بن حسن بن أحمد الطُّهْوائي البرهمتوشي المصري الشهير بابن عِنان الشَّافِعِي، المتوفى في ربيع الأوَّل سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، والمدفون في قبره بجوار الجامع، والذي قامَ أَوْلادُه من بعده بخدمة الجامع فاشتهر بهم.

وأُهْمِل هذا الجامع وتَخَرَّب في نهاية العصر العثماني إلى أن تسلَّمه ديوانُ عُموم الأَوْقاف سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م، وقام ببنائه من مالِه الخاصّ حسن باشا حلمي الأَنْدوسي وكيل مجلس شورى القوانين تحت إشْراف نظارة الأَوْقاف، وفُرِغَ من بنائه في سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م كما كان مُثْبَتًا على نَقْشٍ في لَوْحٍ من الرُّخام فوق الباب الداخلي بدهليز الجامع، شاهده محمد بك رمزي فوق الباب الخارجي للجامع الذي تحت المئذنة مكتوبًا عليه: «أَمَرَ بإنشاء هذا المسجد المبارك خديو مصر عَبَّاس حلمي الثَّاني الأَفْخم أدامَ الله أيامَه في سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦م)».

ووَصَفَ محمد بك رمزي الجامع بأنَّه «جامِعٌ لطيفٌ عامِرٌ بالشَّعائر يَعْلو بابه الذي على الشَّارع مِئْذَنَةٌ جميلةٌ، ويحجب الجامع عن شارع إبراهيم باشا (شارع الجمهورية الآن) من جهة ميدان باب الحديد (ميدان رمسيس الآن) دُكانٌ على عين الباب الخارجي يعلوه كُتَّابٌ (تعليقات محمد بك رمزي على النجوم الزاهرة ١١:١٧٨هـ[1]).

وقد هُدِمَ هذا الجامع في خمسينيات القرن العشرين، وأقيم في موضعه جامعٌ ضَخْمٌ يطل مدخله الرئيس على شارع رمسيس عند التقائه بشارع الجمهورية يُعْرف بجامع الفَتْح، افْتُتِحَ للصَّلاة في سنة ١٩٨٩.

(راجع، القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٣٦٥؛ Creswell, K.A.C., *MAE* I, p. 67; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 351).

[2] فيما تقدم ٣:٤٠٣–٤٠٤.

[3] فيما تقدم ٩٧.

«ويكون جَميعُ ما بقي ، مِمَّا تُصُدِّقَ به على هذه المَواضِعِ ، يُصْرَفُ في جَميعِ ما يُحْتاجُ إليه في جَامِعِ المَقْس المذكور من عِمارَته ، ومن ثَمَنِ الحُصْر العَبَدانية والمَظْفُورَة ، وثَمَن العُود للبَخور وغيره ، على ما شُرِحَ من الوَظائِف في الذي تقدَّم»[١].

وكان لهذا الجَامِعِ مَحَلٌّ كبيرٌ[a] في الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة ، ويَرْكَبُ الخَليفَةُ إلى مَنْظَرَةٍ كانت بجانِبه عند عَرْضِ الأُسْطُول فيَجْلِس بها لمشاهَدَة ذلك ، كما ذُكِرَ في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب عند ذِكْر المناظِر[٢].

وفي سنة سبعٍ وثمانين وخمس مائةٍ انْشَقَّت زَرْبِيَّةُ[b] هذا الجَامِع في شهر رَمَضان لكثرة زيادَةِ ماء النِّيل ، وخِيفَ على الجَامِع السُّقوط فأُمِرَ بعِمارَتِها .

ولمَّا بَنَى السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب هذا السُّور الذي على القاهِرَة ، وأرادَ أن يُوَصِّله بسُور مصر من خَارِجِ بابِ البَحْر إلى الكُومِ الأحمر ـ حيث مُنْشأة المَهْراني اليوم ـ وكان المُتَوَلِّي لعِمارَةِ ذلك الأميرُ بَهاءُ الدِّين قَراقُوش الأَسَدي ، أنشأ بجوار جَامِع المَقْس بُرْجًا كبيرًا عُرِفَ بقَلْعَة المَقْس في مَكانِ المَنْظَرَة التي كانت للخُلَفاء[٣].

فلمَّا كان في سنة سبعين وسبع مائةٍ جَدَّدَ بناءَ هذا الجَامِع الوَزيرُ الصَّاحِبُ شَمْسُ الدِّين عبد الله المَقْسي[٤] ، وهَدَمَ القَلْعَة وجَعَلَ مَكانَها جُنَيْنَة ، واتَّهَمَه النَّاسُ بأنَّه وَجَدَ هنالِك مالًا كثيرًا ، وأنَّه عَمَّرَ منه الجَامِعَ المذكور ، فصارَ العامَّةُ اليوم يقولون : جَامِعُ المَقْسي . ويَظُنُّ مَنْ لا عِلْمَ عنده أنَّ هذا الجَامِع من إنْشائِه ، وليس كذلك بل إنَّما جَدَّدَه وبَيَّضَه[٥].

وقد انْحَسَرَ ماءُ النِّيل عن تجاه هذا الجَامِع كما ذُكِرَ في خَبَرِ بُولاق والمَقْس[٦] ، وصارَ هذا الجَامِعُ اليوم على حافَةِ الخَليج النَّاصِرِيّ . وأَدْرَكْنا ما حَوْلَه في غايَةِ العِمارَة ، وقد تَلاشَت المساكِنُ التي هناك ، وبها إلى اليوم بقيَّةٌ يَسيرَة .

---

a) بولاق : نَخلٌ كثير .   b) بولاق : زربية .

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٧٦ظ .

[٢] فيما تقدم ٢ : ٥٦٢ - ٥٦٥ .

[٣] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٩ .

[٤] حاشية بخطّ المؤلِّف : «ماتَ عبد الله أبو الفَرَج الوزيرُ شَمْسُ الدِّين المَقْسي يوم السبت ثالث شَعْبان سنة خمسٍ وتسعين وسبع مائة ودُفِنَ بالجَامِع» .

[٥] المقريزي : السلوك ٣ : ٧٩٣ .

[٦] فيما تقدم ٣ : ٤٠٣ ، ٤٣٠ - ٤٣٢ .

ونَظَرُ هذا الجَامِع اليوم بيد أَوْلادِ الوَزير المَقْسي ، فإنَّه جَدَّدَهِ وجَعَلَ عليه أَوْقافًا لِمُدَرِّسٍ وخَطيبٍ وقَوَمَةٍ ومُؤَذِّنين وغير ذلك .

وقال جَامِعُ «السِّيرَة الصَّلاحِيَّة» : وهذا المَقْسَم على شَاطِئ النِّيل يُزار ، وهَناك مَسْجِدٌ يَتَبَرَّك به الأَبْرارُ ، وهو المكانُ الذي قُسِّمَت فيه الغَنيمَةُ عند اسْتيلاءِ الصَّحابَةِ - رضي الله عنهم - على مصر . فلمَّا أَمَرَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين بإدارَة السُّور / على مصر والقاهِرَة ، تَوَلَّى ذلك بَهاءُ الدِّين قَراقُوش ، وجَعَلَ نهايَتَه التي تلي القاهِرَة عند المَقْس ، وبَنَى فيه بُرْجًا يُشْرِف على النِّيل ، وبَنَى مَسْجِدَه جَامِعًا ، واتَّصَلَت العِمارَةُ منه إلى البَلَدَ ، وصارَ تُقامُ فيه الجُمَعُ والجَماعات [١] .

العَزيزُ بِاللّه

أبو المَنْصور[a] نِزارُ بن المُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ[٢] - وُلِدَ بالمَهْدِيَّة من بِلاد إفريقيَّة في يوم الخَميس الرَّابع عشر من المحرَّم سنة أربع وأربعين وثلاث مائةٍ ، وقَدِمَ مع أبيه إلى القاهِرَة ووَلِيَ العَهْد . فلمَّا ماتَ المُعِزُّ لدين الله أُقِيمَ من بعده في الخِلافَة يوم الرَّابع عشر من شهر رَبيع الآخر سنة خمسٍ وستين وثلاث مائةٍ ، فأَذْعَنَ له سَائِرُ عَساكِرِ أبيه . واجتمعوا عليه ، وسُيِّرَ بذَهَبٍ إلى بلاد المغرب فُرِّقَ في النَّاس ، وأَقَرَّ يُوسُف بن بُلُكِّين على وِلايَة إفْريقِيَّة ، وخُطِبَ له بمَكَّة .

ووافَى الشَّامَ عَسْكَرُ القَرامِطَة ، فصارُوا مع أَفْتَكِين التُّركي وقَوِي بهم ، وسارُوا إلى الرَّمْلَة وقاتَلُوا عَساكِرَ العَزيز بيافا . فبَعَثَ العَزيزُ جَوْهَرًا القائِد بعَساكِرَ كثيرةٍ ، ومَلَكَ الرَّمْلَة ، وحاصَرَ دِمَشْق مُدَّةً ، ثم رَحَلَ عنها بغير طائل ، فأَدْرَكَهُ القَرامِطَةُ ، وقاتَلُوه بالرَّمْلَة وعَسْقَلان نحو سبعة عشر شهرًا . ثم خَلُصَ من تَحْت سُيُوف أَفْتَكِين وسارَ إلى العَزيز ، فوافاه وقد بَرَزَ من القاهِرَة فسارَ معه . ودَخَلَ العَزيزُ إلى الرَّمْلَة ، وأَسَرَ أَفْتَكِين في المحرَّم سنة ثمانٍ وستين وثلاث مائةٍ ، فأَحْسَن إليه وأَكْرَمَه إكرامًا زائِدًا .

---

a) بولاق : أبو النصر .

---

[١] هذه السِّيرَة التي ينقل عنها المَقْريزي هنا ليست هي كتاب «النَّوادِر اليوسُفية في السِّيرة الصَّلاحية» لبَهاءِ الدِّين ابن شَدَّاد ، فلم تَرِد بها هذا الخَبَر !

[٢] انظر ترجمة العزيز بالله نِزار بن المُعِزّ لدين الله خامس الخلفاء الفاطميين ، وثانيهم في مصر عند ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة (القسم الخاص بالفاطميين) ٣١- ٤٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥:٣٧١- ٣٧٦؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨:١٥٣- ١٦٤؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٦:١٧٤- ٢٥٥؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ١:٢٣٦- ٢٩٩؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤:١١٢- ١٧٥؛ Canard, M., ᶜart. *al-Azîz billâh* I, p. 847.

فكَتَبَ إليه الشَّريفُ أبو إسماعيل إبراهيم الرَّسِّي[a] يقول : يا مَوْلانا لقد اسْتَحَقَّ هذا الكافِرُ كلَّ عَذاب ، والعَجَبُ من الإحْسانِ إليه . فلمَّا لَقِيَه قال : يا إبراهيم ، قرأتُ كِتابَكَ في أَمْرِ أَفْتَكِين ، وأنا أُخبِرُك ، اعْلَم أنَّا قد وَعَدْناه الإحْسانَ والولاية ، فلمَّا قَبِلَ وجاءَ إلينا نَصَبَ فازاته وخِيامَه حِذاءَنا ، وأَرَدْنا منه الانْصِراف ، فَلَجَّ وقاتَل . فلمَّا وَلَّى مُنْهَزِمًا ، وسِرْتُ إلى فازاته ودَخَلْتها ، سَجَدْتُ لله شكرًا ، وسألته أن يَفْتَح لي بالظَّفَر به ، فجيء به بَعْد ساعَةٍ أسيرًا ، أَتَرَى يَليقُ بي غير الوَفاء ؟

ولمَّا وَصَلَ العَزيزُ إلى القاهِرَة ، اصْطَنَعَ أَفْتَكِين ، وواصَلَه بالعَطايا والخِلَع حتى قال : لقد احْتَشَمْتُ من رُكوبي مع الخَليفَة مَوْلانا العَزيز بالله ونَظَرِي إليه بما غَمَرَني من فَضْلِه وإحْسانِه . فلمَّا بَلَغَ العَزيزَ ذلك قال لعَمِّه حَيْدَرَة : يا عَمِّ أُحِبُّ أن أَرَى النِّعَمَ عند النَّاسِ ظاهِرَةً ، وأَرَى عليهم الذَّهَبَ والفِضَّة والجَواهِر ، ولهم الخَيْل واللِّباس والضِّياع والعَقار ، وأن يكون ذلك كلُّه من عندي[1] .

وماتَ بمَدينَة بِلْبَيْس من مَرَضٍ طَويلٍ بالقَوْلَنْج والحَصَاة ، في اليوم الثَّامن والعشرين من شهر رَمَضان سنة ستٍ وثمانين وثلاث مائةٍ ، فحُمِلَ إلى القاهِرَة ، ودُفِنَ بتُرْبَةِ القَصْر مع آبائِه . وكانت مُدَّةُ خِلافَته بعد أبيه المُعِزّ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفًا ، وماتَ وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يومًا ، وكان نَقْشُ خاتَمِه :

«بنَصْرِ العَزيزِ الجَبَّار ، يَنْتَصِرُ الإمامُ نِزَار» .

ولمَّا مات وحَضَرَ النَّاسُ إلى القَصْرِ للتَّعْزِيَة ، أُفْحِمُوا عن أن يُورِدُوا فى ذلك المَقامِ شيئًا ، ومَكَثُوا مُطْرِقين لا يَنْبِسُون . فقامَ صَبِيٌّ من أَوْلادِ الأُمَرَاء الكُتامِيين[b]، وفَتَحَ باب التَّعْزية وأَنْشَدَ :

[الكامل]

انْظُر إلى العَلْياءِ كَيْفَ تُضَامُ ... ومآتِمُ الأحْسابِ كَيْفَ تُقامُ
خَبَّرَتني رِكابُ الرِّكاب ولم يَدَع ... للسَّفْر وَجْهَ تَرَحُّل فأقامُوا

فاسْتَحْسَن النَّاسُ إيرادَه ، وكأنَّه طَرَقَ لهم كيف يُورِدُون المَراثي ؛ فنَهَضَ الشُّعَرَاءُ والخُطَبَاءُ حينئذٍ وعَزَّوا ، وأَنْشَدَ كلُّ واحِدٍ ما عَمِلَ في التَّعْزية .

---

a) بولاق : الرئيس. b) بولاق : الكنانيين .

---

[1] راجع خَبَرَ أَفْتَكِين مع العزيز بالله فيما تقدم ٣:٢٣-٢٧ وما ذكر من مراجع .

وخَلَّفَ من الأوْلادِ : ابنه المَنْصور ووَلِيَ الخِلافَة من بعده ، وابنة تُدْعَى «سَيِّدَة المُلْك» . وكان أَسْمَرَ طَوالًا ، أَصْهَبَ الشَّعْر ، أَعْيَنَ أَشْهَل ، عَرِيضَ المنكبين ، شُجاعًا كريمًا ، حَسَنَ العَفْوِ والقُدْرَة ، لا يَعْرِفُ سَفْكَ الدِّماء ألبتَّة ، مع حُسْنِ الخُلُق والقُرْبِ من النَّاس ، والمعرفة بالخَيْل وجَوارِح الطَّيْر . وكان مُحِبًّا للصَّيْدِ مُغْرًى به ، حَرِيصًا على صَيْدِ السِّباع [1].

ووَزَر له يَعْقُوب بن كِلِّس اثنتي عشرة سنة وشهرين وتسعة عشر يومًا ، ثم من بعده عليّ ابن عُمَر العَدَّاس سنةً واحدةً ، ثم أبو الفَضْل جَعْفَر بن الفُرات سنةً ، ثم أبو عبد الله الحُسَيْن ابن الحَسَن البازْيار سنة وثلاثة أشهر ، ثم أبو مُحَمَّد بن عَمَّار شهرين ، ثم الفَضْلُ بن صَالِح الوَزِيري أيَّامًا ، ثم عيسىٰ بن نَسْطُورس سنة وعشرة أشهر . وكانت قُضَاتُه أبو طاهِر محمد بن أحمد ، ثم أبو الحَسَن عليّ بن النُّعْمان ، ثم أبو عبد الله محمد بن النُّعْمان .

وخَرَجَ إلى السَّفَرِ أوَّلًا في صَفَرَ سنة سبعٍ وستين وعادَ من العَبَّاسِيَّة ، وخَرَجَ ثانيًا وظَفِرَ بأَفْتَكِين ، وخَرَجَ ثالثًا في صَفَرَ سنة اثنتين وسبعين ورَجَعَ بعد شهرٍ إلى قَصْرِه بالقاهِرَة ، وخَرَجَ رابعًا في رَبيع الأوَّل سنة أربعٍ وسبعين[a]، فنَزَلَ مُنْيَة الأَصْبَغ وعادَ بعد ثمانية أشهر واثني عشر يومًا ، وخَرَجَ خامِسًا في عاشِر رَبيع الآخر سنة خمسٍ وثمانين فأقام مُبَرِّزًا أربعة عشر شهرًا وعشرين يومًا ، وماتَ في هذه الخَرْجَة بِبِلْبِيس .

وهو أوَّلُ من اتَّخَذَ من أهْلِ بَيْتِه وَزيرًا أَثْبَتَ اسْمَه على الطُّرُز ، وقَرَنَ اسْمَه باسْمِه ، وأوَّلُ من لَبِسَ منهم الخُفَّيْن والمِنْطَقَة ، وأوَّلُ من اتَّخَذَ منهم الأتْراكَ / واصْطَنَعَهم وجَعَلَ منهم القُوَّادَ ، وأوَّلُ من رَمَى منهم بالنُّشَّاب ، وأوَّلُ من رَكِبَ منهم بالذُّؤَابَة الطَّويلَة والحَنَك ، وضَرَبَ بالصَّوالِجَة ولَعِبَ بالرُّمْح ، وأوَّلُ مَنْ عَمِلَ مائدةً في الشُّرْطَةِ السُّفْلى في شهر رَمَضَان يُفْطِر عليها أهْلُ الجامِع العَتيق ، وأقامَ طَعامًا في جَامِع القاهِرَة لمن يَحْضُر في رَجَب وشَعْبان ورَمَضَان ، واتَّخَذَ الحَميرَ لرُكوبِه إيَّاها .

وكانت أُمُّه أمّ وَلَدٍ اسمها «دُرْزان[b]» . وكان يُضْرَبُ بأيَّامه المثل في الحُسْن ، فإنَّها كانت كلُّها أعيادًا وأعْراسًا لكثرة كَرَمِه ومَحَبَّته للعَفْو واسْتِعْماله لذلك . ولا أَعْلَمُ له

---

a) بولاق : سنتين .   b) بولاق : درزاره .

---

[1] قارن مع المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٢٩٩ ، وفيه أن مَصْدَر هذا الخبر ابن الأثير ، ولم أقف عليه فيما وَصَلَ إلينا من تاريخه !

بمصر من الآثار غير تأسيس الجامِع الحاكِمي ، وما عدا ذلك فذَهَبَ اسْمُه ومُحي رَسْمُه .

الحاكِمُ بأمْرِ الله

أبو عليّ مَنْصور بن العَزيز بالله نِزار بن المُعِزّ لدين الله أبي تميم مَعَدّ[1] ـ وُلِدَ بالقَصْرِ من القاهِرَة المُعِزّيّة ليلة الخميس الثَّالِث والعشرين من شهر رَبيع الأوَّل سنة خمسٍ وسبعين وثلاث مائةٍ ، في الساعة التاسعة ، والطَّالِعُ من بُرْجِ السَّرَطان سبع وعشرين درجة ، وسُلِّم عليه بالخِلافَة في مَدينَة بِلْبَيْس بعد الظُّهْر من يوم الثلاثاء عشرين شهر رَمَضان سنة ستٍّ وثمانين وثلاث مائةٍ .

وسارَ إلى القاهِرَة في يوم الأربعاء بسائِرِ أهْلِ الدَّوْلَة ، والعَزيزُ في قُبَّةٍ على ناقَةٍ بين يَدَيْه ، وعلى الحاكِم دُرَّاعَةٌ مُصْمَت وعِمامَةٌ فيها الجَوْهَرُ ، وبيده رُمْحٌ وقد تَقَلَّد السَّيْف ، ولم يُفْقَد من جَميعِ ما كان مع العَساكِر شيءٌ . ودَخَلَ القَصْرَ قبل صَلاةِ المغرب ، وأَخَذَ في جِهازِ أبيه العَزيز بالله ودَفْنِه .

ثم بَكَّرَ سائِرُ أهْلِ الدَّوْلَة إلى القَصْرِ يوم الخميس ، وقد نُصِبَ للحَاكِم سَريرٌ من ذَهَبٍ عليه مَرْتَبَةٌ مُذَهَّبَة في الإيوان الكبير . وخَرَجَ من قَصْرِه راكِبًا وعليه مُعَمَّمَةُ الجَوْهَر ، والنَّاسُ وُقُوفٌ في صَحْنِ الإيوان ، فقَبَّلوا له الأرْض ، ومَشَوا بين يَدَيْه حتى جَلَسَ على السَّرير . فوَقَفَ مَنْ رَسْمُه الوقوف ، وجَلَسَ من له عادَة أن يَجْلس ، وسَلَّمَ الجَميعُ عليه بالإمامَة واللَّقَب الذي أُخْتير له وهو «الحـاكِم بأمْرِ الله» . وكان سِنُّه يومئذٍ إحدى عشرة سنة وخمسة أشْهر وستة أيَّام .

فجَعَلَ أبا محمد الحَسَن بن عَمَّارِ الكُتامي[a] واسِطَةً ولُقِّب بأمين الدَّوْلَة ، وأَسْقَطَ مُكُوسًا كانت بالسَّاحِل ، ورَدَّ إلى الحُسَيْن بن جَوْهَر القائِد البَريد والإنْشاء فكان يَخْلُفه ابن سُورين ، وأَقَرَّ

---

a) بولاق : الكندي .

---

[1] أهَمُّ المصادِر المُبَكِّرَة التي تَناوَلَت سيرة الإمام الحاكم بأمْرِ الله هي كِتابُ «أخبار مصر» للمُسَبِّحي ، الذي وَصَلَ إلينا منه فقط المجلَّد الأربعون الذي يتناول حوادث سنتي ٤١٤ و٤١٥هـ ؛ إضافةً إلى نُقُولٍ مُطَوَّلَة حَفِظَها منه المُؤَرِّخون المتأخِّرون . (انظر فيما تقدم ٢ : ٢٤*–٢٨*) ، وتاريخ يحيى ابن سعيد الأنطاكي (نَشْرَة لويس شيخو ونشرة كراتشكوفسكي وفازيليف ونَشْرَة عمر تدمري) ، أضف إليها ؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة (القسم الخاص بالفاطميين) ٤٣–٦٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ : ٢٩٢–٢٩٨؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ١٦٧–٢٠٢، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٢٥٦–٣١٢؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٣–١٢٣؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ١٧٦–٢٤٧؛ وفيما يلي ٣٩٠–٣٩٥.

كما وُضِعت مُؤلَّفاتٌ كثيرةٌ عن عَصْرِ الحاكِم بأمْرِ =

عيسَىٰ بن نَسْطُورس على ديوان الخاصّ، وقَلَّدَ سليمان بن جَعْفَر بن فَلاح الشَّام. فخَرَجَ مَنْجوتَكين[a] بدِمَشْق[b] وسارَ منها لمدافعة سليمان بن جَعْفَر بن فَلاح. فبَلَغَ الرَّمْلَة، وانْضَمَّ إليه ابنُ الجَرَّاح الطَّائي في كثيرٍ من العَرَب، وواقَعَ ابن فَلاح، فانْهَزَم وفَرَّ، ثم أُسِرَ فحُمِلَ إلى القاهِرَة وأُكْرِم. واخْتَلَفَ أَهْلُ الدَّوْلَة على ابن عَمَّار، ووَقَعَت حُروبٌ آلَتْ إلى صَرْفِه عن الوَساطَة وله في النَّظَر أحد عشر شهرًا غير خمسة أيَّام، فلَزِمَ دارَه وأُطْلِقَت له رُسُومٌ وجِرايات[1].

وأُقِيمَ الطُّواشي بَرْجَوان الصَّقْلَبي[c] مكانَه في الوَساطَة لثلاثٍ بقين من رَمَضان سنة سبعٍ وثمانين وثلاث مائةٍ، فجَعَلَ كاتِبَه فَهْد بن إبراهيم يُوَقِّع عنه ولَقَّبه بـ«الرَّئيس»، وصَرَفَ سُلَيْمان ابن فَلاح عن الشَّام بجَيْش بن الصَّمْصامَة.

وقَلَّدَ فَحْلَ[d] بن إسماعيل الكُتامي مَدينَة صُور، وقَلَّد يانِس الخادِم بَرْقَة، ومَيْسورًا الخادِم طرابُلس، ويُمْنًا الخادِم غَزَّة وعَسْقَلان. فواقَع جَيْش الرُّوم على فامية، وقَتَلَ منهم خمسة آلاف رجل، وغَزَا إلى أن دَخَلَ مَرْعَش. وقَلَّد وَظيفَة قَضاءِ القُضَاة أبا عبد الله الحُسَيْن بن عليّ ابن النُّعْمان في صَفَر سنة تسعٍ وثمانين وثلاث مائةٍ بعد مَوْت قاضي القُضَاة محمد ابن النُّعْمان.

وقُتِلَ الأُسْتاذ بَرْجَوان لأربعٍ بقين من رَبيع الآخر سنة تسعٍ وثمانين وثلاث مائةٍ، وله في النَّظَرِ سنتان وثمانية أشهر غير يوم واحد[2]، ورُدَّ النَّظَرُ في أُمُورِ النَّاسِ وتَدْبيرِ المملكة والتَّوْقيعات إلى الحُسَيْن بن جَوْهر ولُقِّب بـ«قائِد القُوَّاد»، فخَلَفَه الرئيس فَهْد، واتَّخَذَ

---

a) في بعض النسخ: ينجوكتين؟ b) بولاق: من دمشق. c) بولاق: الصقلي. d) بولاق: فحل.

= الله بين مُتعاطِفَةٍ معه، مُدافعةٍ عن سياساته، أو مهاجمةٍ له تتّهمه بالخَلَلِ والجُنُون، أهَمّها، محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمرِ الله وأسرار الدَّعْوَة الفاطمية، القاهرة ١٩٣٧، ١٩٥٩؛ عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، القاهرة ١٩٥٨؛ Sadik, A.A., *The Reign of al-Hâkim bi Amr Allâh (366/996 - 411/1021). A Political Study*, Beirut 1974; Canard, M., *EI*[2] art. *al-Hâkim bi Amr Allâh* III, pp. 79-84; Bianquis, Th., «Al-Hâkim bi Amr Allâh ou la folie de l'unité chez un souverain fatimide», *Les Africains* XI (1979), pp. 107-33; Van Ess, J., *Chiliastishe Erwatungen und die Versuchung der Gattlichkeit : der Kalif al-Hâkim (375-411 H)* Hiedelberg - Winter 1977; Halm, H., «Der Treuhän der Gottes. Die Edikte des Kalifen al-Hâkim», *Der Islam* 63 (1986), pp. 11-72.

[1] انظر أخبار أبي محمد الحسن بن عَمَّار، المُلَقَّب أمين الدَّوْلَة، فيما تقدم ٣: ١٠٥- ١٠٧.

[2] انظر أخبار بَرْجَوان الصَّقْلَبي، فيما تقدم ٣: ٧- ٩؛ وكذلك المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٥- ٢٩.

الحاكِمُ مَجْلِسًا في اللَّيْل يَحْضُر فيه عِدَّةٌ من أعْيانِ الدَّوْلَة ثم أبْطَلَه [1].

وماتَ جَيْشُ بن الصَّمْصامَة في رَبيعِ الآخر سنة تسعين وثلاث مائةٍ، فوَصَلَ ابنُه بتركته إلى القاهِرَة، ومعه دَرْجٌ بخَطِّ أبيه فيه وَصِيَّةٌ وثَبَتٌ بما خَلَّفه مُفَصَّلًا، وأنَّ ذلك جميعه لأمير المؤمنين الحاكِم بأمْرِ الله، لا يَسْتَحِقُّ أحَدٌ من أوْلادِه منه دِرْهَمًا. وكان مبلغُ ذلك نحو المائتي ألف دينار ما بين عَيْنٍ ومَتاعٍ ودَوابٍّ، قد أوْقَفَ جَميعَ ذلك تحت القَصْر. فأخَذَ الحاكِمُ الدَّرْج ونَظَرَه، ثم أعادَه إلى أوْلادِ جَيْشٍ، وخَلَعَ عليهم، وقال لهم بحَضْرَةِ وُجوهِ الدَّوْلَة: «قد وَقَفْتُ على وَصِيَّةِ أبيكم - رحمه الله - وما وَصَّى به من عَيْنٍ ومَتاع، فخُذوه هَنيئًا مُبارِكًا لكم فيه». فانْصَرَفُوا بجَميعِ التَّرِكَة [2].

ووَلِّي دِمَشْقَ فَحْلَ بن تَميم وماتَ بعد شُهُورٍ، فولي عليّ بن فَلاح [3].

ورَدَّ النَّظَر في المظالِم لعبد العزيز بن محمد بن النُّعْمان، ومَنَعَ النَّاسَ كافَّةً من مُخاطَبَةِ أحَدٍ أو مُكاتَبَتِه بسَيِّدِنا ومَوْلانا إلَّا «أمير المؤمنين» وَحْدَه، وأُبيح دَمُ من خالَفَ ذلك. وفي شَوَّال قَتَلَ ابن عَمّار.

وفي سنة إحدى وتسعين واصَلَ الحاكِمُ الرُّكوبَ في اللَّيْل، كلَّ ليلة، فكان يَشُقُّ الشَّوارع والأزِقَّة. وبالَغَ النَّاسُ في الوَقُود والزِّينَة، وأنْفَقُوا الأمْوالَ الكثيرة في المآكِل والمشارِب والغِناء واللَّهْو، وكَثُرَ تفرُّجهم على ذلك حتى خَرَجُوا فيه عن الحَدّ، فَمَنَعَ النِّساءَ من الخُرُوجِ في اللَّيْل، ثم مَنَعَ الرِّجالَ من الجُلوس في الحَوانيت.

وفي رَمَضان سنة / اثنتين وتسعين، قَلَّدَ تَمُوصَلْت بن بَكّار دِمَشْق عِوَضًا عن ابن فَلاح. وابتدأ في عِمارَة جَامِع راشِدَة في سنة ثلاثٍ وتسعين. وقَتَلَ فَهْد بن إبراهيم وله منذ نَظَرَ في الرِّياسَة خمسُ سنين وتسعةُ أشهر واثنا عشر يومًا، في ثامِن جُمادَى الآخرة منها، وأُقيم في مكانِه عليّ ابن عُمَر العدَّاس، وسارَ الأمير ياروخ لإمارة طَبَرِيَّة. ووَقَعَ الشُّرُوعُ في إتْمام الجامِع خارج باب الفُتُوح، وقَطَعَ الحاكِمُ الرُّكوب في اللَّيْل، وماتَ تَمُوصَلْت فوَلِيَ دِمَشْق بعده مُفْلح اللَّحْياني الخادِم.

---

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٣١.

[2] نفسه ٢: ٣١-٣٣.

[3] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ٥٧، وفيه أنّ اسمه تميم بن إسماعيل المغربي القائد ويعرف بفَحْل؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٤٥.

وقَتَلَ عليَّ بن عُمَرَ العَدَّاس والأستاذ زَيْدان الصَّقْلبي[a] وعدَّةً كثيرةً من النَّاس، وقَلَّدَ إمارَة بَرْقَة صَنْدَل الأسْوَد في المحرَّم سنة أربعٍ وتسعين، وصَرَفَ الحُسَيْن بن النُّعْمَان عن القَضَاءِ في رَمَضَان منها، وكانت مُدَّةُ نَظَرِه في القَضَاءِ خمسَ سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا، وإليه كانت الدَّعْوَةُ أيضًا، فيُقال له «قاضي القُضَاة وداعي الدُّعَاة». وقَلَّدَ عبد العزيز بن محمد بن النُّعْمان وَظيفَةَ القَضَاءِ والدَّعْوَة، مع ما بيده من النَّظَرِ في المظالِم.

وفي سنة خمسٍ وتسعين، أَمَرَ النَّصَارَىٰ واليَهود بشَدِّ الزُّنَّار ولِبْس الغِيار، ومَنَعَ النَّاسَ من أكْلِ المُلوخِيَّة والجَرْجير والمُتَوَكِّلية والدُّلِينس، وذَبْح الأبقار السَّليمة من العاهَة إلَّا في أيَّام الأُضْحِيَة، ومَنَعَ من بَيْع الفُقَّاع وعمله ألبتَّة، وألَّا يَدْخُل أحَدٌ الحَمَّامَ إلَّا بِمئْزَرٍ، وألَّا تَكْشِف امرأةٌ وَجْهَهَا في طَريقٍ ولا خَلْفَ جَنازَة ولا تَتَبَرَّج، ولا يُباعُ شيءٌ من السَّمك بغير قِشْرٍ، ولا يَصْطادُه أحَدٌ من الصَّيَّادين وتَتَبَّعَ النَّاسَ في ذلك كلِّه، وشَدَّدَ فيه، وضَرَبَ جماعَةً بسَبَبِ مُخالَفَتِهم ما أُمِروا به ونُهُوا عنه ممَّا ذُكِرَ[1].

وخَرَجَت العَسَاكِرُ لِقتال بني قُرَّة أهْلِ البُحَيْرَة. وكَتَبَ على أبْوابِ المساجِد وعلى الجَوامِع بمصر، وعلى أبْوابِ الحَوانيت والحُجَر والمقابِر، سَبَّ السَّلَف ولَعْنهم، وأكْرَهَ النَّاس على نَقْشِ ذلك وكِتابَتِه بالأصْباغ في سَائِر المواضِع. وأقْبَلَ النَّاسُ من سَائِر النَّواحي فدَخَلُوا في الدَّعْوَة، وجُعِلَ لهم يومان في الأسْبوع، وكَثُرَ الازْدِحامُ وماتَ فيه جَماعَةٌ، ومَنَعَ النَّاسَ من الخُرُوج بعد المغرب في الطُّرُقات، وألَّا يَظْهَرَ أحَدٌ بها لبَيْعٍ ولا شِراء. فخَلَت الطُّرُقُ من المارَّة، وكُسِرَت أواني الخُمُور، وأُريقَت من سَائِر الأماكِن، واشْتَدَّ خَوْفُ النَّاسِ بأسْرِهم، وقَوِيَت الشَّناعاتُ وزادَ الاضْطرابُ. فاجْتَمَعَ كثيرٌ من الكُتَّابِ وغيرِهم تحت القَصْرِ، وضَجُّوا يسألون العَفْوَ. فكَتَبَ عِدَّةَ أماناتٍ لجَميعِ الطَّوائِفِ من أهْلِ الدَّوْلَة وغيرهم من البَاعَة والرَّعِيَّة[2]. وأَمَرَ بقَتْلِ الكِلابِ فقُتِلَ منها ما لا يَنْحَصِرُ حتى فُقِدَت[3]. وفُتِحَت «دارُ الحِكْمَة» بالقاهِرَة وحَمَلَ إليها الكُتُب[4]، ودَخَلَ إليها النَّاسُ. واشْتَدَّ الطَّلَبُ على الرُّكابية المستخدمين في الرِّكاب، وقُتِلَ منهم كثيرٌ، ثم عَفَا عنهم

a) بولاق: زيدان الصقلي.

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٥٣-٥٤.

[2] نفسه ٢: ٥٤-٥٥، ٥٦.

[3] نفسه ٢: ٥٦.

[4] نفسه ٢: ٥٦، وفيما تقدم ٢: ٥٠٢-٥٠٨.

وكَتَبَ لهم أمانٌ . ومُنِعَ النَّاسُ كافَّةً من الدُّخُول من بابِ القاهِرَة ، [a]وهم رِكابٌ ، ومُنِعَ المكاريون أن يَدْخُلوا بحَميرِهم إلى القاهِرَة[a]، ومُنِعَ النَّاسُ من المَشْي مُلاصِق القَصْر ، وقُتِلَ قاضي القُضَاة حُسَيْن بن النُّعْمان وأُحْرِقَ بالنَّار ، وقَتَلَ عَدَدًا كثيرًا من النَّاس ضُرِبَت أَعْناقُهم[١].

وفي سنة ستٍّ وتسعين خَرَجَ أبو رَكْوَة يَدْعُو إلى نفسه ، وادَّعَى أنَّه من بني أُمَيَّة . فقامَ بأمْرِه بنو قُرَّة لكثرةِ ما أَوْقَعَ بهم الحاكِمُ وبايَعُوه ، واسْتجابَ له لَواتَة ومزانة وزَناتة ، وأَخَذَ بَرْقَة ، وهَزَمَ جُيُوش الحاكِم غير مرَّة وغَنِمَ ما معهم . فخَرَجَ لِقِتالِه القائِدُ فَضْلُ بن صالِح في رَبيعٍ الأوَّل وواقَعَه ، فانْهَزَم منه فَضْلٌ ، واشْتَدَّ الاضْطِرابُ بمصر ، وتزايَدَتِ الأسْعارُ .

واشْتَدَّ الاسْتِعْدادُ لمُحارَبَة أبي رَكْوَة ، ونَزَلَت العَساكِرُ بالجيزَة ، وسارَ أبو رَكْوَة ، فواقَعَه القائِدُ فَضْل ، وقَتَلَ عِدَّةً مِمَّن معه . فعَظُمَ الأمْرُ ، واشْتَدَّ الخَوْفُ ، وخَرَجَ النَّاسُ فباتُوا بالشَّوارِع خَوْفًا من هُجُومِ عَساكِر أبي رَكْوَة . واسْتَمَرَّتِ الحُرُوبُ ، فانْهَزَمَ أبو رَكْوَة في ثالِث ذي الحِجَّة إلى الفَيُّوم ، وتَبِعَه القائِدُ فَضْل - بعد أن بَعَثَ إلى القاهِرَة بستة آلاف رأسٍ ومائةِ أسير - إلى أن قَبَضَ عليه ببلاد النُّوبَة ، وأُحْضِر إلى القاهِرَة فقُتِلَ بها ، وخُلِعَ على القائِد فضل ، وسُيِّرَتِ البَشائِرُ بقَتْلِه في الأعْمال[٢].

وفي سنة سبعٍ وتسعين أَمَرَ بمَحْو سَبِّ السَّلَف ، فمُحِيَ سائِرُ ما كُتِبَ من ذلك[٣]. وغَلَتِ الأسْعارُ لنَقْصِ ماء النِّيل ، فإنَّه بَلَغَ ستة عشر أصْبُعًا من سبعة عشر ذراعًا ثم نَقَص[٤]. وماتَ مَنْجوتَكين في ذي الحِجَّة[٥]. واشْتَدَّ الغَلاءُ في سنة ثمانٍ وتسعين ، ووَلِي عليّ بن فَلاحٍ دِمَشْق . وقُبِضَ جَميعُ ما هو مُحَبَّسٌ على الكَنائِس وجُعِلَ في الدِّيوان ، وأَحْرَق عِدَّة صُلْبان

---

a-a) هذه العبارة ساقطة من بولاق .

---

[١] عن نَواهي الحاكم وأوامِره انظر ، أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٦٧- ١٦٩؛ De Smet, D., «Les interdictions alimentaires de calife al-Hâkim : Marques de foulie ou annonce d'un régne messianique» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, I, pp. 53-70 (عن النَّواهي الخاصَّة بالأطعمة) .

[٢] انظر خَبَرَ أبي رَكْوَة ، الوَليد بن هِشام بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الأُمَوي ، عند ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٦٥- ٦٦؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ١٨٠- ١٨٥؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٦٠- ٦٧، إغاثة الأمة ٦٤؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٤: ١٧٩، ٢١٢، ٢١٥- ٢١٧؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٦: ٢٥٩- ٢٧٢.

[٣] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٦٩.

[٤] نفسه ٢: ٧٠.

[٥] نفسه ٢: ٧٠.

على بابِ الجَامِع بمصر، وكُتِبَ إلى سَائِر الأعْمالِ بذلك[١].

وفي سَادِس عشر رَجَب قُرِّرَ مالِكُ بن سعيد الفارقي في وَظيفَة قَضَاء القُضَاة، وتَسَلَّم كُتُبَ الدَّعْوَةِ التي تُقْرأ بالقَصْرِ على الأوْلياء، وصُرِفَ عبدُ العزيز بن النُّعْمان عن ذلك، وصُرِفَ قائِدُ القُوَّاد الحُسَيْن بن جَوْهَر عَمَّا كان يليه من النَّظَرِ في سابع شَعْبان، وقُرِّرَ مَكانَه صَالِحُ بن عليّ الرَّوْذباري[a]، وقُرِّرَ في ديوان الشَّام مكانَه أبو عبد الله المَوْصِلي الكاتِب، وأُمِرَ حُسَيْن بن جَوْهَر وعبد العزيز بلُزُومِ دُورِهما، ومُنِعا من الرُّكوبِ وَسَائِر أوْلادِهما، ثم عَفَا عنهما بعد أيَّامٍ وأُمِرا بالرُّكوب[٢].

وتوقَّفت زيادَةُ النِّيل، فاسْتَسْقَى النَّاسُ مَرَّتَين، وأَمَرَ بإبْطالِ عِدَّة مُكُوس، وتَعَذَّر وُجودُ الخُبْزِ لغَلائِه وقِلَّتِه، وفُتِحَ الخَليجُ في رابع تُوت والماء على خمسة عشر / ذراعًا، فاشتدَّ الغلاءُ[٣].

وفي تاسع المحرَّم ـ وهو نصف تُوت ـ نَقَصَ ماءُ النِّيل ولم يُوَفِّ ستة عشر ذراعًا، فمُنِعَ النَّاسُ من التَّظاهُر بالغِناء، ومن رُكوبِ البَحْر للتَّفَرُّج، ومُنِعَ من بَيْعِ المُسْكرات، ومُنِعَ النَّاسُ كافَّةً من الخُرُوجِ قبل الفَجْر وبعد العِشاء إلى الطُّرقات، واشْتَدَّ الأمْرُ على الكافَّة لشِدَّة ما داخَلهم من الخَوْفِ، مع شِدَّةِ الغَلاء وتَزايُدِ الأمْراضِ في النَّاسِ والموت[٤].

فلمَّا كان في رَجَب انْحلَّتِ الأسْعارُ[٥]، و[في رَمَضان][b] قُرِئَ سِجِلٌّ فيه «يَصُومُ الصَّائِمون على حِسابِهم ويُفْطِرونَ، ولا يُعَارَضُ أهْلُ الرُّؤْيَة فيما هم عليه صَائِمون ومُفْطِرون، وصَلاةُ الخَمْسين للذين بما جاءَهُم[c] فيها يُصَلُّون، وصَلاةُ الضُّحَى وصَلاةُ التَّراويح لا مانِعَ لهم منها ولا هم عنها يُدْفَعُون، يُخَمِّس في التَّكبير على الجَنائِز المُخَمِّسون، ولا يُمْنَع من التَّرْبيعِ عليها المُرَبِّعون، يُؤَذِّن بـ«حَيّ على خَيْر العَمَل» المؤذِّنون ولا يُؤْذَى من بها لا يُؤَذِّنون. لا يُسَبُّ أَحَدٌ من السَّلَفِ، ولا يُحْتَسَبُ على الواصِف فيهم بما وَصَفَ والحالِفُ منهم بما حَلَفَ، لكلِّ مُسْلمٍ يَجْتَهِدُ[d] في دِينِه اجْتِهادُه»[٦].

---

a) بولاق: الروذبادي. b) زيادة من اتعاظ الحنفا. c) بولاق: للذي جاءهم. d) بولاق: مجتهد.

---

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٧١.

[٢] نفسه ٢: ٧١-٧٢.

[٣] نفسه ٢: ٧٤.

[٤] نفسه ٢: ٧٦-٧٧.

[٥] نفسه ٢: ٧٨ وفيه أنَّ ذلك كان في شعبان.

[٦] نفسه ٢: ٧٨، وأوْرَد نَصَّ هذا السِّجِلّ بتمامه ابنُ خَلْدون في العِبَر وديوان المبتدأ والخبر، بولاق ١٢٨٤هـ، ٤: ٦٠-٦١؛ وتدلُّ هذه الإشارة على تغاضي الإمام=

ولُقِّب صَالِحُ بن عليّ الرُّوذْباري بـ «ثِقَةِ ثِقات السَّيْف والقَلَم» ، وأُعيدَ القاضي عبد العزيز ابن النُّعْمان إلى النَّظَرِ في المظالِم . وتَزايدَتِ الأمْراضُ وكَثُرَ المَوْتُ وعَزَّتِ الأدْوية ، وأُعيدَتِ المُكُوسُ التي رُفِعَت ، وهُدِمَت كَنائِسُ كانت بطَريقِ المَقْس ، وهُدِمَت كَنيسَةٌ كانت بحارَة الرُّوم من القاهِرَة ونُهِبَ ما فيها وقُتِلَ كثيرٌ من الخُدَّام ومن الكُتَّاب ومن الصَّقالِبَة ، بعدما قُطِعَت أيْدي بَعْضٍ[a] من الكُتَّاب بالسَّاطورِ على الخَشَبَة من وَسَطِ الذِّراع ، وقُتِلَ القائِدُ فَضْل بن صَالِح في ذي القعدة [١].

وفي حادي عشر صَفَرَ صُرِفَ صالِحُ بن عليّ الرُّوذباري[b] وقُرِّرَ مكانَه ابنُ عَبْدون النَّصْراني الكاتِب ، فوَقَّع عن الحاكِم ونَظَرَ ، وكُتِبَ بهَدْمِ كَنيسة قُمامَة ، وجُدِّدَ ديوانٌ ـ يُقالُ له «الدِّيوانُ المُفْرَدُ» ـ برَسْم من يُقْبَض مالُه من المَقْتولين وغيرهم ، وكَثُرَت الأمْراضُ ، وعَزَّت الأدْوية ، وشُهِّرَ جَماعَةٌ وُجِدَ عندهم فُقَّاعٌ ومُلوخِيَّة ودِلِينِس وتِرْمس[c] وضُرِبوا ، وهُدِمَ دائِرُ القَصْر [٢].

واشْتَدَّ الأَمْرُ على النَّصارَىٰ واليَهود في إلزامهم لِبْس الغِيار ، وكُتِبَ إبْطالُ أَخْذ الخُمْس والنَّجاوى ، والفِطْرَة ، وَفَرَّ الحُسَيْنُ بن جَوْهَر وأوْلادُه وعبدُ العزيز بن النُّعْمان ، وفَرَّ أبو القاسِم الحُسَيْن بن المَغْرِبي . وكُتِبَت[d] عِدَّةُ أماناتٍ لعِدَّةِ طَوائِف من شِدَّة خَوْفِهم ، وقُطِعَت قِراءَةُ مَجالِس الحِكْمَة بالقَصْر ، ووَقَعَ التَّشْديدُ في المَنْع من المُنْكِرات ، وقُتِلَ كثيرٌ من الكُتَّابِ والخُدَّامِ والفَرَّاشين ، وقُتِلَ صالِحُ بن عليّ الرُّوذْباري[c] في شَوَّال [٣].

---

a) بولاق : بعضهم . b) بولاق : الروذبادي . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : كتب .

= الحاكم بأمْرِ الله عن أَحَدِ أُصُولِ المَذْهَب الإسْماعيلي . فتَبَعًا للمَذْهَب الإسماعيلي فإنَّ صَومَ رَمَضان وفِطْرَه يتمّ بالرُّؤْيَة والحِساب جَميعًا ، واعتبروها كالظَّاهِر والباطِن ، إذا أُشْكِل الأمْرُ في أحدهما الْتُمِس في الآخر . فالهِلالُ كالظَّاهر لأنّه مُشاهَد ، والحِسابُ كالباطِن لأنّه مَعْقُول وهو يُسْتَعْمَل من أوَّل كلِّ سنة ثم يُراعَى طُلُوعُ الهِلال ، فإن وافَقَ الحِسابُ الرُّؤْيَة فقد اتَّفَق الظَّاهِرُ والباطِن وزال الإشكال . (راجع حول هذا الموضوع ، المجالس المستنصرية ، تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩؛ حميد الكرماني : «الرسالة اللازمة في صوم رمضان وحينه» ، تحقيق وتقديم محمد عبد القادر عبد الناصر ، مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة ٣١ (١٩٦٩) ، ١–٥٢؛ De Smet, D., «Comment determiner le début et la fin du Jeûne de Ramadan? un point de discorde entre sunnite el ismaéliens en Égypte fatimide», dans *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubide and Mamluk Eras*, I, pp. 71-84؛ وفيما يلي ٣٨٨ ، ٣٩٢– ٣٩٣.

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٧٨– ٨٠.

[٢] نفسه ٢ : ٨١.

[٣] نفسه ٢ : ٨١– ٨٣.

وفي رابع المحرَّم سنة إحدى وأربع مائة، صُرِفَ الكافي بن عَبْدون عن النَّظَرِ والتَّوْقيع، وقُرِّرَ بَدَله أحمد بن محمد القَشُوري الكاتِب في الوَساطَة والسِّفارَة، وحَضَرَ الحُسَيْنُ بن جَوْهَر وعبدُ العزيز بن النُّعْمان إلى القاهِرَة فأُكْرِما، ثم صُرِفَ ابن القَشُوري بعد عشرة أيَّامٍ من اسْتِقْرارِه وضُرِبَت عُنُقُه، وقُرِّرَ بَدَلَه زُرْعَةُ بن عيسَىٰ بن نَسْطُورَس الكاتِب النَّصْراني، ولُقِّبَ بالشَّافي[1].

ومُنِعَ النَّاسُ من الرُّكوبِ في المراكِبِ في الخَليج، وسُدَّت أبوابُ الدُّورِ التي على الخَليج والطَّاقات المُطِلَّة عليه، وأُضِيفَ إلى قاضي القُضَاة مالِك بن سَعيدٍ النَّظَرُ في المظالِم، وأُعيدَت مَجالِسُ الحِكْمَة وأَخْذُ مَالِ النَّجْوَىٰ، وقُتِلَ ابنُ عَبْدون وأُخِذَ مالُه، وضُرِبَ جَماعَةٌ وشُهِروا من أجْلِ بَيْعِهِم المُلوخِيَّة والسَّمَك الذي لا قِشْرَ له وبسَبَبِ بَيْعِ النَّبيذ[2].

وقُتِلَ الحُسَيْنُ بن جَوْهَر وعبدُ العزيز بن النُّعْمان في ثاني عشر جُمادَىٰ الآخرة سنة إحدى وأربع مائةٍ، وأُحيط بأمْوالِهِما، وأُبْطِلَت عِدَّةُ مُكوسٍ، ومُنِعَ النَّاسُ من الغِنَاء واللَّهْو ومن بَيْعِ المغنِّيات ومن الاجْتِماع بالصَّحْراء[3].

وفي هذه السنة خَلَعَ حَسَّانُ بن مُفَرِّج بن دَغْفَل بن الجَرَّاح طاعَةَ الحاكِم، وأقامَ أبا الفُتُوح حُسَيْن بن جَعْفَر الحَسَني أمير مَكَّة خَليفةً، وبايَعَه ودَعا النَّاسَ إلى طاعَتِه ومُبايَعَتِه، وقاتَل عَساكِرَ الحاكِم[4].

وفي سنة اثنتين وأربع مائةٍ، مُنِعَ مِن بَيْعِ الزَّبيب وكُوتِبَ بالمَنْعِ من حَمْله، وأُلْقي في بَحْرِ النِّيل منه شيءٌ كثيرٌ وأُحْرِقَ شيءٌ كثير. ومُنِعَ النِّساءُ من زِيارَة القُبُور، فلم يُرَ في الأعْيادِ بالمقابِر امْرَأَةٌ واحِدَةٌ، ومُنِعَ من الاجْتِماعِ على شاطِئِ النِّيل للتَّفَرُّج، ومُنِعَ من بَيْعِ العِنَب إلَّا أربعة أرْطال فما دونها، ومُنِع من عصْرِه، وطُرِحَ كثيرٌ منه وديسَ في الطُّرقاتِ، وغُرِّق كثيرٌ منه في النِّيل، ومُنِعَ من حَمْلِه، وقُطِعَت كُرومُ الجيزَة كلُّها، وسُيِّرَ إلى الجِهاتِ بذلك[5].

وفي سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ نَزَعَ السِّعْرُ، وازْدَحَم النَّاسُ على الخُبْزِ. وفي ثاني رَبيع الأوَّل منها هَلَكَ عيسَىٰ بن نَسْطورِس، فأُمِرَ النَّصارَىٰ بلِبْس السَّوادِ وتَعْليقِ صُلْبانِ الخَشَبِ في أعْناقِهم، وأن يكون الصَّليبُ ذِراعًا في مثله، وزِنَته خمسة أرطال، وأن يكون مكشوفًا بحيث يَراهُ النَّاسُ،

---

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٨٤– ٨٥، ٨٦.
[2] نفسه ٢: ٨٦.
[3] نفسه ٢: ٨٦– ٨٧.
[4] نفسه ٢: ٨٧.
[5] نفسه ٢: ٨٩– ٩٢.

ومُنِعوا من رُكوبِ الخَيْل ، وأن يكون رُكُوبُهم البِغال والحَمير بسُروجِ الخَشَبِ والسُّيور السُّودِ بغير حِلْيَة ، وأن يَشُدُّوا الزَّنانير ، ولا يستخدموا مُسْلِمًا ولا يشتروا عَبْدًا ولا أَمَةً ، وتُتُبِّعت آثارُهم في ذلك فأَسْلَم منهم عِدَّة [1] .

وقُرِّر حُسَيْن بن طاهِر الوَزَّان في الوَساطَة والتَّوْقيع عن الحاكِم في تاسع عشرين رَبيعِ الأوَّل منها ، ولُقِّب «أَمين الأُمَنَاء» ونَقَشَ الحَاكِمُ على خاتَمه : «بِنَصْرِ الله العَظيم الوَلِيّ / يَنْتَصِرُ الإمامُ أبو عليّ» ، وضَرَبَ جَماعَةً بسَبَب اللَّعِب بالشِّطْرَنْج وهُدِمَت الكنائِسُ ، وأُخِذَ جَميعُ ما فيها وما لها من الرِّباع ، وكُتِبَ بذلك إلى الأعْمَالِ فهُدِمَت بها [2] .

وفيها لَحِقَ أبو الفَتْح بمَكَّة ، ودَعا للحَاكِم وضَرَبَ السِّكَّةَ باسْمِه [3] .

وأَمَرَ الحَاكِمُ أَلَّا يُقَبِّلَ أَحَدٌ له الأَرْضَ ، ولا يُقَبِّلَ رِكابَه ولا يَدَه عند السَّلامِ عليه في المواكِب ، فإنَّ الانْحِناءَ إلى الأَرْضِ لمخْلوقٍ من صَنيعِ الرُّوم ، وأَلَّا يُزاد على قَوْلِهم : «السَّلامُ على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» ، ولا يُصَلّي عليه أَحَدٌ في مُكاتَبَةٍ ولا مُخاطَبَةٍ ، ويُقْتَصَرُ في مُكاتَبَته على سَلامِ الله وتَحِيَّاتِه ونوامي بَرَكاتِه على أمير المؤمنين ، ويُدْعَى له بما يَتَّفِقُ من الدُّعاء لا غير . فلم يَقُل الخُطَباءُ يوم الجُمُعَة سوى «اللَّهُم صَلِّ على محمدٍ المصطفىٰ ، وسَلِّم على أميرِ المؤمنين عليّ المُرْتَضىٰ ، اللَّهُم وسَلِّم على أُمَرَاءِ المؤمنين آباءِ أميرِ المؤمنين ، اللَّهُم اجْعَلَ أَفْضَلَ سَلامِك على عَبْدِك وخَليفَتِك» [4] .

ومَنَعَ من ضَرْبِ الطُّبُول والأَبْواقِ حَوْلَ القَصْر ، فصارُوا يطُوفُون بغير طَبْلٍ ولا بُوق [5] .

وكَثُرَت إنْعاماتُ الحَاكِم ، فَتَوَقَّفَ أمينُ الأُمَناء حُسَيْن بن طَاهِر الوَزَّان في إمْضائِها . فكَتَبَ إليه الحَاكِمُ بخَطِّه بعد البَسْمَلَة :

«الحَمْدُ لله كما هو أَهْله :

[السريع]

أَصْبَحْتُ لا أَرْجو ولا أَتَّقي　　إلَّا[a] إلـهي ولـه الفَضْلُ
جَدِّي نبيٌّ وإمامي أبي　　ودِينيَ الإخْلاصُ والعَدْلُ

---

a) اتعاظ الحنفا : سوى .

---

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢:٩٣- ٩٤، وفيما يلي ٢:٤٩٥- ٤٩٦.
[2] نفسه ٢:٩٤- ٩٥.
[3] نفسه ٢: ٩٥.
[4] نفسه ٢: ٩٦.
[5] نفسه ٢: ٩٦.

المالُ مالُ الله عَزَّ وجَلَّ ، والخَلْقُ عِبادُ الله ، ونحن أُمَناؤه في الأرْض . أَطْلِق أَرْزاقَ النَّاسِ ولا تَقْطَعْها والسَّلام»[١] .

ورَكِبَ الحَاكِمُ يوم عيد الفِطْر إلى المُصَلَّى بغير زِينَةٍ ولا جَنائِبَ ولا أُبَّهَة ، سوى عشرة أفْراسٍ تُقادُ بشروجٍ ولُجُم مُحَلَّاةٍ بفِضَّة بيضاء خَفيفَة ، وبُنُودٍ ساذجة ، ومَظَلَّةٍ بيضاء بغير ذَهَب ، عليه بَياضٌ بغير طَرْزٍ ولا ذَهَبَ ولا جَوْهَر في عِمامَته ، ولم يُفْرَش المنبر ، ومَنَعَ النَّاسَ من سَبِّ السَّلَفِ ، وضُرِبَ في ذلك [رَجُلٌ][a] وشُهِر ، وصَلَّى صَلاةَ عيد النَّحْر كما صَلَّى صَلاةَ عيد الفِطْر من غير أُبَّهَةٍ ، ونَحَرَ عنه عبد الرَّحيم بن إلْياس بن أحمد بن المَهْدي ، وأكْثَرَ الحاكِمُ من الرُّكوبِ إلى الصَّحْراءِ بحذاءٍ في رجله وفُوطَةٍ على رأسه[٢] .

وفي سنة أربعٍ وأربع مائةٍ أُلْزِمَ اليَهُودُ أن يكون في أعْناقِهم جَرَسٌ إذا دخَلوا الحَمَّام ، وأن يكون في أعْناقِ النَّصارىٰ صُلْبانٌ ، ومُنِعَ النَّاسُ من الكلام في النُّجوم ، وأُقيمَ المنجِّمون من الطُّرُقات ، وطُلِبُوا فتَغَيَّبوا ونُفُوا . وكَثُرَت هِباتُ الحاكِم وصَدَقاتُه وعِتْقُه ، وأَمَرَ اليَهودَ والنَّصارىٰ بالخُروجِ من مصر إلى بِلاد الرُّوم وغيرها[٣] .

وأُقيمَ عبدُ الرَّحيم بن إلْياس وَلِيَّ العَهْد ، وأَمَرَ أن يُقال في السَّلام عليه : «السَّلامُ على ابنِ عَمِّ أميرِ المؤمنين ووَلِيِّ عَهْدِ المُسْلمين» ، وصارَ يَجْلِسُ بمَكانٍ في القَصْر ، وصارَ الحاكِمُ يَرْكَب بدُرَّاعَةِ صُوف بَيْضَاء ، ويتَعَمَّم بفُوطَةٍ وفي رجله حِذاءٌ عربي بقَبالين ، وعبد الرَّحيم يَتَوَلَّى النَّظَرَ في أُمُورِ الدَّوْلَة كلِّها . وأَفْرَطَ الحاكِمُ في العَطَاء ، ورَدَّ ما كان أَخَذَ من الضِّياع والأَمْلاكِ إلى أَرْبابِها[٤] .

وفي [ثامن عشر][b] رَبيعِ الآخر أَمَرَ بقَطْع يَدَي أبي القاسم الجَرْجَرائي[c] ، وكان يكتب للقائد غَبْن ، ثم قَطَعَ يَدَ غَبْن فصارَ مَقْطوعَ اليَدَيْن ، وبَعَثَ إليه الحاكِمُ بعد قَطْع يديه بألفِ من الذَّهَب

---

a) زيادة من اتعاظ الحنفا . b) بولاق : الجرجاني .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٩٧ .

[٢] نفسه ٢ : ٩٧ - ٩٩ .

[٣] نفسه ٢ : ١٠٠ .

[٤] نفسه ٢ : ١٠٠ - ١٠١ . وعن هذا الموضوع الذي يُعَدُّ خُروجًا على أُصُولِ المَذْهَب الإسْماعيلي الذي يَشْتَرِطُ أن تكون الإمامَةُ في الأعْقاب ، راجع أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٧١–١٧٣ وما ذكر من مراجع و Makarim, S.N., «Al-Hâkim bi Amrillâh's Appointment of his Successors», *al-Abhath* 23 (1970), pp. 319-25.

والثِّياب ، ثم بعد ذلك أَمَرَ بقَطْعِ لِسانِه فقُطِع ، وأَبْطَلَ عِدَّة مُكُوس ، وقَتَلَ الكِلابَ كلَّها ، وأكثر من الرُّكوب في اللَّيْل [1] .

ومَنَعَ النِّساءَ من المَشْي في الطُّرقات ، فلم تُر امرأةٌ في طَريقٍ ألبتَّة ، وأُغْلِقَت حمَّاماتهن ، ومُنِعَ الأساكِفَةُ من عَمَل خِفافِهن ، وتعطَّلت حَوانيتُهم . واشْتَدَّتِ الإشاعَةُ بوُقوعِ السَّيْفِ في النَّاسِ فتهارَبوا ، وغُلِّقَت الأسْواقُ فلم يُبَع شيءٌ . ودُعيَ لعبد الرَّحيم بن إلْياس على المنابِر ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسْمِه بوِلاية العَهْد [2] .

وفي سنة خمسٍ وأربع مائةٍ قُتِلَ مالِكُ بن سَعيدِ الفارِقي في رَبيعِ الآخر ، وكانت مُدَّةُ نَظَرِه في قَضاءِ القُضَاة ستُّ سنين وتسعة أشهر وعشرة أيَّام ، وبَلَغَ إقْطاعُهُ في السنة خمسة عشر ألف دينار . وتزايَدَ رُكوبُ الحَاكِم حتى كان يَرْكَبُ في كلِّ يَوْمٍ عِدَّةَ مَرَّات ، واشْتَرَى الحَميرَ ورَكِبَها بَدَلَ الخَيْل [3] .

وفي جُمادَى الآخرة منها قُتِلَ الحُسَيْنُ بن طَاهِر الوَزَّان ، فكانت مُدَّةُ نَظَرِه في الوَساطَة سنتين وشهرين وعشرين يومًا ، فأَمَر أصْحابَ الدَّواوين بلزوم دَواوينهم . وصارَ الحَاكِمُ يَرْكَبُ حِمارًا بشاشِيَّةٍ مكشوفَةٍ بغير عِمامَة ، ثم أقامَ عبد الرَّحيم بن أبي السَّيِّد الكاتب وأخاه أبا عبد الله الحُسَيْن في الوَساطَة والسِّفارَة ، وأقَرَّ في وَظيفَةِ قَضاءِ القُضَاة أحمد بن محمد بن أبي العَوَّام [4] .

وخَرَجَ الحَاكِمُ عن الحَدِّ في العَطَاءِ حتى أَقْطَع نَواتية المراكِب والمَشاعِلِيَّة وبني قُرَّة ، فمِمَّا أقْطَعَ الإسْكَنْدَرية والبُحَيْرَة ونَواحيهما . وقَتَلَ ابني أبي السَّيِّد ، فكانَت مُدَّةُ نَظَرِهما اثنتين وستين يومًا . وقَلَّدَ الوَساطَة فَضْلَ بن جَعْفَر بن الفُرات ، ثم قَتَلَه في اليوم الخامس من ولايته . وغَلَبَ بنو قُرَّة على الإسْكَنْدَرية وأعْمَالِها [5] .

وأكثر الحَاكِمُ من الرُّكوبِ ، فرَكِبَ في يومٍ ستَّ مرات : مَرَّةً على فَرَسٍ ، ومَرَّةً على حِمار ، ومَرَّةً فى مَحَفَّةٍ تُحْمل على الأعْناق ، ومَرَّةً في عُشاري في النِّيل بغير عِمامَة . وأكثر من إقْطاعِ الجُنْدِ والعَبيد الإقْطاعات ، وأقامَ ذا الرِّياسَتَيْن قُطْب الدَّوْلَة أبا الحَسَن عليّ بن جَعْفَر بن فَلاح في الوَساطَة والسِّفارَة [6] .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ١٠١-١٠٢ وفيما يلي ٢: ٢٩٧- ٢٩٨.

[2] نفسه ٢: ١٠٣.

[3] نفسه ٢: ١٠٦- ١٠٧.

[4] نفسه ٢: ١٠٨.

[5] نفسه ٢: ١٠٩- ١١٠.

[6] نفسه ٢: ١١٠.

ووَلِيَ عبد / الرَّحيم بن إلْياس دِمَشْق فسارَ إليها في جُمادَى الآخِرَة سنة تسع وأربع مائةٍ ، فأقامَ فيها شهرين ، ثم هَجَمَ عليه قَوْمٌ فقَتَلُوا جَماعَةً ممَّن عنده ، وأخذوه في صَنْدُوقٍ وحَمَلوه إلى مصر ، ثم أُعيدَ إلى دِمَشْق ، فأقامَ بها إلى لَيْلَةِ عيدِ الفِطْر وأُخْرِجَ منها [1].

فلمَّا كان لليلتين بقيتا من شَوَّالٍ سنة إحدى عشرة وأربع مائةٍ ، فُقِدَ الحاكِمُ - وقيل إنَّ أُخْتَه قَتَلَتْه ، وليس بصَحيحٍ - وكان عُمْرُه ستًّا وثلاثين سنة وسبع أشهر ، وكانت مُدَّةُ خِلافَتِه خَمْسًا وعشرين سنة وشهرًا ، وكان جَوادًا ، سَفَّاكًا للدِّماءِ ، قَتَلَ عَدَدًا لا يُحْصَى ، وكانت سِيرَتُه من أَعْجَبِ السِّيَرِ ، وخُطِبَ له على مَنابِرِ مِصْر والشَّام وإفْرِيقيَّة والحِجاز .

وكان يَشْتَغِلُ بعُلُومِ الأوائِل ، ويَنْظُرُ في النُّجُوم ، وعَمِلَ رَصْدًا ، واتَّخَذَ بَيْتًا في المُقَطَّم يَنْقَطِعُ فيه عن النَّاسِ لذلك . ويُقالُ إنَّه كان يَعْتَرِيه جَفافٌ في دِماغِه ، فلذلك كَثُرَ تناقُضُه . وما أَحْسَن ما قال فيه بعضُهم : «كانت أَفْعالُه لا تُعَلَّل ، وأحْلامُ وَساوِسِه لا تُؤَوَّل» [2].

وقال المُسَبِّحِيُّ : وفي محرَّم سنة خمس عشرة وأربع مائةٍ ، قُبِضَ على رَجُلٍ من بني حُسَين ثارَ بالصَّعيدِ الأعْلَى ، فأقَرَّ بأنَّه قَتَلَ الحاكِمَ بأمْرِ الله في جملة أربعة أَنْفُس تَفَرَّقوا في البِلاد ، وأظْهَرَ قِطْعَةً من جِلْدَةِ رأسِ الحاكِم ، وقِطْعَةً من الفُوطَة التي كانت عليه . فقيل له : لم قَتَلْتَه ؟ فقال : غَيْرَةً لله وللإسلام ؛ فقيل له : كَيْف قَتَلْتَه ؟ فأَخْرَج سِكِّينًا ضَرَبَ بها فُؤادَه فقَتَلَ نَفْسَه ، وقال : هكذا قَتَلْتُه . فقُطِعَ رأسُه ، وأُنْفِذَ به إلى الحَضْرَة مع ما وُجِدَ معه [3].

وهذا هو الصَّحيحُ في خَبَرِ قَتْلِ الحاكِم ، لا ما تَحْكيه المشارِقَةُ في كُتُبهم من أنَّ أُخْتَه قَتَلَته .

جامع الفِيَلَة

هذا الجامِعُ بسَطْحِ الجُرُفِ المُطِلّ على بِرْكَةِ الحَبَش - المعروف الآن بالرَّصْد - بَناهُ الأَفْضَلُ شاهِنْشاه بن أمير الجُيُوش بَدْرِ الجَمالي في شَعْبان سنة ثمانٍ وتسعين[a] وأربع مائةٍ ، وبَلَغَت النَّفَقَةُ على بِنائِه ستة آلاف دينار [4].

---

a) بولاق : سبعين .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ١١٤.

[2] نفسه ٢: ١١٧ ومصدره فيه ابن أبي طي .

[3] المسبحي : أخبار مصر ٢٧-٢٨؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ١٤٠؛ وفيما تقدم ٢: ١٨٩.

[4] توفي الوزيرُ الأفضَلُ مَقْتُولًا سنة ٥١٥هـ/١١٢١م قبل أن يَتِمّ بناء الجامِع ، فأكمله خَلَفُه الوَزيرُ المأمون البطائحي =

وإنَّما قيل له جَامِعُ الفِيَلَةِ لأنَّ في قِبْلَتِه تِسْعَ قِبابٍ في أعْلاه ذات قَناطِر، إذا رآها الإنْسانُ من بعيدٍ شَبَّهَها بمُدَرَّعِيْن على فِيَلَة [١]، كالتي كانت تُعْمَلُ في المواكِب أيّام الأعْياد، وعليها السَّرير وفوقها المُدَرّعون، أيّام الخُلَفاء.

ولمَّا كَمُلَ أقامَ في خَطابَتِه الشَّريفَ الزَّكيّ أمينَ الدَّوْلَة أبا جَعْفَر محمد بن محمد بن هِبَة الله ابن عليّ الحُسَيْني الأَفْطسي النَّسّابَة الكاتِب الشّاعِر الطَّرابُلُسي [٢] بعد صَرْفِه من قَضاءِ الغَرْبِيَّة. فلمَّا رَقِيَ المِنْبَر في [a] أوّلِ خُطْبَةٍ أُقيمَت في هذا الجَامِع، قال: «بِسْم الله الحَمْدُ لله»، وأُرْتِجَ عليه فلم يَدْرِ ما يقول. وكان هناك الشَّيْخُ أبو القاسِم عليُّ بن مُنْجِب بن الصَّيْرَفي الكاتِب ووَلَدُه مُخْتَصّ الدَّوْلَة أبو المَجْد، وأبو عبد الله بن بَرَكات النَّحْوي ووُجُوهُ الدَّوْلَة. فلمَّا أُضْجِر مَنْ حَضَرَ، نَزَلَ عن المِنْبَر وقد حُمَّ، فتقَدَّم قَيِّمُ الجَامِع وصَلَّى، ومَضَى الشَّريفُ إلى دارِه فاعْتَلَّ ومات [٣].

وكان قد وَلِيَ قَضاءَ عَسْقَلان وغيرها، ثم قَدِمَ إلى مصر فوَلِيَ الحُكْمَ بالمَحَلَّة، ووَلِيَ ديوانَ الأحْباس. وكان أَحَدَ الأعْيانِ الأُدَباءِ العارفين بالنَّسَب، ومن الشُّعَراءِ المُجيدين والنُّحاةِ اللُّغَويين. وُلِدَ بطَرابُلُس الشّام في سنة اثنتين وستين وأربع مائةٍ، وقَدِمَ إلى القاهِرَة في سنة إحدى وخمس مائةٍ ومَدَحَ الأَفْضَل، وماتَ في سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وخمس مائةٍ. وقد تَرَشَّحَ للنِّقابَةِ بمصر ولم يَنَلْها مع تَطَلُّعه إليها، وذَيَّلَ كِتابَ أبي الغَنائِم الزَّيْدي النَّسّابة. ومن شِعْره بَديهًا، وقد نامَ مع جاريته على سُطُوحٍ، فطَلَعَ القَمَرُ عليهما فارْتاعا من كَشْفِ الجِيرانِ عليهما:

---

a) في: ساقطة من بولاق.

= وأقامَ له مِنْبَرًا. (ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ١٠٦؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٨٤؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨٤:٢٨ (نقلًا عن الشريف الجَوّاني)؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٧٢، المقفى الكبير ٧: ٩٦).

والرَّصْدُ هو الجَبَلُ المشرف على منطقة أَثَرِ النَّبي جنوب مصر القديمة المعروف الآن بجَبَل إسْطَبْل عَنْتَر، وكان يَعْلوه مبنًى جَدَّدَه محمد علي باشا وجَعَلَه مَخْزنًا للبارود باسم جَبَخانَة أَثَر النَّبي. ورُبَّما تكون هذه الطَّابية قد حلّت مَحَلّ جامِع الفِيَلَة القديم. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٦٠هـ [٤]، ١١: ٢٢هـ [٢]؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٢: ١٠٤-١٠٥).

[١] ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٨٣.

[٢] انظر ترجمته عند المقريزي: المقفى الكبير ٧: ٩٦-٩٨.

[٣] النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٨٥؛ المقريزي: المقفى الكبير ٧: ٩٧.

[الطويل]

ولمَّا تَـلاقَـيْنا وغــابَ رَقـيـبُنا ورُمْتُ التَّشَكِّي في خُلُوٍّ وفي سِرِّ
بَدَا ضَوْءُ بَدْرٍ فافْتَرَقْنا لضَوْئِه فيا مَنْ رأَى بَدْرًا يَنِمُّ على بَدْرِ

وأَهْلُ المطالِب يَذْكُرون أنَّ الأَفْضَلَ وَجَدَ بمَوْضِعِ الصِّهْريج مَطْلَبًا ، فخَتَمَ عليه أشهرًا إلى أن نَقَلَه ، وعَمِلَه صِهْريجًا وبَنَى عليه هذا المَسْجد .

وهذا الشَّرَفُ الذي عليه جَامِعُ الفِيَلَةِ مَنْظَرُهُ في غَايَة الحُسْنِ لأنَّ في قِبْليه بِرْكَة الحَبَش ، وبُسْتان الوَزير المغربي ، والعَدَوِيَّة[1] ودَيْر النَّسْطُورية ، وبِئْر أبي سَلامَة - وهي بِئْرٌ مُدَوَّرَة برَسْم الغَنَم - وبِئْر النَّعْش كان يَسْتقِي منها أَصْحابُ الزَّوايا ، وهي بجوار عَفْصَة الصُّغْرَىٰ ، وهي بِئْر أبي مُوسَىٰ بن أبي خُلَيْد . وسُمِّيَت بِئْر النَّعْشِ لأنَّها على هيئةِ النَّعْش ، وماؤها يهضم الطَّعام وهو أَصَحُّ الأمْواه . وشرقيُّ هذا الجبَلِ جَبَلُ المُقَطَّم ، والجَبَّانَةُ والمَعافِرُ والقَرافَة ، وآخِر الأَكْحُول ، ودَيْحان ورُعَيْن والكِلاع والأَكْنُوع[a] . وغربيُّ هذا الجبَلِ المَعْشوقُ والنِّيل ، وبُسْتانُ اليهودي إلى الفِيَلة[b] ، وطَمُوه والأَهْرام وراشِدَة . وبَحْريُّ هذا الجبَلِ بُسْتانُ الأمير تَميم ، وقَنْطَرَةُ خَليج بني وائِل ، ودَيْرُ المُعَدِّلين ، وعَقَبَةُ يَحْصُب ، ومَحْرَسُ قُسْطَنْطين ، والشَّرَفُ وغير ذلك .

وهذا الجَامِعُ لا تُقامُ فيه اليوم جُمُعَة ولا جَماعَة ، لخَراب/ ما حَوْله من القَرافَة وراشِدَة ، وينزل فيه أحْيانًا طائِفَةٌ من العَرَب بإبلهم يُقالُ لهم المسلميَّة . وعمَّا قَليل يَدْثُر كما دَثَرَ غيره .

جَامِعُ المِقْيَاس

هذا الجَامِعُ بجِوارِ مِقْياسِ النِّيل من جَزيرَة الفُسْطاط أنشأه [c][2] .

---

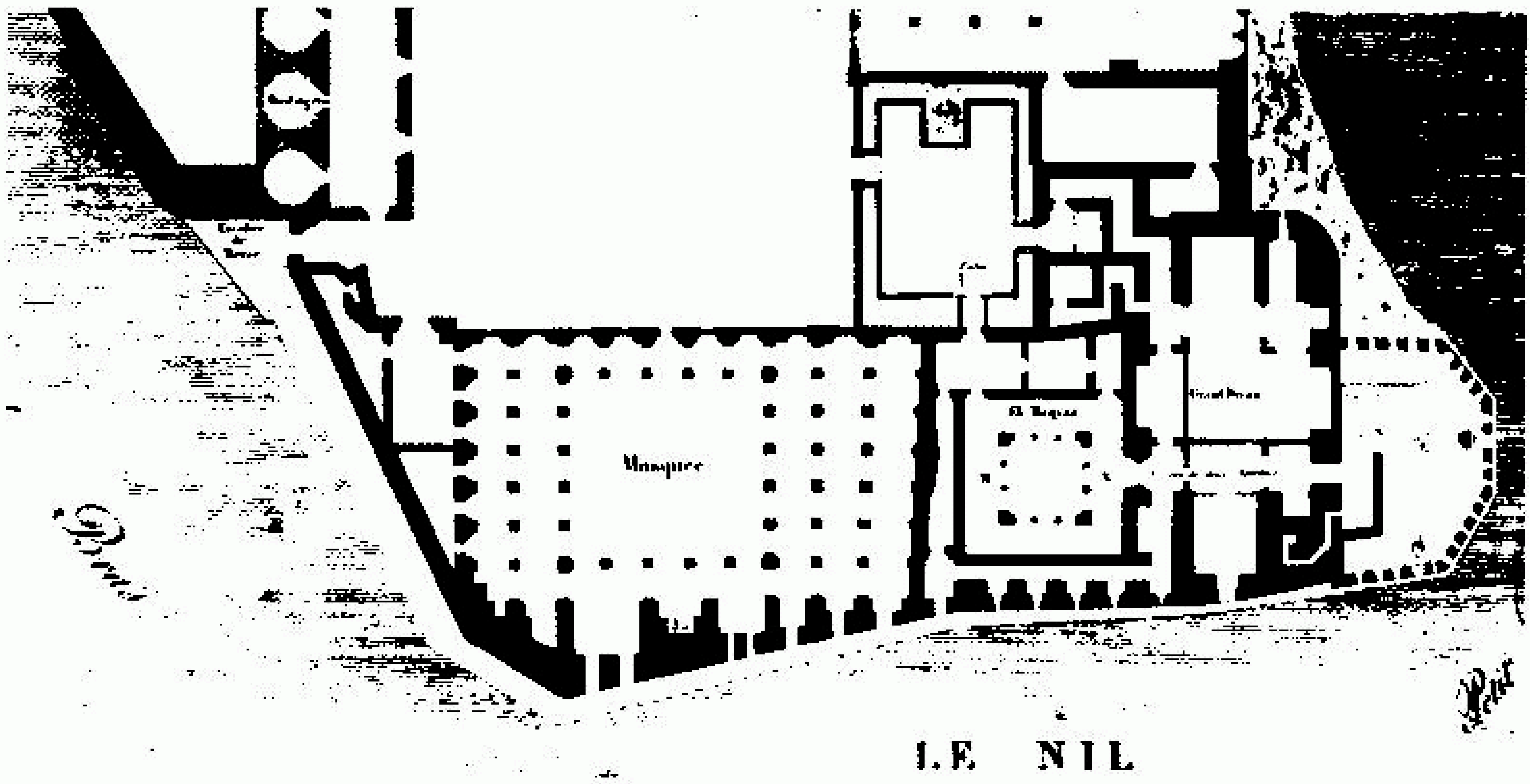
a) بولاق : الأكسوع . b) بولاق : القبلة . c) بياض في جميع النسخ .

---

[1] انظر عن الزَّاوية العَدَوِيَّة ، فيما يلي ٨٢١- ٨٢٦.

[2] رُبَّما يكون هذا الجامع هو نفســه الجَامع الذي جَدَّدَه السُّلطانُ الصَّالحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب ، والذي ذكره المقريزي (فيما يلي ١٨٠) باسم : «جَامِع الرَّوْضَة بقَلْعَة جَزيرَة الفُسْطاط» ، ثم هَدَمَه وَوَسَّعَه السُّلْطانُ المُؤَيد شيخ سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م .

أقول : هذا الجَامِعُ كان في الأَصْلِ جزءًا من مجموعة عمائِر أقامَها أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجمالي في رَجَب سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م حَوْلَ المِقْياس عند الطَّرَفِ الجنوبي لجَزيرَة الرَّوْضَة . وقد وَهِمَ ابنُ دُقْماق فنَسَبَ بناءَ هذا الجامع إلى ابنه الأَفْضَل شاهِنْشَاه ولم يُعَيِّنْ السَّنة التي بُنِيَ فيها (الانتصار ٤:١١٥) . ولكن J.J. Marcel – أحد العُلَماء المصاحبين للحملة الفرنسية – قَدَّم لنا في نهاية القرن الثامن عشر وَصْفًا تفصيليًا يُؤَكِّد الوجود التاريخي لهذا الجامع .=



مُخطَّط جامع المِقْياس الذي شَيَّدَه بَدْرُ الجمالي (عن وصف مصر)

= وللأسف الشديد فقد اختفت جميعُ هذه العمائر التي شيَّدَها بَدْرُ الجمالي مع التجديدات التي أدْخلها عليها كُلٌّ من الصَّالح نَجْم الدِّين أيُّوب والمُؤيَّد شَيْخ المحمودي بعد وَصْف مارسيل Marcel لها بنحو نصف قَرْن، ليَحِلَّ مَحلَّها ومحلَّ قَصْر الصَّالح نَجْم الدين أيُّوب المجاور لها (فيما تقدم ٣:٥٨٢-٥٨٤) قَصْرٌ كبيرٌ بناه في سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م حسن باشا فؤاد المانِسْترلي (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥:١٢٣)، ما تزال بقاياه موجودة في الطرف الجنوبي لجزيرة الرَّوْضَة ويشغله الآن متحف مقتنيات أم كلثوم.

وكان يوجد بالجامع الذي شَيَّدَه بَدْرُ الجمالي ثلاثُ لَوْحاتٍ تذكارية تحمل تقريبًا نَصًّا واحدًا تُوَضِّح أنَّ أمير الجُيُوش بَدْر الجمالي هو الذي أمَرَ بِبناءِ هذا الجامع في رَجَب سنة ٤٨٥هـ/ أغسطس ١٠٩٢م في خلافة المُسْتَنْصِر بالله نَقَلَها مارسيل وفيما يلي نَصُّ أحدها:

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم ﴿وما تَوْفيقي إلَّا بالله عليه تَوَكَّلْت﴾، ﴿إنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ الله مَنْ آمَنَ بالله واليَوْم الآخِر وأقام الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ ولم يَخْشَ إلَّا الله فعَسَى أُولَئِكَ أن يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدين﴾. نَصْرٌ من الله وفَتْحٌ قَرِيبٌ لعَبْدِ الله ووَلِيِّه مَعَدّ أبي تميم الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المُؤْمنين صَلوات الله عليه وعلى آبائه الطَّاهرين وأبنائه الأكرمين. مِمَّا أمَرَ بإنشاء هذا الجامع المبارك فتاه السَّيِّد الأجَلّ أمير الجُيُوش سَيْف الإسلام ناصِر الإمام كافِل قُضَاة المسلمين وهادي دُعاة المُؤْمنين أبو النَّجْم بدْر المُسْتَنْصري، عَضَّد الله به الدِّين وأمْتَعَ بطولِ بقائه أمير المؤمنين وأدامَ قُدْرَتَه وأعلى كَلِمَتَه في رَجَب سنة خمسٍ وثمانين وأربع مائة. والحمد لله رَبّ العالمين وصَلَّى الله على محمدٍ وآلِه الطَّاهرين».

(راجع، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤:٩٩هـ [٣]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥:٢٧٨-٢٨٠ (١٢٢-١٢٣)، ١٨:١٣؛ Marcel, J.J., «Mémoire sur le Meqyas de l'île de Roudah», *Description de l'Égypte* - Etat moderne XV, Paris 1826, pp. 459-64; van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 30; Wiet. G., *CIA* Égypte II, pp. 146-46; id., *RCEA* VII, n[os] 2794, 2796; Creswell, K.A.C., MAE I, pp. 217-19; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 447-51؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ١: ٩٠؛ أيمن فؤاد: «جامع المقياس بجزيرة الرَّوْضَة»، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية - الكتاب التذكاري للآثاري عبد الرحمن عبد التواب، القاهرة ٢٠٠١، ٢:٩-١٨).

الجَامِعُ الأقْمَر[a] [1]

[أثر رقم ٣٣]

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: كان مكانَه عَلَّافون والحَوْضُ مَكان المَنْظَرة، فتحدَّثَ المأمُونُ ابن البَطائِحي[b] في إنْشائِه جَامِعًا. فلم يَتْرُكْ قُدَّامَ القَصْر دُكانًا، وبَنَى تَحْتَ الجَامِع دَكاكِينَ ومَخازِنَ من جِهَة باب الفُتُوح لا من صَوْبِ القَصْر. وكَمُلَ الجَامِعُ المذكور في أيَّامِه، وذلك في سنة تسع عشرة وخمس مائةٍ، وذَكَرَ أنَّ اسْم الآمِر والمأمُون عليه [c]إلى الآن. انتهى[c] [2].

---

a) بولاق: جامع الأقمر. b) هذا نَصُّ المُسَوَّدَة والروضة البهية، وفي سائر النُّسَخ: فتحدَّث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطائحي. c-c) إضافة من المُسَوَّدَة.

---

[1] شُيِّدَ هذا الجامع - كما يَذْكُر ابنُ مُيَسَّر: أخبار مصر ٩١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٧٧ - في آخر عام ٥١٥هـ/١٢٢١م وافْتُتِحَ للصَّلاة في عام ٥١٩هـ/١١٢٥م. ويَدُلُّ على هذا التاريخ شريطان من الكتابة بالخَطِّ الكوفي المُزْهِر البارِز، واحِدٌ في أعلى الجَامِع والثَّاني على مستوى المُقَرْنَصات الموجودة في واجهة الجَامِع، فُقِدَ قِسمٌ كبيرٌ منها ووُضِعَ قسمٌ آخر في غير موضعه، وفيما يلي نَصُّ الشَّريط العُلْوي، علمًا بأنَّ ما بين المعقوفتين قد فُقِد الآن:

[«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم. مِمَّا أمَرَ بعَمَلِه ... فَتَى مَوْلانا وسَيِّدنا الإمام الآمِر بأحكام الله بن الإمام المُسْتَعْلي] بالله أمير المؤمنين، صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطَّاهرين وأبنائهما الأكرمين تَقَرُّبًا إلى الله الملك الحَقِّ المُبين، وأقام ... اللَّهم انْصُر جُيُوش الإمام الآمِر بأحكام الله أمير المُؤْمنين على كافَّة المُشْرِك[ين ... السَّيِّد الأجَلّ المأمُون أمير الجُيُوش سَيْف الإسلام ناصِر الإمام] كافِل قُضَاة المُسْلمين وهادي دُعاةِ المُؤْمنين أبو عبد الله محمد الآمِري عَضَّد الله به الدِّين وأمْتَعَ بطُولِ بَقائِه أمير المُؤْمنين وأدامَ قُدْرَتَه وأعْلَى كَلِمَتَه في سنة تسع عشرة وخمس مائة ... لإقامَة البُرْهَان».

van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n°s 40-41; Wiet, G., *CIA* Égypte II, n°s 586-87; id., *RCEA* VIII, n°s 3011-12؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٧٦-٧٧؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 524-26; Saifuddin, J.M., *Al-Aqmar - A Living Testimony to the Fatimiyeen*, pp. 132-35).

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٧٣.

ويُعَدُّ هذا الجَامِع، على صِغَرِ حجمه، أحَدَ أهمِّ آثار القاهرة الإسلامية، ويَسْتَمِدُّ أهميّته من واجهته التي تشتمل على مَلامِحَ ذات معنًى كبير، أوَّلُها توافقها مع استقامة الطَّريق المقامة عليه بخلافِ الجامِع نفسه الذي احْتَفَظ بتَوَجُّهه تجاه القِبْلة، ثم إنَّها أقْدَم واجهة حجرية غُنِيَ بِبنائِها وزَخْرَفَتِها بسَخاءٍ، وهي واجهة كانت تحوي في الأصْل جناحين مُتماثلين على يمين ويسار المَدْخَل البارز عن سَمْت الجدار تَظْهَر فيها أشكال المُقَرْنَصات لأوَّل مَرَّة في عمارة القاهِرة. والجامع مُلاصِقٌ تمامًا للقصْر الفاطمي الكبير لا يفصله عنه سوى مَمَرٍّ ضَيِّق، فأصبح بذلك في قَلْبِ الطُّقُوس الاحْتِفالية للمَدينة، وجاءَت زخارِفُ واجهته لتعكس التَّطَوُّرات التي أدْخَلَها الوزيرُ المأمون البطائحي على الاحتفالات الفاطمية. وقد ذُكِرَ في الحِلْية الدَّائرية Médaillon - التي تَعْلو المَدْخَل الرئيس للجامع والتي =

وثمان مائةٍ . وبَنَى على يَمْنَة المِحْراب البَحْري مِئْذَنَةً ، وبَيَّضَ الجَامِعَ كلَّه ، ودَهَنَ صَدْرَه بلازَوَرْد وذَهَب .

فقلتُ له : قد أَعْجَبَني ما صَنَعْتَ بهذا الجَامِع ، ما خَلا تَجْديد الخُطْبَة فيه وعَمَلِ بِرْكَة الماء ، فإنَّ الخُطْبَةَ غير مُحْتاجٍ إليها هاهنا لقُرْبِ الخُطَبِ من هذا الجَامِع ، وبِرْكَةُ الماءِ تُضَيِّق الصَّحْنَ ، وقد أنشأتَ مَيْضأَةً بجوار بابِه الذي من جِهَةِ الرُّكْنِ المُخَلَّق . فاحْتَجَّ لعَمَلِ المِنْبَر بأنَّ ابنَ الطُّوَيْر قال في كِتابِ «نُزْهَةِ المُقْلَتَيْن في أَخْبارِ الدَّوْلَتَيْن» عند ذِكْر جُلُوس الخَليفَة في المواليد السِّتَّة : ويُقَدَّم خَطيبُ الجَامِع الأَزْهَر فيَخْطُب كذلك ، ثم يَحْضُر خَطيبُ الجَامِع الأَقْمَر ويَخْطُب كذلك[1] . قال : فهذا أمْرٌ قد كان في الدَّوْلَةِ الفاطِمِيَّة ، وما أنا بالذي أَحْدَثْتُه ، وأمَّا البِرْكَة ففيها عَوْنٌ على الصَّلاةِ لقُرْبِها من المُصَلِّين . وجَعَلَ فَوْقَ المِحْرابِ لَوْحًا مكتوبًا فيه ما كان فيه أوَّلًا ، وذكر فيه تَجْديده لهذا الجَامِع ، ورَسَمَ فيه نُعُوتَه وألْقابَه ، وجَدَّدَ أيضًا حَوْضَ هذا الجَامِع الذي تَشْرَب منه الدَّوابُّ ، وهو في ظَهْرِ الجَامِع تِجاه الرُّكْن المُخَلَّق .

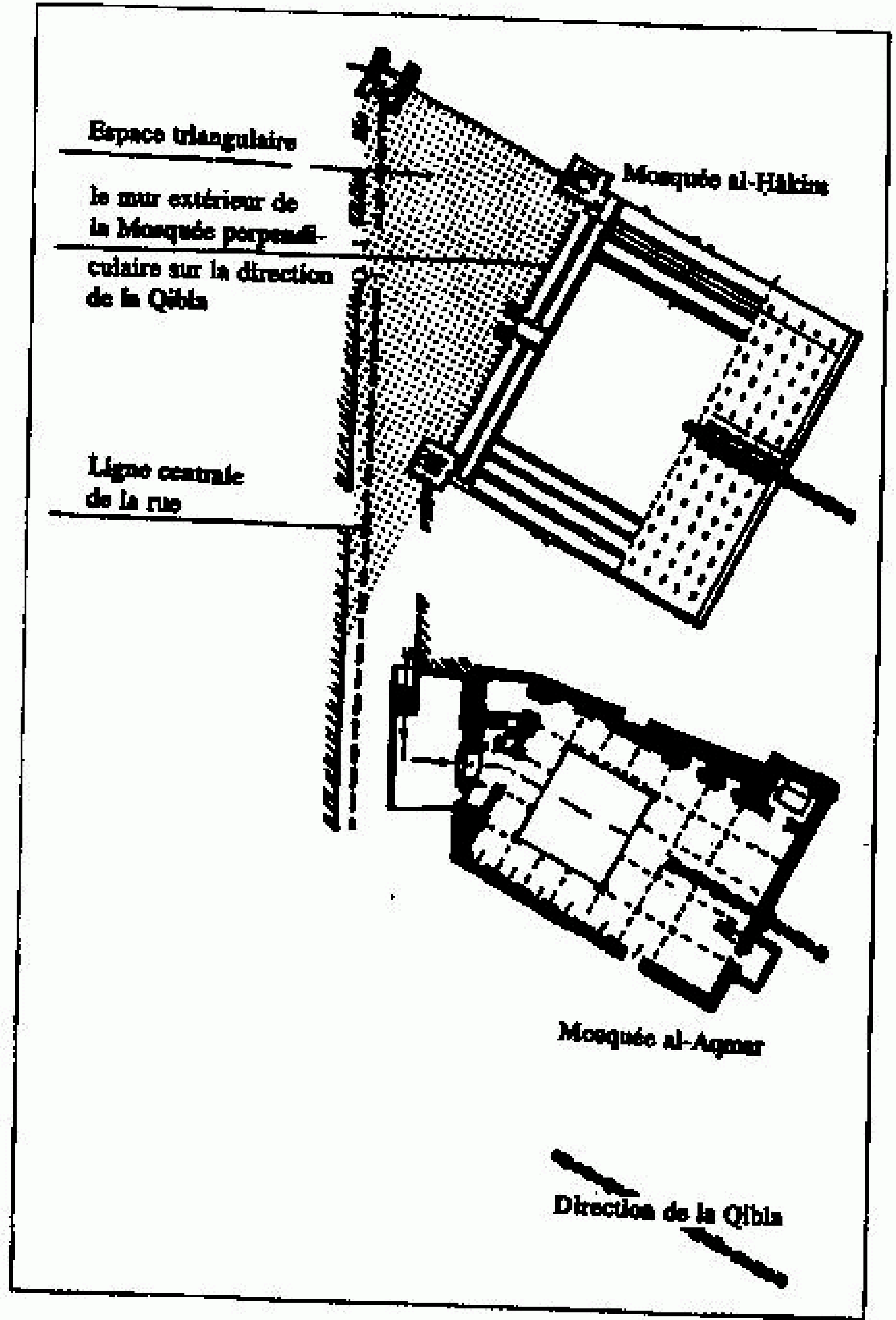
مُخطَّط الجامع الأَقْمَر (عن Creswell)

= تَدُلُّ على تَجْديد المِنْبَر والمَنارَة الذي قام به الأمير يَلْبُغا السَّالمي نَصُّها :

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم – الآية ٢٦١ سورة البقرة – صَدَقَ الله العظيم . أَمَرَ بعَمَلِ هذا المِنْبَر والمَنارة وغيره بعد اندراسه في أيَّام مَوْلانا السُّلْطان الملك الظَّاهِر أبي سعيد بَرْقُوق حَرَسَ الله نِعْمَته العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى أبو المعالي عبد الله يَلْبُغا السَّالمي الحَنَفي الصُّوفي لَطَفَ الله به في الدَّارَيْن وجَعَلَه ... آمين أمين في شهر رَمَضَان المعظَّم سنة تسع وتسعين وسبع مائة . وكان بُنِيَ هذا الجَامِع على أيَّام الخَليفَة الآمِر بأحكام الله بن المُسْتَعْلي بالله في سنة تسع عشرة وخمس مائة من الهجرة النبوية» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 41; Wiet, G., *CIA* Egypte II, n° 587; id., *RCEA* VIII, n° 3012؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٧٢، Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 526) .

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢١٩.

وبِئْرُ هذا الجَامِع قَديمَةٌ قبل المِلَّة الإسْلامية ، كانت في دَيْرٍ من دِيارات النَّصارَى بهذا الموضع . فلمَّا قَدِمَ القائِدُ جَوْهَر بجُيوش المُعِزّ لدين الله ، في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائةٍ ، أدخل هذا الدَّيْر في القَصْر ـ وهو مَوْضِع الرُّكْن المُخَلَّق تِجاه الحَوْض المذكور ـ وجَعَلَ هذه البِئْر ممَّا يُنْتَفَعُ به في القَصْر ؛ وهي تُعْرَف بِبِئْر العِظَام ، وذلك أنَّ جَوْهَرًا نَقَلَ من الدَّيْر المَذْكور عِظامًا كانت فيه من رِمَمِ قَوْمٍ يقال إنَّهم من الحَوارِيين ، فسمِّيت بِئْر العِظام ، والعامَّة تقول إلى اليوم بِئْر العَظْمَة ، وهي بِئْرٌ كبيرة في غاية السَّعَة . وأوَّلُ ما أعْرِفُ من إضافَتها إلى الجَامِع الأقْمَر أنَّ العِمادَ الدِّمْياطي رَكَّبَ على فُوَّهَتها هذه المحالّ التي بها الآن ، وهي من جَيِّد المحالّ ، وكان تركيبها بعد السبع مائة في أيَّام قاضي القُضَاة عِزّ الدِّين عبد العزيز ابن جماعَة الشَّافِعيّ .



اتباع الواجهة الرئيسة للجامع الأقْمَر بخَطّ تنظيم الطَّريق

وبهذا الجَامِع دَرْسٌ [a]للشَّافِعِيَّة ولا أعْرِف من رَتَّبه ، وهو مُسْتَمِرٌّ به إلى الآن وكان بيد قاضي القُضَاة بَدْر الدِّين بن جَماعَة الشَّافِعي ثم بيد أوْلادِه من بَعْدِه وهو إلى الآن[a] من قَديم الزَّمان .

ولم تَزَلْ مِئْذَنَتُه التي جَدَّدَها السَّالِمي والبِرْكَةُ إلى سنة خمس عشرة وثمان مائةٍ ، فوَلِيَ نَظَرَ الجَامِع بعضُ الفُقَهاء ، فرأى هَدْمَ المِئْذَنَةِ من أجْلِ مَيْلٍ حَدَثَ بها فهَدَمَهَا ، وأبْطَلَ الماءَ من البِرْكَة لإفْسادِ الماءِ بمُرورِه جِدار الجَامِع القِبْلي . والخُطْبَةُ قائِمَةٌ به إلى الآن .

الآمِرُ بأحكام الله

أبو عليٍّ المَنْصور ابن المُسْتَعْلي بالله أبي القاسم أحمد بن المُسْتَنْصِر بالله أبي تَميم مَعَدّ بن الظَّاهِر لإعْزاز دين الله أبي الحسن عليّ بن الحاكِم بأمْر الله أبي

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدة .

عليّ مَنْصور[١] - وُلِدَ يوم الثلاثاء ثالِث عشر المحرَّم سنة تسعين وأربع مائةٍ ، وبُويع له بالخِلافَة يوم ماتَ أبوه وهو طِفْلٌ له من العُمْر خَمْسُ سنين وشَهْر[a]) وأيَّام في يوم الثلاثاء سابع عشر صَفَرَ سنة خمسٍ وتسعين . أحضره الأَفْضَلُ بن أمير الجُيُوش وبايَعَ له ونَصَبه مَكانَ أبيه ، ونَعَتَه بـ«الآمِر بأحكام الله» .

ورَكِبَ الأَفْضَلُ فَرَسًا وجَعَلَ في السَّرْجِ شيئًا وأَرْكَبَه عليه ليَنْمُو شَخْصُ الآمِر ، وصارَ ظَهْرُه في حِجْر الأَفْضَلِ ، فلم يَزَلْ تحت حَجْره حتى قُتِلَ الأَفْضَلُ لَيْلَة عيد الفِطْر سنة خمس عشرة وخمس مائةٍ . فاسْتَوْزَرَ بعده القائِد أبا عبد الله محمد / بن فاتِك البَطائِحي ، ولَقَّبه بـ«المَأْمُون» فقامَ بأَمْرِ دَوْلَتِه إلى أن قَبَضَ عليه في ليلةِ السَّبْتِ رابع شهر رَمَضان سنة تسع عشر وخمس مائةٍ[٢] .

فتَفَرَّغَ الآمِرُ لنَفْسِه ، ولم يَبْقَ له ضِدٌّ ولا مُداج[b]) ، وبقي بغير وَزير ، وأقامَ صَاحِبَيْ ديوانٍ : أَحَدُهُما جَعْفَرُ بن عبد المنعم (cابن أبي قِيراط c) ، والآخَر سَامِرِيٌّ يُقالُ له أبو يَعْقُوب إبراهيم ، ومعهما مُسْتَوْفٍ يُعْرَف بابن أبي نَجاح كان راهِبًا .

ثم تحكَّم هذا الرَّاهِبُ في النَّاسِ وتَمكَّنَ من الدَّواوين ، فابْتَدَأ في مُطالَبَةِ النَّصارَىٰ ، وحَقَّقَ في جِهاتِهم الأَمْوال وحَمَلَها أَوَّلًا فأَوَّلًا . ثم أَخَذَ في مُصادَرَةِ بَقِيَّةِ المباشرين والمعامِلين والضُّمَناء والعُمَّال ، وزادَ إلى أن عَمَّ ضَرَرُه جَميعَ الرُّؤساءِ والقُضَاةِ والكُتَّابِ والسُّوقَةِ ، بحيث لم يَخْلُ أَحَدٌ من ضَرَرِه . فلمَّا تَفاقَمَ أَمْرُه قَبَضَ عليه الآمِرُ ، وضُرِبَ بالنِّعال حتى ماتَ بالشُّرْطَة ، فجُرَّ إلى كُرْسي الجِسْر وسُمِّرَ على لَوْحٍ وطُرِحَ في النِّيل وجُذِّفَ حتى خَرَجَ إلى البَحْرِ المِلْح[٣] .

---

a) بولاق : أشهر .   b) بولاق : مزاحم .   c-c) ساقطة من بولاق .

---

[١] راجع ترجمة الآمر بأحكام الله عند ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة (القسم الخاص بالفاطميين) ٨٧- ٩٣؛ ابن ميسر : أخبار مصر ٧٠- ١١٢؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨:٢٧٤- ٢٩٦؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٦:٤٦١- ٥٠٥؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣:٢٩- ١٣٣؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥:١٧٠- ١٨٥؛ جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ٤١- ٦٧، ١٩٣- ٢٣٠؛ Stern, S. M., ؛ *EI*[2] art. *al-Âmir bi Ahkâm Allâh*, I, pp. 372-72؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٦- ٢٥٣.

[٢] فيما تقدم ٢:٥١٣- ٥١٥.

[٣] راجع ، أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٣٩- ٢٤١ وما ذُكِرَ من مصادر ومراجع .

فلمَّا كان يومُ الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائةٍ ، وَثَبَ جماعةٌ على الآمِر وقتلوه كما ذُكِرَ عند خَبَرِ الهَوْدَج [1] . وكان كريمًا سَمْحًا إلى الغاية ، كثير النُّزْهَة ، مُحِبًّا للمالِ والزِّينَة ؛ وكانت أيَّامُه كلُّها لَهْوًا وعِيشَةً راضيةً لكثرة عَطائِه وعَطاءِ حَواشيه ، بحيث لم يُوجَد بمصر والقاهِرَة إذ ذاك مَنْ يَشْكُو زَمانَه ألبتَّة إلى أن نَكَّدَ بالرَّاهِب على النَّاسِ ، فقَبُحَت سِيرَتُه وكَثُرَ ظُلْمُه واغْتِصابُه للأموال .

وفي أيَّامِه مَلَكَ الفِرَنْجُ كثيرًا من المعاقِل والحُصُونِ بسَواحِل الشَّام . فمُلِكَت عَكًّا في شَعْبان سنة سبعٍ وتسعين ، وعَرْقَة[a] في رَجَبَ سنة اثنتين وخمس مائةٍ ، وطَرابُلُس في ذي الحجَّة منها ، وبانْيَاس وجُبَيْل وقَلْعَة تِبْنِين فيها أيضًا ، ومَلَكوا صُور في سنة ثمانِ عشرة وخمس مائةٍ [2] .

وكَثُرَت المُرافَعاتُ في أيَّامِه ، وأُحْدِثَت رُسُومٌ لم تَكُن ، وعَمَّرَ الهَوْدَجَ بالرَّوْضَةِ ودِكَّة بِرْكَة الحَبَش ، وعَمَّر تِنِّيس ودِمْياط ، وجَدَّدَ قَصْرَ القَرافَة . وكانت نَفْسُه تُحَدِّثُه بالسَّفَرِ والغارَةِ إلى بَغْداد ، ومن شعره في ذلك [3] :

[الطويل]

دَعِ اللَّوْمَ عَنِّي لست مِنِّي بمُوثِق فلا بُدَّ لي من صَدْمَةِ المُتَحقِّقِ
وأَسْقي جِيادي من فُراتٍ ودِجْلَةٍ وأَجْمَعُ شَمْلَ الدِّين بعد التَّفَرُّقِ

وقال :

[الطويل]

أمَا والذي حَجَّتْ إلى رُكْنِ بَيْتِه جَراثيمُ رُكْبانٍ مُقَلَّدَة شُهُبَا
لأَقْتَحِمَنَّ الحَرْبَ حتَّى يُقالُ لي مَلَكْتَ زِمامَ الحَرْبِ فاعْتَزِلِ الحَرْبَا
ويَنْزِلُ رُوحُ الله عيسىٰ بن مَرْيَمَ فيَرْضَى بنا صَحْبًا ونَرْضَى به صَحْبَا

وكان أسْمَرَ شَديدَ السُّمْرَة ، يَحْفَظ القُرْآن ويَكْتُب خَطًّا ضَعيفًا . وهو الذي جَدَّدَ رُسُومَ الدَّوْلَة وأعادَ إليها بَهْجَتَها بعدما كان الأَفْضَلُ أبْطَلَ ذلك ونَقَلَ الدَّواوينَ والأَسْمِطَة من القَصْرِ بالقاهِرَة إلى دارِ المُلْك بمصر ، كما ذُكِرَ هناك [4] .

---

a) بولاق : غزة .

---

[1] فيما تقدم ٢: ٥٨٠، ٣: ٥٨١.

[2] راجع، أيمن فؤاد: المرجع السابق ٢٢٩– ٢٣٠.

[3] ابن ميسر: أخبار مصر ١١٢؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ١٣٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ١٩٦، وفيما تقدم ٢: ٣٨٣.

[4] فيما تقدم ٢: ٥٧٣– ٥٧٦.

وقُضاتُه : ابن ذَكا النَّابُلسي ، ثم نِعْمَة بن بَشير ، ثم الرَّشيد محمد بن قاسِم الصِّقِلّي ، ثم الجَلِيس نِعْمَة بن بَشير النَّابُلسي ، ثم صَرَفَه ثانيًا بمُسْلم بن الرَّسْعَني ، وعَزَلَه بأبي الحَجَّاج يُوسُف ابن أيُّوب المغربي ثم ماتَ ، فوَلَّي محمد بن هِبَة الله بن مُيَسَّر . وكُتَّابُ إنْشائِه : سَنَاءُ المُلك أبو محمد الزَّيْدي[a] الحَسَني ، والشَّيخُ أبو الحَسَن بن أبي أُسامَة ، وتاجُ الرِّئاسَة أبو القاسِم بن الصَّيْرَفي ، وابنُ أبي الدَّمِ اليَهُودي . وكان نَقْشُ خاتَمه «الإمامُ الآمِر بأحْكامِ الله أمير المؤمنين» ، ووَقَعَ في آخِرِ أيَّامِه غَلاءٌ قَلِقَ النَّاسُ منه .

وكان جريئًا على سَفْكِ الدِّماء وارْتِكابِ المحْظوراتِ واستِحْسانِ القَبائِح . وقُتِلَ وعُمْرُه أرْبَعٌ وثلاثون سنة وتسعة أشهر وعشرون يومًا : منها مُدَّةُ خِلافَته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر ونصف ، وما زال مَحْجُورًا عليه حتى قُتِلَ الأفْضَل . وكان يَرْكَبُ للنُّزْهَة دائِمًا عندما اسْتَبَدَّ في يومي السبت والثلاثاء ، ويَتَحَوَّل في أيَّامِ النِّيل بحُرَمِه إلى اللُّؤْلُؤة على الخَليج [1] ، واخْتَصَّ بغُلامَيْه بَرْغَش وهَزَّار المُلوك [2] .

يَلْبُغا السَّالمي

أبو المعالي عبد الله الأمير سَيْف الدِّين الحَنَفي الصُّوفي الظَّاهِرِيّ [3] ـ كان اسْمُه في بِلادِه يُوسُف ، وهو حُرُّ الأصْل ، وآباؤه مُسْلِمُون . فلمَّا جُلِبَ من بِلادِ المَشْرق سُمِّيَ يَلْبُغا ، وقيل له السَّالِمي نِسْبَةً إلى سَالِم تاجِره الذي جَلَبَه . فتَرَقَّى في خِدَمِ السُّلْطان الملك الظَّاهِر بَرْقُوق إلى أن وَلَّاه نَظَرَ الخانْكاه الصَّلاحية[b] سَعيد السُّعداء في ثامِن عشر جُمادَى الآخِرة سنة سبعٍ وتسعين وسبع مائةٍ ، فأَخْرَجَ كِتابَ الوَقْف ، وقَصَدَ أن يَعْمَل بشَرْطِ الواقِف وأَخْرَجَ منها جَماعَةً من بَياض النَّاس . فجَرَت أُمُورٌ ذُكِرَت في خَبَرِ الخانكاه[c] [3] .

---

a) بولاق : الزبيدي . b) بولاق : خانقاه صلاح . c) بولاق : الخانقاه .

---

[1] فيما تقدم ٢: ٥٣١: ٥- ٦.

[2] فيما تقدم ٢: ٢٠٠، ٣٤٩.

[3] راجع ترجمة الأمير سَيْف الدِّين أبي المعالي يَلْبُغا السَّالمي الظَّاهِري بَرْقُوق ، الذي مات خَنْقًا بالإسْكَنْدَرية سنة ٨١١هـ/١٤٠٨، عند المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٥٤٣-٥٤٩ وفيه : «صحبته سَفَرًا وحَضَرًا ، وكان لي مُجِلًّا ومُعَظِّمًا ، وقَلَّ ما رأيت مثله ، ولولا ما ذكرته لكمل» ، السلوك ٤: ٨٨؛ ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة ٢٠٠- ٢٠١، إنباء الغمر ٢: ٤١٧- ٤١٨؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٣: ١٧١، الدليل الشافي ٤٩٧- ٥٩٥؛ السخاوي: الضوء اللامع ١٠: ٢٨٩- ٢٩٠.

[3] فيما يلي ٧٣٠، وفي درر العقود الفريدة : «ذكرتها عند ذكر الخَوانِك من كتاب المَواعِظ والاعْتِبار بذكر الخِطَط والآثار» .

وفي سابعِ عشرين صَفَرَ سنة ثمان مائةٍ ، أَنْعَمَ عليه الملكُ الظَّاهِرُ بإمْرَة عشرة عِوَضًا عن الأمير بَهادُر فُطَيْس ، (aبحُكْم انْتِقالِهِa) إلى إمْرَة طَبْلَخاناة ، ثم جَعَلَه ناظِرًا على الخانْقاه الشَّيْخونية بالصَّليبَة في تاسع شَعْبان سنة إحدى وثمان مائةٍ . فَعَسَفَ بمُباشريها ، وأرادَ حَمْلَهم على مُرِّ الحَقّ فَنَفَرَت منه القُلوب .

/ ولمَّا مَرِضَ الظَّاهِرُ[b] جَعَلَه أَحَدَ الأَوْصِياءِ على تَرِكَتِه ، فقامَ بتَحْليفِ المماليك السُّلْطانية للملك النَّاصِر فَرَج بن بَرْقُوق ، والإنْفاقِ عليهم بحَضْرَة النَّاصِر ، فأَنْفَقَ عليهم كلَّ دينارٍ من حِساب أربعة وعشرين درهمًا . ولمَّا انْقَضَتِ النَّفَقَةُ نُوديَ في البَلَدِ أنَّ يكون[c] صَرْفُ كلِّ دينارٍ ثلاثون درهمًا ، ومن امْتَنَعَ نُهِبَ مالُه وعُوقِبَ ، فحَصَل للنَّاسِ من ذلك شِدَّة .

وكان قد كَثُرَ القَبْضُ على الأُمَرَاءِ بعد مَوْتِ الظَّاهِر ، فتَحَدَّثَ مع الأمير الكبير أَيْتَمُش ، القائِم بتَدْبير دَوْلَة النَّاصر فَرَج بعد مَوْتِ أبيه ، في أن يكون على كلِّ أميرٍ من المقدَّمين : خمسون ألف درهم ، وعلى كلِّ أَميرٍ من الطَّبْلَخاناتِ[d] : عشرون ألف درهم ، وعلى كلِّ أَميرِ عشرة : خمسة آلاف درهم ، وعلى كلِّ أَميرِ خمسة : ألفا درهم وخمس مائة درهم . فرُسِمَ بذلك وعُمِلَ به مُدَّة أيَّام النَّاصِر ، وحَصَلَ به رِفْقٌ للأُمَرَاءِ ومُباشريهم .

ثم خُلِعَ عليه واسْتَقَرَّ أُسْتادَّار السُّلْطان ، عِوَضًا عن الأمير الوَزير تاج الدِّين عبد الرَّزَّاق بن أبي الفَرَج الملكي في يوم الاثنين ثالث عشرين ذي القعدة من السنة المذكورة . فأَبْطَلَ تَعْريف مُنْيَة بني خَصيب ، وضَمانَ العَرْصَة وأَخْصاصَ الغَسَّالين[e] ، وكَتَبَ بذلك مَرْسُومًا سُلْطانيًا ، وبَعَثَ به إلى والي الأُشْمُونَيْنْ ، وأَبْطَلَ وَفْر[f] الشُّوَن السُّلْطانية ، وما كان مُقَرَّرًا على البَرْدَدار وهو في الشهر سبعة آلاف درهم ، وما كان مُقَرَّرًا على مُقَدَّم المُسْتَخْرَج وهو في الشهر ثلاثة آلاف درهم .

وكانت سَماسِرَةُ الغِلال تَأْخُذ مِمَّن يَشْتَري شيئًا من الغَلَّةِ على كلِّ أرْدَبٍّ درهمين سَمْسَرَة وكِيالَة ولَواحَة وأمانَة ، فأَلْزَمَهُم ألَّا يأخذوا عن كلِّ أرْدَبٍّ سوى نصف دِرْهَم ، وهَدَّدَ على ذلك بالغَرامَة والعُقُوبَة . ورَكِبَ في صَفَرَ سنة ثلاثٍ وثمان مائةٍ إلى ناحية المُنْيَة وشُبْرا الخَيْمَة من الضَّواحي بالقاهِرَة ، وكَسَرَ منها ما ينيف على أربعين ألف جَرَّة خَمْر ، وخَرَّبَ بها كَنيسَةً كانت للنَّصارىٰ ، وحَمَلَ عِدَّةَ جِرارٍ فكَسَرَها تَحْت قَلْعَةِ الجَبَلِ وعلى بابِ زَوِيلَة ،

---

a-a) بولاق : ثم نقله . b) في درر العقود الفريدة : فلَّما مات السلْطان . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : الطبلخاناه . e) بولاق : الكيالين . f) بولاق : وقر .

وشَدَّدَ على النَّصَارَىٰ، فلم يُمكِّنْه أُمَرَاءُ الدَّوْلَة من حَمْلِهم على الصَّغَارِ والمَذَلَّةِ في مَلْبَسِهِم. وأَمَرَ فضَرِبَ الذَّهَبُ، كلُّ دينارٍ زنته مِثْقال واحد، وأرادَ بذلك إبْطال ما حَدَثَ من المعاملة بالذَّهَب الأفرنجي[١] فضَرَبَ ذلك، وتَعامَلَ النَّاسُ به مُدَّةً، وصارَ يُقالُ «دِينارٌ سَالِمِي»[a]، إلى أن ضَرَبَ النَّاصِرُ فَرَجٌ دَنانير وسمَّاها «النَّاصِرِيَّة»[٢]، وصارَ يَحْكُم في الأحْكام الشَّرْعِيَّة. فقَلَقَ منه أُمَرَاءُ الدَّوْلَة وقامُوا في ذلك، فمُنِعَ من الحكْم إلَّا فيما يتعلَّق بالدِّيوان المُفْرَد وغيره ممَّا هو من لَوازِمِ الأُسْتادَّار.

---

a) في درر العقود الفريدة: وأمَرَ بضَرْب الذَّهَب الإفرنتي الذي هو من ضَرْب الفرنج وعليه شعار النَّصْرانية، فراجَ دينارُه وعُرِف بالدِّينار السَّالمي.

---

[١] الذَّهَبُ الإفْرِنْجي (ويُقالُ له الأفْرَنتي والأفْلوري والبُنْدُقي وأيضًا الدُّوكاه أو الدُّوكات - وهو مُصْطَلَحٌ يُطْلَق على الأخصّ على ما ضُرِبَ منها في البُنْدُقية)، هو الذَّهَبُ المجلوب من بلاد الإفْرنج. وكان يُطْلَقُ عليه كذلك الدَّنانير المُشَخَّصَة لأنَّه - على عكس الدَّنانير الإسلامية - كانت تُوجَد على أحَدِ وجهيه صُورَةُ الملك الذي تُضْرَب في زَمَنه، وعلى الوَجْهِ الآخَر صُورَتا بُطْرُس وبُولُس الحواريين اللذين بَعَثَ بهما المسيحُ - عليه السَّلام - إلى روما. وبدئَ في التَّعامُل بالذَّهَب الإفرنجي في القاهرة في حُدودِ سنة تسعين وسبع مائة حتى صارَ نَقْدًا رائجًا، وبَلَغَ صَرْفُ كُلِّ دينارٍ منه مائتي درهم وثلاثين درهمًا من الفُلُوس، ووَزْن كُلِّ مائة دينار من هذا الذَّهَب أحد وثمانون مِثْقالًا وربع مِثْقال.

أمَّا النُّقودُ الإسلامية فكانت تُصْنَعُ من الذَّهب الذي يُقالُ له: «الذَّهَب الهَرْجَة» الذي تُصْنَع منه الدَّنانيرُ الخالِصَة من الغِشّ، وهو مُسْتَديرُ الشَّكْل على أحَدِ وَجْهَيْه شَهادَة أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رَسُولُ الله، وعلى الوَجْهِ الآخَر اسْمُ السُّلْطان وتاريخ ضَرْبِه واسمُ المَدِينَة التي ضُرِبَ فيها - وهي في هذا الوَقْت إمَّا القاهرَة أو دِمَشْق أو الإسْكَنْدَرية - وبَلَغَ كلُّ مِثْقالٍ منه إلى مائتي درهم وخمسين درهمًا من الفُلُوس، وكُلُّ سبعة مَثاقيل زنتها عشرة دراهم. (المقريزي: السلوك ٤: ٣٠٤- ٣٠٦، ٧٠٩- ٧١٠).

[٢] الدِّينارُ السَّالمي هو الدِّينارُ الذي أمَرَ بضَرْبه في سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م الأميرُ يَلْبُغا السَّالِمي، وهو دينارٌ ذَهَب مُحَرَّر الوَزْن زِنَةُ كلِّ دينار منه مِثْقال، وربما كان منها ما زنته مِثْقال ونصف أو مِثْقالان، وربما كان نصف مِثْقال أو ربع مِثْقال. والغالب فيها نَقْص أوزانها، وكان هذا النَّقْصُ في نَظير كُلْفَة ضَرْبها. وكان في وَسَطِ هذه الدَّنانير دائرة مكتوبٌ فيها «فَرَج»، وكان يُتعامَل به عَدَدًا.

وفي سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م ضُرِب أوَّلُ دينارٍ من «الدَّنانير النَّاصرية» التي ضَرَبها السُّلْطانُ النَّاصرُ فَرَج، وهي دنانير على زِنَة الدَّنانير الإفْرنتية، في أحد وَجْهَيْها «لا إله إلَّا الله محمد رَسُول الله»، وعلى الوَجْه الآخر اسم السُّلْطان النَّاصِر فَرَج، وفي وَسَطِه سَفَط مستطيل بين خَطَّيْن، وصارت أكثرُ المعاملات تتمُّ بهذه الدَّنانير، ولكنهم كانوا يُنْقِصونها عن الدَّنانير الإفرنتيه عشرة دراهم. وهو أوَّل دينارٍ مصري يَزِن أقَلَّ من الوزن التقليدي. (راجع، القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٣٧- ٤٣٨؛ المقريزي: السلوك ٣: ١٠٤١، ١٠٥٥، ٤: ١٦٥- ١٦٦، ٩٤١- ٩٤٤؛ إغاثة الأمة ٧١- ٧٢، وراجع كذلك الدراسة الهامة لوليم بوبر Popper, W., *Egypt and Syria under the Circassian Sultans 1382-1466 A.D.*, University of California Press 1957, pp. 45-79؛ وأيضًا دراسات =

وأَخَذَ في مُخاشَنَة الأُمَرَاء عندما عادَ النَّاصِرُ فَرَج وقد انْهَزَمَ من تَيْمورلَنْك، وشَرَعَ في إقامَة شِعار المملكة والنَّفَقَة على العَساكِر التي رَجَعَت مُنْهَزِمَة. فأَخَذَ من بلاد الأُمَرَاء وبلادِ السُّلْطان عن كلِّ ألف دينار فَرَسًا أو خمس مائة درهم ثمنها، وجَبَى من أَمْلاكِ القاهِرَة ومصر وظَواهِرهما أُجْرَة شهر، وأَخَذَ من الرِّزَق[1] عن كلِّ فَدَّانٍ عشرة دراهم، وعن الفَدَّانِ من القَصَبِ المزروع والقُلْقاس والنِّيلَة نحو مائة درهم، وجَبَى من البَساتين عن كلِّ فَدَّانٍ مائة درهم.

وقام بنفسه وكَبَسَ الحَواصِلَ لَيْلًا ونَهارًا ومعه جَماعَةٌ من الفُقَهاءِ وغيرهم، وأَخَذَ مِمَّا فيها من الذَّهَب والفِضَّة والفُلُوس نصف ما يجد - سواء كان صاحِبُ المال غائِبًا أو حاضِرًا - فعَمَّ ذلك أَمْوالَ التُّجّار والأَيْتام وغيرهم من سَائِر من وُجِدَ له مال، وأَخَذَ ما كان في الجَوامِع والمَدارِس وغيرها من الحَواصِل. فشَمِلَ النَّاسَ من ذلك ضَرَرٌ عَظيمٌ، وصارَ يُؤْخَذُ من كلِّ مائة درهم ثلاثة دراهم عن أُجْرَةِ صَرْف، وستة دراهم عن أُجْرَةِ الرُّسُول، وعشرة دراهم عن أُجْرَةِ نَقيب. فنَفَرَت منه القُلُوبُ، وانْطَلَقَتِ الأَلْسُنُ بذَمِّه والدُّعاءِ عليه.

وعَرَضَ مع ذلك الجُنْد، وأَلْزَمَ من له قُدْرَة على السَّفَر بالتَّجَهُّز للسَّفَر إلى الشَّام لِقِتال تَيْمورلَنْك، ومن وَجَدَه عاجِزًا عن السَّفَر أَلْزَمَه بحَمْل نصف مُتَحَصَّلِ إقْطاعِه. فقُبِضَ عليه في يوم الاثنين رابع عشر رَجَبَ سنة ثلاثٍ وثمان مائةٍ، وسُلِّمَ للقاضي سَعْد الدِّين إبراهيم ابن غُراب، وقُرِّرَ مَكانَه في الأُسْتادَّارية. فلم يَزَلْ إلى يومِ عيدِ الفِطْر من السنة المذكورة، فأَمَرَ بإطْلاقِه بعد أن عُصِرَ[a] وأُهينَ إهانَةً كبيرةً، ثم قُبِضَ عليه وضُرِبَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا حتى أَشْفَى على المَوْت[2].

---

a) بولاق: حضر.

= جيري باكاراك Bacharach, J.L., «The Dinar versus the Ducat», *IJMES* 4 (1973), pp. 77-96; id., «Circassian Monetary Policy : Copper», *JESHO* XIX (1976), pp. 32-47; id., «The Ducat in Fourteenth Century Egypt», *Itinéraires d'Orient . Hommage à Claude Cahen, Res Orientales* VI (1994), pp. 95-107، ودراسة رأفت النبراوي: النقود الإسلامية في مصر - عصر دولة المماليك الشراكسة، القاهرة ١٩٩٦، ٥٦- ٦١.

[1] انظر عن الرِّزَق، فيما يلي ١٧٥-١٧٦هـ [4].

[2] راجع، المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٥٤٦-٥٤٧، السلوك ٣: ١٠٥٢-١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٦، ١٠٦٠، ١٠٦٥، ١٠٦٦.

وأُطْلِقَ في نصف ذي القعدة وهو مَرِيض ، فأُخْرِجَ إلى دِمْياط وأقامَ بها مُدَّةً ، ثم أُحْضِرَ إلى القاهِرَة ، وقُلِّد وَظِيفَةَ الوَزارَة في سنة خمسٍ وثمان مائةٍ وجُعِلَ مُشيرًا [1] . فأَبْطَلَ مُكُوسَ النَّحيرَة[a] - وهو ما يُؤْخَذ على ما يُذْبَح من البَقَرِ والغَنَم - واسْتَعْمَل في أُمُورِه العَسْف ، وتَرَكَ مُدارَاة الأُمَرَاء واسْتَعْجَل . فقُبِضَ عليه وعُوقِبَ ، وسُجِنَ إلى أن أُخْرِجَ في رَمَضَانٍ سنة سبعٍ وثمان مائةٍ ، وقُلِّدَ وَظِيفَةَ الإشارَة - وكانت للأمير جَمال الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار - فلم يَتْرُك عادَته في الإعْجابِ برأيه ، والاسْتِبْدادِ بالأُمُور ، واسْتِعْجالِ الأَشْياء قَبْل أوانِها .

فقُبِضَ عليه في ذي الحجَّة منها ، وسُلِّمَ للأميرِ جَمالِ الدِّين يُوسُف ، فعاقَبَه وبَعَثَ به إلى الإسْكَنْدَرية ، فسُجِنَ بها إلى أن سَعَى جَمالُ الدِّين في قَتْلِه ، بمالٍ بَذَلَه للنَّاصِر فيه حتى أَذِنَ له في ذلك ، فقُتِلَ خَنْقًا عَصْر يوم الجُمُعَة - وهو صَائِمٌ - السَّابع عشر من جُمادَى الآخرة سنة إحدى عشرة وثمان مائةٍ - / رحمه الله - [b]عن بِضْعٍ وثلاثين سنة[b] .

وكان كثيرَ النُّسُك من الصَّلاة والصَّوْم والصَّدَقَة . لا يُخِلُّ بشيءٍ من نَوافِلِ العِبادات ، ولا يترك قِيامَ اللَّيْل سَفَرًا ولا حَضَرًا ، ولا يُصَلِّي قَطّ إلَّا بوُضُوءٍ جَديد ، وكلَّما أَحْدَثَ تَوَضَّأَ ، وإذا تَوَضَّأَ صَلَّى ركعتين . وكان يَصُومُ يومًا ويُفْطِر يومًا ، ويخرُج في كثرةِ الصَّدَقات عن الحدّ ، ويقرأ في كلِّ ثلاثةِ أيَّام خَتْمَة ، ولا يترك أوْرادَه في حَالٍ من الأحْوالِ مع المُروءَة والهِمَّة .

وسَمِعَ كثيرًا من الحَديث ، وقَرَأ بنفسه على المشايخ ، وكَتَبَ الخَطَّ المَليح ، وقَرَأ القِراءات السَّبْع ، وعَرَفَ التَّصَوُّف والفِقْه والحِسَاب والنُّجوم ، إلَّا أنَّه كان مُتَهَوِّرًا في أَخْذِ الأَمْوال ، عَسُوفًا لَجُوجًا مُصَمِّمًا ، لا يَنْقادُ إلى أحَدٍ ، ويستبدّ برأيه فيَغْلط غَلَطاتٍ لا تُحْتَمَل ، ويَسْتَخِفّ بغَيْره ، ويُعْجَب بنفسه ، ويُريدُ أن يجعل غايَةَ الأُمُور بدايتها . فلذلك لم يتمّ له أَمْر .

---

a) بولاق : البحيرة ، ودرر العقود : مَيْسَم النحيرة . b-b) إضافة من درر العقود الفريدة .

---

[1] المقريزي : درر العقود الفريدة ٣ : ٥٤٧ ، السلوك ٣ : ١١٤٩ .

جَامِعُ الظَّافِر

[أثر رقم ١٠٩]

هذا الجَامِعُ بالقاهِرَة[١] في وَسَطِ السُّوق الذي كان يُعرَف قَديمًا بسُوقِ السَّرَّاجين، ويُعْرَف اليوم بسُوق الشَّوَّائين. كان يُقالُ له «الجَامِعُ الأَفْخَر»، ويُقالُ له اليوم «جَامِعُ الفَكَّاهين»[a]، وهو من المساجِد الفاطِمِيَّة. عَمَّرَه الخَليفَةُ الظَّافِرُ بنَصْرِ الله أبو المَنْصور إسماعيل بن الحَافِظ لدين الله أبي المَيْمُون عبد المجيد بن الآمِرِ بأحْكامِ الله مَنْصور، ووَقَفَ حَوانيتَه على سَدَنَتِه ومن يَقْرأ فيه.

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: بَنَاهُ الظَّافِرُ، وكان قبل ذلك زَريبَة تُعْرَف بدارِ الكِباش، وبَناهُ في سنة ثلاثٍ وأربعين وخمس مائةٍ. وسَبَبُ بنائِه أنَّ خادمًا رأى من مُسْتَشْرَفٍ[b] عالٍ ذَبَّاحًا وقد أَخَذَ رأسين من الغَنَم، فذَبَحَ أحَدَهما ورَمَى سكينته، وراحَ[c] ليَقْضي حاجَتَه، فأتَى رَأْسَ الغَنَمِ الآخرِ وأَخَذَ السِّكِّين بفَمِه ورَماها في البَلَّاعَة[d]، فجاءَ الجَزَّارُ يَطُوفُ على السِّكِّين فلم يَجِدْها، وأمَّا الخادِمُ فإنَّه اسْتَصْرَخَ وخَلَّصَه منه. وطُولِعَ بهذه القَضِيَّة أهْل القَصْر، فأَمروا بعَمَلِه جامِعًا، ويُسَمَّى «الجَامِع الأَفْخَر»، وبه حَلْقَةُ تَدْريسٍ وفُقَهاءُ ومُتَصَدِّرون للقُرْآن. وأوَّلُ ما أُقيمَت به الجُمُعَة في [e].[٢]

a) بولاق: الفاكهيين. b) بولاق: مشرف. c) بولاق: مضى. d) بولاق: البلوعة. e) بياض في الأصول.

[١] تأثَّر هذا الجامع، الواقع في شارع المعز لدين الله (الغورية سابقًا) على رأس حارة خُشْقَدم (حوش آدم)، من زِلْزال سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م (انظر عنه فيما تقدم ١٠٣)، حيث سَقَطَت مِئْذَنَتُه. كما قامَ بأعمالٍ ترميمية هامَّة فيه سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م العالم المُفَسِّر جَلالُ الدِّين المَحَلِّي، المتوفى سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م، الذي أَمَرَ بإنشاء مَيْضَأة به. ونحو نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي عُني بعمارته وزَخْرَفته الأمير يَشْبَك من مَهْدي الدَّوادار وأزال الأبنية التي كانت تحجبه. وفي سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٦م هَدَمَه الأمير أحمد كَتْخُدَا مُسْتَحْفَظان الخَرْبوطْلي وأعادَ بناءه (الجبرتي: عجائب الآثار ١: ٢٨٦، ٥٤٨). ولم يبق من الجامع الفاطمي إلَّا مصاريع البابَيْن الغَرْبي والبَحْري بالإضافة إلى مَداميك حجرية في أعلى الباب الغربي كُتِبَ عليها بالخَطّ الكوفي «لا إله إلَّا الله محمدٌ رَسُولُ الله» أُعيدَ استخدامها في بناء الجامع الجديد. (راجع، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٧٤- ٧٥؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ١: ٣٤١- ٣٤٧؛ Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte* pp. 544-47؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٧١٩- ٧٣٤).

[٢] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٧٤- ٧٥؛=

[a]وبه تَصْديرُ قِراءاتٍ ولا أَعْلَمُ من رَتَّبَه ، وتَصَدَّرَ به جَماعَةٌ ، ومِمَّن تَصَدَّرَ به الشَّيْخُ كمالُ الدِّين أحمد المَحَلِّي ، والشَّيْخُ نُورُ الدِّين علي بن ظَهير بن شِهاب المعروف بالكَفْتي ، والشَّيْخ شَمْس الدِّين بن السَّرَّاج الكاتِب المُقْرئ ، وشَيْخُنا تقي الدِّين البَغْدادي ، رَحِمَ الله الجَميع[b].

جَامِعُ الصَّالِح

[أثر رقم ١١٦]

هذا الجَامِعُ من المَواضِع التي عُمِّرَت في زَمَنِ الخُلَفاءِ الفاطِمِيِّين ، وهو خارِجُ بابِ زَوِيلَة[١].

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : كان الصَّالِحُ طَلائِع بن رُزِّيك ـ لمَّا خيفَ على مَشْهَدِ الإمام الحُسَيْن ـ رضي الله عنه ـ إذ كان بعَسْقَلان من هَجْمَةِ الفِرِنْج ، وعَزَم على نَقْلِه ـ قد بَنَى هذا الجَامِع ليَدْفِنه به . فلمَّا فَرَغَ منه لم يُمَكِّنه الخَليفَةُ من ذلك ، وقال : لا يكون إلَّا داخِل القُصُور الزَّاهِرَة ، وبَنَى المَشْهَد الموجودُ الآن ودُفِنَ به[٢].

---

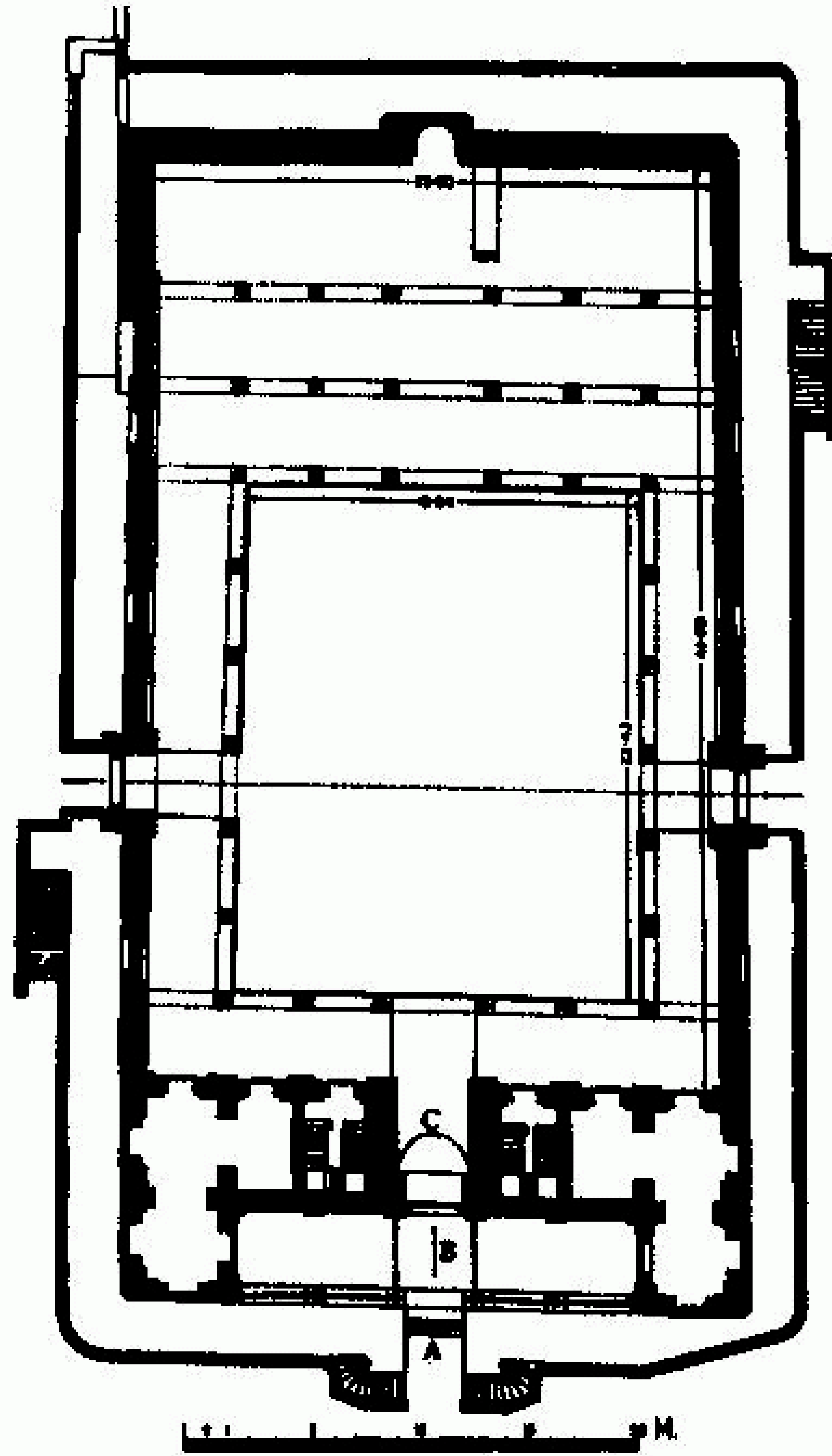
a-a) إضافة من المُسَوَّدَة .

= المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٢٠٩ .

[١] جامِعُ الصَّالِح . آخِرُ المساجد الجامِعَة التي بُنِيَت في عَصْر الفاطميين في مصر ، ولا يزال قائمًا إلى اليوم على يسار الخارج من باب زَوِيلَة في الزَّاوية التي تلتقي فيها قَصَبَةُ رِضْوان بشارع الدَّرْب الأحمر . وهو من المساجد الجامعة الكبيرة ، إذْ تبلغ مساحته ١٥٢٢ مترًا مربعًا ، كما أنَّه من الجوامع المعلَّقة حيث كانت أرضيته عند بنائه مرتفعةً عن مستوى الشَّارع بنحو ٣,٨٠ مترا . وله أربع واجهات مبنية بالحجر أسْفَل ثلاثة منها صَفٌّ دكاكين . ويَفْتَح بابُ الجامع الرئيس في واجهته الغربية ، وأُقيم أمامَه رواقٌ محمولٌ على أربع عُمُد رخامية له سَقْفٌ من الخَشَب حُلِّي بزَخارف فاطمية عُثِرَ على بقاياها في عمارة الجامع فأُكمل على مثالها ، ولعله السَّقْف الفاطمي الخَشَبي الوحيد الذي وَصَلَ إلينا لجامع ، إضافةً إلى سَقْفِ القَصْر الفاطمي الصغير الذي كُشِفَ عنه في البيمارستان المنصوري . (راجع ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٢٥١ ، ٢٥٤ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٢٩٣ ، ٣٤٥ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ١٣٣ (٣٣) ، ٥ : ٩١ (٣٧-٣٨) ؛ محمد عبد العزيز مرزوق : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ٩٦- ١٠٤ ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٩٧- ١٠٥ ؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ١ : ١١٠- ١٢١ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ١ : ٣٩٨- ٤٠٧ ؛ Pauty, Ed., «Le plan de la mosquée d'al-Sâlih Talâyiʿ au Caire», *BSRGA* XVII (1931), pp. 277-92; Creswell, K.A.C., *MAE* I, pp. 275-88; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 547-58 ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١ : ٧٩٧- ٨٢١) .

[٢] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٠ ، ٧٤- ٧٥ ؛ وفيما تقدم ٢ : ٤٠٥- ٤٠٨ .

وتَمّ الجَامِعُ المذكور ، واسْتَمَرَّ جُلُوسُ زَيْن الدِّين الواعِظ به وحُضُور الصَّالِح إليه . فيُقالُ : إنَّ الصَّالِحَ لما حَضَرَتْه الوَفاةُ جَمَعَ أَهْلَه وأَوْلادَه ، وقال لهم في جُمْلَةِ وَصِيَّه : ما نَدِمْت قَطّ في شيءٍ عملته إلّا في ثلاثة : الأول بنائي هذا الجَامِع على باب القاهِرَة فإنَّه صارَ عَوْنًا عليها [a]، والثَّاني تَوْليتي لشَاوَر الصَّعيد الأَعْلىٰ ، والثَّالِث خُروجي إلى بِلْبَيْس بالعَساكِر وإنْفاقي الأَمْوالَ الجَمَّة ، ولم أتمّ بهم إلى الشَّام وأَفْتَح بَيْت المَقْدِس ، وأسْتاصِل شَأْفَةَ[b] الفِرِنْج . وكان قد أَنْفَقَ في العَساكِر في تلك الدُّفْعَة مائتي[c] ألف دينار .



مُخَطَّط جامع الصَّالِح طلائع (عن Creswell)

وبَنَى في الجامعِ المذكور صِهْرِيجًا عَظِيمًا ، وجَعَلَ ساقيةً على الخَلِيج قَريب باب الخَرْقِ تَمْلأ الصِّهْرِيج المذكور أيَّام النِّيل ، وجَعَلَ المجاري إليه .

a) بولاق : لها . b) بولاق : ساقة . c) بولاق : مائة .

[1]وأُقيمَتِ الجُمُعَة فيه في الأيَّام المُعِزِّيَّة في سنة بضع وخمسين وستّ مائة بحُضُورِ رَسُولِ بَغْداد الشَّيْخ نَجْم الدِّين عبد الله البادراني [2]، وخَطَبَ به أَصيلُ الدِّين أبو بكر الأَسْعَرْدي وهي إلى الآن. ولمَّا حَدَثَتِ الزَّلْزَلَةُ سنة اثنتين وسبع مائة تَهَدَّمَ [3]، فعُمِّرَ على يد الأمير سَيْف الدِّين بَكْتَمُر الجوكَنْدار [4].

طَلائِع بن رُزِّيك

أبو الغَارات الملك الصَّالِح، فارِس المسلمين، نَصير الدِّين[5] - قَدِمَ في أوَّلِ أمْرِه إلى زِيارَة مَشْهَد الإمام عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - بأرْضِ النَّجَف من العِراق، في جَماعَةٍ من الفُقَراءِ، وكان من الشِّيعَة الإماميَّة، وإمام مَشْهَد عليّ -

---

[1] يَدُلُّ على تاريخ إنشاء هذا الجامع كتابةٌ بالخَطّ الكوفي المُزهِر تمتدُّ على الواجهتين الغربية والبحرية للجامع، نَصُّها:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَن الرَّحيم. أَمَرَ بإنْشاء هذا المَسْجِد بالقاهرة المُعِزِّيَّة المَحْرُوسَة فَتَى مَوْلانا وسَيِّدنا الإمام عيسىٰ أبي القاسم الفائز بنَصْر الله أمير المؤمنين، صَلَوات الله عليه وعلى آبائه الطَّاهِرين وأبنائه الأكرمين، السَّيِّد الأَجَلّ الملك الصَّالِح ناصِر الأئِمَّة وكاشِف الغُمَّة أمير الجُيُوش سَيْفُ الإسلام غَيَّاث الأنام كافِل قُضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين أبو الغارات طَلائع الفائزي، عَضَّدَ الله به الدِّين وأمْتَعَ بطُولِ بقائِه أمير المؤمنين وأدامَ قُدْرَتَه وأعلى كلمته ونَصَرَ ألْوِيَتَه وفَتَحَ به على يَدَيْه مَشارِق الأرْضِ ومغاربها في شهور سنة خمسٍ وخمسين وخمس مائةٍ. والحمد لله وصَلَّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أَفْضَل الوصيين ...». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 46; Wiet, G., *RCEA* IX, n° 3231؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٩٩؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ١: ١١٠؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 552).

[2] الشيخ نَجْم الدِّين عبد الله بن محمد بن الحسن البادرائي، المتوفى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. (المقريزي: المقفى الكبير ٤: ١١٣-١١٤).

[3] انظر عن خبر هذه الزَّلْزَلَة فيما تقدم ٣: ١٠٣هـ [2].

[4] كان الأمير سَيْفُ الدِّين بَكْتَمُر الجوكندار قد اهْتَمَّ بأمْر هذا الجامع حتى قبل وقوع الزَّلْزلة حيث جَدَّدَ مِنْبرًا للجامع في سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م، عليه كتابةٌ تاريخيةٌ نَصُّها:

«... أَمَرَ بإنشاء هذا المِنْبَر المبارك من مالِه ابْتِغاءَ لوَجْه الله الكريم المَقَرّ العالي الأميري الكبيري السَّيْفي سَيْف الدِّين مُقَدَّم الجُيُوش بَكْتَمُر الجُوكَنْدار المَنْصُوري السَّيْفي أمير جَنْدار النَّاصري، وذلك بتاريخ شهر جُمادَى الآخِر سنة تسع وتسعين وستّ مائة، رَحِمَ الله من كان السَّبَب». (Wiet G., *RCEA* XIII, n° 50745؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ١٠١؛ Fu'âd Sayyid, A. *op.cit.*, p. 550).

[5] انظر ترجمة الصَّالح طَلائِع بن رُزِّيك، أوَّل من تَلَقَّب بـ «المَلِك» من وزراء الفاطميين، والمتوفى مقتولاً في رَمَضَان سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م عند، العماد الأصفهاني: خريدة القصر (قسم مصر) ١: ١٧٣- ١٨٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١١: ١٩٣- ١٩٤؛ أبي شامة: الروضتين ١: ٢٩٨- ٢٩٩؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٩- ١٥٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢: ٥٢٦- ٥٣٠؛ ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٢١٧- ٢٢٣؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣١٩- ٣٣٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧: ١٢، ١٦- ١٨؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٨٠- ٢٨٦؛ Bianquis, Th., *EI*[2] art. Talâ'i' b. Ruzzik X, pp. 161-62; Dodoyan, S.B., *The Fatimid Armenians : Cultural and Political Interaction in the Near East*, Leiden 1997, pp. 154-78.

رضي الله عنه ـ يومئذٍ السَّيِّد ابن مَعْصُوم[1] . فزارَ طَلائِع وأصحابه ، وباتُوا هنالك . فرأى ابن مَعْصُوم في مَنامِه عليَّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو يقول له : قد وَرَدَ عليك الليلة أربعون فَقيرًا من جملتهم رَجُلٌ يُقالُ له طَلائِع بن رُزِّيك من أكبر مُحِبِّينا ، قُلْ له اذْهَب فقد وَلَّيْناكَ مصر . فلمَّا أصبح أَمَرَ أن يُنادَى : من فيكم طَلائِع بن رُزِّيك فليَقُم إلى السَّيِّد ابن مَعْصُوم . فجاءَ طَلائِعُ وسَلَّم عليه ، فقَصَّ عليه ما رأى .

فسَارَ حينئذٍ إلى مصر ، وتَرَقَّى في الخِدَم حتى وَلِيَ مُنْيَة بني خَصيب . فلمَّا قَتَلَ نَصْرُ بن عَبَّاس الخَليفَةَ الظَّافِرَ ، بَعَثَ نِساءُ القَصْرِ إلى طَلائِع يَسْتَغِثْن به في الأَخْذِ بثَأْرِ الظَّافِر ، وجَعَلْن في طيِّ الكُتُب شُعُورَ النِّساء . فَجَمَعَ طَلائِعُ عندما وَرَدَت عليه الكُتُب النَّاسَ ، وسارَ يُريدُ القاهِرَة لمحارَبَة الوَزير عَبَّاس . فعندما قَرُبَ من البَلَدِ فَرَّ عَبَّاس ، ودَخَلَ طَلائِعُ إلى القاهِرَة ، فخُلِعَ عليه خِلَعُ الوَزارَة ، ونُعِتَ بـ «الملك الصَّالح فارِس المسلمين نَصير / الدِّين» فباشَرَ البلاد أَحْسَن مُباشَرَة ،[2] واسْتَبَدَّ بالأَمْرِ لصِغَرِ سِنِّ الخَليفَة الفَائِز بنَصْرِ الله إلى أن مات . فأقامَ من بعده عبد الله ابن محمد ، ولَقَّبَه بالعاضِد لدين الله ، وبايَعَ له ، وكان صَغيرًا لم يَبْلُغ الحُلُم ، فقَوِيَت حُرْمَةُ طَلائِع ، وازْدادَ تَمَكُّنُه من الدَّوْلَة . فثَقُلَ على أهْلِ القَصْر لكثرة تَضْييقه عليهم ، واسْتِبْداده بالأَمْرِ دونهم ، فَوَقَفَ له رِجالٌ بدَهاليز القَصْر ، وضَرَبُوه حتى سَقَطَ على الأَرْضِ على وَجْهِه ، وحُمِلَ جَريحًا لا يَعي إلى دَارِه ، فماتَ يوم الاثنين تاسع عشر شهر رَمَضان سنة ستٍّ وخمسين وخمس مائة .

وكان شُجاعًا كَريمًا ، جَوادًا فاضِلًا ، مُحِبًّا لأَهْلِ الأَدَب جَيِّدَ الشِّعْر ، رَجُلَ وَقْته فَضْلًا وعَقْلًا وسِياسَةً وتَدْبيرًا . وكان مُهابًا في شَكْلِه عَظيمًا في سَطْوَتِه ، وجَمَعَ أَمْوالًا عَظيمَةً ، وكان مُحافِظًا على الصَّلواتِ فَرائِضها ونَوافِلها ، شَديدَ المغالاةِ في التَّشَيُّع .

صَنَّفَ كِتابًا سمَّاه «الاعْتِماد في الرَّدِّ على أهْلِ العِناد» ، جَمَعَ له الفُقَهاءَ وناظَرَهم عليه ، وهو يَتَضَمَّن إمامَة عليِّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ والكلام على الأَحاديث الوَارِدَة في ذلك . وله شِعْرٌ كثيرٌ يشتمل على مجلَّدين في كلِّ فَنٍّ ، فمنه في اعْتِقاده :

---

[1] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «قال الشَّريف محمد بن أسْعَد الجَوَّاني : وفي بني الحُسَيْن ـ عليه السَّلام ـ بنو جَعْفَر ابن محمد بن إبراهيم المُجاب بن علي بن مُوسَىٰ الكاظِم بن جَعْفَر الصَّادِق بني قُرَيْزَة وبني مَعْصُوم وهم بالحاير على ساكنه السَّلام ، وبمصر طِفْلان أيْتام منهم ، والحاير المَوْضِع الذي قُتِلَ فيه الإمام الحسين عليه السَّلام» .

[2] أحمد أحمد بدوي : ديوان الوزير المصري طلائع بن رزِّيك ، القاهرة ١٩٥٨ ، ٤٦.

[الكامل]

يا أُمَّةً، سَلَكَتْ ضَلالًا بَيِّنًا حين[a] اسْتَوَى إقْرارُهَا وجُحُودُهَا

مِلْتُم إلى أنَّ المعاصِيَ لم تَكُن إلَّا بتَقْديرِ الإلٰه وُجُودُها

لَوْ صَحَّ ذا كانَ الإلٰه بزَعْمِكُمْ مَنَعَ الشَّريعَةَ أنْ تُقامَ حُدُودُها

حَاشَا وكَلَّا أنْ يكونَ إلٰهُنَا يَنْهَى عن الفَحْشاءِ ثُمَّ يُريدُهَا

وله قَصيدَةٌ سَمَّاها «الجَوْهَرِيَّة في الرَّدِّ على القَدَرِيَّة».

وَجَدَّدَ الجَامِعَ الذي بالقَرافَة الكُبْرَىٰ، ووَقَفَ ناحِيَة بَلَقْس: على أن يكون ثُلُثاها على الأَشْرافِ من بني حَسَن وبني حُسَيْن ابنيْ عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهم - وسَبْع قَراريط منها على أَشْرافِ المَدينَة النَّبَوِيَّة، وجَعَلَ فيها قِيراطًا على بني مَعْصُوم إمام مَشْهد عليّ - رضي الله عنه [1].

ولمَّا وَلِيَ الوزَارَة مالَ على المُسْتَخْدَمين بالدَّوْلَة وعلى الأُمَرَاء، وأَظْهَرَ مَذْهَبَ الإمامية وهو مُخَالِفٌ لمَذْهَبِ القَوْم، وباعَ ولايات الأعْمال للأُمَرَاءِ بأسْعارٍ مُقَرَّرة، وجَعَلَ مُدَّةَ كلِّ مُتَوَلٍّ ستة أشهر. فتضَرَّرَ النَّاسُ من كثرة تَرَدُّد الوُلاة على البلاد، وتَعِبوا من ذلك. وكان له مَجْلِسٌ في اللَّيْلِ يحضره أهْلُ العِلْم ويُدَوِّنون شِعْرَه، ولم يَتْرُك مُدَّةَ أيَّامِه غَزْوَ الفِرِنْج وتَسْيير الجُيُوش لِقِتالِهم في البَرِّ والبَحْر، وكان يُخْرِج البُعُوثَ في كلِّ سنةٍ مِرارًا.

وكان يَحْمِل في كلِّ عامٍ إلى أهْلِ الحَرَمَيْن مَكَّة والمَدينَة من الأشْرافِ سائِر ما يَحْتاجون إليه من الكُسْوَة وغيرها، حتى يَحْمِل إليهم أَلْواحَ الصِّبْيان التي يُكْتَب فيها، والأَقْلامَ والمِدادَ وآلات

---

a) بولاق: حتى.

---

[1] وَصَلَ إلينا جزءٌ من وَقْفِيَّة الصَّالِح طَلائِع وهي محفوظة بدار الوَثائِق القومية بالقاهرة برقم ١/١ ومُؤَرَّخة في أوَّلِ جُمادَى الأولى سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م. وهذه الوَقْفِيَّةُ أقْدَمُ وَقْفِيَّةٍ وَصَلَت إلينا والوَحيدَة الباقية من العَصْر الفاطمي. ولكنَّ النَّصَّ الذي وَصَلَ إلينا ليس هو النَّصُّ الأَصْلي وإنَّما نُسْخَةٌ نُسِخَت عنه في سَنَة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٤م، في الفترة الواقعة بين الرَّوْك الحُسامي والرَّوْك النَّاصري، والتي تمَّ فيها إعادَة قياس الأراضي المصرية. وتُوجَد في مجموعة تيمور باشا الملحقة بدار الكتب المصرية نسخةٌ أخرى نُسِخَت عن هذه النسخة في نهاية القرن التاسع عشر محفوظة بها برقم ١٤٣٠ تاريخ. وقد نَشَرَ هذه الوَقْفِيَّة كلود كاهن ويوسف راغب ومصطفى أنور طاهر. انظر Cahen, Cl., Ragib, Y. et Taher, M. A., «L'achat et le waqf d'un grand domaine égyptien par le vizir fatimide Talâ'i' b. Ruzzik», *An. Isl.*, XIV (1976), pp. 59-126.

النِّساء، ويَحْمل كلَّ سنةٍ إلى العَلويين الذين بالمَشاهِد جُملا كبيرة. وكان أَهْلُ العِلْم يَغْدون إليه من سَائِرِ البِلاد، فلا يُخَيِّب أَمَلَ قاصِدٍ منهم.

ولمَّا كان في اللَّيْلَة التي قُتِلَ صَبيحَتها قال: في هذه الليلة ضُرِبَ في مثلها أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه. وأَمَرَ [a]بقِراءَة مَقْتَلِه[a]، فاغْتَسَلَ وصَلَّى على رأْي الإمامية مائة وعشرين رَكْعَة أحْيا بها لَيْلَه، وخَرَجَ ليركب، فعَثَرَ وسَقَطَت عِمامَتُه عن رأْسِه وتَشَوَّشَت؛ فقَعَدَ في دِهْليزِ دارِ الوَزارَة، وأَمَرَ بإحْضَار ابن الضَّيْف ـ وكان يَتَعَمَّم للخُلَفَاءِ والوُزَراء وله على ذلك الجاري الثَّقيل ـ فلمَّا أَخَذَ في إصْلاحِ العِمامَة، قال رَجُلٌ للصَّالِح: نُعيذُ بالله مَوْلانا، ويَكْفيه هذا الذي جَرَى أمْرًا يُتَطَيَّرُ منه، فإن رأى مَوْلانا أن يُؤَخِّرَ الرُّكوبَ فَعَلَ؛ فقال: الطِّيَرَةُ من الشَّيْطان، ليس إلى تأْخِيرِ الرُّكوبِ سَبيل. ورَكِبَ فكان من ضَرْبِه ما كان، وعادَ مَحْمُولًا، فماتَ منها كما تقدَّم.

ذِكْرُ الأحْباس

وما كان يُعْمَلُ فيها ـ اعْلَم أنَّ الأَحْباسَ في القَديم لم تَكُن تُعْرَف إلَّا في الرِّباعِ وما يَجْري مَجْراها من المباني، وكلُّها كانت على جِهاتِ بِرٍّ. فأمَّا المَسْجِدُ الجامِعُ العَتيق بمصر، فكان يلي إمامَتَه في الصَّلوات الخَمْس، والخَطابَة فيه يوم الجُمُعَة والصَّلاة بالنَّاس صَلاةَ الجُمُعَة، أَميرُ البَلَد: فتارَةً يُجْمَعُ للأَمير بين الصَّلاة والخَراج، وتارَةً يُفْرَد الخَراجُ عن الأمير، فيكون الأَميرُ إليه أَمْرُ الصَّلاة بالنَّاس والحَرْب، ولآخَر أَمْرُ الخَراج وهو دون مَرْتَبَة أَمير الصَّلاة والحَرْب. وكان الأَميرُ يَسْتَخْلف عنه في الصَّلاة صاحِبَ الشُّرْطَة إذا شَغَلَه أَمْرٌ.

ولم يَزَلِ الأَمْرُ على ذلك إلى أن وَلِيَ مصر عَنْبَسَة بن إسْحاق بن شِمِر، من قِبَل المُنْتَصِر[b] ابن المُتَوَكِّل، على الصَّلاةِ والخَراج. فقدِمَها لخَمْسٍ خَلَوْن من رَبيعِ الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين ومائتين، وأقامَ إلى مُسْتَهَلِّ رَجَبَ سنة اثنتين وأربعين ومائتين وصُرِف[1]. فكان آخِرَ من وَلِيَ مصر من العَرَبِ، وآخِر أمير صَلَّى بالنَّاس في المَسْجِد الجامِع، وصارَ يُصَلِّي بالنَّاس رَجُلٌ يُرْزَق من بَيْتِ المال، وكذلك المُؤَذِّنون ونحوهم.

وأمَّا الأراضي فلم يَكُن سَلَفُ الأُمَّة من الصَّحابَةِ والتَّابِعين يَتَعَرَّضون لها، وإنَّما حَدَثَ ذلك بعد عَصْرِهم. / حتَّى إنَّ أحمد بن طُولُون لمَّا بَنَى الجامِع والمارِسْتان والسِّقايَة، وحَبَسَ على ذلك

---

a-a) بولاق: بقربة ممتلئة. b) بولاق: المستنصر.

---

[1] فيما تقدم ٢: ٧٧- ٧٨.

الأحْباسَ الكثيرة، لم يكن فيها سِوَى الرِّباع ونحوها بمصر، ولم يَتَعَرَّض إلى شيءٍ من أراضي مصر ألبتَّة. وحَبَسَ أبو بَكْر محمد بن علي الماذَرائي[a] بِرْكَةَ الحَبَش وسُيوط وغيرهما على الحَرَمَيْن وعلى جِهاتِ بِرٍّ، وحَبَسَ غيره أيضًا.

فلمَّا قَدِمَت الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّة من المَغْرِب[b] إلى مصر، بَطَلَ تَحْبيسُ البِلاد، وصارَ قاضي القُضاة يَتَوَلَّى أَمْرَ الأحْباسِ من الرِّباع، وإليه أَمْرُ الجَوامِع والمَشاهِد، وصارَ للأحْباسِ ديوانٌ مُفْرَد. وأوَّلُ ما قَدِمَ المُعِزُّ أَمَرَ في رَبيعِ الآخر سنة ثلاثٍ وستين وثلاث مائةٍ بحَمْل مالِ الأحْباس من المَوْدِع إلى بَيْتِ المال الذي لوُجُوه البِرّ، وطُولِبَ أصْحابُ الأحْباسِ بالشَّرائِط ليحملوا عليها وما يَجب لهم فيها. وللنِّصْف من شَعْبان ضَمِنَ الأحْباسَ محمدُ بن القاضي أبي الطَّاهِر محمد بن أحمد، بألفِ ألفٍ وخمس مائة ألفِ دِرْهَم في كلِّ سَنَة، يَدْفَع إلى المستحقِّين حقوقَهم، ويَحْمِل ما بقي إلى بَيْتِ المال[١].

وقال ابنُ الطُّوَيْر: «الخِدْمَةُ في ديوان الأَحْباس» ـ وهي[c] أَوْفَر الدَّواوين مُباشَرَةً، ولا يَخْدِم فيه إلَّا أعْيانُ كُتَّاب المسلمين من الشُّهود المُعَدَّلين بحُكْم أنَّها مُعامَلَةٌ دينية ـ وفيها عِدَّةُ مُدَبِّرين يَنُوبُون عن أَرْبابِ هذه الخِدَمِ في إيجابِ أَرْزاقِهم من ديوان الرَّواتِب، وينتجزون[d] لهم الخُروج بإطْلاقِ أَرْزاقِهم. ولا يُوجَب لأحَدٍ من هؤلاء خَرْجٌ إلَّا بعد حُضُورِ وَرَقَةِ التَّعْريف من جِهَة مُشارِف الجَوامِع والمساجِد باسْتِمْرارِ خِدْمَتِه ذلك الشهر جميعه، ومن تأخَّرَ تَعْريفُه تأخَّرَ الإيجابُ له، وإن تَمادَى ذلك اسْتُبْدِلَ به أو تَوَفَّرَ ما باسْمِه لمَصْلَحَةٍ أخرى، خَلا جَواري المَشاهِد فإنَّها لا تُوَفَّر، لكنَّها تُنْقَل من مَقَصِّرٍ إلى مُلازِم. وكان يُطْلَق لكلِّ مَشْهَدٍ خمسون دِرْهَمًا في الشهر برَسْمِ الماءِ لزُوَّارِها، ويجري من مُعامَلَة سَواقي السَّبيل بالقَرافَة والنَّفَقَة عليها من ارْتِفاعِه، فلا تَخْلو المصانِعُ ولا الأحْواضُ من الماءِ أبدًا، ولا يُعْتَرَضُ أَحَدٌ في[e] الانْتِفاعِ به. وكان فيه كاتِبان ومُعينان[٢].

---

a) بولاق: المارداني. b) بولاق: الغرب. c) بولاق: وهو. d) بولاق: وينجزون. e) بولاق: من.

---

[١] راجع كذلك محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٤٨- ٥٩؛ وانظر عن الأوقاف عمومًا Behrens - Abouseif, D., *EI*[2] art. *Wakf* X, pp. 65-76 وما ذُكِرَت من مراجع.

[٢] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٠٠- ١٠١؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٤/١: ١٤٩- ١٥٠؛ القلقشندي: صبح ٣: ٤٩٠.

وقال المُسَبِّحِيُّ في حَوادِثِ سنة ثلاثٍ وأربع مائة : وأَمَرَ الحاكِمُ بأمْرِ الله بإثْباتِ المساجِدَ التي لا غَلَّةَ لها ولا أَحَدَ يَقُوم بها ، وما له منها غَلَّة لا تَقُوم بما يَحْتاج إليه ، فأُثْبِت في عَمَلٍ ورُفِعَ إلى الحاكِم بأمْرِ الله . فكانت عِدَّةَ المَساجِد على الشَّرْحِ المذكور ثمان مائة وأحدُ وثلاثون[a] مَسْجِدًا ، ومَبْلَغُ ما تَحْتاجُ إليه من النَّفَقَةِ في كلِّ شهرٍ تسعة آلاف ومائتان وعشرون دِرْهَمًا ، على أنَّ لكلِّ مَسْجِدٍ في كلِّ شهرٍ اثني عشر دِرْهَمًا[١].

وقال في حَوادِث سنة خمسٍ وأربع مائةٍ : وقُرِئ يوم الجُمُعَة ثامن عشرين صفر سِجِلٌّ بتَحْبيس عِدَّةِ ضِياعٍ ـ وهي إطْفيح وصُول وطُوخ ، وستّ ضِياعٍ أُخَر ، وعِدَّةِ قَياسِر وغيرها ـ على القُرَّاءِ والفُقَهاءِ والمؤذِّنين بالجَوامِع ، وعلى المصانِع والقُوَّامِ بها ، ونَفَقَةِ المارِسْتانات وأرْزاقِ المُسْتَخْدمين فيها ، وثَمَنِ الأكْفان[٢].

وقال الشَّريفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني : كان القُضَاةُ بمصر إذا بقي لشَهْرِ رَمَضانَ ثلاثةُ أيّام ، طافُوا يَوْمًا على المَساجِد والمَشَاهِد بمصر والقاهِرَة : يبدأون بجَامِع المَقْس ، ثم القاهِرَة ، ثم المَشَاهِد ، ثم القَرافَة ، ثم جَامِع مصر ، ثم مَشْهَد الرَّأس لنَظَرِ حُصْرِ ذلك وقَناديلِه وعِمارَتِه وما تَشَعَّثَ منه . وما زالَ الأَمْرُ على ذلك إلى أن زالَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّة .

فلمَّا اسْتَقَرَّت دَوْلَةُ بني أَيُّوب ، أُضيفَتِ الأَحْباسُ أيضًا إلى القاضي . ثم تَفَرَّقَت جِهاتُ الأَحْباسِ في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة ، وصارَت إلى يَوْمِنا هذا ثَلاثَ جِهاتٍ :

الأولى تُعْرف بـ «الأَحْباس» : ويلي هذه الجِهَة دَوادارُ السُّلطانُ وهو أَحَدُ الأُمَراءِ ، ومعه ناظِرُ الأحْباسِ ولا يكون إلَّا من أعْيانِ الرُّؤساءِ ، وبهذه الجِهَة دِيوانُ فيه عِدَّةُ كُتَّابٍ ومُدَبِّر . وأكثر ما في دِيوان الأَحْباس «الرِّزَق الأَحْباسِيَّة» ـ وهي أراضٍ من أعْمالِ مصر ـ على المَساجِد والزَّوايا للقِيام بمَصالِحِها ، وعلى غير ذلك من جِهاتِ البِرِّ[٣].

وبَلَغَتِ «الرِّزَقُ الأَحْباسِيَّة»[٤] في سنة أربعين وسبع مائةٍ ، عندما حَرَّرَها النَّشْوُ ناظِرُ الخاصّ في

a) بولاق : ثمان مائة وثلاثين .

[١] فيما يلي ٧٠٧.

[٢] فيما يلي ٧٠٧.

[٣] قارن ، القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٣٨.

[٤] الرِّزَقُ الأَحْباسِيَّة ، انظر عنها فيما تقدم ٣:٧٢٦هـ [١] ؛ وأَضِف إلى ما ذُكِرَ هناك ، الجبرتي : عجائب الآثار ٢ : ٢٦٤، والدِّراسَة الهامَّة التي كَتَبها نقولا ميشيل Nicolas Michel والتي تَتَبَّع فيها بداية ذِكْر «الرِّزَق» في العَصْر الأيّوبي ، ثم ظُهُور مُصْطَلَح «الرِّزَق الأَحْباسِيَّة» في نهاية القرن السَّابع =

أيَّام الملكِ النَّاصِرِ محمد بن قَلاوون ، مائة ألف وثلاثين ألف فَدَّان [1]. عَمِلَ بها النَّشْوُ أوْراقًا ، وحَدَّثَ السُّلْطانَ في إخْراجِها عمَّن هي باسْمِه ، وقال له [a]: جَميعُ هذه الرِّزَق أَخْرَجَها الدَّواوين بالبَراطِيلِ ، والتَّقَرُّب إلى الأُمَراء والحُكَّام ، وأكثرها بأيْدي أُناسٍ من فُقَهاءِ الأَرْيافِ لا يَدْرون الفِقْه ، يُسَمُّون أنفسهم الخُطَباء ولا يَعْرِفون كيف يَخْطُبون ، ولا يَقْرأون القُرْآن ، وكثيرٌ منها بأسْماءِ مَساجِد وزَوايا مُعَطَّلَة وخَراب . وحَسَّنَ له أن يُقيمَ شادًّا وديوانًا يسير في النَّواحي ، وينظر في المساجِد التي هي عامِرَة ، ويَصْرِف لها من رِزْقها النِّصْف ، وما عَدا ذلك يَجْري في ديوان السُّلْطان . فعاجَلَه الله ، وقُبِضَ عليه قَبْلَ عَمَلِ شيءٍ من ذلك [2].

الجِهَةُ الثَّانية تُعْرَف بـ «الأَوْقافِ الحُكْمِيَّة» بمصر والقاهِرَة : ويلي هذه الجِهَة قاضي القُضَاة الشَّافِعِيّ ، وفيها ما حُبِسَ من الرِّباع على الحَرَمَيْن وعلى الصَّدَقات والأَسْرَى وأَنْواعِ القُرَب . ويُقالُ لمن يَتَوَلَّى هذه الجِهَة «ناظِرُ الأَوْقاف» : فتارَةً ينفرد بنَظَرِ أَوْقافِ مصر والقاهِرَة رَجُلٌ واحِدٌ من أعْيان نُوَّابِ القاضي ، وتارَةً ينفرد بأَوْقافِ القاهِرَة ناظِرٌ من الأعْيانِ ويلي نَظَرَ أَوْقافِ مصر / آخَر ، ولكلٍّ من أَوْقافِ البَلَدَيْن دِيوانٌ فيه كُتَّابٌ وجُباة .

---

a) له : ساقطة من بولاق .

= الهجري/ الثالث عشر الميلادي وعلى الأخصّ ابتداءً من عام ٦٩٧هـ/١٢٩٨م في أعْقاب الرَّوْك الحُسامي . يقول النُّوَيْري : «ولمَّا نَجزَ هذا الرَّوْكُ أُقْطِعَت البلادُ للأُمَراءِ والأجنادِ دربسته [أي كاملةً] ، لم يُسْتَثْنَ منها غير الجَوالي والمواريث الحَشْرِيَّة ، فإنَّ ذلك جُعِلَ في جملة الخاصّ السُّلْطاني . واسْتُثْنِيَت الرِّزَقُ الأَحْباسِيَّة المُرْصَدَة لمصالح الجَوامع والمَساجِد والرُّبُط والزَّوايا والخُطَباء والفُقَراء ، واسْتَقَرَّت في سائر البلاد على ما يَشْهَد به ديوانُ الأَحْباس ، وما عَدا ذلك من سائر الأَمْوال وغيرها دَخَلَ في الإقْطاع» . (النويري : نهاية الأرب ٣١ : ٣٤٨؛ وقارن مع المقريزي : السلوك ١ : ٨٤٤-٨٤٥ وفيما تقدم ١ : ٢٦١ حيث قَسَمَ المَقْريزي أرْضَ مصر سبعة أقسام بينها قِسْمٌ «جُعِلَ وَقْفًا مُحَبَّسًا على الجَوامِع والمَدارِس والخَوانِك ، وعلى جِهاتِ البِرِّ ، وعلى ذَراري واقفي تلك الأراضي وعُتَقائهم» .

وتَتَبَّعَ نقولا ميشيل بعد ذلك تَطَوُّر الرِّزَق في نهاية العصر المملوكي ثم وَضْعَها في العَصْر العثماني من خلال ما حَدَّدَه قانون نامه ودَفاتِر الأحْباس العثمانية . (Michel, N., «Les Risaq ahbasiyya, terres agricoles en mainmorte dans l'Égypte mamelouke et ottomane. Étude sur les Dafâtir al-Ahbâs ottomane», *An.Isl.* XXX (1996), pp. 105-98؛ وعلى الأخصّ الصفحات من 107-109.

[1] المقريزي : السلوك ٢ : ٤٧٤؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٣٢.

[2] نفسه ٢ : ٤٧٣ ، ٤٧٤؛ محمد محمد أمين : الأوقاف ١٠٧ ، ١٠٩.

وكانت جِهَةٌ عامِرَةٌ يَتَحَصَّل منها أموالٌ جَمَّة ، فيُصْرَف منها لأهْلِ الحَرَمَيْن أمْوالٌ عَظيمَةٌ في كلِّ سنة ، تُحْمَل من مصر إليهم مع من يثق به قاضي القُضَاة ، وتُفَرَّق هناك صُرَرًا ، ويُصْرَف منها أيضًا بمصر والقاهِرَة لطَلَبَة العِلْم ولأَهْل السِّتْر وللفُقَرَاء شيءٌ كثير ، إلَّا أنَّها اخْتَلَّت وتلاشَت في زَمَنِنا هذا ، وعَمَّا قَليلٍ إن دامَ ما نحن فيه لم يَبْقَ لها أَثَرٌ ألبتَّة [١].

وسَبَبُ ذلك أنَّه وَلِيَ قَضَاءَ الحَنَفِيَّة كمالُ الدِّين عُمَر بن العَديم [٢] في أيَّام الملك النَّاصِر فَرَج ، ووِلايَةِ الأمير جَمال الدِّين يُوسُف [الأُسْتادَّار [a]] تَدْبير الأُمور والمملكة ، فتظاهَرَا مَعًا على إتْلاف الأوْقاف . فكان جَمالُ الدِّين إذا أرادَ أَخْذ وَقْفٍ من الأوْقاف ، أقامَ شاهِدَيْن يَشْهَدان بأنَّ هذا المكان يَضُرُّ بالجارِ والمارِّ ، وأنَّ الحَظَّ [b]والمَصْلَحة[b] فيه أن يُسْتَبْدَل به غيره فيَحْكُم له قاضي القُضَاة كمالُ الدِّين عُمَر بن العَديم باسْتِبْدالِ ذلك [٣].

وشَرِهَ جَمالُ الدِّين في هذا الفِعْل كما شَرِهَ في غيره ، فحَكَم له المذكور باسْتِبْدَالِ القُصُورِ العامِرَة والدُّورِ الجَليلَة بهذه الطَّريقَة . والنَّاسُ على دين مَلِكِهم . فصارَ كلُّ مَنْ يُريدُ بَيْعَ وَقْفٍ أو شِراءَ وَقْفٍ ، سَعَى عند القاضي المذكور بجاهٍ أو مالٍ ، فيَحْكُم له بما يُريدُ من ذلك . واسْتَدْرَجَ غيره من القُضَاة إلى نَوْعٍ آخر ، وهو أن تُقامَ شُهودُ القِيمَة فيَشْهَدُون بأنَّ هذا الوَقْف ضارٌّ بالجارِ والمارِّ ، وأنَّ الحَظَّ والمَصْلَحة في بَيْعِه أنْقاضًا . فيَحْكُم قاضٍ شافِعِي المَذْهَبِ ببَيْعِ تلك الأنْقاض .

واسْتَمَرَّ الأَمْرُ على هذا إلى وَقْتِنا هذا الذي نحن فيه ، ثم زادَ بَعْضُ سُفَهاءِ قُضَاةِ زَمَنِنا في المَعْنَى ، وحَكَمَ ببَيْعِ المساجِد الجامِعَة إذا خَرِبَ ما حَوْلَها ، وأَخَذ ذُرِّيَّة واقِفِها ثَمَن أنْقاضِها ، وحَكَمَ آخَرُ منهم ببَيْعِ الوَقْفِ ودَفْعِ الثَّمَن لمستحقِّه من غير شِراءِ بَدَلٍ . فامتدَّتِ الأيْدي لبَيْعِ

---

a) زيادة اقتضاها السياق . b-b) ساقطة من بولاق .

---

[١] راجع كذلك محمد محمد أمين : الأوقاف ١١٣-١١٦.

[٢] القاضي كمال الدِّين أبو حَفْص عمر بن إبراهيم ابن العَديم الحَلَبي الحَنَفي ، المتوفى سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م . قال المَقْريزي : «كان من شَرِّ قُضَاةِ مصر حُمْقًا ورَقاعَةً وجَراءَةً وإقدامًا وجِدَّةً ... وقَبَحا فَحَاشًا جَسُورًا على الاسْتِبْدال بالأوْقاف ، بحيث أتى هو وشيخه الملطي ، ثم هو وابنه ، على إتْلاف معظم أوْقاف القاهِرَة ومصر ، تَقَرُّبًا لأهْل الدَّوْلَة وحواشيهم بما يحبُّون ... ولقد كانت بيني وبينه صُحْبَة أكيدة ، وكان لي مُعَظِّمًا يبادرُ إلى قَضَاءِ حَوائجي ولا يَرُدّ لي قَوْلًا ، إلَّا أنَّ الحَقَّ أحَقُّ أن يُتَّبَع» . (درر العقود الفريدة ٢:٤٢٨-٤٢٩؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٢:٤١١-٤١٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٣: ١٧١؛ السخاوي : الضوء اللامع ٦:٦٥-٦٦) .

[٣] انظر عن الاسْتِبْدال فيما تقدم ٣:٢٠١هـ [١] .

الأَوْقافِ حتَّى تَلِفَ بذلك سَائِرُ ما كان في قَرافَتَيْ مصر من التُّرب، وجَميعَ ما كان من الدُّورِ الجَليلَةِ والمساكِن الأنيقة بمصر الفُسطاط، ومُنْشَأةِ المَهْراني ومُنْشَأةِ الكُتَّاب، وزَرْبِيَّةِ قَوْصُون، وحِكْرِ ابن الأَثير، وسُوَيْقَةِ المُوَفَّق، وما كان في الحُكُورَة من ذلك، وما كان بالجُوَّانِيَّة والعُطُوفِيَّة وغيرها من حارَاتِ القاهِرَة وغيرها. فكان ما ذُكِرَ أَحَدَ أَسْبابِ الخَراب كما هو مذكورٌ في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب[1].

الجِهَةُ الثَّالِثَة «الأَوْقافُ الأَهْلِيَّة»: وهي التي لها ناظِرٌ خاصٌّ؛ إمَّا من أَوْلادِ الواقِف أو من وُلاة السُّلْطانِ أو القاضي. وفي هذه الجِهَة الخَوانِكُ والمدارِسُ والجَوامِعُ والتُّرَبُ، وكان مُتَحصَّلُها قد خَرَجَ عن الحَـدِّ في الكثرة لما حَدَثَ في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة من بِناءِ المدارِس والجَوامِع والتُّرَب وغيرها، وصاروا يُفْرِدُون أَراضي من أَعْمالِ مصر والشَّامات وفيها بِلادٌ مُقَوَّرَة[a][2]، ويُقيمُون صُورَةً يتملَّكونها بها، ويَجْعَلونها وَقْفًا على مَصارِف كما يُريدون.

فلمَّا اسْتَبَدَّ الأميرُ بَرْقُوق بأَمْرِ بِلادِ مصر، قبل أن يَتَلَقَّب باسْمِ السَّلْطَنَة، هَمَّ بارْتِجاعِ هذه البِلاد، وعَقَدَ مَجْلِسًا فيه شَيْخُ الإسْلام سِراجُ الدِّين عُمَر بن رَسْلان البُلْقيني، وقاضي القُضَاة بَدْرُ الدِّين محمد بن أبي البَقاء وغيره، فلم يَتَهَيَّأْ له ذلك. فلمَّا جَلَسَ على تَخْتِ المُـلْك صارَ أُمَراؤُه يَسْتَأْجِرون هذه النَّواحي من جِهاتِ الأَوْقاف، ويُؤَجِّرونها للفَلَّاحين بأَزْيَدَ ممَّا اسْتَأْجَروا.

فلمَّا مات الظَّاهِرُ فَحُشَ الأَمْرُ في ذلك، واسْتَوْلَى أَهْلُ الدَّوْلَةِ على جَميعِ الأَراضي المَوْقُوفَة بمصر والشَّامات، وصارَ أَجْوَدُهم من يَدْفَع فيها لمن يَسْتَحِق رِيعَها عُشْر ما يَحْصُل له، وإلَّا فكثيرٌ منهم لا يَدْفَع شيئًا أَلبتَّة، لا سِيَّما ما كان من ذلك في بِلاد الشَّام، فإنَّه اسْتُهْلِكَ وأُخِذَ. ولذلك كان أَسْوَأَ النَّاسِ حالًا في هذه المِحَن التي حَدَثَت منذ سنة ستٍّ وثمان مائةٍ الفُقَهاءُ، لخَرابِ المَوْقُوفِ عليهم وبَيْعِه، واسْتيلاءِ أَهْلِ الدَّوْلَة على الأَراضي[3].

a) بولاق: بلاد مقرَّرة.

[1] واضِحٌ من هذا النَّصّ ونُصُوصٍ أخرى أنَّ المَقْريزي كَتَبَ الفَصْلَ الذي ذَكَرَ فيه «أسْباب الخَرَاب» بدليل إحالته إليه في كثير من المواضع. (انظر فيما تقدم ١: ٥٤*).

[2] انظر عن البلاد المُقَوَّرَة فيما تقدم ١: ٢٢٣هـ[1].

[3] محمد محمد أمين: الأوقاف ١١٦– ١١٩.

الجامعُ بجوارِ تُربَةِ الشَّافِعيّ بالقَرافة

هذا الجَامِعُ كان مَسْجِدًا صَغيرًا ، فلمَّا كَثُرَ النَّاسُ بالقَرافَةِ الصُّغْرَىٰ ، عندما عَمَّرَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب المَدْرَسَة بجوار قَبْرِ الإمام الشَّافِعِيّ ـ رضي الله عنه ـ وجَعَلَ لها مُدَرِّسًا وطَلَبَة[1] زادَ الملكُ الكامِلُ محمد بن العادِلِ أبي بكر بن أَيُّوب في المَسْجِد المذكور ، ونَصَبَ به مِنبَرًا ، وخَطَبَ فيه ، وصُلِّيتِ الجُمُعَةُ به في سنة سبعٍ وستِّ مائةٍ .

جامعُ محمود بالقَرافة

هذا المَسْجِدُ قَديمٌ ، والخُطْبَةُ فيه مُتَجَدِّدَة ، ويُنْسَب لمحمود بن سالِم بن مالِك الطَّوِيل ، من أَجْنادِ السَّرِيّ بن الحَكَم أمير مصر بعد سنة مائتَين من الهجرة[2] .

قال القُضاعِيّ : المَسْجِدُ المعروف بمَحْمُود ، يُقال إنَّ مَحْمُودًا هذا كان رَجُلًا جُنْدِيًّا من جُنْدِ السَّرِيّ بن الحَكَم أمير مصر ، وإنَّه هو الذي بَنَى هذا المَسْجِد . وذلك أنَّ السَّرِيَّ بن الحَكَم رَكِبَ يَوْمًا فعارَضَه رَجُلٌ في طَرِيقِه فكَلَّمَه ووَعَظَه بما غاظَه ، فالْتَفَتَ عن يمينه فرأى مَحْمُودًا فأَمَرَه
٢٤ بضَرْبِ عُنُقِ / الرجل ، ففَعَلَ .

فلمَّا رَجَعَ محمود إلى منزله تَفَكَّرَ ونَدِمَ ، وقال : رَجُلٌ يتكلَّم بمَوْعِظَةٍ بحَقّ فيُقْتَل بيَدَي وأنا طائِعٌ غير مُكْرَه على ذلك ! فهلَّا امْتَنَعت ؟ وكَثُرَ أَسَفُه وبُكاؤه ، وآلَى على نَفْسِه أن يَخْرُجَ من الجُنْدِيَّة ولا يَعُودُ فيها ، ولم يَنَم لَيْلَته من الغَمّ والنَّدَم .

فلمَّا أَصْبَحَ غَدا إلى السَّرِيّ فقال له : إنِّي لم أَنَم في هذه الليلة على قَتْلِ الرَّجُلِ ، وأنا أُشْهِدُ الله ـ عَزّ وجَلّ ـ وأُشْهِدُكَ أنِّي لا أَعُودُ في الجُنْدِيَّة ، فأَسْقِط اسْمي منهم ، وإن أَرَدْتَ نِعْمَتي فهي بين يَدَيْك . وخَرَجَ من بين يَدَيْه ، وحَسُنَت تَوْبَتُه ، وأَقْبَلَ على العِبادَة ، واتَّخَذَ

---

[1] انظر فيما يلي ٦٣١؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦:٥٤- ٥٥؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢:٢٥٧- ٢٥٩.

[2] الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٤٢٨، ٦٠٣ وفيه : وهو صاحب الجامع الذي بسَفْحِ المُقَطَّم .

المَسْجِدَ المعروف بمَسْجِد مَحْمُود وأقامَ فيه [١].

وقال ابنُ المُتَوَّج : «المَسْجِدُ الجَامِع المشهور بمَحْمود[a] بسَفْح المُقَطَّم» ، هذا الجَامِعُ من المَساجِد الخَطِية[b]، وهو بسَفْحِ الجَبَلِ المُقَطَّم بالقَرافَة الصُّغْرَىٰ [٢]. وأوَّلُ من خَطَبَ فيه السَّيِّدُ الشَّريف شِهابُ الدِّين الحسين بن محمد قاضي العَسْكَر والمدرِّس بالمَدْرَسَة النَّاصِرِيَّة الصَّلاحِيَّة بجوار جامِع عَمْرو - وبه عُرِفَت بالشَّريفيّة - وسفير [كذا] الخِلافَة المُعَظَّمَة . وتوفي في شوَّالٍ سنة خمسٍ وخمسين وستّ مائةٍ ، وكان أيضًا نَقيبَ الأشْراف [٣].

جَامِعُ الرَّوْضَة
بقَلْعَة جَزِيرَة الفُسْطاط

قال ابنُ المُتَوَّج : هذا الجَامِعُ عَمَّره السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب . وكان أمامَ بابِه كَنِيسَةٌ تُعْرَف بابن لُقْلُق بتَرْك اليَعاقِبَة ، وكان بها بِئْرٌ مالِحَة ، وذلك مِمَّا عُدَّ من عَجائِب مصر أنَّ في وَسَطِ النِّيل جَزيرَةً بوَسَطِها بِئْرٌ مالِحَة . وهذه البِئْرُ التي رأيتها كانت قُبالَة بابِ المَسْجِد الجَامِع ، وإنَّما رُدِمَت بعد ذلك [٤].

وهذا الجَامِعُ لم يَزَلْ بيد بني الرَّدَّاد ، ولهم نُوَّابٌ عنهم فيه . ثم لمَّا كانت أيَّامُ السُّلْطان الملك المُؤَيَّد شَيْخ المَحْمودي هَدَمَ هذا الجَامِع في شهر رَجَب سنة ثلاثٍ وعشرين وثمان مائةٍ ، ووَسَّعَه بدُورٍ كانت إلى جانِبِه ، وشَرَعَ في عِمارَتِه فماتَ قبل الفَراغِ منه [٥].

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : من مساجد الخطبة .

[١] الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٦٠٤، ومصدره فيه أبو جَعْفَر الطَّحاوي .

[٢] أضاف المُوَفَّق بن عثمان أنَّه أيضًا مجاور لمَشْهَد إبراهيم ابن اليَسَع .

[٣] نفسه ٦٠٤، وكذلك ابن الزيات : الكواكب السيارة ٢٨٢.

[٤] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٠٥.

[٥] لا نَدْري إن كان جَامِعُ الرَّوْضَة بقَلْعَةِ جَزيرَة مصر - الذي يُشيرُ إليه المقريزي - هو نفسه جَامِعُ المِقْياس الذي شَيَّدَه أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجمالي في شهر رجب سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م حَوْل المِقْياس عند الطَّرَف الجنوبي لجزيرة الرَّوْضَة (فيما تقدم ١٤٨-١٤٩) ، وأنَّ الصَّالح نَجْم الدِّين أيُّوب جَدَّدَه وَقْت بنائه لقَلْعَة الرَّوْضَة ، أو أنَّ هناك جامِعَيْن مختلفين؟

فقد ذَكَرَ المقريزي في السلوك (٤ : ٥٣٤) أنَّ السُّلْطان المُؤَيَّد شَيْخ صلى الجمعة يوم ٢١ رَجَب سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م في جامع المِقْياس ورَسَمَ بهَدْمِه وبنائه وتَوْسِعَته ، =

جامِعُ غَبْن [a]

بالرَّوْضَة

قال ابنُ المُتَوَّج : المَسْجِدُ الجامِعُ برَوْضَة مصر يُعْرَف بجَامِع غَبْن [a]، وهو القَديم ، ولم تَزَلِ الخُطْبَةُ قائِمَةً فيه إلى أن عُمِّر جامِعُ [b] المِقْياس [1] فبَطَلَت الخُطْبَةُ منه ، ولم تَزَلِ الخُطْبَةُ بَطَّالَةً منه إلى الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّة . فكَثُرَت عَمائِرُ النَّاسِ حَوْلَه في الرَّوْضَة ، وقَلَّ النَّاسُ في القَلْعَة ، وصاروا يَجِدُون مَشَقَّةً في مَشْيِهم من أواخر [c] الرَّوْضَة .

وعَمَّر الصَّاحِبُ مُحْيي الدِّين أحمد وَلَد الصَّاحِب بَهاء الدِّين عليّ بن حِنَّا [2] دارَه على خُوخَة الفَقيه نَصْر قُبالَة هذا الجَامِع ؛ فحَسُنَ له إقامَة الجُمْعَة في هذا الجَامِع لقُرْبه منه ومن النَّاس ، فتَحَدَّثَ مع والِدِه ، فشاوَرَ السُّلْطانَ الملك الظَّاهر بَيْبَرْس فوَقَعَ منه بمَوْقِعٍ - لكَثْرَةِ رُكُوبِه بَحْر النِّيل ، واعْتِنائِه بعِمارَة الشَّواني ولعبها في البَحْر ، ونَظَرِه إلى كثرة الخَلائِق بالرَّوْضَة - ورَسَمَ بإقامَة الخُطْبَة فيه مع بَقاءِ الخُطْبَة بجَامِع القَلْعَة لقُوَّةِ نِيَّتِه في عِمارَتها على ما كانت عليه .

فأُقيمَت الخُطْبَةُ به في سنة ستين وستّ مائة . ووَلِيَ خَطابَته أقْضَى القُضَاة جَمالُ الدِّين ابن الغَضَاري [d] الغِفاري ، وكان يَنُوبُ بالجيزَة في الحُكْم ، ثم نابَ في الحُكْم بمصر عن قاضي القُضَاة وَجيه الدِّين البَهْنَسي ، وكان إمامَه في حَالِ عُطْلَتِه من الخُطْبَة ، فلمَّا أُقيمَت فيه الخُطْبَةُ ، أُضِيفَت إليه الخَطابَةُ فيه مع الإمامَة [3] .

---

a) بولاق : عين . b) في النسخ : جانب ! c) بولاق : أوائل . d) بولاق : الغفاري .

= ورَسَمَ أيضًا بتَرْميم رِباط الآثار جَنُوب الفُسْطاط . وفي يوم الأحد ١٦ شعبان من اليوم نفسه زار الآثار النبوية وكَشَفَ عِمارَة جامِع المِقْياس بالرَّوْضَة . (راجع كذلك ، ابن حجر : إنباء الغمر ٣: ٢٢١؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤: ٩٩، ١٠١، ١١٣، حوادث الدهور ١: ٨٨؛ السيوطي : كوكب الروضة ١٠١- ١٠٢؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٢: ٥٤، ٦٢) ، وانظر فيما يلي ٢٤٨، جامع الفَخْر بالروضة .

[1] السيوطي : كوكب الروضة ١٠٠ .

[2] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «محيي الدِّين أحمد ابن الصَّاحِب بَهاء الدِّين علي بن محمد بن سَليم بن حِنَّا ، ماتَ في حَياةِ أبيه لثمانٍ خَلَوْن من شَعْبان سنة اثنين وتسعين وستّ مائة ورثاه البوصيري» . (وانظر فيما يلي ٢: ٢٩٩) .

[3] قارن مع ابن دُقْماق : الانتصار ٤: ١١٥ .

وذكر السُّيوطي أنَّ هذا الجامع أصْبَح يُسَمَّى في وَقْتِه «جامِع الأباريقي» (كوكب الروضة ١٠١) ، وأضافَ علي باشا مبارك أنَّ في زَمَنِه - أي في سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م =

غَـبْن[a] أَحَدُ خُدَّامِ الخَليفَةِ الحاكِم بأمْرِ الله. خَلَعَ عليه في تاسِع رَبيع الآخَر سنة اثنتين وأربع مائةٍ وقَلَّده سَيْفًا، وأَعْطَاهُ سِجِلًّا قُرِئَ فإذا فيه أنَّه لُقِّب بـ «قائِد القُوَّاد»، وأُمِرَ أن يكتب بذلك ويُكاتَب به، ورَكِبَ وبين يَدَيْه عشرة أفْراسٍ بسُروجِها ولُجُمِها[1].

وفي ذي القعدة من السنة المذكورة، أَنْفَذَ إليه الحاكِمُ خمسة آلاف دينار وخمسة وعشرين فَرَسًا بسُرُوجِها ولُجُمِها، وقَلَّدَه الشُّرْطَتَيْن والحِسْبَة بالقاهِرَة ومصر والجيزَة، والنَّظَر في أُمُورِ الجَميع وأمْوالِهم وأحْوالِهم كلِّها، وكَتَب له سِجِلًّا بذلك قُرِئَ بالجَامِع العَتيق. فنَزَلَ إلى الجَامِع ومعه سائِرُ العَسْكَر والخِلَع عليه، وحُمِلَ على فَرَسَيْن. وكان في سِجِلّه مُراعاةُ أَمْرِ النَّبيذ وغيره من المُسْكِرات، وتَتَبُّع ذلك والتَّشْديد فيه، وفي المَنْعِ من عَمَلِ الفُقَّاع وبَيْعه، ومن أَكْل المُلُوخِيَّة والسَّمك الذي لا قِشْرَ له، والمَنْع من الملاهي كلِّها، والتَّقَدُّم بمَنْعِ النِّساءِ من حُضُورِ الجَنائِز والمَنْعِ من بَيْعِ العَسَلِ، وألَّا يَتَجاوَز في بَيْعِه أكثر من ثَلاثَة أرْطالٍ لمَن لا يَسْبق إليه ظَنُّه أن يَتَّخذَ منه مَسْكِرًا. فاسْتَمَرَّ ذلك إلى غُرَّةِ صَفَرَ سنة أربعٍ وأربع مائةٍ، فصُرِفَ عن الشُّرْطَتَيْن والحِسْبَة بمُظَفَّر الصَّقْلبي[b] [2].

---

a) بولاق: عين. b) بولاق: الصقلي.

= – صارَ موضعُه زاويةً صغيرةً بها ضَريحُ الشَّيخ الأباريقي ظاهِرٌ يُزارُ؛ وقد بنى هذه الزَّاوية الأمير علي باشا شريف ابن المرحوم شريف باشا أحد أمراء الدولة المحمدية العلوية. وعندما نَبَشَ هذا الأمير الأرض ليأخُذ منها التُّراب ليَرْفَعَ به أرْض بُسْتانه، وَجَدَ كثيرًا من قِطَع الرُّخام ووَجَدَ حيضانًا مبنية ومجاري وغير ذلك، ممَّا يَدُلُّ على أن جامع غَبْنٍ الأوَّل كان في هذا الموضع؛ وأنَّ ما عُمِّر منه هو الجزء الذي فيه فقط ضَريحُ الأباريقي. وهو الآن زاوية صغيرة بشارع محمد ذو الفقار بالمَنْيَل غرب كوبري الملك الصَّالح. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٨: ١٢؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٢: ١٠٠-١٠١).

[1] غَبْن: «أُسْتاذ الأُسْتاذين قائِد القُوَّاد غَـبْن مَوْلى أمير المُؤمنين الحاكِم بأَمْرِ الله، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطَّاهرين». هكذا وَرَدَت أَلْقَابُه كاملةً على طَبَقٍ من الخَزَف محفوظ بمتحف الفَنّ الإسلامي بالقاهرة (حَسَن الباشا: «طَبَق من الخَزَفِ باسم (غَبْن) مَوْلى الحاكم بأَمْرِ الله»، مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٨ (١٩٥٦)، ٨٤؛ عبد الرؤوف علي يوسف: «طَبَقَ غَبْن والخَزَف الفاطمي المُبَكِّر»، مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٨ (١٩٥٦)، ٨٧-١٠٦؛ وراجع كذلك المسبحي: أخبار مصر ٧٨، يحيى ابن سعيد: تاريخ الأنطاكي ٣٠٩، ٣١٠؛ ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ٦٨؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١١٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٨٩، ٩١، ٩٤، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢).

[2] راجع فيما تقدم ١٣٨-١٤٠ نواهي الحاكم.

فلمَّا كان يوم الاثنين ثامن عشر رَبيعِ الآخر منها ، أَمَرَ بقَطْعِ يديْ كاتِبِه أبي القاسم عليّ ابن أحمد الجَرْجَرائي[a] فقُطِعَتا جَميعًا ؛ وذلك أنَّه كان يَكْتُب عند السَّيِّدَة الشَّرِيفَة أُخْت الحاكِم ، فانتقل من خِدْمَتها إلى خِدْمَة غَبْن[b] خَوْفًا على نفسه من خِدْمَتِها فسَخِطَت لذلك ، فبَعَثَ إليها يَسْتَعْطِفُها ويَذْكُر في رُقْعَتِه شيئًا وَقَفْت عليه ، فارْتابَت منه فظَنَّت أنَّ ذلك حِيلَةً عليها ، وأَنْفَذَت الرُّقْعَةَ في طَيّ رُقْعَتها إلى الحاكِم ، فلمَّا وَقَفَ عليها اشْتَدَّ غَضَبُه ، وأَمَرَ بقَطْعِ يَدَيْه جَميعًا فقُطِعَتا .

وقيل بل كان غَبْنٌ[b] هو الذي يُوَصِّل رِقاعَ عُقَيْل ، صاحِب الخَبَر ، إلى الحاكِم في كلِّ يوم . /فيأخذها من عَقيلٍ وهي مَخْتُومَة بخاتِمَه ، ويَدْفَعُها لكاتِبه أبي القاسِم الجَرْجَرائي[a] حتى يَخْلو له وَجْهُ الحاكِم ، فيأْخذها حينئذٍ من كاتِبه ويُوقفه عليها . وكان الجَرْجَرائي[a] يفكّ الخَتْم ويقرأ الرِّقاع [c]ويُعيدُ خَتْمَها[c]، فلمَّا كان في يومٍ من الأَيَّام فَكَّ رُقْعَةً ، فوَجَدَ فيها طَعْنًا على غَبْن[c] أستاذه وقد ذُكِرَ فيها بسُوءٍ ، فَقَطَعَ ذلك المَوْضِع وأَصْلَحه وأعادَ خَتْم الرُّقْعة . فبَلَغَ ذلك عُقَيْلًا صَاحِب الخَبَر ، فبَعَثَ إلى الحاكِم يَسْتَأْذِنه في الاجْتِماع به خُلْوَةً في أَمْرٍ مهم ، فأَذِن له وحَدَّثه بالخَبَر ، فأَمَرَ حينئذٍ بقَطْعِ يدي الجَرْجَرائي[a] فقُطِعَتا . ثم بعد قَطْعِ يَدَيْه بخمسة عشر يومًا في ثالِث جُمادَىٰ الأُولىٰ ، قُطِعَت يَدُ غَبْن[b] الأخرى . وكان قد أَمَرَ بقَطْعِ يَدِه قبل ذلك بثلاثِ سنين وشهر ، فصارَ مَقْطوعَ اليَدَيْن مَعًا .

ولمَّا قُطِعَت يَدُه حُمِلَت في طَبَقٍ إلى الحاكِم ، فبَعَثَ إليه بالأطباء ، ووَصَلَه بألوفٍ من الذَّهَب وعِدَّةٍ من أسفاطِ ثِياب ، وعادَه جَميعُ أَهْلِ الدَّوْلَة . فلمَّا كان ثالِثَ عشره أَمَرَ بقَطْعِ لِسانِه فقُطِعَ وحُمِلَ إلى الحاكِم ، فسَيَّرَ إليه الأَطِبَّاءَ ، وماتَ بعد ذلك .

جَامِعُ الأَقْرَم

قال ابنُ المُتَوَّج : هذا الجامِعُ بسَفْحِ الرَّصْدِ[1] ، عَمَّرَه الأميرُ عِزُّ الدِّين أَيْبَك بن عبد الله ـ المعروف بالأَقْرَم ـ أَمير جانْدار المَلَكي الصَّالِحِي النَّجْمي ، في شهورِ سنة ثلاثٍ وستين وستّ مائةٍ ، لمَّا عَمَّرَ المَنْظَرَة هناك ، وعَمَّرَ بجوارها رِباطًا للفُقَرَاء وقَرَّرَهم عِدَّة تنعقد بهم الجُمُعَة ، وقَرَّرَ إقامَتَهم

a) بولاق : الجرجاني . b) بولاق : عين . c-c) ساقطة من بولاق .

[1] لذلك يُعْرَف أيضًا بجامِع الرَّصْد (ابن دقماق : الانتصار ٤:٧٨) ، وفيما يلي ٨٠٤.

فيه ليلًا ونَهارًا ، وقَرَّرَ كفايتهم وإعانَتَهم على الإقامَة ، وعَمَّرَ لهم هذا الجَامِع يَشْتَغِلُون به عن السَّعْي إلى غيره . وذَكَرَ أنَّ الأَفْرَم أيضًا عَمَّرَ مَسْجِدًا بجِسْر الشُّعَيْبِيَّة ، في شَعْبان سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائةٍ وجامِعًا هَدَمَ فيه عِدَّة مَساجِد [1] .

الجامِعُ بمُنْشَأة المَهْراني

قال ابنُ المُتَوَّج : والسَّبَبُ في عِمارَة هذا الجَامِع أنَّ القاضي الفَاضِل كان له بُسْتانٌ عَظيمٌ فيما بين مَيْدان اللُّوق وبُسْتان الخَشَّاب [2] الذي أكله البَحْر ، وكان يَميرُ مصر والقاهِرَة من ثِمارِه وأعْنابِه ، ولم تَزَلِ الباعَةُ يُنادون على العِنَب «رَحِمَ الله الفاضِلَ يا عِنَب» إلى مُدَّةٍ سنين عَديدَة بعد أن أكله البَحْر [3] .

وكان قد عَمَّرَ إلى جانِبِه جَامِعًا وبَنَى حَوْلَه ، فسُمِّيَت بمُنْشأةِ الفاضِل ، وكان خَطيبُه أخا الفَقيه مُوَفَّق الدِّين بن المَهْدَوي الدِّيباجي العُثْماني ، وكان قد عَمَّرَ بجوارِه دارًا وبُسْتانًا وغَرَسَ فيه أشْجارًا حَسَنَة . ودَفَعَ إليه فيه ألف دينار مصرية في أوَّلِ الدَّوْلَة الظَّاهِرِيَّة ، وكان الصَّرْفُ قد بَلَغَ في ذلك الوَقْت كلُّ دينارٍ ثمانية وعشرين دِرْهَمًا ونصف دِرْهَم نُقْرَة . فاسْتَوْلَى البَحْرُ على الجَامِع والدَّار والمُنْشأة ، وقَطَعَ جَميع ذلك حتى لم يَبْقَ له أَثَر .

وكان خَطيبُه مُوَفَّق الدِّين يَسْكُن بجوار الصَّاحِب بَهاء الدِّين عليّ بن محمد بن حِنَّا ، ويَتَرَدَّدُ إليه وإلى والِدِه مُحْيِي الدِّين ، فَوَقَفَ وضَرَعَ إليهما وقال : أكُون غُلام هذا الباب ويخرب جامِعي . فرَحِمَه الصَّاحِبُ وقال : السَّمْعُ والطَّاعَة ، يُدَبِّرُ الله . ثم فَكَّرَ في هذه البُقْعَة التي فيها هذا الجَامِع الآن ، وكانت تُعْرَف بالكُوم الأَحْمَر ، مُرْصَدَةً لعَمَلِ أَقْمِنَةِ الطُّوبِ الآجُرّ ، وبه سُمِّيَ[a] بالكُومِ الأَحْمَر .

---

a) بولاق : أقمنة الطوب الآجرية سميت .

---

[1] جامِعُ جِسْر الشُّعَيْبِيَّة عَمَّرَه الأميرُ عزُّ الدِّين أَيْبَك الأَفْرَم في شعبان سنة ثلاث وتسعين وستّ مائة . (ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٨، وانظر فيما تقدم ٣ : ٥٥١، وفيما يلي ٢٠٤) .

[2] حاشية بخَطّ المُؤَلِّف : «مَيْدان اللُّوق هو اليوم على يَسْرَة قَنْطَرَة قَدادار لمن يُريدُ البَحْر من القَنْطَرَة» . «بُسْتانُ الخَشَّاب يُعْرَف موضعه بالمَرِيس» . (وانظر فيما تقدم ٣ : ٣٨٦، ٣٨٨-٣٩٢) .

[3] فيما تقدم ٢ : ١٦٤ .

وكان الصَّاحِبُ فَخْرُ الدِّين محمد بن الصَّاحِب بَهَاء الدِّين عليّ بن محمد بن حِنَّا قد عَمَّر مَنْظَرةً قُبالَة هذا الكُوم[١] - وهي التي صارَت دارَ ابن صَاحِب المَوْصِل [b]وانْتَقَلَت إلى يَد وَرَثَة الملك عَلاء الدِّين ابن صَاحِب المَوْصِل[b] - وكان فَخْرُ الدين كثير الإقامَة فيها مُدَّة الأيَّام المُعِزِّيَّة ، فقَلِقَ من دُخَانِ الأَقْمِنَة التي على الكُوم الأَحْمَر ، وشَكا ذلك لوالِدِه ولصِهْرِه الوَزير شَرَف الدِّين هِبَة الله بن صَاعِد الفائزي . فأَمَرا بتَقْويمه ، فقُوِّمَ ما بين بُسْتَان الحِلِّي وبَحْر النِّيل ، وابْتاعَه الصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّين .

فلمَّا ماتَ وَلَدُه فَخْرُ الدِّين ، وتَحَدَّث مع الملك الظَّاهِر بيْبَرْس في عِمارَة جَامِع هناك ، مَلَّكه هذه القِطْعَة من الأَرْض ، فعَمَّر السُّلْطانُ بها هذا الجَامِع ، ووَقَفَ عليه بقيَّةَ هذه الأَرْض المذكورة في شهر رَمَضان سنة إحدى وسبعين وستّ مائةٍ ، وجَعَلَ النَّظَرَ فيه لأوْلاده وذُرِّيَّتِه ، ثم من بعدهم لقاضي القُضَاة الحَنَفي .

وأَوَّلُ من خَطَبَ فيه الفَقيه مُوَفَّقُ الدِّين محمد بن أبي بكر المَهْدَويّ العُثْماني الدِّيباجي إلى أن توفِّي يوم الأربعاء ثالِث عشرين[c] شَوَّال سنة خمسٍ وثمانين وستّ مائةٍ . وقد تَعَطَّلَت إقامَةُ الجُمُعَة من هذا الجَامِع لخَرَابِ ما حوله وقِلَّةِ السَّاكنين هناك ، بعد أن كانت تلك الخِطَّةُ في غايَة العِمارَة . وكان صَاحِبُنا شَمْسُ الدِّين محمد بن الصَّاحِب قد عَزَمَ على نَقْلِ هذا الجَامِع من مَكانِه ، فاخْتَرَمَتْه المَنِيَّةُ قبل ذلك .

جامع دير الطين

قال ابنُ المُتَوَّج : هذا الجَامِعُ بدَيْر الطِّين في الجَانِب الشَّرْقي عَمَّره الصَّاحِبُ تاجُ الدِّين ابن الصَّاحِب فَخْر الدِّين ، / وَلَدَ الصَّاحِب بَهَاءِ الدِّين المشهور بابن حِنَّا ، في المحرَّم سنة اثنتين وسبعين وستّ مائةٍ . وذلك أنَّه لمَّا عَمَّرَ بُسْتانَ المَعْشُوق ومَناظِره ، وكَثُرَت إقامَتُه بها ، وبَعُدَ عليه الجَامِع - وكان جَامِعُ دَيْرِ الطِّين ضَيِّقًا لا يَسَعُ النَّاس - فعَمَّرَ هذا الجَامِع وعَمَّرَ فوقه طَبَقَةً يُصَلِّي فيها .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : عشر .

---

[١] حاشية بخط المؤلِّف : «هذه المنظرة هي الدُّور التي في الخُطِّ الذي يُقالُ له اليوم بَيْنَ الزُّقاقَيْن ، ومنه يَسْلُكُ من يُريدُ مصر والجامِع الجَديد» .

ويَعْتَكِفُ إذا شاءَ ويَخْلُو بنفسه فيها . وكان ماءُ النِّيل في زَمَنِه يَصل إلى جِدارِ هذا الجَامِع [وهو مُطِلٌّ على بِرْكة الحَبَش][a] [1] .

ووَلِيَ خَطابَتَه الفَقيهُ جَمالُ الدِّين محمد ابن الماشِطَة ، ومَنَعَه من لِبْسِ السَّواد لأداءِ الخُطْبَة فاسْتَمَرَّ إلى حين وَفاتِه في عاشِر رَجَبَ سنة تسعٍ وسبع مائة . وأوَّلُ خُطْبَةٍ أُقيمَت فيه يوم الجُمُعَة سابع صَفَرَ سنة اثنتين وسبعين وستّ مائة . وقد ذَكَرْتُ تَرْجَمَةَ الصَّاحِبِ تاجِ الدِّين عند ذِكْر رِباطِ الآثارِ من هذا الكِتاب [2] .

فخر الدين ابن حنّا

محمد بن عليّ بن محمد بن سَليم بن حِنَّا ـ أبو عبد الله الوَزير الصَّاحِب فَخْر الدِّين ابن الوَزير الصَّاحِب بَهاء الدِّين . وُلِدَ في سنة اثنتين وعشرين وستّ مائةٍ ، وتَزَوَّجَ بابنة الوَزير الصَّاحِب شَرَفِ الدِّين هِبَة الله بن صَاعِد الفائِزي ، ونابَ عن والِده في الوَزارَة ، ووَلِيَ دِيوانَ الأَحْباسِ ووَزارَة الصُّحْبَة في الأَيَّامِ الظَّاهِرية بَيْبَرْس [3] .

وسَمِعَ الحَدِيثَ بالقاهِرَة ودِمَشْق وحَدَّث ، وله شِعْرٌ جيِّدٌ ، ودَرَّسَ بمَدرسَةِ أبيه الصَّاحِب بَهاء الدِّين التي كانت في زُقاقِ القَناديل بمصر . وكان مُحِبًّا لأَهْلِ الخَيْرِ والصَّلاح ، مُؤْثِرًا لهم ، مُتَفَقِّدًا لأَحْوالِهم . وعَمَّرَ رِباطًا حَسَنًا بالقَرافَةِ الكبرىٰ رَتَّبَ فيه جَماعَةً من الفُقَراء .

ومن غَريبِ ما يَتَّعِظُ به الأَريبُ أنَّ الوَزيرَ الصَّاحِبَ زَيْنَ الدِّين يَعْقُوب بن عبد الرَّفيع بن الزُّبَيْر ـ الذي كان بنو حِنَّا يُعادونه وعنه أَخَذوا الوَزارة ـ ماتَ في ثالِث عَشَرَ رَبيعِ الآخر سنة ثمانٍ وستين وستّ مائةٍ بالسِّجْن ، فأُخْرِجَ كما تَخْرُجُ الأمْواتُ الطُّرَحاءُ على الطُّرُقات من الغُرَباءِ ، ولم يُشَيِّع جَنازَتَه أَحَدٌ من النَّاسِ مُراعاةً للصَّاحِبِ بن حِنَّا .

وكان فَخْرُ الدِّين هذا يَتَنَزَّهُ في أيَّامِ الرَّبيع بمُنْيَة القائِد ـ وقد نُصِبَت له الخِيامُ ، وأُقيمَت المطابِخُ ، وبين يَدَيْه المُطْرِبُون ـ فَدَخَلَ عليه البَشيرُ بمَوْتِ الوَزير يَعْقُوب بن الزُّبَيْر ، وأنَّه أُخْرِجَ إلى المقابِر من

---

a) زيادة من ابن دقماق .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٨، وسماه «الجامع التاجي بدير الطين» .

[2] فيما يلي ٨٠٢- ٨٠٤.

[3] ضَبطَ المقريزي اسمه في المقفى بالعبارة : سَليم ، بفتح السين المهملة وكسر اللام ، وحِنَّا بحاءٍ مهملة مكسورة بعدها نون مشدَّدة مفتوحة . (المقريزي : المقفى ٦: ٣٣٤) . وانظر ترجمة الوزير الصَّاحِب فَخْر الدِّين محمد بن الوزير الصَّاحِب بهاء الدِّين ابن حِنَّا ، المتوفى سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م ، عند الصفدي : الوافي بالوفيات ٤: ١٨٥- ١٨٦؛ المقريزي : المقفى الكبير ٦: ٣٣٤- ٣٣٦.

غير أن يُشَيِّعَ جَنازَتَه أحَدٌ من النَّاس . فسُرَّ بذلك ولم يَتَمالَك نفسه . وأَمَرَ المُطْربين فغَنَّوه ، ثم قامَ على رِجْلَيْه ورَقَصَ هو وسَائِرُ من حَضَرَه وأظهر من الفَرَحِ والخَلاعَةِ ما خَرَجَ به عن الحَدِّ ، وخَلَعَ على البَشير بمَوْتِ المذكورِ خِلَعًا سَنِيَّة .

فلم يَمْضِ على ذلك سوى أقلّ من أربعة أشهر ، وماتَ في حادي عشرين شَعْبان من السنة المذكورة ففُجِعَ به أبوه ، وكانت له جَنازَةٌ عَظيمَةٌ . ولمَّا دُلِّيَ في لَحْدِه ، قامَ شَرَفُ الدِّين محمد ابن سَعيد البُوصيري ـ صاحِب البُرْدَة ـ في ذلك الجَمْعِ المَوْفُورِ بتُرْبَةِ ابن حِنَّا من القَرافَةِ ، وأَنْشَدَ [١] :

[الخفيف]

نَمْ هنيئًا محمَّد بن عليٍّ ... بجميلٍ قَدَّمْتَ بين يَدَيْكا
لم تَزَلْ عَوْنَنا على الدَّهْرِ حتَّى ... غَلَبَتْنا[a] يَدُ المَنُونِ عَلَيْكا
أنت أَحْسَنْتَ في الحَياةِ إلينا ... أَحْسَنَ الله في المَماتِ إِلَيْكا

فتباكَى النَّاسُ وكان لها مَحَلٌّ كبيرٌ ممَّن حَضَرَ ، رَحْمَةُ الله عليهم أجمعين .

وفي هذا الجامِعِ يقُولُ السِّراجُ الوَرَّاقُ [٢] :

[الطويل]

بَنَيْتُم على تَقْوَى من الله مَسْجِدًا ... وخَيْرُ مَباني العابِدين المساجِدُ
فقُلْ في طِرازٍ مُعَلَّمٍ فَوْقَ بِرْكَةٍ ... على حُسْنِها الزَّاهي لها البَحْرُ حاسِدُ
لها حُلَلٌ شَتَّى[b] ولكنَّ طِرازَها ... من الجامِعِ المعمورِ بالله واحِدُ
هو الجامِعُ الإحْسان والحُسْن والذي ... أَقَرَّ لـه زَيْـدٌ وعَـمْـرو وخـالِـدُ
وقد صافَحَت شُهُبُ الدُّجى شُرُفاتِه ... فما هي بين الشُّهْـبِ إلَّا فَراقِدُ
وقد أَرْشَدَ الضُّلَّالَ عالي مَنارِه ... فلا حائِرٌ عنه ولا عنه حائِدُ
ونالَت نَواقيسَ الدِّياراتِ وَجْمَةٌ ... وَخَوْفٌ فلم يُمْدِد إليهن ساعِدُ

a) البيت في الوافي : كنت عَوْنًا لنا على الدَّهْر حتى حَشَدَتنا . b) بولاق : حسنى .

[١] ديوان البوصيري ، نَشْر محمد سيد الكيلاني ، القاهرة ١٩٥٥ ، ٢٣٢ .

[٢] سِراجُ الدِّين أبو حَفْص عمر بن محمد بن حسن الوَرَّاق الشَّاعر ، المتوفى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م بسويقة وَرْدان بالقاهرة ، راجع ترجمته عند ، ابن شاكر : فوات الوفيات ٣ : ١٤٠-١٤٦؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١ : ١٨٧؛ الصقاعي : تالي كتاب وفيات الأعيان ١١٧؛ العيني : عقد الجمان ٣ : ٣٣١؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٨٣-٨٤، المنهل الصافي ٨ : ٣١٦-٣١٩ .

فتبْكي عليهن البَطاريقُ في الدُّجى ... وهُنَّ لديهم مُلْقَيات كواسِدُ
بذا قَضَتِ الأيَّامُ ما بين أهْلِها ... مَصائِبُ قَوْمٍ عند قَوْمٍ فَوائِدُ

جامعُ الظَّاهِر

[أثر رقم ١]

هذا الجامِعُ خارج القاهِرَة وكان مَوْضِعُه مَيدانًا، فأنشأه الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري جامِعًا [1]. قال جَامِعُ «السِّيرَة الظَّاهِرِيَّة» [a]ومنها نقلت[a]: «في شهر[b] ربيع الآخر -

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) ساقطة من بولاق.

[1] جامِعُ الظَّاهِر. يقَعُ في مَيدانِ الظَّاهِر إلى الشَّمالِ الغَرْبي من سُورِ القاهِرَة الشَّمالي خارج باب الفُتُوح. يُعَدُّ من أكبر جَوامِع القاهِرَة مِساحةً حيث تبلغ مساحته نحو ثلاثة أفْدِنَة (١١٨٨٠ مترًا مربعًا). وهو أوَّلُ الجَوامِع المملوكية بالقاهِرَة. (راجع عن تاريخ بنائه ووَصْفِه وتَخْطيطِه وعمارته، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٢-٢٧٣؛ النويري: نهاية الأرب ٣٠: ١٣٣-١٣٤؛ ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر ٨: ١٢٣، المقريزي: السلوك ١: ٥٥٦؛ العيني: عقد الجمان ١: ٤٠٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٦١هـ[2]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ١٠١، ١٠٣-١٠٤؛ محمد عبد العزيز مرزوق: «جامع الظَّاهر بيبرس البُنْدُقْداري»، المجلة التاريخية المصرية ٣ (مايو ١٩٥٠)، ٩١-١٠٢؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٣٢-٣٧؛ Creswell, K.A.C., «The Works of the Sultan Bibars al-Bunduqdari in Egypt», *BIFAO* XXVI (1926), pp. 154-67; id., *MAE* II, pp. 155-61; Bloom, J.M., «The Mosque of Baybars al-Bunduqdârâ in Cairo», *An.Isl.* XVIII (1982), pp. 45-78؛ سامح عبد الرحمن فهمي: «جامع الظاهر بيبرس – دراسة معمارية وفنية»، دراسات آثارية إسلامية ٣ (١٩٨٨)، ٩٩-١٦٠؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٣٩-٥٥).

ويَدُلُّ على تاريخ بناء هذا الجامع ثلاثةُ كِتاباتٍ تاريخية – تحمل تقريبًا نصًّا واحدًا – تُوجَد على كلٍّ من أبوابِ الجامِع الثلاثة: الشَّمالي والغَرْبي والجَنُوبي، وفيما يلي الكتابة الموجودة على الباب الغربي للجامع وهي خمسة أسطر من النَّسْخ المملوكي، نَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم – الآية ١٨ سورة التوبة – أمَرَ بإنشاء هذا الجامع المبارَك مَوْلانا السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدُّنْيا والدِّين سُلْطان الإسلام والمسلمين صاحِب القِبْلَتَيْن الآمِر بِبَيْعَة الخَليفَتَيْن خادِم الحَرَمَيْن الشَّريفَيْن أبو الفَتْح بَيْبَرْس الصَّالحي قسيم أمير المؤمنين خَلَّدَ الله مُلْكَه، وذلك بتأريخ الرابع عشر من رَبيع الآخِر سنة خمسٍ وستين وستّ مائة» (van Berchem, M., *CIA* Egypt I, n° 7678; Wiet, G., *RCEA* XII n^os 4563-65).

وتعطَّلَت إقامَةُ الشَّعائِر في هذا الجامِع منذ أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، بسبب شَغْله وتَعَذُّر الصَّرْفِ عليه (مثل ما حَدَثَ مع جامِع ابن طُولُون، فيما تقدم ٥٩-٦٠)، ووجوده نسبيًّا خارج المدينة. وتَخَرَّبَ مع الزَّمَن وسَقَطَت قُبَّتُه الكبيرة التي كانت فَوْقَ إيوان =

يعني سنة خمس وستين وستّ مائة ـ اهْتَمَّ السُّلْطانُ بعِمارَة جَامِعٍ بالحُسَيْنِيَّة ، وسَيَّرَ الأتابَك فارِس الدِّين أقْطَاي المستعرب والصَّاحِب فَخْر الدِّين محمد بن الصَّاحِب بَهَاء الدِّين عليّ بن حنَّا وجَمَاعَةً من المهندسين لكَشْفِ مَكانٍ يليق أن يُعْمَل جَامِعًا . فتَوَجَّهوا لذلك واتَّفَقوا على مُناخِ الجِمال السُّلْطانية ، فقال السُّلْطانُ : / لا والله لا جَعَلْتُ الجَامِعَ مَكانَ الجِمال ، وأولى ما جَعَلْته مَيْداني الذي أَلْعَبُ فيه بالكُرَة وهو نُزْهَتي .

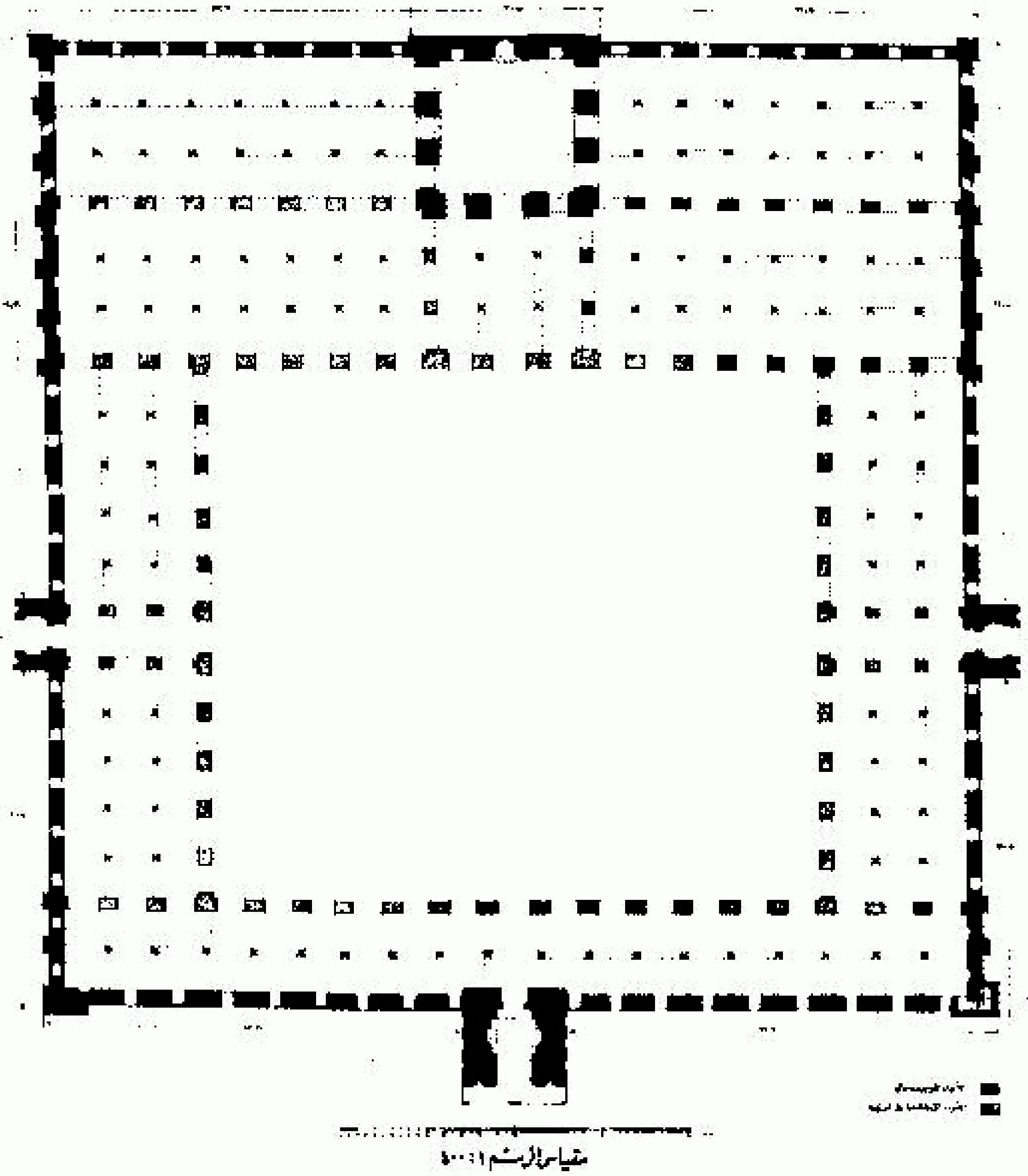
فلمَّا كان يومُ الخميس ثامِن شهر رَبيعٍ الآخَر رَكِبَ السُّلْطانُ وصُحْبتُه خَواصُّه ووزيرُه الصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّين عليّ بن حِنَّا القُضَاة والأئمةُ[a]، ونَزَلَ إلى مَيْدانِ قَراقُوش ، وتَحَدَّثَ في أمْرِه وقاسَه ورتَّبَ أمُورَه وأمُورَ بِنائِه ، ورَسَم بأن يكون بقية المَيْدان وَقْفًا على الجَامِع يُحْكَر ، ورَسَمَ بين يَدَيْه هيئة الجَامِع ، وأشارَ أن يكون بابُه مثل باب المَدْرَسَة الظَّاهِرِيَّة ، وأن يكون على مِحْرابِه قُبَّةٌ على قَدْرِ قُبَّة الشَّافِعِيّ ـ رحمة الله عليه[b].

وكَتَبَ في وَقْتِه الكُتُب إلى البلاد بإحْضَارِ العُمُدِ الرُّخامِ الكِبار[c] من سَائِر البِلاد ، وكَتَبَ بإحْضَار الجِمال والجَواميس والأبْقار والدَّواب من سَائِر الولايات ، وكَتَبَ بإحْضَارِ الآلات من الحَديد والأخْشَاب النَّقِيَّة برَسْمِ الأبْوابِ والسُّقُوفِ وغيرها .

---

a) بولاق : الوزير . b) المُسَوَّدَة : رضي الله عنه . c) بولاق : عُمُد رخام .

= المِحْراب ، ثم سَقَطَت مئذنته ، ولم يَبْق منه إلَّا جُدْرانُه الخارجية المبنية بالحجر النحيت . وجُعِلَ الجَامِعُ في العَصْر العُثْماني مَخْزَنًا للمهمَّات الحربية كالخيام والسُّروج ، واسْتَخْدَمَه الفرنسيون زَمَن الحملة كقلعةٍ وثُكْنَة للجُنُود (الجبرتي : عجائب الآثار ٣ : ٥٦) ، ثم جُعِلَ مخبزًا للجراية ومَعْمَلًا للصَّابون في زَمَن محمد علي باشا ، وجَعَلَه الإنجليز زَمَن الاحْتلال البريطاني مَذْبَحًا للجيش الإنجليزي وبَطُلَ الذَّبْحُ فيه سنة ١٩١٥م ، وهذا سَبَبُ اشتهاره باسم «مَذْبَح الإنجليز» . وفي سنة ١٩١٨م غَرَسَت مصلحةُ التَّنْظيم أرْضَ صَحْنِ الجَامِع وجعلته مُتَنَزَّهًا عامًا . وعَمَّرت لجنةُ حِفْظ الآثار العربية في سنة ١٩٢٨م الجزء الواقع عند المِحْراب وجَعَلَته مُصَلًّى ، وأصبح الدُّخول لأداءِ الصَّلاة من حائط القِبْلَة . وتجري به الآن بِعْثَةٌ أمريكية بعضَ أعْمالِ التَّرْميم والإصْلاح .



مُخطَّط جامع الظاهر بيبرس (عن اللجنة)

ثم تَوَجَّه لزيارَةِ الشَّيخ الصَّالِح خِضْر[1] بالمكان الذي أنشأه له، وصَلَّى الظُّهْرَ هناك، ثم تَوَجَّه إلى المَدْرَسَةِ بالقاهِرَة فدَخَلَ إليها[a] والفُقَهاءُ والقُرّاءُ على حَالِهم، وجَلَسَ بينهم ثم تَحَدَّث وقال: هذا مَكانٌ قد جَعَلْته لله عَزّ وجَلّ، وخَرَجْتُ عنه، فبالله[b] إذا مُتُّ لا تَدْفِنوني هنا، ولا تُغَيِّروا مَعالِمَ هذا المكان، فقد خَرَجْتُ عنه لله تعالى. ثم قامَ من إيوانِ الحَنَفِيّة وجَلَسَ بالمِحْراب في إيوانِ الشّافِعِيّة وتَحَدَّثَ وسَمِعَ القُرْآنَ والدُّعاء ورأى جَميعَ الأماكِن، ودَخَلَ إلى قاعَةِ وَلَدِه الملك السَّعيد المبنية قَريبًا منها، ثم رَكِبَ إلى قَلْعَتِه[c]، وولَّى عِدَّةَ مُشِدِّين على عِمارَةِ الجَامِع[2].

---

a) بولاق والنسخ: فدخلها، والمُثْبت من المُسَوَّدة. b) بولاق: وقفًا لله. c) بولاق: قلعة الجبل.

---

[1] راجع أخبار الشيخ الصَّالح خِضْر المِهْراني، فيما يلي ٨٠٦– ٨٠٨.

[2] وَرَدَ هذا النّصُّ في غاية الاخْتِصار عند ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٢– ٢٧٣، وهو ما يَدُلُّ على أنّ نُسْخَة «الروض الزاهر» التي اعتمد عليها المقريزي أتمّ من النُّسْخَة التي وَصَلَت إلينا من الكتاب (فيما تقدم ٣: ٧١ه)؛ وانظر كذلك، النويري: نهاية الأرب ٣٠: ١٣٣– ١٣٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ١٢٣؛ المقريزي: السلوك =

وكان إلى جانِبِ المَيدانِ قاعَةٌ ومَنْظَرَةٌ عَظيمَةٌ بَناها السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ. فلمَّا رَسَمَ بِناء هذا[a] الجَامِع طَلَبَها الأميرُ سَيْفُ الدِّين قُشْتَمُر العَجَمي من السُّلْطان فقال: الأرْضُ قد خَرَجْتُ عنها لهذا الجَامِع فاستأجرها من ديوانه، والبِناءُ والأصْنافُ وَهَبْتك إيَّاها، وشَرَعَ في العِمارَة في منتصف جُمادَى الآخرة منها.

وفي أوَّلِ جُمادَى الآخرة سنة ستٍّ وستين وستّ مائةٍ، سارَ السُّلْطانُ من الدِّيار المصرية[b] يريدُ بِلادَ الشَّام، فنَزَلَ على مَدينَة يافا وتَسَلَّمَها من الفِرنْج بأمانٍ في يوم الأربعاء العشرين من جُمادَى الآخرة المذكور، وسَيَّر أهْلَها فتفرَّقوا في البلاد، وشَرَعَ في هَدْمِها، وقَسَّمَ أبْراجَها على الأُمَراءِ، فابتدأ في ذلك من ثاني عشرينه، وقاسَوا شِدَّةً في هَدْمِها لحَصانَتِها وقُوَّة بِنائِها، لا سيَّما القَلْعَة فإنَّها كانت حَصينَةً عاليةَ الارْتفاع، ولها أساساتٌ إلى الأرْض الحقيقية.

وباشَرَ السُّلْطانُ الهَدْمَ بنفسه وبخَواصِّه ومَماليكه، حتى غِلْمان البُيُوتات التي له. وكان ابْتِداءُ هَدْمِ القَلْعَة في سابع عشرينه، ونُقِضَت من أعْلاها ونُظِّفَت زَلَّاقَتُها واسْتَمَرَّ الاجْتِهادُ[c] في ذلك ليلًا ونَهارًا، وأخَذَ من أخْشابِها جملةً. ومن ألْواحِ الرُّخام التي وُجِدَت فيها، وأوْسَق منها[d] مَرْكِبًا من المراكِب التي وُجِدَت في يافا، وسَيَّرَها إلى القاهِرَة، ورَسَمَ بأن يُعْمَل من ذلك الخَشَبِ مَقْصورَةٌ في الجَامِع الظَّاهِري بالمَيْدان من بالحُسَينِيَّة، والرُّخامُ يُعْمَل بالمِحْراب، فاسْتُعْمِلَ كذلك[1].

ولمَّا عادَ السُّلْطانُ إلى مصر في حادي عشر[e] ذي الحجَّة منها ـ وقد فَتَحَ في هذه السَّفْرَة يافا وطَرابُلُس وأنْطاكية وغيرها ـ أقامَ إلى أن أهَلَّت سنة سبعٍ وستين وستّ مائةٍ، فلمَّا كَمُلَت عِمارَةُ الجَامِع في شَوَّالٍ منها رَكِبَ السُّلْطانُ، ونَزَلَ إلى الجَامِع وشاهَدَه، فرآه في غايَةِ ما يكون من الحُسْنِ، وأعْجَبَه نَجازَه في أقْرَبِ وَقْتٍ ومُدَّةٍ مع عُلُوِّ الهِمَّة. فخَلَعَ على مُباشِريه ـ وكان الذي تَوَلَّى بِناءَه الصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّين بن حِنَّا، والأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر المَسْرُوري[f] مُتَوَلِّي القاهِرَة ـ

---

a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) بولاق: ديار مصر. c) بولاق: الأجناد. d) بولاق: ووسق منها. e) بولاق: حادي عشري. f) بولاق: السروري.

= ١: ٥٥٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٦١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٣١.

[1] بعد ذلك في المُسَوَّدَة حديثٌ عن تاريخ يافا ومَنْ فتحها.

[2] آخر الموجود في المُسَوَّدَة.

وزارَ الشَّيخَ خِضْرًا (a وجَلَسَ عنده ساعةً a)، وعادَ إلى قَلْعَتِه [1].

وفي شَوَّالَ منها تَمَّت عِمارَةُ الجامِعِ الظَّاهِري، ورَتَّبَ به خَطيبًا حَنَفيَّ المَذْهَب، ووَقَفَ عليه حِكْرَ ما بقي من أرْضِ المَيْدان، ونَزَلَ السُّلْطانُ إليه، ورَتَّبَ أوْقافَه، ونَظَرَ في أُمُوره.

الظَّاهِر بَيْبَرس

الملِكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين البُنْدُقْداري [2] ـ أَحَدُ المماليك البَحْرِيَّة الذين اخْتَصَّ بهم السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب ابن الملك الكامِل محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب، وأسْكَنَهم قَلْعَةَ الرَّوْضَة. كان أوَّلًا من مَماليك الأَمير عَلاء الدِّين أيْدَكين

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدة.

---

[1] السُّلْطان الملك الظَّاهِر بيبرس البُنْدُقْداري الصَّالِحي، المُؤَسِّسُ الحقيق للدَّوْلَة التركية في مصر والشَّام (دَوْلَة المماليك البَحْرية). كُتِبَ الكثيرُ في سيرته من معاصريه ومن المتأخِّرين، كما خَلَّدَ الأَدَبُ الشَّعْبي سيرته وظَلَّت تُتَداول في روايتين مصرية وشامية حتى وَقْتِنا الحاضر.

راجع، ابن عبد الظاهر: الرَّوْض الزاهر في سيرة الملك الظَّاهِر، تحقيق ونَشْر عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦ (ونَشَرَت فاطمة صادق نَصًّا مُخْتَصَرًا لهذه السِّيرَة مع ترجمة إنجليزية Fatima Sadeque, *Baybars I of Egypt*, Dacca 1956)؛ ابن شَدَّاد: تاريخ الملك الظَّاهِر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت ١٩٨٤؛ شافع ابن علي: المناقب السَّرية المنتزعة من السِّيرَة الظَّاهِرية، مخطوط في المكتبة الوطنية بباريس برقم ar. 1707 (Holt, P. M., «Some Observations on Shâfiʿ b. Ali's Biography of Baybars», *JSS* 23 (1984), pp. 123-30)؛ وانظر كذلك بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٥٥- ١٦٢؛ النويري: نهاية الأرب ٣٠: ١٣- ٣٦٨؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ٦١- ٢١٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ٣٢٩- ٣٤٨؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧: ١- ٩٢؛ المقريزي: السلوك ١: ٤٣٦- ٦٤١، الذهب المسبوك ٨٥- ٩٥؛ العيني: عقد الجمان ١: ٢٦١- ٤٣٢، ٢: ٥- ١٨٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٩٤- ٢٥٨، المنهل الصافي ٣: ٤٤٧- ٤٦٧؛ وأيضًا: سيرة الظَّاهِر بيبرس (السيرة الشَّعْبية - الرواية المصرية)، القاهرة - مكتبة صبيح ١٩٦٠ في خمسين مجلَّدًا)، سيرة الملك الظَّاهِر بيبرص (كذا) حسب الرواية الشامية ١- ٢، حققها وعلَّق عليها جورج بوهاس وكاتيا زخريا، دمشق - المعهد الفرنسي للدراسات العربية ٢٠٠٠-٢٠٠١م. وانظر كذلك، Paret, R., *EI*[2] art. *Sirat Baybars* I, pp. 1160-61.

ومن الدِّراسات الحديثة، محمد جمال الدِّين سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، القاهرة ١٩٣٨ (أعادَ نشره بعنوان: دَوْلَة الظاهر بيبرس في مصر، القاهرة ١٩٦٠)؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس، أعلام العرب ١٤، القاهرة ١٩٦٣؛ عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، الرياض ١٩٧٦؛ Khowaitir, A.A., *Baibars the First : His Endevours and Achievements*, London 1978; Holt, P. M., «Three Biographies of al-Zâhir Baybars» in *Medieval Historical Writing in the Christian and Islamic Works*, D.O. Morgan (ed.), London 1982, pp. 19-29؛ قاسم عبده قاسم: «السِّيرَة الشعبية مصدرًا لدراسة التاريخ الاجتماعي: قراءة في سيرة الظاهر بيبرس»، بين الأدب والتاريخ، القاهرة - دار الفكر للدراسات والنشر -

البُنْدُقْداري . فلمَّا سَخِطَ عليه الملكُ الصَّالِح أَخَذَ مماليكه ـ ومنهم الأَمير بَيْبَرْس هذا ـ وذلك في سنة أربع وأربعين وستّ مائةٍ وقَدَّمَه على طائِفَةٍ من الجَمْدارية . وما زال يترقَّى في الخِدَم إلى أن قَتَلَ المُعِزُّ أَيْبَك التُّرْكُماني الفارس أَقْطاي الجَمْدار في شَعْبان سنة اثنتين وخمسين وستّ مائةٍ ، وكانتِ البَحْرِيَّةُ قد انْحازت إليه ، فرَكِبُوا في نَحْو السبع مائة [a]وقَصَدُوا قَلْعَةَ الجَبَل[b]، فلمَّا أُلْقِيَت إليهم رأْسُ أَقْطاي تَفَرَّقوا ، واتَّفَقُوا على الخُروج إلى الشَّامِ ـ وكانت أَعْيانُهم يومئذٍ بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، وقَلاوون الأَلْفي ، وسُنْقُر الأَشْقَر ، وبَيْسَري ، وسكز وبَرامِق[c] ـ فساروا إلى الملك النَّاصِر صاحِب الشَّام[1] .

ولم يَزَلْ بَيْبَرْس ببلاد الشَّام إلى أن قُتِلَ المُعِزُّ أَيْبَك ، وقامَ من بعده ابنه المَنْصور عليّ ، وقَبَضَ عليه نائِبُه الأميرُ سَيْفُ الدِّين قُطُز ، وجَلَسَ على تَخْتِ المملكة ، وتَلَقَّبَ بـ «الملك المُظَفَّر» ، قَدِمَ عليه بَيْبَرْس ، فأَمَّرَه المُظَفَّرُ قُطُز . ولمَّا خَرَجَ قُطُزُ إلى مُلاقاةِ التَّتار [a]جَعَلَ الأمير بَيْبَرْس على مُقَدِّمَته ومعه البَحْرِيَّةُ فواقَعَ التَّتار[a]، وكان ما كان من نُصْرَته عليهم ودَخَلَ إلى دِمَشْق ، فوُشِيَ إليه بأنَّ الأَمير بَيْبَرْس قد تَنَكَّرَ له وتَغَيَّرَ عليه ، وأنَّه عازِمٌ على القيام بالحَرْب .

فأَسْرَعَ قُطُزُ بالخُروج من دِمَشْق إلى جِهَةِ مصر وهو مُضْمِرٌ لبَيْبَرْس السُّوء ، وعَلِمَ بذلك خَواصُّه . فبَلَغَ ذلك بَيْبَرْس ، / فاسْتَوْحَشَ من قُطُز ، وأَخَذَ كلٌّ منهما يَحْتَرِس من الآخَر على نفسه ، ويَنْتَظِر الفُرْصَة . فبادَرَ بَيْبَرْس وواعَدَ الأمير سَيْفَ الدِّين بَلَبان

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : ترامق . c) بولاق : رحل .

Thorau, P., *Sultan* ١٩٨٦، ١٣٧-١٥٦؛ = *Baibars I von Ägypten Ein Beitrag zur Geschchte des Vorderen Orients im 13 Jahrhundert*, Wiesbaden 1987 (نقله إلى الإنجليزية P. M. Holt بعنوان Thorau, P., *The Lion of Egypt. Sultan Baybars I and the Near East in the Thirteenth Century*, London & New York - Longman 1992)؛ محمود شلبي : حياة الملك الظاهر بيبرس، بيروت – دار الجيل ١٩٩٢؛ Sublet, J., *Les trois vies du sultan Baibars : Choix des textes et présentation*, Paris 1992; Reuven, A., «The Mamluk Officer Class during the Reign of Sultan Baybars», in *War and Society in the Eastern Mediterranean, 7th - 15th Centuries*, Yaacov Lev (ed.), Leiden 1997, pp. 267-300; Broadbridge, A.F., «Mamluk Legitimacy and the Mongols : The Reigns of Baybars and Qalâwûn», *MSR* V (2001), pp. 91-118; Elbendary, A.A., «The Sultan, the Tyrant and the Hero : Changing Medieval Perceptions of al-Zahir Baybars», *MSR* V (2001), pp. 141-57.

[1] انظر فيما تقدم ٢ : ٢٨١-٢٨٢ .

الرَّشيدي، [a]والأمير سَيْف الدِّين بَهادُر المُعِزّي، والأمير بَدْر الدِّين بَكتُوت الجُوكَنْدار[a] والأمير سَيْفَ الدِّين بَيْدَغان الرُّكْني ـ المعروف بسُمّ المَوْت ـ والأمير سَيْفَ الدِّين بَلَبَان الهاروني والأمير بَدْر الدِّين آنَصُ الأَصْبَهاني. فلمَّا قَرُبوا في مَسيرهم من القُصَيْر[b] بين الصَّالِحِيَّة والسَّعيديَّة عند القُرَيْن، انْحَرَفَ قُطُزُ عن الدَّرْبِ للصَّيْد، فلمَّا قَضَى منه وَطَرَه وعادَ ـ والأميرَ بَيْبَرْس يُسايره هو وأصحابُه ـ طَلَبَ بَيْبَرْس منه امْرأةً من سَبْي التَّتار، فأَنْعَم عليه بها فتَقَدَّم لِيُقَبِّل يده ـ وكانت إشارةً بينه وبين أصْحابِه ـ فعندما رأوا بَيْبَرْس قد قَبَضَ على يَدِ السُّلْطان المُظَفَّر قُطُز، بادَرَ الأميرُ بَكْتوت الجُوكَنْدار وضَرَبَه بسَيْفٍ على عاتِقِه أبانَه، واخْتَطَفَه الأميرُ آنَص وألْقاه عن فَرَسِه إلى الأرْض، ورَماهُ بهادُر المُعِزّي[c] بسَهْمٍ قَتَلَه[d]، وذلك يوم السبت خامِس عشر ذي القعدة سنة ثمانٍ وخمسين وستّ مائةٍ.

ومَضَوْا إلى الدِّهْليز للمَشْورَة، فوَقَعَ الاتِّفاقُ على الأمير بَيْبَرْس، فتَقَدَّم إليه أقْطَاي المُسْتَعْرِب الجَمَدار ـ المعروف بالأتابَك ـ وبايَعَه وحَلَفَ له، ثم بقيَّةُ الأُمَراء، وتَلَقَّب بـ «الملك الظَّـاهر» وذلك بمنزلَةِ القُصَيْر. فلمَّا تَمَّت البَيْعَةُ وحَلَفَ الأُمَراءُ كلُّهم، قال له الأميرُ أقْطاي المُسْتَعْرِب: يا خَوَنْد لا يتمَ لك أَمْرٌ إلَّا بعد دُخُولِك إلى القاهِرَة وطُلوعِكَ إلى القَلْعَة.

فرَكِبَ من وَقْتِه ومعه الأميرُ قَلاوون، والأمير بَلَبان الرَّشيدي، والأمير بَيْلَبَك الخازِنْدار وجَماعَةٌ يُريدُون قَلْعَة الجَبَل. فلَقيهُم في طَريقِهم الأميرُ عِزُّ الدِّين أَيْدَمُر الحَلَبي، نائِب الغَيْبَة عن المُظَفَّري قُطُز، وقد خَرَجَ لتَلَقّيه. فأخْبَرُوه بما جَرَى وحَلَّفُوه، فتَقَدَّمهم إلى القَلْعَةِ، ووَقَفَ على بابِها حتى وَصَلوا في اللَّيْل، فَدَخَلوا إليها.

وكانت القاهِرَةُ قد زُيِّنَت لقُدُومِ السُّلْطانِ الملك المُظَفَّر قُطُز، وفَرِحَ النَّاسُ بكَسْر التَّتار وعَوْدِ السُّلْطان فما راعَهم، وقد طَلَعَ النَّهارُ، إلَّا والمَشاعِلي يُنادي: مَعاشِرَ النَّاسِ تَرَحَّمُوا على الملك المُظَفَّر، وادْعُوا لسُلْطانِكم الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس. فدَخَلَ على النَّاسِ من ذلك غَمٌّ شَديدٌ ووَجَلٌ عَظيمٌ، خَوْفًا من عَوْدِ البَحْرِيَّة إلى ما كانوا عليه من الجَوْرِ والفَسادِ وظُلْمِ النَّاس.

فأوَّلُ ما بَدأ به الظَّاهِرُ أنَّه أَبْطَلَ ما كان قُطُز أَحْدَثَه من المظالِم عند سَفَرِه ـ وهو تَصْقيعُ الأَمْلاكِ وتَقْويمُها، وأَخْذ زَكاةِ ثَمَنِها في كلِّ سنة، وجِباية دينارٍ من كلِّ إنسانٍ، وأَخْذ ثُلُث التَّرِك الأَهلية ـ فبَلَغَ ذلك في السنة ستّ مائة ألف دينار. وكَتَبَ بذلك مَسْمُوحًا قُرِئَ على المنابِر في صَبيحَة

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: القصر. c) بولاق: المغربي. d) بولاق: فقتله.

دُخُولِه إلى القَلْعَة ، وهو يوم الأحد سادِس عَشَر ذي القعدة المذكور . وجَلَسَ بالإيوان وحَلَّفَ العَساكِر ، واسْتَنابَ الأمير بَدْر الدِّين بَيْلَبَك الخازِنْدار بالدِّيار المصرية . واسْتَقَرَّ بالأمير[a] فارِسِ الدِّين أقْطاي المُسْتَعِرب أتابَكا على عادَته ، والأمير جَمالِ الدِّين آقُوش النَّجيبي أُسْتادَّارًا ، والأمير عِزّ الدِّين أَيْبَك الأَفْرَم الصَّالِحِي أمير جانْدار ، والأمير لاجين الدِّرْفيل وبَلَبان الرُّومي دَواداريَّه ، والأمير بَهاء الدِّين يَعْقُوب الشَّهْرزوري أمير آخور على عادَته ، وبَهاء الدِّين علي بن حِنَّا وَزيرًا ، والأمير رُكْن الدِّين إباجي[b] الرُّكْني والأمير سَيْف الدِّين بَكْجَري حُجّابًا . ورَسَم باحْضار البَحْريَّة الذين تَفَرَّقُوا في البلاد بَطَّالين ، وسَيَّرَ الكُتُب إلى الأقْطارِ بما تَجَدَّدَ له من النِّعْمه[c]، ودَعاهُم إلى الطَّاعة . فأَذْعَنُوا له ، وانْقادُوا إليه .

وكان الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الحَلَبي نائِب دِمَشْق ، لمَّا قُتِلَ قُطُز ، جَمَعَ النَّاسَ وحَلَّفَهم ، وتَلَقَّب بالملك المُجاهِد . وثارَ عَلاءُ الدِّين ـ المُلَقَّب بالملك السَّعيد ـ ابن صَاحِب المَوْصِل في حَلَب ، وظَلَمَ أَهْلَهَا وأَخَذَ منهم خمسين ألف دينار . فقامَ عليه جَماعَةٌ ـ ومُقَدَّمُهم الأمير حُسَام الدِّين لاجين العَزيزي ـ وقَبَضُوا عليه . فسَيَّرَ الظَّاهِرُ إلى لاجين بنِيابَة حَلَب .

فلمَّا دَخَلَت سنة تسع وخمسين قَبَضَ الظَّاهِرُ على جَماعَةٍ من الأُمَراء المُعِزِّيَّة : منهم الأمير سِنْجِر الغُتْمي ، والأمير بَهادُر المُعِزِّي ، والشُّجاع بَكْتوت .

ووَصَلَ إلى السُّلْطان الإمام أبو العَبَّاس أحمد ابن الخَليفَة الظَّاهر العَبَّاسي من بَغْداد في تاسِع رَجَب ، فتلقَّاه السُّلْطانُ في عَساكِره ، وبالَغَ في إكْرامِه ، وأنْزَلَه بالقَلْعَة . وحَضَرَ سَائِرُ الأُمَراءِ المُقَدَّمين ، والقُضَاةُ وأَهْلُ العِلْم والمشايِخ ، بقاعَةِ الأَعْمِدَة من القَلْعَة بين يَدَي أبي العبَّاس . فتأدَّبَ السُّلْطانُ الظَّاهِرُ ، ولم يَجْلِس على مَرْتَبَةٍ ولا فَوْق كُرْسي . وحَضَرَ العُرْبانُ الذين قَدِمُوا من العِراق وخادِم من طَواشِيَّة بَغْداد ، وشَهِدوا بأنَّ العَبَّاس أحمد وَلَد الخَليفَة الظَّاهِر ابن الخَليفَة النَّاصِر . وشَهِد معهم بالاسْتِفاضَة الأميرُ جَمالُ الدِّين يحيى نائِب الحُكْم بمصر ، وعَلَمُ الدِّين ابن رَشيق ، وصَدْرُ الدِّين مَوْهُوب الجَزَري ، ونَجيبُ الدِّين الحَرَّاني ، وسَديدُ التِّرْمَنْتي[d] نائِب الحُكْم بالقاهِرَة عند قاضي القُضَاة تاج الدِّين عبد الوهَّاب ابن بنت الأَعَزّ الشَّافِعي ، وأَسْجَلَ على نفسه بثُبُوت نَسَبَ أبي العَبَّاس أحمد وهو قائِمٌ على قَدَمَيْه ، ولُقِّبَ بالإمام «المُسْتَنْصِر بالله» .

---

a) بولاق : الأمير . b) بولاق : التاجي . c) بولاق : النعم . d) بولاق : الزمنتي .

وبايَعَه الظَّاهِرُ على كِتابِ الله وسُنَّة نَبِيِّه، والأَمْرِ بالمعروف والنَّهْي عن المُنْكَر، والجِهادِ في سَبيل الله، وأَخْذِ أمْوالِ الله بحَقِّها وصَرْفِها في مُسْتَحَقِّها. فلمَّا تمَّت البَيْعَةُ، قَلَّدَ المُسْتَنْصِرُ بالله السُّلْطان الملك الظَّاهِر أمْرَ البلاد الإسْلامية وما سيَفْتَحُه اللهُ على يَدَيْه من بِلاد الكُفَّار. وبايَعَ النَّاسُ المُسْتَنْصِر على طَبَقاتِهم، وكَتَبَ إلى الأطْرافِ / بأَخْذِ البَيْعَة له وإقامَة الخُطْبَة باسْمِه على المنابِر، ونُقِشَتِ السِّكَّةُ في ديار مصر باسْمِه واسْم الملك الظَّاهِر مَعًا [1].

فلمَّا كان يوم الجُمُعَة سابع عشر رَجَب، خَطَبَ الخَليفَةُ بالنَّاسِ في جَامِع القَلْعَة.

ورَكِبَ السُّلْطانُ في يوم الاثنين رابع شَعْبان إلى خَيْمَةٍ ضُرِبَت له بالبُسْتان الكبير ظَاهِر القاهِرَة، وأُفيضَت عليه الخِلَعُ الخَليفِيَّة ـ وهي جُبَّةٌ سَوْداء، وعِمامَةٌ بَنَفْسِجِيَّة، وطَوقٌ من ذَهَب ـ وقُلِّدَ بسَيْفٍ عَرَبي، وجَلَسَ مَجْلِسًا عامًّا حَضَرَه الخَليفَةُ والوَزيرُ وسائِرُ القُضَاة والأُمَراء والشُّهُود، وصَعِدَ القاضي فَخْرُ الدِّين بن لُقْمان كاتِب السِّرِّ مِنْبَرًا نُصِبَ له، وقَرأَ تَقْليدَ السُّلْطانِ المملكة وهو بَخَطِّه من إنْشائِه. ثم رَكِبَ السُّلْطانُ بالخِلْعَة والطَّوْق، ودَخَلَ من بابِ النَّصْر، وشَقَّ القاهِرَةَ وقد زُيِّنَت له، وحَمَلَ الصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّين بن حِنَّا التَّقْليدَ على رَأسِه قُدَّام السُّلْطان والأُمَراء مُشاةٌ بين يَدَيْه. وكان يَوْمًا مَشْهودًا.

وأَخَذَ السُّلْطانُ في تَجْهيزِ الخَليفَة ليَسيرَ إلى بَغْداد. فرَتَّبَ له الطَّواشي بَهاءُ الدِّين صَنْدَلًا الصَّالِحِي شَرابِيًّا، والأميرَ سابقَ الدِّين بوزْبا الصَّيْرفي أتابَكًا، والشريف[a] جَعْفَرًا أسْتادَّارًا، والأميرَ فَتْحَ الدِّين بن الشِّهاب أحمد أميرَ جانْدار، والأميرَ ناصِرَ الدِّين بن صَيْرَم خازِنْدارًا، والأميرَ سَيْفَ الدِّين بَلَبان الشَّمْسي وفارِسَ الدِّين أحمد بن أَزْدَمُر اليَغْموري دَواداريَّه، والقاضي كمالَ الدِّين محمد السِّنْجاري وَزيرًا، وشَرَفَ الدِّين أبا حامِدٍ كاتِبًا.

وعَيَّنَ له خِزانَةً وسِلاحْ خاناه، ومَماليكَ عِدَّتهم نحو الأربعين منهم سِلاحْدارية وجَمْدارية وزَرَدْكاشية ورُمَحْدارية، وجَعَلَ له طِشْتَخاناه وفَراشْخاناه وشَرابْخاناه وإمامًا ومُؤَذِّنًا وسائِرَ أرْبابِ الوَظائِف، واسْتَخْدَمَ له خمس مائة فارِس، وكَتَبَ لمن قَدِمَ معه من العِراق بإقْطاعاتٍ، وأَذِنَ له في الرُّكُوبِ والحَرَكَة حيث اخْتار.

---

a) بولاق: الأمير.

---

[1] راجع، محمد حسين محاسنه ومحمد سالم الطراونة: «دَوْرُ الظَّاهِر بيبَرْس في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة»، حوليات كلية الآداب – جامعة عين شمس ٣٠ (٢٠٠٢)، ٢٢١–٢٥٨؛ وانظر فيما تقدم ٣: ٧٨٣هـ [1].

وحَضَرَ الملكُ الصَّالِحُ إسماعيل بن بَدْر الدِّين لُؤْلُؤ صاحِب المَوْصِل، وأخُوه الملك المُجاهِد سَيْف الدِّين إسْحاق صاحِب الجَزيرَة، وأخوهُما المُظَفَّر. فأكْرَمَهُم السُّلْطانُ، وأقَرَّهُم على ما بأيْديهم، وكَتَبَ لهم تَقاليدَ، وجَهَّزَهُم في خِدْمَةِ الخَليفَة.

وسارَ الخَليفَةُ في سادِس شَوَّال، والسُّلْطانُ في خِدْمَتِه، إلى دِمَشْق. فنَزَلَ السُّلْطانُ في القَلْعَة، ونَزَلَ الخَليفَةُ في التُّرْبَة النَّاصِريَّة بجَبَل الصَّالِحِيَّة وبَلَغَت نَفَقَةُ السُّلْطانِ على الخَليفَة ألف ألف وستين ألف دينار. وخَرَجَ من دِمَشْق في ثالِث عشر ذي القعدة، ومعه الأميرُ بَلَبان الرَّشيدي والأميرُ سُنْقُر الرُّومي وطَائِفَةٌ من العَسْكَر، وأوْصاهُما السُّلْطان أن يكونا في خِدْمَة الخَليفَة حتى يَصِل إلى الفُرات، فإذا عَبَرَ الفُرات أقاما بمن معهما من العَسْكَر بالبَرِّ الغَرْبي من جِهاتِ حَلَب لانْتِظار ما يَتَجَدَّد من أمْرِ الخَليفَة بحيث إنِ احْتاجَ إليهم سارُوا إليه. فسارَ إلى الرَّحْبَة، وتَرَكَهُ أوْلادُ صَاحِب المَوْصِل وانْصَرَفُوا إلى بِلادِهم. وسارَ إلى مَشْهَدِ عليّ، فوَجَدَ الإمامَ الحاكِم بأمْرِ الله قد جَمَعَ سبع مائة فارِس من التُّرْكُمان وهو على عانَة، ففارَقَه التُّرْكُمان، وصارَ الحاكِمُ إلى المُسْتَنْصر طائِعًا له. فأكْرَمَه وأنْزَلَه معه، وسارَا إلى عانَة، ورَحَلا إلى الحَدِيثَة، وخَرَجَا منها إلى هِيت.

وكانت له حُروبٌ مع التَّتار في ثالِث محرَّم سنة ستين وستّ مائةٍ، قُتِلَ فيها أكثرُ أصْحابِه، وفَرَّ الحَاكِمُ وجَماعَةٌ من الأجْنَاد، وفُقِدَ المُسْتَنْصِرُ فلم يُوقَف له على خَبَر. فَحَضَر الحاكِمُ إلى قَلْعَةِ الجَبَل، وبايَعَه السُّلْطانُ والنَّاسُ، واسْتَمَرَّ بديارِ مصر في مَناظِرِ الكَبْش وهو جِدّ الخُلَفاءِ المَوجودين اليوم.

وفي سنة ستٍّ وستين قَرَّرَ الظَّاهِرُ بديار مصر أرْبَعَة قُضَاةٍ، وهم شافِعِيٌّ ومالِكيٌّ وحَنَفِيٌّ وحَنْبَليٌّ، فاسْتَمَرَّ الأمْرُ على ذلك إلى اليوم[1].

---

[1] راجع حول هذا الموضوع، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٨٢؛ النويري: نهاية الأرب ٣٠:١١٧-١٢٢ (وفيه أنّ ذلك كان سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م)؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧:٨٩-٩٠؛ المقريزي: السلوك ١:٥٣٨-٥٤٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٢١، المنهل الصافي ٣:٤٦٦-٤٦٧؛ وانظر كذلك Escovitz, J. H., «Patterns of Appointment to the Chief Judgeships of Cairo during the Bahri Mamluk Period», *Arabica* XXX (1983), pp. 139-68; id., «The Establishment of four Chief Judgeships in the Mamluk Empire», *JAOS* 102 (1984), pp. 229-31; id., *The Office of the Qâdî al-Qudât in Cairo under the Bahri Mamluk*, Berlin 1984; Nielsen, J. S., «Sultan al-Zâhir Baybars and the Appointment of Four Chief Qâdis (663/1265)», *SI* LX (1984), pp. 167-78؛ حياة ناصر الحجي: «القضاء والقضاة في مصر في عهد الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٩-٧٤١/١٣٠٩-١٣٤١»، دراسات العلوم الإنسانية، الكويت ١٢/١٣ (١٩٨٦)، ٦٥-٩٥؛ وأيضًا فيما يلي ٣٩٥ حول إقامة الوزير الفاطمي أبي علي كُتَيْفات لأربعِ قُضاةٍ سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م.

وحَدَثَ غَلاءٌ شَديدٌ بمصر، وعُدِمَت الغَلَّة؛ فجَمَعَ السُّلْطانُ الفُقَراء وعَدَّهم، وأَخَذَ لنفسه خمس مائة فَقير يَمُونهم، ولابنه السَّعيد بَرَكَة خان خمس مائة فَقير، وللنائِب بِيْلَبَك الخازِنْدار ثلاث مائة فقير، وفَرَّقَ الباقي على سَائِر الأُمَرَاء، ورَسَمَ لكلِّ إنسانٍ فى اليوم برِطْلَيْ خُبْز. فلم يُر بعد ذلك في البَلَدِ أَحَدٌ من الفُقَراءِ يَسْأَل.

وفي ثالِث شَوَّال سنة اثنتين وستين، أَرْكَبَ السُّلْطانُ ابنه السَّعيد بَرَكَة بشِعار السَّلْطَنَة ومَشَى قُدَّامَه، وشَقَّ القاهِرَة والكُلُّ مُشَاةٌ بين يَدَيْه من بابِ النَّصْر إلى قَلْعَةِ الجَبَل، وزُيِّنَت البَلَدُ.

وفيها رَتَّبَ السُّلْطانُ لَعِبَ القَبَق بمَيْدان العيد خارج باب النَّصْر، وخَتَنَ الملكَ السَّعيد ومعه ألف وستّ مائة وخمسة وأربعون صَبِيًّا من أوْلادِ النَّاس سوى أوْلادِ الأُمَرَاء والأَجْنَاد، وأَمَرَ لكُلِّ صَغيرٍ منهم بكُسْوَةٍ على قَدْره ومائة درهم ورأس من الغَنَم، فكان مُهِمًّا عَظيمًا [1]، وأَبْطَلَ ضَمانَ المِزْر وجِهاتِه، وأَمَرَ بحَرْقِ النَّصارَىٰ في سنة ثلاثٍ وستين، فتَشَفَّعَ فيهم على أن يحملوا خمسين ألف دينار، فتُرِكُوا.

وفي سنة أربعٍ وستين افْتَتَحَ قَلْعَةَ صَفَد، وجَهَّزَ العَساكِرَ إلى سِيس ومُقَدَّمُهم الأميرُ قَلاوون [a]، فحَصَرَ مَدينَة إياس [b] وعِدَّة قِلاعٍ [2].

وفي سنة خمسٍ وستين، أَبْطَلَ ضَمانَ الحَشيش من دِيار مصر، وفَتَحَ يافا والشَّقيف وأَنْطاكية.

وفي سنة سبعٍ وستين حَجَّ، فسارَ على غَزَّة إلى الكَرَك ومنها إلى المَدينَة النَّبوية، وغَسَلَ الكَعْبَة بماءِ الوَرْد بيده، ورَجَعَ إلى دِمَشْق، فأَراقَ جَميعَ الخُمُور، وقَدِمَ إلى مصر في سنة ثمانٍ وستين.

وفي / سنة سبعين خَرَجَ إلى دِمَشْق.

وفي سنة إحدى وسبعين خَرَجَ من دِمَشْق سائِقًا إلى مصر ـ ومعه بَيْسري، وآقُوش الرُّومي، وجَوْمَك [c] الخازِنْدار، وسُنْقُر الأَلْفي ـ فوَصَلَ إلى قَلْعَةِ الجَبَل، وعادَ إلى دِمَشْق. فكانت مُدَّةُ غَيْبَتِه أَحَد عشر يومًا، ولم يَعْلَم بغَيْبَتِه من في دِمَشْق حتى حَضَرَ.

---

a) بولاق: قلاوون الألفي. b) بولاق: أبناس. c) بولاق: جرسك.

---

[1] فيما تقدم ٣: ٣٧٠–٣٧٣.

[2] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٠.

ثم خَرَجَ سائِقًا من دِمَشْق يُريد كَبْس التَّتار ، فخاضَ الفُرات وقُدَّامُه قَلاوون وبَيْسَري ، وأَوْقَعَ بالتَّتار على حِين غَفْلَةٍ ، وقَتَلَ منهم شيئًا كثيرًا ، وساقَ خَلْفَهم بَيْسَري إلى سَرُوج ، وتَسَلَّم السُّلطان البِيرَة .

ووَقَعَ بمصر في سنة اثنتين وسبعين وَبَاءٌ هَلَكَ به خَلْقٌ كثير .

وفي سنة ثلاثٍ وسبعين ، غَزَا السُّلْطانُ سِيس ، وافْتَتَح قِلاعًا عِدَّة [a] .

وفي سنة أربعٍ وسبعين ، تَزَوَّج السَّعيدُ بن السُّلْطان بابنة الأمير قَلاوون ، وخَرَجَ العَسْكَرُ إلى بِلادِ النُّوبَة فواقَعَ مَلِكَهم ، وقَتَلَ منهم كثيرًا وفَرَّ باقيهُم .

وفي سنة خمسٍ وسبعين ، سارَ السُّلْطانُ لِحَرْب التَّتار ، فوَاقَعهم على الأَبْلَسْتين وقد انْضَمَّ إليهم الرُّوم ، فانْهَزَمُوا وقُتِلَ منهم كثيرٌ ، وتَسَلَّم السُّلْطانُ قَيْسارِيَّة ونَزَلَ فيها بدارِ السُّلْطان .

ثم خَرَجَ إلى دِمَشْق ، فوَعَكَ بها من إسْهالٍ وحُمَّى ماتَ منها يوم الخميس تاسِع عشر محرَّم سنة ستٍّ وسبعين وستّ مائةٍ ، وعُمْرُه نحو من سبعٍ وخمسين سنة ، ومُدَّةُ مُلْكِه سبع عشرة سنة وشهران .

وكان مَلِكًا جليلًا ، عَسُوفًا عَجُولًا ، كثيرَ المُصادَرات لرَعِيَّته ودَواوينه ، سَريعَ الحَرَكَة ، فارِسًا مِقْدامًا ، وتَرَكَ من الذُّكور ثلاثة : السَّعيد محمد بَرَكَة خان ومَلَكَ بَعْده ، وسَلامِش ومَلَكَ أيضًا ، والمَسْعُود خِضْر ، ومن البَنات سَبْع بَنَات . وكان طَويلًا مَليح الشَّكْل .

وفَتَحَ الله على يَدَيْه مِمَّا كان مع الفِرنْج : قَيسارِيَّة وأَرْسُوف وصَفَد وطَبَرِيَّة ويافَا والشَّقيف وأَنْطاكية وبَغْراس والقُصَيْر وحِصْن الأَكْراد والقُرَيْن وحِصْن عَكَّار [b] وصافيثا ومَرَقِيَّة وحَلْبا ، وناصَفَ الفِرنْج على المَرْقَب وبِلِيناس وأَنْطَرْسُوس ، وأَخَذَ من صَاحِب سِيس دَرْبَساك ودَرْكُوش وتِلْمِيش وكفرذْبين ورَعْبان ومَرْزُبان وكينوك وأَذَنَة والمِصِّيصَة [1] .

وصارَ إليه من البِلاد التي كانت مع المسلمين دِمَشْق وبَعْلَبَك وعَجْلون وبُصْرَى وصَرْخَد والصَّلْت وحِمْص وتَدْمُر والرَّحْبَة وتَلّ باشِر وصَهْيُون وبلاطِنُس وقَلْعَة الكَهْف والقَدْمُوس والعَلِيقَة والخَوابي والرُّصافَة ومِصْياف والقُلَيْعَة والكَرَك والشَّوْبَك ، وفَتَحَ بِلادَ النُّوبَة وَبَرْقَة [2] .

a) بولاق : عديدة . b) بولاق : حصن عكا .

[1] ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٣٢١- ٣٢٢.
[2] نفسه ٣٢٢- ٣٢٣.

وعَمَّرَ الحَرَمَ النَّبَوي وقُبَّة الصَّخْرَة ببَيْت المَقْدِس، وزادَ في أَوْقاف الخَليل عليه السَّلام، وعَمَّرَ قَناطِر شَبْرامَنْت بالجِيزِيَّة وسُور الإسْكَنْدَرية ومَنارَ رَشيد، ورَدَمَ فَم بَحْر دِمْياط، ووَعَّرَ طَريقَه، وعَمَّرَ الشَّواني، وعَمَّرَ قَلْعَة دِمَشْق وقَلْعَة الصُّبَيْبَة وقَلْعَة بَعْلَبَك وقَلْعَة الصَّلْت وقَلْعَة صَرْخَد وقَلْعَة عَجْلون وقَلْعَة بُصْرَىٰ وقَلْعَة شَيْزَر وقَلْعَة حِمْص[1].

وعَمَّرَ المَدْرَسَة بَيْن القَصْرَيْن بالقاهِرَة، والجَامِع الكبير بالحُسَيْنِيَّة خارِج القاهِرَة، وحَفَرَ خَليج الإسْكَنْدَرية القَديم وباشَرَه بنفسه، وعَمَّرَ هناك قَرْيَةً سَمَّاها الظَّاهِرِيَّة، وحَفَرَ بَحْر أُشْمُوم طَنَاح على يد الأمير بَلَبَان الرَّشيدي، وجَدَّدَ الجَامِعَ الأزْهَر بالقاهِرَة وأعادَ إليه الخُطْبَة، وعَمَّرَ بَلَدَ السَّعيدية من الشَّرْقِيَّة بديار مصر، وعَمَّرَ القَصْرَ الأَبْلَق بدِمَشْق وغير ذلك.

ولمَّا ماتَ كَتَمَ مَوْتَه الأميرُ بَدْر الدِّين بَيْلَبَك الخازِنْدار عن العَسْكَر، وجَعَلَه في تابُوتٍ وعَلَّقَه ببَيْتٍ من قَلْعَةِ دِمَشْق، وأَظْهَرَ أنَّه مَريضٌ، ورَتَّب الأطِبَّاء يَحْضُرون على العادَة، وأَخَذَ العَساكِرَ والخَزائن ومعه مَحَفَّةٌ محمولة في المَوْكِب مُحْتَرَمَة، وأَوْهَمَ النَّاسَ أنَّ السُّلْطانَ فيها وهو مَريض، فلم يَجْسُر أَحَدٌ أن يَتَفَوَّه بمَوْتِ السُّلْطان، وسارَ إلى أن وَصَلَ إلى قَلْعَة الجَبَلِ بمصر وأُشيعَ مَوْتُه. رَحِمَهُ الله تعالى.

جامعُ ابن اللَّبَّان

هذا الجَامِعُ بجِسْر الشُّعَيْبِيَّة ـ المعروف بجِسْر الأَفْرَم[2] ـ عَمَّرَه الأميرُ عِزُّ الدِّين أَيْبَك الأَفْرَم في شَعْبان[a] سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائةٍ.

قال ابنُ المُتَوَّج: وكان سَبَبُ عِمارَته أنَّه لمَّا كَثُرَت الخَلائِقُ في خِطَّةِ هذا الجَامِع، قَصَدَ الأَفْرَمُ أن يجعل خُطْبَةً في المَسْجِد المعروف بمَسْجِد الخَلالَة[b]، الذي ببِرْكَة الشُّقَاف ظَاهِر سُور الفُسْطاط المستجدّ، وأن يَزِيدَ فيه ويَعْمُرَه كما يَخْتار، فمَنَعَه الفَقيه مُؤْتَمَنُ الدِّين الحارِث ابن مِسْكين[3] ورَدَّهُ عن غَرَضِه. فحَسَّنَ له الصَّاحِبُ تاجُ الدِّين محمد بن الصَّاحِب فَخْر الدِّين محمد

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: الجلالة.

---

[1] ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر ٣٥٦ - ٣٦١.

[2] فيما تقدم ٣: ٥٥١.

[3] حاشية بخط المؤلِّف: «مات مُؤْتمن الدِّين هذا في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة خمسٍ وسبع مائة».

ابن الصَّاحِب بَهَاءِ الدِّين عليّ بن حِنَّا عِمارَة هذا الجَامِع في هذه البُقْعَة لقُرْبه منه . فَعَمَّره في شَعْبانَ سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائةٍ ، لكنَّه هَدَمَ بسَبَبِه عِدَّةَ مَساجِد [١] .

وعُرِفَ هذا الجَامِعُ في زَمَنِنا هذا بالشَّيْخ (aشَمْس الدِّينa) محمد بن اللَّبَّان الشَّافِعِي لإقامَتِه فيه . وأدْرَكْناه عامِرًا ، وقد تَعَطَّلَتb) منه في هذه المِحَن إقامَةُ الجُمُعَة والجَماعَة ، لخَرابِ ما حَوْلَه وبُعْدِ البَحْرِ عنه .

الجَامِعُ الطَّيْبَرْسِي

٣٠ /هذا الجَامِعُ عَمَّره الأميرُ عَلاءُ الدِّين طَيْبَرْس الخازِنْدار نَقيبُ الجُيُوش ، بشاطئ النِّيل في أَرْضِ بُسْتانِ الخَشَّاب ، وعَمَّرَ بجوارِه خانْقاه في جُمادىٰ الأولىٰ سنة سبعٍ وسبع مائةٍ [٢] . وكان من أَحْسَنِ مُتَنَزَّهات مصر وأَعْمرِها [٣] .

وقد خَرِبَ ما حَوْلَه في الحَوادِثِ والمِحَن التي بعد سنة ستٍّ وثمان مائةٍ ، بعد ما كانت العِمارَةُ متَّصلَةً منه إلى الجَامِع الجَديد بمصر ، ومنه إلى الجَامِع الخَطيري ببُولاق ، ويَرْكَبُ النَّاسُ المراكِبَ للفُرْجَة من هذا الجَامِع إلى الجَامِعين المذكورين مُصْعِدين ومُنْحَدرين في النِّيل ، ويَجْتَمِعُ بهذا الجَامِع النَّاسُ للنُّزْهَة ، فيَمُرُّ به أَوْقاتٌ ومَسَرّاتٌ لا يمكن وَصْفُها . وقد خَرِبَ هذا الجَامِعُ وأَقْفَر (aمن السَّاكِن والوارِد وانْحَسَرَ ماءُ النِّيل من أمامِه وهُدِمَ ما حَوْلَهa) من المساكِن [٤] ، وصارَ مَخُوفًا بعدما كان مَلْهًى ومَلْعَبًا ، ﴿سُنَّةَ الله في الَّذينَ خَلَوْا من قَبْلُ﴾ [الآية ٣٨ سورة الأحزاب] .

ولطَيْبَرْس هذا المَدْرَسَةُ الطَّيْبَرْسِيَّة بجوار الجَامِع الأَزْهَر من القاهِرَة [٥] .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : انقطعت .

---

[١] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٨ .

[٢] فيما يلي ٧٩٢ .

[٣] النَّصّ في المُسَوَّدَة ١٣٦ظ : «وهو أوَّلُ من عَمَّرَ في أرض بُسْتان الخَشّاب على شَطِّ البحر ، فبني به الجامع والخانْقاه وحَوْض ماءٍ للسَّبيل ، ورَتَّب فيه درسًا» .

[٤] النَّصّ في المُسَوَّدَة ١٣٦و : «قال كاتِبُه : أدْرَكْنا هذا الجامع والخانْقاه وبجوارهما الحمّام والوَكالَة والرَّبْعان الكبيران ، وهي عامِرَة كلُّها مأهولة بكثرة النَّاس ، والعِمارَة مُتَّصِلَة منه إلى الجامع الخطيري ببولاق . وكان بَحْرُ النِّيل تحته دائمًا وللنَّاس تَزْدادُ كبيرٌ واجتماعاتٌ عظيمةٌ فيه وفيما حوله ، ثم خَرِبَ ذلكَ كُلُّه بعد سنة ستٍّ وثمان مائة وخلا من السَّاكِن» .

[٥] أَوْرَدَ المقريزي هنا في المُسَوَّدَة ترجمة الأمير طَيْبَرْس الخازِنْدار ، بينما جاءت في المُبَيَّضَة فيما يلي ٥٣٨-٥٤٠ عند ذكر المَدْرَسَة الطَّيْبَرْسِيَّة .

الجَامِعُ الجَدِيدُ النَّاصِرِي

هذا الجَامِعُ بشاطئ النِّيل من سَاحِلِ مصر الجَديد، عَمَّره القاضي فَخْرُ الدِّين محمد بن فَضْل الله، ناظِرُ الجَيْش، باسْم السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون[1]. وكان الشُّرُوعُ فيه يوم التاسع من المحرَّم سنة إحدى عشرة وسبع مائةٍ، وانْتَهَت عِمارَتُه في ثامِن صَفَرَ سنة اثنتي عشرة وسبع مائةٍ[2]. وأُقيمَ في خَطابَتِه قاضي القُضَاة بَدْرُ الدِّين محمد بن إبراهيم بن جَماعَة الشَّافِعِيّ، ورَتِّبَ في إمامَته الفَقيهُ تاجُ الدِّين ابن مُرْهَف. فأَوَّلُ ما صُلِّي فيه صَلاةُ الظُّهر من يوم الخميس ثامِن صَفَرَ المذكور[3]، وأُقيمَت فيه الجُمُعَة يوم الجُمُعَة تاسع صَفَر، وخَطَبَ عن قاضي القُضَاة بَدْر الدِّين ابنُه جَمال الدِّين.

ولهذا الجَامِع أَرْبَعَةُ أبوابٍ، وفيه مائةٌ وسبعة وثلاثون عَمُودًا، منها عشرة من صَوَّانٍ في غايَة السُّمْكِ والطُّولِ، وجملة ذَرْعه أحَدَ عشر ألف ذِراع وخمس مائة ذِراع بذِراع العَمَلِ، من ذلك: طُولُه من قِبليه إلى بَحْريه مائة وعشرون ذِراعًا، وعَرْضُه من شَرْقيه إلى غَرْبيه مائة ذِراع، وفيه ستّةَ عشرَ شُبَّاكًا من حَديد، وهو يُشْرِف من قِبْليه على بُسْتان العَالِمَة، وينظر من بَحْريه بحر النِّيل[4].

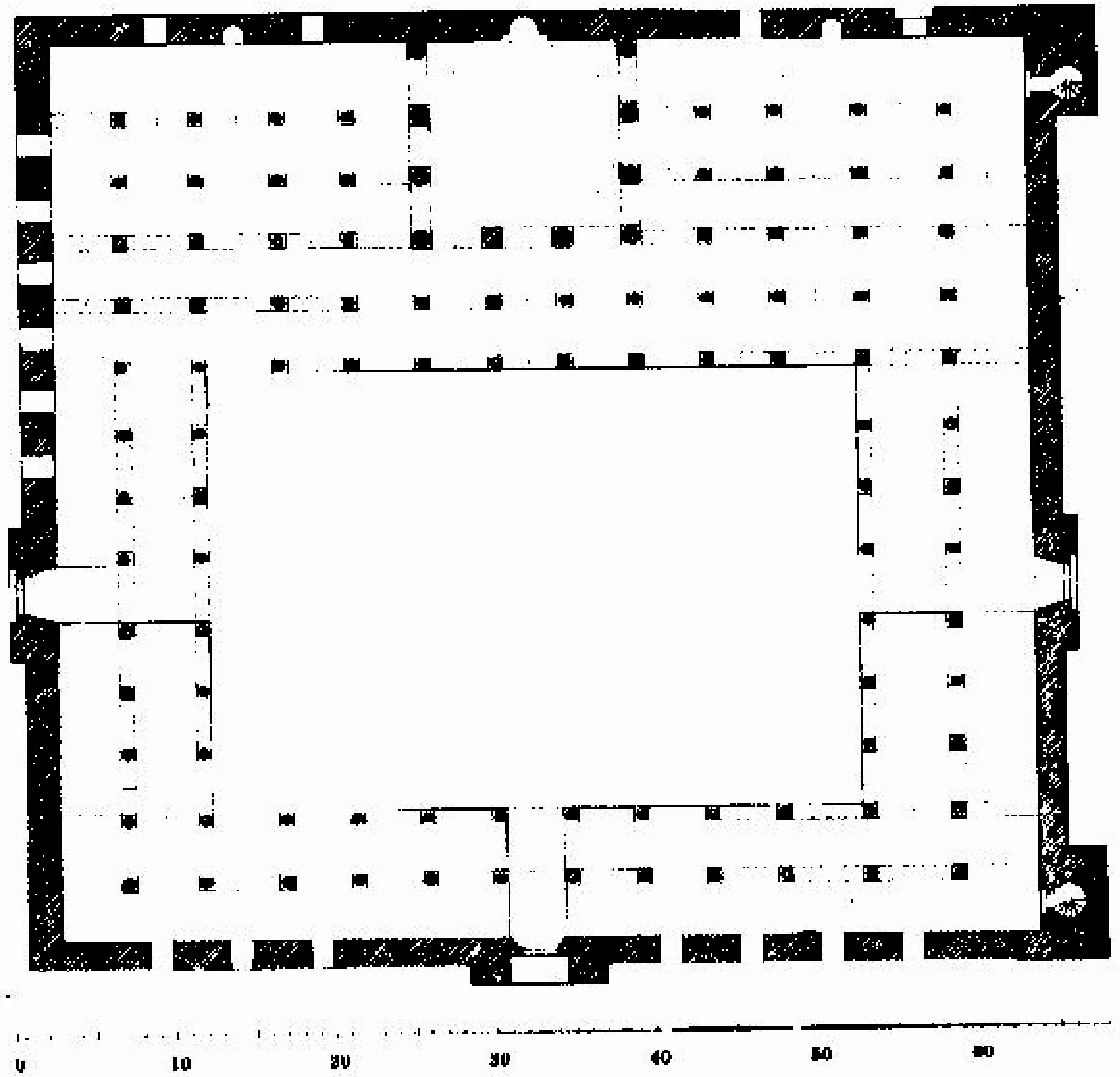
---

[1] الجامِعُ الجَديد النَّاصِري. كان من أكبر جَوامع القاهرة وتَبْلُغ مساحته نحو ستة آلاف مترًا مربَّعًا، وفيه ١٣٧ عمودًا، منها عشرة من صَوَّان مُسْتَمَدَّة ممَّا بقِيَ من أعمدة ورخام قلعة الرَّوْضة، كما استخدمت في بنائه أحجارُ الصَّنَم الذي يقال له سَرِيَّة أبي الهَوْل وعُمِلَت منها قواعد وأَعْتاب الجامع. وكان يقع على النيل جنوب القاهرة قِبْلي الشَّواقي التي كانت قائمةً على رأس مجرى العيون في المنطقة التي يخترقها الآن شارع السُّكَّر واللَّيمون بمصر القديمة. (ابن دقماق: الانتصار ٤:٧٦-٧٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٣٣هـ[1] تعليقات رمزي بك؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ١٤، ٢٧٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٨:١١٦). وقد ضاعَ الآن كُلُّ أثَرٍ لهذا الجامع، الذي أعاد عالم الآثار الألماني الراحل ميشيل ماينكه تصوُّر مُخَطَّطه من خلال وَصْفِ كُلٍّ من ابن دقماق والمقريزي له في كتابه Meinecke, M., *Die Mamlukische Architectur in Ägypten and Syrian*, p. 60؛ وانظر فيما تقدم ٢:١٦٢-١٦٣ رواية ابن المُتَوَّج عن مَوْضِع الجامع الجديد.

[2] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٦؛ المقريزي: السلوك ٢:١١٤-١١٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٤١.

[3] نفسه ٤: ٧٦.

[4] نفسه ٤:٧٦-٧٧، وهو يُقَدِّم وَصْفًا أكثر تَفْصيلًا من نَصّ المَقْريزي، يعتمد على نَصّ ابن المُتَوَّج الذي أورده المقريزي فيما تقدم ٢:١٦٢-١٦٣.



مُخطّط الجامع الجَديد النّاصِري (عن Meibecke)

وكان مَوْضِعُ هذا الجَامِع في القَديم غَامِرًا بماءِ النِّيل ، ثم انْحَسَرَ عنه النِّيلُ وصارَ رَمْلَةً ، في زَمَنِ الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيّوب ، يُمَرِّغُ النّاسُ فيها دَوابَّهم أيّام احْتِراق النِّيل . فلمَّا عَمَّرَ الملكُ الصَّالِحُ قَلْعَةَ الرَّوْضَةِ وحَفَرَ البَحْر ، طَرَحَ الرَّمْلُ في هذا الموضع ، فشَرَعَ النّاسُ في العِمارَة على السَّاحِل [1].

وكان مَوْضِعُ هذا الجَامِع شُونَةً ، وقد ذُكِرَ خَبَرُ ذلك عند ذِكْرِ السَّاحِل الجَديد بمصر ، فانظره . وما بَرِحَ هذا الجامِعُ من أَحْسَنِ مُتَنَزَّهاتِ مصر إلى أن خَرِبَ ما حَوْلَه . وفيه إلى الآن بقيَّةٌ ، وهو عامِرٌ [2].

النّاصِرُ مُحَمَّد ابن قَلاوون

بن قَلاوون ، السُّلْطانُ المَلِكُ النَّاصِرُ أبو الفَتْح ناصِر الدِّين ابن الملك المَنْصور ـ كان يُلَقَّب بحَرْفُوش ، وأمُّه أَشْلُون ابنة شَنْكاي ـ وُلِدَ يوم السبت النِّصف من المحرَّم سنة أربعٍ وثمانين وست مائةٍ ، بقَلْعَة الجَبَل من دِيار مصر ، ووَلِيَ المُلْك ثَلاث مرَّات [3]:

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤:٧٧ نَقْلًا عن ابن المُتَوَّج .

[2] نفســه ٤ : ٧٧؛ وفيما تقدم ٢:١٦٢– ١٦٣.

[3] تُعَدُّ فَتْرَةُ سَلْطَنَة الملك النّاصِر محمد بن قلاوون الطُّويلة ، وعلى الأخصِّ فَتْرَة سَلْطَنَته الثالثة (٧٠٩– =

الأُولى بعد مَقْتَل أخيه الملك الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون، في رابِعَ عشرَ المحرَّم سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائةٍ، وعُمْرُه تسع سنين تَنْقُصُ يومًا واحدًا. فأقامَ في المُلْك سَنَةً إلَّا ثلاثة أيّام، وخُلِعَ بمَمْلوكِ أبيه كَتْبُغا المَنْصوري يوم الأربعاء حادي عشر المحرَّم سنة أربعٍ وتسعين وستّ مائةٍ.

وأُعيد إلى المملكة ثانيًا بعد قَتْلِ الملك المَنْصُور لاجِين يوم الاثنين سادِس جُمادَى الأُولى سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائةٍ. فأقامَ عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يومًا، وعَزَلَ نَفْسَه وسارَ إلى الكَرَك. فوَلِيَ المُلْك من بعده الأميرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس الجاشَنْكير، وتلقَّب بالملك المُظَفَّر، في يوم السبت ثالِث عشرين شَوَّال سنة ثمانٍ وسبع مائةٍ.

= ٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤١م)، من أغْنَى فترات التاريخ المملوكي بالمصادِر والدِّراسات الحديثة على السَّواء. فمن المصادر الخاصَّة بسيرته: ابن أيبك: كنز الدرر ٨:٣٥٢-٤٠٠ والجزء التاسع بتمامه وعنوانه «الدُّرُّ الفاخِر في سيرَة الملك النَّاصِر»، القاهرة ١٩٦٠؛ الشجاعي: تاريخ الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون وأوْلاده، تحقيق بربارة شيفر، ڤيسبادن ١٩٧٨؛ اليوسفي: نزهة النَّاظِر في سيرة الملك النَّاصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت ١٩٨٦؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيّام المنصور وبنيه ١:١٦٩-١٧٧، ٢١٣-٢٨٦ وكُلّ المجلَّد الثَّاني؛ ومن المصادر العامة، النويري: نهاية الأرب ٣٢:١٤٨-٣٣٣، ٣٣:٩-٣١٩؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٢٩٨-٣٠٥، ٣٢٥-٤٠٦؛ المقريزي: السلوك ١:٧٩٣-٨٠٦، ٨٧٢-٩٥٧، ٢:٥-٤٥، ٧٢-٥٤٨؛ العيني: عقد الجمان ٣:٢٢٢-٢٦٦، ٤٤٩-٤٧٢، ٤:٧-٤٧٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨:٤١-٥٤، ١١٥-٢٣١، ٩:٣-٣٢٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٧٨-٤٨٦؛ وانظر أيضًا الصفدي: أعيان العصر ٥:٧٣-١٠٣، الوافي بالوفيات ٤:٣٥٣-٣٧٤؛ المقريزي: المقفى الكبير ٧:١٦٢-٢٠٤ (وهي ناقصة من آخرها)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤:٢٦١-٢٦٥، أبا المحاسن: المنهل الصافي ١٠:٢٦٨-٢٨٦.

ومن الدِّراسات الحديثة، علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عَصْر النَّاصِر محمد بوجه خاص، القاهرة ١٩٤٤؛ محمد عبد العزيز مرزوق: النَّاصِر محمد بن قلاوون، أعلام العرب، القاهرة ١٩٦٤؛ al-Hajji, H.N., *The Internal Affairs in Egypt during the Third Reign of Sultan al-Nâsir Muhammad b. Qalâwûn 709-741/ 1309-1341*, Kuwait 1978, 1995, 2000؛ حياة ناصر الحجي: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده مع تحقيق ودراسة وثيقة وَقْف سِرْياقوس، الكويت ١٩٨٣؛ نفسه: «القضاء والقضاة في مصر في عهد الناصر محمد ابن قلاوون ٧٠٩-٧٤١/١٣٠٩-١٣٤١»، دراسات العلوم الإنسانية، الكويت ١٢/١٣ (١٩٨٦)، ٦٥-٩٥؛ إبراهيم علي عمر: «ديوان الخاص السُّلْطاني زمن النَّاصر محمد بن قلاوون، موارده ومصارفه»، العصور ٤/٢ (١٩٨٩)، ٣٠٥-٣٢٠؛ Amitai - Preiss, R., «The Remaking of the Military Elite of Mamluk Egypt by al-Nâsir Muhammad b. Qalâwûn», *SI* LXXII (1990), pp. 145-63; Levanoni, A., *A Turning Point in Mamluk History : The Third Reign of al-Nâsir Muhammad Ibn Qalâwûn 1310-1314*, Leiden 1995; Holt, P. M., *EI²* art. *al-Nâsir Muhammad b. Kalâwûn* VIII, pp. 993-94.

ثم حَضَرَ من الكَرَكِ إلى الشّام وجَمَعَ العَساكِرَ، فخامَرَ على بَيْبَرْس مُعْظَم جَيْش مصر وانْحَلَّ أمْرُه، فتَرَكَ المُلْكَ في يوم الثلاثاء سادِس عشر شهر رَمَضَان سنة تسعٍ وسبع مائةٍ. وطَلَعَ الملكُ النَّاصِرُ إلى قَلْعَةِ الجَبَلِ يوم عيد الفِطْر من السنة المذكورة، واسْتَوْلى على مَمالِك مصر والشَّام والحِجَاز. فأقامَ في المُلْك من غير مُنازِعٍ له فيه إلى أن ماتَ بقَلْعَةِ الجَبَلِ في ليلة الخميس الحادي والعشرين من ذي الحِجَّة سنة إحدى وأربعين وسبع مائةٍ، وعُمْرُه سبعٌ وخمسون سنة وأحد عَشْر شهرًا وخمسة أيّام. وله في وِلايَتِه الثَّالِثَة مُدَّة اثنتين وثلاثين سنةً وشهرين وعشرين يومًا. وجملةُ إقامَتِه في المُلْك عن المُدَد الثّلاث، ثَلاث وأربعون سنة وثمانية أشهر وتسعة أيّام.

ولمَّا ماتَ تُرِكَ لَيْلَتَه ومن الغَدِ حتى تمَّ الأمْرُ لابنه أبي بكر المَنْصور في يوم الخميس المذكور. ثم أُخِذَ في جِهازِه، فوُضِعَ في مَحَفَّةٍ بعد العِشَاءِ الآخرة بساعَةٍ، وحُمِلَ على بَغْلَيْنْ، وأُنْزِلَ من القَلْعَةِ إلى الإسْطَبْل السُّلْطاني. وسَارَ به الأميرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس الأحْمَدي أمير جانْدار، والأمير نَجْم الدِّين أيُّوب والي القاهِرَة، والأمير قُطْلُوبُغا الذَّهَبي، وعَلَمْ دار أخو طاجار الدَّوادار. وعَبَروا به إلى القاهِرَة من بابِ النَّصْر، وقد غُلِّقَت الحَوانيتُ كلُّها، ومُنِعَ النَّاسُ من / الوُقُوفِ للنَّظَر إليه، وقُدَّام المَحَفَّة شَمْعَةٌ واحِدَةٌ في يَد عَلَمْ دار. فلمَّا دَخَلوا به من بابِ النَّصْر، كان قُدَّامَه مَسْرَجَةٌ في يَدِ بَيّاتٍ[a] وشَمْعَة واحدة، وعَبَرُوا به المَدْرَسَة المَنْصوريَّة بَيْن القَصْرَيْن ليُدْفَن عند أبيه الملك المَنْصور قَلاوون.

وكان الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجر الجاوْلي، ناظِر المارِسْتان، قد جَلَسَ ومعه القُضَاةُ الأربعة وشَيْخُ الشُّيوخ رُكْنُ الدِّين شَيْخ خانْقاه سِرْياقُوس، والشَّيْخُ رُكْن الدِّين عُمَر ابن الشَّيخ إبراهيم الجَعْبَري. فحُطَّتِ المَحَفَّةُ وأُخْرِجَ منها، فوُضِعَ بجانِب الفَسْقِيَّة التي بالقُبَّة، وأُمِرَ ابن أبي الطَّاهِر مُغَسِّل الأمْواتِ بتَغْسيله، فقال: هذا مَلِكٌ، ولا أنْفَرِدُ بتَغْسيله إلَّا أن يَقُوم أحَدٌ منكم ويُجَرِّدُه على الدِّكَّة، فإنّي أخْشَى أنْ يُقال كان معه فَصٌّ أو خاتَمٌ أو في عُنُقِه خَرَزَة. فقامَ قُطْلوبُغَا الذَّهَبي وعَلَمْ دار، وجَرَّداه مع الغاسِل من ثِيابِه. فكان على رأسه قَبْعٌ أبيض من قُطنِ بِنائِه، وعلى بَدَنِه بُعْلُطاق صَدْر أبيض وسَراويل فنُزِعَا، وتُرِكَ القَميصُ عليه وغُسِّلَ به، ووُجِدَ في رِجْله الموجوعة بُخْشان مَفْتوحان. فغُسِّلَ من فَوْقِ القَميص، وكُفِّنَ في نَصْفِيَّة، وعُمِلَت له أخرى طَرَّاحَة ومَخَدَّة، ووُضِعَ في تابُوتٍ من خَشَبٍ، وصَلَّى عليه قاضي القُضَاة عِزّ الدِّين عبد العَزيز ابن محمد بن جَماعَة الشَّافِعي بمَن حَضَرَ.

---

a) بولاق: شاب.

وأُنْزِلَ إلى قَبْرِ أبيه في سِحْلِيَّةٍ من خَشَبٍ قد رُبِطَت بحَبْلٍ، ونَزَلَ معه إلى القَبْرِ الغاسِلُ والأميرُ سِنْجَرُ الجاوْلي، ودُفِعَ إلى الغاسِل ثلاث مائة درهم، فباعَ ما نابَه من الثِّياب بثلاثة عشر درهمًا سوى القَبْع فإنَّه فُقِدَ، وذَكَرَ الغاسِلُ أنَّه كان مُحَنَّكًا بخِرْقَةٍ مُعَقَّدَةٍ بثلاثِ عُقَد.

فسُبْحانَ من لا يَحُولُ ولا يَزُولُ، هذا مَلِكُ أعْظَم المعمور من الأرْضِ ماتَ غَرِيبًا، وغُسِّلَ طَرِيحًا، ودُفِنَ وَحِيدًا، إنَّ في ذلك لعِبْرَة لأولي الألْباب!

وفي لَيْلَة السبتِ قرأ القُرَّاءَ عند القبْرِ بالقُبَّةِ القُرْآن، وحَضَرَ بعضُ الأُمَرَاء.

وتَرَكَ من الأوْلادِ اثني عشر وَلَدًا ذَكَرًا، وهم: أحمد وهو أسَنُّهم، وكان بالكَرَك، وأبو بكر وتَسَلْطن من بَعْده، وشَقيقُه رَمَضان، ويُوسُف وإسْماعيل وتَسَلْطَن أيضًا، وشَعْبان وتَسَلْطَن، وحُسين، وكُجُك وتَسَلْطَن، وأمير حاج، وحَسَن - ويُدْعَى قماري - وتَسَلْطَن، وصَالِح وتَسَلْطَن، ومحمد. وتَرَك من البَنات ثمانيا متزوِّجات، سوى من خَلَّفَ من الصِّغار وخَلَّف من الزَّوْجات جارِيَته طُغاي، وابنة الأمير تَنْكِز نائِب الشَّام.

وماتَ وليس له نائِبٌ بديار مصر، ولا وَزِيرٌ، ولا حاجِبٌ مُتَصَرِّفٌ سوى أنَّ بَرْسُبُغا الحاجِب يَحْكُم في مُتَعَلِّقات أُمُورِ الإقْطاعات وليس معه عَصَا الحُجُوبِيَّة، وبَدْر الدِّين بَكْتاش نَقيب الجُيُوش، وآقْبُغا عبد الواحِد أُسْتادَّار السُّلْطان ومُقَدَّم المماليك، وبَيْبَرْس الأحْمَدي أمير جانْدار، ونَجْم الدِّين أيُّوب والي القاهِرَة، وجَمال الدِّين جَمال الكُفاه ناظِر الجُيُوش، والمُوَفَّق ناظِر الدَّوْلَة، وصارِم الدِّين أُزْبَك شادّ الدَّواوين، وعِزّ الدِّين عبد العَزيز بن جَماعَة قاضي القُضَاة بديار مصر. ونائِب دِمَشْق الأمير أَلْطُنْبُغا، ونائِب حَلَب[a] الأمير طَشْتَمُر حُمُّص أخْضَر ونائِب طرابُلُس الحاج أَرِقْطاي، ونائِب صَفَد الأمير أَصْلَم، ونائِب غَزَّة الأمير آقْ سُنْقُر السَّلاري، وصَاحِب حَمَاه الملك الأَفْضَل ناصِر الدِّين محمد بن المُؤَيَّد إسْماعيل.

والأُمَرَاءُ مُقَدَّمو الأُلوف بدِيارِ مصر يوم وَفاتِه خمسةٌ وعشرون أميرًا وهم: بَدْرُ الدِّين جَنْكَلي ابن البابا، والحاج آل مَلِك، وبَيْبَرْس الأَحْمَدي، وعَلَمُ الدِّين سِنْجِر الجاوْلي، وسَيْفُ الدِّين كوكاي، ونَجْمُ الدِّين محمود وَزِير بَغْداد، هؤلاء بَرَّانِيَّة كِبار؛ والباقي مَماليكُه وخَواصُّه، وهم: وَلَدُه الأمير أبو بكر، والأمير قَوْصُون، والأمير بَشْتاك، والأمير[a] طَقُزْدَمُر، وآقْبُغَا عبد الواحِد الأُسْتادَّار، وأَيْدَغْمُش أمير آخُور، وقُطْلوبُغا الفَخْري، ويَلْبُغَا اليَحْياوي، وتَلَكْتَمُر[b] الحِجازي،

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: ملكتمر.

وأَلْطُنْبُغَا المارِديني ، وبَهَادُر النَّاصِري ، وآقْ سُنْقُر النَّاصِري ، وقَماري أمير[a] كبير ، وقَماري أمير شَكار ، وطُوغاي ، وأَرَنْبُغَا أمير جانْدار ، وبَرْسُبُغا الحاجِب ، ويَلْرَغي ابن العَجُوز أمير سِلاح ، ويَتِغَرا .

وكان السُّلْطانُ أبيض اللَّوْن ، قد وَخَطَه الشَّيْب ، وفي عَيْنيه حَوَلٌ ، وبرجله اليُمْنى ريح شَوْكة تَنْقُضُ[b] عليه أحْيانًا وتُؤْلمه ، وكان لا يكادُ يَمَسّ بها الأرْض ، ولا يَمْشي إلَّا مُتَّكِئًا على أحَدٍ أو مُتَوَكِّئًا على شيءٍ ، ولا يَصل إلى الأرْضِ سوى أَطْرافِ[c] أصابِعه . وكان شَديدَ البأْس ، جَيِّدَ الرأي ، يَتَوَلَّى الأمُورَ بنفسه ، ويَجُودُ لِخَواصِّه .

وكان مُهابًا عند أهْلِ مَمْلكته ، بحيث إنَّ الأُمَرَاءَ إذا كانوا عنده بالخِدْمَة لا يَجْسُرُ أَحَدٌ أن يُكَلِّم آخَر كلمةً واحِدَةً ، ولا يَلْتَفِت بَعْضُهم إلى بَعْضٍ خَوْفًا منه . ولا يُمْكِن واحِدٌ منهم أن يَذْهَب إلى بَيْتِ أَحَدٍ ألبتَّة ، لا في وَليمَةٍ ولا غيرها ، فإن فَعَلَ أَحَدٌ منهم شيئًا من ذلك قَبَضَ عليه ، وأخْرَجَه من يومه مَنْفيًا .

وكان مُسَدَّدًا عارِفًا بأُمُورِ رَعِيَّته وأحْوالِ مَمْلكته ، وأبْطَلَ نِيابَة السَّلْطَنَة من دِيارِ مصر من سنة سبعٍ وعشرين وسبع مائةٍ ، وأبْطَلَ الوَزارَة [1] ، وصار يتحدَّث بنفسه في الجَليل من الأمُور والحَقير ، ويَسْتَجْلِب خاطِرَ كلِّ أَحَدٍ من صَغيرٍ وكبيرٍ ، لا سيَّما خواشيه . فلذلك عَظُمَت حاشِيَةُ المملكة وأتْباعُ السَّلْطَنَة ، وتَخَوَّلوا في النِّعم الجَزِيلَة ، حتى الخَوَلَة والكلابْزِية والأسْرى من الأرْمَن والفِرِنْج ، وأعْطَى البازْدارية الأخْبازَ في الحَـلْقَة : فمنهم من كان إقْطاعُه الألف دينار في السَّنة ، وزَوَّجَ عِدَّةً منهم بجَواريه من التُّرْك[a]، وأفْنَى/ خَلْقًا كثيرًا من الأُمَرَاء بَلَغَ عَدَدُهم نحو المائتي أمير .

وكان إذا كَبُرَ أَحَدٌ من أُمَرائه ، قَبَضَ عليه وسَلَبَه نِعْمَتَه ، وأقامَ بَدَلَه صَغيرًا من مَماليكه إلى أن يَكْبُر ، فيُمْسِكَه ويُقيم غيره ليأْمَن بذلك شَرَّهُم . وكان كثيرَ التَّخَيُّل حازِمًا ، حتى إنَّه إذا تَخَيَّلَ من ابْنِه قَتَلَه .

وفي آخِرِ أيَّامِه شَرِهَ في جَمْعِ المال ، فصادَرَ كثيرًا من الدَّواوين والوُلاة وغيرهم ، ورَمَى البَضائِع على التُّجَّار حتى خافَ كلُّ من له مال . وكان مُخادِعًا كثير الحِيلَ ، لا يَقِف عند قَوْلٍ ، ولا يُوَفِّي بعَهْدٍ ، ولا يَبَرُّ في يَمين .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : تنغص . c) بولاق : إلّا أطراف .

---

[1] انظر فيما تقدم ٣ : ٦٩٦-٦٩٨ ، ٧٢٢-٧٢٣ .

وكان مُحِبًّا للعِمارَة ، عَمَّرَ عِدَّةَ أماكِنَ ، منها جَامِعُ قَلْعَةِ الجَبَلِ وهَدَمَه مرّتين ، وعَمَّرَ القَصْرَ الأَبْلَق بالقَلْعَةِ ومُعْظَمَ الأماكِن التي بالقَلْعَة ، وعَمَّرَ المَجْرَىٰ الذي يُنْقَل الماءُ عليه من بَحْرِ النِّيل إلى القَلْعَةِ على السُّور ، وعَمَّرَ المَيْدانَ تحت القَلْعَة ، ومَناظِرَ المَيْدان على النِّيل . وعَمَّر قَناطِر السِّباع على الخَليج ، ومَناظِرَ سِرْياقُوس والخانْقاه بسِرْياقُوس ، وحَفَرَ الخَليجَ النَّاصِري بظاهِر القاهِرَة ، وعَمَّرَ الجَامِعَ الجَديد على شاطئ النِّيل بظاهِر مصر ، وجَدَّدَ جَامِعَ الفِيَلَة الذي بالرَّصْد ، والمَدْرَسَة النَّاصِريَّة بَيْن القَصْرَيْن من القاهِرَة ، وغير ذلك مِمَّا يَرِدُ في موضعه من هذا الكِتاب .

وما زالَ يُعَمِّر مُنْذ عادَ إلى وِلايَةِ المُـلْك في المرّة الثَّالِثَة إلى أن مات . وبَلَغَ مَصْرُوفُ العِمارَة في كلِّ يَوْمٍ من أيَّامِه سبعة آلاف درهم فِضَّة : عنها ثلاث مائة وخمسون دينارًا ، سوى من يُسَخَّره من المُقَيَّدين وغيرهم في عَمَلِ ما يعمره .

وحَفَرَ عِدَّةً من الخُلْجانات والتُّرَع ، وأقامَ الجُسُورَ بالبِلاد ، حتى إنَّه كان ينصرف من الأَجْنادِ[a] على ذلك رُبْعُ مُتَحَصَّل الإقْطاعات . وحَفَرَ خَليجَ الإسْكَنْدَرية ، وبَحْر المَحَلَّة مرّتين ، وبَحْر اللَّبيني بالجِيزَة ، وعَمِلَ جِسْر شِبِين ، وعَمِلَ جِسْر أحْباس بالشَّرقِيَّة والقَلْيُوبية مُدَّة ثلاث سنين متوالية فلم يَنْجَح ، فأنْشَأه بُنْيانًا بالطُّوب والجِير ، وأَنْفَقَ فيه أَمْوالًا عَظِيمَة[1] .

ورَاكَ دِيارَ مِصْر وبِلادَ الشَّام[2] .

وعَرَضَ الجَيْشَ بعد حُضُوره في سنة اثنتي عشرة وسبع مائةٍ ، وقَطَعَ ثمان مائةٍ من الجُنْد ، ثم قَطَعَ مَرَّةً أخرى ثلاثة وأربعين جُنْديا في سنة إحدى وعشرين[b] وسبع مائةٍ ، ثم قَطَعَ خمسة وستين أيضًا في رَمَضَان سنة إحدى وأربعين وسبع مائة قَبْل وَفاتِه بشهرين .

وفَتَحَ من البِلاد جَزيرَة أرْواد في سنة اثنتين وسبع مائةٍ ، وفَتَحَ مَلَطِيَّة في سنة خمس عشرة وسبع مائةٍ ، وفَتَحَ إياس[c] في رَبيع الأَوَّل سنة ثلاثٍ وعشرين وسبع مائةٍ وخَرَّبَها ، ثم عَمَّرَها الأَرْمَن . فأرْسَلَ إليها جَيْشًا فأَخَذَها ، ومعها عِدَّةَ بِلادٍ من بِلادِ الأَرْمَن ، في سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مائةٍ ، وأقامَ بها نائِبًا من أُمَرَاءِ حَلَب . وعَمَّر قَلْعَةَ جَعْبَر بعد أن دَثَرَت .

---

a) بولاق : الأخباز . b) بولاق : وأربعين . c) بولاق : أبناس .

---

[1] انظر فيما تقدم ٣ : ٥٧"-٦٤" .

[2] انظر فيما تقدم ١ : ٢٣٥- ٢٤٤ .

وضُرِبَت السِّكَّةُ باسْمِه في بَغْداد[a] في شوَّالَ سنة إحدى وأربعين وسبع مائةٍ قبل مَوْتِه ، تَوَلَّى ذلك الشَّيْخُ حَسَن بن حُسَيْن ، بحُضُورِ الأمير شِهابِ الدِّين أحمد قَريب السُّلْطان ، وقد تَوَجَّه من مصر بهذا السَّبَب . وخَطَبَ له أيضًا أرَتْنا ببلاد الرُّوم [1] ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسْمِه ، وكذلك بِلاد ابن قِرْمان وجِبال الأكْراد وكثيرٍ من بِلاد الشَّرْق .

وكان من الذَّكاءِ المُفْرِط على جانبٍ عَظيمٍ ، يَعْرِف مَماليك أبيه ومَماليك الأُمَراء بأسْمائهم ووَقائِعهم ، وله مَعْرِفَةٌ تامَّة بالخَيْلِ وقِيَمِها ، مع الحِشْمَة والسِّيادَة ؛ لم يُعْرَف عنه قَطُّ أنَّه شَتَمَ أحَدًا من خَلْقِ الله ، ولا سَفَّه عليه ، ولا كَلَّمه بكلمةٍ سيِّئة ، وكان يَدْعُو الأُمَراءَ أرْبابَ الأشْغال بألْقابِهم .

وكانت هِمَّتُه عَلِيَّة ، وسياسَتُه جَيِّدَة ، وحُرْمَتُه عَظيمَة إلى الغاية ، ومعرفته بمُهادَنَة المُلُوك لا مَرْمَى وَراءَها يَبْذُل في ذلك من الأمْوالِ ما لا يُوصَفُ كثرةً ، فكان كِتابُه يَنْفُذُ أمْرُه في سَائِر أقْطارِ الأرْضِ كلِّها . وهو مع ما ذَكَرْنا مُؤَيَّدٌ في كلِّ أُمُورِه ، مُظَفَّرٌ في جَميعِ أحْوالِه ، مَسْعُودٌ في سَائِر حَرَكاته ، ما عانَدَه أحَدٌ أو أضْمَر له سُوءًا إلَّا ونَدِمَ على ذلك أو هَلَكَ .

واشْتَهَرَ في حَياتِه بديار مصر أنَّه إن وَقَعَت قَطْرَةٌ من دَمِه على الأرض لا يَطْلَع نيلُ مصر مُدَّة سبع سنين . فمَتَّعَه الله من الدُّنْيا بالسَّعادَة العَظيمَة في المُدَّة الطَّويلَة ، مع كَثْرَة الطُّمأْنينة والأمْن وسَعَة الأمْوال . واقْتَنَى كلَّ حَسَنٍ ومُسْتَحْسَنٍ من الخَيْل والغِلْمان والجَواري ، وساعَدَه الوقتُ في كلِّ ما يحب ويَخْتار إلى أن أتاه الموت .

---

a) في بغداد : ساقطة من بولاق .

---

[1] الأمير عَلَم الدِّين أرَتْنا - بفَتح الهمزة وبعد الراء المفتوحة تاء ثالثة الحروف ساكنة ثم نون وألف - كان حاكمًا بِلاد الرُّوم من قِبَل الملك بو سعيد أحد إيلخانات فارس . فلمَّا مات بو سعيد كاتَبَ أرَتْنا السُّلْطان النَّاصر محمد بن قَلاوون ليكون نائبًا له ، فأجابه النَّاصر محمد إلى ذلك وبَعَثَ إليه بالخِلَع السَّنِيَّة ولَقَّبه «نائِب السَّلْطَنَة الشَّريفَة بالبلاد الرُّومية» ؛ وتوفي أرَتْنا سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م . (الصفدي : أعيان العصر ١:٤٤٨- ٤٤٩، الوافي بالوفيات ٨:٣٣٧- ٣٣٨؛ المقريزي : السلوك ٢:١٨٦-١٨٧هـ ٥ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٣٧١؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٢٨٩، المنهل الصافي ٢:٢٩٤) .

الجامِعُ بالمَشْهَد النَّفيسي

قال ابنُ المُتَوَّج : هذا الجامِعُ أَمَرَ بإنشائِه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون ، فعُمِّر في شهور سنة أربع عشرة وسبع مائةٍ ، ووَلِيَ خطابَتَه عَلاءُ الدِّين محمد بن نَصْر الله بن الجَوْهَري شاهِد الخِزَانَة السُّلْطانية ، وأَوَّلُ خُطْبَتِه فيه يوم الجُمُعَة ثامِن صَفَرَ من السنة المذكورة ، وحَضَرَة[a] أميرُ المؤمنين المُسْتَكْفي بالله أبو الرَّبيع سليمان ووَلَدُه وابن عمه ، والأمير كَهَرْداش مُتَوَلِّي شَدّ العَمَائِر السُّلْطانية وعِمارَة هذا الجَامِع ورِواقاتِه والفَسْقِيَّة المستجدَّة .

وقيل إنَّ جَميعَ المَصْرُوف على هذا الجَامِع من حَاصِل المَشْهَدِ النَّفيسي وما يَدْخُل إليه من النُّذور ومن الفتوح[1] .

جامِعُ أمير حُسَيْن
بالحِكْر[b]

[أثر رقم ٢٣٣]

/هذا الجَامِعُ[2] كان مَوْضِعُه بُسْتانًا بجوار غَيط العِدَّة ، أنشأه الأميرُ حُسَيْن بن أبي بَكْر ابن

a) بولاق : وحضر. b) من المسودة ، والنسخ : جامع الأمير حسين .

[1] هذا الجامِعُ ذَكَرَه أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ٩ : ١٩٩) وقال إنَّه لا يَعْلَم من بَناه . وهو الجَامِعُ الذي يُوجَد بداخله ضريحُ السَّيِّدَة نَفيسَة بشارع الأَشْرَف بقسم الخَليفة بالقاهرة ، وقد تَجَدَّدَ بناؤه في سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م ، ومُؤَخَّرًا في العقد الأخير من القرن العشرين . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦ : ٣٧٨هـ[2] ، ٩ : ١٩٩هـ[2] ؛ وانظر فيما يلي ٨٤٢) .

[2] هذا الجامِعُ أنشأه الأميرُ حسين بن أبي بكر ابن إسماعيل بن جَنْدَرْ بك بحِكْر جَوْهَر النُّوبي سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م كما هو مُبَيَّنٌ في لَوْحٍ من الرُّخام مثبت في التَّجْويف العُلْوي لباب الجامع ، نَصُّه :

«بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم ﴿إنَّما يَعْمُرُ مساجِدَ الله مَنْ آمَنَ بالله واليَوْمِ الآخِر﴾ . أَمَرَ بإنْشاء هذا الجَامِع المبارك من فَضْلِ الله وجَزيلِ عَطائِه العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى حُسَيْنُ ابن جَنْدَر بك عَفَا الله عنه ، وذلك في شهور سنة تسعة عشرة وسبع مائة» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 114; Wiet, G., *RCEA* XIV n° 5407) .

ويقع هذا الجَامِعُ غَرْبي الخَليج (شارع بورسعيد الآن) أمام محكمة جنوب القاهرة الابتدائية وخَلْف مبنى دار الكتب المصرية ومتحف الفَنّ الإسلامي في شارع الأمير حسين بالمناصرة . (راجع ، المقريزي : السلوك ٢ : ٢١٥=؛

إسماعيل بن جَنْدَر بك شَرَفُ الدِّين الرُّومي[a] [1]. قَدِمَ مع أبيه من بِلادِ الرُّوم إلى ديار مصر في سنة خمسٍ وسبعين وست مائةٍ، وتَخَصَّصَ بالأمير حُسَامِ الدِّين لاجين المَنْصوري قبل سَلْطَنَتِه، فكانت له منه مَكانَةٌ مَكينَةٌ [b]ومَنْزِلَةٌ عَلِيَّة[b]، وصارَ أميرَ شِكار، وكان فيه بِرٌّ، وله صَدَقَة، وعنده تَفَقُّدٌ لأصْحابِه.

وأنشأ أيضًا القَنْطَرَةَ المعروفةَ بقَنْطَرَةِ أمير حُسَيْن على خَليجِ القاهِرَة، وفَتَحَ الخُوخَة في سُورِ القاهِرَة بجوارِ الوَزيرِيَّة، وجَرَى عليه من أجْلِ فَتْحِها ما قد ذُكِرَ عند ذِكْرِها في الخُوَخ من هذا الكِتاب [2]. وتوفي في سابع المحرَّم سنة تسعٍ وعشرين وسبع مائةٍ، ودُفِنَ بهذا الجَامِع[c].

جَامِعُ أُلْمَاس

[أثر رقم ١٣٠]

هذا الجَامِعُ بالشَّارِع خارِج بابِ زَوِيلَة. بَناهُ الأميرُ سَيْفُ الدِّين أُلْماس الحاجِبِ النَّاصِري[d]، وكَمُلَ في سنة ثلاثين وسبع مائةٍ [3].

---

a) بولاق: مشرف الرومي. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة. c) المُسَوَّدَة: بجامعه بالحِكْر. d) إضافة من المُسَوَّدَة.

= ٣١٤، ٥٤٤؛ Herz, M., «La mosquée de l'émir Hussein», *CR du comité*, exersice 1910, pp. 155-56؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٦٢هـ[2] تعليقات رمزي بك؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 269-70؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢:٥٠٧-٥١٩).

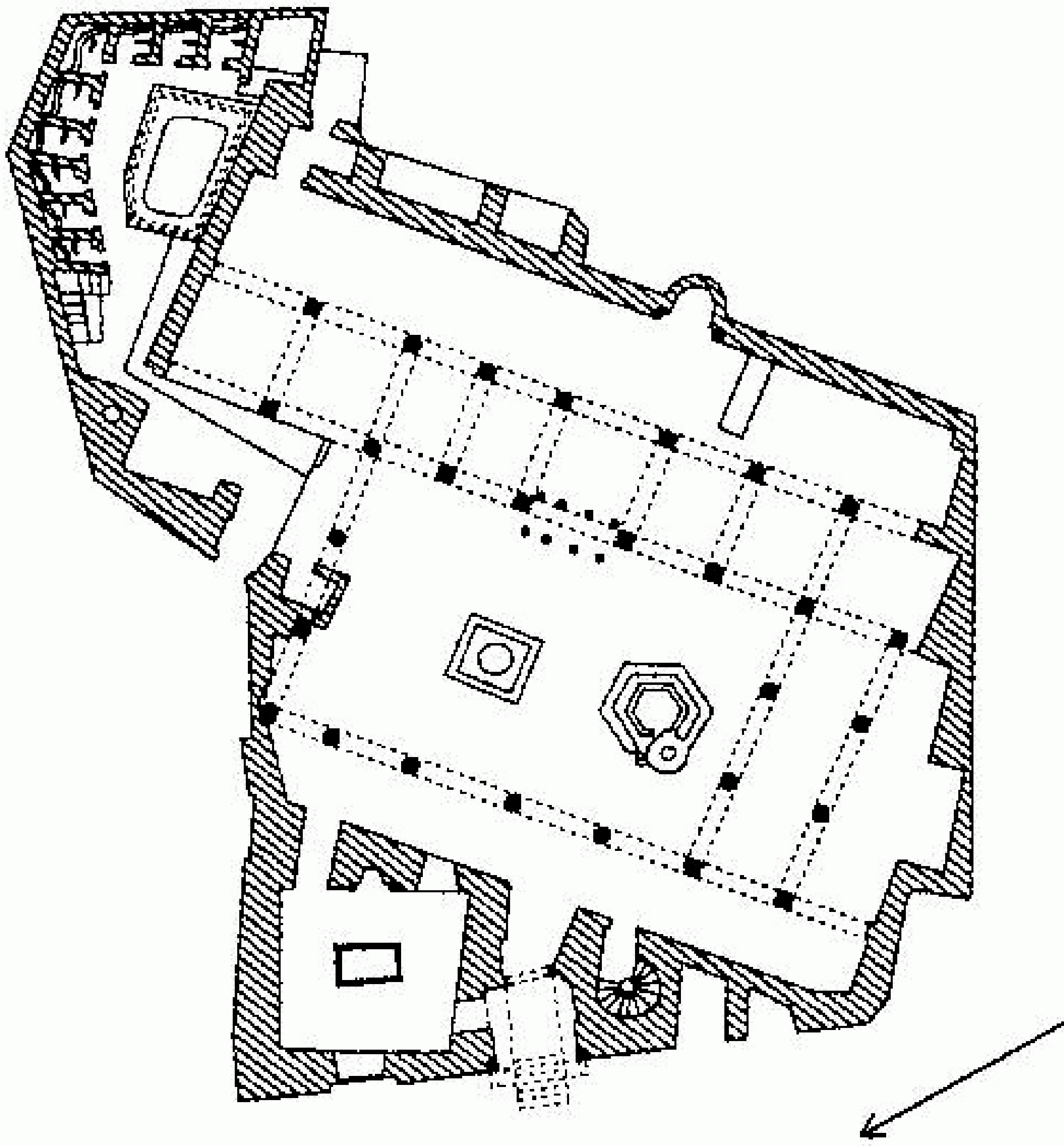
[1] انظر ترجمة الأمير حسين فيما تقدم ٣:١٤٧-١٤٨.

[2] فيما تقدم ٣:١٤٧-١٤٨.

[3] جَامِعُ أُلْماس. يقع الآن في أوَّل شارع الشَّيْخُونِيَّة بالحلمية الجديدة من جهة شارع القَلْعَة (محمد علي سابقًا). وجاءَ في الكتابة الأثرية الموجودة في أعلى مَدْخله:

«مِمَّا أمَرَ بإنْشَاءِ هذا المَسْجِد المُبارَك الفقيرُ إلى الله أُلْماس أمير حَاجِب في شهور سنة تسعٍ وعشرين وسبع مائة، وكمالُه سنة ثلاثين من الهجرة النَّبَوِيَّة». (Wiet, G., *RCEA* XIV n° 5579).

ومن بين اثنين وأربعين جامِعًا أقامَها أُمَرَاءٌ في فَتْرَة سَلْطَنَة النَّاصر محمد بن قَلاوون الثالثة، لا يُوجَد الآن سوى هذا الجَامِع وجَامِع أَلْطُنْبُغا المارْداني (المارْديني) اللذين يحتفظان بتَخْطيطهما الأصلي. علمًا بأنَّ هذا الجَامِع الآن في حالة يُرْثَى لها بسبب تَسَرُّب المياه الجوفية إليه. (مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ١٨٧، ٢٢٦؛ المقريزي: السلوك ٢: ٣٢٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٦؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١:١٣٦-١٣٨؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣:١٧٤-١٧٩، Chahinda



مُخَطَّط جامع أُلْماس (عن Kessler)

أُلْماس

وكان أُلْمـاسُ هذا أحَدَ مَماليك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، فرَقَّاه إلى أن صارَ من أكبر الأُمَرَاء[a] ولمَّا أُخْرِجَ الأمير أَرْغُونُ إلى نِيابَة حَلَب، وبقي مَنْصَبُ النِّيابةِ شاغِرًا؛ عَظُمَت مَنْزِلَةُ أُلْماس، وصارَ في مَنْزِلة النِّيابة إلَّا أنَّه لم يُسَمّ بالنَّائِب، ويَرْكَبُ الأُمَرَاء الأكابِر والأصَاغِر في خِدْمَته، ويجلس ببابِ[b] القُلَّة من قَلْعَةِ الجَبَل في مَنْزِلة النَّائِبِ، والحُجَّابُ وُقُوفٌ بين يَدَيْه[1].

---

a) المُسَوَّدَة: حاجب الحُجَّاب. b) بولاق: في باب.

---

[1] الأمير سَيْفُ الدِّين أُلْماس الحاجِب، أحَدُ كِبار أُمَرَاء النَّاصر محمد بن قَلاوون، توفي مقتولًا سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م ودُفِنَ بالقُبَّة الملحقة بجامعه هذا. (راجع، الصفدي: أعيان العصر ١:٦١٦–٦١٨ (وفيه أُلْماس بفتح الهمزة وسكون اللام وبعد الميم ألف وسين مهملة)، الوافي بالوفيات ٩:٣٧٠–٣٧١؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢:٢٩٢–٢٩٤، السلوك ٢:٣٦٥–٣٦٦؛ ابن حجر:= Karim, «The Mosque of Ulmas al-Hâjib» in Doris Behrens - Abouseif (ed.), *The Cairo Heritage. Essays in Honor of Laila ʿAli Ibrahim*, Cairo AUC 2000, pp. 123-47؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢:٥٩٥–٦١٨).

وما بَرِحَ على ذلك حتَّى توجَّه السُّلْطانُ إلى الحِجَازِ في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائةٍ ، فتَرَكَه في القَلْعَةِ هو والأمير جَمال الدِّين آقُّوش نائِب الكَرَك ، والأمير آقْبُغا عبد الواحِد ، والأمير طَشْتَمُر حُمُّص أخْضَر هؤلاء الأربعة لا غير ، وبقيَّة الأُمَرَاء إمَّا معه في الحِجَاز وإمَّا في إقْطاعاتهم ، وأَمَرهم ألَّا يَدْخُلوا القاهِرَة حتى يَحْضُر من الحِجَاز . فلمَّا قَدِمَ من الحِجَاز نَقَمَ عليه ، وأَمْسَكَه في صَفَر سنة أربعٍ وثلاثين وسبع مائةٍ وكان لغَضَبِ السُّلْطان عليه أسْبابٌ : منها أنَّه لمَّا أقامَ في غَيْبَةِ السُّلْطَان بالقَلْعَة كان يُراسِل الأمير جَمال الدِّين آقُوش نائِب الكَرَك ويُوادِده ، وبَدَت منه في مُدَّةِ الغَيْبَة أُمورٌ فاحِشَةٌ من مُعاشَرَة الشُّباب ومن كلامٍ في حَقِّ السُّلْطانِ ، فوَشَى به آقْبُغا .

وكان مع ذلك قد كَثُرَ مالُه وزادَت سَعادَته ، فهَوَى شابًّا من أبناء الحُسَيْنِيَّة يُعْرف بعُمَيِّر ، وكان ينزل إليه ويَجْمَع الأُوَيْراتية ، ويُحْضر الشُّباب ويَشْرَب ، فحَرَّك عليه ذلك ما كان ساكِنًا ، ويُقالُ إنَّ السُّلْطانَ لمَّا ماتَ الأميرُ بَكْتَمُر السَّاقي ، وَجَد في تَرِكَته حَرْمَدان[a] فيه جَوابُ أُلْماس إلى بَكْتَمُر السَّاقي «إنِّي حافِظٌ لك القَلْعَة[b] إلى آن يَرِد عليَّ منك ما أعْتَمِده» . فلمَّا وَقَفَ السُّلْطانُ على ذلك أَمَرَ النَّشْو بن هِلال الدَّوْلَة ، وشَاهِد الخزانَة ، بإيقاع الحَوْطَة على مَوْجُودِه فوَجَدا له ستَّ مائة ألف درهم فِضَّة ، ومائة ألف درهم فُلوسًا ، وأربعة آلاف دينار ذَهَبًا ، وثلاثين حِياصَة ذَهَبًا كاملة بكَفْتاتِها وخِلَعها وجَواهَرَ وتُحَفًا .

وأقام أُلْماس عند آقْبُغا عبد الواحِد ثلاثة أيَّام ، وقُتِلَ خَنْقًا بمَحْبِسِه في الثَّاني عشر من صَفَر سنة أربعٍ وثلاثين وسبع مائةٍ [c]هو وأخوه قَرا ، ووُجِدَ له من الفِضَّة ألفا ألف درهم وأربع مائة ألف درهم ، ومن الذَّهب والخَيْل والقُماش شيءٌ كثير[c]، وحُمِلَ من القَلْعَةِ إلى جَامِعِه فدُفِنَ به ، وأُخِذَ جَميعُ ما كان في دَارِه من الرُّخام فقُلِعَ منها ، وكان رخامًا فاخِرًا إلى الغايَة .

وكان أَسْمَرَ طُوالًا ، عُتْمِيًّا لا يَفْهَم شيئًا بالعَرَبي ، ساذَجًا يجلس في بَيْتِه فَوْق لُبَّادٍ على ما اعتاده[1].

وبهذا الجَامِع رُخامٌ كثيرٌ نَقَلَه من جَزائِر البَحْر وبِلاد الشَّام والرُّوم ، [c]وعَمَّرَ أيضًا بجواره قاعَةً فيها رُخامٌ مليح[c][2].

---

a) بولاق : جرذان . b) بولاق : إنني حافظ القلعة . c-c) إضافة من مُسَوَّدَة الخطط .

= الدرر الكامنة ١:٤٣٨–٤٣٩؛ أبا المحاسن : المنهل الصافي ٣:٨٩–٩١ (وفيه أُلْماس بضم الهمزة ولام ساكنة وميم مفتوحة وألف بعدها وسين مهملة ، ومعناه باللغة التركية : ما يموت) ، النجوم الزاهرة ٩:٣٠١) .

[1] فيما تقدم ٣:٢٤٤ .

[2] المقريزي : مُسَوَّدَة الخطط ١٣١و .

جَامِعُ قَوْصُون ١

[أثر رقم ٢٢٤]

هذا الجامِعُ بالشَّارِعِ خارِجَ بابِ زَوِيلَة [a]، ابتدأ بعِمارَتِه الأميرُ [b]الكبير سَيْفُ الدِّين[b] قُوصُون في سنة ثلاثين وسبع مائة، [b]وهو خارِجَ باب القَوْس المجاوِر لحارَة المصامدَة من الجانبِ الغربي[b]، وكان موضعُه دارًا بجوار حارَة المَصامِدَة من جانبها الغربي تُعْرَف بدارِ آقُوش نُمَيْلَة، ثم عُرِفَت بدارِ الأميرِ جَمال الدِّين قَتَّال السَّبْع المَوْصِلي، فأَخَذَها من وَلَدِه وهَدَمَها وتَوَلَّى بناءَه [c] شادُّ العَمائِر، واسْتَعْمَلَ فيه الأسْرَى. وكان قد حَضَرَ من بِلادِ تَوْرِيز بَنَّاءٌ، فبَنَى مَئْذَنَتيْ هذا الجَامِع على مِثالِ المِئْذَنة التي عَمِلَها خَواجَا علي شاه وَزير السُّلْطان أبي سَعيد، في جامِعِه بمَدينَة تَوْرِيز.

---

a) المُسَوَّدَة: بالشَّارع خارج بابِ القوس. b-b) إضافة من مُسَوَّدَة الخطط. c) بياض في ميونخ.

---

١ جامِعُ قُوصُون. أُنْشِئ عام ثلاثين وسبع مائة كما يَدُلُّ على ذلك كتابتان تاريخيتان، الأولى نَصُّها:

«أمَرَ بإنْشاء هذا الجَامِع المبارك بكَرَم الله تعالى العَبْدُ الفقير إلى الله قُوصُون السَّاقي الملكي النَّاصري في أيَّام مَوْلانا السُّلْطان الملك النَّاصِر أعَزَّ الله أنصارَه، وذلك في سنة ثلاثين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 119; Wiet, G., *RCEA* XIV, n° 5577). والثانية نَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحْمن الرَّحيم - الآية ١٨ سورة التَّوْبَة - أمَرَ بإنْشاء هذا الجَامِع العبد الفقير إلى الله تعالى السَّيْفي قُوصُون الملكي النَّاصري، في أيَّام مَوْلانا السُّلْطان الملك النَّاصر ناصر الدُّنْيا والدِّين محمد بن قلاوون، وذلك في شهور سنة ثلاثين وسبع مائة من الهجرة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 120; Wiet, G., *RCEA* XIV, n° 5578).

وتَعَرَّض هذا الجامع الضَّخْم إلى التَّخْريب منذ فترة بَعيدة، فقد سقطت مئذنتاه اللتان ذكرهما المقريزي: واحدة في آخر شعبان سنة ١٢١٥هـ/١٨٠١م (الجبرتي: عجائب الآثار ٣: ٢٣٤)، والثانية مع فَتْح شارع محمد علي سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٨٨)، الذي أدَّى فَتْحُه إلى هَدْم أجزاءٍ كبيرة من الجامع. وقد أُعيدَ بناؤه سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م في عهد الخديو عبَّاس حلمي الثَّاني، ولم يَبْقَ من الجامع الأصْلي سوى بَوَّابته الشرقية الواقعة في شارع السُّرُوجية، وبَوَّابته البَحْرية التي بداخل دَرْب الأغاوات، وبقايا زخارف وشبابيك جَصِّيَّة بالحائط البَحْري للجامع. ويَشْغل الجَامِعُ الحالي مكان الجامِع القديم بحدوده بعد الذي أُخِذَ منه عند فتح شارع محمد علي، ولم تكن البَوَّابَة الشرقية التي بشارع السُّرُوجيَّة واقعةً ضمن حَوائط الجامع الأصلي، بل كانت بعيدةً عنه بمسافة ثمانين مترًا - كما هي الآن - وكان الغَرَضُ من إنْشائها هو تقريب طريق الجَامِع لسُكَّان الشارع الأعْظَم (السُّروجية والمُغَرْبلين الآن) وتَسْهيل وصولهم إليه في أَوْقات الصَّلاة، وكانت هذه البَوَّابة على رأس دِهْليز يُوَصِّل إلى الجامع، وحَلَّ مَحَلَّ هذا الدِّهْليز الآن عَطْفَةُ المحكمة المُوَصِّلَة بين شارع السُّروجية وشارع محمد علي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٩٥هـ ١؛=

وأوَّلُ خُطْبَةٍ أُقِيمَت فيه يوم الجُمُعَة [a] من شهر رَمَضان سنة ثلاثين وسبع مائةٍ، وخطَبَ يومئذٍ قاضي القُضَاة جَلالُ الدِّين القَزْوِيني بحُضُورِ السُّلْطان، ولمَّا انْقَضَت صَلاةُ الجُمُعَة أرْكَبَه الملكُ النَّاصِرُ بَغْلَةً بخِلْعَةٍ سَنِيَّة، ثم مَنَعه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ أن يَسْتَقِرَّ في خَطابَتِه، فوَلِيَ فَخْر الدِّين شُكْر.

قُوصُون الأميرُ الكبير سَيْفُ الدِّين ـ حَضَرَ من بِلاد بَرَكَة إلى مصر صُحْبَة خَوَنْد ابنة أَزْبَك، امرأة[b] الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، في ثالث عشرين ربيع الآخر سنة عشرين وسبع مائةٍ، و [c]لم يَمْسَسه رِقٌّ بل كان[c] معه قَليل عصى وطَشما ونحو ذلك ممَّا قيمته خمس مائة درهم، ليتَّجر فيه. فكان يطوفُ[d] بذلك في أسْواقِ القاهِرَة وتَحْتَ القَلْعَة، وفي داخل قَلْعَة الجبَل لبَيْعِه؛ فاتَّفَق في بعض الأيَّام أنَّه دَخَلَ إلى الإسْطَبْل السُّلْطاني ليَبيعَ ما معه [e]فوَلَع به بعضُ الأُوشاقِيَّة وأحَبَّه[e] ـ وكان صِبيًّا جَميلًا طَويلًا، له من العُمْرِ ما يُقارِب / الثماني عشرة سنة ـ فصارَ يَتَرَدَّد إلى الأُوشاقي إلى أن رَآه السُّلْطانُ [c]ومعه العصى وهوى ونحو ذلك يبيعهم[c] فوَقَعَ منه بمَوْقِعٍ، فسأل عنه، فعَرَفَ بأنَّه يَحْضر ليَبيعَ ما معه، وأنَّ بعضَ الأُوشاقِيَّة تَوَلَّعَ به. فأَمَرَ بإحْضارِه إليه، وابْتاعَ منه نفسه ليَصير من جملة المماليك السُّلْطانية، فنَزَّلَه من جُمْلة السُّقَاة، وشُغِفَ به وأَحَبَّه حُبًّا كثيرًا.

فأَسْلَمَه للأمير بَكْتَمُر السَّاقي، وجَعَلَه أميرَ عشرة، ثم أَعْطاه إمْرَةَ طَبْلَخاناه، ثم جَعَلَه أميرَ مائة مُقَدَّمَ ألفٍ، ورَقَّاه حتى بَلَغَ أعْلى الرُّتَب[f]. فأَرْسَلَ إلى البِلاد، وأحضر إخْوَتَه سُوسُون وغيره من

---

a) بياض بآياصوفيا وباريس وميونخ. b) مُسَوَّدَة الخطط: زوج. c-c) إضافة من مُسَوَّدَة الخطط. d) بولاق والنُّسَخ: فطاف، والمثبت من المُسَوَّدَة. e-e) بولاق والنُّسَخ: فأحبّه بعض الأوشاقية، والمثبت من المُسَوَّدَة. f) بولاق والنُّسَخ: حتى بَلَّغَه أعلى المراتب.

= وانظر كذلك المقريزي: السلوك ٢: ٣٢٠؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ١٣٩- ١٤٢؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ١٨٩- ١٩٦؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٥٦٩- ٥٧٧، ٦١٩-٦٢٧).

[١] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٩٥- ٩٦، وأضاف: «وهو خارج بابي زَوِيلَة على الشَّارِع الأعْظَم بالقُرْب من بِرْكَة الفيل».

[٢] الأمير قُوصُون، لا قَوْصُون؛ كما ضُبِطَ اسمه في نُسْخَة ميونخ، السَّاقي النَّاصري، المتوفى سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م، انظر ترجمته عند، الصفدي: أعيان العصر ٤: ١٣٦- ١٤١؛ الوافي بالوفيات ٢٤: ٢٧٧- ٢٧٩؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٣٣- ٣٤؛ المقريزي: السلوك ٢: ٦١٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٤٢- ٣٤٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤، ٧٥، المنهل الصافي ٩: ١٠٧- ١١٠؛ van Steenbergen, J., «The Amir =

أقارِبه ، وأَمَّرَ الجَميعَ واخْتَصَّ به السُّلْطان بحيث لم يَنَل أحَدٌ عنده ما نالَه ، وزَوَّجه بابنته وتَزَوَّج السُّلْطانُ أُخْتَه . (aثم لمَّا حَضَرَته الوَفاةُa) جَعَلَه وَصِيًّا على أوْلادِه ، وعَهِدَ لابنه أبي بكر ، فأُقِيمَ في المُلْكِ من بعده.

وأَخَذَ قُوصُون في أسْبابِ السَّلْطَنَة ، وخَلَعَ أبا بكر المَنْصُور بعد شهرين ، وأَخْرَجَه إلى مَدينة قُوص ببلادِ الصَّعيد ثم قَتَلَه ، وأقامَ كُجُك ابن السُّلْطان وله من العُمْرِ خَمْسِ سنين ، ولَقَّبَه بالملك الأشْرَف ، وتَقَلَّد نِيابَةَ السَّلْطَنَة بديار مصر ، فأَمَّرَ من حاشِيته وأقارِبه ستين أميرًا ، وأكثر من العَطَاءِ وبَذْلِ الأمْوالِ والإنْعام ، فصارَ أَمْرُ الدَّوْلَة كلُّه بيده .

هذا وأحمد ابن السُّلْطان الملكِ النَّاصِرِ مُقيم بمَدينَة الكَرَك . فخَافَه قُوصُون وأَخَذَ في التَّدْبير عليه ، فلم يتمّ له ما أرادَ من ذلك ، وحرَّكَ على نفسه ما كان ساكِنًا فطَلَبَ أحمد المُلْكَ لنَفْسِه ، وكاتَب الأُمَرَاءَ والنُّوَّابَ بالمملكة الشَّامِيَّة والمصرية ، فأَذْعَنوا إليه .

وكان بمصر من الأُمَراء الأميرُ أَيْدَغْمُش ، والأمير آل مَلِك ، وقَماري ، والمَارْدِيني b)، وغيرهم فتخَيَّل قُوصُون منهم ، وأَخَذَ في أسْبابِ القَبْضِ عليهم ، فعَلِمُوا بذلك وخافُوا الفَوْت ، فرَكِبُوا لحَرْبه وحَصَروه بقَلْعَةِ الجبَل حتى قَبَضُوا عليه في ليلةِ الأربعاء آخر شهر رَجَب سنة اثنتين وأربعين وسبع مائةٍ ، ونُهِبَت دارُه وسائِرُ دُورِ حَواشيه وأسْبابه ، وحُمِلَ إلى الإسْكَنْدَرية صُحْبَة الأمير قَبْلاي فقُتِلَ بها .

وكان كريمًا : (cيُفَرِّق في كلِّ سنة للأُضْحِية ألف رأس غَنَمًا وثلاث مائة بَقَرَة ، و يُفَرِّق ثلاثين حِياصَة ذَهَبًا ، ويُفَرِّق كلَّ سنةٍ عِدَّةَ أمْلاكٍ فيها ما يبلغ ثمنه ثلاثين ألف درهم ودونهاc) [١].

وله من الآثارِ ـ بديار مصر ـ سوى هذا الجامع ـ الخانْقاهُ بباب القَرافَة ، والجامِعُ تِجاهها [٢]، ودارُه التي بالرُّمَيْلَة تحت القَلْعَة تِجاه باب السِّلْسِلَةِ ، وحِكْرُ قُوصُون [٣].

---

a-a) من المُسَوَّدَة ، وفي بولاق والنُّسَخ : فلمَّا احتضر السُّلْطان . b) بولاق : الماردانى . c) إضافة من المُسَوَّدَة.

---

[١] المقريزي : مُسَوَّدَة الخطط ١٣١ (طَيّارَة) .

[٢] فيما يلي ٣١٨:٢ ، ٧٧٨- ٧٨٢.

[٣] فيما تقدم ٢٣٥:٣ -٢٣٨ ، ٣٨٢- ٣٨٣.

Qawsûn, Statesman or Courtier? (720-741AH/= 1320-1341AD)» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, Vermeulen and J. Van Steenbergen (eds.), Leuven 2001, III, pp. 443-66.

جامع المارديني[a]

[أثر رقم ١٢٠]

هذا الجامعُ بجوار خُطِّ التَّبَّانَة خارج بابِ زَوِيلَة، كان مكانُه أوَّلًا مَقابِرَ أَهْلِ القاهِرَة، ثم عُمِّرَ أماكِن. فلمَّا كان في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مائةٍ [b]اشْتَراها بالثَّمَن من أرْبابِها، ثم أمَرَ الملكُ النَّاصِرُ محمد النَّشْوَ ناظِرَ الخاصّ أن يَتَوَلَّى أَمْرَ شِراءِ البُيُوتِ فَظَلَم النَّاسَ ولم يُنْصفهم في أثْمانِها[b] [1]، وهُدِمَت وبُنِيَ مَكانَها هذا الجامِع. فبَلَغَ مصروفُه زِيادَةً على ثلاث مائة ألف دِرْهَم، عنها نحو خمسة عشر ألف دينار سوى ما حُمِلَ إليه من الأَخْشَابِ والرُّخام وغيره من جِهَة السَّلْطَنة، وأَخَذَ ما كان في جَامِع رَاشِدَة من العُمُد فعُمِلَت فيه، وجاءَ من أَحْسَنِ الجَوامِع [2].

وأوَّلُ خُطْبَةٍ أُقِيمَت فيه يوم الجُمُعَة رابعِ عشرين رَمَضان سنة [c]، وخَطَبَ فيه الشَّيْخُ رُكْن الدِّين عمر بن إبراهيم الجَعْبَري ولم يَتَناوَل مَعْلومًا [d]على الخُطْبَة[d].

---

a) بولاق: الماردانى. b-b) في بولاق والنسخ: «أُخِذَت الأماكِنُ من أرْبابِها، وتولَّى شِراءَها النَّشو فلم يُنْصِف في أثْمانِها»، والعبارة المثبتة من المُسَوَّدَة. c) بياض في سائر النسخ، وأثبتت بولاق تاريخ: أربعين وسبع مائة. d-d) إضافة من المُسَوَّدَة.

---

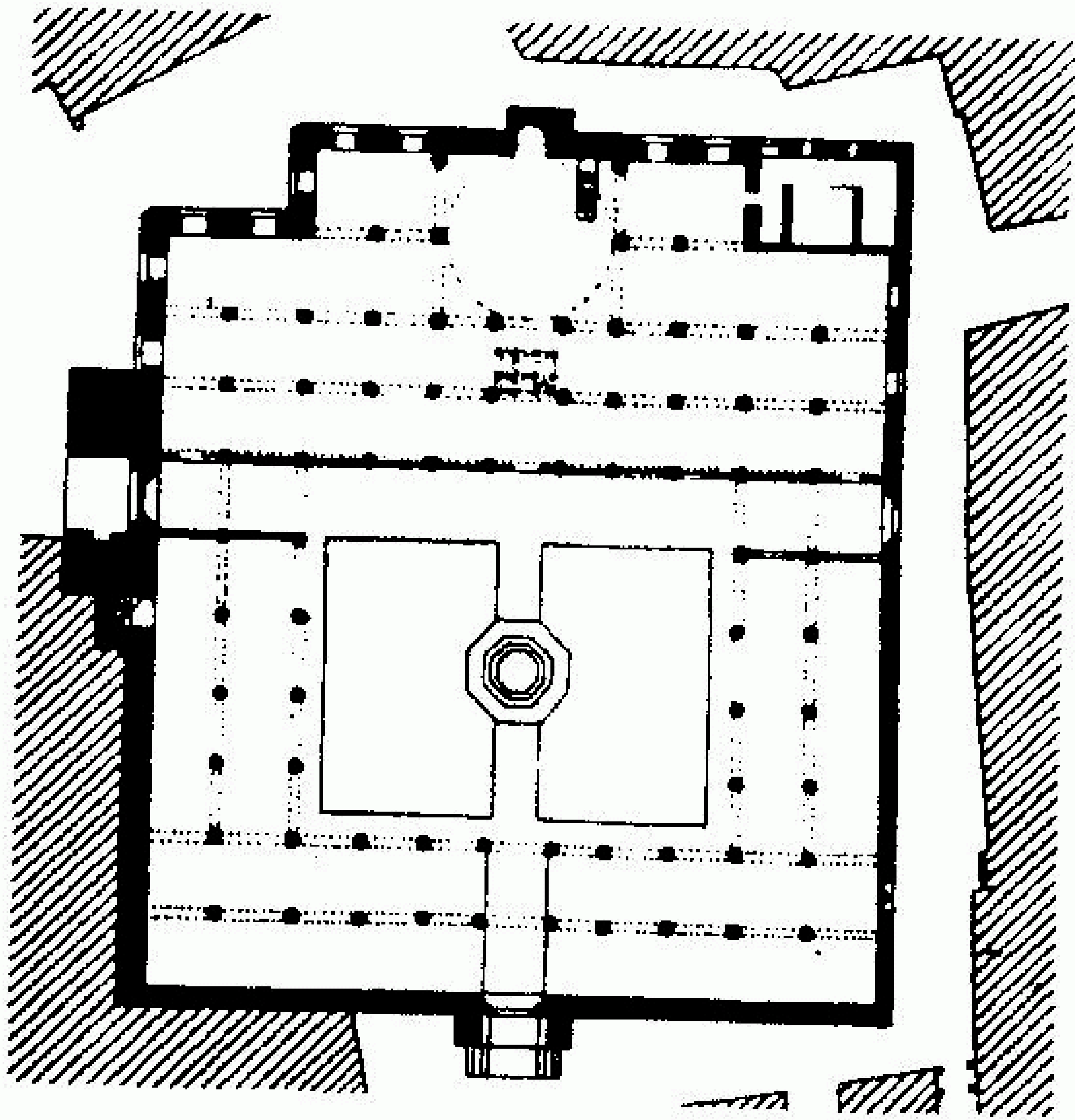
[1] وذلك في شهور سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م (المقريزي: السلوك ٢: ٣٨٥).

[2] ما زال هذا الجامعُ قائمًا بشارع التَّبَّانة على يسار الخارج من بابِ زَوِيلَة، وهو مُصَمَّمٌ على مِثال المساجِد الجامِعَة: أربعة أرْوِقَة يَتَوَسَّطها صَحْنٌ مكشوف، أكبرها رِواقُ القِبْلَة. وله ثلاثةُ أبواب: غَرْبي وقِبْلي وبَحْري، والبابُ البَحْري هو بابُ الجامع الرَّئيس وأحْفَلُها زُخْرُفًا كُسِيَ بالرُّخام المُلَوَّن المُلَبَّس في الحَجَر وعليه تاريخ الفَراغ من بِناءِ الجامع، ونَصُّه:

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم ﴿إِنَّما يَعْمُر مَساجِد الله مَنْ آمَنَ بالله واليَوْمِ الآخِرِ﴾. وكان الفَراغُ من هذا الجامع المُبارَك في شهر رَمَضان سنة أربعين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 129؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٤٩؛ .Wiet, G., (*RCEA* XV, n° 5794). وتُوجَد كتابةٌ تاريخية أخرى على يمين المِنْبَر، نَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم. أمَرَ بإنْشاء هذا الجامع المبارَك العَبْدُ الفقيرُ إلى الله تعالى الراجي عَفْو رَبِّه أَلْطُنْبُغا الشاقي الملكي النَّاصري، وذلك في شهور سنة أربعين وسبع مائة، وصَلَّى الله على سَيِّدِنا محمد وآلِه». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 133؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٥٠؛ .Wiet, G., (*RCEA* XV, n° 5797). =

(aومِئْذَنَتُه لم يُعْمَل بمصر نَظيرُها في مَلاحَتِهاa).



مُخطَّط جامع المارديني (عن اللجنة)

الساقي

أَلْطُنْبُغَا المارْدِيني[1] السَّاقي - أَمَّرَه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون، وقَدَّمه وزَوَّجه ابنته. فلمَّا ماتَ السُّلْطانُ، وتَوَلَّى بعده ابنُه الملكُ المَنْصور أبو بكر، ذَكَرَ أنَّه

a-a) إضافة من المُسَوَّدة.

= ومُهَنْدِس هذا الجامع ابن السيوفي كبير مهندسي دَوْلَة النَّاصر محمد بن قلاوون، هو نفسه مُهَنْدِس المَدْرَسَة الآقْبُغاوية القائمة على يسار الداخل إلى الجامع الأَزْهَر (فيما يلي ٢: ٣٨٤). ونَظَرًا لتَخَرُّب هذا الجامع في نهاية القرن التاسع عشر، فقد قامت لجنةُ حِفْظ الآثار العربية بإصْلاحه وتجديد وإبْدال ما تداعى من أساطينه وأعادت بناء الدَّوْرة العُلْيا من مِئْذَنَته في الفترة بين سنتي ١٣١٤هـ/١٨٩٦م و١٣٢١هـ/١٩٠٣م. (راجع، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١١٢، ٢٠٩؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٤٧-١٥١؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٢١٤-٢٢١؛ ولعصام عرفة محمود عرفة: مسجد أَلْطُنْبُغَا المارداني بالقاهرة، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٨١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٧٥٧-٧٨٢).

[1] رسم المقريزي اسمه في المُسَوَّدة، كما ورَد كذلك في بعض نُسَخ الخطط: المارديني لا المارْداني، وانظر ترجمته =

وشَى بأَمْرِه إلى الأمير قُوصُون وقال: قد عَزَمَ على إمْساكك. فتحَيَّل قُوصُون وخَلَعَ أبا بكر وقَتَلَه بِقُوص، هذا مع أنَّ أَلْطُنْبُغا كان قد عَظُمَ عند المَنْصور أكثر مِمَّا كان عند أبيه.

فلمَّا أُقيمَ الأشْرَفُ كُجُك، وماجَ النَّاسُ، وحَضَرَ الأميرُ قُطْلُوبُغا من الشَّام، وشَغَبَ الأُمَراءُ على قَوْصُون، كان أَلْطُنْبُغا أَصْلَ ذلك كلِّه، ثم نَزَلَ إلى الأميرِ أيْدَغْمُش أمير آخُور، واتَّفق معه على أن يَقْبِض على قُوصُون، وطَلَعَ إلى قُوصُون وشاغَلَه، وخَذَلَه عن الحَرَكَةِ طوالَ اللَّيْل وأَحْضَر[a] الأُمَرَاء الكُتَّاب[b] المشايخ عنده، وما زالَ يُساهِره حتى نامَ. وكان من قِيامِ الأُمَرَاءِ، ورُكوبِهِم عليه ما كان إلى أن أُمْسِك، وأُخْرِجَ إلى الإسْكَنْدَرية.

ولمَّا قَدِمَ أَلْطُنْبُغا نائِب الشَّام وأقامَ، تَقَدَّمَ المارْديني[c] وقَبَضَ على سَيْفه، ولم يَجْسُر غيرُه على ذلك، فقَوِيَت [d]بعد هذه[d] الحَرَكات نَفْسُه، وصارَ يقف فوق أَلْتَمُرتاشي، وهو أغاتُه، فشَقَّ ذلك عليه، وكَتَمَ في نَفْسِه إلى أن ملك الصَّالِح إسماعيل، فتَمَكَّنَ حينئذٍ أَلْتَمُرْتاشي، وصارَ الأَمْرُ له، وعَمِلَ على المارْديني[c]، فلم يَشْعُر بنفسه إلَّا وقد أُخْرِجَ على خَمْس أرؤس من خَيْلِ البَريد إلى نِيابةِ حَماة في شهر ربيعِ الأوَّل سنة ثلاثٍ وأربعين. فسارَ إليها وبقي فيها نحو شهرين إلى أن ماتَ أيْدَغْمُش نائِب الشَّام، ونُقِلَ طُقُزْدَمُر من نِيابَة حَلَب إلى نِيابة دِمَشْق. فنُقِلَ المارْديني[c] من نِيابَة حَماه إلى نِيابَة حَلَب، وسارَ إليها في أوَّل رَجَب من السنة المذكورة، وجاءَ الأميرُ يَلْبُغا اليَحْياوي إلى نِيابَة حَمَاه. فأقامَ المارْديني[c] يَسيرًا في حَلَب ومَرِضَ، وماتَ مستهلّ صَفَر سنة أربع وأربعين وسبع مائةٍ. وكان شابًّا طَويلًا رَقيقًا، حُلْو الصُّورَة لَطيفًا، معشق الخَطْرَة كريمًا، صائِب الحَدْس عاقِلًا.

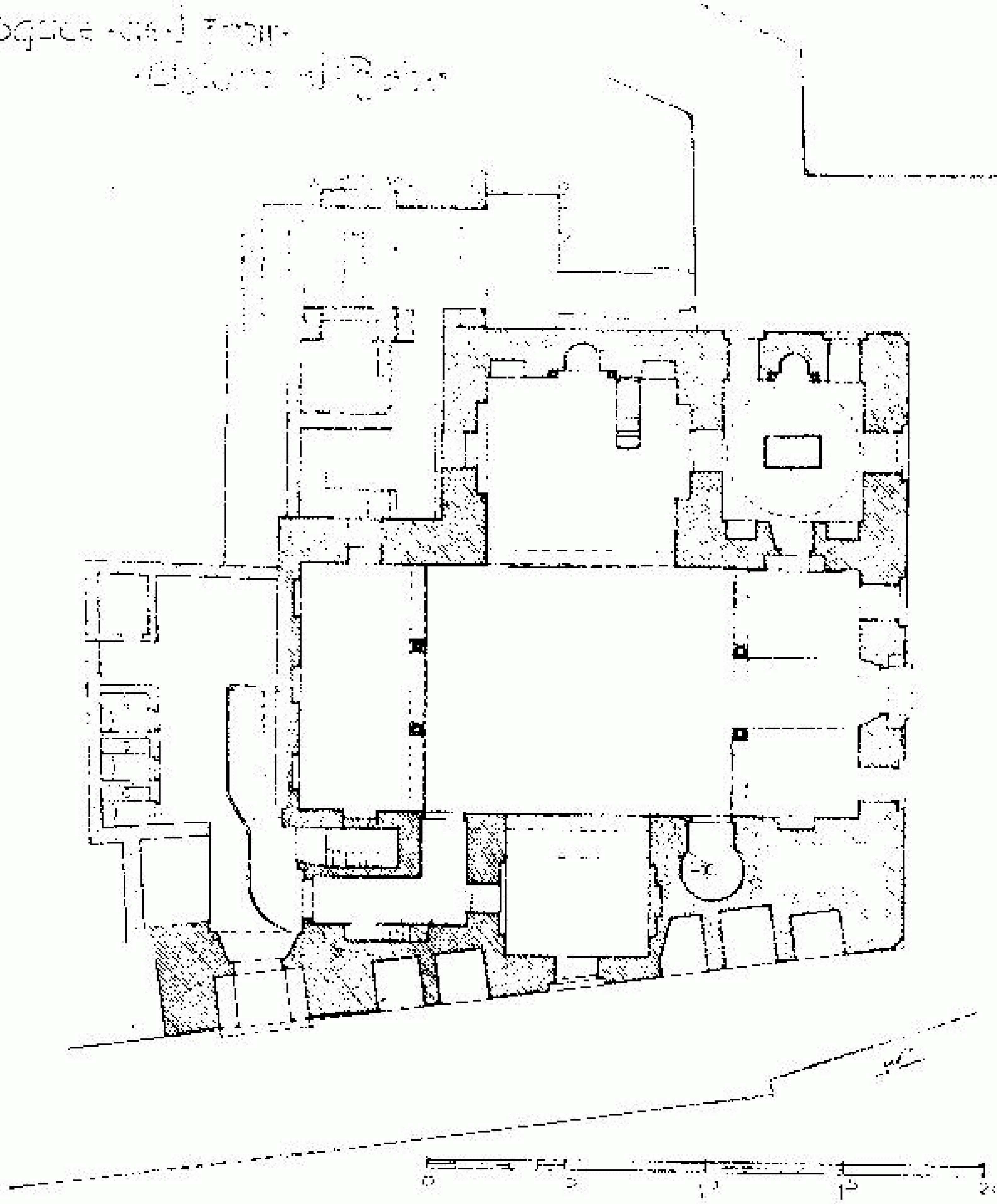
a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: الكبار. c) بولاق: المارداني. d-d) بولاق: بهذه.

= كذلك عند، الصفدي: أعيان العصر ١: ٦٠٤-٦٠٧ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٣٧؛ أبي المحاسن: النجوم (وهو مصدر المقريزي)، الوافي بالوفيات ٩: ٣٦٤-٣٦٥؛ الزاهرة ١٠: ١٠٥، المنهل الصافي ٣: ٦٧-٧٠. المقريزي: السلوك ٢: ٦٨٥، المقفى الكبير ٢: ٢٨٤-٢٨٥؛

/جَامِعُ أَصْلَم

[أثر رقم ١١٢]

هذا الجامعُ داخِل البابِ المَحْروق، أنشأه الأَميرُ بَهاءُ الدِّين أَصْلَم السِّلاح دار في سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائةٍ [1].



مُخَطَّط جامع أصْلَم البهائي (عن اللجنة)

[1] لا يزالُ هذا الجامعُ قائمًا بشارع دَرْبِ شُغْلان عند تلاقيه بشارع فاطمة النبوية بالدَّرْب الأحمر، وهو مُصَمَّمٌ على تَخْطيط المدارِس المُتعامِدة بأرْبَع إيوانات صغيرة. وتوجد فوق المَدْخَل الجنوبي للجامِع ثلاثة أسطر بالخَطِّ النَّسْخ-

أَحَدُ مَماليك الملك المَنْصور قَلاوون الألْفي [1]. فلمَّا فُرِّقَتِ المماليك السُّلْطانية

أَصْلَم في نِيابَة كَتْبُغا، بعد قَتْلِ الملك الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون وسَلْطَنَة النَّاصِر محمد بن قَلاوون، كان أَصْلَمُ من نَصيبِ الأميرِ سَيْف الدِّين آقُوش المَنْصوري، ثم انْتَقَلَ إلى الأمير سَلار. فلمَّا حَضَرَ الملكُ النَّاصِرُ محمد من الكَرَك، بعد سَلْطَنَة بَيْبَرْس الجاشَنْكير، خَرَجَ إليه أَصْلَم بِنِمْجاةِ المُلْك[a] [2]، و بَشَّره بِهُروبِ بَيْبَرس. فأَنْعَم عليه بإمْرَة عشرة، ثم تنقَّل إلى أن صارَ أميرَ مائة مُقَدَّم أَلف، وخَرَجَ في التَّجْريدَة إلى اليَمَن، فلمَّا عادَ اعْتَقَله السُّلْطانُ خمس سنين لكلامٍ نُقِلَ عنه، ثم أَخْرَجَه وأعادَه إلى منزلته، ثم جَهَّزَه لنيابة صَفَد.

وماتَ النَّاصِرُ وأَصْلَم بصَفَد، فخَرَجَ الأميرُ قُوصُون مع أَلْطُنْبُغا نائِب الشَّام إلى حَلَب لإمْساكِ طَشْتَمُر، فسارَ إلى قارا، ثم رَجَع وانْضَمّ إلى الفَخْري، وأقامَ عنده على خان لاجين، وتوَجَّه معه صُحْبَة عَساكِر الشَّام إلى مصر، فرَسَمَ له الملكُ النَّاصِرُ أحمد بن محمد ابن قَلاوون بإمْرَة مائة في مصر على عادَتِه.

---

a) بولاق: بمنجاة الملك.

= المملوكي تُحَدِّدُ تاريخ بناء الجَامع والفَراغ منه، نَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم، وصَلَّى الله على سَيِّدنا محمد وآلِه وصَحْبِه. أَمَرَ بإنْشاءِ هذا الجامِع المبارَك من فَضْلِ الله تعالى وجَزيلِ عَطائِه العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى أَصْلَم بن عبد الله السِّلَحْدار الملكي الصَّالحي. وكان ابْتِداءُ عمارَته في شهر جُمادَى الأَوَّل سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائة وفَراغُه في ربيع الأَوَّل سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة» (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 136; Wiet, G., RCEA XV, n° 5986). كما تُوجَد كتابَةٌ على إفْريز المَدْخَل الغربي نَصُّها:

«بِسْم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾. أَمَرَ بإنْشاء هذا الجامِع المبارك العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى البهائي أَصْلَم السِّلَحْدار عَزَّ نَصْرُه. وكان الفَراغُ في شهر رَجَب الفَرْد سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة». (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 137; Wiet, G., RCEA XV, n° 5990).

(راجع، المقريزي: السلوك ٢: ٧٢٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٧٤-١٧٥هـ [1]، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٢٢-١٢٤ (٥٩)؛ Karim, Ch., «The Mosque of Aslam al-Bahâ'î al-Silahdâr (746/1345)», *An.Isl.* XXIV (1988), pp. 233-52؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٨٢٧-٨٤٩).

[1] انظر ترجمة أَصْلَم البهائي السِّلاح دار، المتوفى سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، كذلك عند، الصفدي: أعيان العصر ١: ٥٤٠-٥٤١، الوافي بالوفيات ٩: ٢٨٥؛ المقريزي: السلوك ٢: ٧١٩، ٧٢٢، المقفى الكبير ٢: ٢١٨-٢١٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤١٦-٤١٧؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٧٤، المنهل الصافي ٢: ٤٥٥-٤٥٧.

[2] النِّمْجَة (النِّمْجاة). خَنْجَرٌ مُقَوَّسٌ يُشْبِه السَّيْف الصَّغير. (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* II, 732).

وكان أَحَدَ المشايخ، ويَجْلِسُ رأس الحَلْقَة، ويُجيدُ رَمْي النُّشّاب، مع سَلامَةِ صَدْرٍ وخيرٍ، إلى أن ماتَ في يوم السبت عاشِر شَعْبان سنة سبعٍ[a] وأربعين وسبع مائة.

وأنشأ بجوار هذا الجامِع دارًا سَنِيَّةً وحَوْضَ ماءٍ للسَّبيل. وبهذا الجامِعُ دَرْسٌ، وله أوْقافٌ، وهو من أَحْسَنِ الجَوامِع.

جامعُ بَشْتاك

[أثر رقم ٢٠٥]

هذا الجامِعُ خارج القاهِرَة بخُطِّ قَبْو الكِرْماني على بِرْكَة الفيل، عَمَّرَه الأميرُ بَشْتاك فكَمُل في شَعْبان سنة ستٍّ وثلاثين وسبع مائةٍ، وخَطَبَ فيه تاجُ الدِّين عبد الرَّحيم ابن قاضي القُضاة جَلال الدِّين القَزْويني في يوم الجُمُعَة سابع عشره. وعَمَّر تِجاهَه خانْقاه على الخَليج الكبير، ونُصِبَ بينهما ساباطٌ يُتَوَصَّل من أحَدِهما إلى الآخر[1].

---

a) في أعيان العصر: ستّ.

---

[1] هذا الجامعُ يقع جنوب المَدْرسة الخديوية بشارع بورسعيد (دَرْب الجماميز سابقًا) في مواجهة خانقاه ابن غُراب. كان في الأصْل يُشْرِف على بركة الفيل، ووَصَفَه المقريزي بأنّه «من أبْهَج جَوامِع البَلَد حُسْنًا وزَخْرَفَةً ورُخامًا وحُسْن مُشْتَرَف». وقامت أعْمالُ تَجْديد وإعادَة بناء كاملة للجامِع سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م بأمْرِ الأميرة أُلفت هانم قادن والدة الأمير مصطفى فاضل أخي الخديو إسماعيل بمناسبة إنشاء دارهما المجاورة له (وهي الدَّار التي شَغَلَتْها فيما بعد الكُتُبْخانَة الخِديويَّة وديوان عُمُوم الأوقاف). (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤:١٣٧ (٦٥-٦٦)). ولم يتبق من آثارِ الجامع الأصْلي سوى الباب العمومي الداخلي للجامع ومئذنته الواقعة على يساره، ومكتوبٌ فوقه النَّصُّ التاريخي التالي: «بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم. هذا ما مَهَّدَه لنفسه المُقَرّ الأشْرَف بَشْتاك المالكي النَّاصري، والابْتداء في مستهلّ شهر رَمَضَان المُعَظَّم سنة ستٍّ وثلاثين وسبع مائة، وفُرِغَ آخر شهر رَجَب الفَرْد سنة سبع وثلاثين وسبع مائة» (Wiet, G., RCEA XV, n° 5703). ويُعْرَف الجامع الآن باسم جامع مصطفى فاضل باشا، كما يُطلِق عليه العامَّة اسم جامع الشيخ رفعت لأنَّ القارئ الشهير الشيخ محمد رفعت كان يقرأ به. (راجع، المقريزي: السلوك ٢: ٤٢٣، ٥١٨، ٥٤٥، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٢٠٨هـ[1]؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٤٣-١٤٦؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣:٢٠٦-٢١٣؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢:٦٩٩-٧٠٩).

وكان هذا الخَطُّ يَسْكُنه (a المكين بن قَزوينة و a) جَماعَةٌ من الفِرِنْج والأقْباط ، ويَرْتَكبون من القَبائح ما يَليقُ بهم . فلمَّا عُمِّرَ هذا الجَامِعُ ، و أُعْلِنَ فيه بالأذَانِ وإقامَةِ الصَّلَوات ، اشْمأزَّت قُلوبُهُم لذلك ، وتَحَوَّلُوا من هذا الخَطِّ وهو من أَبْهَج (b جوامع البَلَد حُسْنًا وزَخْرَفَةً ورُخامًا وحُسْن مُشْتَرَف b)، وأدْرَكْناه إذا قَوِيَت زِيادَةُ ماءِ النِّيل فاضَت بِرْكَةُ الفيل وغَرَّقَته ، فيَصيرُ لُجَّةَ ماءٍ، لكن منذ انْحَسَرَ ماءُ النِّيل عن البَلَدِ إلى جِهَة الغَرْب بَطَلَ ذلك .

وله من الآثارِ ، سِوَى ذلك ، قَصْرُ بَشْتَاك بَيْن القَصْرَيْن ، وقد تَقَدَّم ذِكْرُه [١] .

جَامِعُ آق سُنْقُر

هذا الجَامِعُ بسُوَيْقَة السَّبَّاعين على البِرْكَة النَّاصِرِيَّة [٢] ، عَمَّرَه الأميرُ آقْ سُنْقُر شادُّ العَمائِر السُّلْطانية [٣] ، وإليه تُنْسَبُ قَنْطَرةُ آقْ سُنْقُر التي على الخَليج الكبير بخُطِّ قَبْوِ الكِرْماني قُبالَة الحَبَّانِيَّة [٤] ، و أنشأ أيضًا دارًا جَليلَةً c) وحَمَّامَيْن بخُطِّ البِرْكَة النَّاصِرِيَّة .

وكان أوَّلًا d) من جُمْلَةِ الأُوشاقِيَّة في أوَّلِ أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، ثم عَمِلَه أَمير آخور مُدَّةً d)؛ ونَقَلَه منها فجَعَلَه شادَّ العَمائِر السُّلْطانيَّة . وأقامَ فيها مُدَّةً فأثْرَى ثَراءً كبيرًا ، وعَمَّرَ م

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدة . b-b) بولاق والنسخ : «الجوامع وأحسنها زخرفًا وأنزهها» ، والعبارة المثبتة من المُسَوَّدَة . c) في المُسَوَّدة : مِلْكًا عَظيمًا . d) إضافة من المُسَوَّدة .

---

[١] انظر فيما تقدم ٢٢٧:٣ - ٢٣٠ ، ومن آثاره أيضًا «حَمَّامُ بَشْتاك» بسُوقِ السِّلاح بالدَّرْبِ الأحمر ، وهو حَمَّامٌ لم يذكره المقريزي في الفَصْل الذي خَصَّصَه لذِكْر الحمَّامات ، وما زالَ مَدْخَلُه قائمًا إلى الآن بشارع سُوق السِّلاح ، مسجل بالآثار برقم ٢٤٤ ، وعليه كتابةٌ تاريخيةٌ نَصُّها :

«أمَرَ بإنْشاءِ هذا الحَمَّام المبارَك المقامُ الأشْرَف العالي المَوْلَوي الأميري الكَبيري السَّيْفي بَشْتَاك المَلَكي النَّاصِري دامَ عِزُّه» . (Wiet, G., *RCEA* XV, n° 5802) .

[٢] جَامِعُ آق سُنْقُر بسُويقة السَّبَّاعين . حَدَّدَ محمد بك رمزي هذا الجامِعَ بالجامع المعروف الآن بجامع أبي طَبْل الموجود بحارَة السَّقَّائين عند تلاقيها بشارع المَذْبَح الذي يطل عليها الباب الحالي للجامع بقسم السَّيِّدَة زَيْنَب (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣٢٢:٩ هـ [٤]) .

[٣] توفي الأمير آقْسُنْقُر شادّ العَمائِر بدمشق سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م . (المقريزي : المقفى الكبير ٢٦٤:٢ - ٢٦٥ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٤٢١ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣٢٢:٩) .

وعن وظيفة شادّ العَمائِر السُّلْطانية انظر فيما تقدم ٦٩٠:٣ هـ [٣] .

[٤] فيما تقدم ٣: ٤٩٢ .

ذُكِر ، وجَعَلَ على الجَامِع عِدَّةَ أَوْقافٍ . ثم عُزِلَ [a]، وصُودِرَ وأُخْرِجَ من مصر إلى حَلَب ، ثم نُقِلَ منها إلى دِمَشْق ، فماتَ بها في سنة أربعين وسبع مائةٍ .

جَامِعُ آق سُنْقُر

[أثر رقم ١٢٣]

هذا الجَامِعُ قريبٌ من قَلْعَةِ الجَبَل ، فيما بين بابِ الوَزير والتَّبَّانَة ، كان مَوْضِعُه في القَدِيم مَقابِرَ أَهْلِ القاهِرَة ، وأنشأه الأميرُ آق سُنْقُر النَّاصِري وبَناهُ بالحَجَر ، وجَعَل صُفوفَه عُقُودًا من حِجارَة ورُخَامه ، واهْتَمَّ في بِنائِه اهْتِمامًا زائِدًا حتى كان يَقْعُد على عِمارَته بنفسه ، ويشيل التُّراب مع الفَعَلَة بيده ، ويتأخَّر عن غَدائِه اشْتِغالًا بذلك ، وأنْشَأ بجانِبه مَكْتَبًا لإقْراءِ أَيْتام المسلمين القُرْآن ، وحانُوتًا لسَقْي النَّاسِ الماءَ العذْب ، [b]وسَلَّطَ سَرابَه على سَرابِ جَامِع المارْدِيني[b] [1].

a) بولاق والنسخ : فعزل . b-b) إضافة من المُسَوَّدة .

[1] جامعُ آقْسُنْقُر النَّاصري بشارع باب الوزير . أُنْشِئ كما هو مُثْبَتٌ بكتابة تاريخية على الباب القِبْلي للجامع سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م ، ونَصُّها :

«بِسْم الله الرَّحْمن الرَّحيم ﴿إنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ الله مَنْ آمَنَ بالله واليَوْمِ الآخِر﴾ ، أَمَرَ بإنْشَاءِ هذا الجَامِع العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى آقْسُنْقُر النَّاصِري تَغَمَّدَه الله برحمته ، وكان ابْتِداءُ عِمارَته سادِس عشر رَمَضَان المُعَظَّم سنة سبعٍ وأربعين وسبع مائة ، وكان الصَّلاةُ فيه يوم الجمعة ثالث ربيع الأوّل سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة ، وتوفي إلى رحمة الله تعالى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام والتحية» (van Berchem M., *CIA* Egypte I, n° 142؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٥٢؛ Wiet, G., *RCEA* XVI, n° 6040) . وواضحٌ أنَّ هذا النَّصّ كُتِبَ بعد وَفاة المُنْشِئ وقَبل الفراغ من بناء الجامع الذي لا نعرف من قام بتكملته . وهو مُصَمَّم على مِثالِ المساجد الجامعة : أربعة إيوانات يَتَوسَّطها صَحْنٌ مَكْشوفٌ أكبرها إيوانُ القِبْلة المُشْتَمِل على رِواقَيْن ، أمَّا سائر الإيوانات فمكوَّنة من رِواقٍ واحد . ويَفْتَح البابُ الرئيس للجامِع في واجهته الغربية .

وتُوجَد على يسار الباب الرئيس القُبَّة التي دُفِنَ فيها السُّلْطانُ عَلاءُ الدِّين كُجُك (لأنَّ آقْسُنْقُر زَوْج أُمّه) سنة ٧٤٦هـ (أي قَبْل بناء الجامع) وكُتِبَ عليها : أوَّلًا : «بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم - الآية ١٨٢ سورة آل عِمْران - هذه القُبَّة المبارَكَة عُمِّرت لدَفْن العَبْد الفقير إلى الله تعالى مَوْلانا السُّلْطان السَّعيد الشَّهيد الملك الأَشْرَف عَلاء الدِّين كُجُك . وكانت وَفاتُه في شهر جُمادَى الأولى من سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة» . (van Berchem, M., *CIA* Egypte I, n° 138; Wiet, G., *RCEA* XV, n° 5987) ، ثانيًا : «بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم - الآية ٢٥٦ سورة البقرة - هذا ضَريحُ العَبْد الفقير إلى الله السَّعيد الشَّهيد مَوْلانا السُّلْطان الملك الأَشْرف عَلاء الدِّين كُجُك ، ابن مَوْلانا السُّلْطان الشَّهيد الملك النَّاصِر محمد ابن مَوْلانا=

ووَجِدَ عند حَفْرِ أسَاسِ هذا الجَامِع كثيرًا من الأمْواتِ ، وجَعَلَ عليه ضَيْعَةً من قُرَى حلَب تُغِلّ في السنة مائة وخمسين ألف درهم فِضَّة : عنها نحو سبعة آلاف دينار ، وقَرَّرَ فيه دَرْسًا فيه عِدَّة من الفُقَهاء ، ووَلَّى الشَّيْخ شَمْسَ الدِّين محمد ابن اللَّبَّان الشَّافِعيّ خَطابَته ، وأقامَ له سَائِرَ ما يَحْتاج إليه من أرْبابِ الوَظائِف ، وبَنَى بجوارِه مكانًا ليُدْفَن فيه ، ونَقَلَ إليه ابنه فدَفَنَه هناك .

وهذا الجَامِعُ من أجَلِّ جَوامِع مصر ، إلَّا أنَّه لمَّا حَدَثَت الفِتَنُ ببلاد الشَّام ، وخَرَجَت النُّوَّابُ عن طاعَةِ سُلْطَان مصر منذ ماتَ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق ، امْتَنَع حُضُورُ مُغَلّ وَقْف هذا الجَامِع لكونه في بلاد حلَب ، فتَعَطَّل الجَامِعُ من أرْبابِ وَظائِفه ، إلَّا الأذان والصَّلاة وإقامَة الخُطْبَة في الجُمَع والأعْياد .

ولمَّا كانت سنة خمسَ عشرةَ وثمان مائةٍ ، أَنْشَأ / في وَسَطِه الأميرُ طُوغان الدَّوَادار بِرْكَةَ ماءٍ وسَقَّفَها ، و نَصَبَ عليها عُمُدا من رُخامٍ لحَمْل السَّقْفِ أَخَذَها من جَامِع الخَنْدَق [a]ظَاهِر القَاهِرَة[a]، فهَدَمَ الجَامِعَ بالخَنْدَق من أجْلِ ذلك [1]، وصارَ الماءُ يُنْقَل إلى هذه البِرْكَة من ساقِيَة الجَامِع التي كانت للمَيْضَأة .

---

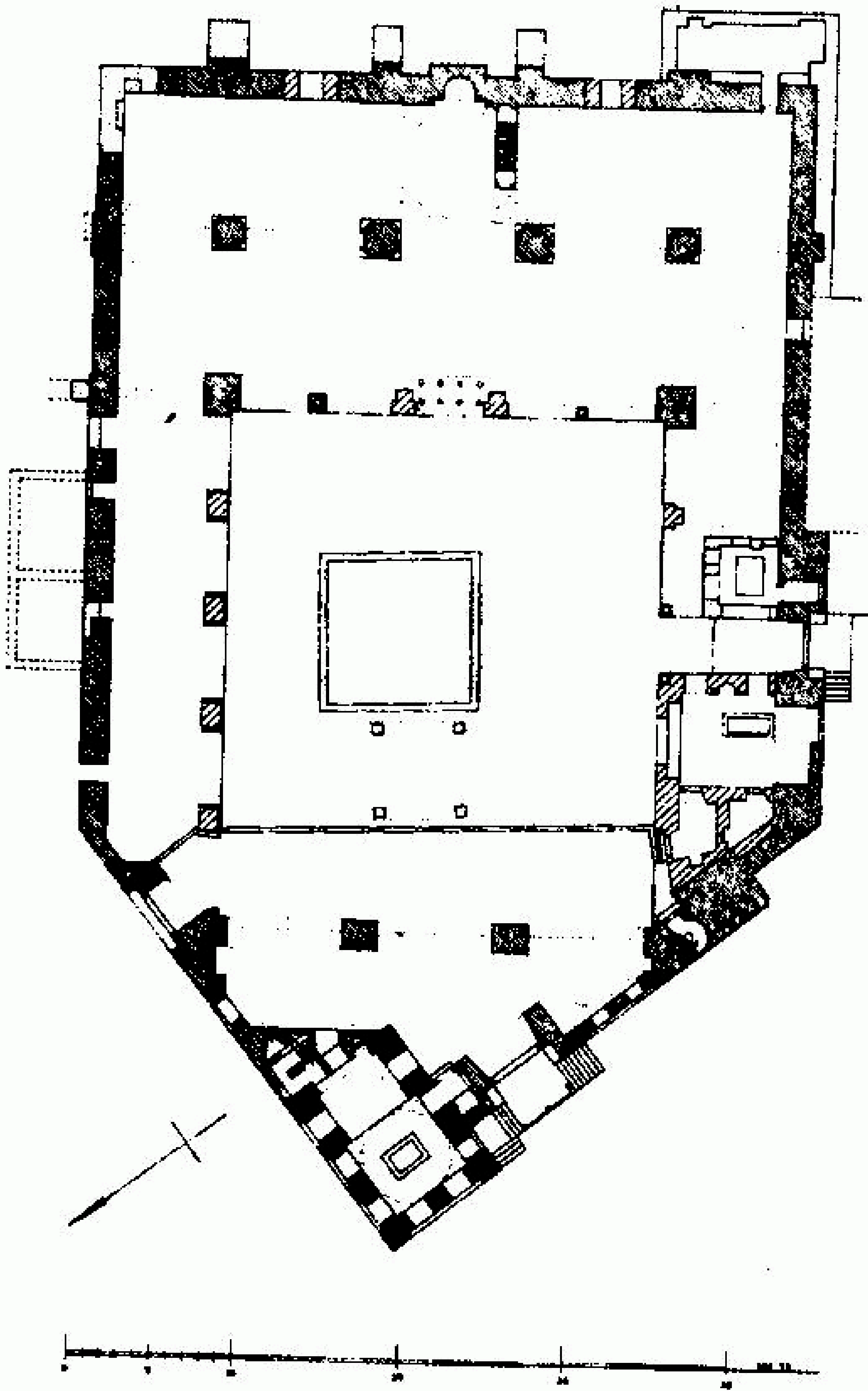
a-a) إضافة من المُسَوَّدَة .

= السُّلْطان السَّعيد الشَّهيد قَلاوون الصَّالحي ، تَغَمَّدَهم الله برَحْمَته وأسْكَنَهم فَسيحَ جَنَّتِه وقَدَّسَ أرْواحَهم الطَّاهِرَة وعَوَّضَهم عن الدُّنيا بنَعيم الآخِرَة . وكانت وَفاتُه في شهر جُمادَى الأوَّل سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة» (.,Wiet, G *RCEA* XV, n° 5988) .

وأحْدَثَ إبراهيم أغا مُسْتَحْفَظان عِمارَةً كبيرةً بهذا الجامع بين سنتي ١٠٦١هـ/١٦٥١م و١٠٦٢هـ/١٦٥٢م . فغَيَّر في عُقُودِ السَّقْف الحجرية واسْتَبْدَلَ ما اخْتَلَّ منها بسُقُوفٍ خَشَبِيَّة ، وكسَا الحائِط الشَّرْقي الذي فيه المِحْراب إلى السَّقف بالقاشاني الأزْرَق (مِمَّا جَعَلَ الجامع يُعْرَف أيضًا بالجامع الأزْرَق) . كما قامَت لجنةُ حِفْظِ الآثار العربية عام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م بعملية إصْلاحٍ لعقود الجامع والقاشاني ومِنْبَره الرُّخامي وأعادَت بناء الدَّوْرَة الثالثة للمئذنة بعد سقوطها وكَشَفَت وَجْهات الجامع من الأبنية التي تحجبها .

(راجع ، المقريزي : السلوك ٢: ٧٥٤؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ١٧٨-١٧٩هـ [1]؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤: ٩٣-٩٥ (٤٤-٤٥)؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٥٢- ١٥٥؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣: ٢٣٥- ٢٤٠؛ Meinecke, M., «Die Moschee des Amīrs Âqsunqur an-Nâsirî in Kairo», *MDAIK* 29 (1973), pp. 9-38; Meinecke-Berg, V., «Die Osmanische Fliesendekoration der Âqsunqur - Moschee in Kairo. Zur Entwicklung der Iznik-Fliesen des 17 Jahr hunderts», *MDAIK* 29 (1973), pp. 39-61؛ سامي عبد الحليم : «مسجد الأمير آق سُنقُر الناصري» ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة المنصورة ٣-٤ (مايو ١٩٨٢) ، ٢٦١- ٣٤٩؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٨٩٥-٩١٦) .

[1] فيما يلي ٣١٢.



مُخَطَّط جَامِع آقْ سُنْقُر (عن Meinecke)

فلمَّا قَبَضَ الملكُ المُؤَيَّد شَيْخ الظَّاهِري على طُوغَان، في يوم الخميس تاسع عشر جُمادَى الأولى سنة ستّ عشرة وثمان مائة، وأَخْرَجه إلى الإسْكَنْدرية واعْتَقَلَه بها [1]، أَخَذَ شَخْصٌ الثَّوْرَ الذي كان يُديرُ السَّاقِية ـ فإنَّ طُوغَانَ كان أَخَذَه منه بغير ثَمَن، كما هي عادَةُ أُمَرائِنا ـ فبَطَلَ الماءُ من البِرْكَة.

[1] المقريزي: السلوك ٤: ٢٦٥، ٢٦٦.

آقْ سُنْقُر السَّلاري

الأميرُ شَمْسُ الدِّين[1] ـ أحَدُ مماليك السُّلْطان الملك المَنْصور قلاوون. ولمَّا فُرِّقَتِ المماليكُ في نِيابَة كَتْبُغا على الأُمَرَاءِ، صارَ الأميرُ آقْ سُنْقُر إلى الأمير سَلار، فقيل له السَّلاري لذلك. ولمَّا عادَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون من الكَرَك، اخْتَصَّ به، ورَقَّاه في الخِدَم حتى صارَ أحَدَ الأُمَرَاءِ المقدَّمين، وزَوَّجه بابنته، وأَخْرَجَه لنِيابَة صَفَد، فباشَرَها بعِفَّةٍ إلى الغاية، ثم نَقَلَه من نِيابَةِ صَفَد إلى نِيابَةِ غَزَّة.

فلمَّا ماتَ النَّاصِرُ، وأُقِيمَ من بعده ابنُه الملك المَنْصور أبو بكر، وخُلِعَ بالأَشْرَف كُجُك، وجاءَ الفَخْرِيُّ لحِصَارِ الكَرَك؛ قامَ آقْ سُنْقُر بنُصْرَةِ أحمد ابن السُّلْطان في الباطِن. وتَوَجَّه الفَخْرِي إلى دِمَشْق لمَّا تَوَجَّه أَلْطُنْبُغا إلى حَلَب ليطرد طَشْتَمُر نائِب حَلَب، فاجْتَمَعَ به وقَوَّى عَزْمَه، وقال له: تَوَجَّه أنت إلى دِمَشْق وامْلُكها، وأنا أحْفَظ لك غَزَّة.

وقامَ في هذه الواقِعَة قيامًا عَظيمًا، وأَمْسَكَ الدُّروبَ، فلم يحضُر أحَدٌ من الشَّام أو مصر، من البريد وغيره، إلّا وقُبِضَ عليه وحُمِلَ إلى الكَرَك، وحَلَفَ النَّاسُ للنَّاصِر أحمد، وقامَ بأمْرِه ظاهِرًا وباطِنًا، ثم جاءَ إلى الفَخْري وهو على خَان لاجين، وقَوَّى عَزْمَه وعَضَّدَه، وما زالَ عنده بدِمَشْق إلى أن جاءَ أَلْطُنْبُغا من حَلَب والْتَقوا، وهَرَبَ أَلْطُنْبُغا، فاتَّبعه آق سُنْقُر إلى غَزَّة وأقامَ بها، ووَصَلَت العَساكِرُ الشَّامِيَّة إلى مصر.

فلمَّا أَمْسَكَ النَّاصِرُ أحمد طَشْتَمُر النَّائِب، وتَوَجَّه به إلى الكَرَك، أعْطَى نِيابَة ديار مصر لآقْ سُنْقُر، فباشَرَ النِّيابَة وأحمد في الكَرَك. إلى أن مَلَكَ الملكُ الصَّالِحُ إسماعيل بن محمد، فأقَرَّه على النِّيابَة، وسارَ فيها سيرةً مشكورةً. فكان لا يَمْنَع أحَدًا شيئًا طَلَبَه كائِنًا من كان، ولا يردُّ سائِلًا يسأل ولو كان ذلك غير ممكن، فارْتَزَقَ النَّاسُ في أيَّامِه، واتَّسَعَت أحْوالُهُم، وتقدَّم مَنْ كان متأخِّرًا حتى كان النَّاسُ يَطْلُبون ما لا حاجَةَ لهم به.

ثم إنَّ الصَّالِحَ أمسكه هو وبَيْغَرا أمير جانْدار وأولاجا الحاجِب وقَراجا الحاجِب، من أجْل أنَّهم نُسِبوا إلى المُمالأة والمُداجَاة مع النَّاصِر أحمد، وذلك يوم الخميس رابع المحرَّم

[1] مُنْشِئ الجامع المذكور هو الأمير آقْسُنْقُر النَّاصري، المتوفى مَقْتولًا بالقَلْعَة تَهْبيرًا بالسيوف يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، لا آقْسُنْقُر السَّلاري، المتوفى بعد سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م، الذي ترجم له المَقْريزي هنا. (راجع ترجمة الأمير آقْسُنْقُر النَّاصِري عند، الصفدي: أعيان العصر ١:٥٥٤- ٥٥٦، الوافي بالوفيات ٩:٣١١- ٣١٣؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢:٢٦٢- ٢٦٣، السلوك ٢:٧٥٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١:٤٢٥؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠:١٧٨- ١٨٠، المنهل الصافي ٢:٤٩٦-٤٩٩).

سنة أربعٍ وأربعين وسبع مائةٍ، وكانَ ذلك آخِرَ العَهْدِ به، فاستَقَرَّ[a] بعده في النِّيابة الحاجُ آل مَلِك. ثم أُفْرِجَ عن بَيْغَرا وأولاجا وقَراجا في شهر رَمَضان سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائةٍ.

جامعُ آل مَلِك

هذا الجَامِعُ في الحُسَيْنِيَّة خارِج بابِ النَّصْر، أنشأه الأميرُ سَيْفُ الدِّين الحَاج آل مَلِك، وكَمُلَ وأُقِيمَت فيه الخُطْبَةُ يوم الجُمُعَة تاسِع جُمادَى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائةٍ، وهو من الجَوامِع المليحة، وكانت خِطَّتُه عامِرَةً بالمساكِن وقد خَرِبَت[1].

آل مَلِك الأميرُ سَيْفُ الدِّين الأميرُ سَيْفُ الدِّين، أصْلُه مِمَّا أُخِذَ في أيَّام الملك الظَّاهِر من كَسْبِ الأَبُلُسْتين، لمَّا دَخَل إلى بِلاد الرُّوم في سنةَ ستٍّ وسبعين وستّ مائةٍ، وصارَ إلى الأميرَ سَيْف الدِّين قَلاوون وهو أمير قبل سَلْطَنَته، فأعْطاهُ لابنه الأمير عليّ. وما زالَ يَتَرَقَّى في الخِدَم إلى أن صارَ من كِبارِ الأُمَراءِ المشايخ رُءُوس المَشورَة في أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون[2].

وكانَ لمَّا خُلِعَ النَّاصِرُ وتَسَلْطَن بَيْبَرس يتردَّد بينهما من مصر إلى الكَرَك، فأعْجَب النَّاصِرَ عقلُه وتأنِّيه، وسَيَّرَ من الكَرَك يقول للمُظَفَّر: لا يَعُود يجيء إليَّ رَسُولًا غير هذا؛ فلمَّا قَدِمَ النَّاصِرُ إلى مصر عَظَّمَه، ولم يَزَل كبيرًا مُوَقَّرًا مبجَّلًا. فلمَّا وَلِيَ النَّاصِرُ أحمد السَّلْطَنَة أَخْرَجَه إلى نِيابَة حَماهِ، فأقامَ بها إلى أن تَوَلَّى الصَّالِحُ إسماعيل فأقْدَمه إلى مصر، وأقامَ بها على حالِه إلى أن أَمْسَكَ الأميرُ آقْ سُنْقُر السَّلاري نائِبَ السَّلْطَنَة بديارِ مصر، فوَلَّاه النِّيابَة مكانَه، فشدَّد في الخَمْرِ إلى الغاية وحَدَّ شارِبَها، وهَدَمَ خِزانَة البُنُود وأراقَ خُمُورَها، وبَنَى بها مَسْجِدًا

a) بولاق: واسْتَقَرَّ.

[1] زالَ كُلُّ أثَرٍ لهذا الجامِع الآن، وأُقيمَ على أرْضِه مَدافِنُ خارج باب النَّصْر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٢٠٨هـ[3]؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١:٤٩٩).

[2] انظر كذلك، الصفدي: أعيان العصر ١:٦١٨–٦٢٠، الوافي بالوفيات ٩:٣٧٢–٣٧٣؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣:٨٢–٨٣؛ المقريزي: السلوك ٢:٧٢٣، ٣:٣٣، المقفى الكبير ٢:٢٩٤–٢٩٧، مسودة المواعظ ١٤٥–١٤٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١:٤٣٩–٤٤٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠:١٧٥، المنهل الصافي ٦:٢٥٧–٢٦٢.

وحَكَرَها للنَّاس، فسُكِنَت إلى اليوم كما تقدَّم ذكره [١]، وأُمْسِكَ الزِّمامُ زَمانًا.

وكان يَجْلِسُ للحُكْمِ في الشُّبَّاكِ بدارِ النِّيابَة من قَلْعَةِ الجَبَل طُولَ نَهارِه، لا يَمَلُّ ذلك ولا يَسْأم، وتَرُوحُ أرْبابُ الوَظائِف ولا يبقى عنده إلَّا النُّقَباء البَطَّالَة، وكان له في قُلُوبِ النَّاسِ مَهابةٌ وحُرْمَةٌ، إلى أن تَوَلَّى الكامِلُ شَعْبان، فأَخْرَجَه أوَّلَ سَلْطَنته إلى دِمَشْق نائِبًا بها عِوَضًا عن الأمير طُقُزْدَمُر. فلمَّا كان في أوَّلِ الطَّريق حَضَرَ إليه مَنْ أَخَذَه، وتوَجَّه به إلى صَفَد نائبًا بها، فدَخَلَها آخر رَبيع الآخر سنة سبع وأربعين وسبع مائةٍ. ثم سأل الحُضُورَ إلى مصر، فرُسِمَ له بذلك، فلمَّا توَجَّه ووَصَلَ إلى غَزَّةَ أمسكه نائِبُها، ووَجَّهَه إلى الإسْكَنْدَرية في سنة سبع وأربعين فخُنِقَ بها.

وكان / خَيِّرًا فيه دِينٌ وعِبادَة، يَميلُ إلى أهْلِ الخَيْر والصَّلاح وتُعْتَقَدُ بَرَكَتُه، وخَرَّجَ له أحمد ٣١١
ابن أَيْبَكَ الدِّمياطي مَشْيَخَةً، وحَدَّثَ بها، وقُرِئَت عليه مَرَّات وهو جالِسٌ في شُبَّاكِ النِّيابة بقَلْعَةِ الجَبَل. وعَمَّرَ هذا الجَامِع ودَارًا مَليحَةً عند المَشْهَدِ الحُسَيْني من القاهِرَة، ومَدْرَسَتُه بالقُرْبِ منها.

وكان بَرْكُهُ من أحْسَن ما يكون، وخَيْلُه مشهورَةٌ موصوفَةٌ، وكان يقول: كلُّ أميرٍ لا يُقيمُ رُمْحَه، ويَسكُبُ الذَّهَبَ إلى أن يُساوي السِّنان، ما هو أميرٌ، رحمة الله عليه.

جَامِعُ الفَخْر

[a]جَامِعُ الفَخْر[a] في ثَلاثَةِ مَواضِع: في بُولاق خارِج القاهِرَة، وفي الرَّوْضَة تِجاه مَدينَة مصر، وفي جَزيرَة الفيل على النِّيل ما بين بُولاق ومُنْيَة السِّيرج؛ أمَّا «جامِعُ الفَخْر بناحية بُولاق» فإنَّه مَوْجُودٌ تُقامُ فيه الجُمُعَة إلى اليوم [٢]. كان أوَّلًا عند ابتداءِ بِنائِه يُعْرَف موضعه بخُطِّ خُصِّ الكَيَّالَة،

(a-a) ساقطة من بولاق.

[١] فيما تقدم ٢: ٤٠٠ - ٤٠١.

[٢] يدُلُّ على مَوْضِع هذا الجامِع ـ الذي أنشأه الفَخْرُ نحو سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م بخُطِّ سويقة المُوَفَّق، الجامِعُ المعروف الآن بجامع السُّلْطان أبي العِلا بشارع ٢٦ يولية (فؤاد الأوَّل سابقًا) ببولاق. جُدِّدَ أوَّلًا سنة ٨٤٤هـ/١٤٤١م، ثم جَدَّدَه نحو سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م الخواجا نُور الدِّين علي بن بَدْر الدِّين محمد بن القنيش البُرُلُّسي على قُبَّةِ الشَّيْخ الصَّالِح حسين بن أبي علي الذي حَرَّفَ العامَّةُ اسمه إلى أبي العِلا. كان تخطيطُه على طراز المدارس المتعامِدَة له أربعة إيوانات. وتَمَّت بالجامع عِدَّةُ إصْلاحاتٍ سنة ١١٥٤هـ/١٧٤١م، وسنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م، ثم قامت لَجْنَةُ حِفْظ الآثار العربية بإصْلاحاتٍ هامَّة في الجامع بين سنتي ١٩١٥ و١٩٢٠م، غير أنَّ الشَّعائِرَ تعطَّلَت بالجامع عندما سَقَطَ إيوانُه الشَّرقي أثناء الاحتفال بمَوْلِد أبي العِلا سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م؛ =

وهو مَكانٌ كان يُؤْخَذ فيه مَكْسُ الغِلال المبتاعة، وقد ذُكِرَ ذلك عند ذِكْر أقْسامِ مالِ مصر من هذا الكتابِ [1].

و«جامِعُ الرَّوْضَة» باقٍ تُقامُ فيه الجُمُعَة [2].

وأمّا «الجامِعُ بجَزيرَةِ الفِيل» فإنَّه كان باقيًا إلى نحو سنة تسعين وسبع مائة، (a)وصَلَّيْت فيه الجُمُعَة غير مَرَّة ثم خَرِبَ. ومَوْضِعُه باقٍ بجِوارِ دَارٍ تُشْرِف على النِّيل، تُعْرَفُ بدارِ الأمير شِهابِ الدين أحمد بن عُمَر بن قُطَيْنَة قَريبًا من الدَّار الحِجازِيَّة(a) [3].

---

a-a) العبارة في المُسَوَّدَة: على حافَة النِّيل فيما بين الدَّار التي تُعْرَف بالحجازِيَّة على النِّيل ودار الخَليفَة، أدْرَكته وفيه الخُطْبَة وتُقامُ به الجُمُعَة، وصَلَّيْتُ فيه الجُمُعَة غير مَرَّة في سنة أربع وثمانين وسبع مائة، وهو الآن خراب.

= فقامت وزارةُ الأوْقاف بتجديده وتوسيعه سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م مع مراعاة المحافظة على أجزائه القديمة المتمثّلة في بابه البَحْري وقِسْم من الواجهة البَحْرية والشرقية والقُبّة والمِئْذَنَة والمِنْبَر، على أن يكون طِرازُه مُتَّفِقًا مع الطِّراز المملوكي الذي بُنِيَ عليه الجامع في الأصل. وافْتُتِح الجامعُ للصَّلاة بأداءِ فَريضَة الجُمُعَة به يوم ١٥ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٥هـ/٥ يونية سنة ١٩٣٦م.

(راجع، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٢هـ [1]، ١٥: ٣٤٨؛ الشعراني: الطبقات الكبرى ٢: ١٠١؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٠٨؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢٧٦-٢٨٠).

[1] فيما تقدم ١: ٢٣٩.

[2] جامعُ الفَخْر بالرَّوْضَة. أنشأه في حُدود سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م فَخْرُ الدِّين ناظِر الجَيْش، ثم جَدَّدَ بناءَه سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م الصَّاحِبُ شَمْسُ الدِّين محمد بن المَقْسي، ثم تلاشى أمْرُ الجامع في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، إلى أن أمَرَ بتجديده السُّلْطانُ الأشْرَف قايتْباي في سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، وكان الشَّادُّ على عمارَته البَدْري حسن بن الطُّولوني، وصارَ يُعْرَف بـ«جامِع السُّلْطان». ثم وَقَعَ حَريقٌ بالجامع سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م زَمَن الحملة الفرنسية، فجُدِّدَ ما احْتَرَقَ منه. (السخاوي: الضوء اللامع ٦: ٢٠٨؛ السيوطي: كوكب الروضة ٩٩-١٠٠، ١٠٢-١٠٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٣: ١٨٢، ٢٨٣؛ الجبرتي: عجائب الآثار ٣: ٣٠٥؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ١٥٨ (٦٧-٦٨)، ١٦٢-١٦٣ (٦٩)، ١٨: ١٣؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢٧٣-٢٧٥؛ حسني نويصر: عمائر قايتباي الدينية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٧٥م؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ١٣٦٩-١٣٨٦)؛ وانظر فيما تقدم ١٨٠، جامع الروضة.

وما زال الجامع مَوْجودًا ومُسَجَّلًا بالآثار برقم ٥١٩ بشارع جامع قايتْباي بالمَنْيَل.

[3] بما أنَّ الحَدَّ الفاصِل بين جزيرة الفيل وبين أرض بولاق هو الشَّارع المعروف الآن بشارع جَزيرَة بَدْران، فيدُلُّ على جامع الفَخْر، الذي كان بجَزيرَة الفيل، الجامِع المعروف بـ«جامع الشَّيْخ فَرَج» الواقع بشارع جزيرة بَدْران بقسم روض الفَرَج، وكان النِّيلُ يسير قديمًا تحت هذا الجامع، ولكن بسبب طَرْحِ البَحْر الذي حَدَث في سنتي ١٤٠٣ و١٨٦٨م أصبح الجامعُ بعيدًا عن النِّيل. =

الفَخْـرُ

هذا هو مُحَمَّدُ بنُ فَضل الله القاضي فَخر الدِّين ، ناظِر الجَيْش المعروف بالفَخر[1] ـ كان في نَصْرانيته مُتَألِّهًا ثم أُكْرِهَ على الإسْلامِ ، فامْتَنَعَ وهَمَّ بقَتْلِ نفسه وتَغَيَّبَ أيّامًا ثم أسْلَمَ وحَسُنَ إسْلامُه ، وأبْعَدَ النَّصارَىٰ ولم يُقرِّب أحَدًا منهم ، وحَجَّ غير مَرَّة ، وتَصَدَّقَ في آخِر عُمْرِه مُدَّةً في كلّ شهرٍ بثلاثة آلاف دِرْهم نُقْرَة .

وبَنَى عِدَّةَ مَساجِد بديار مصر ، وأنْشأ عِدَّة أحْواضِ ماءٍ للسَّبيل في الطُّرُقات ، وبَنَى مارِسْتانًا بمَدِينَة الرَّمْلَة ومارِسْتانًا بمَدِينَة بِلْبَيْس ، وفَعَلَ أنْواعًا من الخَيْر ، وكان حَنَفِيَّ المَذْهَب ، وزارَ القُدْسَ عِدَّةَ مِرارٍ ، وأحْرَمَ مَرَّةً من القُدْسِ بالحَجّ ، وسارَ إلى مَكَّة مُحْرِمًا ، وكان إذا خَدَمَه أحَدٌ مَرَّةً واحِدَةً صارَ صاحِبَه طُولَ عمره .

وكان كثيرَ الإحْسان ، لا يَزالُ في قَضاء حَوائِج النّاس ، مع عَصَبِيَّةٍ شَديدَةٍ لأصحابه . وانْتَفَعَ به خَلْقٌ كثيرٌ لوَجاهَته عند السُّلْطانِ وإقْدامِه عليه . بحيث لم يكن لأحَدٍ من أُمَراءِ الدَّوْلَةِ عند المَلِك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ما له من الإقْدام ، ولقد قال السُّلْطانُ مَرَّةً لجندي طَلَبَ منه إقْطاعًا : لا تُطَوِّل ، والله لو أنَّك ابن قَلاوون ما أعْطَاكَ القاضي فَخْرُ الدِّين خُبْزًا يغل أكثر من ثلاثة آلاف درهم . وقال له السُّلْطانُ في يَوْمٍ من الأيَّام ـ وهو بدارِ العَدْل ـ يا فَخْر الدِّين تلك القَضِيَّة طَلَعَت فاشُوش ، فقال له : ما قُلْت لك إنَّها عَجُوزٌ نَحْس [وتَكْذِب] [a]، يُرِيدُ بذلك بنت كُوكاي امرأة السُّلْطان عندما ادَّعَت أنَّها حُبْلَى .

وله من الأخْبار كثيرٌ ، وكان أوَّلًا كاتِبَ المماليك السُّلْطانية ، ثم صارَ من كِتابَة المماليك إلى وَظِيفَة نَظَرِ الجَيْش ، ونالَ من الوَجاهَةِ ما لم يَنَلْه غَيْرُه في زَمانِه .

وكان الأميرُ أرْغون ، نائِبُ السَّلْطَنَة بديارِمصر، يَكْرَهُه ، وإذا جَلَسَ للحُكْمِ يُعْرِضُ عنه ويُدِيرُ كتِفَه إلى وَجْهِ الفَخْر . فعَمِلَ عليه الفَخْرُ حتى سَارَ للحَجّ ، فقال للسُّلْطان : يا خَوَنْد ، ما يَقْتُل

---

a) زيادة من أعيان العصر مصدر النَّقْل .

= وجَدَّدَ هذا الجامع في سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م محمد بك طاهر بن أحمد باشا طاهر كما هو مذكورٌ في اللَّوْح المُثْبَت بأعلى باب الجامع . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٢٠١هـ[2]) .

[1] انظر ترجمته كذلك عند، الصفدي : أعيان العصر ٥:٥٣-٥٨ (مَصْدَر المَقْريزي) ، الوافي بالوفيات ٤:٣٣٥-٣٣٧؛ المقريزي : السلوك ٢: ٣٥٤، المقفى الكبير ٦:٥١٦- ٥٢٠؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٤:٢٥٥-٢٥٦؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٩٥، الدليل الشافي ٦٧٣- ٦٧٤.

الملوكَ إلَّا النُّوَّابُ ، بَيْدَرا قَتَلَ أخاكَ الملكَ الأَشْرَف ، ولاجين قُتِلَ بسَبَبِ نائِبه مَنْكُوتَمُر ، وخَيَّلَ السُّلْطانَ إلى أن أَمَرَ بسَيْرِ الأَمير أَرْغون من طَرِيقِ الحِجازِ إلى نِيابَة حَلَب .

وحَسَّنَ للسُّلْطان ألَّا يَسْتَوْزر أحَدًا بعد الوَزير[a] الجَمالي . فلم يُوَلِّ أحَدًا بعده الوَزارَة ، وصارَت المملكةُ كلُّها ـ من أحْوالِ الجُيُوش ، وأُمورِ الأمْوالِ وغيرها ـ متعلِّقةً بالفَخْر ، إلى أن غَضِبَ السُّلْطانُ عليه ونَكَبَه ، وصادَرَه على أربع مائة ألف دِرْهَم نُقْرَة ، ووَلِيَ [b]مَوْضِعَه في[b] وَظِيفَة نَظَر الجَيْش قُطْبَ الدِّين[c] مُوسَى بن شَيْخ السَّلَّامِيَّة .

ثم رضي عن الفَخْرِ ، وأَمَرَ بإعادَة ما أُخِذَ منه من المالِ إليه ـ وهو أربع مائة ألف دِرْهَم نُقْرَة ـ فامْتَنَعَ وقال : أنا خَرَجْتُ عنها للسُّلْطان فليَبْنِ بها جامِعًا ، وبَنَى بها الجامِع النَّاصِرِيّ ـ المعروف الآن بالجامِعِ الجَديد ـ خارِج مَدينة مصر بمَوْرَدَةِ الحَلْفاء[1] .

وزارَ مَرَّةً القُدْس وعَبَرَ إلى[d] كَنيسَة قُمامَة ، فسَمِعَ وهو يقول عندما رأى الصُّوَر[e] بها : ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [الآية ٨ سورة آل عمران] ، وباشَرَ آخِر عُمْره بغير مَعْلوم ، وكان لا يأخُذُ من دِيوانِ السُّلْطانِ مَعْلومًا سوى كُماجَةٍ[2] ويقول : أَتَبَرَّك بها .

ولمَّا ماتَ في رابع عشر رَجَب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائةٍ ، وله من العُمْر ما ينيف على سبعين سنة ، وتَرَكَ مَوْجُودًا عظيمًا إلى الغايَة ، قال السُّلْطانُ : لَعَنَه الله ، لَهُ[d] خمس عشرة سنة ما يَدَعُني أعْمَل ما أُريد . وأَوْصَى للسُّلْطان بمبلغِ أربع مائة ألف دِرْهَم نُقْرَة ، فأُخِذَ من تَرِكَتِه أكثر من ألف ألف دِرْهَم نُقْرَة .

ومن حين ماتَ الفَخْرُ كَثُرَ تَسَلُّطِ السُّلْطان الملك النَّاصِر وأَخْذُه أمْوالِ النَّاس . وإلى الفَخْر تُنْسَب «قَنْطَرَةُ الفَخْر» التي على فَم الخَليج النَّاصِري المجاورِ لمَيْدان السُّلْطانَ بمَوْرَدَةِ الجِبْس[3] ، و «قَنْطَرَةُ الفَخْر» التي على الخَليج المجاور للخَليج النَّاصِري . وأَدْرَكْتُ وَلَدَه فَقيرًا يَتَكَفَّفُ النَّاسَ بعد مالٍ لا يُحَدُّ كثرةً .

---

a) بولاق : الأمير بَدْر . b-b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : الشيخ قطب الدين . d) ساقطة من بولاق . e) بولاق : الضوء .

---

[1] فيما تقدم ٢ : ٣٠٤.

[2] كماجة . لَفْظ فارسي يعني نَوْعًا من الخُبْز الناصِع البياض ، يصنع دون استخدام خميرة . (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* II, p. 495).

٣ / جَامِعُ نَائِب الكَرَك

هذا الجَامِعُ بظَاهِر الحُسَيْنِيَّة ، مِمَّا يلي الخَليج [١] ، كان عامِرًا ، وعُمِّر ما حَوْله عِمارَةً كبيرةً ، ثم خَرِبَ بخَرابِ ما حَوْله من عَهْدِ الحَوادث في سنة ستٍّ وثمان مائةٍ . عَمَّرَهُ الأميرُ جَمالُ الدِّين آقُوش ، المعروف بنائِب الكَرَك ، وقد تقَدَّم ذكره عند ذِكْر الدُّور من هذا الكِتاب [٢] .

[a]وقد خَرِبَ الآنِ ما حَوْل الجامِع المذكور وتعطَّل[a] [٣] .

جَامِعُ الخَطيري

ببُولاق

هذا الجَامِعُ مَوْضِعه الآن بناحية بُولاق خارِجَ القاهِرَة [٤] ، كان مَوْضِعُه قَديمًا مَغْمُورًا بماءِ النِّيل إلى نحو سنةِ سبع مائةٍ ، فلمَّا انْحَسَرَ ماءُ النِّيل عن سَاحِلِ المَقْس ، صارَ ما قُدَّام المَقْس رِمالًا لا يَعْلوها ماءُ النِّيل إلَّا أيَّام الزِّيادَة ثم صارَت بحيث لا يَعْلوها الماءُ ألبتَّة . فزُرِعَ مَوْضِعُ هذا الجَامِع بعدَ سنة سبع مائةٍ ، وصارَ مُتَنَزَّهًا يَجْتَمِعُ عنده النَّاس .

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة .

---

[١] فيما تقدم ٣:٤٩٨-٤٩٩ .

[٢] انْدَثَر الآن مكان جَامِع نائِب الكَرَك ، وحَدَّدَ محمد بك رمزي موضعه بشارع رمسيس (الملكة نازلي سابقًا) تجاه مدخل شارع محمود فهمي المعماري بحي السَّكاكيني . (ابن أيبك : كنز الدرر ٩: ٣٨٩؛ المقريزي : السلوك ٢: ٥٤٤؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٤هـ[١]) .

[٣] فيما تقدم ٣: ١٨١.

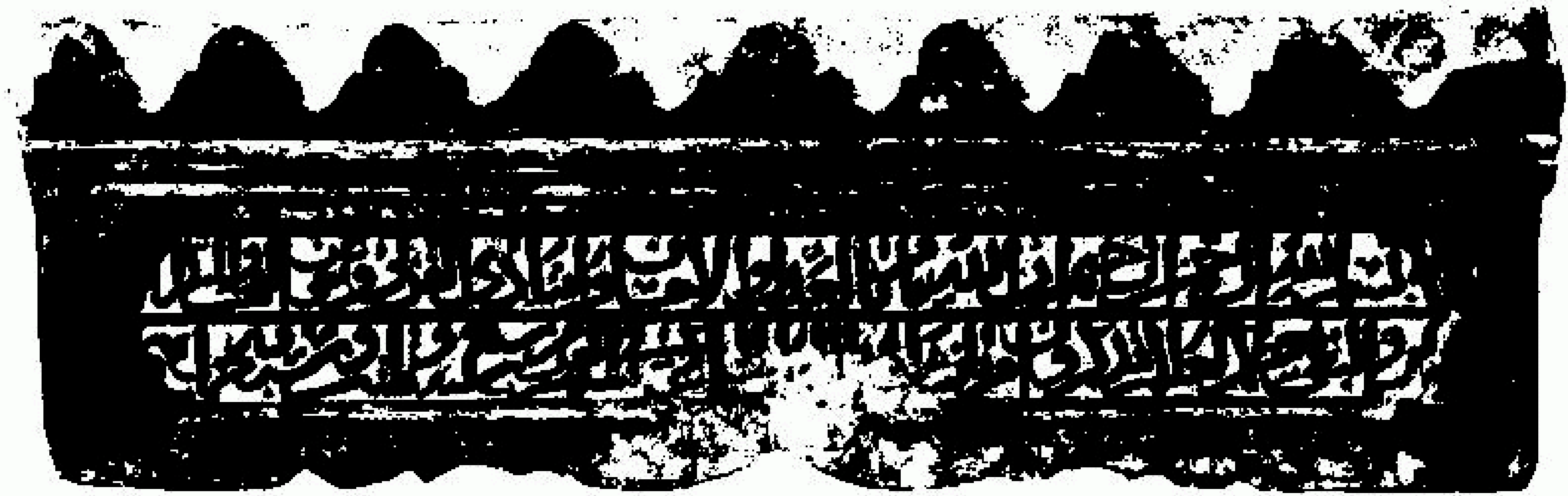
[٤] المقريزي : مُسَوَّدَة الخطط ١٣٢ظ ، وأورد المقريزي ترجمة الأمير جمال الدِّين آقوش في المُسَوَّدَة عند ذكر الجامع ، بينما أوردها في المُبَيَّضَة عند ذكر الدُّور . (فيما تقدم ٣:١٨١-١٨٢) .

[٥] كانت مِئْذَنَةُ وبقايا جامع الخَطيري موجودةً في نهاية شارع ٢٦ يولية (فؤاد الأوَّل سابقًا) عند تلاقيه مع شارع كورنيش النيل ومسجلة بالآثار برقم ٣٤١ ، ولكنها أُزيلت تمامًا مع تنظيم شوارع منطقة بولاق في العقد الأخير من القرن العشرين . (المقريزي : السلوك ٢: ٤٢٣، وفيما تقدم ٣: ٤٣٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨: ٢٢٣هـ[٢]) ، ونُقِلَت بقايا قاشاني الجامع إلى متحف الفَنّ الإسلامي بالقاهرة . كما يحتفظُ المُتحَفُ بلَوْحٍ من الحَجَر جاءَ من الجامع تحت رقم ٣٧٣٥ ، يحمل النَّصّ التالي :

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآية ٩٠ سورة النحل ـ أُمِرَ بإنشاء هذا المكان المبارك في شهر المحرَّم سنة سبع وثلاثين وسبع مائة» . (Wiet, G., *RCEA* XV, n° 5702; id., *Inscriptions historiques sur pierre*, p. 69 n° 93) .

ثم بَنَى هناك شَرَفُ الدِّين بن زُنْبور ساقِيَةً، وعَمَّر بجوارِها رَجُلٌ يُعْرَف بالحاج محمد بن عِزّ الفَرَّاش دارًا تُشْرِفُ على النِّيل، وتَرَدَّدَ إليها، فلمَّا ماتَ أَخَذَها شَخْصٌ يُقالُ له تاجُ الدِّين ابن الأَزْرَق ناظِر الجِهات، وسَكَنَها، فعُرِفَت بدار الفاسقِين لكَثْرَة ما يَجْري فيها من أَنْواعِ المحرَّمات [a].

فاتَّفَق أَنَّ النَّشْوَ ناظِرَ الخاصّ قَبَضَ على ابن الأَزْرَق وصادَرَه، فباعَ هذه الدَّار في جملة ما باعَه من مَوْجُودِه. فاشْتَراها منه الأميرُ عِزُّ الدِّين أَيْدَمُر الخَطيري وهَدَمَها، وبَنَى مكانَها هذا الجَامِع، وسَمَّاه «جَامِع التَّوْبَة» وبالَغَ في عِمارَتِه، وتأَنَّق في رُخامِه، فجَاءَ من أَجَلِّ جَوامِعِ مصر وأحْسَنِها. وعَمِلَ له مِنْبَرًا من رُخامٍ في غايَةِ الحُسْن، ورَكَّبَ فيه عِدَّةَ شَبابيك من حَديدٍ تُشْرِف على النِّيل



الكتابة التاريخية لجامع الخطيري فوق المِنْبَر الحَجَري (محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

الأَعْظَم، وجَعَلَ فيه خِزانَةَ كُتُبٍ جَليلَة نَفيسَة، ورَتَّبَ فيه دَرْسًا للفُقَهاء الشَّافعية، ووَقَفَ عليه عِدَّةَ أوْقافٍ منها دَارُه العَظيمَة التي هي في الدَّرْب الأَصْفر تِجاه خانْقاه بِيْبَرْس. فكان[b] جُمْلَةُ ما أُنْفِقَ في عِمارَة[c] هذا الجَامِع أربع مائة ألف دِرْهَم نُقْرَة، وكَمُلَت عِمارَتُه في سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مائةٍ، وأُقيمَت به الجُمُعَة في يوم الجُمُعَة عشرين جُمادَى الآخِرة [1]. فلمَّا خَلَصَ ابنُ الأَزْرَق من المصادَرَة حَضَرَ إلى الأمير الخَطيري وادَّعَى أنَّه باعَ دارَه وهو مُكْرَه، فدَفَعَ إليه ثمنها مَرَّةً ثانية.

a) المُسَوَّدَة: لكثرة ما يُعْصَي الله فيها. b) بولاق: وكان. c) ساقطة من بولاق.

[1] أوَّلُ من وَلِيَ خطابَتَه وإمامَتَه وتَدْرِيسَه الشَّيْخُ كمالُ الدِّين أبو محمد (وأبو العَبَّاس) أحمد بن عمر بن مَهْدي النَّشائي، المتوفى يوم الأحد حادي عشر صفر سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م. (المقريزي: السلوك ٣: ٣١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٣٢٣-٣٢٤).

ثم إنَّ البَحْرَ قَوِي على هذا الجَامِع وهَدَمَه ، فأعادَ بِناءَه بجملةٍ كثيرةٍ من المال ، ورَمَى قُدَّام زَرْبِيَّته[a] ألف مَرْكبٍ مَملوءَةً بالحِجارَة . ثم انْهَدَمَ بعد مَوْتِه ، وأُعيدَت زَرْبِيَّتُه[a] [١].

أَيْدَمُر الخَطيري

الأميرُ عِزُّ الدِّين مملوك شَرَف الدِّين أَوْحَد بن الخَطيري الأمير مَسْعود ابن خَطير [٢]. انْتَقَلَ إلى الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون ، فرَقَّاه حتى صارَ أَحَدَ أُمَرَاءِ الأُلوف ، بعدما حَبَسَه بعد مَجيئه من الكَرَك إلى مصر مُدَّةً ثم أَطْلَقَه ، وعَظُمَ مِقْدارُه إلى أن بقي يجلس رَأْسَ المَيْسَرَة ومعه إِمْرَة مائة وعشرين فارسًا .

وكان لا يُمَكِّنه السُّلْطانُ من المَبيت في دارِه [b]برَحْبَة العيد[b] من القاهِرَة[c] فيَنْزِلُ إليها بُكْرَةً ويَطْلَع إلى القَلْعَةِ بعد العَصْر كذا أبدًا ، فكانوا يَرَوْن ذلك تَعْظيمًا له . وكان مُنَوَّر الشَّيْبَة كريمًا ، يحب التَّجَمُّل[d] الكثير والفَخْر ، بحيث إنَّه لمَّا زَوَّج السُّلْطانُ ابنته بالأمير قُوصُون ، ضَرَبَ دينارين وَزْنُهما أربع مائة مِثْقال ذَهَبًا ، وعشرة آلاف درهم فِضَّة ، برَسْمِ نُقُوط امْرأته في العُرْس إذا طَلَعَت إلى زِفافِ ابنة السُّلْطان على قُوصُون .

وقيل له مَرَّة : هذا السُّكَّر الذي يُعْمَل في الطَّعام ما يَضُرّ أن نَعْمَله[e] غير مُكَرَّر ، فقال : لا يُعْمَل إلَّا مُكَرَّرًا ، فإنَّه يَبْقى في نَفْسي أنَّه غير مُكَرَّر .

وكان لا يَلْبَس قَباءً مطرَّزًا ولا مَصْقُولًا ، ولا يَدَع أحَدًا عنده يَلْبَس ذلك ، وكان يُخْرِج الزَّكاة ، وأنشأ بجانِب هذا الجامِعَ رَبْعًا كبيرًا تَنافَس النَّاسُ في سُكْناه . ولم يَزَل على حالِه حتى ماتَ يوم الثلاثاء مستهلّ شهر رَجَب سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مائةٍ ، ودُفِنَ بتُرْبَتِه خارِج بابِ النَّصْر .

ولم يَزَل هذا الجَامِعُ مَجمعًا يَقْصِدُه سَائِرُ النَّاسِ للتنزُّه فيه على النِّيل ، ويَرْغَبُ كلُّ أَحَدٍ في السُّكْنَى بجواره ، وبَلَغَت الأماكِنُ التي بجواره من الأسْواقِ والدُّور الغاية في العِمارَة حتى صارَ ذلك الخُطُّ أَعْمَرَ أخْطاطِ مصر وأَحْسَنها .

---

a) بولاق : زربيته . b-b) إضافة من المُسَوَّدَة . c) بولاق : بالقاهرة . d) بولاق : التزوُّج . e) بولاق والنسخ : يُعْمَل ، والمثبت من المُسَوَّدَة .

---

[١] المقريزي : السلوك ٢ : ٤٢٣؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١١٨- ١١٩.

[٢] راجع ترجمته عند ، الصفدي : أعيان العصر ١ : ٦٦٠- ٦٦١، الوافي بالوفيات ١٠ : ١٧؛ الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ١٥٠؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢ : ٣٦٥- ٣٦٨، السلوك ٢ : ٤٢٦؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ٤٥٨؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٣١٢، المنهل الصافي ٣ : ١٨٠- ١٨٢.

فلمَّا كانت سنة ستٍّ وثمان مائةٍ ، انْحَسَرَ ماءُ النِّيلُ عمَّا تِجاه جَامِع الخطيري ، وصارَ رَمْلَةً لا يَعْلوها الماءُ إلَّا في أيَّام الزِّيادة ، وتكاثَرَ الرَّمْلُ تحت شَبابيك الجَامِع ، وقَرُبَت من الأرْضِ بعدما كان الماءُ تحته لا يَكادُ يُدْرَك قَرارُه . وهو الآن عامِرٌ ، إلَّا أنَّ الاجْتِماعات التي كانت فيه قبل انْحِسارِ النِّيل عمَّا قُبالَته قَلَّت ، واتَّضَعَ حالُ ما يُجاوِرُه من السُّوقِ والدُّور ، ولله عاقِبَةُ الأُمُور .

جَامِع قَيْدان

هذا الجَامِعُ خارِجَ القاهِرَة ، على جانِب الخَليج الشَّرقي ، ظَاهِر بابِ الفُتُوح مِمَّا يلي قَناطِر الإوَزّ (aغَرْبي الحُسَيْنِيَّةa) تِجاه أرْض البَعْل [1] . كان مَسْجِدًا قَدِيمَ البِناء ، فجَدَّدَه الطَّواشي بَهاءُ الدِّين قراقُوش الأَسَدي في محرَّم سنة سبعٍ وتسعين وخمس مائةٍ ، وجَدَّد حَوْضَ السَّبيل الذي فيه ، ثم إنَّ الأميرَ مُظَفَّر الدِّين قَيْدان الرُّومي عَمِلَ به مِنْبرًا لإقامَة الخُطْبَة يوم الجُمُعَة ، كان / عامِرًا بعِمارَة ما حَوْله .

فلمَّا حَدَثَ الغَلاءُ في سنة ستٍّ وسبعين وسبع مائةٍ ، أيَّامَ الملك الأشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن ، خَرِبَ كثيرٌ من تلك النَّواحي وبِيعَت أنْقاضُها ، وكانت الغَرَقَةُ أيضًا ، فصارَ ما بين القَنْطَرَةِ الجَديدَة المجاوِرَة لسُوقِ جَامِع الظَّاهِر ، وبين قَناطِر الإوَزّ المقابلة لأرضِ البَعْل ، يَبابًا لا عامِرَ له ولا ساكِنَ فيه .

وخَرِب أيضًا ما وَرَاء ذلك من شَرْقيه إلى جَامِع نائِب الكَرَك ، وتَعَطَّلَ هذا الجَامِعُ ، ولم يَبْقَ منه غير جُدُرٍ آيِلَةٍ إلى العَدَم . ثم جَدَّدَه مُقَدَّم بعض المماليك السُّلْطانية في حُدُودِ الثلاثين والثمان مائةٍ ، ثم وَسَّع فيه الشيخ أحمد بن محمد الأنْصاري العَقَّاد ـ الشهير بالأزْراري ـ وماتَ في ثاني عشر رَبيعٍ الأوَّل سنة ثلاثٍ وأربعين وثمان مائةٍ [2] .

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة .

---

[1] جامِعُ قَيْدان على الخليج المصري بالقرب من قناطر الإوز . أنشأ به الأميرُ خاير بك من حديد جَوْسَقًا مُطِلًّا على البركة التي هناك (بِرْكَة الشَّيْخ قَمَر) سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٦ : ٣٢٨؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٣:١٧٦) .

وقد انْدَثَرَ الآن جامِعُ قَيْدان ، وحَدَّدَ محمد بك رمزي مَكانَه بشارع قَنْطَرَة غَمْرَة عند تلاقيه بشارع سعيد بحيّ الشكاكيني . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٢٠٣هـ ١ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥:٢٠٠) .

[2] هذا التاريخ هو أحْدث تاريخ وَرَدَ في الخِطَط ،=

جَامِعُ السّتّ حَدَق

هذا الجَامِعُ بخُطِّ المَرِيس في جَانِب الخَلِيج الكبير مِمَّا يلي الغَرْب ، بالقُرْبِ من قَنْطَرَة السَّدّ التي خَارِج مَدِينَة مصر [١] . أنشأته السّتُّ حَدَق ، جارِيَةُ[a] الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون [b]ودادَته التي رَبَّته وحَضَنَته[b] [٢] ، وأُقِيمَت فيه الخُطْبَةُ يوم الجُمُعَة لعشرين من جُمادَى الآخرة سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مائةٍ . وإلى حَدَق هذه يُنْسَب حِكْرُ السّت حَدَق الذي ذُكِرَ عند ذِكْر الأحْكارِ من هذا الكِتاب [٣] .

جَامِعُ ابن غَازي

هذا الجَامِعُ خارِج باب البَحْر من القاهِرَة بطَرِيق بُولاق ، أنشأه نَجْمُ الدِّين [b]أبو بكر[b] ابن غازِي دَلَّالُ المماليك ، وأُقِيمَت فيه الخُطْبَةُ في يوم الجُمُعَة ثاني عشر جُمادَى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبع مائةٍ ، وإلى اليوم تُقامُ فيه الجُمُعَة ، وبقيّة الأيّام لا يَزَال مُغْلَق الأبْوابِ لقِلَّة السُّكَّان حَوْله [٤] .

جَامِعُ التُّرْكُماني

هذا الجَامِعُ في المَقْس ، و هو من الجَوامِع المليحة البِنَاء ، أَنْشَأه الأميرُ بَدْرُ الدِّين محمد [b]ابن فَخْر الدِّين[b] التُّرْكُماني ، وكان ما حَوْلَه عامِرًا عِمارَةً زائِدَةً ، ثم تَلاشَى من الوَقْتِ الذي كان فيه الغَلاءُ زَمَن الملك الأشْرَف شَعْبانَ بن حسين ، وما بَرِحَ حالُه يَخْتَلّ إلى أن كانت الحَوادِثُ والمِحَنُ من سنة ستٍّ

---

a) بولاق والنسخ : دادَه ، والمثبت من المُسَوَّدَة . b-b) إضافة من المُسَوَّدَة .

= وهو يَدُلُّ على أنَّ المَقْريزي كان دائم النَّظَر في نُسَخِه ويُحَدِّث معلوماتها ، وانظر كذلك فيما يلي ٣٥٦.

[١] انْدَثَر الآن جامِعُ السّتّ حَدَق الواقع بخُطّ المَرِيس بالقُرْب من قَنْطَرَة السَّدّ ، ويَدُلُّ على مَوْقِعه الآن القاعَةُ التي بها ضَرِيحُ الشَّيْخ المَوَازِدي الواقعة بشارع الخليج المصري شرقي محطة السَّيِّدَة زَيْنَب لمترو الأنفاق . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٩٦-١٩٧هـ [٣]) .

[٢] انظر عن السّتّ حَدَق فيما تقدم ٣: ٣٨٦-٣٨٧هـ [٦] .

[٣] فيما تقدم ٣: ٣٨٦.

[٤] حَدَّدَ محمد بك رمزي مكان هذا الجامع ، بالجَامع المعروف بجامع الشيخ نَصْر بشارع دَرْب نَصْر ببولاق . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٣٣٣) .

وثمان مائةٍ ، فخَرِبَ مُعْظَمُ ما هنالِك ، وفيه إلى اليوم بَقايا عامِرَة ، لا سِيَّما بجِوار هذا الجَامِع [1].

محمد التُّرْكُماني

ويُنْعَت بالأمير بَدْرِ الدِّين محمد ابن الأمير فَخْرِ الدِّين عيسىٰ التُّرْكُماني: كان أوَّلًا شادًّا ، ثم تَرَقَّى حتى وَلِيَ الجيزَة ، وتَقَدَّم في الدَّوْلَة النَّاصِرية ، فوَلَّاه السُّلطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون شادّ الدَّواوين ، والدَّوْلَة حينئذٍ ليس فيها وَزير ، فاسْتَقَلَّ بتَدْبيرِ الدَّوْلَة مُدَّةَ أعْوامٍ . وكان يلي نَظَرَ الدَّوْلَة تلك الأيَّام كَريمُ الدِّين الصَّغير ، فغُصَّ به ، وما زالَ يُدَبِّر عليه حتى أخْرَجَه السُّلْطانُ من دِيارِ مصر ، وعَمِلَه شادّ الدَّواوين بطَرابُلُس . فأقامَ هناك مُدَّةَ سنتين ، ثم عادَ إلى القاهِرَة بشَفاعَةِ الأمير تَنْكِز نائِب الشَّام ، ووَلِيَ كَشْفَ الوَجْه البَحْري مُدَّةً ، ثم أُعْطِي إمْرَة طَبْلخاناه ، وأُعْطِي أخُوه علي إمْرة عَشَرة ، ووَلَده إبراهيم أيضًا إمْرَة عشرة .

وكان مُهابًا صاحِبَ حُرْمةٍ باسِطَةٍ ، وكلمةٍ نافِذة . وماتَ عن سَعادَةٍ طائلةٍ بدايره[a] بالمَقْس ، في رَبيعٍ الأوَّل سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مائةٍ ، وهو أمير .

جَامِعُ شَيْخُو

[أثر رقم ١٤٧]

هذا الجَامِعُ بسُوَيْقَة مُنْعِم ، فيما بين الصَّلِيبَة والرُّمَيْلَة ، تحت قَلْعَةِ الجَبَل [2]. أنشأه الأميرُ الكبيرُ سَيْفُ الدِّين شَيْخو النَّاصِري ، رأس نَوْبَة الأُمَرَاء ، في سنة خمسين وسبع مائةٍ[b]، ورَفَقَ بالنَّاسِ في

---

a) إضافة من المُسَوَّدَة . b) النسخ : سنة ست وخمسين وسبع مائة ، وهو تاريخ بناء الخانقاه الواقعة تجاه الجامع . (فيما يلي ٧٦٠) .

---

[1] جامِعُ التُّرْكُماني . ذُكِرَ على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية (E-12, 281) . وحَدَّدَه علي باشا مبارك بجامع التُّرْجمان بخُطِّ باب البَحْر داخل دَرْب التُّرْكماني (الذي يُسَمِّيه العامَّةُ دَرْب التُّرْجمان) على يمين الدَّاخل . وذكر أنَّ به ثمانية أعمدة من الرُّخام وخمسة من الرَّلط ، منها عمود ذو ثمانية أضْلاع على كُلِّ ضِلْعٍ كتابة هيروغليفية قديمة وعَمُود من الرُّخام الأحمر . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤ : ١٤٦) . وما زال الجامع موجودًا ويُعْرَف باسم جامع ومقام محمد عيسى التُّرْكماني بدَرْب التُّرْكماني المُتَفَرِّع من شارع باب البحر ، وإن كان البناء الموجود الآن يرجع إلى العَصْر العثماني . (انظر كذلك ، المقريزي السلوك ٢ : ٥٤٤، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٩٩هـ[3]) .

ويرجع تاريخ بناء هذا الجامع إلى ما قبل عام ٧٣٨هـ (تاريخ وفاة المنشئ) بعام أو عامين .

[2] جامع شَيْخو . ما زال قائمًا ويُعْرَف بجامع شيخو البَحْري لوقوعه تجاه الخانقاه المعروفة بجامع شيخو القِبْلي =

العَمَل فيه وأعطاهُم أُجورَهم ، وجَعَلَ فيه خُطْبةً وعشرين صُوفيًّا ، وأقامَ الشيخ أكمل الدِّين محمد ابن محمود الرُّومي الحَنَفي شيخهم[1]. ثم لمَّا عَمَّرَ الخانْقاه تِجاه الجَامِع ، نَقَلَ حُضُورَ الأكْمَل والصُّوفية إليها ، وزادَ عِدَّتهم[2]. وهذا الجَامِعُ من أَجَلِّ جَوامِع ديار مصر .

الأَميرُ شَيْخُو الكَبيرسَيْفُ الدِّين

الأَميرُ الكبير سَيْفُ الدِّين ، أَحَدُ مماليك النَّاصِر محمد بن قلاوون ، حَظِيَ عند الملك المُظَفَّر حاجي بن محمد بن قَلاوون ، وزادَت وَجاهَتُه حتى شُفِّع في الأُمَرَاءِ ، وأَخْرجَهم من سِجْن الإسْكَنْدَرية . ثم إنَّه اسْتَقَرَّ في أَوَّلِ دَوْلَةِ الملك النَّاصِر حَسَن أَحَد أُمَراءِ المَشُورَة[3].

= (فيما يلي ٧٦٠-٧٦٤) ، ويفصل بينهما شارعُ شيخون الذي يَرْبط بين صَليبة ابن طُولُون ومَيْدان صَلاح الدِّين تحت قَلْعَة الجَبَل . ويَدُل على تاريخ بناء هذا الجامع طِرازٌ من النَّسْخ المملوكي في واجهة المسجد نَصُّه :

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم ﴿إِنَّمَا يَعْمُر مَساجِدَ الله مَنْ آمَنَ بالله واليَوْمِ الآخِر﴾ . وكان الفراغُ من ذلك الجامع في شهر رَمَضان المُعَظَّم سنة خمسين وسبع مائة» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 156; Wiet, G., *RCEA* XVI, n° 6088) . والجامع يَشْتَمل على صَحْنٍ مفروش بالرُّخام المُلَوَّن يحيط به أربعةُ إيوانات بكل من الشَّرْقي والغَرْبي منها رواقان ، أمَّا القِبْلي والبَحْري فكل منهما رواقٌ واحد صغير قُصِدَ بهما إيجاد التماثل فقط . ومِنْبَرُ الجَامِع ودِكَّةُ المُبَلِّغ به مبنية من الحَجَر ، وأُنْشِئَت دِكَّةُ المُبَلِّغ في تاريخ متأخِّر ، فمكتوبٌ عليها ما نَصُّه : «أنشأ هذه الدِّكَّة المباركة الحاج محمد بن شَعْبان بن سعيد التَّلي ، غَفَرَ الله لهم وللمسلمين . وكان الفَراغُ من ذلك في شهر صَفَر سنة أحد وستين وتسع مائة» ، وهي أَوَّلُ دِكَّةٍ حجرية في الجوامع المصرية ، إِذِ المألوف أن تكون رُخامية أو خشبية ، والمُرَجَّح أنَّه هو الآمر بعَمَلِ هذا المِنْبَرَ أيضًا الذي يعتبر ثاني مِنْبَر حجري (والأَوَّل هو المِنْبَر الذي أنشأه السُّلْطان قايتباي لخانقاه فَرَج بن برقوق بصحراء المماليك سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م) . وقامت لجنة حِفْظ الآثار العربية بين سنتي ١٩٣١-١٩٣٣م بإصْلاح مِنْبَر الجامع وكرسي المُصْحَف والمِحْراب وشبابيكه الجَصِّيَّة ، وتَقْويم عُمُد وجُدْران الإيوان الغربي وإصْلاح أرْضيته الرُّخامية . وقد تأثَّر الجامع بشِدَّة بزلزال أكتوبر سنة ١٩٩٢م ، وتجري به الآن أعمالُ صَلْب وصيانة وترميم .

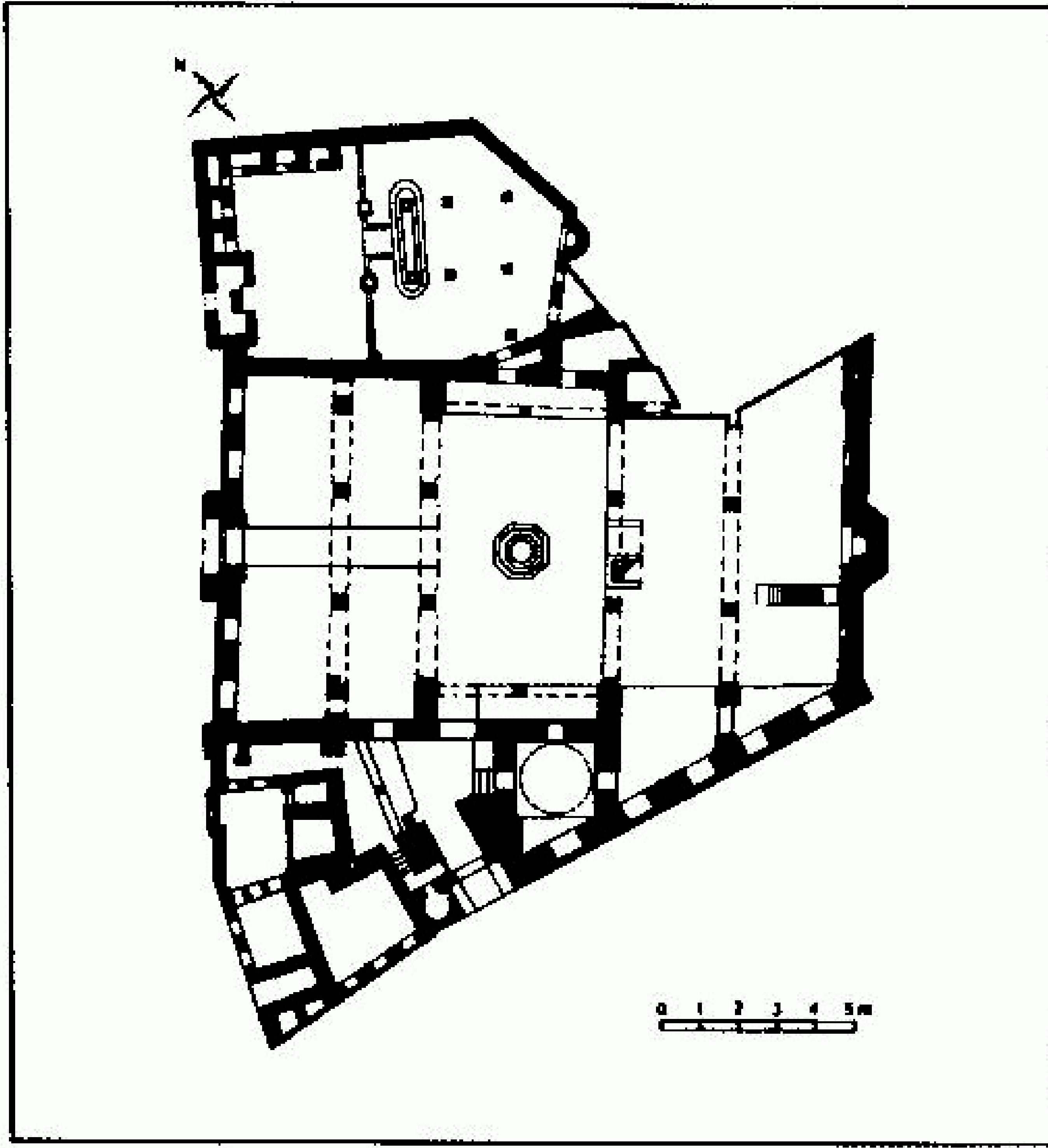
(راجع ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠:٢٦٩هـ[1]؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥:٨٣-٨٤؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٥٧-١٥٩؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣:٢٤٩-٢٥٨؛ وانظر كذلك ، سعاد محمد حسنين : أعمال الأمير شيخو العمري الناصري المعمارية بالقاهرة ، رسالة ماجستير بآداب القاهرة ١٩٧٦؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢:٩٧١-٩٨٧) .

[1] المقريزي : السلوك ٢: ٨٦٤.

[2] فيما يلي ٧٦٠- ٧٦٢.

[3] انظر ترجمة الأمير شَيْخُو العُمَري كذلك عند ، الصَّفدي : أعيان العصر ٢:٥٣١- ٥٣٦، الوافي بالوفيات ١٦:٢١١- ٢١٢؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣:٢٠٤؛ المقريزي : السلوك ٣:٣٣؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢:٢٩٣- ٢٩٤؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠:٣٢٤، المنهل الصافي ٦:٢٥٧- ٢٦٢.

وفي آخِرِ الأمْرِ كانت القِصَصُ تُقرَأُ عليه بحَضْرَةِ السُّلْطان في أيَّامِ الخِدْمَة ، وصارَ زِمامُ الدَّوْلَة بيده ، فسَاسَها أحْسَنَ سِياسَةٍ بسكونٍ وعَدَمِ شَرٍّ ، وكان يَمْنَع كُلَّ حِزْبٍ من الوُثُوبِ على الآخَر ، فعَظُمَ شأنُه إلى أن رَسَمَ السُّلْطانُ بإمْساك الأمير بَيْبُغا روس[a] نائِب السَّلْطَنَة بديار مصر وهو مُسافِرٌ بالحِجَازِ ، وكان شَيْخُو قد خَرَج مُتَصَيِّدًا إلى ناحِيَةِ طَمَان بالغَرْبِيَّة .



مُخطَّط جامِع شَيْخُو (عن اللَّجنة)

فلمَّا كان يوم السبت رابع عشرين شَوَّال / سنة إحدى وخمسين وسبع مائةٍ ، أَمْسَكَ السُّلْطانُ الأمير مَنْجَك الوَزير ، وحَلَّفَ الأُمَرَاء لنفسه ، وكَتَبَ تَقْليد شَيْخُو بنِيابَة طَرابُلُس ، وجهَّزه إليه مع الأمير سَيْف الدِّين طِينَال الجاشَنْكير ، فسارَ إليه وسَفَّرَه من بَرًا فوَصَلَ إلى دِمَشْق ليلة الثلاثاء رابع ذي القَعدة ، فظَهَر مَرْسُومُ السُّلطانِ بإقامَةِ شَيْخو في دِمَشْق على إقْطاعِ الأمير بُلَك السَّلَّامي[b]، وبتَجْهيزِ بُلَك[c] إلى القاهِرَة فخَرَجَ بُلَك[c] من دِمَشْق ، وأقامَ شَيْخو على إقْطاعِه بها . فما وَصَلَ بُلَك[c] إلى القاهِرَة إلَّا وقد وَصَلَ إلى دِمَشْقَ مَرْسُومٌ بإمْساكِ شَيْخُو ، وتَجْهيزه إلى السُّلْطان ، وتَقْييد

---

a) بولاق : يلبغا روس. b) بولاق : يلبك السالمي. c) بولاق : يلبك.

مَماليكه واعْتقالِهم بقَلْعَةِ دِمَشْق ، فأُمْسِكَ وجُهِّزَ مُقَيَّدًا ، فلمَّا وَصَلَ إلى قَطْيا تَوَجَّهُوا به إلى الإسْكَنْدَرية . فلم يَزَل مُعْتَقَلًا بها إلى أن خُلِعَ السُّلْطانُ الملك النَّاصِر حَسَن ، وتولَّى أخُوه الملكُ الصَّالِحُ صَالِح ، فأَفْرَجَ عن شَيْخو ومَنْجَك الوَزير وعِدَّةٍ من الأُمَرَاء ، فوَصَلوا إلى القاهِرَة في رابع شهر رَجَب سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة ، وأُنْزِلَ في الأَشْرَفِيَّة بقَلْعَةِ الجَبَل واسْتَمرَّ على عادَتِه .

وخَرَجَ مع الملك الصَّالِح إلى الشَّام في واقِعَة بَيْبُغا روس[a]، وتَوَجَّه إلى حَلَب هو والأميرُ طاز وأرْغون الكامِليّ خَلْف بَيْبُغا روس[a]، وعادَ مع السُّلْطان إلى القاهِرَة ، وصَمَّمَ حتى أَمْسَكَ بَيْبُغا روس[a] ومن معه من الأُمَراء ، بعدما وَصلُوا إلى بِلاد الرُّوم ، وحُزَّت رُءُوسُهُم . وأَمْسَكَ أيضًا ابن دِلْغار ، وأُحْضِرَ إلى القاهِرَة ، ووُسِّطَ وعُلِّقَ على باب زَوِيلَة .

ثم خَرَجَ بنفسه في طَلَبِ الأَحْدَب الذي خَرَجَ بالصَّعيد ، وتَجاوَزَ في سَفِره قُوص ، وأَمْسَكَ عِدَّةً كثيرةً ووَسَّطَهم حتى سَكَنَت الفِتَنُ بأرْضِ مصر ، وذلك في آخِر سنة أربعٍ وخمسين وأوَّل سنة خمسٍ وخمسين . ثم خَلَعَ الملكُ الصَّالِح ، وأقامَ بَدَلَه الملك النَّاصِر حَسَنًا في ثاني شَوَّال ، وأَخْرَجَ الأَمير طاز من مصر إلى حَلَب نائبًا بها ومعه إخْوَتُه ، وصارَت الأُمورُ كلُّها راجعةً إليه ، وزادَت عَظَمَتُه ، وكَثُرَت أمْوالُه وأمْلاكُه ومُسْتأجَراتُه حتى كادَ يُكاثِر أمْوَاجَ البَحْر بما مَلَكَ ، وقيل له قارُون عَصْره وعَزيزُ مصره .

وأنشأ خَلْقًا كثيرًا ، فقَوَّى بذلك حُرْمَتَه[b] وجَعَل في كلِّ مملكةٍ من جِهَتِه عِدَّةَ أُمَراءَ ، وصارَت نُوَّابُه بالشَّام وفي كلِّ مَدينَةٍ أُمَراءُ كِبار ، وخَدَمُوه حتى قيل كان يدخل كلَّ يومٍ دِيوانَه ـ من إقْطاعِه وأمْلاكِه ومُسْتأجَراتِه بالشَّام وديار مصر ـ مَبْلَغُ مائتي ألف دِرْهَم نُقْرَة وأكثر ، وهذا شيءٌ لم يُسْمَع مثله في الدَّولَة التُّرْكِيَّةِ ، وذلك سوى الإنْعاماتِ السُّلْطانية ،والتَّقادُم التي تَرِدُ إليه من الشَّام ومصر ، وما كان يأُخذ من البَراطِيل على وِلايَة الأعْمال .

وجَامِعُه هذا وخَانْقاهُه التي بخُطِّ الصَّلِيبَة لم يُعْمَّر مثلهما قَبْلَهما ، ولا عُمِلَ في الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّة مثل أوْقافهما ، وحُسْن تَرْتيبِ المعاليم بهما .

ولم يَزَل على حالِه إلى أن كان يوم الخميس ثامِن شَعْبان سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مائةٍ ، فخَرَجَ عليه شَخْصٌ من المماليك السُّلْطانية المُرْتَجْعية[c] عن الأمير مَنْجَك الوَزير يُقالُ له باي ، فجاءَ وهو جالسٌ بدارِ العَدْل ، وضَرَبه بالسَّيْف في وَجْهِه وفي يَدِه . فارْتَجَّت القَلْعَةُ كلُّها ، وكَثُرَ هَرَجٌ

a) بولاق : يلبغا روس . b) بولاق : حزبه . c) بولاق : المرتجعة .

النَّاسِ حتى ماتَ من النَّاسِ جَماعَةٌ من الزَّحْمَة ، ورَكِبَ من الأُمَرَاء الكِبار عشرة وهم بالسِّلاح عليهم إلى قُبَّة النَّصْر خارِجَ القاهِرَة .

ثم أُمْسِكَ باي ، فجاءَ وقُرِّرَ ، فلم يَعْتَرف بشيءٍ على أحَدٍ ، وقال : آنا قَدَّمْتُ إليه قِصَّةً ليَنْقِلني من الجامَكِيَّة إلى الإقْطاع ، فما قَضَى شُغْلي ، فأَخَذْتُ في نفسي من ذلك . فسُجِنَ مُدَّةً ثم سُمِّر وطِيفَ به الشَّوارِع . وبَقِي شَيْخو عَليلًا من تلك الجِراحَة لم يَرْكَب إلى أن ماتَ ليلة الجُمُعَة سادسَ عشرين ذي القعدة سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مائة ، ودُفِنَ بالخانْقاه الشَّيْخُونِيَّة وقَبْرُه بها يُقْرَأ عنده القُرْآنُ دائِمًا .

جامِعُ الجاكي

هذا الجامِعُ كان بدَرْبِ الجاكِي ، عند سُوَيْقَة الرِّيش من الحِكْر ، في بَرِّ الخَليج الغَرْبي [١]. أَصْلُه مَسْجِدٌ من مَساجِد الحِكْر ، ثم زادَ فيه الأميرُ بَدْر الدِّين محمد بن إبراهيم المِهْمَنْدار [a]أخو الأمير شَرَف الدِّين الجاكي المِهْمَنْدار[a] وجَعَلَه جامِعًا ، وأقامَ فيه مِنْبرًا في سنة ثلاثِ عشرة وسبع مائةٍ. فصارَ أَهْلُ الحِكْرِ يُصَلُّون فيه الجُمُعَة إلى أن حَدَثَت المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائةٍ ، فخَرِبَ الحِكْرُ ، وبِيعَت أنْقاضُ مُعْظَم الدُّورِ التي هناك .

وتَعطَّلَ هذا الجامِعُ من ذِكْرِ الله وإقامَة الصَّلاة لخَرابِ ما حَوْلَه ، فحَكَمَ بَعْضُ قُضَاةِ الحَنَفِيَّة ببَيْع هذا الجامِع . فاشْتَرَاه شَخْصٌ من الوُعَّاظِ يُعْرف بالشَّيْخ أحمد الواعِظ الزَّاهِد ـ صاحِب جامِع الزَّاهِد بخُطِّ المَقْس ـ وهَدَمَه ، وأَخَذَ أنْقاضَه فعَمِلَها في جامِعِه الذي بالمَقْس في أوَّلِ سنة سبع عشرة وثمان مائة [٢].

---

a-a) إضافة من المسودة .

---

[١] جامِعُ الجاكي . كان يقع في حِكْرِ دَرْبِ الجاكي غربي الخليج وتجاه جامع القَخْري (جامع البنات) الواقع شرقي الخليج (شارع بورسعيد الآن) (فيما يلي ٣٣١) . وبما أنَّ موضع حِكْر دَرْبِ الجاكي حَدَّدَه محمد بك رمزي بين شارع الأزْهَر شمالًا وسِكَّة المناصرة جنوبًا ، يكون مَوْقِعُ جامع الجاكي الذي انْدَثَرَ منذ سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م في أرْضِ هذا الحكر (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ :٢٠٠-٢٠١هـ [٣]). وذكر ابن إياس أن جامع الجاكي الذي كان قد تخرّبَ في وقته يقع في موضع الأزبكية (؟) (بدائع الزهور ٣ :١١٦).

[٢] فيما يلي ٣٣٠.

جَـامِعُ التَّوبَـة

هذا الجَامِعُ بجوار بابِ البَرْقِيَّة في خُطِّ بَيْن السُّورَيْن [1]. كان مَوْضِعُه مَساكِنَ أهْلِ الفَسَادِ وأصْحاب الرِّيَب [a]. فلمَّا أنْشَأ الأميرُ الوَزيرُ عَلاءُ الدِّين مُغْلطاي الجَمالي خانْقاهَه المعروفة ٣١ بالجَمالِيَّة قَريبًا من خِزانَةِ البُنُود بالقاهِرَة [2]، / كَرِهَ مُجاوَرَة هذه الأماكِن لدارِه وخانْقاهِه، فأخَذَها وهَدَمَها، وبَنَى هذا الجَامِع في مَكانِها، وسَمَّاه «جَامِع التَّـوْبَة»، فعُرِفَ بذلك إلى اليوم [3]. وهو الآنَ تُقامُ فيه الجُمُعَة، غير أنَّه لا يَزال طُوالَ الأيَّام مُغْلق الأبْوابِ لخُلُوِّه من سَاكِن، وقد خَرِبَ كثيرٌ مِمَّا يُجاوِره، وهناك بَقايا من أماكِن.

جَـامِعُ أخي صَـارُوجَا [b]

هذا الجَامِعُ مُطِلٌّ على ضَفَّةِ [c] الخليج النَّاصِريّ بالقُرْبِ من بِرْكَة الحاجِب [d]، التي تُعرف ببِرْكَة الرَّطْلِي [4]، كان خِطَّةً تُعْرَف بحارَة [e] العَرَب. فأنشأ بها هذا الجَامِع ناصِرُ الدِّين محمد، أخُو

---

a) بولاق: الرأي. b) في نسخ الخطط: جامع صاروجا، والتصويب من السلوك والنجوم الزاهرة. c) إضافة من المُسَوَّدَة. d) المسودة: بركة الطَّوَّابة، وهو اسمها الأوَّل. e) بولاق: بجامع.

---

[1] هذا التَّحْديدُ لا يَنْطَبِق على مَوْضِع الجامع الذي بناه مُغْلُطاي الجمالي بجوار دارِه وخَانْقاهِه القريبة من خِزانَة البُنُود بالقاهرة، وإنَّما ينطبق على «جامِع البَرْقِيَّة» الذي أنشأه مُعاصِرُه مُغْلُطاي الفَخْري أخو الأمير أُلْماس الحاجِب، والذي سيرد (فيما يلي ٣٢٥) باسم «جامع البَرْقِيَّة».

ووَقَع المقريزي في الخطأ نفسه في كتاب «السُّلُوك» حيث نَسَب بناء «جامع بَيْنَ السُّورَيْن» المعروف بـ«جامع التَّوْبَة»، في حوادث ذي القعدة سنة ٧٣٠هـ، إلى الأمير علاء الدِّين طَقُطاي أحد مماليك السُّلْطان النَّاصِر محمد ابن قَلاوون (السلوك ٢: ٣٢٣)! ، ثم نَسَبَ بناء «جامع التَّوْبَة» بباب البَرْقِيَّة في موضعٍ آخر إلى الأمير مُغْلُطاي أخي الأمير أُلْماس (السلوك ٢: ٥٤٥). ونجد الخطأ نفسه كذلك عند أبي المحاسن بن تَغْري بِرْدي الذي أَطْلَق على «جامع البَرْقِيَّة» الذي عَمَّره مُغْلُطاي أخو الأمير أُلْماس اسم «جامع التَّوْبَة». (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٥).

[2] انظر فيما يلي ٥٧٥، ٧٤٣.

[3] بناءً على هذا الوَصْف ومجاوَرَة الجامع للخانْقاه الجمالية الواقعة الآن بحارَة قصر الشوك (فيما يلي ٥٧٥)، فإنَّ موضع «جامع التَّوْبَة» يجب أن يكون خلف الخانقاه داخل دَرْب القَرَّاخَة، ولم يتبق منه إلَّا قطعة أرضٍ صغيرة عليها مقام وزاوية الشيخ عَطِيَّة التي يفتح بابها على عطفة دَرْب الحمام خلف دَرْب القَرَّاخَة بقسم الجمالية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٩٦-٩٧هـ [4]، ٢٠٥هـ [1]).

[4] انظر تحديد موضع بِرْكَة الرَّطْلي، فيما تقدم ٣: ٥٤٠.

الأمير صارُوجَا نَقيبُ الجَيْش[1] بعد سنة ثلاثين وسبع مائةٍ . وكانت تلك الخِطَّة قد عَمُرَت عِمارَةً زائِدَةً ، وأدْرَكْتُ منها بقيَّةً جَيِّدَةً إلى أن دَثَرَت فصارَت كيمانًا . وتُقامُ الجُمُعَةُ إلى اليوم في هذا الجامع أيَّام النِّيل[2] .

جَامِعُ الطَّبَّاخ

هذا الجامِعُ خارِجَ القاهِرَة بخُطِّ بابِ اللُّوق بجِوارِ بِرْكَةِ الشُّقاف ، كان مَوْضِعُه ومَوْضِعُ بِرْكَةِ الشُّقاف من جُمْلَة الزُّهْريّ[3] . أنشأه الأميرُ جَمالُ الدِّين آقُوش ، وجَدَّدَه الحاجُ عليّ الطَّبَّاخ في المَطْبَخ السُّلْطاني أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، ولم يَكُن له وَقْفٌ ، فقامَ بمَصالِحِه من مالِه مُدَّةً ؛ ثم إنَّه صُودِرَ في سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائةٍ ، فتَعَطَّلَ مُدَّةَ نُزُولِ الشِّدَّة بالطَّبَّاخ ، ولم تُقَمْ فيه تلك المُدَّة الصَّلاة .

---

[1] ترجمت المصادر للأمير شهاب الدِّين صاروجا نقيب الجيوش ، الذي توفي فجأةً عند نزوله عن فرسه في جمادى الأولى سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م ، وصاروجا تصغير أصْفَر باللغة التركية . (الصفدي : الوافي بالوفيات ١٦: ٢٢٥- ٢٢٦؛ المقريزي : السلوك ٢: ٣٧٧؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٢٩٦؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٦: ٣١٩- ٣٢٠) .

[2] ذكره المقريزي في السلوك ٢: ٥٤٥، وأبو المحاسن في النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٧-٢٠٨ باسم جامع أخي صاروجا بشُوَن القَصَب ، بينما نسبه ابن إياس في بدائع الزهور ١/١: ٤٦٣ إلى الأمير صاروجا نفسه . وقد انْدَثَرَ الآن هذا الجامع الذي كان يَقَعُ بشارع أرْض الحَرَمين قرب تلاقيه بشارع حمدي وشارع الظاهر حيث كان يَمُرُّ الخليجُ النَّاصِري في تلك الجهة . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ٩٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٧هـ ٦٢٥) .

[3] وَرَدَ هذا الجامع على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية (N 13, 99) ، وشاهَدَ علي باشا مبارك بقايا الجامع وقال : «وهو عن شمال الذَّاهِب من باب اللُّوق إلى جهة قصْر النِّيل ، بابُه على الشَّارع وبه مِنْبَر وخُطْبَةٌ وشَعائِرُه مُقامَة ومَنافِعُه تامَّه مع قِدَمِ عِمارَته» . (الخطط التوفيقية ٥: ١٠٠ (٤١)؛ وانظر كذلك ، مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ٢٢٦؛ الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ١١٨؛ المقريزي : السلوك ٢: ٦٨٦) .

وأزالَت وَزارةُ الأوقاف هذا الجامِع القديم سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣١م وأقامت مكانه جامِعًا جَديدًا يقع الآن في نهاية شارع علي ذو الفقار (الصُّنافيري سابقًا) عند التقائه بميدان عبد السَّلام عارِف (باب اللُّوق سابقًا) في ظهر المبنى الذي تشغله الآن مُحافَظَةُ القاهرة . (انظر كذلك سعاد ماهر : مساجد مصر ٢٠٤-٢٠٥) .

عليّ بن الطَّبّاخ [١]

نَشَأ بمصر، وخَدَمَ الملكَ النّاصِر محمد بن قَلاوون وهو بَمدينَة الكَرَك. فلمّا قَدِمَ إلى مصر جَعَله «إخْوان سَلار» [a]، وسلَّمه المَطْبَخ السُّلْطاني، فكَثُرَ مالُه لطُولِ مُدَّتِه وكَثْرَة تمكُّنه، ولم يتَّفق لأحَدٍ من نُظَرائِه ما اتَّفَق له من السَّعادَة الطائِلَة، وذلك أنَّ الأفْراحَ وما كان يُصْنَع من المهمّات والأعْراس ونحوها، ممّا كان يُعْمَل في الدُّورِ السُّلْطانية وعند الأُمَراءِ والمماليك والحَواشي، مع كثرة ذلك في طُولِ تلك الأعْوام، كانت كلُّها إنَّما يَتَوَلَّى أمْرَها هو بمفرده.

فمِمّا اتَّفَقَ له في عَمَلِ مُهِمّ ابن بَكْتَمُر السّاقي، على ابنة الأمير تَنْكِز نائِب الشّام، أنَّ السُّلْطانَ الملكَ النّاصِر اسْتَدْعاه آخِرَ النَّهار الذي عمل فيه المُهِمّ المذكور، وقال له: يا حاج عليّ اعْمِل لي السّاعَة لَوْنًا من طَعامِ الفَلّاحين، وهو خَروف رميس يكون مَلْهوج. فوَلَّى وَجْهَه وهو مُعْبس [b]، فصاحَ به السُّلطانُ: وَالَك ما لَك مُعْبَس الوَجْهِ؟! فقال: كيف ما أعْبَس وقد أَحْرَمْتَني السّاعَة عشرين ألف دِرْهَم نُقْرَة! فقال: كيف حَرَمْتُك؟ قال: قد تجَمَّع عندي رُءُوس غَنَمٍ وبَقَرٍ وأكارِعُ وكُرُوشٌ وأعْضادٌ وسَقْطُ دَجاجٍ وإوَزٍّ، وغير ذلك ممّا سَرَقْتُه من المُهِمّ، وأُريدُ أَقْعُد أبيعه [c]، وقد قُلْتَ لي اطْبُخْ، وبينا أَفْرُغ من الطَّبيخ تَلِف الجَميع. فتَبَسَّم السُّلْطانُ وقال: رُحْ أُطْبُخ وضَمانُ الذي ذَكَرتَ عليّ.

وأَمَرَ بطَلَبِ [d] والِي القاهِرَة ومصر، فلمّا حَضَرا أَلْزمهما بطَلَب أرْبابِ الزَّفَر إلى القَلْعَة، وتَفْرِقة ما نابَ الطَّبّاخَ من المُهِمّ عليهم واسْتِخْراج ثَمَنِه. فللحالِ حَضَرَ المذكورون، وبِيعَ عليهم ذلك، فبَلَغَ ثمنه ثلاثة وعشرين ألف دِرْهَم نُقْرَة، [e]عنها ما ينيف عن أَلْفِ مِثْقال ذَهَبًا[e]. وهذا مُهِمٌّ واحِدٌ من أُلوفٍ، مع الذي كان له من المعاليم والجِرايات ومَنافِع المَطْبَخ.

---

a) بولاق: خوان سلار. b) بولاق: فولّى ووجهه معبس. c) بولاق: وأبيعه. d) بولاق: بإحضار. e-e) إضافة من المُسَوَّدَة.

---

[١] الحاج علي بن الطَّبّاخ المعروف بإخوان سَلار، وصوابُه «الخِوان سَلار»، وهو لَقَبٌ مُخْتَصٌّ بكبير رجال المَطْبَخ السُّلْطاني، القائم مَقام المِهْتار في غير المَطْبَخ من البيوت مثل: الشَّراب خاناه والطِّشت خاناه. وهو مُرَكَّبٌ من لَفْظَيْن: خِوان، وهو الذي يُؤْكل عليه وهو مُعَرَّب، والثاني سَلار ـ وهي فارسية ـ معناها المُقَدَّم، فيكون معناه: مُقَدَّم الخِوان. وذَكَرَ القلقشندي أنَّ العامَّة تقول: «إخْوان سلار» بألف في أوَّله وهو لَحْن. (القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٤٧١).

ويُقالُ إنَّه كان يَتَحَصَّلُ له من المَطْبَخِ السُّلْطاني في كلِّ يومٍ - على الدَّوام والاسْتِمْرار - مَبْلَغ خمس مائة دِرْهَم نُقْرَة، ولوَلَدِه أحمد مبلغ ثلاث مائة دِرْهَم نُقْرَة. فلمَّا تَحَدَّثَ النَّشْوُ في الدَّوْلَة خَرَّجَ عليه تَخاريج، وأغْرى به السُّلْطان، فلم يَسْمَع فيه كلامًا.

وما زالَ على حَالِه إلى أن ماتَ الملكُ النَّاصِرُ وقامَ من بعده أوْلادُه الملكُ المَنْصور أبو بكر، والملكُ الأَشْرَف كُجُك، والملك النَّاصِرُ أحمد، والملكُ الصَّالِحُ إسماعيل، والملكُ الكامِلُ شَعْبان فصادَرَه في سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائةٍ، وأَخَذَ منه مالًا كثيرًا.

ومِمَّا وُجِدَ له خَمْسٌ عشرون دَارًا مُشْرِفَةً على النِّيل وغيره. فتَفَرَّقَت حَواشي الملك الكامِل أمْلاكُه، فأَخَذَت أمُّ السُّلْطان مِلْكَه الذي كان على البَحْر - وكانت دارًا عَظيمَةً جدًّا - وأَخَذَت أنْقاضَ دَارِهِ التي بالمَحْمودِيَّة من القاهِرَة، وأُقيمَ عِوَضَه بالمَطْبَخ السُّلْطاني، وضُرِبَ ابنه أحمد[١].

جَامِعُ الأَشْيُوطي

هذا الجَامِعُ بطَرَفِ جَزيرَة الفيل، مِمَّا يلي ناحِية بُولاق، كان مَوْضِعُه في القَديم غامِرًا بماءِ النِّيل[٢]. فلمَّا انْحَسَرَ عن جَزيرَةِ الفِيل، وعُمِّرَت بُولاق، أنْشَأ هذا الجَامِع القاضي شَمْسُ الدِّين

---

[١] المقريزي: السلوك ٢:٦٨٥-٦٨٦، وانظر كذلك المقريزي: السلوك ٢:٦٠٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠:٥٩.

[٢] ذكر ابن إياس أنَّ القاضي ناصر الدِّين [محمد ابن محمد بن عثمان المعروف بـ] ابن البارزي أكمل في شهر جمادى الآخر سنة ٨٢٣هـ عمارة الجامع الذي بجوار بيته الذي في بولاق وأقام به الخُطْبة... وكان هذا الجامع يُعْرَف قديمًا بمَسْجِد الأَشْيُوطي، فلمَّا جدَّدَه ابنُ البارزي عُرِفَ به». (بدائع الزهور ٢:٥٢؛ وانظر كذلك الشجاعي: تاريخ الملك الناصر ١١٨-١١٩؛ المقريزي: السلوك ٢:٧٩٧، ٤:٥٢٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤:٩٥-١٩٦؛ البقاعي: عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران ٢١٧).

وذكر علي باشا مبارك أنَّ هذا الجامع لم يبق له أثر بالمرَّة (الخطط التوفيقية ٥:٥٥)، ولكن محمد بك رمزي حدَّدَ مكان جامع الأسيوطي (ابن البارزي) بالموضع الذي أُقيم عليه الجامع المعروف الآن بجامع الأخرس (نسبةً إلى الشيخ محمد الأَخْرَس المدفون فيه) بشارع الشَّيْخَة الجوَّاني ببولاق. وبعد خرابه اغْتَصَبَ بعضُ أصحاب الأملاك المجاورة له جزءًا منه. واستدلَّ رمزي بك على ذلك بأنَّ جامع الأَشْيُوطي (ابن البارزي) مُبيَّنٌ على خريطة القاهرة التي رسمها عُلماءُ الحملة الفرنسية باسم «جامع البارزي» (خريطة بولاق برقم 84). (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠:٢٤٢-٢٤٣هـ°).

محمد بن إبراهيم بن عُمَر الشُّيُوطي ناظِر بَيْتِ المال [a]في سنة أربعٍ وأربعين وسبع مائةٍ[a]، وماتَ في سنة تسعٍ وأربعين وسبع مائة. [a]وكان يُباشِر شَهادَة دَواوين[1] الأُمَرَاء ووَلي نَظَر بَيْت المالِ[a].

ثم جَدَّدَ عِمارَتَه بعدما تَهَدَّم وزادَ فيه ناصِرُ الدِّين محمد بن محمد بن عُثْمان بن محمد، المعروف بابن البارِزي الحَمَوي[2] كاتِب السِّرّ، وأجْرَى فيه الماء، وأقامَ فيه الخُطْبَة يوم الجُمُعَة
٢١ ثالث[b] / عشرين جُمادَى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثمان مائةٍ. فجاء في أحْسَن هِنْدام وأبْدَع زِيّ، وصَلَّى فيه السُّلْطانُ الملكُ المُؤَيَّد شَيْخ الجُمُعَة في أوَّلِ جُمادَى الآخرة سنة ثلاثٍ وعشرين وثمان مائةٍ[3].

الجَامِعُ النَّاصِري حَسَن [c]

[أثر رقم ١٣٣]

هذا الجَامِعُ يُعْرَف بمَدْرَسَةِ السُّلْطان حَسَن[4]. وهو تِجاه قَلْعَةِ الجَبَل فيما بين القَلْعَةِ وبِرْكَةِ الفِيل،

(a-a) إضافة من المُسَوَّدة. (b) بولاق: سادس. (c) بولاق: جامع الملك الناصر حسن.

[1] المقريزي: السلوك ٢: ٧٩٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤٢.

[2] توفي ناصر الدين ابن البارزي في سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م. (المقريزي: المقفى الكبير ٧: ٧١- ٧٢، درر العقود الفريدة ٣: ١١٥- ١١٧، السلوك ٤: ٥٤٥. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٦١؛ السخاوي: الضوء اللامع ٩: ١٣٧).

[3] المقريزي: السلوك ٤: ٥٢٩.

[4] هذا المبنى الذي شَيَّدَه السُّلْطانُ النَّاصِرُ حَسَن كانت له - كما جاءَ في وَثيقَةِ وَقْفِه - وَظيفَتان: وَظيفَةُ الجامِع - وهي الأصْل - ووَظيفَةُ المَدْرَسَة، لذلك ذكره المقريزي مع المساجِد الجامِعَة وقال إنَّه الجامع المعروف بمَدْرَسَة السُّلْطان حَسَن، فقد جاءَ بالوَقْفية: «وأمَّا المكانُ الكبير المجاوِر للقُبَّة المذكورة من الجهة البَحْرِية، المشتمل على الأواوين الأربعة والصَّحْن والبَحْرَة التي بوَسَطِه، فإنَّه - أعَزَّ الله أنْصارَه - وَقَفَ ذلك جَميعَه - خلا البَحْرَة - مَسْجِدًا لله تعالى جامعًا تُقامُ فيه الصَّلواتُ والجُمَعُ والأعْيادُ والجماعات ويُعْتَكَفُ فيه على الطَّاعات ويُتْلى فيه كِتابُ الله الكريم ويُذْكَرُ فيه اسْمُه العَظيم ويُشْتَغَل فيه بالعِلْم الشَّريف وجَعَلَ حُكْمَه حُكْم المساجد العامِرَة، والإيوان القِبْلي منه (أي إيوان القِبْلَة) جعله أيضًا لإقامة الخُطْبَة ولِقراءَة المُصْحَف الكريم، ولجُلُوس الشَّافِعِيَّة مع مُدَرِّسِهم لأداء وظيفَة الدَّرْس العامِرِ فيه»، وأوْضَحَ الواقِفُ ذلك بعبارَةٍ أخرى فقال بعد قليل: «وأمَّا المكانُ الذي بالجِهَة الشَّرْقِيَّة من الإيوان القِبْلي المذكور فوَقَفَ الإيوانُ الذي بصَدْرِه المِحْرابُ منه مَسْجِدًا لله تعالى تُقامُ فيه الصَّلَوات ... ووُقِفَ بَقِيَّةُ المكان المذكور مَدْرَسَةً لاشْتِغال طَلَبَة العِلْم الشَّريف على مَذْهَب الإمام الشَّافِعي - رضي الله عنه - ولاسْتِقْرار الخمسين نَفَرِ المَشْروط إقامتهم بها». وكَرَّر ذلك بالنسبة للأواوين =

كان مَوْضِعُه بَيْت الأمير يَلْبُغا اليَحْياوي الذي تَقَدَّمَ ذِكْرُه عند ذِكْرِ الدُّورِ[١].

ابْتَدأ السُّلْطانُ عِمارَتَه في سنة سبعٍ وخمسين وسبع مائةٍ، وأوْسَعَ دَوْرَه، وعمله في أكبر قالَبٍ وأحْسَن هِنْدام وأضْخَم شَكْل، فلا يُعْرَفُ بِبِلادِ الإسْلام مَعْبَدٌ من مَعابِدِ المسلمِين يَحْكي هذا الجامِع[٢]، أقامَتِ العِمارَةُ فيه مُدَّةَ ثلاثِ سنين لا تَبْطُل يَوْمًا واحِدًا، وأُرْصِدَ لمصروفها في كلِّ يوم عشرون ألف درهم: عنها نحو ألف مِثْقال ذَهَبًا.

ولقد أخْبَرَني الطَّواشي مُقْبِلُ الشَّامي أنَّه سَمِعَ السُّلْطانَ حَسَنًا يقول: انْصَرَف على القالب الذي بُنِيَ عليه عَقْدُ الإيوان الكبير مائة ألف دِرْهَم نُقْرَة. وهذا القالَبِ مِمَّا رُمِي على الكِيمانِ بعد فَراغِ العَقْدِ المذكور. قال: وسَمِعْتُ السُّلْطان يقول: لَوْلا أن يُقالَ مَلِكُ مصر عَجَزَ عن إتْمامِ بِناءٍ بَناه لتَرَكْتُ بِنَاءَ هذا الجامِع من كثرةِ ما صُرِفَ عليه.

= الثلاثة الأخرى التي خُصِّصَت للمالكية والحَنَفِيَّة والحَنابِلَة، كما حَدَّدَ الواقِفُ قيمَةَ ما يُصْرَف في كلِّ شهرٍ للمُعيدين والطَّلَبَة والمُدَرِّسين ونُقَباء الدَّرْس. (راجع، محمد محمد أمين: «وثائق وَقْف السُّلْطان الملك النَّاصر حَسَن بن محمد ابن قلاوون على مصالح القُبَّة والمسجد الجامِع والمدارس ومَكْتَب السَّبيل بالقاهرة» نَشَرَها في نهاية الجزء الثالث من كتابِ «تَذْكِرَة النَّبيه» في أيَّام المنصور وبنيه» لابن حبيب، القاهرة ١٩٨٦، ٥١- ٥٣؛ هويدا الحارثي: كتابُ وَقْفِ السُّلْطان النَّاصر حسن بن محمد بن قلاوون على مدرسته بالرُّمَيْلَة، النشرات الإسلامية - ٤٥، بيروت ٢٠٠١، ١٤٨- ١٥٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: «العلم بين المسجد والمدرسة» في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، تاريخ المصريين - ٥١، القاهرة ١٩٩٢، ٢٦- ٤٤؛ وانظر رأيًا مخالفًا عند، محمد حمزة الحَدَّاد: «العلاقة بين النَّص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمَدْرَسة في العصر المملوكي»، المرجع نفسه ٣٣٣-٣٣٥).

[١] فيما تقدم ٣: ٢٣٣- ٢٣٤.

[٢] لَفَتَ هذا الجامِعُ - المَدْرَسَة - انْتِباه جميع المُؤرِّخين والرَّحَّالَة الذين بَهَرَتهم فخامَةُ المَبْنَى وضَخامَتُه وسجَّلُوا إعجابهم به، مثل المقريزي، ومنهم خَليلُ بن شاهين الظَّاهري، المتوفى سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م؛ الذي يقول: «وأمَّا مَدْرَسَةُ السُّلْطان حَسَن تِجاه القَلْعَة المنصورَة فليس لها نَظيرٌ في الدُّنْيا... وهي عَجيبَةٌ من عَجائِب الدُّنْيا، سُمْكُ جِدارِها ثمانية عشر ذراعًا بالمصري» (زبدة كشف الممالك ٣١)؛ وابن إياس، المتوفى سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م، يقول: «مَنْ أرادَ أن يَعْلَم عُلُوّ قَدْرِ السُّلْطان حَسَن فلينظر عُلُوّ هِمَّتِه في بناء هذه المَدْرَسَة التي لم يُبْنَ على وَجْهِ الأرض مثلها أبَدًا، وقد فاقَ أباه وجَدَّه في الحُرْمَة والكلمة والنِّظام العظيم» (بدائع الزهور ١/ ١: ٥٦١). وقال عنه جومار Jomard - أحد العلماء المصاحبين للحملة الفرنسية -: «وهذا الجامِعُ من أجمل مباني القاهرة والإسلام، ويستحق أن يكون في الرُّتْبَة الأولى من مَراتِب العمارة العربية بفَضْلِ قُبَّتِه العالية وارْتِفاع مئذنته وعِظَم اتِّساعه وفخامَة وكَثْرَة زَخارِفِه التي تكسو الأرضية والحوائط... ويبدو أنَّ مهندس هذا الجامع كان مُجْبَرًا على البناء على أرضٍ غير منتظمة، ولكنَّه تَجَنَّبَ بمَهارَةٍ فائقةٍ عَدَمَ انْتِظام الخُطُوط المنحرفة التي واجهته... ومَدْخَلُه المُطِلُّ على شارع سُوقِ السِّلاح في غاية الضَّخامَة - رغم عَدَم اسْتِقامته - ولاشَكَّ أنَّ أثَرَه كان سيكون أقوى من ذلك لو كان هناك مَيْدانٌ أمام هذا الباب مُماثِلٌ للمَيْدان الموجود تجاه القَلْعَة» (وصف مدينة القاهرة وقَلْعَة الجبل ١٦٩، ١٧٠، ١٧١).

وفي هذا الجَامِعُ عَجائِبُ من البُنْيان منها : أنَّ ذَرْعَ إيوانِه الكبير خمسة وستون ذِراعًا في مثلها – ويُقالُ إنَّه أكبر من إيوان كِسْرَى الذي بالمَدائِن من العِراق بخمسة أَذْرع – ومنها القُبَّةُ العَظِيمَةُ التي لم يُبْنَ بديار مصر والشَّام والعِراق والمغرب واليَمَن مثلها ، ومنها المِنْبَر الرُّخام الذي لا نَظِيرَ له ، ومنها البَوَّابةُ العَظيمَة ، ومنها المَدارِسُ الأَرْبَع التي بدَوْرِ قاعَة الجَامِع إلى غيرِ ذلك[١].

وكان السُّلْطانُ قد عَزَمَ على أن يَبْنِي أرْبَع مَنائِر يؤذَّن عليها ، فتمَّت ثَلاثُ مَنائِر[a]، إلى أن كان يوم السبت سادِس شهر رَبيعِ الآخَر سنة اثنتين وستين وسبع مائةٍ ، فسقطَت المنارَةُ التي على البابِ ، فهَلَكَ تحتها نحو ثلاث مائة نفس من الأَيْتام الذين كانوا قد رُتِّبُوا بمَكْتَبِ السَّبيل الذي هناك ومن غير الأَيْتام ، وسَلِمَ من الأَيْتام سِتَّةُ أطْفال ، فأَبْطَلَ السُّلْطانُ بِناءَ هذه المنارَة وبِناءَ نَظِيرتها ، وتأخَّرَ هناك مَنارتان هما قائِمَتان إلى اليوم . ولمَّا سَقَطَت المنارَةُ المذكورة ، لَهِجَت عامَّةُ مصر والقاهِرَة بأنَّ ذلك مُنْذِرٌ بزَوالِ الدَّوْلَة[٢]، فقال الشَّيْخُ بَهاءُ الدِّين أبو حَامِد أحمد بن عليّ ابن محمد السُّبْكي في سُقوطِها :

[البسيط]

أَبْشِر فَسَعْدُكَ يا سُلْطانَ مصر أَتَى ... بَشِيرُه بمَقالٍ سَارَ كالمَثَلِ
إنَّ المَنَارَةَ لم تَسْقُط لمَنْقَصَةٍ ... لكن لسِرٍّ خَفِيٍّ قد تَبَيَّنَ لي
من تَحْتِها قُرِئَ القُرْآنُ فاسْتَمَعَت ... فالوَجْدُ في الحَالِ أدَّاها إلى المَيْلِ
لو أَنْزَلَ اللهُ قُرْآنًا على جَبَلٍ ... تَصَدَّعَت رَأْسُه من شِدَّةِ الوَجَلِ
تِلْكَ الحِجَارَةُ لم تَنْقَضّ بل هَبَطَت ... من خَشْيَةِ الله لا للضَّعْفِ والخَلَلِ
وغابَ سُلْطانُها فاسْتَوْحَشَت ورَمَت ... بنفسها الجَوَى في القَلْبِ مشتعلِ
فالحَمْدُ لله حَظّ العَيْن زالَ بما ... قد كان قَدَّرَه الرَّحْمنُ في الأَزَلِ
لا يَعْتَرِي البُؤْسُ بعد اليوم مَدْرَسَةً ... شَيَّدَت بُنْيانَها بالعِلْمِ والعَمَلِ
ودُمْتَ حتى تَرَى الدُّنْيا بها امْتَلأَت ... عِلْمًا فلَيْسَ بمِصْرَ غير مُشْتَغِلِ

فاتَّفَقَ قَتْلُ السُّلْطانِ بعد سُقُوطِ المِئْذنةِ[b] بثلاثة وثلاثين يومًا . وماتَ السُّلْطانُ قبل أن يتم رُخام

---

a) بولاق : منابر . b) بولاق : المنارة .

---

[١] انظر كذلك الوَصْفَ التَّفْصيلي الذي قَدَّمَه الحسن بن عمر بن حبيب ، الذي عاصَرَ بناء الجامِع . (ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣ : ٢٠٩–٢١٠) .

[٢] المقريزي : السلوك ٣ : ٦٠ .

هذا الجَامِع ، فأَتَمّه من بعده الطَّواشي بَشير الجَمَدار[١] . وكان قد جَعَل السُّلْطانُ على هذا الجامع أوْقافًا عَظيمَةً جِدًّا ، فلم يُترك منها إلَّا شيءٌ يَسير ، وأُقْطِع أكثر البِلاد التي وُقِفَت عليه بديار مصر والشَّام لجماعَةٍ من الأُمَرَاء وغيرهم[٢] .

وصارَ هذا الجَامِعُ ضِدًّا لقَلْعَةِ الجَبَل قَلَّما تكون فِتْنَةٌ بين أَهْلِ الدَّوْلَة إلَّا ويَصْعَد عِدَّةٌ من الأُمَرَاءِ وغيرهم إلى أعْلاه ، ويَصيرُ الرَّمْيُ منه على القَلْعَة . فلم يَحْتَمِل ذلك الملكُ الظَّاهِرَ بَرْقُوق ، وأَمَرَ فهُدِمَت الدَّرَجُ التي كانت تُصْعِدُ إلى المنارَتَيْن والبُيُوتِ التي كان يَسْكُنُها الفُقَهاءُ ، ويُتَوصَّل من هذه الدَّرَج إلى السَّطْحِ الذي كان يُرْمَى منه على القَلْعَة ، وهُدِمَت البَسْطَةُ العَظيمةُ والدَّرَجُ التي كانت بجَانِبيْ هذه البَسْطَة التي كانت قُدَّام بابِ الجَامِع حتى لا يمكن الصُّعُودُ إلى الجَامِع .

وسُدَّ من وراءِ الباب النُّحَاس الذي لم يُعْمَل فيما عُهِدَ بابٌ مثله ، وفُتِحَ شُبَّاكٌ من شَبابيك أَحَدِ مَدارِس هذا الجَامِع ، ليُتَوصَّل منه إلى داخِل الجَامِع عِوَضًا عن البابِ المَسْدُود . فصارَ هذا الجَامِعُ تجاه باب القَلْعَة المعروف ببابِ السِّلْسِلَة[٣]، وامْتَنَع صُعُودُ المُؤَذِّنين إلى المنارَتَيْن ، وبقي الأذانُ على دَرَجِ هذا البابِ . وكان ابْتداءُ هَدْمِ ما ذُكِرَ في يوم الأحد ثامِن صَفَر سنة ثلاثٍ وتسعين وسبع مائة[٤] .

---

[١] تُوجَد أربعُ لَوْحاتٍ من الرُّخام أعلى كُلّ بابٍ من أبوابِ المدارس الأربعة الموجودة في زوايا الصَّحْن أُضيفَت بعد وفاة السُّلْطان حسن من عَمَلِ الطَّواشي بشير الجَمَدار تحمل نَصًّا واحِدًا هو :

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم . أَمَرَ بإنْشاء هذه المَدْرَسَة المبارَكَة مَوْلانا السُّلْطانُ الشَّهيدُ المَرْحوم الملكُ النَّاصِرُ حَسَن ابن مَوْلانا السُّلْطان الشَّهيد المرحوم الملك النَّاصِر محمد ابن قلاوون ، وذلك في شهور سنة أربعٍ وستين وسبع مائة» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 168; Kallus, L., *RCEA*, XVII, n° 764 002) .

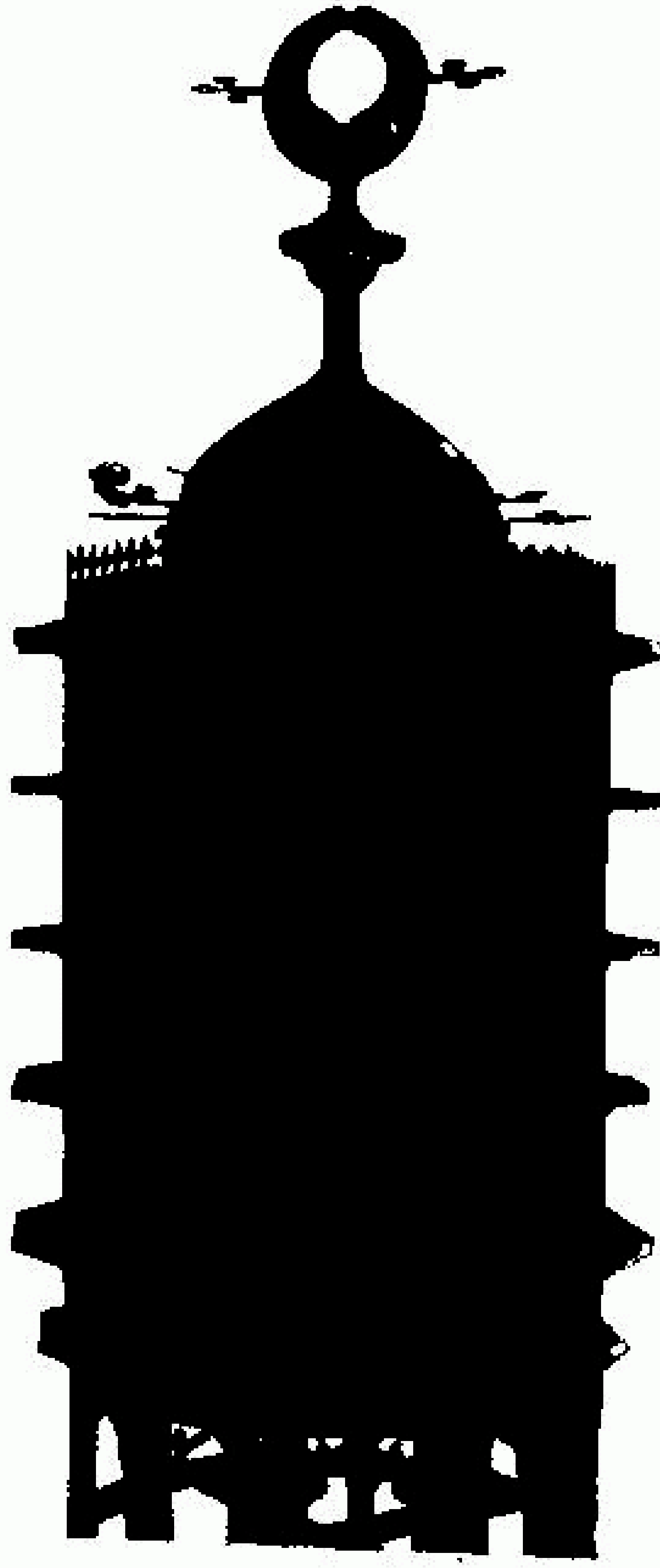
[٢] راجع فيما تقدم ٢٦٩-٢٧٠هـ[٤]، حيث ذكرت وثائق الوَقْف الخَاصَّة بالجامع ـ المَدْرَسَة وتاريخ نَشْرها .

وانظر عن تاريخ الجامع ووَصْف عمارته ، ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣:٢٠٩- ٢١٠؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤:١٧٤- ١٨١؛ Herz Pacha, M., *La Mosquée du Sultan Hassan au Caire*, Le Caire 1899 (نقله إلى العربية علي بهجت بعنوان : جامع السُّلْطان حسن بمصر القاهرة ، القاهرة ١٩٠٢)؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:١٢٣هـ[١]؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١:٥٥٩- ٥٦١، ٥٧٥؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٦٥- ١٨١؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣:٢٧٦- ٢٩٠؛ Osman Rostem, *The Architecture of the Mosque of Sultan Hasan*, Beirut 1970؛ علي حسن زغلول قاسم : مدرسة السُّلْطان حسن (٧٥٧-٧٦٤هـ/١٣٥٦-١٣٦٢م) ، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٧٧؛ al-Harithy, H., «The Complex of Sultan Hasan in Cairo. Reading between the Lines», *Muqarnas* 13 (1996), pp. 68-79؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢:١١٤١- ١١٦٢.

[٣] انظر عن باب السِّلْسِلَة ، فيما تقدم ٣:٦٨٨هـ[٢] .

[٤] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٨.

٣١١ ثم لمَّا شَرَعَ السُّلْطانُ الملكُ المؤَيَّدُ شَيْخ في عِمارَة الجامِع بجوارِ / بابِ زَوِيلَة ، اشْتَرى هذا الباب النُّحاس والتَّنُّور النُّحاس الذي كان مُعَلَّقًا هناك بخمس مائة دينار [1] ، ونُقِلا في يوم الخميس سابع عشرين شوَّال سنة تسع عشرة وثمان مائةٍ ، فرُكِّب البابُ على البَوَّابة ، وعُلِّقَ التَّنُّور تجاه المِحْراب [2] .



التَّنُّور النحاس الخاص بجامع السُّلْطان حسن

فلمَّا كان في يوم الخميس تاسِع شهر رَمَضان سنة خمسٍ وعشرين وثمان مائةٍ ، أُعيدَ الأذانُ في المِئْذَنَتَيْن كما كان ، وأُعيدَ بِناءُ الدَّرَج والبَسْطَة ، ورُكِّبَ بابٌ بَدَل الذي أَخَذَه المؤيَّد ، واسْتَمَرَّ الأَمْرُ على ذلك .

النَّاصِر حَسَن الملكُ النَّاصرُ أبو المعالي الحَسَنُ بن محمد ابن قَلاوون [3] – جَلَسَ على تَخْتِ المُلْك وعمره ثلاث عشرة سنة ، في يوم الثلاثاء رابع عشر شهر رَمَضان سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائةٍ ، بعد أخيه الملك المُظَفَّر حاجي وأُرْكِبَ من بابِ السِّتارَة بقَلْعَةِ الجبَل ، وعليه شِعَارُ السَّلْطَنَة ، وفي رِكابِه الأُمَرَاءُ ، إلى أن نَزَلَ بالإيوان السُّلْطاني . ومُدَبِّرُو الدَّوْلَة يومئذٍ : الأميرُ بَيْبُغا روس[a]، والأمير أُلْجِيبُغا المُظَفَّري ، والأمير شَيْخُو ، والأمير طاز ، وأحمد شادّ الشَّرابْخاناه ، وأَرْغُون الإسْماعيلي .

---

a) بولاق : يلبغا روس .

---

[1] فيما يلي ٣٤٢، وهذا التَّنُّور مَحْفوظٌ الآن بمتحف الفن الإسلامي (انظر اللوحة) .

[2] ولا يزال هذا الباب مَوْجودًا إلى الآن بجامِع المؤيَّد شَيْخ داخِل باب زَوِيلَة (انظر اللوحة) ، وعليه النَّصُّ التالي :

«أَمَرَ بإنْشاء هذا الباب المبارك العَبْدُ الفَقيرُ إلى الله تعالى مَوْلانا السُّلْطانُ الشَّهيدُ أبو المعالي حَسَن بن مَوْلانا السُّلْطان الشَّهيد الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، وذلك في سنة أربع وستين وسبع مائة» . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤:٤٣-٤٤؛ وفيما يلي ٢: ٣٢٩؛ van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 238; Kallus, L., *RCEA*, XVII, n° 764 011) .

[3] انظر ترجمة السُّلْطان النَّاصِر حَسَن وأخباره عند ، الصفدي : أعيان العصر ٢:٢٤٧-٢٥٥، الوافي بالوفيات ١٢:٢٦٦-٢٦٧؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه =

فخَلَع على يَبْغا روس[a] واستقرَّ في نِيابَةِ السَّلْطَنة بدِيارِ مصر عِوَضًا عن الحاج أرِقْطاي، وقُرِّر أرقْطاي في نِيابَة السَّلْطَنة بحَلَب، وخُلِعَ على الأمير سَيْف الدِّين مَنْجَك اليُوسُفي واسْتَقَرَّ في الوَزارَة والأُسْتادَّارية، وقُرِّر الأمير أَرْغُون شاه في نيابَة السَّلْطَنة بدِمَشْق.

فلمَّا دَخَلَت سنة تسع وأربعين كَثُرَ انْكِشَافُ الأراضي من مَاءِ النِّيل بالبرِّ الشَّرْقي، فيما يلي بُولاق إلى مصر، فاهْتَمَّ الأُمَراءُ بسَدِّ البَحْرِ ممَّا يلي الجيزَة، وفُوِّض ذلك للأمير مَنْجَك، فجَمَعَ مالًا كثيرًا وأنفقه على ذلك فلم يُفِد، فقُبِضَ على مَنْجك في رَبيعِ الأوَّل.

وحَدَثَ الوَباءُ العَظِيمُ في هذه السنة[1]، وأُخْرِج أحمد شادّ الشَّرابْ خاناه لنيابَة صَفَد، وأَلْجِيبُغا لنِيابَة طَرابُلُس. فاسْتَمرَّ أَلْجِيبُغَا بها إلى شهر رَبيعِ الأوَّل سنة خمسين، فرَكِبَ إلى دِمَشْق، وقَتَلَ أرْغون شَاه بغير مَرْسومٍ، فأُنْكِر عليه وأُمْسِك، وقُتِلَ بدِمَشْق.

وفي سنة إحدى وخمسين سارَ من دِمَشْق عَسْكَرٌ عِدَّتُه أربعة آلاف فارِس، ومن حَلَب ألفا فارِس إلى مدينَة سِنْجار، ومعهم عِدَّةٌ كثيرةٌ من التُّرْكُمان، فحَصَروها مُدَّةً حتى طَلَب أهْلُها الأمان ثم عادُوا. وتَرَشَّدَ السُّلْطانُ، واسْتَبَدَّ بأمْرِه، وقَبَضَ على مَنْجَك ويَبْغا روس[a]، وقَبَضَ بمَكَّة على الملك المجاهِد صاحِب اليَمَن وقُيِّدَ وحُمِلَ إلى القاهِرَة فأُطْلِق، ثم سُجِنَ بقَلْعَة الكَرَك.

فلمَّا كان يومُ الأحد سابع عشر جُمادَى الآخرة، رَكِبَ الأُمَراءُ على السُّلْطان – وهم طَاز وإخوته، ويَبْغا الشَّمْسي[b]، ويَبْغَرا – ووَقَفُوا تحتَ القَلْعَة، وصَعِد الأميرُ طاز وهو لابِسٌ إلى القَلْعَة في عِدَّةٍ وافِرَةٍ، وقَبَضَ على السُّلْطان وسَجَنَه بالدُّور، فكانت مُدَّةُ وِلايته ثلاثَ سنين وتسعة أشهر. وأُقيمَ بَدَلَه أخوه الملكُ الصَّالِحُ صَالِح.

فأقامَ السُّلْطانُ حَسَن مُنْجَمِعًا[c] على الاشْتِغال بالعِلْم، وكَتَبَ بخَطِّه نُسْخَةً من كِتاب «دَلائِل النُّبُوَّة» للبَيْهَقي، إلى يوم الاثنين ثاني شوَّال سنة خمسٍ وخمسين وسبع مائةٍ، فأقامَه الأميرُ شَيْخو

---

a) بولاق: يلبغا روس. b) بولاق: يلبغا الشمسي. c) بولاق: مجمعا.

= ٣:١٠٢- ١٤٧، ١٧٦- ٢٣٩؛ الفاسي: العقد الثمين ٤:١٨٠- ١٨١؛ المقريزي: السلوك ٢:٧٤٥- ٨٤٣، ٣:١- ٦٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢:١٢٤- ١٢٥؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠:١٨٧- ٢٥٣، ٢٠٢- ٣٣٨، المنهل الصافي ٥:١٢٥- ١٣٢؛ Holt P. M., EI^2 art. *al-Nâsir Hasan* VII, pp. 994.

[1] انظر عن الوَبَاء العظيم أو الفَنَاء الكبير، فيما تقدم ٢:٢٢٤هـ[1].

العُمَري في السَّلْطَنَة وقَبَضَ على الصَّالِح - وكانت مدَّةُ سَجْنِه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يومًا - فرَسَم بإمْساك الأمير طاز وإخْراجِه لنِيابَة حَلَب.

وفي رَبيعِ الأوَّل سنة سبع وخمسين، هَبَّت ريحٌ عاصِفَةٌ من ناحية الغَرب - من أوَّلِ النَّهار إلى آخر اللَّيْل - اصْفَرَّ منها الجَوُّ ثم احمرَّ ثم اسْوَدَّ، فتَلِفَ منها شيءٌ كثيرٌ.

وفي شَعْبانَ سنة تسعٍ وخمسين ضَرَب الأميرَ شَيْخو بعضُ المماليك بسَيْفٍ، فلم يَزَل عَليلًا حتى ماتَ.

وفي سنة تسعٍ وخمسين، كان ضَرْبُ الفُلُوسِ الجُدُد، فعُمِلَ كُلُّ فَلْسٍ زِنَة مِثْقال [1]، وقُبِضَ على الأمير طاز نائِب حَلَب وسُجِنَ بالإسْكَنْدَرية، وقُرِّر مكانَه في نِيابَة حَلَب الأميرُ مَنْجَك اليُوسُفي، وأَمْسَكَ الأمير صَرْغَتْمُش في شهر رَمَضان منها، وكانت حَرْبٌ بين مماليكه ومَماليك السُّلْطان انْتَصَر فيها المماليك السُّلْطانية، وقُبِضَ على عِدَّةِ أُمَرَاء، فأَنْعَمَ السُّلْطانُ على مَمْلوكِه يَلْبُغَا العُمَري الخاصَّكي بتَقْدِمَة ألف، عِوَضًا عن تَنْكِز بُغا المارْديني أمير مَجْلِس بحُكْمِ وَفاتِه.

وفي سنة ستين فَرَّ مَنْجَك من حَلَب فلم يُوقَف له على خَبَر. فأقَرَّ على نِيابَة حَلَب الأمير بَيْدَمُر الخُوارَزْمي، وسارَ لغَزْو سِيس، فأخَذَ أَدَنَة بأمانٍ، وأخَذَ طَرْسُوس والمَصِّيصَة وعِدَّة بِلادٍ، و أقامَ بها نُوَّابًا وعادَ. فلمَّا كانت سنة اثنتين وستين عَدَّى السُّلْطانُ إلى بَرِّ الجيزَة، وأقامَ بناحية كوم بَرًّا مُدَّةً طَويلةً لوَباءٍ كان بالقاهِرَة. فتَنَكَّرَ الحالُ بينه وبين الأمير يَلْبُغا إلى ليلة الأربعاء تاسِع جُمادَى الأولى، فرَكِبَ السُّلْطانُ في جَماعةٍ ليَكْبِس على الأمير يَلْبُغا - وكان قد أَحَسَّ بذلك وخَرَجَ عن الخِيام، وأَكْمَنَ[a] بمكانٍ وهو لابِسٌ في جَماعَته - فلم يَظْفَر السُّلْطانُ به ورَجَعَ. فثارَ به يَلْبُغا فانْكَسَر منه[b]، وفَرَّ يُريدُ قَلْعَةَ الجَبَل، فتبعه يَلْبُغا، وقد انْضَمَّ إليه جَمْعٌ كثير، ودَخَلَ السُّلْطانُ إلى

a) بولاق: كمن. b) بولاق: بمن معه.

[1] كانت الفُلُوسُ قبل سنة ٧٥٩هـ يُعْتَبَر كُلُّ ثمانية وأربعين فَلْسًا منها بدِرْهَم من النُّقْرَة على اخْتِلافِ السِّكَّة فيها، ثم أُحْدِثَت في سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م - بإشارة الأميرِ صَرْغَتْمُش - فُلُوسٌ شُهِرَت بـ «الجُدُد» جمْع جَديد زِنَةُ كُلِّ فَلْسٍ منها مِثْقال، وكُلُّ فَلْسٍ منها قيراطٌ من أربعة وعشرين قيراطًا من الدِّرْهَمِ، أي كُلُّ أربعةٍ وعشرين فَلْسًا بدرهم فِضَّة. وطريقَةُ عملها أن يُسْبَكَ النُّحاسُ الأحمر حتى يصير كالماء، ثم يُخْرَج فيُضْرَب قُضْبانًا، ثم يُقَطَّع قِطَعًا صِغارًا، ثم تُوضَع وتُسَكّ بالسِّكَّة السُّلْطانية وسِكَّتُها أن يكتب على أحد وَجْهَيْها اسْمُ السُّلْطان ولَقَبُه، وعلى الآخر اسْمُ بَلَد ضَرْبِه وتاريخ السنة التي ضُرِبَ فيها. قال القلقشندي: «وبَطَلَ ما عَداها من الفُلُوس، وهي أكثر ما يتعامل به أهْلُ زماننا». (القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٣٩- ٤٤٠، ٤٦٣- ٤٦٤؛ المقريزي: السلوك ٣: ٣٩).

القَلْعَةِ فلم يَثْبُت ، ورَكِبَ معه أَيْدَمُر الدَّوادار ليَتَوَجَّه إلى بِلاد الشَّام ، ونَزَلَ إلى بَيْتِ الأمير شَرَف الدِّين مُوسَى بن الأَزْكشي أمير حَاجِب ، فبَعَثَ في الحالِ إلى الأمير يَلْبُغا يُعْلِمه بمجيء السُّلْطان إليه ، فبَعَثَ من قَبَضَه هو والأمير أَيْدَمُر . ومن حينئذٍ لم يُوقَف له على خَبَرٍ ألبتَّة ، مع كَثْرَة فَحْصِ أَتْباعِه / وحَواشيه عن قَبْرِه وما آلَ إليه أَمْرُه . فكانت مُدَّةُ ولايته هذه الثانية ستَّ سنين وسبعة أشهر وأيَّامًا .

وكان مَلِكًا حازِمًا مُهَابًا شُجَاعًا ، صاحِبَ حُرْمَةٍ وافِرَةٍ وكلمةٍ نافِذَةٍ ودِين مَتِين ، حَلَفَ غير مَرَّة أنَّه ما لاطَ ولا شَرِبَ خَمْرًا ولا زَنَى . إلَّا أنَّه كان يَنْحَل ، ويُعْجَب بالنِّساء ولا يكادُ يَصْبِر عنهنّ ، ويُبالِغ في إعْطائِهن المال [١].

وعادَى في دَوْلَتِه أَقْباطَ مصر ، وقَصَدَ اجْتِثاثَ أَصْلِهم [٢]، وكَرِهَ المماليكَ ، وشَرَعَ في إقامَة «أَوْلادِ النَّاسِ» [٣] أُمَرَاءَ ، وتَرَكَ عشرة بنين وستّ بَنَات . وكان أَشْقَر أَنْمَش ، وقُتِلَ وله من العُمْر

---

[١] المقريزي : السلوك ٣:٦١- ٦٢.

[٢] ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٥٧٨.

[٣] أَوْلادُ النَّاس . هم أبناءُ السَّلاطين وأبناءُ أُمَراء المماليك الذين وُلِدُوا أَحْرارًا مسلمين ونشأوا داخل حُدُود السَّلْطَنَة المملوكية ويحملون أسماءً عربية . فنَظَرًا لأنَّ المماليك كانوا يُشَكِّلُون مُجْتَمَعًا مُغْلَقًا يتكوَّن من الرَّقِيق - وعلى الأَخصّ من الأَتْراك والشَّراكِسَة - الذين أُسِرُوا صِغارًا في دارِ الحَرْب ولا يحملون أسماءً عربية ، ثم تَحَوَّلوا إلى الإسلام وأُعْتِقُوا بعد اجْتيازهم العديدَ من التَّدْريبات العسكرية اللازمة التي تُؤَهِّلهم ليكونوا جُنُودًا محترفين . وبما أنَّ هذه الصِّفات لا يمكن تَوْريثها فإنَّ أبناءَهم الذين وُلِدُوا أَحْرارًا مسلمين انْتَموا إلى وِحْدَةٍ من غير المماليك أُطْلِقَ عليها «جُنْد الحَلْقَة» (فيما تقدم ٣: ٧٠٠) كانوا يكوِّنون الطَّبَقَة العُلْيا بينهم . وكان «أَوْلادُ النَّاس» لا يصلون إلى مرتبةٍ أعلى من أمير عشرة أو أمير طَبْلَخانة (قارن ، المقريزي : السلوك ٣:٢٧٤- ٢٧٥، ٦٢٤- ٦٢٥، ٧٥٤) فيما عَدا استثناءات قليلة مثل ما فَعَلَه السُّلْطانُ النَّاصِرُ حسن الذي «كَرِه المماليك وشَرَعَ في إقامَة أَوْلادِ النَّاسِ أُمَرَاء» . ونَظَرًا لأنَّ وَضْعَهم بطبيعته أَقْصاهُم من طَبَقَة المماليك حيث كان المماليكُ فقط هم الذين يُسْمَح لهم بالاستمتاع بثَرْوة البلد وتولّي السُّلْطَتَيْن السياسية والعسكرية ، فإنَّهم لم يَرِثوا إقْطاعات آبائهم وأَضْحَت فُرَصُهم في التَّقَدُّم لشَغْل الوَظائف العُلْيا محدودَةً ، لذلك فإنَّ عَدَدًا كبيرًا منهم تَرَكَ حياة الجندية وامْتَهَن دراسة الفِقْه والأدب وكتابة التاريخ . (راجع ، Ayalon, D., *EI* [2] art. *Awlâd al-Nâs* I, p. 788; Haarmann, U., «The Sons of Mamluks as Fief-Holders in Late Medieval Egypt» in T. Khalidi (ed.), *Land Tenure and Social Transformation in the Middle East*, Beirut 1984, pp. 141-68; id., «Arabic in Speech, Turkish in Lineage: Mamluks and their Sons in the Intellectuel Life of Fourteenth - Century Egypt and Syria» *JSS* 33 (1988), pp. 81-114; id., «Joseph's Law. The Careers and Activities of Mamluk Descendents before the Ottoman Conquest of Egypt» in Th. Philipp and U. Haarmann (eds.), *The Mamluks in Egyptian Politics and Society*, Cambridge 1999, pp. 55-84; Richards, D. S., «Mamluk Amirs and their Families and Households» in Th. Philipp and U. Haarmann (eds.), *op.cit.*, pp. 32-54).

بِضْعٌ وعشرون سنة ، ولم يكن قَبْلَه ولا بَعْده في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة مثله .

جَامِعُ القَرافَة

هذا الجَامِعُ يُعْرَف الآن بـ « جَامِع الأَوْلِياءِ » وهو بالقَرافَةِ الكُبْرَىٰ ، وكان مَوْضِعُه يُعْرَف في القَديم عند فَتْح مصر بخِطَّة المَعَافِر [a]، وهو مَسْجدُ بني عبد الله بن مانِع بن مَوْزِع ، يُعْرَف بمَسْجد القُبَّة [1].

قال القُضاعِيُّ : كان القُرَّاءُ يَحْضُرون فيه ، ثم بُنِيَ عليه المَسْجدُ الجَامِع الجَديد بَنَتْه السَّيِّدَةُ المُعِزِّيَّة في سنة ستٍّ وستين وثلاث مائةٍ – وهي أُمّ العَزيز بالله نزار وَلَد المُعِزّ لدين الله : أمُّ وَلَدٍ من المَغْرِب [b] يُقالُ لها تَغْريد ، وتُدْعَى دُرْزان – وبَنَتْه على يَدِ الحَسَن بن عبد العَزيز الفارسي المُحْتَسِب [2] في شهر رَمَضان من السنة المذكورة . وهو على نَحْوِ بناءِ الجَامِع الأَزْهَر بالقاهِرَة .

وكان بهذا الجَامِع بُسْتانٌ لَطيفٌ في غربيه وصِهْريجٌ . وبابُه – الذي يُدْخَل منه ذو المساطِب الكبير الأَوْسَط ، تحت المنار العالي الذي عليه ، مُصَفَّحٌ بالحَديد إلى حَضْرةِ المِحْراب . والمَقْصُورَة من عِدَّة أبْواب ، وعِدَّتُها أربعة عشر بابًا مربعة مَطْوِيَّة [c] الأبْواب ، قُدَّام كلِّ بابٍ قَنْطَرةُ قَوْسٍ على عمودَيْ رُخامٍ ثلاثة صُفُوف . وهو مُكَنْدَج مُزَوَّق باللازَوَرْد والزِّنْجَفْر والزِّنْجار وأنْواعِ الأَصْباغ ، وفيه مَواضِعُ مَذْهُونَة ، والسُّقُوفُ مزوَّقةٌ ملوَّنة كلُّها ، والحَنَايا والعُقُود التي على العُمُد مزوَّقة

---

a) بولاق : المغافر . b) بولاق : العرب . c) بولاق : مُطَوَّبَة .

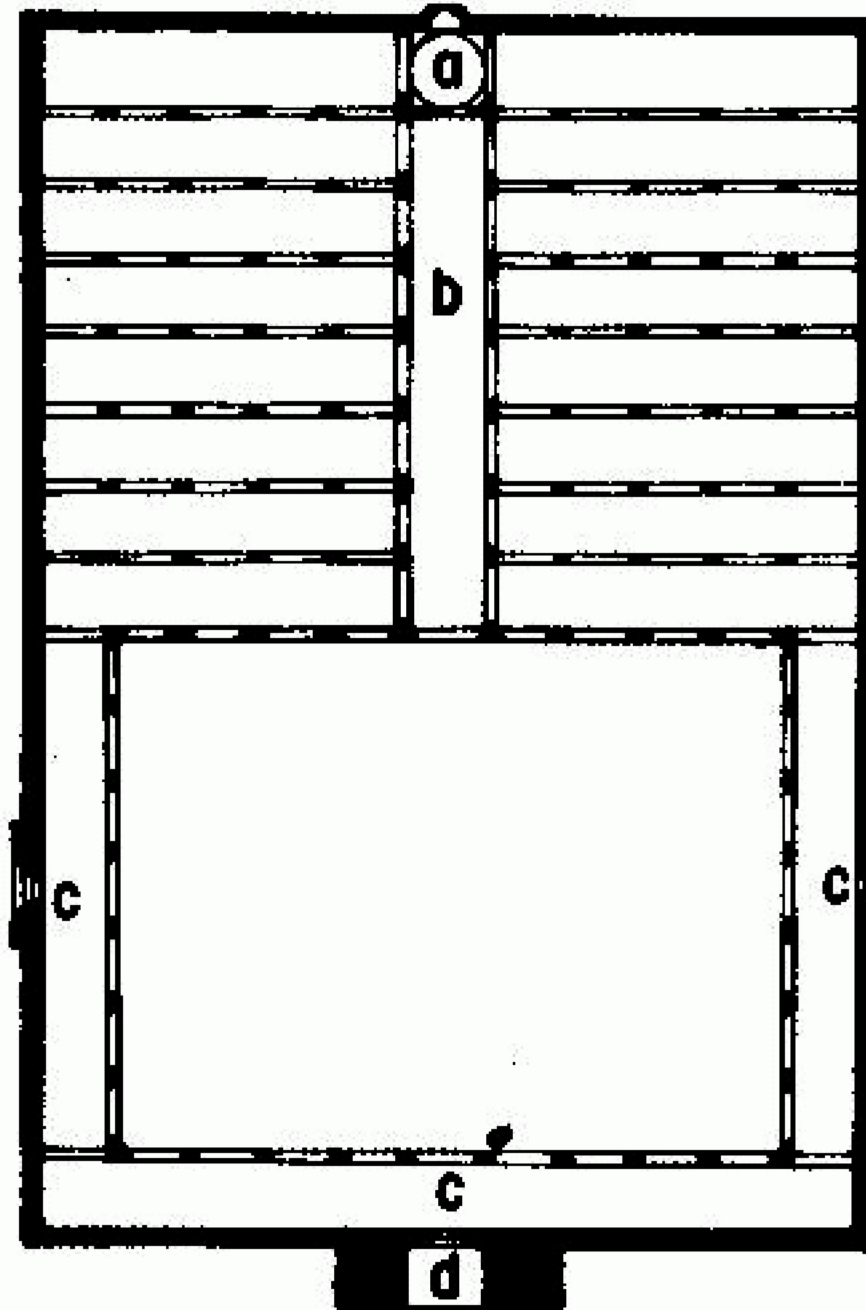
---

[1] جامِعُ القرافَة المعروف بـ «جامِع الأَوْلياء» ، يَقَعُ في الطَّرَفِ الجنوبي للقرافَة الكبرىٰ عند الحدِّ الجنوبي الشَّرْقي للفُسْطاط قِبْلي عَيْن الصِّيرَة ، شاهَدَ منه علي مبارك في نهاية القرن التاسع عشر بعض جُدْرانِهِ ، وصار هو وما حوله مَقابِرَ على صورة حوش كبير اشتهر بـ «حوش الأَوْلياء» و«حوش أبي علي» . ويقع بجواره من الجهة البحرية الأَطْلالُ المعروفة بـ «الحَضْرَة الشَّريفَة» المسجلة بالآثار برقم ٤٧٤ . (راجع ، Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 646) .

ويُوجَد في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة نَقْشٌ على الحَجَر كُشِفَ في منطقة إسْطَبْل عَنْتَر نحو سنة ١٩٣٠ ، يحمل كتابةً كوفيةً مكوَّنة من عشرة أسطر بالكتابة البارزة مليءٌ بالسَّقْط واردٌ فيه اسم السيدة والدة الإمام العزيز بالله ، يُظَنُّ أَنَّ مَصْدَرَه جامِعُ القرافة . (Wiet, G., *Inscriptions historiques sur pierre*, pp. 33-34 (n° 50) .

[2] الحَسَن بن عبد العزيز الفارسي المحْتَسِب هو المشرف على بناء الجامع لا مهندس الجامع كما ظَنَّ بعض الباحثين ، فكانت مُهِمَّتُه مثل مُهِمَّة «شادّ العَمائِر» أو «ناظِر العِمارَة» في العَصْر المملوكي .

بأنواع الأصْباغ من صَنْعَة البَصْريين وبَني المُعَلِّم المزوِّقين شُيوخ الكُتامي والنازوك.



مُخَطَّط افْتراضي لجامع القَرافَة (عن J. M. Bloom)

وكان قُبالَةَ البابِ السَّابع من هذه الأبواب قَنْطَرَةُ قَوْسٍ مُزَوَّقَة، في مُنْحَنى حافتيها شاذَرْوان مُدَرَّج بدَرَج، وآلاتٌ سُود وبيض وحُمْر وخُضْر وزُرْق وصُفْر. إذا تَطَلَّع إليها من وَقَفَ في سَهْمِ قَوْسِها، شائِلًا رأسه إليها، ظَنَّ أنَّ المُدَرَّجَ المزوَّق كأنَّه خَشَب كالمُقَرْنَص. وإذا أتى إلى أحَد قُطْرَي القَوْس نصف الدائرة، وَقَفَ عند أوَّلِ القَوْس منها ورَفَعَ رأسه، رأى ذلك الذي تَوهَّمَه مُسْطَحًا لا نُتُوّ فيه، وهذه من أفْخَرِ الصَّنائِع عند المُزَوِّقين. وكانت هذه القَنْطَرةُ من صَنْعَةِ بني المُعَلِّم، وكان الصُّنَّاعُ يأتون إليها ليَعْمَلوا مثلها فما يَقْدِرون[1].

وقد جَرَى مثل ذلك للقَصير وابن عُزَيْز في أيَّام اليازُوري، سَيِّد الوُزَرَاء الحَسَن بن عليّ ابن عبد الرَّحْمَن، وكان كثيرًا ما يُحَرِّض بينهما، ويُغْري بَعْضَهُما على بَعْضٍ، لأنَّه كان أَحَبُّ ما إليه

[1] حاوَلَ جوناثان بلوم، اعتمادًا على وَصْفِ القُضَاعي ـ الذي أوْرَدَه المقريزي هنا ـ أن يعيد تَصَوُّر جامع القَرافَة (Bloom, J.M., «The Mosque of the Qarâfa in Cairo», *Muqarnas* 4 (1987), pp. 7-20)، ولكنَّه وَقَعَ في العديد من الأخطاء نتيجةً للتَّصحيفات الموجودة في طبعة بولاق جعلته يُقَدِّم تَخْطيطًا افْتراضيًا للجامع لا تَجْعَل له مِئْذَنَةً وإنَّما مَنْوَر عُلْوي بنوافذ. (راجع، Ragib, Y., «La mosquée d'al-Qarâfa et Jonathan M. Bloom», *Arabica* XLI (1994), pp. 419-21).

كِتابٌ مُصَوَّرٍ أو النَّظَر إلى صُورَةٍ أو تَزْويق. ولمَّا اسْتَدْعَى ابن عُزَيْز من العِراق فأَفْسَدَه، وكان قد أَتَى به في مُحارَبَة القَصير، لأنَّ القَصير كان يَشْتَطّ في أُجْرَته ويَلْحقه عُجْبٌ في صَنْعَتِه، وهو حَقيقٌ بذلك لأنَّه في عَمَلِ الصُّورَةِ كابن مُقْلَة في الخَطِّ، وابنُ عزيز كابن البَوَّاب. وقد أَمْعَنَ شَرْحَ ذلك في الكِتاب المؤلَّف فيه، وهو «طَبَقاتُ المصوِّرين» المنعوت بـ «ضَوْءِ النِّبْراس وأُنْسِ الجُلَّاس في أَخْبَارِ المُزَوِّقين من النَّاس»[1].

وكان اليازوري قد أَحْضَرَ بمَجْلِسِه القصير وابن عُزَيْز، فقال ابنُ عزيز: أنا أُصَوِّر صُورَةً إذا رآها النَّاظِرُ ظَنَّ أنَّها خارِجَةٌ من الحائِط. فقال القصير: لكن أنا أُصَوِّرُها فإذا نَظَرَها النَّاظِرُ ظَنَّ أنَّها داخِلَةٌ في الحَائِط. فقالوا: هذا أَعْجَبُ. فأَمَرَهُما أن يَصْنَعا ما وَعَدا به. فصَوَّرا صُورَةَ راقِصَتَيْن في صُورَة حِنيتين مَدْهُونتين مُتقابِلَتَيْنِ، هذه تُرَى كأنَّها داخِلَة في الحَائِط، وتلك تُرَى كأنَّها خارِجَة من الحَائِط. فصَوَّرَ القَصير راقِصَةً بثِيابٍ بيض في صُورَةِ حِنْيَةٍ دُهْنُها أَسْوَد كأنَّها داخِلَة في صُورَة الحِنْيَة، وصَوَّر ابنُ عُزَيْز راقِصَةً بثيابٍ حُمْر في صُورَةٍ صَفْراء كأنَّها بارِزَةٌ من الحِنْيَة. فاسْتَحْسَن اليازُوري ذلك، وخَلَعَ عليهما، ووَهَبَهما كثيرًا من الذَّهَب.

وكان بدار النُّعْمَان بالقَرافَة[2]، من عَمَلِ الكُتامِي، صُورَةُ يُوسُف – عليه السَّلام – في الجُبِّ وهو عُرْيانٌ والجُبُّ كلُّه أَسْوَد، إذا نَظَرَه الإنْسانُ ظَنَّ أنَّ جِسْمَه نابت[a] من دُهْنِ لَوْن الجُبّ.

وكان هذا الجَامِعُ من مَحاسِن البِنَاء، وكان بنو الجَوْهَري يَعظون بهذا الجَامِع على كُرْسي في الثلاثة أشهر، فتَمُرُّ لهم مَجالِسُ مُبَجَّلَة تَرُوقُ وتَشُوق، ويقومُ خادِمُهم زَهْرُ البَان – وهو شَيْخٌ

---

a) بولاق: باب.

---

[1] للأسف الشَّديد فُقِدَ هذا الكتابُ الآن ولم يَصِل إلينا منه شيءٌ مُقْتَبسًا لدى أحَدٍ من المؤلِّفين المتأخِّرين سوى ما نَقَلَه المقريزي هنا. وواضحٌ من عنوان هذا الكتاب انتشار المُصَوِّرين والمُزَوِّقين والمُزَمِّكين الذي دعا إلى تأليف كتابٍ في طبقاتهم لا نعرف للأسف اسم مُؤَلِّفه والفترة التي أُلِّفَ فيها. ولاشَكَّ أنَّه تناوَل فيه أسماءَ المُصَوِّرين والمُزَوِّقين الذين صَوَّروا وزيَّنوا كذلك المخطوطات العربية وفَواتِح وخَواتيم المصاحف الشَّريفة (frontispice). وقد لَفَتَ وجود مثل هذا الكتاب انتباه العديد من المستشرقين والباحثين العرب. (راجع، Wiet, G., «L'Éxposition d'art persan à Londres», *Syria* (1932), pp. 202-3; Hautecoeur, L. & Wiet, G., *Les mosquées du Caire*, pp. 179-80؛ زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين ٩٠– ١٩٣؛ وانظر كذلك James, D., *Qur'ans of the Mamluks*, London - Alexandria Press 1988).

[2] دارُ النُّعْمان بالقَرافَة الكبرى. كانت تقع أمام مَسْجِد تاج الملوك بالقرافة، الذي لم يُحَدِّده المقريزي بأكثر من ذلك. (فيما يلي ٨٦٧).

كبيرٌ – ومعه زَنْجَلة ، إذا تَوَسَّطَ أحَدُهُم في الوَعْظِ ، ويقول :

[الكامل]

تَصَدَّقي[a] لا تأمَني أن تَسْألي فإذا سَألْت عَرَفْتِ ذُلَّ السَّائِلِ

ويَدُورُ على الرِّجالِ والنِّسَاءِ ، فيُلْقَى له في الزَّنْجَلَة ما يَسَّرَه الله تعالى ، فإذا فَرَغَ من التَّطْواف ، وَضَعَ الزَّنْجلَة أمامَ الشَّيْخ ، فإذا فَرَغَ من وَعْظِه فَرَّق على الفُقَراءِ ما قُسِمَ لهم ، وأَخَذَ الشَّيْخُ ما قُسِمَ له وهو الباقي ، ونَزَلَ عن الكُرْسي .

وكان / جَماعَةٌ من الرُّؤَساءِ يَلْزَمون النَّوْم بهذا الجَامِع ، ويَجْلِسون به في ليالي الصَّيْف للحَديث في القَمَر في صَحْنِه ، وفي الشِّتَاء يَنامُون عند المِنْبَر ، وكان يَحْصُلُ لقَيِّمه القاضِي أبي حَفْص الأشْوِيَة[b] والحلْوى وغير ذلك .

قال الشَّريفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني النَّسَّابة : حَدَّثني الأميرُ أبو عليّ تاج المُلْك جَوْهَر ، المعروف بالشَّمْس الجُيُوشي ، قال : اجْتَمَعْنا ليلة جُمُعَة جماعَةٌ من الأُمَراءِ بنو مُعِزّ الدَّوْلَة وصَالح وحاتِم وراجِح وأوْلادهم وغِلْمانهم ، وجَماعَةٌ مِمَّن يلوذ بنا كابن المُوَفَّقي القاضي ابن داود وأبي المَـجْد بن الصَّيْرَفي أبي الفَضْل رُوزْبَة وأبي الحسن الرَّضيع . فعملنا سِماطًا وجَلَسنا ، واسْتَدْعينا بمَن في الجَامِع وأبي حَفْص فأكلنا ، ورَفَعْنا الباقيَ إلى بَيْت الشَّيْخ أبي حَفْص قَيِّم الجَامِع ، ثم تَحَدَّثْنا ونِمْنا . وكانت ليلةً باردةً ، فنِمْنا عند المِنْبَر . وإذا إنْسانٌ نِصْفَ الليل ، مِمَّن نامَ في هذا الجَامِع من عابري السَّبيل ، قد قامَ قائِمًا وهو يَلْطِم على رأسِه ، ويَصيح : وامالاه ، وامالاه ! فقلنا له : وَيْلَكَ ! ما شَأْنُك ، وما الذي دَهاك ، و من سَرقَك ، وما سُرِقَ لك ؟ فقال : يا سَيِّدي أنا رَجُلٌ من أهْلِ طُرا ، يقال لي أبو كَبْريت[c] الحَاوي ، أَمْسَى عليَّ الليل ونِمْتُ عندكم ، وأكَلْتُ من خَيْركم – وَسَّعَ الله عليكم – ولي جُمُعَة أجْمَع في سَلَّتي من نَواحي طُرا ، والحيّ الكبير والجَبَل ، كلَّ غَريبَةٍ من الحَيَّات والأفاعي ما لم يَقْدِر عليه قَطُّ حاوٍ غيري ، وقد انْفَتَحت السَّاعَة السَّلَّة ، وخَرَجت الأفاعي وأنا نائِمٌ لم أَشْعُر . فقلت له : إيْش تقول ؟ فقال : إي والله ، يا للنَّجدات ! فقلنا : يا عَدُوَّ الله أَهْلَكْتَنا ومَعَنا صِبْيانٌ وأطْفال . ثم إنَّا نَبَّهْنا النَّاسَ ، وهَرَبْنا إلى المِنْبَر وطَلَعْنا وازْدَحَمْنا فيه ، ومِنَّا من طَلَع على قَواعِد العُمُد فتَسَلَّق وبقي واقِفًا .

---

a) بولاق : وتصدقي . b) بولاق : الأشربة . c) بولاق : كربت .

وأخَذَ ذلك الحَاوي يُحسِّس ، وفي يَدِه كَنَف الحيّات ، ويقول : قَبَضْتُ الرَّقْطاء ثم يَفْتَح السَّلَّة ويَضَع فيها ، ثم يقول : قَبَضْتُ أم قَرْنَين ويَفْتَح ويَضَع فيها ، ويقول : قَبَضْتُ الفُلاني والفُلانية من الثَّعابين والحيَّات – وهم معه بأسْمَاء – ويقول : أبو زُعَيْرة ، أبو تليس ونحن نقول : إيه ! إلى أن قال : بس انْزِلوا ما بقيَ عليّ هَمٌّ ، ما بقي يَهُمُّكم كبيرُ شيءٍ . قلنا : كيف ؟ قال : ما بقي إلا البَتْراء وأمّ رأسين ، انزلوا فما عليكم منهما . قلنا : كذا ، عليك لَعْنَةُ الله يا عَدُوَّ الله ، لا نَزَلْنا للصُّبْح ، فالمغْرُور من تَغُرّه .

وصِحْنا بالقاضي أبي حَفْص القَيِّم ، فأوْقَدَ الشَّمْعَة ،ولبس صِياغات الخَطيب خَوْفًا على رجليه وجاءَ فنَزَلْنا في الضَّوْء ، وطَلَعْنا المِئْذَنَة فنِمْنا إلى بكرةٍ ، وتَفَرَّق شَمْلُنا بعد تلك الليلة .

وجمَعَ القاضي القَيِّم عِيالَه ثاني يومٍ ، وأدْخلوا عِصِيا تحت المِنْبَر وسَعَفًا ، وشالوا الحُصْر ، فلم يظهر لهم شيءٌ وبَلَغ الحَديثَ والي القَرافَة ابن شُعْلَة الكُتامي ، فأَخَذَ الحاوي ، فلم يَزَل به حتى جَمَع ما قَدَرَ عليه ، وقال : ما أُخَلِّيه إلّا إلى السُّلْطان وكان الوَزيرُ إذ ذاك يانِس الأَرْمَنيّ[1] .

وهذه القَضِيَّةُ تُشْبه قَضِيَّةً جَرَت لجَعْفَر بن الفَضْل بن الفُرات وَزير مصر – المعروف بابن حِنْزَابَة – وذلك أنّه كان يَهْوَى النَّظَر إلى الحيّات والأفاعي والعَقارِب وأمّ أربعة وأربعين وما يَجْري هذا المَجْرَى من الحَشَرات ، وكان في دارِه قاعَةٌ لَطيفَةٌ مُرَخَّمَةٌ فيها سلل الحيّات ، ولها قَيِّمٌ فَرّاش حَاوٍ من الحُوَاةِ ، ومعه مُسْتَخْدَمون برَسْم الخِدْمَة ونَقْل السَّلال وحَطِّها . وكان كلُّ حاوٍ في مصر وأعْمالها يَصيدُ ما يَقْدر عليه من الحيّات ، ويَتَناهون[a] في ذَواتِ العَجَب من أجْناسِها وفي الكِبار وفي الغَريبَةِ المَنْظَر . وكان الوَزيرُ يُثيبُهُم على ذلك أَوْفَى ثَواب ، ويَبذل لهم الجُمَل حتى يَجْتَهِدوا في تَحْصيلها ، وكان له وَقْتٌ يجلس فيه على دِكَّةٍ مُرْتَفِعَةٍ ، ويَدْخُل المُسْتَخْدَمون والحُوَاة ، فيُخْرِجون ما في السِّلَل ويَطْرَحُونَه على ذلك الرُّخام ويُحَرِّشُون بين الهَوام ، وهو يَتَعَجَّب من ذلك ويَسْتَحْسِنه . فلمّا كان ذات يوم أَنْفَذَ رُقْعَةً إلى الشَّيْخ الجَليل ابن المُدَبِّر الكاتِب – وكان من أعْيانِ كُتّابِ أيّامِه وديوانه ، وكان عَزيزًا عنده وكان يسكن إلى جِوار دار ابن الفُرات – يقول له فيها :

---

a) بولاق : يتباهون .

---

[1] تَوَلَّى الوزير أمير الجُيُوش سَيْف الإسْلام أبي الفَتْح يانِس الحافظي الوزارة لمدّة تسعة أشهر للخليفة الحافظ لدين الله ، قبل وفاته في ١٦ ذي الحجة سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م . (انظر فيما تقدم ٣ : ٤٨-٤٩) ، فتكون هذه الحادثة قد تمّت في سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م .

« نُشْعِر الشَّيْخَ الجَليل – أدامَ الله سَلامَته – أنَّه لمَّا كان البارِحَة عَرَضَ علينا الحُواةُ الحَشَرات الجاري بها العادات ، وانْسابَ إلى داره منها الحَيَّةُ البَتْرَاء وذاتُ القَرْنَيْن والعَقْربان الكبير وأبو صُوفَه ، وما حَصَلوا لنا إلَّا بعد عَناءٍ ومَشَقَّة ، وبجُملةٍ بَذَلْناها للحُواة ، ونحن نَأْمُر الشَّيْخ – وَفَّقَه الله – بالتَّقَدُّم إلى حاشيته وصِبْيَتِه بصَوْنِ ما وُجِدَ منها ، إلى أن تَنفُذَ الحُواةُ لأخْذِها ورَدِّها إلى سِلَلِها » .

فلمَّا وَقَفَ ابنُ المُدَبِّر على الرُّقْعَة قَلَبَها ، وكَتَبَ في ذَيْلِها : « أتاني أمْرُ سَيِّدنا الوَزير – خَلَّد الله نعمته وحَرَس مُدَّته – بما أشارَ إليه في أمْرِ الحَشَرات ، والذي يُعْتَمدُ عليه في ذلك ، أنَّ الطَّلاقَ يَلْزَمُه ثَلاثًا إن باتَ هو وأحَدٌ من أهْلِه في الدَّار ، والسَّلام » .

وفي سنة ستّ عشرة خمس مائةٍ أمَرَ الوَزيرُ أبو عبد الله محمد بن فاتِك المنعوت بالأَجَلّ المَأْمُون البَطائِحي وَكيلَه أبا البَرَكات محمد بن عُثْمان بِرَمِّ شَعْثِ هذا الجَامِع ، وأن يُعَمِّر بجانِبه طاحُونًا للسَّبيل ، ويَبْتاع لها الدَّواب ، ويَتَخيَّر من الصَّالِحِين السَّاكِنين بالقَرافَة من يَجْعَلُه أمينًا عليها ، ويُطلِق له ما يَكْفيه مع عَلَفِ الدَّوابِّ وجَميع المُؤَن ، ويَشْتَرِط عليه أن يُواسِيَ بين الضُّعَفاءِ ، ويحمل عنهم كُلْفَةَ طَحْن أقْواتِهم ، ويُؤَدِّي الأمانَةَ فيها [1] .

ولم يَزَل هذا الجَامِعُ على عِمارَته إلى أن احْتَرَقَ في السنة التي احْتَرَقَ فيها جَامِعُ عَمْرو ابن
٣٢ العَاص سنة أربع / وستين وخمس مائةٍ ، عند[a] نُزُول مِرِّي [Amaury] ملك الفِرنْج على القاهِرَة وحِصارِها ، كما تقدَّم ذكره عند ذِكْر خَراب الفُسْطاط من هذا الكِتاب [2] . وكان الذي تَوَلَّى إحْراقَ هذا الجَامِع ابن سُماقَة بإشارَة الأستاذ مُؤْتَمن الخِلافَة جَوْهَر ، وهو الذي أمَرَ المذكور بحَريق جَامِع عَمْرو بمصر ، وسُئِلَ عن ذلك فقال : لئلا يُخْطَب فيه لبَنِي العَبَّاس . ولم يَبْق من هذا الجَامِع بعد حَريقِهِ سوى المِحْراب الأَخْضَر .

---

a) ساقطة من بولاق .

---

[1] كان ذلك في إطارِ عملية تَجْديد المشاهِد الموجودة بين الجَبَلِ والقَرافَة ، حيث يذكر ابن مُيَسَّر في حَوادِث سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م ، أنّه «في ربيع الأوَّل أمَرَ المأمونُ [البطائحي] وَكيلَه الشَّيخ أبا البَرَكات محمد بن عُثْمان أن يَتَوَجَّه إلى المساجِد التِّسعَة التي بين الجَبَل والقَرافَة ، وأوَّلها مَشْهَد السَّيِّدَة زَيْنَب وآخرها مَشْهَد السَّيِّدَة كُلْثُوم ، ويُجَدِّد عمارتها ويُصْلِح ما تَهَدَّم منها ، ويَجْعَل على كُلِّ مَشْهَدٍ لَوْحًا من رُخامٍ عليه اسْمُه وتاريخُ تَجْديده ، فتَمْدَحه الشُّعَراءُ قَصائِدَ عند فَراغِ العِمارَة» . (ابن ميسر : أخبار مصر ٩١؛ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢١؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٨١، المقفى الكبير ٦ : ٤٩٣؛ Wiet, G., *CIA* Égypte II, pp. 169-70) .

[2] فيما تقدم ٢ : ١٤٢-١٤٦ .

وكان مُؤَذِّنُ هذا الجامِع في أيَّام المُسْتَنْصِر ابنَ بَقَاءِ المُحَدِّث ابن بِنْت عبد الغَني بن سَعيد الحافِظ .

ثم جُدِّدَت عِمارَةُ هذا الجامِع بعد حَرِيقِه ، وأدركته لمَّا كانت القَرافَةُ الكُبْرَىٰ عامِرَةً بسُكْنَى السُّودان التَّكارِرَة ، وهو مَقْصُودٌ للبَرَكَة . فلمَّا كانت الحَوادِثُ والمِحَنُ في سنة ستٍّ وثمان مائةٍ قَلَّ السَّاكِنُ بالقَرافَة ، وصارَ هذا الجامِعُ طُولَ الأيَّام مَغْلوقًا ، ورُبَّما أُقِيمَت فيه الجُمُعَة .

جَامعُ الجِيـزَة

بَنَاهُ محمد بن عبد الله الخَازِن[1] في المحرَّم سنة خمسين وثلاث مائةٍ بأَمْرِ الأمير علي بن عبد الله ابن الإخْشيد . فتقَدَّم كافُورٌ إلى الخَازِن ببِنائِه ، فإنَّه كان قد هَدَمه النِّيلُ ، وسَقَط في سنة أربعين وثلاث مائةٍ ، وعَمِلَ له مُسْتَغلًّا . وكان النَّاسُ قبل ذلك بالجِيزَة يُصَلُّون الجُمُعَة في مَسْجِد هَمْدان ، وهو مَسْجِدُ مُراحِق[a] بن عامِر بن بَكيل ، وقيل إنَّ عُقْبَةَ بن عامِر في إمْرَته على مصر أمَرَهُم أن يَجْمَعُوا فيه .

قال التَّميمي : وشَارَفَ بناءَ جَامِع الجِيزَة مع أبي بكرٍ الخَازِن أبو الحَسَن بن أبي جَعْفر الطَّحاوي ، واحتاجُوا إلى عُمُدٍ للجَامِع ، فمَضى الخَازِنُ في اللَّيْل إلى كَنيسَةٍ بأعْمالِ الجِيزَة ، فقَلَعَ عُمُدَها ونَصَبَ بَدَلَها أرْكانًا ، وحَمَلَ العُمُدَ إلى الجامِع ، فتَرَكَ أبو الحَسَن بن الطَّحاوي الصَّلاةَ فيه مُنْذُ ذاكَ تَوَرُّعًا .

قال التَّميمي : وقد كان – يعني ابن الطَّحاوي – يُصَلِّي في جَامِعِ الفُسْطاط القَديم ، وبعضُ عُمُدِه أو أكثرها ورخامُه من كَنائِس الإسْكَنْدَرية وأرْيافِ مصر ، وبَعْضُه بناءُ قُرَّة بن شَرِيك عامِل الوَليد بن عبد الملك[2] .

---

a) بولاق : مزاحف .

---

[1] أبو بكر محمد بن عبد الله الخازِن ومُتَوَلِّي الصِّناعة ، المتوفى لخمسٍ خَلَوْن من ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة . (المقريزي : المقفى الكبير ٦:١٣٧-١٣٨) .

[2] ابن دقماق : الانتصار ٤:١٢٧ (نفس النَّص) ، وبقيَّةُ الخَبَر عند ابن دقماق : «ثم جَدَّدَه الأفْضَلُ أميرُ الجُيُوش في سنة [بياض] . وكان موضع هذا المسجد بَراحًا فأرادوا أن يبنوا فيه مُسْتَغَلَّات فكَبُرَ ذلك على أهْل الجيزة وخاطبوا فيه كافور فبناه مسجدًا ، والله أعْلَم» .

جامعُ مَنْجَك

[أثر رقم ١٣٨]

هذا الجامعُ يُعْرَف مَوْضِعُه بالثَّغْرَة[1] تحت قَلْعَةِ الجَبَل خارِج بابِ الوَزير. أنشأه الأميرُ الوَزيرُ[a] سَيْفُ الدِّين مَنْجَك اليُوسُفي في مُدَّةِ وَزارَتِه بديارِ مصر في سنة إحدى وخمسين وسبع مائةٍ، وصَنَعَ فيه صِهْرِيجًا فصارَ يُعْرَف إلى اليوم بـ «صِهْريج مَنْجَك»[2]، ورَتَّب فيه صُوفيَّةً، وقَرَّر لهم في كلِّ يومٍ طعامًا ولَحْمًا وخُبْزًا، وفي كلِّ شهرٍ مَعْلومًا، وجَعَلَ فيه مِنْبرًا، ورَتَّبَ فيه خَطيبًا يُصَلِّي بالنَّاسِ فيه صَلاةَ الجُمُعَة.

وجَعَلَ على هذا المَوْضِع عِدَّةَ أَوْقافٍ، منها ناحية بُلْقِينَة بالغَرْبِيَّة[3]، وكانت مُرْصَدَةً برَسْمِ الحاشية، فقُوِّمت بخمسة وعشرين ألف دينار، فاشْتَراها من بَيْتِ المال

---

a) ساقطة من بولاق.

---

[1] ما يزالُ جامعُ مَنْجَك اليُوسُفي قائمًا داخل دَرْب المَنْشَكِيَّة المُتَفَرِّع من باب الوَداع بالحَطَّابَة بَحْري قَلْعَة الجَبَل، ويُسَمِّيه العامَّةُ جامع المَنْشَكِيَّة. بدأ في عمارته الأميرُ مَنْجَك اليُوسُفي سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، وأتمَّه سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م، ويُوجَد على مِنْبَرِه سطران بالخطّ النَّسْخ المملوكي تُفيدُ الفراغَ منه سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م نصُّهما:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآيات ١-٣ سورة الفَتْح - وكان الفَراغُ في شهور سنة خمسين وسبع مائة» (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 152; Wiet, G., *RCEA* XVI, n° 6089). ومِئْذَنَةُ هذا الجامع من المآذن البديعة، وكان الجزءُ العُلْوي منها قد تَهَدَّم فأعادَت لجنةُ حِفْظ الآثار العربية بناءَها سنة ١٩٤١، كما قامَت اللجنةُ بترميم وإصْلاح حَشَوات مِنْبَر الجامع.

والجامعُ مُنْفَصِلٌ عن مِئْذَنَته التي تَبْعُد عنه بنحو أربعة أمتار، وأيضًا عن مَيْضأته التي كانت ضِمْن بناء الخانْقاه التي أنشأها الأميرُ مَنْجَك تجاه الجامع. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٣١، ١٣٤)، مُقَلِّدًا في ذلك الأمراء بَشْتاك الناصري وقُوصُون الساقي وشيخو العُمَري. وقد تَخَرَّبت الآن هذه الخانقاه وزالت تمامًا. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٦٣هـ[2]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٢٨٠-٢٨١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩٩٩-١٠١٤).

والثَّغرة هي المنطقة الواقعة بين شارع باب الوزير وشارع باب الوداع بالحَطَّابة بَحْري قَلْعَة الجَبَل.

[2] ما يزالُ هذا الصِّهْريج (خزّان ماء) باقيًا إلى الآن في وَسَط الجامع وتَعْلوه فَسْقِيَّةٌ من الرُّخام في وَسَطها فَتْحةُ الصِّهْريج. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢١٧هـ[2]).

[3] بُلْقِينَة: قَرْيةٌ من حَوْف مصر من كورَة بَنا (بنا أبو صير) يقال لها البُوب. (ياقوت: معجم البلدان ١: ٤٨٩). وهي الآن إحدى قُرَى مركز المَحَلَّة الكبرى بمحافظة الغربية. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٢: ١٩).

وجَعَلَها وَقْفًا على هذا المكان[١].

منجك

الأميرُ سَيْفُ الدِّين اليُوسُفي[٢] – لمَّا امْتَنَع أحمد ابن الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون بالكَرَك، وقامَ في مَمْلَكة مصر بعده أخُوهُ الملكُ الصَّالِحُ عِمادُ الدِّين إسْماعيل، وكان من مُحاصَرَتِه بالكَرَك ماكان إلى أن أُخِذَ فتَوَجَّه إليه وقَطَعَ رأسَه، وأحْضَرَها إلى مصر – وكان حينئذٍ أحد السِّلاح دارية – فأُعْطِيَ إمْرَةً بدِيار مصر، وتنقَّل في الدُّوَل إلى أن كانت سَلْطَنَةُ الملكُ المُظَفَّر حاجي ابن الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، فأخْرَجَه من مصر إلى دِمَشْق، وجَعَلَه حاجِبًا بها مَوْضِعَ ابن طُغْرِيل. فلمَّا قُتِلَ الملكُ المُظَفَّر، وأُقيمَ بعده أخوه الملكُ النَّاصِر حَسَن، أُقيمَ الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَيْبُغا روس[a] في نِيابَةِ السَّلْطَنة بدِيارِ مصر – وكان أخا مَنْجَك – فاسْتَدْعاه من دِمشْق، وحَضَرَ إلى القاهِرَة في ثامِن شَوَّال سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائةٍ، فرَسَمَ له بإمْرَةِ تَقْدِمَةِ ألف، وخَلَعَ عليه خِلَع الوَزارَة؛ فاسْتَقَرَّ وَزيرًا وأُسْتادَّارًا، وخَرَجَ في دَسْتِ الوَزارَةِ والأُمَراء في خِدْمَته من القَصر إلى قاعَةِ الصَّاحِب بالقَلْعَة، فجَلَسَ بالشُّبَّاك، ونَفَّذَ أُمورَ الدَّوْلَة. ثم اجْتَمَعَ بالأُمَراءِ[b]، وقرأ عليهم أوْراقًا تتَضمَّن ما على الدَّوْلَة من المصْروف، ووَفَّرَ من جامَكِيَّة المماليك مبلغ ستين ألف دِرْهَم في الشهر، وقَطَعَ كثيرًا من جَوامِك الخَدَم والجَواري والبُيوتات السُّلْطانية، ونَقَّص رَواتِبَ الدُّور من زَوْجاتِ السُّلْطانِ وجَواريه، وقطَعَ رَواتِبَ المَغاني[c].

وعَرَضَ الإسْطَبْل السُّلْطاني، وقَطَعَ منه عِدَّة أميرآخورية وسرآخورية[٣] وسُوَّاس وغِلْمان، ووَفَّرَ من راتِب الشَّعير نحو الخمسين إرْدَبًّا في كلِّ يومٍ، وقَطَعَ جَميع الكلابزية وكانوا خمسين جُوقَةً،

---

a) بولاق: يلبغا روس. b) بولاق: الأمراء. c) بولاق: الأغاني.

---

[١] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢١٧.

[٢] راجع ترجمة الأمير الوزير سَيْف الدِّين مَنْجَك اليُوسُفي النَّاصري، المتوفى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، والمَدْفُون في تُرْبَتِه التي أنشأها عند جامعه وخانْقاهه تجاه القَلْعَة، عند المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٤٢٠– ٤٢٦، السلوك ٣: ٢٤٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ١٣٠– ١٣٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٣٣– ١٣٤، الدليل الشافي ٧٤٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ١٤٨– ١٤٩.

[٣] الأمير آخور. سَبَقَ التعريف به فيما تقدم ٣: ٣١٢هـ[٢]. أمَّا السَّراخُور فهو الذي يَتَحَدَّث على عَلَف الدَّوابِّ من الخَيْل وغيرها. وهو مُرَكَّبٌ من لفظين فارسيين: أحدهما «سَرا» ومعناه الكبير، والثَّاني «خُور» ومعناه العَلَفُ، فيكون المعنى: كبير العَلَف، أي كبير الجماعة الذين يتولَّون عَلَفَ الدَّوابِّ. والعامَّةُ يقولون «سَراخُوري» بإثْبات ياء النَّسَب في آخره ولا وجه له، وأضاف القلقشندي أنَّ مُتَشَدِّقي الكُتَّاب كانوا يُبَدِّلون الراء فيه لامًا فيقولون=

وأبقى منهم جُوقَتَيْن، ووَفَّرَ جَماعَةً من الأَسْرَى والعَتَّالين والمُسْتَخْدَمين في العَمائِر، وأَبْطَلَ العِمارَة من بَيْتِ السُّلْطان. وكانت الحَوائِجْ خاناه تَحْتاجُ في كلِّ يومٍ إلى أَحَدٍ وعشرين ألف دِرْهَم نُقْرَة، فاقْتَطَع منها مَبْلَغ ثلاثة آلاف دِرْهَم، وبقي مَصْروفُها في اليوم ثمانية عشر ألف دِرْهَم نُقْرَة.

وشَرَعَ يُنَكِّتُ على الدَّواوين، ويَحُطّ على القاضي مُوَفَّق الدِّين ناظِر الدَّوْلَة، وعلى القاضي عَلَم الدِّين بن زُنْبور ناظِر الخَواصّ، ورَسَم أَلَّا يستقرّ في المعامَلات سِوَى شَاهِدٌ واحِدٌ وعامِلٌ وشادٌّ بغير معلوم، وأَغْلَظَ على الكُتّاب والدَّواوين وهَدَّدهم وتَوَعَّدَهُم فخافُوه واجْتَمَعَ بعضُهم ببَعْضٍ، واشْتَوَرُوا / في أَمْرِهم، واتَّفَقُوا على مالٍ يَتَوزَّعُونَه بينهم على قَدْرِ حالِ كلِّ منهم، وجَبَوْه وحَملوه إلى مَنْجَك سِرًّا. فلم يَمْضِ من اسْتِقْراره في الوَزارَة شهرٌ حتى صارَ الكُتّابُ وأَرْبابُ الدَّواوين أَحِبّاءَه وأَخِلّاءَه، وتَمَكَّنوا منه أَعْظَمَ ما كانوا قبل وَزارَتِه، وحَسَّنُوا له أَخْذَ الأَمْوالِ.

فطَلَبَ وُلاةَ الأقاليم، وفَرَض[a] على آقْبُغا والي الغَرْبِيَّة، وضَرَبَه[b] وأَلْزَمَه بحَمْل خمس مائة ألف درهم نُقْرَة، ووَلَّى عِوَضَه أَسَنْدَمُر[c] القَلَنْجَقِي، ثم صَرَفَه ووَلَّى بَدَلَه قُطْليجا مَمْلوك بَكْتَمُر، واسْتَقَرَّ بأَسَنْدَمُر[c] القَلَنْجَقي في ولاية القاهِرَة، وأضافَ له التَّحَدُّث في الجِهات، ووَلَّى البُحَيْرَة[d] لرَجُلٍ من جِهَتِه، ووَلَّى قُوص لآخَرِ، وأَوْقَعَ الحَوْطَة على مَوْجودِ إسماعيل الواقِدِي مُتَوَلِّي قُوص، وأَخَذَ جَميعَ حَواصِله[e]، ووَلَّى طُغَايَ كَشْف الوَجْه القِبْلي عِوَضًا عن عَلاء الدِّين عليّ ابن الكوراني، ووَلَّى ابن المُزَوِّق قُوص وأعمالها، ووَلَّى مَجْد الدِّين مُوسَى الهَذَباني الأَشْمونَيْن عِوَضًا عن ابن الأَزْكَشي.

وتَسامَعَتِ الوُلاةُ وأَرْبابُ الأَشْغَالِ[f] بأَنَّ الوَزيرَ فَتَحَ بابَ الأَخْذِ على الوِلايات، فهُرِعَ النَّاسُ إليه من جِهاتِ مصر والشَّام وحَلَب وقَصَدُوا بابَه، ورَتَّب عنده جَماعَةً برَسْم قَضاءِ الأَشْغال، فأَتاهُم أَصْحابُ الحَوائِج.

وكان السُّلْطانُ صَغيرًا، حَظُّه من السَّلْطَنَة أن يجلس بالإيوان يومين في الأُسْبوع، ويجتمع أَهْلُ الحَلِّ والعَقْدِ مع سَائِر الأُمَرَاءِ فيه، فإذا انْقَضَت خِدْمَةُ الإيوان خَرَجَ الأميرُ مَنْكَلي بُغا الفَخْري

---

a) بولاق: وقبض. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: أستدمر. d) بولاق: البحرية. e) بولاق: خواصه. f) بولاق: الأعمال.

= سَلاخُوري وهو خطأ. (القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٤٦٠).

والأمير بَيْغرا والأمير بَيْبُغا تَتَر والمَجْدي وأَزْلان وغيرهم من الأُمَرَاء ،ويدخُل إلى القَصْر الأميرُ بَيْبُغا روس نائِب السَّلْطَنَة والأميرُ سَيْفُ الدِّين مَنْجَك الوزير والأميرُ سَيْفُ الدِّين شَيْخو العُمَرِي والأميرُ أَلْجِيبُغا المُظَفَّري والأمير طُنَيْرق[a][1] ، ويتَّفِقُ الحالُ بينهم على ما يَرَوْه .

هذا والوَزير أخو النَّائِب[b] مُتَمَكِّن تَمَكُّنًا زائِدًا ، وقَدِمَ من دِمَشْق جماعةٌ للسَّعْي عند الوَزير في وَظائِف – منهم ابن السَّلْعُوس ، وصَلاح الدِّين بن المُؤَيَّد ، وابن الأَجَلّ ، وابن عبد الحَقّ – وتَحَدَّثوا مع ابن الأُطْروش مُحْتَسِب القاهِرَة في أغْراضِهم ، فسَعَى لهم حتى تَقَرَّروا فيما عُيِّنوا .

ولمَّا دَخَلَت سنة تسعٍ وأربعين ، عَرَّفَ الوَزيرُ السُّلْطان والأُمَرَاء أنَّه لمَّا وَلِي الوَزارَة لم يجد في الأَهْرَاءِ ولا في بَيْتِ المال شيئًا ، وسأل أن يكون هذا بمَحْضَر من الحُكَّام . فرَسَمَ للقُضَاةِ بكَشْفِ ذلك ، فرَكِبُوا إلى الأَهْرَاءِ بمصر وإلى بَيْتِ المالِ بقَلْعَةِ الجَبَلِ ، وقد حَضَر الدَّواوين وسَائِر المباشِرين ، وأَشْهَدُوا عليهم أنَّ الأميرَ مَنْجَك لمَّا باشَرَ الوَزارَة لم يكن بالأَهْرَاءِ ولا بِبَيْتِ المالِ قَدَحُ غَلَّةٍ ولا دينارٌ ولا دِرْهَم ، وقُرِئَت المحاضِرُ على السُّلْطانِ والأُمَرَاءِ .

فلمَّا كان بعد ذلك تَوَقَّف أَمْرُ الدَّوْلَة على الوَزير ، فشَكا إلى الأُمَرَاءِ من كثرةِ الرَّواتِب . فاتَّفَقَ الرأيُ على قَطْع نحو ستين سَوَّاقًا ، فقَطَعهم ووَفَّرَ لُحُومَهم وعَليقَهم وسَائِر ما باسْمِهم من الكَساوى وغيرها . وقَطَعَ من العَرَب الرِّكَّابة والنُّجَّابَة ، ومن أَرْبابِ الوَظائِف في بَيْتِ السُّلْطان ومن الكُتَّابِ والمَباشرين ، ما جملته في اليوم أَحَدَ عشر ألف درهم .

وفَتَحَ بابَ المُقايَضات بإقْطاعاتِ الأَجْنادِ ، وبابَ النُّزُول عن الإقْطاعاتِ بالمالِ ، فحَصَّلَ من ذلك مالًا كثيرًا ، وحَكَمَ على أخيه نائِب السَّلْطَنَة بسَبَبِ ذلك ، وصارَ الجُنْدي يَبيعُ إقْطاعَه لكلِّ من أرادَ سَواءٌ كان المنزول له جُنْديا أو عامِّيًا ، وبَلَغَ ثَمَنُ الإقْطاعِ من عشرين ألف درهم إلى ما دونها .

وأَخَذَ يَسْعَى أن تُضافَ وَظيفَةُ نَظَرِ الخاصّ إلى الوَزارَة ، وأكثَرَ من الحَطِّ على ناظِر الخاصّ ، فاحْتَرَس ابن زُنْبُور منه ، وشَرَعَ في [c]إتْقان أَمْرِه[c] مع الأمير شَيْخو . فمَنَعَ شَيْخو مَنْجَك من التَّحَدُّث في الخاصّ وخَرَجَ عليه ، فشَقَّ ذلك على مَنْجَك ، وافْتَرَقا عن غير رِضا .

---

a) بولاق : طيبرق . b) درر العقود : هذا ومنجك أخو النائب . c-c) بولاق : إبعاده مرة بعد مرة .

---

[1] الأمير طُنَيْرِق رأس نَوْبَة كبير ، نائب حلب . (المقريزي : السلوك ٢ : ٨٢٣، ٨٢٨) .

فتغيَّر بَيْبُغا روس النَّائِب على شَيْخو رعايةً لأخيه ، وسأل أن يُعفَى من النِّيابة ، ويُعفَى مَنْجَك من الوَزارَة . [a]وتعَتَّبَ تَعَتُّبًا كثيرًا ، فاتَّفَقَ الحالُ على عَزْلِ مَنجك من الوَزارة[a] واستِقْرارِه في الأَسْتادَّارية والتَّحدُّث في عَمَلِ حَفْرِ البَحْر ، وأن يستقرَّ أَسَنْدَمُر[b] العُمَري - المعروف برَسْلان بَصْل[c] - في الوَزارَةِ . فطُلِبَ ، وكان قد حَضَرَ من الكَشْف ، وأُلْبِس خِلَعَ الوَزارَة في يوم الاثنين الرَّابع والعشرين من شهر رَبيع الأوَّل .

وكان عَزْلُ مَنْجَك[d] من الوَزارَة في ثالِث رَبيعِ الأوَّل المذكور ، وتَوَلَّى أَمْرَ شَدِّ البَحْر . فجَبَى من الأَجْنادِ من كلِّ مائة دينار دِرْهَمًا ، ومن التُّجَّار والمُتَعَيِّشين في مصر والقاهِرَة من كلِّ واحِدٍ عشرة دَراهم إلى خمسة دراهم إلى درهم ، ومن أَصْحاب الأَمْلاك والدُّور في مصر والقاهِرَة : على كلِّ قاعَةٍ ثلاثة دراهِم ، وعلى كلِّ طَبَقَةٍ درهمين ، وعلى كلِّ مَخْزَنٍ أو إِسْطَبْلٍ دِرْهَمًا . وجَعَلَ المُسْتَخْرَج في خان مَسْرور بالقاهِرَة ، والمُشِدّ على المُسْتَخْرَج الأمير بَيْلَك ، فجُبِيَ مالٌ كثير .

وأمَّا أَسَنْدَمُر[b] فإنَّ أحْوالَ الدَّوْلَة تَوَقَّفَت في أيَّامِه ، فسأل في الإعْفاءِ فأُعْفِيَ ، وأُعيدَ مَنْجَك إلى الوَزارَة بعد أربعين يومًا وقد تَمَنَّعَ تَمَنُّعًا كبيرًا . ولمَّا عادَ إلى الوَزارَة فَتح باب الولاياتِ بالمال ، فقَصَده النَّاسُ وسَعَوْا عنده ، فولَّى وعَزَلَ ، وأَخَذَ في ذلك مالًا كثيرًا . فيُقالُ إنَّه أَخَذَ من الأمير مازان لمَّا نَقَله من المُنُوفِيَّة إلى الغَرْبِيَّة ، ومن ابن العِتْنابي[e] لمَّا نَقَلَه من الأُشْمونَيْن إلى البَهْنَساوية ، ومن ابن سَلْمان لمَّا وَلَّاه مُنُوف ، ستة آلاف دينار وَوَفَّرَ إقْطاعَ شادّ الدَّواوين ، وجَعَلَه باسم المماليك السُّلْطانية ووَفَّرَ / جَوامِكَهُم ورَواتِبَهُم . وشَرَعَ أَوْباشُ النَّاسِ في السَّعْي عنده في الوَظائِف والمباشَرات بمالٍ ، وأتَوه من البلاد ، فقَضَى أَشْغالَهم ، و لم يَرُدَّ أَحَدًا طَلَبَ شيئًا .

ووَقَع في أيَّامه الفَنَاءُ العَظيم ، فانْحَلَّت إقْطاعاتٌ كثيرة ، فاقْتَضَى رأيُ الوَزير أن يُوَفِّر الجَوامِكَ والرَّواتِبَ التي للحاشِيَّة ، وكَتَبَ لسائِر أرْبابِ الوَظائِف وأصْحاب الأَشْغالِ والمماليك السُّلْطانية مثالات بقَدْرِ جَوامِك كلٍّ منهم ، وكذلك لأَرْبابِ الصَّدَقات . فأَخَذَ جَماعَةٌ من الأَقْباطِ ومن الكُتَّاب ومن المُوَقِّعين إقْطاعات في نَظير جَوامِكِهم ، وتَوَفَّر في الدَّوْلَة مالٌ كثيرٌ عن الجَوامِك والرَّواتِب .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : أستدمر . c) بولاق : بصل . d) بولاق : وكان منجك قد عزل . e) بولاق : الغساني .

فلمَّا دَخَلَت سنة خمسين رَسَم الوَزيرُ مَنْجَك لمُتَوَلِّي القاهِرة[١] بطَلَبِ أصْحابِ الأرْباعِ[٢]، وكِتابَة جَميع أمْلاكِ الحارات والأزِقَّة وسائِر أخْطاطِ مصر والقاهِرَة، ومعرفة أسْماءِ سُكّانها والفَحْصِ عن أرْبابِها، ليُعْرَف من تَوَفَّر عنه مِلْكٌ بمَوْتِه في الفَنَاء. فطَلَبُوا الجَميعَ وأمْعَنُوا في النَّظَر، فكان يُوجَد في الحارَة الواحِدَة والزُّقاق الواحِد ما يَزيد على عشرين دارًا خاليةً لا يُعْرَف أرْبابُها، فخَتَمُوا على ما وَجَدُوه من ذلك، ومن الفَنادِق والخانات والمخازِن حتى يحضر أرْبابُها.

وفي شَعْبانَ عَزَلَ وُلاةَ الأعْمالِ، وأحْضَرَهُم إلى القاهِرَة ووَلَّى غيرهم، وأضافَ إلى كلِّ والٍ كَشْف الجُسُور التي في عَمَلِه، وضَمِنَ الفَأْرُ[a] سَائِر جِهاتِ القاهِرَة ومصر، بحيث إنَّه لا يَتَحدَّث أحَدٌ معه من المُقَدَّمين والدَّواوين والشَّادين، وزادَ في المُعامَلات ثلاث مائة ألف درهم. وخُلِعَ عليه ونُودِي له بمصر والقاهِرَة، فاشْتَدَّ ظُلْمُه وعَسَفُه، وكَثُرَت حَوادِثُه[٣].

فلمَّا كانت ليالي عيد الفِطْر، عَرَّفَ الوَزيرُ الأُمَرَاءَ أنَّ سِماطَ العيد يَنْصَرِف عليه جُمْلَةٌ ولا يَنْتَفِعُ به أحَدٌ، فأبْطَلَه ولم يُعْمَل تلك السَّنَة.

وفي ذي القِعدةِ تَوَقَّفَ حالُ الدَّوْلَة، ووَقَفَ مَماليكُ السُّلْطان وسَائِر المُعامَلين والحَوائج كاشِيّة، وانْزَعَج السُّلْطانُ والأُمَرَاءُ بسبب ذلك على الوَزير فاحْتَجَّ بكثرة الكُلَفِ وطَلَبَ المُوَفَّق ناظِر الدَّوْلَة فقال: إنَّ الإنْعامات قد كَثُرَت، والكُلَف تَزايَدَت، وقد كانت الحَوائجْ خاناه في أيَّام الملك

---

a) بولاق: النّاس.

---

[١] يوجد ابتداءً من هذا الموضع سَقْطٌ في نسخة باريس يستمِرُّ إلى أثناء صفحة ٤٦٣ فيما يلي.

[٢] صاحِبُ الرُّبْع جـ. أصْحابُ الأرْباع، ويُقالُ أيضًا أصْحابُ الأرْباع والحارات. هم المُشْرِفون على كلِّ قِطاعٍ سَكَني أو حارَة في المدينة، يَعْرفون المقيمين في كلِّ رُبْعٍ أو حارَة وكانوا يقومون أيضًا بالإشْراف على عمليات إصْلاح الشَّوارع التي كانت واجبةً على مُلّاك المباني التي تَحُدُّها. وكان هذا المُوَظَّفُ مع أعْوانِه أوَّل من يتحرَّكون عندما يُهَدِّد النِّظامُ العام. (ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٠: ٣٥١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥:١٨٥).

[٣] الفأر، هو ناصر الدِّين المعروف بفأر السُّقُوف، كان إمام السُّلطان يُصَلّي به وناظِر المَشْهَد النَّفيسي، ثم سُجِنَ في الأيَّام النّاصرية محمد بن قلاوون وكُتِبَ على قيده: مُخَلَّد بعدما صودر وضُرِب بالمقارع لقُبْحِ سيرته، فلم يزل مسجونًا إلى أن أُفْرِج عنه في جملة المحابيس في أيَّام الصَّالح إسماعيل، ثم اتَّصَل بالوزير مَنْجَك اليوسفي فاستماله وجَعَلَه على ضَمَانِ جِهاتِ القاهرة ومصر بأجمعها، فزادَ في المعاملات، أي الأموال المُقَرَّرة على التجار وذوي اليَسَار وأرْباب العَقار، ثلاث مائة ألف درهم في السنة. (المقريزي: السلوك ٢: ٨٠٦).

النَّاصِر محمد بن قلاوون في اليوم يَنْصَرِف فيها مبلغ ثلاثة عشر ألف درهم، واليوم يَنْصَرِف فيها اثنان وعشرون ألف درهم. فكُتِبَت أوْراقٌ بمُتَحَصَّل الدَّوْلَة ومَصْروفِها وبمُتَحَصَّل الخاصّ ومَصْروفِه. فجاءَت أوْراقُ الدَّوْلَة ومُتَحَصَّلُها عشرة آلافِ ألف دِرْهَم، وكُلَفُها أربعة عشر ألف ألف دِرْهَم وستّ مائة ألف دِرْهَم. ووُجِدَ الإنْعامُ من الخاصّ والجَيْش، بما خَرَجَ من البلاد زِيادَةً على إقْطاعات الأُمَراء، فكان زِيادَةً على عشرين ألف دينار، سوى جملة من الغِلال، وأنَّ الذي اسْتَجَدَّ على الدَّوْلَة من حين وَفاةِ الملك النَّاصِر في ذي الحِجَّة سنة إحدى وأربعين إلى مستهلّ المحرَّم سنة خمسين وسبع مائةٍ.

وكانت جُمْلَةُ الإنْعامات والإقْطاعات بنَواحي الصَّعيد والفَيُّوم وبلاد الملك والوَجْه البَحْري وما أُعْطِيَ من الرِّزَق للخُدَّام والجَواري، سبعَ مائة ألف ألفٍ وألفَ ألفٍ وستّ مائة ألفٍ مُعَيَّنَة بأسْماءِ أرْبابِها من أميرٍ وخادِمٍ وجارِيَة.

وكانت النِّساءُ قد أسْرَفْنَ في عَمَلِ القُمْصانِ والبُغالْطيق، حتى كان يَفْضُل من القَميص كثيرٌ على الأرض، وَسَعَة الكُمّ ثلاثة أذْرُع – ويُسَمِّينه «البَهْطَلَة» – وكان يُغْرَم على القَميص ألف دِرْهَم وأكثر، وبَلَغَ إزارُ المرأة إلى ألف دِرْهَم، وبَلَغَ الخُفُّ والسَّرْمُوزَة إلى خمس مائة دِرْهَم وما دونها إلى مائة درهم[1]؛ فأَمَرَ الوَزيرُ مَنْجَك بقَطْعِ أكْمامِ النِّساء، وأَخْرَقَ بهنَّ، وأَمَرَ الوالي بتَتَبُّع ذلك، ونُودِيَ بمَنْع النِّساء من عَمَلِ ذلك، وقُبِضَ على جَماعَةٍ منهنَّ، ورُكِّبَ على سُورِ القاهِرَة صُوَر نِساءٍ عليهنَّ تلك القُمْصَان بهَيْئَةِ نِساءٍ قد قُتِلْن عُقُوبَةً على ذلك، فانْكَفَفْن عن لِبْسِها.

ومُنِعَ الأساكِفَةُ من عَمَلِ الأخْفافِ المُثَمَّنَة، ونُودي في القَياسِر: من بَاعَ إزار حَرير حلّ[a] مالُه للسُّلْطان، فنُودي على إزار ثمنه سبع مائةٍ وعشرون دِرْهَمًا فبَلَغَ ثمانين دِرْهَمًا، و لم يَتَجَسَّر أحَدٌ أن يَشْتَرِيه. وبَالَغَ الوزيرُ في الفَحْصِ عن ذلك، حتى كَشَفَ دكاكينَ غَسَّالي الثِّياب، وقَطَعَ ما وَجَدَ من ذلك. فامْتَنَعَ النِّساءُ من لُبْس ما أَحْدَثْنَه من تلك المُنْكَرات.

ولمَّا عَظُمَ ضَرَرُ الفَأْر الضَّامِن[b] كَثُرَت شِكَايَةُ النَّاسِ فيه، فلم يَسْمَع فيه الوَزيرُ قَوْلًا، وقامَ في أَمْرِه الأميرُ مُغُلْطاي أميرآخور، فاسْتَوْحَشَ منه الوَزير[2].

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: أيضًا من.

[1] راجع، Mayer, L. A., *Mamluk Costume*, pp. 69, 74.

[2] راجع كذلك، المقريزي: السلوك ٢: ٨١٤، ٨١٥، ٨٢٣، ٨٢٩، ٨٤٩.

واتَّفَقَ أنَّه كان قد حَجَّ محمد بن يُوسُف مُقَدَّم الدَّوْلَة في تَجَمُّلٍ[a] كثير بَلَغَ عَليقُ جِمالِه في اليوم مائتي عَليقَة. ولمَّا قَدِمَ في المحرَّم مع الحاج، أهْدَى للنَّائِب وللوَزير وللأمير طاز وللأمير صَرْغَتْمُش هَدايا جَليلَة، ولم يُهْدِ للأمير شَيْخُو ولا للأمير مُغُلْطاي شيئًا. ثم لمَّا عابَ النَّاسُ عليه ذلك أَهْدَى بعد عِدَّة أيَّام للأمير شَيْخو هَدِيَّةً، فرَدَّها عليه.

ثم إنَّه أُنْكِرَ على الوَزير في مَجْلِس السُّلْطان ما يَفْعَلُه وُلاةُ البر، وما عليه مُقَدَّم الدَّوْلَة من كَثْرَة المال، وأَغْلَظَ في القَوْل. فرَسَم بعَزْلِ الوُلاة، والقَبْض على المُقَدَّم محمد بن يُوسُف وابن عمه المُقَدَّم أحمد بن زَيْد، فلم يَسَع الوَزيرُ غير السُّكوت.

فلمَّا كان في رابع عشرين شَوَّال سنة إحدى وخمسين، قُبِضَ على الوَزير مَنْجَك وقُيِّدَ، ووَقَعَت الحَوْطَةُ على سَائِر حَواصِلِه، فوُجِدَت له زَرْدَخاناه حَمْل خمسين جَمَلًا، ولم يَظْهَر من النَّقْد / كثيرُ مالٍ فأمر بعُقُوبته. فلمَّا خُوِّفَ أَقَرَّ بصَنْدوقٍ فيه جَوْهَر، وقال: سائِرُ ما كان يَتَحَصَّل لي من النَّقْد كنت أشْتَري به أمْلاكًا وضِياعًا وأصْنافَ المتاجِر. فأُحيطَ بسَائِر أمْوالِه وحُمِلَ إلى الإسْكَنْدَرية مُقَيَّدًا، واسْتَقَرَّ الأميرُ بَلَبان السِّناني نائِب البِيرَة أسْتادَّارًا عِوَض مَنْجَك بعد حُضُورِه منها، وأُضيفَت الوَزارَةُ إلى القاضي عَلَم الدِّين بن زُنْبُور ناظِر الخاصّ.

فلم يَزَل مَنْجَك مَسْجُونًا بالإسْكَنْدَرية إلى أن خُلِعَ الملكُ النَّاصِرُ حَسَن، وأُقيمَ بَدَله في المملكة أخُوه الملكُ الصَّالِحُ صَالِح، فأَمَرَ بالإفْراج عن الأمير شَيْخو والأمير مَنْجَك، فحَضَرا إلى القاهِرَة في رَجَب سنة اثنتين وخمسين. ولمَّا اسْتَقَرَّ الأمير مَنْجَك بالقاهِرَة، بعَثَ إليه الأمير شَيْخُو خمس رءوس خَيْل وألفي دينار، وبَعَثَ إليه جَميعُ الأُمَرَاء بالتَّقادُم.

وأقامَ بَطَّالًا[1] يَجْلِس على حَصيرٍ فَوْقَه ثَوْبُ سَرْجٍ عَتيق، وكلَّما أتاهُ أحَدٌ من الأُمَراءِ يَبْكي وَيَتَوَجَّع ويقول: «أُخِذَ جَميعُ مالي حتى صِرْتُ على الحَصير». ثم كَتَبَ فَتْوَى تَتَضَمَّن أنَّ رَجُلًا مَسْجونًا في قَيْدٍ، هُدِّدَ بالقَتْل إن لم يَبِع أمْلاكَه، وأنَّه خَشِيَ على نَفْسه القَتْلَ فوَكَّلَ في بَيْعها. فكَتَبَ له الفُقَهاءُ «لا يَصِحُّ بَيْعُ المُكْرَه». ودارَ على الأُمَراء، وما زالَ بهم حتى تَحَدَّثُوا له مع

---

a) بولاق: محمل.

---

[1] البَطَّالون من الأُمَرَاء والأَجْنَاد هم العاطِلون من أعمالِ الدَّوْلَة ووَظائِفها وإقْطاعاتها، نتيجة غَضَبِ السُّلْطانِ أو كِبَرِ السِّنّ، أو اضْطِرارًا إلى الاعْتِكاف والاخْتِفاء، أو لمجرَّد حُبُّ الانْزِواء والابْتِعاد. (المقريزي: السلوك ١: ٧٣هـ[4]).

السُّلْطانِ في رَدِّ أمْلاكِه عليه. فعارَضَهُم الأميرُ صَرْغَتْمُش، ثم رَضِيَ أن يَرُدَّ عليه من أمْلاكِه ما أَنْعَمَ به السُّلْطانُ على مَماليكه. فاسْتَرَدَّ عِدَّةَ أمْلاكٍ، وأقامَ إلى أن قامَ بَيْبُغا روس بحَلَب، فاخْتَفَى مَنْجَك وطُلِبَ فلم يُوجَد، وأُطْلِقَ النِّداءُ عليه بالقاهِرَة ومصر، وهُدِّدَ من أخْفاه، وأُلْزِمَ عُرْبانُ العائِد باقْتِفاءِ أَثَرِه، فلم يُوقَف له على خَبَر، وكُبِسَ عليه عِدَّةُ أماكِن بالقاهِرَة ومصر، وفُتِّشَ عليه حتى في داخِل الصِّهْريج الذي بجامِعِه فأعْيَا أمْرُه.

وأَدْرَكَ السُّلْطانُ السَّفَر لحَرْب بَيْبُغاروس[a]، فشَرَعَ في ذلك إلى يوم الخميس رابع شَعْبان، فخَرَجَ الأميرُ طاز بمن معه.

وفي يوم الاثنين سابعه عَرَضَ الأميرُ شَيْخُو والأمير صَرْغَتْمُش أطْلابَهما، وقد وَصَلَ الأميرُ طاز إلى بِلْبَيْس، فحَضَرَ إليه من أخْبَرَه أنَّه رأى بَعْضَ أصْحابِ مَنْجَك، فسَيَّرَ إليه وأحْضَرَه وفَتَّشَه، فوَجَدَ معه كِتابَ مَنْجَك إلى أخيه بَيْبُغا روس[a]، وفيه أنَّه مُخْتَفٍ عند الحُسام الصُّقْرِي[b] أُسْتادَّاره. فبَعَثَ الكِتابَ إلى الأمير شَيْخُو، فوافاه والأطْلاب خارِجَة، فاسْتَدْعَى بالحُسام وسأله فأنْكَرَه، فعاقَبَه الأميرُ صَرْغَتْمُش فلم يَعْتَرِف.

فركب إلى بَيْتِ الحُسام بجِوار الجامِع الأزْهَر وهَجَمَه، فإذا بمَنْجَك ومعه مملوكٌ، فكَتَّفَه وسارَ به مَشْهورًا بين النَّاس – وقد هُرِعُوا من كلِّ مَكانٍ – إلى القَلْعَة، فسُجِن بالإسْكَنْدَرية إلى أن شَفَعَ فيه الأميرُ شَيْخُو، فأُفْرِجَ عنه في رَبيعٍ الأوَّل سنة خمسٍ وخمسين، ورُسِمَ أن يَتَوَجَّه إلى صَفَد بَطَّالًا. فسارَ إليها من غير أن يَعْبُر إلى القاهِرَة.

فلمَّا خُلِعَ الملكُ الصَّالِحُ صَالِح، وأُعيدَ السُّلْطانُ حَسَن في شَوَّالٍ منها، نَقَلَ مَنْجَك من صَفَد، وأَنْعَمَ عليه بنِيابَة طَرابُلُس عِوَضًا عن أَيْتَمُش النَّاصِري، فسارَ إليها، وأقامَ بها إلى أن قُبِضَ على الأمير طاز نائِب حَلَب في سنة تسع وخمسين، فوَلِيَ مَنْجَك عِوَضًا عنه.

ولم يَزَل بحَلَب إلى أن فَرَّ منها في سنة ستين فلم يُعْرَف له خَبَر، وعُوقِبَ بسَبَبِه خَلْقٌ كثير. ثم قُبِضَ عليه بدِمَشْق في سنة إحدى وستين، فحُمِلَ إلى مصر، وعليه بُشت صُوف عَسَلي وعلى رأسه مِئْزَر صُوف، فلم يُؤاخِذه السُّلْطانُ، وأعْطاهُ إمْرَة طَبْلَخاناه بِبلاد الشَّام، وجَعلَه طَرْخاناه[1]

---

a) بولاق: يلبغا روس. b) بولاق: الصفدي.

---

[1] الطَّرْخانُ. الأميرُ المُتقاعِد طَوْعًا دون أن يكون مَغْضُوبًا عليه.

يُقيمُ حيث شاءَ من البِلاد الإسلامية ، وكَتَب بذلك .

فلمَّا قُتِلَ السُّلْطانُ حَسَن ، وأُقيمَ من بعده في المملكة الملكُ المَنْصور محمد بن المُظَفَّر حاجي في جُمادَىٰ الأولىٰ سنة اثنتين وستين ، خامَرَ الأميرُ بَيْدَمُر نائِب الشَّام على الأمير يَلْبُغا العُمَري القَائِم بتَدْبير دَوْلَةِ الملك المَنْصور ، ووافَقَه جماعَةٌ من الأُمَراءِ منهم الأمير مَنْجَك ، فخَرَج الأمير يَلْبُغا بالمَنْصور والعَساكِر من قَلْعَةِ الجَبَل إلى البِلاد الشَّامية ، فوافَى دِمَشْقَ . فمَشَى[a] النَّاسُ بينه وبين الأمير بَيْدَمُر حتى تَمَّ الصُّلْح ، وحَلَفَ الأميرُ يَلْبُغا أنَّه لا يُؤْذِي بَيْدَمُر ولا مَنْجَك ، فنَزَلا من قَلْعَة دِمَشْق ، وقَيَّدَهما وبَعَثَ بهما إلى الإسْكَنْدَرية فسُجِنَا بها ، إلى أن خَلَع الأميرُ يَلْبُغا المَنْصور ، وأقامَ بَدلَه الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حسين ، وقُتِل الأمير يَلْبُغا ، فأَفْرَج الملكُ الأَشْرف عن مَنْجَك ، ووَلَّاه نِيابَة السَّلْطَنة بدِمَشْق عِوَضًا عن الأمير أمير[b] عليّ المارْديني[c] في جُمادَىٰ الأُولىٰ سنة تسعٍ وستين .

فلم يَزَل في نِيابَةِ دِمَشْق إلى أن حَضَرَ إلى السُّلْطان زائِرًا في سنة سبعين بتقادُمَ كثيرةٍ جَليلة ، وعادَ إلى دِمَشْق ، وأقامَ بها إلى أنِ اسْتَدْعاهُ السُّلْطانُ في سنة خمسٍ وسبعين إلى مصر ، وفَوَّضَ إليه نِيابَةَ السَّلْطَنَة بديار مصر ، وعَمِلَه أتابَك العَساكِر ، وجَعَلَ تَدْبيرَ المملكة إليه ، وأن يُخْرِجَ الأَمْرِيات[d] بالبلاد الشَّامية ، وأن يُوَلِّي وُلاةَ أقاليم مصر والكُشَّاف ، ويُخْرِجَ الإقْطاعات بمصر من عِبْرَة ستّ مائة دينار إلى ما دونها . وكانت عادَةُ النُّوَّاب قَبْلَهُ ألَّا يخرج من الإقْطاعات إلَّا ما عِبْرَته أربع مائة دينار فما دونها . فعَمِلَ النِّيابَة على قالَب جائِر وحُرْمَة وافِرة إلى أن مات حَتْفَ أنفه في يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي الحِجَّة سنة ستٍّ وسبعين وسبع مائةٍ ، وله من العُمْر نَيِّف وستون سنة[e] ، وشَهِدَ جنازَته سَائِرُ الأعْيان ، ودُفِنَ بتُرْبَتِه المجاوِرَة لجَامِعه هذا [1] .

---

a) بولاق : ومشى . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : المارداني . d) بولاق : الأمهات . e) درر العقود : وقد ناهز السبعين .

---

[1] تُرْبَة مَنْجَك . ما زالَت موجودَةً ويُوجَد على الجوانب الأربعة للتركيبة الرُّخامية التي تَعْلوها النَّصُّ التالي :

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم ـ الآيتان ٢٥٥، ٢٥٦ سورة البقرة ـ هذا قَبْرُ المَقَرّ الأَشْرَف العالي المَوْلَوي السَّيْفي مَنْجَك كافِل الممالِك الشريفة الإسلامية . توفي يوم الخميس بعد العَصْر تاسع عشرين شهر ذي الحجة الحرام سنة ستٍّ وسبعين وسبع مائة ، ودُفِنَ بُكْرَة يوم الجمعة سَلْخ شهر ذي الحجة غَفَرَ الله له ولمن تَرَحَّمَ عليه» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 158; Kallus, L., *RCEA* XVII n° 776 002) .

وله سِوَى «الجَامِع/» المذكور من الآثارِ بديار مصر «خَان مَنْجَك» في القاهِرَة [١]، و«دار مَنْجك» برأسِ سُوَيْقَةِ العِزّى بالقُرْبِ من مَدْرَسَةِ السُّلْطان حَسَن [٢]، وله بالبلادِ الشَّامية عِدَّةُ آثارٍ من خَاناتٍ وغيرها، رَحِمَهُ الله. [وقد أَنْجَبَت أَوْلادُه ومماليكُه وصاروا أُمَرَاء] [a].

الجَامِعُ الأَخْضَر

هذا الجَامِعُ خارِج القاهِرَة بخُطِّ فَمِ الخَوْر، عُرِفَ بذلك لأَنَّ بابَه وقُبَّتَه فيهما نُقُوشٌ وكتاباتٌ خُضْر؛ والذي أنشأه الأميرُ[b] [مَلَكْتَمُر الشَّيْخُوني][c] خازِنْدار الأمير شَيْخو العُمَري[b] [٣].

---

a) إضافة من درر العقود. b) إضافة من مسودة الخطط. c) زيادة من ابن إياس.

---

[١] لم يُفْرِد المقريزي «خان مَنْجك» بمَدْخَلٍ مستقلّ، ولكنه تبعًا للأوصاف الواردة في الخِطَط، كان مجاورًا لخان الخليلي في قلب القاهرة الفاطمية. (فيما تقدم ٢: ٢٤٧، ٣٥٤؛ ٥: ١٠٢؛ ٨: ١٢٠؛ ١٣: ١٢٠).

[٢] دارُ مَنْجَك اليُوسُفي السِّلاح دار. ما زالت بقايا هذه الدَّار مَوْجُودَةً إلى الآن بأوَّلِ شارع سُوقِ السِّلاح (سُوَيْقَة العِزّي) على يسار الدَّاخِل فيه من جهة جامِع السُّلْطان حَسَن وشارع القَلْعَة (محمد علي سابقًا) ومسجلَّةٌ بالآثار برقم ٢٤٧. وآلَت هذه الدَّار في نهاية القرن التاسع الهجري إلى مِلْك تَمْرُبُغا الظَّاهري الدَّوادار، وكان في مواجهتها دارُ قُطْلُوبُغَا الكَرَكي التي زالت الآن. والمُتَبَقّي من دارِ مَنْجَك هو بَوَّابتُها الحجرية المُنْشأة سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وما يَتَّصِلُ بها من عُقُودٍ صغيرة. وهي مَدْخَلٌ فَخْمٌ كُتِبَ حَوْلَ عَقْدِ سَقْفِه اسْمُ المنشئ وأَلْقابُه في شَرِيطٍ بالخطِّ النَّسْخ المملوكي نَصُّه:

«بِسْم الله الرَّحْمن الرَّحيم. أَمَرَ بإنْشاء هذا المكان المبارك المَقَرُّ الأَشْرَف العالي المَوْلَوي الأميري الكبيري المحْتَرَمي المَخْدُومي المجَاهِدي المُرَابِطي المُثاغِري المُؤَيَّدي المَنْصُوري الشَّيْدي الشَّنْدي المالكي الهُمامي القوامي النِّظامي العَضُدي الذُّخْري النُّصيري الكفيلي الزَّعيمي المُقَدَّمي الإسْفِهْسَلاري عُمْدَة المُلُوك اختيار السَّلاطين السَّيْفي سَيْف الدِّين مَنْجَك السِّلاح دار الملكي المُظَفَّري أدامَ الله له السَّعادَة وبَلَّغَه في الدَّارَيْن الإرادَة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 532; Wiet, G., *RCEA* XVI, n° 6048).

ويوجد على البَوَّابَةِ رَنْكُ الأمير مَنْجَك وهو سَيْفٌ على جانبي المَدْخَل. (ابن الفرات: تاريخ ٩/٢: ٢٤٧، ٢٥٩؛ المقريزي: السلوك ٤: ٧٩٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٣٣هـ [٤]، ١٢: ٢٧٥هـ [٢]؛ محمد حسام الدِّين إسماعيل: «أربع بيوت مملوكية من الوثائق العثمانية»، حوليات إسلامية *An.Isl.* ٢٤ (١٩٨٨)، ٨٨-٩٩؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩١٧-٩٢٦).

وهذا الجزء الباقي من الدَّار الآن في غاية من الإهْمال ويُسْتَخْدَم كمَقْلَب للقمامة!

[٣] هذا الجامِعُ هو نفسه الجامع الذي ذكره أبو المحاسن =

جامِعُ البَكْجَري

هذا الجَامِعُ بحِكْر البَكْجَري قَريبًا من الدِّكَّة ، تَعَطَّلَت الصَّلاةُ فيه منذ خَرِبَت تلك الجِهات .

جامِعُ السُّرُوجي

هذا الجامِعُ بحِكْر [a].

جامِعُ كُرْجي

هذا الجَامِعُ بحِكْر آقُوش .

جامِعُ الفاخِري

هذا الجَامِعُ بسُوَيْقَة الخَادِم أنشأه[b] الطَّواشي شِهابُ الدِّين فاخِرُ المَنْصوري مُقَدَّم المماليك السُّلْطانية ، ومات في سابع ذي الحِجَّة سنة سبعٍ وسبع مائةٍ[c]. وكان ذا مَهابَةٍ وأَخْلاقٍ حَسَنَة ، مع سَطْوَةٍ شَديدَة [1].

« ولهم بَلَبان الفاخِري » : الأميرُ سَيْفُ الدِّين ، نَقِيبُ الجُيوش ، ماتَ في سنة سبعٍ وتسعين وستّ مائةٍ ، ووَلِيَ نِقابَةَ الجَيْشِ بعد طَيْبَرْس الوَزيري ، وكان جَوَادًا عارِفًا بأَمْرِ الأَجْناد ، خيِّرًا كثير التَّرَف .

---

a) بياض في النُّسَخ . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق والنسخ : وثمان مائة ، وهو سبق قلم .

= ابن تغري بردي باسم «جامع مَلَكْتَمُر الشَّيخُوني» بطريق بولاق . (النجوم الزاهرة ١٦: ٣١٤) ، الذي ذكر ابن إياس في حوادث سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٨م ، الإنعام على صاحبه الأمير مَلَكْتَمُر الشَّيخُوني خازندار الأتابكي شَيْخُو بتَقْدِمَة ألف . ثم أضافَ : «والأمير مَلَكْتَمُر هذا هو الذي أنشأ الجامع الأخضَر الذي بالقُرْب من فم الخَوْر ، وكان من مَحاسِن الزَّمان» . (بدائع الزهور ١/٢: ٧١؛ المقريزي : السلوك ٣: ٥٦؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٦: ٣١٤) .

[1] راجع ، ابن حجر : الدرر الكامنة ٣: ٢٩٩؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٨: ٣٦٧.

[a]ساطلمش الفاخِري أُنْعِم عليه بإمْرَةِ عشرة عِوَضًا عن سِنْجِر الأَسَنْدَمُري بحُكْم وَفاتِه في ثالِث عشر ربيعِ الآخر سنة تسعٍ وعشرين وسبع مائةٍ، ومات في ثالث ذي الحجة منها[a].

جامِعُ ابن عبد الظَّاهِر

هذا الجَامِعُ بالقَرافَة الصُّغْرَىٰ، قِبْلي قَبْر اللَّيْثِ بن سَعْد، كان مَوْضِعُه يُعْرَف بالخَنْدَق [1]. أنشأه القاضي فَتْحُ الدِّين محمد بن عبد الله بن عبد الظَّاهِر بن نَشْوان بن عبد الظَّاهِر الجُذامي السَّعْدي الرَّوْحي [2]، من وَلَد رَوْح بن زِنْباع الجُذامي، بجوار قَبْر أبيه. وأوَّلُ ما أُقيمَت به الخُطْبَةُ في يومِ الجُمُعَة الرابع والعشرين من صَفَر سنة ثلاثٍ وثمانين وستّ مائةٍ، وكان يَوْمًا مَشْهُودًا لكَثْرَة مَن حَضَرَ من الأَعْيان.

ابنُ عبد الظَّاهِر وُلِدَ بالقاهِرَة في رَبيعِ الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين وست مائةٍ، وسَمِعَ من ابن الجُمَّيزي وغيره، وحَدَّث وكَتَبَ في الإنْشَاء، وسادَ في دَوْلَةِ المَنْصورِ قَلاوون بعَقْلِه ورأيه وهِمَّتِه، وتقدَّم على والِده القاضي مُحْيي الدِّين - وهو ماهِرٌ في الإنْشاء والكِتابَة - بحيث كان من جملةِ من يُصَرِّفهم بأمْرِه ونَهْيه، وكان الملكُ المَنْصور يَعْتَمِد عليه ويَثِقُ به.

ولمَّا وَلِيَ القاضي فَخْرُ الدِّين بن لُقْمان الوَزارَة، قال له الملك المَنْصور: من يلي عِوَضَك كِتابَة السِّرّ؟ فقال: القاضي فَتْحُ الدِّين بن عبد الظَّاهِر، فوَلَّاه كِتابَة السِّرّ عِوَضًا عن ابن لُقْمان، وتمكَّن من السُّلْطان وحَظِيَ عنده، حتى إنَّ الوَزيرَ فَخْر الدِّين بن لُقْمان ناوَلَ السُّلْطان كِتابًا، فأحْضَرَ ابن

---

a-a) إضافة من هامش نسخة آياصوفيا.

---

[1] انْدَثَرَ الآن هذا الجامع وزالت معالمه بسبب ما أُقِيمَ على أرْضِه من المقابِر، وكان واقِعًا بجَبَّانَة الإمام اللَّيْث بالقُرْب من تُرْبَة الفَخْر الفارسي بالقرافة الصغرى جنوب القاهرة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢١٠هـ[2]).

[2] فَتْحُ الدِّين محمد بن عبد الله بن عبد الظَّاهِر صاحِب ديوان الإنشاء ومُؤتمن المملكة بالدِّيار المصرية، هو ابن القاضي مُحيي الدِّين عبد الله بن عبد الظَّاهِر صاحِب كتاب «الرَّوْضَة البَهِيَّة الزَّاهِرَة في خِطَطِ المُعِزِّيَّة القاهِرَة». توفي في حياة أبيه سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م بقَلْعَة دمشق ودُفِن بسَفح قاسيون، وفُجِعَ فيه والدُه. (الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ٣٦٦- ٣٦٨؛ أبو المحاسن: الدليل الشَّافي ٦٤٢- ٦٤٣).

عبد الظّاهِر لقراءَته على عادَته ، فلمّا أَخَذَ الكِتابَ من السُّلْطان ، أَمَرَ الوَزير أن يتأخَّر حتى يَقْرأه ، فتأخَّر الوَزيرُ . ثم إنَّ ابن لُقْمان صُرِفَ عن الوَزارَة ، وأعيدَ إلى ديوان الإنْشاء ، فتأدَّب معه .

فلمّا وَلِي وَزارَة الملك الأشْرَف خَليل بن قَلاوون شَمْسُ الدِّين بن السَّلْعُوس ، قال لفَتْح الدِّين : اعْرِض عليّ كلَّ ما تكتبه . فقال : لا سَبيلَ لك إلى ذلك ، ولا يَطَّلِع على أسْرار السُّلْطان إلّا هو ، فإنِ اخْتَرْتُم وإلّا عَيِّنوا عِوَضي . فلمّا بَلَغ السُّلْطانَ ذلك قال : صَدَق .

ولم يَزَل على حالِه إلى أن ماتَ - وأبوه حَيٌّ - بدِمَشق في النِّصف من شهر رَمَضان سنة إحدى وتسعين وسبع مائةٍ . فوُجِدَ[١] في تَرِكَته قَصِيدَةٌ مَرْثية قد عَمِلَها في رَفيقِه تاج الدِّين أحمد ابن سعيد بن محمد بن الأثير ، لمَّا مَرض وطالَ مَرَضه ، فاتَّفَق أن عوفِي ابنُ الأثير ، ولم يتأخَّر ابنُ عبد الظّاهر بعد عافيته سوى ليالٍ يَسيرَة ومَرِض وماتَ . فرَثاهُ ابنُ الأثير بعد مَوْتِه ، ووَلِيَ وظيفَة كِتابَة السِّرّ عِوَضًا عنه .

ولم يكنِ ابنُ عبد الظّاهِر مُجيدًا في صِناعَة الإنْشاء ، إلّا أنه دَبَّرَ الدِّيوان وباشَرَه أَحْسَن مُباشَرَة ، ومن شِعْرِه :

[الكامل]

إن شِئْت تنظُرني وتَنْظُر حالَتي   فانْظُر إذا هَبَّ النَّسيمُ قَبُولَا
فَتَراهُ مِثْلي رِقَّةً ولَطافَةً   ولأجْلِ قَلْبِك لا أقُولُ عَليلَا
فهو الرَّسُولُ إليك مِنّي لَيْتَني   كنت اتَّخَذْتُ مع الرَّسُولِ سَبيلَا

/ولم يَزَل هذا الجَامِعُ عامِرًا إلى أن حَدَثَت المِحَنُ في سنة ستٍّ وثمان مائةٍ ، واخْتَلَّت القَرافَةُ فتلاشى[a] لخَرابِ ما حَوْله ، وهو اليوم قائِمٌ على أُصُولِه . ٣٢٥

جامعُ بَساتِين الوَزير
التي على بِرْكَة الحَبَش

.[٢]

a) ساقطة من بولاق .

[١] عند الصفدي ، مَصْدَر النَّقْل ، قبل هذه العبارة : قال قُطْبُ الدِّين اليُونيني : لمَّا توفي فَتْحُ الدِّين وُجِدَ في أوْراقِه .

[٢] فيما تقدم ٣: ٥٢٣: ٢.

جَامِعُ الخَنْدَق

هذا الجامِعُ بناحية الخَنْدَقِ خارجَ القاهِرَة، ولم يَزَل عامِرًا بعِمارَة الخَنْدَق. فلمّا خَرِبَت مَساكِنُ الخَنْدَق تَلاشَى أَمْرُه، ونُقِلَت منه الجُمُعَة، وبقي مُعَطَّلًا إلى شَعْبانَ سنة خمسٍ عشرة وثمان مائةٍ. فأَخَذ الأميرُ طُوغان الحَسَني الدَّوادار عُمُدَه الرُّخام وسُقوفَه، وتَرَك جُدْرانَه ومَنارَتَه وهي باقية، وعَمَّا قَليلٍ تَنْدَثِر كما دَثَر غيرها مِمَّا حَوْلَها[١].

جَامِعُ جَزِيرَة الفِيل

[٢]

جَامِعُ الطَّوَاشِي

هذا الجامِعُ خَارِجَ القاهِرَة فيما بين بابِ الشَّعْرِيَّة وبابِ البَحْر، أنشأه الطُّواشي جَوْهَر السَّحَرْتي اللَّالا، وهو من خُدَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، ثم إنَّه تَأَمَّرَ في تاسِع عشرين شهر رَجَب سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائةٍ[٣].

جَامِعُ كَرَاي

هذا الجامِعُ بالرَّيْدانِيَّة خارِجَ القاهِرَة عَمَّرَه الأميرُ سَيْفُ الدِّين كَراي المَنْصوري في سنة إحدى وسبع مائةٍ، لكَثْرَةِ ما كان هناكَ من السُّكَّان. فلمَّا خَرِبَت تلك الأماكِن تَعطَّلَ هذا

---

[١] فيما تقدم ٢٤٠؛ علي مبارك ٤: ٢٢٧(١١٠).

[٢] فيما تقدم ٣: ٥٩٣: ٨.

[٣] جامع الطُّواشي. سَمَّاه أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٩ «جامع جَوْهَر السَّحَرْتي القريب من باب الشَّعْرِيَّة». وأُنشئ هذا الجامع سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م كما هو مثبت على لَوْحَةٍ رخامية كانت على باب الجامع تَحمل النَّصّ التالي: «بسم الله الرَّحْمَن الرَّحيم. أَمَرَ بإنْشاء هذا الجامع المبارَك من فَضْل الله الفقير إلى الله جَوْهَر السَّحَرْتي اللالا الملكي الصَّالحي، وكان ابتداؤه في شهر رَجَب الفَرْد ومنتهاه في شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مائة». (Wiet, G., RCEA XV, n° 5957).

وورَد ذكر هذا الجامع في خريطة القاهرة التي رسمها عُلماءُ الحملة الفرنسية (D 10, 145) باسم «جامع الطُّواشي»، وكان يوجد بشارع الطُّواشي وغير مسجّل كأثر، فتم هَدمه وأُقيم في موضعه جامعٌ جديد وثُبِّت النَّقْشُ التاريخي للجامع الأصلي فوق مدخل الجامع الجديد.

الجَامِعُ ، وهو الآن قائمٌ وجَميعُ ما حَوْلِه دائِرٌ ، وعَمَّا قَليل يَدْثُرُ[1].

جَامِعُ القَلْعَة

[أثر رقم ١٤٣]

هذا الجَامِعُ بقَلْعةِ الجَبَلِ ، أنشأهُ المَلِكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في سنة ثمانِ عشرة وسبع مائةٍ[2]. وكان أوَّلًا مَكانَه جَامِعٌ قَديمٌ ، وبجواره المَطْبَخُ السُّلْطاني والحَوائِجْ خاناه والطِّشْت خاناه

---

[1] جامِعُ كراي . سَمَّاه أبو المحاسن : «جامع الأمير كراي المَنْصُوري بآخر الحُسينيَّة» . (النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٠) ، وكان هذا الجامع عامرًا حتى القرن العاشر الهجري فقد كان مُقيمًا فيه الشيخ محمد العَجَمي ، المتوفى سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م (ابن إياس : بدائع الزهور ٣ : ٢٩٢ : ٧) . وذكر علي باشا مبارك أنَّ آثار هذا الجامع قد زالت بالكلية في وَقْتِه وموضعه كيمانٌ في خارج باب النَّصْر (الخطط التوفيقية ٥ : ٢١٢) . ولكن محمد رمزي حَدَّد مكان هذا الجامع بالجامع المعروف الآن باسم جامع الكومي ـ نسبةً إلى الشَّيخ علي الكومي المدفون فيه ـ الواقع في شارع الوايلية الصغرى بقسم الوايلي ، والذي جَدَّدَه في سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م رجلٌ يعرف بمحمد حسين البَيُّومي (الخطط التوفيقية ٥ : ٢١٦-٢١٧ (٩٥) ، ثم جَدَّدَه ديوانُ الأوْقاف سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٠هـ[1]) .

[2] جامِعُ القَلْعَة . ذكر ابنُ أيبك أنَّ النَّاصر محمد أحضَرَ لهذا الجامع أعْمِدَةً عظيمةً كانت مُنشيَّةً بمَدينة الأُشْمونَيْن بالوَجه القِبْلي كانت في البِرْبا التي بمدينة الأُشْمونَيْن ، نَقَلَها الأمير سَيْفُ الدِّين أروس بُغا النَّاصري وسَخَّر لذلك عددًا كبيرًا من المهندسين والعَتَّالين والحجَّارين (كنز الدرر ٩ : ٣٨٢-٣٨٣) . والجامعُ مبني على طِراز المساجد الجامعة : صحنٌ مكشوفٌ مُحيطٌ به أربعةُ إيوانات ذات أرْوِقَةٍ أكبرها إيوانُ القِبْلَة . وكان يعلو إيوان القِبْلَة قُبَّةٌ شاهقةٌ عُرِفَت بالقُبَّة الخَضْراء لأنَّها كانت مكسوةً ببلاطات من القاشاني الأخضر المُلَوَّن ، وقد سَقَطَت هذه القُبَّة على المِحْراب والمِنْبَر في عصر السُّلْطان الأشْرَف قايِتْباي سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م فأعاد بناءَها كما جَدَّدَ قايتْباي مِنْبر الجامع وجَعَلَه من الرُّخام المُلَوَّن بعد أن كان من الخَشَب . (ابن إياس : بدائع الزهور ٣ : ٢٤٥) .

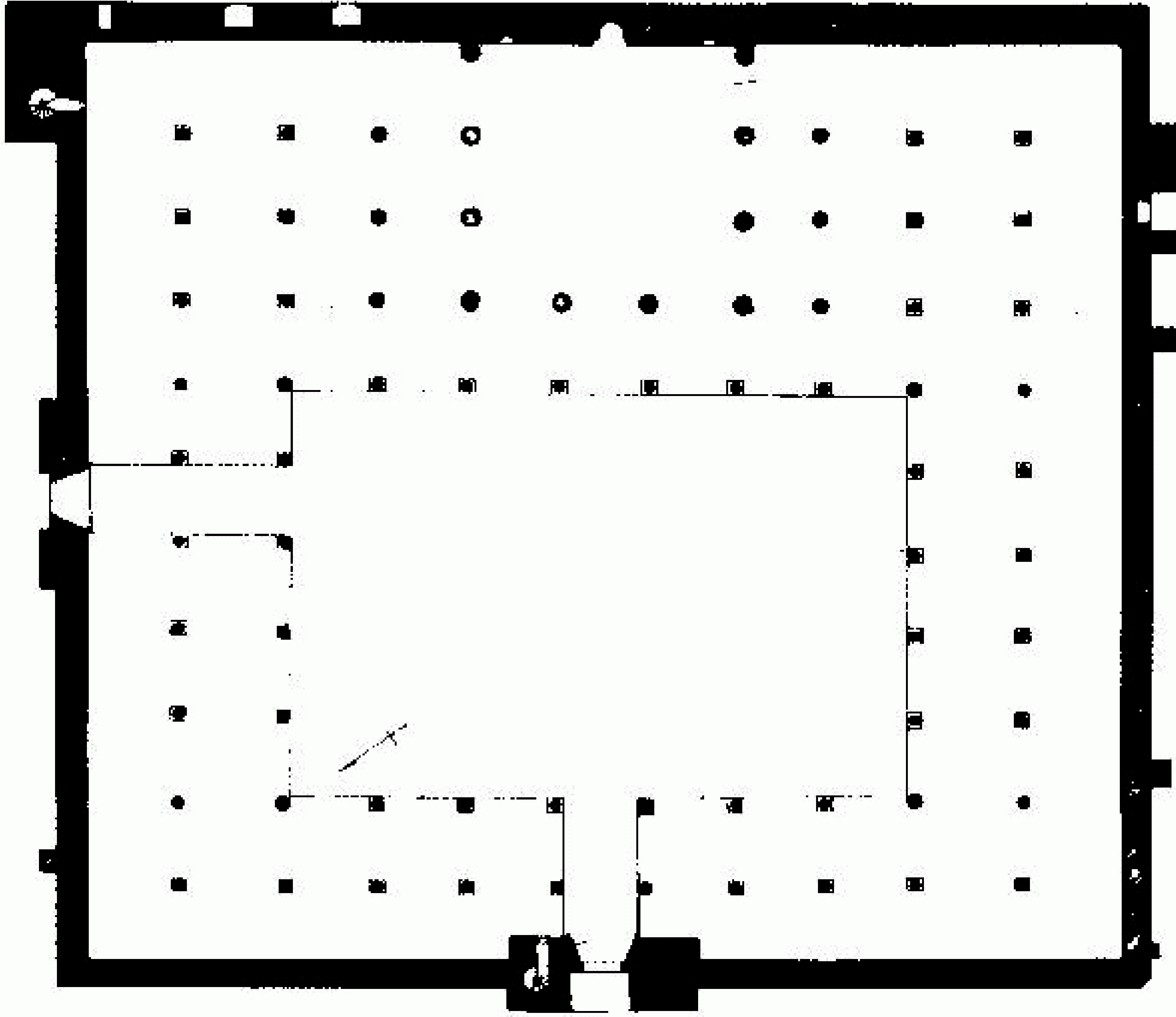
والجامع بني مرَّتين في عَهْدِ النَّاصِر محمد بن قلاوون : الأولى سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م وتخلَّف عنها نصٌّ تأسيسي من أربعة أسطر بالخَطِّ النَّسْخ المملوكي على لَوْحٍ من الحَجَر الكَلْسي نصُّه :

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم ، أَمَرَ بإنْشَاء هذا الجامع المبارَك السَّعيد ، لوَجْهِ الله تعالى ، سَيِّدُنا ومَوْلانا السُّلْطانُ المَلِكُ النَّاصِرُ ، ناصِرُ الدُّنيا والدِّين ، محمد بن مَوْلانا السُّلْطان الشَّهيد قَلاوون الصَّالحي في شهور سنة ثمانية عشر وسبع مائة من الهجرة النَّبَوِيَّة» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 112; Wiet, G., *RCEA* XIV, n° 5398) .

وبقاءُ هذا النَّصّ يَدُلُّ على أنَّ ما قامَ به النَّاصِرُ محمد في سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م هو تَجْديدُ إيوانِ القِبْلَة والقُبَّة التي تعْلوه فقط ، ولم يُعِد بِناء الجامع بأكمله ، حيث يُوجد شريطٌ من الخشب المحفور في قاعدة القبة أعلى المحراب يحمل النَّصّ التالي :

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآية ٧٦ سورة الحج ، والآية ١٨ سورة التوبة ـ مِمَّا أَمَرَ بإنشائه مَوْلانا السُّلْطان الملك النَّاصِر ابن مَوْلانا السُّلْطان الشَّهيد المرحوم الملك =

والفِرَاشْ خاناه ، فهَدَمَ الجَميعَ وأَدْخَلَهم في هذا الجَامِع ، وعَمَّرَه أَحْسَنَ عِمارَةٍ ، وعَمِلَ فيه من الرُّخامِ الفاخِرِ المُلَوَّن شَيْئًا كثيرًا ، وعَمَّرَ فيه قُبَّةً جَليلةً ، وجَعَلَ عليه مَقْصُورةً من حديدٍ بَديعَة الصَّنْعَة ، وفي صَدْرِ الجَامِع مَقصورةً من حَديدٍ أيضًا برَسْمِ صَلاةِ السُّلْطان .



مُخَطَّط جامِع النَّاصِر محمد بن قَلاوون بالقَلْعَة (عن Meinecke)

= المنصور سَيْف الدُّنْيا والدِّين قلاوون ، تَغَمَّدَه الله برحمته ، وذلك في سنة خمسٍ و[ثلاثين وسبع مائة]» . van Berchem, M., *CIA* Egypte I, n° 119; Wiet,) . (G; *RCEA* XV, n° 5666

وكان هذا الجامِعُ طُوال العَصْر المملوكي بمثابة جَامِع القَصْر الخاصّ حتى بناء جامع محمد علي باشا . (راجع ، ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٨٠- ٨١؛ النويري : نهاية الأرب ٣٢:٢٨٣؛ الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ١١٣ ، ١١٥- ١١٦؛ اليوسفي : نزهة الناظر ٢٤٠- ٢٤١؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٩: ٢٩٣ ، ٣٨٢- ٣٨٣ ، ٣٨٨؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣:٣٧٠- ٣٧١؛ المقريزي : السلوك ٢: ١٨٤ ، ٣٨٠؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٥٦ ، ١٨٠ ، ١٩٨؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٤٤٨؛ Watson, C. M., «The Mosque of Sultan Nasir Mohammed Ebn Kalaoun in the Citadel of Cairo», *JRAS* (1886), pp. 477-83; Casanova P., *Citadelle du Caire*, pp. 620-25 (الترجمة العربية ١١٦- ١٢٠) ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣: ١٣١- ١٣٩؛ Behrens-Abousief, D., *The Citadel of Cairo* pp. 33-34; Rabbat, N., *The Citadel of Cairo*, pp. 225-28 عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٢٥٣- ٢٧٧؛ وفيما تقدم ٣: ٦٨١- ٦٨٢؛ ولشافع بن علي ، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م ، كتابُ «إفاضَة أبْهَى الحُلَل على جامِع قَلْعَة الجَبَل» (الصفدي : الوافي بالوفيات ١٦: ٨٠) لم يصل إلينا . =

فلمَّا تَمَّ بِناؤه جَلَس فيه السُّلْطانُ بنفسه، واسْتَدْعَى جَميعَ المُؤَذِّنين بالقاهِرَة ومصر، وسَائِرَ الخُطباءِ والقُرَّاءِ، وأَمَرَ الخُطباءَ فخَطَبَ كلٌّ منهم بين يَدَيْه، وقامَ المؤذِّنون فأذَّنُوا وقَرَأ القُرَّاءُ، فاخْتارَ الخَطيبَ جَمال الدِّين محمد بن محمد بن الحَسَن القَسْطَلَّاني - خَطيب جامِع عَمْرو - وجَعَلَه خَطيبًا بهذا الجَامِع، واخْتارَ عشرين مُؤَذِّنًا رَتَّبهم فيه، وجَعَلَ به قُرَّاءً ودَرْسًا وقارِئَ مُصْحَف، وجَعَلَ له من الأَوْقافِ ما يَفْضُل عن مَصارِفه [1].

فجاءَ من أَجَلِّ جَوامِعِ مصر وأعْظَمِها، وبه إلى اليوم يُصَلِّي سُلْطانُ مصر صَلاةَ الجُمُعَة، والذي يَخْطُب فيه ويصَلِّي بالنَّاسِ الجُمُعَة قاضي القُضَاة الشَّافِعيّ [2].

جَامِعُ قُوصُون

[أثر رقم ٢٩٣]

هذا الجامِعُ خارِج [a] بابِ القَرافَة تِجاه خانْقاه قُوصُون [3]، أنشأه الأَميرُ سَيْفُ الدِّين قُوصُون [4]، وعَمَّرَ بجانِبِه حَمَّامًا، فعَمُرَت تلك الجِهَة من القَرافَة بجماعَةِ الخانْقاه والجَامِع، وهو باقٍ إلى يَوْمِنا [5].

---

a) بولاق والنسخ: داخل، والمثبت من السلوك ٢: ٥٤٥، وهو الصواب.

= وقامت لجنة حِفْظ الآثار العربية بإصلاح وترميم الجامع عام ١٩٤٧، حيث أعادت بناء القُبَّة الكبيرة التي بالإيوان الشرقي وأصْلَحت منارته وسقفه.

[1] وَصَلَ إلينا المُصْحَفُ الذي وَقَفَه السُّلْطانُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون على جَامِع القَلْعَة، وهو محفوظٌ بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٤ مصاحف، ونَصُّ وَقْفيته:

«أوْقَفَ هذا المُصْحَف الشَّريف مَوْلانا السُّلطان المالك الملك النَّاصِر محمد بن مَوْلانا السُّلطان سَيْف الدين قلاوون، سَقَى الله عَهْدَهُما، وجَعَلَ مَقَرَّه بالجامع الكبير بالقَلْعَة المَنْصُورَة وشَرَطَ ألَّا يَخْرُج من المَسْجد المذكور بوَجْهٍ ما وَقْفًا صَحيحًا شَرْعيًّا، ﴿فمَن بَدَّلَهُ بَعْدما سَمِعَهُ فإنَّما إثْمُهُ على الَّذينَ يُبَدِّلونَه﴾. بتاريخ سنة ثلاثين وسبع مائة».

[2] أضاف ابن أبي السُّرور البكري: «قُلْتُ: وفي زَمَنِنا الآن في أيَّام العيدَيْن: الفِطْرَة والأَضْحَى، يطلع وَزيرُ مصر يوم العيد وأمامه جَميعُ الجاويشية والمُتَفَرِّقَة وأُمَرَاءُ الجراكسة وأغاواتُ البُلُكَّات وجَميعُ الصَّناجِق الذين في ذلك الأوان وهم مُشاة أمامه إلى أن يَذْهَب إلى هذا الجامع فيُصَلِّي فيه صَلاة العيد، ويأتي هو وجميع من ذُكِرَ ويَجْلِس على السِّماط هو وهم يأكلون، وبعد ذلك يَتَفَرَّقُون كُلُّ أَحَدٍ إلى منزله». (قطف الأزهار ٢٣٩و).

[3] انظر خانقاه قَوْصُون فيما يلي ٧٧٨- ٧٨٢.

[4] انظر ترجمة قُوصون فيما تقدم ٢٢٤- ٢٢٦.

[5] مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٢٠٣، ٢٢٦؛=

جَامِعُ كُوم الرِّيش

هذا الجَامِعُ عَمَّرَه[a] دَوْلات شاه [١].

جَامِعُ الجَزِيرَة الوُسْطى

أنشأه الطَّواشيُّ مِثْقال، خادِم تِذْكار ابنة الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس، وهو عامِرٌ إلى يَوْمِنا هذا [٢].

---

a) بولاق: عمارة.

= المقريزي: السلوك ٢: ٥٤٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٧.

وذَكَرَ مُؤَلِّفُ «تاريخ سلاطين المماليك» أنَّ الجامع الذي أنشأه الأميرُ سَيْفُ الدِّين قُوصُون خارج باب القرافَة بجوار الخانقاه التي أنشأها فَرَغت عمارته في أواخر سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٩م، وأن أصْلَه جامعًا لطيفًا أنشأه جماعةُ فقراءُ أعْجام سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م فهَدَمه الأميرُ قُوصُون سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م وبنى عِوَضَه هذا الجامع. (تاريخ سلاطين المماليك ٢٠٣)، وبذا يكون الجامع قد أُنشئ بعد إنشاء الخانقاه بثلاثة أعوام حيث أنشأ الخانقاه عام ٧٣٦هـ. وأقيم الجامع تجاه الخانقاه من جهة الجنوب الغربي. وقد أشارَت خريطةُ القاهرة التي رَسَمَها عُلَماءُ الحملة إلى هذا الجامع باسم جامع السُّلْطان قَيْسُون» [2, X-3] وكان مُطِلًّا على الطريق الرئيس المسمَّى الآن بشارع القرافة الكبرى. وكان مُصَمَّمًا على تخطيط المساجد الجامعة: صَحْنٌ مكشوف تطلُّ عليه أربعةُ إيوانات ذات أرْوِقَة، وتُعادِلُ مِساحته مِساحَة الجامع النَّاصري بالقَلْعَة وكذلك جامع الماردِيني المُشَيَّدين في الفترة نفسها. وسَجَّلَت بعضُ الرُّسومات التي عُمِلَت في مَطْلَع القرن التاسع عشر وبعض الصُّوَر الفوتوغرافية التي أُخِذَت في النِّصْف الثاني من القرن التاسع عشر بقايا هذا الجامع الذي لم يَبْق منه سوى مئذنته القِبْلِيَّة وقطعة من جِدار القِبْلَة، وهو بالقرب من جامع مَسيح باشا الذي يُطْلَق عليه الآن: جامع المُسَبِّح (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٧هـ [٢]؛ محمد أبو العمايم: «المِئْذَنة القبلية وما حولَها من الآثار خارج باب القرافة بالقاهرة»، حوليات إسلامية *An.Isl.* **XXXIV (2000)**، ٥٣-٨٩).

[١] سمَّاه أبو المحاسن: جامِع دَوْلَة شاه مَمْلوك القلاني بكوم الرِّيش (النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٣)، وذكر المقريزي أنَّه أدْرَك بكوم الرِّيش سُوقًا عامِرًا بالمعاشِ، وحمَّامًا وجامعين تقام بهما الجُمُعَة ...، ومنارَة لا يَقْدر الواصفُ أن يُعَبِّر عن مُحسِنها لما اشْتَمَلَت عليه من كلِّ معنًى رائق بهيج. ثم تَخَرَّب كَلُّ ذلك في أعْقابِ المِحَن التي حَدَثَت سنة ٨٠٦هـ. (فيما تقدم ٣: ٤٣٠).

[٢] سمَّاه أبو المحاسن: جامِع بنت الملك الظَّاهِر بالجَزيرة المُسْتَجَدَّة المعروفة بالوُسْطانية. (النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٦). وحَدَّدَ محمد بك رمزي مَكان هذا الجامع بالجامع القائم في منطقة الجزيرة المعروف بجامع الجزيرة، والذي تَجَدَّدَ أكثر من مَرَّة، والواقع عند مطلع كوبري أكتوبر في شارع الجزيرة بجوار المَسَلَّة المصرية القديمة.

جَامِعُ ابنِ صَارِم

هذا الجَامِعُ بخُطِّ بُولاق خارِج القاهِرَة . أنشأه محمدُ بنُ صَارِم شَيْخ بُولاق فيما بين بُولاق وباب البَحْر [١] .

جَامِعُ الكِيمُخْتِي

هذا الجَامِعُ يُعْرَف اليوم بجَامِع الجُنَيْنَة [٢] ، وهو بجانِب مَوْضِع الكِيمُخْت [٣] على شاطِئ الخَليج من جملة أرْض / الطَّبَّالَة . كان مَوْضِعُه دارًا اشْتراها مُعَلِّم الكيمُخْت ، وكان يُعْرَف بالحَمَوي ، ٣ وعَمِلَها جامِعًا . فضَمِن المُعَمِّل [a] بعده رَجُلٌ يُعْرَف بالرُّومي ، فوَقَفَ عليه مَواضِعَ ، وجَدَّد له مِئْذَنَةً في جُمادَىٰ الأولىٰ سنة اثنتين وثمان مائةٍ ، ووسَّع في الجَامِع قِطْعَةً كانت مَنْشَرًا . وكان قبل ذلك قد جَدَّد عِمارَتَه شَخْصٌ يُعْرَف بالفَقيه زَيْن الدِّين رَيْحان بعد سنة تسعين وسبع مائةٍ ، وعَمَّر بجانِبه مَساكِنَ ، وهو الآن عامِرٌ بعِمارَة ما حَوْله .

جَامِعُ السِّتّ مِسْكَة

[أثر رقم ٢٥٢]

هذا الجَامِعُ بالقُرْب من قَنْطَرَة آقْ سُنْقُر التي على الخَليج الكبير خارِج القاهِرَة [٤] . أنشأته السِّتُّ مِسْكَة ، جارِيَة الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون ، وأُقيمَت فيه الجُمُعَة عاشر جُمادَىٰ الآخرة سنة

---

a) بولاق : المعلم .

---

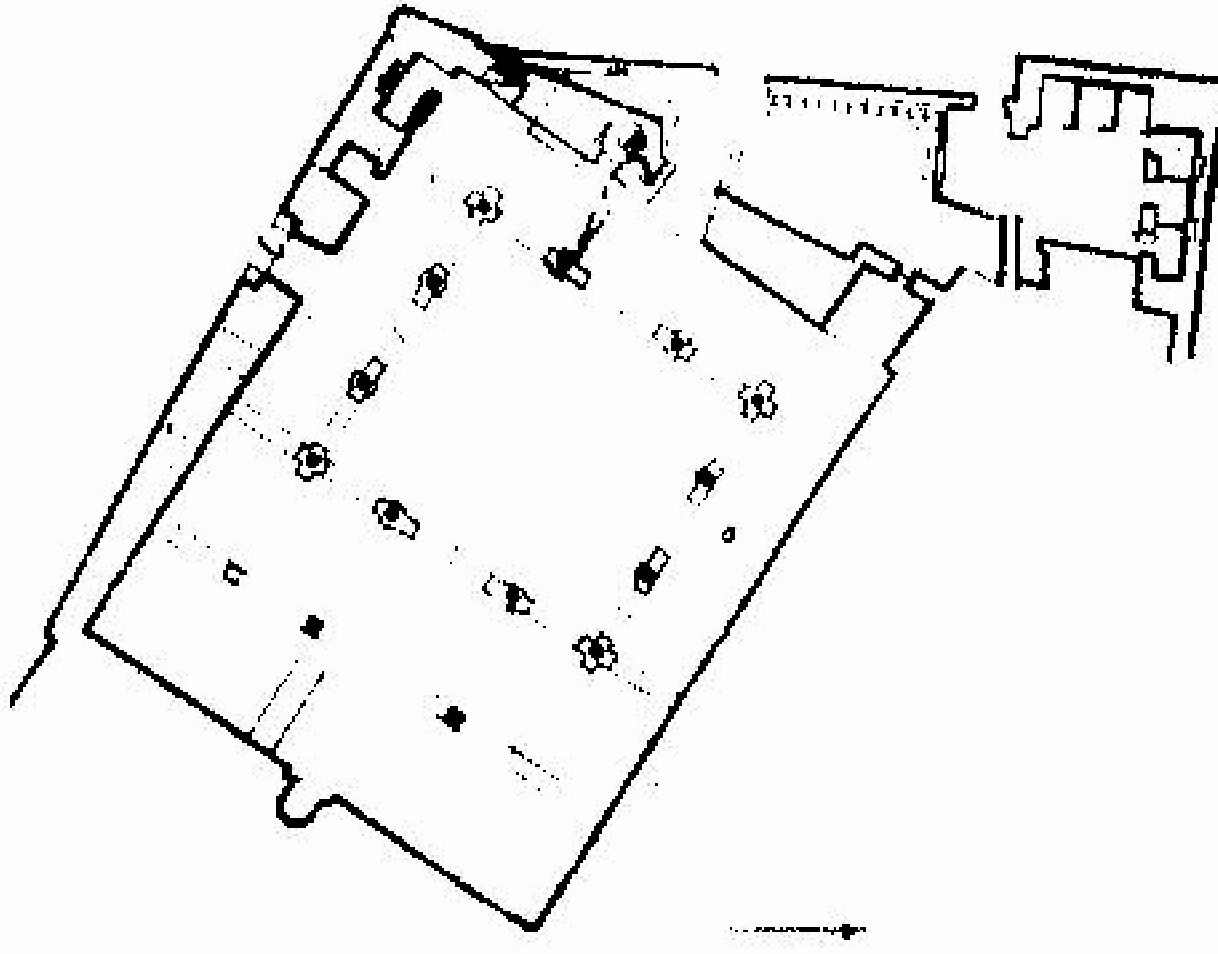
[١] جَدَّدَ محمد بك رمزي مكان هذا الجامع بالجامع المعروف بجامع الشَّيْخ عَطِيَّة بدَرْب نَصْر ببولاق . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٣٣٣) .

[٢] يقع هذا الجامع خارج باب الشَّعْرِيَّة قُرْب جامعي الدُّشْطُوطي والعَدَوي ، وسَمَّاه علي باشا مبارك «جامع المغاربة» . (الخطط التوفيقية ٣:٢٧٣ (٧٦) ، ٥:٧٧ (١٢١)) .

[٣] الكيمُخْت . فارسي ، يعني نَوْعًا من الجِلْد (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* II, 514) .

[٤] لا يزال جامِعُ السِّتّ مِسْكَة (حَدَق) قائمًا إلى الآن بحارة سُوق مِسْكَة المتفرعة من شارع مجلس الشَّعْب غربي شارع بورسعيد . وبأعلَى مَدْخَله على لوحة من الرخام كتابة تاريخية تُفيدُ الفَراغ من بِناء الجامع سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م ، نَصُّها : =

إحدى وأربعين وسبع مائةٍ. وقد ذَكَرْتُ مِشكَة هذه عند ذِكْر الأحْكار [1].



مُخطَّط جامع السِّتّ مِسْكَة (عن اللجنة)

جَامِعُ ابن الفَلَك

هذا الجَامِعُ بسُوَيْقَةِ الجُمَّيْزَة من الحُسَيْنيَّة خارج القاهِرَة، أنشأه مُظَفَّر الدِّين [a] بن الفَلَك [2].

a) بياض في آياصوفيا وباريس.

= «بِسْم الله الرَّحمن الرحيم. أَمَرَت بإنْشاء هذا الجامع المُبارَك الفقيرةُ إلى الله، الحاجَّةُ إلى بيتِ الله، الزَّائِرةُ قَبْر رَسُولِ الله عليه الصَّلاة والسَّلام، السِّتر الرَّفيع حَدَق المعروفة بستّ مِسْكَة النَّاصرية في شهور سنة أربعين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 134; Wiet, G., *RCEA* XV, n° 5798).

كما تُوجَدُ كِتابةٌ أخرى أعْلى باب المِنْبَر، نَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم ﴿إنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ الله من آمَنَ بالله واليَوْم الآخِر﴾. وكان الفَراغُ من هذا الجامع المبارَك في شهور سنة أربعين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 135; Wiet, G., *RCEA* XV, n° 5799).

وراجع كذلك، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:١٩٧هـ [1]، ٩: ٢٠٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٢٦٢-٢٦٣ (١١٥)؛ ʿAbd al-Râziq, A., «Trois fondations féminines dans l'Égypte mamlouke», *REI* 41 (1973), pp. 97-111; Williams, C., «The Mosque of Sitt Hadaq», *Muqarnas* XI (1994), pp. 55-64؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٧١١- ٧٣٢.

[1] فيما تقدم ٣: ٣٨٦- ٣٨٧. ولا يترك النَّصُّ التأسيسي المذكور في الهامش السابق أي مجالٍ للشَّكّ في أنَّ السِّتّ حَدَق هي نفسها السِّت مِسْكَة. (راجع مناقشة ذلك فيما تقدم ٣: ٣٨٦هـ [6]).

[2] ويُعْرَف أيضًا بجامِع المُظَفَّر، وسويقة الجُمَّيْزَة كانت قديمًا جزءًا من شارع البَيُّومي بالحُسَيْنيَّة؛ لذا فقد حَدَّد=

جَامِعُ التَّكْرُوري

هذا الجَامِعُ في ناحية بُولاق التَّكْروري، وهذه النَّاحية من جملة قُرَى الجِيزَة، كانت تُعْرَف بمُنْيَة بُولاق، ثم عُرِفَت ببُولاق التَّكْروري؛ فإنَّه كان نَزَلَ بها الشَّيْخُ أبو محمد يُوسُف بن عبد الله التَّكْروري، وكان يُعْتَقَدُ فيه الخَيْر، وجُرِّبَت بَرَكَةُ دُعائِه، وحُكِيَت عنه كراماتٌ كثيرة؛ منها أنَّ امرأةً خَرَجَت من مَدينَة مصر تُريد البَحْر، فأَخذَ السُّودانُ ابنها، وسارُوا به في مَرْكِب، وفَتَحوا القَلْع، فجَرَت السَّفينَةُ، وتعلَّقَت المرأةُ بالشَّيْخ تَسْتَغيثُ به، فخَرَج من مكانِه حتى وَقَف على شاطئ النِّيل، ودَعا الله سُبْحانه وتعالى، فسَكَن الرِّيحُ ووَقَفتِ السَّفينَةُ عن السَّيْر، فنادَى مَنْ في المَرْكِب يَطْلُب منهم الصَّبِيّ، فدَفَعوه إليه وناوَلَه لأُمِّه.

وكان بمصر رَجُلٌ دَبَّاغٌ أتاه عَفَصٌ، فأَخَذَه منه أصْحابُ السُّلْطان، فأتَى إلى الشَّيْخ وشَكا إليه ضَرُورَتَه، فدعَا رَبَّه، فرَدَّ الله عليه عَفَصَه بسؤالِ أصْحابِ السُّلْطانِ له في ذلك.

وكان يُقالُ له: لِمَ لا تَسْكُن المَدينَة؟ فيقول: إنِّي أَشَمُّ رائِحَةً كَريهةً إذا دَخَلْتَها. ويُقالُ إنَّه كان في خِلافَةِ العَزيز بن المُعِزّ، وإنَّ الشَّريف محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني جَمَعَ له جُزْءًا في مَناقِبه. ولمَّا ماتَ بُنِيَ عليه قُبَّةٌ، وعُمِلَ بجانبه جَامِعٌ جَدَّدَه ووَسَّعَه الأميرُ مُحْسِن الشِّهابي مُقَدّم المماليك، ووَلِيَ تَقْدِمَة المماليك عِوَضًا عن الطَّواشي عَنْبَر السَّحَرْتي أَوَّل صَفَر سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مائةٍ، وماتَ في [a].

ثم إنَّ النِّيلَ مالَ على ناحية بُولاق هذه فيما بعد سنة تسعين وسبع مائةٍ، وأَخَذَ منها قِطْعَةً عَظيمَةً كانت كلُّها مَساكِن. فخاف أهْلُ البَلَد أن يأْخُذَ ضَريحَ الشَّيْخ والجَامِع لقُرْبهما منه، فنَقلوا الضَّريحَ والجَامِع إلى داخِل البلد، وهو باقٍ إلى يَوْمِنا هذا [1].

---

a) بياض في آياصوفيا وباريس.

= محمد بك رمزي مكان جامع المُظَفَّر بالمكان الذي أقيم عليه الآن الجامعُ المعروف باسم «جامع البيُّومي» في الشارع الذي يَحْمِل اسمه. وهذا الجامعُ جَدَّدَه عُثْمان أغا الوكيل تابع الحاج بَشِير أغا دار السَّعادَة في سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م كما هو مكتوبٌ بأعلى بابه. وأُجْرِت فيه وزارةُ الأوقاف إصلاحاتٍ بداخله في سنة ١٩٣٩، وبالجامع ضَرِيحُ سيدي علي البيُّومي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٩هـ[6]).

[1] بُولاق التَّكْروري. والصَّواب في شكلها بِلاق بكسر أوّلها لأنَّ أصْلها المصري Bilaq وهي كلمة مصرية قديمة معناها المَرْساة والمَوْرَدَة، وأُطْلِق هذا الاسم على بولاق هذه =

جَامِعُ البَرْقِيَّة

هذا الجامِعُ بالقُرْبِ من بابِ البَرْقِيَّة بالقاهِرَة . عَمَّرَه الأُمير مُغُلْطاي الفَخْري أخو الأمير أُلْماس الحَاجِب ، وكَمُلَ في المحرَّم سنة ثلاثين وسبع مائةٍ . وكان ظَالِمًا عَسُوفًا مُتَكَبِّرًا جَبَّارًا ، وقُبِضَ عليه مع أخيه أُلْماس في سنة أربعٍ وثلاثين وسبع مائةٍ ، وقُتِلَ معه [١] .

جَامِعُ الحَرَّاني

هذا الجَامِعُ بالقَرافَة الصُّغْرَىٰ في بَحْري الشَّافِعِيّ ، عَمَّره ناصِرُ الدِّين بن الحَرَّاني الشَّرَابيشي في سنة تسعٍ وعشرين وسبع مائةٍ [٢] .

جَامِعُ بَرَكَة

هذا الجَامِعُ بالقُرْبِ من جَامِعِ ابن طُولُون ، يُعْرَف خُطُّه بحَدْرَةِ ابن قَمِيحَة . عَمَّرَه شَخْصٌ من الجُنْدِ يُعْرَف ببَرَكَة ، كان يُباشِرُ أُسْتادَّارِية الأُمَراء ، وماتَ بعد سنة إحدى وثمان مائةٍ [٣] .

= غَرْب النِّيل لأنَّها كانت المَوْرَدَة قبل إنشاء مدينة الجيزة . وما زال ضَريحُ الشيخ التكروري في مكانه الذي نُقِلَ إليه في البلد القديم التي يدلُّ عليها المنطقة الواقعة بين مبنى وزارة الزراعة والمتحف الزراعي عند نهاية كوبري أكتوبر بالجيزة . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢/٣:٩–١٠) .

[١] جَامِعُ البَرْقِيَّة . هو الجامع الذي حَلَّ مَحَلَّه الجامِعُ المعروف بجامع الغُرَيِّب نسبةً إلى الشيخ محمد الغُرَيِّب المَدْفُون بجواره ، جَدَّدَه الأميرُ عبدُ الرَّحْمَن كَتْخُدا في سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م ، يقول الجَبَرْتي : «وأنشأ عند بابِ البَرْقِيَّة المعروف بالغُرَيِّب جامِعًا وصِهْرِيجًا وحَوْضًا وسِقايَةً ومكْتبًا ورَتَّب فيه تَدْريسًا» (عجائب الآثار ٢:٧) . وما زالت بقايا هذا الجامِعُ موجودةً داخل حَرَم جامِعَة الأزْهَر الموجودة الآن بشارع الأزْهَر . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥:١٤٢ (٦٠) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٢٠٥هـ[١] ؛ Raymond, A., «Les constructions de l'émir ʿAbd al-Rahmân Kathuda au Caire», *An. Isl.* XI (1972), p. 241 ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٤:١٧٠٩–١٧٥١) .

[٢] اندَثَر الآن هذا الجامِعُ ودَخَلَت أرضُه في المقابر الواقعة بَحْري جامع الإمام الشَّافِعي . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤:١٧٢ (٨٢) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٢٠٣هـ[٥]) .

[٣] كان هذا الجامع مايزال موجودًا حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وشاهده علي باشا مبارك . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤:١٣٦(٦٥)) .

جَامِعُ بِرْكَةِ الرَّطْلي

هذا الجَامِعُ كان يُعْرَف مَوْضِعُه ببِرْكَةِ الفُولِ من جملة أرْضِ الطَّبَّالَة، فلمَّا عُمِّرت بِرْكَةُ الرَّطْلي، كما تَقَدَّم ذكره [١]، أنشئ هذا الجَامِعُ. وكان ضَيِّقًا قَصِيرَ السَّقْف، وفيه قُبَّةٌ تحتها قَبْرُ يُزار، وهو قَبْرُ الشَّيْخ خَليل بن عبد رَبِّه، خادِمِ الشَّيْخ عبد العال،/ وتوفي في المحرَّم سنة اثنتين وأربعين وسبع مائةٍ [٢]. فلمَّا سَكَنَ الوَزيرُ الصَّاحِبُ سَعْدُ الدِّين إبْراهيم بن بَرَكَة البَشيري [٣] بجوار هـا الجَامِع، هَدَمَه ووَسَّع فيه وبَنَاه هذا البِناء في سنة أربع عشر وثمان مائةٍ.

ووُلِدَ البَشيري في سابع ذي القِعْدَة سنة ستٍّ وستين وسبع مائةٍ، وتنقَّل في الخِدَمِ الدِّيوانية حتى وَلِيَ نَظَر الدَّوْلَة إلى أن قُتِلَ الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار، فاسْتَقَرَّ بعده في الوَزارَة بسَفارَةِ فَتْحِ الدِّين فَتْح الله كاتِب السِّرّ، في يوم الثلاثاءِ رابع عشر جُمادَىٰ الأُولَىٰ سنة اثنتي عشرة وثمان مائةٍ؛ فباشَر الوَزارَةِ بضَبْطٍ جَيِّد لمعرفته الحِساب والكِتابَة، إلَّا أنَّها كانت أيَّامَ مِحَنٍ احْتاجَ فيها إلى وَضْعِ يَدِه وأَخْذِ الأمْوالِ بأنْواعِ الظُّلْم. فلمَّا قُتِلَ الملكُ النَّاصِرُ فَرَج، واسْتَبَدَّ الملكُ المُؤَيَّدُ شَيْخ، صَرَفه عن الوَزارَة في يومِ الخميس خامِس جُمادَىٰ الأولَىٰ سنة ستّ عشرة وثمان مائةٍ، [a]وَوَلَّي موضعه تاجَ الدِّين عبد الرَّزَّاقِ بن الهَيْصَم وصادَرَه حتى احْتاجَ إلى مَسْأَلَة النَّاسِ، فأعانَه كثيرٌ من النَّاس. وما زال في مَنْزِله مُنْقَطِعًا حتى ماتَ من مَرَضٍ طَويلٍ في يوم الأربعاء رابع عشر صَفَر سنة ثمان عشرة وثمان مائةٍ[a]، ودُفِنَ بالقَرافَة.

وهذا الجَامِعُ عامِرٌ بعِمارَة ما حَوْلَه.

---

a-a) هذه العبارة ساقطة من بولاق.

---

[١] فيما تقدم ٣: ٥٤٠- ٥٤١.

[٢] كان الجامع موجودًا حتى نهاية القرن التاسع عشر، وسمَّاه علي باشا مبارك «جامع الحريشي»، وذكر أنَّه كان يقع في بِرْكَة الرَّطْلي بين دار الأمير سليم باشا السِّلَحْدار ودار الأمير حسين باشا الخازِنْدار. (الخطط التوفيقية ٣: ٢٦٤ (٧٢)، ٤: ١٧٢ (٨٢)).

وربَّما كان هذا الجامع هو نفسه الجامع الذي جَدَّده القاضي عَلَم الدِّين شاكر بن الجَيْعان مُتَوَلِّي ديوان الجَيْش، المتوفى سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، بالقُرْب من بِرْكَة الرَّطْلي؟ (ابن إياس: بدائع الزهور ٣: ١٣٣).

[٣] راجع ترجمة الوزير سَعْد الدِّين البَشيري، وكان معدودًا من رؤساء الأقْباط، كذلك عند، المقريزي: السلوك ٤: ٣٣٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٣٧، المنهل الصافي ١: ٦٠؛ السخاوي: الضوء اللامع ١: ٣٣.

جَامِعُ الصُّوَّة

هذا الجَامِعُ فيما بين الطَّبْلَخاناه السُّلْطانية وبابِ القَلْعَة المعروف بباب المُدَرَّج[1] على رأس الصُّوَّة[2]. أنشأه الأميرُ الكبير شَيْخُ المَحْمودي لمَّا قَدِمَ من دِمَشْق بعد قَتْلِ الملك النَّاصِر فَرَج، وإقامَة الخَليفَة أمير المؤمنين المُسْتَعين بالله العَبَّاسي ابن محمد في سنة خمس عشرة وثمان مائةٍ، وسَكَن بالإسْطَبل السُّلْطاني، فشَرَعَ في بِناءِ دارٍ يَسْكُنها. فلمَّا اسْتَبَدَّ بسَلْطَنَةِ مصر وتلقَّب بالملك المُؤَيَّد اسْتَغْنَى عن هذه الدَّار - وكانت لم تَكْمُل - فعَمِلَها جَامعًا وخَانْقاه، وصارَت الجُمُعَةُ تُقامُ به[3].

جَامِعُ الحُوش

هذا الجَامِعُ في داخِل قَلْعَةِ الجَبَل بالحُوش السُّلْطاني. أنشأه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ فَرَج ابن بَرْقُوق في سنة اثنتي عشرة وثمان مائةٍ، فصارَ يُصَلِّي فيه الخُدَّامُ وأوْلادُ الملوك من أوْلادِ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون إلى أن قُتِلَ النَّاصِرُ فَرَج[4].

جَامِعُ الإسْطَبْل

هذا الجَامِعُ في الإسْطَبْل السُّلْطاني من قَلْعَةِ الجَبَل. عَمَّرَه [a].

---

a) بياض في النسخ.

---

[1] انظر عن هذه المواضع، فيما تقدم ٣: ٦٥١، ٦٨٨.

[2] الصُّوَّة. اسم يُطْلَق على المنطقة المرتفعة الواقعة في الجهة الشمالية من قَلْعَة الجَبَل، فيما بينها وبين مَسْجِد الرِّفاعي ويتوسَّطها الطَّريق المعروف بسِكَّة المَحْجَر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٤٣، ١٢: ١٨٦).

[3] ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ٣٨، وفيما يلي ٦٧٢.

[4] أطْلَق عليه ابن إياس «الجامع الصَّغير داخل الحُوش السُّلْطاني». (بدائع الزهور ١/٢: ٨٢٢، ٣: ٣٤٨، ٤: ٢٣٥، ٢٨٢، ٥: ٤٩٣). وهو الجامع نفسه الذي تشير إليه خريطةُ القَلْعَة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية باسم «جامِع الدَّهيشة»، إذ إنَّ قاعة الدَّهيشة كانت على مقربةٍ من هذا الحوش (فيما تقدم ٣: ٦٨٠)، وتوجد حُجَّة الوَقْفِ الخاصَّة بهذا الجامع في دار الوثائق القومية بالقاهرة برقم ١١/٦٦ وهي مؤرخة في ٧ محرم سنة ٨١٢هـ، ويمكن أن يكون هذا الجامع قد حَلَّ محلَّه المسجد الذي أنشأه أحمد كَتْخُدَا العَزَب سنة ١١٠٩هـ/١٦٧٩م داخل منطقة باب العَزَب، والمسجل بالآثار برقم ١٤٥؛ راجع دراسة صالح لمعي مصطفى: الوثائق والعمارة ـ دراسة في العمارة =

جَامِعُ ابنة التُّرْكُماني

هذا الجَامِعُ بالمَقْس خارِج القاهِرَة [١].

جَامِعُ [يُونُس] [a]

هذا الجَامِعُ بخُطِّ السَّبْع سِقايات ، فيما بين القاهِرَة ومصر ، يطلّ على بِرْكَة قارُون [٢]. أنشأه [b].

جَامِعُ البَاسِطي

هذا الجَامِعُ في بُولاق خارِج القاهِرَة ، أدْرَكْتُ مَوْضِعَه ، وهو مُطِلٌّ على النِّيل طُول السنة . أنشأه شَخْصٌ من عَرَضِ الفُقَهاءِ يُعْرَف [b] في سنة سبع عشرة وثمان مائةٍ [٣].

جَامِعُ الحَنَفي

هذا الجَامِعُ خارِج القاهِرَة [٤]، أنشأه الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّين محمد بن حَسَن بن عليّ الحَنَفي [٤] في سنة سبع عشرة وثمان مائةٍ .

---

a) بياض في النسخ ، وعلى هامش آياصوفيا : قال كاتبه ، أي النَّاسخ : مسجد مشهور عندنا بجامع يونس ، وانظر فيما تقدم ٦ : ٦. b) بياض في النسخ .

= الإسلامية في العصر المملوكي الجركسي : الجامع الأبيض بالحوش السُّلْطاني بقَلْعَة القاهرة ، بيروت ١٩٨٠.

[١] فيما تقدم ٥ : ٣.

[٢] انظر فيما تقدم ٦ : ٦.

[٣] علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤ : ١٣٤؛ وهو غير الجامع الذي أنشأه عبد الباسط بن خليل الدمشقي بخُطّ الكافوري (فيما يلي ٣٥١) .

[٤] كان هذا الجامع يقع بخُطّ الحَنَفي بين سُوق مِسْكة وسويقة اللّالا غرب الخليج المصري الكبير . وأدْرَك علي باشا مبارك الجامع القديم ، وذكر أنَّ له ثلاثة أبواب أشهرها المفتوح ، على الشارع يَعْلوه شُبَّاكٌ من الخَشَب الخَرْط دقيق الصَّنْعَة ، وبجواره على يَسار الدَّاخل مَدْفَن الشيخ عُمَرشاه والشَّيخ عُمَر الوَكْني ومكتب لتعليم الأطفال وسبيل ؛ والبابان الآخران عن يسار المُصَلّى يفتحان على دَرْب أبي طَبَق . وأعْمِدَةُ الجامع من الرُّخام وأرضه مفروشة بالحجر النحيت وقِبْلَته بالقاشاني وبجوارها زنار خَشَب مكتوب عليه : وجَدَّدَ هذا المَسْجِد =

جامعُ ابن الرِّفْعَة

هذا الجامِعُ خارِجَ القاهِرَة بِحِكْر الزُّهْري، أنشأه الشيخُ فَخْرُ الدِّين عبد المُحْسِن بن الرِّفْعَة، ابن أبي المَجْد العَدَوي [٢].

جامعُ الإسماعيلي

[أثر رقم ٢٥٣]

أنشأه الأميرُ أَرْغُون الإسماعيلي على البِرْكَة النَّاصِرِيَّة، في شَعْبان سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة [٣].

= من فَضْل الله تعالى الأمير سليمان أفندي تابع أفندينا محمد علي باشا في شهر رَمَضَان سنة ألف ومائتين وسبعة وثلاثين (١٨٢٢م)»، وبأعلى القِبْلَة حَجَرٌ أحمر عليه كتابة عَسِرَة القراءة. (الخطط التوفيقية ٣٣٨:٣ (٩٢)، ٢٠٥:٤ (٩٩-١٠٠)).

وقد أُزيلَ هذا الجامع القديم وأُقيمَ في موضعه جامعٌ ضَخْم أنشأه في سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م الخديو عَبَّاس حلمي الثَّاني، ويقع الآن بشارع الحَنَفي بالنَّاصرية، وهو مبني على طِراز الجوامع المملوكية كسائر الجَوامِع المُنْشأة في زَمَن الخديو عَبَّاس حلمي الثَّاني. (انظر كذلك، عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٧٤١:٥-٧٥٩).

[١] شَمْسُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن حسن بن علي التَّيْمي البَكري الشَّاذلي الحَنَفي، مُتَصَوِّفٌ اشتهر باسم السُّلطان الحَنَفي، وتوفي سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م. كان مَحْظوظًا من الملوك ولهم فيه اعتقادٌ ومحبّة. قال أبو المحاسن: «صَحِبَ الوالد سنين كثيرة ثم الملك الظَّاهر طَطَر، ونالته منه السَّعادة في أيَّام سَلْطَنَتِه واجتمعت به غير مَرَّة وانتفعت بمجالسته. وكان النَّاسُ فيه على قسمين: ما بين مُتغالٍ إلى الغاية، وما بين مُنْكِرٍ إلى النهاية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٥: ٥٠٠؛ العيني: عقد الجمان (تحقيق القرموط) ٦١٢-٦١٣؛ السخاوي: التبر المسبوك ٨٤-٨٥؛ الشعراني: الطبقات الكبرى ٨١:٢-٩٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢٠٦:٤-٢٠٩ (١٠٠-١٠٢).

[٢] خَرِبَ هذا الجامع من قديم وحَلَّ مَحَلَّه الجامع المعروف الآن بجامع قَواديس، الواقع في حارة قَواديس في مدخلها من جهة شارع جامع عابدين. (المقريزي: السلوك ٢: ٣٣٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢١٢:٣ (٥٣)، ٩٦:٤ (٤٥)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٩٠هـ[٤]).

[٣] لا يزالُ جامعُ أرغون الإسماعيلي موجودًا بشارع الجامع الإسماعيلي المُتَفَرِّع من شارع خَيْرَت بالنَّاصِرية، ولكن لم يبق من عمارته الأصلية سوى واجهته الجنوبية الشرقية التي توجد عليها كتابةٌ تاريخيةٌ، نَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحْمَٰن الرَّحيم. أنشأ هذا الجامع المبارك العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى الرا[جي ...] القُدُوم عليه أَرْغُون الإسماعيلي اللَّالا الملكي المُظَفَّري. وكان الفَراغُ من ذلك في شهر شَعْبان المكرَّم سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 140; Wiet, G., *RCEA* XVI, n° 6043). =

جامع الزاهد

[أثر رقم ٨٣]

هذا الجَامِعُ بخُطِّ المَقْس خارِجَ القاهِرَة [١]، كان مَوْضِعُه كُومَ تُرابٍ، فنَقَلَه الشَّيْخُ المعتقد أحمد ابن سُلَيْمان[a] المعروف بالزَّاهِد [٢]، وأنشأ موضعه هذا الجَامِع، فكَمُل في شهر رَمَضان سنة ثمان عشرة وثمان مائة، وهَدَم بسببه عِدَّةَ / مَساجِدَ قد خَرِبَ ما حولها، وبَنَى بأنْقاضِها هذا الجَامِع. ٢:

وكان سَاكِنًا مشهورًا بالخَيْر، يَعِظُ النَّاسَ بالجَامِع الأزْهَر وغيره، ولطائفةٍ من النَّاسِ فيه عَقيدَةٌ حَسَنَة، ولم يُسْمَع عنه إلَّا خَيْر. ماتَ يوم الجُمُعَة سابع عشر شهر رَبيعٍ الأوَّل سنة تسع عشرة وثمان مائةٍ أيَّام الطَّاعون، ودُفِنَ بجَامِعِه.

جامع ابن المغربي

هذا الجَامِعُ بالقُرْبِ من بِرْكَة قَرْمُوط مُطِلٌّ على الخَليج النَّاصِري، أنشأه صَلاحُ الدِّين يُوسُف ابن المَغْرِبي رَئيس الأطِبَّاء بديار مصر، وبَنَى بجانِبِه قُبَّةً دُفِنَ فيها، وعَمِلَ به دَرْسًا وقُرَّاءً ومِنْبَرًا

---

a) بياض في النسخ والمثبت من المصادر.

= وراجع كذلك علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣:٣٤٨-٣٤٩ (٩٦)، ٤:١١٤ (٥٤-٥٥)، سعاد ماهر: مساجد مصر ٣:٢٢٩-٢٣٤؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢:٩٢٧-٩٤٢. ومُنْشِئ هذا الجامع غير الأمير أزغُون الكاملي الذي ترجم له المقريزي فيما تقدم ٣:٢٣٩-٢٤٠.

وانظر عن البِرْكَة النَّاصِرية، فيما تقدم ٣:٥٤٩-٥٥٠.

[١] ابن إياس: بدائع الزهور ٢:٢٧؛ ويقع جامعُ الزَّاهِدِ في شارع سُوق الزَّلَط المتفرِّع من مَيْدان باب الشَّعْرِيَّة على يمين الذَّاهب إلى باب البَحْر. ووَصَفَه علي مبارك بأنَّ به اثنا عشر عمودًا من الرُّخام وتسعة من الزَّلَط غير عَمُودَي المِحْراب، وأربعة أعْمِدَة عليها الدِّكَّة، وبه مِنْبَرٌ وخُطْبَةٌ وله مَطْهَرَةٌ وساقيةٌ ومنارَةٌ، وله أوْقاف ذات ريع. (الخطط التوفيقية ٥:١٣ (٢)؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٤:٩٤؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣:٢٩١-٣٠٢).

ولم يتبق من الجامع الأصلي سوى مَدْخَله والمئذنة التي تَعْلوه والتي أُضِيفَت إليها قِمَّتِه في العصر العثماني. (محمد الجهيني: أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية «حي باب البحر»، ٥٩، ٢٣٠-٢٣٣).

[٢] راجع ترجمة الشيخ أحمد بن سليمان المعروف بالزَّاهِد، المتوفى سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م أو ٨٢٢هـ/١٤١٩م، عند السخاوي: تحفة الأحباب ٢٧؛ الشعراني: الطبقات الكبرى ٢:١١١-١١٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥:١٣-١٥ (٢-٣).

يُخْطَب عليه يَوْم الجُمُعَة. وكان عامِرًا بعِمارَة ما حَوْله، فلمَّا خَرِبَ خُطُّ بِرْكَة قَرْمُوط تَعَطَّلَ، وهو آيِلٌ إلى أن يُنْقَض ويُباع كما بِيعَت أنْقاضُ غيرِه [1].

جَامِعُ الفَخْرِي

[أثر رقم ١٨٤]

هذا الجَامِعُ بجِوار دارِ الذَّهَب – التي عُرِفَت بدار بَهادُر الأعْسَر – المجاورة لقَبْو الذَّهَب من خُطِّ بَيْن السُّورَيْن فيما بين بابِ[a] الخُوخَةِ وبابِ سَعادَة [2]، ويُتَوَصَّل إليه أيضًا من دَرْبِ العَدَّاس المُجاوِر لحارَة الوَزِيرية [3].

a) ساقطة من بولاق.

[1] ابن حجر: إنباء الغمر ١:١٠١، وانظر فيما يلي ٥٦٩-٥٧٠.

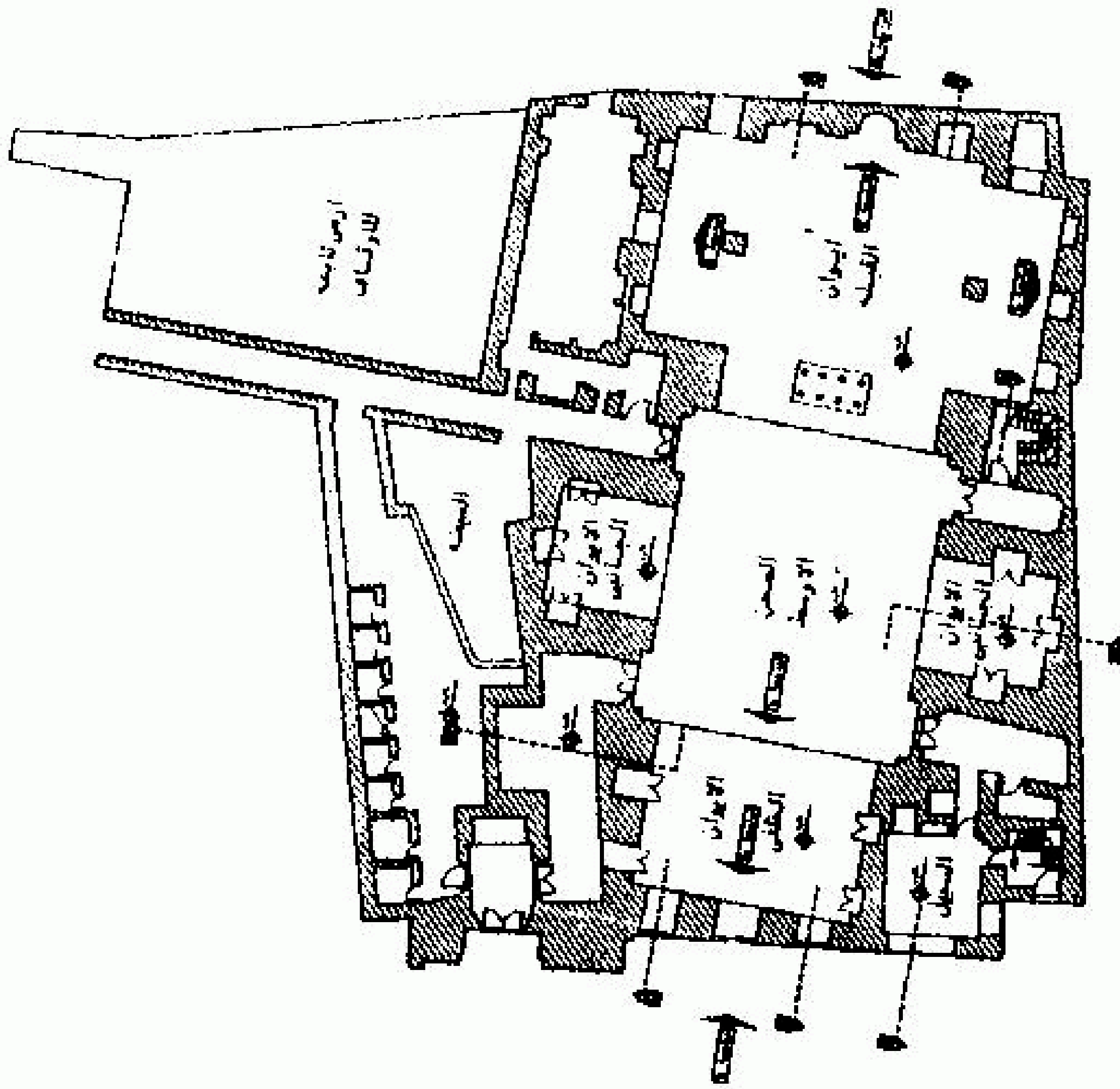
[2] فيما تقدم ٣:٢٠٦-٢٠٧.

[3] يقع جامِعُ الفَخْري بشارع بورسعيد شمال محكمة جنوب القاهرة الابتدائية، بينها وبين شارع الأزهر. ورَغْم أنَّ المقريزي وأبا المحاسن ذكراه باسم «الجامع»، إلَّا أنَّ وَقْفِيَّة نُسْخَة كتاب «الانْتصار لواسطة عَقْد الأمْصار» لابن دُقْماق التي كانت بالجامع كتب عليها: «أنَّ المُقر الكريم العالي المولوي الفَخْري فَخْر الدين عبد الغني بن أبي الفَرَج أوْقَفَ هذا الكتاب بمَدْرَسته المعروفة بالفَخْريَّة بخُطِّ بَيْن السُّورَيْن». (فيما تقدم ١:٥٨°). ويبدو أنَّها كانت مثل جامع السلطان حسن، جامِع به مَدْرَسَة، وتخطيطها على نَمَط تخطيط المدارس: صَحْنٌ فسيحٌ مكشوفٌ فُرِشَت أرضيته بالرُّخام الملوَّن، يحيط به أربعة إيوانات أكبرها الإيوان الشَّرْقي.

وسُمِّيَ الجامع (المَدْرَسَة) باسم «جامِع البَنات» منذ قبل القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، فقد ذكر الرَّحَّالَة عبد الغني النابُلُسي – الذي زارَ مصر سنة ١١٠٥هـ/١٦٩٣م – أنَّ أهْل مصر يَعْرِفون هذه المَدْرَسة بجامِع البَنات «لأنَّ البنت التي لا يَتَيَسَّر لها زَوْجٌ تأتي إلى هذه المَدْرَسَة في يوم الجمعة والنَّاسُ في الصَّلاة وتجلس في مكانٍ هناك؛ فإذا كان النَّاسُ في السَّجْدَة الأولى من الرَّكعة الأولى من صَلاة الجمعة تَمُرُّ بين الصَّفَّيْن وتَذْهَب فيتيسَّر لها الزَّوْج وقد جرَّبوا ذلك». (الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشَّام ومصر والحجاز، تقديم أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة ١٩٨٦، ٢٨٤).

وطرأ على الجامع (المَدْرَسَة) تَخَرُّب في فترات متتالية ممَّا أدَّى إلى إصْلاحه وترميمه في أكثر من مناسبة، أهمّها سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م، على يد السيدة والدة حسين بيك نجل عزيز مصر القاهرة الحاج محمد علي باشا (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 229)، و١٣١٣هـ/١٨٩٥م، وفي عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤:١٤٠-١٤١ (٦٧)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢١٥-٢١٧؛ محمد محمد الكحلاوي: مُنْشَأة الأمير عبد الغني الفَخْري «جامع البنات» بشارع بورسعيد ـ دراسة معمارية فنية، رسالة ماجستير بآثار القاهرة ١٩٨١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣:٣٤٧-٣٨٤).



مُخَطَّط جامع الفَخْري (عن المجلس الأعلى للآثار)

أنشأه الأميرُ فَخْرُ الدِّين عبد الغني ابن الأمير تاج الدِّين عبد الرَّزَّاق بن أبي الفَرَج الأُسْتادَّار[1] في سنة إحدى وعشرين وثمان مائة، و خُطِبَ فيه يوم الجُمُعَة ثامن عشرين شَعْبان من السنة المذكورة، وعَمِلَ فيه عِدَّةَ دُرُوسٍ. وأوَّلُ من خَطَبَ فيه الشَّيْخُ ناصِرُ الدِّين محمد بن عبد الوهَّاب ابن محمد البارِنْباري الشَّافِعيّ[2]، ثم تَرَكَه تَنَزُّهًا عنه.

وفي يوم الأحد ثامن شهر رَمَضان جَلَسَ فيه الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّين محمد بن عبد الدَّائِم البِرْماوي الشَّافعيّ للتَّدْرِيس[3]، وأُضِيفَ إليه مَشْيَخَةُ التَّصَوُّف، وقُرِّرَ قاضي القُضَاة شَمْسُ الدِّين

---

[1] انظر ترجمة الأمير عبد الغني الفَخْري، المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، كذلك عند، الفاسي: العقد الثمين ٥: ٤٦٩؛ المقريزي: درر العقود الفريدة ٢: ٣٠٤- ٣١١، السلوك ٤: ٤٧٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ١٨٢، ذيل الدرر الكامنة ٢٦٣- ٢٦٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٥٢- ١٥٤، المنهل الصافي ٧: ٣١٤- ٣١٨؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان ٢: ٤٣٢؛ السخاوي: الضوء اللامع ٤: ٢٤٨- ٢٥٠ (وهو ينقل عن درر العقود للمقريزي)؛ وفيما تقدم ٣: ١٣٦هـ [2].

[2] شَمْسُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن عبد الدَّائم ابن مُوسَى البِرْماوي الشَّافعي، المتوفى ببيْت المقدس سنة ٨٣١هـ/١٤٢٨م. (المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ١٥٥- ١٥٦، السلوك ٤: ٧٨٨؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٤١٤؛ السخاوي: الضوء اللامع ٧: ٢٨٠- ٢٨٢).

[3] انظر ترجمة ناصر الدِّين محمد بن عبد الوهاب ابن محمد البارِنْباري الشَّافعي، المتوفى سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٩م، عند المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٣٨١ (وفيه: «ونغم»

محمد الدَّيْري المَقْدسي الحَنَفِي [١] في تَدْريس الحَنَفِيَّة ، وفي تَدْريس المالِكية قاضي القُضاة جَمالُ الدِّين عبد الله بن مِقْداد المالِكي [٢] ، وحَضَرَ البِرْماوي وَظيفَة التَّصَوُّف بعد عُصُومِه [a]. فماتَ الأميرُ فَخْرُ الدِّين في نِصْفِ شوَّال منها ولم يَكْمُل ، فدُفِنَ هناكَ .

الجَامِعُ المُؤَيَّدِي

[أثر رقم ١٩٠]

هذا الجَامِعُ بجوار بابِ زَوِيلَة من داخِله ، كان مَوْضِعُه خِزانَة شَمائِل حيث يُسْجَن أرْبابُ الجَرائِم ، وقَيْسارِيَّة سُنْقُر الأشْقَر ، ودَرْبَ الصُّفَيْرة ، وقَيْسارِيَّة بَهاء الدِّين أرْسَلان [٣]. أنشأه السُّلْطانُ الملكُ المُؤَيَّدُ أبو النَّصْر شَيْخ المَحْمودي الظَّاهِري [٤].

---

a) بولاق : بعد عصر يومه .

= الرجل كان ، تَرَدَّدَ إليّ سنين) ، السلوك ٤: ٨١٣؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٣: ٤٣٠؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٥: ١٥٣، الدليل الشافعي ٦٥١؛ السخاوي : الضوء اللامع ٨: ١٣٨.

والبارِنْباري نسبة إلى بارِنْبار إحدى قرى مركز دِكِرْنِس بمحافظة الدقهلية . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/ ١: ٢٣٢-٢٣٣) .

[١] قاضي القضاة شَمْس الدِّين محمد بن عبد الله بن سعد ابن أبي بكر بن مُصْلِح الدَّيْري - نسبةً إلى دَيْر بجوار قرية مردا نابلس - المقدسي الحنفي ، المتوفى سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م . (راجع عنه ، المقريزي : درر العقود الفريدة ٣: ٤٣٠- ٤٣١ ، السلوك ٤: ٦٧٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٥: ١٢٤، الدليل الشافي ٦٤٦؛ السخاوي : الضوء اللامع ٨: ٨٨) .

[٢] جمال الدِّين عبد الله بن مِقْداد بن إسماعيل الأَقْفَهْسي المالكي ، المتوفى سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م . (المقريزي : درر العقود الفريدة ٢: ٣٣٢؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٣: ٢٢٩؛ السخاوي : الضوء اللامع ٥: ٧١) .

[٣] انظر عنها فيما تقدم ٣: ٦٠٠، ٢٨٨، ١٢٤ على التوالي .

[٤] الجامعُ المُؤَيَّدي . يَقَعُ هذا الجامِعُ داخِل باب زَوِيلَة ومُلاصِق له ، وهو فَخْرُ العمارة المملوكية الجركسية ، يحتل مكانة جامِع ومَدْرَسَة السُّلْطان حسن في العمارة المملوكية البَحْرية . وقد لَفَت هذا الجامع كذلك انْتِباه المؤرِّخين والرَّحَّالة ، فإلى جانب عبارات المقريزي التي تُعَبِّر عن افْتِتانه بعمارَة الجامع وفخامته التي حَضَرَ بنفسه مراحل بنائه ودَرَّسَ به ، نجد السَّخاوي يصفه بقوله : «قيل إنَّه لم يُعْمَر في الإسلام أكثر منه زَخْرَفَةً ولا أحسن تَرْخيمًا بعد الجامع الأُمَوِي» (الضوء اللامع ٣: ٣١٠) ، كما يُرْوى أنَّ السُّلْطان سليم العثماني قال عند زيارته للجامع : «هذه عمارة الملوك» (الإسحاقي : أخبار الأُوَل فيمن تَصَرَّفَ في مصر من أرْباب الدول ، المطبعة العُثمانية ١٣١٥هـ ، ١٢١) .

وقد وَصَلَت إلينا حُجَّةُ وَقْف السُّلْطان المُؤَيَّد شَيْخ للجامع (نَشَرَ جزءًا منها علي مبارك في الخطط التوفيقية =

فهو الجَامِعُ الجَامِعُ لمحاسِن البُنْيان ، الشَّاهِد بفَخَامَةِ أرْكانِه وضَخامَةِ بُنْيانِه أنَّ مُنْشِئَه سَيِّدُ مُلُوكِ الزَّمان . يَحْتَقِرُ النَّاظِرُ له عند مُشاهَدَتِه عَرْشَ بَلْقيس وإيوان كِسْرَى أنوشُرْوان ، ويَسْتَصْغِر من تأمَّلَ بَديعَ أُسْطُوانِه الخَوَرْنَق وقَصْر غُمْدان ، ويَعْجَب من عَرَفَ أوَّليته من تَبْديل الأبْدال ، وتنقُّل الأُمورِ من حالٍ إلى حال ، بينا هو سِجْنٌ تُزْهَقُ فيه النُّفُوسُ ويُضامُ المجهود ، إذ صارَ مَدارِسَ آياتٍ ، ومَوْضِعَ عِباداتٍ ، ومحلّ سُجُودٍ ! فالله يُعَمِّره ببَقَاءِ مُنْشيه ، ويُعْلي كَلِمَةَ الإيمانِ بدَوام مُلْكِ بَنيه[a].

---

a) بولاق : بانيه .

= (٥:٢٨٦-٢٩٢ (١٢٥-١٢٨)) . كما نَشَرَها فهمي عبد العليم في آخر كتابه : جامع المُؤيَّد شَيْخ . وهي تُوَضِّح الغَرَضَ من إنشاء الجامع بأنَّه «وَقَفَه مَسْجِدًا لله تعالى تُقامُ فيه الصَّلوات وأوامر الله والجُمَع والجماعات ... وصار حكمه حكم المساجد الجوامِع ... وأمَّا الأُواوين ... فإنَّه وَقَفَها وجَعَلَها مُعَدَّةً لإقامة الصَّلوات فيها ولجلوس المُدَرِّسين وطلبتهم والصُّوفية فيها على العادَة» .

ويتَّضِحُ من وَصْفِ الوقفية للجامع أنَّه يتكوَّن من صَحْنٍ أوْسط كبير مكشوف يتوسَّطه ميضأةٌ عليها قُبَّة ، ويحيط بالصَّحْن إيواناتٌ أربعة أكبرها وأعمقها إيوان القِبْلَة المكوَّن من ثلاثة أَرْوِقَة ، بينما تتكوَّن الإيوانات الثلاث الأُخرى من رواقَيْن . وكانت الإيواناتُ الأربعة مسقوفةً بسقوفٍ خشبية مُذَهَّبة . وكان للجامع أربعةُ أبواب ، يفتح الباب الرئيس في واجهة المسجد المُطِلَّة الآن على شارع المعز لدين الله ، ويقع الثاني في الزاوية الشمالية للجامع ، والثالث في الزاوية الغربية للجامع ، ويقع الباب الرابع شمال غرب الباب الثالث . وكان للجامع ثلاثةُ مآذن : اثنتان مركبتان فوق بُرْجي باب زُوَيلَة ، والثالثة فوق الإيوان المقابل لإيوان القِبْلَة ، وهي أصغرها ؛ فُقِدَت الآن .

وقد تَعَرَّض الجامع للكثير من التخريب أدَّى إلى تدمير أجزاءٍ منه في سنتي ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م ، و١١٠٢هـ/١٦٩٠م ، وعندما سَجَّلَ باسكال كوست Pascal Coste الجامع قبل منتصف القرن التاسع عشر ، لم يكن قد تبقى منه سوى الإيوان الشَّرْقي . (Coste P., *Architecture arabe ou Monuments du Kaire*, Paris 1839, Planche XXVII).

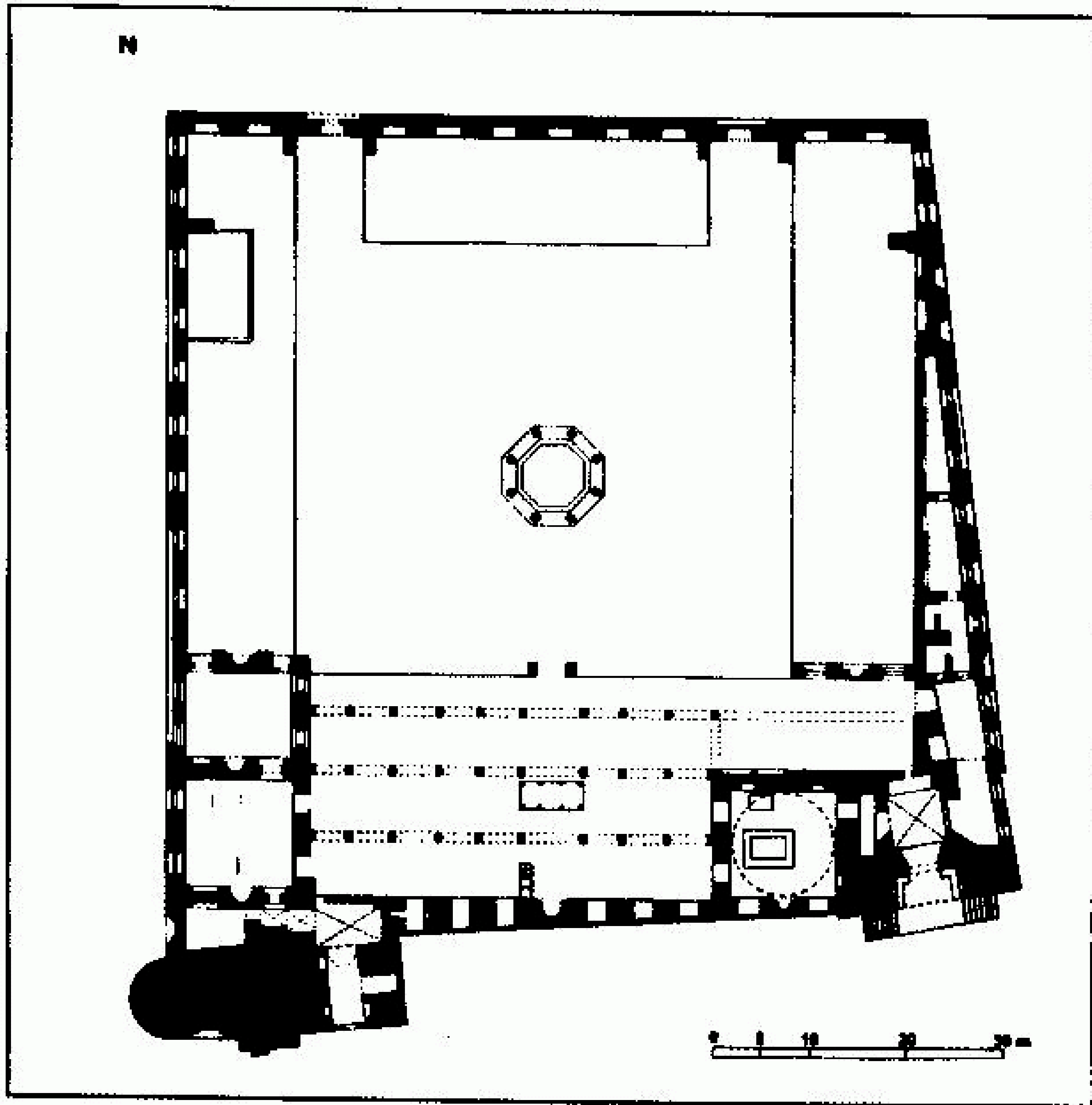
واهتمت لجنةُ حِفْظ الآثار العربية في نهاية القرن التاسع عشر بالجامع وتداركته وقامت بالمحافظة على البقايا الأثرية الموجودة منه .

(راجع ، المقريزي : السلوك ٤: ٣٢٠ ، ٣٤٧ ، ٣٩٥؛ العيني : عقد الجمان (نشرة القرموط) ١٠٨؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤: ٣٠-٣١ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١٣؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٢: ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٤؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥:٢٨٣-٢٩٢ (١٢٤-١٢٨)؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٢٠٧-٢١٤؛ إبراهيم شبوح : «من روائع العمارة بالقاهرة المملوكية : جامع الملك المؤيد (٨١٨-٨٢٢هـ/١٤١٥-١٤١٩م)» ، بحث غير منشور مقدم إلى الندوة الدولية لألفية القاهرة ١٩٦٩؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٤:٩٥-١٠١؛ Fahmy ʿAbd al-ʿAlîm, «Mosque of the Mamluk Sultan Muayyad Sheikh», *IAS* II (1980), pp. 147-81؛ فهمي عبد العليم : جامع المؤيد شيخ ، القاهرة ـ المجلس الأعلى للآثار ١٩٩٤؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣:٣٠٣-٣٣٢) .

[الكامل]

هِمَمُ المُلُوك إذا أرادُوا ذِكْرَها   من بَعْدِهم فبألْسُنِ البُنْيانِ
أو ما تَرَى الهَرَمَيْن قد بَقِيَا وكَمْ   مَلِكٌ مَحَاهُ حَوادِثُ الأَزْمانِ
إنَّ البِنَاءَ إذا تَعَاظَمَ قَدْرُه   أَضْحَى يَدُلُّ على عَظِيمِ الشَّانِ

وأوَّلُ ما ابْتُدِئَ به في أَمْرِ هذا الجَامِع: أنْ رُسِمَ، في رابع شهر رَبِيع الأوَّل سنة ثمان عشرة وثمان مائة، بانْتِقال سُكّان قَيْسارِيَّة سُنْقُر الأَشْقَر التي كانت تجاه قَيْسارِيَّة الفاضِل[1]، ثم نَزَلَ جَماعَةٌ من أرْبابِ الدَّوْلَة في خامسه من قَلْعَةِ الجَبَل، وابْتُدِئَ في الهَدْمِ في القَيْسارِيَّة المذكورة وما يُجاورها، فهُدِمَت الدُّورُ التي كانت هناك في دَرْبِ الصُّفَيْرة، وهُدِمَت خِزانَةُ شَمائِل فوُجِدَ بها من رِمَمِ القَتْلى ورُءُوسِهم شيءٌ كثيرٌ، وأُفْرِدَ لنَقْلِ ما خَرَجَ من التُّراب عِدَّةٌ من الجِمالِ والحَمير بَلَغَت عَلائِقهم في كلِّ يوم خمسَ مائةِ عَليقَةٍ.



مُخَطَّط الجامِع المُؤَيَّدي الحالي (عن اللجنة)

[1] فيما تقدم ٣:٢٨٨، ٢٩٤.

وكان السَّبَبُ في اخْتِيارِ هذا المكان دون غيره، أنَّ السُّلْطانَ حُبِسَ في خِزانَة شَمائِل هذه، أيَّامَ تَغَلُّب الأَمير مِنْطَاش وقَبْضِه على المماليك الظَّاهِرِيَّة، فقاسَى في ليلةٍ من البَقِّ والبَراغيث شَدائِدَ، فنَذَرَ لله تعالى إن تَيَسَّرَ له مُلْكُ مصر أن يَجْعَلَ هذه البُقْعَة مَسْجِدًا لله عَزَّ وجَلَّ، ومَدْرَسَةً لأَهْلِ العِلْم، فاخْتارَ لذلك هذه البُقْعَةَ وَفاءً لنَذْرِه.

وفي رابع جُمادَىٰ الآخرةِ كان ابْتِداءُ حَفْرِ الأساس، وفي خامِس صَفَر سنة تسع عشرة وثمان مائةٍ وَقَعَ الشُّروعُ في البِنَاء. واسْتَقَرَّ فيه بضعٌ وثلاثون بَنَّاءً ومائة فاعِل، ووُفِّيَت لهم ولمباشريهم أُجورُهم من غير أن يُكَلَّف أحَدٌ في العَمَلِ فَوْق طاقته، ولا سُخِّرَ فيه أحَدٌ بالقَهْرِ، فاسْتَمَرَّ العَمَلُ إلى يوم الخميس / سابع عشر رَبيعِ الأوَّل، فأَشْهَدَ عليه السُّلْطان أنَّه وَقَفَ هذا مَسْجِدًا لله تعالى، ٢ ووَقَفَ عليه عِدَّةَ مَواضِعَ بديار مصر وبِلاد الشَّام. وتَرَدَّدَ رُكُوبُ السُّلْطان إلى هذه العِمارَة عِدَّةَ مِرارٍ.

وفي شَعْبان طُلِبَت عُمُدُ الرُّخام وأَلْواحُ الرُّخام لهذا الجَامِع، فأُخِذَت من الدُّورِ والمساجِدِ وغيرها.

وفي يوم الخميس سابع عشرين شَوَّال نُقِلَ بابُ مَدْرَسَةِ السُّلْطان حسن بن محمد بن قَلاوون والتَّنُّور النُّحاس المُكَفَّت، إلى هذه العِمارَة، وقد اشْتَراهُمَا السُّلْطانُ بخمس مائة دينار. وهذا البابُ هو البابُ[a] الذي عُمِلَ لهذا الجَامِع، وهذا التَّنُّور هو التَّنُّور المُعَلَّق تِجاه المِحْراب[1]. وكان المَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق قد سَدَّ بابَ مَدْرَسَةِ السُّلْطان حَسَن[b]، وقَطَعَ البَسْطَة التي كانت قُدَّامَه كما تَقَدَّم، فبقي مِصْراعا الباب والسَّدّ من وَرائِهما حتى نُقِلا مع التَّنُّورِ الذي كان مُعَلَّقًا هناك[2].

وفي ثامِن عشرينه دُفِنَت ابنةٌ صَغيرةٌ للسُّلْطانِ في مَوْضِعِ القُبَّة الغربية من هذا الجَامِع، وهي ثاني مَيِّتٍ دُفِنَ بها.

وانْعَقَدَت جُمْلَةُ ما صُرِفَ في هذه العِمارَة، إلى سَلْخِ ذي الحجّة سنة تسع عشرة، على أربعين ألف دينار.

---

a) ساقطة من بولاق. b) جميع النسخ: مدرسة حسن.

---

[1] فيما تقدم ٢٨٣. تقدم ٢:٣٠٧)، ونُقِلَت أشياءُ كثيرة من أعْتاب ورخام

[2] أضاف ابن إياس إلى ذلك: «وأخَذَ العُمُد الشماقي من مساجد بمصر العتيقة وغيرها. (بدائع الزهور من جامع قَوْصُون الذي بالقرب من زُقَاق حَلَب (فيما ٢:٢٠).

ثم نَزَلَ السُّلطانُ في عشرين المحرَّم إلى هذه العِمارَة ، ودَخَلَ خِزانَةَ الكُتُبِ التي عُمِلَت هناك ، وقد حَمَلَ إليها كُتُبًا كثيرةً في أنْواعِ العُلُوم كانت بقَلْعَةِ الجَبَل وقَدَّم له ناصِرُ الدِّين محمد البارِزي ، كاتِب السِّرّ ، خمس مائة مُجَلَّد قيمتها ألف دينار ، فأقَرَّ ذلك بالخِزانَة ، وأنْعَمَ على ابن البارِزي بأن يكون خَطيبًا وخازِنَ الكُتُبِ هو ومن بعده من ذُرِّيَّتِه[1] .

وفي سابع عشر شهر رَبيعِ الآخرمنها سَقَطَ عشرةٌ من الفَعَلَة : ماتَ منهم أربعة ، وحُمِلَ ستَّة بأسْوأ حال .

وفي يوم الجُمُعَة ثاني جُمادَىٰ الأولىٰ أُقيمَت الجُمُعَةُ به ولم يَكْمُلْ منه سوى الإيوان القِبْلي ، وخَطَبَ وصَلَّى بالنَّاسِ عِزُّ الدِّين عبد السَّلام المَقْدسي - أحَدُ نُوَّابِ القُضَاةِ الشَّافعية - نِيابَةً عن ابن البارِزي كاتِب السِّرّ .

وفي يوم السبت خامس شهر رَمَضان منها ابْتُدِئَ بهَدْمِ مِلْكٍ بجوار رَبْعِ الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس ، مِمَّا اشْتَراهُ الأميرُ فَخْرُ الدِّين عبد الغَني بن أبي الفَرَج الأُسْتادَّار ، ليُعْمَل مَيْضَأةً ، واستمرَّ العَمَلُ هناك . ولازَمَ الأميرُ فَخْرُ الدِّين الإقامةَ بنفسه ، واسْتَعْمَلَ مَماليكَه وألْزامَه فيه ، وجَدَّ في العَمَلِ كلَّ يومٍ ، فكَمُلَت في سَلْخِه بعد خمسة وعشرين يومًا . ووَقَعَ الشُّروعُ في بِناءِ حَوانيتَ على بابِها من جِهَة تَحْت الرَّبْع ، ويَعْلوها طِباق .

وبَلَغَتِ النَّفَقَةُ على الجَامِع إلى أُخْرَيات شهر رَمَضان هذا ، سوى عِمارَة الأمير فَخْر الدِّين المذكور ، زيادَةً على سبعين ألف دينار . وتَرَدَّدَ السُّلْطانُ إلى النَّظَرِ في هذا الجَامِع غير مَرَّة .

فلمَّا كان في أثناء شهر رَبيعِ الآخر سنة إحدى وعشرين ، ظَهَرَ بالمِئْذَنةِ التي أُنْشِئَت على بَدَنَةِ بابِ زَوِيلة التي تلي الجَامِع اعْوِجاجٌ إلى جِهَة دار التُّفَّاح ، فكُتِبَ مَحْضَرٌ بجَماعَةِ المهندسين أنَّها مستحقَّة الهَدْم ، وعُرِضَ على السُّلْطان ، فرَسَمَ بهَدْمِها . فوَقَعَ الشُّروعُ في الهَدْمِ يوم الثلاثاء رابع عشرينه ، واستمرَّ في كلِّ يومٍ ، فسَقَطَ يومِ الخَميس سادسِ عشرينه منها حَجَرٌ هَدَم مِلْكًا تجاه باب

---

[1] جاء في وثيقة وَقْف السُّلْطان المُؤيد شيخ على الجامع فيما يخص خِزانَة الكُتُب : «ويُرَتِّب [خَطيبُ الجامع] رَجُلًا أمينًا حافِظًا يكون خازِنَ الكُتُب بالجامع المذكور يَتَوَلَّى حِفْظ ذلك وَضْعًا وبما فيه إصْلاح من بعض وغيره كالعادَةِ في مثل ذلك ، وأن لا يُخْرِج من الجامع المذكور كتابًا ... مُطْلَقًا ...» وحَدَّدَت الوثيقةُ اسم مُتَوَلِّي الخطابة وخِزانَة الكتب وهو الإمام ناصِر الدِّين أبي عبد الله محمد الحسيني بن البارِزي الشَّافعي ، كاتب الأسْرار الشَّريفة الملكي المُؤَيَّدي ، وهو ما يتَّفِق مع ما ذكره المَقْريزي هنا .

وانظر عن بعض مقتنيات خزانة الكتب المُؤيدية (فيما تقدم ٢:٤٤*-٤٥*) ؛ واللوحة المرفقة لظهرية كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأبصار» لابن فَضْل الله العُمَري .

زَوِيلَة هَلَكَ تحته رَجُلٌ، فغُلِّقَ بابُ زَوِيلَة خَوْفًا على المارَّة من يوم السَّبْت إلى آخر يوم الجُمُعَة سادِس عشرين جُمادَى الأولى مُدَّة ثلاثين يومًا، ولم يُعْهَد وُقُوعُ مثل هذا قَطّ منذ بُنِيَت القاهِرَة.

وقال أُدَباءُ العَصْرِ في سُقُوطِ المِئْذَنةِ المذكورة شِعْرًا كثيرًا، منه ما قاله حافِظُ الوَقْت شِهابُ الدِّين أحمد بن عليّ بن حَجَر الشَّافِعِيّ:

[الطويل]

لجامِعِ مَولانا المُؤَيَّدِ رَوْنَقٌ … منارَتُه تَزْهُو من الحُسْنِ والزَّيْنِ
تَقُولُ وقد مالَت عليهم تَمَهَّلُوا … فلَيْس على جِسْمي أَضَرُّ من العَيْنِ

فتحدَّثَ النَّاسُ أنَّه في قَوْلِه بالعَيْن قَصْدُ التَّوْرية لتَخْدِم في العَيْنِ التي تُصيبَ الأشْياءَ فتُتْلفها، وفي الشَّيخ بَدْر الدِّين محمود العِنْتابي، فإنَّه يُقالُ له العَيْني أيضًا. فقال المذكورُ يُعارِضُه:

[البسيط]

مَنارَةٌ كعَرُوسِ الحُسْنِ إذ جُلِيَت … وهَدْمُها بقَضاءِ الله والقَدَرِ
قالوا أُصِيبَت بعَيْنٍ، قُلْت ذا غَلَطٌ … ما أَوْجَبَ الهَدْمَ إلَّا خِسَّةُ الحَجَرِ

يُعَرِّض بالشِّهاب ابن حَجَر. وكلٌّ منهما لم يُصِب الغَرَض، فإنَّ العَيْني بَدْرَ الدِّين محمودًا ناظِر الأحْباس، والشَّيخ شِهاب الدِّين أحمد بن حَجَر، كلٌّ منهما ليس له في المِئْذَنةِ تَعَلُّق حتى تَخْدم التَّوْرِيَة، وأَقْعَد منهما بالتَّوْرِيَة مَنْ قال:

[الطويل]

على البُرْجِ من بابِ زَوِيلَة أُسِّسَت … مَنارَةُ بَيْتِ الله والمَعْهَدِ المُنْجي
فأَخْلَى بها البُرْجُ اللَّعِينُ أمالَها … أَلا فاصْرُخُوا يا قَوْمِ باللَّعْن للبُرْجِ

وذلك أنَّ الذي وَلِيَ تَدْبير أَمْر الجامِع المُؤَيَّدي هذا، ووَلِيَ نَظَر عِمارَته، بَهاءُ الدِّين محمد بن البُرْجي، فخَدَمَت التَّوْرِيَةُ في البُرْجي كما تَرَى. وتَداوَل هذا النَّاسُ، فقال آخَر:

[الطويل]

/عَتَبْنا على مَيْلِ المَنارِ زَوِيلَة … وقُلْنا تَرَكْتِ النَّاسَ بالمَيْل في هَرْجِ
فقال قَرِيني بُرْجُ نَحْسٍ أمالَني … فلا بارَكَ الرَّحْمنُ في ذلك البُرْجِ

وقال الأَديبُ شَمْسُ الدِّين محمد بن أحمد بن كمال الجَوْجَري أَحَد الشُّهود:

[البسيط]

مَنارَةٌ لثَوابِ الله قد بُنِيَت … فكيف هُدَّت فقالوا نُوضِحُ الخَبَرَا
أَصابَت العينُ أحْجارًا بها انْفَلَقَت … ونَظْرَةُ العَيْنِ قالوا تَفْلِقُ الحَجَرا

وقال آخَرُ:

[السريع]

مَنارَةٌ قد هُدِمَت بالقَضَا والنَّاسُ في هَرْجٍ وفي رَهَجِ
أَمالَها البُرْجُ فمَالَت به فلَعْنَةُ الله على البُرْجِ[1]

وفي ثالِث جُمادَى الأُولى سنة اثنتين وعشرين، اسْتَقَرَّ الشَّيْخُ شِهابُ الدِّين أبو الفَضْل أحمد ابن عليّ بن حَجَر في تَدْريس الشَّافِعِيَّة، والشَّيْخُ يحيى بن محمد بن أحمد العجيبي البَجَائي المغربي في تَدْريس المالِكية، وعِزّ الدِّين عبد العزيز بن عليّ بن الفَخْر البَغْدادي في تَدْريس الحَنابِلَة، وخُلِعَ عليهم بحَضْرَةِ السُّلْطان. فدَرَّسَ ابنُ حَجَر بالمِحْرابِ في يوم الخميس ثالث عشر، ونَزَلَ السُّلْطانُ وأَقْبَلَ ليَحْضُر عنده وهو في إِلْقاءِ الدَّرْس، ومَنَعَه من القِيامِ له فلم يَقُم واسْتَمَرَّ فيما هو بصَدَدِه، وجَلَسَ السُّلْطانُ عنده مليًّا. ثم دَرَّسَ يحيى المَغْربي في يوم الخميس خامس عشره، ودَرَّس فيه أيضًا الفَخْرُ البَغْدادي، وحَضَرَ معهما قُضَاةُ القُضَاة والمشايخ.

وفي سابع عشره اسْتَقَرَّ بَدْرُ الدِّين محمود بن أحمد بن مُوسَى بن أحمد العِنْتابي ناظِر الأَحْباس في تَدْريس الحَديثِ النَّبَوي، واسْتَقَرَّ شَمْسُ الدِّين محمد بن يحيى في تَدْريسِ القِراءاتِ السَّبْع.

وفي يوم الجُمعة حادي عشرين شوَّال منها، نَزَلَ السُّلْطانُ إلى هذا الجامِع، وقد تقدَّم إلى المُباشرين من أمْسِه بتَهْيِئَة السِّماط العَظيم للمدة فيه، والسُّكَّر الكثير لتُملأ البِرْكَة التي بالصَّحْن من السُّكَّر المُذاب، والحَلْوَى الكثيرة فهُيِّئَ ذلك كله. وجَلَسَ السُّلْطانُ بُكْرَةَ النَّهارِ بالقُرْبِ من البِرْكَة في الصَّحْن على تَخْتٍ، واسْتَعْرَضَ الفُقَهاءَ، فَقَرَّرَ من وَقَعَ اخْتياره عليه في الدُّروس. ومُدَّ السِّماطُ العَظيم بأنواعِ المَطاعِم، ومُلِئَت البِرْكَة بالسُّكَّر المُذاب، فأَكلَ النَّاسُ ونَهَبُوا، وارْتَوَوا من السُّكَّر المُذاب، وحَمَلوا منه ومن الحَلْوَى ما قَدَرُوا عليه.

ثم طَلَبَ قاضي القُضَاة شَمْسُ الدِّين محمد بن سَعْد الدِّيْري الحَنَفي، وخَلَع عليه كامِلِيَّة صُوف بفَرْوِ سَمُّور، واسْتَقَرَّ في مَشْيَخَةِ التَّصَوُّف وتَدْريس الحَنَفِيَّة، وجَلَسَ بالمِحْراب والسُّلْطانُ عن يَمينه، ويليه ابنُه المقام الصَّارمي إبراهيم، وعن يَسارِه قُضَاةُ القُضَاة ومَشايخُ العِلْم، وحَضَرَ أُمَرَاءُ الدَّوْلَة ومُباشِروها؛ فألقى دَرْسًا مُفيدًا إلى أن قَرُبَ وَقْتُ الصَّلاة، فدَعا بفَضِّ المَجْلِس. ثم حَضَرَتِ الصَّلاةُ، فصَعِدَ ناصِرُ الدِّين محمد بن البارِزي كاتِب السِّرّ المِنْبَر، فخَطَبَ وصَلَّى، ثم

---

[1] انظر كذلك، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ٣٥- ١٧٦؛ عبد الغني النابلسي: الحقيقة والمجاز ٢٢٨- ٢٢٩.

[2] يوجد على المئذنة الشرقية فوق البَدَنَة اليمنى لباب زَوِيلَة الكتابة التاريخية التالية: «عمل هذه المئذنة المباركة العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى محمد القَزَّاز. وكان الفَراغُ أوَّل رَجَب سنة اثنتين=

خَلَعَ عليه واستقرَّ خَطيبًا وخازِنَ الكُتُب ، وخَلَع على شِهاب الدِّين أحمد الأَذْرَعِي الإمام ، واستقرَّ في إمامَة الخَمْس . ورَكِبَ السُّلْطانُ ، وكان يَوْمًا مَشْهُودًا .

ولمَّا ماتَ المُقامُ الصَّارمي إبراهيم ابن السُّلْطان دُفِنَ بالقُبَّة الشَّرْقِيَّة ، ونَزَل السُّلْطانُ حتى شَهِدَ دَفْنَه في يوم الجُمُعَة ثاني عشرين جُمادَى الآخرة سنة ثلاثٍ وعشرين ، وأقامَ حتى صَلَّى به الخَطيبُ محمد البارزي كاتِبُ السِّر صَلاةَ الجُمُعَة ، بعدما خَطَبَ خُطْبَةً بَليغَةً ، ثم عادَ إلى القَلْعَة . وأقامَ القُرَّاءُ على قَبْرِه يَقْرأون القرآنَ أسْبُوعًا ، والأُمَراءُ وسَائِرُ أهْلِ الدَّوْلَة يَتَردَّدون إليه ، وكانت ليالي مَشْهودَة .

وفي يوم السبت آخره ، اسْتَقرَّ في نَظَرِ الجامِع المذكور الأميرُ مُقْبِلُ الدَّوادار ، وكاتبُ السِّرّ ابن البارِزي . فنَزَلا إليه جَميعًا ، وتَفَقَّدا أحْواله ، ونَظَرا في أُمورِه . فلمَّا ماتَ ابنُ البارِزي في ثامِن شَوَّال منها ، انْفَرَدَ الأميرُ مُقْبِلُ بالتحدُّث ، إلى أن ماتَ السُّلْطانُ في يوم الاثنين ثامن المحرَّم سنة أربعٍ وعشرين وثمان مائةٍ ، فدُفِنَ بالقُبَّة الشَّرْقِيَّة ، ولم تكن عُمِّرَت ، فشُرِعَ في عِمارَتِها حتى كَمُلَت في شهر ذي القِعْدَة منها . وكذلك الدَّرَجُ التي يُصْعَدُ منها إلي بابِ هذا الجَامِع من داخِل باب زَوِيلَة لم تُعْمَل إلَّا في شهر رَمَضان منها ، وبَقِيَت بَقايا كثيرة من حُقُوقِ هذا الجَامِع لم تُعْمَل : منها القُبَّةُ التي تُقابِل القُبَّة المَدْفُون تحتها السُّلْطان ، والبُيُوتُ المُعَدَّة لسَكَن الصُّوفِيَّة وغير ذلك ، فأُفْرِدَ لعِمارَتها نحوٌ من عشرين ألف دينار . واسْتَقَرَّ نَظَرُ هذا الجَامِع بعد مَوْتِ السُّلْطانِ بيد كاتِبِ السِّرّ [1] .

= وعشرين وثمان مائة» .

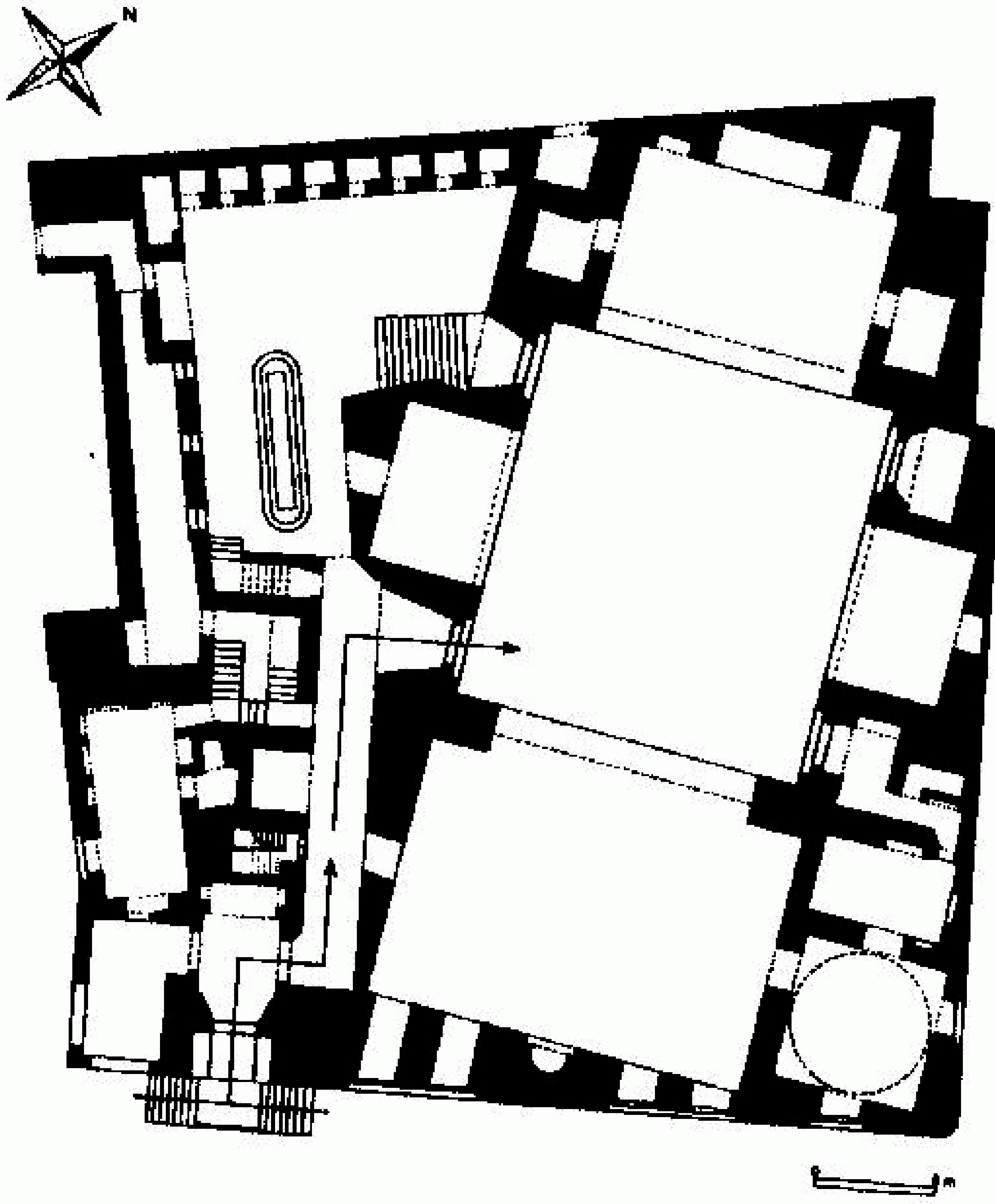
وعلى المئذنة الغربية : «أَمَرَ بإنشاء هذين المنارتين المباركتين سَيِّدُنا ومَوْلانا السُّلْطان المالك الملك المُؤَيَّد أبو النَّصْر شَيْخ عزّ نصره ، وذلك في نَظَر العَبْد الفقير إلى الله تعالى محمد بن القَزّار ، والفَراغُ في شهر شَعْبان المعظَّم قَدْرُه سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 236, 237؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٢١٣) .

[1] لم يَذْكُر المَقْريزي هنا ، أو في الفَصْل الذي عَقَدَه لذكر الحَمَّامات ، «حَمَّام المُؤَيَّد» التي أنشأها السُّلْطان المُؤَيَّد شَيْخ وَقْت إنشاء الجامع . وما تَزالُ هذه الحَمَّام موجودةً خَلْف الجامع بحارة الإشْراقية ، ومسجلة بالآثار برقم ٤١٠ ، ولها بابان أحدهما بشارع تَحْت الرَّبْع والثَّاني من حارة الإشراقية . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦:٢٠٦ (٧١) ؛ Pauty, E., *Les hammams du Caire*, p. 56؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣:٤٣٩-٤٥٠) .

الجَامِعُ الأَشْرَفي

[أثر رقم ١٧٥]

هذا الجَامِعُ فيما بين المَدْرَسَة الشُيُوفِيَّة وقَيْسارِيَّة العَنْبَر ، كان مَوْضِعُه حوانيتَ تَعْلوها رِباعٌ ، ومن وَرائِها ساحاتٌ كانت قَياسِرَ بعضُها وَقْفٌ على المَدْرَسَة القُطْبِيَّة . فابتدأ الهَدْمُ فيها ، بعدما اسْتُبْدِلَت بغيرها ، أوَّلَ شهر رَجَب سنة / سِتٍّ وعشرين وثمان مائةٍ ، وبُنِي مكانَها . فلمّا كَمُلَ[a] الإيوانُ القِبْلي ، أُقيمَت به الجُمُعَة في سابع جُمادَى الأولى سنة سبعٍ وعشرين ، وخَطَبَ به الحَمَوي الواعظِ وقد وَلِيَ الخَطابَة المذكورة[1] .



مُخَطَّط الجامع الأَشْرَفي (عن اللجنة)

---

a) بولاق : عُمِّر .

---

[1] المَدْرَسَةُ الشيوفية . حلّ محلّها الآن الجامع المعروف بجامع الشَّيْخ مُطَهَّر في شارع المُعِزّ لدين الله (فيما يلي ٤٦٠-٤٦١)؛=

الجَامِعُ البَاسِطي

[أثر رقم ٦٠]

هذا الجَامِعُ بخُطِّ الكافُوري من القاهِرَة . كان مَوْضِعُه من جملة أراضي البُسْتان ، ثم صارَ مِمَّا اخْتُطَّ كما تقدَّمَ ذكره [1]. فأنشأه القاضي زَيْنُ الدِّين عبد الباسِط بن خَليل بن إبراهيم الدِّمَشْقي [2]،

= وقَيْسارِيَّةُ العَنْبَرِ هي المكان المعروف الآن بالتَّربيعة .

وما يزالُ «الجامع الأشْرَفي» قائمًا إلى الآن بشارع المعز لدين الله (الأشْرَفية سابقًا) في المنطقة الواقعة بين شارع جوهر القائد شمالًا وشارع الأزْهَر جنوبًا. ويوجد على واجهة الجامع كتابةٌ تاريخيةٌ ، نَصُّها :

«بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم ـ الآيات ١-٣ سورة الفتح ـ أنشأ هذه المَدْرَسة المباركة سَيِّدُنا ومَوْلانا السُّلْطانُ المالكُ الملك الأشْرَف أبو النَّصْر بَرْسباي ، خَلَّدَ الله مُلْكَه بمحمدٍ وآلِه يارَبَّ العالمين ، وذلك بنَظَرِ العَبْد الفقير إلى الله تعالى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة ، غَفَرَ الله له وللمسلمين ، في مُدَّةٍ أوَّلُها شهر شَعْبان سنة ستٍّ وعشرين وثمان مائة وآخرها سَلْخ جُمادَى الأوَّل سنة سبعٍ وعشرين وثمان مائة» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 242) . والجامع مبني على نِظام المدارس المتعامِدة ، فهو جامِعٌ ـ مَدْرَسَة ـ مثل جامع السُّلْطان حسن (فيما تقدم ٢٦٩) ، وعبد الباسط الذي تولى نَظَر عمارة الجامع هو صاحب الجامع الآتي ذكره .

(راجع ، المقريزي : السلوك ٤ : ٦٣٦، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤ : ٢٦٤؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٢ : ٨٦، ١٠٩؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ١١٠ (٣٣-٤٠) ، ٤ : ١١٩-١٢٠ (٥٧)؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٢٢١- ٢٢٤؛ Darrag, A., *L'Égypte sous le règne de Barsbay*, pp. 406-9؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٤ : ١٠٢- ١١٧؛ محمد عبد الستار عبد المقصود : الآثار الباقية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٧٧؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣ : ٤٥١-٤٨٤) .

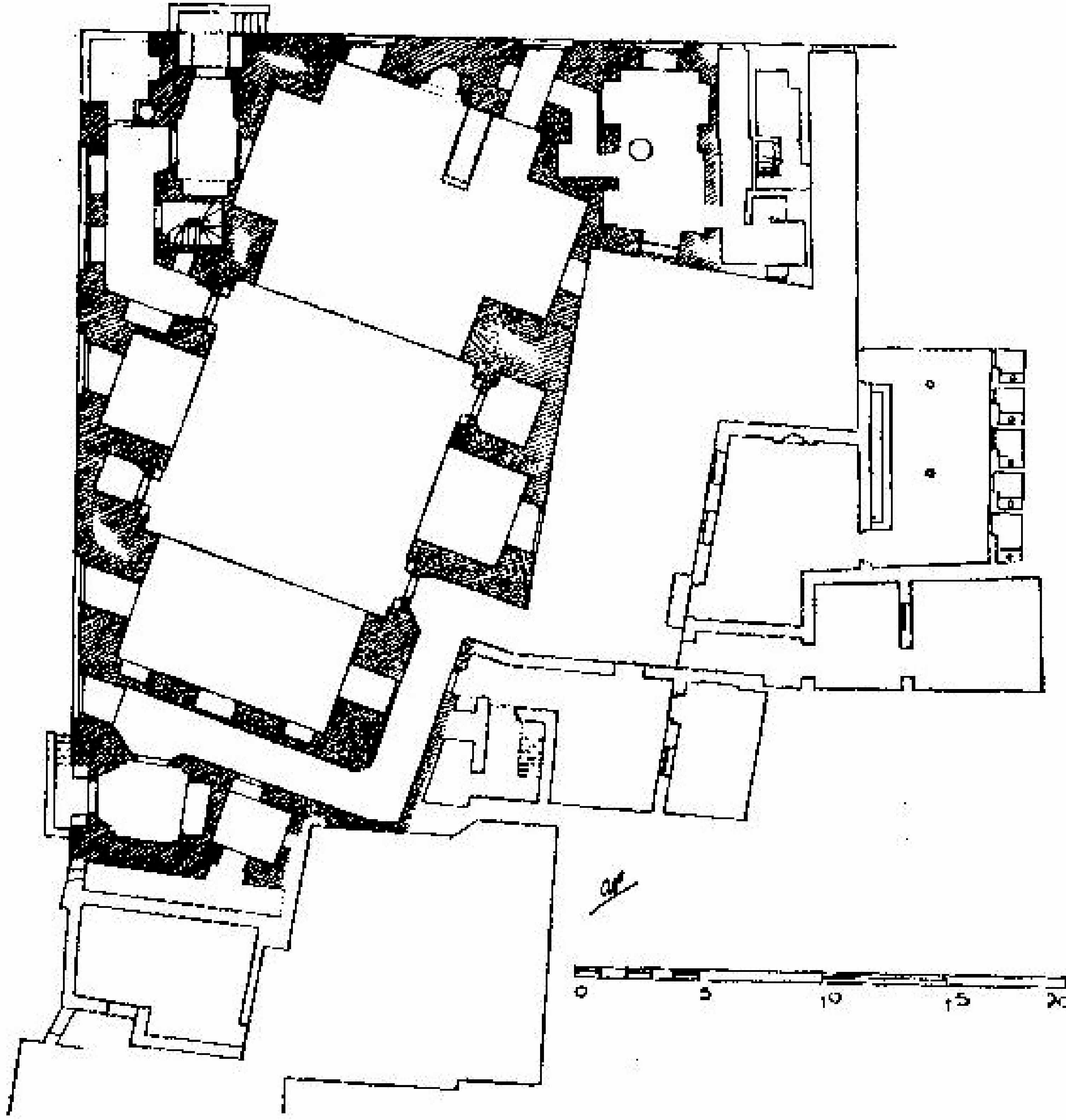
[1] فيما تقدم ٣ : ٧٢- ٧٣.

[2] القاضي زَيْن الدِّين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدِّمَشْقِي ، نشأ بدِمَشْق واتَّصَل بالأمير شَيْخ حين كان نائبًا بدِمَشْق ، وقَدِم معه إلى الدِّيار المصرية بعد مقتل النَّاصِر فَرَج سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م ، فولَّاه نَظَرَ الخزانة والكتابة ، وظَلَّ فيها مُدَّةً اشْتَرَى في أثنائها دار تَنْكِز (فيما تقدم ٣ : ١٧٩) فأصْلَحَها وكمَّلَها وجعَلَها سكنًا له ، وعَمَّر تجاهها مَدْرَسَته ، وتوفي عبد الباسط بن خليل سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م ودُفِنَ بتُرْبته بالصَّحْراء ، وهو أيضًا صاحِب القَيْسارية المعروفة به برأس الخَوَّاطين من القاهرة (فيما تقدم ٣ : ٣٠٣) .

راجع ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٥ : ٥٥٢- ٥٥٤، المنهل الصافي ٧ : ١٣٦- ١٤٣؛ السَّخاوي : الضوء اللامع ٤ : ٢٤- ٢٧؛ وهو أوَّل من تَسَمَّى بعبد الباسط!

ودارُ تَنْكِز التي اشْتراها القاضي عبد الباسط (فيما تقدم ٣ : ١٧٩) هي القصر الذي آل نحو منتصف القرن التاسع عشر إلى والي مصر عبَّاس باشا الأوَّل ، فأنشأه إنشاءً جديدًا وأطلق عليها «سراي الإلْهامية» على لَقَبِ ابنه إبراهيم إلْهامي ، واشتهرت كذلك باسم «دار الخُرُنْفش» ، إلى أن أنْعَم بها الخديو إسماعيل باشا على السَّيِّد علي البَكْري نقيب الأشْراف عندما أُخِذَت دارُه الموجودة بحارة الشيخ عبد الحق المتفرعة من شارع العَشْماوي ، وَقْت تنظيم =

ناظِر الجُيُوش، في سنة اثنتين وعشرين وثمان مائةٍ، ولم يُسَخِّر أحَدًا في عَمَلِه، بل وَفَّى لهم أجُورَهم. حتى كَمُلَ في أحْسَنِ هِنْدامٍ، وأكْيَسِ قالَبٍ، وأبْدَعِ زِيٍّ، تَرْتاحُ النَّفْسُ لرؤيته، وتبتهجُ عند مُشاهَدَتِه، فهو الجَامِعُ الزَّاهِر، والمعبدُ الباهي الباهِر[1].



مُخَطَّط الجامع الباسِطي (عن Meinecke)

= منطقة الأزبكية. وقد زالت هذه الدَّارُ في أواخر خمسينات القرن العشرين وحَلَّ عوضها مجموعة من المساكن. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣: ١٣٥-١٣٦ (٢٦)).

[1] الجامعُ الباسِطي (المَدْرَسَةُ الباسِطية). ما زال الجامع موجودًا في سِكَّة الخُرُنْفِش المتفرِّعة من شارع الخُرُنْفِش بحي الجمالية. وواضِحٌ من نَصّ لابن حَجَر العَسْقلاني أنَّ المَدْرَسَة أنْشِئَت قبْل التاريخ المذكور في نَصّ المَقْريزي (كما هو مُوَضَّح في النَّصّ الإنْشائي)، وأنَّ ما تَمَّ في سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م هو إحداثُ خُطْبَةٍ بالمَدْرَسَة، يقول النَّصُّ: «وفي جمادى الآخرة [سنة ٨٢٣هـ] أُحْدِثَت جُمُعَةٌ بالمَدْرَسَة التي أنشأها زَيْنُ الدِّين عبد الباسِط - ناظِر الخِزانَة - جوار مِنزله، وأذِنَ له السُّلْطان في إقامتها، فأُقيمت». (إنباء الغمر ٣: ٢٢٦).

ويُوجد بواجهة المَدْرَسَة - الجامع الشَّرْقية بإفْرِيز الواجهة العُلْوي كتابةٌ تاريخيةٌ نَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم - الآية ١٨ سورة التوبة - أنشأ هذه المَدْرَسَة المباركة بِمَّا أنْعَمَ الله تعالى على الفقير إلى رحمة رَبِّه القدير عبد الباسِط بن خليل الشَّافِعي ناظِر الكُسْوَة الشَّريفة والخزانة السُّلْطانية المُؤَيَّدِيَّة أبو النَّصْر=

ابْتُدِئَ فيه بإقامَة الجُمُعَة في يوم الجُمُعَة الثَّاني من صَفَر سنة ثلاثٍ وعشرين، ورُتِّبَ في خَطابَته فَتْحُ الدِّين أحمد بن محمد بن النَّقَّاش، أحدُ شُهُودِ الحَوانيت ومُوَقِّعي القُضَاة، ثم رُتِّبَ به صُوفِيَّة، ووَلِيَ مَشْيَخَة التَّصَوُّف عِزُّ الدِّين عبد السَّلام بن داود بن عُثْمان القُدْسي الشَّافعيّ أحَدُ نُوَّابِ الحُكْم، فكان ابْتِداءُ حُضُورهم بعد عَصْر يوم السبت أوَّل شهر رَجَب منها. وأجْرَى للفُقَراء الصُّوفية الخُبْزَ في كلِّ يومٍ، والمعلوم في كلِّ شهرٍ، و بَنَى لهم مَساكِنَ، وحَفَرَ صِهْريجًا يُملأ من ماءِ النِّيل، ويُسَبَّل في كلِّ يومٍ، فعَمَّ خَيْرُه، وكَثُرَ نَفْعُه[a].

. . .

ثم[1] تَجَدَّدَ في بُولاق «جَامِعُ ابن الجَابي» و«جَامِعُ ابن السُّنيتي»، وتَجَدَّدَ في مصر «جَامِعُ الحَسَنات» بخُطِّ دار النُّحاس، وفي حِكْر الصَّبَّان «الجَامِعُ المعروف بالمُسْتَجَدّ» وبـ«جَامِع الفَتْح»، وفي حارَة الفُقَراء «جَامِعُ عبد اللَّطِيف الطُّواشي الشَّافِعِي»[b].

وتَجَدَّدَ في خَارِج القاهِرَة بسُوَيْقَة صَفِيَّة «جَامِعُ ابن دِرْهَم ونِصْف»[2]،

---

a) بولاق: فعَمَّ نفعه، وكثر خيره. b) بولاق: الساقي.

= شَيْخ ـ خَلَّد الله ملكه ـ تَقَبَّلَها الله تعالى وجَعَلَها خالِصَةً لوجهه الكريم. وكان ابتداءُ عمارتها في شهر جُمادَى الأوَّل سنة ثلاث عشر وثمان مائة وآخرها في شهر جمادى الأوَّل سنة ثلاثة وعشرين وثمان مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 240؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢٠٣).

كذا جاءَ في النَّصّ الإنْشائي وفيه نَظَرٌ لأنَّ تاريخ البدء في العمارة لا يستقيم وتاريخ المُنْشِئ لأنَّ قُدومَه إلى مصر كان مع المُؤَيَّد شَيْخ بعد مَقْتَل النَّاصِر فَرَج سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م؟

(راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥:١٠٧ (٤٤)؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:١٢٩هـ[1]؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢٠٢-٢٠٦؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣:٤١١-٤٣٨).

[1] هذا الفَصْلُ الذي أوْجَزَ فيه المقريزي الحديثَ عن الجَوامع التي بُنِيَت بعد العَقْد الثاني من القرن التاسع الهجري والأماكن التي اسْتُجِدَّتْ بها خُطْبَة، كتبه المقريزي في أُخْرَيات حياته وبعد عَوْدَته من المُجاوَرَة بمكة بين سنتي ٨٣٤هـ/١٤٣٠م - ٨٣٩هـ/١٤٣٥م (فيما تقدم ١:٣٦*). ويبدو أنّه كان في شكل طَيَّارَة أو إلْحاقٍ بنُسْخته، فهو يحمل تواريخ متأخِّرَةً آخرها رابع ذي الحجة سنة ٨٤٣هـ/ ٥ مايو سنة ١٤٤٠م، أي قبل وفاته بعامين، (وانظر فيما تقدم ٢٥٤:١٨).

[2] ذكر ابنُ إياس هذا الجَامع باسم مَدْرَسَة السِّتّ =

(a وبخطّ سُوَيْقَة القَيْمَري «جَامعُ مَنْكَلي بُغَا»[١] أستادّار الخَليلي وأستادّار السُّلْطان a)؛ وفي خُطّ مَعَدِّيَة فُرَيْج[٢] «جَامِع كُزَل بُغا»[٣]، وفي رأس دَرْبِ النّيدي

a-a) ساقطة من بولاق .

= خديجة ابنة الدّرْهم ونصف التي بالقرب من جامع التُّركماني عند طاحُون الشّذر (فيما تقدم ٢٥٥)، وأضافَ ابنُ إياس أنَّ أصْلَ هذه المَدْرَسَة قاعَة إنْشاء ابن الدّرْهَم ونصف، ثم بَدَا لابنته خديجة أن تجعلها مَدْرَسَةً، فأنشأت بها المِحْراب وجَعلَت بها مِئْذَنَةً وجَعلَت بها خَلاوي للصُّوفية وجَعلَت بها مِنْبرًا، ثم إنّها أوْقفَت عليها جميع جهاتها المخَلّفة عن والدها، فجاءَت من مَحاسِن الزّمان. (بدائع الزهور ٥:٣٣٦). ووَرَدَ هذا الجامع على خريطة القاهرة التي رسمها عُلَماءُ الحملة الفرنسية باسم «جامع دِرْهَم ونصف» بناحية باب البَحْر [E 11 - 221] .

ويُرجّح علي مبارك أنَّ مَدْرَسَة السّتّ خديجة هي الجامع الذي عُرِفَ بجامع الشيخ شهاب الدِّين على يَمْنَة من سَلَكَ في سوق الزّلَط إلى جامع الزّاهِد. (الخطط التوفيقية ٢٦٨:٣ ((٧٤)).

[١] لم أقف على تحديدٍ لهذا الجامع.

[٢] مَعَدِّيَة فُرَيْج. كانت تقع في الخليج المصري بين قَنْطَرَة باب الخَلْق وقَنْطَرَة آق سُنْقُر (فيما تقدم ٤٩٢:٣–٤٩٣، وفيما يلي ٨١٠). وحَلَّ محلَّ هذه المَعَدِّيَة سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م «القَنْطَرَةُ الجديدة» التي بناها الأمير عبد الرحمن كَتْخُدا القازْدُغْلي لتُوَصِّل إلى سكنه بحارة عابدين (المعروفة الآن ببِركَة رَحْبَة عابدين)، للمرور عليها بين داره وبين المدينة (الجبرتي: عجائب الآثار ٩:٢). ووَرَدَت بهذا الاسم على خريطة القاهرة التي رسمها عُلماءُ الحملة الفرنسية [O-9, 28]. وهي القَنْطَرَة نفسها التي عُرِفَت في أثناء القرن التاسع عشر بـ «قَنْطَرَة الذي كَفَر». وقد أُطْلِقَت مَصْلَحَةُ التّنْظيم اسم «سِكَّةُ قَنْطَرَة الذي كَفَر» على الطّريق التي كانت تُوَصِّل بين هذه القَنْطَرَة وبين شارع دَرْب الجماميز تجاه سِكَّة رَحْبَة عابدين. واختَفَت معالمُ هذه القَنْطَرَة وكذلك سِكَّة قَنْطَرَة الذي كَفَرَ وما على جانبيها من المباني مع رَدْم الخليج المصري سنة ١٨٩٩م وتوسيع شارع الخليج المصري (شارع بورسعيد الآن).

وأمّا سَبَبُ تسمية هذه القَنْطَرَة بهذا الاسم فقد أرجعه محمد بك رمزي - كما رواه له بعض كبار السّن المقيمين بالمنطقة - إلى أنَّ رجلًا ظَلَّ في خِدْمَة أحد البكوات الجراكسة نحو ثلاثين عامًا وفي أحد الأيام - وكان ذلك في عَهْد الوالي عبّاس الأوّل - غضب هذا البيك على خادمه من جرّاء تهمة لَفَّقتها عليه سيدته فطرده في الحال، فَخَرَجَ الرجل حزينًا إلى الحدّ الذي أُصيب معه بذهول أفقده عقله، وعاش أكثر من عشر سنوات بجوار هذه القَنْطَرَة يَسُبُّ كلَّ شيءٍ ويَتَلَفَّظ بعبارات تنطوي على الكُفْر بالله، فاشْتَهر بين النّاس بكُفْره وعُرِفَت القَنْطَرَة باسم «قَنْطَرَة اللي كَفَر». واستَبْعَدَ رمزي بك ما يذهب إليه بعض الباحثين من نسبتها إلى القائد الفرنسي Cafarelli وتحريف العامّة لاسمه. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧٧:١١–٧٨هـ[١])؛ وانظر تعليق تيمور باشا وآخرين على خطط علي مبارك: الخطط التوفيقية ٨٤:٣–٨٨).

[٣] جامع كُزَل بُغَا. تَرْجَم السّخاوي لكُزَل بُغَا صاحِب هذا الجامع فقال: «وخَدَمَ عند فَيْروز السّاقي ثم تَوَجَّه للعِبادَة والتّلاوَة وبَنَى جامعًا على الخَليج الحاكمي بالقرب من شَقّ الثّعبان وقَنْطَرَة سُنْقُر وانْقَطَعَ به. مات في أيّام الظّاهِر جَقْمَق (٨٤٢–٨٥٧هـ)». (الضوء اللامع ٢٢٧:٦).

وهذا الجامع حَلَّ محلّه الجامع المعروف الآن باسم مَسْجِد كريم الدِّين الخَلْوَتي (مسجل بالآثار برقم ٤١٤) الواقع في شارع البَرْموني المتفرّع من شارع بورسعيد جنوب شارع الشيخ رَيحان. ودَلَّ على ذلك ما ذكره الرّحّالة عبد الغني النّابُلُسي حيث زار «جامع الخَلْوَتية» وذكر من بين =

«جَامِع حارِس الطَّيْر»[a] [١]، وفي سُوَيْقَة عُصْفُور «جَامِعُ القاضي أمين الدِّين» بجانِب زَاوِيَة الفَقيه المعتقد أبي عبد الله محمد الفارْقاني بُني في سنة اثنتين وثلاثين وثمان مائة، وبخُطِّ البَرَاذِعِيِّين ورأس حارَة الحَمْزِيِّين[b] «جَامِعُ الحاج محمد» ـ المعروف بالمِسْكين مِهْتار ـ ناظِر الخاصّ.

وتَجَدَّدَ في المَرَاغَة «جَامِعُ الشَّيْخ أبي بكر المُعَرِّف»، بَنَاه الحَاج أحمد القَمَّاح. وأُقيمَت خُطْبَةٌ بـ«خَانْكاه الأمير جَانِبك الأَشْرَفي» خارِج بابِ زَوِيلَة [٢]، وتوفي يوم الخميس سابع عشرين رَبيع الأوَّل سنة إحدى وثلاثين وثمان مائةٍ [٣]. وبخُطِّ بابِ اللُّوق «جَامِعُ مُقَدَّم السَّقَّائين» قَرِيبًا من جَامِع السِّت نُصَيْرَة، وبخُطِّ تَحْت الرَّبْع خارِج بابِ زَوِيْلَة جَامِعٌ [٤].

---

a) في جميع النسخ: حارس طير! b) بولاق: الحرمين.

= المدفونين فيه الشيخ كريم الدِّين والملقَّب بكوز البُغَا ...». (الحقيقة والمجاز ٢٤٦).

وقد تَجَدَّدَ هذا الجامع في سنة ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، ولم يَبْق من الجامع القديم الذي أنشأه كُزَل بُغَا إلَّا الجزء الأسفل من المنارة حتى الدُّوْرَة الأولى. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤:٢٢٦ (..)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١:٣٤٢-٣٤٣؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٥:١٤١-١٤٥).

[١] جامِعُ حارِس الطَّيْر: أنشأه الأمير سَيْفُ الدِّين أَسَنْبُغَا حارِس الطُّيْر، كان يقع بدَرْب الجماميز بجوار زاوية الكردي، وذكر علي باشا مبارك أنَّ له مَنارَة وبجواره ثلاث حوانيت موقوفة عليه وشعائره مقامة. (الخطط التوفيقية ٣:٩٢ (١٠)، ٤:١٦٧ (٧٩). وقد زال الآن هذا الجامع.

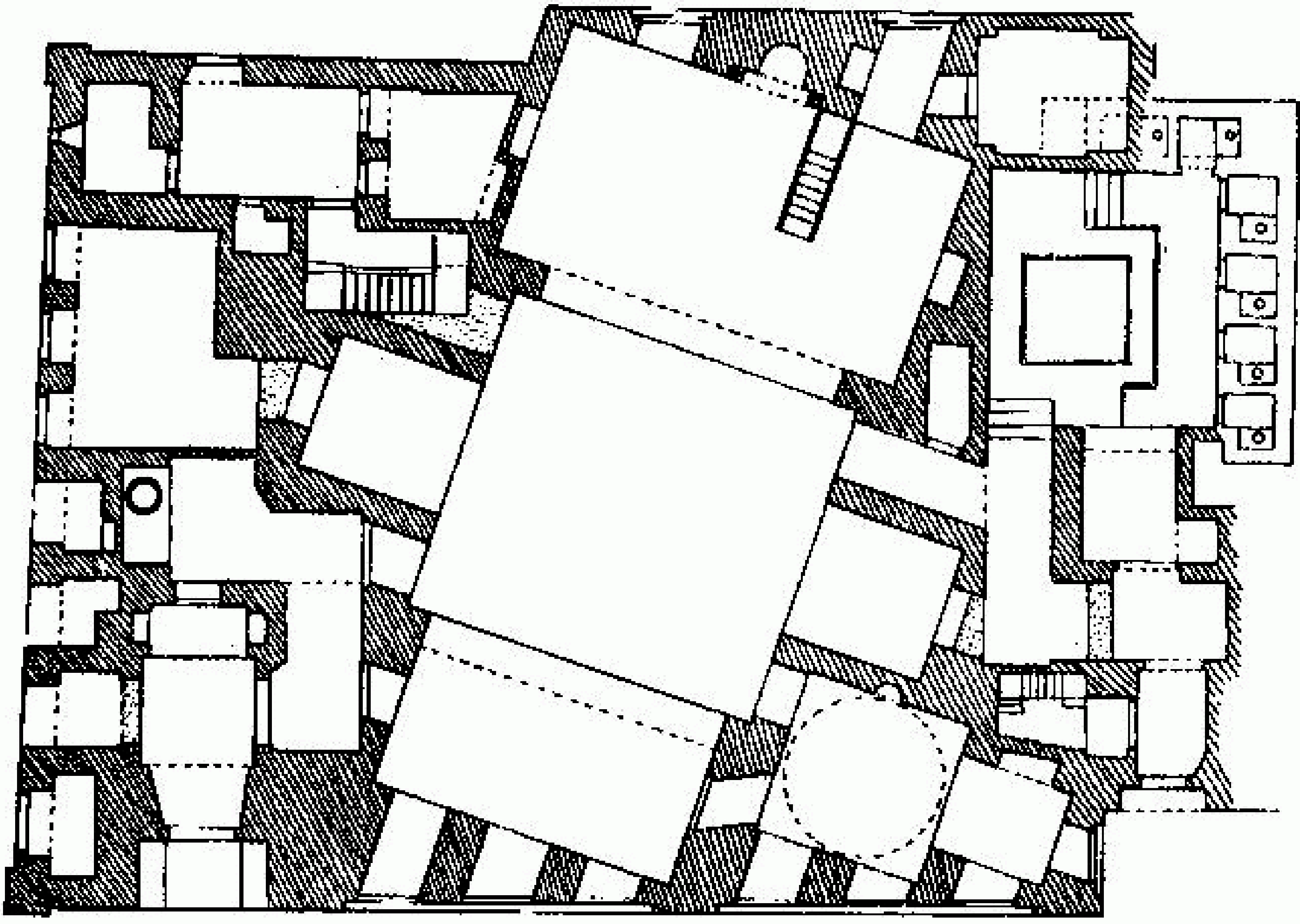
[٢] جامع (خانقاه) جانِبك الأَشْرَفي بخُطِّ القِرَبيين خارج باب زَوِيلَة. يقع الآن بشارع المِغَرْبلين على يسار الذَّاهب من باب زويلة إلى السُّروجية وشارع محمد علي (مسجل بالآثار برقم ١١٩) ويعرف باسم «جامِع الجَنَبْكية»، أنشأه الأميرُ سَيْفُ الدِّين جانِبك الأَشْرَفي سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م كما هو مثبت على شريط بالخط النَّسْخ المملوكي، نصّه:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآية ٣٠ سورة فُصِّلَت ـ أَمَرَ بإنْشاء هذا الجامع المبارك المَقِرّ الأَشْرَف السَّيْفي جاني بك الدُّوادار الملكي الأَشْرَفي عزّ نصره بتاريخ شهر رَجَب سنة ثلاثين وثمان مائة». (van Berchem, M., *CIA*, Égypte I, n° 248).

(راجع، المقريزي: السلوك ٤:٧٤٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤:٣٠٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤:١٥٣ (٧٢)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢١٨-٢٢٠؛ محمد عبد الرحمن فهمي: أعمال جاني بك المعمارية ـ دراسة أثرية، رسالة ماجستير ـ كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٨٨؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمرة الإسلامية ٣:٤٨٥-٥٠٦).

[٣] الأميرُ سَيْفُ الدِّين جانِبك الأَشْرَفي الدَّوادار، أحد مماليك السُّلْطان الأَشْرَف بَرْسباي، توفي مقتولًا سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م، ودُفِنَ أوَّلًا بمدرسته ثم نُقِلَ إلى تُرْبَة السُّلْطان الموجودة بشارع قُبَّة الأَشْرَف بقرافة المماليك الشَّرْقية (مسجلة بالآثار برقم ١٢٢). (راجع، المقريزي: درر العقود الفريدة ١:٥٧١-٥٧٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣:٤٠٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠:١٤٨، المنهل الصافي ٤:٢٣٢-٢٣٥؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٣:١٣٨؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣:٥٤-٥٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٢:١١٨).

[٤] ربما كان الجامع الذي ذكره المقريزي (فيما يلي ٧١١) باسم مسجد رشيد الدِّين البهائي، والذي جَدَّدته السَّيِّدَة فاطمة شُقْرا سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م والمسجل بالآثار برقم ١٩٥.



مُخَطَّط جامع الأمير جاني بك (عن اللجنة)

وتَجَدَّدَ بالصَّحْراءِ، قَرِيبًا من تُرْبَةِ الظَّاهِرِ بَرْقُوق، خُطْبَةٌ في «تُرْبَةِ السُّلْطان الملك الأَشْرَف بَرْسْباي الدُّقْماقي»[1].

وتَجَدَّد في آخِرِ سُوَيْقَة أمير الجُيُوش بالقاهِرَة جامِعٌ أنشأه الفَقيرُ المُعْتَقِد محمد الغَمْري، وأُقيمَت به الجُمُعَةُ في يوم الجُمُعَة رابع ذي الحجّة سنة ثلاثٍ وأربعين وثمان مائةٍ قبل أن يَكْمُل[2]. وتَجَدَّدَ

---

[1] تقع تُرْبَة السُّلْطان الملك الأشْرَف بَرْسباي بالقُرْب من خانْقاه فَرَج بن بَرْقُوق (فيما يلي ٧٥١) بشارع قُبّة الأشْرَف في القَرافَة الشرقية المعروفة بصَحْراء قايتباي شرق طريق صلاح سالم ومسجلة بالآثار برقم ١٢١. وهي في الأصْل خانْقاه للصُّوفية وحوش كبير دُفِنَ به الأشْرَف برسباي وأقاربه وبعض العُلَماء، وفُرِغَ من بنائها سنة ٨٣٥هـ/١٤٣٢م كما هو مثبت على جانبي المَدْخل الرَّئيس حيث يوجد النَّصّ التالي:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم. أنشأ هذه الخانْقاه المقامُ الشَّريف مولانا السُّلْطان الملك الأَشْرَف سُلْطان الإسلام والمسلمين أبو النَّصْر بَرْسباي عَزَّ نَصْرُه. وكان الفَراغُ من ذلك في شهر ذي الحجة سنة خمسٍ وثلاثين وثمان مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 250).

وراجع، أحمد دراج: حجة وَقْف الأشرف برسباي ٤٥-٤٨، ١٥٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ١٨٨، ١٨٩؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٢٢٥-٢٢٨؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٥٨٩-٦١٦.

[2] جامِعُ الغَمْري. كان يقع بطَرَفِ سُوق أمير الجُيُوش بالقرب من خُوخَة المغازلي، قال السَّخاوي: «كانت الخِطَّةُ مفتقرة إليه» (الضوء اللامع ٨: ٢٣٩)، بينما ذكر شيخُه ابن حجر في ترجمة الغَمْري أنّه «عَمَّرَ في وَسَط سُوق أمير الجُيُوش جامِعًا، فعابَ عليه أهلُ العِلْم ذلك، وأنّه كان مِمَّن راسله بتَرْك إقامة الجُمُعَة فيه فلم يَقْبَل، واعتذر بأنَّ الفُقَراء طلبوا منه ذلك، وعَجَّل بالصَّلاة فيه بمجرّد فراغ الجهة القِبْلِيّة، =

في زاوية الشَّيخ أبي العَبَّاس البَصير ، التي عند قَنْطرة الخَرْق ، خُطْبَةٌ . وتَجَدَّدَ بحَدْرَةِ[a] الكَماجِيين من أراضي اللُّوق ، خُطْبَةٌ بزاويةٍ مُطِلَّةٍ على غيط العِدَّة .

وتَجَدَّدَ بالصَّحْراءِ خُطْبَةٌ في «تُرْبَةِ الأمير شِبْل الدَّوْلَة[b] كافُور الزِّمام»[1] ، وتوفي في خامس عشر رَبيعٍ الآخر سنة ثلاثين وثمان مائةٍ[2] . وتَجَدَّد بخُطِّ الكافُوري خُطْبَةٌ أَحْدَثَها بنو وَفاء في جَامِعٍ لَطيفٍ جدًّا[3] . وتَجَدَّد بـ«مَدْرَسَةِ ابن البَقْرِي» ، من القاهِرَة أيضًا[4] ، خُطْبَةٌ في أيَّامِ المُؤَيَّد شَيْخ .

---

a) بولاق : في حدرة . b) بولاق : مشير الدولة .

- واتَّفق أنَّ شَخْصًا من أهل السُّوق المذكور ، يقال له بُلْبُل ، تَبَرَّع من مالِه لعمارة المِئْذَنة ، ومات الشيخُ [سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٦م] وغالب عمارة الجامع لم تكمُل» (إنباء الغمر ٤:٢٤٣) . وقد تَمَّم بناء هذا الجامع ابنه الشيخ أبو العبَّاس أحمد بن محمد بن عمر في سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م ، كما يؤخذ من بعض النقوش التي كانت بالجامع (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥:١٤٤ (٦١)) ، ودفن به بعد وفاته سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م (ابن إياس : بدائع الزهور ٣:٤٢٥ الذي ذكر أنَّ الجامع بالقرب من باب القَوْس ، يعني قوس باب القَنْطَرة) .

وكان هذا الجامع موجودًا في شارع أمير الجُيُوش الجُوَّاني (مَرْجُوش) على يمين الذَّاهب إلى مَيْدان باب الشَّعْرية عند تقاطعه مع الدَّرْب المعروف بدَرْب الغَمْري . وذكر علي مبارك أنَّه «يشتمل على إيوانين وثلاثين عمودًا وله منارة ومنافع تامَّة» . (الخطط التوفيقية ٣:١٢٧-١٢٨ (٢٣) ، ٥:١٤٢(٦٠)) .

وقد تَخَرَّب هذا الجامع وهُدِم في النِّصْف الأوَّل من القرن العشرين ونُقِلَ مِنبره وكرسي المُصْحَف الذي كان موجودًا به إلى خانقاه الأشْرَف بَرْسباي بقرافَة المماليك . (حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١:٢٢٧) .

[1] تُرْبَةُ كافُور الزِّمام . قال أبو المحاسن في ترجمته : «أنشأ تُرْبَةً بالصَّحْراء معروفةً به وغَرِمَ عليها أموالًا كثيرة ، وجَعَلَ فيها خُطْبَةً ، وقَرَّرَ فيها صوفيةً ، ووَقَفَ عليها عِدَّة أوْقاف ، وكان يحبها حُبًّا عظيمًا ويغضب ممَّن يسمّيها تُربة . وكان لا يزال يُزَخْرِفها ويُجَدِّد ما تَلِفَ من الزَّخْرَفَة» . (المنهل الصافي ٩:١١٢-١١٣) .

[2] الأميرُ شِبْلُ الدَّوْلَة كافُور الصَّرْغَتْمُشي الطَّواشي الرُّومي الزِّمام ، من عُتَقاء الأمير مَنْكَلي بُغَا الشَّمْسي الذي ملكه بعد مقتل الأمير صَرْغَتْمُش الأشْرَفي سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م ، وتوفي كافُور الزِّمام سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م وقد قارب الثمانين سنة . (راجع ، المقريزي : السلوك ٤:٧٦٠-٧٦١؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٣:٣٩٥؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٥:١٤٣؛ المنهل الصافي ٩:١١٢-١١٣؛ الصيرفي : نزهة النفوس ٣:١٦٦؛ السخاوي : الضوء اللامع ٦:٢٢٦) .

[3] ذكر ابنُ حَجَر عند حديثه على مَدْرَسَة عبد الباسِط الدِّمَشْقي ، أنَّ بجوارها بنحو سبعة أبيات مكانٌ تقامُ فيه الجمعة عند ابن وَفا . (إنباء الغمر ٣:٢٢٦) . وقد ظَلَّ هذا المكان موجودًا باسم زاوية علي وفَا على ناصية عطفة الرِّباط المتفرِّعة من شارع الشَّعْراني الجُوَّاني ، إلى أن أزيلت في الربع الأخير للقرن العشرين وتَجَدَّد مكانها منزلٌ حديثٌ يحمل رقم ٦ بشارع الشَّعْراني الجوَّاني .

[4] المَدْرَسَةُ البَقْرية كانت في الزُّقاق الذي تجاه الجامع الحاكمي المجاوِر للمِنْبَر ، ويُتَوَصَّل من هذا الزُّقاق إلى ناحية العُطُوف . (فيما يلي ٥٦٦) .

وتَجَدَّدَ بحارَةِ الدَّيْلَم خُطْبَةٌ في «مَدْرَسَةٍ» أنشأها الطَّواشي شِبْل الدَّوْلَة[a] المذكور[1]. وتَجَدَّدَ عند قَنْطَرَةِ قَدادار خُطْبَةٌ أنشأها شاكِرُ البَنَّاء، وخُطْبَةٌ بالقُرْبِ منها في جَامِعٍ أنشأه الحاجُ إبراهيم البَرْدَدار الشهير بالحُمُّصاني، أَحَدُ الفُقَرَاءِ الأَحْمَدية السُّطوحية، في حُدُودِ الثلاثين وثمان مائةٍ.

a) بولاق: مشير الدولة.

[1] وتُعْرَف بـ«مَدْرَسَة كافُور الزِّمام». مازالت موجودة بحارَة خُوش قَدَم المتفرّعة من شارع المعزّ لدين الله بالغُورِيَّة ومسجلة بالآثار برقم ١٠٧. ويوجد بالمدرسة ثلاثُ كتابات تاريخية تُحَدِّدُ تاريخ بنائها، الأوّل على جانبي المَدْخَل، والثاني شريطٌ بدائر أعلى حائط الصَّحْن، وشريطٌ ثالث بأعلى الواجهة الخارجية؛ ويحمل الشَّريط الأخير، وهو بالنَّسْخ المملوكي بحروف كبيرة، النَّصّ التالي:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. - الآية ٣٧ سورة النور - أَمَرَ بإنشاء هذا الجامع والسَّبيل المبارك المُقِرُّ الكريم المَوْلوي الأميري الكبيري المحْتَرَمي المَخْدومي المجاهدي المرابطي المثاغِري المُؤَيَّدي الشِّبْلي شِبْل الدَّوْلَة كافُور زمام الآدُرّ الشَّريفة وشَيْخ شيوخ السَّادَة الخُدَّام بالحَرَم الشَّريف النَّبَوي على ساكنه أفضل الصَّلاة والسَّلام والرَّحْمَة. وكان الفَراغُ من عمارة هذا المكان المبارك في شهر رَجَب الفَرْد سنة تسع وعشرين وثمان مائة من الهجرة النبوية أَحْسَنَ الله عاقبتها آمين يارَبّ العالمين، وصَلَّى الله على سَيِّدنا محمد وآله».

ورغم أنَّ النَّصّ الإنْشائي يصف المبنى بالجامع، إلَّا أنَّ تخطيطه جاء على أساس تَخْطيط المدارس، أي تَخْطيط مُتعامد يشتمل على صَحْنٍ يَفْتَح عليه أربعُ إيوانات، كما أنَّ وَصْف المقريزي وأبي المحاسن وغيرهما له واضحٌ بأنَّه مَدْرَسَة.

وهذا الجامع - المَدْرسة غير مَدْرَسَة حارَة الدَّيْلَم التي ذكرها المقريزي في المُبَيَّضَة ولم يُتَرْجِم لها. (فيما يلي ٥٠٥)، والتي ظَنَّ علي باشا مبارك وجاستون فييت أنَّها هي مَدْرَسَة كافور الزِّمام.

راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ٢٣٤-٢٣٥ (١١٣) تحت عنوان جامع الدَّيْلَم؛ Wiet, G., «La Mosquée de Kâfûr au Caire» in *Studies in Islamic Art and Architecture in Honour of Proffessor K.A.C. Creswell*, Cairo - AUC 1965, pp. 260-69؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٣٣٣-٣٤٦).

ذِكْرُ مَذاهِبِ أهْلِ مِصْرَ ونِحَلِهم مُنذ افْتَتَحَ عَمْرُو بنُ العاص ـ رضي الله عنه ـ أرضَ مِصْرَ إلى أن صارُوا إلى اعْتِقادِ مَذاهِبِ الأئمَّةِ الأرْبَعَة[a] رحمهم الله تعالى وما كانَ من الأحْداثِ في ذلك

اعْلَمْ أنَّ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ لمَّا بَعَثَ «نبيَّنا محمَّدًا» ﷺ رَسُولًا إلى كافَّةِ النَّاسِ جَميعًا ـ عَرَبِهم وعَجَمِهم ـ وهم كلُّهم أهْلُ شِرْكٍ وعبادَة لغَيْرِ الله تعالى إلَّا بقايا من أهْلِ الكِتاب، كان من أَمْرِه ﷺ مع قُرَيْش ما كان حتى هاجَرَ من مَكَّة إلى المَدينَة. فكانتِ الصَّحابَةُ ـ رِضْوانُ الله عليهم ـ حَوْلَه ﷺ يَجْتَمِعون إليه في كلِّ وَقْتٍ مع ما كانوا فيه من ضَنْكِ المعيشة وقِلَّةِ القُوت. فمنهم من كان يَحْتَرِفُ في الأسْواق، ومنهم من كان يَقُومُ على نَخْلِه، ويَحْضُر رَسُولَ الله ﷺ في كُلِّ وَقْتٍ منهم طائِفَةٌ عندما يَجد أدْنَى فَراغٍ مِمَّا هم بسَبيلِه من طَلَبِ القُوتِ. فإذا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عن مسألَةٍ أو حَكَمَ بحُكْمٍ، أو أَمَرَ بشيءٍ، أو فَعلَ شيئًا، وَعاهُ مَنْ حَضَرَ عنده من الصَّحابَة، وفاتَ من غابَ عنه عِلْمُ ذلك، ألَا ترى أنَّ عُمَر بنِ الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ قد خَفِيَ عليه / ما عَمِلَه جمل بن مالِك بن النَّابِغَةِ ـ رَجُلٌ من الأعْراب من هُذَيْل ـ في دِيَةِ الجَنين، وخَفِيَ عليه؟ ٢

وكان يُفْتي في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ من الصَّحابة: أبو بَكْر وعُمَرُ وعُثْمانُ وعليٌّ وعبدُ الرَّحْمَن ابن عَوْف ومُعاذُ بن جَبَل وعَمَّارُ بن يَاسِر وحُذَيْفَةُ بن اليَمان وزَيْدُ بن ثابِت وأبو الدَّرْداء وأبو مُوسَىٰ الأَشْعَري وسَلْمانُ الفارِسي، رضي الله عنهم.

فلمَّا ماتَ رَسُولُ الله ﷺ، واسْتُخْلِفَ «أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ» ـ رضي الله عنه ـ تَفَرَّقَتِ الصَّحابَةُ ـ رضي الله عنهم ـ: فمنهم من خَرَجَ لِقِتالِ مُسَيْلِمَة وأهْلِ الرِّدَّة، ومنهم من خَرَجَ لجِهادِ[b] أهْلِ الشَّام، ومنهم من خَرَجَ لِقِتالِ أهْلِ العِراق، وبَقِي من الصَّحابَةِ بالمَدينَة مع أبي بَكْر ـ رضي الله عنه ـ عِدَّةٌ. فكانتِ القَضِيَّةُ إذا نَزَلَت بأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ قَضَى فيها بما عنده من العِلْم بكِتابِ الله أو سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، فإن لم يكن عنده فيها عِلْمٌ من كِتابِ الله ولا

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: لقتال.

من سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ ، سأل مَنْ بحَضْرَتِه من الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ عن ذلك ، فإن وَجدَ عندهم عِلْمًا من ذلك رَجَعَ إليه وإلَّا اجْتَهَدَ في الحُكْمِ .

ولمَّا ماتَ أبو بكر وَوَلِيَ أَمْرَ الأُمَّة من بعده « عُمَـرُ بنُ الخَطَّابِ » ـ رضي الله عنه ـ فُتِحَت الأَمْصَارُ وزادَ تَفَرُّقُ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ فيما افْتَتَحُوه من الأَقْطَار . فكانتِ الحُكومَةُ تنزل بالمَدينَة أو غيرها من البِلاد ، فإن كان عند الصَّحابَةِ الحاضِرين لها في ذلك أَثَرٌ عن رَسُولِ الله ﷺ حُكِمَ به ، وإلَّا اجْتَهَدَ أميرُ تلك المَدينَة[a] في ذلك . وقد يكون في تلك القَضِيَّة حُكْمٌ عن النَّبِيِّ ﷺ ، مَوْجُودٌ عند صاحِبٍ آخَرَ [b]في بَلَدٍ آخَر[b] .

وقد حَضَر المَدَنيُّ ما لم يَحْضُر المِصْريُّ ، وحَضَر المِصْريُّ ما لم يَحْضُر الشَّامِيُّ ، وحَضَرَ الشَّامِيُّ ما لم يَحْضُر البَصْريُّ ، وحَضَرَ البَصْريُّ ما لم يَحْضُر الكُوفيُّ ، وحَضَرَ الكُوفيُّ ما لم يَحْضُر المَدَنيُّ ؛ كلُّ هذا موجودٌ في الآثار ، وفيما عُلِمَ من مَغيبِ بعضِ الصَّحابَة عن مَجْلِسِ النَّبيِّ ﷺ في بعضِ الأَوْقات وحُضُورِ غَيْرِه ، ثم مَغيبِ الذي حَضَرَ أمس وحُضُور الذي غابَ ، فيَدْري كلُّ واحِدٍ منهم ما حَضَرَ ، ويَفُوتُه ما غابَ عنه . فمَضَى « الصَّـحابَةُ » ـ رضي الله عنهـم ـ على ما ذَكَرْنا ، ثم خَلَفَ بعدهم التَّابعون الآخِذون عنهم .

وكلُّ طَبَقَةٍ من « التَّـابِعِين » في البلاد التي تَقَدَّم ذِكْرُها ، فإنَّما تَفَقَّهوا مع مَنْ كان عندهم من الصَّحابَةِ ، فكانوا لا يَتَعَدَّون فَتاويهم إلَّا اليَسير مِمَّا بَلَغهم عن غَيْرِ مَنْ كان في بِلادِهم من الصَّحابَةِ ـ رضي الله عنهم ـ : كاتِّباعِ أَهْلِ المَدينَة ـ في الأكثر ـ فَتاوَىٰ عبد الله بن عُمَر ـ رضي الله عنهما ـ واتِّباعِ أَهْلِ الكُوفَة ـ في الأكثر ـ فَتاوَىٰ عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ واتِّباعِ أَهْلِ مَكَّة في الأكثر فَتاوَىٰ عبد الله بن عَبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ واتِّباع أَهْلِ مصر ـ في الأكثر ـ فَتاوَى عبد الله بن عَمْرو بن العَاص ـ رضي الله عنهما .

ثم أَتَى من بَعْدِ التَّابِعين ـ رضي الله عنهم ـ « فُقَهاءُ الأَمْصَار » ـ كأبي حَنيفَة ، وسُفْيان ، وابن أبي لَيْلَى بالكُوفَة ، وابن جُرَيج بمَكَّة ، ومالِك وابن الماجِشُون بالمَدينَة ، وعُثْمان البَتِّي وسُوار بالبَصْرة ، والأَوْزاعي بالشَّام ، واللَّيْثُ بنُ سَعْد بمصر ـ فَجَروا على تِلك الطَّريق من أَخْذِ كلِّ واحِدٍ منهم عن التَّابِعين من أَهْلِ بَلَدِه فيما كان عندهم ، واجْتِهادِهم

---

a) بولاق : البلدة . b-b) ساقطة من بولاق .

فيما لم يَجِدُوا عندهم وهو مَوْجُودٌ عند غيرهم[١].

مَذاهِبُ أهلِ مِصْر وأمَّا مَذاهِبُ أهْلِ مصر، فقال أبو سَعيد بن يُونُس: إنَّ عُبَيْدَ بن مِخْمَر المَعافِري[a] ـ يكنى أبا أُمَيَّة: رَجُلٌ من أصْحابِ النَّبِيّ ﷺ، شَهِد فَتْحَ مصر و[b]رَوَى عنه أبو قَبِيل ـ يُقالُ إنَّه كان أوَّلَ من أقْرَأ القُرْآنَ بمصر[٢].

وذَكَرَ أبو عُمَر الكِنْدِي، أنَّ أبا مَيْسَرَة عبد الرَّحمن بن مَيْسَرَة، مَوْلَى المُلامِس الحَضْرَمِي، كان فَقيهًا عَفيفًا شَريفًا، وُلِدَ سنة عشرٍ ومائةٍ، وكان أوَّلَ النَّاسِ إقْراءً بمصر بحَرْفِ نافِعٍ قبل الخمسين ومائة، وتوفِّي سنة ثمانٍ وثمانين ومائةٍ[٣].

وذُكِرَ عن أبي قَبِيل وغيره أنَّ يَزيدَ بن أبي حَبيب أوَّل من نَشَرَ العِلْمَ بمصر في الحَلالِ والحَرام ـ وفي رواية ابن يُونُس: ومَسائلِ الفِقْه ـ وكانوا قَبْلَ ذلك إنَّما يَتَحَدَّثون في الفِتَن والتَّرْغيب[٤].

---

a) بولاق: المغافري. b) الواو ساقطة من بولاق.

---

[١] سأشير هنا فقط إلى فقيه مصر أبي الحارث اللَّيْث ابن سَعْد بن عبد الرحمن الفَهْمي المصري، مولى عبد الرحمن ابن خالد بن مُسافِر، المتوفى سنة ١٧٥هـ/٧٩١م، الذي قال فيه الشَّافِعِيّ: «اللَّيْثُ أفْقَه من مالِك، إلَّا أنَّ أصْحابَه لم يقوموا به». راجع عنه، ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٤١٨- ٤٢٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧:٥١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤:١٢٧- ١٣٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨:١٢٢- ١٤٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٤:٤١٢- ٤١٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨:٤٥٩- ٤٦٥؛ Merad, A., *EI*² art. *al-Layth b Sa*ʿ*d* III, pp. 716-17؛ وفيما يلي ٢: ٤٦٣.

[٢] ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٣٣٢.

[٣] في كتاب «المـوالي» (فيما يلي ٣٧١)، وانظر ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٣١٦.

[٤] أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب الأزدي مؤلاهم المصري، كان مُفْتي أهْل مصر في أيَّامه، وهو أوَّل من أظهر العلم بمصر والكلام في الحلال والحرام، توفي سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م. (راجع، ابن يونس: تاريخ (تاريخ المصريين) ٥٠٩- ٥١٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦:٣١- ٣٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١:٣١٨)؛ السيوطي: حسن المحاضرة ١:٢٩٩).

أقول: كان اللَّيْثُ بن سَعْد وعبد الله بن لَهيعَة بن عُقْبَة المصري، المتوفى سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م، هما الحُجَّة والمرجعية الفقهية للمصريين. وقد وَصَلَت إلينا «صَحيفة» عبد الله بن لَهيعَة مكتوبةً على البَرْدي، ويتناول الجزء المحفوظ منها الأحاديث الخاصَّة بيوم القيامة. (راجع، Becker, C.H., *Papyrie Schott-Reinhardt*, Heidelberg 1906, I, p. 9; Sezgin, F., *GAS* I, p. 94; Khoury, R. G., «L'importance d'Ibn Lahiʿa et de son papyrus conservé à Heidelberg dans la tradition musulmane du deuxième siècle de l'hégire», *Arabica*, XXII (1975), pp. 6-14; id., *ʿAbd Allâh Ibn Lahiʿa (97-174/ 715-790) : Juge et grand maître de l'école égyptienne, avec l'édition critique de l'unique rouleau de*

وعن عَوْنِ بن سُلَيْم[a] الحَضْرَمي، قال: كان عُمَرُ بن عبد العزيز قد جَعَلَ الفُتْيا بمصر إلى ثَلاثَةِ رِجال: رَجُلان من الموالي، ورَجُلٌ من العَرَب؛ فأمَّا العَرَبي فجَعْفَر بن رَبِيعَة، وأمَّا المَوْليان فيَزيد ابن أبي حَبيب وعبد الله بن أبي جَعْفَر، فكأنَّ العَرَبَ أنْكَرُوا ذلك، فقالَ عُمَر بن عبد العزيز: ما ذَنْبي إن كانتِ الموالي تَسْمُوا بأنْفُسِها صُعُدًا وأنتم لا تَسْمُون.

وعن ابن أبي قُدَيْد: كانتِ البَيْعَةُ إذا جاءَت للخَليفَة، أوَّلُ من يُبايع عبدُ الله بن أبي جَعْفَر، ويَزيدُ بن أبي حَبيب، ثم النَّاسُ بَعْد.

وقال أبو سعيدِ بن يُونُس في «تاريخ مصر» عن حَيْوَة بن شُرَيْح، قال: دَخَلْتُ على حُسَيْن ابن شُفَي بن ماتِع الأَصْبَحي وهو يقول: فَعَلَ الله بفُلانٍ، فقلت: ما له؟ فقال: عَمَد إلى كتابين كان شُفَي سَمِعَهُما من عبد الله بن عَمْرو بن العَاص ـ رضي الله عنهما ـ: أحَدُهُما قَضَى رَسُولُ الله ﷺ في كذا، وقال رَسُولُ الله ﷺ في[b] كذا؛ والآخَر ما يكون من الأحْداثِ إلى يوم القيامَة، فأخَذَهُما فرَمَى بهما بين الخَوْلَة والرُّباب. قال أبو سعيد بن يُونُس: يعني بقوله «الخَوْلَة والرُّباب» / مَرْكَبَيْن كبيرَيْن من سُفُن الجِسْر، كانا يكونان عند رأسِ الجِسْر، مِمَّا يلي الفُسْطاط، يجوز من تحتهما ـ لكِبَرهما ـ المراكِبُ[1]. ٣

وذَكَرَ أبو عُمَر الكِنْدي أنَّ أبا سَعيدِ عُثْمان بن عَتيق، مَوْلَى غافِق، أوَّلُ من رَحَلَ من أهْلِ مصر إلى العِراقِ في طَلَبِ الحَديث، توفي سنة أربعٍ وثمانين ومائةٍ. انتهى[2].

وكان حَالُ أهْلِ الإسلام من أهْلِ مصر وغيرها من الأمْصَارِ، في أحْكامِ الشَّريعَة، على ما تَقَدَّم ذكره. ثم كَثُرَ التَّرَحُّلُ إلى الآفاقِ وتَداخَل النَّاسُ والْتَقَوا، وانْتَدِب أقْوَامٌ لجَمْعِ الحَديثِ

---

a) بولاق: سليمان. b) في: ساقطة من بولاق.

---

papyrus arabe conservé à Heidelberg, Codices Arabici Antiqui, vol IV, Otto Harrassowitz, Wiesbaden 1986، وعلى الأخصّ الصفحات ٢٤٣-٣٠٨).

وانظر ترجمة ابن لهيعة عند، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧: ٥١٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٣٨-٣٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨: ١٠-٢٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧: ٤١٥-٤١٦؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥: ٣٧٣-٣٧٩؛ Rosenthal, F., *EI*[2] art. *Ibn Lahiʿa* III, pp. 877-78.

[1] ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ١٢٩.

[2] في كتاب «المـوالي». وانظر كذلك Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 569-70.

النّبوي وتَقْييده . فكان أوّلَ من دَوَّنَ العِلْمَ محمدُ بنُ شِهاب الزُّهري ، وكان أوّلَ من صَنَّف وبَوَّب سَعيدُ بنُ أبي عَروبَة[a] والرَّبيعُ بن صُبَيْح بالبَصْرَة ، ومَعْمَرُ بنُ راشِد باليَمَن ، وابنُ جُرَيْج بمَكَّة ، ثم سُفْيانُ الثَّوْري بالكُوفَة ، وحَمَّادُ بنُ سَلَمَة بالبَصْرَة ، والوَليدُ بنُ مُسْلِم بالشَّام ، وجَريرُ ابن عبد الحَميد بالرَّيّ ، وعبدُ الله بن المُبارَك بمَرْو وخُراسَان ، وهُشَيْم بن بَشير بواسِط . وتَفَرَّدَ بالكُوفَة أبو بكر بن أبي شَيْبَة بتَكْثير الأبْوابِ وجَوْدَةِ التَّصْنيف وحُسْنِ التَّأليف [1].

فوَصَلَت أحاديثُ رَسُولِ الله ﷺ من البِلادِ البَعيدَة إلى مَنْ لم تكن عنده ، وقامَتِ الحُجَّةُ على من بَلَغَه شيءٌ منها ، وجُمِعَتِ الأحاديثُ المُبَيِّنَة لصِحَّةِ أحَدِ التأويلات المتأوَّلة من الأحاديث ، وعُرِفَ الصَّحيحُ من السَّقيم ، وزُيِّفَ الاجْتِهادِ المؤدِّي إلى خِلافِ كلام رَسُولِ الله ﷺ ، وإلى تَرْكِ عَمَلِه ، وسَقَطَ العُذْرُ عمَّن خالَف ما بَلَغَه من السُّنَن ببُلُوغِه إليه وقِيام الحُجَّةِ عليه .

وعلى هذا الطَّريق كان الصَّحابَةُ ـ رضي الله عنهم ـ وكثيرٌ من التَّابِعين يَرْحَلون في طَلَبِ الحَديثِ الواحِد الأيَّامَ الكثيرة ، يَعْرِفُ ذلك من نَظَرَ في كُتُبِ الحَديث ، وعَرَف سِيَرَ الصَّحابَةِ والتَّابِعين [2].

فلمَّا قامَ هارُونُ الرَّشيد في الخِلافَة ، ووَلَّى القَضاءَ أبا يُوسُف يَعْقُوب بن إبراهيم [3] ـ أحَد أصْحابِ أبي حَنيفَة رحمهما الله تعالى ـ بعد سنة سبعين ومائةٍ . فلم يُقَلَّد بِلاد العِراق وخُراسَان و الشَّام ومِصْر إلَّا من أشارَ به القاضي أبو يوسُف ـ رحمه الله ـ واعْتَنَى به .

وكذلك لمَّا قامَ بالأنْدَلُس الحكَمُ المُرْتَضَى بن هِشَام بن عبد الرَّحْمَن بن مُعاوِيَة بن هِشَام ابن عبدِ الملك بن مَرْوان بن الحكَم [4] بعد أبيه ، وتلقَّب بالمنتصـر في سنة ثمانين ومائةٍ ، اخْتَصَّ بيحيى

---

a) بولاق : سعيد بن عروبة .

---

[1] راجع أيضًا ، الذهبي : تاريخ الإسلام (نشرة حسام الدِّين القدسي) ٦:٥-٦؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٣١٥.

[2] راجع حول هذا الموضوع ، Sezgin, F., *GAS* I, pp. 55-58 (الترجمة العربية ١:١١٩-١٢٣) .

[3] أبو يُوسُف يَعْقُوب بن إبراهيم بن حَبيب بن خُنَيْس الأنصاري الكوفي البغدادي ، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه وأوّل من نَشَرَ مَذْهَبه ، المتوفى سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م. (وكيع : أخبار القضاة ٣:٢٥٤-٢٦٤؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٤:٢٦٢-٢٦٦؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦:٣٧٨-٣٩٠؛ القرشي : الجواهر المضية ٣:٦١١-٦١٣؛ Sezgin, F., *GAS* I, 419-21) .

[4] راجع ترجمة الحكم بن هِشام الرَّبَضي صاحب الأنْدَلُس ، المتوفى سنة ٢٠٦هـ/٨٠٢م عند ، ابن الأبار : =

ابن يحيى بن كَثير الأَنْدَلُسي[1] ـ و كان حَجَّ وسَمِعَ «المُوَطَّـأ» من مَالِك إلّا أبوابًا، وحَمَلَ عن ابن وَهْبٍ وعن ابن القاسِم وغيره عِلْمًا كثيرًا، وعادَ إلى الأَنْدَلُس، فنالَ من الرِّياسَة والحُرْمَة ما لم يَنَلْه غيره، وعادَتِ الفُتْيا إليه، وانْتَهى السُّلْطانُ والعامَّةُ إلى بابِه ـ فلم يُقَلَّد، في سَائِر أعْمالِ الأَنْدَلُس، قاضٍ إلّا بإشارَتِه واعْتِنائِه. فصارُوا على رأي مالِك، بعدما كانوا على رأي الأوْزاعي.

وقد كان مَذْهَبُ الإمام مالِك أَدْخَلَه إلى الأَنْدَلُس زِيادُ بنُ عبد الرَّحْمَن ـ الذي يُقالُ له شَبَطُون[2] ـ قبل يَحْيَى بن يَحْيَى، وهو أوَّلُ من أَدْخَلَ مَذْهَبَ مالِكٍ إلى الأَنْدَلُس. وكانت إفْرِيقيَّةُ الغالِب عليها السُّنَن والآثار، إلى أن قَدِمَ عبدُ الله بن فَرُّوج أبو محمد الفارسي، بمَذْهَبِ أبي حَنيفَة، ثم غَلَب أَسَدُ بنِ الفُرات بن سِنانَ، قاضِي إفْرِيقِيَّة، بمَذْهَبِ أبي حَنيفَة[3].

ثم لمَّا وَلِيَ سَحْنُون بن سَعيدِ التَّنُوخي قَضَاءَ إفْرِيقِيَّة بعد ذلك، نَشَرَ فيهم مَذْهَبَ مالِك، وصارَ القَضَاءُ في أصْحابِ سَحْنُون دُوَلًا يتصاوَلون على الدُّنيا تَصاوُل الفُحُولِ على الشَّول. إلى

= الحلة السيراء ١: ٤٣- ٥٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨: ٢٢٥- ٢٣١، ٩: ٥٢١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٣: ١١٧- ١١٩.

[1] أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وِسْلاس ابن شِمْلال اللَّيْثي المَصْمودي الأنْدَلُسي القُرْطُبي، المتوفى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م، انظر ترجمته عند، ابن الفَرَضي: تاريخ علماء الأندلس ٢: ١٧٩- ١٨١؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٢: ٥٣٤- ٥٤٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦: ١٤٣- ١٤٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨: ٥١٩- ٥٢٥.

[2] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف: «زيادُ بن عبد الرَّحْمَن بن زُهَير ابن ناشِرَة بن لوزان بن حي بن أَخْطَب بن ربّه بن عمرو ابن الحارث بن وائل بن راشِد بن جزيلة بن لَخْم بن عَدِي ابن أشْرَس بن شبيب بن السَّكون، يُعْرَف بشَبَطُون، أنْدَلُسي توفي بها سنة ثلاث وتسعين ومائة. كان فقيه الأَنْدَلُس على مَذْهَب مالِك، وهو أوَّلُ من أدْخَل مَذْهَب مالِك الأنْدَلُس وكانوا قبله على مَذْهَب الأوْزاعي».

وانظر ترجمة شَبَطُون عند، ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ١٥٤- ١٥٦؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٢: ٣٤٩- ٣٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٩: ٣١١- ٣١٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٥: ١٦- ١٧.

[3] حاشية بخطِّ المُؤَلِّف: «أَسَدُ بن الفُرات بن سِنان الفقيه أبو عبد الله قاضي إفريقية مَوْلَى بني سُلَيْم، صاحِب الكُتُب في فِقْه مالِك التي تُعْرَف بالأسَدِيَّة. وُلِدَ سنة أربعٍ وأربعين ومائة وماتَ في رَبيعِ الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين، وهو مُحاصِرٌ سَرَقُوسِيَة من قِبَل زِيادَة الله بن الأغْلَب».

وراجع ترجمة أسد بن الفُرات عند، المالكي: رياض النفوس ١: ٢٥٤- ٢٧٣؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٢: ٤٦٥؛ الدَّباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ٢: ٣- ٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠: ٢٢٥- ٢٢٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ١٦؛ Marçais, G. *EI²* art. *Asad ibn al-Furât* I, p. 706; Sezgin, F., *GAS* I, p. 467 (الترجمة العربية ١/٣: ١٤٥-١٤٦).

[4] عبد السَّلام بن سعيد بن حبيب التَّنُوخي، الملقَّب =

أن تَوَلَّى القَضَاءَ بها بنو هاشِم - وكانوا مالِكِيَّة - فتَوارَثُوا القَضَاءَ كما تُتَوارَث الضِّياعُ ، ثم إنَّ المُعِزَّ ابن بادِيس حَمَلَ جَميعَ أهْلِ إفْرِيقِيَّة على التَّمَسُّك بمَذْهَبِ مالِك وتَرْكِ ما عَداه من المذاهِب ، فَرَجَع أهْلُ إفْرِيقيَّة وأهْلُ الأنْدَلُس كلُّهم إلى مَذْهَبِ مالِك إلى اليوم ، رَغْبَةً فيما عند السُّلْطان وحِرْصًا على طَلَبِ الدُّنْيا ، إذ كان القَضَاءُ والإفْتاءُ في جَميعِ تِلْكَ المُدُن وسَائِر القُرَى ، لا يكون إلَّا لمن تَسَمَّى بالفِقْهِ على مَذْهَبِ مالِك ، فاضْطُرَّتِ العامَّةُ إلى أحْكامِهم وفَتاواهُم ، ففَشَا هذا هناك فُشُوًّا طَبَّقَ تلك الأقْطار [1].

كما فَشا مَذْهَبُ أبي حَنيفَة ببلاد المَشْرق ، حيث إنَّ أبا حَامِد [a]أحمد بن محمد بن أحمد[a] الإسْفَرايِيني [2] ، لمَّا تَمكَّن من الدَّوْلَة في أيَّام الخَليفَة القادِر بالله أبي العَبَّاس أحمد ، قَرَّر معه اسْتِخْلافَ أبي العَبَّاس أحمد بن محمد الباوَرْدِي[b] الشَّافِعِيّ ، عن أبي محمد بن الأكْفاني الحَنَفي قاضي بَغْداد ، فأُجيبَ إليه بغَيْر رِضَا الأكْفاني . وكَتَبَ أبو حَامِد إلى السُّلْطان محمود ابن سُبُكْتِكِين وأهْلِ خُراسان أنَّ الخَليفَةَ نَقَلَ القَضاءَ عنِ الحَنَفية إلى الشَّافِعِيَّة . فاشْتُهِرَ ذلك بخُراسان ، وصَارَ أهلُ بَغْداد حِزْبَيْن .

وقَدِمَ عَقيب[c] ذلك أبو العَلاء صَاعِد بن محمد ، قاضي نَيْسابور ورَئيس الحَنَفِيَّة بخُراسان ، فأتاه الحَنَفِيَّة ، فثارَت بينهم وبين أصْحابِ أبي حَامِد فِتْنَةٌ ارْتَفَعَ أمْرُها إلى السُّلْطان.

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : البارزي . c) بولاق : بعد .

= بسَحْنُون (اسم طائر حديد بالمغرب يُسَمُّونه سَحْنونًا لحِدَّة ذهنه وذكائه) ، المتوفى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م . (المالكي : رياض النفوس ١: ٣٤٥- ٣٧٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣: ١٨٠- ١٨٢؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٢: ٥٨٥- ٦٢٦؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢: ٦٣- ٦٩؛ الدباغ : معالم الإيمان ٢: ٧٧- ١٠٤؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨: ٤٢٥- ٤٢٦؛ Sezgin, F., *GAS* I, 468-71 (الترجمة العربية ١/٣: ١٤٨- ١٥٤)؛ Talbi, M., *EI*[2] art. *Sahnûn* VIII, pp. 872-75).

[1] راجع حَوْل قَطْع المُعِزّ بن باديس دَعْوَة الفاطميين ، وعَوْدَته إلى مَذاهِب أهْل السُّنَّة والمَذْهَب المالكي بوَجْهٍ خاص ، ابن عذاري : البيان المغرب ١: ٢٦٧، ٢٧٣- ٢٧٤، ٢٧٨- ٢٧٩؛ Idris, H.R., *La Bérbérie Orientale sous les Zirides X*[e]*-XII*[e] *siècles*, Paris 1962, pp. 142-203؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٨٩- ١٩١.

[2] أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسْفَرايِيني ، شيخ الشَّافعية ببَغْداد ، المتوفى سنة ٤٠٦هـ/١٠١٦م . (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٤: ٣٦٨- ٣٧٠؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١: ٧٢- ٧٤؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٧: ١٩٣- ١٩٧؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٧: ٣٥٧- ٣٥٨) .

فجَمَعَ الخَليفَةُ القادِرُ الأشْرافَ والقُضاة، وأخْرَجَ إليهم رِسالَةً تتضمَّن: أنَّ الإسْفراييني أدْخَل على أمير المؤمنين مَداخِلَ أوْهَمَه فيها النُّصْحَ و الشَّفَقَة والأمانة، وكانت على أُصُولِ الدَّخَل والخيانة. فلمَّا تَبيَّنَ له أمْرُه، ووَضُحَ عنده خُبْثُ اعْتِقادِه، فيما سأل فيه من تَقْليد البَاوَرْدي[a] الحُكْم بالحَضْرَة، من الفَسَادِ والفِتْنَةِ و العُدولِ بأميرِ المؤمنين عمَّا كان عليه أسْلافُه من إيثار الحَنَفِيَّة ٣ وتَقْليدهم واسْتِعمالِهم، صَرَفَ البَاوَرْدي[a] وأعادَ الأمْرَ إلى حَقِّه، وأجْراه على قَديم / رَسْمِه، وَحَملَ الحَنَفِيِّين على ما كانُوا عليه من [b]العِناية والحِراسَة والإعْزاز والكَرامة[b]، وتَقَدَّمَ إليهم بأن لا يَلْقَوا أبا حامِد، ولا يَقْضُوا له حَقًّا، ولا يَرُدُّوا عليه سَلامًا. وخَلَعَ على أبي محمد الأكْفاني، وانْقَطَعَ أبو حامِد عن دارِ الخِلافَة، وظَهَرَ التَّسخُّط عليه والانْحرافُ عنه، وذلك في سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائةٍ، واتَّصَل ببلاد الشَّام ومصر.

وأوَّلُ من قَدِمَ بعِلْم مالِك إلى مصر عبد الرَّحيم بن خالِد بن يَزيد أبو[c] يحيى، مَوْلَى جُمَح، وكان فَقيهًا، رَوَى عنه اللَّيْثُ وابنُ وَهْب ورِشْدِينُ[d] بن سَعْد، وتوفي بالإسْكَنْدَرية سنة ثلاثٍ وستين ومائةٍ. ثم نَشَرَه بمصر عبد الرَّحمَن بن القاسِم، فاشْتُهِرَ مَذْهَبُ مالِك بمصر أكثر من مَذْهَبِ أبي حَنيفَة، لتَوَفُّرِ أصْحابِ مالِك بمصر. ولم يَكُن مَذْهَبُ أبي حَنيفَة ـ رحمه الله ـ يُعْرَف بمصر. قال ابنُ يُونُس: وقَدِمَ إسماعيلُ بنُ اليَسَع الكوفي قاضِيًا بعد ابن لَهِيعَة، وكان من خَيْرِ قُضاتِنا، غير أنَّه كان يَذْهَبُ إلى قَوْلِ أبي حَنيفَة، ولم يَكُن أهْلُ مصر يَعْرِفُون مَذْهَبَ أبي حَنيفَة، وكان مَذْهَبُه إبْطال الأحْباس، فثَقُلَ أمْرُه على أهْلِ مصر، وسَئِمُوه[1].

ولم يَزَلْ مَذْهَبُ مالِك مُشْتَهِرًا بمصر حتى قَدِمَ الشَّافِعِيُّ محمد بن إدْريس إلى مصر، مع عبد الله بن العَبَّاس بن مُوسَىٰ بن عيسَىٰ بن مُوسَىٰ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس، في سنة ثمانٍ وتسعين ومائةٍ. فصَحِبَه من أهْل مصر جَماعَةٌ من أعْيانِها ـ كبَني عبد الحَكَم، والرَّبيع ابن سُلَيْمان، وأبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُزَنيّ، وأبي يَعْقُوب يُوسُف بن يحيىٰ البُوَيْطي ـ وكَتَبوا عن الشَّافِعي ما ألَّفَه، وعَمِلوا بما ذَهَبَ إليه. ولم يَزَل أمْرُ مَذْهَبِه يَقْوَى بمصر، وذِكْرُه يَنْتَشِر[2].

---

a) بولاق: البارزي. b-b) بولاق: من العناية والكرامة والحرمة. c) بولاق: بن. d) بولاق: رشيد.

---

[1] ابن يونس: تاريخ (تاريخ الغرباء) ٣٨-٣٩؛ ابن حجر: رفع الإصر ٨٩.

[2] الإمام محمد بن إدريس الشّافِعي، أحَدُ الأئِمَّة الأربعة عند أهْل السُّنَّة، المتوفى بمصر سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م. وهو مُؤسِّس عِلْم أصُول الفِقْه بكتابه الشهير «الرِّسالة»، نشره أحمد محمد شاكر بالقاهرة سنة ١٩٣٩. وجاء مَذْهبه =

قال أبو عُمَر الكِنْدِي في كِتابِ «أُمَرَاءِ مِصْر» : ولم يَزَل أَهْلُ مصر على الجَهْرِ بالبَسْمَلَة في الجَامِع العَتيق إلى سنة ثلاثٍ وخمسين ومائتين [1]. قال : ومَنَعَ أَرْجُوز[a]، صاحِبُ شُرْطَةِ مُزاحِم ابن خاقان أمير مصر ، من الجَهْرِ بالبَسْمَلَة في الصَّلوات بالمَسْجِد الجَامِع ، وأَمَر الحُسَين بن الرَّبِيع إمام المَسْجِد الجَامِع بتَرْكِها ، وذلك في رَجَب سنة ثلاثٍ وستين ومائتين . ولم يَزَل أَهْلُ مصر على الجَهْر بها في المسجد الجَامِع منذ الإسْلام إلى أن مَنَعَ منها أَرْجُوز[a] [2].

قال : وأَمَرَ أن تُصَلَّى التَّراويحُ في شهر رَمَضان خَمْسَ تَراويح ، ولم يَزَل أَهْلُ مصر يُصَلُّون سِتَّ تراويح ، حتى جَعَلَها أَرْجُوز[a] خمسًا في شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وخمسين ومائتين ، ومَنَعَ من التَّثْويب [3]، وأَمَرَ بالأَذان يوم الجُمُعَة في مُؤَخَّرِ المَسْجِد ، وأَمَر بالتَّغْليس [4] بصَلاةِ الصُّبْح ، وذلك أنَّهم أَسْفَروا بها [5].

وما زالَ مَذْهَبُ مالِك ومَذْهَبُ الشَّافِعِيّ ـ رحمهما الله تعالى ـ يَعْمَل بهما أَهْلُ مصر ، و يُوَلَّى القَضَاءُ من كان يَذْهَبُ إليهما أو إلى مَذْهَبِ أبي حَنيفَة ـ رحمه الله ـ إلى أن قَدِمَ القائِدُ جَوْهَرٌ من بِلادِ إفْرِيقِيَّة ، في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائةٍ ، بجُيُوشِ مَوْلاه المُعِزِّ لدين الله أبي تميم مَعَدّ ، وبَنَى مَدينَة القاهِرَة ؛ فمن حينئذٍ فَشَا بديارِ مصر مَذْهَبُ الشِّيعَة ، وعُمِلَ به في القَضَاءِ والفُتْيا ، وأُنْكِرَ ما خالَفَه ، ولم يَبْق مَذْهَبٌ سِواه .

---

a) بولاق : أرجون .

= الفِقْهي وَسَطًا بين المذاهِب ، حيث أَخَذَ بالقرآن والسُّنَّة وأَخَذ بالإجماع في المسائل التي جرى العمل بها في كافَّة بلاد الإسلام ، كما ذَهَبَ كذلك إلى تعميم استعمال القِياس وإعْمال الرأي . (راجع ، ابن أبي حاتم : آداب الشافعي ومناقبه ، القاهرة ١٩٥٣؛ البيهقي : مناقب الشَّافعي ، تحقيق السَّيِّد أحمد صقر ، القاهرة ١٩٧١؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢: ٥٦-٧٣؛ المقريزي : المقفى الكبير ٥: ٣٠٩-٤١٩ (ترجمة مطوَّلة ولكنها مبتورة في آخرها) ؛ وانظر قائمة بمصادر ترجمته وبمؤلَّفاته وأماكن وجودها عند Sezgin, F., *GAS* I, pp. 484-90 (الترجمة العربية ١/ ٣: ١٧٩-١٩١) ، ولمصطفى عبد الرازق : الإمام الشافعي ، القاهرة ١٩٤٥؛ ومحمد أبو زهرة : الشافعي ـ حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، القاهرة ١٩٤٥؛ Chaumont, *EI²* art. *al-Shâfi'î* IX, pp. 187-91; id., *EI²* art. *al-Shâfi'iyya* IX, pp. 191-95؛ وفيما يلي ٩٠٩-٩١٤) .

[1] فيما تقدم ٢ : ٧٩ .

[2] الكندي : ولاة مصر ٢٣٦؛ وفيما تقدم ٢ : ٧٩ .

[3] التَّثويب : تكرير الأذان .

[4] التَّغْليس : أي يُصَلُّوا في الغَلَس وهي ظُلْمَةُ آخر اللَّيْل .

[5] الكندي : ولاة مصر ٢٣٦؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢ : ٣٣٧- ٣٣٨ ، وأَسْفَروا بها أي صَلُّوها في الضوء ؛ وفيما تقدم ٢ : ٧٩ .

وقد كان التَّشيُّعُ بأرْضِ مصر مَعْرُوفًا قبل ذلك ؛ قال أبو عُمَر الكِنْدي في « كِتاب الموالي » عن عبد الله بن لَهِيعَة أنَّه قال : قال يَزِيدُ بن أبي حَبيب : « نَشَأْتُ بمصر وهي عَلَوِيَّة ، فقَلَبْتُها عُثْمانية » .

وكان ابْتِداءُ التَّشَيُّع في الإسْلام أنَّ رَجُلًا من اليَهود ، في خِلافَةِ أمير المؤمنين عُثْمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ أَسْلَم ، فقيل له عبـد الله بن سَبَأ ، وعُرِفَ بابن السَّوْداء ، وصار يَتَنَقَّل من الحِجَازِ إلى أَمْصَارِ المسلمين يُريدُ إضْلالَهم فلم يُطِق ذلك ؛ فرَجَعَ إلى كَيْدِ الإسْلام وأهْله ، ونَزَلَ البَصْرَة في سنة ثلاثٍ وثلاثين ، فجَعَلَ يَطْرَح على أهْلِها مَسائِلَ ولا يُصَرِّح . فأقْبَل عليه جَماعَةٌ ومالُوا إليه ، وأُعْجِبوا بقَوْلِه . فبَلَغَ ذلك عبد الله بن عامِر ـ وهو يومئذٍ على البَصْرَة ـ فأرْسَلَ إليه ، فلمَّا حَضَرَ عنده سأله : ما أنت ؟ فقال : رَجُلٌ من أَهْلِ الكِتاب ، رَغِبْت في الإسْلام وفي جِوارِك . فقال : ما شيءٌ بَلَغَني عنك ؟ أُخْرُج عَنِّي . فخَرَج حتى نَزَلَ الكُوفَة ، فأُخْرِجَ منها ، فسارَ إلى مِصْر واسْتَقَرَّ بها ، وقال في النَّاسِ العَجَب مِمَّن يُصَدِّق أنَّ عيسىٰ يَرْجع ، ويُكَذِّب أنَّ محمدًا يَرْجِع [1] .

وتَحَدَّث في الرَّجْعَة حتى قُبِلَت منه ، فقال بعد ذلك : إنَّه كان لكُلِّ نَبيٍّ وَصِيّ ، وعليّ بن أبي طالب وَصِيّ محمد ﷺ ، فمن أَظْلَم مِمَّن لم يُجز وَصِيَّة رَسُولِ الله ﷺ في أنَّ عليّ بن أبي طالِب وَصِيّه في الخِلافَة على أُمَّته . واعْلَمُوا أنَّ عُثْمان أَخَذَ الخِلافَةَ بغيرِ حَقٍّ ، فانْهَضُوا في هذا الأمْر ، وابدأوا بالطَّعْن على أُمَرائِكم ، فأَظْهِروا الأَمْرَ بالمعروف والنَّهْي عن المُنْكَر تَسْتَميلوا به النَّاس . وبَثَّ دُعاتَه ، وكاتَبَ مَنْ مالَ إليه من أهْلِ الأمْصار وكاتَبوه ، ودَعَوا في السِّرِّ إلى ما عليه رأيهم ، وصارُوا يَكْتُبون إلى الأَمْصَارِ كُتُبًا يَضَعونَها في عَيْبِ وُلاتهم ، فيكتب أَهْلُ كلِّ مصرٍ منهم إلى أَهْلِ المصر الآخر بما يَضَعون حتى مَلأُوا بذلك الأَرْضَ إذاعَةً .

---

[1] كُتِبَت دراساتٌ كثيرةٌ حَوْل ابن سَبأ والسَّبئيَّة ، شَكَّكَ أغلبُها في الوجود التاريخي لابن سبأ وفي المصادر التي ذكرت أخباره ، وعلى الأخصّ روايات سَيْف بن عمر التَّميمي الأسدي . (راجع ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٥؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٣٣- ٢٣٦؛ Friedlander, I., «ʿAbd Allâh ibn Saba'», *ZA* 23 (1909), pp. 296-327, 24 (1910), pp. 1-46؛ جواد علي : «عبد الله بن سبأ» ، مجلة الرسالة ١٦ (١٩٤٨) ، ٤٩٧- ٤٩٨، ٥٢٣- ٥٢٥، ٥٥٠- ٥٥١، ٥٥٧- ٥٥٩، ٥٨٢- ٥٨٤، ٦٠٩- ٦١١، وأعاد نشرها مع إضافاتٍ جديدة في مجلة المجمع العلمي العراقي ٥ (١٩٥٨) ، ٦٦- ١٠٠؛ مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ ، بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ وقصص إسلامية أخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم ، القاهرة ١٣٨١هـ؛ Hodgson, M. G., S., *EI*[2] art. *ʿAbd Allâh b. Saba'* I, pp. 52-53؛ عبد العزيز صالح الهلابي : «عبد الله ابن سبأ ، دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفِتْنَة» ، حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت ، الحولية الثامنة ، الرسالة الخامسة والأربعون ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ٩- ٩٠؛ وفيما يلي ٤٣٥- ٤٣٦، ٤٤٩.

وجاءَ إلى أَهْلِ المَدينَة من جَميعِ الأَمْصَار، فأَتَوْا عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ في سنة خمسٍ وثلاثين، وأَعْلَموه ما أَرْسَل به أَهْلُ الأَمْصَار من شَكْوى عُمَّالهم. فبَعَث محمد بن مَسْلَمَة إلى الكُوفَة، وأُسامة بن زَيْد إلى البَصْرة، وعَمَّار بن يَاسِر إلى مصر، وعبد الله بن عمر إلى الشَّام لكَشْفِ سِيَر العُمَّال. فرَجَعُوا إلى عُثْمان، إلَّا عَمَّارًا، وقالوا: ما أَنْكَرْنا شيئًا. / وتأَخَّر عَمَّارٌ، ٢:
فوَرَدَ الخَبَرُ إلى المَدينَة بأنَّه قد استماله عبدُ الله ابن السَّوْداء في جَماعَةٍ. فأَمَرَ عُثْمانُ عُمَّالَه أن يُوافُوه بالمواسِم، فقدِموا عليه واستشَاروه، فكلٌّ أشارَ برأيٍ. ثم قَدِمَ المَدينَةَ بعد المَوْسِم، فكان بينه وبين عليّ بن أبي طالِب كلامٌ فيه بعضُ الجفَاءِ بسَبَبِ إعْطائِه أقاربه، ورَفْعِه لهم على ما سِواهم.

وكان المُنْحَرِفُون عن عُثْمان قد تَواعَدوا يَوْمًا يَخْرُجون فيه بأَمْصَارِهم إذا سارَ عنها الأُمَرَاءُ، فلم يَتَهَيَّأْ لهم الوُثُوب. وعندما رَجَعَ الأُمَرَاءُ من المَوْسِم، تَكاتَب المخالِفُون في القُدُوم إلى المَدينَة ليَنْظُروا فيما يُريدُون.

وكان أميرُ مصر من قِبَل عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ عبدَ الله بن سَعْد بن أبي سَرْح العامِري، فلمَّا خَرَجَ في شهر رَجَب من مصر في سنة خمس وثلاثين، اسْتَخْلَفَ بعده عُقْبَة بن عامِر الجُهَني في قَوْلِ اللَّيْث بن سَعْد. وقال يَزيدُ بنُ أبي حَبيب: بل اسْتَخْلَف على مصر السَّائِب بن هِشَام العامِري، وجَعَلَ على الخَراج سليم بن عَنْز التُّجيبي.

[1] فانْتَزَى محمد بن أبي حُذَيْفَة بن عُتْبَة بن رَبيعَة بن عبد شَمْس بن عبد مَناف، في شَوَّالٍ من السنة المذكورة، وأَخْرَج عُقْبَةَ بن عامِر من الفُسْطاط، ودَعا إلى خَلْعِ عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ وأَسْعَر البِلادَ، وحَرَّضَ على عُثْمان بكلِّ شيءٍ يَقْدر عليه. فكان يَكْتُب الكِتابَ على لِسانِ أَزْواجِ رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ ويأْخذ الرَّواحِل فيُضَمِّرُها، ويَجْعَل رِجالًا على ظُهورِ البُيُوت ووُجوهَهم إلى وَجْهِ الشَّمْسِ لتَلُوّح وُجوهَهم تَلْويح المسافِر، ثم يأْمُرُهم أن يَخْرُجوا إلى طَريق المَدينَةِ بمصر، ثم يُرْسِلون رُسُلًا يُخْبِرُون بهم النَّاس ليَلْقَوهم. وقد أَمَرَهُم إذا لقيهم النَّاسُ أن يقولوا: ليس عندنا خَبَرٌ، الخَبَرُ في الكُتُب. فيجيء رَسُولُ أولئك الذين دَسَّ فيذكر مَكانَهم، فيَلْقاهم ابن أبي حُذَيْفَة ـ والنَّاسُ يقولون نَتَلقَّى رُسُلَ أَزْواجِ رَسُولِ الله ﷺ ـ فإذا لَقُوهم قالوا لهم: ما الخَبَرُ؟ قالوا: لا خَبَرَ عندنا، عليكم بالمسْجِد ليَقْرَأ عليكم كُتُب[a] أزْواجِ النَّبيِّ ﷺ. فيَجْتَمِع النَّاسُ في المَسْجِد

a) بولاق: كتاب.

[1] من هنا يَتْبَع المقريزي نَصَّ الكندي في كتاب «ولاة مصر» في الفصل الذي سَمَّاه «انْتِزاء محمد بن أبي حُذَيْفَة».

اجْتِماعًا ليس فيه تَقصيرٌ ، ثم يَقُوم القارئُ بالكِتاب فيقول : إنَّا نَشْكو إلى الله وإليكم ما عُمِل في الإسْلام ، وما صُنِعَ في الإسْلام . فيقوم أولئك الشُّيوخ من نَواحي المَسجِد بالبُكاء فيَبْكون ، ثم يَنْزِل عن المِنْبَر ، ويَتَفَرَّقُ النَّاسُ بما قُرِئَ عليهم .

فلمَّا رأت ذلك شِيعَةُ عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ اعْتَزَلوا محمد بن أبي حُذَيْفَة ، ونابَذوه ـ وهم : مُعاوية بن حُدَيْج ، وخارِجَة بن حُذافَة ، وبُسْر بن أبي أَرْطاة[b] ، ومَسْلَمَة بن مَخْلَد ، وعَمْرو ابن قَحْزَم الخَوْلاني ، ومِقْسَم بن بَجْرَة ، وحَمْزَة بن سَرْح بن كِلال ، وأبو الكُنُود سَعْد بن مالِك الأَزْدي ، وخالِد بن ثابِت الفَهْمي ـ في جَمْعٍ كثير ، وبَعَثوا سَلَمَة بن مَخْرَمَة التُّجِيبي إلى عُثْمان لِيُخْبِره بأمْرِهم ، وبصَنيعِ ابن أبي حُذَيْفَة[1] .

فبَعَثَ عُثْمانُ ـ رضي الله عنه ـ سَعْد بن أبي وَقَّاص لِيُصْلِح أَمْرَهم . فبَلَغَ ذلك ابن أبي حُذَيْفَة ، فخَطَبَ النَّاسَ وقال : أَلَا إنَّ الكَذا[c] والكَذا قد بَعَثَ إليكم سَعْدَ بن مالِك لِيَفِلَّ جَماعَتكم ، ويُشَتِّت كَلِمَتكم ، ويُوقِع التَّجادُل بينكم ، فانْفِروا إليه . فخَرَجَ منهم مائة أو نحوها ، وقد ضُرِبَ فُسْطاطُه وهو قائِل ، فقَلَّبوا عليه فُسْطاطَه ، وشَجُّوه وسَبُّوه . فرَكِبَ راحِلَتَه ، وعادَ راجِعًا من حيث جاءَ ، وقال : ضَرَبَكم الله بالذُّلِّ والفُرْقَة ، وشَتَّتَ أَمْرَكُم ، وجَعَلَ بَأْسَكم بينكم ، ولا أَرْضاكم بأمير ، و لا أَرْضاه عنكم[2] .

وأَقْبَلَ عبدُ الله بن سَعْد حتى بَلَغ جِسْر القُلْزُم ، فإذا بخَيْلٍ لابن أبي حُذَيْفَة ، فمَنَعُوه أن يَدْخُل ، فقال : وَيْلَكم ! دَعُوني أَدْخُل على جُنْدي فأُعْلِمهم بما جِئْتُ به ، فإنِّي قد جِئْتُهم بخَيْر فأَبَوا أن يَدَعوه ، فقال : والله لوَدِدْت أنِّي دَخَلْت عليهم ، فأُعْلِمُهم[d] بما جِئْتُ به ، ثم مُتّ . فانْصَرَفَ إلى عَسْقَلانَ[3] .

وأَجْمَعَ محمدُ بن أبي حُذَيْفَة على بَعْثِ جَيْشٍ إلى أمير المؤمنين عُثْمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ فقال : من يَتَشَرَّط في هذا البَعْث . فكَثُرَ عليه من يَتَشَرَّط ، فقال : إنَّما يَكْفينا منكم ستّ مائة رجل . فتَشَرَّط من أَهْلِ مصر ستُّ مائة رَجُل ، على كلِّ مائة منهم رَئِيسٌ ، وعلى جَماعَتهم

---

b) بولاق : بسر بن أرطاة . c) عند الكندي : إلَّا إن الكذَّاب كذا وكذا . d) بولاق : وأعلمنهم .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٣٨- ٣٩؛ وفيما تقدم ٢: ٤٢.
[2] نفســه ٤٠.
[3] نفســه ٤٠.

عبد الرَّحْمن بن عُدَيْس البَلَوي ، وهم : كِنانَة بن بِشْر بن سَلْمان[a] التُّجيبي ، وعُرْوَة بن شُيَيْم[b] اللَّيْثي ، وأبو عَمْرو بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخُزاعي ، وسَوْدان بن رُومان[c] الأَصْبَحي ، وذَرْع بن يَشْكُر النَّافِعي [١].

وسُجِنَ رِجالٌ من أَهْلِ مصر في دُورِهم ، منهم بُسْر بن أبي أَرْطاة[d] ومُعاوية بن حُدَيْج . فبَعَثَ ابنُ أبي حُذَيْفَة إلى مُعاوية بن حُدَيْج ـ وهو أَرْمَد ـ ليُكْرِهه على البَيْعة . فلمَّا بلَغَ ذلك كِنانَة ابن بِشْر ـ وكان رأس الشِّيعَة الأولى ـ دَفَعَ عن مُعاوية ما كَرِه [٢].

ثم قُتِلَ عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ في ذي الحجَّة سنة خمسٍ وثلاثين [٣]، فدَخَلَ الرَّكْبُ إلى مصر وهم يَرْتَجِزون :

[الرجز]

خُذْها إليكَ واحْذَرَنْ أبا الحَسَنْ
إنَّا نُمِرّ الحَرْبَ إمْرارَ الرَّسَنْ
بالسَّيْفِ كَيْ تَخْمَدَ نِيرانُ الفِتَنْ

فلمَّا دَخَلوا المَسْجِدَ صَاحُوا: إنَّا لَسْنَا قَتَلَة عُثْمان ، ولكن الله قَتَلَه . فلمَّا رأى ذلك شِيعَةُ عُثْمان ، قامُوا وعَقَدوا لمُعاوية بن حُدَيْج عليهم ، وبايَعوه على الطَّلَبِ بدَمِ عُثْمان . فسارَ بهم مُعاويةُ إلى الصَّعيد ، فبَعَثَ إليهم ابن أبي حُذَيْفَة ، فالتقوا بدِقْناش[٤] من كُورَة البَهْنَسا ، فهُزِمَ أَصْحابُ ابن أبي حُذَيْفَة ، ومَضَى مُعاوية حتى بَلَغ بَرْقَة ، ثم رَجَعَ إلى / الإسْكَنْدَرية . فبَعَثَ ابن ٢ أبي حُذَيْفَة بجيشٍ آخر عليهم قَيْس بن حَرْمَل ، فاقتتلوا بخَرِبْتا أوَّل شهر رَمَضان سنة ستٍّ وثلاثين ، فقُتِلَ قَيْس [ابن حَرْمَل وابن الجثما وأصحابهما][e] [٥].

---

a) بولاق : سليمان . b) بولاق : سليم . c) بولاق : ريَّان ، والكندي : ابن أبي رومان . d) بولاق : بسر ابن أرطاة . e) زيادة من ولاة مصر .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٤٠ - ٤١؛ وفيما تقدم ٢: ٤٣.

[٢] نفسه ٤١.

[٣] راجع عن الفِتْنَة ، فيما تقدم ٢:٤٣هـ [٢].

[٤] دِقْناش من القرى القديمة ، كانت تقع بين قاي بمركز بني سويف شمالاً وبين البَهْنَسا بمركز بني مَزار جنوبًا . وقد اندَثَرت الآن هذه القرية وأضيف زمامُها إلى أراضي ناحية مَزُورَة ، ويَدُلّ على مكانها حَوْض دِقْناش بأراضي ناحية مزورة بمركز ببا بمحافظة بني سويف . (محمد رمزي: القاموس الجغرافي : ١:٢٤٧) .

[٥] الكندي : ولاة مصر ٤١ - ٤٢؛ وفيما تقدم ٢: ٤٣.

وسارَ مُعاويةُ بن أبي سُفْيان إلى مصر، فنَزَل سَلَمَنْت من كورةِ عَيْن شمس في شَوّال. فخَرَج إليه ابن أبي حُذَيْفَة في أهْلِ مصر، فمنَعوه أن يدخلَها. فبَعَثَ إليه معاوية: إنّا لا نُريدُ قِتالَ أحَدٍ، إنَّما جِئْنا نسأل القَوَد لعُثْمان، ادْفَعُوا إلينا قاتِلِيه: عبد الرَّحمن بن عُدَيْس وكِنانَة بن بِشْر، وهما رأس القَوْم. فامْتَنَعَ ابن أبي حُذَيْفَة وقال: لو طَلَبَت مِنّا جَدْيًا أَرْطَب السُّرَّة بعُثْمانَ ما دفعناه إليك! فقال مُعاوية بن أبي سُفْيان لابن أبي حُذَيْفَة: اجْعَل بيننا وبينكم رَهْنًا، فلا يكون بيننا وبينكم حَرْبٌ. فقال ابنُ أبي حُذَيْفَة: فإنِّي أَرْضَى بذلك[1].

فاسْتَخْلَفَ ابن أبي حُذَيْفَة على مصر الحكَم بن الصَّلْت بن مَخْرَمَة، وخَرَج في الرَّهْن هو وابن عُدَيْس[a] وكِنانَة بن بِشْر وأبو شَمِر بن أَبْرَهة وغيرهم من قَتَلَة عُثْمان. فلمَّا بَلَغُوا لُدّ سَجَنَهم بها مُعاوية، وسارَ إلى دِمَشْق. فهَرَبوا من السِّجْن، غير أبي شَمِر بن أَبْرَهَة فإنَّه قال: لا أَدْخُله أسيرًا وأَخْرُج منه آبِقًا، وتَبِعَهم صاحِبُ فِلَسْطين فقَتَلَهم. واتَّبَع عبدَ الرَّحمن بن عُدَيْس رَجُلٌ من الفُرْس، فقال له عبد الرَّحمن بن عُدَيْس: اتَّق الله في دَمِي، فإنِّي بايَعْتُ النَّبِيّ - ﷺ - تحت الشَّجَرة. فقال له: الشَّجَرُ في الصَّحْراء كثير. فقَتَلَه[2].

وقال محمد بن أبي حُذَيْفَة في اللَّيْلَة التي قُتِلَ في صباحِها: [b]هذه اللَّيْلَة التي قُتِلَ في صَباحِها[b] عُثْمانَ، فإن يَكُن القَصاصُ لعُثْمان فسنُقْتَل في غد[c]. فقُتِلَ من الغَد. وكان قَتْلُ ابن أبي حُذَيْفَة وعبد الرَّحمن بن عُدَيْس وكِنانَة بن بِشْر ومَنْ كان معهم من الرَّهْن، في ذي الحِجَّة سنة ستٍّ وثلاثين[3].

فلمَّا بَلَغَ عليَّ بن أبي طالِب - رضي الله عنه - مُصابُ ابن أبي حُذَيْفَة، بَعَثَ قَيْسَ بنِ سَعْد ابن عُبَادَة الأَنْصاري على مصر، وجَمَعَ له الخَراجَ والصَّلاة، فدَخَلَها مستهلَّ شهر رَبيع الأوَّل سنة سبعٍ وثلاثين، واسْتَمالَ الخارِجية بخَرِبْتا، ودَفَعَ إليهم أُعْطياتهم، ووفَد عليه وَفْدُهم فأكرمهم وأَحْسَنَ إليهم - ومصر يومئذٍ من جَيْش عليّ - رضي الله عنه - إلَّا أَهْل خَرِبْتا الخارجين بها.

---

a) بولاق: عيسى. b-b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: من الغد.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٤٢.

[2] نفسه ٤٣؛ وفيما تقدم ٢: ٤٣.

[3] نفسه ٤٣.

فلمّا وَلّى عليّ - رضي الله عنه - قَيْس بن سَعْد - وكان من ذَوي الرأي [والبأس][a] - جَهِد مُعاوية بن أبي سُفْيان وعَمْرو بن العَاص، على أن يُخْرِجاه من مصر ليَغْلِبا على أَمْرِها، فامْتَنَعَ عليهما بالدَّهاءِ والمُكايَدَة، فلم يَقْدرا على أن يَلِجَا مصر حتى كادَ مُعاوية قَيْسًا من قِبَل عليّ - رضي الله عنه [1].

وكان[b] مُعاويةُ يُحَدِّث رجالًا من ذوي رأي قُرَيْش[c] فيقول: ما ابْتَدَعْتُ من مُكايَدَةٍ قَطُّ أعْجَبُ إليَّ من مُكايَدَة كِدْتُ بها قَيْس بن سَعْد حين امتنع مِنّي. قُلْت لأهْلِ الشّام: لا تَسُبُّوا قَيْسًا ولا تَدْعوا إلى غَزْوِه، فإنَّ قَيْسًا لنا شِيعَةٌ تأتينا كُتُبُه ونصيحتُه سِرًّا، ألا تَرَوْن ماذا يفعل بإخوانكم النّازلين عنده بخَرِبْتا؟ يُجْري عليهم أُعطياتهم وأرْزاقهم، ويؤمِّن سِرْبَهم، ويُحْسِن إلى كلِّ راكبٍ يأتيه منهم.

قال مُعاويَةُ: وطَفِقْت أكْتُب بذلك إلى شِيعتي من أَهْلِ العِراقِ، فسَمِعَ بذلك جَواسِيسُ عليّ بالعِراق، فأَنْهاه إليه محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جَعْفَر فاتَّهم قَيْسًا، فكَتَبَ إليه يأْمُرُه بقِتالِ أهْلِ خَرِبْتا، وبخَرِبْتا يومئذٍ عشرة آلاف؛ فأبَى قَيْسٌ أن يقاتلهم، وكَتَبَ إلى عليّ - رضي الله عنه -: «إنّهم وُجُوهُ أَهْلِ مصر وأشْرافُهم، وأَهْلُ الحِفاظِ منهم، وقد رَضُوا مِنّي أن أُؤَمِّن سِرْبَهم، وأُجْرِي عليهم أُعْطياتهم وأَرزاقهم وقد عَلِمْت أنَّ هَواهَم مع مُعاوية، فلَسْتُ بكائِدهم بأمْرٍ أَهْوَن عليّ وعليك من الذي أَفْعل بهم وهم أُسُودُ العَرَب منهم: بُسْر بن أبي أَرْطاة[d]، و مَسْلَمَة[e] ابن مَخْلَد، ومُعاوية بن حُدَيْج». فأَبَى عليه إلّا قِتالهم، فأَبَى قَيْسٌ أن يُقاتِلهم، وكَتَبَ إلى عليّ - رضي الله عنه -: «إن كنت تَتَّهمني فاعْزِلْني وابْعَث غَيْري» [2].

وكَتَبَ مُعاوِيَةُ - رضي الله عنه - إلى بعضِ بني أُمَيّة بالمَدينَة: «أن جَزَى الله قَيْسَ بن سَعْد خَيْرًا، فإنّه قد كَفَّ عن إخواننا من أهْلِ مصر الذين قاتَلوا في دَمِ عُثْمان، واكْتُموا ذلك فإنّي أَخافُ أن يَعْزِله عليٌّ إن بَلَغَه ما بَيْنَه وبين شِيعَتنا». حتى بَلَغَ عَلِيًّا - رضي الله عنه - ذلك، فقال مَنْ معه من رُؤساءِ أَهْلِ العِراق وأَهْلِ المَدينَة: «بَدَّل قَيْسٌ وتَحَوَّل». فقال عليٌّ: وَيْحَكُم! إنَّه لم

---

a) زيادة من ولاة مصر. b) بولاق: فكان. c) ولاة مصر: من ذوي الرأي من قريش. d) بولاق: بن أرطاة. e) بولاق: سلمة.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٤٤.

[2] نفسه ٤٥؛ وفيما تقدم ٢: ٤٢-٤٣.

يَفْعَل فدَعُوني . قالوا : لتعْزِلنّه فإنّه قد بَدَّلَ . فلم يزالوا به حتى كَتَب إليه : «إنّي قد احْتَجْتُ إلى قُرْبِك ، فاسْتَخْلِف على عَمَلِك واقْدَم» . فلمّا قرأ الكِتابَ قال : هذا من مَكْرِ مُعاوِيَة ولَوْلا الكَذِب لمكَرْتُ به مَكْرًا يَدْخُل عليه بيته .

فوَلِيها قَيْسُ بنُ سَعْد إلى أن عُزِلَ عنها أربعة أشهر وخمسة أيّام ، وصُرِفَ لخمسٍ خَلَوْن من رَجَب سنة سبعٍ وثلاثين[1] .

ثم وَلِيَها الأَشْتَرُ مالِكُ بن الحارِث بن عبد يَغُوث النَّخْعي من قِبَل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه . وذلك أنّ عبد الله بن جَعْفَر كان إذا أرادَ ألّا يمنعه عليٌّ شيئًا قال له : بحَقّ جَعْفَر ، فقال له : أسألك بحَقّ جَعْفَر ألّا بَعَثْتَ الأَشْتَرَ إلى مصر ، فإن ظَهَرْتَ فهو الذي تُحِبّ ، وإلّا اسْتَرَحْت منه .

ويُقالُ : كان الأَشْتَرُ قد ثَقُلَ على عليّ ـ رضي الله عنه ـ وأَبْغَضَه وقَلاه ، فوَلّاه وبَعَثَه . فلمّا قَدِمَ قُلْزُم مصر ، لُقِيَ بما يُلْقَى العُمّالُ به هناك ، فشَرِبَ شَرْبَةَ عَسَلٍ فمات . فلمّا أُخْبِر عليٌّ بذلك قال : لليدين وللفم[2] . وسَمِعَ عَمْرو بن العَاص بمَوْتِ الأَشْتَر فقال : إنَّ لله ـ (aعَزَّ وجَلَّa) ـ جنودًا من عَسَل ، أو قال : فيb) العَسَل[3] .

ثم وَلِيَها محمد بن أبي بكر / الصِّدّيق من قِبَل عليّ ـ رضي الله عنهم ـ وجَمَعَ له ٣٣
صَلاتَها وخَراجَها . فدَخَلَها للنِّصْف من شهر رَمَضان سنة سبعٍ وثلاثين ، فلَقِيَه قَيْسُ بن سَعْد
فقال له :

«إنّه لا يَمْنَعُني نُصْحي لك (aولأمير المؤمنينa) عَزْلُه إيّاي ، ولقد عَزَلَني عن غير وَهَنٍ ولا عَجْزٍ ، فاحْفَظ ما أُوصِيكَ به يَدُم صَلاحُ حالِك : دَعْ مُعاوِيَة بن حُدَيْج ومَسْلَمَة بن مَخْلَد وبُسْر بن أبي أَرْطاة ، ومن ضَوَى إليهم على ما هم عليه ، و لا تكفهم عن رأيهم ، فإن أتوك ولم يفعلوا فاقْبلهم ، وإن تخلّفوا عنك فلا تَطْلُبهم .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : من .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٤٥-٤٦، وفيما تقدم ٢: ٤٣-٤٤.

[2] لليدين وللفم . دعاءٌ عليه بمعنى كبّه الله على فمه .

[3] الكندي : ولاة مصر ٤٦- ٤٧، وفيما تقدم ٢: ٤٤.

وانْظُر هذا الحَيّ من مُضَر فأنت أَوْلَى بهم مِنّي : فألِن لهم جَناحَك ، وقرِّب عليهم مكانَك ، وارْفَعْ عنهم حِجابَك . وانْظُر هذا الحَيّ من مُدْلِج ، فدَعْهم وما غَلَبوا عليه يَكُفّوا عنك شأنهم ، وأنْزِل الناسَ مِن بعدُ على قَدْر منازلهم ، فإن استطعت أن تَعودَ المَرْضَى ، وتَشْهَد الجَنائِز ، فافْعَلْ ، فإنَّ هذا لا يُنْقِصُك ، ولن تَفْعَل ، إنَّك والله ما عَلِمْتُ لَتُظْهِرُ الخُيَلاء وتُحِبّ الرياسَة ، وتُسارِع إلى ما هو ساقِط عنك . والله مُوَفِّقُك » .

فعَمِلَ محمد بخِلافِ ما أوْصَاه به قَيْس ، فكَتَبَ[a] إلى ابن حُدَيْج والخارِجَة معه يَدْعُوهم إلى بَيْعَته ، فلم يُجيبوه . فبَعَثَ إلى دُورِ الخارِجَة فهَدَمها ، ونَهَبَ أموالَهم ، وسَجَنَ ذَراريهم ، فنَصَبُوا له الحَرْب ، وهَمُّوا بالنُّهُوضِ إليه . فلمَّا عَلِمَ أنَّه لا قُوَّة له بهم أمسك عنهم ، ثم صالَحَهم على أن يُسَيِّرهم إلى مُعاوِيَة ، وأن يَنْصِب لهم جِسْرًا بنِقْيُوس يجوزون عليه ، ولا يَدْخُلُون الفُسْطاط . ففَعَلوا ولَحِقُوا بمُعاوِيَة[١] .

فلمَّا أَجْمَعَ عليّ - رضي الله عنه - ومُعاوية على الحَكَمَيْن ، أَغْفَلَ عليٌّ أن يَشْتَرِطَ على مُعاوِيَة ألَّا يُقاتِل أَهْلَ مصر . فلمَّا انْصَرَفَ عليٌّ إلى العِراق ، بَعَثَ مُعاوِيَةُ - رضي الله عنه - عَمْرو بن العَاص - رضي الله عنه - في جُيوشِ أَهْلِ الشَّام إلى مصر فاقْتَتَلُوا قِتالًا شَديدًا انْهَزَمَ فيه أَهْلُ مصر ، ودَخَلَ عَمْرو بأَهْلِ الشَّام الفُسْطاط . وتَغَيَّبَ محمد بن أبي بكر [في غافِق][b]، فأَقْبَل مُعاوِيَةُ ابن حُدَيْج في رَهْطٍ مِمَّن يُعينه على مَنْ كان يَمْشي في قَتْلِ عُثْمان ، وطَلَبَ ابن أبي بكر ، فدَلَّتهم عليه امرأةٌ ، فقال : احْفَظوني في أبي بكر . فقال مُعاوِيَةُ بن حُدَيْج : قَتَلْت ثمانين رَجُلًا من قَوْمي في عُثْمان ، وأتركك وأنت صاحِبه . فقتَلَه ثم جَعَلَه في جِيفَةِ حِمارٍ مَيِّت فأَحْرَقَه بالنَّار[٢] . فكانت ولايَةُ محمد بن أبي بكر خمسة أشهر ، ومَقْتَله لأربع عشرة خَلَت من صَفَر سنة ثمانٍ وثلاثين[٣] .

---

a) بولاق : فبعث . b) زيادة من ولاة مصر .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٥٠- ٥١.

ونِقْيوس Nikious من المُدُن المصرية القديمة ، وذكر محمد بك رمزي أنَّ هذه المدينة زالت الآن وحَلَّ محلَّها الكوم الأثَري الكائن بالجهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز مُنُوف المعروف عند الأهالي باسم كوم مانوس أو دقيانوس المحرَّفين عن نقيوس التي اختفى اسمها من قديم. (القاموس الجغرافي ١:٤٦٣-٤٦٤).

[٢] الكندي : ولاة مصر ٥١- ٥٢؛ وفيما تقدم ٢:٤٤ وتُعْرَف هذه الواقعة بـ «يَوْم المُسَنَّاة» .

[٣] نفســه ٥٤.

ثم وَلَّى عمْرو بن العَاص مصر من بَعْدِه فاستَقْبَل بولايته هذه الثانية شهر رَبيع الأوَّل ، وجَعَل إليه الصَّلاةَ والخَراج ـ كانت مصر قد جَعَلَها مُعاوِيَةُ له طُعْمَةً بعد عَطاءِ جُنْدِها والنَّفَقَة على مَصْلَحتِها ـ ثم خَرَجَ إلى الحكومة ، واستَخْلَفَ على مصر ابنه عبد الله بن عَمْرو ، وقيل[a] خارِجَة ابن حُذافَة ، ورَجَعَ عَمْرو إلى مصر فأقامَ بها .

وتَعاقَد بنو مُلْجم ـ عبد الرَّحْمن وقَيْس ويَزيد ـ على قَتْلِ عليّ ـ رضي الله عنه ـ وعَمْرو ومُعاوية ـ رضي الله عنهما ، و تواعَدُوا على لَيْلَةٍ من رَمَضان سنة أربعين ، فمَضَى كلٌّ منهم إلى صَاحِبه [1].

فلمَّا قُتِلَ عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ واستَقَرَّ الأَمْرُ لمعاوِيَة ، كانت مصر ـ جُنْدُها وأهْلُ شَوْكَتِها ـ « عُثْمانِيَّة » ، وكثيرٌ من أهْلِها « عَلَوِيَّة » .

فلمَّا ماتَ مُعاوِيَةُ وماتَ ابنُه يَزيدُ بن مُعاوية ، كان على مصر سَعيدُ بن يَزيد الأزْدي على صَلاتِها فلم يَزَل أهْلُ مصر على الشَّنَآن له ، والإعْراضِ عنه والتَّكَبُّر عليه ، منذ وَلَّاه يَزيد ابن مُعاوِيَة ، حتى ماتَ يَزيدُ في سنة أربع وستين .

ودَعَا عبدُ الله بن الزُّبَيْر إلى نفسه ، فقامَتِ الخَوارِجُ بمصر في أمْرِه [2] ، وأظْهَرُوا دَعْوَته ـ وكانوا يَحْسَبُونه على مَذْهَبِهم ـ وأوْفدوا منهم وَفْدًا إليه ، فسارَ منهم نحو الألفين من مصر ، وسألوا أن يَبْعَث إليهم بأميرٍ يقومون معه ويُؤازِرُونَه . وكان كُرَيْبُ بن أَبْرَهَة الصَّبَّاح ، وغيره من أشْرافِ مصر يقولون : ماذا نَرَى من العَجَب أنَّ هذه الطَّائِفة المكتتمة تأمُرُ فينا وتَنْهى ، ونحن لا نَسْتَطيع أن نَرُدَّ أمْرَهم . ولَحِقَ بابن الزُّبَيْر ناسٌ كثيرٌ من أهْلِ مصر [3].

---

a) بولاق : وقتل .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٥٤– ٥٥.

[2] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «إنَّما قيل لهم «خوارِج» لقَوْله ـ عليه السَّلام ـ «يَخْرُج فيكم قَوْمٌ يَحْقِرون صَلاتكم مع صَلاتهم» الحديث . ومعنى قَوْله : فيكم ، أي عليكم ، كقوله تعالى : ﴿ولأُصَلِّبَنَّكُم فى جُذُوعِ النَّخْل﴾ [الآية ٧١ سورة طه] أي على جُذُوع النَّخْل . وكان خُرُوجُهم ومُروقُهم في زَمَنِ الصَّحابَة ، فسُمُّوا الخَوارِج وسُمُّوا المارِقَة بقوله ـ عليه السَّلام ـ : «يَمْرُقُون من الدِّين مُرُوق السَّهْم من الرَّمِيَّة» ، وبقوله : «تَقْتَتِل طائِفتان من أمَّتي فتَمْرُق بينهما مارِقَة يقتلها أولى الطَّائفتين بالحَقّ» ، ثم استَمَرَّ خُرُوجهم على السَّلاطين فأكَّدوا الاسم ، وهم فِرَقٌ وهم يُسَمُّون أنفسهم «الشُّراة» أي شَرَوا أنفسهم بمعنى باعوها لله ولا يسميهم بذلك غيرهم» .

[3] قامَ عبدُ الله بن الزُّبَيْر بثَوْرةٍ في مَكَّة على الحكْم الأُمَوي ودَعَا لنفســه بالخِلافَة بعد مَوْتِ يزيد بن معاوية سنة =

وكان أوَّلَ من قَدِمَ مصر برأي الخَوَارِج حُجْرُ بن الحارِث بن قَيْس المَذْحِجي[١] - وقيل حُجْر ابن عَمْرو - ويكنى بأبي الوَرْد، وشَهِد مع عَليّ صِفِّين، ثم صارَ من الخَوارِج، وحَضَرَ مع الحَرورية النَّهْرَوان. فخَرَجَ وصارَ إلى مصر برأْي الخَوارِج، أقامَ بها حتى خَرَجَ منها إلى ابن الزُّبَيْر في إمارَة مَسْلَمَة بن مَخْلَد الأنْصاري على مصر.

فلمَّا ماتَ يَزِيدُ بن مُعاوِيَة، وبُويعَ ابنُ الزُّبَيْر بعده بالخِلافَة، بَعَثَ إلى مصر بعبد الرَّحْمن ابن جَحْدَم الفِهْرِيّ؛ فقَدِمَها في طَائِفَةٍ من الخَوارِج، فوَثَبُوا على سَعيد بن يَزيد، فاعْتَزَلَهم. واسْتَمَرَّ ابنُ جَحْدَم، وكَثُرَت الخَوارِجُ بمصر منها ومِمَّن قَدِمَ من مَكَّة، فأظْهَرُوا في مصر «التَّحْكيم»[٢]، ودَعَوا إليه، فاسْتَعظَم الجُنْدُ ذلك. وبايَعَه النَّاسُ على غِلٍّ في قُلُوبِ ناسٍ من شِيعَة بَني أُمَيَّة: منهم كُرَيْب بن أبْرَهَة، ومِقْسَم بن بَجْرَة، وزِياد بن حِناطَة التُّجيبي، وعابِس بن سَعيد وغيرهم[٣]. فصارَ أهْلُ مصر حينئذٍ ثلاث طوائف: عَلَوِيَّة، وعُثْمانِيَّة، وخَوارِج.

فلمَّا بُويعَ مَرْوان بن الحكَم بالشَّام في ذي القعدة سنة أربع وستين، كانت شِيعَتُه من أهْلِ مصر مع ابن جَحْدَم، فكاتَبُوه سِرًّا حتى أتَىَ مصر في أشْرافٍ كثيرة، وبَعَثَ ابنه عبد العَزيز بن مَرْوان في جَيْشٍ إلى أيْلَة ليَدْخُل من هناك مصر[٤].

= ٦٤هـ/٦٨٣م، وظَلَّ كذلك لمدَّة تسعة أعوام حتى قَضَى على ثَوْرَته الحَجَّاج بن يُوسُف الثَّقَفي سنة ٧٣هـ/٦٩٢م. (راجع، الطبري: تاريخ ٥: ٥٦٣، ٥٨٢، ٦٢٢، ٦: ١٦٦- ١٨٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف ٤: ١٢- ٦٢، ٥: ١٨٨- ٢١٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٧١- ٧٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣: ٣٦٣- ٣٨٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧: ١٧٢- ١٧٨؛ المقريزي: المقفى الكبير ٤: ٣٥١- ٣٨٤؛ ڤلهوزن، ي: تاريخ الدولة العربية ١٣٧- ١١٩؛ Gibb, H. A. R., *EI*[2] art. *ʿAbd Allâb b. al-Zubayr* I, pp. 56-57؛ إبراهيم بيضون: الحجاز والدولة الإسلامية، بيروت ١٩٨٣، ٢٩١- ٣٤٨؛ عبد الشافي عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، القاهرة ١٩٨٤، ٤٩٤- ٥٠٦؛ Hawting, G. R., *The First Dynasty of Islam. The Umayyad Caliphate 661-750*, London 2000, pp. 46-57.

[١] انظر كذلك، المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٢٥٨.

[٢] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف: «أوَّلُ مَنْ حَكَّم ولَفَظَ بـ «الحكومَة» الحَجَّاج بن عبد الله المعروف بالبُرَك، وهو الذي ضَرَب معاوية بن أبي سُفْيان على التِّيه، وذلك أنَّه لما سَمِعَ بذكر الحَكَمَيْن قال: «الحُكْمُ في دين الله ولا حُكْم إلَّا لله» فسمعه سَامِعٌ فقال: طعن ولهفة فانتقد، وصار شِعارُ الخَوارِج من حينئذٍ «ولا حُكْمَ إلَّا لله» ودَعَوْا إلى القَوْلِ بالتحكيم. ولمَّا سَمِعَ عليٌّ - رضي الله عنه - قَوْلَهم: «لا حُكْمَ إلَّا لله»، قال: كَلِمَةٌ عادِلَةٌ يُرادُ بها جَوْر، إنَّما يقولون: لا إمارَة ولا بُدَّ من إمارَة بَرَّةٍ أو فاجِرَة».

[٣] الكندي: ولاة مصر ٦٤- ٦٥؛ وفيما تقدم ٢: ٤٧.

[٤] نفسه ٦٥، وفيما تقدم ٢: ٤٧.

وأَجْمَعَ ابنُ جَحْدَم على حَرْبِه ومَنْعِه، فحَفَرَ الخَنْدَق في شهرٍ ـ وهو الخَنْدَق الذي بالقَرافَة[١] ـ وبَعَثَ بمَراكِب في البَحْر ليُخالِف إلى عِيالات[a] أهْلِ الشَّام، وقطع بَعْثًا في البَرّ، وجَهَّزَ جَيْشًا آخر إلى أَيْلَة / لمنع عبد العزيز من المسير منها. فغَرقَتِ المراكِبُ، ونَجَا بعضُها، وانْهَزَمَتِ الجُيُوش. ونَزَلَ مَرْوان عَيْنَ شَمْس، فخَرَجَ إليه ابنُ جَحْدَم في أهْلِ مصر، فتَحارَبوا واسْتَحَرَّ القَتْلُ، فقُتِل من الفريقين خَلْقٌ كثيرٌ[٢]. ثم إنَّ كُرَيْب بن أَبْرَهَة وعابِس بن سعيد وزِياد بن حُناطة وعبد الرَّحْمن ابن مَوْهَب المعافِري، دَخَلوا في الصُّلْحِ بين أهْلِ مصر وبين مَرْوان فتَمَّ، ودَخَل مَرْوان إلى الفُسْطاط لغُرَّةِ جُمادَي الأولى سنة خمسٍ وستين[٣].

وكانت وِلايَةُ ابن جَحْدَم تسعة أشهر، ووَضَعَ العَطاءَ فبايعه النَّاسُ إلَّا نَفَرٌ من المعافِر قالوا: لا نَخْلَع بَيْعَة ابن الزُّبَيْر. فقَتَلَ منهم ثمانين رجلًا قَدَّمَهم رجلًا رجلًا فضَرَبَ أعناقَهم وهم يقولون: إنَّا قد بايَعْنا ابن الزُّبَيْر طَائِعين، فلم نكن لنَنْكُث بَيْعَتَه. وضَرَبَ عُنُق الأَكْدَر بن حَمَام[b] بن عامِر، سَيِّد لَخْم وشَيْخها[٤]، وحَضَرَ هو وأبوه فَتْح مصر، وكانا مِمَّن ثارَ إلى عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ فتَنَادَى الجُنْدُ: قُتِلَ الأَكْدَرُ. فلم يَبْقَ أحَدٌ حتى لبس سِلاحَه، فحَضَرَ باب مَرْوان منهم زِيادَةٌ على ثلاثين ألفًا. وخَشِيَ مَرْوان، وأَغْلَق بابَه حتى أتاه كُرَيْبُ بن أَبْرَهَة، وألقى عليه رِداءَه، وقال للجُنْد: انْصَرِفُوا، أنا له جار. فما عَطَف أحَدٌ منهم، وانْصَرَفُوا إلى مَنازِلهم، وكان للنِّصْف من جُمادَىٰ الآخرة. ويومئذ ماتَ عبد الله بن عَمْرو بن العَاصِ، فلم يَسْتَطِع أحَدٌ أن يَخْرُجَ بجَنازَتِه إلى المَقْبَرَة لشَغْبِ الجُنْدِ على مَرْوان[٥]. ومن حينئذٍ غَلَبَتِ العُثْمانِيَّةُ على مصر، فتظاهَروا فيها بسَبِّ عليّ ـ رضي الله عنه ـ وانْكَفَّت أَلْسِنَةُ العَلَوِيَّة والخَوارج.

فلمَّا كانت وِلايَةُ قُرَّة بن شَرِيك العَبْسي على مصر من قِبَل الوَلِيد بن عبد الملك في سنة تسعين، خَرَجَ إلى الإسْكَنْدَرية في سنة إحدى وتسعين. فتَعَاقَدَتِ الشُّراةُ من الخَوارج

---

a) عند الكندي: عيال. b) بولاق: حسام.

---

[١] انظر خبَر هذا الخَنْدَق، فيما يلي ٢: ٤٥٨.

[٢] الكندي: ولاة مصر ٦٥–٦٦، مع تفصيلاتٍ كثيرة.

[٣] نفسه ٦٧، وفيما يلي ٨٩٦.

[٤] حاشية بخَطّ المؤَلِّف: «الأكْدَرُ بن حمام بن عامِر ابن شعب بن خَيْثَمَة اللَّخْمي، شَهِدَ فَتْح مصر هو وأبوه، وكان أحد من أَلَّب على عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ ووَلاه معاوية بحر مصر، وقتله مَرْوان بن الحكم للنِّصْف من جُمادَى الآخرة سنة خمسٍ وستين».

[٥] الكندي: ولاة مصر ٦٨؛ وفيما تقدم ٢: ٤٨.

بالإِسْكَنْدَرية على الفَتْكِ به ـ وكانت عِدَّتُهم نحوًا من مائة ـ فعَقَدوا لرئيسهم المُهاجِر بن أبي المُثَنَّى التُّجِيبي، أَحَد بني فَهْم، عليهم عند منارَة الإِسْكَنْدَرية؛ وبالقُرْب منهم رجلٌ يكنى أبا سُلَيْمان، فبَلَّغَ قُرَّة ما عَزَموا عليه. فأتَى لهم قَبْل أن يَتفرَّقوا، فأَمَرَ بحَبْسِهم في أَصْلِ مَنارَة الإِسْكَنْدَرية، وأحْضَرَ قُرَّة وُجوهَ الجُنْد فسَأَلَهم فأقرُّوا فقتَلَهم، ومَضَى رَجُلٌ ممَّن كان يَرَى رَأْيَهم إلى أبي سُلَيْمان فقَتَله. فكان يَزيدُ بن أبي حَبيب إذا أراد أن يتكلَّم بشيءٍ فيه تَقِيَّة من السُّلْطان تَلَفَّت وقال: احْذَروا أبا سليمان. ثم قال: النَّاسُ كلُّهم من ذلك اليوم أبو سُلَيْمان[a][1].

فلمَّا قامَ عبد الله بن يَحْيَى ـ الملقَّب بطَالِب الحَقّ ـ في الحِجَاز على مَرْوان بن محمد الجَعْدي[2]، قَدِمَ إلى مصر داعيَتُه ودَعَا النَّاس، فبايَع له نَاسٌ من تُجِيبَ وغيرهم. فبَلَغ ذلك حَسَّان ابن عَتاهِيَة، صَاحِب الشُّرْطَة، فاسْتَخْرَجَهُم، فقَتَلَهُم حَوْثَرَةُ بن سُهَيْل الباهِلي أمير مصر من قِبَل مَرْوان بن محمد[3].

فلمَّا قُتِلَ مَرْوان، وانقَضَت أيَّامُ بني أُمَيَّة بِبَني العَبَّاس في سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائةٍ، خَمَدَت جَمْرَةُ أَصْحابِ المَذْهَب المَرْواني ـ وهم الذين كانوا يَسُبُّون عليّ بن أبي طالب ويتبرَّأون منه ـ وصارُوا منذ ظَهَر بنو العَبَّاس يَخافُون القَتْل، ويَخْشَوْن أن يَطَّلِعَ عليهم أَحَدٌ، إلَّا طائِفَةً كانت بناحِيَة الوَاحات وغيرها، فإنَّهم أقامُوا على مَذْهَبِ المَرْوانية دَهْرًا حتى فَنُوا، ولم يَبْق لهم الآن بديارِ مصر وُجودٌ أَلْبَتَّة.

فلمَّا كان في إمارَة حُمَيْد بن قَحْطُبَة على مصر، من قِبَل أبي جَعْفَر المَنْصُور، قَدِمَ إلى مصر عليُّ بن محمد بن عبد الله بن الحَسَن بن الحَسَن[b] بن علي بن أبي طالِب داعيةً لأبيه وعَمِّه، فذكر ذلك لحُمَيْد فقال: هذا كَذِب. ودَسَّ إليه أن تَغَيَّب، ثم بَعَثَ إليه من الغَدِ ـ فلم يجده،

---

a) النص في ولاة مصر للكندي: مصدر النَّقْل: «ثم قال يوما من ذاك: النَّاسُ كلهم أبو سليمان». b) بولاق: الحسين.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٨٥.

[2] عبد الله بن يحيى الكِنْدي الإباضي، المعروف بطالِب الحَقّ خَرَج باليمن سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، وأقام فترةً في حَضْرَمَوت ثم قَصَدَ صَنْعاء، ولم يَلْبَث أن قُتِل سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م. (راجع، الطبري: تاريخ ٧: ٣٤٨؛ المسعودي: مروج الذهب ٤: ٨٢؛ أبا الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٣: ٢٢٤- ٢٢٥؛ النويري: نهاية الأرب ٢١: ٥٣٥- ٥٣٦).

[3] الكندي: ولاة مصر ١١٤.

فكَتَبَ بذلك إلى أبي جَعْفَر المَنْصور، فعَزَلَ حُمَيْدًا، وسَخِطَ عليه في ذي القعدة سنة أربعٍ وأربعين ومائة [١].

ووَلِيَ يَزِيدُ بن حاتِم بن قَبيصَة بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة، فظَهَرَت دَعْوَةُ بني حَسَن بن عليّ بمصر، وتكلَّم النَّاسُ بها، وبايَعَ كثيرٌ منهم لعليّ بن محمد بن عبد الله ـ وهو أوَّلُ عَلَوي قَدِمَ مصر ـ وقامَ بأمْرِ دَعْوَتِه خالِدُ بن سعيد بن رَبيعة بن حُبَيْش الصَّدَفي. وكان جَدُّه رَبيعَة بن حُبَيْش من خاصَّةِ عليّ بن أبي طالب وشيعَته، وحَضر الدَّار في قَتْلِ عُثْمان، رضي الله عنه. فاسْتَشارَ خالِدٌ أصْحابَه الذين بايَعُوا له، فأشارَ عليه بعضُهم أن يُبَيِّت يَزيد بن حاتِم في العَسْكَر ـ وكان الأُمَراءُ قد صارُوا، منذ قَدِمَت عَساكِرُ بني العَبَّاس، يَنْزِلُون في العَسْكَر الذي بُنِيَ خارِجَ الفُسْطاط من شماليه كما ذُكِرَ في مَوْضِعِه من هذا الكتاب [٢] ـ وأشارَ عليه آخَرون أن يَحُوزَ بَيْتَ المال، وأن يكون خُروجُهم في الجَامِع. فكَرِهَ خالِدٌ أن يَبيتَ يَزيدُ بن حاتِم، وخشِيَ على اليَمانية. وخَرَجَ منهم رَجُلٌ [من الصَّدَف][a] قد شَهِد أَمْرَهم حتَّى أَتَى إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن مُعاوِيَةَ ابن حُدَيْج ـ وهو يومئذٍ على الفُسْطاط ـ فخَبَّرَه أنَّهم الليلة يَخْرُجُونُ. فمَضَى عبدُ الله إلى[b] يَزيد ابن حاتِم وهو بالعَسْكر، فكان من أَمْرِهم ماكان لعَشْرٍ من شَوَّالٍ سنة خمسٍ وأربعين ومائةٍ، فانْهَزَموا [٣].

ثم قَدِمَتِ الخُطَباءُ برأسِ إبراهيم بن عبد الله بن الحَسَن بن الحُسَيْن، في ذي الحَجَّة من السنة المذكورة، إلى مصر ونَصَبُوه في المَسْجِد الجَامِع، وقامَتِ الخُطَباءُ فذكروا أَمْرَه. وحُمِلَ عليُّ بن محمد إلى أبي جَعْفَر المَنْصور، وقيل إنَّه / اخْتَفَى عند عَسَّامَة بن عَمْرو بقرية طُوَّة[c] [٤]، فمَرِضَ بها وماتَ فقُبِرَ ٣٣٩
هناك. وحُمِلَ عَسَّامة إلى العِراق، فحُبِسَ إلى أن رَدَّه المَهْدي محمد بن أبي جعفر إلى مصر [٥].

---

a) زيادة من ولاة مصر، مصدر النَّقْل. b) بولاق: بن. c) بولاق: طرة.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ١٣٢ - ١٣٣.

[٢] فيما تقدم ٢: ٥٦.

[٣] الكندي: ولاة مصر ١٣٣ - ١٣٤.

[٤] قال ياقوت الحموي في مادة طُوخ: وطُوخ الخَيْل: قرية أخرى بالصَّعيد في غربي النِّيل، يقال لها طُوخ بَيْت يَمُون، ويقال لها طُوَّة أيضًا، وبها قَبْرُ علي بن محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. كان خَرَجَ بمصر في أيَّام المنصور سنة ١٤٥، فلَمَّا ظَهَرَ عليه يزيد بن حاتم، أخفاه عَسَّامَة بن عمر المعافري في هذه القرية وزَوَّجَه ابنته، إلى أن مات ودُفِنَ بها» (معجم البلدان ٤: ٤٦؛ وفيما يلي ٧٢٢).

[٥] الكندي: ولاة مصر ١٣٦.

وما زالَت شِيعَةُ عليّ بمصر إلى أن وَرَدَ كِتابُ المُتَوَكِّل على الله إلى مصر، يَأْمُر فيه بإخْراجِ آل أبي طالِبٍ من مصر إلى العِراق. فأخْرَجَهم إسْحاقُ بن يحيى الخُتَّلي أمير مصر، وفَرَّقَ فيهم الأمْوال ليَتَحَمَّلوا بها، وأعْطَى كلَّ رَجُلٍ ثلاثين دينارًا، والمرأةَ خمسة عشر دينارًا. فخَرَجوا لعَشْرٍ خَلَوْن من رَجَب سنة ستٍّ وثلاثين ومائتين، وقَدِمُوا العِراق، فأُخْرِجوا إلى المَدينَة في شَوَّالٍ منها [١].

واسْتَتَرَ مَنْ كان بمصر على رَأْي العَلَويَّة، حتى إنَّ يَزيدَ بن عبد الله أمير مصر ضَرَب رَجُلًا من الجُنْد في شيءٍ وَجَب عليه، فأَقْسَمَ عليه بحَقِّ الحَسَن والحُسَيْن إلَّا عَفَا عنه، فزادَه ثلاثين دِرَّة. ورَفَعَ ذلك صَاحِبُ البريد إلى المُتَوَكِّل، فوَرَدَ الكِتابُ على يَزيد بضَرْبِ ذلك الجُنْديِّ مائة سَوْطٍ، فضُرِبَها وحُمِلَ بعد ذلك إلى العِراق في شَوَّالٍ سنة ثلاثٍ وأربعين ومائتين [٢].

وتَتَبَّعَ يَزيدُ الرَّوافِضَ فحَمَلَهم إلى العِراق، ودُلَّ في شَعْبان على رَجُلٍ يُقالُ له محمد بن عليّ ابن الحَسَن بن عليّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب، [يُعْرَف بأبي حُذْري][a]، أنَّه بُويعَ له، فأَحْرَق المَوْضِعَ الذي كان به، وأخَذَه فأَقَرَّ على جَمْعٍ من النَّاس بايَعُوه، فضَرَبَ بعضَهم بالسِّياط، وأُخْرِجَ العَلَويُّ هو وجَمْعٌ من آلِ أبي طالب إلى العِراق في شهر رَمَضان [سنة سبعٍ وأربعين][a] [٣].

وماتَ المُتَوَكِّلُ في شَوَّالٍ، فقامَ من بعده ابنُه محمد المُنْتَصِر[b]، فوَرَد كِتابُه إلى مصر: بألَّا يُقَبَّل عَلَوِيٌّ ضَيْعَة، ولا يَرْكَب فَرَسًا، ولا يُسافِر من الفُسْطاط إلى طَرَفٍ من أطْرافِها، وأن يُمْنَعوا من اتِّخاذِ العَبيد إلَّا العَبْد الواحِد. ومَنْ كان بينه وبين أحَدٍ من الطَّالِبيين خُصومَة من سائِر النَّاس، قُبِلَ قَوْلُ خَصْمِه فيه، و لم يُطالَب بَبيِّنَة، وكَتَبَ إلى العُمَّالِ بذلك [٤].

وماتَ المُنْتَصِر[b] في رَبيعٍ الآخر [سنة ثمانٍ وأربعين ومائتين][a]، وقامَ المُسْتَعينُ، فأَخْرَجَ يَزيدُ ستَّة رِجالٍ من الطَّالبيين إلى العِراق في رَمَضان سنة خمسين ومائتين،

---

a) زيادة من ولاة مصر، مصدر النَّقْل. b) بولاق: المستنصر.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ٢٢٣- ٢٢٤.
[٢] نفسه ٢٢٩.
[٣] نفسه ٢٢٩.
[٤] نفسه ٢٣٠.

ثم أَخْرَجَ ثمانية منهم في رَجَب سنة إحدى وخمسين[1].

وخَرَجَ جَابِرُ بن الوَليد المُدْلِجِي بأرْضِ الإسْكَنْدَرية في رَبيع الآخِر سنة اثنتين وخمسين، واجْتَمَع إليه كثيرٌ من بَني مُدْلِج. فبَعَثَ إليه محمد بن عبيد الله بن يَزيد [a]بن مَزْيَد[a] بجَيْشٍ من الإسْكَنْدَرية، فهَزَمَهم وظَفِر بما معهم، وقَوِيَ أمْرُه، وأتاهُ النَّاسُ من كلِّ ناحيةٍ، وضَوَى إليه كلُّ من يُومِئُ إليه بشدَّة ونَجْدَة، فكان مِمَّن أتاه عبد الله المريسي ـ وكان لِصًّا[b] خَبيثًا ـ ولَحِقَ به جُرَيْج النَّصْراني، وكان من شِرارِ النَّصارىٰ وأولي بأسِهم. ولَحِقَ به أبو حَرْمَلَة فَرَج النُّوبي ـ وكان فاتِكًا ـ فعَقَد له جَابر على سَنْهُور، وسَخَا، وشَرْقيون، وبَنَا. فمَضَى أبو حَرْمَلَة في جَيْشٍ عَظيمٍ، فأَخْرَجَ العُمَّال، وجَبَى الخَراج. ولَحِقَ به عبدُ الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد ابن عبد الله بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ الذي يُقالُ له ابن الأَرْقَط ـ فقَوَّدَه أبو حَرْمَلَة وضَمَّ إليه الأعْراب، ووَلَّاه بنا وبُوصِير وسَمَنُّود[2].

فبعَثَ يزيدُ أمير مصر بجَمْعٍ من الأتْراك في جُمادَى الآخِرة، فقاتَلَهم ابن الأَرْقَط، وقَتَلَ منهم. ثم ثَبَتُوا له، فانْهَزَمَ وقُتِلَ من أصْحابِه كثيرٌ، وأُسِرَ منهم كثير. ولَحِقَ ابنُ الأَرْقَط بأبي حَرْمَلَة في شَرْقيون، فصارَ إلى عَسْكَر يَزيد، فانْهَزَمَ أبو حَرْمَلة، وقَدِمَ مُزاحِمُ بن خاقان من العِراق في جَيْشٍ، فحارَبَ أبا حَرْمَلَة حتى أُسِرَ في رَمَضان[3].

واسْتَأْمَن ابنُ الأَرْقَط، فأُخِذَ وأُخْرِجَ إلى العِراق في رَبيعٍ الأوّل سنة ثلاثٍ وخمسين ومائتين، ففَرَّ منهم، ثم ظُفِرَ به وحُبِسَ، ثم حُمِلَ إلى العِراق في صَفَرٍ سنة خمسٍ وخمسين ومائتين بكتابٍ وَرَدَ على أحمد بن طُولُون. وماتَ أبو حَرْمَلَة في السِّجْن لأربعٍ بقين من رَبيعِ الآخِر سنة ثلاثٍ وخمسين، وأُخِذَ جابِر بعد حُرُوبٍ، وحُمِل إلى العراق في رَجَب سنة أربعٍ و خمسين[4].

وخرَجَ في إمْرَة أَرْجُـوز[c] التُّرْكي رَجُلٌ من العَلَويين يُقال له بُغَا الأكبر ـ وهو أحمد بن إبراهيم ابن عبد الله بن طَبَاطَبَا بن إسْماعيل بن إبراهيم بن حَسَن بن حُسَيْن بن عليّ ـ بالصَّعيد، فحارَبه أصْحابُ أَرْجُـوز[c]، وفَرَّ منهم فمات[5].

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) ولاة مصر: رجلًا. c) بولاق: أرجون، وولاة مصر: أزجور.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٢٣٠.

[2] نفسه ٢٣١-٢٣٢.

[3] نفسه ٢٣٢-٢٣٣ (والنَّصّ عنه الكندي مليء بالتفصيلات).

[4] نفسه ٢٣٤.

[5] نفسه ٢٣٨.

ثم خَرَجَ بُغَا الأصْغر ـ وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طَباطَبا ـ فيما بين الإسْكَنْدَرية وبَرْقَة [في مَوْضِعٍ يُقَالُ له الكنائِس][a]، في جُمادَىٰ الأولىٰ سنة خمسٍ وخمسين ومائتين ـ والأميرُ يومئذٍ أحمـد بن طُولُون ـ وسارَ في جَمْعٍ إلى الصَّعيد، فقُتِلَ في الحرب، وأُتِيَ برأسِه إلى الفُسْطاط في شَعْبان[1].

وخَرَجَ ابن الصُّوفي العَلَوي بالصَّعيد ـ وهو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد ابن عُمَر بن عليّ بن أبي طالب ـ ودَخَل إسْنَا في ذي القَعْدَة سنة خمسٍ وخمسين، ونَهَبَها وقَتَلَ أَهْلَها. فبَعثَ إليه ابنُ طُولُون بجَيْشٍ فحارَبوه، فهَزَمَهم في رَبيعِ الأوَّل سنة ستٍّ وخمسين بهُو، فبَعَثَ ابن طُولُون إليه بجَيْشٍ آخر، فالتقَيا بإخْميم في رَبيعِ الآخِر، فانْهَزَم ابن الصُّوفي، وتَرَكَ جَميعَ ما معه، وقُتِلت رَجالَتُه.

فأقامَ ابن الصُّوفي بالوَاح سنتين، ثم خَرَجَ إلى الأُشْمونَيْن في المحَرَّم سنة تسعٍ وخمسين، وسارَ إلى أُسْوان لمحارَبَة أبي عبد الرحمن العُمَري، فظَفِرَ به العُمَري وبجَميع جَيْشِه، وقَتَلَ منهم مَقْتَلَةً عظيمةً، ولَحِقَ ابن الصُّوفي بأُسْوان فقَطَعَ لأهْلِها ثلاث مائة ألف نَخْلَة. فبَعَثَ إليه ابن طُولُون بَعْثًا، فاضْطَرَبَ أمْرُه مع أصْحابِه فتَرَكَهم ومَضَى إلى عَيْذاب فرَكِبَ البَحْر إلى مَكَّة، فقُبِضَ عليه بها وحُمِلَ إلى ابن طُولُون فسَجَنَه ثم أطْلَقَه، / فصارَ إلى المدينة ٢ وماتَ بها[2].

وفي إمارَةِ هارُون بن خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولُون، أنْكَر رَجُلٌ من أهْلِ مصر أن يكون أحَدٌ خَيْرًا من أهْلِ البَيْت، فوَثَبَت إليه العامَّةُ، فضُرِبَ بالسِّياط يوم الجمعة في جُمادَىٰ الأولىٰ سنة خمسٍ وثمانين ومائتين[3].

وفي إمارَة ذَكا الأعْوَر على مصر، كُتِبَ على أبوابِ الجَامِع العَتيق ذِكْرُ الصَّحابَة والقُرْآن [بما لا يليق][b]، فرَضِيَه جَمْعٌ من النَّاس، وكرِهَه آخَرون. فاجْتَمَع النَّاسُ في رَمَضان سنة خمسٍ وثلاث مائةٍ إلى دارِ ذَكا يَتَشَكَّرونه على ما أَذِنَ لهم فيه، فوَثَبَ الجُنْدُ بالنَّاسِ، فنُهِبَ قَوْمٌ وجُرِحَ

a) زيادة من ولاة مصر، مصدر النقل. b) زيادة من ولاة مصر، مصدر النَّقْل.

[1] الكندي: ولاة مصر ٢٣٩.

[2] نفسه ٢٤٠-٢٤١.

[3] نفسه ٢٦٧، وسمَّاها الكندي: فِتنة ابن قُرَيْش.

آخرون ، ومحي ما كُتِبَ على أبْوابِ الجَامِعِ ، ونُهِبَ النَّاسُ في المسجد والأسْواق ، وأَفْطَر الجُنْدُ يومئذٍ [1] .

وما زالَ أَمْرُ الشِّيعَة يَقْوَى بمصر ، إلى أن دَخَلَت سنة خمسين وثلاث مائةٍ ، ففي يوم عاشُوراء كانت مُنازَعَةٌ بين الجُنْدِ وبين جَماعَةٍ من الرَّعِيَّة عند قَبْرِ كُلْثوم العَلَوِيَّة ، بسَبَبِ ذِكْرِ السَّلَفِ والنَّوْح ، قُتِلَ فيها جَماعَةٌ من الفريقين . وتَعَصَّبَ السُّودانُ على الرَّعِيَّة ، فكانوا إذا لَقُوا أحَدًا قالوا له : مَنْ خَالُك ؟ فإن لم يَقُل مُعاوية وإلَّا بَطَشُوا به وشَلَّحُوه . ثم كَثُر القَوْلُ : مُعاوية خالُ عليّ [2] .

وكان على بابِ الجَامِع العَتيق شَيْخان من العامَّة يُناديان في كلِّ يوم جُمُعَة في وُجُوهِ النَّاسِ من الخَاصِّ والعامّ ـ مُعاوِيَة خالي وخَال المؤمنين ، وكاتِب الوَحْي ، ورديف رَسُولِ الله ﷺ ، وكان هذا أَحْسَن ما يَقُولُونه وإلَّا فقد كانوا يَقُولُون : مُعاوِيَة خالُ عليّ من هاهنا ـ ويُشيرُون إلى أصْلِ الأُذُن ـ ويَلْقَون أبا جَعْفَر مُسْلِمًا الحُسَيْني ، فيقولون له ذلك في وَجْهِه ، وكان بمصرَ أَسْوَدُ يَصيحُ دائمًا : مُعاوِيَة خالُ عليّ ، فقُتِلَ بتِنِّيسِ أيَّام القائِدِ جَوْهَر .

ولمَّا وَرَدَ الخَبَرُ بقِيام بني حَسَن بمكَّة ، و مُحارَبَتهم الحاجّ ونَهْبِهم ، خَرَجَ خَلْقٌ من المصريين في شَوَّال ، فلَقُوا كافُور الإخْشيدي بالمَيْدان ظاهِر مَدينَة مصر ، وضَجُّوا وصاحُوا : مُعاوية خالُ عليّ ، وسألوه أن يَبْعَث لنُصْرَةِ الحاج علي الطَّالِبيين .

وفي شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مائةٍ ، أُخِذَ رَجُلٌ ـ يُعْرَف بابن أبي اللَّيْث المَلَطي ـ يُنْسَب إلى التَّشَيُّع ، فضُرِبَ مائتي سَوْط ودِرَّة ، ثم ضُرِبَ في شَوَّال خمس مائةِ سَوْط ودِرَّة ، وجُعِلَ في عُنُقِه غِلٌّ وحُبِسَ ، وكان يُتَفَقَّد في كلّ يوم لئلا يُخَفَّف عنه ، ويُبْصَق في وَجْهِه ، فماتَ في مَحْبِسه فحُمِلَ لَيْلًا ودُفِن . فمَضَت جَماعَةٌ إلى قَبْرِه ليَنْبشوه ، وبَلَغُوا إلى القَبْر ، فمَنَعَهم جَماعَةٌ من الإخْشيدية والكافُورية ، فأَبَوْا وقالوا : هذا قَبْرُ رافِضي . فثارَت فِتْنَةٌ ، وضُرِبَ جَماعَةٌ ، ونَهَبوا كثيرًا حتى تَفَرَّق النَّاس .

وفي سنة ستٍّ وخمسين ، كُتِبَ في صَفَر على المساجِد ذِكْرُ الصَّحابَة والتَّفْضيل . فأَمَرَ الأُسْتاذُ كافُور الإخْشيدي بإزالَته ، فحَدَّثَه جَماعَةٌ في إعادَة ذِكْر الصَّحابَة على المساجد ، فقال : ما أُحْدِثُ في أيَّامي ما لم يكن ، وما كان في أيَّام غيري فلا أُزِيله ، وما كُتِبَ في أيَّامي أُزِيلُه . ثم أَمَرَ مَنْ طافَ وأزالَه من المساجد كلِّها .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٢٩٢، وفيما تقدم ٢ : ١١٦.

[2] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ١٤٦.

ولمَّا دَخَلَ جَوْهَرٌ القائِد بعَساكِر المُعِزّ لدين الله إلى مصر، وبَنَى القاهِرَة، أَظْهَرَ مَذْهَبَ الشِّيعَة، وأُذِّن في جَميع المساجِد الجَامِعَة وغيرها: «حَيّ على خَيْر العَمَل»، وأُعْلِن بتَفْضيل عليّ بن أبي طالِب على غَيْره، وجُهِرَ بالصَّلاةِ عليه وعلى الحَسَن والحُسَيْن وفاطِمَة الزَّهْراء، رِضْوان الله عليهم. فشَكَا إليه جَماعَةٌ من أَهْلِ المَسْجِد الجَامِع أَمْرَ عَجُوزٍ عَمْياء تُنْشِدُ في الطَّريق، فأَمَرَ بها فحُبِست. فشَرَّ الرَّعِيَّةُ بذلك، ونادَوا بذِكْر الصَّحابَة، ونادوا: مُعاوية خالُ عليّ وخالُ المؤمنين. فأَرْسَلَ جَوْهَرٌ حين بَلَغَه ذلك رَجُلًا إلى الجامِع، فنادَى: أَيُّها النَّاسُ أَقِلُّوا القَوْلَ ودَعوا الفُضُول، فإنَّما حَبَسْنا العَجُوزَ صِيانَةً لها، فلا يَنْطِقَنَّ أحدٌ إلَّا حَلَّت به العُقُوبَةُ الموجعة؛ ثم أَطْلَقَ العَجُوز.

وفي رَبيعِ الأوَّل سنة اثنتين وستين، عَزَّرَ سليمان بن عَزَّة[a] المُحْتَسِب جَماعَةً من الصَّيارِفَة فشَغَبوا وصاحُوا: مُعاوية خالُ عليّ بن أبي طالب. فهَمَّ جَوْهَرٌ أن يَخْرِقَ رَحْبَة الصَّيارِفَة، لكن خَشِي على الجَامِع[١].

وأَمَرَ الإمامَ بجَامِع مصر أن يَجْهَر بالبَسْمَلَة في الصَّلاة ـ وكانوا لا يَفْعَلُون ذلك ـ وزِيدَ في صَلاةِ الجُمُعَة القُنُوتُ في الرَّكْعَةِ الثانية، وأَمَرَ في المواريث بالرَّدِّ على ذَوي الأرْحام، وأَلَّا يَرِث مع البِنْت أَخٌ ولا أُخْتٌ ولا عَمٌّ ولا جَدٌّ ولا ابنُ أَخٍ ولا ابنُ عَمَّة[b]، ولا يَرِثُ مع الوَلَدِ الذَّكَر أو الأنثى إلَّا الزَّوْجُ أو الزَّوْجَة والأَبَوان والجَدَّة، ولا يرِثُ مع الأمِّ إلَّا مَنْ يَرِث مع الوَلَد[٢].

وخَاطَبَ أبو الطَّاهِر محمد بن أحمد قاضي مصر القائِد جَوْهَرًا في بنتٍ وأخٍ، وأنَّه كان حَكَمَ قَديمًا للبنتِ بالنّصْف، وللأخ بالباقي. فقال: لا أَفْعَل. فلمَّا أَلَحَّ عليه، قال: يا قاضي، هذا عَداوَةٌ لفاطِمة ـ عليها السَّلام ـ فأَمْسَكَ أبو الطَّاهِر، ولم يُراجعه بَعْدُ في ذلك[٣].

وصارَ صَوْمُ شهر رَمَضان والفِطْرُ على حِسابٍ لهم. فأشارَ الشُّهودُ على القاضي أبي الطَّاهِر أَلَّا يَطْلُب الهِلال، لأنَّ الصَّوْمَ والفِطْر على الرُّؤْيَة قد زال. فانْقَطَعَ طَلَبُ الهِلالِ من مصر، وصامَ القاضي وغيره مع القائِد جَوْهَر كما يَصُومُ، وأَفْطَرُوا كما يُفْطِر[٤].

---

a) بولاق: عروة. b) بولاق: عم.

---

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ١٣٢.

[٢] عن نظام الميراث عند الفاطميين راجع، القاضي النعمان: دعائم الإسلام ٢:٣٧٩- ٣٨٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٨٩؛ Fyzee, A.A.A., «The Fatimid Law of Inheritance», *SI* IX (1958), pp. 61-69؛ وفيما تقدم ١: ٢٩٩.

[٣] قارن، ابن حجر: رفع الإصر ١٩٩- ٢٠٠.

[٤] المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ١١٦، المقفى الكبير =

ولمَّا دَخَلَ المُعِزُّ لدينِ الله إلى مصر ، ونَزَل بقَصْره من القاهِرَة المُعِزِّيَّة ، أَمَرَ في رَمَضان سنة اثنتين ٣٤١:٢ وستين وثلاث مائةٍ ، فكُتِبَ على سَائِرِ الأماكِن بمَدينَة مصر « خَيْرُ النَّاس بعد رَسُولِ الله ﷺ/ أَميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام » [١].

وفي صَفَر سنة خمسٍ وستين وثلاث مائة ، حَضَرَ[a] عليُّ بن النُّعْمان القاضي بجَامِعِ القاهِرَة ـ المعروف بالجَامِع الأَزْهَر ـ وأَمْلى مُخْتَصَر أبيه في الفِقْه عن أَهْلِ البَيْت ، ويُعْرَف هذا المُخْتَصر بـ « الاقْتِصار » ، وكان جَمْعًا عَظيمًا ، وأَثْبَتَ أسْمَاء الحاضِرين [٢].

ولمَّا تَوَلَّى يَعْقُوبُ بن كِلِّس الوَزارَة للعَزيز بالله نِزار بن المُعِزّ ، رَتَّب في دَاره العُلَماء من الأُدَبَاء والشُّعَراء والفُقَهاء والمُتَكَلِّمين ، وأَجْرَى لجَميعهم الأَرْزاق ، وأَلَّف كِتابًا في الفِقْه ، ونَصَبَ له مَجْلِسًا ـ وهو يوم الثلاثاء ـ يَجْتَمِع فيه الفُقَهاءُ وجَماعَةٌ من المُتَكَلِّمين وأَهْل الجَدَل ، و يُجْرى[b] بينهم المناظَرات [٣].

وكان يَجْلِس أيضًا في يوم الجُمُعَة ، فيقرأ مُصَنَّفاتِه على النَّاس بنفسه ، ويَحْضُر عنده القُضَاةُ والفُقَهاءُ والقُرَّاءُ والنُّحَاةُ وأَصْحابُ الحَديث ، ووُجُوهُ أَهْلِ العِلْم والشُّهود ، فإذا انْقَضَى المَجْلِس من القِراءَة ، قامَ الشُّعَراءُ لإنْشادِ مَدائِحِهم فيه ، وجَعَل للفُقَهاءِ في شهر رَمَضان الأطعمة [٤].

وأَلَّفَ كِتابًا في الفِقْه يتَضَمَّن ما سَمِعَه من المُعِزّ لدين الله ومن ابنه العَزيز بالله ، وهو مُبَوَّبٌ على أبْوابِ الفِقْه [٥] ، يكون قَدْرُه مثل نِصْف « صَحيح البُخاري » مَلَكْتُه ووَقَفْتُ عليه ، وهو يَشْتَمِلُ على فِقْهِ الطَّائِفَة الإسماعيلية . وكان يجلس لقِراءَة هذا الكِتاب على النَّاسِ بنَفْسه ، وبَيْن يَدَيْه خَواصُّ النَّاس وعَوامُّهُم ، وسَائِرُ الفُقَهاء والقُضَاة والأُدَباء وأَفْتَى النَّاسُ به ، ودَرَسُوا فيه بالجَامِع العَتيق .

وأَجْرَى العَزيزُ بالله لجَماعَةٍ من الفُقَهاء ، يَحْضُررون مَجْلِس الوَزير ويُلازِمُونه ، أَرْزاقًا تَكْفيهم في كلِّ شهر ، وأَمَرَ لهم ببناءِ دارٍ إلى جَانِب الجَامِع الأَزْهَر ، فإذا كان يومُ الجُمُعَة تَحَلَّقُوا فيه بعد الصَّلاة إلى أن تُصَلَّى صَلاةُ العَصْر . وكان لهم من مالِ الوَزير أيضًا صِلَةٌ في كلِّ سنة ، وعِدَّتُهم

a) بولاق : جلس. b) بولاق : تجري .

= ٣: ١٠١، ٤؛ وفيما تقدم ٢: ٢٨٧. وصَدَرَ عن المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق سنة ١٩٥٧.

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١: ١٣٥.

[٢] نفســه ١: ٢٢٧. وكِتابُ «الاقْتِصار» ، نَشَره د. ميرزا ،

[٣] فيما تقدم ٣: ١٦.

[٤] فيما تقدم ٣: ١٦.

[٥] فيما تقدم ٣: ١٧.

خمسة وثلاثون رجلًا ، وخَلَعَ عليهم العَزيزُ بالله في يَوْم عيد الفِطْر ، و حَملَهم على بِغال[١] .

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائةٍ ، أَمَرَ العَزيزُ بن المُعِزّ بقَطْع صَلاةِ التَّراويح من جميع البلادِ المصرية .

وفي سنة إحدى و ثمانين وثلاث مائةٍ ضُرِبَ رَجُلٌ بمصر وطِيف به المَدينَة ، من أَجْلِ أَنَّه وُجِدَ عنده « كِتابُ المُوَطَّـأ » لمالِك بن أَنَس ـ رحمه الله[٢] .

وفي شهر رَبيعٍ الأَوَّل سنة خمسٍ وثمانين وثلاث مائةٍ ، جَلَسَ القَاضِي محمد بن النُّعْمان على كرسي بالقَصْر في القاهِرَة لِقراءةِ عُلُومِ أَهْلِ البَيْت على الرَّسْمِ المتقدِّم له ولأخيه بمصر ولأبيه بالمغرب ، فماتَ في الزَّحْمَة أَحَدَ عشر رَجُلًا[٣] .

وفي جُمادَىٰ الأولىٰ سنة إحدى وتسعين وثلاث مائةٍ ، قُبِضَ على رَجُلٍ من أَهْلِ الشَّام سُئِل عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال : لا أعْرِفه . فاعْتَقَلَه قاضي القُضَاة الحَسَن بن محمد^{a)} بن النُّعْمان ، قاضي أمير المؤمنين الحاكِم بأمر الله على القاهِرَة المُعِزِّيَّة ومصر والشَّامات و الحَرَمَيْن والمغرب ، وبَعَثَ إليه وهو في السِّجْن أربعة من الشُّهُود وسألوه ، فأقَرّ بالنَّبيّ ﷺ وأنَّه نَبِيٌّ مُرْسَل ، وسُئِلَ عن عليّ بن أبي طالب فقال : لا أعْرِفه . فأَمَرَ قائِدُ القُوّادِ الحُسَيْن ابن جَوْهَر بإحْضارِه ، فخَلا به ورَفَقَ في القَوْلِ له ، فلم يَرْجع عن إنْكارِه مَعْرِفَة عليّ بن أبي طالِب . فطُولِع الحاكِمُ بأمْرِه ، فأَمَرَ بضَرْبِ عُنُقِه ، فضُرِبَ عُنُقُه وصُلِب[٤] .

وفي سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائةٍ ، قُبِضَ على ثلاثة عشر رجلًا ، وضُرِبُوا وشُهِروا على الجِمال وحُبِسُوا ثلاثة أيّام من أَجْلِ أنّهم صَلّوا صَلاةَ الضُّحَى .

وفي مُحَرَّم[a] سنة خمسٍ وتسعين وثلاث ومائةٍ ، قُرِئَ سِجلٌّ في الجَوامِع بمصر والقاهِرَة والجَزيرَة : بأن تَلْبَس النَّصارىٰ واليَهود الغِيار والزُّنّار ، وغيارُهم السَّواد غِيارُ العاصِين العَبّاسيين ، وأن يَشُدُّوا الزُّنّار . وفيه قَذْعٌ[b] وفُحْشٌ في حَقِّ أبي بكر وعُمَر ـ رضي الله عنهما[٥] .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : وقوع .

---

[١] فيما تقدم ٩٥.

[٢] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١: ٢٧٣.

[٣] نفسه ١: ٢٨٥، وفيما تقدم ٢: ٣٠٥.

[٤] نفسه ٢: ٣٩.

[٥] نفسه ٢: ٥٣.

وقُرئَ سِجلٌّ آخَر فيه مَنْعُ النَّاس من أكْلِ المُلوخية المحَبَّبة كانتِ لمعاوِيَة بن أبي سُفْيان ، ومَنْعهم من أكْلِ البَقْلَة المسمَّاة بالجَرْجير المنسوبة لعائِشة ـ رضي الله عنها ، ومن المُتَوكِّلِيَّة المنسوبة إلى المُتَوَكِّل ، والمَنْع من عَجين الخبْز بالرِّجل ، والمَنْع من أكْلِ الدُّلِينس ، ومن ذَبْح البَقَر إلا ذا عاهَة ـ ما عَدا أيَّام النَّحْرِ فإنَّه يُذْبَح فيها البَقَر فقط ـ والوَعيد للنَّخَّاسين مَتَى باعوا عَبْدًا أو أَمَةً لذِمِّي .

وقُرئَ سِجلٌّ آخَر بأن يُؤَذِّن بصَلاةِ[a] الظُّهْر في أوَّلِ السَّاعةِ السابعة ، ويؤذِّن بصَلاةِ[a] العَصْر في أوَّلِ السَّاعَة التاسعة [1].

وقُرِئ أيضًا سِجلٌّ بالمَنْع من عَمَلِ الفُقَّاع وبَيْعه في الأسْواق ، لما يؤثر عن علي بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه ـ من كراهية شُرْبِ الفُقَّاع ، وضُرِبَ في الطُّرُقات و الأسْواقِ بالجَرَس[b] ، ونُودي ألَّا يَدْخُل الحَمَّام أحَدٌ إلَّا بمِئْزَرٍ ، ولا تَكْشِف امرأةٌ وَجْهَها في طَريقٍ ولا خَلْفَ جَنازَةٍ ولا تَتَبَرَّج ، ولا يُباعُ شيءٌ من السَّمَك بغير قِشْر ، ولا يَصْطاده أحَدٌ من الصَّيَّادين . وقُبِضَ على جَماعَةٍ وُجِدوا في الحَمَّام بغير مِئْزَر ، فضُرِبوا وشُهِروا [2].

وكُتِبَ في صَفَر من هذه السَّنةَ على سَائِر المساجِد وعلى الجَامِع العَتيق بمصر من ظاهِرِه وباطِنِه من جَميع جَوانبِه ، وعلى أبْوابِ الحَوانيت والحُجَر ، وعلى المقابِر والصَّحْراء ، سَبُّ السَّلَف ولَعْنهم ، ونُقِشَ ذلك ولُوِّنَ بالأصْباغ والذَّهَب ، وعُمِلَ ذلك على أبْوابِ الدُّور والقَياسِر ، وأُكْرِهَ النَّاسُ على ذلك .

٣٤٢:٢ وتَسارَعَ النَّاسُ إلى الدُّخُولِ في الدَّعْوَةِ ، فجَلَسَ لهم قاضِي القُضَاة عبد / العزيز بن محمد ابن النُّعْمان ، فقَدِموا من سَائِرِ النَّواحي والضِّياع . فكان للرِّجال يَوْمُ الأحد ، وللنِّساء يَوْمُ الأربعاء ، وللأشْرافِ وذَوي الأقْدارِ يَوْمُ الثلاثاء . وازْدَحَم النَّاسُ على الدُّخُول في الدَّعْوَة فماتَ عِدَّةٌ من الرِّجال والنِّساء .

ولمَّا وَصَلَت قافِلَةُ الحاج ، مَرَّ بهم من سَبِّ العامَّة وبَطْشِهم ما لا يُوصَفِ . فإنَّهم أرادوا حَمْل الحاج على سَبِّ السَّلف فأَبَوا ، فحَلَّ بهم مكروهٌ شديد [3].

---

a) بولاق : لصلاة . b) بولاق : الحرس .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٥٣.

[2] نفسه ٢ : ٥٣ – ٥٤.

[3] نفسه ٢ : ٥٤.

وفي جُمادَىٰ الآخِرة من هذه السنة ، فُتِحَت « دارُ الحِكْمَةِ بالقاهِرَة » ، وجَلَس فيها القُرّاءُ ، وحُمِلَتِ الكُتُبُ إليها من خَزائِن القُصور ، ودَخَلَ النَّاسُ إليها ، وجَلَسَ فيها القُرّاءُ والفُقَهاءُ والمُنَجِّمون والنُّحاةُ وأصْحابُ اللُّغَة والأطِبّاءُ ، وحَصَلَ فيها من الكُتُب في سائِر العُلُوم ما لم يُرَ مثله مُجْتَمِعًا ، وأُجْري على مَنْ فيها من الخُدَّام والفُقَهاءِ الأرْزاقُ السَّنِيَّة ، وجُعِلَ فيها ما يُحْتاجُ إليه من الحِبْر والأقْلام والمحابِر والوَرَق [١].

وفي يوم عاشُوراء سنة ستٍّ وتسعين وثلاث مائةٍ ، كان من اجْتِماع النَّاسِ ما جَرَت به العادَة ، وأُعْلِن بسَبِّ السَّلَفِ فيه . فقُبِضَ على رَجُلٍ نُودي عليه : هذا جَزاءُ من سَبَّ عائِشَة وزَوْجَها ﷺ ، ومعه من الرَّعاع ما لا يَقَع عليه حَصْرٌ ، وهم يَسُبُّون السَّلَف ، فلمَّا تَمَّ النِّداءُ عليه ضُرِبَ عُنُقُه [٢].

واستَهَلَّ شهرُ رَجَب من هذه السنة بيوم الأربعاء ، فخَرَج أَمْرُ الحاكِم بأمْرِ الله أن يُؤَرَّخ بيوم الثلاثاء [٣].

وفي سنة سبعٍ وتسعين وثلاث مائةٍ ، قُبِضَ على جَماعَةٍ مِمَّن يَعْمَل الفُقّاع ، ومن السَّمّاكين ومن الطَّبّاخين . وكُبِسَتِ الحَمَّاماتُ فأُخِذَ عِدَّةٌ مِمَّن وُجِدَ بغير مِئْزَر ، فضُرِبَ الجَميعُ لمخالَفَتهم الأمْر ، وشُهِروا [٤].

وفي تاسع رَبيع الآخِر ، أَمَرَ الحاكِمُ بأمْرِ الله بمَحْو ما كُتِبَ على المساجِد وغيرها من سَبِّ السَّلَف ، وطافَ مُتَوَلّي الشُّرْطَة وأَلْزَمَ كلَّ أحَدٍ بمَحْوِ ما كُتِبَ[a] من ذلك .

ثم قُرِئَ سِجِلٌّ في رَبيعِ الآخر سنة تسعٍ وتسعين وثلاث مائة : بألَّا يُحْمَل شيءٌ من النَّبيذ والمِزْر ، ولا يُتَظاهَر به ، ولا بشيءٍ من الفُقّاع والدُّلينس والسَّمَك الذي لا قِشْرَ له والتُّرْمِس المُعَفَّن[b] [٥].

وقُرِئَ سِجِلٌّ في رَمَضان على سائِر المنابِر بأنَّه : يَصُومُ الصَّائِمون على حِسابِهم ويُفْطِرون ، ولا يُعارَض أَهْلُ الرُّؤْيَة فيما هم عليه صائِمون ومُفْطِرون . صَلاةُ الخمسين للذين بما[c] جاءَهم فيها

---

a) بولاق : ما كتب على المساجد . b) بولاق : العفن . c) بولاق : صلاه الخمس الذين فيما .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٥٦ ؛ وفيما تقدم ٢ : ٥٠٢ – ٥٠٣ .

[٢] نفســه ٢ : ٦٧ .

[٣] نفســه ٢ : ٦٧ .

[٤] نفســه ٢ : ٦٩ .

[٥] نفســه ٢ : ٧٧ .

يُصَلُّون ، وصَلاةُ الضُّحَى وصَلاةُ التَّراويح لا مانِع لهم منها ، ولا هم عنها يُدْفَعون . يُخَمِّس في التَّكْبير على الجَنائِز المُخَمِّسون ، ولا يُمْنَع من التَّرْبيع عليها المُرَبِّعون . يُؤَذِّن بـ « حيّ على خَيْر العَمَل » المؤذِّنون ، ولا يُؤْذَى مَنْ بها لا يُؤَذِّنون . ولا يُسَبُّ أحَدٌ من السَّلَف ، ولا يُحْتَسَب على الواصِف فيهم بما وَصف ، والحالِفُ منهم بما حَلَف . لكلِّ مُسْلمٍ مُجْتَهِدٍ في دينه اجْتِهادُه[a]، وإلى الله رَبِّه مَعادُه ، عنده كِتابُه وعليه حِسابُه[1].

وفي صَفَرٍ سنة أربع مائةٍ ، شُهِرَ جَماعَةٌ بعدما ضُرِبوا بسَبَبِ بَيْع الفُقَّاع والمُلُوخِيّة والدّلينس والتّرْمِس[2].

وفي تاسِع عشر شهر شَوَّال ، أَمَرَ الحاكِمُ بأمْرِ الله برَفْعِ[b] ما كان يُؤْخَذ من الخُمْسِ والزَّكاة والفِطْرَةِ والنَّجْوَىٰ ، وأبْطَلَ قِراءَة مَجالِس الحِكْمَة في القَصْر ، وأَمَرَ بِرَدِّ التَّثْويب في الأذان ، وأَذِنَ للنَّاسِ في صَلاة الضُّحَى وصَلاةِ القُنُوتَ[c]، وأَمَرَ المؤذِّنين بأَسْرِهم في الأذان بألّا يقولوا : « حَيّ على خَيْر العَمَل » وأن يقولوا في الأذانَ للفَجْر « الصَّلاةُ خَيْرٌ من النَّوْم »[3].

ثم أَمَرَ في ثاني عشرين رَبيعِ الآخر سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ بإعادَة قَوْل « حَيّ على خَيْر العَمَل » في الأذان ، وقَطَع التَّثْويب ، وتَرَكَ قَوْلهم : « الصَّلاةُ خَيْرٌ من النَّوْم » ، ومَنَعَ من صَلاةِ الضُّحى وصَلاةِ التَّراويح ، وفَتَحَ بابَ الدَّعْوَة ، وأُعيدَت قِراءَةُ المَجالِس بالقَصْر على ما كانت . وكان بَيْن المَنْعِ من ذلك والإِذْنِ فيه خمسةُ أشهر[4].

وضُرِبَ في جُمادَىٰ من هذه السنة جماعَةٌ وشُهِروا بسَبَب بَيْع المُلُوخِيّة ، والسَّمَك الذي لا قِشْرَ له ، وشُرْب المُسْكِرات ، و تُتُبِّع السَّكارى فضُيِّقَ عليهم[5].

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرين شَعْبان سنة إحدى وأربع مائةٍ ، وَقَّعَ قاضي القُضاة مالِك ابن سعيد الفارِقي إلى سَائِر الشُّهود والأُمَناء ، بخُروجِ الأَمْرِ المُعَظَّم بأن يكون الصَّوْمُ يوم الجُمُعَة ، والعيدُ يوم الأحد[6].

---

a) بولاق : واجتهاده . b) في اتعاظ الحنفا : بإبطال . c) بولاق : التراويح .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٧٨، وفيما تقدم ١٤٠.

[2] نفســه ٢ : ٨١.

[3] نفســه ٢ : ٨٢.

[4] نفســه ٢ : ٨٦.

[5] نفســه ٢ : ٨٦.

[6] نفســه ٢ : ٨٧.

وفي شَعْبان سنة اثنتين وأربع مائة ، قُرِئَ سِجلٌّ يُشَدِّدَ فيه النَّكير على بَيْع المُلوخِيَّة والفُقَّاع والسَّمك الذي لا قِشْرَ له ، ومَنْع النِّساء من الاجْتِماع في المَآتم ومن اتِّباع الجَنائز ، وأَحْرَق الحاكِمُ بأمْرِ الله في هذا الشهر الزَّبيب الذي في مَخازِن التُّجّار ، وأَحْرَق ما وُجِدَ من الشُّطْرنج ، وجَمَعَ صَيّادي السَّمَك وحَلَّفَهم بالأيمان المؤكَّدة ألّا يَصْطادوا سَمَكًا بغير قِشْر ، ومَنْ فَعَل ذلك ضُرِبت عُنُقُه [1].

وأَحْرَق في خمسة عشر يومًا ألفين وثمان مائةٍ وأربعين قِطْعة زَبيب : بَلَغ ثَمَن النَّفَقة عليها خمس مائة دينار[a] [2].

ومَنَع من بَيْع العِنَب إلَّا أربعة أرْطالٍ فيما دونها ، ومَنَعَ من اعْتِصارِه ، وطَرَحَ عِنَبًا كثيرًا في الطُّرُقات وأَمَرَ بدَوْسِه . فامْتَنَع النَّاسُ من التَّظاهرُ بشيء من العِنَب في الأسْواق ، واشْتَدَّ الأمْرُ فيه ، وغُرِّقَ منه ما حُمِلَ في النِّيل [3].

وأَحْصَى ما بالجِيزَة من الكُروم ، فقُطِفَ ما عليها من العِنَب ، وطُرِحَ بأجْمَعِه[b] تحت أرْجُل البَقَر لتَدُوسَه ، وفُعِلَ مثل ذلك في جهاتٍ كثيرة [4].

وخُتِمَ على مَخازِن العَسَل ، وغُرِّقَ منه في أربعة أيَّام / خمسة آلاف جَرَّة وإحدى وخمسين جَرَّة فيها العَسَل ، وغُرِّق من عَسلِ النَّحْلِ قَدْرُ إحدى وخمسين زِيرًا [5]. ٢:

وفي جُمادَى الآخِرة سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ ، اشْتَدَّ الإنْكارُ على النَّاس بسَبَبِ بَيْع الفُقَّاع والزَّبيب والسَّمك الذي لا قِشْرَ له ، وقُبِضَ على جَماعَةٍ وُجِدَ عندهم زَبيبٌ فضُرِبَت أعْناقُهم وسُجِنَت عِدَّةٌ منهم وأُطْلِقوا [6].

وفي شوَّال اعْتُقِلَ رَجُلٌ ، ثم شُهِرَ ونُودي عليه : هذا جَزاءُ من سَبَّ أبا بكرٍ وعُمَر ، ويُثير الفِتَن . فاجْتَمَعَ خَلْقٌ كثيرٌ بباب القَصْر ، فاسْتَغاثُوا : لا طاقَةَ لنا بمُخالَفَة المصريين ، ولا بمُخالَفَة الحَشَويَّة من العَوامّ ، ولا صَبْرَ لنا على ما جَرَى ، وكَتَبُوا قِصَصًا . فصُرِفُوا ، ووُعِدُوا بالمجيء في

---

a) في اتعاظ الحنفا : خمسة آلاف دينار . b) بولاق : ما جمعه من ذلك .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٩٠.
[2] نفســه ٢ : ٩٠.
[3] نفســه ٢ : ٩١.
[4] نفســه ٢ : ٩١.
[5] نفســه ٢ : ٩٣.
[6] نفســه ٢ : ٩٥.

غَد. فباتَ كثيرٌ منهم ببابِ القَصْر، واجتمعوا من الغَدِ فصَاحُوا وضَجُّوا. فخَرَجَ إليهم قائدُ القُوَّاد غَبْنٌ[a] فنَهاهُم، وأَمَرَهم عن أمير المؤمنين الحاكِم بأمْرِ الله أن يَمْضوا إلى مَعايشِهم. فانْصَرَفوا إلى قاضي القُضَاة مالِك بن سعيد الفارِقي وشَكَوا إليه، فتَبَرَّم من ذلك، فمَضوا وفيهم من يَسُبّ السَّلَف، ويُعَرِّض بالنَّاس. فقُرئَ سِجِلٌّ في القَصْر بالتَّرَحُّم على السَّلفِ من الصَّحابَة، والنَّهْي عن الخَوْضِ في ذلك. ورَكِبَ مَرَّةً فرأى لَوْحًا على قَيساريَّة فيه سَبُّ السَّلَفِ، فأَنْكَرَه، وما زالَ واقِفًا حتى قُلِع، وضَرَبَ بالجَرْس[b] في سَائر طُرُقاتِ مصر والقاهِرَة.

وقُرِئَ سِجلٌ بتَتَبُّع الأَلْواح المنصوبة على سَائِر أبْواب القَياسر والحَوانيت والدُّورِ والخاناتِ والأَرْباع، المشتملة على ذِكْر الصَّحابَة والسَّلَف الصَّالِح ـ رحمهم الله ـ بالسَّبِّ واللَّعْن، وقَلْع ذلك وكَسْره وتَقْفِيةِ أَثَره، ومَحْو ما على الحيطان من هذه الكتابة، وإزالَة جَميعها من سائر الجِهات حتى لا يُرَى لها أَثَرٌ في جِدارٍ ولا نَقْشٌ في لَوْح، وحَذَّرَ فيه من المخَالَفَة، وهَدَّد بالعُقُوبَة. ثم انْتَقَضَ ذلك كلّه، وعادَ الأمْرُ إلى ما كان عليه [1].

إلى أن قُتِلَ الخَليفَةُ الآمِرُ بأحْكام الله أبو عليّ مَنْصور بن المُسْتَعْلي بالله أبي القاسم أحمد ابن المُسْتَنْصر بالله أبي تَميم مَعَدٌّ، وثارَ أبو عليّ أَحْمَد المُلَقَّب كُتَيْفات ـ بن الأَفْضَل شاهِنْشاه بن أمير الجُيُوش، واسْتَوْلَى على الوَزارَة في سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائةٍ وسَجَن الحافِظَ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسِم محمد ابن الخَليفَة المُسْتَنْصر بالله، وأَعْلَنَ بمَذْهَبِ الإمامية، والدَّعْوَة للإمام المُنْتَظر، وضَرَبَ دَراهم نَقْشَها «الله الصَّمَد. الإمامُ مُحَمَّد» [2].

ورَتَّبَ في سنة خمسٍ وعشرين أربعة قُضَاة: اثنان: أحَدُهما إماميّ والآخَر إسْماعيليّ، واثنان: أحَدُهما مالِكيّ والآخَر شافِعيّ، فحَكَمَ كلٌّ منهما بمَذْهَبِه، ووَرَّثَ على مُقْتَضَاه، وأَسْقَطَ ذِكر إسْماعيل بن جَعْفَر الصَّادِق، وأَبْطَلَ من الأذان «حيّ على خَيْر العَمَل» وقَوْلَهم: «محمَّد وعليّ خَيْر البَشَر» [3]. فلمَّا قُتِلَ في المحرَّم سنة ستٍّ وعشرين، عادَ الأَمْرُ إلى ما كان عليه من مَذْهَبِ الإسْماعيلية.

---

a) بولاق: عين. b) بولاق: الحرس.

---

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٩٨.

[2] انظر فيما تقدم ٢: ٣٤٩، وهذا المجلد ١: ٢٠١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١٤٠–١٤١.

[3] ابن ميسر: أخبار مصر ١١٥–١١٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٧، المقريزي: المقفى الكبير ١: ٣٩٧، ٣٩٥، اتعاظ الحنفا ٣: ١٤٢، ١٤٣؛ ابن حجر: رفع =

وما بَرِحَ حتى قَدِمَت عَساكِرُ الملك العادِل نُورِ الدِّين محمود بن زَنْكي من دِمَشْق عليها أَسَدُ الدِّين شيرْكوه، ووَلِيَ وَزارَة مصر للخَليفَة العاضِد لدين الله أبي محمد عبد الله ابن الأمير يُوسُف ابن الحافِظ لدين الله، وماتَ. فقامَ في الوَزارَة بعده ابنُ أخيه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِر صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب، في جُمادَى الآخِرة سنة أربع وستين وخمس مائة، وشَرَعَ في تَغْيير الدَّوْلَة وإزالَتها، وحَجَرَ على العاضِد، وأَوْقَع بأُمَرَاءِ الدَّوْلة وعَساكِرِها، وأنشأ بمَدينَة مصر مَدْرَسَةً للفُقَهاءِ الشَّافِعيَّة ومَدْرَسَةً للفُقَهاءِ المالِكيَّة، وصَرَف قُضاةَ مصر الشِّيعَة كلَّهم، وفَوَّضَ القَضاءَ لصَدْرِ الدِّين عبد الملك بن دِرْباس الماراني الشَّافِعيّ[1]، فلم يَسْتَنِب عنه في إقْليم مصر إلَّا مَنْ كان شافِعِيَّ المَذْهَب. فتَظاهَرَ النَّاسُ من حينئذٍ بمَذْهَبي[a] مالِك والشَّافِعِي، واخْتَفَى مَذْهَبُ الشِّيعَة والإسْماعيلية والإماميَّة حتى فُقِدَ من أرْضِ مصر[b][2].

وكذلك كان السُّلْطانُ الملكُ العادِلُ نُورُ الدِّين محمود بن عمادِ الدِّين زَنْكي بن آقْ سُنْقُر حَنَفِيًّا فيه تَعَصُّب. فنَشَرَ مَذْهَبَ أبي حَنيفَة ـ رحمه الله ـ ببِلاد الشَّام، ومنه كَثُرَتِ الحَنَفِيَّةُ بمصر، وقَدِمَ إليها أيضًا عِدَّةٌ من بِلاد الشَّرْق، وبَنَى لهم السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب «المَدْرَسَة السُّيوفِيَّة» بالقاهِرَة[3]، وما زالَ مَذْهَبُهم يَنْتَشِر ويَقْوى، وفُقَهاؤُهم تَكْثُر بمصر والشَّام من حينئذٍ.

وأمَّا «العَقـائِدُ» فإنَّ السُّلْطانَ صَلاحَ الدِّين حَمَل الكافَّة على عَقيدةِ الشَّيْخ أبي الحَسَن عليّ ابن إسْماعيل الأشْعَري، تِلْميذ أبي عليّ الجُبَّائي[4]، وشَرَط ذلك في أوْقافِه التي بديار مصر:

---

a) بولاق: بمذهب. b) بولاق: من أرض مصر كلها.

= الإصر ١٦٢؛ Allouche, A., «The Establishment of Four Chief Judgeships in Fatimid Egypt», *JAOS* 105 (1985), pp. 317-20؛ وانظر فيما تقدم ٢٠١ تقرير الظّاهِر بيبرس لأربعة قضاة على المذاهب السُّنّيّة الأربعة سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م.

[1] أبو شامة: الروضتين ١: ٤٨٦؛ المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٢: ١٥٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٤٢- ٢٤٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ١٩٨؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣٦٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧: ٤٤٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١: ٤٧٤- ٤٧٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣١٩، السلوك ١: ١٧٠؛ ابن حجر: رفع الإصر ٢٥٢- ٢٥٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٥- ٣٨٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ١: ٢٣٣.

[2] فيما تقدم ٢: ٢٠٥.

[3] فيما يلي ٤٦٠- ٤٦١.

[4] انظر فيما يلي ٤٣٩- ٤٤٦.

كالمَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّة بجوارِ قَبْرِ الإمام الشَّافِعِيّ من القَرافَة، والمَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّة التي عُرِفَت بالشَّرِيفِيَّة بجوار جَامِع عَمْرو بن العَاص بمصر، و المَدْرَسَةِ المعروفة بالقَمْحِيَّة بمصر، وخانْكاه سَعيد السُّعداء بالقاهِرَة [1].

فاسْتَمَرَّ الحَالُ على «عَقيدَةِ الأَشْعَري» بديار مصر وبلاد الشَّام وأرْضِ الحِجَاز واليَمَن، وبلادِ المَغْرِب أيضًا لإدْخالِ محمد بن تُومَرْت رَأْيَ الأَشْعَري إليها. حتى إنَّه صارَ هذا الاعْتِقادُ بسَائِر هذه البِلاد، بحيث إنَّ من خَالَفَه ضُرِبَ عُنُقُه، والأَمْرُ على ذلك إلى اليوم.

ولم يَكُن في الدَّوْلة الأَيُّوبيَّة بمصر كثيرُ ذِكْرٍ لمَذْهَبِ أبي حَنيفَة وأحمد بن حَنْبَل، ثم اشْتُهِرَ مَذْهَبُ أبي حَنيفَة وأَحْمَد ابن حَنْبَل في آخِرِها.

فلمَّا كانت / سَلْطَنَةُ الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس البُنْدُقداري، وَلِيَ بمصر والقاهِرَة أربعة قُضَاة وهم ٢ شَافِعي ومالِكيّ وحَنَفي وحَنْبَلي [2]. فاسْتَمَرَّ ذلك من سنة خمسٍ وستين وستّ مائةٍ، حتى لم يَبْقَ في مَجْمُوعِ أَمْصَارِ الإسْلام مَذْهَبٌ يُعْرَف من مَذاهِبِ أَهْلِ الإسْلام سوى هذه المذاهِب الأربعة وعَقيدَة الأَشْعَري.

وعُمِلَت لأَهْلِها المَدَارِسُ والخَوَانِكُ والزَّوايا والرُّبَطُ في سَائِر مَمَالِك الإسْلام، وعُودي من تَمَذْهَبَ بغيرها وأُنْكِرَ عليه. ولم يُوَلَّ قاضٍ، ولا قُبِلَت شَهادَةُ أحَدٍ، ولا قُدِّمَ للخَطابَة والإمامَة والتَّدْريس أحدٌ، ما لم يَكُن مُقَلِّدًا لأحَدِ هذه المذاهِب. وأَفْتَى فُقَهاءُ هذه الأَمْصَارِ في طُولِ هذه المُدَّة بوُجُوبِ اتِّباعِ هذه المذاهِبِ وتَحْرِيمِ ما عَداها؛ والعَمَلُ على هذا إلى اليوم.

• • •

وإذْ قد بَيَّنَّا الحالَ في سَبَبِ اخْتِلافِ الأُمَّة منذ تُوفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ، إلى أنِ اسْتَقَرَّ العَمَلُ على مَذْهَبِ مالِك والشَّافِعي وأبي حَنيفَة وأَحْمَد بن حَنْبَل ـ رحمة الله عليهم ـ فلنَذْكُر اخْتِلافَ عَقائِدِ أَهْلِ الإسْلام منذ كان، إلى أن الْتَزَمَ النَّاسُ عَقيدَةَ الشَّيْخ أبي الحَسَن الأَشْعَري، رحمه الله ورَضِي عنه.

---

[1] فيما يلي ٤٥٤، ٤٥٥، ٦٣١، ٧٢٧.

[2] انظر فيما تقدم ٢٠١.

ذِكْر فِرَق الخَليقَة واخْتِلاف عَقائِدِها وتَبايُنها

اعْلَم أنَّ الذين تَكَلَّمُوا في أُصُولِ الدِّيانات قِسْمان ، هما : من خَالَف مِلَّة الإسْلام ، ومَنْ أَقَرَّ بها .

فأَمَّا « المُخالِفُون لمِلَّةِ الإسْلام » فهم عَشْرُ طَوائِف :

الأولى : الدَّهْرِيَّة .

والثَّانِيَة : أَصْحَابُ العَناصِر .

والثَّالِثَة : الثَّنَوِيَّة وهم المجُوس ، ويقولون بأَصْلَيْن هما النُّور والظُّلْمَة ، ويَزْعُمُون أنَّ النُّورَ هو يَزْدان والظُّلْمَة هو أَهْرَمُن ، ويُقِرُّون بنُبُوَّةِ إبراهيم - عليه السَّلام - وهم ثمانِ فِرَق :

«الكِيومَرْثِيَّة» أصْحابُ كِيومَرْث الذي يُقال إنَّه آدَم . و«الزَّرْوانِيَّة» أصْحاب زَرْوان الكبير . و«الزُّرَادِشْتيَّة» أصْحاب زُرادِشت بن بيورَسْت الحكيم . و«الثَّنَوِيَّة» أصْحابُ الاثنين الأزَلِيين . و«المانَوِيَّة» أصْحابُ ماني الحكيم . و«المَزْدَكية» أصْحاب مَزْدَك[a] الخارِجي . و«الدِّيصانِيَّة» أصْحاب دَيْصان[b] القائل بالأصْلَيْن القديمين . و«القَرْقُونية» القائلون بالأصْلَيْن ، وأنَّ الشَّرَّ خَرَجَ على أبيه ، وأنَّه تَوَلَّدَ من فكرة فَكَّرَها في نفسه ، فلمَّا خَرَجَ على أبيه - الذي هو الإله بزَعْمِهم - عَجَزَ عنه ، ثم وقَعَ الصُّلْحُ بينهما على يد النُّدْمان وهم الملائِكة . ومنهم من يقول بالتَّناسُخ ، ومنهم من يُنْكِر الشَّرائِع والأنْبياء ، ويُحَكِّمون العُقُول ، ويَزْعُمُون أنَّ النُّفوسَ العُلْوية تُفيض عليهم الفَضَائِل .

والطَّائِفَة الرَّابِعَة : الطَّبائِعيون .

والطَّائِفَة الخَامِسَة : « الصَّابِئَة » القائِلون بالهَياكِل والأرْبابِ السَّماوية والأصْنام الأَرْضية وإنْكارِ النُّبُوَّات ، وهم أُصناف ، وبينهم وبين الحُنَفَاء مُناظَرَاتٌ وحُروبٌ مُهْلِكَة ، وتَوَلَّدَت من مَذاهِبهم الحِكْمةُ المَلَطية ، ومنهم أصْحَابُ الرُّوحانيات ، وهم عُبَّادُ الكَواكِب وأصْنامِها التي عُمِلَت على تِمْثالِها[1] .

---

a) بولاق : مزرك والمزركية . b) جميع النسخ : البيصانية ... بيصان ، وهو خطأ .

---

[1] راجع عن الصَّابئة ، Fahd, T., *EI*² art. *al-Sâbi'a* VIII, pp. 694-98 وما ذكر من مراجع .

« والحُـنَفَاءُ » هم القائِلون بأنَّ الرُّوحَانيات منها ما وُجودُها بالقُوَّة ، ومنها ما وجُودُها بالفِعْل ، فما هو بالقُوَّة يَحْتاج إلى مَنْ يُوجِده بالفعل ، ويُقِرُّون بنُبُوَّة إبراهيم وأنَّه منهم [1] . وهم طَوائِف : « الكاظِمَة » أصْحاب كاظِم بن تارِح ، ومنْ قوله : إنَّ الحَقَّ في الجَمْع بين شَرِيعَة إدْريس وشَرِيعَة نُوح وشَريعة إبراهيم ـ عليهم السَّلام . ومنهم « البَيْدانِيَّة » أصْحابُ بَيْدان الأصْغَر ، ومن قَوْلِه : اعْتِقادُ نُبُوَّةِ من يَفْهَم عالَم الرُّوح ، وأنَّ النُّبُوَّةَ من أسْرار الإلهية . ومنهم « القُنْطارية » أصْحابُ قُنْطار بن أَرْفَخْشذ ، ويُقِرّ بنُبُوَّة نُوح .

ومن فِرَقِ الصَّابِئَة « أصْحابُ الهياكِل » ، ويَرَوْن أنَّ الشَّمْسَ إله كلِّ إله . و « الحَرَّانِيَّة » ومن قَوْلِهم : المَعْبود واحِد بالذات ، وكثيرٌ بالأشْخاص في رأي العَيْن ، وهي : المُدَبِّرات السَّبْع من الكَواكِب ، والأرضية الجزئية ، والعالِمَة الفاضِلَة .

والطَّائِفَة السَّادِسَة : اليَهُود .

والسَّابِعَة : النَّصارَىٰ .

والثَّامِنَة : أَهْلُ الهِنْد القائِلون بعِبادَة الأصْنام ، ويَزْعُمون أنَّها موضوعة قبل آدم . ولهم حِكَمٌ عقلية وأحْكامٌ وَضَعَها الشَّلَم أعْظَم حُكَّامهم ، والمُهَنْدَم قبله ، والبَرَاهِمَة قبل ذلك ؛ فالبَراهِمَة أصحابُ بَرْهام أوَّل من أنكر نُبُوَّة البشر [2] .

ومنهم «البَـرَدَة» : زُهَّادٌ عُبَّادٌ رجالُ الرَّماد الذين يهجرون اللَّذَّات الطَّبيعية ، وأصْحاب الرِّياضة التَّامَّة ، وأصْحاب التَّناسُخ . وهم أقسام : أصْحاب الرُّوحانيات [a]، والنَّهادرية ، والنَّاسُوتية ، والباهِرية ، و الكابِلية أهل الجَبَل ، ومنهم الطَّبْسيون ، أصْحاب الرِّياضَة الفاعِلة ، حتى إنَّ منهم من يُجاهِد نَفْسَه حتى يُسَلِّطها على جَسَدِه ، فيَصْعَد في الهَوَاء على قَدْر قُوَّته تلك [b].

وفي الهُنُود [c]: عُبَّادُ النَّار ، وعُبَّادُ الشَّمْس والقَمَر والنُّجوم ، وعُبَّادُ الأوْثان .

والطَّائِفَةُ التَّاسِعَة : الزَّنادِقَة ، وهم طَوائِفُ منهم القَرامِطَة .

---

a) بولاق : الروحانية . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : اليهود .

---

[1] راجع عن الحُنَفاء، Glidden, H.W., «The Development of the Meaning of the Koranic *Hanîf*», *JPOS* XIX (1939), pp. 1-3; Montgmery, Watt, W., *EI*[2] art. *Hanîf* III, pp. 169-170 (نُقِل إلى العربية في مجلة الأبحاث ١٣ (١٩٦٠)، ٢٥-٤٢).

[2] راجع عن البَراهِمَة ، البيروني : آثار البلاد ٥١- ٥٢؛ Rahmân, F., *EI*[2] art. *Barâhima* III, pp. 1062-63.

والعاشِرَةُ: الفَلاسِفَة أصْحابُ الفَلْسَفَة. وهذه الكلمة معناها مَحَبَّةُ الحِكْمَة [a]، فإنَّ «فيلو» مُحِبّ، و«سوفيا» حِكْمَة، والحِكْمَة قَوْلية وفِعْلية، وعِلْمُ الحُكَماء انْحَصَر في أربعة أنْواع: الطَّبيعي، والمَدَني، والرِّياضي، والإلهي. والمجموع ينصرف إلى: عِلْم ما، وعِلْم كَيْف، وعِلْم كَمّ. فالعِلْمُ الذي يُطْلَب فيه ماهِيَّة [b] الأشْياء هو الإلهي، والذي يُطْلَب فيه كَيْفِيَّات الأشْياء هو الطَّبيعي، والذي يُطْلَب فيه كَمِّيَّات الأشياء / هو الرِّياضي [١]. ٢:٤٥

ووَضَعَ بعد ذلك أرِسْطو صَنْعَة المَنْطِق، وكانت بالقُوَّة في كلام القُدَماء، فأظهرها في ترتيبه.

واسْم الفَلاسِفَة يُطْلَق على جماعةٍ من الهِنْد - وهم الطَّبْسيون والبَراهِمَة - ولهم رياضَةٌ شَديدَة، وينكرون النُّبُوَّة أصْلاً [٢]. ويُطْلَق أيضًا على العَرَب بوَجْهٍ أنْقَص، وحِكْمَتُهم تَرْجِع إلى أفكارِهم وإلى مُلاحَظَةٍ طبيعية، ويُقِرُّون بالنُّبُوَّات، وهم أضْعَفُ النَّاسِ في العُلُومَ [٣].

ومن الفَلاسِفَة حُكَماءُ الرُّومِ وهم طَبَقات: فمنهم أساطِينُ الحِكْمَة وهم أقْدَمُهم، ومنهم المَشَّاءون، وأصْحابُ الرِّواق، وأصْحابُ أرِسْطو، وفَلاسِفَة الإسْلام [٤].

فمن فَلاسِفَة الرُّوم: الحُكَماء السَّبْعَة أساطين الحِكْمَة - أهْل مَلَطْية وقُونْيَة - وهم: تاليس المَلَطي، وإنكساغُورَس، وإنَكْسِمانِس وإنْبادُقْليس، وفيثاغُورَس، وسُقْراط، وأفْلاطُون. ودون هؤلاء: فُلوطَرْخيس، وبُقْراط وديمُقْراطيس، والشُّعَراء، والنُّسَّاب [c] [٥].

ومنهم حُكَماءُ الأُصُول من القُدَماء، ولهم القَوْلُ بالسِّيمياء، ولهم أسْرارُ الخَواصِّ والحِيَل والكِيْمياء والأسْماء الفَعَّالة والحُرُوف، ولهم عُلُومٌ تُوافِق عُلوم الهِنْد وعُلُوم اليونانيين. وليس من مَوْضوع كِتابنا هذا ذِكْرُ تَراجِمهم، فلذلك تَرَكْناها [٦].

القِسْمُ الثَّاني: «فِرَقُ أَهْلِ الإسْلامِ» الذين عَناهُم النبيُّ ﷺ بقَوْله: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتي ثَلاثًا وسَبْعينَ فِرْقَةً: اثْنَتان وسَبْعون هالِكَةٌ، وواحِدَةٌ ناجِيةٌ». وهذا الحَديثُ أخْرَجه أبو داود والتِّرْمِذِيّ

---

a) بولاق: كلمة فيلسوف معناها مُحِبّ الحكمة. b) بولاق: ماهيات. c) بولاق: وأسعر والنساس.

---

[١] الشهرستاني: الملل والنحل ٢: ٦٢.

[٢] نفسه ٢: ٢٥٨.

[٣] نفسه ٢: ٢٤٢.

[٤] نفسه ٢: ٦٤.

[٥] نفسه ٢: ٦٥.

[٦] تناول هذا الموضوع بالتَّفصيل الشَّهْرستاني: الملل والنِّحل ٢: ٦٢- ١٢٧، وما أورده المقريزي هنا هو تلخيصٌ لما ذكره الشَّهْرِسْتاني مَصْدَرُ النَّقْل.

وابنُ مَاجه ، من حَديثِ أبي هُرَيْرَة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « افْتَرَقَتِ اليَهُودُ على إحدى (أو اثنتين وسبعين) فِرْقَةً ، وتَفَرَّقَتِ النَّصَارَىٰ على إحدى (أو اثنتين وسبعين) فِرْقَةً ، وتَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فِرْقَة » . قال البَيْهَقِي : حَسَنٌ صَحيح .

وأَخْرَجَه الحَاكِمُ وابنُ حِبَّان في «صَحيحِه» بنَحْوه . فأَخْرَجَه في « المُسْتَدْرَك » من طَريق الفَضْلِ ابن مُوسَىٰ ، عن محمد بن عَمْرو ، عن أبي سَلَمَة ، عن أبي هُرَيْرَة ، وقال : هذا حَديثٌ كثيرٌ في الأُصُول . وقد رُوي عن سَعْدِ بن أبي وَقَّاص ، وعبد الله بن عُمَر ، وعَوْف بن مالِك ، عن رَسُولِ الله ﷺ . وقد احْتَجَّ مُسْلِمٌ بمحمد بن عَمْرو عن أبي سَلَمَة عن أبي هُرَيْرَة ، واتَّفَقا جَميعًا على الاحْتجاجِ بالفَضْلِ بن مُوسَىٰ ، وهو ثِقَة [1] .

واعْلَمْ أنَّ فِرَقَ المسلمين خَمْسٌ : « أهْلُ السُّنَّة » و « المُرْجِئَةُ » ، و « المُعْتَزِلَةُ » ، و « الشِّيعَةُ » ، و « الخَوارِجُ » . وقد افْتَرَقَت كلُّ فِرْقَةٍ منها على فِرَقٍ : فأكثرُ افْتِراقِ أهْلِ السُّنَّة في الفُتْيا ، ونُبَذٍ يَسيرةٍ من الاعْتِقادات . وبَقِيَّةُ الفِرَق الأَرْبَع : منها ما[a] يُخالِفُ أهْلَ السُّنَّة الخِلافَ البَعيد ، ومنها من يُخالِفُهم الخِلافَ القَريب .

فأَقْرَبُ «فِرَقِ المُرْجِئَة» من قال : الإيمانُ إنَّما هو التَّصْدِيقُ بالقَلْبِ واللِّسانِ مَعًا فقط ، وإنَّ الأَعْمالَ إنَّما هي فَرائِضُ الإيمان وشَرائِعُه فقط ، وأبعدُهم أصْحابُ جَهْم بن صَفْوان ومحمد ابن كَرَّام .

وأَقْرَبُ «فِرَقِ المُعْتَزِلَة» أصْحابُ الحُسَيْن النَّجَّار وبِشْر بن غَيَّاث المَرِيسي ، وأبعدهم أصْحابُ أبي الهُذَيْل العَلَّاف .

وأَقْرَبُ «مَذاهِب الشِّيعَة» أصْحابُ الحَسَن بن صَالِح بنِ حَيّ ، وأبعدُهم الإمامِيَّة . وأمَّا الغالِيَة فلَيْسوا مُسْلمين ، ولكنَّهم أهْلُ رِدَّة وشِرْك .

وأَقْرَبُ «فِرَقِ الخَوارِج» أصْحابُ عبد الله بن يَزيد الإباضي ، وأبعدهم الأزارِقَة . وأمَّا البَطِّيخِيَّة ومَنْ جَحَدَ شيئًا من القُرْآن ، أو فارَق الإجْمَاعَ من العَجارِدَة وغيرهم ، فكُفَّارٌ بإجماعِ الأُمَّة .

وقد انْحَصَرَتِ الفِرَقُ الهالِكَة في عَشْرِ طَوائِف :

---

a) بولاق : من .

---

[1] راجع مناقشة هذا الحديث وأسانيده عند البغدادي : الفَرْق بين الفِرَق ، تحقيق محمد محيي الدِّين عبد الحميد ، القاهرة د.ت ، ٤ – ١١ .

الفِرقَةُ الأولى

المُعْتَزِلَة[١]

الغُلاةُ في نَفْي الصِّفَات الإلٰهية ، القائِلون بالعَدْلِ والتَّوْحيد ، وأنَّ المعارِفَ كلَّها عَقْلية حُصُولًا ووجُوبًا قبل الشَّرْعِ وبعده ، وأكثرهم على أنَّ الإمامَة بالاخْتيار . وهم عشرون فِرقَة:

إحْداها : « الواصِلِيَّةُ » ، أصْحابُ واصِل بن عَطَاء أبي حُذَيْفَة الغَزَّالَ ـ مَوْلَى بني ضَبَّة ، وقيل مَوْلَى بني مَخْزُوم ـ [a]وُلِدَ بالمَدِينَة سنة ثمانين ، ونَشَأ بالبَصْرَة ، ولقي أبا هاشِم عبد الله بن محمد ابن الحَنَفِيَّة ، ولازَم مَجْلِس الحَسَن بن أبي[b] الحَسَن[c] البَصْري ، وأكثر من الجُلُوس بسُوق الغَزْل ليَعْرِف النِّساءَ المُتَعَفِّفات ، فيَصْرِف إليهن صَدَقَته ، فقيل له الغَزَّال من أجْلِ ذلك .

وكان طَويلَ العُنُق جِدًّا ، حتى عابَه عَمْرو بن عُبَيْد بذلك ، فقال : مَنْ هذه عُنُقُه لا خَيْرَ عنده . فلمَّا بَرَعَ واصِلُ قال عَمْرو : رُبَّما أخْطأت الفِراسَةِ . وكان يَلْثَغُ بالرَّاء ، ومع ذلك فكان فَصيحًا لَسِنًا مُقْتَدِرًا على الكلام قد أَخَذَ بجَوامِعِه ، فلذلك أمكنه أن أَسْقَط حَرْفَ الرَّاء من كلامِه ، واجْتِنابُ الحُرُوف صَعْبٌ جِدًّا ، سِيَّما[d] مثل الراء ؛ لكثرة اسْتِعْمالِها .

---

a-a) هذه الفَقْرَة حتى نهاية العلامة في الصفحة التالية ، موجودة في هامش نسختي ميونخ وآياصوفيا . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : الحسين . d) بولاق : لاسيما .

---

[١] المُعْتَزِلَة . إحدى أهَمّ الفِرق الكلامية ، نشأت في البَصْرَة في النصف الأوَّل من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي على يد واصِل بن عَطَاء ، المتوفى سنة ١٣١هـ/ ٧٤٨م . ويُعَدّون أصحاب النَّزْعَة العقلية في الإسلام . ويقوم مَذْهَبُهم على أصُولٍ خمسة هي : التَّوْحيد ، والعَدْل ، والمنزلة بَيْن المنزلتين ، والأمْر بالمعروف والنَّهْي عن المُنْكر ، والوَعْد والوَعيد . وظَلَّ تأثيرهم قائمًا حتى انتشر المَذْهَبُ الأشْعَري وتَبَنَّاه السَّلاجِقَةُ السُّنِّيُّون في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي .

وقد تَطَوَّرَت دراسةُ تاريخ المُعْتَزِلَة في النصف قرن الأخير بفَضْلِ ظهور مصادر جديدة بأقلام شيوخ الاعْتِزال ، كَشَفَ عنها في اليمن سنة ١٩٥١-١٩٥٢ والذي المرحوم فؤاد سيد ، ومنها : «المُغْني في أبواب التوحيد والعَدْل» للقاضي عبد الجبار بن أحمد و«فَضْلُ الاعتزال وطبقات المعتزلة» له أيضًا ، و«مقالاتُ الإسلاميين» لأبي القاسم البَلْخي ، و«شَرْح الأصُول الخمسة» لابن مانكديم ، إضافةً إلى الفَصْل الذي عَقَده ابنُ النَّديم في «الفِهْرِست» والشَّهْرِسْتاني في «المِلَل والنِّحل» والأشْعَري في «مقالات الإسلاميين» .

ومن الدِّراسات الحديثة كتاب زهدي حسن جار الله : المعتزلة ، القاهرة ١٩٤٧ (الذي مازال يحتفظ ببعض قيمته) ؛ أحمد محمود صبحي : المعتزلة ، الإسكندرية ـ منشأة المعارف ١٩٧٥؛ Gimaret, D., *EI*[2] *Muʿtazila* VII, pp. 785-95، وما ذكر من مراجع .

وله رِسالَةٌ طَويلَةٌ لم يَذْكُر فيها حرف الرَّاءِ، أَحد بدائِع الكَلام، وكان لكثرة صَمْتِه يُظَنُّ به الخَرَس، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة. وله كِتابُ «المَنْزِلَة بَيْن المَنْزِلَتَيْن»، وكِتابُ «الفُتْيا»، وكِتابُ «التَّوْحيد»، وعنه أَخَذَ جماعَةٌ، وأخبارُه كثيرة[a]، ويُقالُ لهم أيضًا «الحَسَنِيَّة» نسبة إلى الحَسَن البَصْري.

وأَخَذَ واصِلُ العِلْم عن أبي هاشِم عبد الله بن محمد بن الحَنَفِيَّة، وخالَفَه في الإمامَة. واعْتِزالُه يَدُورُ على أَرْبَعِ قواعِد هي: «نَفْيُ الصِّفَات»، و «القَوْلُ بالقَدَرِ»، و «القَوْلُ بمَنْزِلَةٍ بَيْن مَنْزِلَتَيْن»، وأَوْجَب الخُلُودَ في النَّار على مَنِ ارْتَكَبَ كبيرة.

فلمَّا بَلَغَ الحَسَن البَصْري عنه / هذا، قال: هؤلاء اعْتَزَلوا، فسُمُّوا من حينئذٍ «المُعْتَزِلَة». وقيل إنَّ تسميتهم بذلك حَدَثَت بعد الحَسَن، وذلك أنَّ عَمْرو بن عُبَيْد لمَّا ماتَ الحَسَن، وجَلَسَ قَتادةُ مجلِسَه، اعْتَزَلَه في نَفَرٍ معه، فسَمَّاهم قَتادَة «المُعْتَزِلَة».

القاعِدةُ الرَّابِعَة: القَوْلُ بأنَّ إحدى الطَّائِفَتَيْن من أَصْحابِ الجَمَلِ وصِفِّين مُخْطِئَةٌ لا بعينها. وكان في خِلافَه هِشَام بن عبد الملك.

والثَّانية: «العَمْرَوِيَّة»، أَصْحابُ عَمْرو بن عُبَيْد[b]، ومن قَوْلِه: تَرْك قَوْل عليّ بن أبي طالِب وطَلْحة والزُّبَيْر - رضي الله عنهم. وقال ابن قُتَيْبة[c]: اعْتَزَلَ عَمْرو بن عُبَيْد وأَصْحابه الحَسَن، فسُمُّوا المُعْتَزِلَة.

والثَّالِثَة: «الهُذَيْلِيَّة»: أَتْباعُ أبي الهُذَيْل محمد بن الهُذَيْل العَلَّاف شَيْخُ المُعْتَزِلَة، أَخَذَ عن عُثْمان بن خالِد الطَّويل، عن وَاصِل بن عَطَاء، ونَظَرَ في الفَلْسَفَة، ووافَقَهم في كثيرٍ، وقال: جَميعُ الطَّاعات من الفَرائِض والنَّوافِلَ إيمان.

وانْفَرَدَ بعَشْرِ مَسائِل وهي: أنَّ عِلْمَ الله وقُدْرَتَه وحَياتَه هي ذاته، وأَثْبَتَ إرادات لا مَحَلَّ لها يكون الباري مُريدًا بها[d]. وقال: بَعْضُ كلام الله لا في مَحَلّ وهو قوله كُنْ، وبعضه في مَحَلّ كالأمر والنَّهْي. وقال في أُمورِ الآخِرَة كمَذْهَب الجَبْرِيَّة. وقال: تَنْتَهي مَقْدوراتُ الله حتى لا يَقْدِر على إحْداثِ شيءٍ، ولا على إفْناءِ شيءٍ، ولا إحْياءِ[e] ولا إماتَة[f]، وتَنْقَطِعُ حَرَكاتُ أَهْلِ الجَنَّة والنَّار، ويَصيرُون إلى سُكونٍ دائم.

---

a) نهاية الفقرة التي بدأت في الصفحة السابقة. b) ساقط من بولاق. c) بولاق: ابن منبه. d) بولاق: لها. e) بولاق: إحياء شيء. f) بولاق: إماتة شيء.

وقال : الاسْتِطاعَةُ عَرَضٌ من الأَعْراض نحو السَّلامَة والصِّحَّة [a]، وفَرَّق بين أَفْعال[b] القُلوب وأَعْمال الجَوارِح . وقال : تَجِبُ مَعْرِفَةُ الله قَبْل وُرُود السَّمْع ، وأَنَّ المَرْءَ المقتول إن لم يُقْتَل ماتَ في ذلك الوَقْت ، ولا يُزادُ العُمْر[c] ولا يَنْقُص بخِلافِ الرِّزْق . وقال : إرادَةُ الله عَيْن المُراد ، والحُجَّةُ لا تقوم فيما غابَ إلّا بخَبَر عشرين .

والرَّابِعَة : « النَّظَّامِيَّة » ، أَتْباعُ إبراهيم بن سَيَّار النَّظَّام ـ بتشديد الظَّاء المعجمة ـ زَعيمُ المُعْتَزِلَة ، وأَحَد السُّفَهاء . انْفَرَدَ بعِدَّة مَسائِل ، وهي قوله : إنَّ الله تعالى لا يُوصَف بالقُدْرَة على الشُّرُور والمعاصِي ، وأنَّها غير مقدورة لله . وقال : لَيْس لله إرادَة ، وأَفْعالُ العِبادِ كلُّها حَرَكات ، والنَّفْس والرُّوح هو الإنْسان ، والبَدَنُ إنَّما هو آلة فقط ، وإنَّ كلَّ ما جاوَزَ مَحَلّ[d] القُدْرَة من الفِعْل فهو من الله وهو فِعْله .

وأَنْكَرَ الجَوْهَر الفَرْدَ ، وأَحْدَثَ القَوْل بالطَّفْرَة ، وقال : الجَوْهَرُ مؤلَّفٌ من أَعْراضٍ اجتمعت ، وزَعَمَ أنَّ الله خَلَقَ المَوْجودات دَفْعَةً واحِدَةً[d] على ما هي عليه ، وأنَّ الإعْجَازَ في القرآن من حَيْث الإخْبار عن الغَيْب فقط ، وأَنْكرَ أن يكون الإجْماعُ حُجَّة ، وطَعَنَ في الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ وقال ـ قَبَّحه الله ـ : أبو هُرَيْرَة أَكْذَبُ النَّاسِ ، وزَعَم أنَّه ضَرَبَ فاطِمَة ابنة رَسُولِ الله ﷺ .

ومَنَعَ مِيراثَ العِتْرَة ، وأَوْجَبَ معرفة الله بالفِكْر قبل وُرُود الشَّرْع ، وحَرَّم نِكاحَ الموالي العَرَبيات ، وقال : لا تَجُوزُ صَلاةُ التَّراويح ، ونَهَى عن مِيقات الحَجّ ، وكَذَّبَ بانْشِقاقِ القَمَر ، وأَحالَ رُؤْيَة الجِنّ ، وزَعَمَ أنَّ من سَرَقَ مائتي دِرْهَم فما دونها لم يَفْسُق ، وأنَّ الطَّلاقَ بالكِنايَة لا يَقَع وإن كان بنِيَّةٍ ، وأنَّ مَنْ نامَ مُضْطَجِعًا لا يَنْتَقِضُ وُضوؤه ما لم يَخْرُج منه الحَدَث ، وقال : لا يَلْزَم قَضَاءُ الصَّلوات إذا فاتَت .

والخامِسَة : « الأَسْوارية » ، أَتْباعُ أبي عليّ عَمْرو بن قائِد الأَسْوارِي ، القائِل : إنَّ الله تعالى لا يَقْدِر أن يَفْعَل ما عَلِمَ أنَّه لا يفعله .

والسَّادِسَة : « الإسْكافِيَّة » ، أَتْباعُ أبي جَعْفَر محمد بن عبد الله الإسْكافي ، ومن قَوْلِه : إنَّ الله تعالى لا يَقْدِر على ظُلْمِ العُقَلاء ، ويَقْدِر على ظُلْم الأَطْفال والمَجانين ، وإنَّه لا يُقال إنَّ الله خالِقُ المعازِف والطَّنابير ، وإن كان هو الذي خَلَق أَجْسامَها .

---

a) بولاق : الصحبة . b) بولاق : أعمال . c) بولاق : العلم . d) ساقطة من بولاق .

والسّابِعَة «الجَعْفَرِيَّة»، أَتْبَاعُ جَعْفَر بن حَرْب بن مَيْسَرَة. ومن قَوْلِه: إنَّ في فُسَّاقِ هذه الأُمَّة من هو شَرٌّ من اليَهود والنَّصارَىٰ والمَجُوس، وأَسْقَط الحَدَّ عن شارِبِ الخَمْر، وزَعَمَ أنَّ الصَّغائِر من الذُّنوب تُوجِبُ تَخْليدَ فاعِلها في النّار، وأنَّ رُجُلًا لو بَعَثَ رَسُولًا إلى امْرَأةٍ لِيَخْطِبها، فجاءَته فوَطِئَها من غير عَقْدٍ لم يكن عليه حَدٌّ، ويكون وَطْؤُه إيّاها طَلاقًا لها.

والثّامِنَة: «البِشْرِيَّة»، أَتْبَاعُ بِشْر بن المُعْتَمِر، ومن قوله: اللَّوْنُ والطَّعْمُ[a] والرّائِحَة والإِدْراكات كلّها من السَّمْع [b]والبَصَر وغير ذلك[b]، يجوز أن تَحْصُلَ مُتَوَلِّدَة، وصَرَف الاسْتِطاعَة إلى سَلامَة البِنْيَة والجَوارِح وقال: لو عَذَّبَ الله الطِّفْلَ الصَّغير لكان ظالِمًا وهو يَقْدِر على ذلك، وقال: إرادَةُ الله من جملة أَفْعالِه، ثم هي تنقسم إلى صِفَةِ فِعْل وصِفَةِ ذات، وقال باللُّطْفِ المَخْزون، وأنَّ الله لم يَخْلُقه لأنَّ ذلك يُوجِب عليه الثَّواب، وأنَّ التَّوْبَة الأولى مُتَوَقِّفَة على الثانية، وأنّها لا تَنْفَع إلَّا بعدم الوُقُوعِ في الذي وَقَعَ فيه، فإن وَقَعَ لم تنفعه الأولى[c].

والتّاسِعَةُ: «المِزْدارِيَّة»، أَتْبَاعُ أبي مُوسَىٰ عيسَىٰ بن صُبَيْح ـ المعروف بالمِزْدار ـ تلميذ بِشْر ابن المُعْتَمِر. وكان زاهِدًا، وقيل له راهِبُ المُعْتَزِلَة، وانْفَرَد بمَسائِل منها: قَوله: إنَّ الله قادِرٌ على أن يَكْذِب ويَظْلِم[d] ولا يَطْعَن ذلك في الرُّبوبِيَّة، وجَوَّزَ وُقوعَ الفِعْل الواحِد من فاعلين على سَبيل التَّوَلُّد، وزَعَمَ أنَّ القُرْآن مِمّا يُقْدَر عليه، وأنَّ بلاغَتَه وفَصاحَتَه لا تُعْجِز النّاس، بل يقدرون على الإتْيان بِمِثْلِها وأَحْسَنَ منها. وهو أَصْلُ المُعْتَزِلَة في القَوْلِ بـ «خَلْقِ القُرْآن»، وقال: مَنْ أجازَ رُؤْيَة الله بالأَبْصار بلا كَيْفٍ فهو كافِر، والشّاكّ في كفره كافِرٌ أيضًا.

والعاشِرَة: «الهِشامِيَّة»، أَتْبَاعُ هِشام بن عَمْرو الفُوَطي الذي يُبالِغ في القَدَر، ولا يَنْسِبُ إلى الله فِعْلًا من الأفْعال. / حتى إنَّه أنكر أن يكون الله هو الذي أَلَّفَ بين قُلوب المُؤْمنين، وأنَّه يُحِبُّ ٣٤٧:٢
الإيمان للمُؤْمنين، وأنَّه أَضَلَّ الكافِرين. وعانَدَ ما في القُرْآن من ذلك، وقال: لا تَنْعَقِدُ الإمامَة في زَمَنِ الفِتْنَة واخْتِلاف النّاس، وإنَّ الجَنَّةَ والنّار غير مَخْلوقتين، ومَنَع أن يُقال حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكيل، وقال: لأنَّ الوَكيل دون المُوَكِّل.

وقال: لو أَسْبَغَ أَحَدٌ الوُضوءَ، ودَخَلَ في الصَّلاة بنِيَّة القُرْبَة لله والعَزْم على إتْمامِها، ورَكَع وسَجَدَ مُخْلِصًا في ذلك كلّه، إلَّا أنَّ الله عَلِمَ أنَّه يَقْطَعُها في آخرها، فإنَّ أوَّل صَلاتِه يكون[e]

---

a) بولاق: الطعم واللون. b-b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: لم تنفعه التوبة الأولى. d) بولاق: يظلم ويكذب. e) ساقطة من بولاق.

مَعْصِيَة . ومَنَعَ أن يكون البَحْرُ انْفَلَق لموسَىٰ ، وأنَّ عَصَاه انْقَلَبَت حَيَّة ، وأنَّ عيسَىٰ أَحْيَا المَوْتَى بإذْن الله ، وأنَّ القَمَرَ انْشَقَّ للنَّبِيِّ ﷺ . وأَنْكَرَ كثيرًا من الأُمور التي تَواتَرَت ، كحَصْر عُثْمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ وقَتْله بالغَلَبَة ، وقال إنَّما جاءَه شِرْذِمَةٌ قليلة فشَكَوا عُمَّالَه ، ثم دَخَلوا عليه وقَتَلوه فلا يُدْرَى قاتله .

وقال : إنَّ طَلْحَةَ والزُّبَيْر وعليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ ما جاءُوا للقِتال في حَرْبِ الجَمَل ، وإنَّما بَرَزُوا للمُشاوَرَة ، وتَقَاتَل أَتْباعُ الفريقين في ناحيةٍ أخرى . وإنَّ الأُمَّة إذا اجْتَمَعَت كلّها ، وتَرَكَتِ الظُّلْمَ والفَساد ، احْتاجَت إلى إمامٍ يَسُوسُها ، فأمَّا إذا عَصَت وفَجَرَت وقَتَلَت واليــها فلا تَنْعَــقِدُ الإمامَةُ لأحَدٍ . وبَنَى على ذلك أنَّ إمامَةَ عليّ ـ رضي الله عنه ـ لم تَنْعَقِد [a]من أجْلِ[a] أنَّها كانت في حالِ الفِتْنَة بعد قَتْلِ عُثْمان ـ وهو أيضًا مَذْهَبُ الأَصَمّ ـ وواصِل بن عَطَاء ، وعَمْرو بن عُبَيْد ـ وأنْكَرَ افْتِضاض الأبْكار في الجَنَّةِ ، وأنْكَر أنَّ الشيطانَ يَدْخُل في الإنسان ، وإنَّما يُوَسْوِسُ له من خارِج ، والله يُوَصِّل وَسْوَسَته إلى قَلْبِ ابن آدَم . وقال : لا يُقالُ خَلَقَ الله الكافِرَ لأنَّه اسْم العَبْد والكُفْر جَميعًا ، وأنْكَر أن يكون في أَسْمَاءِ الله : الضَّار النَّافِع .

والحادِيَة عَشْرَة : « الحَائِطِيَّة » ، أَتْباعُ أحمد بن حائِط ، أَحَدُ أَصْحابِ إبراهيم بن سَيَّار النَّظَّام ، وله بِدَعٌ شَنيعَة : منها أنَّ للخَلْق إلَهَيْن : أَحَدُهما خالِقٌ وهو الإله القَديم ، والآخَر مَخْلوقٌ وهو عيسَىٰ بن مَرْيَم . وزَعَم أنَّ المسيح ابنُ الله ، وأنَّه هو الذي يُحاسِب الخَلْقَ في الآخِرَة ، وأنَّه المَعْني بقَوْلِ الله تعالى في القُرْآن : ﴿هَلْ يَنْظُرُون إلَّا أنْ يَأْتِيَهُمُ الله في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَام﴾ [الآية ٢١٠ سورة البقرة] . وزَعَمَ في قَوْلِ النَّبيّ ﷺ : « إنَّ الله خَلَقَ آدَم على صُورَتِه » ، أنَّ مَعْناه خَلْقُه إيَّاه على صُورَةِ نفسه ، وأنَّ مَعْنَى قَوْله عليه السلام : (إنَّكُم سَتَرَوْنَ رَبَّكُم كما تَرَوْن القَمَرَ ليلة البَدْر) ، إنَّما أراد به عِيسَىٰ .

وزَعَم أنَّ في الدَّوابِّ والطُّيورِ والحَشَرات ، حتى البَقّ والبَعُوض والذُّباب ، أَنْبياءَ ؛ لقَوْلِ الله سبحانه : ﴿وإن مِنْ أُمَّةٍ إلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [الآية ٢٤ سورة فاطر] ، وقَوْله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ في الأَرْضِ ولا طَائِرٍ يَطِيرُ بجَنَاحَيْه إلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَا فَرَّطْنا في الكِتَابِ من شَيء﴾ [الآية ٣٨ سورة الأنعام] ، ولقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ : « لوْلا أنَّ الكِلابَ أُمَّة من الأُمَم لأَمَرْتُ بقَتْلِها » .

---

a-a) ساقطة من بولاق ، وعوّضها : لأنّها .

وذَهَبَ مع ذلك إلى القَوْلِ بالتَّناسُخ ، وزَعَمَ أنَّ اللهَ ابْتَدأ الخَلْقَ في الجَنَّة ، وإنَّما خَرَجَ مَنْ خَرَجَ منها بالمَعْصِيَّة . وطَعَن في النَّبيّ ﷺ من أَجْلِ تَعَدُّدِ نِكاحِه ، وقال : إنَّ أبا ذَرّ الغِفاري أَنْسَكُ وأَزْهَدُ منه ، قَبَّحه الله . وزَعَم أنَّ كلَّ مَنْ نالَ خَيْرًا في الدُّنْيا إنَّما هو بعَمَلٍ كان منه ، ومَنْ ناله مَرَضٌ أو آفَةٌ فبذَنْبٍ كان منه . وزَعَم أنَّ رُوحَ الله تناسَخَت في الأئمة .

والثَّانِيَة عَشْرَة : « الحمارية » ، أَتْبَاعُ قَوْمٍ من مُعْتَزِلَةِ عَسْكَر مُكْرَم . ومن مَذْهَبِهم أنَّ المَمْسوخَ إنسانٌ كافِرٌ مُعْتَقِد الكُفْر ، وأنَّ النَّظَر أَوْجَبَ المَعْرِفَة وهو لا فاعِل له ، وكذلك الجِمَاعُ أَوْجَب الوَلَد فشَكَّ في خالِقِ الوَلَد ، وأنَّ الإنْسَانَ يَخْلُق أنْواعًا من الحَيَوانات بطريق التَّعْفين . وزَعَمُوا أنَّه يجوز أن يُقْدِر الله العَبْدَ على خَلْقِ الحَيَاة والقُدْرَة .

والثَّالِثَة عَشْرَة : « المَعْمَرِيَّة » ، أَتْبَاعُ مَعْمَر بن عَباد السُّلَمي [1] ، وهو أعْظَمُ القَدَرِيَّة غُلُوًّا ، وبالَغَ في رَفْعِ الصِّفات والقَدَر[a] بالجملة ، وانْفَرَدَ بمَسائِلَ منها : أنَّ الإنْسانَ يُدَبِّر الجَسَد وليس بحالٍّ فيه ، ولا ذي لَوْنٍ وتأْلِيف وحَرَكَة ، ولا حال ولا مُتَمَكِّن ، وأنَّ الإنسان شيءٌ غير هذا الجَسَد ، وهو حَيٌّ عالِمٌ قادِرٌ مُخْتار ، وليس هو بمُتَحَرِّك ، ولا ساكِن ، ولا مُتَلَوِّن ، ولا يَرَى ، ولا يَلْمَس ، ولا يَحُلّ مَوْضِعًا ، ولا يحويه مكانٌ . فوَصَفَ الإنْسانَ [b]بصفة إلاهِه[b] عنده ، فإنَّ مُدَبِّر العالَم مَوْصُوفٌ عنده كذلك .

وزَعَمَ أنَّ الإنسانَ مُنَعَّمٌ في الحياة ، ومُوَزَّرٌ في النَّار ، وليس هو في الجَنَّة ولا في النَّار حالًّا ولا مُتَمَكِّنًا . وقال : إنَّ الله لم يَخْلِق غير الأجْسام ، وأنَّ[c] الأعْراضَ تابِعَة لها متولِّدة منها ، وأنَّ الأعْراضَ لا تَتَناهَى في كلِّ نَوْع ، وأنَّ الإرادَة من الله للشَّيء غير الله وغير خَلْقه ، وأنَّ الله ليس بقَديم ؛ لأنَّ ذلك أُخِذَ من : قَدُم يَقْدُم فهو قَديم .

والرَّابِعَة عَشْرَة : « الثُّمامِيَّة » ، أَتْبَاعُ ثُمامَة بن أَشْرَس النُّمَيْري [2] . وجَمَعَ بين النَّقائِض ، وقال : العُلومُ كلُّها ضرورية ، فكلُّ من لم يُضْطَرّ إلى مَعْرِفَةِ الله فليس بمَأْمورٍ بها ، وهو كالبَهائِم

---

a) بولاق : القدرة . b-b) بولاق : بوصف الإلهية . c) ساقطة من بولاق .

---

[1] حاشية بخَطِّ المُؤلِّف : «مَعْمَر بن عَبَّاد ، أبو عَمْرو وقيل أبو المُعْتَمِر السُّلَمي ، من بني سُلَيْم سَكَنَ البَصْرَة ثم انْتَقَلَ إلى بَغْداد وله مُناظَرَة مع النَّظَّام ، وهَجَا بِشْر بن المُعْتَمِر . مات سنة خمس عشرة ومائتين» .

[2] حاشية بخَطِّ المُؤلِّف : «ثُمامَة بن أَشْرَس أبو بِشْر النُّمَيْري من جُلَّة مُتَكَلِّمي المُعْتَزِلة وبُلَغاء الكُتَّاب ، خَدَمَ الرَّشيد وبَلَغَ من المَأْمون مَنْزِلَةً جَليلَةً . مات » .

توفي ثُمامة بن أَشْرَس سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م .=

ونَحْوها . وزَعَمَ أنَّ اليَهودَ والنَّصارَىٰ والزَّنادِقَة يصيرون يوم القِيامَة تُرابًا كالبَهائِم ، ولا ثَوَابَ لهم ولا عِقَابَ ألبتَّة ، لأنَّهم غير مَأْمُورين ، إذْ هم غير مُضطَرين إلى مَعْرِفَة الله . وزَعَمَ أنَّ الأفْعال متولِّدة كلّها[a] لا فاعِلَ لها ، وأنَّ الاسْتِطَاعَة هي السَّلامة وصِحَّة الجَوارح ، وأنَّ العَقْلَ هو الذي يُحَسِّن ويُقَبِّح ، فتَجِب معرفةُ الله قبل وُرُود الشَّرْع ،/ وأن لا فِعْل للإنْسَانِ إلَّا الإرادَة وما عَداها ٣٤٨:٢ فهو حَدَث .

والخامِسَة عَشْرَة : « الجَاحِظِيَّة » ، أَتْبَاعُ أبي عُثْمان عَمْرو بن بَحْر الجَاحِظ [1] ، وله مَسَائِلُ تَمَيَّزَ بها عن أصْحابِه : منها أنَّ المعارِفَ كلَّها ضرورية ، وليس شيءٌ من ذلك من أفْعالِ العِباد ، وإنَّما هي طبيعية ، وليس للعِباد كَسْبٌ سوى الإرادَة ، وأنَّ العِبادَ لا يُخَلَّدون في النَّار بل يصيرون في[b] طبيعتها ، وأنَّ الله لا يُدْخِل أحَدًا النَّار ، وإنَّما النَّارُ تَجْذِبُ[c] أهْلَها بنفسها وطبيعتها ، وأنَّ القُرْآن المُنَزَّل من قبيل الأجساد ، ويمكن أن يصير مَرَّةً رَجُلًا ومَرَّةً حيوانًا ، وأنَّ الله لا يُريدُ المعاصِي ، وأنَّه لا يُرَى ، وأنَّ الله يريد ، بمعنى[d] لا يغلط ولا يَصِحّ في حَقِّه السَّهْو فقط ، وأنَّه يستحيل العَدَم على الجَواهِر من الأجْسامِ .

والسَّادِسَة عَشْرَة : « الخَيَّاطِيَّة » ، أصْحابُ أبي الحُسَيْن بن أبي عَمْرو الخَيَّاط [2] ، شَيْخ أبي القاسِم الكَعْبي ، من مُعْتَزِلَة بَغْداد . زَعَم أنَّ المعدومَ شيءٌ ، وأنَّه في العَدَم جِسْمٌ إن كان في حُدوثِه جسمًا ، وعَرَضٌ إن كان في حدوثه عَرَضًا .

---

a) بولاق : كلها متولدة . b) بولاق : من . c) بولاق : تجذب . d) بولاق : بمعنى أنه .

= (القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٧٢- ٢٧٧؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥) .

[1] أبو عمرو عُثْمان بن بَحْر الجاحِظ الأديب المشهور المتوفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م . (القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٧٥- ٢٧٧؛ ابن النديم : الفهرست ٢٠٨- ٢١٢؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٢- ٢٢٠؛ ياقوت : معجم الأدباء ١٦ : ٧٤- ١١٤؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١١ : ٥٢٦- ٥٣٠؛ طه الحاجري : الجاحظ ـ حياته وآثاره ، القاهرة ١٩٦٩؛ Pellat, Ch., *Al-Gâhiz et le milieu Basrien*, Paris 1953) .

[2] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «أبو الحسين عبد الرَّحيم بن أبي عمرو محمد بن عثمان الخَيَّاط من مُعْتَزِلة بَغْداد ، كان رئيسًا مُقَدَّمًا عالمًا بالكلام فقيهًا صاحِب حَديثٍ واسِع الحِفْظ لمذاهِب المتكلِّمين يتقدَّم سائر البَغْداديين ، ومن أهْل الدِّين والوَرَع والعِلْم بَلَغَ من العِلْم ما جاوَزَ فيه نظراءه ، وتَقَدَّم كثيرًا مِمَّن سَلَف ، وكُتُبُه بعيدةٌ من السَّقْط ، إمامًا في الفرائض قد كتب في الحَديث وجالَس الفُقَهاء» .

لم نعرف تاريخ وفاته على التدقيق ، راجع القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٩٦- ٢٩٧؛ الخطيب البغدادي ١١ : ٨٧؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٤ : ٢٧٤؛ =

والسَّابِعَة عَشْرَة : « الكَعْبِيَّة » ، أَتْبَاعُ أبي القاسِم عبد الله بن أحمد بن محمود البَلْخي ، المعروف بالكَعْبِي [١] ، من مُعْتَزِلَة بَغْداد . انفرد بأشياء ، منها : إرادَة[a] الله لَيْسَت صِفَة قائِمَة بذاتِه ، ولا هو مُرِيدٌ[b] لذاتِه ، ولا إرادَته حادِثَة في مَحَل ، وإنَّما يَرْجِع ذلك إلى العِلْم فقط ، والسَّمْع والبَصَر يَرْجِع إلى ذلك أيضًا . وأَنْكَرَ الرُّؤْيَة ، وقال : إذا قُلْنا إنَّه يَرى المَرْئيات ، فإنَّما ذلك يرجع إلى عِلْمِه بها وتَمْييزها قبل أن تُوجَد .

والثَّامِنَة عَشْرَة : « الجُبَّائِيَّة » ، أَتْبَاعُ أبي عليّ محمد بن عبد الوهَّاب الجُبَّائي [٢] ، من مُعْتَزِلَة البَصْرَة ، تَفَرَّدَ بمَقالات منها : أنَّ الله تعالى يُسَمَّى مُطيعًا للعَبْد إذا فَعَل ما أراد العَبْدُ منه ، وأنَّ الله مُحَبِّل للنِّساء بخَلْقِ الوَلَد فيهن ، وأنَّ كلامَ الله عَرَضٌ يوجد في أمكنة كثيرة ، وفي مكان بعد مكان ، من غَيْرِ أن يُعْدَم عن[c] مكانِه الأوَّل ، ثم يَحْدُث في الثَّاني . وكان يقف في فَضْلِ عليّ

---

a) بولاق : أن إرادة . b) بولاق : مدبر . c) بولاق : من .

= مقدمة نيبرج لكتاب «الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد»، القاهرة ١٩٢٥.

[١] حاشية بخطِّ المؤَلِّف : «أبو القاسم عبد الله بن أحمد ابن محمود البَلْخي يُعْرَف بالكَعْبي ، عالمٌ مُتَكَلِّم رئيسُ أهْلِ زمانِه ، كَتَبَ لأحمد بن سَهْل أحد قُوَّادِ نصر بن أحمد لمَّا قام بنَيْسابور ، فلمَّا ظَفِرَ بأحمد أُخِذَ الكَعْبي واعْتُقِل ، فأمَرَ أحمد ابن عيسى بإشْخاصه إلى بَغْداد ، فأُشْخِص إليها في وزارة حامد بن العَبَّاس ، فعَظُم ورفع . وتوفي أوَّل يومٍ من شَعْبان سنة تسع عشرة وثلاث مائة ، وله عِدَّةُ «مُصَنَّفات» .

(راجع ترجمته عند ، ابن النديم : الفهرست ٩ : ٢؛ القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٩٧- ٢٩٨؛ الخطيب : البغدادي : تاريخ بغداد ٩ : ٣٨٤؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٤٥؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٤ : ٣١٣، ١٥: ٢٥٥- ٢٥٦؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٧: ٢٥- ٢٧؛ مقدمة فؤاد سيد لنشرة فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) .

[٢] حاشية بخطِّ المؤَلِّف : أبو علي محمد بن عبد الوهاب ابن سَلَّام بن يزيد بن أبي الشَّكَن الجُبَّائي . وُلِدَ سنة خمس وثلاثين ومائتين وهو من مُعْتَزِلة البَصْرَة ، وهو الذي ذَلَّلَ الكلام وسَهَّلَه ويَسَّرَ ما صَعُبَ منه . وإليه انتهت رياسةُ المُعْتَزِلَة في زمانه لا يُدافعه أحَدٌ عن ذلك ، أَخَذَ عن أبي يعقوب يوسف بن عبيد الله الشَّحَّام ، وتوفي سنة ثلاث وثلاث مائة فدُفِنَ بجُبَّى . وله خمسة وسبعون مُصَنَّفًا . وابنه أبو هاشم عبد السَّلام قَدِمَ بَغْداد سنة أربع عشرة وثلاث مائة ، وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة ، وكان ذكيًّا حَسَنَ الفَهْم ثاقِب الفِطْنَة صانِعًا للكلام مُقْتَدِرًا عليه قَيِّمًا به ، له مُصَنَّفات» .

(راجع ، ابن النديم : الفهرست ٢٢٢؛ القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٨٧- ٢٩٣، ٣٠٤- ٣٠٨؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ١٨٣- ١٨٤، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١١ : ٥٥- ٥٦؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٤ : ٧٤- ٧٥، ١٨ : ٤٣٤- ٤٣٥؛ Sezgin F., *GAS* I, pp. 621-22, 623-24؛ ولعلي فهمي خشيم : الجُبَّائيان ، أبو علي وأبو هاشم ، طرابلس - دار الفكر ١٩٦٨) .

على أبي بكر، وفَضَّل أبي بكر على عليّ، ومع ذلك يقول: إنَّ أبا بكر خَيْرٌ من عُمَر وعُثْمان، ولا يقول إنَّ عَلِيًّا خَيْرٌ من عُمَر وعُثْمان.

والتَّاسِعَة عَشْرَة: «البَهْشَمِيَّة»، أَتْبَاعُ أبي هاشِم عبد السَّلام بن أبي عليّ الجُبَّائي. وانفرد بِبِدَعٍ في مَقالاتِه، منها: القَوْلُ باسْتِحْقاق الذَّمّ من غير ذَنْب. فزَعَمَ أنَّ القادِرَ مِنَّا يجوز أن يَخْلو عن الفِعْل والتَّرْك، وأنَّ القادِرَ المأمورَ المَنْهي إذا لم يَفْعَل فِعْلًا ولا تَرْك، ويكون عاصِيًا مستحقّ العِقاب والذَّمّ لا على الفِعْل لأنَّه لم يَفْعَل ما أُمِرَ به، وأنَّ الله يعذِّب الكافِرين والعُصَاة لا على فِعْلٍ مُكْتَسَب ولا[a] مُحْدَث منه.

وقال: التَّوْبَةُ لا تَصِحُّ من قَبيح، مع الإصْرار على قُبْحٍ آخر يَعْمَلُه[b] أو يعتقده قَبيحًا وإن كان حَسَنًا، وإنَّ التَّوْبَة لا تَصِحُّ مع الإصْرار على مَنْع حَسَنَةٍ واجِبَة عليه، وإنَّ تَوْبَة الزَّاني بعد ضَعْفِه عن الجِماع لا تَصِحّ. وزَعَمَ أنَّ الطَّهارَة غير واجِبَة، وإنَّما أُمِرَ العَبْدُ بالصَّلاةِ في حالِ كَوْنِه مُتَطَهِّرًا، وأنَّ الطَّهارَة تجزئ بالماء المَغْصوب، ولا تُجْزِئ[c] في الأرْض المَغْصُوبة. وزَعَم أنَّ الزَّنْجَ والتُّرْكَ والهُنُود قادِرون على أن يأتوا بمِثْل هذا القُرْآن. وقال أبو علي وابنه أبو هاشِم: الإيمانُ هو الطَّاعات المَفْروضات[d].

والفِرْقَةُ العِشْرون من المُعْتَزِلَة: «الشَّيْطانِيَّة»، أَتْبَاعُ محمد بن نُعْمان ـ المعروف بشَيْطان الطَّاق[1] ـ وهو من الرَّوافِض. شارَك كلًّا من المُعْتَزِلَة والرَّوافِض في بِدَعِهم، وقَلَّما يُوجَد مُعْتَزِلي إلَّا وهو رافِضي إلَّا قليلًا منهم. وانْفَرَدَ بطامَّةٍ وهي[e] أنَّ الله لا يَعْلَم الشيء إلَّا ما قَدَّرَه وأَرادَه، وأمَّا قَبْل تَقْديره فيَسْتَحيلُ أن يَعْلَم، ولو كان عالِمًا بأفْعالِ عِبادِه لاسْتَحالَ أن يَمْتَحِنهم ويَخْتَبِرَهم[f].

وللمُعْتَزِلَة أَسامٍ أُخَر[g] منها: الثَّنَوِيَّة؛ سُمُّوا بذلك لقولهم: الخَيْرُ من الله، والشَّرُّ من العَبْد. ومنهم الكيسانِيَّة، والمناكِبِيَّة، والأَحْمَدِيَّة، والوَهْمِيَّة، والمُبْتَرِيَّة، والواسِطِيَّة، والوارِدِيَّة؛ سُمُّوا بذلك لقَوْلِهم: لا يَدْخُل المؤمنون النَّار وإنَّما يَرِدُون عليها، ومَنْ أُدْخِل النَّارَ لا يَخْرُج منها قَطّ. ومنهم الحَرْقِيَّة لقولهم: الكِعاب[h] لا تُحْرَق إلَّا مَرَّةً، والمُفْنِيَّة القائلون بفَناء الجَنَّة والنَّار، والواقِفِيَّة

a) بولاق: ولا على. b) بولاق: يعلمه. c) بولاق: ولا تجزئ الصلاة. d) بولاق: المفروضة. e) النسخ: وهو.
f) بولاق: ويختبرهم. g) ساقطة من بولاق. h) بولاق: الكفار.

[1] انظر فيما يلي ٤٢٧.

القائلون بالوَقْفِ في خَلْقِ القُرْآن . ومنهم اللَّفظِيَّة القائِلون أَلفاظُ القُرْآن غير مَخْلوقَة ، والمُلْتَزِقَة القائلون : الله تعالى[a] بكُلِّ مكان ، والقَبْرِيَّة القائلون: بإنْكارِ عذابِ القَبْر .

الفِرقَةُ الثانية

المُشَبِّهَة

وهم يَغْلون في إثْباتِ صِفاتِ الله تعالى ، ضِدّ المُعْتَزِلَة ، وهم سَبْعُ فِرَق :

الهِشامِيَّة : أَتْباعُ هِشام بنِ الحكَم ، ويُقالُ لهم أيضًا الحكَمِيَّة ، ومن قَوْلِهم : الإله تعالى كنُورِ السَّبيكَة الصَّافِيَة يَتَلألأ من جَوانِبِه . ويَرْمُون مُقاتِل بن سُلَيْمان بأنَّه قال : هو لَحْمٌ ودَمٌ على صُورَة الإنْسان ، وهو طَويلٌ عَرِيضٌ عَميقٌ ، وأنَّ طُولَه مثل عَرْضِه ، وعَرْضَه مثل عُمْقِه ، وهو ذو لَوْنٍ وطَعْمٍ ورائِحَة ، وهو سَبْعَة أَشْبارٍ بشِبْرِ نفسه . ولم يَصِحّ هذا القَوْل عن مُقاتِل .

والجَوْلَقِيَّة : أتْباعُ هِشَام بن سالِم الجَوْلَقي ، وهو من الرَّافِضَة أيضًا . ومن شَنِيع أَقْوالِه : إنَّ الله تعالى على صُورَةِ الإنْسان ، نصفه الأَعْلى مُجَوَّف ، ونصفه الأَسْفَل مُصْمَت ، وله شَعْرٌ أَسْوَد ، وليس بلَحْمٍ ودَمٍ ، بل هو نُورٌ ساطِعٌ ، وله خَمْسُ حَواس كحَواسِّ الإنسان ، ويَدٌ ورِجْلٌ وفَمٌ وعَيْنٌ وأُذُنٌ وشعرٌ / أسود ، إلَّا الفَرْج واللِّحْيَة . ٣٤٩:٢

والبَيانِيَّة : أَتْباعُ بَيَان بن سَمْعان ، القائل : هو على صُورَة الإنْسان ، ويَهْلِك كلّه إلَّا وَجْهُه ؛ لظاهِر الآية : ﴿كلُّ شيء هالِكٌ إلَّا وجْهُه﴾ [الآية ٨٨ سورة القصص] .

والمُغيرِيَّة : أَتْباعُ مُغيرَة بن سَعيدِ العِجْلي ، وهو أيضًا من الرَّوافِض . ومن شَنائِعه قَوْله : إنَّ أعْضاءَ مَعْبُودهم على صُورَةِ حُروفِ الهِجاء ، فالألف على صُورَة قَدَمَيْه . وزَعَمَ أنَّه رَجُلٌ من نُورٍ على رأسه تاجٌ من نُور ، وزَعَمَ أنَّ الله كَتَبَ بأَصْبُعه أعمالَ العِباد من طاعَةٍ ومَعْصِيَة ، ونَظَرَ فيهما وغَضِبَ من مَعاصيهم فعَرِقَ ، فاجْتَمَع من عَرَقِه بَحْران عَذْب ومالِح ، وزَعَمَ أنَّه بكلِّ مكانٍ لا يَخْلو عنه مَكان .

والمِنْهالِيَّة : أصْحابُ مِنْهال بن مَيْمون .

والزُّرارِيَّة : أَتْباعُ زُرارَة بن أَعْيَن .

---

a) ساقطة من بولاق .

واليُونُسِيَّة : أَتْبَاعُ يُونُس بن عبد الرَّحمن القُمِّي ، وكلُّهم من الرَّوافِض . وسيأتي ذكرهم إن شاءَ الله .

ومنهم أيضًا : السَّابِيَّة ، والشَّاكِيَّة ، والعملية والمُسْتَثنية ، والبِدْعِيَّة ، والحَشْرِية [a]، والأثْرية .

ومنهم الكَرَّامِيَّة : أَتْبَاعُ محمد بن كَرَّام السِّجِسْتاني [1]، وهم طَوائِف : الهَيْصَمِيَّة ، والإسْحاقِيَّة ، والجُنْدِيَّة وغير ذلك . إلَّا أنهم يُعَدُّون فِرْقَةً واحِدة لأنَّ بعضَهم لا يُكَفِّر بعضًا وكلُّهم مُجَسِّمَة ، إلَّا أنَّ فيهم من قال : هو قائِمٌ بنفسه ، ومنهم من قال : هو أَجْزَاءٌ مؤتلفة ، وله جِهاتٌ ونهايات .

ومن قَوْلِ «الكَـرَّامِيَّة» : إنَّ الإيمان هو قَوْلٌ مُفْرَد ، وهو قَوْلُ « لا إله إلَّا الله » ، وسَوَاء اعْتَقَد أو لا . وزَعَمُوا أنَّ الله جِسْمٌ ، وله حَدٌّ ونهاية من جهة السُّفْل ، وتَجُوز عليه مُلاقاة الأجْسام التي تحته ، وأنَّه على العَرْشِ والعَرْش مُمَاسّ له ، وأنَّه مَحَلّ الحَوادِث من القَوْلِ والإرادَة والإدْراكات والمَرْئيات والمَسْمُوعات ، وأنَّ الله لو عَلِمَ أحدًا من عِبادِه لا يُؤمِن به لكان خَلْقُه إيَّاهُم عَبَثًا ، وأنَّه يجوز أن يَعْزِل نَبِيًّا من الأنبياء والرُّسُل ، ويجوز عندهم على الأنبياءِ كلُّ ذَنْبٍ لا يوجب حَدًّا ولا يُسْقِط عَدالَة ، وأنَّه يَجِب على الله تَواتُرُ الرُّسُل ، وأنَّه يجوز أن يكون إمامان في وَقْتٍ واحِدٍ ، وأنَّ عَلِيًّا ومُعاوية كانا إمامَيْن في وَقْتٍ واحد ، إلَّا أنَّ عَلِيًّا كان على السُّنَّة ومُعاوية على خِلافِها .

وانْفَرَدَ ابنُ كَرَّام في الفِقْه بأشْياءَ ، منها : أنَّ المُسافِرَ يكفيه من صَلاةِ الخَوْفِ تكبيرتان ، وأجازَ الصَّلاةَ في ثَوْبٍ مستغرق في النَّجاسَة . وزَعَمَ أنَّ الصَّلاةَ والصَّوْمَ والزَّكاةَ والحَجَّ وسائِرَ العِبادات تَصِحُّ بغير نِيَّة ، وتَكْفِي نِيَّةُ الإسْلام ، وأنَّ النِّيَّةَ تَجِبُ في النَّوافِل ، وأنَّه يَجُوز الخُرُوجُ من الصَّلاةِ

---

a) بولاق : العشرية .

---

[1] توفي أبو عبد الله محمد بن كَرَّام السجستاني سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م ، واختلف العلماء في ضَبْط كرام ، والأكثرون اتَّفقوا على أنَّه بفتح الكاف وتشديد الرّاء (ابن الأثير : اللباب ٣: ٣٢؛ ابن حجر : لسان الميزان ٥: ٣٥٣؛ وانظر ترجمة ابن كَرَّام عند ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٤: ٣٧٥-٣٧٧؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١١: ٥٢٣-٥٢٤؛ ابن حجر : لسان الميزان ٥: ٣٥٣-٣٥٦؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ٢٤؛ وفيما يلي ٤٣٧).

راجع كذلك الشهرستاني : الملل والنحل ١: ٩٩-١٠٤؛ الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٤١؛ Bosworth, C.E., *EI*² art. *Karrâmiyya* IV, pp. 694-96.

بالأَكْلِ والشُّرْب والجِماع عَمْدًا ثم البِناءِ عليها . وزَعَمَ بعضُ الكَرّامِيَّة أنَّ لله عِلْمَيْنِ : أحَدُهُما يَعْلَم به بجميع المعلومات ، والآخر يَعْلَم به العِلْمَ الأوَّل .

الفِرقَةُ الثّالِثَة

القَدَرِيَّة

الغُلاةُ في إثْبات القُدْرَة للعَبْدِ في إثباتِ الخَلْقِ والإيجاد ، وأنَّه لا يَحتاجُ في ذلك إلى مُعاوَنَةٍ من جِهَةِ الله تعالى .

الفِرقَةُ الرّابِعَة

المُجْبِرَة

الغُلاةُ في نَفْي استِطاعَةِ العَبْدِ قبل الفِعْل وبعده ومعه ، ونَفْي الاخْتيار له ، ونَفْي الكَسْب [١].

وهاتان الفِرقَتان مُتَضادَّتان ، ثم افْتَرَقَتِ المُجْبِرَة على ثلاثِ فِرَق :

الجَهْمِيَّة : أتْباعُ جَهْم بن صَفْوانِ التِّرمِذي ، مَوْلَى راسِب ، وقُتِلَ في آخِرِ دَوْلَةِ بني أُمَيَّة . وهو يَنْفي الصِّفات الإلهية كلَّها ، ويقول : لا يَجوزُ أن يُوصَف الباري تعالى بصِفَةٍ يُوصَف بها خَلْقُه ، وأنَّ الإنْسانَ لا يَقْدر على شيءٍ ، ولا يُوصَف بالقُدْرَة ولا الاسْتِطاعَة ، وأنَّ الجَنَّة والنَّار يَفْنيَان وتَنْقَطِع حَرَكاتُ أهْلِهِما ، وأنَّ من عَرَفَ الله ولم يَنْطِق بالإيمان لم يَكْفُر ؛ لأنَّ العِلْمَ لا يزول بالصَّمْتِ ، وهو مؤمن مع ذلك [٢].

وقد كَفَّرَه المُعْتَزِلَةُ في نَفْي الاسْتِطاعَة ، وكَفَّرَه أهْلُ السُّنَّة بنَفْي الصِّفَات وخَلْقِ القُرْآن ونَفْي الرُّؤْيَة . وانفَرَد بجَوازِ الخُروج على السُّلْطانِ الجائِر ، وزَعَمَ أنَّ عِلْمَ الله حادِثٌ لا بصِفَةٍ يُوصَف بها غيره .

والبَكْرِيَّةُ : أتْباعُ بَكْر ، ابن أخت عبد الواحِد [٣]، وهو يُوافِق النَّظّام في أنَّ الإنسانَ هو الرُّوح ، ويزعم أنَّ الباري تعالى يُرَى في القِيامَة في صُورَةٍ يَخلقها ويُكَلِّم النَّاسَ منها ، وأنَّ صاحِبَ الكبيرة

---

[١] راجع عن المُجْبِرَه Montgomery watt, W., EI^2 art. *Djabriyya* II, p. 375.

[٢] راجع ، الإسفراييني : التبصير في الدين ١٠٧، الشهرستاني : الملل والنحل ١: ٨٦؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٢١١- ٢١٢؛ Montgomerywatt, W., EI^2 art. *Djahm b. Safwân, Djahmiyya* II, pp. 398-99.

[٣] راجع ، الإسفراييني : التبصير في الدين ١٠٩- ١١٠، الأشعري : مقالات الإسلاميين ٢٨٦- ٢٨٧، =

مُنافِقٌ في الدَّرْك الأَسْفَل من النَّار، وحالَه أسْوأ من حالِ الكافِر. وحَرَّمَ أكْل الثُّوم والبَصَل، وأَوْجَب الوُضُوءَ من قَرْقَرة البَطْن.

والضِّرارِيَّة: أَتْباعُ ضِرار بن عُمَر. وانْفَرَدَ بأشياءَ منها: أنَّ الله تعالى يُرَى في القِيامَة بحاسَّةٍ زائدةٍ سادِسَة، وأنكر قِراءَة ابن مَسْعُودٍ، وشَكَّ في دِين عامَّة المسلمين وقال: لعلَّهم كُفَّار، وزَعَم أنَّ الجِسْمَ أعْراض مجتمعة كما قالت النَّجّارية[1].

ومن جملة المُجْبِرَة البَطِّيخِيَّة أتْباعُ إسماعيل البَطِّيخي، والصَّبّاحِيَّة أتْباعُ أبي صَبَّاح بن مَعْمَر، والفِكْرية، والخَوْفية.

الفِرْقَةُ الخامِسَة

المُرْجِئَة

الإرْجاءُ إمَّا مُشْتَقٌّ من الرَّجاء؛ لأنَّ المُرْجِئَة يَرْجُون لأصْحابِ المعاصي الثَّوابَ من الله تعالى، فيقولون: لا يَضُرُّ مع الإيمان مَعْصِيَة، كما أنَّه لا يَنْفَعُ مع الكُفْرِ طاعَة. أو يكون مُشْتَقًّا من الإرْجاء، وهو التأخير، لأنَّهم أخَّروا حُكْمَ أصْحابِ الكَبائِر إلى الآخرة[2].

وحَقِيقَةُ المُرْجِئَة أنَّهم الغُلاةُ في إثْباتِ الوَعْدِ / والرَّجاء، ونَفْي الوَعيد والخَوْف عن المؤمنين. ٤٢
وهم ثَلاثَة أصْنافٍ: صِنْفٌ جَمَعوا بين الرَّجاء والقَدَر، وهم غَيْلان[3] وأبو شَمِر من بني حَنيفَة. وصِنْفٌ جَمَعُوا بين الإرْجاء والجَبْر، مثل جَهْم بن صَفْوان. وصِنْفٌ قال بالإرْجاءِ المَحْض.

وهم أَرْبَعُ فِرَقٍ:

= البغدادي: الفرق بين الفرق ٢١٢- ٢١٣.

[1] راجع الإسفرايني: التبصير في الدين ١٠٥- ١٠٦؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين ٢٨١- ٢٨٢؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٢١٣- ٢١٤.

[2] راجع عن المُرْجِئَة، الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٣٢- ١٥٤، الإسفرايني: التبصير في الدين ٩٧- ٩٩؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٢٠٢- ٢٠٧؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١٢٥- ١٣٠. van Ess, J. «Das Kitâb al-Irgā' des Hasan b. Muhammud b. al-Hanafiyya», *Arabica* XXI (1974), pp. 20-52; Madelung W., *EI*² art. *Murdji'a* VII, pp. 605-7.

[3] حاشية بخط المؤلف: «غيلان بن مُسْلِم أبو مروان، أخذ عن الرَّبيع بن حطَّان والوُضَيْن... بن عطاء وهما من أهل اليمن، وهو أوَّل من تكلَّم في الأرض، وكان يكتب لبني أمَيَّة وهو من مواليهم وكان فصيحًا واعظًا، وهو وعبد الحميد ابن يحيى طرقا للناس طريق البلاغة في التَّرسُّل والمواعظ، وضَرَبَه هِشام وقَطَع يديه ورجليه فمات في سنة ...».

اليُونُسِيَّة : أَتْباعُ يُونُس بن عَمْرو ، و هو غير يُونُس بن عبد الرَّحْمَن القُمِّي الرَّافِضي . زَعَمَ أنَّ الإيمانَ معرفة الله والخُضوع له ، والمحَبَّة ، والإقْرار بأنَّه واحِدٌ ليس كمِثْلِه شيءٌ .

والغَسَّانِيَّة : أَتْباعُ غَسَّان بن أَبانِ الكُوفي ، المُنْكِر نُبُوَّة عيسىٰ عليه السَّلام ، وتَلْمَذَ لمحمدِ ابن الحَسَن الشَّيْباني ، ومَذْهَبُه في الإيمان كمَذْهَب يُونُس ؛ إلَّا أنَّه يقول : كلُّ خَصْلَةٍ من خِصالِ الإيمان تُسَمَّى بعض الإيمان ، ويُونُس يقول : كلُّ خَصْلَةٍ ليست بإيمانٍ ولا بَعْض إيمان .

وزَعَمَ غَسَّان أنَّ الإيمانَ لا يَزيدُ ولا يَنْقُص . وعند أبي حَنيفَة ، رحمه الله ، الإيمانُ مَعْرِفَةٌ بالقَلْب وإقْرارٌ باللِّسان ، فلا يَزيد ولا يَنْقُص كقُرْصِ الشَّمْس .

والثَّوْبانِيَّة : أَتْباعُ ثَوْبَان المُرْجِي ، ثم الخَارِجي المُعْتَزِلي ، وكان يُقالُ له جَامِعُ النَّقائِض ، هاجِرُ الخَصَائِص . ومن قَوْلِه : الإيمانُ هو المعرفة والإقْرار ، والإيمانُ فِعْلُ ما يجب في العَقْلِ فِعْله . فأَوْجَبَ الإيمانَ بالعَقْل قبل ورُود الشَّرْع ، وفارَقَ الغَسَّانية واليُونُسية في ذلك .

والتُّوْمَنِيَّة : أَتْباعُ أبي مُعَاذ التُّوْمَني الفَيْلسوف . زَعَمَ أنَّ من تَرَكَ فَريضَةً لا يُقالُ له فاسِقٌ على الإطْلاق ، ولكنَّ تَرْكَ الفَريضَة فِسْقٌ . وزَعَمَ أنَّ هذه الخِصَال التي تكون جملتها إيمانًا ، فواحِدةٌ ليست بإيمان ولا بعض إيمان ، وأنَّ من قَتَلَ نَبِيًّا كَفَرَ لا لأَجْلِ القَتْلِ ، بل لاسْتِخْفافِه به وبُغْضِه له .

ومن فِرَقِ المُرْجِئة : المَرِيسِيَّة أَتْباعُ بِشْر بن غَيَّاث المريسي[1] . كان عِراقِي المَذْهَب في الفِقْه ، تِلْميذًا للقاضي أبي يُوسُف يَعْقُوب الحَضْرَمي ، وقال بنَفْي الصِّفات وخَلْق القُرْآن ، فأكفرته الصِّفاتِيَّة بذلك . وزَعَمَ أنَّ أَفْعالَ العِبادِ مَخْلوقَة لله تعالى ، ولا اسْتِطاعَة مع الفِعْل ، فأَكْفَرَتْه المُعْتَزِلَةُ بذلك . وزَعَمَ أنَّ الإيمانَ هو التَّصْديقُ بالقَلْب ، وهو مَذْهَبُ ابن الرِّيوَنْدي .

ولمَّا نَاظَره الشَّافِعيُّ في مسألة خَلْق القُرْآن ونَفْي الصِّفات ، قال له : نِصْفُكَ كافِرٌ لقَوْلِك بخَلْقِ القُرْآن ونَفْي الصِّفات ، ونِصْفُكَ مُؤْمِنٌ لقَوْلك بالقَضاءِ والقَدَرِ وخَلْقِ اكْتِساب العِباد . وبِشْرٌ مَعْدُودٌ من المُعْتَزِلَة لنفْيه الصِّفات ، وقَوْلِه بخَلْقِ القُرْآن .

---

[1] حاشية بخطِّ المؤلِّف : «بِشْرُ بن غَيَّاث أبو عبد الرَّحْمَن المَرِيسي مَوْلى زَيْد بن الخَطَّاب ، وقيل مولى بني نَهْد ، توفي سنة ثمان عشر أو تسع عشر ومائتين . وله نحو عشرين مُصَنَّفًا ، وله شِعْرٌ ، وكان يتدَيَّن ويَتَوَرَّع ، وله قَدْرٌ عند الخُلَفاء والملوك» وكان يَشْرَب النَّبيذ» .

ومن فِرَقِ المُرْجِئَة: الصَّالِحِيَّة أتْبَاعُ صَالِح بن عَمْرو بن صَالِح، والجَحْدَرِيَّة أتْبَاعُ جَحْدَر ابن محمد التَّميمي، والزِّيادِيَّة أتْبَاعُ محمد بن زِيادٍ الكُوفي، والشَّبيبيَّة أتْبَاعُ محمد بن شبيب، والنَّاقِضِيَّة، والبَهْشَمِيَّة.

ومن المُرْجِئَة جَماعَةٌ من الأئِمَّة: كسَعيدِ بن جُبَيْر، وطَلْقَ بن حَبيب، وعَمْرو بن مُرَّة، ومُحارِب بن دِثار، وعَمْرو بن ذَرّ، وحَمَّاد بن سليمان، وأبي مُقاتِل. وخَالَفُوا القَدَرِيَّة والخَوارِج والمُرْجِئَة في أنَّهم لم يُكَفِّرُوا بالكَبائِر، ولا حَكَمُوا بتَخْليدِ مُرْتَكِبها في النَّار، ولا سَبُّوا أحَدًا من الصَّحابَة، ولا وَقَعُوا فيهم.

وأوَّلُ من وَضَعَ الإرْجاءَ أبو محمد الحَسَن بن محمد - المعروف بابن الحَنَفِيَّة - بن علي بن أبي طالبِ، وتكلَّم فيه [١]. وصارَتِ المُرْجِئَةُ بعده أربعة أنْواع: الأوَّلُ مُرْجِئَةُ الخَوارِج، الثَّاني مُرْجِئَةُ القَدَرِيَّة، الثَّالِث مُرْجِئَةُ الجَبْرِيَّة، الرَّابع مُرْجِئَةُ الصَّالِحِيَّة.

وكان الحَسَنُ بن محمد ابن الحَنَفِيَّة يَكْتُب كُتُبَه إلى الأمْصار يَدْعُو إلى الإرْجاء. إلَّا أنَّه لم يُؤخِّر العَمَلَ عن الإيمــان كما قال بعضُهم، بل قال: أداءُ الطاعاتِ وتَرْكُ المعاصي ليس من الإيمان، [a]وأنَّ الإيمان[a] لا يزول بزَوالِها.

وقال ابنُ قُتَيْبَة: أوَّلُ من وَضَعَ الإرْجاءَ بالبَصْرَة حَسَّانُ بن بِلال بن الحَارِث المُزَني [٢]. وذَكَرَ بعضُهم أنَّ أوَّلَ من وَضَعَ الإرْجاءَ أبا سَلَمَة[b] السَّمَّان، وماتَ سنة اثنتين وخمسين ومائة.

الفِرْقَةُ السَّادِسَة

الحَــرُورِيَّــة

الغُلاةُ في إثْباتِ الوَعيد والخَوْفِ على المؤمنين، والتَّخْليد في النَّار مع وُجودِ الإيمان. وهم قَوْمٌ من النَّواصِب الخَوارِج، وهم مُضادُّون المُرْجِئَة في النَّفْي والإثْبات، والوَعْدِ والوَعيد [٣].

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: سلت.

---

[١] Madelung, W., «The Early Murji'a in Khurâsân and Transoxania and the Spreed of Hanafism», *Der Islam* LIX (1982), pp. 32-39.

[٢] ابن قتيبة: المعارف ٢٩٨.

[٣] الحَرورية نسبة إلى حَروراء (لا حَرَوْراء كما يذكر =

ومن مُفْرداتهم أنَّ مِن ارْتَكَبَ كبيرةً فهو مُشْرِكٌ ؛ ومَذْهَبُ عامَّةِ الخَوارِجِ أنَّه كافِرٌ وليس بمُشْرِك ، وقال بعضُهم : هو مُنافِقٌ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ من النَّار . فعند الحَرُورِيَّة أنَّ الاسْمَ يَتغَيَّر بارتكابِ الكبيرة الواحدة ، فلا يُسَمَّى مُؤْمِنًا بل كافِرًا مُشْركًا ، والحُكْمُ فيه أنَّه يُخَلَّد في النَّار ، واتَّفَقُوا على أنَّ الإيمانَ هو اجْتِنابُ كلِّ مَعْصِيَة .

وقيل لهم الحَرُورِيَّة ؛ لأنَّهم خَرَجُوا إلى حَرُوراء لِقِتالِ عليّ بن أبي طالِب - رضي الله عنه - وعِدَّتهم اثنا عشر ألفًا ، ثم سارَ عليٌّ - رضي الله عنه - إليهم وناظَرَهم ، ثم قاتَلَهم وهم أربعة آلاف ، فانْضَمَّ إليهم جَمَاعَةٌ حتى بَلَغُوا اثني عشر ألفًا .

الفِرْقَةُ السَّابِعَة

النَّجَّارِيَّة

أَتْبَاعُ الحَسَن بن محمد بن عبد الله النَّجَّار ، أبي عبد الله . كان حائِكًا ، وقيل إنَّه كان يعمل المَوَازين ، وإنَّه كان من أهْلِ قُمّ ، كان من جُلَّة[a] المُجْبِرَة ومُتَكَلِّميهم ، وله مع النَّظَّام عِدَّةُ مُناظِرات : منها أنَّه ناظَرَه مَرَّةً ، فلمَّا لم يَلْحَن بحُجَّته رَفَسَه النَّظَّام ، وقال له : قُمْ أخْزَى الله مَنْ يَنْسُبُك إلى شيءٍ من العِلْم والفَهْم ./ فانْصَرَفَ مَحْمُومًا ، واعْتَلَّ حتى مات [b]في[b]. ٣٥١:٢

وهم أكثر مُعْتَزِلَة الرَّيّ وجِهاتِها ، وهم يُوافِقون أهْلَ السُّنَّة في مسألةِ القَضاءِ والقَدَرِ ، واكْتِسابِ العِبادِ ، وفي الوَعْدِ والوَعيد ، وإمامَةِ أبي بَكْر - رضي الله عنه - ويُوافِقُون المُعْتَزِلَة في نَفْيِ الصِّفات ، وخَلْقِ القُرْآن ، وفي الرُّؤْيَة ، وهم ثَلاثُ فِرَقٍ : البَرْغُوثِيَّة ، والزَّعْفَرانِيَّة ، والمُسْتَدْرِكَة [1].

---

a) بولاق : جمله . b-b) ساقطة من بولاق .

= ياقوت) إحدى كُوَر مدينة الكوفة (راجع ، النوبختي : فرق الشيعة ٦ ، ١٤-١٥؛ الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٢٧-١٢٨؛ Veccia Vaglieri, L., *EI*[2] art. *Harûrâ'* (III, pp. 242-43.

[1] راجع عن النَّجَّارية ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٢٧؛ الإسفراييني : التبصير في الدين ١٠١-١٠٣؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٠٧-٢١١؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١:٨١-٨٢.

الفِرْقَةُ الثَّامِنَة

الجَهْمِيَّة

أَتْبَاعُ جَهْم بن صَفْوان [١]، وهم يُوافِقون أَهْلَ السُّنَّة في مسألةِ القَضَاءِ والقَدَرِ مع مَيْلٍ إلى الجَبْر، ويَنْفُون الصِّفات والرُّؤْيَة، ويقولون بخَلْقِ القُرْآن. وهم فِرْقَةٌ عَظِيمَةٌ عِدادُهم في المُعَطِّلَة المُجَبِّرَة.

الفِرْقَةُ التَّاسِعَة

الرَّوافِض

الغُلاةُ في حُبِّ عليّ بن أبي طالِب، وبُغْضِ أبي بَكْر وعُمَر وعُثْمان وعائِشَة ومُعاوِيَة في آخرين من الصَّحابة، رضي الله عنهم أجمعين. وسُمُّوا رافِضَةً لأَنَّ زَيْدَ بن عليّ بن الحُسَيْنِ بن عليّ ابن أبي طالِب ـ رضي الله عنهم ـ امْتَنَعَ من لَعْنِ أبي بَكْر وعُمَر ـ رضي الله عنهما ـ وقال: هما وَزِيرا جَدِّي مُحَمَّد ﷺ فرَفَضُوا رأيه. ومنهم من قال: لأَنَّهم رَفَضُوا رأي الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ حيث بايَعُوا أبا بكرٍ وعُمَر، رضي الله عنهما [٢].

---

[١] حاشية بخط المُؤَلِّف: «جَهْمُ بن صَفْوان أبو مُحْرِز، كاتب الحارِث بن سُرَيْج التَّميمي القائم بخُراسان أيَّام نَصْر ابن سَيَّار، وكان من أَهْلِ تِرْمِذ خَرَج مع الحارِث بن سُرَيْج يَنْتَحِل الأَمْرَ بالمعروف والنَّهْي عن المُنْكَر، فقُتِل في آخِر مُلْك بني أُمَيَّة. له أَرْبع مُصَنَّفات وتَوَلَّى قَتْلَه سَلْمُ بن أَحْوَز بن أربد ابن مُحْرِز بن لاي بن سحير بن خباب بن خخبة بن كاميه بعدما أَسَرَه فَضَرَب عُنُقَه صَبْرًا».

أقول: قُتِل سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م، راجع، الطبري: تاريخ ٧: ٣٣٠- ٣٣٢؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١: ٧٩- ٨١؛ الذهبي: ميزان الاعتدال ١: ٤٢٦، سير أعلام النبلاء ٦: ٢٦- ٢٧؛ Montgomery Watt W., *EI* [2] art. *Djahm b. Safwân* II, p. 398.

وراجع عن الجَهْمِيَّة، أحمد بن حنبل: الرَّدّ على الزَّنادِقة والجهمية، القاهرة د.ت؛ أبو سعيد الدارمي: كتاب الرَّدّ على الجهمية، نشره G. Vitestam في ليدن سنة ١٩٦٠؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين ٢٧٩- ٢٨٠؛ الإسفراييني: التبصير في الدين ١٠٧- ١٠٨؛ البَغدادي: الفرق بين الفرق ٢١١- ٢١٢؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١: ٧٩- ٨١؛ Montgomery Watt, W., *EI* [2] art. *Djahmiyya* II, pp. 398-99.

[٢] راجع عن الرَّافِضَة (الرَّوافِض)، الذين رَفَضوا إمامة أبي بَكْرٍ وعمر، وهم كلُّ الشِّيعة عدا الزَّيْدِيَّة، الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٦- ٦٤؛ الإسفراييني: التبصير في الدين ٢٧- ٤٣؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٣٧- ٧٢؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٤٤- ١٦٩؛ نشوان الحميري: الحور العين ١٥٤- ١٧٠، ١٧٨- ١٨٩؛ Montgomery Watt, W., «The Rafidites. Preliminary Study», *Oriens* 16 (1963), pp. 110-121; Kohlberg, E., *EI* [2] art. *Rafida/Rawâfid* VIII, pp. 400-2.

وقد اخْتَلَفَ النَّاسُ في الإمامِ بعد رَسُولِ الله ﷺ : فذَهَبَ الجُمْهُورُ إلى أنَّه أبو بكرٍ الصِّدِّيق ، رضي الله عنه . وقال العَبَّاسِيَّة والرِّيوَنْدِيَّة[a] أتْباعُ أبي هُرَيْرَة الرِّيوَنْدي[b] ـ وقيل أتْباعُ أبي العَبَّاس الرِّيوَنْدي[b] ـ هو العَبَّاسُ بن عبد المُطَّلِبِ ـ رضي الله عنه ـ لأنَّه العَمّ والوارِثِ ، فهو أحَقُّ من ابن العَمّ . وقال العُثْمانِيَّة وبنو أُمَيَّة : هو عُثْمانُ بن عَفَّان ، رضي الله تعالى عنه . وذَهَبَ آخرون إلى غير ذلك . وقال الرَّافِضَةُ : هو عليُّ بن أبي طالب .

ثم اخْتَلَفُوا في الإمامَة اخْتلافًا كثيرًا حتى بَلَغَت فِرَقُهُم ثلاث مائة فِرْقَة [1] ، والمشهور منها عشرون فِرْقَة أمْثَلُها[c]: «الزَّيْدِيَّة» و«الصَّبَّاحِيَّة» ؛ لإقْرارِهِم[d] بإمامَة أبي بَكْر ـ رضي الله عنه ـ وأنَّه[e] لا نَصَّ في إمامَة عليّ ـ رضي الله عنه ـ واخْتَلَفُوا في إمامَة عُثْمان ـ رضي الله عنه : فأنْكَرَها بعضُهم ، وأقَرَّ بعضُهم أنَّه الإمام بعد عُمَر بن الخَطَّابِ ، رضي الله عنه ، لكن قالوا : عليٌّ أفْضَل من أبي بَكْر ، وإمامَةُ المَفْضُول جائِزَة .

وقال الغُلاةُ : الإمامُ[c] هو عليٌّ بالنَّصّ ، ثم الحَسَن وبعده الحُسَيْنُ ، وصارَ بعد الحُسَيْن الأَمْرُ شُورَى . وقال بعضُهم : لم يَرِد النَّصُّ إلَّا بإمامَة عليّ فقط ، وقال آخرون : نُصَّ على عليّ بالوَصْف لا بالعَيْن والاسْم ، وقال بعضُهم : قد جاءَ النَّصُّ على إمامَة اثْنَي عَشَر آخِرُهم المَهْدي المُنْتَظَر .

وفِرَقُهُم العِشْرون هي :

«الإمـامِيَّةُ» ـ وهم مُخْتَلِفُون في الإمامَة بعد رَسُولِ الله ﷺ . فزَعَمَ أكثرُهم أنَّ الإمامَة في عليّ بن أبي طالِب وأوْلادِه بنَصِّ النَّبي ﷺ ، وأنَّ الصَّحابَة كلَّهم قد ارْتَدُّوا إلَّا عَليًّا وابنيه الحَسَن والحُسَيْن وأبا ذَرّ الغِفاري وسَلْمان الفارِسي وطائِفَة يَسيرة . وأوَّلُ من تكلَّم في مَذْهَب الإمامِيَّة عليُّ بن إسْماعيل بن هَيْثَم[f] التَّمَّار ، وكان من أصْحابِ عليّ بن أبي طالِب [2] .

---

a) بولاق : الربوبدية . b) بولاق : الربوبدي . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : أقرّوا . e) بولاق : ورأوا أنه . f) بولاق : هيتم .

---

[1] راجع في الخلاف حَوْل الإمامة ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١ - ٥؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٥٠- ١٥٤، ٢١٢- ٢١٥؛ Madelung, W., *EI* [2] art. *Imâma* III, pp. 1192-98.

[2] راجع عن الإمامية ، الشهرستاني : الملل والنحل ١ : ١٤٤- ١٥٤؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٥٣- ٧١.

وذَهَبَتِ «القَطْعِيَّة» منهم إلى أنَّ الإمامَةَ في عليّ، ثم في الحَسَن، ثم في الحُسَيْن، ثم في عليّ ابن الحُسَيْن، ثم في محمَّد بن علي، ثم في جَعْفَر بن محمَّد، ثم في مُوسَىٰ بن جَعْفَر، ثم في عليّ بن مُوسَىٰ. وقَطَعُوا الإمامَة عليه، فسُمُّوا «القَطْعِيَّة» لذلك، ولم يُثْبِتُوا[a] إمامَة محمَّد [b]ابن علي[b] بن مُوسَىٰ ولا إمامَة الحُسَيْن بن محمَّد بن عليّ بن مُوسَىٰ[١].

وقالتِ «النَّاووسِيَّة»: جَعْفَرُ بن محمَّد لم يَمُت، وهو حيٌّ يُنْتَظَر[٢].

وقالت «المُبَارَكيَّة» أَتْبَاعُ مُبارَك: الإمامُ بعد جَعْفَر بن محمَّد ابنُه إسْماعيل بن جَعْفَر، ثم محمَّد بن إسْماعيل[٣].

وقالتِ «الشُّمَيْطِيةُ» أَتْبَاعُ يحيى بن شُمَيْط الأحْمُسي ـ كان مع المُخْتار قائِدًا من قُوَّاده، فأَنْفَذَه أميرًا على جَيْشِ البَصْرَة يُقاتِل مُصْعَب بن الزُّبَيْر فقُتِل بالمَذَار ـ الإمامَةُ بعد جَعْفَر في ابنه محمد وأوْلادِه[٤].

وقالتِ «المَعْمَرِيَّة» أتباعُ مَعْمَر: الإمامَةُ بعد جَعْفَر في ابنه عبد الله بن جَعْفَر وأوْلادِه. ويُقالُ لهم «القَطْحِيَّة»[c]، لأنَّ عبد الله بن جَعْفَر كان أَفْطَح[d] الرِّجلين[٥].

وقالت «الواقِفِيَّة»: الإمامُ بعد جَعْفَر ابنه مُوسَىٰ بن جَعْفَر، وهو حَيٌّ لم يَمُت، وهو الإمامُ المُنْتَظَر. وسُمُّوا «الواقِفِيَّة» لوُقوفِهم على إمامَة مُوسَىٰ[٦].

وقالت «الزُّرارِيَّة» أَتْبَاعُ زُرارَة بن أَعْيَن: الإمامُ بعد جَعْفَرَ ابنه عبد الله، إلَّا أنَّه سأله عن مَسائِلَ فلم يُمْكِنه الجَوَاب عنها، فادَّعى إمامَة مُوسَىٰ بن جَعْفَر من بعد أبيه[٧].

وقالت «المُفَضَّلِيَّة» أَتْبَاعُ المُفَضَّل بن عَمْرو: الإمامُ بعد جَعْفَر ابنه مُوسَىٰ، وأنَّه ماتَ فانْتَقَلَتِ الإمامَةُ إلى ابنه محمد بن مُوسَىٰ[٨].

---

a) بولاق: يكتبوا. b-b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: الفطحية. d) بولاق: أفطح.

---

[١] الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٧-١٨، ٣٠-٣١؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٦٤-٦٥.

[٢] نفسه ٢٥.

[٣] نفسه ٢٦-٢٧.

[٤] نفسه ٢٧، وهو فيه يحيى بن أبي شُمَيْط؛ نشوان الحميري: الحور العين ١٦٣.

[٥] الأشعري: مقالات الإسلاميين ٢٧-٢٨، وفيه «العَمَّارية» واسم رئيسهم عَمَّار.

[٦] نفسه ٢٨.

[٧] نفسه ٢٨.

[٨] نفسه ٢٩، وهو فيه: المُفَضَّل بن عمر، ويدعون كذلك «الموسائية» لقولهم بإمامة موسى بن جعفر.

وقالتِ « المُفَوِّضَةُ » من الإماميّة : إنَّ الله تعالى خَلَقَ محمدًا ، ﷺ ، وفَوَّضَ إليه خَلْقَ العالم وتَدْبيره . وقال بعضُهم : بل فَوَّضَ ذلك إلى عليّ بن أبي طالِب .

والفِرْقَةُ الثانِيَة من فِرَق الرَّوَافِض :

الكَيْسانِيَّة ـ أَتْباعُ كَيْسان مَوْلَى عليّ بن أبي طالِب ، وأَخَذَ عن محمَّد ابن الحَنَفِيَّة ـ وقيل بل كَيْسان اسم المختار بن عُبَيْد الثَّقَفِي الذي قامَ لأَخْذ ثأر الحُسَيْن ـ رضي الله عنه ـ زَعَمُوا أنَّ الإمامَ بعد عليّ ابنه محمَّد ابن الحَنَفِيَّة ، لأنّه أعْطاه الرّايَة يوم الجَمَل ، ولأنَّ الحُسَيْن أَوْصَى إليه عند خُروجِه إلى الكُوفَة [1] .

ثم اخْتَلَفُوا في الإمام بعد ابن الحَنَفِيَّة ، فقال بعضُهم : رَجَعَ الأَمْرُ بعده إلى أوْلادِ الحَسَن/ ٣٥٢:٢
والحُسَيْن ، وقيل بل انْتَقَلَ إلى أبي هاشِم عبد الله بن محمد بن الحَنَفِيَّة . وقالتِ الكَرْبِية أتباع أبي كَرْب بأنَّ ابن الحَنَفِيَّة حيٌّ لم يَمُت ، وهو الإمام المُنْتَظَر . ومن قَوْلِ الكَيْسانِيَّة أنَّ البِدَا جائِزٌ على الله ، وهو كُفْرٌ صَريح .

والفِرْقَةُ الثَّالِثَة :

الخَطَّابِيَّة ـ أَتْباعُ أبي الخَطَّاب محمد بن أبي ثَوْر ـ وقيل محمَّد بن أبي يَزِيد ـ الأَجْدَع . ومَذْهَبُه الغُلُوّ في جَعْفَر بن محمد الصَّادِق ، وهو أيضًا من المُشَبِّهة ، وأتباعُه خمسون فِرْقَة ، وكلُّهم مُتَّفِقون على أنَّ الأئِمَّة ـ مثل عليّ وأوْلادِه ـ كلّهم أنْبياء ، وأنّه لا بُدَّ من رَسُولَيْن لكلّ أُمَّةٍ : أحَدُهُما ناطِقٌ ، والآخِر صَامِتٌ ، فكان محمَّدٌ ناطِقًا ، وعليٌّ صَامِتًا ، وأنَّ جَعْفَر بن محمَّد الصَّادِق كان نَبِيًّا ، ثم انْتَقَلَتِ النُّبُوَّةُ إلى أبي الخَطَّاب الأَجْدَع ، وجَوَّزُوا كلُّهم شَهادَة الزُّور لموافقيهم ، وزَعَمُوا أنَّهم عالمون بما هو كائِنٌ إلى يَوْمِ القِيامَة [2] .

---

[1] راجع عن الكَيْسانية ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٨–٢٣؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٣٨–٥٣؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١:١٣١–١٣٧؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٥٧–١٦٢؛ وداد القاضي : الكيسانية في التاريخ والأدب ، بيروت ـ دار الثقافة ١٩٧٤؛ Madelung, W., *EI*² art. *Kaysâniyya* IV, pp. 869-71.

[2] راجع عن الخَطَّابِيَّة ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٠–١٣؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٦٦–١٧٠؛ Madelung, W., *EI*² art. *Khattabiyya* IV, pp. 1163-64.

وقالتِ «المَعْمَرِيَّةُ» منهم: الإمامُ بعد أبي الخَطَّاب رَجُلٌ اسمه مَعْمَر [a]، وزَعَمُوا أنَّ الدُّنْيا لا تَفْنَى، وأنَّ الجنَّة هي ما يُصيبُه الإنْسانُ من الخَيْرِ في الدُّنْيا، والنَّارَ ضِدّ ذلك. وأباحُوا شُرْبَ الخَمْر والزِّنَى وسائِرَ المُحَرَّمات، ودَانُوا بتَرْكِ الصَّلاة، وقالوا بالتَّناسُخ، وأنَّ النَّاسَ لا يَمُوتُون وإنَّما تُرْفَع أرْواحُهم إلى غيرهم.

وقالتِ «البَزيغِيَّةُ» منهم: إنَّ جَعْفَر بن محمَّد إله، وليس هو الذي يراه النَّاسُ وإنَّما تَشَبَّه على النَّاسِ، وزَعَمُوا أنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ يُوحَى إليه، وأنَّ منهم من هو خَيْرٌ من جِبْريل وميكائيل ومحمَّد ﷺ، وزَعَمُوا أنَّهم يَرَوْن أمْواتَهم بُكْرَةً وعَشِيًّا.

وقالت «العُمَيْرِيَّة» منهم، أتْباعُ عُمَيْر بن بَيَان العِجْلي، مثل ذلك كلّه، وخالفُوهم في أنَّ النَّاسَ لا يَمُوتُون.

وافْتَرَقَتِ «الخَطَّابِيَّةُ» بعد قَتْلِ أبي الخَطَّاب فِرَقًا: منها فِرْقَةٌ زَعَمَت أنَّ الإمامَ بعد أبي الخَطَّاب، عُمَيْر بن بَيَان العِجْلي، ومقالتهم كمقالة البَزيغِيَّة، إلَّا أنَّ هؤلاء اعْتَرَفُوا بمَوْتِهم، ونَصَبُوا خَيْمَةً على كُناسَة الكُوفَة يجتمعون فيها على عِبادَة جَعْفَر الصَّادِق. فبَلَغَ ذلك يَزيد ابن عُمَيْر، فصَلَبَ عُمَيْر بن بَيَان في كُناسَة الكُوفَة.

ومن فِرَقهم «المُفَضَّلِيَّةُ» أتْباعُ مُفَضَّل الصَّيْرَفي. زَعَمَ أنَّ جَعْفَر بن محمد إله، فطَرَدَه ولَعَنَه.

وزَعَمَتِ «الخَطَّابِيَّة» بأجْمَعها أنَّ جَعْفَر بن محمد الصَّادِق أوْدَعهم جِلْدًا يُقالُ له «جَفْر» فيه كلُّ ما يَحْتاجُون إليه من عِلْمِ الغَيْبِ وتَفْسيرِ القُرْآن. وزَعَمُوا ـ لَعَنَهُم الله ـ أنَّ قَوْلَه تعالى: ﴿إنَّ الله يَأْمُرُكُم أنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [الآية ٦٧ سورة البقرة] معناه عائِشَة أمّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وأنَّ الخَمْرَ والمَيْسِر: أبو بكر وعُمَر ـ رضي الله عنهما ـ وأنَّ الجبت والطاغوت: مُعاوِيَة بن أبي سُفْيان وعَمْرو ابن العاص، رضي الله عنهما.

والفِرْقَةُ الرَّابِعَةُ:

الزَّيْـــدِيَّةُ ـ أتْباعُ زَيْدِ بن عليّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنهم ـ القائِلون بإمامَته وإمامَة من اجْتَمَعَ فيه سِتّ خِصَال: العِلْم، والزُّهْد، والشَّجاعَة، وأن يكون من أوْلادِ فاطِمَة الزَّهْراء ـ رضي الله عنها ـ حَسَنِيًّا أو حُسَيْنِيًّا، ومنهم من زادَ صَباحَة الوَجْه، وألَّا يكون فيه آفَة. وهم يُوافِقُون المُعْتَزِلَة في أُصُولِهم كلّها إلَّا في مَسْألَة الإمامَة. وأخَذَ

---

a) بولاق: مصر.

مَذْهَبُ زَيْد بن عليّ عن واصِل بن عَطاء، وكان يُفَضِّلُ عَلِيًّا على أبي بكر وعُمَر مع القَوْلِ بإمامَتهما [1].

وهم أَرْبَعُ فِرَق:

«الجَارُودِيَّة» أَتْباعُ أبي الجارُود، ويكنى أبا النَّجم، زِياد بن المُنْذِر العَبْدي. زَعَمَ أنَّ ـ النَّبيَّ ﷺ نَصَّ على إمامَة عليٍّ بالوَصْف لا بالتَّسْمِيَة، وأنَّ النَّاسَ كَفَرُوا بتَرْكِهم مُبايَعَة عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ والحَسَن والحُسَيْن وأوْلادِهما.

و «الجَرِيريَّة» أَتْباعُ سليم بن جَرير، ومن قَوْلِه: لم يَكْفُر النَّاس بتَرْكِهم مُبايَعَة عليّ، بل أخطأوا بتَرْكِ الأَفْضَل وهو علي، وكَفَّروا الجارودِيَّة بتَكْفيرهم الصَّحابَة، إلَّا أنَّهم كَفَّرُوا عُثْمان بن عَفَّان بالأَحْداث التي أَحْدَثَها، وقالوا: لم يَنُصّ عليٌّ على إمامَة أحَدٍ، وصَارَ الأَمْرُ من بعده شُورَى.

ومنهم «البُتْرِيَّة» أَتْباعُ الحَسَن بن صَالِح بن كثير الأَبْتَر. وقَوْلُهم: إنَّ عَلِيًّا أَفْضَل وأَوْلى بالإمامَة، غير أنَّ أبا بكرٍ كان إمامًا، ولم تكن إمامَتُه خَطأً ولا كُفْرًا، بل تَرَك عليٌّ الإمامَة له، وأمَّا عُثْمان فيَتَوَقَّفُ فيه.

ومنهم «اليَعْقُوبِيَّة» أَتْباعُ يَعْقُوب. وهم يقولون بإمامَةِ أبي بَكْرٍ وعُمَر، ويتبرَّأون مِمَّن تَبَرَّأ منهما، ويُنْكِرُون رَجْعَة الأَمْوات إلى الدُّنْيا قَبْل يوم القِيامَة، ويتبرَّأون مِمَّن دانَ بها، إلَّا أنَّهم مُتَّفقون على تَفْضيل عليٍّ على أبي بكر وعُمَر، من غير تَفْسيقِهما ولا تَكْفيرِهما ولا لَعْنِهما، ولا الطَّعْنِ على أحَدٍ من الصَّحابَة، رِضْوانُ الله عليهم أَجْمَعين.

الفِرْقَةُ الخامِسَة: «**السَّبَئِيَّة**» أَتْباعُ عبد الله بن سَبأ الذي قال شَفاهًا لعلي بن أبي طالب: أنت الإله. وكان من اليَهُود، ويقول في يُوشَع بن نُون مثل قَوْله ذلك في عليّ، وزَعَمَ أنَّ عَلِيًّا لم

---

[1] عن الزَّيْدِيَّة، أتْباع الإمام زَيْد بن علي والذين يُعَدُّون الفِرْقَة السياسية الوحيدة بين الشيعة، حيث ثارَ الإمامُ زَيْد على الأمويين سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م، راجع الأشعري: مقالات الإسلاميين ٦٥-٧٥؛ المسعودي: مروج الذهب ٤: ٤٥؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٣٠-٣٧؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٣٧-١٤٣؛ نشوان الحميري: الحور العين ١٥٥-١٥٧، ١٨٤-١٨٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٥: ٣٥-٣٦؛ Madelung, W., *Der Imam al-Qâsim ibn Ibrâhîm und die Glaubenslehre der Zaiditen*, Berlin 1965; Sezgin, F., *GAS* I, pp. 561-63; , *EI*[2] art. *Zayd b. ʿAlī* XI, *EI*[2] art. *Zaydiyya* XI, sous presse؛ فضيلة عبد الأمير الشّامي: تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، النجف ١٩٧٤؛ أحمد محمود صبحي: الزيـدية، الإسكندرية ـ منشأة المعارف ١٩٨٠؛ أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، القاهرة ١٩٨٧، ٢١١-٢٢٧؛ وفيما يلي ٨٢٨-٨٣٧.

يُقْتَل، وأنَّه حَيٌّ لم يَمُت، وأنَّه في السَّحاب، وأنَّ الرَّعْدَ صَوْتُه والبَرْقَ سَوْطُه، وأنَّه يَنْزِل إلى الأرْض بعد حين، قَبَّحَه الله [1].

والفِرْقَةُ السَّادِسَة: «الكامِليَّة» أتْباعُ أبي كامِل. أكْفَر جَميع الصَّحابَة بتَرْكِهم بَيْعَة عليّ، وكَفَّرَ عَليًّا بتَرْكِه قِتالِهم، وقال بتَناسُخِ الأنْوار الإلهية في الأئِمَّة.

والفِرْقَةُ السَّابِعَة: «البَيَانِيَّة» أتْباعُ بَيَان بن سَمْعان. زَعَمَ أنَّ رُوحَ الإله حَلَّ في الأنْبياء، ثم في عليّ، وبعده في محمَّد ابن الحَنَفِيَّة، ثم في ابنه أبي هاشِم عبد الله بن محمَّد، ثم حَلَّ بعد أبي هاشِم في بَيَان بن سَمْعَان، يعني نفسه، /لَعَنَه الله. ٣٥٣:٢

والفِرْقَةُ الثَّامِنَة: «المُغِيريَّة» أتْباعُ مُغيرَة بن سَعيد العِجْلي، مَوْلَى خالِد بن عبد الله، طَلَبَ الإمامَة لنفسه بعد محمَّد بن عبد الله بن الحَسَن، فخَرَجَ على خالِد بن عبد الله القَسْري بالكُوفَة في عشرين رجلًا فقَطْعَطُوا به، فقال خالِد: أطعِمُوني ماءً، وهو على المِنْبَر، فغُيِّرَ بذلك.

والمُغيرَةُ هذا قال بالتَّشْبيه الفاحِش، وادَّعَى النُّبُوَّة، وزَعَم أنَّ مُعْجِزَتَه عِلْمُه بالاسْم الأعْظَم، وأنَّه يُحْيِي المَوْتَى، وزَعَمَ أنَّ الله لَمَّا أرادَ أن يَخْلق العالم كَتَبَ بأُصْبُعه أعْمالَ عِبادِه، فغَضِبَ من مَعاصيهم فعَرِق، فاجْتَمَع من عَرَقِهِ بَحْران: أحَدُهما مالِحٌ والآخر عَذْب، فخَلَقَ من البَحْر العَذْب الشِّيعَة، وخَلَق الكَفَرَة من البَحْر المِلْح. وزَعَمَ أنَّ المَهْدي يَخْرُج وهو محمَّد بن عبد الله ابن الحَسَن بن الحُسَيْن بن علي بن أبي طالِب.

والفِرْقَةُ التَّاسِعَة: «الهِشامِيَّة»، وهم صِنْفان: أحَدُهُما أتْباعُ هِشَام بن الحَكَم [2]، والثَّاني أتْباعُ هِشَام الجَوَالِيقِي. وهما يقولان: لا تَجُوزُ المَعْصية على الإمام، وتَجُوزُ على الأنْبياء، وأنَّ محمدًا عَصَى رَبَّه في أخْذِ الفِداء من أسْرَى بَدْر، كَذِبًا لعنهما الله. وهُمَا أيضًا مع ذلك من المُشَبِّهَة.

---

[1] انظر عن السبئية، فيما تقدم ٣٧١هـ [1].

[2] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف: «هِشامُ بن الحَكَم، أبو محمد مَوْلى بني شَيْبان، كوفي تَحَوَّلَ إلى بَغْداد، وكان من أصْحابِ جَعْفَر الصَّادِق ومن مُتكَلِّمي الشِّيعَة ممن فَتَقَ الكلام في الإمامة وهَذَّب المَذْهَب بالنَّظَر، وكان حاذِقًا بصناعة الكلام حاضِر الجواب، سُئل عن معاوية أشَهِدَ بَدْرًا؟ قال: نَعَم من ذاك الجانب. وكان مُنْقَطِعًا إلى يحيى بن خالِد البَرْمَكي والقائم بمجالس كلامه. توفي بعد نَكْبَة البَرامِكة بقليل مُسْتَتِرًا وله خمس وثلاثون مُصَنَّفًا».

والفِرْقَةُ العاشِرَة : « الزُّرارية » أَتْباعُ زُرارَة بن أَعْيَن [1]، أَحَدُ الغُلاة في الرَّفْض ، ويَزْعُم مع ذلك أنَّ الله تعالى لم يَكُن في الأَزَلِ عالِمًا ولا قادِرًا حتى اكْتَسَب لنفسه جَميعَ ذلك ، قَبَّحه الله .

والفِرْقَةُ الحادية عَشْرَة : « الجَناحِيَّة » أَتْباعُ عبد الله بن مُعاوِيَة ذي الجَناحَيْن ابن أبي طالِب . وزَعَمَ أنَّه إله ، وأنَّ العِلْمَ يَنْبُت في قَلْبِه كما تَنْبُت الكَمْأة ، وأنَّ رُوحَ الإله دارَت في الأَنْبياء كما كانت في عليٍّ وأَوْلادِه ، ثم صارَت فيه .

ومَذْهَبُهم اسْتِحْلال الخَمْر والمَيْتَة ونِكاح المحارِم ، وأَنْكَرُوا القِيامَة ، وتأَوَّلوا قَوْله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحات جُنَاحٌ فيمَا طَعِمُوا إذا ما اتَّقُوا وءَامَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحات﴾ [الآية ٩٣ سورة المائدة] ، وزَعَمُوا أنَّ كلَّ ما في القُرآن من تَحْرِيم المَيْتَة والدَّم ولَحْم الخِنْزير ، كِنايَةٌ عن قَوْم يلزم بُغْضُهم ، مثل أبي بكرٍ وعُمَر و عُثْمان ومُعاوِيَة ، وكلّ ما في القُرْآن من الفَرائِض التي أَمَرَ الله بها كِنايَةٌ عن من يَلْزَمُ موالاتُهم ، مثل عليّ والحَسَن والحُسَيْن وأَوْلادِهم .

والثَّانِيَة عشرة : « المَنْصُورِيَّة » أَتْباعُ أبي مَنْصُور العِجْلي ، أحَد الغُلاة المُشَبِّهَة ، زَعَمَ أنَّ الإمامَةَ انْتَقَلَت إليه بعد محمَّد الباقِر بن عليّ زَيْن العابدين بن الحُسَيْن بن علي بن أبي طالِب ، وأنَّه عُرِجَ به إلى السَّماء بعد انْتِقالِ الإمامَة إليه ، وأنَّ مَعْبودَه مَسَحَ بيده على رأسِه ، وقال له : يا بُنَيَّ بَلِّغ عَنِّي آيةَ الكِشف السَّاقِط من السَّماء في قَوْلِه تعالى : ﴿وإن يَرَوْا كِسْفًا من السَّماءِ ساقِطًا يقُولُوا سِحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ [الآية ٤٤ سورة الطور] . وزَعَمَ أنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ قَوْمٌ تَجِب مُوالاتهم مثل علي بن أبي طالِب وأَوْلادِه ، وأنَّ أَهْلَ النَّارِ قَوْمٌ تَجِب مُعاداتهم مثل أبي بَكْرٍ وعُمَر وعُثْمان ومُعاوية ، رضي الله عنم .

والثَّالِثَة عَشْرة : « الغُـرابِيَّة » . زَعَمُوا ـ لَعَنَهم الله ـ أنَّ جِبْرِيل أَخطأ ، فإنَّه أُرْسِلَ إلى عليّ ابن أبي طالِب فجاءَ إلى محمَّد ﷺ ، وجَعَلُوا شِعارَهم إذا اجْتَمَعُوا أنْ يقولوا : « الْعَنُوا صَاحِب الرِّيش » ـ يَعْنُون جِبْرِيل عليه السَّلام ـ وعليهم اللَّعْنَة .

---

[1] حاشية بخطّ المؤلّف : «زُرارة بن أعْيَن بن سِنبس ، واسم زُرارة عبد رَبّه وزُرارة لَقَب له . وكان أبوه أعْيَنُ عبدًا روميًا لرَجل من بني شَيْبان تَعَلَّم القرآن ، ثم أعْتَقَه . وكان سِنْبس راهبًا في بَلَد الرُّوم . وزرارة أكثر رجال الشِّيعَة فِقْهًا وحديثًا ومعرفةً بالإسلام والتَّشيُّع» .

والرَّابِعَة عَشْرَة : « **الذَّمِّيَّة** » (بفَتْح الذَّال المعجمة) زَعَمُوا - أخْزاهُم الله - أنَّ عليًّ بن أبي طالِب بَعَثَه الله نَبِيًّا ، وأنَّه بَعَثَ محمَّدًا ﷺ ليُظْهِرَ أمْرَه ، فادَّعَى النُّبُوَّة لنفسه ، وأرْضَى عَلِيًّا بأن زَوَّجَه ابنته ومَوَّلَه . ومنهم العُلَيَّانية أتبَاع عُلَيَّان بن ذِراع السَّدوسي - وقيل الأسَدي - كان يُفَضِّل عَلِيًّا على النَّبيّ ﷺ ، ويَزْعُم أنَّ عَلِيًّا بَعَثَ محمَّدًا . وكان - لَعَنَه الله - يَذم النَّبي ﷺ ، لزَعْمِه أنَّ محمدًا بُعِثَ ليَدْعُو إلى عَليٍّ ، فدَعَا إلى نَفْسِه .

ومن العُلَيَّانية من يقول بإلهِيَّة محمَّد وعلي جَميعًا ، ويُقَدِّمون محمَّدًا في الإلهية ، ويُقالُ لهم الميمِيَّة . ومنهم من قال بإلهِيَّة خمسة - وهم أصْحابُ الكِساء : محمَّد ، وعلي ، وفاطِمَة ، والحَسَن ، والحُسَيْن - وقالوا : خَمْسَتُهم شيءٌ واحِد ، والرُّوحُ حالَّة فيهم بالسَّوِيَّة لا فَضْلَ لواحِدٍ منهم على الآخَر ، وكَرِهُوا أن يقولوا « فاطِمَة » بالهاء ، فقالوا « فاطِم » . قال بعضُهم :

[الطويل]

تَوَلَّيْتُ بعد الله في الدِّين خَمْسَةً نَبِيًّا ، وسِبْطَيْه ، وشَيْخًا ، وفاطِما

والخامِسَة عَشْرَة : « **اليُونُسِيَّة** » أتْبَاعُ يُونُس بن عبد الله القُمِّي ، أحَدُ الغُلاة المُشَبِّهَة .

[a]ومنهم « الحَـرَبِيَّة » ، أتْبَاعُ عبد الله بن الحارث ، واسْمُ الحارِث سَلَمَة بن مسعود بن خالِد ابن أصْرَم . وهو من بني الطَّمَح بن الحَرْب بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثَوْر بن مَرْتَع ، وكان غالِيًا كافِرًا أوْجَبَ على أصْحابِه سَبْع عشرة صلاة كلَّ يومٍ ولَيْلَة ، في كلِّ صلاةٍ خَمسَ عشرة ركعة ، ثم تاب باختياره ورَجَع إلى قَوْلِ الصُّفْرية من الخَوارِج ، فبَرِئَ منه أصْحابُه لمَّا تابَ وبقوا على كُفْرِهم[a].

والسَّادِسَة عشر : « **الرُّزَّامِيَّة** » أتْبَاعُ رُزَّام بن سابِق . زَعَم أنَّ الإمامة انْتَقَلَت بعد عليّ ابن أبي طالِب إلى ابنه محمد بن الحَنَفِيَّة ، ثم إلى ابنه أبي هاشِم ، ثم إلى علي ابن عبد الله بن عَبَّاس بالوَصِيَّة ، ثم إلى ابنه محمد بن علي ، فأوْصَى بها محمَّد إلى أبي العَبَّاس عبدِ الله بن محمد السَّفَّاح ، الظالِم المُتَرَدِّد في المذاهِب ، الجاهِلِ بحُقُوقِ أهْلِ البَيْتِ .

---

a-a) هذه الفقرة ساقطة من بولاق .

والسَّابِعَة عشرةِ : « **الشَّيْطانِيَّة** » أَتْباعُ محمد بن النُّعْمان شَيْطان الطَّاق [1]. وقد شارَكَ المُعْتَزِلَة والرَّافِضَة في جَميعِ بِدَعِهِم [a]، وانْفَرَدَ بأَعْظَمِ الكُفْر ـ قاتَلَه الله ـ وهو أنَّه زَعَمَ أنَّ الله لا يَعْلَم الشَّيءَ حتى يُقَدِّره ، وقَبْلَ ذلك يَسْتَحيلُ عِلْمُه .

والثَّامِنَة عَشْرة : « **البَسْلَمِيَّة** » وهم من الرَّاوَنْدِيَّة زَعَمُوا أنَّ الإمامَة ، بعد رَسُولِ الله ﷺ ، صارَت في عليٍّ وأَوْلادِه الحَسَن والحُسَيْن / ومحمّد ابن الحَنَفِيَّة ، ثم في أبي هاشِم عبد الله ابن ٣٥٤:٢ محمد ابن الحَنَفِيَّة ، وانْتَقَلَت منه إلى عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس بوَصِيَّتِه إليه ، ثم إلى أبي العَبَّاس السَّفَّاح ، ثم إلى أبي سَلَمَة صَاحِب دَوْلَة بني العَبَّاس .

وقامَ بناحية كِشّ ، فيما وَراء النَّهْر ، رَجُلٌ من أهْلِ مَرْو أَعْوَر ـ يُقالُ له هَاشِم ـ ادَّعَى أنَّ أبا سَلَمَة كان إلهًا انْتَقل إليه رُوحُ الله ، ثم انْتَقَلَ إليه بعده . فانْتَشَرت دَعْوَتُه هناك ، واحْتَجَبَ عن أصْحابِه ، واتَّخَذَ له وَجْهًا من ذَهَبٍ ، فعُرِفَ بالمُصَيَّغ . ثم إنَّ أصْحابَه طَلَبُوا رُؤْيَتَه ، فوَعَدَهُم أن يُريهم نفسه إن لم يَحْتَرِقُوا ، وعَمِلَ تِجاه مَرْآه مِرْآةً مُحْرِقَةً تَعْكِس شُعاعَ الشَّمْس . فلمَّا دَخَلُوا عليه احْتَرقَ بعضُهم ، ورَجَعَ الباقُون وقد فُتِنُوا ، واعْتَقَدُوا أنَّه إله لا تُدْرِكُه الأبْصارُ ، ونادَوا في حُرُوبِهم بإلهِيته .

---

a) بولاق : مذهبهم .

---

[1] حاشية بخطّ المؤلِّف : «هو أبو جَعْفَر محمد بن علي ابن النُّعْمان الكوفي المعتزلي الشِّيعي الصَّيْرَفي المعروف بـ«شَيْطان الطَّاق» من أجْلِ أنَّه كان صَيْرَفيًّا بطاق المحامِل من بَغْداد ، فاخْتَلَفَ هو وصَيْرَفي في نَقْد دِرْهَم فغَلَبَه فقال مُتَبَجِّحًا : أنا شَيْطانُ الطَّاق ، فغَلَبَ عليه هذا الاسم . والرَّافِضَة تُجِلُّه وتُسَمِّيه مَيْمون الطَّاق . وله قِصَّة مع أبي حَنيفَة رحمه الله ، وله شِعْرٌ جَيِّد . قال بَشَّار بن بُرْد : شَيْطانُ الطَّاق أشْعَرُ مِنِّي . ومَذْهَبه أنَّ الإمامَة لم تزل إلى مُوسَىٰ بن جَعْفَر ، فلمَّا مات مُوسَىٰ قَطَعَ الإمامَة ، ووافَقَ هِشام بن الحَكَم في قَوْلِه : إنَّ الله تعالى يَعْلَم الأشياء بعد وُقُوعها ولا يَعْلَم أنَّها ستَقَع ، وزَعَم أنَّ الله تعالى على صُورَة إنْسان لقَوْله ـ عليه السَّلام ـ : « إنَّ الله خَلَقَ آدَم على صورة الرَّحْمَن ، لكنه ليس بجِسْم » . وله كُتُبٌ عديدة منها : «كتاب افْعَل لم فعلت» و«كتاب افْعَل لا تَفْعَل» ، وعنده أنَّ كبار الفِرَق أربعة : القَدَرِيَّة والخَوارِج والعامَّة والشِّيعَة ، فالنَّاجي من الفِرَق في الآخرة الشِّيعَة . ومن رأيه ورأي هشام الإمْساكُ عن الكلام في الله تعالى ؛ لقَوْله تعالى : ﴿وأنَّ إلى رَبِّكَ المُنْتَهَى﴾ [الآية ٤٢ سورة النجم] ـ أي إذا بَلَغَ الكلام إلى الله تعالى فأمْسِكوا ، قالا : فلذلك أمْسَكنا عن القَوْل في الله والتَّفَكُّر فيه . وقيل له : وَيْحَكَ ! أما اسْتَحْيَيت أما اتَّقَيْت الله أن تقول في «كتاب الإمامَة» : إنَّ الله لم يَقُل قطّ في القرآن : ﴿ثانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا في الغَارِ﴾ [الآية ٤٠ سورة التوبة] فضحك طويلًا . وكانت وفاتُه في حُدُود الثمانين ومائة ، ومن شعره :

[الطويل]

ولا تكُ في حُبِّ الأخِلَّاء مُفرِطًا ... وإن أنت أبْغَضْتَ البغيضَ فأجْمِلِ

فإنَّك لا تَدْري متى أنت مبغضٌ ... صَديقَك أو تَعْذِر عدوَّك فاعقل»

والتَّاسِعَة عشرة : « الجَعْفَرِيَّة » [a].

والعشرون : « الصَّبَّاحِيَّة » ، وهم والزَّيْدِيَّةُ أَمْثَل الشِّيعَة ، فإنَّهم يقولون بإمامَةِ أبي بَكْرٍ ، وأنَّه لا نَصَّ في إمامَة عليّ ، مع أنَّه عندهم أَفْضَل وأبو بكر مَفْضُول .

ومن فِرَق الرَّوافِض : « الحُلُولية » [b]، و « الشَّاعية » ، و « الشَّريكية » يَزْعُمون أنَّ عَليًا شَريك محمَّدٍ ﷺ ، و « التَّناسُخِيَّة » القائِلون إنَّ الأرْواحَ تَتناسَخ ، و « اللَّاعِبَة » [c]، و « المُخَطِّئَة » الذين يَزْعُمون أنَّ جِبْرِيل أخطأ ، و « الإسْحاقِيَّة » ، و « الخَلْفِيَّة » الذين يقولون : لا تَجُوز الصَّلاةُ خَلْف غير الإمام ، و « الرَّجْعِيَّة » القائلون : سيَرْجِع عليُّ بن أبي طالِب ويَنْتَقِم من أعْدائِه ، و « المُتَرَبِّصِيَّة » الذين يَتَرَبَّصُون خُروج المَهْدي ، و « الآمِرِيَّة » ، و « الجُبَيَّة » ، و « الجَلالِيَّة » ، و « الكُرَيْبِيَّة » أتْباع أبي كُرَيْب الضَّرير ، و « الحَزَنِيَّة » أَتْباعُ عبد الله بن عَمْرو الحَزَني .

الفِرْقَةُ العاشِرَة

الخَوارِج

ويُقالُ لهم « النَّواصِبُ » ، و « الحَرُورِيَّة » ـ نِسْبَة إلى حَرُوراء : مَوْضِعٌ خَرَجَ فيه أوَّلُهم على عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ وهم الغُلاةُ في حُبِّ أبي بكر وعُمَر وبُغْض عليّ بن أبي طالِب ـ رِضْوان الله عليهم أجْمَعين ـ ولا أَجْهَل منهم ، فإنَّهم القاسِطُون المارِقُون . خَرَجُوا على عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ وانْفَصَلوا عنه بالجملة وتَبَرَّأوا منه ، ومنهم من صَحِبَه ، ومنهم من كان في زَمَنِه . وهم جَماعَةٌ قد دَوَّنَ النَّاسُ أخبارَهُم ، وهم عشرون فِرْقَة :

الأولى : « الحَكَمِيَّة » ، ويُقالُ : « المُحَكِّمَة » [d]؛ لأنَّهم خَرَجُوا على عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ في صِفِّين ، وقالوا : « لا حُكْمَ إلَّا لله ، ولا حُكْمَ للرِّجال » ، وانْحازُوا عنه إلى حَرُوراء ، ثم إلى النَّهْرَوان . وسَبَبُ ذلك أنَّهم حَمَلوه على التَّحاكُمِ إلى مَنْ حَكَمَ بكتابِ الله ، فلمَّا رَضِيَ بذلك ـ وكانت قَضِيَّةُ الحَكَمَيْن : أبي مُوسَىٰ الأشْعَرِي وهو عبد الله بن قَيْس ، وعَمْرو بن العَاص ، غَضِبُوا من ذلك ونابَذُوا عَلِيًا ، وقالوا في شِعارِهم : « لا حُكْمَ إلَّا لله ولرَسوله » . وكان إمامُهم في التَّحْكيم عبد الله بن الكَوَّاء .

---

a) بياض في آياصوفيا . b) بولاق : الحلوية . c) بولاق : اللاعنة . d) بولاق : يقال لهم الحكمية .

والثَّانِيَة : « **الأَزارِقَة** » أَتْباعُ أبي راشِد نافِع بن الأَزْرَق بن قَيْس بن نَهار بن إِنْسان بن أَسَد ابن صَبْرَة بن ذُهَل بن الدُّوَل بن حَنيفَة ، (a)كان أوَّل من حَكَّمَ عُرْوَة بن أُدَيَّة ، وقيل بل أوَّلُ من حَكَّمَ رَجُلًا يقال له سَعْدٌ من بني مُحارِب بن خَصَفَة بن قَيْس غيلان ، ولم يختلفوا في اجتماعهم على عبد الله بن الرَّاسبي(a) الخارِج بالبَصْرَة في أيَّام عبد الله بن الزُّبَيْر [1]. وهم على التَّبَرِّي من عُثْمان وعليّ والطَّعْن عليهما ، وأنَّ دارَ مُخالفيهم دارُ كُفْر ، وأنَّ من أقامَ بدارِ الكُفْرِ فهو كافِر ، وأنَّ أطْفالَ مُخالفيهم في النَّار ويَحِلّ قَتْلُهم . وأنْكَرُوا رَجْم الزَّاني ، وقالوا : من قَذَفَ مُحْصَنَةً حُدَّ ، ومن قَذَفَ مُحْصَنًا لا يُحَدّ ، ويُقْطَع السَّارِقُ في القَليلِ والكثير .

والثَّالِثَة : « **النَّجْدات** » ـ ولم يُقَل فيهم النَّجْدِيَّة ليُفَرِّق بينهم وبين من انْتَسَب إلى بِلاد نَجْد ـ فإنَّهم أَتْباعُ نَجْدَة بن عُوَيْمِر ، وهو عامِر الحَنَفي الخارِج باليَمامَة ، وكان رأسًا ذا مَقالَةٍ مُفْرَدَة ، وتَسَمَّى بأمير المؤمنين ، وبَعَثَ عَطِيَّة بن الأَسْوَد إلى سِجِسْتان ، فأَظْهَرَ مَذْهَبَه بمَرْو ، فعُرِفَت أتْباعُه بالعَطَوِيَّة .

ومَذْهَبُهم أنَّ الدِّين أمْران : أحَدُهُما مَعْرِفَةُ الله تعالى ومَعْرِفَةُ رَسُولِه ، وتَحْرِيمُ دِماءِ المسلمين وأمْوالِهِم . والثَّاني : الإقْرارُ بما جاءَ من عند الله تعالى جملةً ، وما سِوَى ذلك من التَّحْريم والتَّحْليل وسَائِر الشَّرائِع فإنَّ النَّاسَ يُعَذَّرُون بجَهْلِها ، وأنَّه لا يَأْثَمُ المجْتَهِد إذا أخْطأ ، وأنَّ من خافَ(b) أن يُعذِّب المجْتَهِد فقد كَفَر . واسْتَحَلُّوا دِماءَ أهْل الذِّمَّة في دارِ التَّقِيَّة ، وقالوا من نَظَرَ نَظْرَةً مُحَرَّمَةً ، أن كَذِبَ كِذْبَةً ، أو أَصَرَّ على صَغيرَةٍ ولم يَتُب منها ، فهو كافِر . ومن زَنَى أو سَرَق أو شَرِبَ خَمْرًا من غير أن يُصِرّ على ذلك ، فهو مُؤْمِن غير كافِر .

والرَّابِعَة : « **الصُّفْرِيَّة** » أَتْباعُ زِياد بن الأَصْفَر [2]، ويُقال أَتْباعُ النُّعْمان بن صُفْر ، وقيل : بل نُسِبُوا إلى عبد الله بن صَفَّار ، وهو أَحَدُ بني مُقاعِس ، وهو الحارِث بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : خالف .

[1] حاشية بخَطِّ المؤَلِّف : «نافِعُ بن الأَزْرَق أبو راشد ، رَجُلٌ من بني حَنيفة أحد أعْلام الخَوارِج ، ومِمَّن كان مع نَجْدَة ابن عامِر وأبي فُدَيْك ، فأحْدَثَ البَراءة والمِحْنَة وقَبِلَ في السِّرّ ، فخالَف في ذلك أصْحابَه من أهْل النَّهْرَوان ومَنْ بَعْدَهم ، وفارقته الخَوارِجُ كلهم ، فسُمُّوا «أهْل الوُقوف» لأنَّهم وَقَفُوا عند الشُّبْهَة حتى يستبينوا . وخَرَج نافع بمن معه بأرْض الأهْواز وبَقَر النِّساء وقَتَلَ الصِّبيان وسَبَى آخر سنة أربع وستين ، وقُتِلَ في الحَرْب» .

[2] حاشية بخَطِّ المؤَلِّف : «قال ابنُ الأنْباري : الصَّوابُ في الفِرْقَة من الخَوارج : الصُّفْرِيَّة بكسر الصَّاد» .

ابن زَيْد مَناةَ بن تَميم بن أَدّ بن طابِخَة بن إلْياس بن مُضَر بن نِزار ، وقيل عبد الله الصَّفَّار من بني صُوَيْمَر ابن مُقاعِس ، وقيل سُمُّوا بذلك لصُفْرَةِ عِلَّتهم ، وزَعَمَ بعضُهم أنَّ الصُّفْرية بكسر الصَّاد .

وقد وافَقَ الصُّفْرية الأزارِقَة في جَميع بِدَعِهم ، إلَّا في قَتْلِ الأطْفال . ويقال للصُّفْرية أيضًا الزِّيادِيَّة ، ويُقالُ لهم أيضًا النُّكَّار من أجْلِ أنَّهم يُبْغِضون[a] نصف عليٍّ وثُلُث عُثْمان وسُدُس عائِشة ـ رضي الله عنهم .

والخامِسَة : « العَجارِدَة » أتْباعُ عبد الكريم بن عَجْرَد .

والسَّادِسَة : « المَيْمونِيَّة » أتْباعُ مَيْمون بن عِمْران ، وهم طائِفَةٌ من العَجارِدَة وافَقُوا الأزارِقَة إلَّا في شَيْئَيْن : أَحَدُهُما قَوْلُهم : تَجِب البَرَاءَة من الأطْفال حتى يَبْلُغوا ويصفوا الإسلام ؛ والثَّاني اسْتِحْلال أمْوالِ المخالِفِين لهم . فلم تَسْتَحِلّ المَيْمونِيَّة مالَ أحَدٍ خالَفَهم ما لم يُقْتَل المالِك ، فإذا قُتِلَ صارَ مالُه فَيْئًا إلَّا أنَّهم / ازْدادُوا كُفْرًا على كُفْرِهم ، وأجازُوا نِكاحَ بَناتِ البَنَات وبناتِ البَنين ، ٣٥٥:٢ وبَناتِ أوْلادِ الإخْوة وبناتِ أوْلادِ الأَخَوات فَقَط .

والسَّابِعَة : « الشُّعَيْبِيَّة » وهم طائِفَةٌ من العَجارِدَة وافَقُوا المَيْمونِيَّة في جَميع بِدَعِهم ، إلَّا في الاسْتِطاعَة والمَشيئَة ، فإنَّ المَيمونِيَّة مالَت إلى القَدَريَّة [1] .

والثَّامِنَة : « الحَمْزِيَّة » أتْباعُ حَمْزَة بن أَدْرَك[b] الشَّاري[c]، الخارِج بخُراسَان في خِلافَة هارون ابن محمد الرَّشيد ، وكَثُرَ عَيْثُه وفَسادُه ، ثم فَضَّ جُمُوع عيسَىٰ بن عليّ عامِل خُراسَان ، وقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيرًا ، فانْهَزَمَ منه عيسَىٰ إلى كابُلَ ، وآل أَمْرُ حَمْزَة إلى أن غَرِقَ في كَرْمان بوادٍ هناك ، فعُرِفَت أصحابُه بالحَمْزِيَّة .

وكان يقول بالقَدَرِ ، فكَفَّرَته الأزارِقَةُ بذلك ، وقال : أَطْفَالُ المشركين في النَّارِ ، فكَفَّرَته القَدَرِيَّة بذلك . وكان لا يَسْتَحِلّ غَنائِمَ أعْدائِه ، بل يَأْمُر بإحْراقِ جَميعِ ما يَغْنَمُه منهم [2] .

---

a) بولاق : ينقصون . b) كذا عند الشهرستاني وفي سائر المصادر : ابن أكرك . c) بولاق : الشامي .

---

[1] الأشعري : مقالات الإسلاميين ٩٤-٩٥؛ الإسفراييني : التبصير في الدين ٣٢؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١ : ١٣١؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٩٥.

[2] نفسه ٩٣-٩٤؛ نفسه ٣٣؛ نفسه ١ : ١٢٩؛ نفسه ٩٨-٩٩.

والتَّاسِعَة : « الحَـازِمِيَّة »[a]، وهم فِرْقَةٌ من العَجارِدَة قالوا في القَدَر والمَشيئَة كقَوْلِ أهْلِ السُّنَّة ، وخالَفُوا الخَوارِجَ في الولاية والعَداوَة فقالوا : لم يَزَل الله تعالى مُحِبًّا لأوْليائِه ومُبْغِضًا لأعْدائِه [1].

والعاشِرَة : « المَعْلُومِيَّة » ، مع « المَجْهُولِيَّة » تَبايَنا في مسألتين : إحْداهُما : قالت المَعْلُومِيَّة : مَنْ لم يَعْرِفِ الله تعالى بجَميع أسْمَائه فهو كافِر ، وقالت المَجْهُولِيَّة : لا يكون كافِرًا . والثَّانية : وافَقَتِ المَعْلومِيَّة أَهْلَ السُّنَّة في مسألة القَدَر والمَشيئَة ، والمَجْهوليَّة وافَقَتِ القَدَرِيَّة في ذلك [2].

والحادية عَشْرَة : « الصَّلْتِيَّة » أَتْباعُ عُثْمان بن أبي الصَّلْت ، وهم طائِفَةٌ من العَجارِدَة انْفَرَدوا بقَوْلهم : مَنْ أَسْلَم تَوَلَّيْناه لكن نَتَبَرَّأ من أطْفالِه ، لأنَّه ليس للأطْفالِ إسْلامٌ حتى يَبْلُغوا .

والثَّانِيَة عَشْرَة والثَّالِثَة عَشْرَة : « الأَخْنَسِيَّة »[b] و « المَعْبَدِيَّة » ، وهما فِرْقَتان من الثَّعالِبَة أَتْباع ثَعْلَبَة ابن عامِر . وكان ثَعْلَبَةُ هذا مع عبد الكريم بن عَجْرَد ، ثم اخْتَلَفا في الأطفال ، فقال عبد الكريم : نَتَبَرَّأ منهم قبل البُلُوغ ، وقال ثَعْلَبَة : لا نَتَبَرَّأ منهم بل نقول : نَتَوَلَّى الصِّغَار . فلم تَزَلِ الثَّعالِبَةُ على هذا إلى أن خَرَجَ رَجُلٌ عُرِفَ بالأَخْنَس ، فقال : نَتَوَقَّف عن جميع مَنْ في دارِ التَّقِيَّة ، إلا مَنْ عَرَفْنا منه إيمانًا فإنَّا نَتولَّاه ، ومن عَرَفْنا منه كُفْرًا تَبَرَّأنا منه ، ولا يَجُوز أن نَبْدَأ أَحَدًا بقِتالٍ ، فتبرَّأت منه الثَّعالِبَة ، وسَمَّوه بالأَخْنَس ، لأنَّه خَنَسَ منهم ، أي رَجَع عنهم .

ثم خَرَجَت فِرْقَةٌ من الثَّعالِبَة ، قيل لها « المَعْبَدِيَّة » أَتْباعُ مَعْبَد ، فخالَفَتِ الثَّعالِبَة في أَخْذِ الزَّكاة من العَبيد والبَهائِم ، وكَفَّرَت كلُّ فرقةٍ منهما الأخرى [3].

والرَّابِعَة عَشْرَة : « الشَّيْبانِيَّة » أَتْباعُ شَيْبان بن سَلَمَة ، الخارج في أيَّامِ أبي مُسْلِم الخُراساني القائِم بدَعْوَة الخُلَفاء العَبَّاسيين ، وكان معه ، فتبرَّأت منه الثَّعالِبَةُ لمعاونته لأبي مُسْلم . وهو أوَّلُ من أَظْهَر القَوْلَ بالتَّشْبيه ، تعالى الله عن ذلك [4].

---

a) بولاق : الخازمية . b) بولاق : الأحسنية .

---

[1] الأشعري : مقالات الإسلاميين ٩٦؛ الإسفرايني : التبصير في الدين ٣٢، البغدادي : الفرق بين الفرق ٩٤. الشهرستاني : الملل والنحل ١: ١٣٢.

[2] نفسه ٩٦- ٩٧؛ نفسه ٣٣؛ نفسه ٩٧.

[3] نفسه ٩٧- ٩٩؛ نفسه ٣٣؛ نفسه ١٠١؛

[4] نفسه ٩٨- ٩٩؛ نفسه ٧٤؛ نفسه ١٠٢؛ نفسه ١: ١٣٢.

والخامِسَة عَشْرَة : « الشَّبيبِيَّة » أَتْبَاعُ شَبيب بن يَزيد بن أَبي نُعَيْم ، الخارِج في خِلافَة عبد الملك ابن مَرْوان ، وصَاحِب الحُروب العَظيمَة مع الحَجَّاج بن يُوسُف الثَّقَفي . وهم على ما كانت عليه الحَكَمِيَّة الأُولى ؛ إلَّا أنَّهم انْفَرَدُوا عن الخَوارِج بجَوازِ إمامَة المَرْأَة وخِلافَتِها . واسْتَخْلَف شَبيبٌ هذا أُمَّهُ غَزالَة ، فدَخَلَتِ الكُوفَة ، وقامَت خَطيبَةً ، وصَلَّتِ الصُّبْح بالمَسْجِد الجَامِع ، فقَرَأَت في الرَّكْعَة الأولى بالبَقَرَة ، وفي الثانية بآلِ عِمْران ؛ وأَخْبار شَبيب طويلة [١].

والسَّادِسَة عَشْرَة : « الرُّشَيْدِيَّة » أَتْباعُ رُشَيْد ، ويُقالُ لهم أيضًا « العُشْرِيَّة » من أَجْل أنَّهم كانوا يأْخُذون نِصْف العُشْر مِمَّا سَقَتِ الأَنْهار . فقال لهم زِيادُ بن عبد الرحمن : يجب فيه العُشْرُ ، فتبرَّأت كلُّ فرقةٍ من الأخرى وكَفَّرَتْها بذلك .

والسَّابِعَة عَشْرَة : « المُكْرَمِيَّة » أَتْباعُ أبي المُكْرَم ، ومن قَوْلِه : تارِكُ الصَّلاة كافِر ، وليس كُفْرُه لتَرْكِ الصَّلاة لكن لجَهْلِه بالله . وكذا قَوْلُه في سَائِر الكَبائِر [٢].

والثَّامِنَة عَشْرَة : « الحَفْصِيَّة » أَتْباعُ حَفْص بن المِقْدام ، أَحَدُ أَصْحابِ عبد الله بن إباض . تَفَرَّد بقَوْله : مَنْ عَرَفَ الله تعالى ، وكَفَرَ بما سِواه من رَسُولٍ وغيره ، فهو كافِرٌ وليس بمُشْرِك . فأَنْكَر ذلك الإباضِيَّة وقالوا : بل هو مُشْرِك [٣].

والتَّاسِعَة عَشْرَة : « الإباضية » أَتْباعُ عبد الله بن إباض من بني مُقاعِس ، واسمه الحارِث ابن عمْرو - ويُقال : بل يُنْسَبون إلى « أُباض » - بضم الهمزة - وهي قريةٌ بالعَرْض من اليمامَة نَزَلَ بها نَجْدَة بن عامِر - وخَرَجَ عبد الله بن إباض في أيَّام مَرْوان وكان من غُلاة المحكِّمَة [٤].

---

[١] الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٢٣- ١٢٤، الإسفرايني : التبصير في الدين ٣٥؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ١٠٩- ١١٣.

[٢] نفسه ٩٩- ١٠٠، نفسه ٣٤؛ نفسه ١٠٣، الشهرستاني : الملل والنحل ١ : ١٣٣.

[٣] نفسه ١٠٢- ١٠٣؛ نفسه ٣٤؛ نفسه ١٠٤- ١٠٥؛ نفسه ١ : ١٣٥.

[٤] راجع عن الإباضية ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٠٢- ١١٣؛ الإسفرايني : التبصير في الدين ٥٨؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١ :١٢١- ١٢٢؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٧٣- ١٧٥؛ علي يحيى معمر : الإباضية في موكب التاريخ ١- ٣، ١٩٦٤؛ Lewicki, *EI*[2] art. *Ibâdiyya* III, pp. 669-82.

والفِرْقَةُ العِشْرون : «اليَزِيدِيَّة» أَتْباعُ يَزيد بن أبي أُنَيسَة ، وكان إباضِيًا ، فانْفَرَد بِبِدْعَةٍ قَبيحَةٍ ، وهي أنَّ الله تعالى سَيَبْعَث رَسُولاً من العَجَم ، ويُنْزِلُ عليه كِتابًا جملةً واحدَةً يَنْسَخ به شَرِيعَة محمدٍ ﷺ[١].

ومن فِرَقِ الخَوارِج أيضًا : الحارِثيَّة ، والأَصْوَمِيَّة أَتْباعُ يَحْيَى بن أَصْوَم ، والبَيْهَسِيَّة أَتْباعُ أَبِي البَيْهَس الهَيْصَم بن خالِد ، من بني سَعيد بن ضَبْعَة : كان في زَمَنِ الحَجَّاج ، وقُتِلَ بالمَدينَة وصُلِبَ ، واليَعْقُوبِيَّة أَتْباعُ يَعْقوب بن عليّ الكُوفي .

ومن فِرَقِهم : الفَضْلِيَّة أَتْباعُ فَضْلِ بن عبد الله ، والشَّمواخية أتباعُ عبد الله بن شَمْواخ[a]، والضَّحَّاكية أتباع الضَّحَّاك .

والخَوارِجُ يُقالُ لهم الشُّراة : واحِدُهم شاري ، مُشْتَقّ من شَرَى الرَّجُلُ إذا لَجَّ ، أو معناه يَشْتَشْري / بالشَّرّ ، أو من قَوْلِ الخَوارِج : شَرَيْنا أَنْفُسنا لدين الله ، فنحن لذلك شُراة . وقيل إنَّه من ٢:٣٥٦ قَوْلِهم : شارَيْتُه أي لاحَجْتُه ومارَيْتُه ، وقيل : شَرَى الرَّجُل غَضَبًا : إذا اسْتَطار غَضَبًا ، وقيل لهم هذا لشِدَّةِ غَضَبِهم على المسلمين[٢].

---

a) بولاق : سمراخ .

---

[١] البغدادي : الفرق بين الفرق ١٠٤ .

[٢] يُعَدُّ كِتابُ «الكامِل» للمُبَرِّد ، المتوفى سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م ، أَهَمَّ مَصْدَرٍ لتاريخ الخَوارِج حيث تجد فيه ، دون تَتابُعٍ أو تَرْتيب ، النُّصُوصَ التاريخية والأدبية الأكثر وَفْرَة عن الخَوارِج ، وانظر كذلك يوليوس فلهاوزن : أحزابُ المعارضة السياسية الدِّينية في صَدْرِ الإسلام : الخوارج والشِّيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٥٦؛ Levi Della Vida, G., EI[2] art. *Kharidjites* IV, pp. 1106-9 وما ذكر من مراجع .

ذِكْرُ الحالِ في عقائدِ أهلِ الإسلامِ منذ ابْتِداءِ المِلَّةِ الإسلاميةِ إلى أن انتشرَ مذهبُ الأشعريّةِ

اعْلَم أنَّ الله تعالى لمَّا بَعَثَ من العَرَبِ نَبِيَّه مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا إلى النَّاسِ جَميعًا، وَصَفَ لهم رَبَّهم سبحانه وتعالى، بما وَصَفَ به نفسه الكريمة في كِتابِه العَزيز الذي نَزَلَ به على قَلْبِه ﷺ الرُّوح الأمين، وبما أَوْحَى إليه رَبُّه تعالى. فلم يَسْأَله ﷺ أحَدٌ من العَرَبِ بأَسْرِهم - قَرويهم وبَدويهم - عن مَعْنَى شيءٍ من ذلك، كما كانوا يسألونه ﷺ عن أَمْرِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصِّيام والحَجّ، وغير ذلك مِمَّا لله فيه سُبْحانه أَمْرٌ ونَهْيٌ، وكما سألوه ﷺ عن أحْوالِ القِيامَةِ والجنَّةِ والنَّار. إذْ لو سَأَلَه إنْسانٌ منهم عن شيءٍ من الصِّفات الإلهية، لنُقِلَ كما نُقِلَتِ الأحاديثُ الوارِدَةُ عنه ﷺ في أحْكامِ الحَلالِ والحَرَام، وفي التَّرْغيب والتَّرْهيب، وأحْوالِ القِيامَة والملاحِم والفِتَن، ونحو ذلك مِمَّا تَضَمَّنته كُتُبُ الحَديث مَعاجِمها ومَسانيدها وجَوامِعها.

ومَنْ أَمْعَنَ النَّظَرَ في دَواوين الحَديثِ النَّبوي، ووَقَفَ على الآثارِ السَّلَفِيَّة، عَلِمَ أنَّه لم يَرِد قَطُّ، من طَريقٍ صَحيحٍ ولا سَقيمٍ، عن أحدٍ من الصَّحابَة - رضي الله عنهم - على اخْتِلافِ طَبقاتهم وكثرة عَدَدِهم - أنَّه سأل رَسُولَ الله ﷺ عن مَعْنَى شيءٍ مِمَّا وَصَفَ به[a] الرَّبُّ سبحانه نفسه الكريمة في القُرْآنِ الكريم، وعلى لِسانِ نَبِيِّه محمد ﷺ، بل كُلُّهم فَهِمُوا مَعْنَى ذلك، وسَكَتُوا عن الكلام في الصِّفات، نَعَم، ولا فَرَّقَ أحَدٌ منهم بين كَوْنِها صِفَة ذات أو صِفَة فِعْل. وإنَّما أثْبَتُوا له تعالى صِفات أَزَلِيَّة من العِلْم والقُدْرَة والحَياة والإرادَة والسَّمْع والبَصَر والكَلام والجَلال والإكْرام والجُود والإنْعَام والعِزّ والعَظَمَة، وساقُوا الكلامَ سَوْقًا واحدًا. وهكذا أَثْبَتوا - رضي الله عنهم - ما أَطْلَقَه الله سبحانه على نَفْسِه الكريمة من الوَجْهِ واليد ونحو ذلك، مع نَفْي مُماثَلَة المَخْلوقين. فأَثْبَتُوا - رضي الله عنهم - بلا تَشْبيه، ونَزَّهُوا من غير تَعْطيل، ولم يَتَعَرَّضْ مع ذلك أحَدٌ منهم إلى تأويلِ شيءٍ من هذا، ورَأَوا بأَجْمَعِهم إجْراء الصِّفات كما وَرَدَت.

---

a) ساقطة من بولاق.

ولم يكن عند أحَدٍ منهم ما يَسْتَدِلُّ به على وَحْدانية الله تعالى، وعلى إثباتِ نُبُوَّةِ محمد ﷺ، سِوَى كِتابَ الله، ولا عَرَفَ أحَدٌ منهم شيئًا من الطُّرُقِ الكلامية ولا مَسائِلِ الفَلْسَفَة.

فمَضَى عَصْرُ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ على هذا، إلى أن حَدَثَ في زَمَنِهم القَوْلُ بالقَدَرِ، وأنَّ الأَمْرَ أنف: أي أنَّ الله تعالى لم يُقدِّر على خَلْقِه شيئًا مِمَّا هُم عليه.

وكان أوَّلُ من قالَ بالقَدَرِ في الإسْلام مَعْبَدُ بن خالِد الجُهَني، وكان يُجالِس الحَسَن بن أبي الحَسَن البَصْري، فتكَلَّم في القَدَرِ بالبَصْرَة، وسَلَكَ أهْلُ البَصْرَةِ مَسْلَكَه لمَّا رأوا عَمْرو بن عُبَيْد يَنْتَحِلُه. وأخَذَ مَعْبَدٌ هذا الرأي عن رَجُلٍ من الأَساوِرَة يُقال له أبو يُونُس سَنْسَويه، ويُعْرَف بالأَسْواري. فلمَّا عَظُمَتِ الفِتْنَةُ به، عَذَّبَه الحَجّاجُ وصَلَبَه بأمْرِ عبد الملك بن مَرْوان سنة ثمانين.

ولمَّا بَلَغَ عبدَ الله بن عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنهما ـ مَقالَةُ مَعْبَد في القَدَر تَبَرَّأَ من القَدَرِيَّة.

واقْتَدَى بمَعْبَدٍ في بِدْعَته هذه جماعةٌ، وأَخَذَ السَّلَفُ ـ رحمهم الله ـ في ذَمِّ القَدَرِيَّة، وحَذَّرُوا منهم كما هو معروفٌ في كُتُبِ الحَدِيث. وكان عَطاءُ بن يَسار قاضِيًا يَرَى القَدَر، وكان يأتي هو ومَعْبَد الجُهَني إلى الحَسَن البَصْري، فيقولان له: إنَّ هؤلاء يَسْفِكون الدِّماء، ويقولون: إنَّما تَجْري أعْمالُنا على قَدَرِ الله. فقال: كَذَبَ أعْداءُ الله فطُعِنَ عليه بهذا ومثله.

وحَدَثَ أيضًا في زَمَنِ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ «مَذْهَبُ الخَوارِج»، وصَرَّحُوا بالتَّكْفير بالذَّنْبِ، والخُرُوجِ على الإمام وقِتالِه. فناظَرَهم عبدُ الله بن عَبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ فلم يَرْجِعُوا إلى الحَقِّ، وقاتَلَهم أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه ـ وقَتَلَ منهم جَماعَةً كما هو معروفٌ في كُتُبِ الأَخْبار.

ودَخَلَ في دَعْوَةِ الخَوارِج خَلْقٌ كثيرٌ، ورُمِيَ جَماعَةٌ من أئِمَّة الإسْلام بأنَّهم يَذْهَبون إلى مَذْهَبِهم، وعُدَّ منهم غير واحِدٍ من رُواةِ الحَدِيث كما هو معروفٌ عند أهْلِه.

وحَدَثَ أيضًا في زَمَنِ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ «مَذْهَبُ التَّشَيُّع لعلي بن أبي طالِب» ـ رضي الله عنه ـ والغُلُوُّ فيه. فلمَّا بَلَغَه ذلك أنْكَرَه، وحَرَقَ بالنَّار جَماعَةً مِمَّن غَلا فيه، وأَنْشَد: [الرجز]

لمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرا ... أَجَّجْتُ ناري ودَعَوْتُ قُنْبُرا

وقامَ في زَمَنه ـ رضي الله عنه ـ عبد الله بن وَهْب بن سَبَأ ـ المعروف بابن السَّوْداء السَّبَئي ـ وأَحْدَثَ القَوْلَ بوَصِيَّة رَسُولِ الله ﷺ لعَليّ بالإمامَة من بَعْده، فهو وَصِيّ رَسُولِ الله ﷺ، وخَليفَتُه على أُمَّتِه من بعده بالنَّصّ. وأَحْدَثَ القَوْلَ برَجْعَة عليّ بعد مَوْتِه إلى الدُّنْيا، وبرَجْعَةِ رَسُولِ الله ﷺ أيضًا./ وزَعَمَ أن عَلِيًّا لم يُقْتل، وأنَّه حَيٌّ، وأنَّ فيه الجُزْء الإلهي، وأنَّه هو الذي

يَجيء في السَّحاب ، وأنَّ الرَّعْدَ صَوْتُه والبَرْقَ سَوْطُه ، وأنَّه لابدَّ أن يَنْزِلَ إلى الأرْضِ فيملأُها عَدْلًا كما مُلِئَت جَوْرًا .

ومن ابن سَبَأ هذا تَشَعَّبَت أَصْنَافُ الغُلاةِ من الرَّافِضَة ، وصارُوا يَقُولون بالوَقْفِ ـ يَعْنُون أنَّ الإمامَةَ مَوْقُوفَةٌ على أُناسٍ مُعَيَّنِين ـ : كقَوْلِ « الإماميّة » بأنّها في الأَئِمَّة الاثْنَي عَشَر ، وقَوْلِ « الإسْماعيلية » بأنّها في وَلَدِ إسماعيل بن جَعْفَر الصَّادِقِ . وعنه أيضًا أَخَذُوا القَوْلَ بغَيْبَةِ الإمام ، والقَوْلَ برَجْعَته بعد المَوْتِ إلى الدُّنْيا ، كما تَعْتَقِده الإماميةُ إلى اليوم في صَاحِبِ السِّرْداب ، وهو القَوْلُ بتَناسُخِ الأرْواح . وعنه أَخَذوا أيضًا القَوْلَ بأنَّ الجُزْءَ الإلهي يَحِلّ في الأَئِمَّة بعد عليّ بن أبي طالِب ، وأنَّهم بذلك اسْتَحَقُّوا الإمامَة بطَريقِ الوُجُوب ، كما اسْتَحَقَّ آدَم ـ عليه السَّلام ـ سُجُودَ الملائِكَة ، وعلى هذا الرَّأْي كان اعْتِقادُ دُعَاةِ الخُلَفَاءِ الفاطِميين ببلاد مصر .

وابنُ سَبَأ هذا هو الذي أثارَ فِتْنَةَ أَمير المؤمنين عُثْمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ حتى قُتِلَ ـ كما ذُكِرَ في ترجمة ابن سَبَأ من كِتاب « التَّاريخ الكبير المُقَفَّى »[1] ـ وكان له عِدَّةُ أَتْباعٍ في عامَّة الأمْصَار ، وأَصْحَابٌ كثيرون في مُعْظَم الأقْطار . فكَثُرَت لذلك الشِّيعَةُ ، وصارُوا ضِدًّا للخَوارِج ، وما زالَ أَمْرُهُم يَقْوَى وعَدَدُهم يَكْثُر .

ثم حَدَثَ بعد عَصْرِ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ «مَذْهَبُ جَهْم بن صَفْوان» ببلاد المَشْرق[2] ، فعَظُمَتِ الفِتْنَةُ به . فإنَّه نَفَى أن يكون لله تعالى صِفَةٌ ، وأَوْرَدَ على أَهْلِ الإسْلامِ شُكوكًا أَثَّرت في المِلَّةِ الإسْلامية آثارًا قَبيحَة تَوَلَّدَ عنها بَلاءٌ كبير . وكان قُبَيْل المائة من سني الهجرة ، فكَثُر أَتْباعُه على أَقْوالِه التي تُؤَوِّل إلى التَّعْطيل . فأكبر أَهْلُ الإسْلام بِدْعَتَه ، وتمالئوا على إنْكارِها وتَضْليل أَهْلِها ، وحَذَّرُوا من الجَهْمِيَّة وعادُوهم في الله ، وذَمُّوا من جَلَسَ إليهم ، وكَتَبُوا في الرَّدِّ عليهم ما هو معروفٌ عند أَهْلِه .

وفي أثناءِ ذلك حَدَثَ « مَذْهَبُ الاعْتِزال » ، منذ زَمَنِ الحَسَن بن أبي الحَسَن البَصْري ـ رحمه الله ـ بعد المائتين من سني الهِجْرَة ، وصَنَّفُوا فيه مَسائِلَ في العَدْلِ والتَّوْحيد ، وإثْباتِ أَفْعالِ العِباد ،

---

[1] لم أقف على ترجمة عبد الله بن سبأ في العبادلة فيما وَصَل إلينا من كتاب «المقفى الكبير» ؛ فواضِحٌ من ترتيب نُسْخَة باريس ـ التي تشتمل على تراجم العبادِلَة ـ اخْتِلاط كرّاساتها وسُقُوط بعضها الآخر ، خاصَّةً بين عبد الله بن زُرَيْر الغافِقي وعبد الله بن عبد الحليم .

[2] حاشية بخط المؤلِّف : «جَهْم بن صَفْوان مولى راسب ، كان بخُراسان فلمَّا قام مَرْوان بن محمد الحمار بالأمْر واخْتَلَف الحارث بن سُرَيْج ونَصْر بن سيَّار ، صار جَهْم مع الحارِث فلمَّا اقْتَتَلا أُسِرَ جَهْم وقُتِلَ في رَجَب سنة ثمانٍ وعشرين ومائة» . وانظر فيما تقدم ٤١٨ .

وأنَّ الله تعالى لا يَخْلق الشَّرَّ، وجَهَرُوا بأنَّ الله لا يُرَى في الآخِرَة، وأنْكَرُوا عَذابَ القَبْرِ على البَدَن، وأعْلَنُوا بأنَّ القُرآنَ مَخْلُوقٌ مُحْدَث، إلى غير ذلك من مَسائِلِهم[1]. فتبعَهم خَلائِقُ في بِدَعِهم، وأكثروا من التَّصْنيفِ في نُصْرَة مَذْهَبِهم بالطُّرُقِ الجَدَلِيَّة. فنَهى أئِمَّةُ الإسْلام عن مَذْهَبِهم، وذَمُّوا عِلْمَ الكلام، وهَجَروا من يَنْتَحِله. ولم يَزَلْ أمْرُ المُعْتَزِلَة يَقْوى، وأتْباعُهم تَكْثُر، ومَذْهَبُهم يَنْتَشِر في الأرْض.

ثم حَدَثَ «مَذْهَبُ التَّجْسيم» المُضاد لمَذْهَب الاعْتِزال. وظَهَرَ مُحمَّد بن كَرَّام بن عِرَّاف ابن خُزابَة أبو عبد الله السِّجِسْتاني، زَعيم الطَّائِفَة الكَرَّامية، بعد المائتين من سني الهجرة، وأثْبَتَ الصِّفات حتى انتهى فيها إلى التَّجْسيم والتَّشْبيه، وحَجَّ وقَدِمَ الشَّام، وماتَ بزُغَر في صَفَر سنة ستٍّ وخمسين ومائتين، فدُفِنَ بالقُدْس. وكان هناك من أصْحابِه زِيادَةٌ على عشرين ألفًا على التَّعَبُّد والتَّقَشُّف، سوى من كان منهم ببلاد المَشْرق وهم لا يُحْصَوْن لكثرتهم، وكان إمامًا لطائِفَتي الشَّافعية والحَنَفيَّة. وكانت بين الكَرَّامية بالمَشْرِق وبين المُعْتَزِلَة مُناظراتٌ، ومُناكراتٌ، وفِتَنٌ كثيرة مُتَعَدِّدة أزْمانها.

هذا وأمْرُ الشِّيعَة يَفْشُو في النَّاس، حتى حَدَثَ «مَذْهَبُ القَرامِطَة» المَنْسوبين إلى حَمْدان الأشْعَث، المعروف بقَرْمَط من أجْلِ قِصَرِ قامَتِه وقِصَرِ رجليه وتَقارُب خَطْوِه. وكان ابتداءُ أمْرِ قَرْمَط هذا في سنة أربعٍ وستين ومائتين، وكان ظُهورُه بسَوادِ الكُوفَة، فاشْتُهِرَ مَذْهَبُه بالعِراق. وقامَ من القَرامِطَة ببلاد الشَّام صاحِبُ الخال والمُدَّثِّر والمُطَوَّق. وقامَ بالبَحْرَيْن منهم أبو سَعيد الجَنَّابي من أهْلِ جَنابَة، وعَظُمَت دَوْلَتُه ودَوْلَةُ بنيه من بعده، حتى أوْقَعُوا بعَساكِر بَغْداد، وأخافوا خُلَفاءَ بني العَبَّاس، وفَرَضُوا الأمْوالَ التي تُحْمَل إليهم في كلِّ سنةٍ على أهْل بَغْداد وخُراسان والشَّام ومصر واليَمَن، وغَزَوا بَغْداد والشَّام ومصر والحِجاز، وانْتَشَرَت دُعاتُهم بأقْطارِ الأرْض[3]. فدَخَلَ جماعاتٌ من النَّاسِ في دَعْوَتِهم، ومالوا إلى قَوْلِهم الذي سَمَّوه «عِلْم الباطِن». وهو

---

[1] وهو موضوع كتاب «المُغْني في أبْوابِ التَّوْحيد والعَدْل» لقاضي القُضَاه عبد الجَبَّار بن أحمد الهَمَذاني أحد رُؤَساء المُعْتَزِلَة، المتوفى سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م. ويقع هذا الكتاب في عشرين مُجَلَّدًا كَشَفَ والدي - رحمه الله - أثناء زيارته لليمن سنة ١٩٥١-١٩٥٢ عن نسخة منه تنقص المجلَّدات ١، ٢، ٣، ١٧، ١٨، ١٩. وقد طُبِعَ هذا الكتاب في القاهرة في سلسلة تراثنا بين سنتي ١٩٦٠- ١٩٦٦.

[2] انظر عن الكَرَّامية، فيما تقدم ٤١٢.

[3] القَرامِطَةُ في الأصْل من دُعاة الإسماعيليين ثم انْفَصَلوا عنهم بعد أن لاحَظ حَمْدان قَرْمَط في سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م بعض التَّغْييرات في التَّعْليمات المكتوبة التي كانت تصل إليه من رئاسة الدَّعْوَة في سَلَمِيَّة، حيث كانت تعكس تَحَوُّلات هامَّة فيما يتعلَّق باعتقاد الإمامة، حيث أخذ عبد الله ابن الحسين (الإمام المهدي فيما بعد) في الدَّعْوَة لنفسه =

تأويل شَرائِع الإسْلام وصَرْفِها عن ظَواهِرِها إلى أُمورٍ زَعَمُوها من عند أنفسهم، وتأويل آياتِ القُرْآن ودَعْواهم فيها تأويلًا بعيدًا، انْتَحَلُوا القَوْلَ به بِدَعًا ابْتَدعُوها بأهْوائِهم، فَضَلُّوا وأضَلُّوا عالمًا كثيرًا.

هذا وقد كان المأمونُ عبدُ الله بن هارون الرَّشيد، سابع خُلَفاء بني العَبَّاس ببَغْداد، لمَّا شُغِفَ بالعُلُوم القَديمَة، بَعَثَ إلى بِلادِ الرُّوم من عَرَّبَ له كُتُبَ الفَلاسِفَة، وأتاه بها في أعْوام بضع عشرة ومائتين من سني الهجرة[1]، فانْتَشَرَت مَذاهِبُ الفَلاسِفَة في النَّاس، واشْتُهِرَت كُتُبُهم بعامَّة الأمْصار، وأقْبَلَتِ المُعْتَزِلَةُ والقَرامِطَةُ والجَهْمِيَّةُ وغيرهم عليها، وأكثروا من النَّظَرِ فيها والتَّصَفُّحِ لها. فانْجَرَّ على الإسلام وأهْلِه من عُلُوم الفلاسِفَة ما لا يُوصَف من البَلاءِ والمِحْنَة في الدِّين، وعَظُمَ بالفَلْسَفَةِ ضَلالُ أهْلِ البِدَع، وزادَتهم كُفْرًا إلى كُفْرِهم.

فلمَّا قامَت «دَوْلَةُ بني بُوَيْه» ببَغْداد في سنة أربعٍ وثلاثين وثلاث مائةٍ، واسْتَمرُّوا إلى / سنة ٣٥٨:٢
سبعٍ وثلاثين وأربع مائةٍ، وأظْهَروا «مَذْهَب التَّشَيُّع» قَوِيَت بهم الشِّيعَةُ، وكَتَبُوا على أبْوَابِ المساجِد في سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة «لَعَنَ الله مُعاوِيَة بن أبي سُفْيان، ولَعَنَ من أغْضَبَ فاطِمَة، ومَنْ مَنَعَ الحَسَن أن يُدْفَن عند جَدِّه، ومَنْ نَفَى أبا ذَرٍّ الغِفاري، ومن أخْرَجَ العَبَّاسَ من الشُّورَى». فلمَّا كان اللَّيْلُ حَكَّه بعضُ النَّاسِ، فأشارَ الوَزيرُ المُهَلَّبي أن يُكْتَب بإذْن مُعِزّ الدَّوْلَة «لَعَنَ الله الظَّالِمِين لأهْلِ البَيْت» ولا يُذْكَر أحَدٌ في اللَّعْن غير مُعاوِيَة، ففُعِلَ ذلك. وكَثُرَت ببَغْداد الفِتَنُ بين الشِّيعَة والسُّنَّة، وجَهَرَ الشِّيعَةُ في الأذان بـ «حَيّ على خَيْرِ العَمَل» في الكَرْخ. وفَشَا مَذْهَبُ الاعْتِزال بالعِراق وخُراسان وما وَراءَ النَّهْر، وذَهَبَ إليه جَماعَةٌ من مشاهير الفُقَهاء[2].

= وإمامة أسْلافه الزُّعماء المركزيين الذين نَظَّموا وقادوا الحركة الإسماعيلية بَدَلًا من إعلان مَهْدية محمد بن إسماعيل التي كانت الدَّعْـوَةُ تُمَهِّد لها. (راجع، Madelung, W., *EI*[2] art. *Karmati* IV, pp. 687-92; id., «The Fatimide and the Qarmatis of Bahrayn», in Daftary, F. (ed.), *Mediaeval Ismaile History and Though*, Cambridge 1996, pp. 21-73; Daftary, F., «A Major Schisme in the Early Ismaʿili Movement», *SI* 77 (1999), pp. 123-39؛ سهيل زكار: أخبار القرامطة، دمشق ـ دار حسان ١٩٨٢).

[1] راجع حول هذا الموضوع، ابن النديم: الفهرست ٣٠٣، ٣٠٤، ٤١٩؛ ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ـ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٥٥، ٦٥؛ رشيد الجميلي: حركة الترجمة والنَّقْل في المشرق الإسلامي في القرنين الأوَّل والثاني للهجرة، جامعة قاريونس د.ت.

[2] تُمَثِّل الدَّوْلَةُ البُوَيْهِيَّة ـ التي امتدّ نفوذُها على الهَضَبَة الإيرانية ثم على العراق في الفترة بين السيطرة العربية في صَدْرِ الإسلام والدولة الأموية ثم الوجود التركي السَّلْجوقي في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ـ مرحلةَ الوجود الفارسي. وهي دَوْلَةٌ ذات أُصُولٍ دَيْلَمية =

وقَوِيَ مع ذلك أَمْرُ الخُلَفاءِ الفاطِميين بإفريقيَّة وبلاد المغرب، وجَهَرُوا بـ «مَذْهَبِ الإِسْماعيلية»، وبَثُّوا دُعاتَهم بأَرْضِ مصر، فاسْتَجابَ لهم خَلْقٌ كثيرٌ من أَهْلِها، ثم مَلَكوها سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائةٍ، وبَعَثُوا بعساكِرِهم إلى الشَّام. فانْتَشَرَت «مَذاهِبُ الرَّافِضَة» في عامَّةِ بلاد المغرب ومصر والشَّام وديار بَكْر والكُوفَة والبَصْرَة وبَغْداد وجَميع العراق وبلاد خُراسان وما وَرَاء النَّهْر، مع بلاد الحِجاز واليَمَن والبَحْرَيْن، وكانت بينهم وبين أَهْلِ السُّنَّة من الفِتَنِ والحُرُوبِ والمقَاتِلِ ما لا يُمْكِن حَصْرُه لكثرته [١].

واشْتَهَرَت مَذاهِبُ الفِرَق من القَدَرِيَّة و الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلَة و الكَرَّامِيَّة والخَوارِج والرَّوافِض والقَرامِطَة والباطِنيَّة حتى ملأتِ الأَرْض. وما منهم إلَّا من نَظَرَ في الفَلْسَفَة، وسَلَكَ من طُرُقِها ما وَقَعَ عليه اخْتِيارُه، فلم يَبْقَ مِصْرٌ من الأَمْصَار، ولا قُطْرٌ من الأَقْطار، إلَّا وفيه طَوائِفُ كثيرة مِمَّن ذكرنا.

وكان أبو الحَسَن عليّ بن إسْماعيل الأَشْعَري قد أَخَذَ عن أبي عليّ محمد بن عبد الوهَّاب الجُبَّائي، ولازَمَه عِدَّةَ أَعْوام. ثم بَدَا له فتَرَكَ مَذْهَبَ الاعْتِزال، وسَلَكَ طَريقَ أبي محمد عبد الله بن محمد بن سَعيدِ بن كُلَّاب [٢]، ونَسَجَ على قَوانِينِه في الصِّفاتِ والقَدَرِ، وقال بالفاعِلِ المُخْتار، وتَرَكَ القَوْلَ بالتَّحْسينِ والتَّقْبيح العَقْليين، وما قيل في مَسائِل الصَّلاح والأَصْلح، وأَثْبَتَ أنَّ العَقْلَ لا يُوجِب المعارِفَ قَبْلَ الشَّرْع، وأنَّ العُلومَ وإن حَصَلَت بالعَقْل فلا تَجِب به ولا يَجِب البَحْثُ عنها إلَّا بالسَّمْع، وأنَّ الله تعالى لا يَجِب عليه شيءٌ، وأن النُّبُوَّات من الجائِزات العقلية والواجِبات السَّمْعية، إلى غير ذلك من مَسائِله التي هي مَوْضُوعُ أُصُولِ الدِّين [٣].

= شيعية المَذْهَب فَرَضَت سيطرتها على مركز الخلافة العباسية في بغداد في الفَتْرَة بين سنتي ٣٣٤هـ/٩٤٥م - ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. (راجع، Mufizullah Kabir, *The Buwayhid Dynasty of Bagdad*, Calcutta 1964; Busse, H., *Chalif und Grosskenig . Die Buyiden in Iraq (945 - 1055)*, Beirut 1969; Cahen, Cl., *EI*[2] (art. *Buwayhides* ou *Bûyides* I, pp. 1390-97.

[١] انظر فيما تقدم ٢:١٧٦ - ٢٠٦.

[٢] حاشية بخَطِّ المؤَلِّف: «عبد الله بن محمد بن سعيد ابن كُلَّاب، من قَوْله: كلام الله هو الله، فلذلك كان أبو سَهْل عباد بن سليمان بن علي البَصْري المُعْتَزلي أحد أصحاب هشام ابن عمرو الفُوَطي يقول إنَّه نَصْراني بهذا القَوْل ويَتَّهمه أنَّه أخذ هذا من بعض النَّصارىٰ. ومن تصانيفه كتاب «الصِّفات» وكتاب «خَلْق الأفْعال» وكتاب «الرَّدّ على المعتزلة»، وهم يعدونه من نابتة الحَشْوية. وتوفي في حدود الأربعين ومائتين».

[٣] المَذْهَبُ الأَشْعَري، نسبةً إلى الإمام أبي الحَسَن الأَشْعَري (ويقال لأصحابه الأشَاعِرة والأَشْعَرِيَّة)، يُمَثِّل مَذْهَبًا وَسَطًا بين مَوقِف المعتزلة العَقْلي المتطرِّف ومَوْقِف أَهْل السَّلَف من المحَدِّثين. ورأى الأَشْعَري الأخذ بقَوْلِ أصحابِ الحديث وأَهْل السُّنَّة، ويُعَدُّ الأَشْعَري بهذا المذهب، هو ومعاصره =

مَذْهَبُ الأَشْعَرِيّ

وحَقيقَةُ «مَذْهَبِ الأَشْعَري» ـ رحمه الله ـ أنّه سَلَكَ طَريقًا بين النَّفْي الذي هو مَذْهَبُ الاعْتِزال، وبَيْنَ الإثْبات الذي هو مَذْهَبُ أَهْلِ التَّجْسيم، وناظَرَ على قَوْلِه هذا، واحْتَجَّ لمَذْهَبِه. فمالَ إليه جَماعَةٌ، وعَوَّلُوا على رأيه: منهم القاضي أبو بكر محمد ابن الطَّيِّب البَاقِلّاني المالِكي، وأبو بكر محمد بن الحَسَن بن فَوْرَك، والشَّيْخُ أبو إسْحاق إبراهيم بن محمد بن مَهْران الإسْفراييني، والشَّيْخُ أبو إسْحاق إبراهيم بن عليّ بن يوسُف الشِّيرازي، والشَّيْخُ أبو حامِد محمد ابن محمد بن أَحْمَد الغَزالي، وأبو الفَتْح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشَّهْرِسْتاني، والإمامُ فَخْرُ الدِّين محمد بن عُمَر بن الحسين الرَّازِي، وغيرهم مِمَّن يطول ذكره. ونَصَروا مَذْهَبه، وناظَروا عليه، وجادَلوا فيه، واسْتَدَلُّوا له في مُصَنَّفاتٍ لا تَكادُ تُحْصَر. فانْتَشَرَ «مَذْهَبُ أبي الحَسَن الأَشْعَري» في العِراق من نحو سنة ثمانين وثلاث مائة، وانْتَقَلَ منه إلى الشَّام.

فلمَّا مَلَكَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب ديار مصر، كان هو وقاضِيه صَدْرُ الدِّين عبد الملك بن عِيسَىٰ بن دِرْباس الماراني على هذا المَذْهَب، قد نَشَأَ عليه منذ كانَا في خِدْمَة السُّلْطان الملك العادِل نُور الدِّين محمود بن زَنْكي بدِمَشْق، وحَفِظَ صَلاحُ الدِّين في صِباه «عَقيدَةً» أَلَّفَها له قُطْبُ الدِّين أبو المعالي مَسْعود بن محمد بن مَسْعود النَّيْسابوري، وصارَ يُحَفِّظُها صِغارَ أَوْلادِه، فلذلك عَقَدوا الخَناصِرَ وشَدُّوا البَنانَ على مَذْهَبِ الأَشْعَري، وحَمَلوا في أيَّام دَوْلَتِهم كافَّةَ النَّاسِ على الْتِزامِه. فتَمادَى الحَالُ على ذلك جَميعَ أيَّام الملوك من بني أَيُّوب، ثم في أيَّام مَواليهم الملوك من الأتْراك.

واتَّفَقَ مع ذلك تَوَجُّه أبي عبد الله محمد بن تُومَرْت [1]، أَحَدِ رجالات المغرب، إلى العِراق، وأَخَذَ عن أبي حَامِدٍ الغَزالي مَذْهَبَ الأَشْعَري. فلمَّا عادَ إلى بلاد المغرب، وقامَ في المَصامِدَة

= أبو مَنْصور الماتُريدي، مؤسّسَا علم الكلام السُّنّي. ونَجَحَ مَذْهَبُ الأَشْعَري في الانتشار والإحْلال مَحَلّ آراء المعتزلة التي أَخَذَت في الانزواء في القرنين الخامس والسادس للهجرة ووَجَد مكانه في المدارس المشهورة بفَضْل مُسانَدَة السَّلاجِقَة السُّنِّيين الذين أرادوا ضَرْب مذاهب الفاطميين الشِّيعَة في مصر والشَّام. (راجع، Richard, J. MacCarthy, *The Theology of al-Ashʿari*, Beyrouth 1953; Makdisi, G., «Ashʿari and the Ashʿarites in Islamic Religious History», *SI* XVII (1962), pp. 37-80, XVIII (1963), pp. 19-39; Montgomery Watt, W., *EI*[2] art. *al-Ashʿarī & al-Ashʿariyya* I, pp. 715-16, 717-18؛ جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، بيروت ـ دار الكتاب اللبناني ١٩٧٥؛ أحمد محمود صبحي: الأشاعرة، الإسكندرية ـ منشأة المعارف ١٩٧٨).

[1] الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تُومَرْت، مَهْدي المُوَحِّدين، بدأ رحلته إلى الشَّرْق نحو سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م وعاد إلى المغرب بعد أربعة عشر عامًا حيث بايعه المُوَحِّدون سنة ٥١٤هـ أو ٥١٥هـ، وتوفي سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م. (راجع، ابن القطان: نَظْم الجُمان ٦١– ١٤٢؛=

يُفَقِّهُهم ويُعَلِّمهم ، وَضَعَ لهم « عَقيدَةً » لَقِفَها عنه عامَّتُهم ، ثم مات . فخَلَفَه بعد مَوْتِه عبدُ المُؤمن ابن عليّ القَيْسي [1] ، وتلقَّب بأمير المؤمنين ، وغَلَبَ على مَمالِك المغرب هو وأوْلادُه من بعده مُدَّةَ سنين ، وتَسَمَّوا بـ « المُوَحِّدين » ؛ فلذلك صارَت دَوْلَةُ المُوَحِّدين ببلاد المغرب تَسْتَبيحُ دِماءَ مَن خالَف عَقيدَةَ ابن تُومَرْت ، إذ هو عندهم الإمامُ المعلوم المَهْدي المَعْصُوم ، فكم أراقُوا بسَبَبِ ذلك من دِماءِ خَلائِقَ لا يُحْصيها إلّا الله خالِقُها سبحانه وتعالى ، كما هو مَعْروفٌ في كُتُبِ التاريخ .

فكان هذا هو السَّبَبَ في اشْتِهارِ « مَذْهَب الأَشْعَري » وانْتِشاره في أمْصار الإسْلام ، بحيث ٣٥٩:٢ نُسِيَ غيرُه من المذاهِب وجُهِلَ ؛ حتى لم يَبْقَ اليوم مَذْهَبٌ يُخالِفه ، إلّا أن / يكون مَذْهَبُ الحَنابِلَة ، أتْباع الإمام أبي عبد الله أحْمَد بن محمد بن حَنْبَل ـ رضي الله عنه ـ فإنَّهم كانوا على ما كان عليه السَّلَفُ لا يَرَوْن تأْويل ما وَرَدَ من الصِّفات .

إلى أن كان بعد السبع مائة من سني الهجرة ، اشْتُهِرَ بدِمَشْق وأعْمالِها تَقِيُّ الدِّين أبو العَبَّاس أحمد بن عبد الحَليم بن عبد السَّلام بن تَيْمِيَّة الحَرّاني ، فتَصدَّى للانْتِصار لِمَذْهَبِ السَّلَف ، وبالَغَ في الرَّدِّ على مَذْهَب الأَشاعِرَة ، وصَدَعَ بالنَّكير عليهم وعلى الرَّافِضَة وعلى الصُّوفِيَّة ؛ فافْتَرَقَ النَّاسُ فيه فريقان :

فَرِيقٌ يَقْتَدى به ، ويُعَوِّل على أقْواله ، ويَعْمَل برأيه ، ويرى أنَّه شَيْخُ الإسْلام وأَجَلُّ حُفَّاظ أهْلِ المِلَّة الإسلامية . وفريقٌ يُبَدِّعه ويُضَلِّله ، ويُزْرى عليه بإِثْباتِه الصِّفات ، ويَنْتَقِد عليه مَسائِل : منها ما

= ابن الأثير : الكامل ١٠:٥٦٩- ٥٨٢؛ المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٢٤٥- ٢٦٤؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥:٤٥- ٥٥؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٩:٥٣٩- ٥٥٣؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٣:٣٢٣- ٣٢٨؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٦:١٠٩- ١١٧؛ ابن خلدون : العبر ٦:٢٢٥- ٢٢٩؛ Hopkins, J.F.P., *EI* [2] art. *Ibn Tûmart* III, pp. 983-84).

وألَّف ابنُ تُومَرْت لأتباعه كتاب «التَّوْحيد» باللِّسان البَرْبَري وهو سبعة أضراب عدد أيام الجمعة (نظم الجمان ١٢٩) . ونُشرت «عَقيدَةُ ابن تومَرْت» المعروفة بـ«عقيدة التَّوْحيد» بعناية J.D. Luciani في الجزائر سنة ١٩٠٣؛ وفي القاهرة بتصحيح محيي الدين صبري الكردي سنة ١٩٣٠.

[1] راجع أخبار عبد المُؤمن بن علي القَيْسي ، المتوفى سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م ، عند المراكشي : المعجب ٢٨٤- ٣٠٣، ٣٢٧- ٣٤٤؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣:٢٣٧- ٢٤١؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٠:٣٦٦- ٣٧٥؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٩:٢٣٣- ٢٣٨؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥:٣٦٣- ٣٦٤. وراجع عن المُوَحِّدين ودولتهم ، جوزيف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٨؛ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القاهرة ١٩٦٤؛ مراجع عقيلة الغناي : سقوط دولة الموحِّدين ، بنغازي ١٩٧٥، Shatzmiller, M., *EI* [2] art. *al-Muwahhîdûn* VII, pp. 803-8.

له فيه سَلَف، ومنها ما زَعَموا أنَّه خَرَقَ فيه الإجْماع ولم يكن له سَلَف. وكانت له ولَهم خُطُوبٌ كثيرة، وحِسَابُه وحِسابُهم على الله الذي لا يَخْفى عليه شيءٌ في الأرْضِ ولا في السَّماء، وله إلى وَقْتِنا هذا عِدَّةُ أَتْباعٍ بالشَّام وقليلٌ بمصر[1].

هذا وبين «الأَشاعِرَة» و «الماتُرِيدِيَّة»، أَتْباعُ أبي مَنْصور محمد بن محمد بن محمود الماتُريدي[2]، وهم طائِفَةُ الفُقَهاء الحَنَفِيَّة مُقَلِّدوا الإمام أبي حَنيفَة النُّعْمان بن ثابِت وصاحِبَيْه أبي يُوسُف يَعْقُوب بن إبراهيم الحَضْرَمي ومحمد بن الحَسَن الشَّيْباني - رضي الله عنهم - من الخِلافِ في العقائِد ما هو مَشْهُورٌ في مَوْضِعه. وهو إذا تُتُبِّعَ يَبْلُغ بِضْع عَشْرة مسألة، كان بسَبَبها في أوَّلِ الأَمْرِ تَبايُنٌ وتنافُرٌ، وقَدَحَ كلٌّ منهم في عَقيدَةِ الآخر، إلَّا أنَّ الأَمْرَ آل آخِرًا إلى الإغْضَاء، ولله الحَمْد.

فهذا - أَعَزَّكَ الله - بَيانُ ما كانَت عليه عَقائِدُ الأُمَّة - من ابْتِداءِ الأَمْر إلى وَقْتِنا هذا - قد فَصَّلْتُ فيه ما أَجْمَلَه أَهْلُ الأَخْبار، وأَجْمَلْتُ ما فَصَّلوا. فدونَك، طالِبَ العِلْم، تَناوُلَ ما قد بَذَلْتُ فيه جُهْدي، وأَطَلْتُ بسببه سَهَري وكَدِّي في تَصَفُّحِ دَواوين الإسْلام وكُتُبِ الأَخْبار. فقَد وَصَلَ إليك صَفْوًا، ونِلْتَه عَفْوًا بلا تَكَلُّفِ مَشَقَّةٍ ولا بَذْلِ مَجْهودٍ، ﴿ولَكِنَّ الله يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ [الآية ١١ سورة إبراهيم].

---

[1] شيخُ الإسلام تَقِيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تَيْمِيَّة الحَرَّاني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، عالمُ عَصْره ذو التصانيف العديدة، وهو أصْلُ مَذاهب السَّلَفِيين التي تبنَّاها فيما بعد الوَهَّابيون الذين نَشَرُوا أَغْلَب مؤلَّفاته وفتاويه. (راجع، الصفدي: أعيان العصر ١: ٢٣٣- ٢٥٣، الوافي بالوفيات ٧: ١٥- ٣٣؛ ابن شاكر: فوات الوفيات ١: ٧٤- ٨٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٤: ١٣٥- ١٤٠؛ المقريزي: المقفى الكبير ١: ٤٥٤- ٤٧٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ١٥٤- ١٧٠؛ ابن قيم الجوزية: أسماء مؤلَّفات ابن تيمية، دمشق ١٩٥٣؛ محمد عزيز شمس وعلي بن محمد العمران: الجامع لسيرة شَيْخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، مكة المكرمة ٢٠٠٠؛ Laoust, H., «La biographie d'Ibn Taymiyya d'après Ibn Kathir», *BEO* IX (1943), pp. 115-62, id., *Essai sur les doctrines sociales et politiques d'Ibn Taymiyya*, Le Caire *IFAO* 1939; id., *EI*² art. *Ibn Taymiyya* III, pp. 976-79).

[2] أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتُريدي، المتوفى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م، مُؤَسِّس مَدْرَسَة الكلام السُّنِّي الثانية بعد الأشعرية وهو حَنَفي الفُرُوع بعكس الأشعري الذي كان شَافِعي الفُرُوع، والخلاف بين الأشْعَرية والماتُريدية اختلافٌ عرضي في ثلاث عشرة مسألة. وفي حين اعترف الماتُريدي بحرية الإرادة عند الإنسان وفْقًا للقاعدة التي وضعها الإمام أبو حَنيفَة، دافَع الأَشْعري على الأَخَصّ عن القَوْل بعدم تقييد إرادة الله. (راجع، القرشي: الجواهر المضية ٣: ٣٦٠- ٣٦١؛ Madelung, W., *EI*² art. *al-Mâturidi & al-Mâturidiyya* VI, pp. 836-39; Sezgin, F., *GAS* I, pp. 604-6).

أبو الحَسَن الأشْعَري

أبو الحسن علي بن إسْماعيل بن أبي بِشْر إسْحاق بن سالِم بن إسْماعيل ابن عبد الله بن مُوسىٰ ابن بِلال بن أبي بُرْدَة عامِر بن أبي مُوسىٰ ـ واسمه عبد الله بن قَيْس ـ الأَشْعَري البَصْري: وُلِدَ سنة ستٍّ وستين ومائتين، وقيل سنة سبعين، وتوفي ببَغْداد سنة بِضْعٍ وثلاثين وثلاث مائة، وقيل سنة أرْبعٍ وعشرين وثلاث مائةٍ [1].

سَمِعَ زَكريا السَّاجي، وأبا خَلِيفة الجُمَحي، وسَهْل بن نُوح، ومحمد بن يَعْقُوب المُقْري، وعبد الرَّحْمَن بن خَلَف الضَّبِّي المصري. ورَوَى عنهم في تَفْسيره كثيرًا، وتَلْمَذَ لزَوْجِ أمِّه أبي علي محمد بن عبد الوَهَّاب الجُبَّائي، واقْتَدَى برأيه في الاعْتزال عِدَّةَ سنين حتى صارَ من أئِمَّة المُعْتزِلة، ثم رَجَعَ عن القَوْلِ بخَلْقِ القُرْآن وغيره من آراءِ المُعْتزِلَة.

وصَعِدَ يوم الجُمُعَة بجَامِع البَصْرَة كُرْسِيًّا، ونادَى بأعْلى صَوْتِه: من عَرَفَني فقد عَرَفَني، ومن لم يَعْرِفْني فأنا أُعَرِّفه بنَفْسي. أنا فلان ابن فلان، كنت أقول بخَلْقِ القُرْآن، وإنَّ الله لا يُرَى بالأَبْصَار، وإنَّ أَفْعَالَ الشَّرِّ أنا أفْعَلُها. وأنا تائِبٌ مُقْلِعٌ، مُعْتَقِدٌ الرَّدَّ على المُعْتَزِلَة، مُبَيِّنٌ لفَضائِحهم ومَعايِبهم.

وأَخَذَ من حينئذٍ في الرَّدِّ عليهم، وسَلَكَ بَعْضَ طَريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سَعيد ابن كِلاب القَطَّان [2]، وبَنَى على قَواعِدِه، وصَنَّفَ خمسة وخمسين تَصْنيفًا: منها كِتابُ «اللُّمَع»، وكِتابُ «المُوجز»، وكِتابُ «إيضاح البُرْهان»، وكِتابُ «التَّبْيين على أُصُولِ الدِّين»، وكِتابُ «الشَّرْح والتَّفْصيل في الرَّدِّ على أَهْلِ الإفْك والتَّضْليل»، وكِتابُ «الإبانَة»، وكِتابُ «تَفْسير القُرْآن» يُقالُ إنَّه في سبعين مُجَلَّدًا [3]. وكانت غَلَّتُه من ضَيْعَةٍ وَقَفَها بِلالُ بن أبي بُرْدَة على عَقِبه، وكانت نَفَقَتُه في السنة سبعة عشر دِرْهَمًا، وكانت فيه دُعابَةٌ ومَزْحٌ كثير.

وقال مَسْعود بن شَيْبَة في «كِتابِ التَّعْليم»: كان حَنَفِيَّ المَذْهب، مُعْتَزِلِيَّ الكَلام، لأنَّه كان رَبيبَ أبي عليٍّ الجُبَّائي، وهو الذي رَبَّاه وعَلَّمه الكَلام. وذَكَرَ الخَطيبُ أنَّه كان يجلس أيَّامَ الجُمُعات في حَلْقَةِ أبي إسحاق المَرْوَزي الفَقيه في جَامِع المَنْصُور.

---

[1] انظر ترجمة أبي الحَسَن الأشْعَري أيضًا عند، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١: ٣٤٦– ٣٤٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٨٤– ٢٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥: ٨٥– ٩٠؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٣: ٣٤٧– ٤٤٤؛ Montgomery Watt, W., *EI*² art. *al-Ashʿarī* I, pp. 715-16، وفيما تقدم ٤٣٩– ٤٤٠.

[2] انظر فيما تقدم ٤٣٩هـ ٢.

[3] راجع Sezgin F., *GAS* I, pp. 602-4.

وعن أبي بكر بن الصَّيْرَفي : كان المُعْتَزِلَةُ قد رَفَعوا رُءُوسَهم حتى أَظْهَر الله تعالى الأَشْعَري ، فحَجَزَهم في أَقْماعِ السَّماسِم .

وجُمْلَةُ عَقيدَته : أَنَّ الله تعالى عالِمٌ بعِلْم ، قادِرٌ بقُدْرَة ، حَيٌّ بحَياة ، مُريدٌ بإرادَة ، مُتَكَلِّمٌ بكَلام ، سَميعٌ بسَمْع ، بَصيرٌ ببَصَر ، وأَنَّ صِفاته أَزَلِيَّة قائِمَةٌ بذاتِه تعالى ، لا يُقالُ هي هو ولا هي غيره ، ولا لا هي هو ولا غيره ، وعِلْمُه واحِدٌ يتعلّق بجميع المعلومات ، وقُدْرَتُه واحِدَةٌ تتعلّق بجميع ما يَصِحّ وُجودُه ، وإرادتُه واحِدَةٌ تتعلّق بجميع ما يَقْبَل الاختصاص ، وكلامُه واحِدٌ : هو أَمْرٌ ونَهْيٌ ، وخَبَرٌ واسْتِخْبارٌ ، ووَعْدٌ ووَعيد .

وهذه الوُجُوه راجِعَةٌ إلى اعْتباراتٍ في كلامه لا إلى نَفْس الكلام ، والأَلْفاظ المُنَزَّلَة على لِسان الملائكة إلى الأنبياء دِلالات على الكلام الأَزَلي . فالمَدْلول ـ وهو القُرْآن المَقْرُوء ـ قَديمٌ أَزَليٌّ ، والدَّلالة ـ وهي العبارات ، وهي القِراءَة ـ مخلوقَةٌ مُحْدَثَة .

قال : وفَرَّقَ بين القِراءَة والمَقْروء ، والتِّلاوة والمَتْلُو . كما فَرَّق بين الذِّكْر والمَذْكور ، قال : والكَلامُ معنًى قائِمٌ بالنَّفْس ، والعبارَة دالَّةٌ على ما في النَّفْس ، وإِنَّما تُسَمَّى العِبارَة كلامًا مَجازًا .

قال : وأرادَ الله تعالى جَميعَ الكائِنات : خَيْرِها وشَرِّها ونَفْعِها وضَرِّها . ومالَ / في كلامِه إلى ٣٦٠:٢
جَواز تَكْليف ما لا يُطاق ، لقَوْله : إنَّ الاسْتِطاعَة مع الفِعْل ، وهو مُكَلَّف بالفِعْل قَبْله ، وهو غير مُسْتَطيع قَبْله ، على مَذْهَبِه ، قال : وجَميعُ أَفْعالِ العِبادِ مَخْلوقَة مُبْدَعَة من الله تعالى ، مُكْتَسَبَة للعَبْد ، والكَسْبُ عِبارَة عن الفِعْل القائِم بمَحَلّ قُدْرَة العبْد .

قال : والخالِقُ هو الله تعالى حقيقَةً ، لا يُشارِكه في الخَلْق غَيْرُه ، فأَخَصُّ وَصْفِه هو القُدْرَة والاخْتِراع ، وهذا تَفْسيرُ اسمه البارئ .

قال : وكُلُّ مَوْجُودٍ يَصِحّ أن يُرَى ، والله تعالى مَوْجُود ، فيَصِحّ أن يُرَى ، وقد صَحَّ السَّمْع بأَنَّ المؤمنين يَرَوْنَه في الدَّار الأُخرى في الكِتاب والسُّنَّة ، ولا يَجُوزُ أن يُرَى في مَكانٍ ولا صُورَةٍ مقابلة واتِّصال شُعاع ، فإنَّ ذلك كلَّه مُحال . وماهِيَّة الرُّؤْيَة له فيها رأيان : أَحَدُهما أنَّه عِلْمٌ مَخْصوص يَتَعلَّق بالوُجُود دون العَدَم ، والثاني أنَّه إدْراكٌ وراء العِلْم . وأَثْبَتَ السَّمْع والبَصَر صِفَتَين أزليتين ، هما إدْراكان وَراء العِلْم . وأَثْبَت اليَدَيْن والوَجْه صِفات خَبَرِيَّة ، ورَدَّ السَّمْع بها فيجب الاعْتِراف به .

وخالَفَ المُعْتَزِلَة في الوَعْدِ والوَعيد ، والسَّمْعِ والعَقْلِ من كلِّ وَجْه . وقال : الإيمانُ هو التَّصْديقُ بالقَلْبِ ، والقَوْلُ باللِّسان . والعَمَلُ بالأَرْكان فُرُوع الإيمان : فمَن صَدَّقَ بالقَلْبِ ، أي أَقَرَّ بوَحْدانية

الله تعالى ، واعترَف بالرُّسُل تَصْديقًا لهم فيما جاءُوا به ، فهو مُؤْمِن . وصَاحِبُ الكبيرة إذا خَرَجَ من الدُّنْيا من غير تَوْبَة ، حُكْمُه إلى الله : إمَّا أن يَغْفِرَ له برَحْمَتِه أو يَشْفَع له رُسُولُ الله ﷺ ، وإمَّا أن يُعَذِّبه بعَدْلِه ، ثم يُدْخِله الجَنَّة برَحْمَتِه ، ولا يُخَلَّد في النَّارِ مُؤْمِنٌ .

قال : ولا أقولُ إنَّه يَجب على الله سبحانه قَبولَ تَوْبَته بحُكْم العَقْل ، لأنَّه هو المُوجِب لا يجب عليه شيءٌ أصْلًا ، بل قد وَرَدَ السَّمْعُ بقبول تَوْبَة التَّائبين ، وإجابةِ دَعْوَة المضْطَرِّين . وهو المالِكُ لخَلْقِه يَفْعَل ما يَشاء ، ويَحْكُم ما يُريد ، فلو أَدْخَلَ الخَلائِق بأَجْمَعِهم النَّار لم يكن جَوْرًا ، ولو أَدْخَلَهم الجنَّة لم يكن حَيْفًا ، ولا يُتَصَوَّر منه ظُلْمٌ ، ولا يُنْسَبُ إليه جَوْرٌ ؛ لأنَّه الملك المُطْلَق .

والواجِباتُ كلُّها سَمْعِيَّة ، فلا يُوجِب العَقْل شيئًا ألبتَّة ، ولا يَقْتَضي تَحْسينًا ولا تَقْبيحًا . فمَعْرِفَة الله تعالى ، وشُكْر المُنْعِم ، وإثابَة الطَّائِع ، وعِقاب العاصِي ، كلُّ ذلك بحَسْب السَّمْع دون العَقْل . ولا يجب على الله شيء : لا صَلاح ولا أَصْلَح ولا أَلْطَف ، بل الثَّواب والصَّلاح واللُّطْف والنِّعَم ، كلّها تَفَضُّلٌ من الله تعالى . ولا يَرْجِع إليه تعالى نَفْعٌ ولا ضُرٌّ ، فلا يَنْتَفِع بشُكْرِ شاكِرٍ ، ولا يَتَضَرَّر بكُفْرِ كافِرٍ ، بل يَتَعالى ويَتَقَدَّس عن ذلك .

وبَعْثُ الرُّسُل جَائِزٌ لا واجِبٌ ولا مُسْتَحيل . فإذا بَعَثَ الله تعالى الرَّسُولَ ، وأَيَّدَه بالمعجزة الخارِقَة للعادَة ، وتَحَدَّى ودَعا النَّاس ، وَجَبَ الإصْغاءُ إليه ، والاسْتِماعُ منه ، والامْتِثالُ لأوامِره ، والانْتِهاءُ عن نواهِيه . وكَراماتُ الأَوْلياءِ حَقٌّ ، والإيمانُ بما جَاءَ في القُرآن والسُّنَّة من الإخْبار عن الأُمورِ الغائِبَة عَنَّا ـ مثل اللَّوْح والقَلَم ، والعَرْش والكُرْسي ، والجنَّة والنَّار ـ حَقٌّ وصِدْقٌ .

وكذلك الإخْبارُ عن الأُمورِ التي سَتَقَعُ في الآخِرة : مثل سُؤَال القَبْر ، والثَّواب والعِقاب فيه ، والحَشْر والمَعاد ، والمِيزَان والصِّراط ، وانْقِسَام فَريقٍ في الجَنَّة وفريقٍ في السَّعير ، كلُّ ذلك حَقٌّ وصِدْقٌ يجب الإيمانُ والاعْتِرافُ به . والإمَامَةُ تَثْبت بالاتِّفاق والاخْتِيار دون النَّصّ والتَّعْيين على واحِدٍ مُعَيَّن ، والأَئِمَّةُ مُتَرَتِّبون في الفَضْل تَرَتُّبهم في الإمامَة .

قال : ولا أَقُول في عائِشَةَ وطَلْحَة والزُّبَيْر ، ـ رضي الله عنهم ـ إلَّا أَنَّهم رَجَعوا عن الخَطَأ . وأقول : إنَّ طَلْحَة والزُّبَيْر من العَشَرَة المُبَشَّرين بالجنَّة ، وأَقُول في مُعاوِيَة وعَمْرو بن العَاص : إنَّهما بَغَيا على الإمام الحَقّ عليّ بن أَبي طالِب ـ رضي الله عنهم ـ فقاتَلَهم مُقاتَلَة أَهْل البَغْي . وأَقُولُ : إنَّ أَهْلَ النَّهْروان الشُّراة هم المارِقون عن الدِّين ، وإنَّ عَلِيًّا ـ رضي الله عنه ـ كان على الحَقّ في جَميعِ أَحْوالِه ، والحَقُّ معه حيث دار .

فهذه جُمْلَةٌ من أُصُولِ عَقيدَتِه التي عليها الآن جماهِيرُ أهْلِ الأمْصَار الإسلامية، والتي مَنْ جَهَر بخِلافِها أُريقَ دَمُه.

والأَشاعِرَةُ يُسَمُّون «الصِّفاتِيَّة» لإثْباتِهم صِفاتِ الله تعالى القَديمَة، ثم افْترَقُوا في الألْفاظِ الوارِدَة في الكِتاب والسُّنَّة ـ كالاسْتِواء، والنُّزُول، والأُصْبُع واليَدِ، والقَدَم، والصُّورَة، والجَنْب، والمَجيء ـ على فِرْقَتَيْن: فِرْقَةٍ تُؤَوِّلُ جَميعُ ذلك على وُجوهٍ محتملة اللَّفْظ. وفِرْقَةٍ لم يَتَعَرَّضُوا للتأويل، ولا صارُوا إلى التَّشْبيه، ويُقالُ لهؤلاء «الأَشْعَرِيَّة الأَثَرية»[a].

فصارَ للمسلمين في ذلك خمسةُ أقْوال: أَحَدُها: اعْتِقادُ ما يُفْهَم مثله من اللُّغَة، وثانيها: السُّكوت عنها مُطْلَقًا، وثالثُها: السُّكُوت عنها بعد نَفْي إرادَة الظَّاهِر، ورابعُها: حَمْلُها على المجاز، وخامسُها: حَمْلُها على الاشْتِراك. ولكلِّ فريقٍ أدِلَّة وحُجاج تَضَمَّنَتها كُتُبُ أُصُولِ الدِّين، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [الآيتان ١١٨، ١١٩ سورة هود]، ﴿والله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية ١١٣ سورة البقرة].

فَصْــل

اعْلَم أنَّ الله سُبْحانه طَلَبَ من الخَلْقِ مَعْرِفته بقَوْلِه تعالى: ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الآية ٥٦ سورة الذاريات] قال ابنُ عَبَّاس وغيره: يَعْرِفُون. فخَلَقَ تعالى الخَلْق، وتَعَرَّفَ إليهم بأَلْسِنَة الشَّرائِع المنزَّلة، فعَرَفَه من عَرَّفَه سبحانه منهم على ما عَرَّفَهم فيما تَعَرَّف به إليهم.

وقد كان النَّاسُ، قَبْل إنْزالِ الشَّرائع ببِعْثَة الرُّسُل ـ عليهم السلام ـ عِلْمهم / بالله تعالى إنَّما هو ٣٦١:٢ بطَريقِ التَّنْزيه له عن سِماتِ الحُدُوث، وعن التَّرْكيب، وعن الافْتِقار، ويَصِفُونه سبحانه بالاقْتِدار المُطْلَق. وهذا التَّنْزيه هو المشهور عَقْلًا، ولا يَتَعدّاه عَقْلٌ أصْلًا.

فلمَّا أنْزَلَ الله شَريعَتَه على رَسُولِه مُحَمَّد ﷺ، وأكْمَل دِينَه، كان سَبيلُ العارِف بالله أن يَجْمَعَ في معرفته بالله بين مَعْرِفَتَيْن: إحْداهُما المَعْرِفَة التي تَقْتَضيها الأدِلَّةُ العَقْلية، والأُخرى المَعْرِفَةُ التي جاءَت بها الإخْبارات الإلهية، وأن يَرُدَّ عِلْمَ ذلك إلى الله تعالى، ويؤمن به وبكلِّ ما جاءَت به الشَّريعَة على الوَجْهِ الذي أرادَه الله تعالى، من غير تأويلٍ بفِكْره، ولا تَحَكُّم فيه برَأْيه.

---

a) بولاق: الأسرية.

وذلك أنَّ الشَّرائعَ إنَّما أنْزَلَها الله تعالى لعَدَمِ اسْتِقْلالِ العُقُولِ البَشَريَّة بإدْراكِ حَقائِق الأشياء على ما هي عليه في عِلْم الله . وأنَّى لها ذلك وقد تَقَيَّدَت بما عندها من إطْلاقِ ما هنالك ؟ فإن وَهَبَها عِلْمًا بمُرادِه من الأوْضاع الشَّرْعية ، ومَنَحها الاطِّلاع على حُكْمِه في ذلك كان من فَضْلِه تعالى . فلا يُضيفُ العارِف هذه المِنَّة إلى فِكْره ، فإنَّ تَنْزيهَه لرَبِّه تعالى بفِكْره يجب أن يكون مُطابقًا لما أنْزَلَه سبحانه على لِسانِ رَسُولِه ﷺ من الكِتاب والسُّنَّة . وإلَّا فهو تعالى مُنَزَّهٌ عن تَنْزيه عُقُول البَشَر بأفْكارِها ، فإنَّها مُقَيَّدة بأوْطارِها ، فتَنْزيهها كذلك مُقَيَّد بحَسَبِها وبمُوجِب أحْكامِها وآثارِها ـ إلَّا إذا خَلَت عن الهَوَى ، فإنَّها حينئذٍ يَكْشِفُ الله لها الغِطاء عن بَصائِرِها ، ويَهْديها إلى الحَقّ . فتَنَزُّهه تعالى عن التَّنْزيهات العُرْفِيَّة بالأفْكار العادية .

وقد أَجْمَعَ المُسْلمون قاطِبَةً على جَوازِ رِوايَةِ الأحاديث الوَارِدَة في الصِّفات ونَقْلِها وتَبْليغِها ، من غير خِلافٍ بينهم في ذلك . ثم أَجْمَعَ أَهْلُ الحَقِّ منهم على أنَّ هذه الأحاديث مَصْروفَة عن احْتِمال مُشابَهَة الخَلْق ، لقَوْلِ الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الآية ١١ سورة الشورى] ولقول الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝ اللهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الآيات ١-٤ سورة الإخلاص] وهذه السُّورَة يُقالُ لها : سُورَة الإخْلاص . وقد عَظَّمَ رَسُولُ الله ﷺ شأْنَها ، ورَغَّبَ أُمَّتَه في تِلاوَتِها حتى جَعَلَها تَعْدِل ثُلُثَ القُرْآن من أجْل أنَّها شَاهِدَةٌ بتَنْزيه الله تعالى ، وعَدَم الشِّبْه والمِثْل له سُبْحانه . وسُمِّيَت « سُورَة الإخْلاص » ، لاشْتِمالِها على إخْلاصِ التَّوْحيد لله عن أن يَشُوبَه مَيْلٌ إلى تَشْبيهه بالخَلْق . وأمَّا الكاف التي في قَوْله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فإنَّها زائِدَة . وقد تَقَرَّر أنَّ الكاف والمِثْل في كلام العَرَب أُتيا للتَّشْبيه ، فجَمَعَهما الله تعالى ، ثم نَفَى بهما عنه ذلك .

فإذا ثَبَتَ إجْماعُ المسلمين على جَوازِ رواية هذه الأحاديث ونَقْلها ، مع إجْماعِهم على أنَّها مَصْروفَة عن التَّشْبيه ، لم يَبْقَ في تَعْظيم الله تعالى بذِكْرِها إلَّا نَفْي التَّعْطيل ، لكون أعْداء المرسلين سَمَّوا رَبَّهم سبحانه أسْمَاءَ نَفَوْا فيها صِفاتِه العُلا . فقال قَوْمٌ من الكُفَّار : هو طَبيعَة ، وقال آخرون منهم : هو عِلَّة ، إلى غير ذلك من إلْحادِهم في أسْمائِه سُبْحانه . فقال رَسُولُ الله ﷺ هذه الأحاديثُ المشتملة على ذِكْر صِفاتِ الله العُلا ، ونَقَلَها عنه أصْحابُه البَرَرَة ، ثم نَقَلَها عنهم أئِمَّةُ المسلمين . حتى انتهت إلينا ، وكلٌّ منهم يَرْويها بصِفَتِها من غير تأْويلٍ لشيء منها ، مع عِلْمِنا أنَّهم كانوا يَعْتَقِدون أنَّ الله سبحانه وتعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الآية ١١ سورة الشورى] ففَهِمْنا من ذلك أنَّ الله تعالى أرادَ ـ بما نَطَقَ به رَسُولُه ﷺ من هذه الأحاديث ، وتَناوَلَها

عنه الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ وبَلَّغُوها لأُمَّته ـ أن يُغَصّ بها في حُلُوق الكافِرين، وأن يكون ذِكْرُها نَكتًا في قُلُوبِ كلِّ ضَالٍّ مُعطِّلٍ مُبْتَدِع يَقْفُو أَثَرَ المُبْتَدِعَة من أَهْلِ الطَّبائِع وعُبَّاد العِلَل. فلذلك وَصَفَ الله تعالى نفسه الكريمة بها في كِتابِه، ووَصَفَه رَسُولُ الله ﷺ أيضًا بما صَحَّ عنه وثَبَت.

فدَلَّ على أنَّ المُؤْمِن إذا اعْتَقَدَ أنَّ الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، وأنَّه أَحَدٌ صَمَدٌ، لم يَلِد ولم يُولَد، ولم يَكُن له كُفُوًا أحَد، كان ذِكْرُه لهذه الأحاديث تَمْكِين الإثْبات، وشجا في حُلُوق المُعَطِّلة. وقد قال الشَّافِعِيُّ، رحمه الله: «الإِثْباتُ أَمْكَن»، نَقَلَه الخَطَّابي. ولم يَبْلُغنا عن أَحَدٍ من الصَّحابَة والتَّابعين وتابِعيهم أنَّهم أَوَّلُوا هذه الأحاديث.

والذي يَمْنَع من تأويلها إجْلالُ الله تعالى عن أن تُضْرَب له الأَمْثال، وأنَّه إذا نَزَل القُرْآنُ بصِفَةٍ من صِفاتِ الله تعالى، كقَوْله سبحانه: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية ١٠ سورة الفتح]، فإنَّ نَفْس تِلاوَة هذا يَفْهَم منها السَّامِعُ المَعْنَى المُراد به، وكذا قَوْلُه تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الآية ٦٤ سورة المائدة] عند حكايته تعالى عن اليَهود نِسْبتهم إيَّاه إلى البُخْل، فقال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الآية ٦٤ سورة المائدة]، فإنَّ نَفْس تِلاوَة هذا مُبَيِّنَة للمَعْنَى المَقْصُود.

وأيضًا فإنَّ تأْويل هذه الأحاديث يَحْتاجُ أن يَضْرب لله تعالى فيها المَثَل، نحو قَوْلِهم في قَوْله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [الآية ٥ سورة طه]: الاسْتِواءُ: الاستيلاء، كقَوْلك «اسْتَوَى الأمير على البَلَد». وأنْشَدُوا: «قد اسْتَوَى بِشْرٌ على العِراق» فلَزِمَهم تَشْبيه الباري تعالى ببِشْر.

وأَهْلُ الإثْباتِ نَزَّهُوا جَلالَ الله عن أن يُشَبِّهوه بالأجْسام حَقيقةً ولا مَجازًا، وعَلِمُوا ـ مع ذلك ـ أنَّ هذا النُّطْقَ يشتمل على كلماتٍ مُتداوَلَة بين الخالِق وخَلْقِه، وتَحَرَّجُوا أن يقولوا مُشْتَرَكة، لأنَّ الله / تعالى لا شَريكَ له. ولذلك لم يتأوَّل السَّلَفُ شيئًا من أحاديث الصِّفات، مع عِلْمِنا قَطْعًا ٣٦٢:٢
أنَّها عندهم مَصْروفَة عَمَّا يَسْبق إليه ظُنون الجُهَّال من مُشابَهَتها لِصفاتِ المَخْلوقين.

وتأمَّل تَجِد الله تعالى لمَّا ذَكَرَ المَخْلُوقات المتولِّدَة من الذَّكَر و الأنْثَى في قَوْلِه سبحانه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الآية ١١ سورة الشورى]، عَلِم سُبْحانَه ما يَخْطِر بقُلُوبِ الخَلْقِ فقال عَزَّ مِنْ قائِل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

واعْلَم أنَّ السَّبَب في خُرُوجِ أكثر الطَّوائِف عن دِيانَة الإسْلام: أنَّ الفُرْسَ كانت من سَعَةِ المُلْك، وعُلُوِّ اليد على جَميعِ الأُمَم، وجَلالَة الخَطَر في أنْفُسها، بحيث إنَّهم كانوا يُسَمُّون

أنفسهم الأحْرار والأبْناء[a]، وكانوا يعدُّون سائر النَّاس عَبيدًا لهم . فلمَّا امْتُحِنُوا بزَوالِ الدَّولَة عنهم على أيْدي العَرَب ـ وكانتِ العَرَبُ عند الفُرْسِ أقَلَّ الأُمم خَطَرًا ـ تَعاظَمَهم الأَمْرُ ، وتضاعَفَت لديهم المُصيبَة ـ وراموا كَيْدَ الإسْلام بالمُحارَبَة في أوْقاتٍ شتَّى ، وفي كلِّ ذلك يُظْهِرُ الله تعالى الحَقّ .

وكان من قائليهم سُنْفاد وأُشْليس[b] والمُقَلَّع[c] وبابَك وغيرُهم ، وقَبْل هؤلاء رامَ ذلك عمَّار ـ الملقب خَدَّاشًا ـ وأبو مُسْلِم السروح ، فرأوا أنَّ كَيْدَه على الحيلَة أنْجَع ، فأظْهَرَ قَوْمٌ منهم الإسْلام ، واسْتَمالُوا أهْلَ التَّشَيُّع بإظْهار مَحبَّة أهْلِ بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ واسْتِبْشاع ظُلْم عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه ـ ثم سَلَكُوا بهم مَسالِك شَتَّى حتى أخْرَجُوهم عن طَريقِ الهُدَىٰ .

فقَوْمٌ أدْخَلُوهم إلى القَوْلِ بأنَّ رَجلًا يُنْتَظَر ، يُدْعَى المَهْدي ، عنده حَقيقَةُ الدِّين ، إذْ لا يَجُوزُ أن يُؤخَذ الدِّينُ عن كُفَّارٍ ، إذْ نَسَبُوا أصْحاب رَسُولِ الله ﷺ إلى الكُفْر . وقَوْمٌ خَرَجُوا إلى القَوْلِ بادِّعاء النُّبُوَّة لقَوْمٍ سَمُّوهم به . وقَوْمٌ سَلكوا بهم إلى القَوْل بالحُلُول ، وسُقُوط الشَّرائِع . وآخَرون تَلاعَبُوا بهم ، فأوْجَبُوا عليهم خمسين صَلاة في كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلَة . وآخَرُون قالوا : بل هي سَبْع عشرة صَلاة ، في كلِّ صَلاةٍ خَمْس عشرة رَكْعَة . وهو قَوْلُ عبد الله بن عَمْرو بن الحارِث الكِنْدي قبل أن يصير خارِجيًّا صُفْرِيًّا .

وقد أظْهَرَ عبدُ الله بن سَبَأ الحِمْيَري اليَهُودي الإسْلام ليَكيدَ أهْلَه ، فكان هو أصْل إثارَة النَّاسِ على عُثْمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه . أحْرَقَ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ منهم طَوائِفَ أعْلَنُوا بإلَهِيَّته .

و من هذه الأُصُول حَدَثَتِ الإسْماعيلية والقَرامِطَة .

والحَقُّ الذي لا رَيْبَ فيه أنَّ دِينَ الله تعالى ظاهِرٌ لا باطِنَ فيه ، وجَوْهَرٌ لا سِرَّ تَحْتَه ، وهو كلُّه لازِمٌ كُلَّ أحَدٍ لا مُسامَحَة فيه . ولم يَكْتُم رَسُولُ الله ﷺ من الشَّريعَة ولا كلمة ، ولا أطْلَع أخَصَّ النَّاس به ، من زَوْجة أو وَلَد عَمٍّ ، على شيءٍ من الشَّريعَة كَتَمه عن الأحْمَر والأَسْوَد ورُعاة الغَنَم . ولا كان عنده ﷺ سِرّ ، ولا رَمْز ، ولا باطِن غير ما دَعَا النَّاسَ كلَّهم إليه . ولو كَتَمَ شيئًا لما بَلَّغَ كما أُمِر ، ومن قال هذا فهو كافِرٌ بإجْماع الأُمَّة .

وأصْلُ كلِّ بِدْعَةٍ في الدِّين البُعْد عن كلام السَّلَف ، والانْحِراف عن اعْتِقادِ الصَّدْر الأَوَّل ؛ حتَّى بالَغَ القَدَري في القَدَر فجَعَلَ العَبْدَ خالِقًا لأفْعالِه ، وبالَغَ الجَبْري في مُقابَلَته فسَلَبَ عنه الفِعْل والاخْتيار ، وبالَغَ المُعَطِّل في التَّنْزيه فسَلَبَ عن الله تعالى صِفات الجَلال ونُعُوت الكَمال ، وبالَغ

---

a) بولاق : الأسياد . b) بولاق : أشنيس . c) بولاق : المقفع .

المُشَبِّه في مُقابَلَته فجَعَلَه كواحِدٍ من البَشَر ، وبالَغَ المُرْجِئ في سَلْبِ العِقاب ، وبالَغَ المُعْتَزِلي في التَّخْليدِ في العَذاب ، وبالَغَ النَّاصِبي في دَفْعِ عليّ ـ رضي الله عنه ـ عن الإمامَة ، وبالَغَتِ الغُلاةُ حتَّى جَعَلُوه إلهًا ، وبالَغَ السُّنِّي في تَقْديم أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وبالَغَ الرَّافِضِي في تأْخِيره حتى كَفَّرَه .

ومَيْدانُ الظَّنِّ وَاسِعٌ ، و حُكْمُ الوَهْمِ غالِبٌ . فتَعارَضَتِ الظُّنونُ ، و كَثُرَتِ الأوْهامُ ، وبَلَغَ كلٌّ فَريقٍ في الشَّرِّ والعِنَادِ والبَغْي والفَسَادِ إلى أقْصَى غايَة وأبْعَد نِهايَة ، وتَباغَضُوا وتَلاعَنُوا ، واسْتَحَلُّوا الأمْوالَ ، واسْتَباحُوا الدِّماءَ ، وانْتَصَرُوا بالدُّوَلِ ، واسْتَعانُوا بالمُـلُوك . فلو كان أحَدُهم إذا بَالَغ في أمْرٍ ، نازَعَ الآخَرَ في القُرْبِ منه ـ فإنَّ الظَّنَّ لا يَبْعُد عن الظَّنِّ كثيرًا ، ولا يَنْتَهي في المُنازَعَة إلى الطَّرَفِ الآخَر من طَرَفي التَّقابُل ـ لكنهم أبَوْا إلَّا ما قَدَّمْنا ذِكْره من التَّدابُر والتَّقاطُع ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [الآيتان ١١٨، ١١٩ سورة هود] .

المواعظ والاعتبار

في ذكر الخطط والآثار

لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي

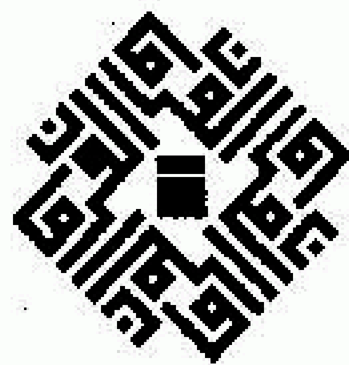
٧٦٦ - ٨٤٥ هـ
١٣٦٥ - ١٤٤٢ م

حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه

الدكتور أيمن فؤاد سيد

المجلد الرابع

٢



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

ذِكْرُ المَدَارِس

قال ابنُ سِيدَه : دَرَسَ الكِتابَ يَدْرُسُهُ دَرْسًا ودِراسَةً ، ودَارَسَه من ذلك ، كأنَّه عاَدَدَهُ حتى انْقادَ لحِفْظِهِ ، وقد قُرِئَ بهما ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ و (دارَسْت) . [وقيل : دَرَسْت : قرأْتَ كُتُبَ أهل الكتاب ، ودارَسْت] ذاكَرْتَهُم ، وحكى دُرِسَت أي قُرِئَت ، و قُرِئَ : (درست) و(دَرَسَت) ، أي هذه أخبارٌ قد عَفَتْ وامَّحَت ، ودَرَسَت أَشَدُّ مبالغَةً ، والدِّراسُ المُدارَسَة .

وقال ابنُ جِنِّي : ودَرَسْتُه إيّاه وأَدْرَسْتُه ، ومن الشَّاذِّ قِراءَة ابن حَيْـوَة : (وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرِسُونَ) [من الآية ٧٩ سورة آل عمران] . والمِدْراسُ [a]: المَوْضِعُ الذي يُدْرَس فيه [1] .

وقد ذَكَرَ الواقِدي أنَّ عبد الله ابن أمّ مَكْتوم قَدِمَ مُهاجِرًا إلى المَدينَة مع مُصْعَب بن عُمَيْر رضي الله عنهما ـ وقيل قَدِمَ بعد بَدْرٍ بيسير ـ فنَزَلَ دار القُرّاء [2] .

ولمَّا أرادَ الخَليفَةُ المُعْتَضِد بالله أبو العَبَّاس أحمد بن المُوَفَّق بالله أبي أحمد طَلْحَة بن المُتَوَكِّل على الله جَعْفَر ، بِناءَ قَصْرِه / في الشَّمَّاسِيَّة بِبَغْداد ، اسْتَزادَ في الذَّرْع بعد أن فَرَغَ من تَقْدير ما أراد . ٣٦٣:٢ فسُئِل عن ذلك ، فذَكَرَ أنَّه يُريدُه ليبني فيه دُورًا ومَساكِنَ ومَقاصِير ، يُرَتِّب في كلِّ مَوْضِعٍ رُؤَساء كلِّ صِناعَةٍ ومَذْهَبٍ من مَذاهِبِ العُلُوم النَّظَرية والعملية ، ويُجْري عليهم الأرْزاقَ السَّنِيَّة ، لِيَقْصِدَ كلُّ من اخْتارَ عِلْمًا أو صِناعَةً رئيسَ ما يَخْتارَه فيأخُذ عنه .

والمَدارِسُ مِمَّا حَدَثَ في الإسْلام ، ولم تكن تُعْرَف في زَمَنِ الصَّحابة ولا التَّابِعين ، وإنَّما حَدَثَ عَمَلُها بعد الأربع مائة من سِني الهجرة . وأوَّلُ من حُفِظَ عنه أنَّه بَنَى مَدْرَسَةً في الإسْلام أَهْلُ نَيْسابُور فبُنِيَت بها المَدْرَسَة البَيْهَقِيَّة ، وبَنَى بها أيضًا الأميرُ نَصْرُ بن سُبُكْتُكين أخو السُّلْطان

a) بولاق : المدرس .

[1] ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٢٩٦.

[2] ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤: ٢٠٥ وفيه : وهي دارُ مَخْرَمَة بن نَوْفَل .

محمود بن سُبُكْتُكِين مَدْرَسَةً، وبَنَى بها أيضًا المَدْرَسَة السَّعْدِيَّة[a]، وبَنَى بها أيضًا مَدْرَسَةً رابعة.

وأشْهَرُ ما بُنِيَ في القَديم «المَدْرَسَةُ النِّظامِيَّة» بِبَغْداد، لأنَّها أوَّلُ مَدْرَسَةٍ قُرِّرَ بها للفُقَهَاءِ مَعاليم[1]، وهي منسوبة إلى الوَزير نِظَام المُلْك أبي عليّ الحَسَن بن عليّ بن إسْحاق بن العَبَّاس الطُّوسي، وَزير مَلِك شَاه بن أَلْب أرْسَلان بن داود بن ميكال بن سُلْجوق[2] في مَدينَة بَغْداد. وشَرَعَ في بِنائِها في سنة سبعٍ وخمسين وأربع مائةٍ، وفَرَغَت في ذي القعدة سنة تسعٍ وخمسين وأربع مائةٍ، ودَرَّسَ فيها الشيخُ أبو إسْحاق الشِّيرازي الفَيْرُوزَأبادي صَاحِب كِتاب «التَّنْبيه في الفِقْه» على مَذْهب الإمام الشَّافِعي - عليه رحمة الله[b] فاقْتَدَى النَّاسُ به من حينئذٍ في بِلادِ العِراق وخُراسان وما وَرَاء النَّهْر، وفي بلادِ الجَزيرَة ودِيار بَكْر.

وأمَّا مِصْرُ فإنَّها كانت حينئذٍ بيد الخُلَفاء الفاطِميين، ومَذْهَبُهم مُخالِفٌ لهذه الطَّريقَة، وإنَّما هم شِيعَةٌ إسْماعِيلية كما تقدَّم.

وأوَّلُ ما عُرِفَ إقامَةُ دَرْسٍ من قِبَل السُّلْطانِ بمعلوم جَارٍ لطائِفَةٍ من النَّاسِ بديار مصر في خِلافَة العَزيز بالله نِزار بن المُعِزّ ووَزارَة يَعْقُوب [c]بنُ يُوسُف[c] بن كِلِّس؛ فعُمِلَ ذلك بالجَامِع الأزْهَر - كما تقدَّم ذكره[3] - ثم عُمِلَ في دارِ الوَزير يَعْقُوب بن كِلِّس مَجْلِسٌ يحضره الفُقَهاءُ، فكان يَقْرأ فيه كِتابَ فِقْهٍ على مَذْهَبهم، وعُمِلَ أيضًا مَجْلِسٌ بجَامِع عَمْرو بن العَاص من مَدينَة فُسْطاط مصر لقِراءَة كِتاب الوَزير. ثم بَنَى الحاكِمُ بأمْرِ الله أبو عليّ مَنْصور ابن العَزيز دارَ العِلْم بالقاهِرَة، كما ذُكِرَ في موضعه من هذا الكِتاب[1].

---

a) بولاق: السعيدية. b) بولاق: رضي الله عنه ورحمه. c-c) ساقطة من بولاق.

---

[1] عن المَدْرَسَة النِّظامِيَّة انظر Talas, A., *La madrasa Nizâmiyya et son histoire*, Paris 1939؛ مصطفى جواد: «المدرسة النِّظامية ببغداد»، سومر ٩ (١٩٥٣)، ٣١٣-٣٤٢.

وعن المدارس في بغداد والمشرق الإسلامي عُمومًا راجــع، Massignon, L., «Les Medresehs de Bagdad», *BIFAO* VII (1910), pp. 77-86; Pedersen, I. & Makdisi, G., *EI*² art. *Madrasa* V, pp. 119-44; Makdisi, G., «Muslim Institution of Learning in Eleventh-Century Baghdad», *BSOAS* XXIV (1961), pp. 1-56; id., «Madrasa and University in the Middle Age», *SI* XXXII (1970), pp. 255-64; id., *The Rise of Colleges, Istitution of Learning in Islam and the West*, Edinburgh 1981؛ عماد عبد السلام رؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد ١٩٦٦.

[2] انظر مراجع ترجمة الوزير نِظام المُلْك، فيما تقدم ٢٥٦:١هـ[2].

[3] فيما تقدم ٩٥.

فلمَّا انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِميَّة على يد السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، أَبْطَلَ مَذاهِبَ الشِّيعَة من ديار مصر ، وأقامَ بها مَذْهَبَ الإمام الشَّافِعِيّ ومَذْهَب الإمام مالك ، واقْتَدَى بالملك العادِلِ نُورِ الدِّين محمود بن زَنْكي . فإنَّه بَنَى بِدِمَشْق وحَلَب وأعْمالِهما عِدَّةَ مَدارِس للشَّافِعِيَّة والحَنَفِيَّة ، وبَنَى لكلٍّ من الطَّائِفَتين مَدْرَسَةً بَمدينَة مصر .

وأوَّلُ مَدْرَسَةٍ أُحْدِثَت بديارِ مصر «المَدْرَسَةُ النَّاصِريَّة» بجوار الجَامِع العَتيق بمصر [٢]، ثم «المَدْرَسَةُ القَمْحِيَّة» المجاورة للجَامِع أيضًا ، ثم «المَدْرَسَةُ السُّيُوفية» التي بالقاهِرَة . ثم اقْتَدَى بالسُّلْطان صَلاح الدِّين - في بِناءِ المدَارِس بالقاهِرَة ومصر وغيرهما من أعْمَالِ مصر وبالبلاد الشَّامية والجَزْرِيَّة[a] - أوْلادُه وأُمَراؤه . ثم حَذا حَذْوَهم مَنْ مَلَكَ مصر بعدهم من مُلُوكِ التُّرْك وأُمَرائهم وأتْباعِهم إلى يومنا هذا . وسأذكرُ ما بديار مصر من المَدَارِس [٣]، وأُعَرِّفُ بحالِ من بَنَاها ، على ما اعْتَدْته في هذا الكِتاب من التَّوَسُّط دون الإسْهابِ ، وبالله أسْتَعين .

---

a) بولاق : الجزيرة .

---

[١] فيما تقدم ٢: ٥٠٢- ٥٠٨.

[٢] هذا الحُكْمُ غير صَحيح فقد شَهِدَت الإسْكَنْدَرية ، في فترة الإصْلاح السُّنِّي التي بدأها الوزيران الفاطميّان السُّنِّيان رِضْوان بن وَلَخْشي والعادِل بن السَّلار ، نشأة أوَّل مَدْرستين سُنِّيتين في مصر : «المَدْرَسةُ الحافظية» المعروفة بـ«المَدْرَسَة العَوْفِيَّة» لتدريس المَذْهَب المالكي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م ، ومَدْرسةُ العادِل بن السَّلار التي أنشأها سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م لتدريس المذهب الشَّافعي . (راجع ، Leiser, G., *The Restoration of Sunnisme in Egypt: Madrasa and Mudarrisûn 495-676/1101-1249*, Ph. D. Thesis - University of Pensylvania 1976; id., «The ʿMadrasa' and The Islamization of the Middle East - The Case of Egypt», *JARCE* XXII (1985), pp. 29-47; id., «Notes in the Madrasa in Medieval Islamic Society», *MW* 76 (1986), pp. 16-23؛ أيمن فؤاد سيد : «المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي» في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٢ ، ٨٧- ١٣٦ ، الدولة الفاطمية في مصر ٥٩٠ - ٥٩٤؛ Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 569-88؛ وانظر المُقَدِّمة .

[٣] راجع حَوْل مَدارس مصر والقاهرة ، تاريخها ووصفها وتخطيطها ، Creswell, K.A.C., «The Origin of the Cruciform Plan of Cairene Medrasas», *BIFAO* XXI (1923), pp. 1-54; id., *MAE* II, pp. 104-34؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، العصر الأيوبي ، القاهرة ١٩٦٩ ، «خصائص عمارة القاهرة في العصر الأيوبي» ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ١: ١٦٣- ١٩٢؛ Kessler, C., «Funerary Architecture within the City», *CIHC*, pp. 257-67; Lapidus, I. M., «Ayyubid Religions Policy and the Development of the Schools of Law in Cairo», *CIHC*, pp. 279-86؛ عباس حلمي كامل : «المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية - نشأتها وتاريخها وتخطيط عمائرها» ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة ٣/٣ (١٣٩٧هـ) ، ١٥١- ١٧٢؛ محمد مصطفى نجيب : «نظرة جديدة على النِّظام =

المَدْرَسَةُ النَّاصِرِيَّة

بجوار الجامع العتيق من مدينة مصر من قبليه

هذه المَدْرَسَةُ عُرِفَت أوَّلًا بـ«المَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّة»[١]، ثم عُرِفَت بابن زَيْن التُّجَّار ـ وهو أبو العَبَّاس أحمد بن المُظَفَّر بن الحسين الدِّمَشْقي المعروف بابن زَيْن التُّجَّار[٢]، أَحَدُ أعْيانِ الشَّافِعيَّة، دَرَّسَ بهذه المَدْرَسَة مُدَّةً طويلة، وماتَ في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وخمس مائةٍ[٣]. ثم عُرِفَت بـ«المَدْرَسَة الشَّريفية»، وهي إلى الآن تُعْرَف بذلك، وكان مَوْضِعُها يُقالُ له الشُّرْطَة.

وذَكَرَ الكِنْدي أنَّها خِطَّة قَيْس بن سَعْد بن عُبادَة الأنْصاري، وعُرِفَت بدار الفُلْفُل. وقال ابنُ عبد الحَكَم: كانت فَضاءً قبل ذلك. وقيل كانت هي والدَّارُ التي إلى جانِبِها لنافِع بن عبد الله ابن قَيْس الفِهْري، فأَخَذَها منه قَيْسُ بن سَعْد. وسُمِّيت دار الفُلْفُل لأنَّ أُسامَة بن زَيْد التَّنوخي، صاحِب الخَراج بمصر، ابْتاعَ من مُوسَىٰ بن وَرْدان فُلْفُلًا بعشرين ألف دينار ليهديه إلى صَاحِب الرُّوم، فخَزَنَهُ فيها[٤]. ولمَّا فَرَغَ عيسَىٰ بن يَزيد الجَلودي من بناء زِيادَة الجَامِع، بَنَى هذه الدَّار شُرْطَةً في سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين، ثم صارَت سِجْنًا يُعْرَف بالمَعُونَة؛ فهَدَمَها السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين

= المعماري للمدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر المملوكي الجركسي ٧٨٤-٩٢٢هـ: ١٣٨٢-١٥١٧م»، مجلة كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ٢ (١٩٧٨)، ١٩-٣٠؛ حسن الباشا: «دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد»، مجلة كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ٣ (١٩٨٩)، ٤٣-٨٠؛ Golvin, L., *La Madrasa médiévale*, Paris - Édisud 1995, pp. 97-154، وفي هذا الكتاب الأخير جَمَعَ Golvin العديد من مُخطّطات المدارس المتفرّقة في العديد من الدّراسات، كما أعاد رَسْم بعضها أو رسمها بنفسه إذا لم تكن قد رُفِعَت من قبل؛ وعن مَدارِس العَصْرِ الأيُّوبي راجع كذلك MacKenzie, N. D., *Ayyubid Cairo. A Topographical Study*, Cairo AUC 1992؛ عفاف صَبْرَة: «المدارس في العصر الأيوبي»، في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، ١٣٧-٢٠٠.

[١] انظر كذلك، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٧: ٢٠٦-٢٠٧؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٩٣؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٥، ٦: ٥٤-٥٥.

والمَدْرَسَةُ النّاصرية التي أقيمت مكان دار المَعُونَة بمصر، هي نفسها المَدْرَسَة المعروفة بالمَدْرسة الشّريفية التي كانت بجانب جامع عَمْرو من جهته الشرقية. وقد زالَت هذه المدرسةُ الآن ويدلُّ على مكانها الأرضُ الفضاء الواقعة في الجنوب الشرقي من جامع عمرو. (ابن دقماق: الانتصار ٤: ٩٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣١٩؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٥هـ[١]، ٦: ٥٥.

[٢] انظر ترجمة ابن زين التُّجّار، المتوفى سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م، عند المقريزي: المقفى الكبير ١: ٦٦٤.

[٣] وتعرف بدار الزّلابية.

[٤] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٩٨، ٩٩.

يُوسُف بن أَيُّوب، في أوّل المحرّم سنة ستّ وستين وخمس مائةٍ، وأنشأها مَدْرَسَةً بِرَسْم الفُقَهاء الشّافعية ـ وكان حينئذٍ يَتَوَلّى وَزارَة مصر للخَليفَة العَاضِد، وكان هذا من أعْظَم ما نَزَلَ بالدَّوْلَة ـ وهي أوّلُ مَدْرَسَةٍ عُمِلَت بديار مصر[1]. ولمّا كَمُلَت وَقَفَ عليها الصّاغَة ـ وكانت بجوارِها ـ وقد
٣٦٤:٢ خَرِبَت، وبقي منها شيءٌ يَسيرٌ قَرَأْتُ عليها اسم / الخَليفَة العَزيز بالله، ووَقَفَ عليها أيضًا قَرْيَةً تُعْرَف [a].

وأوّلُ من وَلِيَ التّدْريس بها ابنُ زَيْن التُّجّار فعُرِفَت به، ثم دَرَّسَ بها بعده ابنُ قُطَيْطَة ابن الوَزّان، ثم من بعده كمالُ الدِّين أحمد بن شَيْخ الشُّيوخ، وبعده الشَّريفُ القاضي شَمْس الدِّين أبو عبد الله محمد بن الحُسَيْن بن محمد الحَنَفي ـ قاضي العَسْكَر الأَرْمَوي ـ فعُرِفَت به، وقيل لها «المَدْرَسَةُ الشَّريفية» من عَهْدِه إلى اليوم. ولولا ما يتناوَله الفُقَهاءُ من المعلوم بها لخَرِبَت، فإنّ الكيمانَ مُلاصِقَةٌ لها بعدما كان حَوْلَها أعْمَر مَوْضع في الدُّنْيا.

وقد ذُكِرَ حَبْسُ المَعُونَة عند ذِكْر السُّجُون من هذا الكِتاب[2].

المَدْرَسَةُ القَمْحِيّة

هذه المَدْرَسَةُ بجوار الجَامِع العَتيق بمصر، كان مَوْضِعُها يُعْرَف بدار الغَزْل ـ وهو قَيْساريَّة يُباعُ فيها الغَزْل ـ فهَدَمَها السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب، وأنشأ مَوْضِعَها مَدْرَسةً للفُقَهاءِ المالِكية، وكان الشُّروعُ فيها للنِّصْف من المحرَّم سنة ستٍّ وستين وخمس مائةٍ، ووَقَفَ عليها قَيْساريَّة الوَرّاقين وعلوّها بمصر، وضَيْعَة بالفَيُّوم تُعْرَف بالحَنْبُوشِيَّة، ورَتَّب فيها أربعة من المدرِّسين عند كلِّ مُدَرِّس عِدَّةٌ من الطَّلَبَة[3].

وهذه المَدْرَسَةُ أجَلُّ مَدْرَسَةٍ للفُقَهاءِ المالِكية، ويَتَحَصَّل لهم من ضَيْعَتِهم التي بالفَيُّوم قَمْحٌ يُفَرَّق فيهم، فلذلك صارَت لا تُعْرَف إلّا بالمَدْرَسَة القَمْحِيَّة إلى اليوم[4]. وقد أحاطَ

---

a) بياض في الأصول.

---

[1] أضاف في اتعاظ الحنفا (٣: ٣١٩): «وهي أوّلُ مَدْرسةٍ عُمِّرت بمصر لإلقاء العِلْم»، وانظر ٤٥٣هـ [1].

[2] فيما تقدم ٣: ٥٩٧ - ٥٩٨.

[3] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٩٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣١٩؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٥. وقد زالت الآن هذه المدرسة، ويدلّ على مكانها الآن الفضاء الواقع في الجهة الشرقية من جامع عمرو.

[4] وَلِي ابنُ خَلْدُون تَدْريس هذه المَدْرَسَة سنة ٧٨٦هـ.=

بها الخَرابُ، ولَوْلا ما يَتَحَصَّل منها للفُقَهاءِ لدَثَرَت.

وفي شَعْبانٍ سنة خمسٍ وعشرين وثَمان مائةٍ، أَخْرَجَ السُّلْطانُ الملك الأَشْرَف بَرْسَباي الدُّقْماقي ناحيتي الأَعْلام والحَنَبُوشِيَّة - وكانتا من وَقْفِ السُّلْطان الملك النَّاصِر صَلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب على هذه المَدْرَسَة - وأَنْعَمَ بهما على مَمْلوكين من مَماليكه ليكونا إقْطاعًا لهما[1].

مَدْرَسَةُ يازْكُوج

هذه المَدْرَسَة بسُوقِ الغَزْل في مَدينَة مصر، وهي مَدْرَسَةٌ مُعَلَّقَة بناها ‎ a)[2].

مَدْرَسَةُ ابن الأَرْسُوفي

هذه المَدْرَسَةُ كانت بالبَزَّازين التي تُجاور خُطّ النَّخَّالين بمصر، عُرِفَت بابن الأَرْسُوفي التَّاجِر العَسْقَلاني، وكان بِناؤها في سنة سبعين وخمس مائةٍ، وهو عَفيفُ الدِّين عبد الله بن محمد الأَرْسُوفي، مات بمصر في يوم الاثنين حادي عشرين رَبيع الأَوَّل سنة ثلاثٍ وتسعين وخمس مائةٍ[3].

مَدْرَسَةُ مَنازِل العِزّ

هذه المَدْرَسَةُ كانت من دُورِ الخُلَفاءِ الفاطِميين، بَنَتْها أُمُّ الخَليفَة العَزيز بالله بن المُعِزّ، وعُرِفَت بمَنازِل العِزّ، وكانت تُشْرِفُ على النِّيل، وصارَت مُعَدَّةً لنُزْهَة الخُلَفاء. ومِمَّن سَكَنَها ناصِرُ الدَّوْلَة

---

a) بياض في النسخ.

= (ابن خلدون: التعريف ٢٥٣-٢٥٤، ٢٧٩-٢٨٠؛ المقريزي: السلوك ٣: ٥١٣).

[1] المقريزي: السلوك ٤: ٦١٦، ووَرَدت هذه الفقرة في هامش نسخة آياصوفيا.

[2] سَمَّاها ابنُ دُقْماق «المَدْرَسَة الأَزْكَشية»، وأضافَ: «هذه المدرسة هي المُعَلَّقَة بمصر بسوق الغَزْل بناها الأمير يازكوج لما بَنَى الرَّبْعَيْنِ المتقابلين اللذين أحدهما سفلها. وهي مَدْرَسَة مباركة دَرَّسَ بها الفقيه العالم أبو الطاهر محمد ابن الحسين الأنصاري الشَّافعي خطيب جامع مصر إلى حين وفاته إلى رحمة الله تعالى، ثم دَرَّسَ بها الفقيه ظهير الدِّين جَعْفَر ابن يحيى القُرَشي التَّزْمَنْتي إلى حين وفاته، ثم دَرَّس بها الفقيه فَتْح الدِّين إبراهيم بن الحسن الأنصاري إلى حين سفره قاضيًا بالواحات، ثم دَرَّسَ بها الفقيه سديد الدِّين عبد الباري الشُّفْطي، ثم أخوه ظهير الدِّين، ثم أخوه عماد الدِّين. وهي الآن ‎ ». (الانتصار ٤: ٩٥، وانظر فيما يلي ٤٦٥).

[3] قارن ابن دقماق: الانتصار ٤: ٩٨.

حسين بن حَمْدان إلي أن قُتِلَ ، وكان بجانِبِها حَمَّامٌ يُعْرَف بحَمَّام الذَّهَب من جملة حُقُوقِها ، وهي باقية [1] .

فلمَّا زالَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّة على يد السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف ، أَنْزَلَ في مَنازِلِ العِزّ الملك المُظَفَّر تقيّ الدِّين عُمَر بن شاهِنْشاه بن أَيُّوب ، فسَكَنها مُدَّةً . ثم إنَّه اشْتَراها والحَمَّام والإسْطَبْل المُجاوِر لها من بَيْتِ المال في شهر شَعْبان سنة ستٍّ وستين وخمس مائةٍ ، وأنشأ فُنْدُقَيْن بمصر بخُطّ المَلَّاحين ، وأنشأ رَبْعًا بجوار أحد الفُنْدُقَيْن ، واشْتَرَى جَزيرَةَ مصر التي تُعْرَف اليوم بالرَّوْضَة .

فلمَّا أرادَ أن يَخْرُج من مصر إلى الشَّام ، وَقَفَ منازِلَ العِزّ على فُقَهاءِ الشَّافعية [2] ، وَوَقَفَ عليها الحَمَّام وما حَوْلَها ، وعَمَّر الإسْطَبْلَ فُنْدُقًا عُرِفَ بفُنْدُق النَّخْلَة ووَقَفَه عليها ، ووَقَفَ عليها الرَّوْضَة .

ودَرَّسَ بها شِهابُ الدِّين الطُّوسي ، وقاضي القُضاة عِمادُ الدِّين أبو القاسم عبد الرَّحْمَن ابن عبد العِليّ السُّكَّري ، وعِدَّةٌ من الأعْيان . وهي الآن عامِرَةٌ بعِمارَة ما حَوْلَها .

المَلِكُ المُظَفَّر **تَقِيُّ الدِّين أبو سَعيد عُمَر بن نُور الدِّين شاهِنْشاه بن نَجْم الدِّين أَيُّوب بن شاذي ابن مَرْوان** [3] هو ابن أخي السُّلْطانُ صَلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب ، قَدِمَ إلى القاهِرَة في ، واسْتَنابَه السُّلْطانُ على دِمَشْق في المحرَّم سنة إحدى وسبعين ، ثم نَقَلَه إلى نِيابَة حَمَاة ، وسَلَّم إليه سِنْجار لمَّا أَخَذَها في ثاني رَمَضان سنة ثمانٍ وسبعين فأقامَ بها .

ولَحِقَ السُّلْطانُ على حَلَب ، فقَدِمَ عليه في سابع صَفَر سنة تسع وسبعين ، فأقامَ إلى أن بَعَثَه إلى القاهِرة نائِبًا عنه بديار مصر ـ عِوَضًا عن الملك العادِل أبي بكر بن أَيُّوب ـ فقَدِمَها في شهر رَمَضان

---

[1] فيما تقدم ٢: ٥٧٦، ٦١٢.

[2] ابن دقماق : الانتصار ٤: ٩٣- ٩٤؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٣٢٠؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٦.

وحَلَّ محلّ المَدْرَسَة التَّقَوِيَّة الآن الجامع المعروف بجامع شهاب الدِّين أحمد المرحومي بشارع المرحومي بمصر القديمة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٦هـ[1]) .

[3] انظر ترجمة المُظَفَّر تقي الدِّين عمر أيضًا عند ، العماد الكاتب : خريدة القصر (بداية قسم شعراء الشام) ٨٠- ١١٢؛ المنذري : التكملة لوفيات النقلة ١: ١٥٩- ١٦٠؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣: ٤٥٦- ٤٥٨؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢١: ٢٠٢- ٢٠٣؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٢: ٤٨٤- ٤٨٧؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٧: ٢٤٢- ٢٤٧؛ المقريزي : السلوك ١: ١٠٧؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٦: ١١٣- ١١٤.

سنة تسعٍ وسبعين ، وأَنْعَمَ عليه بالفَيُّوم وأعْمالِها مع القايات[1] وبُوش [2] ، وأبقى عليه مَدينَة حَمَاة .

ثم خَرَجَ بعَساكِر مصر إلى السُّلْطان ، وهو بدِمَشْق ، في سنة ثمانين لأجْل أخْذِ الكَرَك من الفِرْنج فسارَ إليها وحَصَرَها مُدَّةً ، ثم رَجَعَ مع السُّلْطان إلى دِمَشْق ، وعادَ إلى القاهِرَة في شَعْبان ،وقد أقامَ السُّلْطانُ على مَمْلَكة مصر / ابنه الملك العَزيز عُثْمان ، و جَعَلَ الملك المُظَفَّر كافِلًا ٦٥:٢ له وقائِمًا بتَدْبير دَوْلَته ، فلم يَزَل على ذلك إلى جُمادَىٰ الأولىٰ سنة اثنتين وثمانين ، فصَرَفَ السُّلْطانُ أخاه الملك العادِل عن حَلَب وأعْطاه نِيابَةَ مصر ؛ فغَضِبَ الملكُ المُظَفَّر ، وعَبَرَ بأصْحابِه إلى الجيزَة يُريدُ المسير إلى بلاد المغرب واللَّحاقِ بغُلامه بَهاء الدِّين قَراقُوش التَّقَوي . فبَلَغَ السُّلْطانَ ذلك فكَتَبَ إليه ، ولم يَزَل به حتى زالَ ما به وسارَ إلى السُّلْطان ، فقَدِمَ عليه دِمَشْق في ثالث عشرين شَعْبان ، فأقَرَّه على حَماة والمَعَرَّة ومَنْبج وأضافَ إليه مَيَّافارِقين ، فلَحِقَ به أصْحابُه ما خَلا مَمْلوكه زَيْن الدِّين بوزيا ، فإنه سارَ إلى بلاد المغرب .

وكانت له في أرْض مصر وبلاد الشَّام أخبارٌ وقِصَصٌ ، وعُرِفَت له مَواقِفُ عَديدَة في الحَرْب مع الفِرِنْج ، وآثارٌ في المصافات . وله في أبْوابِ البِرّ أفْعالٌ حسنة ، وله بمَدينَة الفَيُّوم مَدْرَسَتان : إحْداهما للشَّافِعِيَّة ، والأخرى للمالِكيَّة . وبَنَى مَدْرَسَةً بمَدينَة الرُّها ، وسَمِعَ الحَديثَ من السِّلَفِي وابن عَوْف .

وكان عنده فَضْلٌ وأدَبٌ ، وله شِعْرٌ حَسَنٌ ، وكان جَوادًا شُجاعًا مِقْدامًا ، شَديدَ البأس ، عَظيمَ الهِمَّة ، كثيرَ الإحْسَان . وماتَ في نواحي خِلاط ليلة الجُمُعَة تاسع شهر رَمَضان سنة سبعٍ وثمانين وخمس مائةٍ ، ونُقِلَ إلى حَمَاةَ ، فدُفِنَ بها في تُرْبةٍ بناها على قَبْرِه ابنُه الملك المَنْصور محمد .

مَدْرَسَةُ العَادِل

هذه المَدْرَسَةُ بخُطِّ السَّاحِل بجوار الرَّبْع العَادِلي من مَدينَة مصر الذي وُقِفَ على الشَّافعيّ [a]. عَمَّرها الملكُ العادِلُ أبو بكر بن أيُّوب ، أخُو السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُفَ بن أيُّوب ، فدَرَّسَ بها

---

a) عند ابن دقماق : الوقف على مصالح قُبَّة الإمام الشَّافِعي .

---

[1] القايات . من القرى القديمة أحد أعمال البهنساوية بمركز مَغاغَة محافظة المنيا . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢٤٥:٣/٢) .

[2] بُوش . من القرى القديمة تقع غربي النيل بمسافة ثلاثة كيلومترات ، وهي من قرى مركز بني سويف بمحافظة بني سويف . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ١٥٨:٣/٢) .

قاضي القُضَاة تقيّ الدِّين أبو عليّ الحسين بن شَرَف الدِّين أبي الفَضْل عبد الرَّحيم ابن الفَقيه جَلال الدِّين أبي محمد عبد الله بن نَجْم بن شَاس بن نِزار بن عَشائِر بن عبد الله بن محمد بن شَاس ، فعُرِفَت به ، وقيل لها مَدْرَسَةُ ابن شَاس إلى اليوم وهي عامِرَة ، وعُرِفَ خُطُّها بالقَشَّاشين ، وهي للمالِكية [1] .

مَدْرَسَةُ ابن رَشيق

هذه المَدْرَسَةُ للمالِكية ، وهي بخُطِّ حَمَّام الرَّيِّس[a] من مَدينَة مصر . كان الكانِمُ من طَوائِف التَّكْرور ، لمَّا وَصَلوا إلى مصر في سنة بضعٍ وأربعين وستّ مائة قاصِدين الحَجّ ، دَفَعُوا للقاضي عَلَم الدِّين بن رَشيق مالًا بَنَاها به ، ودَرَّس بها فعُرِفَت به ، وصارَ لها في بلاد التَّكْرور سُمْعَةٌ عَظيمَةٌ ، وكانوا يَبْعَثُون إليها في غالِب السِّنين المال [2] .

المَدْرَسَةُ الفَائِزِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ في مصر بخُطّ [b] أنشأها الصَّاحِبُ شَرَفُ الدِّين هِبَةُ الله بن صَاعِد ابن وُهَيْب الفَائزي ، قَبْل وَزارَته ، في سنة ستٍّ وثلاثين وستّ مائةٍ . ودَرَّس بها القاضي مُحْيي الدِّين عبد الله ابن قاضي القُضَاة شَرَف الدِّين محمد بن عَيْن الدَّوْلَة ، ثم قاضي القُضَاة صَدْر الدِّين مَوْهوب الجزَري ، وهي للشَّافِعِيَّة [3] .

المَدْرَسَةُ القُطْبِيَّةُ العَتيقَةُ [c]

هذه المَدْرَسَةُ بالقاهِرَة ، في خُطِّ سُوَيْقَة الصَّاحب بداخِل دَرْب الحَرِيري ، كانت هي والمَدْرَسَة السّيْفِيَّة [d]دارًا واحِدةً[d] من حُقُوقِ دار الدِّيباج التي تَقَدَّم ذكرها [4] . وأنشأ هذه المَدْرَسَة الأميرُ

a) بولاق : حمام الريش . b) بياض بالأصول . c) إضافة من المُسَوَّدَة . d-d) إضافة من المُسَوَّدَة .

[1] راجع ، ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٩٨ ، ونصه مخالِف لنصّ المقريزي فانظره .

[2] نفسه ٤ : ٩٦ .

[3] بعد ذلك عند ابن دقماق : «ثم الفقيه وجيه الدِّين البَهْنَسي ثم زَيْن الدِّين الفارقي ثم الفقيه علم الدِّين الشمَنُّودي ثم الشيخ رضي الدِّين القسطنطيني ثم الفقيه تاج الدِّين ابن قرصة ثم الشيخ رشيد الدِّين بن سيمرة» . (الانتصار ٤ : ٩٢) .

وانظر عن الوزير شَرَف الدِّين أبو القاسم هبة الله ابن صاعِد الفائزي ، فيما تقدم ٣ : ٢٩٧ - ٢٩٩ .

[4] فيما تقدم ٢ : ٥١٩ - ٥٢٠ .

قُطْبُ الدِّين فناخُسْرو بن بُلَيْل[a] بن شُجاع الهَذَباني [b)]الكُردي أحد أُمَرَاء السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب[b)] في سنة سبعين وخمس مائةٍ، وجَعَلَها وَقْفًا على الفُقَهاءِ الشَّافِعيَّة. [b)]وكانت هي وَمَدْرَسة سيْف الإسلام دارًا واحدةً وهما من جملة دار الوزير أبي الفَرَج يعقوب بن يُوسُف ابن كِلِّس وزير الإمام العزيز بالله. وذَكَرَ ابنُ الطُّوَيْر في كِتابِه أَنَّ الوَزيرَ أبا الفَرَج [يعْقُوب بن يُوسُف بن كِلِّس] لمَّا توفي دُفِنَ في قُبَّةٍ في دَارِه مَوْضِعَ المَدْرَسة القُطْبِيَّة[b)].

المَدْرَسَةُ السُّيُوفِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بالقاهِرَة، وهي من جملة دار الوَزير المأمون البَطائِحي [b)]وزير الآمِر بأحْكام الله ثم عُرِفَت بعد ذلك بسَكَنِ الوزير عَبَّاس وزير الظَّافر بأمْرِ الله[b)]، وَقَفَها السُّلْطانُ السَّيِّدُ الأَجَلُّ الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين أبو المُظَفَّر يُوسُف بن أَيُّوب على الحَنَفِيَّة، وقَرَّرَ في تَدْرِيسها الشَّيْخَ مَجْد الدِّين محمد بن محمد الخُتَني[c] [2]، ورَتَّبَ له في كلِّ شهرٍ أحَدَ عشر دينارًا، وباقي ريع الوَقْف يَصْرِفه على ما يَرَاه لطَلَبَة الحَنَفِيَّة المقرَّبين عنده على قَدْرِ طَبقاتِهم، وجَعَلَ النَّظَر للخُتَني[c]، و من بَعْده إلى مَنْ له النَّظَر في أُمُورِ المسلمين.

وعُرِفَت بالمَدْرَسَةِ السُّيُوفِيَّة من أَجْلِ أَنَّ سُوقِ السُّيُوفِيِّين حينئذٍ كان[d] على بابِها، وهي الآن تِجاه سُوق الصَّنادِقِيِّين. وقد وَهِمَ القاضي مُحْيي الدِّين عبد الله بن عبد الظَّاهِر، فإنَّه قال في كِتابِ «الرَّوْضَة [البَهِيَّة][e] الزَّاهِرَة في خِطَطِ المُعِزِّيَّة القاهِرة»: مَدْرَسَةُ السُّيوفِيِّين[f]، وهي للحَنَفِيَّة، وَقَفَها عِزُّ الدِّين فَرُّخشاه قَريب صَلاح الدِّين[3].

---

a) بولاق: بليل. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة. c) بولاق: الجبتي. d) بولاق: كان حينئذٍ. e) زيادة اقتضاها السياق. f) بولاق: مدرسة السيوفية.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٩٠، وفيه: «وهي قريب من البندقانيين»، وقارن ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٥٣:٧ س ١٩- ٢١. وقد درست هذه المدرسة الآن وحَلَّ محلَّها ـ كما حققه محمد بك رمزي ـ الدار وقف التلاوي رقم ١٠ بحارة الملطي (دَرْب الحريري سابقًا) المتفرعة من سِكَّة اللبودية بالحمزاوي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٦:٦هـ[٧]).

[2] مَجْدُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الخُتَني، المتوفى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م. (القرشي: الجواهر المضية ٣٤٨:٣-٣٤٩ وفيه أنّه أوّل من دَرَّسَ بها).

[3] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨٨. وعِزُّ الدِّين فَرُّخشاه هو فَرُّخشاه بن شاهِنْشاه بن أَيُّوب أخو تقي الدِّين عُمَر صاحِب حماه وابن أخي السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف ابن أَيُّوب، وكان صاحِب بَعْلَبَك، وتوفي سنة =

[a]قال المُؤَلِّف : الذي ذَكَرَهُ جماعَةٌ من المُؤَرِّخين المِصْريين أنَّ واقِفَ هذه المَدْرَسَة السُّلْطان صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، ولم يَذْكُر أحَدٌ منهم أنَّ وَاقِفها عِزّ الدِّين المَذْكور ، سوى القاضي مُحْيي الدِّين . ولا أدْري كَيْف وَقَعَ له هذه الوهَم ، فإنِّي رأيْتُ كِتابَ وَقْفِها عند مُدَرِّسها سَيِّدنا قاضي القُضَاة مَجْد الدِّين إسماعيل الحَنَفي أخْرَجه لي وقَرَأتُه وفيه أنَّ واقِفَها السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين/ يُوسُف المذكور وعليه خَطُّه : « الحَمْدُ لله ربنا وبه تَوْفيقي »[b]، وتاريخُه تاسع عشر[c] ٢٦٦:٢ شَعْبان سنة اثنتين وسبعين وخَمْس مائة[a] [1] .

ووقَفَ على مُسْتَحقِّيها اثنين وثلاثين حانُوتًا ، بخُطِّ سُوَيْقَة أمير الجُيُوش وباب الفُتُوح وحارَة بَرْجَوان ، وذَكَرَ في آخِرِ كِتابِ وقْفِها : أنَّ الواقِفَ أذِنَ لمن حَضَر مَجْلِسَه من العُدُول في الشَّهادَة والقَضَاءِ على لَفْظِه بما تَضَمَّنَه المسْطُور ، فشَهِدوا بذلك ، وأثْبَتُوا شهادَتهم آخره ، وحَكَم حاكِمُ المسلمين على صِحَّة هذا الوَقْف بعدما خاصَمَ رَجُلٌ من أهْلِ هذا الوَقْف في ذلك ، وأمْضاه . لكنه لم يذْكُر في الكِتاب إسْجال القاضي بثُبُوتِه ، بل ذَكَر رَسْم شَهادَة الشُّهُود على الوَاقِفِ ، وهم : عليّ بن إبراهيم بن نَجَا بن غَنائِم الأنْصَاري الدِّمَشْقي ، والقاسِم بن يحيى بن عبد الله بن قاسِم الشَّهْرَزوري ، وعبد الله بن عُمر بن عبد الله الشَّافِعي ، وعبدِ الرَّحْمَن بن عليّ بن عبد العَزيز ابن قُرَيْش المَخْزومي ، ومُوسَىٰ بن جِكُو بن مَوْسَك الهَذَباني ، في آخرين .

وهذه المَدْرَسَة هي أوَّلُ مَدْرَسَةٍ وُقِفَت على الحَنَفيَّة بديار مصر ، وهي باقِيَة بأيْديهم [2] .

---

a-a) هذا النص من المُسَوَّدة عوضًا عن نص المُبَيَّضة . b) المبيضة : «الحمد لله وبه توفيقي» . c) بولاق : عشرين .

= ٥٧٨هـ/١١٨٢م . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦:٢٦-٢٧، ٩٣) .

[1] نصُّ المُبَيَّضة : «وما أدْري كيف وَقَعَ له هذا الوَهْم ؟ فإنَّ كتابَ وَقْفِها مَوْجودٌ قد وَقَفْتُ عليه ولَخَّصْتُ منه ما ذكرته ، وفيه أنَّ واقِفَها السُّلْطان صَلاحُ الدِّين وخَطُّه على كِتابِ الوَقْفِ ونصّه «الحمدُ لله وبه تَوْفيقي» . وتاريخُ هذا الكِتاب تاسع عشر شَعْبان سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة» .

[2] المقريزي : مُسَوَّدَة الخطط ٨٢ظ .

[3] محلُّ محل هذه المَدْرسة الآن الجامعُ المعروف بـ«جامع الشَّيْخ مُطَهَّر» الواقع بشارع المعز لدين الله (أوَّل شارع الخُرُدْجِيَّة سابقًا) على يسار الداخل إليه من جهة شارع السِّكَّة الجديدة (جوهر القائد) . وهذا الجامع (المسجَّل في الآثار برقم ٤٠) بناه الأميرُ عبد الرحمن كتْخُدا سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م وعُرِفَ باسم الشيخ مُطَهَّر؛ لوجود ضريح رَجَّحَ علي باشا مبارك أنَّه ضَريحُ الشيخ عزّ الدِّين بن أبي العِزّ . وكان الجامعُ أكبر من حجمه الحالي فعند فتح شارع السِّكَّة الجديدة اقْتُطِعَ منه قسمٌ من جهته الجنوبية وأعيد تعمير ما بقي منه . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٢٩٠؛ الجبرتي : عجائب الآثار ٢: ٤، ٨-٩؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥:٢٦٥-٢٦٦ (١١٦)، ٦:١٩ (٨)) ؛ وفيما يلي ٧١٠ مسجد الحَلَبِيين .

المَدْرَسَةُ الفَاضِلِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بدَرْبِ مُلُوخيا من القاهِـرَة [١]، بَنَاها القاضي الفاضِل عبد الرَّحيم بن عليّ البَيْساني (aكاتِبُ السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب وَوزيرُه، وهيa) بجوارِ دَارِه في سنة ثمانين وخمس مائةٍ، ووَقَفَها على طائِفَتي الفُقَهاءِ الشَّافِعيَّة والمالِكيَّة، وجَعَلَ فيها قاعَةً للإقْراء: أَقْرَأ فيها الإمامُ أبو محمد الشَّاطِبيّ ناظِم «الشَّاطِبيَّة» [٢] ثم تِلْميذُه أبو عبد الله محمد بن عُمَر القُرْطُبي، ثم الشَّيْخُ عليّ بن مُوسَىٰ الدَّهَّان وغيرهم. ورَتَّبَ لتَدْريس فِقْه المَذْهَبَيْن الفَقيه أبا القاسِمَ عبد الرَّحْمَن بن سَلامَة الإسْكَنْدراني [٣].

ووَقَفَ بهذه المَدْرَسَة جُمْلَةً عَظيمَةً من الكُتُب في سَائِر العُلُوم، يُقالُ إنَّها كانت مائة ألف مجلَّدة، وقد ذَهَبَت كلُّهاb). وكان أَصْلُ ذَهابِها أنَّ الطَّلَبَة التي كانت بها لمَّا وَقَعَ الغَلاءُ بمصر في سنة أربعٍ وتسعين وستّ مائةٍ، والسُّلْطانُ يومئذٍ الملكُ العادِلُ كَتْبُغا المَنْصوري، مَسَّهُم الضُّرُّ، فصَارُوا يَبيعُون كلَّ مُجَلَّدٍ برَغيفِ خُبْزٍ حتى ذَهَبَ مُعْظَمُ ما كان فيها من الكُتُب، ثم تَداوَلَت أَيْدي الفُقَهاء عليها بالعارية فتَفَرَّقت.

وبها إلى الآن «مُصْحَفُ قرآنٍ» كبير القَدْرِ جدًّا، مكتوبٌ بالخَطِّ الأَوَّل الذي يُعْرَف بالكُوفي، تُسَمِّيه النَّاسُ «مُصْحَفُ عُثْمان بن عَفَّان» ـ ويُقالُ إنَّ القاضي الفاضِل اشْتَراه بنيفٍ وثلاثين ألف دِينار على أنَّه مُصْحَف أمير المؤمنين عُثْمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ وهو في خِزانَةٍ مفردةٍ له بجانب المِحْراب من غربيه. (cوقد رأيتُ أنا هذا المُصْحَف المذكور مِرارًا وعليه هَيْبَةٌ وجَلالَةc) [٤].

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) المُسَوَّدَة: وقد ذهب معظمها. c-c) إضافة من مسودة الخطط ٨٣ظ؛ وفي المُبَيَّضَة عِوَضًا عن ذلك: وعليه مهابةٌ وجلالَة.

---

[١] انظره فيما تقدم ٣: ١١١.

[٢] الشَّاطِبيَّة. قصيدَةٌ في عِلْم القراءات، تُعْرَف أيضًا بـ«حِرز الأماني ووَجْه التهاني»، نَظَمَها الإمام أبو محمد القاسم بن فِيُّرة بن خَلَف بن أحمد الرُّعَيْني الشَّاطِبي، المتوفى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م. (ياقوت: معجم الأدباء ١٦: ٢٩٣-٢٩٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ٧١-٧٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٤: ١٤٦-١٤٨).

[٣] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨٨؛ وانظر ترجمة عبد الرحمن بن سلامة الإسكندراني عند الصفدي: الوافي بالوفيات ١٨: ٣٤٦.

[٤] انظر فيما تقدم ٣٣.

وإلى جانِبِ هذه المَدْرَسَةِ كُتَّابُ السَّبيل برَسْم الأيْتام . وكانت هذه المَدْرَسَةُ من أعْظَم مَدارِس القاهِرَة وأجَلِّها ، وقد تَلاشَت لخَرابِ ما حَوْلَها .

القاضي الفاضِل

عبد الرَّحيم بن عليّ بن الحسن بن أحمد بن الفَرَج بن أحمد ، القاضي الفاضل محيي الدِّين أبو عليّ ، ابن القاضي الأَشْرَف اللَّخْمي العَسْقلاني البَيْساني المصري الشَّافِعِيّ[1] ـ كان أبوه يَتَقَلَّد قَضاءَ مَدينَة بَيْسان ، فلهذا نُسِبُوا إليها .

وكانت ولادَتُه بَمدينَة عَسْقَلان في خامِس عشر جُمادى الآخرة سنَة تسعٍ وعشرين وخمس مائةٍ . ثم قَدِمَ القاهِرَة ، وخَدَمَ المُوَفَّق يُوسُف بن محمد بن الخَلّال ، صاحِب ديوان الإنْشاء في أيَّام الحافِظ لدين الله ، وعنه أَخَذَ صِناعَة الإنْشاء ، ثم خَدَمَ بالإسْكَنْدَرية مُدَّة . فلمَّا قامَ بوَزارَة مصر العادِلُ رُزِّيك بن الصَّالِح طَلائع بن رُزِّيك ، خَرَج أمْرُه إلى والي الإسْكَنْدَرية بتَسْييره إلى الباب ، فلمَّا حضَرَ اسْتَخْدَمَه بحَضْرَته وبين يديه في ديوان الجَيْش . فلمَّا مات المُوَفَّقُ بن الخَلَّال في سنة ستٍّ وستين وخمس مائةٍ ـ وكان القاضي الفاضِل يَنوبُ عنه في ديوان الإنْشاء ـ عَيَّنَه الكامِلُ بن شاوَر ، وسعَى له عند أبيه الوَزير شاوَر بن مُجير ، فأقَرَّه عِوَضًا عن ابن الخَلَّال في ديوان الإنْشاء .

فلمَّا مَلَكَ أَسَدُ الدِّين شِيرْكوه احْتاجَ إلى كاتِب ، فأحْضَرَه وأعْجَبَه إتْقانه وسَمْتَه ونُصْحَه فاسْتَكْتَبَه ، إلى أن مَلَكَ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، فاسْتَخْلَصَه وحَسُنَ اعْتِقادُه فيه ، فاسْتَعانَ به على ما أرادَ من إزالة الدَّوْلَة الفاطِميَّة حتى تَمَّ مُرادُه ، فجَعَلَه وزيرَه ومُشيرَه بحيث كان لا يَصدر أمْرًا إلَّا عن مَشورَتِه ، ولا يُنْفِذُ شيئًا إلَّا عن رأيه ، ولا يَحْكُم في قضيةٍ إلَّا بتَدْبيره . فلمَّا ماتَ صَلاحُ الدِّين اسْتَمَرَّ على ما كان عليه عند وَلَده الملك العزيز عُثْمان ، في المكانَة والرِّفْعة وتَقَلُّد الأَمْر .

فلمَّا ماتَ العَزيزُ ، وقامَ من بعده ابنُه الملكُ المَنْصور بالمُلْك ، ودَبَّرَ أَمْرَه عمُّه الأَفْضَل ، كان معهما على حالِه ، إلى أن وَصَلَ الملكُ العادِل أبو بكر بن أيُّوب من الشَّام لأَخْذ ديار مصر ، وخَرَجَ

---

[1] انظر ترجمة القاضي الفاضل عند ، العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ١:٣٥-٥٤؛ الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٦٢٠-٦٢٨؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣:١٥٨-١٦٣؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٧:١٦٦-١٦٧؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨:٣٣٥-٣٧٩؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٦:١٥٦-١٥٨. وللدكتور أحمد أحمد بدوي : القاضي الفاضل ـ دراسة ونماذج ، القاهرة ـ مكتبة نهضة مصر د.ت ؛ ونشر ديوانه في جزأين صدرا في القاهرة في سلسلة تراثنا سنة ١٩٦١م ، كما نشرت فتحية النبراوي «إنشاءات القاضي الفاضل» ، القاهرة ١٩٨٠؛ وانظر كذلك Cahen, Cl., *EI*[2] art. *al-Kâdî al-Fâdil* IV, pp. 392-93.

الأَفْضَلُ لِقِتالِه، فماتَ مَنْكوبًا أَحْوَجَ ما كان إلى الموتِ عند تَوَلِّي الإقْبالِ وإقْبالِ الإدْبار في سَحَر يوم الأَربعاء سابع عشر رَبيع الآخر سنة ستٍّ وتسعين وخمس مائةٍ، ودُفِنَ بتُرْبَته من القَرافَة الصُّغْرىٰ[1].

قال ابنُ خَلِّكان: وَزَرَ للسُّلْطان [الملك] صَلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب، وتَمَكَّن منه غايَةَ التمكُّن، وبَرَزَ في صِناعَة الإنْشاء، وفاقَ المتقدِّمين،/ وله فيه الغَرائِبُ مع الإكْثار. أخبرني أَحَدُ ٣٦٧:٢
الفُضَلاء الثِّقات المطَّلِعين على حَقيقَة أَمْره، أنَّ مُسَوَّدات رَسائله في المجلَّدات والتَّعْليقات في الأَوْراق إذا جُمِعَت ما تَقْصُر عن مائة [مجلد]، وهو مُجيدٌ في أكثرها[2].

وقال عبد اللَّطيف البَغْدادي: دَخَلْنا عليه فرأيتُ شَيْخًا ضَئيلًا كلُّه رأسٌ وقَلْبٌ، وهو يَكْتُب ويُمْلي على اثنين، ووَجْهُه وشَفَتاه تلعب ألوان الحركات لقُوَّةِ حِرْصِه في إخْراجِ الكلام، وكأنَّه يكتب بجملة أَعْضائِه[3].

وكان له غَرامٌ في الكِتابَة وتَحْصيلِ الكُتُب، وكان له الدِّين والعَفاف والتُّقى، والمُواظَبَة على أَوْرادِ اللَّيْل، والصِّيام وقِراءَة القُرْآن، وكان قليلَ اللَّذات، كثير الحَسَنات، دائم التَّهَجُّد، ويَشْتَغِل بعُلُوم الأَدَب وتَفْسير القُرْآن. غير أنَّه كان خَفيفَ البِضاعَة من النَّحْو، ولكن قُوَّة الدِّرايَة تُوجِب له قِلَّة اللَّحْن وكان لا يكادُ يُضيع من زَمانِه شيئًا إلَّا في طاعَةٍ، وكَتَبَ في الإنْشاءِ ما لم يكْتُبه غيرُه.

وحَكَى لي ابنُ القَطَّان ـ أحدُ كُتَّابِه ـ قال: لمَّا خَطَبَ صَلاحُ الدِّين بمصر للإمام المُسْتَضِيء بأَمْرِ الله، تَقَدَّمَ إلى القاضي الفاضِل بأن يُكاتِبَ الدِّيوان العَزيز ومُلوك الشَّرْق. ولم يكن يَعْرِف خِطابَهم واصْطِلاحَهم، فأَوْعَزَ إلى العِماد الكاتِب أن يكتب فكَتَبَ واحْتَفَلَ، وجاءَ بها مَفْضوضَةً ليقرأها الفاضِلُ مُتَبَجِّحًا بها، فقال: لا أَحْتاجُ أن أَقِفَ عليها، وأَمَرَ بخَتْمِها وتَسْليمها إلى النَّجَّاب، والعِمادُ يُبْصِر.

قال: ثم أَمَرَني أن أَلْحَقَ النَّجَّاب ببِلْبَيْس، وأن أَفُضَّ الكُتُب، وأَكْتُب صُدُورها ونهايتها، ففَعَلْت ورَجَعْت بها إليه. فكَتَبَ على حَذْوها وعَرَضَها على السُّلْطان، فارْتَضاها، وأَمَرَ بإرْسالِها إلى أَرْبابِها مع النَّجَّاب.

---

[1] الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٦٢٠.

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣:١٥٨-١٥٩.

[3] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢:٢٠٥. ووَقَف المقريزي على سيرة الإمام عبد اللطيف البغدادي ـ مَصْدَر النَّقْل ـ بخَطِّه. (فيما تقدم ٣:٣٣٥).

وكان مُتقَلِّلًا في مَطْعَمِه ومَنْكَحِه ومَلْبَسِه، ولِباسِه البَياض لا يبلغ جميع ما عليه دينارين، ويركب معه غُلامٌ وركابيٌّ، ولا يُمَكِّن أحدًا أن يَصْحَبَه، ويُكْثِر زيارَة القُبور وتَشْييع الجَنائِز وعِيادَة المَرْضَى، وله مَعْروفٌ مَعْروفٌ[a] في السِّرِّ والعَلانية، وأكثر أوْقاتِه يُفْطِر بعدما يَتَهَوَّر الليل.

وكان ضَعيفَ البِنْيَة، رَقيقَ الصُّورَة، له حَدَبَة يُغَطِّيها الطَّيْلَسانُ وكان فيه سُوءُ خُلُقٍ يكمد به في نفسه، ولا يَضُرّ أحدًا به. ولأصْحابِ الأَدَبِ عنده نَفَاقٌ، يُحْسِنُ إليهم ولا يَمُنُّ عليهم، ويُؤْثِر أرْبابَ البُيُوت والغُرَباء، ولم يكن له انْتِقامٌ من أعْدائِه إلّا بالإحْسانِ إليهم أو بالإعْراضِ عنهم. وكان دَخْلُه في كلِّ سنةٍ من إقْطاعٍ ورِباعٍ وضِياعٍ خمسين ألف دينار، سوى مَتاجِرِه للهِنْد والمغرب وغيرهما.

وكان يَقْتَني الكُتُب من كلِّ فَنٍّ، ويَجْتَلِبها من كلِّ جهةٍ، وله نُسّاخٌ لا يَفْتَرون ومُجَلِّدون لا يَبْطُلون؛ قال لي بعضُ مَنْ يَخْدمه في الكُتُب، إنَّ عَدَدَها قد بَلَغَ مائة ألف وأربعة وعشرين ألفًا، وهذا قَبْل مَوْته بعشرين سنة.

وحَكَى لي ابن صَوْرَة الكُتُبي أنَّ ابنه القاضي الأَشْرَف الْتَمَسَ مِنِّي أن أَطْلُبَ له نُسْخَةَ «الحَماسَة» ليقرأها، فأَعْلَمْتُ القاضي الفاضِل، فاسْتَحْضَر من الخادِمِ «الحَماسات»، فأَحْضَرَ له خَمْسًا وثلاثين نُسْخَةً، وصارَ يَنْفُضُ نُسْخَةً نُسْخَةً ويقول: هذه بخَطِّ فُلان، وهذه عليها خَطُّ فلان[1]، حتى أتى على الجَميع وقال: ليس فيها ما يَصْلُح للصِّبْيان، وأَمَرَني أن أَشْتَري له نُسْخَةً بدينار.

المَدْرَسَةُ الأَزْكَشِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بالقاهِرَة على رأسِ السُّوقِ الذي كان يُعْرَف بالخُرُوقِيين، ويُعْرَف اليوم بسُوَيْقَة أَمير الجُيُوش [b]مِمَّا يلي خانَ الرَّوّاسين على يَسْرَة السّالِك إلى باب القَنْطَرَة[b] [2]. بَناها الأميرُ سَيْفُ الدِّين أيازكوج الأَسَدي ـ مَمْلوك أَسَدِ الدِّين شِيرْكوه، وأَحَد أُمَراءِ السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف

---

a) ساقطة من بولاق. b-b) إضافة من مُسَوَّدَة الخطط.

---

[1] انظر عن اهتمام العلماء المسلمين بالكتب التي بخطوط مؤلِّفيها أو عليها خُطُوط العلماء. (أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط ٩٥-١٤٥).

[2] انظر فيما تقدم ٣: ٣٣٥.

ابن أَيُّوب ـ وجَعَلَها وَقْفًا على الفُقَهاءِ من الحَنَفِيَّة فقط في سنة اثنتين وتسعين وخمس مائةٍ [1].

وكان الأمير[a] أيازكُوج رأس الأُمَرَاء الأَسَدِيَّة بديار مصر في أيَّام السُّلْطان صَلاح الدِّين وأيَّام ابنه المَلك العَزيز عُثْمان، وكان الأميرُ فَخْرُ الدِّين جَهارْكَس رأسَ الصَّلاحِيَّة. ولم يَزَلْ على ذلك إلى أن ماتَ في يوم الجُمُعَة ثامِن عشر رَبيعِ الآخر سنة تسعٍ وتسعين وخمس مائةٍ، ودُفِنَ بسَفْحِ المُقَطَّم، بالقُرْب من رِباطِ الأمير فَخْر الدِّين بن قَزَل [2].

المَدْرَسَةُ الفَخْرِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بالقاهِرَة، فيما بين سُوَيْقَة الصَّاحِب ودَرْبِ العَدَّاس. عَمَّرَها الأميرُ الكبير فَخْرُ الدِّين أبو الفَتْح عُثْمَان بن قَزَل [b]بن عبد الله[b] البَارُوقي[c]، أُسْتاذْدار الملك الكامِل محمد ابن العادِل [b]وأَكْبَرَ أُمَرائِه[b]. وكان الفَرَاغُ منها في سنة اثنتين وعشرين وستّ مائةٍ، وكان موضعُها أخيرًا يُعْرَف بدار الأمير حُسَام الدِّين سياروخ[d] بن أُرْتُق شادّ الدَّواوين.

ومَوْلِدُ الأمير فَخْر الدِّين في سنة إحدى وخمسين وخمس مائةٍ بحَلَب، وتنقَّل في الخِدَم حتى صارَ أَحَدَ الأُمَرَاءِ بديار مصر، وتقدَّم في أيَّام الملك الكامِل، وصارَ أُسْتادَّاره، وإليه أَمْرُ المملكة وتَدْبيرها، إلى أن سافَرَ السُّلْطانُ من القاهِرَة يُريدُ بِلاد المَشْرِق فماتَ بحَرَّان بعد مَرَضٍ طَويلٍ في ثامن عشر ذي الحجَّة سنة تسعٍ وعشرين وستّ مائةٍ [3].

وكان خَيِّرًا كثيرَ الصَّدَقَة، يَتَفَقَّد أَرْبابَ البُيُوت. وله من الآثارِ، سوى هذه المَدْرَسَة، المَسْجِدُ الذي تِجاهَها، وله أيضًا رِباطٌ بالقَرافَة، / وإلى جانِبِه كُتَّابُ سَبيل، وبَنَى بمَكَّة رِباطًا [4]. ٣٦٨:٢

---

a) إضافة من المُسَوَّدة   b-b) إضافة من مُسَوَّدَة الخطط.   c) بولاق: البارومي.   d) بولاق: ساروخ.

---

[1] ذكرها ابن عبد الظاهر باسم «مَدْرَسَة أيازكوج» (الروضة البهية ٨٧). وأطلق عليها ابن حجر اسم «المَدْرَسَة الأزكوجية» (الدرر الكامنة ١: ٣٨١)، وانظر كذلك ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٤؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٥٤؛ وفيما تقدم ٤٥٦.

وحَلَّ محلّ هذه المَدْرَسَة الزَّاوية المعروفة بزاوية جَنْبَلاط بسوق مَرْجُوش (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٢، ٦٤ (٢٤)).

[2] المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ٨٢و.

[3] انظر عن فَخْرِ الدِّين بن قَزَل، فيما تقدم ٣: ٣٦٨: ١٠، ٧٤٧: ٩.

[4] المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ٨٣ظ؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨٧.

المَدْرَسَةُ السَّيْفِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بالقاهِرَة ، (aقُرْب البُنْدُقانيين بجوار خُوخَة سُوق الجَوار وهي على يَمْنَة السَّالِك من البُنْدُقانيين إلى خُطِّ طواحين المِلْحِيين a)، ومَوْضِعُها من جملة دارِ الدِّيباج . قال ابنُ عبد الظَّاهِر : كانت دارًا وهي من المَدْرَسَة القُطْبِيَّة ، فسَكَنَها شَيْخُ الشُّيوخ ـ يعني صَدْر الدِّين محمد بن حَمَوَيْه ـ وثَبَتَ في وَزارَة صَفيّ الدِّين عبد الله بن عليّ بن شُكْر أنَّ سَيْفَ الإسْلام وَقَفَها ووَلَّى فيها عِمادَ الدِّين وَلَد القاضي صَدْر الدِّين [1]، يعني ابن دِرْباس . وسَيْفُ الإسْلام هذا اسمه طُغْتَكِين ابن أيّوب [2].

طُغْتَكِين ظَهيرُ الدِّين سَيْف الإسْلام الملك المُعِزّ بن نَجْم الدِّين أيُّوب بن شاذي بن مَرْوان الأيُّوبي [3]. سَيَّرَه أخُوه صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب إلى بلاد اليَمَن في سنة سبعٍ وسبعين وخمس مائةٍ ، فمَلَكَها واستولى على كثير من بِلادِها . وكان شُجاعًا كريمًا ، مشكورَ السِّيرَة ، حَسَنَ السِّياسَة . قَصَدَه النَّاسُ من البلاد الشَّاسِعَة يَسْتَمْطِرون إحْسَانَه وبِرَّه . وسارَ إليه شَرَفُ الدِّين بن عُنَيْن ، ومَدَحه بعِدَّةٍ قَصائدَ بَديعَة ، فأَجْزَلَ صِلاته ، وأكثر من الإحْسان إليه ، واكتسب من جهته مالًا وافِرًا . وخَرَجَ من اليَمَنِ . فلمَّا قَدِمَ إلى مصر ـ والسُّلْطانُ إذ ذاك الملكُ العَزيزُ عُثْمان بن صَلاح الدِّين ـ أَلْزَمَه أَرْبابُ ديوان الزَّكاة بدَفْعِ زَكاةِ ما معه من المَتْجَر ، فعمل [4]:

---

a-a) إضافة من مُسَوَّدَة الخطط .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٩٠ وسمَّاها : «مَدْرَسَة سَيْف الإسلام» .

[2] المقريزي : مُسَوَّدَة الخطط ٨٤و ؛ وفيما تقدم ٤٥٩ .

[3] راجع ترجمة الملك طُغْتكين الأيُّوبي أيضًا عند ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢:٥٢٣-٥٢٥ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٢: ١٠٥، ٣: ٧٢، ٣٤٩ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٧: ٧٠، ٧٢، ٧٣، ١٣١-١٣٢ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢١: ٣٣٣ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٦: ٤٥٠-٤٥١ ؛ الفاسي : العقد الثمين ٥: ٦٢-٦٤ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤: ١٤-١٥ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢: ١٠١-١٠٤ ؛ وكلّ تواريخ اليمن للخزرجي وابن الدَّيْبَع ويحيى بن الحسين ؛ وانظر أيضًا محمد عبد العال أحمد : الأيُّوبيون في اليمن ، الإسكندرية ١٩٨٠ ، ١١٧-١٤٧ .

[4] البيتان في ديوان ابن عنين ٢٢٣ ، ووفيات الأعيان ٢: ٥٢٤ ، والوافي بالوفيات ١٦: ٤٥١ .

[البسيط]

ما كُلُّ مَنْ يَتَسَمَّى بالعَزيز لها أهْلٌ، ولا كُلُّ بَرْقٍ سُحْبُه غَدِقَهْ
بَيْنَ العَزيزَيْن فَرْقٌ في فَعالِهِما: هذاكَ يُعْطي، وهذا يأخُذُ الصَّدَقَهْ

وتوفِّي سَيْفُ الإسْلام في شَوَّال سنة ثلاثٍ وتسعين وخمس مائةٍ بالمَنْصُورَة [1]، وهي مَدينَةٌ باليَمَن اخْتَطَّها رحمه الله تعالى [2].

المَدْرَسَةُ العاشُورِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بحارَةِ زَوِيلَة من القاهِرَة، بالقُرْبِ من المَدْرَسَة القُطْبِيَّة الجَديدَة ورَحْبَة كوكاي [a]. قال ابنُ عبد الظَّاهِر: كانت دارَ اليَهودي ابن جُمَيْع الطَّبيب، وكان يكتُب لقَراقُوش، فاشْتَرَتْها منه السِّتُّ عاشُوراء بنت سياروج [b] الأَسَدي - زوجة الأمير أيازكوج الأَسَدي - ووَقَفَتْها على الحَنَفِيَّة، وكانت من الدُّورِ الحَسَنَة [3].

وقد تَلاشَت هذه المَدْرَسَةُ، وصارت طُول الأيَّام مَغْلُوقَة لا تُفْتَحُ إلَّا قَليلًا، فإنَّها في زُقاقٍ لا يسكنه إلَّا اليَهُود ومن يَقْرُب منهم في النَّسَب.

المَدْرَسَةُ القُطْبِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ في أوَّلِ حارَة زَوِيلَة برَحْبَة كوكاي [4]. عُرِفَت بالسِّتِّ الجَليلَة الكبرى عِصْمَة الدِّين مُؤْنِسَة خاتُون المعروفة بـ «دار إقْبال العَلائي»، ابنة الملك العادِلِ أبي بكر بن أيُّوب، وشَقيقَة الملك الأفْضَل قُطْبِ الدِّين أحمد وإليه نُسِبَت. وكانت وِلادتُها في سنة ثلاثٍ وستّ مائةٍ، ووَفاتُها ليلة الرابع والعشرين من رَبيعِ الآخر سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائةٍ.

---

a) المُسَوَّدَة: ودار كوكاي ورحبة كوكاي. b) بولاق: ساروخ.

---

[1] المنصورة: بلدة باليمن بين الجَنَد ونقيل الحمراء، وهي خَرِبَة الآن شرق مدينة القاعِدَة وشمال الجَنَد (إسماعيل الأكوع: البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، الكويت ١٩٨٥، ٢٦٤-٢٦٥).

[2] اعتمد المقريزي في ترجمته لطغتكين على ما أورده ابن خلِّكان.

[3] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨٩.

[4] انظر فيما تقدم ٣: ١٥٨.

وكانت قد سَمِعَت الحَديثَ ، وخَرَّجَ لها الحَافِظُ أبو العَبَّاس أحمد بن محمد الظَّاهِري «أحاديثَ ثُمانِيَّات» حَدَّثَت بها . وكانت عاقِلَةً دَيِّنَةً فَصيحَةً ، لها أَدَبٌ وصَدَقاتٌ كثيرة . وتَرَكَت مالًا جَزيلًا ، وأَوْصَت ببناءِ مَدْرَسَةٍ يُجْعَلُ فيها فُقَهاءُ وقُرَّاءُ ، ويُشْتَرىٰ لها وَقْفٌ يَغِلّ . فبُنِيَت هذه المَدْرَسَة ، وجُعِلَ فيها دَرْسٌ للشَّافِعية ودَرْسٌ للحَنَفية ، وقُرَّاء . وهي إلى اليوم عامِرَة [1] .

المَدْرَسَةُ الخَرُّوبِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ على شاطئ النِّيل من مَدينَة مصر ، أنشأها تاجُ الدِّين محمد بن صَلاح الدِّين أحمد بن محمد بن عليّ الخَرُّوبي ، لمَّا أنشأ بَيْتًا كبيرًا مُقابِل بَيْتِ أخيه عِزّ الدِّين قِبْلِيّه على شَاطئ النِّيل ، وجَعَلَ فيه هذه المَدْرَسَة . وهي أَلْطَفُ من مَدْرَسَةِ أخيه ، وبجنبها مَكْتَبُ سَبيلٍ ، ووَقَفَ عليها أوْقافًا ، وجَعَلَ بها مُدَرِّسَ حَديثٍ فقط ، وماتَ بمَكَّة في آخِرِ المحرَّم سنة خمسٍ وثمانين وسبع مائةٍ [2] .

مَدْرَسَةُ المَحَلّي

هذه المَدْرَسَةُ على شاطئ النِّيل ، داخِل صِناعَة التَّمْر ، ظَاهِر مَدينَة مصر [3] . أنْشَأها رَئِيسُ التُّجَّار بُرْهانُ الدِّين إبراهيم بن عُمَر بن عليّ المَحَلّي ابن بنت العَلَّامة شَمْس الدِّين محمد بن اللَّبَّانَ ، وينتهي في نَسَبِهِ إلى طَلْحَة بن عبيد الله أَحَد العَشْرة رضي الله عنهم . وجَعَلَ هذه المَدْرَسَة بجوار دارِه التي عَمَّرَها في مُدَّةِ سبع سنين ، وأَنْفَقَ في بِنائِها زيادَةً على/ خمسين ألف دينار ، وجَعَلَ ٣٦٩:٢
بجوارِها مَكْتَبَ سَبيلٍ ، لكن لم يَجْعَلْ بها مُدَرِّسًا ولا طَلَبَة [4] . وتوفي يَوْم ثاني عشرين رَبيع الأوَّل سنة ستٍّ وثمان مائةٍ عن مالٍ عظيمٍ ، أَخَذَ منه السُّلْطانُ الملكُ الناصِرُ فَرَج بن بَرْقُوق مائة ألف دينار ، وكان مولدُه سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائةٍ . ولم يكن مَشْكورَ السِّيرَة في الدِّيانَة [5] .

---

[1] أعاد المقريزي ذكر المَدْرَسَة القُطْبِيَّة ، فيما يلي ٢: ٣٩١.

[2] ابن دقماق : الانتصار ٤: ٩٩: ١٠، وفيه أنَّها قِبْلي المَدْرَسَة العِزيَّة التي أنشأها أخوه عِزّ الدِّين بن صلاح الدِّين ابن الخَرُّوبي ؛ وانظر كذلك المقريزي : درر العقود الفريدة ٣: ٢٢٩.

[3] انظر فيما تقدم ٣: ٢٥٨.

[4] المقريزي : درر العقود الفريدة ١: ١١٠ وفيه فأحرقت هذه الدَّار جميعها سنة ستّ وثلاثين [وثمان مائة] وسَلِمَت المَدْرَسَة .

[5] انظر ترجمة بُرْهان الدِّين إبراهيم المحلي عند ، المقريزي : درر العقود الفريدة ١: ١٠٩-١١١ (وفيه : =

وله من المآثِر تَجْديدُ جَامِع عَمْرو بن العَاص، فإنَّه كان قد تَداعَى إلى السُّقُوط، فقامَ بعِمارَتِه حتى عادَ قَريبًا ممَّا كان عليه، شَكَرَ الله له ذلك[1].

المَدْرَسَةُ الفارِقَانِيَّة

[أثر رقم ١٩٣]

هذه المَدْرَسَةُ بابُها شارِعٌ في سُوَيْقَة حارَة الوَزيريَّة من القاهِرَة، فُتِحَت في يوم الاثنين رابع جُمادَى الأولى سنة ستٍّ وسبعين وستّ مائة[2]. وبها دَرْسٌ للطَّائِفَة الشَّافِعِيَّة، ودَرْسٌ للطَّائِفَة الحَنَفِيَّة، (aوبها دَرْسُ حَديث a). أنشأها الأميرُ شَمْسُ الدِّين آق سُنْقُر الفارِقاني السِّلاح دار، كان مَمْلُوكًا للأمير نَجْم الدِّين أمير حَاجِب، ثم انْتَقَلَ إلى الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس، فَتَرَقَّى عنده في الخِدَم حتى صارَ أحَدَ الأُمَرَاءِ الأكابِر، ووَلَّاه الأُسْتادَّارية، ونابَ عنه بديار مصر مُدَّةَ غَيْبَتِه، وقَدَّمَه على العَساكِر غير مَرَّة، وفَتَحَ له بلاد النُّوبَة. وكان وَسيمًا جَسيمًا، شُجاعًا مِقْدامًا حازِمًا، صاحِبَ دِرايةٍ بالأُمُور، وخِبْرَةٍ بالأحْوال والتَّصَرُّفات، مُدَبِّرًا للدُّوَلِ، كَثيرَ البِرّ والصَّدَقَة.

ولمَّا ماتَ الملكُ الظَّاهِرُ وقامَ من بعده في مُلْكِ مصر ابنه الملكُ السَّعيد بَرَكَة خان، وَلَّاه نِيابَة السَّلْطَنَة بديار مصر بعد مَوْتِ الأمير بَدْر الدِّين بَيْلَبَك الخازِنْدار، فأَظْهَرَ الحَزْمَ، وضَمَّ إليه طَائِفَةً: منهم شَمْس الدِّين آقُوش، وقَطْليجا الرُّومي، وسَيْف الدِّين قَليج البَغْدادي، وسَيْفُ الدِّين بيجُو البَغْدادي، وسَيْف الدِّين شَعْبان أمير شَكار، وبَكْتَمُر السِّلاح دار.

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة.

= وهو آخر من أدْرَكناه من رؤساء التجار، وكان من أصحاب أبي وصحبته مُدَّةً وأضافني بمنزله وهو أحد دور الدُّنيا المشهورة). المقفى الكبير ١: ٢٤٦؛ السخاوي: الضوء اللامع ١: ١١٢؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ٢: ٦٩١.

[1] وذلك في سنة أربع وثمان مائة (المقريزي: درر العقود الفريدة ١: ١١٠؛ وفيما تقدم ٢٧).

[2] المقريزي: مسودة الخطط ٨٩و؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢٦٢؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر ٣٦٠.
ولا تزالُ هذه المدرسة موجودةً إلى الآن بشارع دَرْب سعادة على رأس سِكَّة النَّبَوِيَّة خَلْف مبنى محكمة باب الخَلْق الابتدائية، وتعرف الآن بجامع محمد أغا أو جامع الحَبَشْلي، نسبةً إلى محمد أغا الحَبَشْلي، كَتْخُدا مُسْتَحْفَظان مصر، الذي جَدَّدَ الجامع سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م.

[3] وأوّلُ من دَرَّس بها من الحَنَفِيَّة نَجْمُ الدِّين أبو الطَّاهر إسحاق بن علي بن يحيى شيخ الحنفية في وقته، المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م. (القرشي: الجواهر المضية ١: ٣٦٨-٣٦٩، ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٣٨١).

وكانت الخاصَّكِيَّةُ تَكْرَهُه ، فاتَّفقُوا مع مَماليك بَيْلَبَك الخازِنْدار على القَبْضِ عليه ، وتَحَدَّثوا مع الملك السَّعيد في ذلك ، وما زالوا به حتى قَبَضُوا عليه بمُساعَدَةِ الأمير سَيْف الدين كُونْدَك السَّاقي لهم ، وكان قد رُبِّيَ مع السَّعيد في المكتب ، فلم يَشْعُر وهو قاعِدٌ بباب القُلَّة من القَلْعَة ، إلَّا وقد سُحِبَ وضُرِبَ ونُتِفَت لِحْيَتُه وجُرَّ - وقد ارْتُكِبَ في إهانَتِه أمْرٌ شَنيعٌ - إلى البُرْج فسُجِنَ به ليالي قليلة ، ثم أُخْرِجَ منه ميِّتًا في أثناء سنة ستٍّ وسبعين وست مائةٍ ، وجُهِلَ قَبْرُه .

المَدْرَسَةُ المُهَذَّبِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ خارج بابِ زَوِيلَة [1] ، من خُطِّ حارَة حَلَب ، بجوار حَمَّام قَماري ، بَناها الحكيمُ مُهَذَّبُ الدِّين أبو سَعيد محمد بن عَلَمَ الدِّين بن أبي الوَحْش بن أبي الخَيْر بن أبي سليمان بن أبي حُلَيْقَة ، رَئِيسَ الأَطِبَّاء [2] .

كان جَدُّه الرَّشيد أبو الوَحْش نَصْرانِيًّا مُتَقَدِّمًا في صِناعَة الطِّبِّ ، فأَسْلَم ابنُه عَلَمُ الدِّين في حَياتِه ، وكان لا يُولَد له وَلَدٌ فيعيش ، فرأت أُمُّه ، وهي حاملٌ به ، قائلًا يقول : هَيِّئوا له حَلْقَة فِضَّة قد تُصُدِّق بوزنها ، وساعة يُوضَع من بَطْنِ أُمِّه تُثْقَب أُذُنُه وتُوضَع فيها الحَلْقَة ، ففعلت ذلك فعاشَ ، فعاهَدَت أُمُّه أباه ألَّا يَقْلَعَها من أُذُنِه ، فكبر وجاءَته أوْلادٌ وكلُّهم يَموت ، فوُلِدَ له ابنه مُهَذَّب الدِّين أبو سَعيد ، فعَمِلَ له حَلْقَة فعاش [3] .

وكان سَبَبُ اشْتِهارِه بأبي حُلَيْقَة : أنَّ الملكَ الكامِلَ محمد بن العادِلِ أَمَرَ بعضَ خُدَّامِه أن يَسْتَدْعيَ بالرَّشيد الطَّبيب من الباب - وكان جَماعَةٌ من الأَطِبَّاء بالباب - فقال الخادِمُ : مَنْ هو منهم ؟ فقال السُّلْطانُ : أبو حُلَيْقَة . فخَرَج فاسْتَدْعاه بذلك ، فاشْتُهِرَ بهذا الاسْم . وماتَ الرَّشيدُ في سنة ستٍّ وسبعين وستّ مائةٍ .

---

[1] يَدُلُّ على موضع المَدْرَسَة المُهَذَّبِيَّة الآن ، التَّكِيَّة الخَلْوَتية الواقعة داخل عَطْفَة مُراد بأوَّل الحلمية . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢:١٤٨ (٤٠) ، ٦:٤١ (١٦)) ؛ وفيما يلي ٥٩٨.

[2] ترجم المقريزي لوالده في المقفى الكبير ٣: ١٤.

[3] أعادَ المقريزي ذكر هذه المَدْرَسَة فيما يلي ٥٩٨.

المَدْرَسَةُ الخَرُّوبِيَّة

[أثر رقم ٥٣٢]

هذه المَدْرَسَةُ بظاهِر مَدينَة مصر ، تِجاه المِقْياس بخُطِّ كُرْسي الجِسْر ، أَنْشأها كبيرُ الخَرارِبَة[a] بَدْرُ الدِّين محمد بن محمد بن عليّ الخَرُّوبي - بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة وضَمِّها ثم واوا ساكِنَة بعدها باء مُوَحَّدة ، ثم ياء آخر الحروف - التَّاجِر في مَطابِخ السُّكَّر وفي غيرها بعد سنة خمسين وسبع مائةٍ[1] . وجَعَلَ مُدَرِّسَ الفِقْه بها الشَّيْخَ بَهاءَ الدِّين عبد الله بن عبد الرَّحْمٰن ابن عَقِيل ، والمعيد الشَّيْخ سِراج الدِّين عُمَر البُلْقيني . وماتَ سنة اثنتين وستين وسبع مائةٍ .

وأنشأ أيضًا رَبْعَيْن بخُطِّ دار النُّحاس من مصر على شاطِئ النِّيل ، ورَبْعَيْن مُقابِل المِقْياس بالقُرْبِ من مَدْرَسَتِه .

ولبَدْرِ الدِّين هذا أَخٌ من أبيه أَسَنُّ منه ، يُقال له صَلاحُ الدِّين أحمد بن محمد بن عليّ الخَرُّوبي ، عاش بعد أخيه ، وأَنْجَبَ في أَوْلادِه وأَدْرَكَ لهم أَوْلادًا نُجَباء . وكان أَوَّلًا قَليلَ المال ، ثم تَمَوَّل وأَنْشأ تُرْبَةً كبيرةً بالقَرافَة ، فيما بين تُرْبَة الإمام الشَّافِعِيّ وتُرْبَة اللَّيْث بن سَعْد ، مُقابِل السَّرْوَتَيْن ، وجَدَّدها حَفيدُه نُورُ الدِّين عليّ بن عِزّ الدِّين محمد بن صَلاح الدِّين وأَضافَ إليها مَطْهَرَةً حَسَنَةً ، وماتَ سنة تسع وستين وسبع مائةٍ[2] .

وشَرَطَ بَدْرُ الدِّين في مَدْرَسَته أَلَّا يليَ بها أَحَدٌ من العَجَم وَظيفةً / من الوَظائِف ، فقال في كلِّ وَظيفَةٍ منها : ويكون من العَرَبِ دون العَجَم . وكانت له مَكارِمُ ، جَهَّزَ مَرَّةً ابن عَقيل إلى الحَجّ بنحو خمس مائة دينار . ٣٧٠:٢

---

a) بولاق : الخرارية .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٩٩؛ المقريزي : درر العقود الفريدة ٣ : ٢٢٨.

[2] حَلَّ مَحَلَّها الآن جامع القَبْوَة الواقع في شارع القَبْوَة بمصر القديمة . جُدِّدَ في سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م . يَدُلُّ على ذلك كتابةٌ تاريخيةٌ نَصُّها :

وأَصْلُ هذا المسجد الشَّريف للشيخ نُور الدِّين الخَرُّوبي ، ثم بعد الخَراب والانْدِثار جَدَّدَها وجَعَلَها جامِعًا بخُطْبَةٍ ، العَبْدُ الفقيرُ قيومجي أحمد كَتْخُدا عَزَبان ، وسألتكم الفاتحة سنة ١١١٥) . (Wiet, G., *Inscriptions his torique sur pierre*, pp. 111-12 n° 145) .

المَدْرَسَةُ الخَرُّوبِيَّة

وهذه المَدْرَسَةُ بخُطِّ الشُّوَن، قِبْلي دار النُّحَاس من ظَاهِر مَدِينَة مصر أنشأها عِزُّ الدِّين محمد ابن صَلاح الدِّين أحمد بن محمد بن عليّ الخَرُّوبي، وهي أكبر من مَدْرَسَة عَمِّه بَدْر الدِّين، إلَّا أنَّه ماتَ سنة ستٍّ وسبعين وسبع مائةٍ قبل اسْتيفاءِ ما أرادَ أن يَجْعَلَ فيها، فليس لها مُدَرِّسٌ ولا طَلَبَة. ومَوْلِدُه سنة ستّ عشرة وسبع مائةٍ، ونَشَأ في دُنْيا عَريضَة[1].

المَدْرَسَةُ الصَّاحِبِيَّة البَهائيَّة

هذه المَدْرَسَةُ كانت بزُقاقِ القَناديل[2] من مَدينَة مصر قُرْب الجَامِع العَتيق[3]، أنشأها الوَزيرُ الصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّين عليّ بن محمد بن سَليم بن حِنَّا في سنة أربعٍ وخمسين وستّ مائةٍ.

وكان إذ ذاك زُقاقُ القَناديل أَعْمَرَ أَخْطاط مصر، وإنَّما قيل له زُقاقُ القَناديل من أجْل أنَّه كان سَكَنَ الأَشْرَاف، وكانت أبْوابُ الدُّور يُعَلَّق على كلِّ بابٍ منها قِنْديلٌ، قال القُضَاعيُّ: ويُقالُ إنَّه كان به مائة قِنْديل تُوقَد كلَّ ليلةٍ على أبْوابِ الأكابِر.

---

[1] المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٢٢٨؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٩٩.

وذكر علي باشا مبارك أنَّ الباقي من هذه المدرسة الضَّريح المعروف بضَريح سيدي شاهين المغربي، الكائن على يَسْرَة السَّالِك في طريق مصر القديمة بقرب بَيْت السِّتّ البارودية من الجهة القبلية. (الخطط التوفيقية ٦: ١٥-٥٦ (٧)).

[2] جَذَبَ ثَراءُ أسْواق الفُسْطاط وعلى الأخصّ «زُقاق القَناديل» في العَصْر الفاطمي انتباه الرحّالة والجغرافيين؛ يقول الجغرافي والرحالة المَقْدِسي البَشاري ـ الذي زار مصر في نهاية القرن الرابع الهجري ـ: إنَّ جامع عَمْرو وما حوله من أسْواق هو أعمر موضع بمصر «وزُقاقُ القناديل عن يساره وما أدْراك ما زُقاق القناديل» (أحسن التقاسيم ١٩٩). أمّا الرحالة الفارسي ناصر خُسْرُو ـ بعد ذلك بنحو خمسين سنة ـ فيقول: إنَّ جامع عمرو يقع في وسط سُوق مصر، بحيث تُحيط به الأسْواقُ من جهاته الأربع وتُفْتَح عليها أبْوابُه. ويقع سُوقُ القناديل على الجانب الشمالي للجامع، ثم أضاف أنّه «لا يُعْرَف سُوقٌ مثله في أي بلدٍ، وفيه كُلُّ ما في العالم من طرائف ...». (سفرنامه ١٠٣).

[3] واضِحٌ ممّا وَرَدَ في آخر ترجمة الصَّاحِب بهاء الدِّين ابن حِنَّا، أنَّ هذه المَدْرَسَة هُدِمَت في أُخْريات سنة سبع عشرة وأوائل سنة ثماني عشرة وثمان مائة؛ هَدَمها، في أيّام السُّلْطان المُؤَيَّد شَيخ، الأمير تاج الدِّين الشَّوْبَكي الدِّمَشْقي والي القاهرة ومصر ومُتَوَلّي حِسْبَة البَلَدَيْن وشَدّ العمائر السُّلْطانية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢٤١؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٢٠ (٨-٩)).

وابنُ حِنّا

هذا هو عليُّ بن محمد بن سَليم - بفتح السين المهملة وكسر اللام، ثم ياء آخر الحروف بعدها ميم - ابن حِنّا - بحاء مهملة مكسورة، ثم نون مشددة مفتوحة بعدها ألف - الوَزيرُ الصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّين[1]، وُلِدَ بمصر في سنة ثلاثٍ وستّ مائةٍ، وتنقّلت به الأحْوالُ في كِتابَةِ الدَّواوين إلى أن وَلِيَ المناصِب الجليلَة، واشْتُهِرَت كفايَتُه، وعُرِفَت في الدَّوْلَةِ نَهْضَتُه ودِرايَتُه، فاسْتَوْزَرَهُ السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري في ثامِن شهر رَبيعٍ الأوَّل سنة تسعٍ وخمسين وست مائةٍ، بعد القَبْضِ على الصَّاحِب زَيْن الدِّين يَعْقُوب ابن الزُّبَيْر، وفَوَّضَ إليه تَدْبيرَ المملكة وأُمُورَ الدَّوْلَة كلِّها، فنَزَلَ من قَلْعَةِ الجَبَلِ بخِلَع الوَزارَة - ومعه الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَلَبان الرُّومي الدَّوَادار، وجَميعُ الأعْيان والأكابِر - إلى دارِه.

واسْتَبَدَّ بجَميع التَّصَرُّفات، وأظْهَرَ عن حَزْمٍ وعَزْمٍ وجَوْدَة رأيٍ. وقامَ بأعْباءِ الدَّوْلَة من ولايات العُمَّال وعَزْلهم، من غير مُشاوَرَةِ السُّلْطان ولا اعْتِراضِ أَحَدٍ عليه، فصارَ مَرْجعَ جَميع الأُمُور ومَصْدَرها عنه، ومَنْشأ ولايات الخِطَط والأعْمالِ من قَلَمه، وزَوالِها عن أرْبابِها لا يَصْدُرُ إلّا من قِبَلِه. وما زالَ على ذلك طُولَ الأيَّام الظَّاهِرِيَّة.

فلمَّا قامَ الملكُ السَّعيدُ بَرَكَة خان بأمْرِ المملكة بعد مَوْتِ أبيه الملك الظَّاهِر، أقَرَّه على ما كان عليه في حَياةِ والِدِه، فدَبَّرَ الأمُورَ وساسَ الأحْوالَ، وما تَعَرَّضَ له أَحَدٌ بعَداوَةٍ ولا سُوءٍ، مع كثرة من كان يُناوئه من الأُمَرَاء وغيرهم، إلّا وصَدَّه الله عنه، ولم يَجِد ما يتعلَّق به عليه ولا ما يَبْلغ به مَقْصوده منه.

وكان عَطاؤه واسِعًا، وصِلاتُه وكُلَفُه للأُمَرَاء والأعْيانِ، ومن يَلُوذ به ويتعلّق بخدمته، تَخْرُج عن الحَدّ في الكثرة، وتتجاوَز القَدْر في السَّعَة مع حُسْنِ ظَنٍّ بالفُقَراء، وصِدْقِ العَقيدَة في أَهْلِ الخَيْرِ والصَّلاح، والقيام بمَعونَتهم، وتفقُّد أحْوالِهم، وقَضَاءِ أشْغالِهم، والمبادَرَة إلى امْتِثال أوامِرهم، والعِفَّة عن الأمْوال - حتى إنَّه لم يَقْبَل من أَحَدٍ في وَزارَته هَدِيَّةً، إلّا أن تكون هَدِيَّة فقير أو شَيْخٍ مُعْتَقَد يتبرَّك بما يصل من أَثَرِه - وكثرة الصَّدَقات في السِّرّ والعلانية.

وكان يَسْتَعينُ على ما الْتَزَمَه من المبَرّات ولَزِمَه من الكُلَف بالمتاجِر، وقد مَدَحَه عِدَّةٌ من النَّاسِ، فقَبِلَ مَديحَهم وأجْزَلَ جَوائِزَهُم. وما أحسن قَوْلُ الرَّشيد الفارِقي فيه:

---

[1] انظر ترجمة الوزير الصَّاحِب بَهاء الدِّين بن حِنّا عند، ٢: ٢٠٧؛ أبي المحاسن: النجوم ٧: ٢٨٥، المنهل الصافي الصفدي: الوافي ٢٢: ٣٠- ٣١؛ ابن الفرات: تاريخ ٨: ١٥٠- ١٥١. ٧: ١٢٥؛ المقريزي: السلوك ١: ٦٤٩؛ العيني: عقد الجمان

[البسيط]

وقائِلٍ قال لي نَبِّه لنا عُمَرا   فقلتُ إنَّ عَلِيًا قد تَنَبَّه لي
ما لي إذا كنت مُحتاجًا إلى عُمَر   من حاجَةٍ فلينم حَسْبي انْتِباه عليّ

وقَوْلُ سَعْد الدِّين بن مَرْوان الفارِقي في كُتَّابِ الدَّرْج المُخْتَصّ به أيضًا :

[السريع]

يَمِّم عَلِيًّا فهو بَحْر النَّدَى   ونـاده في المَضْـلَـع المُعْـضِـلِ
فـرِفْدُه بَحْر عـلى مُجْدِب   ووَفْـدُه مُـفْض إلـى مَـفْـصـلِ
يُسْرِع أن يَسيلٍ نَداه وهـل   أَسْرَع من سَيْل أتَى من علي

إلَّا أنَّه أَحْدَثَ في وَزارَتِه حَوادِثَ عَظيمَة ، وقاسَ أراضي الأَمْلاك بمصر والقاهِرَة ، وأَخَذَ عليها مالًا ، وصادَرَ أرْبابَ الأَمْوالِ وعاقَبَهم حتى ماتَ كثيرٌ منهم تحت العُقُوبَة ، واسْتَخْرَجَ جَوالي الذِّمَّة مُضاعَفَةً .

ورُزِئَ بفَقْدِ وَلَدَيْه : الصَّاحِب فَخْر الدِّين محمد ، والصَّاحِب زَيْن الدِّين ، فعَوَّضَه الله عنهما بأوْلادهما ، فما منهم إلَّا نَجيبٌ صَدْر/ رَئيسٌ فاضِلٌ مذكور . وما ماتَ حتى صارَ جَدَّ جِد ، وهو عليُّ المكانة وافِرُ الحُرْمَة ، في ليلة الجُمُعَة مستهلّ ذي الحِجَّة سنة سبعٍ وسبعين وستّ مائةٍ ، ودُفِنَ بتُرْبَتِه من قَرافَة مصر . ٣٧١:٢

ووَزَرَ من بعدِه الصَّاحِبُ بُرْهانُ الدِّين الخِضْرُ بن حَسَن بن عليّ السِّنْجاري ، وكان بينه وبين ابن حِنَّا عَداوَةٌ ظاهِرَةٌ وباطِنَة ، وحُقودٌ بارِزَةٌ وكامِنَة . فأَوْقَع الحَوْطَةَ على الصَّاحِب تاج الدِّين محمد بن حِنَّا بدِمَشْق ، وكان مع الملك السَّعيد بها ، وأَخَذَ خِطَّةً بمائة ألف دينار ، وجَهَّزَه على البَريد إلى مصر ليَسْتَخْرِجَ منه ومن أخيه زَيْن الدِّين أحمد وابن عمه عِزّ الدِّين تكملة ثلاث مائة ألف دينار ، وأُحيطَ بأَسْبابِه ومن يَلُوذُ به من أَصْحابِه ومَعارِفِه وغِلْمانِه ، وطُولِبوا بالمال .

وأوَّلُ من دَرَّسَ بهذه المَدْرَسَة الصَّاحِبُ فَخْرُ الدِّين محمد ، ابن بانيها الوَزير الصَّاحِب بَهاء الدِّين ، إلى أن ماتَ يوم الاثنين حادي عشرين شَعْبان سنة ثمانٍ وستين وستّ مائةٍ . فوَلِيَها من بعده ابنه مُحيي الدِّين أحمد بن محمد ، إلى أن توفي يوم الأحد ثامن شَعْبان سنة اثنتين وسبعين وستّ مائةٍ . فدَرَّسَ فيها بعده الصَّاحِبُ زَيْنُ الدِّين أحمد بن الصَّاحِب فَخْر الدِّين محمد ابن الصَّاحِب بهاء الدِّين إلى أن ماتَ في يوم الأربعاء سابع صَفَرَ سنة أربعٍ وسبع مائةٍ . فدَرَّس بها وَلَدُه الصَّاحِبُ شَرَفُ الدِّين . وتَوارَثَها أَبْناءُ الصَّاحِب ، يَلُون نَظَرَها إلى أن كان آخرُهم صاحِبَنا الرَّئيسَ شَمْسَ الدِّين محمد بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن الصَّاحِب بَهاء

الدِّين[1] وليها بعد أبيه عِزّ الدِّين، ووَلِيها عزُّ الدِّين بعد بَدْر الدِّين أحمد بن محمَّد بن محمَّد ابن الصَّاحِب بَهاء الدِّين. فلمَّا ماتَ صاحِبُنا شَمْسُ الدِّين محمد بن الصَّاحِب لليلةٍ بقيت من جُمادَىٰ الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمان مائةٍ، وَضَعَ بعضُ نُوَّابِ القُضَاة يَدَه على ما بقي لها من وَقْف.

وأقامَت هذه المَدْرَسَةُ مُدَّةَ أعْوامٍ معطَّلةً من ذِكْر الله وإقامِ الصَّلاة، لا يأويها أَحَدٌ لخَرابِ ما حَوْلَها، وبها شَخْصٌ يَبِيتُ بها كي لا يُسْرَقَ ما بها من أبْوابٍ ورُخام.

وكان لها خِزانَةُ كُتُبٍ جَليلَة، فنَقَلَها شَمْسُ الدِّين محمد بن الصَّاحِب وصارَت تحت يَدِه إلى أن مات، فتفرَّقت في أيْدي النَّاس، وكان قد عَزَمَ على نَقْلِها إلى شاطئ النِّيل بمصر، فماتَ قبل ذلك.

ولمَّا كان في سنة اثنتي عشرة وثمان مائةٍ أخَذَ الملكُ النَّاصِرُ فَرَجَ بن بَرْقُوق عُمُدَ الرُّخام التي كانت بهذه المَدْرَسَة - وكانت كثيرةَ العَدَدِ، جَليلَة القدر - وعَمِلَ بَدَلَها دَعائِمَ تَحْمِل السُّقُوف؛ إلى أن كانت أيَّامُ الملك المؤيَّد شَيْخ، ووَلِيَ الأمير تاج الدِّين الشَّوْبَكي الدِّمَشْقي ولاية القاهِرَة ومصر وحِسْبَة البَلَدَيْن وشَدّ العَمائِر السُّلْطانِيَّة، فهَدَمَ هذه المَدْرَسَة في أُخْريات سنة سبع عشرة وأوائِلِ سنة ثماني عشرة وثمان مائةٍ. وكانت من أَجَلِّ مَدارِس الدُّنْيا، وأَعْظَم مَدْرَسَةٍ بمصر يَتَنافَس النَّاسُ من طَلَبَةِ العِلْم في التَّنَزُّل[a] بها، ويَتَشاحَنون في سُكْنى بيوتِها، حتى يَصير البَيْتُ الواحِد من بيوتها يَسْكُن فيه الاثنان من طَلَبَة العِلْم والثلاثة؛ ثم تَلاشَى أَمْرُها حتى هُدِمَت، وسيُجْهَل عن قَريبٍ مَوْضِعُها؛ ولله عاقِبَةُ الأمُور.

المَدْرَسَةُ الصَّاحِبِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بالقاهِرَة في سُوَيْقَة الصَّاحِب، كان مَوْضِعُها من جُمْلَة دارِ الوَزير يَعْقُوب ابن كِلِّس، ومن جُمْلَة دارِ الدِّيباج. أنشأها الصَّاحِبُ صَفِيُّ الدِّين عبد الله بن عليّ بن شُكْر،

a) بولاق: التزول.

[1] انظر ترجمة شمس الدِّين محمد بن أحمد بن محمد ابن الصَّاحب بهاء الدِّين، المتوفى سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م، عند المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٢٠٥-٢٠٦؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٤٧٥، ذيل الدرر الكامنة ٢١١؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٩: ٨٨؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٢٧٨؛ السخاوي: الضوء اللامع ٧: ٨٨.

وجعلها وَقْفًا على المالِكِيَّة ، وبها دَرْسُ نَحْوٍ وخِزانَةُ كُتُب ، وما زالَت بيد أَوْلادِه .

فلمَّا كان في شَعْبانٍ سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مائةٍ ، جَدَّدَ عِمارَتها القاضي عَلَمُ الدِّين إبراهيم ابن عبد اللَّطيف بن إبراهيم ـ المعروف بابن الزُّبَيْر ـ ناظِر الدَّوْلَة في أيَّام الملك النَّاصِر حَسَن ابن محمد بن قَلاوون ، واسْتَجَدَّ فيها مِنْبَرًا ، فصار يُصَلِّي بها الجُمُعَة إلى يومنا هذا ، ولم يكن قبل ذلك بها مِنْبَر ، ولا تُصَلَّى فيها الجُمُعَة [1].

عبدُ اللّه بن علي بن الحُسَيْن بن عبد الخالِق بن الحُسَيْن بن الحَسَن بن مَنْصور بن إبراهيم ابن عَمَّار بن مَنْصور بن عليّ ، صَفِيّ الدِّين أبو محمد الشَّيْبي الدَّميري المالِكِي ـ المعروف بابن شُكْر [2] ـ وُلِدَ بناحية دَمِيرَة ، إحْدى قُرَىٰ مصر البَحْرية ، في تاسع صَفَر سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مائةٍ ، وماتَ أبوه ، فتَزَوَّجت أُمُّه بالقاضي الوَزير الأعزّ فَخْر الدِّين مِقْدام ، ابن القاضي الأَجَلّ أبي العَبَّاس أحمد بن شُكْر المالِكِي ، فرَبَّاه وَنَوَّه باسمه لأنَّه كان ابن عمِّه ، فعُرِفَ به وقيل له ابن شُكْر .

وسَمِعَ صفيّ الدِّين من الفَقيه أبي الطَّاهِر إسْماعيل بن مَكّي بن عَوْف ، وأبي الطَّيِّب عبد المنعم ابن يَحْيى وغيره ، وحَدَّثَ بالقاهِرَة ودِمَشْق ، وتَفَقَّه على مَذْهَب مالِك ، وبَرَعَ فيه ، وصَنَّفَ كِتابًا في الفِقْه كان كلُّ من حَفِظَه نالَ منه حَظًّا وافِرًا ، وقَصَدَ بذلك أن يَتَشَبَّه بالوَزير عَوْن الدِّين ابن هُبَيْرَة (a وَزير العِراقِ a) [3].

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة .

---

[1] كانت المَدْرَسَةُ الصَّاحِبِيَّة تقع بين المَدْرَسَة الزِّمامية (جامع الدَّاودي) وبين المَدْرَسَة الفَخْرية (جامع أبي سعيد جَقْمَق) في آخر دَرْب سَعادَة . ذكر علي باشا مبارك أنَّه بنيت في موضعها الزاوية المعرفة بزاوية بَيْرَم (الخطط التوفيقية ٦:٥٧ (٢١)) . بينما ذكر محمد بك رمزي أنَّ هذه المدرسة قد اندثرت واستولى على أرضها أصحابُ الدور المجاورة لها ولم يبق من آثارها إلَّا بعض جُدْران قُبَّة قديمة لعلَّها موضع القُبَّة التي دُفن تحتها الوزير الفاطمي يعقوب بن كِلِّس . ويَشغل مكان هذه المَدْرَسَة الآن منزلان متجاوران رقم ٨ بشارع الوزير (السلطان) الصَّاحب (وهو الذي كان يعرف قديمًا باسم سويقة الصَّاحِب وكان فيه باب المَدْرَسَة) ، ورقم ٤ بزُقاق سعادَة بعَطْفَة السِّتّ بيرم بشارع دَرْب سَعادَة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦:٢٨٠-٢٨١هـ [3]) .

[2] انظر ترجمته كذلك عند ، المنذري : التكملة لوفيات النقلة ٣:١٥٧-١٥٨؛ أبي شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ١٤٧؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٢:٢٩٤-٢٩٥؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٧:٣٢٧-٣٣٠؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤:٥٩٥-٦٠٢؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٦: ٢٦٣.

[3] الوزير عَوْن الدِّين يحيى بن هُبَيْرَة وزير المُقْتَفي لأمرِ الله=

كانت بدايةُ أَمْرِه أنّه لمّا سَلّم السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب أَمْرَ الأُسْطول لأخيه الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب ، وأَفْرَدَ له من الأبْوابِ الدِّيوانِيَّة الزَّكاة بمصر والحَبْس الجُيُوشي بالبَرَّيْن والنَّطْرون والخَراج[a] وما معه من ثَمَن القِرْط وسَاحِل السَّنْط والمراكِب الدِّيوانية وأشنى وطَنْدَي [1] ، اسْتَخْدَمَ العادِلُ في مُباشَرَة دِيوان هذه المعاملة الصَّفِيّ بن شُكْر هذا ، وكان ذلك / في سنة سبعٍ ٣٧٢:٢ وثمانين وخمس مائةٍ .

ومن حينئذٍ اشْتُهِرَ ذِكْرُه ، وتَخَصَّصَ بالملك العادِل ، فلمّا اسْتَقَلَّ بمملكة مصر في سنة ستٍّ وتسعين وخمس مائةٍ ، عَظُمَ قَدْرُه ، ثم اسْتَوْزَرَه بعد الصَّنيعَة ابن النَّجّار ، فحَلَّ عنده مَحَلَّ الوُزَرَاء الكِبار والعُلماءِ المشاورين ، وباشَر الوَزارَة بسَطْوَةٍ وجَبَروتٍ وتَعاظُم ، وصادَرَ كُتَّابَ الدَّوْلَة واسْتَصْفَى أَمْوالَهُم . ففَرَّ منه القاضي الأَشْرَف ابن القاضي الفاضِل إلى بغْداد ، واسْتَشْفَع بالخَليفَة النَّاصِر ، وأَحْضَر كِتابَه إلى الملك العادِل يَشْفَع فيه . وهَرَبَ منه القاضي عَلَمُ الدِّين إسماعيل ابن أبي الحَجَّاج صاحِب ديوان الجَيْش ، والقاضي الأَسْعَد أَسْعَد بن مَمَّاتي صَاحِب ديوان المال ، والتجأ إلى الملك الظَّاهِر بحَلَب ، فأقاما عنده حتى ماتا .

وصادَر بني حَمْدان ، وبني الحُبَاب ، وبني الجَلِيس ، وأكابِر الكُتَّاب والسُّلْطانُ لا يُعارِضُه في شيءٍ . ومع ذلك فكان يُكْثِر التَّعَصُّبَ على السُّلْطانِ ، ويَتَجَنَّى عليه وهو يحتمله ، إلى أن غَضِبَ في سنةِ سبعٍ وستّ مائةٍ ، وحَلَفَ أنَّه ما بقيَ يَخْدِم ، فلم يَحْتَمله ، وولَّى الوَزارة عِوَضًا عنه القاضي الأَعَزّ فَخْر الدِّين مِقْدام بن شُكْر ، وأَخْرَجَه من مصر بجَميع أَمْوالِه وحُرَمِه وغِلْمانِه ، وكان نَقْلُه على ثلاثين جَمَلًا ، وأَخَذَ أَعْداؤه في إغْراءِ السُّلْطانِ به ، وحَسَّنوا له أن يأخُذَ مالَه ، فأَبَى عليهم ، ولم يأْخُذ منه شيئًا .

---

a) بولاق : الخراج .

= العَبّاسي ، المتوفى سنة ٥٦٠هـ/١١٥٦م (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ : ٢٣٠-٢٤٤) .

[1] هناك مَدينتان باسم أَشْني (أو أشنين) وطَنْبَدي (أو طَنْبَدي) . الأولى من كفور البَتْنون من أعمال المنوفية بالوَجْه البَحْري . وقد احتفظت طَنْبَدي باسمها ، أمّا أَشْني فلأنّها كانت من توابع طَنْبَدي فقد عرفت من العهد العثماني بكَفْر طَنْبَدي (علي مبارك : الخطط التوفيقية ١٣ : ١٢٤ (٤٣) ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٢ : ١٩٢) .

والثانية من أعمال البَهْنَسا بصعيد مصر ، وكانتا تعرفان بالعروستين لحسنهما ، وهي الآن بمركز مَغاغَة بمحافظة المنيا . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ١٣ : ١٢٤-١٢٨ (٤٤-٤٥) ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/ ٣ : ٢٤٣ ، ٢٤٩) .

وصارَ إلى آمِد ، فأقامَ بها عند ابن أُرْتُق إلى أن ماتَ المَلكُ العادِلُ في سنة خمسٍ[a] وستّ مائةٍ فطَلَبَه المَلكُ الكامِلُ محمد ابن الملك العادِل لمَّا استبدَّ بسَلْطَنَة دِيارِ مصر بعد أبيه ، وهو في نَوْبَةِ قِتالِ الفِرنْج على دِمْياط ، حين رأى أنَّ الضَّرورَة داعيةٌ لحُضُوره بعدما كان يُعاديه . فقَدِمَ عليه في ذي القعدة منها ، وهو بالمَنْزِلَة العادِلية قَريبًا من دِمْياط ؛ فتلقَّاه وأَكْرَمَه ، وحادَثَه فيما نَزَلَ به من مَوْتِ أبيه ، ومُحارَبَة الفِرنْج ، ومُخالَفَة الأمير عِماد الدِّين أحمد بن المَشْطوب ، واضْطرابِ أرْضِ مصر بثَوْرَةِ العُرْبان وكَثْرَة خِلافِهم . فشجَّعه ، وتَكَفَّلَ له بتَحْصيلِ المالِ وتَدْبيرِ الأُمُور . وسارَ إلى القاهِرَة ، فوَضَعَ يَدَهُ في مُصادرات أرْبابِ الأمْوال بمصر والقاهِرَة من الكُتَّاب والتُّجّار ، وقَرَّرَ على الأمْلاكِ مالًا ، وأَحْدَثَ حَوادِثَ كثيرة ، وجَمَعَ مالًا عَظيمًا أَمَدَّ به السُّلْطان . فكَثُرَ تمكُّنه منه ، وقَوِيَت يَدُه ، وتَوَفَّرت مَهابَتُه بحيث إنَّه لمَّا انْقَضَت نَوْبَةُ دِمْياط ، وعادَ المَلكُ الكامِلُ إلى قَلْعَةِ الجَبَلِ ، كان يَنْزِل إليه ، ويَجْلِس عنده بمَنْظَرَتِه التي كانت على الخَليج ، ويَتَحدَّث معه في مُهِمَّاتِ الدَّوْلَة . ولم يَزَل على ذلك إلى أن ماتَ بالقاهِرَة ، وهو وَزير ، في يوم الجُمُعَة ثامِن شَعْبان سنة اثنتين وعشرين وستّ مائةٍ .

وكان بعيدَ الغَوْر ، جَمَّاعًا للمالِ ضَابِطًا له من الإنْفاقِ في غير واجِبٍ ، قد ملأَت هَيْبَتُه الصُّدُورَ ، وانْقادَ له على الرَّغْم والرِّضا الجُمْهورُ ، وأَخْمَدَ جَمَرات الرِّجال ، وأَضْرَمَ رَمادًا لم يَخْطِر إيقادُه على بال . وبَلَغَ عند الملك الكامِل بحيث إنَّه بَعَثَ إليه بابنيه الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب والملك العادِل أبي بكر ، ليزوراه في يوم عيدٍ ، فقاما على رَأْسِه قِيامًا ، وأَنْشَدَ زكيُّ الدِّين أبو القاسِم عبد الرَّحْمٰن بن وُهَيْب القُوصي[1] قَصيدَةً ، زادَ فيها حين رأى الملكين قِيامًا على رَأْسِه .

[الكامل]

لَوْ لَمْ تَقُم في الله[b] حَقَّ قِيامِه　　ما كنتَ تَقْعُدُ والمُلُوكُ قِيامُ

وقَطَعَ في وَزارَتِه الأَرْزاقَ ، وكانت جملتها أربع مائة ألف دينار في السنة ، وتَسارَعَ أَرْبابُ الحَوائج والأطْماع ومن كان يَخافُه إلى بابِه ، وملأوا طُرُقاتِه -وهو يُهينُهم- ولا يَحْفَل بشَيخٍ منهم وهو عالِم ، وأَوْقَعَ بالرُّؤَساءِ وأَرْبابِ البُيُوت ، حتى اسْتأْصَل شأْفَتَهم عن آخِرِهم ، وقَدَّم الأَراذِلَ في مَناصِبِهم .

---

a) بولاق : خمسين . b) بولاق : لله .

---

[1] انظر ترجمة ابن وُهَيْب القُوصي ، المتوفى سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م ، عند ، المنذري : التكملة لوفيات النقلة ٣: ٣٧٧؛ الأدفوي : الطالع السعيد ٢٨٧- ٢٨٩؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨: ٣٠٥- ٣٠٨.

وكان جَلْدًا قويًّا، حَلَّ به مَرَّةً دُوسُنْطاريا قوية وأَزْمَنَت، فيَئِس منه الأَطِبّاءُ، وعندما اشْتَدَّ به الوَجَعُ وأَشْرَفَ على الهَلاكِ، اسْتَدْعَى بعشرةٍ من وُجُوهِ الكُتّاب كانوا في حَبْسِه، وقال: أنتم في راحَةٍ وأنا في الأَلَم، كَلّا والله! واسْتَحْضَر المعاصير وآلات العَذاب وعَذَّبَهم، فصاروا يَصْرُخون من العَذاب، وهو يَصْرُخ من الأَلَم طُولَ اللَّيْل إلى الصُّبْح، وبعد ثلاثة أيّامٍ ركب.

وكان يقول كثيرًا: لم يَبْقَ في قَلْبي حَسْرَةٌ إلّا كَوْن أنَّ[a] البَيْساني لم تَتَمَرَّغ شَيْبَتُه على عَتَباتي - يعني القاضي الفاضِل عبد الرَّحيم البَيْساني فإنَّه ماتَ قبل وَزارَته - وكان دُرّي اللَّوْن تَعْلوه حُمْرَة، ومع ذلك فكان طَلْقَ المُحَيّا، حُلْوَ اللِّسان، حَسَنَ الهَيْئَة، صاحِبَ دَهاءٍ، مع هَوَجٍ وخُبْثٍ، في طَيشٍ ورُعُونَةٍ مُفْرِطَةٍ، وحِقْدٍ لا تَخْبو نارُه، ينتقم ويظنّ أنَّه لم يَنْتَقِم فيعود.

وكان لا يَنامُ عن عَدُوِّه، ولا يقبل مَعْذِرَةَ أَحَدٍ، ويتَّخذ الرُّؤَساءَ كلَّهم أعْداءَه، ولا يرضى لعَدُوِّه بدون الهَلاك والاسْتِئْصال، ولا يَرْحَم أَحَدًا إذا انتقم منه، ولا يُبالي بعاقِبَةٍ، وكان له ولأَهْلِه كلمةٌ يرونها ويعملون بها كما يُعْمَل بالأَقْوالِ الإلهية وهي «إذا كنت دُقْماقًا فلا تَكُن وَتِدًا»، وكان الواحِدُ منهم يُعيدُها في اليوم مَرّات، ويجعلها حُجَّةً عند انْتِقامِه.

وكان قد اسْتَوْلَى على الملك العادِل ظاهِرًا وباطِنًا، ولا يُمَكِّن أحَدًا من الوُصُول إليه حتى الطَّبيب والحاجِب والفَرّاش عليهم عُيُونٌ له، لا يتكلَّم أحَدٌ منهم فَضْل كلمة خَوْفًا منه وكان أكبر أَغْراضِه إبادَة أَرْبابِ / البُيُوت، ومَحْو آثارِهم، وهَدْم ديارِهم، وتَقْريب الأَسْقاط وشِراء الفُقَهاء. ٣٧٣:٢ وكان لا يأخُذ من مالِ السُّلْطان فِلْسًا ولا ألف دينار، ويُظْهِر أمانَةً مُفْرِطَةً، فإذا لاحَ له مالٌ عَظيمٌ احْتَجَبَه؛ وبَلَغَ إقطاعُه في السنة مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار.

وكان قد عَميَ، فأَخَذَ يُظْهِر جَلَدًا عَظيمًا وعَدَم اسْتِكانَة إذا حَضَرَ إليه الأُمَراءُ والأَكابِرُ، وجَلَسُوا على خِوانِه، يقول قَدِّمُوا اللَّوْنَ الفُلاني للأمير فُلان والصَّدْرِ فُلان، والقاضي فُلان، وهو يَبْني أُمورَه في مَعْرِفَة مَكانِ المُشار إليه برموزٍ ومُقَدِّمات يُكابِر فيها دَوائِر الزَّمان [b]ويَرُوم رُجُوعَ الفائِت حتى دَخَلَ في خَبَرِ كان[b].

وكان يَتَشَبَّه في تَرَسُّله بالقاضي الفاضِل، وفي مُحاضَراتِه بالوَزير عَوْن الدِّين بن هُبَيْرَة حتى اشْتَهَرَ عنه ذلك ولم يَكُن فيه أَهْلِيَّة هذا، ولكنه كان من دُهاةِ الرِّجال. وكان إذا لَحَظَ شَخْصًا لا يَقْنَع له إلّا بكثرة الغِنَى ونهاية الرِّفْعَة، وإذا غَضِبَ على أحَدٍ لا يَقْنَع في شأنِه إلّا بمَحْوِ أَثَرِه من

---

a) ساقطة من بولاق. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة.

الوُجودِ، وكان كثيرًا ما يُنْشِد:

[البسيط]

إذا وَتَرْت[a] امْرأً فاحْذَر عَداوَتَه   مَنْ يَزْرَع الشَّوْكَ لم يَحْصُد به عِنبًا

ويُنْشِدُ كثيرًا:

[الطويل]

تَوَدُّ عَدُوّي ثم تَزْعُم أنّني   صَديقُك، إنَّ الرأيَ منك[b] لعازِب

وأَخَذَه مرّةً مَرَضٌ من حُمًّى قَوِيَّة، وحَدَثَ به النّافِض وهو في مَجْلِسِ السُّلْطان يُنَفِّذ الأشْغال، فما تأثَّر، ولا أَلْقَى جَنْبَه إلى الأرْض حتى ذَهَبَت وهو كذلك.

وكان يتعزَّر على الملوك الجَبابِرَة، وتقف الرُّؤساءُ على بابِه من نِصْفِ اللَّيْل ومعهم المشاعِلُ والشَّمْعُ، وعند الصَّباح يركب فلا يراهم ولا يرونه، لأنَّه إمَّا أن يَرْفَع رأسَه إلى السَّماءِ تِيهًا، وإمَّا أن يُعَرِّج إلى طَريقٍ غير التي هم بها، وإمَّا أن يأمُر الجَنادِرَة التي في ركابِه بضَرْبِ النَّاس وطَرْدِهم من طَريقِه، ويكون الرَّجُلُ قد وَقَفَ على بابِه طُولَ اللَّيْل، إمَّا من أوَّلِه أو من نِصْفِه بغِلْمانِه ودَوابِّه، فيُطْرَد عنه ولا يَراه.

وكان له بَوَّابٌ يأخُذُ من النَّاسِ مالاً كثيرًا، ومع ذلك يُهينُهم إهانَةً مُفْرِطَةً، وعليه للصَّاحِب في كلِّ يوم خمسة دنانير، منها ديناران برَسْم الفُقَّاع، وثلاثة دنانير برَسْم الحَلْوَى وكُسْوَة غِلْمانِه، ونَفَقَاتِه عليه أيضًا، ومع ذلك اقْتَنَى عَقارًا وقُرَى.

ولمَّا كان بعد مَوْتِ الصَّاحِب، قَدِمَ من بَغْداد رَسُولُ الخَليفَةِ الظَّاهِر ـ وهو مُحيي الدِّين أبو المُظَفَّر بن الجَوْزي ـ ومعه خِلْعَةُ الخَليفَة للمَلِك الكامِل، وخِلَع لأَوْلادِه، وخِلْعَة للصَّاحِب صَفيّ الدِّين، فلَبِسَها فَخْرُ الدِّين سُلَيْمان كاتِب الإنْشاء.

وقَبَضَ الملكُ الكامِلُ على أَوْلادِه: تاج الدِّين يُوسُف وعِزّ الدِّين محمد وحَبَسَهُما، وأَوْقَعَ الحَوْطَةَ على سائِر مَوْجودِه. رَحِمَه الله وعَفَا عنه.

المَدْرَسَةُ الشّريفيّة

هذه المَدْرَسَةُ بدَرْبِ كُرْكامَة، على رأسِ حارَة الجَوْذَرِيَّة من القاهِرَة [c]وخُطّ طَواحين المِلْحيين، وهي بالقُرْبِ من المَدْرَسَة الكُهارية على يَسْرَة السَّالِك منها إلى خُطّ طواحين المِلْحيين[c] [1]، وَقَفَها

a) بولاق: حفرت. b) بولاق: عنك. c-c) إضافة من المُسْوَدَة.

[1] انظر فيما تقدم ٣: ١٢٤؛ وفيما يلي ٦٧٨.

الأميرُ الكبيرُ الشَّريفُ فَخْرُ الدِّين أبو مَنْصُور[a] إسماعيل بن حِصْن الدَّوْلَة فَخْر العَرَب ثَعْلَب ابن يَعْقُوب بن مُسْلم بن أبي جَميل دِحْيَة بن جَعْفَر بن مُوسَىٰ بن إبراهيم بن إسْماعيل بن جَعْفَر ابن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جَعْفَر بن أبي طالِب الجَعْفَري الزَّيْنَبي، أمير الحاج والزَّائرين وأَحَدُ أُمَرَاءِ مصر في الدَّوْلَة الأَيُّوبية[b]، وتَمَّت في سنة اثنتي عشرة وستّ مائةٍ، وهي من مَدارِس الفُقَهاء الشَّافِعِيَّة[1].

قال ابنُ عبد الظَّاهِر [c]في «الخِطَط»[c]: وجَرَى له في وَقْفِها حِكَايَةٌ مع الفَقيه ضِياءِ الدِّين ابن الوَرَّاق. وذلك أنَّ الملك العادِل سَيْف الدِّين أبا بكر - يعني ابن أيُّوب - لمَّا مَلَكَ مصر[d] - وكان دَخَلَها على أنَّه نائِبٌ للملك المَنْصور محمد بن العَزيز عُثْمان بن صَلاح الدِّين يُوسُف، فقوي عليه، وقَصَدَ الاسْتِبْداد بالمُلْك - فأَحْضَرَ النَّاسَ للحَلْف، وكان من جملتهم الفَقيهُ ضِياءُ الدِّين ابن الوَرَّاق، فلمَّا شَرَعَ النَّاسُ في الحَلْف، قال الفَقيهُ ضِياءُ الدِّين: ما هذا الحَلْف؟ بالأمس حَلَفْتم للمَنْصور، فإن كانت تلك الأَيْمانُ باطِلَةً فهذه باطِلَةٌ، وإن كانت تلك صَحيحَةً فهذه باطلةٌ. فقال الصَّاحِبُ صِفِيُّ الدِّين بن شُكْر للعادِل: أَفْسَدَ عليك الأُمورَ هذا الفقيه - وكان الفَقيهُ لم يَحْضُر إلى ابن شُكْر ولا يُسَلِّم عليه - فأَمَرَ العادِلُ بالحَوْطَةِ على جَميع مَوْجُودِ الفَقيه وأَمْلاكِه ومالِه واعْتِقالِه بالرَّصْد مُرَسَّمًا عليه فيه، لأنَّه كان مَسْجِدَه، فأَقامَ مُدَّة سنين على هذه الصُّورَة.

فلمَّا كان في بعض الأيَّام وَجَدَ عِدَّةً من المُتَرَسِّمين، فحَضَرَ إلى دارِ الوَزارَة بالقاهِرَة. فبَلَغَ العَادِلَ حُضُورُه فَخَرَج إليه، فقال له الفَقيه: اعْلَم أنّي والله لا حالَلْتك ولا أَبْرَأْتك، أنت تَتَقَدَّمني إلى الله في هذه المُدَّة، وأنا بَعْدَك أطالِبك بين يدي الله، وتَرَكَه وعادَ إلى مَكانِه. فحَضَرَ الشَّريفُ

---

a) بولاق: أبو نصر. b) في المُسَوَّدَة: أحد أمـراء السلطان الملك العادل الكبير سيف الدِّين أبي بكر بن أيُّوب. c-c) إضافة من المُسَوَّدَة. d) في الروضة البهية: لما كان أتابك المنصور بن العزيز.

---

[1] ظَلَّت هذه المَدْرسةُ قائمةً على رأس حارة الجوذرية قُرْب الفَحّامين بالغورية، ولمَّا تخَرَّبت جَدَّدَها السيد أحمد ابن الشيخ عبد السّلام المغربي سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٩م وغَيَّرَ معالمها وجَعَلَها زاويةً للصَّلاة، ثم عُرِفَت بزاوية ابن العَرَبي نسبةً إلى الشيخ المُحَدِّث علي بن العَرَبي الفاسي المصري الشهير بالسَّقَّاط، المتوفى سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م، والذي دُفِنَ بها. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٩:٦ (٨)، ٤٧-٤٨ (١٨)).

وانظر ما كتبه أندريه ريمون عن الشيخ أحمد بن عبد السلام المغربي شاهبندر تجار القاهرة مُجَدِّد المَدْرسة Raymond, A., «Ahmad ibn ʿAbd al-Salân . Un Shâh Bandar des Tuggâr au Caire à la fin du XVIII ᵉ sicècle», *An.Isl.* VII (1967), pp. 91-95.

فَخْرُ الدِّين بن ثَعْلَب إلى الملك العَادِل ، فوَجَدَه مُتألِّمًا حَزِينًا ، فسألَه ، فعَرَّفَه ، فقال : يا مَوْلانا ، ولم تجرِّب[a] السُّمّ في نفسك ؟ فقال : خُذْ كلَّ ما وَقَعَت الحَوْطَة عليه له[b]، وكلَّ ما اسْتُخْرِجَ من أُجْرة أمْلاكِه ، وطَيِّب خاطِره .

٣٧٤:٢ وأمَّا الفَقيه ضِياء الدِّين ، فإنَّه أصبح ، وحَضَرَت إليه جَماعَةٌ من الطَّلَبَة / للقِراءَة عليه ، فقال لهم : رأيتُ البارِحَة النَّبِيّ ﷺ وهو يقول : يكون فَرَجُك على يد رَجُلٍ من أهْلِ بيتي صَحيح النَّسَب . فهم[c] في الحَديث ، وإذا بغَبَرَة ثارَت من جِهَة القَرافَة ، فانْكَشَفَت عن الشَّريف ابن ثَعْلَب ومعه الموجود كلُّه . فلمَّا حَضَرَ عَرَّفَه الجَماعَةُ المنام ، فقال : يا سَيِّدي اشْهَد عليَّ أنَّ جَميعَ ما أمْلكه وَقْفٌ وَصَدَقَة ، شكرًا لهذه الرُّؤْيا .

وخَرَجَ عن كلِّ ما يملُكه ، وكان من جملة ذلك المَدْرَسَة الشَّريفية لأنَّها كانت سَكَنَه[d]، ووَقَفَ عليها أمْلاكَه ، وكذلك فَعَلَ في غيرها .

ولم يُحالِل الفَقيه الملك العادِل ، وماتَ الملكُ العادِل بعد ذلك ، وماتَ الفَقيهُ بعده بمُدَّةٍ [e] [1]، وماتَ الشَّريفُ إسْماعيل بن ثَعْلَب بالقاهِرَة في سابع عَشَرَ رَجَب سنة ثلاثَ عشرةَ وستَّ مائةٍ[2].

---

a) بولاق : تجرد . b) له ، ساقطة من بولاق . c) بولاق : فبينما هم . d) بولاق : مسكنه . e) بياض في آياصوفيا .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٩١- ٩٢.

[2] ما تزال بقايا ضَريح الشَّريف ابن ثَعْلَب (مَدْخَلٌ وإيوانٌ مُقَبَّى) قائمةً بالقرب من قُبَّة الإمام الشَّافعي بشارع سيدي عُقْبَة ومسجلة بالآثار برقم ٢٨٢، وتعرف بـ «مَشْهَد الثَّعالبة» و«إيوان الثَّعالبة» ، وعليها كتابةٌ تاريخية نصُّها :

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم . ـ الآية ١٠ سورة الفرقان ـ أمَرَ بإنشاء هذه التُّرْبة المباركة لنفسه الشَّريف السَّيِّد الأمير الحسيب النَّسيب فَخْر الدِّين أمير الحاج والحَرَمَيْن ذو الفَخْرَيْن نَسيبُ أمير المؤمنين أبو مَنْصور إسماعيل ابن الشَّريف الأجَلّ حِصْن الدِّين ثَعْلَب بن يعقوب بن مسلم ابن أبي حميد الجَعْفَري الزَّيْنَبي . وكان الفَراغُ منها في رَجَب سنة ثلاث عشرة وستّ مائة ، رحمه الله» (van Berchem, M. *CIA* Égypte I, n° 58; Wiet, G., *RCEA* X, n° 3789).

وراجع ، ابن الزيات : الكواكب السيارة ٢١٧:١، ٣٢٠:٢؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 77-80؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٣٦:٢- ٣٧؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ١٩٢:٢- ١٩٧؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٩٩٥:١-١٠٠٤).

المَدْرَسَةُ الصَّالِحِيَّة

[أثر رقم ٣٨]

هذه المَدْرَسَةُ بخُطِّ بَيْن القَصْرَيْن من القاهِرَة [١]. كان مَوْضِعُها من جُمْلَة القَصْر الكَبير الشَّرْقي، فبَنَى فيه الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب [a]بن الكامِل محمد بن العادِل أبي بكر ابن أيُّوب[a] هاتين المَدْرَسَتَيْن، فابتدأ بهَدْمِ مَوْضِعِ هذه المَدارِس في قِطْعَةٍ من القَصْر، في ثالِث عشر ذي الحِجَّة سنة تسعٍ وثلاثين وستِّ مائةٍ، ودَكَّ أساسَ المدارِس في رابع عشر رَبيع الآخر سنة أربعين [٢]، ورَتَّبَ فيها دُرُوسًا أربعة للفُقَهاءِ المُنْتَمين إلى المَذاهِب الأربعة في سنة إحدى وأربعين وستِّ مائةٍ [٣]. وهو أوَّلُ من عَمِلَ بديار مصر دُرُوسًا أربعة في مكانٍ واحِد[b].

a-a) ساقطة من بولاق. b) واحد: ساقط من بولاق.

[١] ما زالَت بقايا المَدارِس الصَّالحيَّة موجودةً في شارع المُعِزّ لدين الله في مواجهة مجموعة قَلاوون، وهي أوَّلُ مَدْرَسَةٍ يُدَرَّس فيها فِقْهُ المذاهِب الأربعة في القاهرة، ولكن تَخْطيطَها لم يكن تَخْطيطًا مُتعامِدًا مثل مَدارِس العصر المملوكي، وإنَّما كانت مبنًى مستطيلًا غير متساوي الأضلاع، وتحتلُّ قاعاتُ المدارِس جانبي هذا المستطيل في كلِّ جانبٍ قاعاتان. وقد انْدَثَرت أبنيةُ هذه المدارِس الداخلية وتبقَّى منها إيوانُ الفُقَهاء المالكية المجاور لقُبَّة الملك الصَّالح، وبوَّابةُ المدارس وواجهتُها الشمالية ومئذنَتُها القائمة فوق البَوَّابَة الرئيسة، وترتفع قِمَّتُها عن سَطْح الأرض ٣٢ مترًا بنيت كلُّها من الآجُرّ، بينما بُنِيَت الواجهةُ من الحجارَة المصقولة. (راجع لتفاصيل أكثر عن تَخْطيط المَدْرَسَة وعناصرها المعمارية Herz Bey, M., «Mosquée et tombeau du sultan Saleh Negm el-Din Ayyoub», *BIE* quatrième série 5 (1904), pp. 25-31; Patricolo, A., «La double madrasah et le tombeau de Saleh Nagm ad-Din Ayyoub», *Comité de conservation, exercice* 1915-19, pp. 43-44; Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 94-100 أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ٢: ٦٠-٧٥؛ Golvin, L., La *Madrasa médiéval*, pp. 105-8; Hampikian, N., «Restoration of the Mausoleum of al-Sâlih Najm al-Dîn Ayyûb», in *The Restoration and Conservation of Islamic Monuments in Egypt* (ed. Jere Bacharach), Cairo 1995, pp. 46-58; id., «Restoration of the Minaret of al-Sâlihiyya madrasa in Cairo», *Erhalten historisch bedeutsamer Bauwerke 14*, Universität Karlsruhe 1996, pp. 175-80; id., *Complex of al-Salihiyya, Transformations through Time and a Proposal for the Future* (in press); Korn, L., «The Façade of as-Sâlih Ayyûb's Madrasa and the Style of Ayyûbid Architecture in Cairo», in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluke Eras*, U. Vermeulen and J. Van Steenbergen (eds.), Leuven 2001, pp. 101-21.

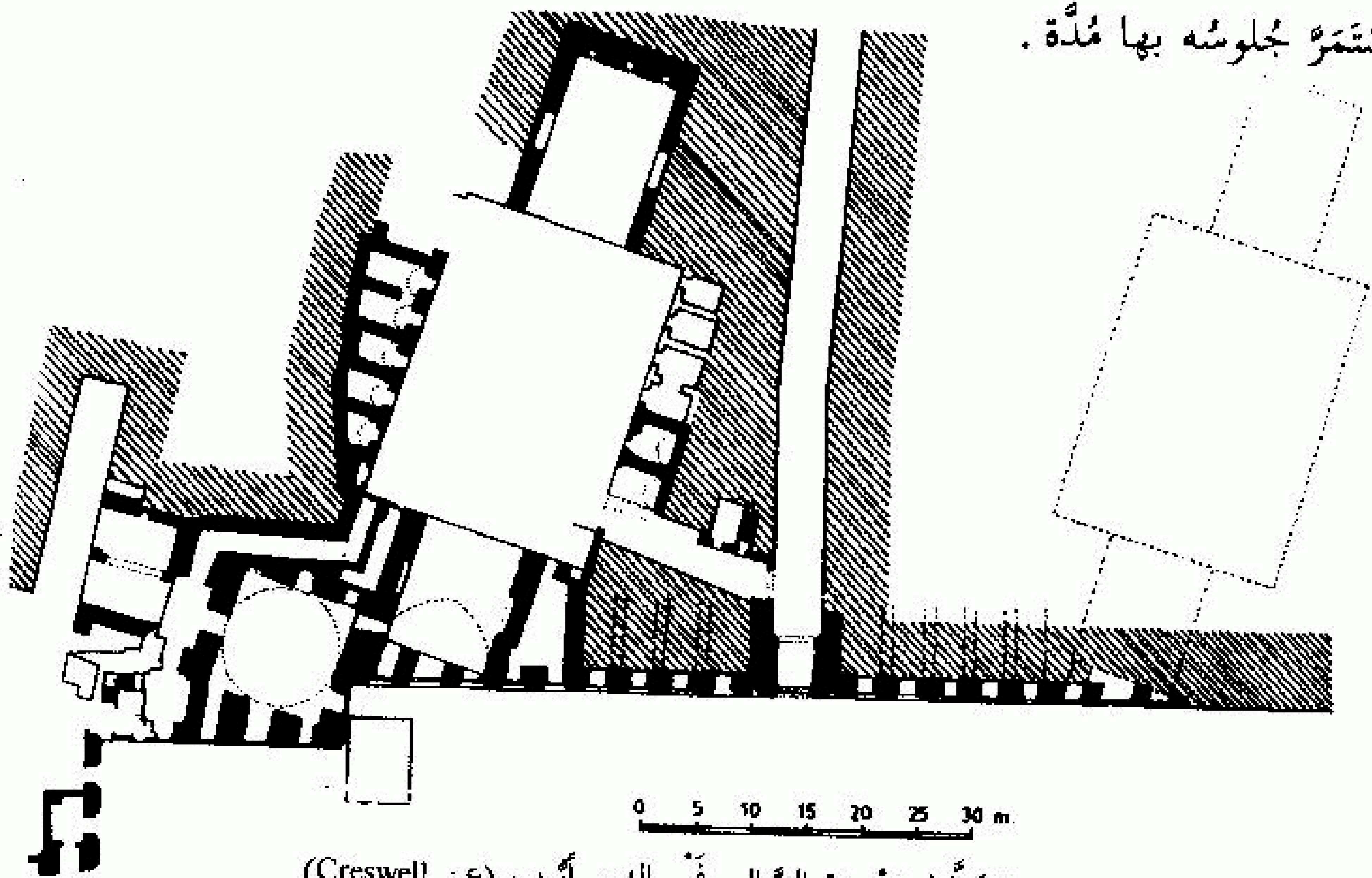
[٢] في تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٤: ١١٩: رَسَم بأن يُعَمَّر مَدْرَسَةٌ بالقاهِرَة قُدَّام الصَّاغَة في المَوْضِع الذي كان يسكن فيه البَياطِرَة قُدَّام القَصْر وشَرَع في ذلك ونَقَلَ البَياطِرَة من هناك فتَحَوَّلوا إلى ناحية باب البَحْر إلى صَوْب الوَكْن المُخَلَّق وهَدَّ ذلك الجانب من القَصْر وهو ما يلي بابِ الزُّهُومَة إلى بَحْري طُول مائة ذِراع بالعَمَل في مثلها في العَرْض واهْتَمّ بذلك.

[٣] يُوجَد بالمدرسة على لَوْحَةٍ من الرُّخام كتابةٌ تاريخية =

ودَخَلَ في هذه المَدارِس بابُ القَصْر المعـروف ببابِ الزُّهُـومَة، وموضعُه قاعَةُ شَيْخ الحَنابِلَة الآن [a]بالمَدْرَسَة الغربية منها[a]، ثم اخْتُطَّ ما وَراء هاتين المَدْرَسَتَيْن[b] في سنة بضعٍ وخمسين وستّ مائةٍ، وجُعِلَ حِكْرُ ذلك للمَدْرَسَة الصَّالحِيَّة.

وأوّلُ من دَرَّسَ بها من الحَنابِلَة قاضي القُضَاة شَمْسُ الدِّين أبو بكر محمد بن العِماد إبراهيم ابن عبد الواحِد بن عليّ بن سُرُور المَقْدِسي الصَّالحِي الحَنْبَلي[c] [1].

وفي يوم السبت ثالِث عشرين شَوَّال سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مائةٍ أقامَ الملكُ المُعِزُّ عِزُّ الدِّين أَيْبَك التُّرْكُماني، الأميرَ عَلاءَ الدِّين أَيْدَكين البُنْدُقْدار الصَّالحِي في نِيابَة السَّلْطَنَة بديار مصر، فوَاظَبَ الجُلوسَ بالمَدْرَسَة[d] الصَّالحِيَّة هذه مع نُوّابِ دارِ العَدْل، وانْتَصَبَ لكَشْفِ المظالِم، واسْتَمَرَّ جُلوسُه بها مُدَّة.



مُخَطَّط مَدْرَسَة الصَّالح نَجْم الدين أيُّوب (عن Creswell)

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) بولاق: هذه المدارس. c) بولاق: الحنبلي الصالحي. d) بولاق: المدارس.

= تُؤكد هذا التاريخ، نَصُّها:

«بِسْم الله الرحمن الرَّحيم. أَمَرَ بإنْشاءِ هذه المَدْرَسَة المباركة مَوْلانا السُّلْطان الأعْظَم الملك الصَّالح نَجْم الدِّين ابن محمد بن أبي بكر بن أيُّوب، في سنة إحدى وأربعين وستّ مائة» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 65; Wiet, G., *RCEA* XIII, n° 4218). كما يوجد أيضًا شريطٌ بالخَطّ النَّسْخ الأيُّوبي يحمل النَّصّ الآتي:

«بِسْم الله الرَّحمن الرحيم. [أَمَرَ بإنشاء هذه المَدْرَسَة المباركة ابْتِغاء مَرْضاة] الله تعالى وطَلَبًا لجزيل ثَوابِه مَوْلانا السُّلْطان الأعْظَم الملك الصَّالح نَجْم الدِّين سُلْطان الإسْلام والمسلمين أبو الفَتْح أيُّوب بن السُّلْطان الملك الكامِل محمد ابن السُّلْطان الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب خليل أمير المؤمنين أعز الله سُلْطانَه ونَصَر أولياءَه وأعْوانه» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 64; Wiet, G., *RCEA* XIII, n° 4219).

[1] المتوفى سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م. (اليونيني: ذيل =

ثم إنَّ الملكَ السَّعيدَ ناصِر الدِّين محمد بَرَكَة خان ابن الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس وَقَفَ الصَّاغَة التي تجاهَها وأماكِن بالقاهِرَة وبمَدينَة المَحَلَّة الغربية، وقَطَعَ أراضيَ جَزائِر بالأعْمالِ الجِيزِيَّة والإطْفيحية، على مُدَرِّسين أربعة عند كلِّ مُدَرِّس مُعيدان وعِدَّةُ طَلَبَة، وما يُحْتاجُ إليه من أئِمَّة ومُؤَذِّنين وقَوَمَة وغير ذلك، وثَبَتَ وَقْفُ ذلك على[a] قاضي القُضَاة تقيّ الدِّين محمد ابن الحسين بن رَزِين الشَّافِعِيّ، ونَفَّذَه قاضي القُضاة شَمْسُ الدِّين أبو البركات محمد ابن هِبَة الله بن شُكْر المالِكي، وذلك في سنة سبعٍ وسبعين وستّ مائةٍ، وهي جارية في وَقْفِها إلى اليوم.

فلمَّا كان[b] يوم الجُمُعَة حادي عشرين رَبيع الأوَّل سنة ثلاثين وسبع مائةٍ، رَتَّب الأميرُ جمالُ الدِّين آقوش ـ المعروف بنائِب الكَرَك[1] ـ جَمال الدِّين الغَزَّاوي خَطيبًا بإيوان الشَّافِعِيَّة من هذه المَدْرَسَة، وجَعَلَ له في كلِّ شهرٍ خمسين دِرْهَمًا، ووَقَفَ عليه وعلى مُؤَذِّنَيْن وَقْفًا جاريًا، فاستمرَّت الخُطْبَةُ هناك إلى يومنا[c] [2].

---

a) بولاق: على يد. b) بولاق: كان في. c) بولاق: يومنا هذا.

= مرآة الزمان ٣: ٢٨٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢: ٤٩؛ ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة ٢: ٢٩٤؛ ابن حجر: رفع الإصر ٣٤١-٣٤٢).

[1] انظر ترجمة الأمير جمال الدِّين آقوش نائب الكَرَك، فيما تقدم ٣: ١٨١.

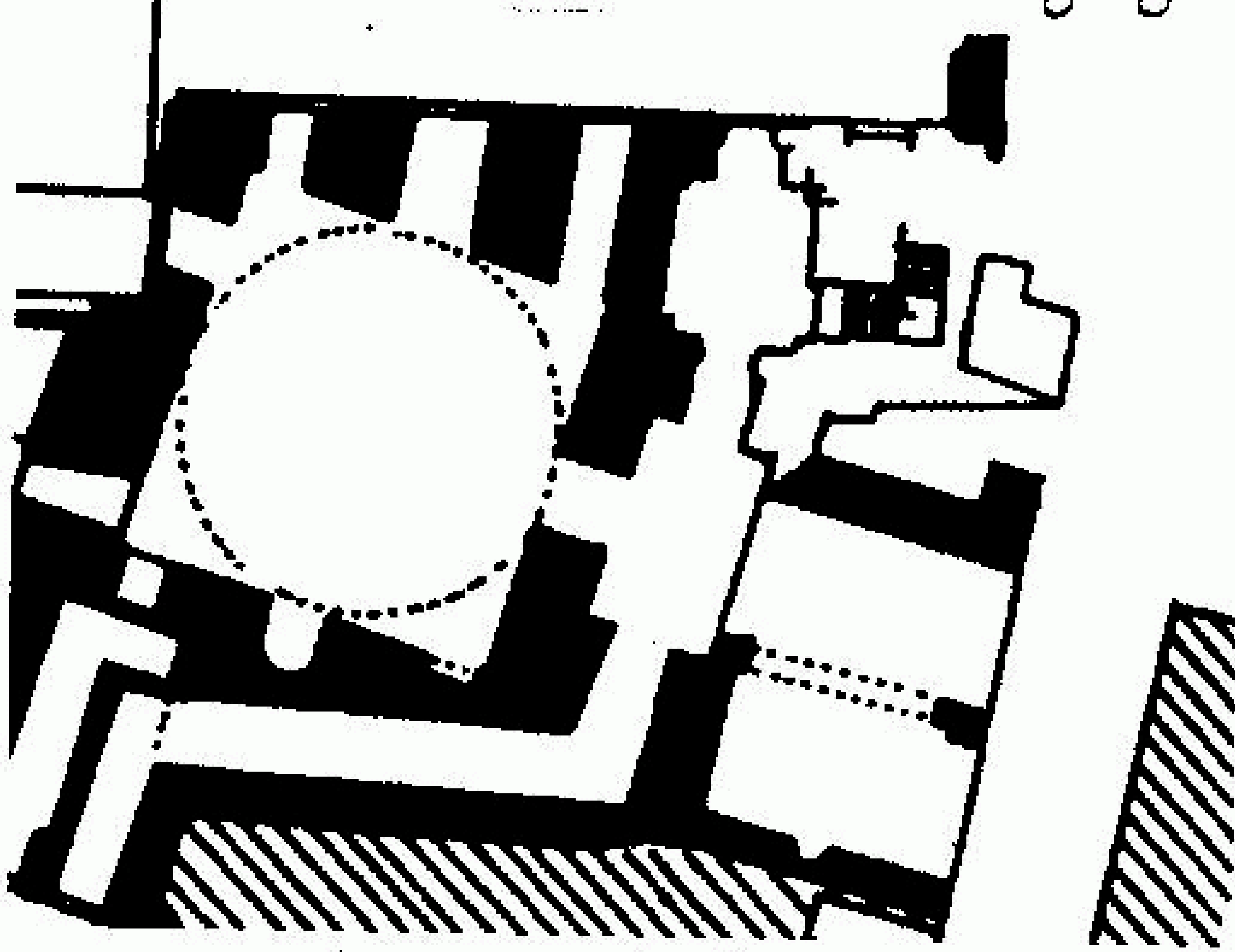
[2] حاشية بخَطِّ المؤلِّف: «قَرَأْتُ بخَطِّ الشَّيْخ تقي الدِّين السُّبكي في مُصَنَّفِه الذي يتعلّق بمَنْع تَعَدُّد الجُمُعَة في البَلَد الواحِد: خَرَجْتُ من القاهِرَة ولا يُخْطب بها إلَّا في الجامعين الأزْهَر والحاكِم، ثم بَلَغَني أنَّ الجُمُعَة أُقيمَت بالمَدْرَسَة الصَّالِحيَّة. ومن المَعْلوم أنَّ خُروج الشَّيْخ من مصر كان بعد التاريخ المُعَيَّن هنا بمُدَّة».

وجاءَت هذه الحاشية في نسختي باريس وميونخ مسبوقةً بالعبارة التالية: «وُجِدَ بخَطِّ مَوْلانا قاضي القضاة ابن حَجَر على هامِش نُسْخَة المُصَنِّف المنقول منها ما نصُّه»، ثم خَتَمَ النَّقْل بعبارة: انتهى ما ذكره.

ــ وذكر النويري والمؤلف المجهول صاحب تاريخ سلاطين المماليك أنَّه تَرَتَّبَ في المَدْرَسَة الصَّالحية بالقاهرة خُطْبَةٌ وصَلاةُ جُمُعَة، وأنَّ أوَّل جُمُعَة صُلِّيت فيها يوم الجُمُعَة حادي عشرين ربيع الأوَّل سنة ثلاثين وسبع مائة، رَتَّبَ ذلك الأمير جمال الدِّين آقُوش نائب الكَرَك وأوْقَف على ذلك وقْفًا من ماله على الحِكْر الذي بالحُسَيْنِيَّة المعروف به. (النويري: نهاية الأرب ٣٣: ٣٠١-٣٠٢؛ مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٢٢٦؛ المقريزي: السلوك ٢: ٣١٧).

قُبَّةُ الصَّالِح

هذه القُبَّةُ بجوار المَدْرَسَة الصَّالِحِيَّة، كان مَوْضِعَها قاعَةُ شَيْخ المالِكية[a]، بَنَتْها عِصْمَةُ الدِّين والِدَةُ خَليل شَجَرُ الدُّرّ لأَجْلِ مَوْلاها الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أَيُّوب عندما مات[1] - وهو على مُقاتِلَة الفِرَنْج بناحية المَنْصُورة - في ليلة النِّصْف من شَعْبان سنة سبعٍ وأربعين وستّ مائةٍ، فكَتَمت زَوْجَتُه شَجَرُ الدُّرّ مَوتَه خَوْفًا من الفِرَنْج، ولم تُعْلِم أحَدًا بذلك[b] سوى الأمير فَخْر الدِّين بن يُوسُف بن شَيْخ الشُّيوخ والطَّواشِيّ جَمال الدِّين محسن فقط، فكتَما مَوْتَه عن كلِّ أحَد.



مُخطَّط القُبَّة الصَّالِحِيَّة

وبقيت أُمُورُ الدَّوْلَة على حالِها، وشَجَرُ الدُّرّ تُخْرِجُ المَناشِيرَ والتَّواقِيعَ والكُتُب وعليها عَلامَةٌ بخَطِّ خادِمٍ يُقالُ له سُهَيْل، فلا يشكُّ أحَدٌ في أنَّه خَطُّ السُّلْطان. وأشاعَت أنَّ السُّلْطانَ مستمرّ المَرَضِ ولا يُمْكِن الوُصُولُ إليه، فلم يَجْسُر أحَدٌ أن يَتَفَوَّه بمَوْتِ السُّلْطان إلى أن أَنْفَذَت إلى حِصْنِ كِيفَا، وأَحْضَرَت الملك المُعَظَّم تُوران شَاه بن الصَّالِح.

---

a) في المُسَوَّدَة: كانت بيت مُدَرِّس المالكية بالمدارس الصالحية. b) بولاق: بذلك أحدًا.

---

[1] راجع، Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 100-103؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ٢: ٤١-٤٥. وراجع كذلك ترجمة الصَّالح نجم الدين أيُّوب عند، ابن واصل: مفرج الكروب المجلد الخامس حتى عام ٦٤٥هـ/١٢٤٨م وراجع بقية الحوادث في نسخة باريس رقم ١٧٠٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ٥٥-٥٨؛ المقريزي: السلوك ١: ٢٩٦-٣٥١؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٣١٩-٣٧٩؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٢٧٩؛ Humphreys, R.S., *EI*² art. *al-Sâlih Nadjm al-Dîn Ayyûb* VIII, pp. 1023-24؛ ولمحمد محمد أمين: السلطان الملك الصَّالح نَجْم الدِّين أيوب (١٢٤٠-١٢٤٩هـ)، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٨م.

وأمَّا الملكُ الصَّالِحُ فإنَّ شَجَرَ الدُّرّ أَحْضَرَتْه في حَرَّاقَة من المَنْصُورَة إلى قَلْعَة الرَّوْضَة تجاه مَدينَة مصر من غير أن يَشْعُر به أحَدٌ ، إلَّا من ائْتَمَنَتْه على ذلك . فوُضِعَ في قاعَةٍ من قاعات قَلْعَة الرَّوْضَة إلى يوم الجُمُعَة السابع والعشرين من شهر رَجَب سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مائةٍ ، فنُقِلَ إلى هذه القُبَّة بعدما كانت شَجَرُ الدُّرّ قد عَمَّرَتها على ما هي عليه [1] .

وخَلَعَت نفسها من سَلْطَنَة مصر ونَزَلَت عنها لزَوْجِها عِزّ الدِّين أَيْبَك قبل نَقْلِه [2] ، فنَقَلَه الملكُ[a] المُعِزُّ أَيْبَك ، ونَزَلَ ومعه الملكُ الأَشْرَف مُوسَىٰ ابن الملك المسعود. وسائِرُ المماليك البَحْرِيَّة والجَمْدارية والأُمَرَاء ، من قَلْعَةِ الجَبَل إلى قَلْعَةِ الرَّوْضَة . وأُخْرِجَ الملكُ الصَّالِحُ في تابُوتٍ وصُلِّيَ عليه بعد صَلاةِ الجُمُعَة ، وسائِرُ الأُمَرَاءِ وأَهْلُ الدَّوْلَة قد لَبِسُوا البَياضَ حُزْنًا عليه ، وقَطَعَ المماليكُ شُعُورَ رُءُوسِهم ، وساروُا به إلى هذه القُبَّة . فدُفِنَ ليلة السبت .

٣٧٥:٢ /فأَصْبَحَ السُّلْطَانان ، فَنَزَلا[b] إلى القُبَّة ، وحَضَرَ القُضَاةُ وسَائِرُ المماليك وأَهْلُ الدَّوْلَة وكافَّةُ النَّاس ، وغُلِّقَت الأسْواقُ بالقاهِرَة ومصر ، وعُمِلَ عَزاءٌ للملك الصَّالِح بَيْنَ القَصْرَيْن بالدُّفُوف مُدَّةَ ثلاثة أيَّام ، آخرها يوم الاثنين ، ووُضِعَ عند القَبْرِ سَناجِقُ السُّلْطان وبُقْجَتُه وتُرْكاشُه وقَوْسُه ، ورُتِّبَ عنده القُرَّاءُ على ما شَرَطَت شَجَرُ الدُّرّ في كِتابِ وَقْفِها ، وجَعَلَت النَّظَر فيها للصَّاحِبِ بَهاء الدِّين عليّ بن حِنَّا وذُرِّيته ، وهي بيدهم إلى اليوم .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : ونزلا .

---

[1] انظر فيما تقدم ١:٥٩٨- ٥٩٩.

[2] فيما تقدم ٣:٧٦٥- ٧٦٦.

[3] تُوجَد بالقُبَّة على لَوْحَةٍ من الرُّخام قياس ٨٠X١٨٠ أربعة أسطر بالخط النَّسْخ الأيُّوبي الجميل تحمل الكتابة التاريخية التالية :

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآية ٦٩ سورة العنكبوت ـ هذه التُّرْبَةُ المباركة بها ضَريحُ مَوْلانا السُّلْطان الملك الصَّالِح السَّيِّد العالم العادِل المُجاهِد المُرابِط المُثاغِر ، نَجْم الدُّنْيا والدِّين ، سُلْطان الإسلام والمسلمين ، سَيِّد ملوك المجاهِدين ، وارِث المُلْك عن آبائه الأكرمين ، أبي الفَتْح أيُّوب ابن السُّلْطان الملك الكامِل ناصِر الدِّين أبي المعالي محمَّد بن أبي بكر ابن أيُّوب . تُوفي إلى رحمة الله تعالى وهو بمَنْزِلَة المَنْصُورَة تجاه الفِرنْج المَخْذولين مصافِحًا للصِّفاح بنَحْره مُواجِهًا للكفاح بوَجْهِه وصَدْرِه ، آمِلًا ثَواب الله بمُرابَطته واجْتهاده ، عامِلًا بقوله تعالى ـ الآية ٧٧ سورة الحج ـ أَوْفَدَه الله الجَنَّة العالية وأَوْرَدَه أنهارَها الجارية ، وذلك ليلة النِّصف من شَعْبان سنة سبعٍ وأربعين وستّ مائة» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 66; Wiet, G., *RCEA* XIII, n° 4298) .

كما يُوجَد على الضَّريح شريطٌ من الخَشَب المنقوش (bois sculpté) يحمل النَّصّ التالي :

«هذه القُبَّةُ تُرْبةُ الفقير إلى رحمة الله تعالى وغُفْرانِه السُّلْطان الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب ابن السُّلْطان =

وما أَحْسَنَ قَوْل الأديب جَمال الدِّين أبي المُظَفَّر عبد الرَّحْمَن بن أبي سَعْد[a] محمد بن محمد ابن عُمَر بن أبي القاسِم بن بَخْمَش الواسِطي ـ المعروف بابن السُّنَيْبِنيرَة الشَّاعِر[1] ـ لَمَّا مَرَّ هو والأميرُ نُور الدِّين [b]ابن صاحِب[b] تَكْريت بالقاهِرَة بَيْن القَصْرَيْن ، ونَظَرَ إلى تُرْبَةِ المَلِكِ الصَّالِح هذه وقد دُفِنَ بقاعَة شَيْخ المالِكية ، فأَنْشَدَ :

[الطويل]

بَنَيْتَ لأَرْبابِ العُلُومِ مَدارِسًا لتَنْجُو بها من هَوْلِ يوم المَهَالِكِ
وضَاقَت عليك الأَرْضُ لم تَلْقَ مَنْزِلًا تَحِلُّ به إلَّا إلى جَنْبِ مالِكِ

وذلك أنَّ هذه القُبَّةَ التي فيها قَبْرُ الملك الصَّالِح ، مُجاوِرَةٌ لإيوانِ الفُقَهاءِ المالِكية المنتمين إلى الإمام مالِك بن أنَس ـ رضي الله عنه ـ فقَصَدَ التَّوْرِيَة بمالِك الإمام المشهور ومالِك خازِن النَّار ، أعاذَنا الله منها .

المَدْرَسَةُ الكامِلِيَّة

[أثر رقم ٤٢٨]

هذه المَدْرَسَةُ بخُطِّ بَيْن القَصْرَيْن من القاهِرَة ، وتُعْرَف بـ « دار الحَدِيث الكامِلِيَّة » [1] ، أنشأها السُّلْطانُ الملكُ الكامِلُ ناصِرُ الدِّين محمد ابن الملك العادِل أبي بكر بن أَيُّوب بن شاذي ابن

a) بولاق : أبي سعيد . b-b) ساقطة من بولاق .

= الملك الكامِل ناصر الدِّين محمد بن أبي بكر بن أيُّوب . توفي إلى رَحْمَة الله مُجاهِدًا بالمَنْصُورَة في نصف شَعْبان سنة سبع وأربعين وستّ مائة» (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° Wiet, G., RCEA XIII, n° 4299).

[1] توفي ابن السُّنَيْنِيرة الشَّاعر سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م؟ كما وَرَد في جميع ترجماته (ابن الشَّعَّار الموصلي : عقود الجمان ٣:٤٦٦ (نشرة فؤاد سزكين ١٩٩٠) ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١:٢١٥- ٢١٦؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨:٢٦٢- ٢٦٤؛ ابن شاكر : فوات الوفيات ٢:٢٩٨- ٣٠٠) ، فتكون إشارة المقريزي هنا غير دقيقة !

[1] هذه المَدْرَسة ـ التي يُطْلِقُ عليها العامَّةُ اسْم «جامِع الكامِلِيَّة» ـ تقع في شارع المعز لدين الله ، إلى الشمال من المَدْرسة الظَّاهِرية الجديدة (الظَّاهرية بَرْقُوق) ، وكانت حتى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين عامرةً مقامة الشَّعائر ، يقول علي مبارك في وصف الجامع : «وهو جامع ملوكي عامِر بالأذان والصَّلَوات والجمعة والجماعة ومنافعه لم تَزَل تامَّة» وانْقَطَعَت منه فقط دُرُوس الحديث .

وقد ضاعت تَقْرِيبًا المباني الأولى لهذه المَدْرَسَة بما فيها إيوانُها الكبير ، وترجع واجهتها الحالية إلى القرن الثاني عشر الهجري ، حيث جَدَّدَ بعض هذه المَدْرسة الأمير حسن كتخُدا مُسْتَحفظان الشَّعْراوي في سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م . =

مَرْوان ، في سنة اثنتين وعشرين وستّ مائةٍ ، وهي ثاني دار عُمِلَت للحديث [1] ؛ فإنَّ أوَّل من بَنَى دارًا حَدِيثٍ[a] على وَجْهِ الأرْض الملكُ العادِلُ نُورُ الدِّين محمود بن زَنْكِي بدِمَشْق ؛ ثم بَنَى الكامِلُ هذه الدَّار ووَقَفَها على المُشْتَغلين بالحَديث النَّبَويّ ثم من بعدهم على الفُقَهاءِ الشَّافِعيَّة ، ووقَفَ عليها الرَّبْعَ الذي بجوارها على باب الخُرُنْشُف ويَمْتَدُّ إلى الدَّرْبِ المقابِلِ للجَامِع الأَقْمَر. وهذا الرَّبْعُ من إنْشَاءِ الملك الكامِل ، وكان مَوْضِعُه من جملة القَصْر الغربي ، ثم صارَ مَوْضِعًا يسكنه القَمَّاحون . وكان مَوْضِعُ المَدْرَسَة سُوقًا للرَّقِيق ودارًا تُعْرَف بابن كَسْتُول .

وأوَّلُ من وَلِيَ تَدْريس الكامِلية : الحافِظُ أبو الخَطَّاب عُمَرُ بن الحَسَن بن عليّ بن دِحْيَة ، ثم أخُوه أبو عَمْرو عُثْمان بن الحَسَن بن عليّ بن دِحْية ، ثم الحَافِظُ عبدُ العَظِيم المُنْذِري ، ثم الرَّشِيدُ العَطَّار .

وما بَرِحَت بيد أعْيان الفُقَهاء ، إلى أن كانتِ الحَوادِثُ والمِحَنُ منذ سنة ستٍّ وثمان مائةٍ فتَلاشَت كما تَلاشَى غيرُها ، ووليَ تدريسَها صبيٌّ لا يُشارِكُ الأناسيَ إلَّا بالصُّورَة ، ولا يَمْتازُ عن البَهيمَةِ إلَّا بالنُّطْق ، واسْتَمَرَّ فيها دَهْرًا لا يُدَرِّسُ بها ، حتى نُسِيَت أو كادَت تُنْسى دُروسُها ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله .

المَلِكُ الكَامِل

ناصِرُ الدِّين أبو المَعالي محمد ابن الملك العَادِل سَيْف الدِّين أبي بكر محمد ابن نَجْم الدِّين أيُّوب بن شاذي بن مَرْوان الكُرْدي الأَيُّوبي ، خامِس مُلوك بني أيُّوب الأكْراد بديار مصر ، وُلِدَ في خامِس عشرين رَبيع الأوَّل سنة ستٍّ وسبعين وخمس مائةٍ ، وخَلَفَ أباه الملك العادِل على بِلاد الشَّرْق .

---

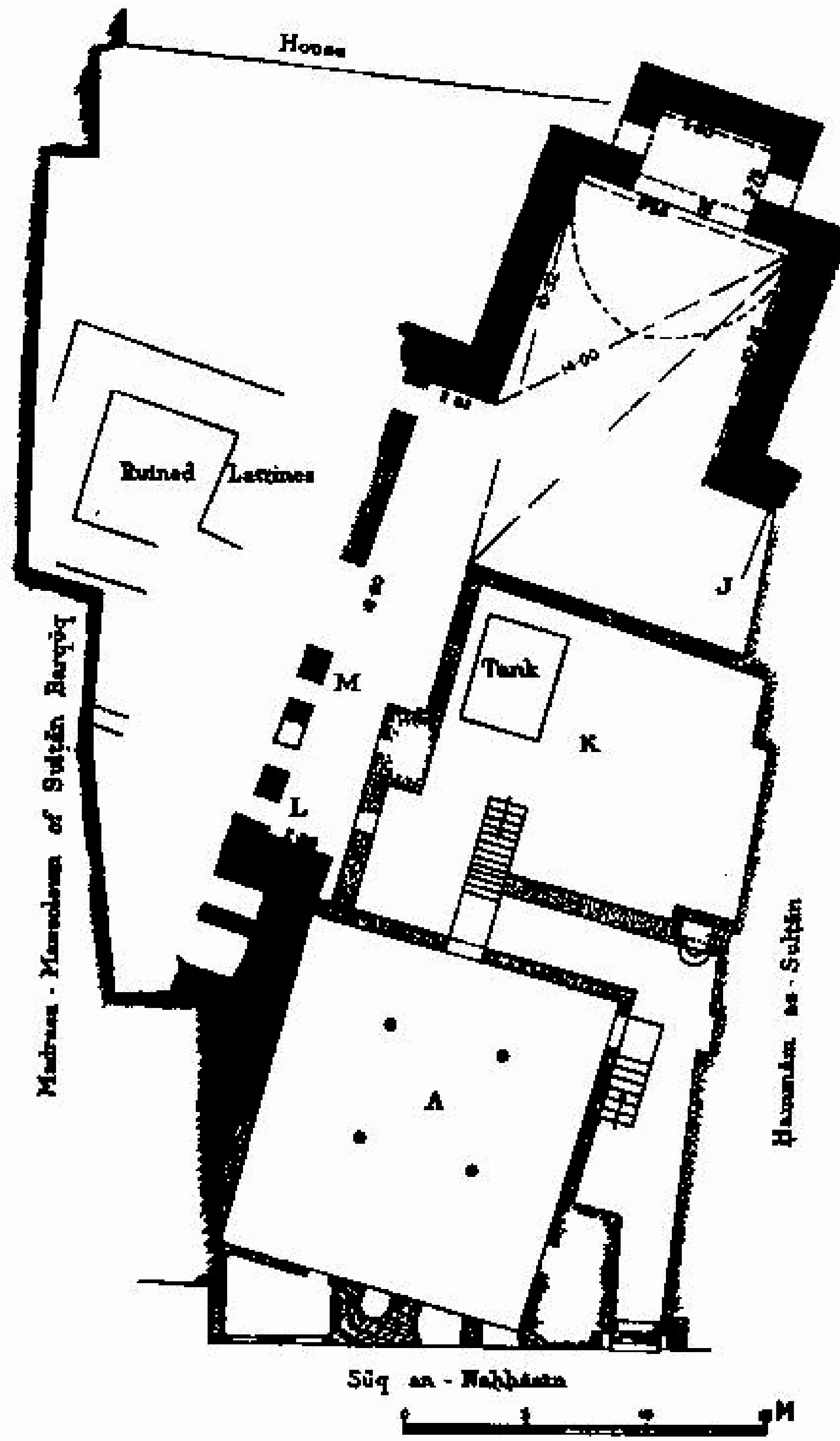
a) ساقطة من بولاق .

= كما يَدُلُّ على ذلك لوحٌ يحمل ثلاثة أسطر بالخط النَّسْخ العثماني نَصُّها :

«أُحيي هذه المَدْرَسَة الكامِلِيَّة دار الحديث بعد الاندراس وأعادَها مُحْكَمَة البناء والأساس الأمير حسن كَتْخُدا مُسْتَحْفَظان الشَّعْراوي ، صانه الله من المساوئ وكان له وقاية في الدَّارَيْن وسببًا في الجَمْع بين الحُسْنَيَيْن سنة ١١٦٦» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n°61) .

وتأثَّرت المباني الباقية من هذه المدرسة بشِدَّة بزلزال أكتوبر سنة ١٩٩٢، وهي الآن في حالة متخرِّبة .

[1] راجع ترجمة الملك الكامل محمد عند ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥:٧٩- ٩٢؛ ابن واصل : مفرج الكروب : المجلدان الرابع والخامس ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١:١٩٣- ١٩٧؛ المقريزي : السلوك ١:١٩٤- ٢٦١؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٦:٢٢٧- ٣٠٢، ابن إياس : بدائع الزهور ١/ ١:٢٥٨-٢٦٨؛ Gottschalk, H.L., *al-Malik al-Kamil von Egypten und seine Zeit*, Wiesbaden 1958; id., *EI*[2] art. *al-Malik al-Kâmil* IV, pp. 543-44.



مُخطَّط دار الحديث الكاملية (عن Creswell)

فلمّا اسْتَوْلَى على مَمْلَكة مِصْر، قَدِمَ الملكُ الكامِلُ إلى القاهِرَة في سنة ستٍّ وتسعين وخمس مائةٍ، ونَصَّبه أبوه نائِبًا عنه بديار مصر وأقْطَعَه الشَّرْقِيَّة، وجَعَلَه وَلِيَّ عَهْدِه، وحَلَّفَ له الأُمَراء وأسْكَنَه قَلْعَةَ الجبَل، وسَكَنَ العَادِلُ في دارِ الوَزارَةِ بالقاهِرَة، وصارَ يَتَحَكَّم بديار مصر مُدَّةَ غيْبَة الملك العادِل ببلاد الشَّام وغيرها بمفرده.

---

[1] أبو الخطّاب عُمَر بن الحسَن بن علي بن دِحْيَة الدّاني ثم السَّبْتي، المتوفى سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م، راجع عنه ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣:٤٤٨-٤٥٠؛ أبا شامة: ذيل الروضتين ١٦٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٥:٥٢، ٥٩-٦٠، ١٦٢-١٦٣، ١٦٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢:٣٨٩-٣٩٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢:٤٥١-٤٥٥؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٦:٢٩٥؛ مقدمة إبراهيم الإبياري لكتاب المطرب من أشعار أهل المغرب، القاهرة ١٩٥٤.

فلمَّا ماتَ الملكُ العادِلُ ببلاد الشَّام، اسْتَقَلَّ الملكُ الكامِلُ بمملكة مصر في جُمادَى الآخرة سنة خمس عشرة وستّ مائةٍ، وهو على مُحارَبَة الفِرَنْج بالمَنْزِلة العادِلية قريبًا من دِمْياط، وقد مَلَكوا البَرَّ الغربي، فثَبَتَ لقِتالِهم مع ما حَدَثَ من الوَهْن بمَوْت السُّلْطان.

وثارَت العُرْبانُ بنَواحي أرْضِ مصر، وكَثُرَ خِلافُهم، واشْتَدَّ ضَرَرُهُم. وقامَ الأميرُ عِمادُ الدِّين أحمد ابن الأمير سَيْف الدِّين أبي الحسين عليّ بن أحمد الهَكَّاري المعروف بابن المَشْطُوب ـ وكان أَجَلَّ الأُمَرَاء الأكابِر، وله لَفيفٌ من الأكْراد الهَكَّارِيَّة ـ يُريد خَلْع الملك الكامِل وتَمْليك أخيه الملك الفائِز إبراهيم بن العادِل، ووافَقَه على ذلك كثيرٌ من الأُمَراء. فلم يَجِد الكامِلُ بُدًّا من الرَّحيلِ في اللَّيْل جَريدة، وسارَ من العادِلِيَّة إلى أَشْمُوم طَنَاح فنَزَلَ بها، وأصْبَحَ العَسْكَرُ بغير سُلْطانٍ. فرَكِبَ كلُّ واحِدٍ هَوَاه، ولم يُعَرِّج واحِدٌ منهم على آخَر، وتركوا أثقالَهم وسَائِر ما معهم. فاغْتَنَمَ الفِرَنْجُ الفُرْصَة وعَبَرُوا إلى بَرِّ دِمْياط، واسْتَوْلوا على جَميع ما تَرَكه المسلمون، وكان شَيْئًا عَظيمًا.

وهَمَّ الملكُ الكامِل بمُفارَقَة أرْضِ مصر، ثم إنَّ الله تعالى ثَبَّتَه، ولَحِقَت[a] به العَساكِرُ، وبعد يومين قَدِم عليه أخُوهُ الملكُ المُعَظَّم عيسىٰ صاحِب دِمَشْق بأشْموم فاشْتَدَّ عَضُدُه بأخيه، وأخْرَجَ ابن المَشْطوب من العَسْكَر إلى الشَّام، ثم أخْرَجَ الفائِز إبراهيم [بن الملك العادِل][b] إلى الملوك الأيُّوبية بالشَّام والشَّرْق يستنفرهم / لجِهادِ الفِرَنْج.

وكَتَبَ الملكُ الكامِلُ إلى أخيه الملك الأَشْرف مُوسَىٰ[c] يستحثّه على الحُضُور، وصَدَّرَ المُكاتَبَة بهذه الأبيات:

[الكامل]

يا مُسْعِدي إن كنت حَقًّا مُسْعِفِي ... فانْهَضْ بغَيْر تَلَبُّثٍ وتَوَقُّفِ
واحْثُث قلوصك مرقلا أو موجفا ... بتَجَشُّمٍ في سَيْرها وتَعَسُّفِ
واطْوِ المنازِلَ ما اسْتَطَعْت ولا تُنِخ ... إلَّا على بابِ المليك الأَشْرَفِ
واقْرِ السَّلامَ عليه من عَبْدٍ له ... مُتَوَقِّعٍ لقُدومِه مُتَشَوِّفِ
وإذا وصَلْت إلى حِمَاه فقُلْ له ... عَنِّي بحُسْن تَوَصُّلٍ وتَلَطُّفِ
إن تأت عَبْدَك عن قَليلٍ تَلْقَه ... ما بين كلِّ مُهَنَّدٍ ومُثَقَّفِ
أو تُبْطِ عن إنْجاده فلِقاؤه ... بك في القِيامَة في عِراض المَوْقِفِ

---

a) أصل المصنف والنسخ: وتلاحقت. b) زيادة من المصادر للتوضيح. c) في النسخ: شاه أرمن؟

وجَدَّ الكامِلُ في قِتال الفِرِنْج ، وأَمَرَ بالنَّفير في ديار مصر ، وأَتَتْه الملوكُ من الأطْراف . فقَدَّر الله أَخْذَ الفِرِنْج لدِمْياط بعدما حاصَروها ستة عشر شهرًا واثنين وعشرين يومًا ، ووَضَعُوا السَّيْفَ في أَهْلِها . فرَحَلَ الكامِلُ من أَشْموم ونَزَلَ بالمَنْصورَة ، وبَعَثَ يَسْتَنْفِر النَّاسَ ، وقَوِيَ الفِرِنْجُ حتى بَلَغت عِدَّتُهم نحو المائتي ألف راجِل وعشرة آلاف فارِس .

وقَدِمَ عامَّةُ أَهْلِ أَرْضِ مصر ، وأَتَتِ النَّجْداتُ من البلاد الشَّامية وغيرها ، فصارَ المسلمون في جَمْعٍ عَظيمٍ إلى الغاية ، بَلَغَت عِدَّةُ فُرْسانِهم خاصَّةً نحو الأربعين ألفًا . وكانت بين الفريقين خُطُوبٌ آلَت إلى وقُوعِ الصُّلْحِ ، وتَسَلَّم المسلمون مَدينَة دِمْياط في تاسع عشر رَجَب سنة ثمان عشرة وستّ مائةٍ ، بعدما أقامَت بيد الفِرِنْجِ سنةً وأَحَدَ عشر شهرًا تنقُصُ ستة أيَّام ، وسارَ الفِرِنْجُ إلى بِلادِهم .

وعادَ السُّلْطانُ إلى قَلْعَةِ الجَبَل ، وأَخْرَجَ كثيرًا من الأُمَرَاء الذين وافَقُوا ابن المَشْطوب من القاهِرَة إلى الشَّام وفَرَّق أَخْبازَهُم على مماليكه ثم تَخَوَّفَ من أُمَرائِه في سنة إحدى وعشرين بمَيْلهم إلى أخيه الملك المُعَظَّم فقَبَضَ على جَماعَةٍ منهم ، وكاتَبَ أخاه الملك الأَشْرَف في مُوافَقَته على المُعَظَّم . فقَوِيَت الوَحْشَةُ بين الكامِل والمُعَظَّم ، واشْتَدَّ خَوْفُ الكامِل من عسكره ، وهَمَّ أن يخرج من القاهِرَة لقِتالِ المُعَظَّم ، فلم يَجْسُر على ذلك .

وقَدِمَ الأَشْرَفُ إلى القاهِرَة ، فسُرَّ به سُرورًا كثيرًا وتَحالَفا على المُعاضَدَة ، وسافَرَ من القاهِرَة فمالَ مع المُعَظَّم فتَحَيَّرَ الكامِلُ من أَمْرِه ، وبَعَثَ إلى مَلِك الفِرِنْج يَسْتَدْعيه إلى عَكّا ووَعَدَه بأن يُمَكِّنه من بِلادِ السَّاحِل ، وقَصَدَ بذلك إشْعال[a] سِرّ أخيه المُعَظَّم . فلمَّا بَلَغ ذلك المُعَظَّم خَطَبَ للسُّلْطان جَلال الدِّين الخُوارَزْمي ، وبَعَثَ يَسْتَنْجِده على الكامِل ، وأَبْطَلَ الخُطْبَة للكامِلِ . فخَرَج الكامِلُ من القاهِرَة يُريدُ مُحارَبته في رَمَضان سنة أربع وعشرين وسارَ إلى العَبَّاسَة ، ثم عادَ إلى قَلْعَةِ الجَبَلِ وقَبَضَ على عِدَّةٍ من الأُمَرَاءِ ومَماليكِ أبيه لمُكاتَبَتِهم المُعَظَّم ، وأَنْفَقَ في العَسْكر . فاتَّفَقَ مَوْتُ الملِكِ المُعَظَّم في سَلْخ ذي القعدة وقِيام ابنِه الملِكِ النَّاصِر داود بسَلْطَنَة دِمَشْق ، وطَلَبه من الكامِل المُوادَعَة ، فبَعَثَ إليه خِلْعَةً سَنِيَّةً وسَنْجَقًا سُلْطانيًّا ، وطَلَبَ منه أن يَنْزِلَ له عن قَلْعَةِ الشَّوْبَك ، فامْتَنَعَ النَّاصِرُ من ذلك ، فوَقَعَتِ المُنافَرَةُ بينهما .

وعَهِد الملكُ الكامِل إلى ابنه الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب ، وأَرْكَبَه بشعارِ السَّلْطَنَة ، و أَنْزَلَه بدارِ الوَزارَة ، وخَرَجَ من القاهِرَة في العَساكِر يُريدُ دِمَشْق ، فأَخَذَ نابُلُس والقُدْس . فخَرَجَ النَّاصِرُ

a) بولاق : أن يشغل .

داود من دِمَشْق ومعه عَمُّه الأَشْرَف ، وسارا إلى الملكِ[a] الكامِلِ يَطْلُبا منه الصُّلْح . فلمَّا بَلَغَ ذلك الكامِلَ رَحَلَ من نابُلُس يُرِيدُ القاهِرَة ، فقَدِمَها النَّاصرُ والأَشْرَفُ ، وأقامَ بها النَّاصِرُ ، وسارَ الأَشْرَفُ والمُجاهِدُ إلى الكامِلِ ، فأدْرَكاه بتَلِّ العُجُول[b] ، فأكرمهما وقَرَّرَ مع الأَشْرَف انْتِزاعَ دِمَشْق من النَّاصِر وإعطاءَها للأَشْرَف ، على أن يكون للكامِلِ ما بين عَقَبَة فيق إلى القاهِرَة ، وللأَشْرَف من دِمَشْق إلى عَقَبَة فيق[c] ، وأن يُغيرَ[d] بجماعةٍ من مُلوكِ بني أيُّوبَ .

فاتَّفَق قُدُومُ الإنْبَرَطُور [e]ملك الفِرَنْج[e] إلى عَكَّا باسْتِدْعاء الملك الكامِلِ له ، فتَحَيَّرَ الكامِلُ في أمْرِه لعَجْزِه عن مُحارَبته وأَخَذَ يُلاطِفه . وشَرَعَ الفِرَنْجُ في عِمارَة صَيْدا - وكانت مُناصَفَةً بين المسلمين والفِرَنْج وسُورُها خَراب - فلمَّا بَلَغَ النَّاصِرَ مُوافَقَةُ الأَشْرَفِ للكامِلِ ، عادَ من نابُلُس إلى دِمَشَق واسْتَعَدَّ للحَرْب . فسارَ إليه الأَشْرَفُ من تَلِّ العُجُول[b] ، وحاصَره بدِمَشْق .

وأقامَ الكامِلُ بتَلِّ العُجُول[b] وقد تَوَرَّط مع الفِرَنْج ، فلم يجد بُدًّا من إعْطائِهم القُدْس ، على ألَّا يُجَدِّد سُورَه ، وأن تبقى الصَّخْرَةُ والأَقْصَى مع المسلمين ، ويكون حُكْمُ قُرَى القُدْس إلى المسلمين ، وأنَّ القُرَى التي فيما بين عَكَّا ويافا وبين لُدّ والقُدْس للفِرَنْج . وانْعَقَدَتِ الهُدْنَةُ على ذلك لمدَّة عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يومًا ، أوَّلُها ثامِن عشر[a] رَبيع الأوَّل سنة ستٍّ وعشرين .

ونُودِيَ/ في القُدْسِ بخُروجِ المسلمين منه وتَسْليمه إلى الفِرَنْج . فكان أمْرًا مَهُولًا من شِدَّةِ البُكاءِ ٢٧٧:٢
والصُّراخ ، وخَرَجُوا بأجْمَعِهم فصارُوا إلى مُخَيَّم الكامِلِ وأذَّنوا على بابِه في غير وَقْتِ الأذان ؛ فشَقَّ عليه ذلك وأَخَذَ منهم السُّتُورَ والقَناديل[f] الفِضَّة والآلات وزَجَرَهم ، وقيل لهم امْضُوا إلى[a] حيث شِئْتُم . فعَظُمَ هذا على المسلمين ، وكَثُرَ الإنْكارُ على الملك الكامِل ، وشُنِّعَت القالَةُ[g] فيه .

وعادَ الإنْبَرَطورُ إلى بِلادِه بعدما دَخَلَ إلى القُدْسِ ، وكان مَسيرُه في آخر جُمادَى الآخرة سنة ستٍّ وعشرين . وسَيَّرَ الكامِلُ إلي الآفاق بتَسْكين قُلُوبِ المسلمين وانْزِعاجهم لأَخْذ الفِرَنْج القُدْسَ ، ورَحَلَ من تَلِّ العُجُول[b] يُريدُ دِمَشْق ، والأَشْرَفُ على مُحاصَرتها ، فجَدَّ في القِتال .

واشْتَدَّ الأمْرُ على النَّاصِر إلى أن تَرامَى في الليل على الملك الكامِل ، فأكرَمَه وأعادَه إلى قَلْعَةِ دِمَشْق ، وبَعَثَ من تَسَلَّمَها منه ، وعَوَّضَه عن دِمَشْق الكَرَك والشَّوْبَك والصَّلْت والبَلْقاء والأَغْوار ونابُلُس وأعْمال القُدْس ، ثم تَرَكَ الشَّوْبَك للكامِلِ مع عِدَّةٍ ممَّا ذكر .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : تل العجـوز . c) بولاق : أفيق . d) بولاق : يعين . e-e) ساقطة من بولاق . f) بولاق : قناديل . g) بولاق : المقالة .

وتَسَلَّم الكامِلُ دِمَشْق في أوَّل شَعْبان وأعْطاها للأَشْرَف ، وأَخَذَ منه ما معه من بِلادِ الشَّرْق وهي : حَرَّان والرُّها وسَرُوج وغير ذلك . ثم سارَ الكامِلُ فأخَذَ حَمَاه ، وتَوَجَّه منها فقَطَعَ الفُرَات ، ومَضَى[a] إلى جَعْبَر والرَّقَّة ، ودَخَلَ حَرَّان والرُّها ورَتَّبَ أُمورَها ، وأَتَتْه الرُّسُلُ من ماردين وآمِد والمَوْصِل وأربل وغير ذلك ، وأُقيمَت له الخُطْبَةُ بماردين ، وبَعَثَ يَسْتَدْعي عَساكِرَ الشَّامِ لِقِتال الخُوارَزْمي وهو بخَلاط .

ثم رَحَلَ الكامِلُ من حَرَّان لأُمورٍ حَدَثَت وسارَ إلى مصر ، فدَخَلَها في شهر رَجَب سنة سبعٍ وعشرين وقد تَغَيَّرَ على وَلَدِه الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب ، وخَلَعَه من وِلايَة العَهْد وعَهِدَ إلى ابنه الملك العادِل أبي بكر ، ثم سارَ إلى الإسْكَنْدَرية في سنة ثمانٍ وعشرين ، ثم عادَ إلى مصر وحَفَرَ بَحْرَ النِّيل فيما بين المِقْياس وبَرِّ مصر ، وعَمِلَ فيه بنفسه واسْتَعْمَل فيه الملوك من أهْله والأُمَرَاء والجُنْد . فصارَ الماءُ دائِمًا فيما بين مصر والمِقْياس ، وانْكَشَفَ البَرُّ فيما بين المِقْياسِ والجِيزَة في أيَّام احْتِراق النِّيل .

وخَرَجَ من القاهِرَة إلى بِلاد الشَّام ، في جُمادَى الآخِرة[b] سنة تسعٍ وعشرين ، واسْتَخْلَف على دِيارِ مصر ابنه العادِل وأَسْكَنَه قَلْعَةَ الجَبَل ، وأَخَذَ الصَّالِحَ معه . فدَخَلَ دِمَشْقَ من طَرِيقِ الكَرَك ، وخَرَجَ منها لِقِتالِ التَّترِ ، وجَعَلَ ابنَه الصَّالِح على مُقَدِّمته ، فسارَ إلى حَرَّان ، فرَحَلَ التَّتَرُ عن خَلاط . ثم خَرَجَ[c] إلى الرُّها ، وسارَ إلى آمِد ونازَلَها حتى أَخَذَها ، وأَنْعَمَ على ابنه الصَّالِح بحِصْن كيفا وبَعَثَه إليه ، وعادَ إلى مصر في سنة ثلاثين فقَبَضَ على عِدَّةٍ من الأُمَرَاء .

ثم خَرَجَ في سنة إحدى وثلاثين إلى دِمَشْق ، وسارَ منها ودَخَل الدَّرْبَنْد ، وقد أَعْجَبَتْه كَثْرَة عَساكِره فإنَّه اجْتَمَع معه ثمانية عشر طَلَبًا لثمانية عشر مَلِكًا ، وقال : هذه العَساكِرُ لم تَجْتَمِع لأحَدٍ من مُلُوك الإسلام ، ونَزَلَ على النَّهْر الأَزْرَق بأوَّل بَلَد الرُّوم ، وقد نَزلت عَساكِرُ الرُّوم ، وأَخَذَت عليه رأس الدَّرْبَنْد ومنعوه ، فتَحَيَّر لِقِلَّةِ الأقْوات عِنْده ، ولاخْتِلافِ مُلوك بني أيُّوب عليه ، ورَحَلَ إلى مصر وقد فَسَدَ ما بينه وبين الأَشْرَف وغيره .

وأَخَذَ مَلِكُ الرُّوم الرُّها وحَرَّان بالسَّيْف . فتجهَّزَ الملكُ[d] الكامِلُ وخَرَجَ من القاهِرَة بعَساكِره في سنة ثلاثٍ وثلاثين ، وسارَ إلى الرُّها ونازَلَها حتى أَخَذَها وهَدَمَ قَلْعَتَها ، وأخذ حَرَّان بعد قِتالٍ شَديد ، وبَعَثَ بمَن كان فيها من الرُّوم إلى القاهِرَة في القُيُود ـ وكانوا زيادةً على ثلاثة آلاف نَفْس

---

a) بولاق : ثم سار .   b) بولاق : آخر جمادى الآخرة .   c) بولاق : رحل .   d) ساقطة من بولاق .

ـ ثم خَرَّب دُنَيْسر[a] وعادَ إلى دِمَشْق ، وسارَ منها إلى القاهِرَة ، فدَخَلَها في سنة أربعٍ وثلاثين .

ثم خَرَجَ في سنة خمسٍ و ثلاثين ، ونَزَلَ على دِمَشْق وقد امْتَنَعَت عليه ، فضايَقَها حتى أَخَذَها من أخيه الملك الصَّالِح إسماعيل ، وعَوَّضَه عنها بَعْلَبَك وبُصْرىٰ وغيرها في تاسع عشر جُمادَى الأولى ، ونَزَلَ بالقَلْعَة ، وشَرَعَ[b] يتجهَّز لأخْذِ حَلَب . وقد حَدَثَ[c] به زُكامٌ ، فدَخَلَ في ابْتِدائِه الحَمَّام ، فانْدَفَعَت الموادُّ إلى مَعِدَتِه فتَوَرَّم ، وثارَت به حُمَّى ، فنَهاهُ الأطِبَّاءُ عن القَيء ، وحَذَّروه منه ، فلم يَصْبِر وتَقَيَّأ ، فماتَ لِوَقْتِه في آخِر نَهار الأربعاء حادي عشرين رَجَب سنة خمسٍ وثلاثين وستّ مائة عن ستين سنة . منها مُلْكُه أرض مصر نحو أربعين سنة ، اسْتَبَدَّ فيها بعد مَوْتِ أبيه مُدَّة عشرين سنةٍ وخمسة وأربعين يومًا .

وكان يُحِبُّ العِلْمَ وأهْلَه ، ويُؤْثِر مُجالَستهم ، وشُغِفَ بسَماعِ الحَديث النَّبَوي وحَدَّثَ ، وبَنَى دارَ الحَديث الكامِلِيَّة بالقاهِرَة . وكان يُناظِرُ العُلَماء ويَمْتَحِنهم بمَسائِلَ غَريبَةٍ من فِقْهٍ ونَحْو ، فمَنْ أجابَ عنها حَظِيَ عنده . وكان يبيت عنده بقَلْعَةِ الجَبَل عِدَّةٌ من أهْلِ العِلْم ، على أسِرَّةٍ بجانِبِ سَريرِه ليُسامروه . وكان للأَدَب والعِلْم[d] عنده نَفَاقٌ ، فقَصَدَه النَّاسُ لذلك ، وصارَ يُطْلِق الأرْزاقَ الدَّارَّة لمن يقصده لهذا .

وكان مُهابًا حازِمًا ، سَديدَ الرأي ، حَسَنَ التَّدْبير ، عَفيفًا عن الدِّماء . وكان يُباشِرُ أُمورَ مَمْلَكته بنفسه من غير اعْتِمادٍ على وَزيرٍ ولا غيره ، ولم يَسْتَوْزر بعد الصَّاحِب صَفِيّ الدِّين عبد الله ابن عليّ بن شُكْر أحَدًا ، وإنَّما كان يَنْتَدِبُ من يَخْتارُه لتَدْبير الأشْغال ، ويُحْضِر عنده الدَّواوين ، ويُحاسِبُهم بنفسه .

وإذا ابتدأت زيادَةُ النِّيل خَرَج ، وكَشَفَ الجُسُورَ ، ورَتَّب الأُمَرَاءَ لعَمَلِها . فإذا انتهى عَمَلُ الجُسُور خَرَجَ ثانيًا / وتفقَّدها[e] ، فإن وَقَفَ فيها على خَلَلٍ عاقَبَ مُتَوَلِّيها أشدَّ العُقُوبَة . فعَمُرَت ٢
أرْضُ مصر في أيَّامِه عِمارَةً جَيِّدةً .

وكان يُخْرِج من زَكواتِ الأمْوال التي تُجْبَى من النَّاسِ سَهْمَي الفُقَراءِ والمساكين ، ويُعَيِّنُ مَصْرِف ذلك لمستحقِّيه شَرْعًا ، ويُقَرِّر[f] منه مَعاليم الفُقَهاء والصُّلَحاء . وكان يجلس كلَّ ليلةِ جُمْعَة مَجْلِسًا لأهْلِ العِلْم ، فيجتمعون عنده للمُناظَرَة . وكان كثيرَ السِّياسَة حَسَن المُدارَاة ،

---

a) بولاق : ثم خرج إلى دنيسر . b) بولاق : أخذ . c) بولاق : نزل . d) بولاق : للعلم والأدب . e) بولاق : تفقدها بنفسه . f) بولاق : ويفرز .

وأقامَ على كلِّ طريقٍ خُفراءَ لحِفْظِ المسافِرين؛ إلّا أنّه كان مُغْرَمًا بجَمْعِ المال، مُجْتهدًا في تَحْصيله، وأحْدَثَ في البِلاد حَوادِثَ سَمّاها «الحُقُـــوق» لم تُعْرَف قبله.

ومن شِعْرِه قَوْلُه:

[البسيط]

إذا تَحَقَّقْتم ما عِنْدَ صَاحِبِكم — من الغَرامِ فَذاكَ القَدْرُ يَكْفيهِ
أنتم سَكَنْتُم فُؤادي وهْو مَنْزِلُكم — وصَاحِبُ البَيْتِ أَدْرَى بالذي فيه

وقال له الطَّبيبُ عَلَمُ الدِّين أبو النَّصْر جِرْجِس بن أبي حُلَيْقَة [1]، في اليوم الذي ماتَ فيه: كيف نَوْمُ السُّلْطان في ليلتِه؟ فأنْشَدَ:

[الخفيف]

يا خَليلَيَّ خَبِّراني بصِدْقٍ — كيف طَعْمُ الكَرَى فإنّي نَسيتُ

[a]فماتَ من يَوْمِه[a] ودُفِنَ أوّلًا بقَلْعَةِ دِمَشْق، ثم نُقِلَ إلى جوارِ جَامِعِ بني أُمَيَّة وقَبْرُه هناك.

المَدْرَسَةُ الصَّيْرَمِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ من داخِلِ باب الجَمَلُون الصَّغير بالقُرْبِ من رأسِ سُوَيْقَة أمير الجُيُوش، فيما بينها وبين الجَامِع الحَاكِمي بجوار الزِّيادَة. بناها الأميرُ جَمالُ الدِّين سونج[b] ابن صَيْرَم، أَحَدُ أُمَرَاءِ السُّلْطانِ الملك الكامِل محمد بن أبي بكر بن أيُّوب [2]، وتوفي في تاسِع عشر صَفَر سنة سِتٍّ وثلاثين وستّ مائةٍ.

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) هذا الضَّبْط بخط المقريزي في المُسَوَّدَة، وفي بولاق والنُّسَخ: شويخ.

---

[1] انظر عن أطباء أسرة أبي حُلَيْقة فيما تقدم ٤٧١، وفيما يلي ٥٩٨، وانظر ترجمة عَلَم الدِّين أبي النَّصْر جِرْجِس بن ميخائيل بن الفارس القِبْطي المصري، المتوفى بعد سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٤م، عند المقريزي: المقفى الكبير ٣: ١٤.

[2] المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ٨٥ظ؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨٦. وحَلَّ مكان المدرسة الآن زاوية صغيرة تُعْرَف بزاوية سوق الصُّبَيْبَة. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٢٢ (٩)).

المَدْرَسَةُ المَسْرُورِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بالقاهِرَة داخِل دَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَة [١]، كانت دارَ (aالطَّواشي الأمير a) شَمْسِ الخَواصِّ مَسْرور أحَد خُدّام القَصْر [٢]، فجُعِلَت مَدْرَسَةً بعد وَفاتِه بوَصِيَّتِه، وأن يُوقَف الفُنْدُقُ الصَّغيرُ عليها. وكان بِناؤها من ثَمَنِ ضَيْعَةٍ بالشَّام كانت بيدِه أُبيعت بعد مَوْتِه، وتَوَلَّى ذلك القاضي كَمالُ الدِّين خِضْر ودَرَّسَ بها b) [٣].

وكان مَسْرورٌ مِمَّن اخْتَصَّ بالسُّلْطان صَلاح الدِّين يوسُف بن أيُّوب، فقَدَّمَه على حَلْقَتِه، ولم يَزَل مُقَدَّمًا إلى الأيَّام الكامِلِيَّة، فانْقَطَعَ إلى الله تعالى، ولَزِمَ دارَه إلى أن ماتَ ودُفِنَ بالقَرافَةِ إلى جانِب مَسْجِدِه وصِهْريجِه c)، وكان له بِرٌّ وإحْسانٌ ومعروفٌ. ومن آثاره بالقاهِرَة فُنْدُقٌ يُعْرَف اليوم بخَان مَسْرور (dوفُنْدُقٌ آخَرُ يُعْرَف بخان مَسْرُور الصَّغير d)، و له رَبْعٌ بالشَّارِع (eالأعْظَم مَوْقُوفٌ على ذلك وغيره بخُط السَّقْطِيين، رَحِمَه الله تعالى e) [٤].

المَدْرَسَةُ القُوصِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بالقاهِرَة في دَرْبِ سَيْفِ الدَّوْلَة بالقُرْبِ من دَرْبِ مُلُوخْيا [٥]، (eليس لها وَقْفٌ بالدِّيار المصرية e). أنشأها الأمير f) الكُرْدي والي قُوص [٦]، (eوقيل إنَّ لها وَقْفًا بالشَّام، هكذا ذَكَرَها القاضي ولم يَذْكُر اسم واقِفِها e).

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة، وفي النسخ الأمير، واللفظان ساقطان من بولاق. b) بولاق: فيها. c) إضافة من المُسَوَّدَة. d-d) ساقطة من بولاق. e-e) إضافة من المُسَوَّدَة. f) بياض بآياصوفيا.

---

[١] انظر عن دَرْبِ شَمْس الدَّوْلَة، فيما تقدم ٣:١٠٨- ١٠٩.

[٢] انظر عن الطَّواشي شمس الخواص مَسْرور، فيما تقدم ٣:٣٠٤- ٣٠٥.

[٣] هذا النَّصّ ـ كما في المُسَوَّدَة ـ منقول من «خِطَط» ابن عبد الظاهر، قارن مع الروضة البهية

٢٥، وكذلك ٥٧، ٩٠.

[٤] انظر فيما تقدم ٣:٣٠٤- ٣٠٥.

[٥] انظر فيما تقدم ٣:١٣٠- ١٣١.

[٦] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٩٢؛ المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ٨٥ظ؛ Garcin, J.-Cl., *Un centre musulman de la Haute-Égypte médiévale: Qûs*, p. 353.

المَدْرَسَةُ الحَنَفِيَّةُ [a]

بحَارَةِ الدَّيْلَم[1]

[b]لها وَقْفٌ يسير، كذا قال القاضي محيي الدِّين ولم يَزِدْ على هذا التَّعْريف شيئًا[b].

المَدْرَسَةُ الظَّاهِرِيَّةُ العَتِيقَة [a]

[أثر رقم ٣٧]

هذه المَدْرَسَةُ بالقاهِرَة من جملة خُطِّ بَيْن القَصْرَيْن، كان مَوْضِعُها من القَصْرِ الكَبير يُعْرَف بقاعَة الخِيَم، وقد تقدَّم ذكرُها في أَخْبارِ القَصْر[2]. وممَّا دَخَلَ في هذه المَدْرَسَة بابُ الذَّهَب المذكور في أبْوابِ القَصْر[3].

فلمَّا أَوْقَعَ الملكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْس البُنْدُقْداري الحَوْطَة على القُصُورِ والمناظِر ـ كما تقدَّم ذكرُه[11] ـ نَزَلَ القاضي كمالُ الدِّين طاهِر ابن الفَقيه نَصْر وَكيلُ بَيْتِ المال، وقَوَّمَ قاعَةَ الخِيَم هذه، وابْتاعَها الشيخُ شَمْسُ الدِّين محمد بن العِماد إبراهيم المَقْدسي شَيْخُ الحَنابِلَة ومُدَرِّسُ المَدْرَسَة الصَّالِحِيَّة النَّجْمية، [b]وقد وَقَفْتُ أنا على كِتابِ التَّقْويم والمبايَعَة[b]؛ ثم باعَها المذكور للسُّلْطان، فأَمَرَ بهَدْمِها وبناءِ مَوْضِعها مَدْرَسَةً[4].

فابتدئ بعِمارَتها في ثاني رَبيع الآخر سنة ستين وستّ مائة، وفُرِغَ منها في سنة اثنتين وستين وستّ مائة[5]. ولم يَقَع الشُّرُوعُ في بِنائِها حتى رَتَّبَ السُّلْطانُ وَقْفَها ـ وكان بالشَّام ـ فكتَبَ بما

---

a) هذا الضَّبْط بخط المقريزي في المُسَوَّدة. b-b) إضافة من المُسَوَّدة.

---

[1] هذه المَدْرَسَة ظَنَّها علي مبارك وجاستون ڤييت، مَدْرَسَة كافُور الزِّمام التي بنيت بحارة الدَّيْلَم سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م والتي ما تزال موجودةً بها ومسجلةً بالآثار برقم ١٠٧. (انظر فيما تقدم ٣٦٠).

[2] فيما تقدم ٢: ٣٤٣.

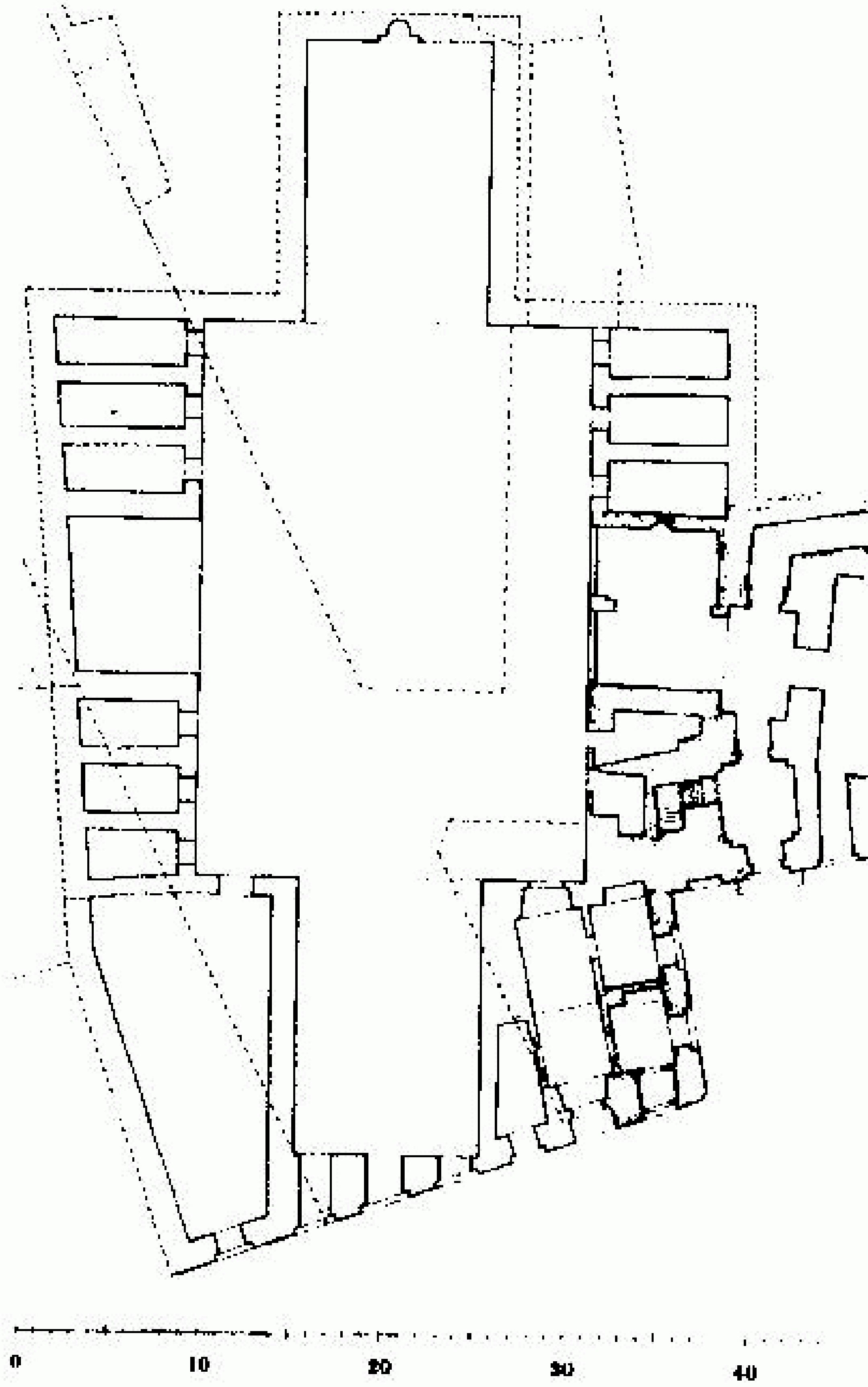
[3] فيما تقدم ٢: ٤٢١ – ٤٢٢.

[4] فيما تقدم ٢: ٢٨٦ – ٢٨٧، ٦١٠ – ٦١١.

[5] يُشيرُ إلى هذا التاريخ شَريطٌ من الكتابة التاريخية بالخَطّ النَّسْخ المملوكي الجميل يمتدُّ بطول واجهة المدرسة العُلْوي، سَجَّله Mehren نصُّه:

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرحيم. أَمَرَ بإنْشاء هذه المَدْرَسَة المبارَكة السَّعيدَة مَوْلانا السُّلْطانُ الأَعْظَمُ الملكُ الظَّاهر السَّيِّدُ الأَجَلُّ العالِمُ العامِلُ المجاهِدُ المُرابِطُ المُؤَيَّدُ المَنْصُور رُكْنُ الدُّنْيا والدِّين سُلْطان الإسْلام والمسلمين سَيِّدُ الملوك والسَّلاطين =

رَتَّبَه إلى الأمير جَمال الدِّين بن يَغْمُور،/ وأنْ لا يَسْتَعْمِل فيها أحَدًا بغير أجْرَة، و لا يُنْقِص من ٣٧٩:٢
أُجْرَتِه شيئًا[١].



مُخَطَط المَدْرَسَة الظَّاهِرية العتيقة (عن Meinecke)

فلمَّا كان يومُ الأحد خامس صَفَر سنة اثنتين وستين وستّ مائةٍ، اجْتَمَع أهْلُ العِلْم بها - وقد فُرِغَ منها - وحَضَرَ القُرّاءُ وجَلَسَ أهْلُ الدُّروس كلُّ طَائِفَةٍ في إيوانٍ: الشَّافِعِيَّةُ بالإيوان القِبْلي ومُدرِّسُهم الشَّيْخُ تقيُّ الدِّين محمد بن الحَسَن بن رَزِين الحَمَوي، والحَنَفِيَّةُ بالإيوان البَحْري ومُدَرِّسُهم الصَّدْرُ مَجْدُ الدِّين عبد الرَّحْمٰن بن الصَّاحِب كمال الدِّين عُمَر بن العَديم الحَلَبي، وأهْلُ الحَدِيث بالإيوان الشَّرقي ومُدَرِّسُهم الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّين عبد المُؤْمِن ابن

= مالِكُ رِقابِ الأُمَم سَيِّدُ مُلُوكِ العَرَب والعَجَم أبو الفَتْح بَيْبَرْس قَسِيم أمير المؤمنين، أعَزَّ الله أحْكامَه وأدامَ أيّامَه ونَشَرَ في الخافِقين بالنَّصْر والتأييد ألْوِيَتَه وأعْلامَه بمحمدٍ وآلِه وصَحْبِه، وذلك في شهور سنة ستين وستّ مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 74; Wiet, G., *RCEA* XII, n° 4485). لم يَبْقَ منه الآن سوى أوَّله وآخره فقط.

[١] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٩٠.

خَلَف (aبن أبي الحسن بن خِضْر بن مُوسَىa) الدِّمْياطي، والقُرّاءُ بالقِراءات السَّبْع في الإيوان الغَرْبي وشَيْخُهم الفَقيهُ كمالُ الدِّين المَحَلّيّ وقَرَّروا كلُّهم الدُّرُوس وتَناظَروا في عُلومِهم، ثم مُدَّت الأَسْمِطَةُ لهم فأكلوا[1]، وقامَ الأديبُ أبو الحُسَيْن الجَزّار[2] فأَنْشَدَ[3]:

[الطويل]

أَلا هَكَذا يَبْني المَدارسَ مَنْ بَنَى ... ومَنْ يَتَغالى في الثَّواب وَفي الثَّنا
لَقَد ظَهَرَت للظَّاهِر المَلِك هِمَّةٌ ... بها اليوم في الدَّارَيْن قد بَلَغ المُنَا
تَجَمَّع فيها كُلُّ حُسْنٍ مُفَرَّقٍ ... فراقَت قُلوبًا للأنام وأَعْيُنَا
ومُذْ جاوَرَتْ قَبْرَ الشَّهيد فنفسه النَّـ ... ـفيسَة منها في سُرُورٍ وفي هَنا
وما هي إلَّا جَنَّةُ الخُلْدِ أُزْلِفَت ... له في غَدٍ فاخْتار تَعْجيلها هُنَا

وقال السِّراجُ الوَرّاق[4] أيضًا قَصيدَةً منها[5]:

[الطويل]

مَليكٌ له في العِلْمِ حُبٌّ وأَهْله ... فللّه حُبٌّ ليس فيه مَلامُ
فشَيَّدَها للعِلْم مَدْرَسَةً غَدا ... عِراقٌ إليها شَيِّقٌ وشآمُ
ولا تَذْكُرَنَّ يومًا نِظامِيَّةً لها ... فليس يُضاهي ذا النِّظام نِظامُ
ولا تذكرنّ مَلِكًا فبَيْبَرس مالِكٌ ... وكُلُّ مَليكٍ في يَدَيه غُلامُ
ولمَّا بَناها زَعْزَعَت كلَّ بِيعَةٍ ... متى لاحَ صُبْحٌ فاسْتَقَرَّ ظَلامُ
وقد بَرَزَت كالرَّوْضِ في الحُسْنِ أنبأت ... بأن يَدَيه في النَّوالِ غَمامُ
ألم تَرَ مِحْرابًا كأنّ أزاهِرا ... تَفَتَّح عنهن الغَداةَ كَمامُ

وقال الشَّيْخُ جَمالُ الدِّين يُوسُف بن الخَشّاب[6]:

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدة.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٨٤.

[2] جَمالُ الدِّين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى ابن محمد الجزَّار، شاعرٌ مصري كان جَزَّارًا بفُسْطاط مصر واجتمع به ابنُ سعيد المغربي صاحب كتاب «المُغْرِب» غير مَرَّة أثناء زيارته للفُسْطاط. (انظر فيما تقدم ١: ٢٨٥هـ[2]).

[3] الأبيات عند ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٨٥؛ بيبرس الدواداري: زبدة الفكرة ٨٦–٨٧؛ العيني: عقد الجمان ١: ٣٨٤.

[4] انظر عن سراج الدِّين عمر بن محمد بن حسن، المتوفى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م، فيما تقدم ١٨٧هـ[2].

[5] الأبيات عند ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٨٤–١٨٥.

[6] العيني: عقد الجمان ١: ٣٨٣.

[الكامل]

قَصَدَ المُلُوكُ حِماكَ والخُلَفاءُ فافْخَر فإنَّ مَحَلَّكَ الجَوْزَاءُ
أنتَ الذي أُمَراؤُه بين الوَرَى مِثْلُ الملوكِ وجُنْدُه أُمَراءُ
مَلِكٌ تَزَيَّنَتِ الممالِكُ باسْمِه وتَجَمَّلَت بمَديحِه الفُصَحاءُ
وتَرَفَّعَت لعُلاهُ خَيْرُ مَدارِسٍ حَلَّت بها العُلَماءُ والفُضَلاءُ
تَبْقَى كما يَبْقَى الزَّمانُ ومُلْكُه باقٍ له ولحاسِديه فَناءُ
كَمْ للفِرِنْجِ وللتَّتار ببابِ رُسُلٌ مُناهَا العَفْوُ والإعْفاءُ
وطَريقُه لبلادِهم مَوْطُوءَةٌ وطَريقُهم لبلادِه عَذْرَاءُ
دَامَت له الدُّنيا ودَامَ مُخَلَّدًا ما أَقْبَلَ الإصْبَاحُ والإمْسَاءُ

فلمَّا فَرَغَ هؤلاء الثلاثة من إنْشادِهم، أُفيضَت عليهم الخِلَعُ، وكان يَوْمًا مَشْهودًا[١].

وجَعَلَ بها خِزانَةَ كُتُبٍ تَشْتَمِل على أُمَّهاتِ الكُتُب في سَائِر العُلُوم، وبَنَى بجانِبها مَكْتَبًا لتَعْليم أيْتام المسلمين كِتاب الله العَزيز[a] وأَجْرَى لهم الجرايات والكُسْوَة، وأوْقَفَ عليها رَبْعَ السُّلْطانِ خارِج بابِ زَوِيلَة، فيما بين بابِ زَوِيلَة وبابِ الفَرَجِ، ويُعْرَف ذلك الخُطّ اليوم به، فيُقالُ «خُطُّ تَحْتِ الرَّبْع». وكان رَبْعًا كبيرًا لكنَّه خَرِبَ منه عِدَّةُ دُورٍ فلم تُعَمَّر[٢]. وتحت هذا الرَّبْع عِدَّةُ حَوانيتَ هي اليوم[b] من أَجَلِّ الأسْواق، وللنَّاسِ في سُكْناها رَغْبَةٌ عَظيمَةٌ، ويتنافَسُون فيها تَنافُسًا

a) بولاق: تعالى. b) بولاق: الآن.

[١] عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٨٤–١٨٥؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ٨٦.

[٢] قَدَّم لنا ابنُ شَدَّاد وَصْفًا تَفْصيليًا لرَبْع السُّلْطان الظَّاهِر بَيْبَرْس يقول: «وأنشأ [أي السُّلْطان الظَّاهر بَيْبَرْس] بظاهِر القاهِرَة مِمَّا يلي باب الخَرْق رَبْعًا طويلًا كأنَّه طراز يشتمل على قَيْساريتين إحْداهما كبرى وفيها سُفْله حوانيت يَعْلوها طِباق، ويَعْلو الطِّباق طِباقٌ أخرى، تكون عِدَّة الحوانيت الشَّارِعة ثمانية وثلاثين حانوتًا، وعِدَّةُ الحوانيت التي بالقَيْساريتين مائة وثلاثة عشر حانُوتًا، وفي الممشى إلى باب الفَرَج من الرَّبْع المذكور ثمانية وعشرون حانُوتًا يجمعها صَفَّان، وعِدَّةُ الطِّباق العلوية والسُّفْلية مائة مَنْزِل وثمانية منازل، ووَقَفَ ثُلُثَه على وَلَده الملك السَّعيد ـ عَزَّ نَصْره ـ وثُلُثَيْه على مَدْرسته». (ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر ٣٤٤؛ وانظر كذلك وثيقة الظاهر بيبرس البندقداري (محكمة ١٢٦) وما اقتطعه منها عبد اللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة الآثار «العصر المملوكي»، ٢٢١–٢٢٢؛ وعاطف عبد الدايم عبد الحي: شارع تَحْت الرَّبْع منذ نشأته وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري - دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٩٧).

ويَدُلُّ على مَوْضِع رَبْع السُّلْطان الآن مجموعةُ المباني الواقعة تجاه تَكِيَّة وزاوية الشيخ إبراهيم الكُلْشَني بشارع تَحْت الرَّبْع على يمين الخارج من باب زويلة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٦٦هـ[٣]).

يرتفعون فيه إلى الحُكَّام [١].

وهذه المَدْرَسَةُ من أَجَلِّ مَدارِس القاهِرَة، إلَّا أنَّها قد تَقادَم عَهْدُها فرَثَت، وبها إلى الآن بقيةٌ صَالِحَةٌ، ونَظَرُها تارةً يكون بيدِ الحَنَفِيَّة، وأحيانًا بيدِ الشَّافِعيَّة، ويُنازِع في نَظَرِها أوْلاد الظَّاهِر فيدفعون عنه، ولله عاقِبَةُ الأمُور [٢].

---

[١] انظر فيما تقدم ٣: ٣٠٠- ٣٠١.

[٢] المَدْرَسَةُ الظَّاهِرِيَّة العَتيقة (تَمْييزًا لها عن المَدْرَسَة الظَّاهرية المُستجدَّة التي أنشأها الظَّاهر بَرْقُوق)، أوَّلُ مَدْرسةٍ ذات تَخْطيطٍ متعامِدٍ في مصر، إلَّا أنَّها لم يُدَرَّس بها الفِقْه على المذاهب الأربعة فقط، كما هو مُتَّبَع في نظام المدارس، يقول ابن شداد: «تشتمل على أربعة أواوين: الإيوان القِبْلي يُدَرَّس فيه مَذْهَبُ الإمام الشَّافعي - رضي الله عنه - والإيوان الذي تجاهه وله على الطَّريق شبابيكُ يُدَرَّس فيه مَذْهَبُ الإمام أبي حَنيفَة، والإيوان الذي على يَمْنَة الدَّاخِل يُقْرأ فيه بكرة السَّبْع ويُشْتَغَل بالقراءات السَّبْع، وفي الإيوان الذي يقابله يشتغل فيه بالحديث النَّبَوي، وبها من البيوت المُعَدَّة لسكنى الطَّلَبَة. وبَنَى إلى جانبها مكتبًا للسَّبيل يُعَلِّم فيه الأيْتام القُرآن، يُصْعَد إليه بدَرَج، ولكلِّ صبيٍّ يقرأ فيه في اليوم خُبْزٌ وفي السَّنَة كُسْوتان وعُدَّتهم. وبَنَى فيما بين المَدْرَسَة وبينه مَيْضأة ما أحْوَج النَّاس إليها تشتمل على [بياض] بيتًا وفي وسطها [بياض]». (تاريخ الملك الظاهر ٣٤٤-٣٤٥).

وظَلَّت هذه المَدْرَسَة قائمةً في منطقة بَيْن القَصْرَيْن بشارع المعز لدين الله أمام مجموعة قلاوون الشهيرة، وسَجَّلت رَسْمَها أحدُ لوْحاتِ دافيد روبير David Robert قَبْل أن تُهْدَم، سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، من أجل فَتْح شارع بيت القاضي الذي اخْتَرَقَ مبانيها، ولم يتبق منها سوى جزءٍ مُتَخَرِّب سُجِّلَ بالآثار برقم ٣٧؛ كما نُقِل مِصْراعا باب المَدْرسة الخشبيان إلى السِّفارة الفرنسية أوَّلًا في مقرِّها القديم مَحَلَّ عمارة الإيموبيليا ثم نقلته معها إلى مقرِّها الجديد بشارع مراد بالجيزة (شارع شارل دي جول الآن). ويوجد بأعلى هذا الباب وأسفله شريطان من المَعْدن مكتوبٌ عليهما:

«الملك الظَّاهر رُكن الدُّنْيا والدِّين أبو الفَتْح بَيْبَرْس أدام الله أيَّـامه وأعَزَّ أحكامه سنة ٦٦١». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 75; Wiet, G., *RCEA* XII, n° 4501). ويُعَدُّ هذا النَّصُّ أقْدَم أنْمُوذَجٍ وَصَل إلينا كُتِبَ فيه التاريخُ بالأرقام في الآثار الإسلامية.

راجع عن هذه المَدْرَسَة، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٩٠؛ النويري: نهاية الأرب ٣٠: ٩٣- ٩٤؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ٨٦؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ١٠٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٦٢، ٤٣١؛ المقريزي: السلوك ١: ٥٠٤، ٦٣٨؛ العيني: عقد الجمان ١: ٣٨٢- ٣٨٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٢٠، ٢١٣، المنهل الصافي ٣: ٤٦٥- ٤٦٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ٢٦٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣١٢، ٣٤٠؛ وانظر أيضًا Creswell, K.A.C., «The Works of Sultan Baibars al-Bunduqdârî in Egypt», *BIFAO* XXVI (1926), pp. 131-43; id., *MAE* II, pp. 143-47؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ١٨- ٣١؛ Golvin, L., *La Madrasa médièval*, pp. 108-9؛ حسني محمد نويصر: «دراسة لأجزاء هامَّة من بقايا مدرسة الظاهر بيبرس البندقداري بالقاهرة»، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ٧ (١٩٩٦)، ١- ٤٠؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٢٣- ٣٨.

المَدْرَسَةُ المَنْصُوريَّة

[أثر رقم ٤٣]

هذه المَدْرَسَةُ من داخِلِ باب المارِسْتان الكبير المَنْصوري بخُطِّ بَيْن القَصْرَيْن بالقاهِرَة [1]. أنشأها هي
والقُبَّة / التي تجاهها والمارستان الملك المُنْصُور سَيْف الدِّين قَلاوون الصَّالِحِي التُّرْكي. (aوكان قد ٣٨
أخَذَ الدَّارَ القُطْبِيَّة وجَعَلَها هذا المارِسْتان الموجودَ الآن، ثم بَنَى المَدْرَسة والقُبَّة في وَجْهِ المارِسْتان
المذكور a)، ورَتَّبَ بالمَدْرَسةb) دُرُوسًا أربعة لطَوائِف الفُقَهاء الأربعة (aوتَصْدير قِراءات a)، ورَتَّبَ
بالقُبَّة دَرْسًا للحَديثِ النَّبوي ودَرْسًا لتَفْسير القُرْآن العَظيم وميعادًا، (aوجَعَلَ بالبيمارِسْتان دَرْسَ
الطِّب a)، وكانت هذه التَّداريسُ لا يليها إلَّا أجَلُّ الفُقَهاءِ المُعْتَبَرين، ثم هي اليوم كما قيل:

[الطويل]

تَصَدَّرَ للتَّدْرِيس كُلُّ مُهَوَّسٍ ... بَليدٍ يُسَمَّى بالفَقيهِ المُدَرِّسِ
فَحُقَّ لأهْلِ العِلْم أن يَتَمَثَّلُوا ... بِبَيْتٍ قَديمٍ شاعَ في كُلِّ مَجْلِسِ
لقد هَزُلَت حتى بَدَا من هُزالِها ... كلاها وحتى سَامَها كُلُّ مُفْلِسِ

(aوكان الشَّادّ على عِمارَة ذلك الأميرَ عَلَمَ الدِّين سِنْجِر الشُّجاعي المَنْصُوري الوَزير مُدَبِّر المَمالِك الإسلامية، وظَهَرَ من اهْتِمامِه بذلك ما لم يُسْمَع بمثله [2]. وكان الابتداءُ في العمــارة في a) c).

---

a-a) إضافة من مُسَوَّدَة الخطط. b) بولاق والنُّسَخ: بها. c) بياض بالمُسَوَّدَة.

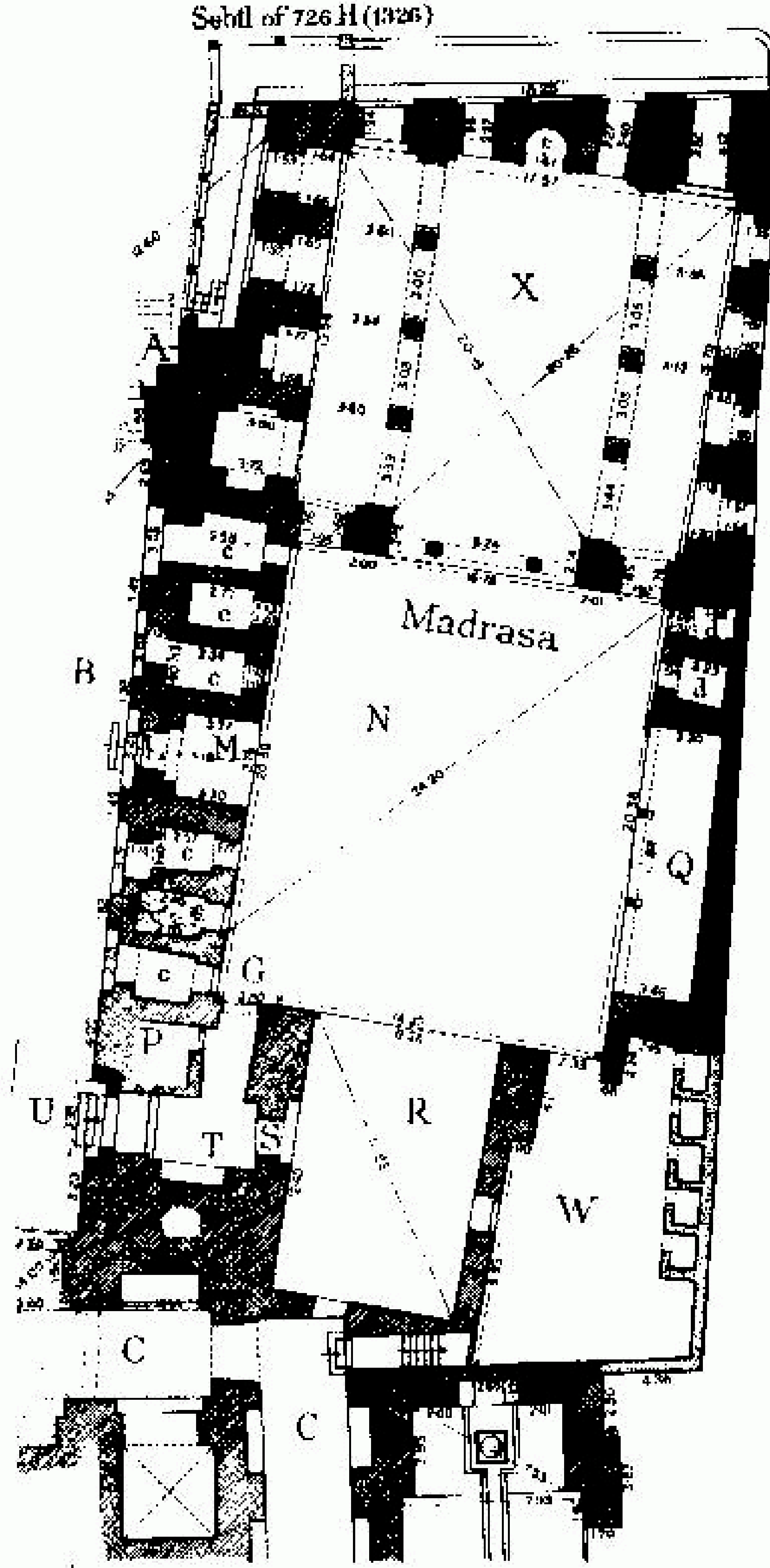
---

[1] انظر فيما يلي ٦٩٢.

وكان البيمارستان السَّبَب في إنشاء هذه المجموعة لذلك غَلَبَ اسم البيمارستان عليها.

[2] ما تزال هذه المجموعة (المارستان والقُبَّة والمَدْرَسَة) قائمةً في شارع المعز لدين الله في مواجهة شارع بيت القاضي. وتُعَدُّ من روائع العمارة المملوكية البحرية في القاهرة. وكان البَدْءُ في عمارتها في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٣م، والفَراغُ منها في جمادى الأولى سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٤م، أي أنَّ البيمارِسْتان والقُبَّة والمَدْرَسَة استَغْرَق بناؤها أربعة عشر شهرًا، فيوجَد فوق المَدْخَل الرَّئيس للمجموعة ـ الذي يُؤدِّي بالدَّاخِل منه إلى «القُبَّة» على يمين الدَّاخل و«المَدْرَسَة» و«البيمارستان» على يسار الدَّاخِل ـ كتابةٌ تاريخيةٌ بالخَطِّ النَّسْخ المملوكي، نَصُّها:

«أمَرَ بإنشاء هذه القُبَّة الشَّريفة المُعَظَّمَة والمَدْرَسَة المباركة والبيمارستان المبارَك مَوْلانا السُّلْطان الأعظم الملك المَنْصُور سَيْفُ الدُّنْيا والدِّين قَلاوون الصَّالحي. وكان ابتداءُ عمارة ذلك في ربيع الآخر سنة ثلاثٍ وثمانين وستّ مائة، والفَرَاغُ منه في جُمادَى الأولى سنة أربعٍ وثمانين وستّ =



مُخطَّط المَدْرَسة المَنْصُورية (عن Creswell)

= مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 86; وانظر كذلك *CIA* ؛Wiet, G., *RCEA* XIII, n° 4844 (I, n^{os} 82-85; *RCEA* XIII, n^{os} 4845-53.

وراجع كذلك، ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام ٥٥-٥٧؛ شافع بن علي: الفضل المأثور ١٦٨-١٧٠؛ النويري: نهاية الأرب ٣١: ١١٢؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ٩-١١؛ المقريزي: السلوك ١: ٧١٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٢٥؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٢٢٦-٢٢٨ (٩٩-١٠٠)؛ Herz, M., *Die Baugruppe des Sultans Qalâûn in Kairo*, Hamburg 1919; Creswell, K.A.C., *MAE* II, 190-212؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١١٤-١٢٣؛ محمد سيف النصر أبو الفتوح: «مدرسة السلطان المنصور قلاوون بالنحّاسين بالقاهرة ـ دراسة أثرية في ضوء وثيقة جديدة»، مجلة كلية الآداب ـ جامعة صنعاء (١٩٨٤)، ٧٧-١٢٩؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٦٩-٧٤؛ Golvin, L., La Madrasa médiévale, pp. 109-12؛ محمد حمزة الحداد: السلطان المنصور قلاوون ١٦٠-١٨٢؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٢٩-١٦٧.

القُبّةُ المَنْصُورِيّة

هذه القُبّةُ تجاه المَدْرَسَة المَنْصوريةِ ، وهما جميعًا من داخِل بابِ المارِسْتان المَنْصوري ، وهي من أعْظَم المباني الملوكية وأجَلِّها قَدْرًا وبها قَبْرٌ تَضَمَّن الملكَ المَنْصُور سَيْف الدِّين قَلاوون ، وابنَه الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، والملكَ الصَّالِح عِماد الدِّينِ إسماعيل بن محمد بن قَلاوون [1].

وبها قاعَةٌ جَليلةٌ في وَسَطِها فَسْقِيَّةٌ يَصِلُ إليها الماءُ من فَوَّارَةٍ بديعةِ الزِّيّ ، وسائِرُ هذه القاعَة مَفْرُوشٌ بالرُّخام الملوَّن . وهذه القاعَةُ مُعَدَّةٌ لإقامَة الخُدَّام الملوكية ، الذين يُعْرَفون اليوم في الدَّوْلَة التركية بـ « الطَّواشِيَّة » واحِدهم طَواشي ، وهذه لَفْظَةٌ تركيةٌ أصْلُها بُلَغَتِهم « طَابُوشي » ، فتَلاعَبَت بها العامَّةُ وقالت : طَوَاشي وهو الخَصِيّ [2].

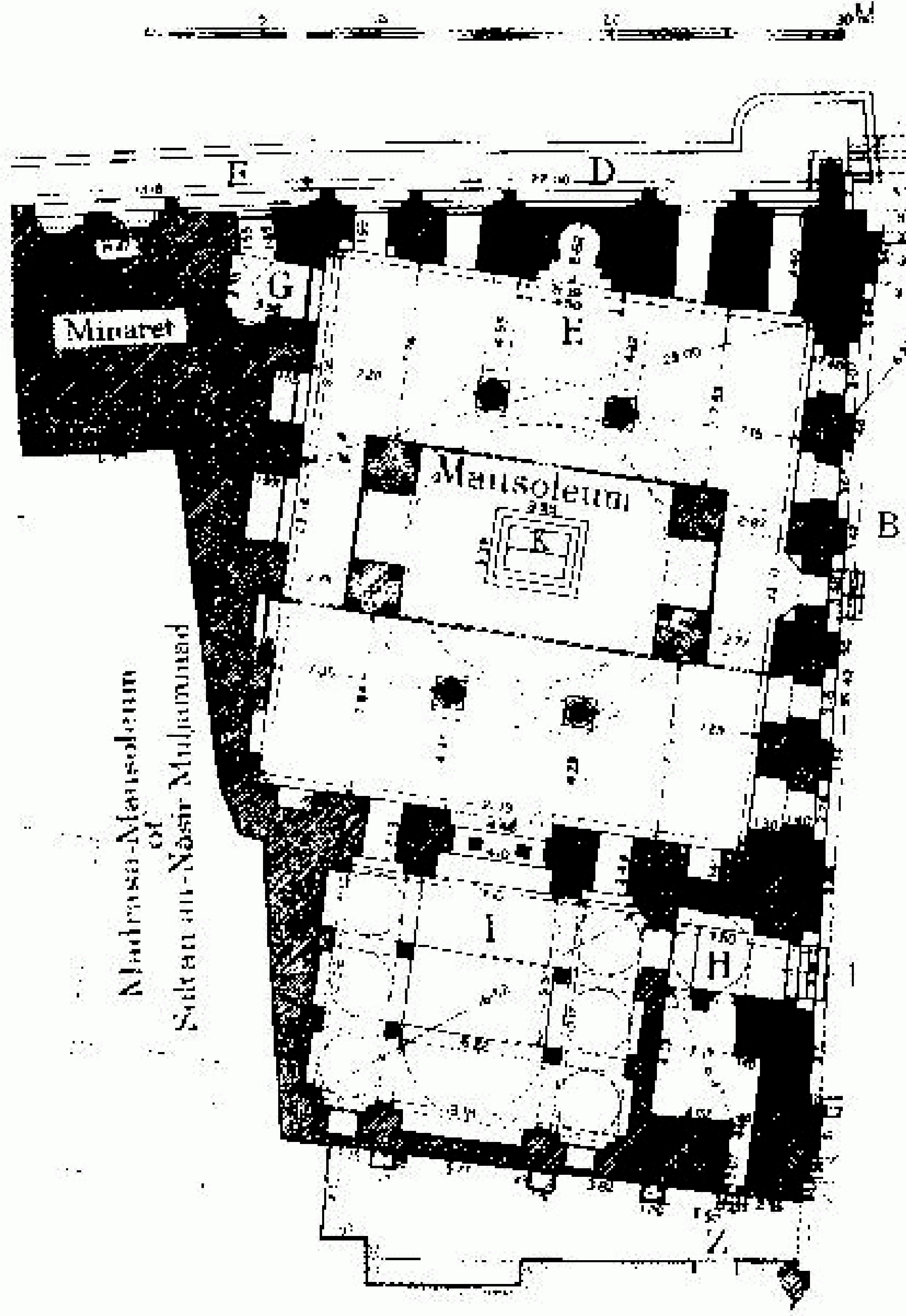
ولهؤلاء الخُدَّام في كلِّ يومٍ ما يكفيهم من الخُبْزِ النَّقي واللَّحْم المطبوخ ، وفي كلِّ شَهرٍ من المعاليم الوافرة ما فيه غُنْيَةٌ لهم . وأدركتهم ولهم حُرْمَةٌ وافِرَةٌ ، وكلمةٌ نافِذَةٌ ، وجانِبٌ مَرْعِي ، ويعد شَيْخُهم من أعْيان النَّاس يجلس على مَرْتَبَةٍ ، وبقيةُ الخُدَّامِ في مَجالِسهم لا يَبْرَحون في عِبادَة . وكان يَسْتَقِرُّ في وَظائِف هذه الخِدْمَة أكابِرُ خُدَّام السُّلْطان ، ويُقيمُون عنهم نُوَّابًا يُواظِبُون الإقامَةَ بالقُبّة ، ويَرَوْن - مع سَعَةِ أحْوالِهم ، وكَثْرَةِ أمْوالِهم - من تَمام فَخْرِهم وكمالِ سِيادتهم ، انْتماءَهم إلى خِدْمَةِ القُبّة المَنصوريَّة ، ثم تَلاشَى الحالُ بالنسبة إلى ما كان ، والخُدَّامُ بهذه القاعَة إلى اليوم [3].

---

[1] راجع عن القُبّة المراجع المذكورة في الهامش السابق ، وأضف إليها ، Meinecke, M., «Das Mausoleum des Qalâ'ûn in Kairo Untersuchungen zur Genese der mamlukischen Architektekoration», *MDAIK* 27 (1971), pp. 47-80؛ آمال العمري : «دراسة جديدة على ضريح المنصور قلاوون بالنحاسين (٦٨٣-٦٨٤هـ/١٢٨٤-١٢٨٥م)» ، دراسات آثارية إسلامية ٣ (١٩٨٨) ، ٤٧- ٦١؛ محمد حمزة الحداد : السلطان المنصور قلاوون ١٤٠- ١٥٩.

[2] انظر معنى لَفْظ طَواشي في العصر الأيُّوبي . (فيما تقدم ١:٢٣٢هـ[3]) ؛ وانظر كذلك الظاهري : زبدة كشف الممالك ١٢٢.

[3] انظر كذلك فيما يلي ١٢:٧٠١-١٦ .



مُخطَّط القُبَّة المنصورية (عن Creswell)

وقَصَدَ المُلوكُ بإقامَةِ الخُدَّام في هذه القاعَة ، التي يُتَوَصَّلُ إلى القُبَّة منها ، إقامَة نامُوس المُلْك بعد المَوْتِ كما كان في مُدَّةِ الحَيَاة ، وهم إلى اليوم لا يُمَكِّنُون أحدًا من الدُّخُولِ إلى القُبَّة إلَّا مَنْ كان من أهْلِها .

ولله دَرُّ يحيى بن حَكَم البَكْري الجياني المغربي ـ الملقَّبِ بالغَزال لجَمالِه ـ حيث يقول :

[الوافر]

أَرَى أَهْلَ الثَّراءِ إذا تُوُفُّوا بَنَوا تِلْكَ المَقابِر بالصُّخُورِ
أَبَـوْا إلَّا مُـباهـاةً وتِـيـهًـا على الفُقَراءِ حتى في القُبُورِ

وفي هذه القُبَّة دُرُوسٌ للفُقَهَاءِ على المذاهِب الأربعة ، وتُعْرَف بدُرُوسِ وَقْفِ الصَّالِح . وذلك أنَّ الملكَ الصَّالِحَ عِماد الدِّين إسماعيل بن محمد بن قَلاوون قَصَدَ عِمارَة مَدْرَسَةٍ ، فاخْتَرَمَتْه المَنِيَّةُ دون بُلوغ غَرضِه . فقامَ الأميرُ أَرْغُون العَلائي ، زَوْجُ أُمِّه ، في وَقْفِ قَرْيَةٍ تُعْرَف بدَهْمَشا الحَمَّام من الأَعْمالِ الشَّرْقِيَّة ، عن أُمِّ الملك الصَّالِح . فأَثْبَتَه بطَريقِ الوَكالَة عنها ، ورَتَّب ما كان الملكُ الصَّالِح

إسماعيل قَرَّرَه في حَياته لو أنشأ مَدْرَسَةً، وجَعَلَ ذلك الأمير أَرْغُون مُرَتَّبًا لمن يقوم به في القُبَّة المَنْصورية. وهو وَقْفٌ جَليلٌ يَتَحَصَّل منه في كلِّ سنةٍ نحو الأربعة آلاف دينار ذَهَبًا.

ثم لمَّا كانتِ الحَوادِثُ وخَرِبَت النَّاحِيَةُ المذكورة، تَلاشَى أمْرُ وَقْفِ الصَّالِح وفيه إلى اليوم بقيَّة. وكان لا يلي تَدْريسَ دُرُوسِه إلَّا قُضَاةُ القُضَاة، فوليه الآن الصِّبْيانُ ومن لا يُؤَهِّل - لو كانت الإنْصافُ - له.

وفي هذه القُبَّة أيضًا قُرَّاءٌ يتناوبون القِراءَة بالشَّبابيك المُطِلَّة على الشَّارِع طُولَ اللَّيْل والنَّهار، وهم من جِهَة ثَلاثة أوْقاف: فطائِفَةٌ من جِهَة وَقْف الملك الصَّالِح إسماعيل، وطائِفَةٌ من جِهَة الوَقْف السَّيْفي وهو مَنْسُوبٌ إلى الملك المَنْصور سَيْف الدِّين أبي بكر ابن الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون[1].

وبهذه القُبَّة إمامٌ راتِبٌ يُصَلِّي بالخُدَّام والقُرَّاء وغيرهم الصَّلوات الخَمْس، ويُفْتَح له بابٌ فيما بين القُبَّة والمِحْراب يدخل منه من يُصَلّي من النَّاس، ثم يُغْلَق بعد انْقِضَاء الصَّلاة.

وبهذه القُبَّة خِزانَةٌ جليلةٌ، كان فيها عِدَّةُ أحْمالٍ من الكُتُب في أنْواع العُلومِ ممَّا وَقَفَه الملكُ المَنْصور وغيره، وقد ذَهَبَ مُعْظَمُ هذه الكُتُب، وتفرَّق في أيْدي النَّاس[2].

وفي هذه القُبَّة خِزانَةٌ بها ثِيابُ المُلُوك[a] المَقْبُورين بها، ولهم فَرَّاشٌ معلومٌ بمَعْلُومٍ لتَعَهُّدهم، ويُوضَع ما يُتَحَصَّل من مالِ أوْقافِ المارِسْتان بهذه القُبَّة تحت أيْدي الخُدَّام.

وكانت العادَةُ أنَّه إذا أَمَّرَ السُّلْطانُ أحَدًا من أُمَرَاءِ مصر والشَّام، فإنَّه يَنْزِل من قَلْعَةِ الجَبَل وعليه التَّشْريفُ والشَّرْبوشُ، وتُوقَد له القاهِرَةُ، فيمرُّ إلى المَدْرَسَة الصَّالِحِيَّة بَيْن القَصْرَيْن، وعُمِلَ ذلك

---

a) ساقطة من بولاق. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة.

---

[1] لم يذكر المقريزي جهة الوَقْف الثَّالث.

[2] وَصَفَ النويري - قبل المقريزي بنحو مائة عام - هذه الخِزانَة وكتبها بقَوْله: «وبخِزانَة كُتبِها من الخَتَمات الشَّريفَة والرَّبْعات المنسوبة الخَطّ وكُتُب التَّفْسير والحَديث والفِقْه واللُّغَة والطِّبّ والأدَبيات ودَواوين الشُّعَراء شيءٌ كثير»، كما رُتِّب لخازِن كتبها في كلِّ شهر أربعون دِرْهمًا. (نهاية الأرب ٣١:١١١).

ووَصَلَ إلينا من بين كُتُب هذه الخِزانَة، الجزء الأوَّل من كتاب «أدَب الخواصّ في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيَّامِها» للوزير الحسين بن علي ابن الحسين المغربي الكاتب، المتوفى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، وهذه النُّسْخَة محفوظة الآن في المكتبة العامَّة بمَدينة بورصة التركية، وجاء على ظَهْريتها: «هذا الكتاب من الكتب الموقوفة المخزونة في خِزانَة القُبَّة المنصورية بمصر المحروسة =

من عَهْدِ سَلْطَنَة المُعِزّ أَيْبَك ومن بعده. فنُقِلَ ذلك [b]في دَوْلَة بني قَلاوون[b] إلى القُبَّة المَنْصورية، وصارَ الأميرُ يَحْلِف عند القَبْر المذكور ويحضر تَحْليفه / حاجِبُ[a] الحُجّاب، وتُمَدُّ أسْمِطَةٌ جَليلةٌ بهذه القُبَّة، ثم يَنْصَرِفُ الأميرُ، ويجلس له في طُولِ شارِع القاهِرَة إلى القَلْعَة المَغاني[b] لتَزُفّه في نُزُولِه وصُعُودِه. وكان هذا من جُمْلَة متنزّهات القاهِرَة، وقد بَطَلَ ذلك منذ انْقَرَضَت دَوْلَةُ بني قَلاوون.

ومن جُمْلَةِ أخْبارِ هذه القُبَّة أنَّه لمَّا كان في يوم الخميس مُسْتَهَلّ المحرَّم سنة تسعين وستّ مائةٍ، بَعَثَ الملكُ الأشْرَفُ صَلاحُ الدِّين خَليل بن قَلاوون بجملةِ مالٍ تَصَدَّق به في هذه القُبَّة، ثم أمَرَ بنَقْلِ أبيه من القَلْعَة. فخَرَجَ سَائِرُ الأُمَرَاء ونائِبُ السَّلْطَنَة الأمير بَيْدَرا بَدْر الدِّين، والوَزير الصَّاحِب شَمْس الدِّين محمد بن السَّلْعُوس التَّنوخي وحَضَرُوا بعد صَلاةِ العشاءِ الآخرةِ، ومَشَوا بأجْمَعهم قُدّام تابُوت الملك المَنْصور إلى الجَامِع الأزْهَر، فوَجَدوا[c] القُضَاةَ ومَشايخَ الصُّوفية [d]والقُرَّاء قد اجْتَمعوا لذلك[d]. فتقدَّم قاضي القُضَاة تقيُّ الدِّين بن دَقيق العيد وصَلَّى على الجَنازَة، وخَرَجَ الجَميعُ أمامَها إلى القُبَّة المَنْصوريَّة حتى دُفِنَ فيها، وذلك في ليلة الجُمُعَة ثاني المحرَّم، وقيل عاشِره.

ثم عادَ الوَزيرُ والنَّائِبُ من الدِّهْليز خارِج القاهِرَة إلى القُبَّة المَنْصوريَّة لعَمَلِ مُجْتَمعٍ بسَبَبِ قِراءَة خَتْمَةٍ شَريفَة[e] [d]عند قَبْرِ الملك المَنْصور[d] في ليلة الجُمُعَة ثامِن عشرين صَفَر منها، وحَضَرَ المشايخُ والقُرَّاءُ والقُضَاةُ في جَمْعٍ مَوْفُور، وفُرِّقَ في الفُقَرَاءِ صَدَقاتٌ جَزيلَة، ومُدَّت أسْمِطَةٌ كثيرةٌ، وتَفَرَّقَتِ النَّاسُ أطعمتها حتى امْتَلأَت الأيْدي بها، وكانت إحْدى اللَّيالي الغُرّ كَثُرَ الدُّعاءُ فيها للسُّلْطانِ وعَساكِر الإسْلام بالنَّصْر على أعْدَاءِ المِلَّة، وحَضَرَ الملكُ الأشْرَفُ بُكْرَةَ يوم الجُمُعَة إلى القُبَّة المَنْصوريَّة، وفَرَّق مالاً كثيرًا[1].

وكان الملكُ الأشْرَفُ قد بَرَزَ يُريدُ المسير لجِهادِ الفِرِنْج وأَخْذِ مَدينَة عَكَّا، فسارَ لذلك وعادَ في

---

a) بولاق: صاحب. b) بولاق: أهل الأغاني. c) بولاق: فحضر فيه. d-d) إضافة من المُسَوَّدَة. e) بولاق: كريمة.

= للملك المنصور قلاوون رحمه الله سبحانه ...»؛ وقِطْعَةً من كتاب «جَمْهَرَة نَسَب قُرَيْش» للزُّبَيْر بن بَكّار محفوظة في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم ١١٤١ كتب في أعلى ظَهْريتها فوق عنوان الكتاب: «وَقْفُ لله سبحانه ومَقَرُّه بالقُبَّة المنصورية». (أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط ٢٤٩-٢٥٠).

[1] العيني: عقد الجمان ٣: ٥١، ٥٢.

تَكَرَّرَ أثناء الطَّبْع السطر الأول في صفحة ٥٢٤ في آخر صفحة ٥٢٣ مما أدَّى إلى ضياع السَّطْر الأوَّل في صفحة ٥٢٣ ، وهو :

العشرين من شَعْبان ـ وقد فَتَحَ الله له مَدينَة عَكّا عَنْوَةً بالسَّيْف ، وخَرَّبَ أسْوارَها ـ وكان عُبورُه

١١:٨٤٢ وأَمْتَعَ أمير[b] المؤمنين

إلى القاهِرَة من بابِ النَّصْر وقد زُيِّنَت القاهِرَةُ زينةً عظيمَةً[1]. فعندما حاذَي باب المارِسْتان نَزَلَ إلى القُبّةِ المَنْصُوريّة ـ وقد غُصَّت بالقُضَاةِ والأَعْيان والقُرّاء والمشايخ والفُقَهاء ـ فتَلَقَّوه كلُّهم بالدُّعاء حتى جَلَس فأَخَذَ القُرَّاءُ في القِراءَة، وقامَ نَجْمُ الدِّين محمد بن فَتْح الدِّين محمد بن عبد الله ابن مُهَلْهَل بن غَيّاث بن نَصْر ـ المعروف بابن العَنْبَري الواعِظ[2] ـ وصَعِدَ مِنْبَرًا نُصِبَ له فجَلَسَ عليه، وافْتَتَحَ يُنْشِدُ قَصيدَةً تَشْتَمِل على ذِكْر الجِهادِ وما فيه من الأَجْر، فلم يَسْعَد فيها بحَظٍّ، وذلك أنّه افْتَتَحها بقَوْلِه:

[الكامل]

زُرْ وَالِدَيْكَ وقِفْ على قَبْرَيْهِما فكأنّني بك قد نُقِلْتَ إليهما

[a]وكان السُّلْطانُ عنده ذَكاءٌ وفَهْمٌ لمعاني الشِّعْر[a]، فعندما سَمِعَ الأَشْرَفُ هذا البَيْت تَطَيَّرَ منه، ونَهَضَ قائِمًا وهو يَسُبُّ الأمير بَيْدَرا نائِب السَّلْطَنَة لشِدَّةِ حَنَقِه، وقال له[b]: ما وَجَدَ هذا شيئًا يقوله سوى هذا البَيْت! فأَخَذَ بَيْدَرا في تَسْكين حَنَقِه والاعْتِذارِ له عن ابن العَنْبَري بأنّه قد انْفَرَدَ في هذا الوَقْت بحُسْن الوَعْظ، ولا نَظيرَ له فيه، إلّا أنّه لم يُرْزَق سَعادَةً في هذا الوَقْت[1]. فلم يُصْغِ السُّلْطانُ إلى قَوْلِه وسارَ، فانْفَضَّ المجلسُ على غير شيءٍ، وصَعِد السُّلْطانُ إلى قَلْعَةِ الجَبَل.

ثم بعد أيّامٍ سأل السُّلْطانُ عن وَقْف المارِسْتان، وأَحَبَّ أن يُجَدِّد له وَقْفًا من بِلاد عَكّا التي افْتَتَحها بسَيْفِه، فاسْتَدْعَى السُّلْطانُ[b] القُضاةَ، وشاوَرَهم فيما هَمَّ به من ذلك. فرَغَّبوه فيه، وحَثُّوه على المبادَرَة إليه. فعَيَّن أَرْبَعَ ضِياعٍ من ضِياعِ عَكّا وصُور ليقفها على مصالِح المَدْرَسَة والقُبّة المَنْصوريّة، وما تَحْتاجُ إليه من ثَمَن زَيْتٍ وشَمْعٍ ومصابيح وبُسُطٍ وكُلْفَة السّاقية، وعلى خمسين مُقْرِئًا يرتِّبون لقِراءَة القُرْآن الكريم بالقُبّة، وإمامٍ راتِبٍ يُصَلِّي بالنّاسِ الصَّلوات الخَمْس في مِحْرابِ القُبّة، وستّة خُدّام يُقيمون بالقُبّة، وهي: الكابِرة، وتَلّ الشُّيوخ، وكِرْدانَة وضَواحِيها من عَكّا، ومن سَاحِلِ صُور معركة وصِدْفَيْن ـ وكَتَبَ بذلك كِتابَ وَقْفٍ، وجَعَلَ النَّظَرَ في ذلك لوَزيرِه الصّاحِب شَمْس الدِّين محمد بن السَّلْعُوس.

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) ساقطة من بولاق.

---

[1] المقريزي: السلوك ١: ٧٦٤؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٥٦– ٦٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٥.

[2] حاشية بخطّ المؤلِّف: «ابن العَنْبَري هذا أَخَذَ الوَعْظَ عن الشَّيْخ عِزّ الدِّين عبد السّلام بن غانم المقدسي، وكان صَوْتُه عاليًا طَرِبًا ورُزِقَ حَظًّا من ذلك، ومات بالقاهرة في سادس شَعْبان سنة تسع وسبع مائة».

لوَزيره الصَّاحِب شَمْس الدِّين محمد بن السَّلْعُوس.

فلمَّا تَمَّ ذلك، تَقَدَّم بعَمَل مُجْتَمع بالقُبَّة لقِراءَة خَتْمَةٍ شَريفَة، وذلك ليلة الاثنين رابع ذي القعدة سنة تسعين وستّ مائةٍ. فاجْتَمَع القُرّاءُ والوُعَّاظُ والمشايخُ والفُقَراءُ والقُضَاةُ لذلك، وخُلِعَ على عامَّةِ أرْبابِ الوَظائِف والوُعَّاظ، وفُرِّقت في النَّاسِ صَدَقاتٌ جَمَّة. وعُمِلَ مُهِمٌّ عَظيمٌ احْتَفَلَ فيه الوَزيرُ احْتِفالاً زائِدًا، وبَاتَ الأميرُ بَدْرُ الدِّين بَيْدَرا نائِب السَّلْطَنة والأميرُ الوَزيرُ شَمْسُ الدِّين محمد بن السَّلْعُوس بالقُبَّة. وحَضَرَ السُّلْطانُ ومعه الخَليفَةُ الحاكِم بأمْر الله أحمد وعليه سَوادُه، فخَطَبَ الخَليفَةُ خُطْبَةً بَليغَةً حَرَّضَ فيها على أَخْذِ العِراق من التَّتار. فلمَّا فَرَغَ من المهمّ، أفاضَ السُّلْطانُ على الوَزير تَشْريفًا سَنِيًّا.

وفي يوم الخميس حادي عشر رَبيع الأوَّل سنة إحدى وتسعين وستّ مائةٍ، اجْتَمَعَ القُرّاءُ والوُعَّاظُ والفُقَهاءُ والأعْيانُ بالقُبَّة المَنْصوريَّة لقِراءَة خَتْمَة شَريفَة، ونَزَلَ السُّلْطانُ الملكُ الأشْرَف وتَصَدَّق بمالٍ كثيرٍ[1].

وآخِر من نَزَلَ إلى القُبَّة المَنْصوريَّة من مُلوكِ بني قلاوون، السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ حَسَن ابن محمد بن قَلاوون في سنة إحدى وستين وسبع مائةٍ، وحَضَرَ عنده بالقُبَّة مَشايخُ العِلْم، وبَحَثوا في العِلْم، وزارَ قَبْرَ أبيه وجَدِّه، ثم خَرَجَ فنَظَرَ في أَمْرِ المَرْضَى بالمارِسْتان، وتَوَجَّه إلى قَلْعَةِ الجَبَل[2]. ٨٢:٢

/ المَدْرَسَةُ النَّاصِريَّة

[أثر رقم ٤٤]

هذه المَدْرَسَةُ بجوار القُبَّة المَنْصوريَّة من شرقيها[3]، كان مَوْضِعُها حَمَّامًا، فأَمَرَ السُّلْطانُ الملكُ العادِلُ زَيْن الدِّين كَتْبُغا المَنْصوري بإنْشاء مَدْرَسَةٍ مَوْضعها فابتدئَ في عَمَلِها ووُضِعَ أساسُها،

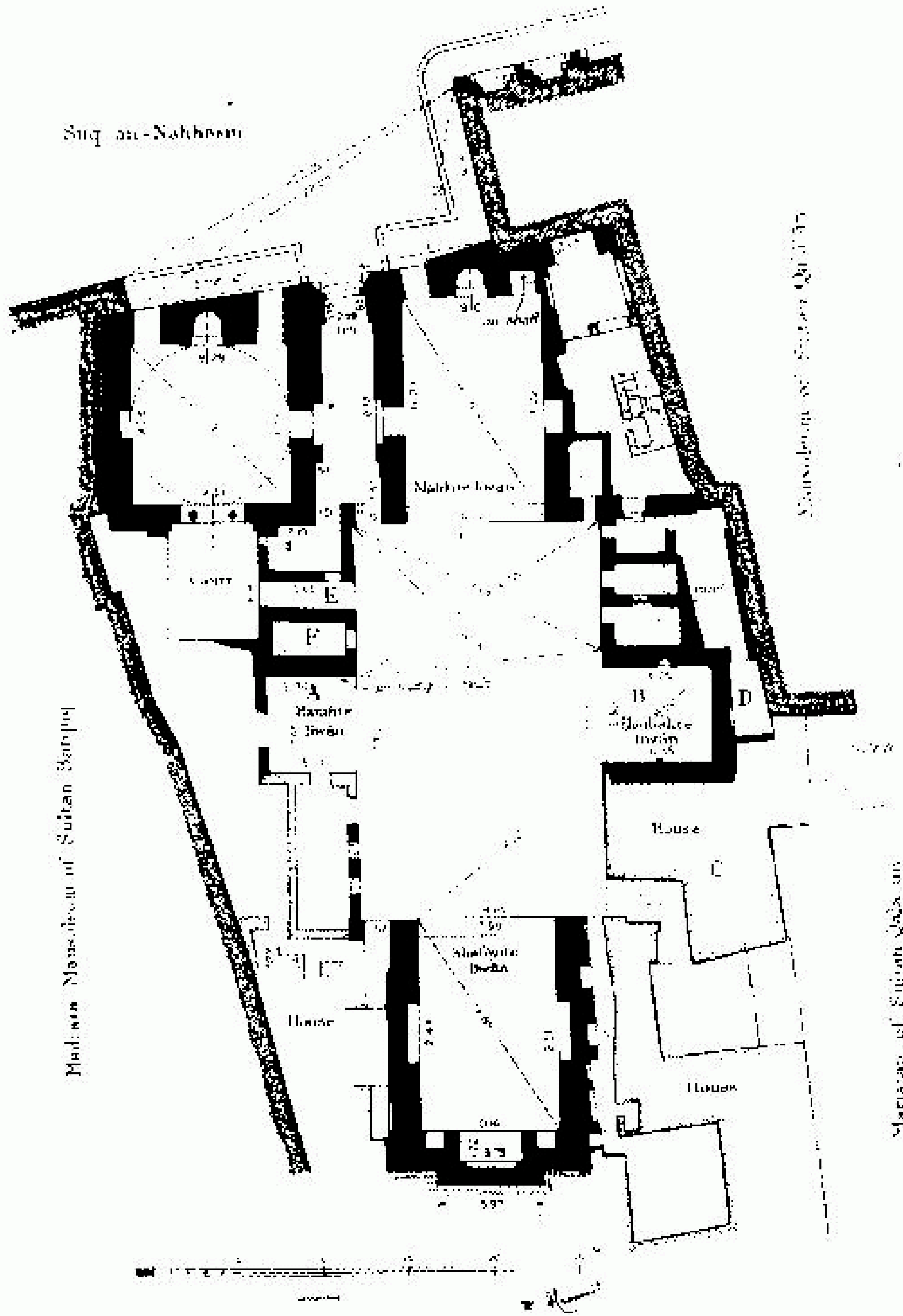
---

[1] المقريزي: السلوك ١: ٧٧٧.

[2] نفسه ٣: ٥٢.

[3] لا تزالُ المَدْرَسَةُ النَّاصِرية موجودةً إلى الآن في شارع المعز لدين الله بين القُبَّة المنصورية والمَدْرَسَة الظَّاهِرية بَرْقُوق، تحتفظ ببوابتها الرُّخامية ذات الطِّراز القوطي (انظر الصورة)، ومِئذنتها القائمة فوق مَدْخلها المُغَشَّاة بالزَّخارف الجَصِّيَّة (انظر الصورة). أمَّا مبنى المَدْرَسَة نفسه فلم يَبْق منه إلَّا الإيوانُ الشَّرْقي بمِحْرابه الجَصِّي النادر، والإيوانُ الغربي. (راجع، النويري: نهاية الأرب ٣٢: ٦٠-٧٤ (حيث ذكر ملخص ما تضمَّنه كتابُ وَقْفِ المَدْرَسة)؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٦٧؛ المقريزي: السلوك ١: ٩٥١؛ العيني: عقد الجمان ٤: ٢٩٧-٢٩٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٠٨؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٨٩ (١٣)، ٥: ٣٠٢ (١٣٢-١٣٣)، ٦: ٤٢ (١٦)؛ Herz, M., «La mosquée (madrasah) de sultan Muhammad al-Nasser», *CR de comitié XVIII (1901), pp. 148-49*; *Creswell, K.A.C., MAE* II, pp. 234-39؛ سعاد

وارْتَفَعَ بناؤها عن الأرض إلى نحو الطِّراز المُذَهَّب الذي بظاهِرها، فكان من خَلْعِه ما كان [٣]. فلمَّا عادَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون إلى مملكة مصر (a في المَرَّة الثانية a) في سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائةٍ أَمَرَ بإتْمامِها، فكَمُلت في سنة ثلاثٍ وسبع مائةٍ [٢].



مُخَطَّط مَدْرَسَة النَّاصِر محمد بن قلاوون (عن Creswell)

a-a) إضافة من المُسَوَّدة.

ماهر: مساجد مصر ٣: ١١٧ - ١٣٠؛ علي محمود سليمان المليجي: عمائر الناصر محمد الدينية في مصر، رسالة ماجستير بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٥؛ Golvin, L., *La Madrasa médiévale*, pp. 113-16; Speiser, Ph., «Recherches archéologiques dans le Caire fatimide : Les éléments d'un Puzzle», *Colloque International d'Archéologie islamique*, R.P. Gayraud (ed.), Le Caire *IFAO* 1998, pp. 423-426؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٢٣٣-٢٥١).

[١] المقريزي: السلوك ١: ٩٥١ - ٩٥٢.

[٢] يَدُلّ على ذلك لَوْحٌ من الرُّخام على أُسْكُفَّة الباب =

وهي من أَجَلِّ مَباني القاهِرَة، وبابُها من أَعْجَبِ ما عَمِلَتْه أيْدي بني آدم، فإنَّه (a)قِطْعَةٌ واحدةٌ(a) من الرُّخام الأبيض البَديع الزيّ الفائِق الصِّناعَة، ونُقِلَ إلى القاهِرَة من مَدينَة عَكَّا. وذلك أنَّ الملكَ الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون، لمَّا فَتَحَ عَكَّا عَنْوَةً في سابع عشر جُمادَى الأولى سنة تسعين وستّ مائةٍ، أقامَ الأميرَ عَلَمَ الدِّين سِنْجِر الشُّجاعي لهَدْمِ أَسْوارِها وتَخْريبِ كنائِسها. فوَجَدَ هذه البَوَّابَة على بابِ كَنيسَةٍ من كنائِس عَكَّا، وهي من رُخامٍ، قَواعِدُها وأَعْضادُها وعُمُدُها، كلُّ ذلك مُتَّصلٌ بعضُه ببعض، فحَمَلَ الجَميعَ إلى القاهِرَة، وأقامَ عنده إلى أن قُتِلَ الملكُ الأَشْرَف[1]. وتمادَى الحالُ على هذا أيّامَ سَلْطَنَة الملك النَّاصِر محمد الأولى، فلمَّا خُلِعَ وتَمَلَّكَ كَتْبُغا أَخَذَ دارَ الأمير سَيْف الدِّين بَلَبان الرَّشيدي ليَعْمَلها مَدْرَسَةً، فدُلَّ على هذه البَوَّابَة، فأَخَذَها من وَرَثَةِ الأمير بَيْدَرا - فإنَّها كانت قد انْتَقَلَت إليه - وعَمِلها كَتْبُغا على بابِ هذه المَدْرَسَة.

فلمَّا خُلِعَ من المُلْك، وأُقيم النَّاصِرُ محمد، اشْتَرَى هذه المَدْرَسَة قَبْل إتْمامِها والإشْهادِ بوَقْفِها، ووَلِيَ شِراءَها وَصِيُّه قاضي القُضَاة زَيْنُ الدِّين عليّ بن مَخْلوف المالِكي، وأنشأ بجوار هذه المَدْرَسَة من داخِل بابها قُبَّةً جَليلَةً، لكنَّها دون قُبَّةِ أبيه، ولمَّا كَمُلَت نَقَلَ إليها أُمَّه بنت سَكْباي ابن قَراجين[2].

ووَقَفَ على هذه المَدْرَسَة قَيْسارِيَّة أمير عليّ بخُطّ الشَّرابِشيين من القاهِرَة[3]، والرَّبْع الذي يَعْلوها - وكان يُعْرَف بالدَّهيشَة - ووَقَفَ عليها أيضًا حَوانيت بخُطِّ بابِ الزُّهومَة من

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة.

= الخارِجي للمَدْرسة عليه سطران من النَّسْخ المملوكي، نَصُّهُما:

«بِسْم الله الرَّحْمن الرَّحيم. أَمَرَ بإنْشاء هذه القُبَّة الشَّريفَة والمَدْرَسَة المباركة السُّلْطانُ الأَجَلُّ الملك النَّاصِر ناصِرُ الدُّنْيا والدِّين محمد بن السُّلْطان الملك المَنْصُور سَيْف الدِّين قَلاوون الصَّالحي، قَدَّسَ الله روحَه ونَوَّر ضَريحَه، وذلك في شهور سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 109; Wiet, G., *RCEA* XIII, n° 5059).

وما تَمَّ في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م هو ترميم مئذنة المَدْرَسة المنصورية الذي تأثَّر بزِلْزال سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م. (راجع، van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n[os] 88-91; Wiet, G., *RCEA* XIII, n[os] 5160-62, 66).

[1] المقريزي: السلوك ١: ٩٥١؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٦٣.

[2] وكانت مدفونةً في التُّرْبَة المجاورة للمَشْهَد الحُسَيْني. (نفسه ١: ٩٥١؛ نفسه ٤: ٢٩٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٠٨).

[3] انظر عنها فيما تقدم ٣: ٢٨٨.

القاهِرَة، ودار الطُّعْم خارج مَدينَة دِمَشْق[١].

فلمَّا ماتَ ابنه أَنُوك، من الخاتُون طُغاي، في يوم الجُمُعَة سابع عشر رَبيع الأوَّل سنة إحدى وأربعين وسبع مائةٍ وعُمْرُه ثماني عشرة سنة، دَفَنه بهذه القُبَّة، وعَمِلَ عليها وَقْفًا يَختصُّ بها. وهو باقٍ إلى اليوم يُصْرَف لقُرَّاءٍ وغير ذلك.

وأوَّلُ من رُتِّب في تَدْريس المَدْرَسَة النَّاصِرية من المُدَرِّسين قاضي القُضَاة زَيْنُ الدِّين عليّ ابن مَخْلوف المالِكي[٢] ليُدَرِّس فِقْه المالِكية بالإيوان الكبير القِبْلي، وقاضي القُضَاة شَرَفُ الدِّين عبد الغني الحَرَّاني[٣] ليُدَرِّس فِقْه الحَنابِلَة بالإيوان الغربي، وقاضي القُضَاة أحمد بن السَّروجي الحَنَفي ليُدَرِّس فِقْه الحَنَفِيَّة بالإيوان الشَّرْقي، والشَّيْخُ صَدْرُ الدِّين محمد بن المُرَحِّل ـ المعروف بابن الوَكيل ـ الشَّافِعيّ ليُدَرِّس فِقْه الشَّافِعية بالإيوان البَحْري. وقَرَّرَ عند كلِّ مُدَرِّس منهم عِدَّةً من الطَّلَبَة وأجرى عليهم المعاليم، ورَتَّبَ بها إمامًا يَؤُمّ بالنَّاسِ في الصَّلواتِ الخَمْس، وجَعَلَ بها خِزانَة كُتُب جَليلَة.

وأَدْرَكْتُ هذه المَدْرَسَة وهي مُحْتَرَمَة إلى الغَايَة يَجْلِسُ بدِهْليزِها عِدَّةٌ من الطَّواشِيَّة، ولا يُمَكَّن غَريبٌ أن يَصْعَدَ إليها. وكان يُفَرَّق بها على الطَّلَبَة والقُرَّاء وسَائِر أَرْباب الوَظائِف بها السُّكَّر في كلِّ شهر، لكلِّ أحَدٍ منهم نَصيب، ويُفَرَّق عليهم لُحُومُ الأضاحي في كلِّ سنة. وقد بَطُلَ ذلك، وذَهَبَ ما كان لها من النَّامُوس، وهي اليوم عامِرَةٌ من أَجَلِّ المَدارِس.

---

[١] المقريزي: السلوك ١:٩٥١-٩٥٢ حيث فَصَّل الحديث عنها وهي بالإضافة إلى ما ذكر هنا: الحَمَّام المعروفة بالفَخْرية بجوار المدرسة الشَّيْفية ودار أم السُّلْطان وحمَّاما الشيخ خِضْر بظاهر القاهرة بخُطِّ بُسْتان ابن صَيْرَم والجامع الظَّاهري.

[٢] زَيْنُ الدِّين علي بن مَخْلوف بن شاهين بن مسلم النويري المالكي، المتوفى سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. (الصفدي: أعيان العصر ٣:٥٤٣- ٥٤٥، الوافي بالوفيات ٢٢:١٨٩- ١٩٠؛ المقريزي: السلوك ٢: ١٨٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٢٠٢، رفع الإصر ٢٨٠- ٢٨١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٤٢؛ المنهل الصافي ٨:٢١٤).

[٣] شَرَفُ الدِّين أبو محمد عبد الغني بن يحيى بن محمد الحَرَّاني الحَنْبَلي، المتوفى سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. (المقريزي: السلوك ٢: ٨٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢:٤٩٨- ٤٩٩؛ رفع الإصر ٢٥٠- ٢٥١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٧٨، المنهل الصافي ٧:٣١٨-٣١٩).

[٤] شَمْسُ الدِّين أبو العَبَّاس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني ابن أبي إسحاق السُّرُوجي الحَنَفي، المتوفى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م. (ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢: ٣٢؛ القرشي: الجواهر المضية ١:١٢٣- ١٢٩؛ المقريزي: المقفى الكبير ١:٣٤٨- ٣٥٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١:٩٦- ٩٧، رفع الإصر ٤١- ٤٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢١٢، المنهل الصافي ١:٢٠١- ٢٠٦؛ الغزي: الطبقات السنية ١:٢٨٤-٢٨٦).

المَدْرَسَةُ الحِجازِيَّة

[أثر رقم ٣٦]

هذه المَدْرَسَةُ برَحْبَةِ بابِ العيد من القاهِرَة ، بجوار قَصْر الحِجازِيَّة ، كان مَوْضِعُها بابًا من أبْواب القَصْر يُعْرَف ببابِ الزُّمُرُّد [1] . أنشأتها السِّتُّ الجَليلَة الكبرىٰ خَوَنْد تَتَر الحِجازِيَّة ابنة السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، زَوْجَة الأمير مَلَكْتَمُر الحِجازي [2] ، وبه عُرِفَت .

وجَعَلَت بهذه المَدْرَسَة دَرْسًا للفُقَهاء الشَّافِعِيَّة قَرَّرت فيه شَيْخَنا شَيْخ الإسلام سِراج الدِّين عُمَر ابن رَسْلان البُلْقيني [3] ، ودَرْسًا للفُقَهاءِ المالِكية ، وجَعَلَت بها مِنْبَرًا يُخْطَب عليه يوم الجُمُعَة [4] ، ورَتَّبَت لها إمامًا راتِبًا يقيم بالنَّاسِ الصَّلوات الخَمْس ، وجَعَلَت بها خِزانَة كُتُب .

وأنشأت بجِوارها قُبَّةً من داخِلها لتُدْفَن تحتها ، ورَتَّبَت بشُبَّاك هذه القُبَّة عِدَّةَ قُرَّاءٍ يتناوَبون قِراءَة القُرْآن الكريم ليلًا ونهارًا ، وأنشأت بها مَنارًا عاليًا من حِجارَة ليُؤَذَّن عليه . وجَعَلَت بجوار المَدْرَسَة

---

[1] انظر فيما تقدم ٢: ٣٤٤، ٤٢٩، ٣: ٢٣١–٢٣٢. ولا تَزالُ المَدْرَسَةُ الحجازِيَّة قائمةً إلى الآن وتعرف بـ «جامِع الحِجازِيَّة» بعَطْفَةِ القَفَّاصين من شارع حَبْس الرَّحْبَة بقسم الجمالية . (رجع ، المقريزي : السلوك ٢: ٧٤٨؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ١٣٨؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ١٢، ٦: ٦٦–٦٧؛ ʿAbd al-Raziq, A., «Un collège féminin dans l'Égypte mamluke», *JEA* III (1978), pp. 15-25؛ وعن أعمال الترميم التي تمَّت بالمَدْرَسَة بين سنتي ١٩٧٩–١٩٨٠ انظر Speiser, Ph., «Restaurierungsarbeiten in der islamischen Kairo», *MDAIK* 38 (1982), pp. 365-73, id., «Recherches archéologiques dans le Caire fatimide : Les éléments d'un Puzzle», *Colloque International d'Archéologie islamique*, R.-P. Gayraud (ed.), La Caire - IFAO 1998, pp. 420-23; Gayraud, R.-P., «Céramique trouvées lors de la restautation de la madrasa Tatar al-Higaziyya (Le Caire), *An.Isl.*, XXII (1986), pp. 35-49؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١١٨٣–١٢١٧).

[2] الأميرُ سَيْفُ الدِّين مَلَكْتَمُر بن عبد الله الحجازي زَوْج خَوَنْد تَتَر الحجازية ، توفي قتيلًا في تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م . (ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣: ٩٨–٩٩؛ المقريزي : السلوك ٢: ٧٥٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٤؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٥: ١٢٧) .

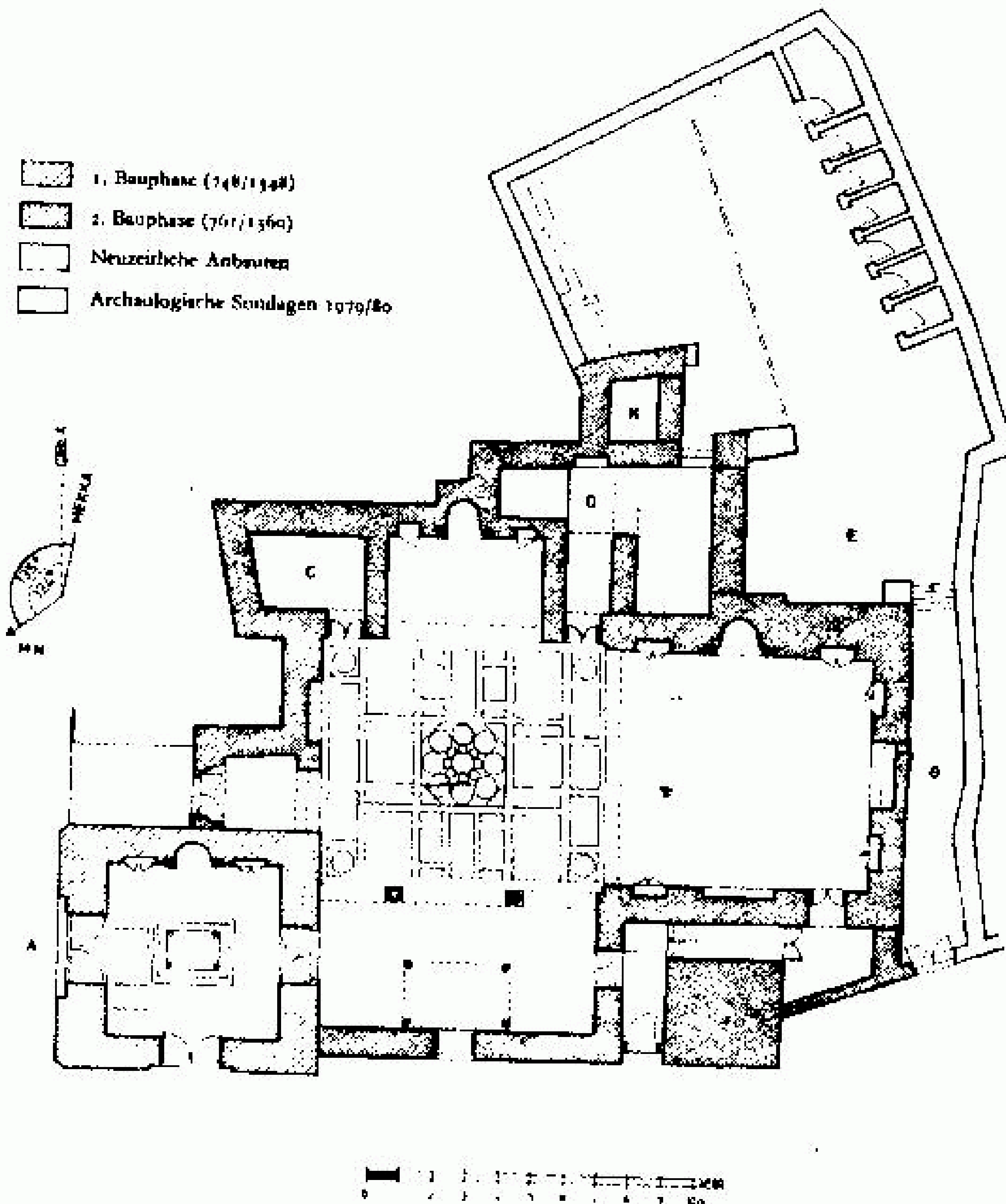
[3] تَرْجَمَ المقريزي لشَيْخه شَيْخ الإسلام سِراج الدِّين عُمَر ابن رَسْلان البُلْقيني ، المتوفى سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م ، وقال : وهو أجَلُّ من أخَذْتُ عنه العِلْمَ وسَمِعْتُ عليه الحَديث ، مع اختِصاصي به ، رحمه الله ورضى عنه . (درر العقود الفريدة ٢: ٤٣١–٤٣٦ وعلى الأخصّ ص ٤٣٤، السلوك ٣: ١١٠٨؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٢: ٢٤٥–٢٤٧؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٣: ٢٩–٣٠، المنهل الصافي ٨: ٢٨٥–٢٨٨؛ السخاوي : الضوء اللامع ٦: ١٠٠–١٠٥) .

[4] انظر عن هذا المِنْبر دراسة نعمت محمد أبو بكر : «منبر جامع السِّتّ تتَر الحجازية» ، دراسات آثارية إسلامية ١ (١٩٨٧) ، ١٤٣–١٦٩.

مَكْتَبًا للسَّبيل ، فيه عِدَّةٌ من أيْتام المسلمين ، ولهم مُؤَدِّبٌ يعلِّمهم القُرْآن الكريم ، ويجري عليهم في كلِّ يومٍ لكلٍّ منهم أرغفة من الخُبْزِ النَّقيّ ومبلغ من الفُلُوس ، ويُقامُ لكلٍّ منهم بكُسْوَتَي الشِّتاء والصَّيْف .

وجعَلَت على هذه الجِهات عِدَّةَ أوْقافٍ جَليلَة يُصْرَف منها لأرْبابِ الوَظائِف المعاليم السَّنِيَّة . وكان يُفَرَّقُ فيهم كلَّ سنة ، أيَّام عيد الفِطْر ، الكَعْك والخُشْكنانْك ، وفي عيد الأضْحى اللَّحْم ، وفي شهر رمضان يُطْبَخ لهم الطَّعام . وقد بَطَلَ ذلك ، ولم يَبْقَ غيرالمعلوم في كلِّ شهر .

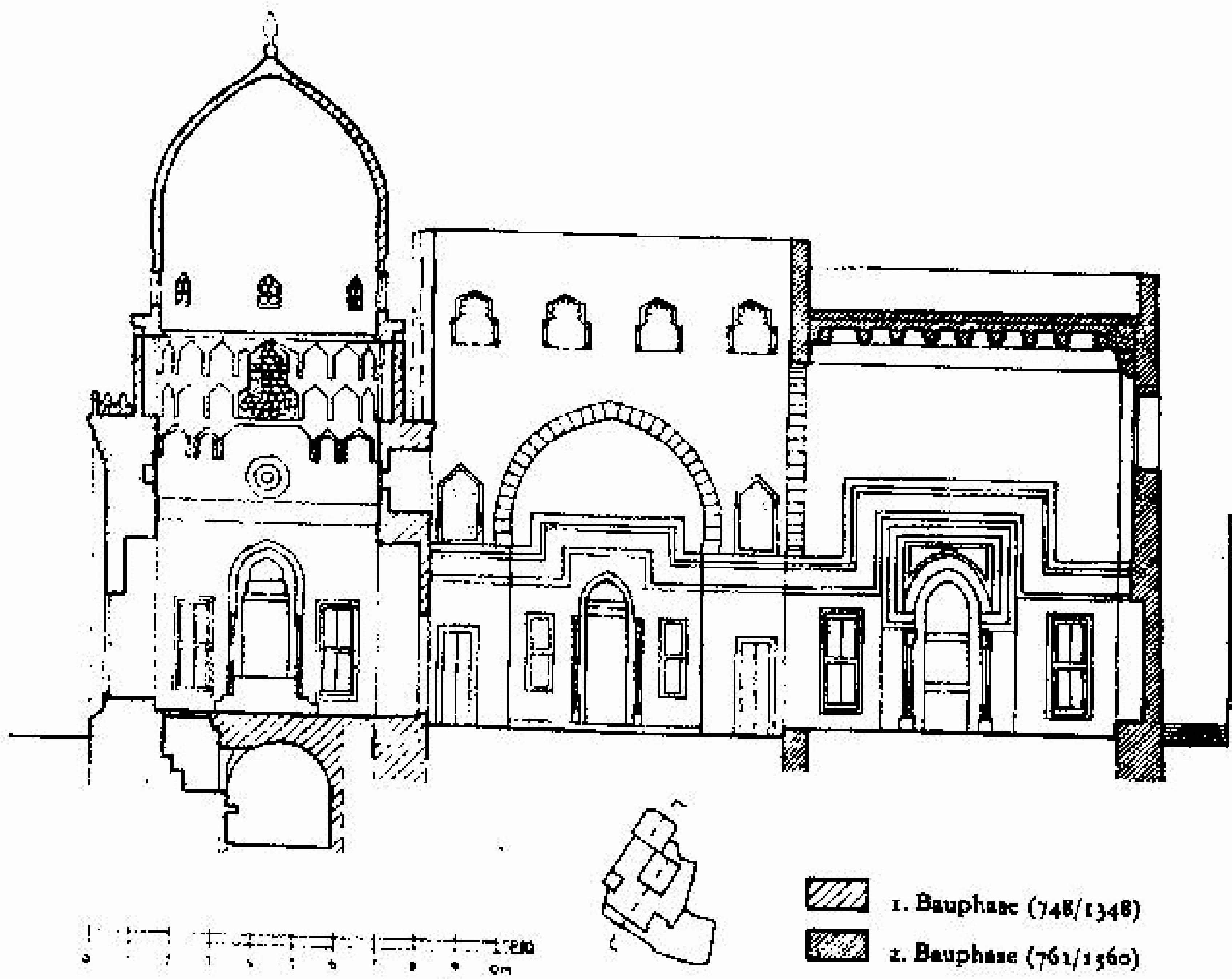
وهي من المَدارِس الكَيِّسَة ، وعَهْدي بها محترمة إلى الغاية ،/ يَجْلِسُ بها عِدَّةٌ من الطَّواشِيَّة ، ولا يُمَكِّنون أحدًا من عُبُور القُبَّة التي فيها قَبْر خَوَنْدِ الحجازِيَّة إلَّا القُرَّاء فقط وَقْت قِراءَتهم خاصَّةً . واتَّفَق مرَّةً أنَّ شَخْصًا من القُرَّاءِ كان في نفسه شيءٌ من أَحَدِ رُفَقائِه ، فأتى إلى كبيرِ الطَّواشِيَّة بهذه القُبَّة ، وقال له : إنَّ فُلانًا دَخَلَ اليوم إلى القُبَّة وهو بغير سَراويل . فغَضِبَ الطَّواشيُّ من هذا القَوْل ، وعَدَّ ذلك ذَنْبًا عَظيمًا وفِعْلًا مَحْذورًا ، وطَلَبَ ذلك المُقْرِئ ، وأَمَرَ به فضُرِبَ بين يديه ، وصارَ يقول له : تَدْخُل على خَوَنْد بغير سَراويل ! وهَمَّ بإخْراجِه من وَظيفَة القِراءَة لوْلا ما حَصَل من شَفاعَة النَّاس فيه .



مُخطَّط المَدْرسة الحجازية (عن Ph. Speiser)

وكان لا يلي نَظَرَ هذه المَدْرَسَة إلَّا الأُمَرَاءُ الأكابِر، ثم صارَ يليها الخُدَّامُ وغيرهم. وكان إنْشاؤها في سنة إحدى وستين وسبع مائةٍ[١].

ولمَّا وَلِيَ الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف البِجاسي وَظيفَة أُسْتادَّارية السُّلْطان الملك النَّاصِر فَرَج ابن بَرْقُوق، وعَمَّرَ بجانِب هذه المَدْرَسَة دارَه ثم مَدْرَسَتَه، صارَ يَحْبِس في المَدْرَسَة الحِجازيَّة من يُصادِرْه أو يُعاقِبه، حتى امْتَلأَتِ بالمَسْجُونين والأعْوانِ المُرَسِّمين عليهم، فزالت تلك الأُبَّهة وذَهَبَ ذلك النَّامُوس. واقْتَدَى بجَمالِ الدِّين من سَكَنَ بعده من الأُسْتادَّارية في دارِه، وجَعَلوا هذه المَدْرَسَة سِجْنًا، ومع ذلك فهي من أَبْهَجِ مَدارِس القاهِرَة إلى الآن.



مَسْقَط رأسي للمَدْرَسَة الحجازية (عن Ph. Speiser)

[١] يَدُلُّ على ذلك لَوْحٌ من الرُّخام على مَدْخَلِ المَدْرَسَة به خمسة أسطر بالخَطِّ النَّسْخ المملوكي نَصُّها:

«بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم. أَمَرَ بإنْشاء هذه المَدْرَسَة المباركة من فَضْلِ الله وجَزيلِ نعمته طالبةً لرِضْوانه الآدر المصونة تَتَر خاتُون الحجازية كريمة المقام الشَّريف الملكي النَّاصري ناصِر الدُّنيا والدِّين حَسَن بن السُّلْطان الشَّهيد المرحوم الملك النَّاصر محمد بن قلاوون الصَّالحي تَغَمَّدَهم الله برحمته. وكان الفَراغُ من ذلك سَلْخ شهر رمضان سنة إحدى وستين وسبع مائة للهجرة النبوية عليه أَفْضَلُ الصَّلاة والسَّلام والرَّحْمَة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 165; Wiet, G., *RCEA* XVI, n° 6332).

المَدْرَسَةُ الطَّيْبَرْسِيَّة

[أثر رقم ٩٧]

هذه المَدْرَسَةُ بجوارِ الجَامِع الأَزْهَر من القاهِرَة، وهي غَرْبيه مِمَّا يلي الجِهَة البَحْرية [a]. أنشأها الأميرُ عَلاءُ الدِّين طَيْبَرْس الخازِنْداري نَقيبُ الجُيُوش كان [b]، وجَعَلَها مَسْجِدًا لله تعالى زِيادَةً في الجَامِعِ الأَزْهَر [c]على ما رأيته في كِتابِ وَقْفِها[c]، وقَرَّر بها دَرْسًا للشَّافِعِيَّة [d]، وأنشأ بجوارِها مَيْضَأَةً [c]والفَسْقِيَّة التي داخِل المَقْصورة الخشب محل بابها[c] وحَوْضَ ماءِ سَبيلٍ تَرِدُه الدَّوابُّ [1].

وتأنَّق في رُخامِها وتَذْهِيب سُقُوفِها، حتى جاءَت في أَبْدَعِ زِيٍّ وأَحْسَنِ قالَب وأَبْهَجِ تَرْتيب، لما فيها من إتْقانِ العَمَل وجَوْدَة الصِّناعة، بحيث إنَّه لم يَقْدِر أَحَدٌ على مُحاكاةِ ما فيها من صِناعَةِ الرُّخام، فإنَّ جميعَه أشكالُ المحاريب [2]، وبَلَغَتِ النَّفَقَةُ عليها جملةً كثيرةً، وانْتَهَت عِمارَتُها

---

a) في المُسَوَّدَة: من بحريه مما يلي الغربي. b) كان، إضافة من المُسَوَّدَة. c-c) إضافة من المُسَوَّدَة. d) بولاق: للفقهاء الشافعية.

---

[1] عندما جَدَّدَ الأمير عبد الرحمن كَتْخُدا القازْدُغْلي الجامع الأزْهَر سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م «بنى المَدْرَسَة الطَّيْبَرْسية وأنشأها نشوءًا جديدًا، وجَعَلَها مع المدرسة الآقْبُغاوية المقابلة لها (فيما يلي ٥٤٠) من داخل الباب الكبير الذي أنشأه خارجهما جِهَة القَبْو المُوَصِّل للمَشْهد الحُسَيْني وخان الجراكسة، وهو عبارة عن بابَيْنِ عظيمين، كلُّ بابٍ بمصراعَيْن وعلى يمينهما منارةٌ وفوقه مكتبٌ أيضًا، وبداخله على يمين السَّالِك بظاهِر الطَّيْبَرْسية مَيْضَأَةٌ وأنشأ لها ساقية لخصوص إجراء الماء إليها، وبداخل باب المَيْضَأة دَرَجٌ يُصْعَد منه للمنارة ورواق البَغْداديين والهنود. فجاء هذا الباب وما بداخله من الطَّيْبَرْسِيَّة والآقْبُغاوية والأَرْوِقَة من أحسن المباني في العِظَم والوجاهة والفخامة» (الجبرتي: عجائب الآثار ٢:٧).

وتَقَع المَدْرَسَةُ الطَّيْبَرْسية الآن على يمين الداخل من الباب الكبير الذي أنشأه عبد الرحمن كَتْخُدا والمعروف الآن باسم «باب المُزَيِّنين» (لأنَّ الحلَّاقين كانوا يجلسون في دِهْليزه قديمًا لحلاقة شَعْر طلبة العِلْم بالأزْهَر فاشْتَهَرَ بذلك). (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:١٩٩هـ [1]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤:٣٧ (١٤)، ٤٤ (١٨)، ٦:٢٢ (٩)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٥٦- ٥٧؛ Creswell, K.A.C., *EMA* II, pp. 253-54؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ١:٢٠١-٢٠٢؛ Raymond, A., «Les constructions de l'émir ʿAbd al-Rahmân Kathudâ au Caire», *An. Isl.* XI (1972), p. 239؛ سوسن سعد علي الشامي: دراسة أثرية معمارية لظاهرة إلحاق المدارس بالجامع الأزهر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩٤؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١:١٥٣-١٥٤.

[2] عَلَّقَ المرحوم حسن عبد الوهاب على هذا الوَصْف =

في سنة تسعٍ وسبع مائةٍ. ولها بُسُطٌ تُفْرَش في يوم الجُمُعَة كلّها منقوشة بأشْكالِ المحاريب أيضًا (aووَقَفَها عليها وهي باقية بها إلى الآن a)، وفيها خِزَانَة كُتُب، ولها إمامٌ راتِب.

طَيْبَرْس بن عبد الله الوَزِيري[1] - كان في مِلْك الأمير بَدْر الدِّين بِيلِبَك مَمْلوك الخازِنْدار الظَّاهِري نائِب السَّلْطَنَة، ثم انْتَقَلَ إلى الأمير بَدْر الدِّين بَيْدَرا، وتنقَّل في خِدْمَتِه حتى صارَ نائِبَ الصَّبِيبَة، ورأى مَنامًا للمَنْصور لاجين يدلُّ على أنَّه يَصيرُ سُلْطانَ مصر، وذلك قبلَ أن يَتقلَّد السَّلْطَنَة وهو نائِب الشَّام، فوَعَدَه إن صارَت إليه السَّلْطَنَة أن يُقَدِّمه ويُنَوِّه به.

فلمَّا تملَّك لاجين اسْتَدْعاه ووَلَّاه نِقابَة الجَيْش بديار مصر - عِوَضًا عن بَلَبان الفاخِري - في سنة سبعٍ وتسعين وستّ مائةٍ. فباشَرَ النِّقَابَةُ مُباشَرَةً مشكورَةً إلى الغايَة، من إقامَة الحُرْمَة وأداءِ الأمانَة والعِفَّة المُفْرِطَة، بحيث إنَّه ما عُرِفَ عنه أنَّه قَبِلَ من أحَدٍ هَدِيَّة ألبتَّة، مع الْتِزامِ الدِّيانة والمواظبة على فِعْل الخَيْر والغِنَى الواسِع.

وله من الآثارِ الجَميلَة الجَامِعُ والخَانْقاه بأراضي بُسْتان الخَشَّاب[2] المطلَّة على النِّيل خارج القاهِرَة، فيما بينها وبين مصر بجوار المُنْشَأة. وهو أوَّلُ من عَمَّر في أراضي بُسْتان الخَشَّاب، وقد تَقَدَّم ذِكْرُ ذلك، ومن آثارِه أيضًا هذه المَدْرَسَة البَديعَة الزِّيّ، وله على كلٍّ من هذه الأماكِن أوْقافٌ جَليلَةٌ.

ولم يَزَل في نِقابَة الجَيْش إلى أن مات في العشرين من شهر رَبيعٍ الآخر سنة تسع عشرة وسبع مائةٍ، ودُفِنَ في مكانٍ بمَدْرَسَته هذه، وقَبْرُه بها إلى وَقْتِنا هذا.

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة.

= بقوله: «كَشَفَ لنا هذا الوَصْفُ عن عبقرية المقريزي في الناحية الفنية، فإنَّ صِناعَة الرُّخام في مِحْراب هذه المَدْرَسَة من أدَقّ ما وُجِدَ من نوعها وأنْدَره، فالجزء الأسْفَل منه مكوَّن من طاقاتٍ مُقَرْنَصَة محمولة على عُمُدٍ رخامية صغيرة لها تيجان رخامية أيضًا؛ وتواشيحها من رُخامٍ مدقوق به فُرُوع زخرفية بارزة، وباقي المِحْراب من رُخامٍ أبيض لُبِّسَت فيه ألوانُ الرخام بأشكالٍ زخرفية، وحُلِّيَت تواشيحُه وأعْلاهُ بفُسَيْفِساء مذهبة». (تاريخ المساجد الأثرية ٥٧).

[1] راجع ترجمة الأمير طَيْبَرْس الوزيري، المتوفى سنة ٧١٩هـ/١٣٢٩م، عند الصفدي: الوافي بالوفيات ٦: ٥٠٨-٥٠٩؛ المقريزي: المقفى الكبير ٤: ١١-١٢؛ السلوك ٢: ١٩٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٣٠؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٤٦.

[2] فيما تقدم ٢: ٣٠٤.

ووُجِدَ له من بعده مالٌ كثيرٌ جدًّا، وأوْصَى إلى الأمير عَلاء الدِّين عليّ الكوراني، وجَعَلَ النَّاظر على وَصِيَّته الأَمير أَرْغُون نائِب السَّلْطَنَة.

واتَّفَقَ أنَّه لمَّا فَرَغَ من بِناء هذه المَدْرَسَة أَحْضَرَ إليه مُباشِروه حِسابَ مَصْروفها، فلمَّا قُدِّمَ إليه استدعى بطِشْتٍ فيه ماء، وغَسَلَ أوْراقَ الحِسَاب بأَسْرِها من غير أن يقفَ على شيءٍ منها، وقال: شيءٌ خَرَجْنا عنه لله تعالى لا نُحاسِبُ عليه.

ولهذه المَدْرَسَة شَبابيكُ في جِدار الجَامِع تُشْرِفُ عليه، ويُتَوَصَّل من بعضِها إليه، وما عَمِلَ ذلك حتى اسْتَفْتَى الفُقَهاءُ فيه، فأَفْتَوه بجَواز فِعْله، وقد تَداوَلَت أيْدي نُظَّار السُّوء على أَوْقافِ طَيْبَرْس هذا، فخَرِبَ أكثرُها، وخَرِبَ الجَامِعُ والخانْقاه، وبقيت هذه المَدْرَسَة عَمَّرَها الله بذِكْرِه.

المَدْرَسَةُ الآقْبُغاوِيَّة

[أثر رقم ٩٧]

هذه المَدْرَسَةُ بجوار الجَامِع الأَزْهَر، على يَسْرَة من يَدْخُل إليه من بابِه الكبير البَحْري، وهي تُشْرِفُ بشَبابيك على الجَامِع مُرَكَّبة في جِدارِه، فصارَت تجاه المَدْرَسَة الطَّيْبَرْسِيَّة. كان مَوْضِعُها دارُ الأمير الكبير عِزّ الدِّين أَيْدَمُر الحِلِّي نائِب السَّلْطَنة في أيَّام الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس، ومَيْضَأَةً للجَامِع، فأنشأها الأميرُ عَلاءُ الدِّين آقْبُغا عبد الواحِد / أُسْتادَّار السُّلْطان[a] الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون، وجَعَلَ بجوارِها قُبَّةً ومَنارةً من حَجَرٍ مَنْحُوت[b]، [c]وذلك في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مائة[c][١].

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: حجارة منحوتة. c-c) إضافة من المُسَوَّدة.

---

[١] تبعًا للكتابة التاريخية الموجودة في التجويف العُلْوي لباب المَدْرَسَة وعلى القُبَّة ودائر المِئْذَنَة، فإنَّ عِمارَة هذه المَدْرَسَة بدأت سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٩م، وفُرِغَ منها سنة ٧٤٠هـ/١٣٤٠م، ونَصُّ هذه الكتابة على التوالي:

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم ﴿إنَّما يَعْمُر مَساجِد الله مَنْ آمَنَ بالله واليَوْمِ الآخِر﴾. أَمَرَ بإنْشاء هذه المَدْرَسَة المباركة المَقَرّ الأَشْرَف العالي السَّيْفي آقْبُغا الأَوْحَدي أُستاذ الآدُر العالية الملكي النَّاصِري. وكان ابتداءُ العَمَلِ المبارك في سنة تسع وثلاثين وسبع مائة».

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم. أَمَرَ بإنْشاء هذه القُبَّة المبارَكة المَقَرّ الأَشْرَف العالي المَوْلَوي الأميري السَّيْفي آقْبُغا الأَوْحَدي الملكي النَّاصِري. وكان الفَراغُ منه في المحرَّم سنة أربعين وسبع مائة».

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم. أَمَرَ بإنْشاء هذه المِئْذَنَة =

وهي[a] أوّلُ مِئْذَنةٍ عُمِلَت بديار مصر من الحَجَرِ بعد المَنْصورية [1]، وإنَّما كانتِ قَبْل ذلك تُبْنَى بالآجُر، بَنَاها هي والمَدْرَسَة المُعَلِّم ابن السُّيُوفي رئيس المهندِسين في الأيَّام النَّاصِريَّة، وهو الذي تولَّى بناء جَامِع المارْديني خارِج باب زَوِيلَة، وبَنَى مِئْذَنته أيضًا.

وهي مَدْرَسَةٌ مُظْلِمَةٌ ليس عليها من بَهْجَة المساجِد ولا أُنْس بيوت العِبادات شيءٌ ألبتَّة. وذلك أنَّ آقْبُغا عبد الواحِد اغْتَصَبَ أرضَ هذه المَدْرَسَة، بأن أَقْرَض وَرَثَة أَيْدَمُر الحِلِّي مالًا وأَمْهَلَ حتَّى تصرَّفوا فيه، ثم أعْسَفَهُم في الطَّلبِ وألجأهم إلى أن أعْطوه الدَّار التي لهم[b]، فهَدَمَها وبَنَى مَوْضِعَها هذه المَدْرَسَة. وأضافَ إلى اغْتصابِه البُقْعَة أمثال ذلك من الظُّلْم، فبناها بأنْواعٍ من الغَصْب والعَسْف، وأَخَذَ قطعةً من شُورِ الجامِع حتى ساوَى بها المَدْرَسَة الطَّيْبَرْسِيَّة، وحَشَرَ لعَمَلِها الصُّنَّاع من البَنَّائين والنَّجَّارين والحَجَّارين والمُرَخِّمين والفَعَلَة [c]الذين كانوا في عَمائر السُّلْطان[c]، وقَرَّرَ مع الجَميع أن يعمل كلٌّ منهم فيها يومًا في كلِّ أسبوع بغير أُجْرَة. فكان يجتمع فيها كلَّ[d] أسْبوعٍ سَائِرُ الصُّنَّاع الموجودين بالقاهِرَة ومصر، فيجِدُّون في العَمَل نَهارَهم كلَّه بغيرأُجْرَة، وعليهم مَمْلوكٌ من مَماليكه وَلَّاه شَدّ العِمارَة، لم ير النَّاسُ أظْلَمَ منه ولا أعْتَى ولا أشَدّ

---

a) نصُّ المُسَوَّدَة: وسَمِعْتُ من يَذْكُر أنَّ مأذنتها. b) دارهم. c-c) إضافة من المُسَوَّدَة. d) بولاق: في كل.

= المبارَكة المُقِرُّ الكريم العالي المَوْلَوي الأميري الأجَلّي السَّيْفي آقْبُغا الأوْحدي أستاذ الدَّار العالية الملكي النَّاصري، وذلك في سنة أربعين [وسبع مائة]». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 125, 126, 127; Wiet, G., *RCEA* XV, n° 5773, 5791, 5800).

راجع، الشجاعي: تاريخ الملك الناصر ٢٧-٢٨؛ المقريزي: السلوك ٢: ٤٥٥-٤٥٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٤٣-١٤٤.

وفي سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م ألْحَقَها الأمير عبد الرحمن كَتْخُدا القازْدُغلي بالجامع الأزهر هي والمَدْرَسَة الطَّيْبَرْسية، فأصبحت داخل بابه الغَرْبي المعروف بباب المُزَيِّنين على يَسار الدَّاخل منه. وفي أيَّام الخديو عبَّاس حلمي الثاني (١٨٩٢-١٩١٤م) وقع تَعْديلٌ في مبانيها الداخلية وجُعِلَت مكتبةً عامَّةً للجامع الأزهر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٤٣هـ [1]، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ٤٥-٤٦ (١٨-١٩)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المدارس الأثرية ٥٧-٥٨؛ Raymond, A., *op.cit.*, p. 239). وانتقلت المكتبةُ الأزهرية الآن إلى مبنًى مستقلّ أنشئ في حديقة الخالدين بالدَّرَّاسَة يقع بين مبنى مَشْيَخَة الأزهر ومبنى دار الإفتاء. والمُتَبقِّي الآن من مباني المَدْرَسَة الأصلية مَدْخَلُها وواجِهةُ القُبَّة ومِحْرابها، ومِحْراب المَدْرَسَة والمنارَة التي أكملت إدارة حِفْظ الآثار العربية قمّتها سنة ١٩٤٥م.

[1] النَّصُّ في المُسَوَّدَة: «وسَمِعت من يَذْكر أنَّ مئذنتها أوَّل مئذنة بنيت بالحجر بالقاهرة».

وهذه المعلومة غير دقيقة فهناك مآذِنُ كثيرة بنيت بالحَجَر قبْلَها مثل مئذنة جَامِع ابن طُولُون ومئذنتي جَامِع الحاكم بأمْرِ الله.

بأسًا، ولا أقْسَى قَلْبًا ولا أكثر عَنَتًا. فلَقِي العُمَّالُ منه مَشَقَّات لا تُوصَف، وجاءَ مُناسِبًا لمولاه.

وحَمَلَ مع هذا إلى هذه العِمارَة سائِرَ ما يُحْتاج إليه من الأمْتِعَة وأصْنَاف الآلات، وأنْواع الاحْتياجات من الحَجَر والخَشَب والرُّخام والدِّهان وغيره، من غير أن يَدْفَع في شيءٍ منه ثمنًا ألبتَّة، وإنَّما كان يأخُذ ذلك إمَّا بطريقِ الغَصْب من النَّاس، أو على سَبيلِ الخِيانَة من عَمائِر السُّلْطان، فإنَّه كان من جملة ما بيده شَدّ العَمائِر السُّلْطانية.

وناسَبَ هذه الأفْعالَ أنَّه ما عُرِفَ عنه قَطّ أنَّه نَزَلَ إلى هذه العِمارَة إلَّا وضَرَبَ فيها من الصُّنَّاع عِدَّةً ضَرْبًا مُؤْلِمًا، فيصير ذلك الضَّرْبُ زيادَةً على عَمَلِه بغير أجْرَة، فيقال فيه: كَمُلَت خِصالُك هذه بقَماري. فلمَّا فَرَغ من بِنائِها، جَمَعَ فيها سائِرَ الفُقَهاء وجَميع القُضَاة.

وكان الشَّريفُ شَرَفُ الدِّين عليُّ بن شِهاب الدِّين الحسين بن محمد بن الحسين ـ نَقيبُ الأشْراف ومُحْتَسِبُ القاهِرَة حينئذٍ ـ يُؤَمِّل أن يكون مُدَرِّسَها، وسَعَى عنده في ذلك، فعَمِلَ بُسُطًا على قِياسِها بَلَغَ ثمنها ستة آلاف دِرْهَم فِضَّة، ورَشاه بها ففُرِشَت هناك. ولمَّا تكامَلَ حُضورُ النَّاسِ بالمَدْرَسَة ـ وفي الذِّهْن أنَّ الشَّريفَ يلي التَّدْريس، وعُرِفَ أنَّه هو الذي أحْضَرَ البُسُط التي قد فُرِشَت ـ قال الأميرُ آقْبُغا لمن حَضَرَ: لا أُوَلِّي في هذه الأيَّام أحَدًا، وقامَ فتفرَّق النَّاس.

وقَرَّر فيها دَرْسًا للشَّافِعيَّة وَلِيَ تدريسه [a] ودَرْسًا للحَنَفِيَّة وَلِيَ تدريسه [a]، وجَعَلَ فيها عِدَّةً من الصُّوفية ولهم شَيْخٌ، وقَرَّر بها طائِفَةً من القُرَّاء يقرأون القرآن بشُبَّاكِها، وجَعَلَ لها إمامًا راتِبًا ومؤذِّنًا وفَرَاشين وقَوَمَة ومُباشِرين، وجَعَلَ النَّظَرَ للقاضي الشَّافِعي بديار مصر، وشَرَطَ في كِتابِ وَقْفِه أنْ لا[b] يلي النَّظَرَ أحَدٌ من ذرِّيته، ووَقَفَ على هذه الجِهات حَوانيت خارِج باب زَوِيلَه بخُطِّ تَحْت الرَّبْع، وقرية بالوَجْه القِبْلي.

وهذه المَدْرَسَةُ عامِرَةٌ إلى يومنا هذا، إلَّا أنَّه تَعَطَّلَ منها المَيْضَأة، وأُضيفَت إلى مَيْضَأة الجامِع لتَغَلُّب بعض الأُمَرَاء ـ بمُواطأةِ بعض النُّظَّار ـ على بِئْرِ السَّاقية التي كانت برَسْمِها.

آقْبُغا عبد الواحِد

الأميرُ عَلاء الدِّين[1] ـ أحْضَرَه إلى القاهِرَة التاجِر عبد الواحِد بن بدال، فاشْتَرَاهُ منه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون ولَقَّبَه باسم تاجره الذي أحْضَرَه، فحَظِيَ عنده وعَمِله شادّ العَمائِر، فنَهَضَ فيها نَهْضَةً أعْجَبَت به السُّلْطان وعَظَّمَه حتى

---

a) بياض في آياصوفيا وميونخ. b) بولاق: ألَّا.

---

[1] انظر ترجمة الأمير آقْبُغا عبد الواحد كذلك عند، الصفدي: أعيان العصر ١: ٥٤٨- ٥٤٩؛ ابن حجر: الدرر =

عَمِلَه أُسْتَادّار السُّلْطان بعد الأمير مُغُلْطاي الجَمالي ، في المحرَّم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائةٍ ، وولّاه مُقدَّم المماليك فقويت حُرْمَتُه وعَظُمَت مَهابتُه ، حتى صارَ سائِرُ مَنْ في بيت السُّلْطان يخافُه ويَخْشاه .

وما بَرِحَ على ذلك إلى أن ماتَ الملكُ النَّاصِرُ ، وقامَ من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ، فقَبَضَ عليه في يوم الاثنين سلخ المحرَّم سنة اثنتين وأربعين وسبع مائةٍ ، وأَمْسَك أيضًا وَلَدَيْه[١] ، وأُحيطَ بمالِه وسائِر أمْلاكِه ، ورَسَمَ عليه الأمير طَيْبُغا المَجْدي ، وبيعَ موجودُه من الخَيْلِ والجِمال والجَواري والقُماش والأَسْلِحَة والأواني ، فظَهَرَ له شيءٌ عظيم إلى الغاية : من ذلك أنَّه أُبيعَ بقَلْعَةِ الجَبَل ـ وبها كانت تُعْمَل حَلْقات مبيعه ـ سَراويل امرأته بمبلغ مائتي ألف درهم فِضَّة : عنها نحو عشرة آلاف دينار ذَهَب ، وبيع له أيضًا قُبْقابٌ وسَارْمُوذَة[٢] وخُفٌّ نِسائي بمبلغ خمسة وسبعين ألف درهم فِضَّة : عنها زِيادَةٌ على ثلاثة آلاف دينار ، وأُبيعَت بَدْلَةُ مقانع بمائة ألف درهم .

وكَثُرَتِ المرافعاتُ عليه من التُّجّار وغيرهم ، فبَعَثَ السُّلْطانُ إليه شادّ الدَّواوين يعرِّفه أنَّه أقسم بتُرْبَة الشَّهيد ـ يعني أباه ـ أنَّه متى لم يُعْطِ هؤلاء حَقَّهم ، وإلّا سَمَّرْتُك على جَملٍ وذُفْت بك المَدينَة ، فشَرَعَ آقْبُغا في اسْتِرْضائِهم وأعْطاهم نحو المائتي ألف درهم فِضَّة . ثم نَزَلَ إليه الوَزيرُ نَجْمُ الدِّين محمود بن شِرْوين[a] ـ المعروف بوزير بَغْدادَ ـ ومعه الحاج إبراهيم بن صَابِر مُقَدَّم الدَّوْلَة ، لمطالبته بالمال ، فأخذا منه لؤلؤًا وجواهِر / ٣٨٥ نفيسةً ، وصَعِدا بها إلى السُّلْطان .

وكان سَبَبُ هذه النَّكْبَة أنَّه كان قد تَحَكَّم في سائِرِ[b] أُمور الدَّوْلَة السُّلْطانية وأرْباب الأشْغال ، أعْلاهم وأدْناهم ، ممّا اجْتَمَع له من الوَظائِف ، و كان عنده فَرّاشٌ غَضِبَ عليه وأَوْجَعَه ضَرْبًا ، فانْصَرَف من عنده ، وخَدَمَ في دار الأمير أبي بكر وَلَد السُّلطان ، فبَعَثَ آقْبُغا يستدعي بالفَرّاش إليه ، فمَنَعَه عنه أبو بكر ، وأرسل إليه مع أَحَدِ مماليكه يقول له : إنِّي أُريدُ أن تَهَبَني هذا الغُلام ، ولا تُشَوِّش عليه ، فلمَّا بَلَّغَه المملوكُ الرِّسالَة ، اشْتَدَّ حَنَقُه وسَبَّه سَبًّا فاحِشًا ، وقال له : قل لأُسْتاذِك

a) بولاق : سرور . b) ساقطة من بولاق .

= الكامنة ١:٤١٨–٤١٩؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢:٢٥٩–٢٦١؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٢:٤٨٠–٤٨٢.

[١] ناصر الدين محمد وشهاب الدين أحمد (أعيان العصر ١:٥٤٨).

[٢] سارموذه ، شارموذة . نوعٌ من النعال التي تخلع عند دخول المنزل . (Mayer L. A., *op.cit.*, 72, 74؛ وفيما تقدم ٢:٢٩٢).

يُسَيِّر الفَرَّاش وهو جيد له . وكان قبل ذلك اتَّفَق أنَّ الأَميرَ أبا بكر خَرَجَ من خدمة السُّلْطان إلى بَيْته ، فإذا الأمير آقْبُغا قد بَطَحَ مَمْلوكًا وضَرَبَه ، فوَقَفَ أبو بكر بنفسه ، وسأل آقْبُغا في العَفْوِ عن المملوك ، وشَفَعَ فيه ، فلم يَلْتَفت آقْبُغا إليه ، ولا نظر إلى وَجْهه ، فخَجِلَ أبو بكر من النَّاس ـ لكونه وَقَفَ قائمًا بين يَدَيْ آقْبُغا وشَفَعَ عنده ، فلم يَقُم من مَجْلِسه لوُقوفِه ، بل اسْتَمَرَّ قاعِدًا وأبو بكر واقِفٌ على رجليه ، ولا قَبِلَ مع ذلك شَفاعَتَه ـ ومَضَى وفي نفسه منه حَنَق كبير .

فلمَّا عادَ إليه مَمْلوكُه ، وبَلَّغَه كَلامَ آقْبُغا بسبب هذا الفَرَّاش ، أَكَّدَ ذلك عنده ما كان من الإحْنَة ، وأَخَذَ في نفسه إلى أن ماتَ أبوه الملكُ النّاصِر ، وعَهِدَ إليه من بَعْده ، وكان قد الْتَزَمَ أنَّه إن مَلَّكَه الله ليُصادِرَنّ آقْبُغا ، وليضربنّه بالمقارِع ، وقال للفرَّاش : اقْعُد في بَيْتي ، وإذا حَضَرَ أحَدٌ لأَخْذِك عَرَفْت ما أعْمَلَ معه . وأخَذَ آقْبُغا يترقَّب الفَرَّاش ، وأقامَ أُناسًا للقَبْض عليه ، فلم يَتَهيّأ له مَسْكُه .

فلمَّا أَفْضَى الأَمْرُ إلى أبي بكر ، اسْتَدْعى الأمير قُوصُون ـ وكان هو القائِم حينئذٍ بتَدْبير أُمورِ الدَّوْلَة ـ وعَرَّفَه ما الْتَزَمَه من القَبْض على آقْبُغا ، وأَخْذ مالِه وضَرْبه بالمقارِع ، وذَكَرَ له ولعِدَّة من الأُمَرَاء ما جَرَى له منه . وكان لقُوصُون بآقْبُغا عِنايَةٌ ، فقال للسُّلْطان : السَّمْع والطَّاعَة ، يَرْسِم السُّلْطانُ بالقَبْض عليه ومُطالَبته بالمال ، فإذا فَرَغَ مالُه يفعل السُّلْطانُ ما يَخْتاره .

وأرادَ بذلك تَطاوُل المُدَّة في أَمْر آقْبُغا . فقَبَض عليه ، ووَكَّلَ به رَسْلِ ابن صابِر ، حتى إنَّه باتَ لَيْلَةَ قُبِضَ عليه من غير أن يأكل شيئًا . وفي صَبيحَةِ تلك الليلة تحَدَّثَ الأُمَرَاءُ مع السُّلْطان في نُزوله إلى دارِه محتفظًا به ، حتى يتصرَّف في مالِه ، ويحمله شيئًا بعد شيءٍ . فنَزَلَ مع المَجْدي ، وباعَ ما يملكه ، وأَوْرَدَ المال .

فلمَّا قُبِضَ على الحاج إبراهيم بن صابِر ، وأُقيمَ ابن شَمْس مَوْضِعه ، أَرْسَلَه السُّلْطانُ إلى بَيْتِ آقْبُغا ليَعْصُره ويَضْربه بالمقارِع ويُعَذّبه . فبَلَغَ ذلك الأمير قُوصُون ، فمَنَعَ منه ، وشَنَّعَ على السُّلْطان كَوْنَه أَمَرَ بضَرْبه بالمقارِع ، وأَمَرَ بمُراجعته . فحَنَق من ذلك ، وأَطْلَق لسانه على الأمير قُوصُون ، فلم يَزَل به من حَضَرَه من الأُمَرَاءِ حتى سَكَت على مَضَض .

وكان قُوصُون يُدَبِّر في انْتِقاض دَوْلَة أبي بكر إلى أن خَلَعَه ، وأقامَ بعده أخاه الملك الأَشْرَف كُجُك بن محمد بن قَلاوون ، وعُمْرُه نحو السبع سنين ، وتَحَكَّم في الدَّوْلَة . فأَخْرَجَ آقْبُغا هو ووَلَده من القاهِرَة ، وجَعَلَه من جملة أُمَرَاء الدَّوْلَة بالشَّام . فسارَ من القاهِرَة في تاسِع رَبيع الأوَّل سنة اثنتين وأربعين وسبع مائةٍ ، على خَبَر الأمير مسعود بن خَطير بدِمَشق ، ومعه عِيالُه فأقامَ بها ،

إلى أن كانت فِتْنَةُ الملك النَّاصِر أحمد بن محمد بن قَلاوون، وعِصيانُه بالكَرَك على أخيه الملك الصَّالِح عِماد الدِّين إسماعيل بن محمد بن قَلاوون، فاتَّهَم آقْبُغا بأنَّه بَعَثَ مَمْلوكًا من مَماليكه إلى الكَرَك، وأنَّ النَّاصِرَ أحمد خَلَعَ عليه، وضُرِبَت البَشائِرُ بقَلْعَة الكَرَك، وأشاعَ أنَّ أُمَرَاءَ الشَّام قد دَخَلوا في طاعَته وحَلَفوا له، وأن آقْبُغا قد بَعَثَ إليه من مَملوكه يبشّره بذلك.

فلمَّا وَصَلَ إلى الملك الصَّالح كِتابُ عَسَّاف أخي شَطا بذلك، وَصَلَ في وَقْتِ وُرُودِه كِتابُ نائِبِ الشَّام الأمير طُقُزْدَمُر، يُخْبِر فيه بأنَّ جماعَةً من أُمَرَاء الشَّام قد كاتَبوا أحمد بالكَرَك وكاتَبهم، وقد قَبَضَ عليهم، ومن جملتهم آقْبُغا عبد الواحِد. فرَسَم بحَمْلِه مُقَيَّدًا، فحُمِلَ من دِمَشْق إلى الإسْكَنْدَرية، وقُتِلَ بها في آخِر سنة أربعٍ وأربعين وسبع مائةٍ.

وكان من الظُّلْم والطَّمَع والتَّعاظُم على جانِبٍ كبيرٍ، وجَمَعَ من الأمْوال شَيئًا كثيرًا وأقامَ جماعَةً من أهْل الشَّرّ لتتبُّع أولاد الأُمَرَاء، وتَعَرُّف أحْوال من افْتَقَرَ منهم أو احْتاجَ إلى شيءٍ، فلا يزالون به حتى يُعطوه مالًا على سَبيل القَرْض بفائِدَةٍ جَزيلةٍ إلى أجَلٍ، فإذا اسْتُحِقَّ المالُ أعْسَفَه في الطَّلَب، وألْجأه إلى بَيْعِ ما له من الأمْلاك، وحَلّها إن كانت وَقْفًا بعنايته به، وعَيَّنَ لعَمَلِ هذه الحِيَل شَخْصًا يُعْرَف بابن القاهِرِيّ، وكان إذا دَخَل لأحَدٍ من القُضَاة في شِراءِ ملكٍ أو حَلّ وَقْفٍ، لا يَقْدِر على مُخالفته، ولا يَجد بُدًّا من مُوافَقَته.

ومن غريب ما يُحْكى عن طَمَع آقْبُغا أنَّ مُشِدّ الحاشِيَة دَخَل عليه، وفي أصْبُعه خاتَم بفَصٍّ أحمر من زُجاج له بَريق، فقال له آقْبُغا: إيش هو هذا الخاتم؟ فأَخَذَ يُعَظِّمه، ويَذْكُر[a] أنَّه من تَرِكَة أبيه. فقال: بكم حَسَبُوه عليك؟ فقال: بمَبْلَغ[b] أربع مائة درهم. فقال: أرِنيه. فناوَلَه إيَّاه، فأخَذَه وتَشاغَل عنه ساعَةً، ثم قال له: واللّٰه فضيحَةٌ أن نأخُذ خاتَمك، ولكن خُذْه أنت وهات [c]الأربع مائة دِرْهم[c] ثمنه! ودَفَعَه إليه، وألْزَمَه بإحْضارَ الأربع مائة دِرْهَم فما وَسِعَه إلَّا ٣٨ أن / أَحْضَرَها إليه. فعاقَبَه اللّٰه بذَهاب مالِه وغيره، ومَوْتِه غَريبًا.

---

a) بولاق: ذكر. b) ساقطة من بولاق. c-c) ساقطة من بولاق.

المَدْرَسَةُ الحُسَامِيَّة

[أثر رقم ٥٩٠]

هذه المَدْرَسَةُ بخُطِّ المِشطاح من القاهِرَة، قَريبًا من حارَة الوَزيرِيَّة، بناها الأميرُ حُسَامُ الدِّين طُرُنْطاي المَنْصُوري، نائِبُ السَّلْطَنَة بديار مصر[a]، إلى جانب دارِه، وجَعَلَها برَسْمِ الفُقَهاءِ الشَّافِعِيَّة، وهي في وَقْتِنا هذا تِجاه سُوق الرَّقيق[b]، ويُسْلَكُ منها إلى دَرْبِ العَدَّاس وإلى حارَة الوَزيرِيَّة وإلى سُوَيْقَة الصَّاحِب وبابِ الخُوخَة وغير ذلك[1].

وكان بجانِبِها طَبَقَةٌ لخَيَّاط، فطُلِبَت منه بثلاثة أمْثال ثمنها فلم يَبِعْها، وقيل لطُرُنْطاي: لو طلبته لاسْتَحْيا منك. فلم يَطْلُبه، وتَرَكَه وَطَبَقَته، وقال: لا أُشَوِّشُ عليه.

طُرُنْطاي بن عبد الله، **الأميرُ حُسَامُ الدِّين المَنْصوري**[2]. رَبَّاه الملكُ المَنْصُورُ قَلاوون صَغيرًا، ورَقَّاه في خِدَمِه إلى أن تَقَلَّد سَلْطَنَة مصر، فجَعَلَه نائِبَ السَّلْطَنَة بديار مصر. عِوَضًا عن الأمير عِزِّ الدين أَيْبَك الأفْرَم الصَّالِحِي، وخَلَعَ عليه في يوم الخميس رابع عشر رَمَضَان سنة ثمانٍ وسبعين وستّ مائةٍ، فباشَرَ ذلكُ مباشَرَةً حَسَنَةً، إلى أن كانت سنة خمسٍ وثمانين، فخَرَجَ من القاهِرَة بالعساكِر إلى الكَرَك ـ وفيها الملكُ المسعود نَجْمُ الدِّين خِضْر،

---

a) المُسَوَّدَة: نائب السُّلطان الملك المنصور قلاوون بالديار المصرية. b) المُسَوَّدَة: سوق الجواري بالوزيرية.

---

[1] المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ٨٨و.

ولم يتبق من هذه المَدْرَسَة سوى القُبَّة المَدْفُون فيها الأمير حُسام الدِّين طُرُنْطاي وتقع في حارة أبي الفَضْل المتفرّعة من حارة الصَّاوي بدَرْب سعادة. ويوجد على تركيبة التربة ثلاثة أسطر بالخط النَّسْخ المملوكي تحمل النَّصّ التالي:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. ـ الآيتان ٢٦-٢٧ سورة الرَّحمن ـ هذا قَبْرُ العَبْد الفقير إلى الله تعالى الأمير الأجَلّ حُسام الدِّين طُرُنْطاي الملكي المنصوري. وذلك توفي يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ذو [كذا] القعدة سنة تسعة وثمانين وستّ مائة». (Wiet, G., *RCEA* XIII, n° 4917). وراجع كذلك، المقريزي: السلوك ١: ٧٥٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٨٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ١٣-١٤ (٦)؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, p. 218، سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٧٥-٧٧؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٩١-٢٠١.

[2] راجع ترجمة حُسام الدِّين طُرُنْطاي عند، الصفدي: أعيان العصر ٢: ٥٧٩-٥٨١، الوافي بالوفيات ١٦: ٤٢٩-٤٣٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ١٣٦؛ المقريزي: السلوك ١: ٧٥٧؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٢٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٨٣، المنهل الصافي ٦: ٣٨٦-٣٨٨.

وأخوه بَدْرُ الدِّين سَلامِش ، ابنا الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس - في رابع المحرَّم وسارَ إليها . فوافاه الأمير بَدْر الدِّين [a] الصَّواني بعَساكر دِمَشْق في ألفَيْ فارِس ونازَلا الكَرَك وقَطَعا الميرَة عنها ، واسْتَفْسَدا رجال الكَرَك حتى أَخَذا خِضْرًا وسَلامِش بالأمان في خامِس صَفَر ، وتَسَلَّمَ الأمير عِزُّ الدِّين أَيْبَك المَوْصِلي نائِب الشَّوْبَك مَدينَة الكَرَك واسْتَقَرَّ في نِيابَة السَّلْطَنة بها ، وبَعَثَ الأمير طُرُنْطاي بالبشارة إلى قَلْعَةِ الجَبَل فوَصَلَ البريدُ بذلك في ثامن صَفَر .

ثم قَدِمَ بابني الظَّاهِر ، فخَرَجَ السُّلْطانُ إلى لقائِه في ثاني عشر رَبيعِ الأوَّل وأكرم الأمير طُرُنْطاي ورَفَع قَدْرَه ، ثم بَعَثَهُ إلى أَخْذِ صَهْيُون - وبها سُنْقُر الأشْقَر - فسارَ بالعَساكر من القاهِرَة في سنة ستٍّ وثمانين ، ونازَلَها وحَصَرَها حتى نَزَلَ إليه سُنْقُر بالأمان ، وسَلَّم إليه قَلْعَة صَهْيُون ، وسارَ به إلى القاهِرَة ، فخَرَجَ السُّلْطانُ إلى لِقائِه وأكرمه .

ولم يَزَل على مَكانَتِه إلى أن ماتَ الملكُ المَنْصُور وقامَ في السَّلْطَنة بعده ابنه الأَشْرَفُ صَلاحُ الدِّين خَليل بن قَلاوون ، فقَبَضَ عليه في يوم السبت ثالِث عشر ذي القعدة سنة تسعٍ وثمانين ، وعُوقِبَ حتى ماتَ يوم الاثنين خامِس عشره بقَلْعَةِ الجَبَل ، وبقي ثمانية أيّام بعد قَتْلِه مَطْرُوحًا بحَبْسِ القَلْعَة . ثم أُخْرِجَ في ليلة الجُمُعَة سادِس عشرين ذي القعدة وقد لُفَّ في حَصيرٍ ، وحُمِلَ على جنوبة إلى زَاوِيَة الشَّيْخ أبي السُّعود بالقَرافَة [1] ، فغَسّله الشَّيْخ عُمَر السُّعودي شَيْخ الزَّاوِيَة ، وكَفّنه من مالِه ودَفَنَه خارِج الزَّاوية ليلًا ، وبقي هناك إلى سَلْطَنَة العادِل كَتْبُغا ، فأَمَرَ بنَقْلِ جُثَّته إلى تُرْبَته التي أنشأها بمَدْرَسَتِه هذه .

وكان سَبَبُ القَبْض عليه وقَتْلِه أنَّ الملكَ الأَشْرَفَ كان يكرهه كراهَةً شَديدَةً ، فإنَّه كان يَطْرَح جانبه في أيّام أبيه ، ويَغُضّ منه ويُهين نُوّابَه ، ويُؤْذي من يَخْدِمه ؛ لأنه كان يميل إلى أُخيه الملك الصَّالِح عَلاء الدِّين عليّ بن قَلاوون . فلمّا ماتَ الملكُ الصَّالِحُ عليّ وانْتَقَلت وِلايَةُ العَهْدِ إلى الأَشْرَف خليل بن قَلاوون ، مالَ إليه من كان ينحرف عنه في حَياةِ أخيه إلّا طُرُنْطاي ، فإنَّه ازْدادَ

---

a) بياض بنسختي ميونخ وآياصوفيا .

---

[1] تقعُ زاويةُ أبي السُّعود بن أبي العَشائر بجبَّانَة سيدي علي أبي الوَفا الواقعة تحت الجبَل المُقَطَّم شَرقي جبَّانَة الإمام اللَّيْث وفي الشَّمال الغربي لجامع الشادات الوفائية على بعد مائتي متر منه ، ولا يزال يوجد من مبانيها بقايا بابها والحائط الشمالي الشَّرقي والحائط الذي فيه المحراب . (ابن الزيات : الكواكب السيارة ٣١٦؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧:٣٨٤هـ [1] ، ٨:٢٨٣) .

تَمادِيًا في الإعْراضِ عنه ، وجَرَى على عادَته في أَذَى من يَنْسَبُ إليه ، وأَغْرَى الملكَ المَنْصور بشَمْس الدِّين محمد بن السَّلْعُوس ـ ناظِر ديوان الأَشْرَف ـ حتى ضَرَبه ، وصَرَفَه عن مُباشَرَةِ دِيوانِه . والأَشْرَفُ مع ذلك يتأكَّد حَنَقُه عليه ، ولا يجد بُدًّا من الصَّبْرِ إلى أن صارَ له الأَمْرُ بعد أبيه ، ووَقَفَ الأمير طُرُنْطاي بين يَدَيْه في نِيابَة السَّلْطَنة على عادَته ، وهو منحرفٌ عنه لما أَسْلَفَه من الإساءَة عليه . وأَخَذَ الأَشْرَفُ في التَّدْبير عليه إلى أن نُقِلَ له عنه أنَّه يتحدَّثُ سِرًّا في إفْسادِ نِظام المملكة وإخْراجِ المُلْك عنه ، وأنَّه قَصَدَ أن يَقْتُل السُّلْطان وهو راكِب في المَيْدان الأَسْوَد الذي تحت قَلْعَةِ الجَبَل عند ما يَقْرُب من باب الإسْطَبْل ، فلم يحتمل ذلك .

وعندها سَيَّر أربعة مَيادين ـ والأمير طُرُنْطاي ومن وافَقَه عند باب سارِيَة ـ حتى انتهى إلى رأس المَيْدان ، وقَرُبَ من بابِ الإسْطَبْل ، وفي الظَّنّ أنَّه يَعْطف إلى باب سارِيَة ليكمل التَّسْيير على العادَة ، فعَطَفَ إلى جهة القَلْعَة ، وأَسْرَعَ ودَخَلَ من باب الإسْطَبْل . فبادَرَ الأمير طُرُنْطاي عندما عَطَف السُّلْطانُ ، وساقَ فيمن معه ليدركوه ، ففاتَهم وصارَ بالإسْطَبْل فيمن خَفَّ معه من خَواصِّه . وما هو إلَّا أن نَزَلَ الأَشْرَفُ من الرُّكوب ، فاسْتَدْعَى بالأمير طُرُنْطاي ، فمَنَعَه الأميرُ زَيْنُ الدِّين كَتْبُغا المنصوري من الدُّخول إليه ، وحَذَّرَه منه وقال له : والله إنِّي أخافُ عليك منه ، فلا تَدْخل عليه إلَّا في عُصْبَةٍ تَعْلم أنَّهم يمنعونك منه إن وَقَعَ أَمْرٌ تكرهه . فلم يَرْجِع إليه ، وغَرَّه أنَّ أحَدًا لا يَجْسُرُ عليه لمهابته في القُلوب ومكانته من الدَّوْلَة ، وأنَّ الأَشْرَفَ لا يُبادِره بالقَبْض عليه ، وقال لكَتْبُغا : والله لو كنت نائِمًا ما جَسر خَليل يُنَبِّهُني . وقام ومَشَى إلى السُّلْطان ودَخَلَ ومعه كَتْبُغا ، فلمَّا وَقَفَ على عادَته ، بادَر إليه جَماعَةٌ قد أعَدَّهم السُّلْطانُ/ وقَبَضوا عليه ، فأَخَذَه اللَّكْم ٣٨ من كلِّ جانب والسُّلْطانُ يُعَدِّدُ ذُنوبَه ، ويذكر له إساءَته ويَسُبّه . فقال له : يا خَوَنْد ، هذا جَميعُه قد عَمِلْته معك ، وقَدَّمْت الموت بين يديّ ، ولكن والله لَتَنْدَمَنَّ من بَعْدي . هذا والأيدي تَتناوَب عليه ، حتى إنَّ بعض الخاصَّكيَّة قَلَع عينه وسُحِبَ إلى السِّجْن . فخَرَجَ كَتْبُغا وهو يقول : إيش أَعْمل ؟ ويكرِّرها . فأَدْرَكَه الطَّلَب ، وقُبِضَ عليه أيضًا ، ثم آل أمْرُ كَتْبُغا بعد ذلك إلى أن وَلِيَ سَلْطَنَة مصر .

وأَوْقَعَ الأَشْرَفُ الحَوْطَة على أمْوال طُرُنْطاي ، وبَعَثَ إلى دارِه الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الشُّجاعي . فوَجَدَ له من العَيْن ستّ مائة ألف دينار ، ومن الفِضَّة سبعة عشر ألف رِطْل ومائة رِطْل مصري عنها زيادة على مائةٍ وسبعين قِنْطارًا فِضَّة سوى الأواني ، ومن العُدَد والأسْلِحَة والأَقْمِشَة والآلات والخُيول والمماليك ما يتعذَّر إحْصاءُ قيمته ، ومن الغَلَّات والأمْلاك شيءٌ كثيرٌ جدًّا ، ووَجَدَ له من البَضائع والأمْوال المُسَفَّرة على اسْمِه ، والوَدائع والمُقارَضات ، والقُيود والأَعْمال ، والأبقار والأَغْنام ، والرَّقيق وغير ذلك ، شيءٌ يَجلّ وَصْفُه ، هذا سوى ما أَخْفاه

مُباشِرُوه بمصر والشَّام. فلمَّا حُمِلَت أمْوالُه إلى الأَشْرَف جَعَلَ يُقَلِّبها ويقول :

[مجزوء الكامل]

مَنْ عاشَ بعد عَدُوِّه   يَوْمًا فقد بَلَغَ المُنَى

واتَّفَقَ بعد مَوْتِ طُرُنْطاي أنَّ ابنه سأل الدُّخُولَ على السُّلْطان الأَشْرَف ، فأذِنَ له . فلمَّا وَقَفَ بين يديه ، جَعَلَ المِنْديلَ على وَجْهه - وكان أعمى - ثم مَدَّ يده وبكى ، وقال : شيءٌ لله ! وذَكَرَ أنَّ لأهْلِه أيَّامًا ما عندهم ما يأكلونه ؛ فرَقَّ له وأَفْرَجَ عن أمْلاكِ طُرُنْطاي ، وقال : تَبَلَّغوا بريعِها . فسُبْحانَ من بيده القَبْضُ والبَسْط .

المَدْرَسَةُ المَنْكُوتَمُرِيَّة

[أثر رقم ٨]

هذه المَدْرَسَةُ بحَارَة بَهَاءِ الدِّين من القاهِرَة [1] ، بناها بجوار دارِه الأميرُ سَيْفُ الدِّين مَنْكُوتَمُر الحُسَامي ، نائِب السَّلْطَنة بديار مصر [a] ، [b]في [b] فكَمُلَت في صَفَر سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائةٍ ، وعَمِلَ بها دَرْسًا للمالِكية قُرِّرَ فيه الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّين محمد بن أبي القاسِم

---

a) في المُسَوَّدَة : نائب السُّلْطان الملك المنصور حسام الدِّين لاجين .   b-b) إضافة من المُسَوَّدَة .

---

[1] المَدْرَسَة المَنْكوتَمُرِيَّة . وَصَفَها ابنُ كثير بأنَّها «داخِل بابِ القَنْطَرَة» (البداية والنهاية ١٣:٣٥٢) ، وقال علي باشا مبارك ، في نهاية القرن التاسع عشر ، إنَّها «بحارة بين السَّيارج على يَمْنَة السَّالِك من رأس الحارة إلى ضريح الأستاذ البُلْقيني ، وهي مُتَخَرِّبَة لم يبْق إلَّا جانبها القِبْلي الذي به الباب والشُّبابيك وإلى جانبها ضريح مُتَّصلٌ بها وسورها الغربي مُتَّصلٌ بالمساكن . (الخطط التوفيقية ٦:٤٠ (١٥-١٦)) . وتُعْرَف الآن بجامع ابن حجر ويحمل رقم ١٣ بشارع بين السَّيارج . وكان بَدْرُ الدِّين محمد بن أبي بكر بن محمد ابن مُزْهِر الأنْصاري قد شَرَعَ ، في نهاية القرن التاسع الهجري ، في بناء مَدْرَسَة بالقُرْب من سُوَيْقَة اللَّبن ، قال السخاوي : «كانت الخِطَّةُ - فيما بَلَغَني - مفتقرةً إليها» . (الضوء اللامع ١٩٨:٧) . وتُعْرَف هذه المَدْرَسَة الآن بـ«جامِع المزهرية» بالحُسَيْنِيَّة على يَمْنَة السَّالِك من بابِ الفُتُوح إلى شارع البَغَّالة تجاه حارة البزازرة . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥:٢٦١ (١١٤)) ، وعند تجديد هذه المَدْرَسَة نُقِلَ إليها بابُ المَدْرَسَة المنكوتمرية ويوجد على عِضَادَتَيْه كتابةٌ تاريخية نَصّها :

«مِمَّا عُمِلَ بِرَسْم الجناب الكريم العالي المَوْلَوي الإسفهسلاري سَيْف الدِّين منكوتمر المنصوري ، أعَزَّ أنْصارَه وضاعَفَ اقْتدارَه» . (Wiet, G., *RCEA* XIII, n° 5062) .

وانظر كذلك ، عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢:٣٠٩-٣١٨ .

ابن عبد السَّلام بن جَميل التُّونُسي المالِكي [1]، ودَرْسًا للحَنَفية دَرَّسَ فيه [a] [2]، وجَعَلَ فيها خِزانَة كُتُب، وجَعَلَ عليها وَقْفًا ببلاد الشَّام. وهي اليوم بيد قُضَاة الحَنَفِيَّة يَتَوَلَّون نَظَرَها، وأَمْرُها مُتلاشٍ، وهي من المدارس الحَسَنَة.

مَنْكُوتَمُر [4]

هو أَحَدُ مماليك الملك المَنْصور حُسَام الدِّين لاجين المَنْصوري، ترقَّى في خِدْمَته واخْتَصَّ به اخْتِصاصًا زائِدًا، إلى أن وَلِيَ مملكة مصر بعد كَتْبُغا في سنة ستٍّ وتسعين وستّ مائةٍ، فجعَلَه أَحَدَ الأُمَرَاء بديار مصر، ثم خَلَعَ عليه خِلَعَ نِيابَة السَّلْطَنَة - عِوَضًا عن الأمير شَمْس الدِّين قراسُنْقُر المَنْصوري - يوم الأربعاء النصف من ذي القعدة. فخَرَجَ سَائِرُ الأُمَرَاءِ في خِدْمَتِه إلى دار النِّيابَة، وباشَرَ النِّيابَة بتعاظُمٍ كثير، وأَعْطَى المَنْصِبَ حَقَّه من الحُرْمَة الوافِرَة والمهابَة التي تَخْرُجُ عن الحَدِّ، وتصرَّفَ في سائِر أُمور الدَّوْلَة من غير أن يُعارِضَه السُّلْطان في شيءٍ أَلبتَّة، وبَلَغت عَبْرَةُ إقطاعِه في السنة زيادَةً على مائة ألف دينار.

ولمَّا عَمِلَ الملكُ المَنْصور الرَّوْك، المعروف بـ «الرَّوْك الحُسَامي» [3]، فَوَّضَ تفرقة مِثالات إقْطاعات الأَجْناد له، فجَلَسَ في شُبَّاكِ دارِ النِّيابَة بقَلْعَةِ الجَبَل، ووَقَفَ الحُجَّاب بين يَدَيْه، وأعطى لكلٍّ تَقْدِمَةٍ مِثالات، فلم يَجْسُر أَحَدٌ أن يتحدَّث في زيادةٍ ولا نُقْصان، خَوْفًا من سُوءِ خُلُقِه وشِدَّة حُمْقِه.

وبقي أيَّامًا في تفرقة المِثالات، والنَّاسُ على خَوْفٍ شَديد فإنَّ أَقَلَّ الإقْطاعات كان في أيَّام الملك المَنْصور قَلاوون عشرة آلاف درهم في السنة، وأكثره ثلاثين ألف درهم، فرَجَع في الرَّوْك الحُسامي أكثر إقطاعات الحَلْقَة إلى مَبْلغ عشرين ألف درهم وما دونها. فشَقَّ ذلك على الأَجْناد وتقدَّم طائِفَةٌ منهم ورموا مِثالاتهم التي فُرِّقت عليهم؛ لأنَّ الواحِدَ منهم وَجَد مِثالَه بحق النِّصْف

a) بياض في ميونخ وآياصوفيا.

[1] حاشية بخطِّ المُؤلِّف: «مات ليلة الثلاثاء حادي عشرين صفر سنة خمسٍ وسبع مائة ودُفِنَ بالقَرافَة، ومَوْلِدُه في سنة تسع وثلاثين وستّ مائة».

[2] ذكر القُرَشي في ترجمة فَخْر الدِّين أبي القاسم بن نَصْر الله بن فَخْر الدَّوْلَة بن يحيى الدِّمَشْقي، المتوفى سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، أنَّه دَرَّس بالمنكوتمرية، وأنَّه أوَّلُ مُدَرِّس بها بتولية واقِفِها. (الجواهر المضية ٤: ١١٤).

[3] راجع ترجمة مَنْكوتَمُر الحُسامي، المتوفى سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، عند، الصفدي: أعيان العصر ٥: ٤٥٥- ٤٥٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ١٠٠- ١٠٥، ١٨٨، الدليل الشافي ٢: ٧٤٦.

[4] انظر عنه فيما تقدم ١: ٢٣٦- ٢٣٧.

ممَّا كان له قَبْل الرَّوْك ، وقالوا لمَنْكوتَمُر : إمَّا أن تُعطونا ما يقوم بكُلَفِنَا ، وإلَّا فخُذُوا أخبازَكم ونحن نَخْدِم الأُمَرَاء أو نَصير بَطَّالين . فغَضِبَ مَنْكُوتَمُر وأَخْرَقَ بهم ، وتقدَّم إلى الحُجَّابِ فضَرَبوهم وأخذوا سُيوفَهم ، وأوْدَعوهم السُّجون . وأخَذَ يُخاطِب الأُمَرَاء بفُحْشٍ ، ويقول : أيُّما قَوَّاد شَكَا من خُبْزِه ، ويقول نقول للسُّلْطان ، فعَلْت به وفَعَلت ، إيش يقول للسُّلطان ؟ إن رضي يَخْدم وإلَّا إلى لَعْنَةِ الله . فشَقَّ ذلك على الأُمَرَاءِ ، وأسَرُّوا له الشَّرّ .

ثم إنَّه لم يَزَلْ بالسُّلْطان حتى قَبَضَ على الأمير بَدْر الدِّين بَيْسَري ، وحَسَّن له إخْراجَ أكابِر الأُمَرَاء من مصر ، فجرَّدهم إلى سِيس ، وأصبح وقد خَلا له الجَوُّ ، فلم يَرضَ بذلك حتى تَحَدَّثَ مع خُوشْداشيته بأنَّه لا بد أن يُنْشِئ له دَوْلَة جَديدةً ، ويُخْرِج طُغْجي وكُرْجي من مصر .

ثم إنَّه جهَّز حَمْدان بن صَلْغاي إلى حَلَب في صورة أنَّه يستعجل العساكِر من سيس ، وقَرَّرَ معه القَبْض على عِدَّة من الأُمَرَاء ، وأَمَّرَ عِدَّة / أُمَرَاء جعلَهم له عُدَّة وذُخْرًا ، وتقدَّم إلى الصَّاحِب فَخْر الدِّين الخَليلي بأن يعمل أوْراقًا تتضمَّن أسْماءَ أرْبابِ الرَّواتِب ليقطع أكثرها .

فلم تَدْخُل سنة ثمانٍ وتسعين ، حتى اسْتَوْحَشَت خَواطِرُ النَّاسِ بمصر والشَّام من مَنْكُوتَمُر ، وزادَ حتى أرادَ السُّلْطانُ أن يبعث بالأمير طُغْي إلى نِيابَة طَرابُلُس ، فتنَصَّل طُغْي من ذلك فلم يُعْفه السُّلْطان منه وألَحَّ مَنْكُوتَمُر في إخراجه ، وأغْلَظَ للأمير كُرْجي في القَوْل وحَطَّ على سَلار وبَيْبَرْس الجاشْنْكير أنظارهم وغضّ منهم . وكان كُرْجي شَرِس الأخْلاق ، ضيِّق العطن ، سريع الغَضَب ، فهَمَّ غير مَرَّة بالفَتْك بمَنْكُوتَمُر ، وطَغْجي يُسَكِّن غضبه .

فبَلَغَ السُّلْطانُ فَسادَ قُلوبِ الأُمَرَاء والعَسْكَر فبَعَثَ قاضي القضاة حُسام الدِّين الحسن بن أحمد ابن الحَسَن الرُّومي الحَنَفي إلى مَنْكُوتَمُر يُحَدِّثه في ذلك ويُرْجعه عمَّا هو فيه ، فلم يلتفت إلى قَوْله وقال : « أنا ما لي حاجَة بالنِّيابَة ، أُريد أخْرُج مع الفُقَراء » . فلمَّا بَلَغَ السُّلْطانُ عنه ذلك اسْتَدْعاه ، وطَيَّب خاطِرَه ، ووَعَدَه بسَفَر طُغْجي بعد أيَّام ، ثم القَبْض على كُرْجي بعده ، فنقَلَ هذا للأُمَرَاء فتحالَفوا وقَتَلوا السُّلْطان ، كما قد ذُكِرَ في خَبَره [1] وأوَّل من بَلَّغَه خَبَرَ مَقْتَلِ السُّلْطان الأمير مَنْكوتَمُر ، فقامَ إلى شُبَّاكِ النِّيابَة بالقَلْعَة فرأى بابَ القُلَّة وقد انْفَتَحَ ، وخَرَجَ الأُمَرَاءُ ، والشُّموعُ تُقَد ، والضَّجَّةُ قد ارْتَفَعَت ، فقال : والله قد فَعَلوها . وأَمَرَ فغُلِّقَت أبْوابُ دار النِّيابَة ، وألْبَس مَماليكَه آلَة الحَرْب . فبَعَثَ الأُمَرَاءُ إليه بالأمير الحُسام أُسْتادَّار ، فعَرَّفه بمَقْتَل السُّلْطان ، وتَلَطَّف به حتى نَزَلَ وهو مَشْدُود الوَسَط بمِنْديل ، وسارَ به إلى باب القُلَّة والأمير طُغْجي قد جَلَسَ في مَرْتَبَة

---

[1] فيما تقدم ٣: ٧٧٤.

النِّيابة . فتقدَّم إلى طُغْجي وقَبَّلَ يَدَه ، فقامَ إليه وأجْلَسَه بجانبه . وقامَ الأُمَرَاءُ في أَمْرِ مَنْكُوتَمُر يَشْفَعُون فيه ، فأَمَرَ به إلى الجُبِّ وأَنْزَلوه فيه . وعندما اسْتَقَرَّ به أُدْلِيَت له القُفَّةُ التي نَزَلَ فيها ، وتَصايَحوا عليه بالصُّعُود ، فطَلَعَ عليهم . وإذا كُرْجي قد وَقَفَ على رأسِ الجُبِّ في عِدَّةٍ من المماليك السُّلْطانية ، فأَخَذَ يَسُبُّ مَنْكُوتَمُر ويُهينه ، وضَرَبَه بلُتٍّ أَلْقاه ، وذَبَحه بيده على الجُبِّ ، وتَرَكَه وانْصَرَف ؛ فكان بين قَتْلِ أُسْتاذِه وقَتْلِه ساعَةٌ من الليل ، وذلك في ليلة الجُمُعَة عاشِر رَبيعٍ الأوَّل سنة ثمانٍ وتسعين (aوستِّ مائةٍ a).

المَدْرَسَةُ القَراسُنْقُرِيَّة

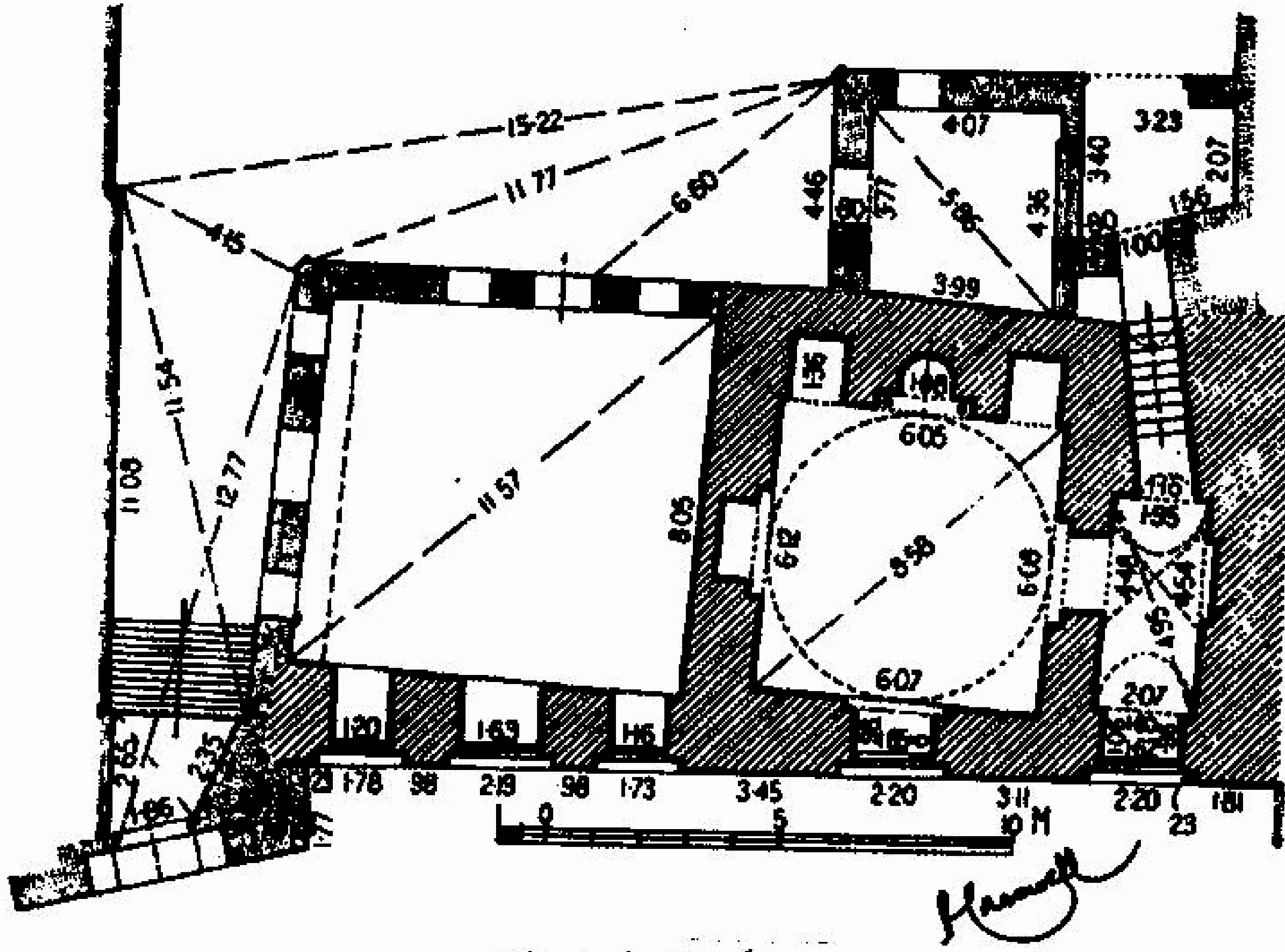
[أثر رقم ٣١]

هذه المَدْرَسَةُ تِجاه الخانْقاه الصَّلاحِيَّة(b) سَعيد السُّعَداء(c)، فيما بين رَحْبَةِ بابِ العيد وبابِ النَّصْر [١]، كان مَوْضِعُها ومَوْضِعُ الرَّبْع الذي بجانبها الغربي مع خانْقاه بَيْبَرْس وما في صَفِّها إلى حَمّام الأَعْسَر وباب الجُوّانية ، كلُّ ذلك من دارِ الوَزارَة الكُبْرَىٰ التي تقدَّم ذكرها(d) [٢]. أنشأها الأميرُ شَمْسُ الدِّين قَراسُنْقُر المَنْصُوري نائِب السَّلْطَنَة في(e) سنة سبع مائةٍ . (fوكان قد أَخَذَ نَقْض هذه الدَّار ـ التي هي دار الوَزارَة ـ فبَنَى بها هذه المَدْرَسَة f)، وبَنَى بجوار بابِها مَسْجِدًا مُعَلَّقًا ومَكْتَبًا لإقْراءِ أيْتام المسلمين كِتابَ الله العزيز ، وجَعَلَ بهذه المَدْرَسَة دُرُوسًا(g) للفُقَهاء ، ووَقَفَ على ذلك دارَه التي بِحارَة بَهاء الدِّين وغيرها . ولم يَزَل نَظَرُ هذه المَدْرَسَة بيد ذُرِّيَّة الواقِف إلى سنة خمس عشرة وثمان مائةٍ ، ثم انْقَرَضُوا .

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : خانقاه الصلاح . c) المسودة : قبالة الخانقاه الصَّلاحية سعيد السُّعَداء ، وهي بجوار خانْقاه بيبرس . d) المُسَوَّدَة : التي كانت للخلفاء . e) ساقطة من بولاق . f-f) إضافة من المُسَوَّدَة . g) بولاق : درسًا .

[١] المَدْرَسَة القَراسُنْقُرية . تَخَرَّبت الآن هذه المَدْرَسَة ، وكان علي باشا مبارك عندما كان ناظِرًا على ديوان المدارس والأَوْقاف قد عَمَّرَ في بعضٍ منها مَكْتَبًا لتَعْليم الأَوْلاد . والأَطْلالُ المتبقية من المَدْرَسَة في شارع الجمالية جنوب خانكاه بَيْبَرْس الجاشْنَكير مسجلة برقم ٣١. (راجع ، المقريزي : السلوك ٢ : ٥٥٨؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٣٣٢؛ van Berchem, M., *CIA* Égypte I, pp. 155-56; Wiet, G., *RCEA* XIII, n° 5029; Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 240-42؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٢٠٩ (٦٩) ، ٦ : ٣٣-٣٤ (١٣-١٤) ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢ : ٣١٩-٣٣٧).

[٢] فيما تقدم ٢ : ٤٤٠.



مُخطَّط المَدْرَسةُ القَراسُنْقُريَّة

وهي من المدارِس المليحة ، وكُنَّا نَعْهَدُ البَريدية إذا قَدِمُوا من الشَّام وغيرها لا يَنْزِلون إلَّا في هذه المَدْرَسَة حتى يتهيَّأ سَفَرُهُم ، وقد بَطَلَ ذلك من سنة تسعين وسبع مائة .

قَراسُنْقُر بن عبد الله ، الأميرُ شَمْسُ الدِّين الجُوكَنْدار المَنْصُوري [1]. صارَ إلى الملك المَنْصُور قَلاوون ، وتَرَقَّى في خِدْمَتِه إلى أن وَلَّاه نِيابَة السَّلْطَنَة بحَلَب في شَعْبان سنة اثنتين وثمانين وستّ مائة عِوَضًا عن الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الباشْقَرْدي ، فلم يَزَل فيها إلى أن ماتَ الملكُ المنصُور ، وقامَ من بعده ابنُه الملك الأَشْرَف خليل بن قَلاوون [a]فأمَّره على ولاية حَلب . وعَمَّر في ولايته قَلْعَة حَلَب فلم تتم إلَّا في أيام الملكِ الأَشْرَفِ خَليل بن قَلاوون [a]. فلمَّا تَوَجَّه الأَشْرَفُ إلى فَتْح قَلْعَةِ الرُّوم ، عادَ بعد فَتْحِها إلى حَلَب ، وعَزَل قَراسُنْقُر عن نِيابَتها ، ووَلَّى

(a-a) ساقطة من بولاق .

[1] انظر أيضًا ، الصفدي : أعيان العصر ٤ : ٨٧- ١٠٠ ، الوافي بالوفيات ٢٤ : ٢١٢- ٢٢٢ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٩ : ٣٤٩ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨ : ٢٣٢- ٢٣٣ ؛ المقريزي : السلوك ٢ : ٣٠٥ ، ٥٥٤- ٥٥٨ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٣ : ٣٣٠ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٧٣ ، المنهل الصافي ٩ : ٤٧- ٤٨ .

عِوضَه الأمير سَيْف الدِّين بَلَبان الطَّبَّاخي ، وذلك في أوائِل شَعْبان سنة إحدى وتسعين ، وكانت ولايَتُه على حَلَب تِسْعَ سنين .

فلمَّا خَرَجَ السُّلْطانُ من مَدينَة حَلَب ، خَرَجَ في خِدْمَتِه ، وتَوَجَّه مع الأمير بَدْر الدِّين بَيْدَرا - نائب السَّلْطَنَة بديار مصر - في عِدَّةٍ من الأُمَرَاءِ لِقتالِ أهْلِ جِبال كُسْروان . فلمَّا عادَ سارَ مع السُّلْطان من دِمَشْق إلى القاهِرَة ، ولم يَزَل بها إلى أن ثارَ الأميرُ بَيْدَرا على الأشْرَف ، فتَوَجَّه معه وأعانَ على قَتْلِه . فلمَّا قُتِلَ بَيْدَرا فَرَّ قَراسُنْقُر ولاجين في نصف المحرَّم سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائةٍ ، واختَفَيا بالقاهِرَة ، إلى أن استَقَرَّ الأَمْرُ للملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، وقامَ في نِيابَة السَّلْطَنَة وتَدْبير الدَّوْلَة الأميرُ زَيْنُ الدِّين كَتْبُغا ، فظَهَرَا في يوم عيد الفِطْر . وكانا عند فِرارِهما ، يوم قَتْل بَيْدَرا ، أطْلَعا الأمير بنْخاص[a] الزَّيْني - مَمْلوك الأمير كَتْبُغا نائِب السَّلْطَنَة - على حالِهما ، فأَعْلَم أسْتاذَه بأمْرِهما ، وتَلَطَّف به حتى تحدَّث في شأنهما مع السُّلْطان ، فعَفَا عنهما .

ثم تَحَدَّثَ مع الأمير بَكْتاش الفَخْري إلى أن ضَمِنَ له التَّحدُّث مع الأُمَرَاء ، وسَعَى في الصُّلْحِ بينهما / وبين الأمَراء والمماليك حتى زالَتِ الوَحْشَةُ ، وظَهَرَ من بَيْتِ الأمير كَتْبُغا ، فأحْضَرَهما بين يدي السُّلْطان ، وقَبَّلا الأرْضَ ، وأُفيضَت عليهما التَّشاريفُ ، وجَعَلَهما أُمَرَاء على عادَتهما ، ونَزَلا إلى دُورهما ، فحَمَل إليهما الأُمَرَاءُ ما جَرَت العادَةُ به من التَّقادُم . ٣٨

فلم يَزَل قَراسُنْقُر على إمْرَته إلى أن خُلِعَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون من السَّلْطَنَة ، وقامَ من بعده الملكُ العادِلُ زَيْنُ الدِّين كَتْبُغا ، فاستَمَرَّ على حالِه إلى أن ثارَ الأميرُ حُسَامُ الدِّين لاجين ، نائِب السَّلْطَنَة بديار مصر ، على الملك العادِل كَتْبُغا بمَنْزِله العَوْجاء من طَريق دِمَشْق . فرَكِبَ معه قَراسُنْقُر وغيره من الأُمَرَاء إلى أن فَرَّ كَتْبُغا ، واستَمَرَّ الأَمْرُ لحُسَام الدِّين لاجين ، وتلقَّب بـ « الملك المَنْصُور » .

فلمَّا استَقَرَّ بقَلْعَةِ الجَبَل ، خَلَعَ على الأمير قَراسُنْقُر ، وجَعَلَه نائِبَ السَّلْطَنَة بديار مصر في صَفَر سنة ستٍّ وتسعين وستّ مائةٍ . فباشَرَ النِّيابَة إلى يوم الثلاثاء للنصف من ذي القعدة فقُبِضَ عليه ، وأُحيطَ بمَوْجودِه وحَواصِله ونُوّابه ودَواوينه بديار مصر والشَّام ، وضُيِّقَ عليه ، واستَقَرَّ في نِيابَة السَّلْطَنَة بعده الأميرُ مَنْكوتَمُر .

وعَدَّ السُّلطانُ من أسْبابِ القَبْض عليه إسْرافَه في الطَّمَع ، وكَثْرَة الحِمايات ، وتحْصيل الأَمْوال على سَائِر الوُجُوه ، مع كَثْرَة ما وَقَعَ من شكاية النَّاسِ من مَماليكه ، ومن كاتِبه شَرَف الدِّين

---

a) بولاق : بيخاص .

يَعْقُوب ، فإنَّه كان قد تَحَكَّمَ في بيته تَحَكُّمًا زائِدًا ، وعَظُمَت نِعْمَتُه ، وكَثُرَت سَعادَتُه ، وأَسْرَفَ في اتِّخاذ المماليك والخَدَم ، وانْهَمَكَ في اللَّعِب الكثير ، وتَعَدَّى طَوْرَه ، وقَراسُنْقُر لا يَسْمَع فيه كلامًا . وحَدَّثَه السُّلْطانُ بسَببه ، وأَغْلَظَ في القَوْل ، وأَلْزَمَه بضَرْبِه وتأديبه أو إخْراجِه من عنده ، فلم يَعْبأ بذلك .

وما زالَ قَراسُنْقُر في الاعْتِقال إلى أن قُتِلَ الملكُ المَنْصُور لاجين ، وأُعيدَ الملكُ النَّاصِرُ محمد ابن قَلاوون إلى السَّلْطَنَة ، فأفْرَج عنه وعن غيره من الأُمَراء ، ورَسَم له بنِيابَة الصُّبيبَة . فخَرَجَ إليها ، ثم نُقِلَ منها إلى نِيابَة حَماه بعد مَوْتِ صَاحِبها الملك المُظفَّر تقيّ الدِّين محمود ، بسِفارَةِ الأمير بَيْبَرْس الجاشَنْكير والأمير سَلار . ثم نُقِلَ من نِيابَة حَماه بعد مُلاقاة التَّتَر إلى نِيابَة حَلَب . واسْتَقَرَّ عِوَضَه في نِيابَة حَماه الأميرُ زَيْنُ الدِّين كَتْبُغا ، الذي تَوَلَّى سَلْطَنَة مصر والشَّام ، وذلك في سنة تسعٍ وتسعين وستّ مائةٍ ، وشَهِدَ وَقْعَة شَقْحَب مع الملكِ النَّاصِر محمد بن قلاوون .

ولم يَزَل على نِيابَةِ حَلَب إلى أن خُلِعَ الملكُ النَّاصِرُ ، وتَسَلْطَن الملكُ المُظَفَّر بَيْبَرْس الجاشَنْكير ، وكان[a] النَّاصِرُ في الكَرَك ، فلمَّا تحَرَّكَ لطَلَب المُلْك واسْتَدْعَى نُوّاب المماليك ، أجابَه قَراسُنْقُر ، وأعانَه برأيه وتَدْبيره ، ثم حَضَرَ إليه وهو بدِمَشْق ، وقَدَّمَ له شيئًا كثيرًا ، وسارَ معه إلى مصر حتى جَلَسَ على تَخْتِ مُلْكِه بقَلْعَةِ الجَبَل ، فوَلَّاه نِيابَة دِمَشْق ، عِوَضًا عن الأمير عِزّ الدِّين الأَفْرَم ، في شَوَّال سنة تسعٍ وسبع مائةٍ . وخَرَجَ إليها ، فسارَ إلى غَزَّة في عِدَّةٍ من النُّوَّاب ، وقَبَضُوا على المُظَفَّر بَيْبَرْس الجاشَنْكير ، وسارَ به هو والأمير سَيْف الدِّين الحاج بَهادُر إلى الخَطارَة ، فتَلَقَّاهم الأميرُ أَسَنْدَمُر كُرْجي ، فتَسَلَّم منهم بَيْبَرْس ، وقَيَّدَه وأركبه بَغْلًا ، وأَمَرَ قراسُنْقُر والحاج بَهادُر بالسَّيْر إلى مصر . فشَقَّ على قَراسُنْقُر تَقْييد بَيْبَرْس ، وتَوَهَّم الشَّرّ من النَّاصِر ، وانْزَعَجَ لذلك انْزِعاجًا كبيرًا ، وألقى كَلَّوْتَته عن رأسه إلى الأرض ، وقال : [b]« لَعَن الله الدُّنيا[b] ، يا لَيْتَنا مُتْنا ولا رَأيْنا هذا اليوم » ، فتَرَجَّلَ مَنْ حَضَرَ من الأُمَراء ، ورَفَعُوا كَلَّوْتَته ووَضَعُوها على رأسه .

ورَجَعَ من فَوْرِه ، ومعه الحاج بَهادُر ، إلى ناحية الشَّام ، وقد نَدِمَ على تسليم[c] المُظَفَّرِ بَيْبَرْس ، فجَدَّ في سَيْرِه إلى أن عَبَرَ دِمَشْق . وفي نفس السُّلْطان منه كَوْنه لم يحضر مع بَيْبَرْس ، وكان قد أرادَ القَبْضَ عليه ، فبَعَثَ الأمير نوغاى القَبْجاقي أميرًا بالشَّام ليكون له عَيْنًا على الأمير قَراسُنْقُر ،

---

a) بولاق : صاحب . b-b) في بولاق : لفراشه الدنيا فانية . c) بولاق : تشييع .

ففَطِنَ قَراسُنْقُر لذلك وشَرَعَ نوغاى يَتَحدَّث في حَقِّ قَراسُنْقُر بما لا يليق، حتى ثَقُلَ عليه مُقامُه، فقَبَضَ عليه بأَمْرِ السَّلْطَنَة، وسُجِنَ بقَلْعَة دِمَشْق.

ثم إنَّ السُّلْطانَ صَرَفَه عن نيابَة دِمَشْق، ووَلَّاه نِيابَة حَلَب بسؤاله، وذلك في المحرَّم سنة إحدى عشرة وسبع مائةٍ وكَتَبَ السُّلْطانُ إلى عِدَّةٍ من الأُمَرَاءِ بالقَبْض عليه مع الأمير أرْغُون الدَّوادار، فلم يتمكَّنَ من التَّحدُّث في ذلك لكثرة ما ضَبَطَ قَراسُنْقُر أُموره، ولازمه عند قُدومِه عليه بتَقْليد نِيابَة حَلَب، بحيث لم يتمكَّن أرْغُون من الحركة إلى مَكانٍ إلَّا وقَراسُنْقُر معه.

فكثر الحَديثُ بدِمَشْق أنَّ أرْغُون إنَّما حَضَرَ لمسك قراسُنْقُر، حتى بَلَغَ ذلك الأُمَراء، وسمعه قَراسُنْقُر فاسْتَدْعى بالأُمَرَاء، وحَضَرَ الأميرُ أرْغُون، فقال قَراسُنْقُر بَلَغَني كذا، وها أنا أقول إن كان حَضَرَ معك مَرْسُومٌ بالقَبْضِ عليّ فلا حاجَة إلى فِتْنَة، أنا طائِعُ السُّلْطان، وهذا سَيْفي خُذْه، ومَدَّ يَدَه وحَلَّ سَيْفَه من وَسَطِه. فقال أرْغُون، وقد عَلِمَ أنَّ هذا الكلام مَكيدَةٌ، وأنَّ قَراسُنْقُر لا يُمَكِّن من نفسه: إنِّي لم أحْضُرْ إلَّا بتَقْليد الأمير نِيابَة حَلَب بمَرْسُوم السُّلْطانُ وسُؤال الأمير، وحاشا لله أنَّ السُّلْطانَ يذكر في حَقِّ الأمير شيئًا من هذا. فقال قَراسُنْقُر: غَدًا نَرْكَب ونُسافِر.

وانفَضَّ المجْلِس. فبَعَثَ إلى الأُمَرَاء ألَّا يَرْكَب أحَدٌ منهم لوَداعِه، ولا يَخْرُج، وفَرَّقَ ما عنده من الحَوائِص ومن الدَّراهم على مماليكه ليتَجَمَّلوا به على / أوْساطِهم، وأَمَرَهُم بالاحْتِراس، وقَدَّم ٣٩٠ ظ
غِلْمانَه وحَواشيه في الليل ورَكِبَ وَقْتَ الصَّباح في طَلَبٍ عَظيم ـ وكانت عِدَّةُ مماليكه ستّ مائة مملوك قد جَعَلَهم حَوْلَه ثلاث حَلَقات ـ وأرْكَبَ أرْغون إلى جانبِه.

وسارَ على غير الجادَّة حتي قارَبَ حَلَب، ثم عَبَرَها في العشرين من المحرَّم، وأعادَ أرْغُون بعدما أنْعَمَ عليه بألف دينار وخِلْعَة وخَيْلٍ وتُحَف، وأقامَ بمَدينَة حَلَب خائِفًا يترقَّب، وشَرَعَ يَعْمَل الحيلَة في الخَلاصِ، وصادَقَ العُرْبان، واختَصَّ بالأمير حُسَام الدِّين مَهَنَّا أمير العَرَب وبابنه مُوسَىٰ وأقْدَمَه إلى حَلَب، وأوْقَفَه على كُتُبِ السُّلْطان إليه بالقَبْض عليه، وأنَّه لم يَفْعَل ذلك، ولم يَزَل به حتى أفْسَدَ ما بينه وبين السُّلْطان.

ثم إنَّه بَعَثَ يَسْتأذِن السُّلْطانَ في الحَجّ، فأَعْجَبَ السُّلْطان ذلك، وظَنَّ أنَّه بسَفَره يَتِمّ له التَّدْبير عليه لما كان فيه من الاحْتِرازِ الكبير، وأذِنَ له في السَّفَر، وبَعَثَ إليه بألفي دينار مصرية، فخَرَجَ من حَلَب ومعه أربع مائة مملوك مُعَدَّة بالفَرَس والجَنيب والهُجْن، وسارَ حتى قارَبَ الكَرَك، فبَلَغَه أنَّ السُّلْطانَ كَتَبَ إلى النُّوَّاب، وأَخْرَجَ عَسْكرًا من مصر إليه.

فرَجَعَ من طَريق السَّماوَة إلى حَلَب ، وبها الأمير سَيْف الدِّين قَرَطاي نائب الغَيْبَة ، فمَنَعَه من العُبُور إلى المَدينَة ، ولم يُمكِّن أحَدًا من مماليك قَراسُنْقُرُ أن يَخْرُج إليه - وكانت مُكاتَبَة السُّلْطان قد قَدِمَت عليه بذلك - فرَحَلَ حينئذٍ إلى مَهَنَّا أمير العَرَب واسْتَجارَ به ، فأكْرَمَه وبَعَثَ إلى السُّلْطان يَشْفَع فيه فلم يجد السُّلْطان بُدًّا من قَبُول شَفاعَة مَهَنَّا ، وخَيَّرَ قَراسُنْقُر فيما يُريد ، ثم أخْرَجَ عَسْكرًا من مصر والشَّام لقِتالِ مَهَنَّا وأخْذِ قَراسُنْقُر.

فبَلَغَه ذلك فاحْتَرَسَ على نفسه وكَتَبَ إلى السُّلْطان يسأله في صَرْخَد ، وقَصَدَ بذلك المُطاولَةَ ، فأجابَه إلى ذلك ، ومَكَّنَه من أَخْذ حَواصِلِه التي بحَلَب ، وأعْطَى مَمْلوكه ألف دينار ، فلمَّا قَدِمَ عليه لم يَطْمِئن وعَبَرَ إلى بلاد الشَّرْقِ في سنة ثنتي عشرة وسبع مائةٍ في عِدَّةٍ من الأُمَرَاء يُريدُ خَرْبَنْدا فلمَّا وَصَلَ إلى الرَّحْبَةِ ، بَعَثَ بابنه فَرَج - ومعه شيءٌ من أثْقالِه وخُيُولِه وأمْوالِه - إلى السُّلْطان بمصر ليعتذر من قَصْدِه خَرْبَنْدا ، ورَحَلَ بمن معه إلى مارْدين . فتَلَقَّاه المُغُل ، وقامَ له نُوَّابُ خَرْبَنْدا بالإقامات إلى أن قَرُبَ من الأُردوا [1] . فرَكِبَ خَرْبَنْدا إليه ، وتَلَقَّاه وأكرمه ومن معه وأنْزَلَهم مَنْزِلًا يَليقُ بهم ، وأعْطَى قُراسُنْقُر المراغَةَ من عَمَلِ أذْرَبيجانَ ، وأعْطَى الأمير جَمال الدِّين آقُوش الأفْرَم هَمَدان وذلك في أوائل سنة اثنتي عشرة وسبع مائة . فلم يَزَل هناك إلى أن ماتَ خَرْبَنْدا ، وقامَ من بعده أبو سَعيد بَرَكة بن خَرْبَنْدا . فشَقَّ ذلك على السُّلْطان ، وأعْمَلَ الحيلَةَ في قَتْلِ قَراسُنْقُر والأفْرَم ، وسَيَّرَ إليهما الفِداوِيَّة . فجَرَت بينهم خُطُوبٌ كثيرة ، وماتَ قَراسُنْقُر بالإسْهالِ ببَلَدِ المَراغَة في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مائةٍ ، يوم السبت سابع عشرين شَوَّال ، قبل مَوْتِ السُّلْطان بيَسير [2] .

فلمَّا بَلَغَ السُّلْطانُ موتُه في حادي عشر ذي القعدة عند وُرود الخَبَر إليه ، قال : ما كنت أشْتَهي يَمُوت إلَّا من تحت سيْفي ، وأكون قد قَدَرْت عليه وبَلَغْت مَقْصُودي منه . وذلك أنَّه كان قد جَهَّزَ إليه عَدَدًا كثيرًا من الفِداوية ، قُتِل منهم بسَبَبه مائة وعشرون فِداويًّا بالسَّيْف سوى من فُقِدَ ، ولم يُوقَف له على خَبَر .

وكان قراسُنْقُر جَسيمًا جَليلًا ، صاحِب رأيٍ وتَدْبير ومعرفة ، وبَشاشَة وَجْه ، وسَماحَة نَفْس ، وكَرَمٍ زائِد ، بحيث لا يَسْتَكْثِر على أحَدٍ شيئًا ، مع حُسْن الشَّاكِلَة ، وعِظَم المهابَة ، والسَّعادَة

---

[1] حاشية بخط المؤلِّف : «الأرْدو محلة السُّلْطان إذا نَزَل في مَوْضِعٍ ، فيأخذ الأمراء والخواتين منازلهم ، وينصب به مساجد جامعة وأسْواق يوجد بها كلُّ ما في المُدُن الكبار حتى يكون للخاطئات أسْواقٌ ومَحَلَّات» .

[2] جاء هنا على هامش نُسْخَة آياصوفيا : «قَوْلُ المؤَلِّف قبل مَوْتِ السُّلْطان بيسير وَهْمٌ ، فإنَّ وَفاة السُّلْطان في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة ، فليتأمَّل» . وهي ملاحظة في موضعها .

الطائِلَة ، وبَلَغَت عِدَّةُ مَماليكه ستّ مائة مَمْلوك ، ما منهم إلّا من له نِعْمَة ظاهِرَة وسَعادَة وافِرَة . وله من الآثار بالقاهِرَة هذه المَدْرَسَة ، ودار جَليلَة بحارَة بَهَاء الدِّين فيها كان سَكَنُه [1] .

المَدْرَسَةُ الغَزْنَوِيّة

هذه المَدْرَسَةُ برأسِ المَوْضِع المعروف بسُوَيْقَة أمير الجُيُوش ، تِجاه المَدْرَسَة اليازكوجية[a] [2] . بَناها الأميرُ حُسَامُ الدِّين قايْماز النَّجْمي ، مَمْلوك نَجْم الدِّين أيُّوب والِد الملوك ، وأقامَ بها الشَّيخُ شِهابُ الدِّين أبو الفَضْل أحمد بن يُوسُف بن عليّ بن محمد الغَزْنَوي البَغْدادي المُقْرئُ الفَقيه الحَنَفي [3] ، ودَرَّسَ بها ، فعُرِفَت به ؛ وكان إمامًا في الفِقْه[b] ، وسَمِعَ على الحَافِظ السِّلَفي وغيره ، وقرأ بنفسه ، وسَكَنَ مصر آخر عُمْرِه . وكان فاضِلًا حَسَنَ الطَّرِيقَة مُتَدَيِّنًا ، وحَدَّثَ بالقاهِرَة بكتاب « الجَامِع » لعبد الرَّزَّاق بن هَمَّام ، فرَواه عنه جَماعَةٌ ، وجَمَع كِتابًا في الشَّيْب والعُمْر ، وقرأ عليه أبو الحَسَن السَّخاوي وأبو عَمْرو بن الحَاجِب .

ومولدُه ببغداد في رَبِيع الأوَّل سنة اثنتين وعشرين وخمس مائةٍ ، وتوفي بالقاهِرَة يوم الاثنين النصف من ربيعِ الأوَّل سنة تسعٍ وتسعين وخمس مائةٍ .

وهي من مدارِس الحَنَفِيَّة .

المَدْرَسَةُ البُوبَكْرِيَّة[c]

[أثر رقم ١٨٥]

هذه المَدْرَسَةُ بجوار دَرْبِ العَدَّاس[d] قَرِيبًا من حارَة الوَزِيرية بالقاهِرَة . بَناها الأميرُ سَيْفُ الدِّين أَسَنْبُغا ابن الأمير / سَيْف الدِّين بَكْتَمُر البوبَكْري[e] النّاصِري ، ووَقَفَها على الفُقَهَاء الحَنَفِيَّة ، وبَنَى

---

a) المُسَوَّدَة : قبالة مَدْرَسة أيازكوج التي بأوّل سويقة أمير الجيوش الآن . b) في المُسَوَّدَة : في فقه الحنفية . c) المُسَوَّدَة : المَدْرَسَة الأبوبكرية . d) بولاق : دَرْب العباسي . e) المُسَوَّدَة : الأبوبكري .

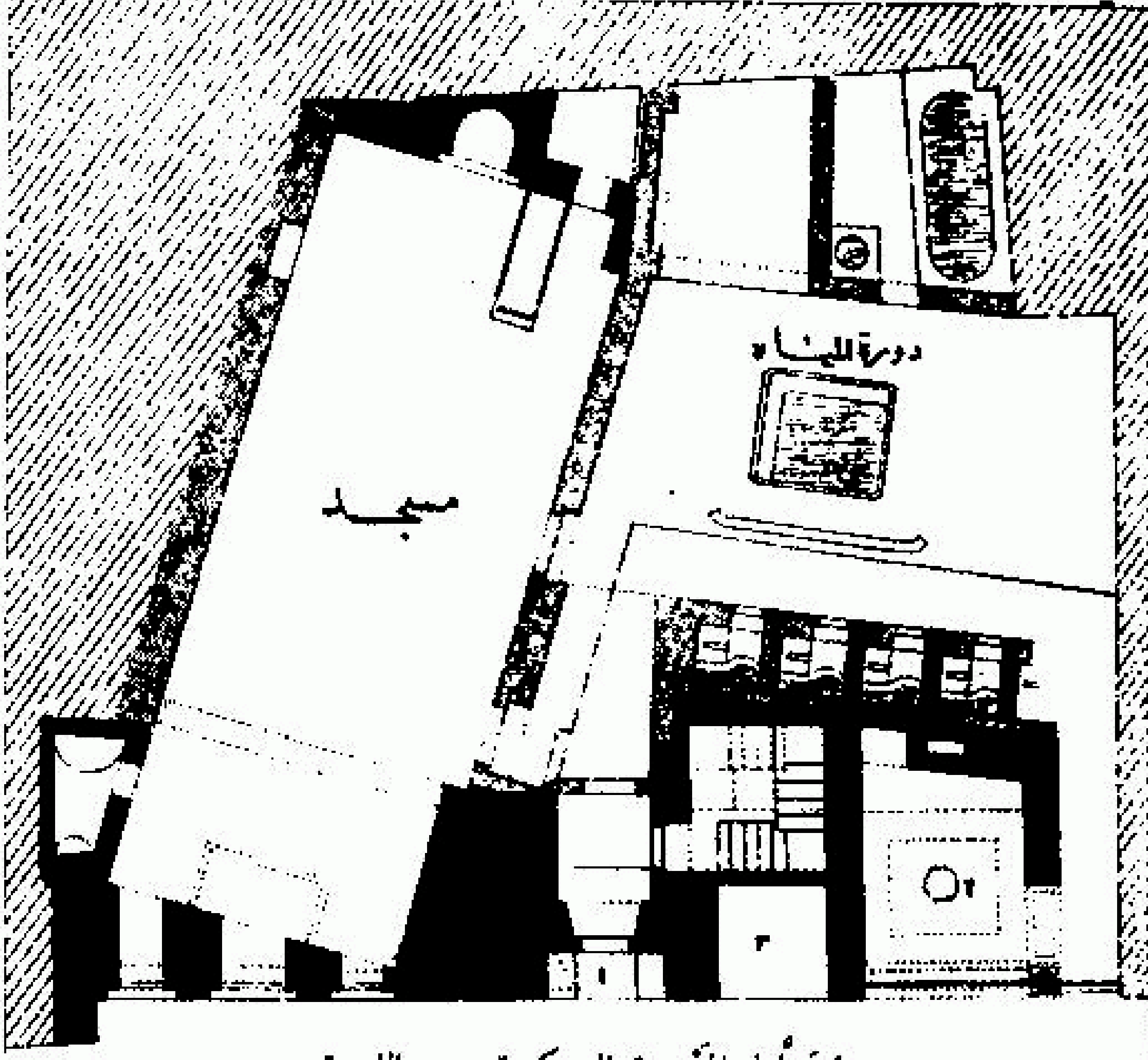
---

[1] انظر فيما تقدم ٣: ١٧١.

[2] وتُعْرَف أيضًا بالمَدْرَسَة الأزْكَشيّة . (فيما تقدم ٤٦٥) .

[3] راجع ، القرشي : الجواهر المضية ١: ٣٥٥، ويبدو أنّ هناك سَقْطًا في نسخة الجواهر أدّى إلى تداخل ترجمتين معًا .

بجانبِها حَوْضَ ماءٍ للسَّبيل وسِقايةً ومَكْتبًا للأيْتام، وذلك في سنة اثنتين وسبعين وسبع مائةٍ[1]، وبَنَى قُبالَتها جامِعًا فماتَ قبل إتْمامِه[2].



مُخطَّط المَدْرَسة البوبكرية (عن اللجنة)

وكان يَسْكُن دار بَدْر الدِّين الأمير طُرُنْطاي المجاورة للمَدْرَسَة الحُسامية تِجَاه سُوق الجَواري، فلذلك أنْشأ هذه المَدْرَسَة بهذا المكان لقُرْبِه منه. ثم لمَّا كان سنة خمس عشرة وثمان مائةٍ جُدِّدَ بهذه المَدْرَسَة مِنْبرًا وصارَ يُقامُ بها الجُمُعَة[3].

---

[1] المقريزي: السلوك ٣: ٢٥٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٤٠.

ويوجَد أعلى النّافِذة الموجودة فوق المَدْخَل الرئيس للجامع لَوْحٌ رخامي عليه الكتابة التاريخية التالية:

«بِسْم الله الرَّحمن الرحيم. أنشأ هذه المَدْرَسة المباركة العَبْدُ الفقير إلى الله الأمير سَيْفُ الدِّين أَسَنْبُغا بن بَكْتَمُر الأبوبكري، وذلك سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة».
(Kallus, L., *RCEA* XVII, n° 772 004).

ولا تزال هذه المَدْرَسَة باقية بشارع دَرْب سَعادَة وتُعْرَف بجامع سنبوأغا (تحريف اسم أَسَنْبُغا) ومشهورة عند العامَّة باسم «جامع الشُّرْقَاوي» (نسبةً إلى أحَدِ خُطَباء الجامع واسمه الشيخ محمد الشُّرقاوي الذي مَكَثَ يَخْطُب فيه مُدَّةً طويلة)، جَدَّدَتها سنة ١٢٧١هـ/١٨٥٤م السيدة والدة حسين بك بن محمد علي باشا. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٥٣ (٢٠-٢١)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٤٠هـ[1]؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٤: ٢٣-٣٠؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٣٢١-١٣٤٠).

[2] ليس لهذا الجامع الآن أيّ أثر.

[3] المقريزي: مُسَوَّدَة الخطط ٨٨و.

أَسَنْبُغا بن بَكْتَمُر البُوبَكْري[a] الأمير[b] [1].

المَدْرَسَةُ البَقَرِيَّة[c]

[أثر رقم ١٨]

هذه المَدْرَسَةُ في الزُّقاقِ الذي تِجاه بابِ الجَامِع الحاكِمي المجاوِرِ للمِنْبَر، ويُتَوَصَّل من هذا الزُّقاقِ إلى ناحية العُطُوف[d].

بناها الرَّئيسُ[e] شَمْسُ الدِّين شاكِر بن غُزَيِّل (تصغير غَزال) ـ المعروف بابن البَقَري ـ أَحَدُ مَسالِمَةِ القِبْط وناظِر الذَّخيرة السُّلْطانية[f] أيَّامَ الملك النَّاصِر حَسَن بن محمد بن قَلاوون[g]؛ وهو خال الوَزير الصَّاحِب سَعْد الدِّين نَصْر الله بن البَقَري[2]. وأَصْلُه من قرية تُعْرَف بدار البَقَر[3]،

---

a) ساقطة من بولاق. b) بياض بآياصوفيا وميونخ. c) المُسَوَّدَة: مَدْرَسة ابن البَقَري. d) العبارة في المُسَوَّدَة: هي في الزقاق المقابل لباب الجامع الحاكمي داخل باب النَّصْر المتوصّل منه إلى العطوف. e) المُسَوَّدَة: القاضي. f) إضافة من المُسَوَّدَة. g) في المُسَوَّدَة: في أيّام السُّلْطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون.

---

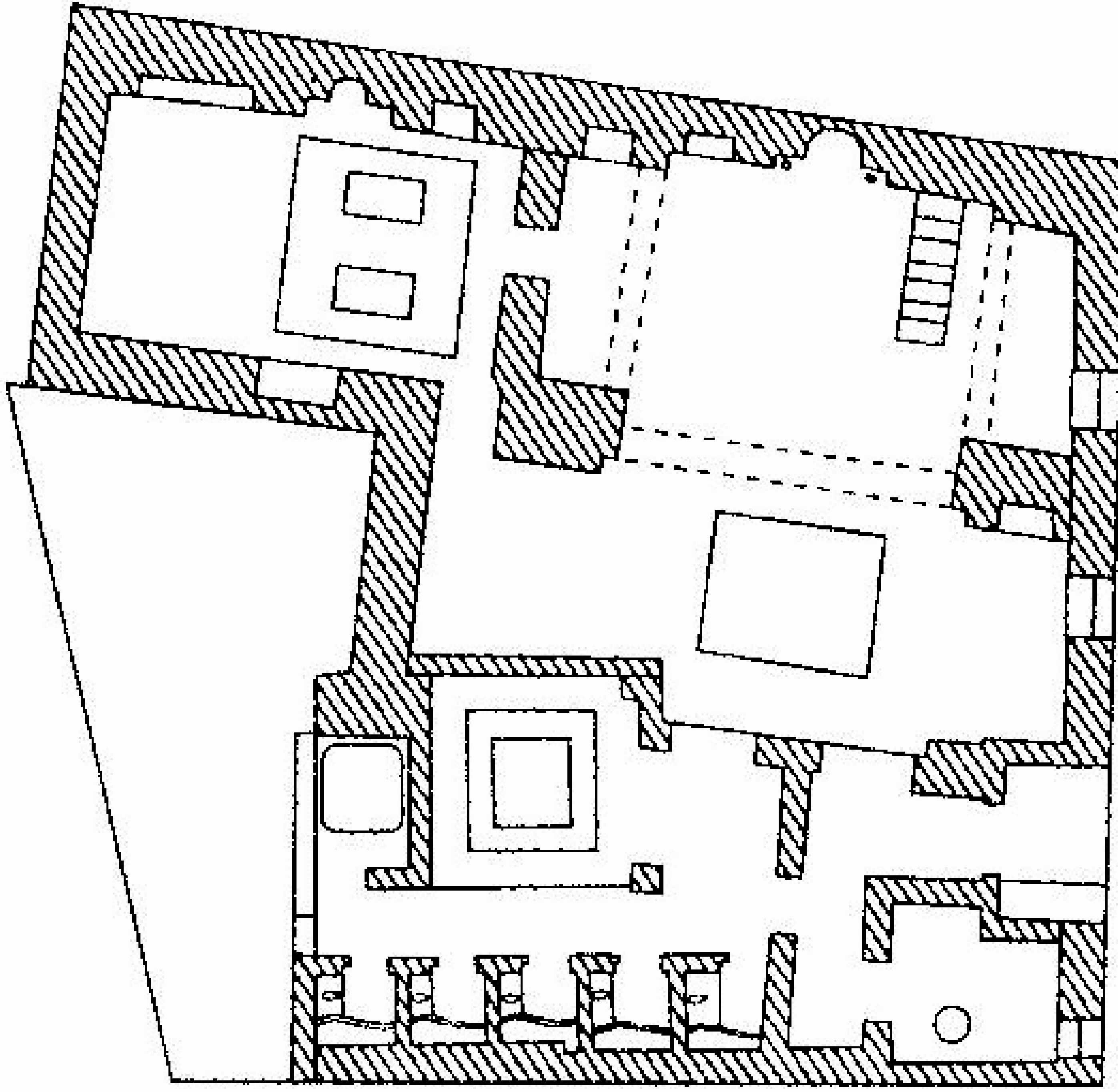
[1] جاءَ هنا على هامش نُسْخَة آياصوفيا: «قال كاتِبُه فقيرُ رحمة رَبِّه محمد: أَسَنْبُغا بن بَكْتَمُر البوبكري تَنَقَّل في الإمْرَة حتى أُعْطِي تقدمةً في أيام الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون فلمَّا مات قُبِضَ عليه وسُجِن بسكندرية، ثم أُفْرِج عنه في دَوْلَةِ الصَّالِح إسماعيل، ثم ولي نيابة حَلَب بعد طَيْبُغا الكاتب فباشَرَها ستة أشهر ثم نُقِلَ إلى القاهرة أميرًا كبيرًا، وكان كثير السكون لَيِّن الجانب، ومات في سنة سبعٍ وسبعين وسبع مائة وقد نَيَّف على السبعين».

راجع أيضًا، ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤١٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٤٠؛ المنهل الصافي ٢: ٤٣٦.

[2] صَاحِبُ دار ابن البَقَري الواقعة في أَوَّلِ خُطِّ حارَة الجُوّانية. (فيما تقدم ٣: ٢١١). وأُنْشِئَت هذه المَدْرَسَة سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٦م، كما هو ثابت بالكتابة التاريخية الموجودة على عِضادَة الباب، ونَصُّها: «بسم الله الرَّحْمن الرَّحيم. ـ الآيتان ٤٥-٤٦ سورة الحِجْر ـ أَمَرَ بإنشاء هذه المَدْرَسَة المباركة ابتغاءَ لوَجْهِ الله وطَلَبًا لرِضْوانِه، العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى شَمْسُ الدِّين شاكر بن غُزَيِّل، وذلك بتاريخ عام تسعٍ وأربعين وسبع مائة من الهجرة». (Wiet, G., *RCEA* XV, n° 5992). وتُعْرَف المَدْرَسَة الآن باسم «جامِع البَقَري»، وتَقَعُ بحارَة العُطُوف المتفرّعة من شارع بابِ النَّصْر بالجمالية، وسَمَّاها علي مُبارَك: «زاوية البَقَري». (المقريزي: السلوك ٣: ٢٢٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٥٤ (٢٠)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٢٨هـ [1]؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٨٥١-٨٦٩).

[3] حاشية بخَطِّ المؤلِّف: «قال ياقُوت: دارُ البَقَر، قَرْيَتان بمصر، إحداهما دارُ البَقَر القِبْلِيَّة من كُوَر الغربية، وثانيتهما دارُ البَقَر البَحْرية من كُوَر الغربية [أيضًا]». (النَّصُّ عند ياقوت: المشترك وضعًا والمفترق صقعًا ١٦٨). =

إحدى قُرَى الغربية ، نشأ على دين النَّصارى ، وعَرَفَ الحِساب ، وباشَر الخَرَاج إلى أن أَقْدَمَه الأميرُ شَرَفُ الدِّين بن الأَزْكشي ـ أُسْتادَّار السُّلْطان ومُشير الدَّوْلَة في أيَّام النَّاصِر حَسَن ـ فأَسْلَم على يَدَيْه ، وخاطَبَه بالقاضي شَمْس الدِّين ، وخَلَعَ عليه ، واسْتَقَرَّ به في نَظَرِ الذَّخيرة السُّلْطانية ـ وكان نَظَرُها حينئذٍ من الرُّتَب الجَلِيلة ـ وأضافَ إليه نَظَرَ الأَوْقاف والأَمْلاك السُّلْطانية ، ورَتَّبه مُسْتَوفِيًا بمَدْرَسَة النَّاصِر حَسَن .



مُخطَّط المَدْرَسَة البَقَرِيَّة (عن اللجنة)

فشُكِرَت طريقَتُه ، وحُمِدَت سِيرَتُه ، وأَظْهَرَ سِيادَةً وحِشْمَةً ، وقَرَّبَ أَهْلَ العِلْم من الفُقَهاء ، وتفضَّل بأنْواعٍ من البِرِّ . وأنشأ هذه المَدْرَسَة في أَبْدَع قالَب وأَبْهَج تَرْتيب ، و جَعَلَ بها دَرْسًا للفُقَهاء الشَّافِعيَّة ، وقَرَّرَ في تَدْريسها شَيْخَنا سِراج الدِّين عُمَر بن عليّ الأنْصاري المعروف بابن المُلَقِّن الشَّافِعي ، ورَتَّب فيها مِيعادًا وجَعَلَ شَيْخَه صاحِبَنا الشَّيْخ كمال الدِّين بن مُوسَىٰ الدَّميري الشَّافِعي ، وجَعَلَ إمامَ الصَّلوات بها المُقْرِئَ الفاضِل زَيْن الدِّين أبا بكر بن الشِّهاب أحمد النَّحْوي . وكان النَّاسُ يَرْحَلون إليه في شهر رَمَضان لسَماعِ قراءَتِه في صَلاة التَّراويح ،

= ويَدُلُّ عليهما الآن القريتان التي تسمى إحداهما بـ «الجابرية» ، والأخرى بـ «العامرية» ، من قُرَى مركز المحَلَّة الكبرى بمحافظة الغربية .

لشَجَا صَوْتِه، وطيب نَغْمَته، وحُسْنِ أدائِه، ومعرفته بالقِراءَات السَّبْع والعَشْر والشَّواذ.

ولم يَزَل ابن البَقَري على حالِ السِّيادَة والكَرامَة إلى أن مَرِضَ مَرَضَ مَوْتِه، فأَبْعَد عنه من يَلُوذ به من النَّصارىٰ، وأَحْضَرَ الكمال الدَّميري وغيره من أَهْلِ الخَيْر. فما زالوا عنده حتى مات وهو يَشْهَدُ شَهادَة الإسْلام في سنة ستٍّ وسبعين[a] وسبع مائةٍ، ودُفِنَ بمَدْرَسَتِه هذه، وقَبْرُه بها تحت قُبَّةٍ في غاية الحُسْن، ووَلِيَ نَظَر الذَّخيرةَ بعده أبو غالِب. [b]وهذه المَدْرَسَة قُبالَة دار شَمْس الدِّين المذكور[b].

ثم استُجِدَّ في هذه المَدْرَسَة مِنْبَرٌ، وأُقيمَت بها الجُمُعَة في تاسِع جُمادَى الأُولى سنة أَرْبَعٍ وعشرين وثمان مائةٍ بإشارَةِ عَلَم الدِّين داود الكُوَيْز كاتِب السِّرّ[١].

المَدْرَسَةُ القُطْبِيَّةُ الجَدِيدَة[c]

هذه المَدْرَسَةُ بأوَّلِ حارَة زَوِيلَة ممَّا يلي الخُرُنْشُف في رَحْبَة كوكاي، عُرِفَت بالسِّتّ الجَلِيلة الكبرىٰ[d] عِصْمَة الدِّين مُؤْنِسَة خاتون القُطْبية المعروفة بدار إقْبال العَلائي ابنة السُّلْطان الملك العادِل سَيْف الدِّين أبي بكر بن أيُّوب بن شاذي. وكان وَقْفُها في سنة خمسٍ وستّ مائةٍ، وبها دَرْسٌ للفُقَهاءِ الشَّافِعيَّة، وتَصْديرُ قِراءَات وفُقَهاءُ يَقْرأون. [b]وهي بالقُرْبِ من المَدْرَسَةِ العاشورية[b] [٢].

مَدْرَسَةُ ابن المَغْرِبي

هذه المَدْرَسَةُ بآخِر دَرْبِ الصَّقالبَة، فيما بين سُوَيْقَة المَسْعودي وحارَة زَويلَة[d]. بناها صَلاحُ الدِّين يوسُف بن عبد الله[e] ابن المَغْرِبي[٣] رئيس الأَطِبَّاء [b]بالدِّيار المصرية[b] تجاه

a) المُسَوَّدَة: خمس وسبعين. b-b) إضافة من مُسَوَّدَة الخطط. c) إضافة من المُسَوَّدَة. d-d) المُسَوَّدَة: مدرسة ابن المغربي صلاح الدِّين بحارَة زَوِيلَة في آخر دَرْب الصَّقَالِبَة قبالة دار صلاح الدِّين المذكور. e) بياض في آياصوفيا وميونخ، والمثبت من إنباء الغمر.

[١] المقريزي: السلوك ٤: ٦١١، وفيه أنَّ ذلك كان سنة ٨٢٥هـ وذلك لقُرْبها من داره التي يسكنها.

[٢] جاء هنا على هامش نُسْخَة آياصوفيا: قال كاتِبُه: هذه المَدْرَسَة ـ أعني القُطْبيَّة ـ ذكرها المؤلِّف فيما مضى بعد ذكره المَدْرَسة العاشورية من هذا الكتاب، فلينظر هناك لتعلم أنَّها كُرِّرَت». (انظر فيما تقدم ٤٦٨).

[٣] جاء هنا على هامش نسخة آياصوفيا: «قال كاتِبُه: يوسف بن عبد الله بن المغربي مات في جمادى الآخرة =

داره، (aوهو الذي بَنَى جَامِع ابن المَغْرِبي الذي على شاطئ الخليج النَّاصِري بقُرْبِ بِرْكَة قَرْمُوط [١]. وتوفي صَلاحُ الدِّين المذكور قبل إتْمامها فغُلِّقت وهي إلى الآن كذلك [٢]. وكان قد دُفِنَ بها ثم نُقِلَ إلى قُبَّتِه التي بجانب جَامِعه المذكور فدُفِنَ فيها، فلم تَزَل إلى أن هَدَمَها بعض ذُرِّيته وباعَ حجارتها في سنة أربع عشرة وثمان مائة، وبقي مكانها كوم تُرابa) [ثم] صارَ موضعُها طاحُونَة.

المَدْرَسَةُ البَدْرِيَّةُ (b

[أثر رقم ٢٢]

هذه المَدْرَسَةُ برَحْبَة الأَيْدَمُري [٣] بالقُرْبِ من بابِ قَصْر الشَّوْك فيما بينه وبين المَشْهَد الحُسَيْني [٤]، بَنَاها الأميرُ بَيْدَمُر البَدْري(c الأَيْدَمُري [٥] (eفي سنة [خَمْسٍ وأربعين](f وسبع مائةٍ(e.

المَدْرَسَةُ البُدَيْرِيَّةُ

/هذه المَدْرَسَةُ بجوار بابِ سِرِّ المَدْرَسَة الصَّالِحِيَّة النَّجْمِيَّة، كان موضِعُها من جملة تُرْبَة القَصْر ٢:

a-a) هذه العبارة من المُسَوَّدَة عوضًا عن عبارة المبيضة. b) بولاق: البيدرية. c) بولاق: بيدر. d) بولاق البيدرية. e-e) إضافة من المُسَوَّدَة، وبعدها بياض أربعة أسطر. f) زيادة من المصادر.

= سنة ستٍّ وسبعين وسبع مائة».

[١] فيما تقدم ٣٣٠-٣٣١؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ١٠١ وفيه: «وهو صاحِبُ الجامع الذي يقابل الخَليج الحاكمي بالقرب من باب الخُوخَة بالقاهرة»، وهو وصف ينطبق أكثر على المَدْرسة لا الجامع.

[٢] توفي صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن المغربي في جمادى الآخرة سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م. (ابن حجر: إنباء الغمر ١: ١٠١).

[٣] انظر عن رَحْبَة الأَيْدَمُري، فيما تقدم ٣: ١٥١.

[٤] هذه المَدْرَسَة سمَّاها المقريزي في السلوك (٢: ٧٥٤): «المَدْرَسَة الأَيْدَمُرِيَّة»، وسمَّاها أبو المحاسن في النجوم الزاهرة (١٠: ١٨٠): «المَدْرَسَة البَيْدَمُرِيَّة». ولا تزال هذه المَدْرَسَة موجودةً إلى الآن وتُعْرَف بـ«جامع البَهْلَوان» أو «جامع أَيْدَمُر البَهْلَوان» بشارع أمّ الغُلام على رأس حارَة الجعادِية بالقرب من المَشْهَد الحُسَيْني. ويرجع تاريخُ بنائها إلى عام ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. وكانت تُعْرَف بالحاج داود اللَّبَّان المُتَكَلِّم عليها وصاحب الدُّكَّان المجاور لها. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ١١٦-١١٧ (٤٢)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٠-١٨١هـ [٤]؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٨٧١-٨٩٤؛ van Berchem, M., *CIA* Égypte I, p. 125).

وتوفي الأمير بَيْدَمُر البَدْري صاحب المَدْرَسَة مقتولًا بغَزَّة في أوائل جمادى الآخرة سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م. (المقريزي: السلوك ٢: ٧٥٤).

[٥] ذَكَرَ المقريزي اسم بَيْدَمُر كاملًا (فيما تقدم ٣: ١٥٢) عند ذكر رَحْبَة البَدْري.

التي تَقَدَّم ذِكْرُها[a] [1]، فنَبَشَ شَخْصٌ من النَّاسِ يُعْرَف بناصِر الدِّين محمد بن محمد بن محمد ابن بُدَيْر العَبَّاسيّ ما هُنالِك من قُبُورِ الخُلَفاء، وأنشأ هذه المَدْرَسَة في سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مائةٍ، وعَمِلَ فيها دَرْسَ فِقْهٍ للفُقَهاء الشَّافِعِيَّة دَرَّسَ فيه شَيْخُنا شَيْخُ الإسْلام سِراجُ الدِّين عُمَر ابن رَسْلان ابن نُصَيْر البُلْقيني، وهي مَدْرَسَةٌ صَغيرَةٌ لا يكادُ يَصْعَدُ إليها أحَدٌ.

والعَبَّاسيّ هذا من قَرْيَة بطَرَفِ الرَّمْل يقال لها العَبَّاسَة[b]، وله في مَدينَة بِلْبَيْس مَدْرَسَةٌ، وقد تَلاشَت بعدما كانت عامِرَةً مَليحَةً.

المَدْرَسَةُ المَلَكِيَّة

[أثر رقم ٢٤]

هذه المَدْرَسَةُ بخُطِّ المَشْهَد الحُسَيْني من القاهِرَة، بناها الأميرُ الحاجُّ سَيْفُ الدِّين آل مَلِك الجُوكَنْدار [2] تِجاه دارِه، وعَمِلَ فيها دَرْسًا للفُقَهاء الشَّافِعِيَّة وخِزانَة كُتُبٍ مُعْتَبَرة، وجعَلَ لها عِدَّةَ أوْقافٍ، [c]وكان مكانُها يُعْرَف بدار ابن كَرْمُون صِهْر الملك الصَّالِح[c].

[d]وكان من المماليك المَنْصُورية قَلاوون وتَنَقَّل حتى صَارَ نائِبَ السَّلْطَنَة بالدِّيار المصرية، وكان أكبر أُمَراء المَشُورَة ويَعْتَمِد عليه الملك النَّاصِر محمد في أكثر أُمُورِه، وكان جَمَّاعًا للمال كثير الخَيْر بنى هذه المَدْرَسَة والجامِع الذي يُعْرَف به في الحُسَيْنِيَّة وعِدَّة مساجِد، وحَفَرَ بطريق الحِجاز آبارًا، وهَدَمَ خِزانة البُنُود وكان هَدْمُها فَتْحًا في الإسلام. وقَتَلَه الملكُ الكامل شَعْبان ابن محمد بن قلاوون بالإسْكَنْدَرية في سنةِ سبعٍ وأربعين وسبع مائةٍ، فلَمَّا عايَنَ القَتْلَ تَوَضَّأ وصَلَّى وأعطى للذين حَضَرُوا لقَتْله ذَهَبًا وتَرَحَّبَ بهم وأوْصاهُم بالتَّرَفُّق به وقال: إذا قَتَلْتُم فأحْسِنُوا القِتْلَة، ثم تَمَدَّدَ وغَطَّى وَجْهَه وأعْلَن بالشَّهادَتَيْن فقَرَّ فوه حتى مات، رحمه الله فلقد كان خَيِّرًا[d].

---

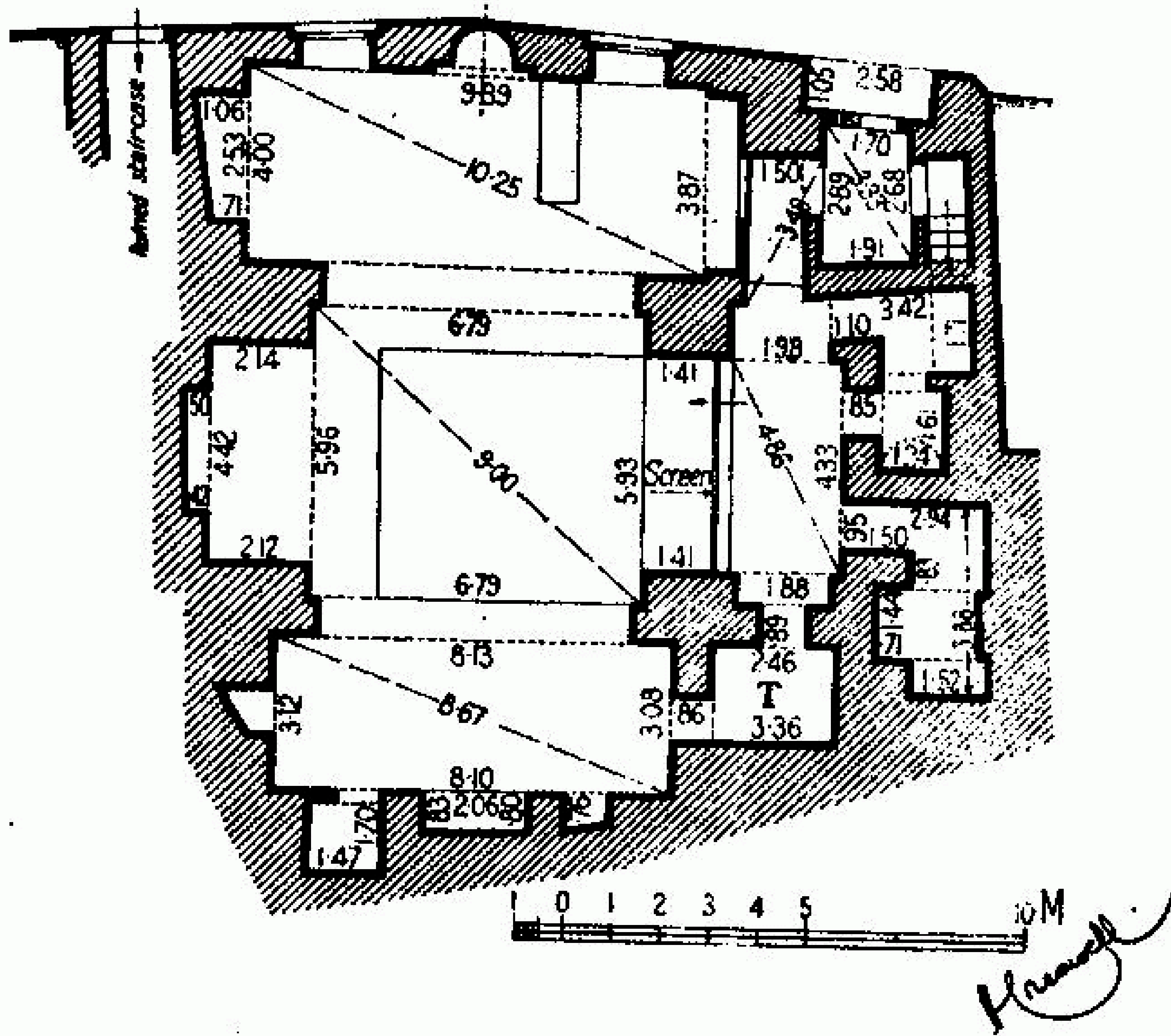
a) العبارة في المُسَوَّدَة: داخل القَصْر عند باب بِيرّ الصَّالحية، هي من حقوق القَصْر الكبير قَصْر الخلفاء، وقيل إنَّها بنيت فوق قبور الخلفاء الفاطميين. b) العبارة في المُسَوَّدَة: من أهْل العَبَّاسة القرية المشهورة بالأعمال الشرقية. c-c) هذه العبارة من المُسَوَّدَة، ووَرَدت محرَّفة في المُبَيَّضَة في آخر الخبر بالصيغة التالية: «ثم صار موضع هذه المَدْرَسَة دارًا تُعْرَف بدار ابن كرمون صِهْر الملك الصَّالح». d-d) هذه الفقرةُ إضافةٌ من مُسَوَّدَة الخطط.

---

[1] فيما تقدم ٢: ٣٥٢.

[2] انظر ترجمة الأمير آل ملك الجوكندار، فيما تقدم ٢: ٤٠٠، وهذا المجلد ٢٤٦–٢٤٧.

وهي إلى الآن من المَدارِس المشهورة ¹، ومَوْضِعُها من جملة رَحْبَة قَصْر الشَّوْك، وقد تقدَّم ذكرُها عند ذِكْر الرّحاب من هذا الكِتاب ².



مُخَطَّط المَدْرَسَة الملكية (عن Creswell)

¹ أُنْشِئَت هذه المدرسة سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م كما هو مثبت في الكتابة التاريخية الموجودة على عضادتي الباب، ونَصُّها: «بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم. أنشأ هذا المَسْجِد المبارَك [العَبْدُ الفقير إلى] الله تعالى آل مَلِك الجوكَنْدار النّاصري الراجي عَفْو الله تعالى ومغفرته بتأريخ سنة تسعة عشر وسبع مائة للهجرة النبوية على صاحبها السَّلام». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 115; Wiet, G., *RCEA* XIV, n° 5408). ولا تزال المَدْرَسَة الملكية قائمة إلى اليوم باسم «جامع الجوكندار» بشارع أمّ الغُلام بالجمالية، وتسمّيه العامّةُ «زاوية السّتّ حالومة» وهو رجل مغربي طالت خدمته للجامع فعُرف به. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦:٦٩-٧٠ (٢٦)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٣٣٣ (استدراك لمحمد لمك رمزي)؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 270-72؛ عاصم رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢:٤٩١-٥٠٥).

² فيما تقدم ٣:١٤٩-١٥٠.

المَدْرَسَةُ الجَمَالِيّة

[أثر رقم ٢٦]

هذه المَدْرَسَةُ بجوار[a] دَرْبِ راشِد من القاهِرَة، على بابِ الزُّقاق المعروف قَديمًا بدَرْبِ سَيْف الدَّوْلَة نادِر [b]قُبالَة دار الأمير مُغُلْطاي الجمـالي[b] [1]، بناها الأميرُ الوَزيرُ عَلاءُ الدِّين مُغُلْطاي الجَمالي [b]وكان وَزيرَ السُّلْطان الملك النَّاصر محمد بن قَلاوون وأستاذْداره وجُمِعَت له هاتان الوظيفتان[b] ـ وجَعَلَها مَدْرَسَةً للحَنَفِيَّة وخانْقاه للصُّوفيَّة[c] [2]. ووَلِيَ تَدْريسَها ومَشْيَخَة التَّصَوُّف بها: الشيخُ عَلاءُ الدِّين عليّ بن عُثْمان التُّرْكُماني الحَنَفي [3]، وتَداوَلها ابنه قاضي القُضَاة جَمالُ الدِّين عبد الله التُّرْكُماني الحَنَفي [4]، وابنه قاضي القُضَاة صَدْرُ الدِّين محمد بن عبد الله بن عليّ

---

a) المُسَوَّدَة: بالقرب من. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة. c) المُسَوَّدَة: وجَعَلَها مَدْرَسَةً وخانْقاه ووَقَفَها على الحَنَفِيَّة.

---

[1] انظر فيما تقدم ٣: ١٣٠- ١٣١.

[2] أُنْشِئَت هذه المَدْرَسَةُ سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م، وتَقَع الآن بقاياها بشارع قَصْر الشوق بحي الجمالية، وتعرف باسم «زاوية مُغُلْطاي الجمالي»، ويمتدُّ بطول واجهتها الرئيسة، وهي الواجهة البحْرية، وعلى يسار المَدْخَل شَريطٌ من الكتابة بالخط النَّسْخ المملوكي البارز، نَصُّها:

«ـ الآيات ٣٧-٣٨ سورة النور ـ أَمَرَ بإنْشاء هذه الخانْقاه المبارَكة السَّعيدَة من فَواضِل إنْعامِ الله وجَزيلِ عَطائِه، المقرُّ الكريمُ العالي المَوْلوي الأميري الأَجَلّي الكَبيري المُخْتَرَمي المَخْدومي الإسْفِهْسَلاري العلائي عُمْدَة الملوك والسَّلاطين مُغُلْطاي أُستاذ الدَّار العالية الملكي النَّاصري. وكان الفَراغُ في شهر ربيع [... سنة ثلاثين وسبع مائة]». (Wiet, G., *RCEA* XIV, n° 5581).

راجع كذلك، مجهول المؤلف: تاريخ سلاطين المماليك ١٨٤؛ المقريزي: السلوك ٢: ٣٢٣، ٣٤١، ٣٥٤، وفيه أنَّه عَمَّر المدرسة بجوار داره؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٩٨؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٦٢-٦٣ (٢٣) باسم «زاوية الجمالي» وفيه أنَّها واقعة بين حارة الفراخة وقصر الشوك من خط المشهد الحسيني؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ١٨٠- ٨٤؛ عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر ١: ٢٥٨- ٢٧٤، أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٥٧٩- ٥٩٤؛ وفيما يلي ٧٤٣.

[3] قاضي القضاة علاءُ الدِّين أبو الحسن علي بن عثمان ابن إبراهيم بن مصطفى المارِديني الحنفي المعروف بالتُّرْكُماني، المتوفى سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م. (القرشي: الجواهر المضية ٢: ٥٨١- ٥٨٧؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ١٣٤؛ المقريزي: السلوك ٢: ٨١٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ١٥٦- ١٥٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤٦- ٢٤٧، المنهل الصافي ٨: ١٢٠-١٢١).

[4] المتوفى سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٨م، انظر ترجمته عند، القرشي: الجواهر المضية ٢: ٣١٦- ٣١٨؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٣١٦؛ المقريزي: المقفى الكبير ٤: ٦١٥- ٦١٦؛ السلوك ٣: ١٦٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٨١؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٩٩، المنهل =

التُّرْكماني الحَنَفي [١]، ثم قريبهم حميدُ الدِّين حَمَّاد، وهي الآن بيد ابن حميد الدِّين المذكور.

وكان شَأْنُ هذه المَدْرَسَة كبيرًا يسكنها أكابِرُ فُقَهاءِ الحَنَفِيَّة، وتُعَدُّ من أَجَلِّ مَدارِس القاهِرَة، ولها عِدَّةُ أَوْقافٍ بالقاهِرَة وظَواهِرِها وفي البِلادِ الشَّامية. وقد تَلاشَى أَمْرُ هذه المَدْرَسَة لسُوءِ وُلاةِ أَمْرِها وتَخْريبهم أَوْقافَها، وتَعَطَّلَ منها حُضُورُ الدَّرْس والتَّصَوُّف، وصارَت مَنْزِلًا يسكنه أَخْلاطٌ مِمَّن يُنْسَب إلى اسْمِ الفِقْه، وقَرُبَ الخَرابُ منها، وكان بناؤها في سنة ثلاثين وسبع مائةٍ.

مُغُلْطاي بن عبد الله الجَمالي، الأمير عَلاء الدِّين [٢] ـ عُرِفَ بخُرْز، وهي بالتركية عبارَة عن الدِّيك [a] بالعربية ـ اشْتَرَاه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون، ونَقَلَه وهو شابٌّ من الجَامَكِيَّة إلى الإمْرَة على إقْطاعِ الأمير صَارِم الدِّين إبراهيم الإبْراهيمي، نَقيب المماليك السُّلْطانية ـ المعروف بزير أمّه [b] ـ في صَفَر سنة ثمان عشرة وسبع مائةٍ، وصارَ السُّلْطانُ يَنْتَدِبه في التَّوَجُّه إلى المُهِمَّات الخاصَّة به، ويُطْلِعه على سِرِّه. ثم بَعَثَه أميرَ الرَّكْب إلى الحِجَاز في هذه السنة. فقَبَضَ على الشَّريف أَسَد الدِّين رُمَيْثَة ابن أبي نُمَيّ صَاحِب مَكَّة، وأَحْضَره إلى قَلْعَةِ الجَبَلِ في ثامن عشر المحرَّم سنة تسع عشرة وسبع مائةٍ مع الرَّكْب. فأَنْكَرَ عليه السُّلْطانُ سُرْعَة دُخُولِه، لما أصاب الحاج من المشَقَّة في الإسْراعِ بهم.

ثم إنَّه جُعِلَ أُسْتادَّار السُّلْطان، لمَّا قُبِضَ على القاضي كَرِيم الدِّين عبد الكَرِيم ابن المعلِّم هِبَة الله ناظِر الخَواصّ، عند وُصُولِه من دِمَشْق بعد سَفَرِه إليها لإحْضار شَمْس الدِّين غُبْرِيال. فيَوْم حَضَرَ خُلِعَ عليه وجُعِلَ أُسْتادَّارًا عِوضًا عن الأمير سَيْف الدِّين بَكْتَمُر العَلائي، وذلك في جُمادَىٰ الأولىٰ سنة ثلاثٍ وعشرين وسبع مائةٍ.

ثم أَضافَ إليه الوَزارَة، وخَلَعَ عليه في يوم الخميس ثامن رَمَضان سنة أربع وعشرين، عِوضًا عن الصَّاحِب أمين المُلْك عبد الله بن الغَنَّام، بعدما اسْتُعْفِيَ من الوَزارَة واعْتَذَرَ بأنَّه رَجُلٌ غُتْميّ،

a) بولاق: الدين. b) بولاق: الإمرة.

= الصافي ٧: ١٠٦- ١٠٨.

[١] المتوفى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، انظر ترجمته عند المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٢٥٤- ٢٥٥، السلوك ٣: ٢٤٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤: ٩٦- ٩٧، إنباء الغمر ١: ٩٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٣٠.

[٢] راجع ترجمة مُغُلْطاي الجمالي عند، مجهول المؤلف: تاريخ سلاطين المماليك ١٨٤؛ الصفدي: أعيان العصر ٥: ٤٣١- ٤٣٢؛ المقريزي: السلوك ٢: ٣٥٣- ٣٥٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤: ٣٥٥- ٣٥٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٩١- ٢٩٢.

فلم يُعْفِه السُّلْطانُ ، وقال : أنا أُخَلِّي من يُباشِر معك ، ويُعَرِّفك ما تَعْمَل . وطَلَبَ شَمْس الدِّين غُبْريال ناظِر دِمَشْق منها ، وجَعَلَه ناظِرَ الدَّوْلَة رَفيقًا للوَزير الجَمالي .

فرُفِعَت قِصَّةٌ إلى السُّلْطان ، وهو في القَصْر من القَلْعَة ، فيها الحَطُّ على السُّلْطانِ بسَبَبِ تَوْلِيَة الجَماليّ الوَزارَة وأُلْماس حَاجِبًا ، وأنَّه بسبب ذلك أضاعَ أوْضاعَ المملكة وأهانَها ، وفَرَّطَ في أَمْوال المسلمين والجَيْش ، وأنَّ هذا لم يَفْعَله أحَدٌ من الملوك « فقد وَلَّيْتَ الحِجابَة لمن لا يَعْرِف يَحْكُم ، ولا يتكلَّم بالعربي ، ولا يَعْرِف الأحْكام الشَّرْعِيَّة . ووَلَّيْت الوَزارَة والأُستادّارية لشابٍّ لا يعرف يَكْتُب اسْمَه ، ولا يَعْرف ما يُقالُ له ، لا يَتَصَرَّف في أُمُورِ المملكة ، ولا في الأَمْوالِ الدِّيوانية ، إلَّا أرْبابُ الأقْلام ، فإنَّهم يَأْكُلون المال ويُحيلون على الوَزير » .

فلمَّا وَقَفَ السُّلْطانُ عليها ، أَوْقَفَ عليها القاضي فَخْر الدِّين محمد بن فَضْلِ الله ـ المعروف بالفَخْر ناظِر الجَيْش ـ فقال : هذه وَرَقَةُ الكُتَّاب البَطَّالين مِمَّن انْقَطَع / رِزْقُه وكَثُرَ حَسَدُه . وقَرَّرَ مع السُّلْطانِ أن يلزم الوَزير ناظِر الدَّوْلَة وناظِر الخَواصّ بإحْضارِ أوْراقٍ في كلِّ يومٍ تَشْتَمِل على أَصْلِ الحاصِل ، وما حُمِلَ في ذلك اليوم من البِلاد والجِهات وما صُرِفَ ، وأنَّه لا يُصْرَف لأَحَدٍ شيءٌ ألبتَّة إلَّا بأَمْرِ السُّلْطانِ وعِلْمِه . ٢٩٢

فلمَّا حَضَرَ الوَزيرُ الجَماليّ ، أَنْكَرَ عليه السُّلْطانُ ، وقال له : إنَّ الدَّواوين تَلْعَب بك . وأَمَرَ فأُحْضِرَ التَّاج إسْحاق وغُبْريال ومَجْد الدِّين بن لُقَيْته [a] ، و قَرَّرَ معهم أن يُحْضِرُوا آخِر كلِّ يوم أوْراقًا بالحاصِل والمَصْرُوف ، وقد فُصِّلَت بأسماء ما يُحْتاج إلى صَرْفه وإلى شِرائِه وبَيْعه . فصاروا يُحْضِرون كلَّ يَوْمٍ الأوْراق إلى السُّلْطان ، وتُقْرأ عليه ، فيَصْرف ما يَخْتار ، ويُوقِف ما يُريد . ورَسَم أيضًا أنَّ مالَ الجِيزَة كلَّه يُحْمَل إلى السُّلْطان ، ولا يُصْرَف منه شيء .

ثم لمَّا كانت الفِتْنَةُ بثَغْر الإسْكَنْدَرية بين أهْلِها وبين الفرِنْج ، وغَضِب السُّلْطانُ على أهْلِ الإسْكَنْدَرية ، بَعَث بالجَمالي إليها . فسارَ من القاهِرَة في أثْناء رَجَب سنة سبعٍ وعشرين وسبع مائةٍ ، ودَخَلَ إليها ، فجَلَسَ بالخُمْس ، واستدعى بوُجُوه النَّاس [b] ، وقَبَضَ على كثيرٍ من العامَّة ، ووَسَّطَ بعضهم ، وقَطَعَ أيْدي جَماعةٍ وأرْجلهم ، وصادَر أرْبابَ الأمْوال حتى لم يَدَع أحدًا له ثَرْوَة حتى أَلْزَمَه بمالٍ كثير . فباعَ النَّاسُ حتى ثِيابَ نسائِهم في هذه المُصادَرَة . وأَخَذَ من التُّجَّار شيئًا كثيرًا ، مع تَرَفُّقه بالنَّاس فيما يَرِد عليه من الكُتُب بسَفْكِ الدِّماء ، وأَخْذِ الأَمْوال .

---

a) بولاق : لعيبة . b) بولاق : أهل البلد .

ثم أَحْضَرَ العُدَد التي كانت بالثَّغْر مُرْصَدَةً بِرَسْم الجِهاد، فبَلَغَت ستة آلاف عُدَّة، ووَضَعَها في حاصِلٍ، وخَتَم عليه. وخَرَجَ من الإسْكَنْدَرية بعد عشرين يَوْمًا، وقد سَفَكَ دِماءً كثيرةً، وأَخَذَ منها مائتي ألف دينار للسُّلْطان، وعادَ إلى القاهِرَة، فلم يَزَل على حالِه إلى أن صُرِفَ عن الوَزارَة في يوم الأحد ثاني شَوَّال سنة ثمانٍ وعشرين. ورُسِمَ أن تُوَفَّر وَظيفَة الوَزارَة من ولاية وزير، فلم يستقرّ أحَدٌ في الوَزارَة، وبقي الجَمالي على وَظيفَةِ الأُسْتادّارِيَّة.

وكان سَبَبُ عَزْلِه عن الوَزارَة تَوَقُّف حال الدَّوْلَة، وقِلَّة الواصِل إليها. فعمل عليه الفَخْر ناظِر الجَيْش والتَّاج إسْحاق، بسبب تَقْديمه لمحمد بن لُفَيْتَة، فإنَّه كان قد اسْتَقَرَّ في نَظَر الدَّوْلَة والصُّحْبَة والبُيوت، وتَحَكَّمَ في الوَزيرَ وتَسَلَّم قِيادَه. فكُتِبَت مُرافَعات في الوَزير، وأنَّه أَخَذَ مالًا كثيرًا من مالِ الجيزَة، فخَرَجَ الأميرُ أيْتَمُش المحَمّدي بالكَشْف عليه، وهَمَّ السُّلْطانُ بإيقاعِ الحَوْطَة به. فقامَ في حَقِّه الأميرُ بَكْتَمُر السَّاقي حتى عُفِيَ عنه، وقُبِضَ على كثير من الدَّواوين.

ثم إنَّه سافرَ إلى الحِجاز، فلمَّا عادَ توفي بسَطْحِ عَقَبَة أيْلَة، في يوم الأحد سابع عشر المحَرَّم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائةٍ، فصُبِّرَ وحُمِلَ إلى القاهِرَة، ودُفِنَ بهذه الخانْقاه في يوم الخميس حادي عشرين المحرَّم المذكور، بعدما صُلِّيَ عليه بالجَامِع الحاكِمي. ووَلَّى السُّلْطانُ بعده الأسْتادّارية الأمير آقْبُغا عبد الواحِد. وكان يَنُوبُ عن الجَمالي في الأُسْتادّارية أَلْطَنْقُش مَمْلوك الأفْرَم، نقله إليها من وِلايَة الشَّرْقِيَّة.

وكان الجَمالي حَسَن الطِّباع، يَميلُ إلى الخَيْر مع كثرة الحِشْمَة، ومِمَّا شُكِرَ عليه في وَزارَته أنَّه لم يَتَخَل على أحَدٍ بولاية مُباشِرَة، وأنشأ ناسًا كثيرًا، وقُصِدَ من سَائِر الأعْمال. وكان يَقْبل الهَدايا ويحب التَّقادمُ، فحَلَت له الدُّنْيا وجَمَعَ منها شيئًا كثيرًا. وكان إذا أَخَذَ من أَحَدٍ شيئًا على وِلاية، لا يَعْزِله حتى يَعْرف أنَّه قد اكْتسب قَدْرَ ما وَزَنَه له ولو أكثر عليه في السَّعْي، فإذا عَرَفَ أنَّه أخَذَ ما غَرِمَه عَزَلَه ووَلَّى غيره، ولم يُعْرَف عنه أنَّه صادَرَ أحَدًا ولا اخْتَلَسَ مالًا. وكانت أيَّامُه قَليلَة الشَّرّ، إلَّا أنَّه كان يَعْزِل ويُوَلِّي بالمال فتَزايَدَ النَّاسُ في المناصِب، وكان له عَقِبٌ بالقاهِرَة غير صَالِحين ولا مُصْلِحين.

المَدْرَسَةُ الفَارِسِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بخُطِّ الفَهَّادين[١] بأوَّلِ العُطُوفِيَّة بالقاهِرَة، كان موضِعُها كنيسةً تُعْرَف بكَنيسَة الفَهَّادين. فلمَّا كانت واقِعَةُ النَّصارَىٰ في سنة ستٍّ وخمسين[a] وسبع مائةٍ، هَدَمَها الأميرُ فارِسُ الدِّين البَكِّي ـ قَريبُ الأمير سَيْف الدِّين آل مَلِك الجُوكَنْدار ـ وبَنَى [b]في مَوْضِعها[b] هذه المَدْرَسَة ـ [b]أثابَه الله الجَنَّة[b] ـ ووَقَفَ عليها وَقْفًا يقوم بما تَحْتاجُ إليه[٢].

المَدْرَسَةُ السَّابِقِيَّة

[أثر رقم ٤٥]

هذه المَدْرَسَةُ داخِل قَصْر الخُلَفَاء الفاطِميين من جُمْلَة القَصْر الكَبير الشَّرْقي الذي كان دارَ الخِلافَة، ويُتَوَصَّلُ إلى هذه المَدْرَسَة الآن من [c]الزُّقاقِ المُقابِل[c] لحَمَّام البَيْسَري بخُطِّ بَيْن القَصْرَيْن، وكان يُتَوَصَّلُ إليها أيضًا من بابِ القَصْر المعروف ببابِ الرِّيح ـ [d]وهو البابُ المُظْلِم الذي في آخِر[d] الرُّكْنِ المُخَلَّق ـ وموضعه الآن قَيْسارِيَّةُ الأمير جَمال الدِّين يُوسُف الأُسْتادّار[٣].

---

a) المُسَوَّدَة: خمس وخمسين. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة. c-c) من المُسَوَّدَة، وفي النُّسَخ: من تجاه حمام. d-d) من المُسَوَّدَة، وفي النُّسَخ: بباب الريح من خط الركن المُخَلَّق.

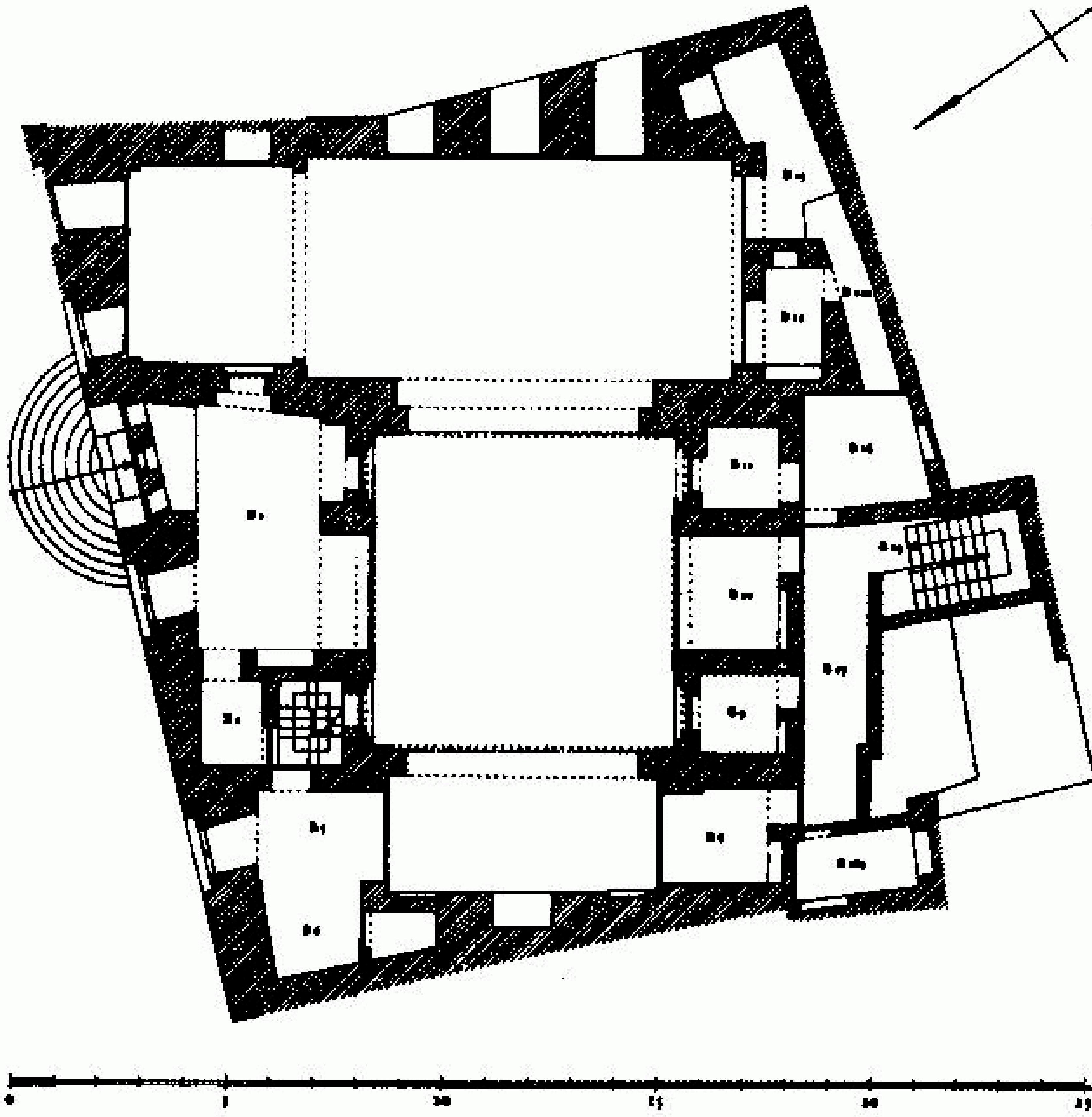
---

[١] انظر عند خُطِّ الفَهَّادين (فيما تقدم ٣: ١٠٣)، وهو الخُطُّ الواقع فيما بين الجُوّانية والمناخ.

[٢] حَلَّ مكان «المَدْرَسة الفارسية» الآن، الزّاوية المعروفة بـ«زاوية الأربعين» الواقعة داخل عَطْفَة الزّاوية المتفرِّعة من دَرْب الزّاوية التي يُتَوَصَّل إليها من حارَة المُبَيِّضَة المتفرِّعة من شارع الجمالية أمام جامع سعيد السُّعَداء. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١١٤هـ[٦]).

[٣] كانت هذه المَدْرَسَة تقع في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي داخل خُطّ أمير سِلاح الذي أصبح يُطْلَق عليه منذ هذا التاريخ وإلى الآن «دَرْب قِرْمِز» (انظر فيما تقدم ٣: ٩٤). وكانت المَدْرَسَةُ التي تُعْرَف الآن باسم «جامع مِثْقال» و«جامع دَرْب قِرْمِز» في حالة مُتَخَرِّبة منذ فترةٍ طويلة، حتى تَمَّ ترميمُها وإصْلاحُها بواسطة المعهد الألماني للآثار بالقاهرة في سبعينيات القرن العشرين. وهي مَدْرَسَةٌ مُعَلَّقة يُصْعَدُ إليها بعَشْر درجات، ويَمُرُّ تحتها طريقٌ تُوَصِّل بين دَرْب قِرْمِز ومَيْدان بَيْت القاضي، وعلى جانبي تلك الطريق قاعاتٌ بأسفل المَدْرَسَة. وعَتَبَةُ باب المَدْرَسَة السفلية قطعة من الجرانيت الأسود عليها كتابةٌ مصرية قديمة. وتوجد بأعلى مَدْخَل المَدْرَسَة كتابةٌ تاريخية تحمل النَّصَّ التالي:

«أَمَرَ بإنشاء هذه المَدْرَسَة المباركة العَبْدُ الفقيرُ إلى الله سابق الدِّين مُقَدَّم المماليك غَفَرَ الله له» (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 166; Kalus, L., *RCEA* XVII, n° 763 001). =



مُخَطَّط المَدْرَسَة السَّابِقِيَّة (عن Meinecke)

بَنَى هذه المَدْرَسَة الطُّواشي الأميرُ سابِقُ الدِّين مِثْقال الآنوكي مُقَدَّم المماليك السُّلْطانية الأشْرَفِيَّة [1]،

= وقد جَعَلَ علي مبارك ومحمد رمزي تاريخ إنشاء المدرسة سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م، رغم أنَّه لم يرد في النَّصّ الإنشائي. (راجع، المقريزي: السلوك ٣: ٢٤٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٣٥هـ[2]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٩٠ (١٣)، ٤: ٢٣١ (١١١)، ٦: ١٧ (٧)؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٣٢١-٣٢٨؛ Meinecke, M., *Die Madrasa des Amirs Mitqâl in Kairo*, Mainz 1976; id., *Die Restaurierung der Madrasa des Amirs Sâbiq al-Dîn Mitqâl al-Anûkî und die Sanierung des Darb Qirmiz in Kairo*, Mainz 1980؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٢١٩-١٢٤٠).

[1] الأمير سابق الدِّين مِثْقال الآنوكي الطُّواشي الحَبَشي، مُقَدَّم المماليك السُّلْطانية. أصْلُه من خُدَّام آنُوك ابن السُّلْطان النَّاصر محمد بن قلاوون، المتوفى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م. (المقريزي: السلوك ٣: ٢٤٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٦٣، إنباء الغمر ١: ١٠٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٣٥، المنهل الصافي ٩: ١٩٦-١٩٧).

و[a]لمَّا كَمُلَت في سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة[a] جَعَلَ بها دَرْسًا للفُقَهاء الشَّافِعيَّة قَرَّر في تَدْريسه شيخَنا شَيْخ الشُّيوخ سِراج الدِّين عُمَر بن عليّ الأَنْصاري المعروف بابن / المُلَقِّن الشَّافِعيّ[1]، وجَعَلَ فيها تَصْدير قِراءَات وخِزَانَة كُتُب وكُتَّابًا يقرأ فيه أيْتامُ المسلمين، [a]ووَلَّى تَصْديرها لشَيْخِنا فَخْر الدِّين إمام الجامِع الأزْهَر[a]، وبَنَى بينها وبين داره ـ التي تُعْرَف بقَصْر سابِق الدِّين ـ حَوْضَ ماءٍ للسَّبيل هَدَمَه الأميرُ جمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادَار لمَّا بَنَى دارَه المجاورة لهذه المَدْرَسَة. ٢:

ووَلِيَ سَابِقُ الدِّين تَقْدِمَة المماليك بعد الطَّواشي شَرَفِ الدِّين مُخْتَصّ الطُّقْتُمُري في صَفَر سنة ثلاثٍ وستين وسبع مائةٍ، ثم تَنَكَّرَ عليه الأميرُ يَلْبُغا الخاصَّكي القائِم بدَوْلَة الملك الأشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن وضَرَبَه ستّ مائة عَصًا وسَجَنَه، ونَفَاه إلى أُسْوان في آخر شهر رَبيع الأوَّل سنة ثمانٍ وستين، فلم يكن غير قَليل حتى قُتِلَ الأمير يَلْبُغا، فاسْتَدْعَى الأَشْرَفُ سابِقَ الدِّين من قُوص، وصَرَفَ ظَهير الدِّين مُخْتارًا ـ المعروف بشاذَرْوان ـ عن التَّقْدِمَة وأعادَه إليها، فاسْتَمَرَّ إلى أن ماتَ سنة ستٍّ وسبعين وسبع مائةٍ[2].

المَدْرَسَةُ القَيْسَرانِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بجوار المَدْرَسَة الصَّاحِبيَّة، بسُوَيْقَة الصَّاحِب، فيما بينها وبين بابِ الخُوخَة[3]. كانت دارًا يسكُنُها القاضي الرَّئيس شَمْسُ الدِّين محمَّد بن إبراهيم القَيْسراني، أحَد مُوَقِّعي

a-a) إضافة من المُسَوَّدة.

[1] سِراج الدِّين أبو حَفْص عُمَر بن علي بن أحمد الأنصاري الأَنْدَلُسيّ الأصْل المصريّ المَوْلِد والدَّار والوفاة، المعروف بابن المُلَقِّن وابن النَّحْوي، المتوفى سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م. قال المقريزي: «دُفِنَ على أبيه بحُوش الصُّوفيَّة خارج باب النَّصْر. كان من أعْذَب النَّاس ألفاظًا وأحسنهم خُلُقًا وأجملهم صورةً وأفْكَههم محاضرةً، صحبته عِدَّة سنين وأخَذْتُ عنه كثيرًا من مَرْوياته ومُصَنَّفاته». (درر العقود الفريدة ٢: ٢٤٩-٢٤٣١؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٢١٦-٢١٨، ذيل الدرر الكامنة ١٢١-١٢٣، السخاوي: الضوء اللامع ٦: ١٠٠-١٠٥).

[2] المقريزي: السلوك ٣: ٢٤٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٣٥.

[3] كانت المَدْرَسَةُ الصَّاحِبية (فيما تقدم ٤٧٦) تقع على يسار الدَّاخِل في سُوَيْقَة الصَّاحِب التي حَلَّ محلها، قبل توسيع شارع بورسعيد، شارع اللَّبودية وشارع السُّلْطان الصَّاحِب، في الناصية التي كان يتلاقى فيها هذا الشَّارع بشارع حَمَّام الثَّلاث، حيث يوجد على يمينه مَوْقِع=

الدَّشْت بالقاهِرَة ، فوَقَفَها قبل مَوْته مَدْرَسَةً وذلك في ربيعٍ الأوَّل سنة إحدى وخمسين وسبع مائةٍ ، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وسبع مائةٍ[١].

وكان حَشِمًا كبيرَ الهِمَّة ، سَعَى بالأمير سَيْف الدِّين بَهادُر الدُّمُرداشي في كِتابَة السِّرّ بالقاهِرَة مَكانَ عَلاءِ الدِّين عليّ بن فَضْل الله العُمَري ،فلم يتم ذلك ، وماتَ الأميرُ بهادُر ، فانْحَطَّ جانِبُه ، وكانت دُنْياهُ واسِعةً جدًّا ، وله عِدَّةُ مَماليك يتَوَصَّل بهم إلى السَّعْي في أغْراضِه عند أُمَراءِ الدَّوْلَة ، وكان يُنْسَب إلى شُحٍّ كبير .

المَدْرَسَةُ الزِّمامِيَّة

[أثر رقم ١٧٧]

هذه المَدْرَسَةُ بخُطِّ رأسِ البُنْدُقانِيين من القاهِرَة ، فيما بين البُنْدُقانِيين وسُوَيْقَة الصَّاحِب[٢]. بناها الأميرُ الطَّواشي زَيْنُ الدِّين مُقْبل الرُّومي ، زِمام الآدُر الشَّريفة للسُّلْطان الظَّاهِر بَرْقُوق[٣] في سنة سبعٍ وتسعين وسبع مائة ، وجَعَلَ بها دَرْسًا وصُوفِيَّةً ومِنْبرًا يُخْطَب عليه في كلِّ جُمُعَة ، [a]ورَتَّب فيها دَرْسَ حديثٍ قَرَّرَ فيه شَيْخَنا زَيْنَ الدِّين عبد الرَّحيم المعروف بالعِراقي المُحَدِّث الحافِظ[a].

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة .

= المدرسة الصَّاحِبية . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦: ٢٨٠هـ[٤]) . وقد اقتضى فَتْحُ شارع الأزهَر سنة ١٩٣٠ بموجب المرسوم الصادر في ٢٦ يونية سنة ١٩٢٣ إزالة كثيرٍ من المباني ومن بينها الدَّار التي حَلَّت محلّ المَدْرَسَة القَيْسرانية التي كانت تقع بَحْري المَدْرسة الصَّاحِبية بينها وبين باب الخُوخَة وزال كلُّ أثَرٍ لها الآن . (المقريزي : السلوك ٢: ٨٥٧؛ علي مبارك الخطط التوفيقية ٦: ٣٥-٣٦ (١٤)؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٢٥٢هـ[١]) .

[١] المقريزي : السلوك ٢: ٨٥٧.

[٢] ذكر علي مبارك أنَّ هذه المَدْرَسَة حَلَّ محلَّها الجامع المعروف بـ «جامِع المغربي» الواقع في حارة شَرَف الدِّين ، على يمين الذَّاهب من دَرْبِ سَعادَة إلى الحَمْزاوي ، وهو جامِعٌ بغير عُمُد بل سقفه على بوائكه ، كان يُعْرَف بـ «جامع الخُصِّي» فتَخَرَّب حتى عَمَّره رجلٌ مغربي سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م يعرف بالحاج مصطفى ، وزَخْرَفَه وأنْفَقَ في تَعْميره مالًا جسيمًا فعُرِفَ به» . ويعرف الآن باسم جامع الدُّوادي ويقع في حارة شَرَف الدِّين بالحَمْزاوي . (راجع ، المقريزي : السلوك ٣: ٦٦؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٣: ١٦٨؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢: ٧٨٩؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ٢٧٧ (١٢٢)) ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣: ١١٣- ١٢١؛ وانظر كذلك van Berchem, M., *CIA* Egypte I, n[os] 200-201) .

[٣] توفي الأمير الطَّواشي زَيْنِ الدِّين مُقْبِل الظَّاهري المعروف بالرُّومي زمام الدَّار السُّلْطاني في أوَّل ذي الحجة سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م . (انظر الإحالات المذكورة في الهامش السابق) .

وبينها وبين المَدْرَسَةِ الصَّاحِبيَّة دون مَدَى الصَّوْت ، فيَسْمَعُ كلٌّ مِن مُصَلِّي الموضعين[a] تَكْبيرَ الآخر . وهذا وأنْظارُه بالقاهِرَة من شَنيعِ ما حَدَثَ في غير مَوْضِعٍ ، ولا قُوَّةَ إلَّا بالله على إزالَة هذه المُبْتَدَعات .

المَدْرَسَةُ الصَّغيرَة

[b(]المُجاوِرَة لدار القاضي مُحِبّ الدِّين ناظِر الجَيْش[b)] فيما بين البُنْدُقانيين وطَواحين المِلْحيين ، ويُعْرَف خُطُّها ببَيْت مُحِبّ الدِّين ناظِر الجُيُوش ، ويُعْرَف أيضًا بخُطّ بَيْن العَوامِيد . [b(]وهي الآن مُغْلَقَة[b)] بَنَتْها السِّتّ أَيْدَكين زوجة الأمير سَيْف الدِّين بُكْجا النَّاصِري في سنة إحدى وخمسين وسبع مائة . [b(]وهي تِجاه الفُنْدُق المعروف بالعَكْر والإسْطَبْل الذي خَلْف ظَهْر الدَّار الكبرى المعروفة بدار كَتْبُغا[b)].

تُرْبَةُ الصَّالِح عَلِيّ[c)]

[أثر رقم ٢٧٤]

هذه التُّرْبَةُ[d)] بجوار المَدْرَسَةِ الأَشْرَفِيَّة[1] بالقُرْبِ من المَشْهدِ النَّفيسي فيما بين القاهِرَة ومصر ، مَوْضِعُها من جملة ما كان بُسْتانًا . أنشأها السُّلْطانُ[e)] الملكُ المَنْصُورُ قَلاوون [b(]وتَجَزَت عِمارَتها[b)] على يد الأمير عَلَم الدِّين سِنْجر الشُّجاعي في سنة اثنتين وثمانين وستّ مائةٍ بِرَسْم أُمّ الملك الصَّالِح عَلاء الدِّين عليّ بن الملك المَنْصُور قَلاوون . فلمَّا كَمُلَ بِناؤها نَزَلَ إليها الملكُ المَنْصُور ومعه ابنُه الصَّالِح عليّ ، وتَصَدَّقَا عند قَبْرِها بمالٍ جَزيل ، ورَتَّب لها وَقْفًا حَسَنًا على قُرَّاءٍ وفُقهاءَ وغير ذلك . وكانت وَفاتُها في سادس عشر شوَّال سنة ثلاثٍ وثمانين وستّ مائةٍ[2] .

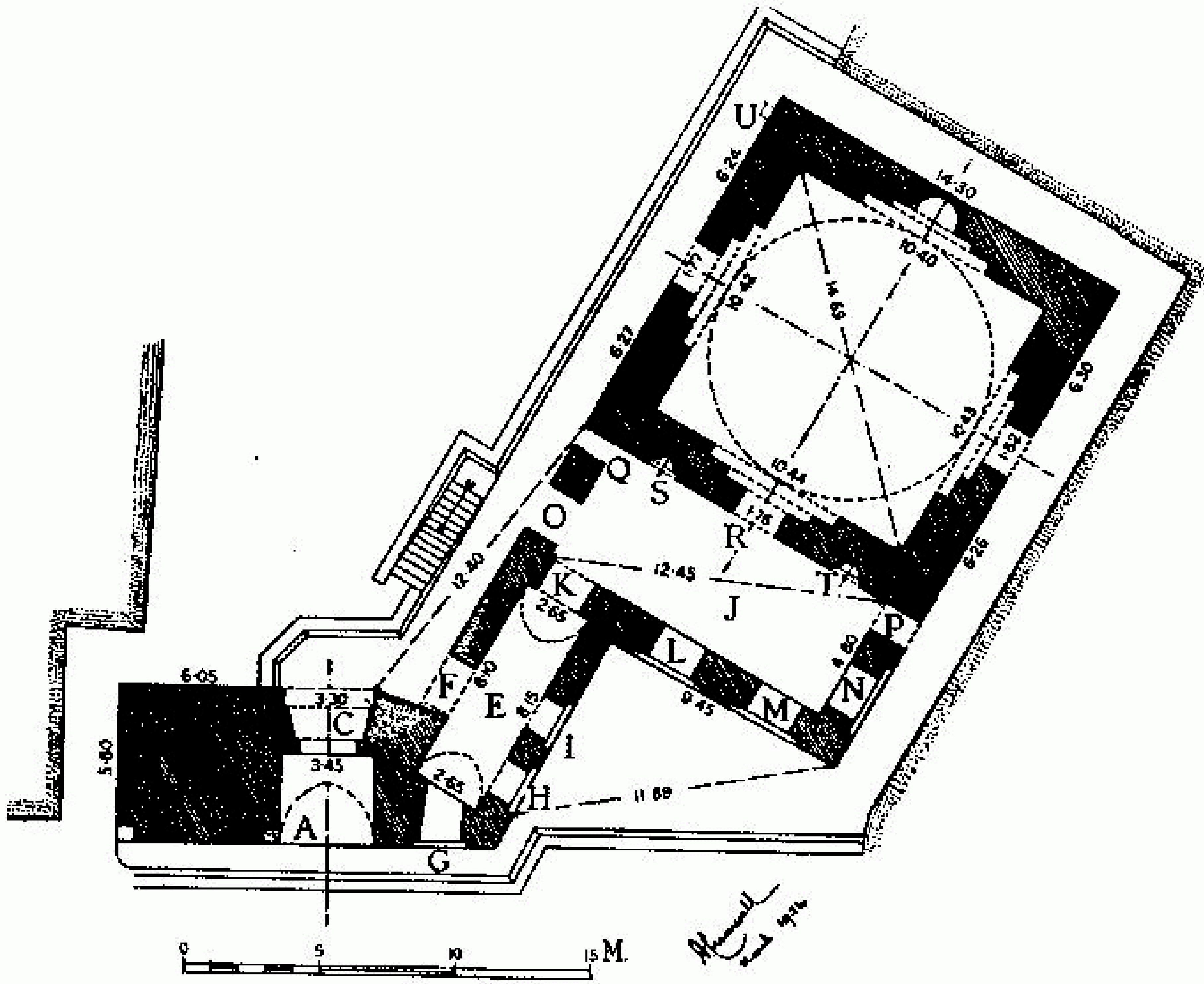
---

a) بولاق : كل من صلى بالموضعين . b-b) إضافة من المُسَوَّدَة . c) بولاق : مدرسة تربة أم السُّلْطان ، وسائر النسخ : تُرْبَة الصَّالِح ، والمثبت من المُسَوَّدَة . d) بولاق والنُّسَخ : المدرسة . e) إضافة من المُسَوَّدَة .

---

[1] انظر عن المَدْرَسة الأَشْرَفية فيما تقدم ٣:٧٧٣هـ[3] ، وفيما يلي ٦٧٣.

[2] هي التُّرْبةُ التي سَمَّاها ابنُ دُقْماق «التُّرْبَة الخاتُونية» (الانتصار ٤:١٢٥) ، والتي دُفِنَ بها في سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م الملكُ الصَّالحُ عَلاءُ الدِّين علي بن قلاوون في حياة أبيه ، ثم دُفِنَت بها ابنته خاتون أَرْغَلَة الملك السعيد محمد =



مُخَطَّط تُرْبَة فاطمة خاتُون (أمّ الصَّالح) (عن Creswell)

مَدْرَسَةُ ابن عَرَّام

هذه المَدْرَسَةُ بجوار جَامِع أمير حُسَيْن بحِكْرِ جَوْهَر النُّوبي من بَرّ الخَلِيج الغَرْبي خارِج القاهِرَة[1]. أنشأها[2] الأميرُ صَلاحُ الدِّين خَليلُ بن عَرَّام، وكان من فُضَلاء النَّاسِ، تولّى نِيابَة

= بَرَكه خان، ثم دُفِنَ بها في سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م الملك الصَّالح إسماعيل بن الملك النَّاصر محمد بن قَلاوون، كما دُفِنَ بها في سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م الملك الصَّالح صَالح ابن الملك الناصر محمد بن قَلاوون. (راجع، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٤، تشريف الأيام والعصور ٢٨٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢٧٢- ٢٧٣؛ المقريزي: مُسَوَّدَة المواعظ والاعتبار ٤٢٧؛ العيني: عقد الجمان ٢: ٣٠٨؛ علي مبارك الخطط التوفيقية ٦: ١٠ (٥)؛ Creswell, K.A.C., MAE II, pp. 180-85؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٤٤- ٥١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩١- ١٠٥؛ وفيما تقدم ٣: ٣٠٧).

[1] انظر موضع جامع الأمير حسين، فيما تقدم ٢١٤- ٢١٦.

[2] هذه المَدْرَسَة هي المَدْرسة التي كانت تُعْرَف بجامع المَوْصفي، لأنَّه نَزَل بها في أوائل القرن العاشر الهجري الشيخ العالم الزاهد نور الدِّين علي بن خليل المَوْصَفي. واتَّخذَها زاوية له بسبب تَعَطُّلها. ولمَّا مات سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٩م دُفِنَ بها. وكانت مَدْرسةُ ابن عَرَّام (جَامِع المَوْصَفي) تجاور جامع الأمير حسين من جهته الشرقية، وقد تَخَرَّبت الآن. (المقريزي: السلوك ٣: ٣٩٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٨٥؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣: ٢١٩- ٢٢٠ (٥٦)، ٦: ١- ٢ (٢)).

الإسْكَنْدَرية، وكَتَبَ تاريخًا، وشارَكَ في عُلوم[١]. فلمَّا قُتِلَ الأمير بَرَكَة بسَجْن الإسْكَنْدَرية، ثارَت مَماليكُه على الأمير الكبير بَرْقُوق حَنَقًا لقَتْلِه. فأنْكَرَ الأميرُ بَرْقوق قَتْلَه، وبَعَثَ الأمير يُونُس النَّوْروزي دَواداره لكَشْفِ ذلك، فنَبَشَ عنه قَبْرَه، فإذا فيه ضَرَباتٌ عِدَّة إحْداهن في رأسِه، فاتُّهم ابن عَرَّام بقَتْلِه من غير إذْنٍ له في ذلك. فأَخْرَجَ بَرَكَة من قَبْرِه - وكان بثيابِه من غير غُسْلٍ ولا كَفَن - وغَسَّلَه وكَفَّنه.

وأَحْضَرَ بابن عَرَّام معه، فسُجِنَ بخِزانَة شَمائلَ داخِل باب زوِيلَة من القاهِرَة، ثم عُصِرَ، وأُخْرِجَ يوم الخميس خامِس عشر رَجَب سنة اثنتين وثمانين وسبع مائةٍ من خِزانَة شَمائِل، وأَمَرَ به فسُمِّرَ عُرْيانًا بعد ما ضُرِبَ عند بابِ القُلَّة / بالمقارِع ستة وثمانين شَيْئًا[a] بحَضْرَة الأمير [b]قَطْلُواقْتَمُر أمير جانْدَار[b] والأمير مامور حَاجِب الحُجَّاب. فلمَّا أُنْزِلَ من القَلْعَة، وهو مُسَمَّرٌ على الجَمَلِ، أَنْشَدَ:

[مجزوء الرمل]

لَكَ قَلْبي تَحِلُّه[c] فَدَمِي لم تُحِلُّه
لَكَ من قَلْبي المكا ن فلِمَ لا تَحُلُّه
قال إن كنت مالِكًا فَلِيَ الأَمْرُ كلُّه

وما هو إلَّا أن وَقَفَ بسُوقِ الخَيْل تَحْتَ القَلْعَة، وإذا بمَماليكِ بَرَكَة تَراكَبت[d] عليه تَضْرِبه بسُيوفها حتى تَقَطَّعَ قِطَعًا، وحُزَّ رأسه وعُلِّقَ على باب زَوِيلَة، وتَلاعَبَت أيْديهم به فأَخَذَ واحِدٌ أُذُنَه، وأَخَذَ آخَرُ رجله، واشْتَوَى آخَرُ قِطْعَةً من لَحْمِه ولاكَها، ثم جُمِعَ ما وُجِدَ منه، ودُفِنَ بمَدْرَسَتِه هذه. فقال في ذلك صَاحِبُنا الأديبُ شِهابُ الدِّين أحمد بن العَطَّار[٢]:

---

a) ساقطة من بولاق. b-b) في بولاق: قطلودمر الخازندار. c) بولاق: نخله. d) بولاق: قد أكبت.

---

[١] توفي الأمير صلاح الدِّين خليل بن عَرَّام، نائب الإسكندرية، سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م. (راجع ترجمته عند، المقريزي: السلوك ٣: ٣٩٦- ٣٩٨، ٤٠٨؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٢٢٣؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٨٣- ١٨٧، المنهل الصافي ٥: ٢٦٣-٢٦٨ (وفيه أنّه صَنَّف تاريخًا في عشرة أجزاء)؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ٢: ٢٨١). وإلى هذا الموضع انتهى ذكر مَدْرَسة ابن عَرَّام في المُسَوَّدة، ثم أضاف المقريزي: «وله قِصَّةٌ نَذْكُرها في التَّبْييض إنْ شَاءَ الله».

[٢] شهاب الدِّين أحمد بن محمد بن علي ابن العَطَّار الدُّنَيْسري المصري الأديب الشَّاعر، المتوفى سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م. (المقريزي: درر العقود الفريدة ١: ٢٠٣- ٢٠٦، السلوك ٣: ٧٧٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٢٠٦- ٢٠٨، إنباء الغمر ١: ٤٤١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ١٢٨، المنهل الصافي ٢: ١٧٧-١٧٩).

[الوافر]

بَدَت أجزاءُ ابن عُرّامٍ خَليل مُقَطَّعةً من الضَّرْبِ الثَّقيلِ
وأَبْدَت أَبْحُر الشِّعْر المَراثي مُحَرَّرَةً بتَقْطيعِ الخَليلِ

مَدْرَسَةُ محمُود الأُسْتاذْدار [a]

[أثر رقم ١١٧]

[b]هي المَدْرَسَةُ المُسْتَجَدَّة التي بالموازِنيين خارج بابِ زَوِيلَة[1] قُبالَة دار القُرْدُمِيَّة ، [c]يُشْبِه أنَّ مَوْضِعَها كان في القديم من جملة الحارَة التي كانت تُعْرَف بالمَنْصُورَة[c]. وكان الأميرُ جَمالُ الدِّين محمود بن علي أُسْتاذْدار السُّلْطان الملك الظَّاهِر سَيْف الدِّين بَرْقُوق قد استأجَرَ من السِّتّ خَوَنْد المعروفة بالقُرْدُمية ابنة السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون دار القُرْدُمِيَّة[2]، وهي دار الأمير أُلْجاي الدَّوادار النَّاصِري وأَصْلَحَ ما تَشَعَّثَ منها ورَخَّمَها ، ثم سَكَنها وبَنَى قُبالتها مَدْرَسته هذه وبَنَى القُبَّة التي دُفِنَ فيها إلى جانبها وبنى في عُلُوّ المَدْرَسَة ساباطًا ومَدَّه إلى أن وَصَلَه بدار القُرْدُمِيَّة المذكورة ، وسَدَّ باب زُقَاق القاعة فكان في مَوْضِع القُبَّة ، وفَتَحَ للزُّقاقِ المذكور بابًا من شرقي المَدْرَسَة[3]. وكانت عمارَةُ هذه المَدْرَسَة في سنة سبعٍ وتسعين وسبع مائة[4]، وتُوفي ولم

---

a) العنوان في المُبَيَّضة : المدرسة المحمودية . b-b) كل هذه الفقرة وحتى نهاية القوس في صفحة ٥٩٢ من المُسَوَّدَة عِوضًا عن ما وَرَدَ في المبيضة . c-c) هذه العبارة من المبيضة .

---

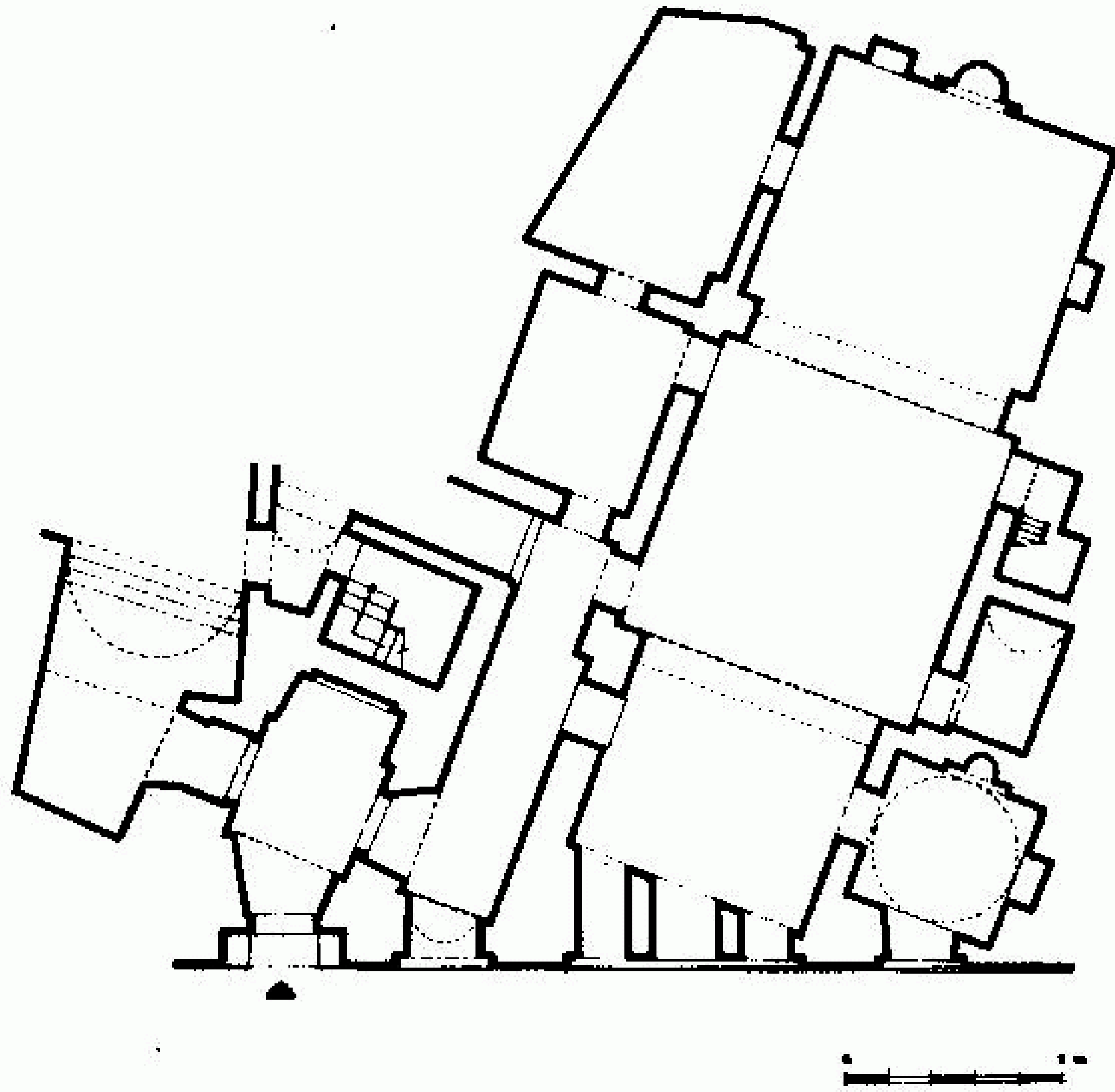
[1] حاشية بخطِّ المُؤلِّف : «وشَرَطَ في كِتابِ وَقْفِها أن يكون بها مُدَرِّسٌ حَنَفي المَذْهَب ، وأن لا يُقرئ بها إلَّا من يكون عربي الأصْل لا عجميه ، وكذلك جميع من بها من أصحابِ الوَظائِف» .

[2] انظر عن دار القُرْدُمِيَّة ، فيما تقدم ٣: ٢١٧- ٢١٨. وما تزال بقاياها قائمةً بآخر قَصَبَة رِضْوان تجاه المدرسة المحمودية (جامع محمود الكردي) وكانت تعرف بدار الأمير رِضْوان بيك آخر من سكنها والذي نُسِبَت إليه قَصَبَةُ رِضْوان . وهو الأمير رِضْوان بيك الفِقاري الذي تَوَلَّى إمارة الحج عِدَّة سنين وكان وافر الحُرْمَة ، وهو الذي عَمَّر القَصَبَة المعروفة به خارج باب زَوِيلَة عند بيته والتي خُصِّصَت لبَيْع المراكيب ونحوها ، وأنشأ الزَّاوية التي بها والزَّاوية الأخرى التي بحارة القِرَبيَّة ، وتوفي في سنة ١٠٦٥هـ/١٦٥٤م. (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢: ١٣٥-١٣٧ (١٣٤- ٣٥) ؛ جمال عبد الرؤوف : عمائر رضوان بك بالقاهرة ، القرن ١١هـ/١٧م - دراسة أثرية معمارية ، رسالة دكتوراه بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩٠).

[3] فيما يلي ٦٥٦ .

[4] لا تزال مَدْرَسَةُ جمال الدِّين محمود الأسْتاذار قائمةً في آخر شارع قَصَبَة رَضوان من أوَّل الخِيَمِيَّة بين عَطْفَة زُقاق المِسْك وجامع إينال على يسار المتجه من باب زَوِيلَة إلى المغربلين والسُّرُوجِيَّة . (راجع ، المقريزي : السلوك ٣: ٨٨٥؛=

يُرَتِّب بها دَرْسًا ولا غيره؛ ولعَمْري ما كان عاجِزًا عن ذلك ولكنَّه كان قد صَرَفَ هِمَّتَه وأَخَذَ نفسه في تَحْصيل المال ومُباشَرَة الوَظيفَة التي بيده، ولم يُجْد ذلك عليه نَفْعًا بل جَلَب إليه ضَرَرًا فإنَّه قُبِضَ عليه في سنة [a] واعْتُقِل بخِزانَة شَمائل إلى أن توفي بها ودُفِنَ في القُبَّة المذكورة. وأُخِذ من أمْوالِهِ ـ على ما يقالُ ـ ثلاثة آلاف ألف دينار وضُرِبَ وأُهينَ في يوم الأحد تاسع رَجَب سنة تسع وتسعين وسبع مائةٍ[b].



مُخطَّط مَدْرَسَة محمود الأسْتادَار (عن صالح لمعي)

وعَمِلَ فيها خِزَانَةَ كُتُبٍ لا يُعْرَف اليوم بديار مصر ولا الشَّام مثلها[1]، وهي باقية إلى اليوم لا يَخْرُجَ لأحَدٍ منها كِتابٌ إلَّا أن يكون في المَدْرَسَة، وبهذه الخِزانَة كُتُبُ الإسلام من

a) بياض في المُسَوَّدَة. b) نهاية القوس الذي بدأ في صفحة ٥٩٠.

= السخاوي: تحفة الأحباب ١٠٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٣٢٣؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٣٤ (٣٤)، ٥: ٢٤٩-٢٥٠ (١٠٩)، ٦: ٣٧ (١٥)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٩٧-١١٢).

[1] هنا على هامش نُسْخَة آياصوفيا: «قُلْتُ: هي كُتُب ابن جماعَة التي اشْتَراها بعد مَوْتِه، وهي كثيرةٌ جدًّا، =

كلِّ فَنّ. وهذه المَدْرَسَةُ من أَحْسَنِ مَدارِسِ مصر.

محمود بن عليّ بن أَصْفَـر عينه ـ الأمير جَمالُ الدِّين الأُسْتادَّار. وَلِيَ شَدّ باب رَشيد بالإسْكَنْدَرية مُدَّةً، وكانت واقِعَةُ الفِرنْج بها في سنة سبعٍ وستين وسبع مائةٍ وهو مُشِدّ، فيُقالُ إنَّ مالَه الذي وُجِدَ له حصَّلَه يومئذٍ، ثمّ إنَّه سارَ إلى القاهِرَة[1].

فلمَّا كانت أيّامُ الظَّاهِر بَرْقُوق خَدَمَ أُسْتادَّارًا عند الأمير سُودون باق، ثم اسْتَقَرَّ شِادّ الدَّواوين إلى أن ماتَ الأميرُ بَهادُر المَنْجَكي أُسْتادَّار السُّلْطان، فاسْتَقَرَّ عِوَضًا عنه في وَظيفَة الأُسْتادَّارية يوم الثلاثاء ثالِث جُمادَى الآخرة سنة تسعين وسبع مائةٍ، ثمّ خُلِعَ عليه في يوم الخميس خامسه واسْتَقَرَّ مُشير الدَّوْلَة؛ فصَارَ يَتَحدَّث في دَواوين السَّلْطَنَة الثَّلاثَة، وهي: الدِّيوان المُفْرَد الذي يتحدَّث فيه الأُسْتادَّار، وديوان الوَزارَة ويُعْرَف بالدَّوْلَة، وديوان الخَاصّ المتعلّق بنَظَر الخَواصّ. وعَظُمَ أَمْرُه ونَفَذَت كلمتُه لتصَرُّفه في سَائِر أُمورِ المملكة.

= قاله محمد».

أقول: هذه المكتبة كانت أحد أنْفس مكتبات القاهرة جَمَعَها القاضي بُرهانُ الدِّين أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الرَّحيم بن محمد بن جَماعَة الكِناني الحَمَوي المَقْدسي، المتوفى سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م. قال عنه ابنُ حَجَر: «خَلَّفَ من الكتب النَّفيسة ما يعزّ اجتماع مثله لأنَّه كان مُغْرَمًا بها، فكان يشتري النُّسْخَة من الكتاب التي إليها المنتهى في الحُسْن، ثم يقع له ذلك الكتاب بخطِّ مُصَنِّفه فيشتريه فلا يَتْرُك الأولى، إلى أن اقْتَنَى بخُطوط المُصَنِّفين ما لا يُعَبَّر عنه كثرة». (إنباء الغمر ١:٣٥٥). واشترى جَمالُ الدِّين محمود الأُسْتادَّار مَكتبته من تركته بعد مَوْته ووَقَفَها على مَدْرسته، وشَرَط أن لا يخرج منها شيءٌ من مَدْرَسَته.

ورَغْم أنَّ ابن حَجَر يذكر أنَّ مجموع كتب هذه الخِزانَة كان نحو أربعة آلاف مجلَّدة، فلم يتبق منها في نهاية القرن التاسع عشر ـ عندما جُمِعَت الكُتُب الموجودة في المدارس والمساجد لتُضَمّ إلى الكُتُبخانه الخديوية ـ سوى ثمانية وخمسين كتابًا فقط. (فؤاد سيد: «نصَّان قديمان في إعارة الكتب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٨)، ١٢٨؛ وانظر ترجمة برهان الدِّين ابن جماعة كذلك عند، المقريزي: درر العقود الفريدة ١:٨٥-٩٢ وفيه: «وقد قرأت عليه غير مَرّة واستفدتُ منه، وكان صديقًا لأبي، وسمع على جَدَّتي لأبي زَيْنَب بنت الكمال كتاب «المُوَطَّأ» على ما أخبرني بذلك من لَفْظِه رحمه الله وغَفَرَ له»، السلوك ٣: ٥٨٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٣١٤، المنهل الصافي ١:٩٧-٩٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١:٣٩-٤٠، إنباء الغمر ١: ٣٥٥؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١:١٧٩).

وقد خَرَجَت كُتُبُ هذه المكتبة في أعقابِ الفَتْحِ العُثْماني لمصر واستقرت في خزائن كتب إستانبول المختلفة، وعليها جميعًا نَصُّ وَقْفِيَّة جمال الدِّين محمود الأستادَّار. (أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط ٢٥٥-٢٥٧، وانظر الأنموذج المرفق).

[1] انظر ترجمة جمال الدِّين محمود الأستادَّار عند، المقريزي: السلوك ٣: ٨٨٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥:٩٧-٩٨؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢:١٥٩-١٦٠؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٤٥٤.

فلمَّا زَالَت دَوْلَةُ الملك الظَّاهِر بَرْقُوق بحُضُور الأمير يَلْبُغا النَّاصِري نائِب حَلَب، في يوم الاثنين خامِس جُمادَى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبع مائةٍ، بعَساكِر الشَّام إلى القاهِرَة واختفى الظَّاهِر ثم أَمْسَكه، هَرَبَ هو ووَلَدُه فنُهِبَت دُورُه.

ثم إنَّه ظَهَرَ من الاسْتِتار في يوم الخميس ثامِن جُمادَى الآخرة، وقَدَّمَ للأمير يَلْبُغا النَّاصِري مالاً كثيرًا، فقَبَضَ عليه وقَيَّدَه وسَجَنَه بقَلْعَةِ الجَبَل. وأُقيمَ بدَلَه في الأُسْتادَّارية الأَميرُ عَلاءُ الدِّين آقْبُغا الجَوْهَري.

فلمَّا زالت دَوْلَةُ يَلْبُغا النَّاصِري بقيام الأمير مِنْطاش عليه، قَبَضَ على آقْبُغا الجَوْهَري فيمن قُبِضَ عليه من الأُمَرَاء، وأَفْرَج عن الأمير محمود في يوم الاثنين ثامن شهر رَمَضان، وأَلْبَسَه قَباءً مطرَّزًا بذَهَب، وأنزله إلى دارِه. ثم قُبِضَ عليه، وسُجِنَ بخِزانَة الخاصّ في يوم الأحد سادس عشر ذي الحجَّة، في عِدَّةٍ من الأُمَرَاء والمماليك، عند عَزْم مِنْطاش على السَّفَر لحَرْبِ بَرْقُوق عند خُروجِه من الكَرَك ومسيره إلى دِمَشْق. فكانت جملةُ ما حمله الأمير محمود من الذَّهب العَيْن للأمير يَلْبُغا النَّاصِري وللأمير مِنْطاش، ثمانية وخمسين قِنْطارًا من الذَّهَب المصري، منها ثمانية عشر قِنْطارًا في ليلةٍ واحدة.

فلم يَزَل في الاعْتِقالِ إلى أن خَرَجَ المماليكُ مع الأمير بُوطا، في ليلة الخميس ثاني صَفَر سنة اثنتين وتسعين وسبع مائةٍ، فخَرَجَ معهم، وأقامَ بمنزله إلى أن عادَ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق إلى المملكة في رابع عشر صَفَر، فخَلَعَ عليه، و استقرَّ أُسْتادَّارَ السُّلْطان على عادَتِه في يوم الاثنين تاسع عشرين جُمادَى الأولى من السنة المذكورة عِوَضًا عن الأمير قُرْقُماس الطَّشْتَمُري بعد وَفاتِه. ثم خُلِعَ على وَلَدِه الأمير ناصِر الدِّين محمد بن محمود في يوم الخميس ثاني عشرين صَفَر سنة أربعٍ وتسعين وسبع مائةٍ، واستقرَّ نائِبَ السَّلْطَنَة بثَغْر الإسْكَنْدَرية عِوَضًا عن الأمير أَلْطُنْبُغَا المعلم، فقَوِيَت حُرْمَةُ الأمير محمود ونَفَذَت كلمتُه إلى يوم الاثنين حادي عشر رَجَب من السنة المذكورة. فثَارَ عليه المماليكُ السُّلْطانية بسبب تأخُّر كُسْوَتهم، ورَمَوه من أَعْلَى القَلْعَة بالحجارَة،
٢٩ /وأحاطوا به وضَرَبوه يُريدون قَتْلَه، لولا أنَّ الله أغاثَه بوُصُول الخَبَر إلى الأمير الكبير أَيْتَمُش ـ وكان يَسْكُن قَريبًا من القَلْعَة ـ فرَكِبَ بنفسه وساقَ حتى أَدْرَكَه، وفَرَّقَ عنه المماليك وسارَ به إلى مَنْزله حتى سَكَنَت الفِتْنَةُ، ثم شَيَّعه إلى دارِه.

فكانت هذه الواقِعَةُ مبدأ انْحِلال أمْرِه؛ فإنَّ السُّلْطانَ صَرَفَه عن الأُسْتادَّارية ووَلَّى الأمير الوَزير رُكْن الدِّين عُمَر بن قايماز في يوم الخميس رابع عشره، وخَلَعَ على الأمير محمود قَباءً بطُرُزٍ ذَهَب

واستقرَّ على إمْرته . ثم صُرِفَ ابن قايماز عن الأُسْتادَّارية ، وأُعيدَ محمود في يوم الاثنين خامس عشر رَمَضان ، وأُنْعِمَ على ابن قايماز بإمْرَة طَبْلَخاناه ، فجَدَّدَ بثَغْر الإسْكَنْدَرية دار ضَرْبٍ عُمل فيها فُلُوس ناقصة الوَزْن ، ومن حينئذٍ اخْتَلَّ حالُ الفُلُوس بديار مصر .

ثم لمَّا خَرَجَ الملكُ الظَّاهِرُ إلى البلاد الشَّامية في سنة ستٍّ وتسعين ، سارَ في رِكابِه ، ثم حَضَرَ إلى القاهِرَة في يوم الأربعاء سابع صَفَر سنة سبع وتسعين وسبع مائةٍ ، قبل حُضُور السُّلْطان ، وكان دُخُولُه يومًا مَشْهودًا . فلمَّا عادَ السُّلْطانُ إلى قَلْعَةِ الجبَل ، حَدَث منه تغَيُّر على الأمير محمود في يوم السبت ثالِث عشرين رَبيعِ الأوَّل ، وهَمَّ بالإيقاع به . فلمَّا صارَ إلى دارِه ، بَعَثَ إليه الأميرُ عَلاءُ الدِّين علي بن الطَّبْلاوي يَطْلُب منه خمس مائة ألف دينار ، وإن توَقَّف يُحيطُ به ويَضْربه بالمقارِع ، فنَزَلَ إليه ، وقَرَّرَ الحالَ على مائة وخمسين ألف دينار . فطَلَعَ على العادَة إلى القَلْعَةِ في يوم الاثنين خامِس عشرينه ، فسَبَّه المماليكُ السُّلْطانية ورَجَمُوه ، ثم إنَّ السُّلْطانَ غَضِبَ عليه ، وضَرَبَه في يوم الاثنين ثالِث رَبيعِ الآخر بسببِ تأخُّر النَّفَقَة ، وأَخَذَ أمْرُه يَنْحَلّ .

فوَلَّى السُّلْطانُ الأمير صَلاح الدِّين محمدًا ابن الأمير ناصِر الدِّين محمد ابن الأمير تَنْكِز أسْتادَّارية الأمْلاك السُّلْطانية في يوم الاثنين خامس رَجَب ، ووَلَّى عَلاءَ الدِّين علي بن الطَّبْلاوي في رَمَضان التَّحَدُّث في دارِ الضَّربِ بالقاهِرَة والإسْكَنْدَرية ، والتَّحَدُّث في المَتْجَر السُّلْطاني . فوَقَعَ بينه وبين الأمير محمود كلامٌ كثيرٌ ، ورافعه ابن الطَّبْلاوي بحَضْرَة السُّلْطان ، وخَرَجَ عليه من دارِ الضَّرْب ستة آلاف درهم فِضَّة .

فألزم السُّلْطانُ محمودًا بحَمْل مَبْلَغ مائة وخمسين ألف دينار فحَملَها ، وخَلَعَ عليه عند تَكْمِلَة حَمْلِها في يوم الأحد تاسِع عشرين رَمَضان ، وخَلَعَ أيضًا على وَلَدِه الأمير ناصِر الدِّين ، وعلى كاتِبه سَعْد الدِّين إبراهيم بن غُراب الإسْكَنْدَراني ، و على الأمير عَلاء الدِّين علي بن الطَّبْلاوي . ثم إن محمودًا وَعَكَ بَدَنُه ، فنَزَلَ إليه السُّلْطانُ في يوم الاثنين ثالِث عشر ذي القعدة يَعُودُه ، فقدَّم له عَدَّة تَقادُم ، قَبل بعضها ورَدَّ بَعْضَها ، و تَحَدَّثَ النَّاسُ أنَّه اسْتَقَلَّها .

فلمَّا كان يوم السبت سادس صَفَر سنة ثمانٍ وتسعين ، بَعَثَ السُّلْطانُ إلى الأمير محمود الطَّواشي شَاهين الحَسَني ، فأَخَذَ زَوْجَتيْه وكاتِبَه سَعْد الدِّين إبراهيم بن غُراب ، وأَخَذَ مالًا وقُماشًا على حمالين وصارَ بهما إلى القَلْعة ، هذا ومحمود مَريضٌ مُلازم الفراش . ثم عادَ من يَوْمه وأَخَذَ الأمير ناصِر الدِّين محمد بن محمود ، وحَمَله إلى القَلْعَة .

ثم نَزَل ابن غُراب ومعه الأمير ألي باي الخازِنْدار في يوم الأحد سابعه ، وأَخَذا من ذَخِيرَة بدار محمود خمسين ألف دينار . وفي يوم الخميس حادي عشره ، صُرِفَ محمود عن الأُسْتادّارية ، واسْتَقَرَّ عِوَضَه الأميرُ سَيْفُ الدِّين قَطْلُوبك العَلائي أَسْتادّار الأمير الكبير أَيْتَمُش ، وقُرِّرَ سَعْدُ الدِّين ابن غُراب ناظِر الدِّيوان المُفْرَد ، فاجْتَمَع مع ابن الطَّبْلاوي على عَداوَة محمود والسَّعْي في إهْلاكِه ، وسَلَّمَ ابن محمود إلى ابن الطَّبْلاوي في تاسِع عشر رَبيعِ الأَوَّل ليَسْتَخْلِص منه مائة ألف دينار .

ونزَلَ الطَّواشي صَنْدَل المَنْجَكي والطَّواشي شَاهِين الحَسَني في ثالِثِ عشرينه ومعهما ابنُ الطَّبْلاوي ، فأَخَذَا من خَرِبَة خَلْف مَدْرَسَة محمود زيرَيْن كبيرين وخمسة أَزْيار صِغارًا وُجِدَ فيها ألف ألف دِرْهَم فِضَّة ، فحُمِلَت إلى القَلْعَة ، ووُجِدَ أيضًا بهذه الخَرِبَة جَرَّتان : في إحداهما ستة آلاف دينار ، وفي الأخرى أربعة آلاف دِرْهم فِضَّة وخمس مائة دِرْهَم ، وقُبِضَ على مُباشري محمود ومُباشري وَلَده ، وعُوقِبَ محمود .

ثم أُوقِعَت الحَوْطَةُ على مَوْجُودِ محمود في يوم الخميس سابع جُمادَى الأولى ، ورَسَمَ عليه ابن الطَّبْلاوي في دارِه ، وأَخَذَ مماليكَه وأَتْباعَه ، ولم يَدَع عنده غير ثلاثة مَماليك صِغار ، وظَهَرَت أَمْوالُ محمود شيئًا بعد شيءٍ . ثم سَلَّمَ إلى الأمير فَرَج شادّ الدَّواوين في خامِس جُمادَى الآخرة ، فنَقَلَه إلى دارِه وعاقَبَه وعَصَرَه في ليلته ثم نُقِلَ في شَعْبان إلى دارِ ابن الطَّبْلاوي ، فضَرَبَه وسَعَطَه وعَصَرَه ، فلم يَعْتَرِف بشيءٍ .

وحُكِيَ عنه أنَّه قال : لو عَرَفْتُ أنّي أُعاقَب ما اعْتَرَفْتُ بشيءٍ من المال . وظَهَرَ منه في هذه المِحْنَة ثَباتٌ وجَلَدٌ وصَبْرٌ ، مع قُوَّةِ نَفْسٍ وعَدَم خُضُوع ، حتى إنَّه كان يسبّ ابن الطَّبْلاوي إذا دَخَلَ إليه ، ولا يرفع له قَدْرًا . ثم إنَّ السُّلْطان اسْتَدْعاه إلى ما بين يَدَيْه يوم السبت أَوَّل صَفَر سنة تسعٍ وتسعين ، وحَضَر سَعْدُ الدِّين بن غُراب ، فشافَهه بكلِّ سُوءٍ ، ورافَعَه في وَجْهه حتى اسْتَغْضَب السُّلْطان على محمود ، وأَمَرَ بمُعاقَبته حتى يَمُوت . فأُنْزِلَ إلى بَيْت الأمير حُسام الدِّين حسين ، ابن أُخْت الغَرْس[a] شادّ الدَّواوين ـ وكان أُسْتادّار محمود ـ فلم يَزَل عنده في العُقوبة . إلى أن نُقِلَ من دارِه إلى خِزانة / شَمائِل في ليلة الجُمُعَة ثالِث جُمادَى الأولى ، وهو مَرِيضٌ ، فماتَ بها في ليلة الأحد تاسِع رَجَب سنة تسع وتسعين وسبع مائةٍ ، ودُفِنَ من الغَدِ بمَدْرَسَته ، وقد أنافَ على الستين سنة .

a) بولاق : الفرس .

وكان كَثيرَ الصَّلاة والعِبادَة، مُواظِبًا على قِيامِ اللَّيل. إلَّا أنَّه كان شَحيحًا مَسيكًا، شَرِهًا في الأمْوال، دُهي[a] النَّاس منه في رماية البضائِع بدَواهٍ[b]، إذا نُسِبَت إلى ما حَدَثَ من بعده كانت عاقِبة ونعمة، وأَكْثَر من ضَرْب الفُلُوس بديار مصر حتى فَسَدَ بكثرتها حالُ إقْليم مصر[١].

وكان جُمْلَةُ ما حُمِلَ من ماله، بعد نَكْبَته هذه، مائة قِنْطار ذَهَبًا وأربعين قِنْطارًا: عنها ألف ألف دينار وأربع مائة ألف دينار عَيْنًا، وألف ألف دِرْهَم فِضَّة. وأُخِذَ له من البَضائِع والغِلال والقُنُود والأَعْسَال ما قيمته ألف ألف دِرْهَم وأزْيَد[c].

المَدْرَسَةُ المُهَذَّبِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بحَارَة حَلَب خارِج القاهِرَة عند حَمَّام قَماري[٢]، بناها الحكيمُ مُهَذَّبُ الدِّين محمَّد بن أبي الوَحْش ـ المعروف بابن أبي حُلَيْقَة (تصغير حَلْقَة)[٣] ـ رَئيس الأطبَّاء كان بالديار المصرية[d]، وَلِيَ رياسَة الأطِبَّاء في حادي عشر رَمَضان سنة أربعٍ وثمانين وستّ مائةٍ، واستقرَّ يُدَرِّس الطِّبّ بالمارِسْتان المَنْصوري.

المَدْرَسَةُ السَّعْدِيَّة

[أثر رقم ٢٦٣]

هذه المَدْرَسَةُ خارِج القاهِرَة بقُرْبِ حَدْرَةِ البَقَر على الشَّارِع المسلوك فيه من حَوْضِ ابن هَنَس إلى الصَّليبَة[٤]، وهي فيما بين قَلْعَة الجَبَل وبِرْكة الفيل. كان مَوْضِعُها يُعْرَف بخُطِّ بُسْتان سَيْف الإسْلام، وهي الآن في ظَهْر إسْطَبْل الأمير قُوصُون[e] المقابِل لبابِ السِّلْسِلَة من

a) بولاق: رمى. b) بولاق: بدواة. c) بولاق: وأكثر. d) بولاق: رئيس الأطباء بديار مصر، والمثبت من المُسَوَّدة. e) بولاق، والنسخ: بيت قوصون، والمثبت من المُسَوَّدة، وانظر فيما تقدم ٣: ٢٧٥.

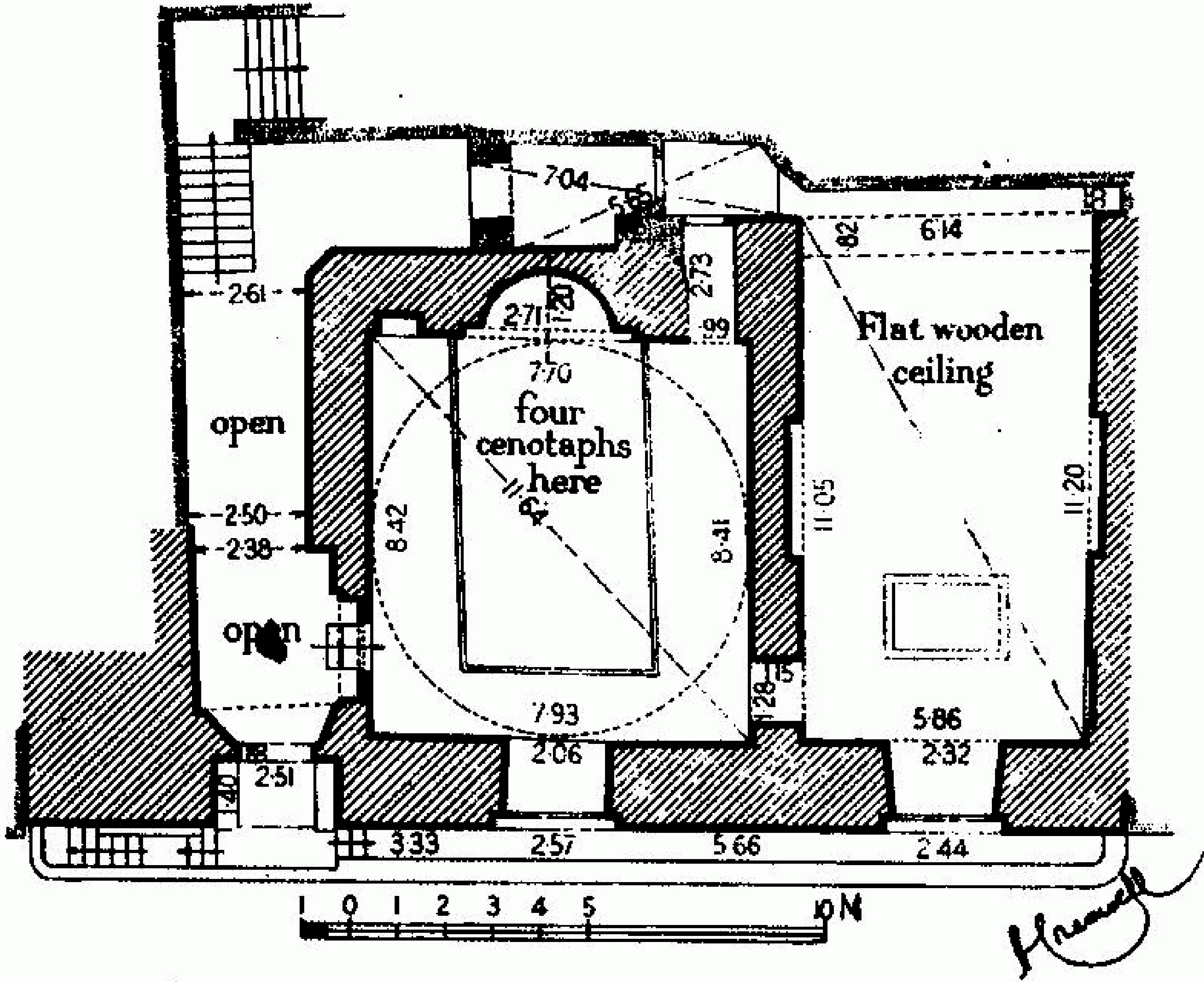
[١] انظر كذلك فيما يلي ٧٥٦.

[٢] كانت هذه المَدْرَسَة موجودةً في نهاية القرن التاسع عشر داخل عَطْفَة مُراد بك بأوَّل شارع الحلمية وتُعْرَف بـ «تِكِيَّة الخَلْوَتية». (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٤٨ (٤٠)، ٦: ٤١ (١٦))؛ وفيما تقدم ٤٧١.

[٣] انظر فيما تقدم ٤٧١.

[٤] هو الشَّارِعُ المعروف الآن بشارع الشَّيْوفِيَّة الذي يصل بين شارع محمد علي (القلعة) وشارع شَيْخُون عند صليبة ابن طُولُون.

قَلْعَةِ الجَبَل (aبجوار بابِ سِرّ الإسْطَبْل المذكورa) [١]. بناها الأميرُ شَمْسُ الدِّين سُنْقُر السَّعْدي، نَقيبُ المماليك السُّلْطانية، في سنة خمس عشرة وسبع مائةٍ، وبَنَى بها أيضًا رِباطًا للنِّساء [٢].



مُخَطَّط مَدْرَسَة سُنْقُر السَّعْدي وقُبَّة حَسَن صَدَقَة (التكية المولوية) (عن Creswell)

وكان شَديدَ الرَّغْبَة في العَمَائِر مُحِبًّا للزِّراعَة كثيرَ المالِ ظاهِر الغِنَى. وهو الذي عَمَّر القَرْيَة التي

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة.

---

[١] انظر عن بَيْت (إسْطَبْل) قَوْصُون، فيما تقدم ٣: ٢٣٥-٢٣٨.

[٢] يوجد شَريطٌ من الكتابة بالخَطِّ النَّسْخ المملوكي على جوانب تابوتٍ خشبي كان بالمَدْرَسَة يَدُلُّ على ذلك، =

تُعْرَف اليوم بالنَّحْرِيرِيَّة من أعْمالِ الغَرْبِيَّة ، وكانت إقطاعَه [1] . ثم إنَّه أُخْرِجَ من مصر بسَبَبِ نِزاعٍ وَقَعَ بينه وبين الأمير قُوصُون في أرْضٍ أخذها منه ، فسارَ إلى طَرَابُلُس وبها ماتَ في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مائةٍ .

المَدْرَسَةُ الطُّغْجِيَّة [a]

هذه المَدْرَسَة بخُطِّ حَدْرَةِ البَقْر أيضًا ، أنشأها الأميرُ سَيْفُ الدِّين طُغْجي [b] الأَشْرَفي ، ولها وقفٌ جَيِّد [c] [2] .

---

a) بولاق : الطفجية . b) بولاق : طفجي . c) يوجد هنا بياض في الأصل ، كما جاء على هامش نسخة ميونخ .

= نَصُّه :

«بسم الله الرَّحمن الرحيم . أمَرَ بإنْشَاء هذا المكان المبارك الأمير الأجَلّ الكبير المحتَرَم المخدوم المجاهِد المُرابِط المثاغِر المؤيَّد المُظَفَّر المَنْصُور عُمْدَة الملوك اختيار السَّلاطين، المُقَدَّمي الإسْفِهسلاري العَوْفي السَّيِّدي المُنْعمي المُفضَّلي الأعَزّي الأخَصِّي الأوْحدي الأثيري الأمْجدي الأكملي الظَّهيري الكفيلي المعيني السَّنَدي الورعي الزَّعيمي الزَّيْني الذُّخْري العالِمي العامِلي الزاهِدي الغَيَّاثي الهُمامي مُقَدَّم الأمَرَاء المماليك السُّلْطانية الشَّمْسي شَمْس الدِّين سُنْقُر السَّعْدي الملكي النَّاصِري ، أدام الله سعادته» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 529, Wiet, G., *RCEA* XIV, n° 5355) .

ويوجد كذلك داخل المَدْرسة ضريحُ الشيخ حَسَن صَدَقَة ، ويوجد على ضَريحه ثلاثة أسطر بالخط النسخ المملوكي تدُلّ على ذلك ، نَصُّها :

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم - الآية ٢٦ سورة الرَّحْمَن - هذا ضَريحُ الشَّيْخ السَّيِّد الشَّريف الوَرِع الزَّاهد العابِد الشَّيْخ صَدَقَة ، تَغَمَّدَه الله برحمته . وذلك بتاريخ مستهلّ سنة خمسة عشر (كذا) وسبع مائة» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 530; Wiet, G., *RCEA* XIV, n° 5354) .

وقد تحَوَّلت هذه المَدْرسة في العصر العُثْماني إلى تكية للدَّراويش المَوْلَوية ، وقد اهتم بترميم هذه المدرسة - التي لم يكن مسجلًا منها سوى واجهتها ومنارتها - المهندس الإيطالي جوزيبي فانفوني ، وهي تعدُّ من أدقّ أعمال ترميم آثار القاهرة الإسلامية . (راجع ، ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٢٤، ٤٥٨ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦ : ١٧-١٨ (٨) ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٣٣٣ ؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 267-69 ؛ وعن أعمال الترميم التي تمَّت بالمَدْرَسة راجع ، Fanfoni, G., & Buri, C., «The Mawlawiyya and the Madrasa of Sunqur Saʿdî with the Mausoleum of Hasan Sadaqa», *A.A.R.P.* XVI (1980), pp. 62-65, Fanfoni, G., «Il complesso architectorico dei dervisci mewlewi in Cairo», *RSO* LVII (1983), pp. 77-92; id., «An Underlying Geometrical Design of the *Samâʿ-Hana* in Cairo», *An.Isl.* XXIV (1988), pp. 207-32 ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢ : ٤٦٣ - ٤٧٨ ؛ ويُعِدُّ ماهر سعيد عَوَض الله رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة موضوعها : «التكية المَوْلوية - دراسة آثارية حضارية» .

[1] انظر فيما تقدم ١ : ٦١٣ ، ٦٧٦ ؛ وراجع ترجمة سُنْقُر السَّعْدي عند ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ٢٧٣ .

[2] تُعْرَف الآن بزاوية الشيخ عبد الله والسِّتّ ملكة =

طُغْجي

الأَميرُ سَيْفُ الدِّين[1] ـ كان من جملة مَماليك الملك الأَشْرَف خَليل ابن قَلاوون ، ترقَّى في خِدْمَته حتى صارَ من جملة أُمَراء ديار مصر . فلمَّا قُتِلَ الملكُ الأَشْرَفُ ، قام طُغْجي في المماليك الأَشْرَفِيَّة ، وحارَب الأمير بَيْدَرًا ، المتولِّي لقَتْل الأَشْرَف ، حتى أَخَذَه وقَتَلَه .

فلمَّا أُقيم الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في المملكة ، بعد قَتْل بَيْدَرا ، صارَ طُغْجي من أكابِر الأُمَراء ، واسْتَمَرَّ على ذلك بعد خَلْعِ الملك النَّاصِر بكَتْبغا مُدَّةَ أيَّامِه ؛ إلى أن خُلِعَ الملكُ العادِلُ كَتْبغا ، وقامَ في سَلْطَنَةِ مصر الملك المَنْصور لاجين ، ووَلِيَ مَمْلوكُه الأميرُ سَيْفُ الدِّين مَنْكُوتَمُر نِيابَةَ السَّلْطَنَة بديار مصر ، فأَخَذَ يُواحِش أُمَرَاء الدَّوْلَة بسُوءِ تصرُّفه .

واتَّفَقَ أنَّ طُغْجي حَجَّ في سنة سبعٍ وتسعين وستّ مائة ، فقرَّر مَنْكوتَمُر مع المنصور أنَّه إذا قَدِمَ من الحَجّ يُخْرِجه إلى طَرابُلُس ، ويقبض على أخيه الأمير سَيْف الدين كُرْجي . فعندما قَدِمَ طُغْجي من الحِجَاز ، في صَفَر سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائةٍ ، رَسَمَ له بنِيابَة طَرابُلُس ، فثَقُل عليه ذلك ، وسَعَى بإخوته الأَشْرَفية حتى أعْفاه السُّلْطانُ من السَّفَر .

فسَخِطَ مَنْكُوتَمُر ، وأَبَى إلَّا سَفَر طُغْجي ، وبَعَثَ إليه يُلْزِمه بالسَّفَر ـ وكان لاجين مُنْقادًا لمَنْكوتَمُر لا يُخالفه في شيءٍ ـ فتَواعَدَ طُغْجي وكُرْجي مع جَماعَةٍ من المماليك ، وقَتَلوا لاجين . وتولَّى قَتْلَه كُرْجي وخَرَجَ ، فإذا طُغْجي في انتظارِه على بابِ القُلَّة من قَلْعَةِ الجَبَل ، فسُرَّ بذلك ، وأَمَرَ بإحْضارِ مَن بالقَلْعَة من الأُمَرَاء ـ وكانوا حينئذٍ يَبِيتون بالقَلْعَة دائِمًا ـ وقَتَلَ مَنْكوتَمُر في تلك الليلة ، وعَزَم على أنَّه يَتَسَلْطَن ، ويُقيم كُرْجي في نِيابَة السَّلْطَنة ، فخَذَلَه الأُمَرَاءُ .

= بشارع الحلمية رقم ٧ ، جَدَّدَها علي باشا مبارك عند تجديد داره المجاورة لها سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م وبداخِلها ضَريحُ سَيْف الدِّينِ طُغْج . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢:١٤٦-١٤٧ (٣٩) ، ٦:١٠٢ (٣٧) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:١١٢هـ[3]) .

[1] راجع ترجمة الأمير سَيْف الدِّين طُغْجي ـ بالطاء المهملة والعين المعجمة والجيم ـ المتوفى مَقْتُولًا سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م ، عند الصفدي : أعيان العصر ٢:٦٠٤-٦٠٥ ، الوافي بالوفيات ١٦:٤٥٢-٤٥٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ٣١:٣٦٥-٣٦٦ (وهو فيه طقجي بالقاف) ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٨:٣٧٧-٣٨٣ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١:٢١٢ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤:٢١-٢٦ ، السلوك ١:٨٦٥-٨٦٨ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٨:١٨٣ ، المنهل الصافي ٦:٤١٤-٤١٥ .

وهو صاحِبُ الرَّبْع المعروف بـ « رَبْع طُغْج » الذي كانت بقاياه قائمةً في المنطقة الواقعة بين زاوية الشَّيخ عبد الله (المَدْرَسَة الطُّغْجِيَّة) وجامِع أُلْماس بالحلمية الجديدة ، ومسجلة بالآثار برقم ٢٨٧ . ويوجد ضريحه داخل الزاوية المعروفة بزاوية عبد الله المذكورة في الهامش السابق .

وكان الأميرُ بَدْرُ الدِّين بَكْتاش الفَخْري أمير سلاح قد خَرَج في غَزَاةٍ وقَرُب حُضورُه، فاسْتَمْهلوه بما يُريد إلى أن يَحْضر، فأَخَّرَ سَلْطَنَته، وبقي الأُمَرَاءُ في كلِّ يومٍ يحضرون معه في بابِ القُلَّة، ويجلس في مَجْلِس النِّيابَة والأُمَرَاءُ عن يمينه وشِماله، ويُمَدُّ سِماطُ السُّلْطان بين يديه. فلمَّا حَضَرَ أميرُ سِلاح بمن معه من الأُمَرَاءِ، نَزَلَ طُغْجي والأُمَرَاءُ إلى لقائِهم بعدما امْتَنَعَ امْتِناعًا كثيرًا، وتَرَكَ كُرْجي يَحْفَظ القَلْعَة بمن معه من المماليك الأَشْرَفِيَّة. وقد نَوَى طُغْجي الشَّرَّ للأُمَرَاءِ الذين قد خَرَجَ إلى لِقائهم، وعَرَفَ ذلك الأُمَرَاءُ المُقيمون عنده في القَلْعَة، فاستعدُّوا له، وسارَ هو والأُمَرَاءُ إلى أن لَقَوْا الأمير بَكْتاش، / ومعه من الأَشْرَفِيَّة أربع مائة فارِس تَحْفَظُه حتى يعود من اللِّقاء إلى القَلْعَة.

فعندما وافاه بقُبَّةِ النَّصْر وتَعانَقَا، أَعْلَمَه بقَتْلِ السُّلْطان، فشَقَّ عليه. وللوَقْت جَرَّدَ الأُمَرَاءُ سُيُوفَهم، وارْتَفَعَت الضَّجَّةُ، فساقَ طُغْجي من الحَلْقَة والأُمَراء وَراءَه إلى أن أَدْرَكه قَراقُوش الظَّاهري، وضَرَبه بسَيْفٍ أَلْقاه عن فَرَسِه إلى الأَرْض مَيِّتًا، ففَرَّ كُرْجي، ثم أُخِذَ وقُتِلَ، وحُمِلَ طُغْجي في مَزْبَلَةٍ من مَزابل الحَمَّامات على حمارٍ إلى مَدْرَسَته هذه، فدُفِن بها، وقَبْرُه هناك إلى اليوم.

وكان قَتْلُه في يوم الخميس سادس عشر رَبيعٍ الأَوَّل سنة ثمانٍ وتسعين وستِّ مائةٍ، بعد خمسة أيَّام من قَتْلِ لاجين ومَنْكُوتَمُر.

المَدْرَسَةُ الجَاوْلِيَّة

[أثر رقم ٢٢١]

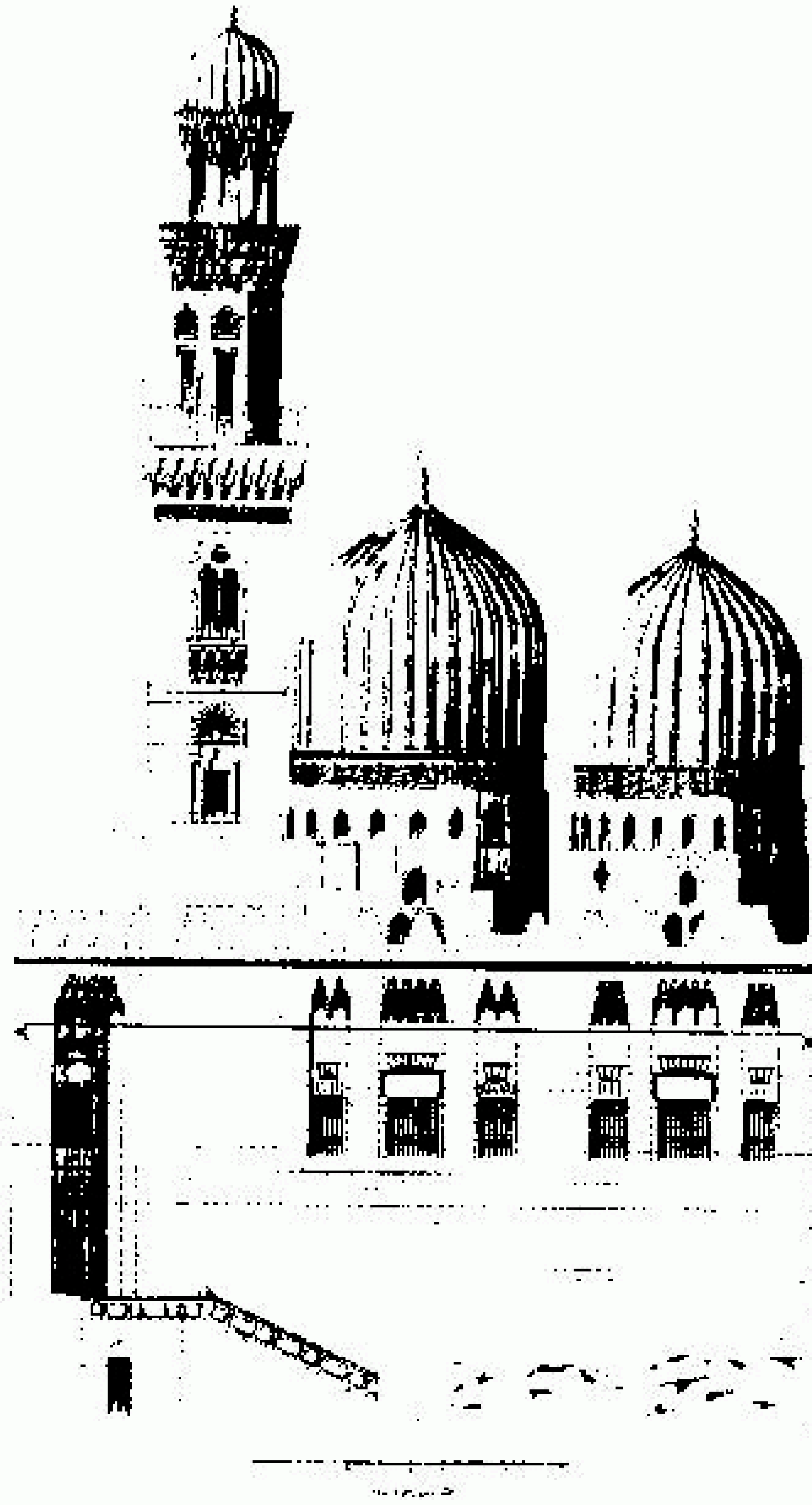
هذه المَدْرَسَةُ بجوار الكَبْش، فيما بين القاهِرَة ومصر [1]. أنشأها الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِرُ الجَاوْلي في سنة ثلاثٍ وسبع مائةٍ [a]، وعَمِلَ بها دَرْسًا وصُوفية، ولها اليَوْم [b] عِدَّةُ أَوْقاف.

---

a) في المُسَوَّدَة وجميع النسخ: ثلاث وعشرين وسبع مائة، وما أثبته هو التاريخ الصحيح. b) بولاق: ولها إلى هذه الأيَّام.

---

[1] لا تزالُ هذه المَدْرَسة ـ التي تُعْرَف بـ «جَامِع الجاوْلي» وبـ «الجَامِع المُعَلَّق» ـ قائمةً في شارع عبد المجيد اللَّبَّان (مراسينا سابقًا) الآخذ من السيدة زينب إلى صَليبَة ابن طُولُون وميدان صَلاح الدِّين. وهي مبنية على رَبْوَةٍ عالية. ويرى المرحوم حسن عبد الوهاب أنَّ تصميم هذه المَدْرَسَة شاذ عن تصميم المساجد والمدارس، فلا هو تَصْميمُ مسجد ولا هو تَصْميمُ =



رَسْمٌ للواجِهَة الرَّئيسَة للمَدْرَسَة الجاوْلية (عن اللجنة)

= مَدْرَسَة، بل هو أقربُ إلى تَصْميم الخَوانِق لتفاصيله المعمارية.

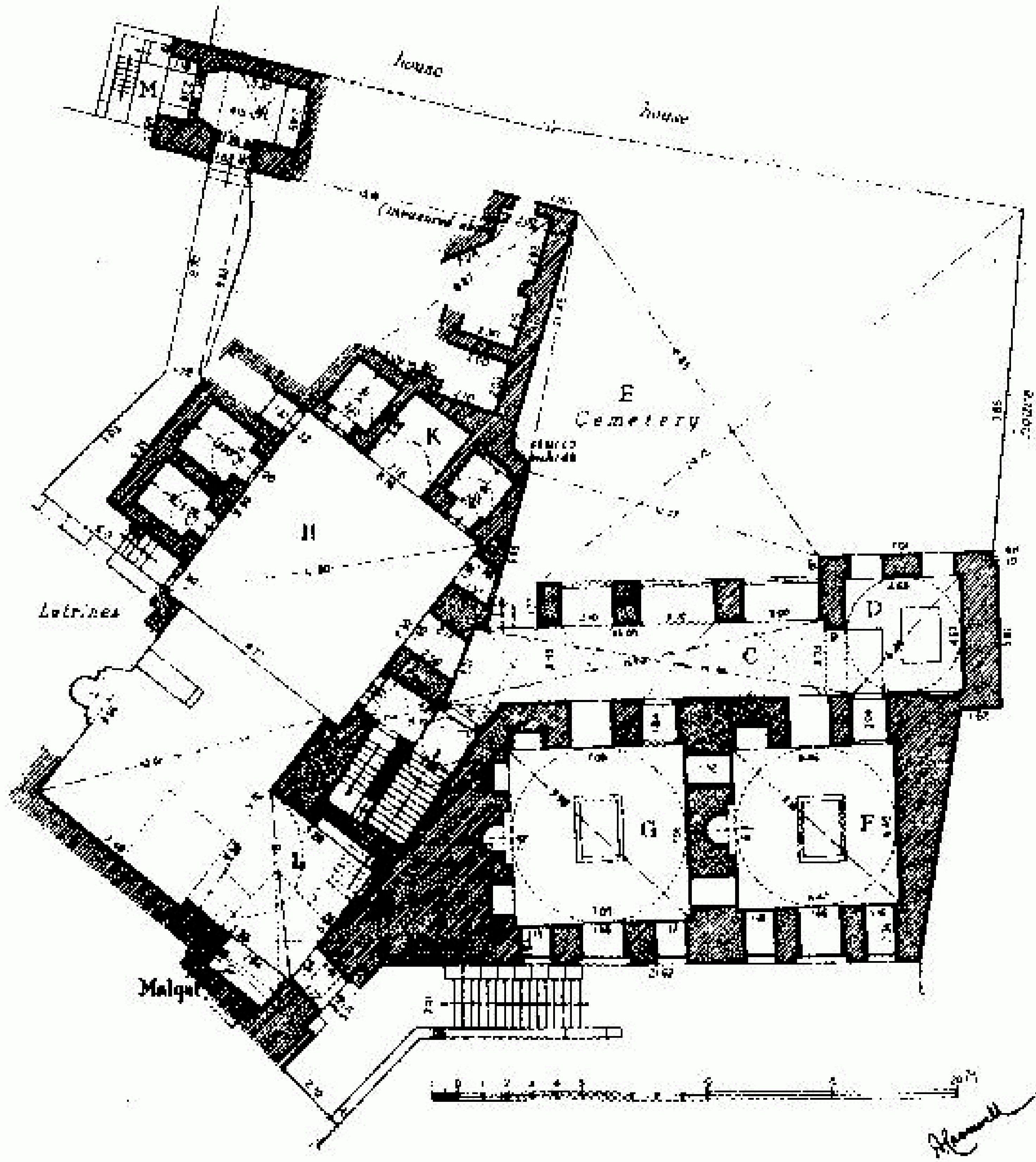
ونَصُّ المقريزي في المُسَوَّدَة وسائر النُّسَخ يذكر أنَّها أُنْشِئَت في سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، غير أنَّ اللَّوْحَتَيْن التَّذكاريتين المثبتتين بأعلى بابِ المَدْرَسَة وعلى بابِ تُرْبَة الأمير سَلار ـ الذي دُفِنَ بعد وفاته سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م في تُرْبته على الكَبْش بجوار المَدْرَسَة ـ لا تَدَع مجالًا للشَّك في أنَّها أُنْشِئَت سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م. الكتابةُ الأولى أعلى باب الواجهة الشمالية، ونَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآية ١٨ سورة التوبة ـ عُمِلَ هذا المكان في شهور سنة ثلاثٍ وسبع مائة».

والكتابة الثانية فوق البابِ المؤدي إلى مَدْفَنِ الأميرين، ونَصُّها:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآية ٢٦ سورة الرحمن ـ هذه تُرْبَةُ العَبْد الفقير إلى الله تعالى سَيْف الدِّين سَلار نائب السَّلْطَنَة المُعَظَّمة الملكي النَّاصري المنصوري، المستغفر من ذَنْبِه، الرَّاجي عَفْو رَبِّه رَحِمَ الله من دَعَا له بالرَّحمة ولجميع المسلمين. عُمِلَ هذا المكان المبارك في شهور سنة ثلاثٍ وسبع مائة».

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآية ٢٦ سورة الرحمن ـ هذه تُرْبَة العَبْد الفقير إلى الله تعالى المُسْتَغْفِر من ذَنْبِه الرَّاجي عَفْو رَبِّه سِنْجِر الجاوْلي أستاذ الدَّار العالية الملكي النَّاصري المَنْصوري رَحِمَ الله من دَعَا له بالرحمة في شهور سنة [ثلاث وسبع مائة]». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, nos 105-107; Wiet, G., *RCEA* XIII, nos 5163-65).



مُخَطَّط مدرسة سلار وسنجر الجاولي (عن Creswell)

سِنْجِر بن عبد الله ـ الأميرُ عَلَمُ الدِّين الجاوْلي ، كان مَمْلوك جاوْلي ، أَحَد أُمَراء الملك الظَّاهر بَيْبَرْس [1]، و انْتَقَلَ بعد مَوْتِ الأمير جاوْلي إلى بَيْتِ قَلاوون ، وخَرَجَ في أَيَّام الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون إلى الكَرَك ، واستقرَّ في جملة البَحْرِيَّة بها إلى أَيَّام العادِل

= وراجع عن تاريخ المَدْرسة وتخطيطها ، المقريزي : السلوك ٢: ٦٧٤؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٩؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤: ١٥٥-١٥٦ (٧٤)، ٦: ١٤٢ (٥٠)؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٢٤- ١٣٠؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 242-45، سعاد ماهر : مساجد مصر ٣: ١٤٠- ١٥١؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٣٤٩- ٣٦٦.

وأزال السَّخاوي في (تحفة الأحباب ١١١) هذا الالْتباس في نَصّ المَقريزي ، حيث ذكر أن الأمير عَلَم الدِّين سِنْجر الجاوْلي جَدَّدَ المَدْرَسَة في سنة ٧٢٣هـ . وقد أعاد المقريزي ذكر هذه المَدْرَسَة مَرَّةً أخرى عند ذكر الخَوانِق (فيما يلي ٧٦٥).

[1] راجع ترجمة الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الجاوْلي ، المتوفى سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م ، عند ؛ الصفدي : أعيان العصر ٢: ٤٦٧- ٤٧٠، الوافي بالوفيات ١٥: ٤٨٢- ٤٨٤؛ المقريزي : السلوك ٢: ٦٧٤؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٢٦٦- ٢٦٨؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ١٠٩- ١١٠، المنهل الصافي ٦: ٧٤- ٧٦.

كَتْبُغا ، فحَضَرَ من عند نائِب الكَرَك ومعه حَوائِجْ خاناه فرَفَعَه كَتْبُغا وأقامَه على الحُوْشخاناه السُّلْطانية . وصَحِبَ الأمير سَلارَ وواخاه ، فتقدَّم في الخِدْمَة ، وبقي أُسْتادّارًا صَغيرًا في أيَّام بَيْبَرْس وسَلار ، فصارَ يَدْخُل على السُّلْطان الملك النَّاصِر ويَخْرُج ، ويُراعى مصالِحَه في أَمْرِ الطَّعام ويَتَقَرَّب إليه .

فلمَّا حَضَرَ من الكَرَك ، جَهَّزَه إلى غَزَّة نائِبًا في جُمادَى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مائةٍ ، عِوَضًا عن الأمير سَيْف الدِّين قُطْلُوأَقْتَمُر صِهْر الجَالِق[a] بعد إمْساكِه ، وأضافَ إليه مع غَزَّة السَّاحِلَ والقُدْس وبَلَدَ الخَليل وجَبَلَ نابُلُس ، وأعْطاهُ إقْطاعًا كبيرًا ، بحيث كان للواحِد من مَماليكه إقْطاعٌ يعمل عشرين ألفًا وخمسة وعشرين ألفًا .

وعَمِلَ نِيابَةَ غَزَّة على القالَب الجائِر إلى أن وَقَعَت بينه وبين الأمير تَنْكِز ، نائِب الشَّام ، بسببِ دارٍ كانت له تِجاه جَامِع تَنْكِز خارِجَ دِمَشْق من شَمالِها ، أرادَ تَنْكِز أن يَبْتاعَها منه فأبَى عليه . فكَتَبَ فيه إلى الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، فأَمْسَكَه في ثامن عشرين شَعْبان سنة عشرين وسبع مائةٍ ، واعْتَقَلَه نحوًا من ثمانِ سنين ، ثم أَفْرَجَ عنه في سنة تسعٍ وعشرين ، وأعْطاه إمْرَة أربعين . ثم بعد مدَّةٍ أعْطاه إمْرَة مائة ، وقَدَّمه على ألف ، وجَعَلَه من أُمَراءِ المَشُورَة .

فلم يَزَل على هذا إلى أن ماتَ الملكُ النَّاصِرُ ، فتوَلَّى غَسْله ودَفْنه . فلمَّا وَلِيَ الملكُ الصَّالِحُ إسماعيل بن محمد بن قَلاوون سَلْطَنَة مصر ، أَخْرَجَهُ إلى نِيابَةِ حَماه ، فأقامَ بها مُدَّةَ ثلاثة أشهر . ثم نَقَلَه إلى نِيابَة غَزَّة ، فحَضَرَ إليها وأقامَ بها نحو ثلاثة أشهر أيضًا . ثم أَحْضَرَهُ إلى القاهِرَة وقَرَّره على ما كان عليه ، ووَلِي نَظَر المارِسْتان بعد نائِب الكَرَك عندما أُخْرِجَ إلى نِيابَة طرابُلُس .

ثم تَوَجَّه لحِصَارِ النَّاصِر أحمد بن النَّاصِر[b] محمد بن قَلاوون ، وهو مُمْتَنِع في الكَرَك ، فأَشْرَفَ عليه في بعض الأيَّام النَّاصِر أحمد من قَلْعَة الكَرَك ، وسَبَّه وشَيَّخَه . فقال له الجاوْلي : نَعَم أنا شَيْخٌ نَحْس ، ولكن السَّاعَة تَرَى حالَك مع الشَّيْخ النَّحْس . ونَقَلَ المَنْجَنيق إلى مَكانٍ يعرفه ورَمَى به ، فلم يُخْطِئ القَلْعَة وهَدَم منها جانِبًا ، وطَلَعَ بالعَسْكَر وأَمْسَكَ أحمد وذُبِحَ صَبْرًا ، وبَعَثَ برأسِه إلى الصَّالِح إسماعيل . وعادَ إلى مصر فلم يَزَل على حالِه إلى أن ماتَ في منزله بالكَبْش ، يوم الخميس تاسع رَمَضَان سنة خمسٍ وأربعينَ وسبع مائةٍ ، ودُفِنَ بمَدْرَسَته . وكانت جَنازَتُه حافِلَةً إلى الغاية .

---

a) بولاق : عبد الخالق . b) ساقطة من بولاق .

وكان[a] قد سَمِعَ الحَديثَ ورَوَى ، وصَنَّف شَرْحًا كبيرًا على «مُسْنَد» الشَّافِعِيّ - رضي الله عنه[b] - ، وأفْتَى في آخِرِ عمره على مَذْهَبِ الشَّافِعِيّ ، وكَتَبَ خَطَّه على فَتَاوَىٰ عديدة . وكان خبيرًا بالأمُور ، عارِفًا بسياسة المُـلْك ، كُفؤًا لما وَلِيَهُ من النِّيابات وغيرها ، لا يزال يَذْكُر أصْحابَه في غَيْبَتِهم عنه ، ويُكْرِمهم إذا حَضَرُوا عنده ، وانْتَفَعَ به جَماعَةٌ من الكُتَّاب والعُلَماء والأُمَراء[a] والأكابِر .

وله من الآثارِ الفاضِلة[c] جَامِعٌ بمَدينة غَزَّة في غاية الحُسْن [1] ، وله بها أيضًا حَمَّامٌ مَليحٌ ، ومَدْرَسَةٌ للفُقَهاءِ الشَّافِعِية ، وخَانٌ للسَّبيل .

وهو الذي مَدَّن غَزَّة ، وبَنَى بها أيضًا مارِسْتانًا ، ووَقَفَ عليه عن الملك النَّاصِر أوْقافًا جَليلَة ، وجَعَلَ نَظَرَه لنُوّابِ غَزَّة ، وعَمَّرَ بها أيضًا المَيْدان والقَصْر ، وبنى بِبَلَدِ الخَليل - عليه السَّلام - جَامِعًا سقفه منه حَجَرٌ نَقْر ، وعَمَّرَ[d] الخَان العَظيم بقاقُون ، والخَان بقرية الكتيبة ، والقَناطِر بغابة أرْسُوف ، وخَان سَلار[e] في حَمْراء بَيْسان ، ودارًا بالقُرْبِ من بابِ النَّصْر داخل القاهِرَة [2] ، ودارًا بجوار مَدْرَسَتِه على الكَبْش . وسَائِر عَمائِره ظريفَة أنيقَة مُحْكَمَة مُتْقَنَة مَليحَة . وكان يَنْتَمي إلى الأمير سَلار ويَحْمِل رَنْكَه[f] .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : رحمه الله . c) بولاق : الجميلة الفاضلة . d) بولاق : عمل . e) بولاق : أرسلان . f) بولاق : يجل ذكره .

---

[1] يُعْرَف جَامِع سِنْجِر الجاوْلي الموجود بمَدينة غَزَّة بـ«جَامِع الشَّمْعَة» ، وهي تسميةٌ لا يُعْرَف مَصْدَرُها . ويقع الجامِعُ في حيّ التُّجّارين (حارة الزَّيْتون) ، وعليه كتابةٌ تاريخيةٌ من سطرين بالخَطِّ النَّسْخ المملوكي ، نَصُّها :

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم - الآية ١٨ سورة التوبة - أَمَرَ بإنْشاء هذا الجامع المبارك ابْتِغاءَ مَرْضاتِ الله واتِّباع سُنَّةِ رَسُولِ الله ، العَبْدُ الفقيرُ إلى الله تعالى سِنْجِرُ بن عبد الله الجاوْلي الملكي النَّاصِري نائب السَّلْطَنَة الشَّريفَة بالأعمال السَّاحِلِيَّة والجَبَلِيَّة بغَزَّة المحروسة ، أعَزَّ الله أنْصارَه بتأريخ ذي الحِجَّة سنة أربعـ...» . Mayer, L. A., «Arabic Inscriptions of Gaza», *JPOS* XI (1931), p. 147 .

وراجع كذلك ، محمود علي خليل عطا الله : نيابة غَزَّة في العَهْد المملوكي ، بيروت - دار الآفاق الجديدة ١٩٨٦ ، ٢٢٨ - ٢٢٩ .

[2] تُعْرَف بدار الجاوْلي ، فيما تقدم ٣ : ٢١٠ .

المَدْرَسَةُ الفارْقانيَّة

/هذه المَدْرَسَةُ خارج بابِ زَوِيلَة من القاهِرَة فيما بين حَدْرَة البقَرِ وصَلِيبَة جَامِع ابن طُولُون، ٢:٩ وهي الآن بجوار حَمَّام الفارْقاني تِجاه [a]التُّرْبَة والخانْقاه[a] البُنْدُقْدارية [١]. بَناها والحَمَّام المجاوِر لها الأميرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرس الفارْقاني [٢]، وهو غير الفارْقاني المنسوب إليه المَدْرَسَة الفارْقانية بحارَة الوَزيريَّة من القاهِرَة [٣]، [a]فإنَّ ذاك اسْمُه آقْ سُنْقُر، وهذا اسمه بيبرس[a].

المَدْرَسَةُ البَشيريَّة

[أثر رقم ٢٦٩]

هذه المَدْرَسَةُ خارِج القاهِرَة بحِكْرِ الخَازِن المطلّ على بِرْكَة الفيل [٤]، كان مَوْضِعُها مَسْجِدًا يُعْرَف بمَسْجِد سُنْقُر السَّعْدي الذي بَنَى المَدْرَسَة السَّعْدية[b]. فهَدَمَه الأميرُ الطُّواشي سَعْدُ الدِّين بشير الجَمَدار النَّاصِريُّ[c]، وبَنَى مَوْضِعَه[d] هذه المَدْرَسَة في سنة

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) بعد ذلك في المُسَوَّدَة: فيما أظن. c) بعد ذلك في المُسَوَّدَة: وهو الذي كان تجديد الجامع الأزهر على يده، وذلك قبل أن يسكن بالقرب من الجامع الأزهر. d) في المُسَوَّدَة: فجَدَّدَه ورَخَّمَه وزَخْرَفَه وجَعَلَ به خِزانَةً للكتب ووَقَفَ عليه وُقُوفًا جيدة، وذلك في سنة إحدى وسبعين وسبع مائة.

---

[١] انظر عن المَدْرَسَة (الخانْقاه) البُنْدُقْدارية المعروفة الآن بـ «زاوية الآبار»، فيما يلي ٧٥٦. ولم يُخَصِّص المقريزي أي مَدْخَل لذكر حَمَّام الفارْقاني في الفَصْل الذي عَقَدَه لذكر الحَمَّامات. ورَجَّحَ جورج سالمون G. Salmon أنَّ حَمَّام الفارْقاني هو الحَمَّامُ الذي كان يُعْرَف بحمَّام الألْفي داخل حارة الألْفي بشارع الصَّليبة. وقد حَلَّ محلَّ المَدْرسة الفارْقانية الآن جامعٌ حديث يُعْرَف بـ «جامع علي نُور الدِّين الفارْقاني» يقع على ناصيتي شارع محمد كريم (قراقول المنشية سابقًا) وشارع السيوفية. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٨١-١٨٢ (٥٨-٥٩)، ٦: ١٨٩ (٦٦)؛ Salmon, G., *La topographie du Caire*).

[٢] جاءَ على هامِش نسخة آياصوفيا: «وقال كاتِبُه: هو بيبرس الفارْقاني نائب قَلْعَة دِمَشْق، كان شَيْخًا طوالًا خَيِّرًا دَيِّنًا، مات في جُمادَى الأولى سنة خمس وأربعين وسبع مائة».

[٣] فيما تقدم ٤٧٠.

[٤] انظر عن حِكْر الخازن، فيما تقدم ٣: ٤٤٨-٤٤٩، وأضف إلى ما ذُكِرَ هناك أنَّ حِكْرَ الخازِن تَحَرَّفَ اسمه إلى حِكْر الخادِم ودَرب الخادِم (بالدال المهملة بَدَل الزاي المعجمة) كما وَجَدَ علي باشا مبارك ذلك في كُتُب أمْلاك هذه الخِطَّة، وهو الموضع الذي يُعْرَف الآن بشارع نُور الظَّلام بالحلمية. (الخطط التوفيقية ٢: ٣٣٥ (١٢٦)، ٦: ٨-٩ (٥)).

إحدى وستين وسبع مائةٍ، وجَعَلَ بها خِزانَةَ كُتُبٍ، وهي من المَدارِس اللَّطيفَة [١].

المَدْرَسَةُ المُهْمَنْدارِيَّة

[أثر رقم ١١٥]

هذه المَدْرَسَةُ خارج بابِ زَوِيلَة فيما بين جَامِعِ الصَّالِح وقَلْعَةِ الجَبَل، يُعْرَف خُطُّها اليوم بخُطّ جَامِع المارْديني خارِج الدَّرْبِ الأحْمَر، وهي تِجاه مُصَلَّى الأمْوات على يَمْنَة من سَلَكَ من الدَّرْبِ الأحمر طَالِبًا جَامِع المارْديني، ولها بابٌ آخَر من[a] حارَة اليانِسِيَّة [٢].

بناها الأميرُ شِهابُ الدِّين أحمد بن آقُوش العَزيزي المِـهْمَنْدار ونَقيب الجُيُوش كان[b] في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائةٍ، وجَعَلَها مَدْرَسَةً وخانْقاه [٣]، وجَعَلَ طَلَبَة دَرْسِها من الفُقَهاءِ الحَنَفِيَّة، وبَنَى إلى جانبها القَيْسارِيَّة والرَّبْع الموجودين الآن.

---

a) بولاق: في. b) إضافة من المُسَوَّدَة.

---

[١] ما تزالُ بقايا المَدْرَسَة البَشيرية قائمةً بشارع نُور الظَّلام بالحلمية الجديدة، ويوجد بدائر الإيوان الباقي منها شريطٌ بالخَطّ الكوفي مُتَبَقٍّ منه النَّصُّ التالي:

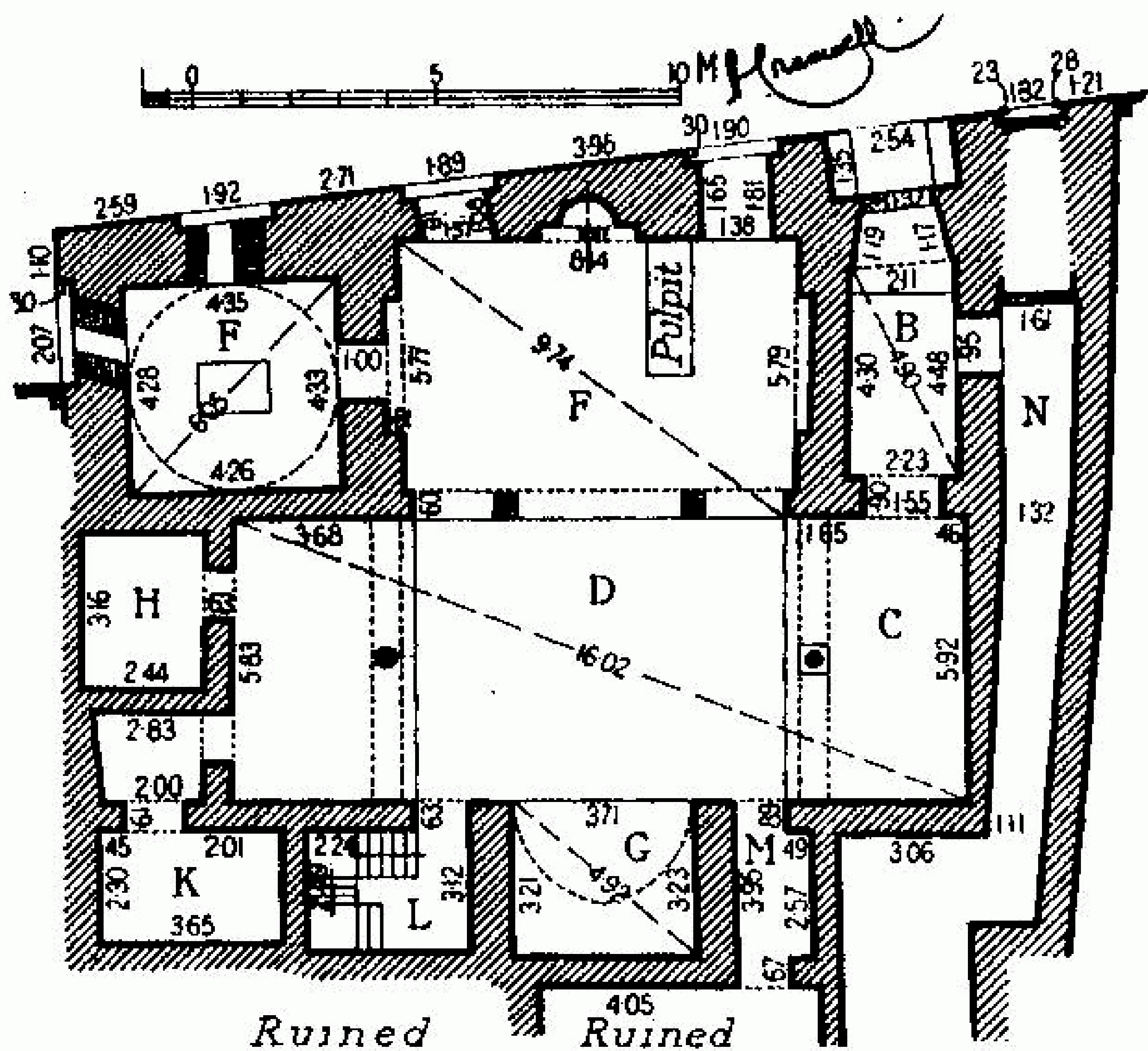
«... العَبْد الفقير بَشير الجَمَدار النَّاصري بتأريخ شهر الله المُحَرَّم افْتِتاح سنة إحدى وستين وسبع مائة». (.Wiet, G (RCEA XVI, n° 6331). وانظر السخاوي: تحفة الأحباب ١١٠؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٨-٩ (٥)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١١٧١-١١٨١.

أمَّا دارُ الأمير بشير الجَمَدار فكانت بخُطّ الأبارين بجوار الجامع الأزهر (فيما تقدم ٢: ٢٧٦).

[٢] ما تزال المَدْرَسةُ المِهْمَنْدارية (التي ذكرها المقريزي مَرَّةً أخرى (فيما يلي ٧٤٤) باسم «الخانْقاه المِهْمَنْدارية») قائمةً في شارع التَّبّانة على يسار الخارج من بابِ زَوِيلَة بين جامعي المارديني وقجماس الإسحاقي (أبي حريبة)، وتعرف بـ«جَامِع المِهْمَنْدار». (راجع، مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٢٢٧؛ الشجاعي: تاريخ الملك الناصر ١١٧؛ المقريزي: السلوك ٢: ١٩٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٤١، ١٢٣ (٤٤)؛ ,.K.A.C *MAE* II, pp. 273-74؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ١٨٥-١٨٨؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٥٣٣-٥٥٢).

[٣] يُؤَكِّدُ هذا التاريخ شَريطٌ من الكتابة بالخَطّ النَّسْخ المملوكي، نَصُّه:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم - الآية ٢٥٦ سورة البقرة - أَمَرَ ببناء هذه التُّرْبَة والمَسْجِد المبارَك من خالِصِ مالِه مِمَّا أفاءَ الله عليه، وطَيِّبِه لجماعة المسلمين ابْتِغاءَ رِضْوان الله والدَّار الآخرة والرَّغْبَة في عمارة بيوت الله وأداء فَرْضِه وتِلاوَة كتابه ومُداوَمَة ذِكْره، العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى أحمد المِهْمَنْدار ونَقيب نُقَباء الجُيُوش المنصورة النَّاصرية، إذ يقول تَقَدَّسَ وتعالى - الآيات ٣٦-٣٨ سورة النور - وذلك في شهر المحرَّم سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة، صلَّى الله =



مُخَطَّط المَدْرَسَة المِهْمَنْدارية (عن Creswell)

مَدْرَسَةُ أُلْجـاي[a]

[أثر رقم ١٣١]

هذه المَدْرَسَةُ خارج بابِ زَوِيلَة بالقُرْبِ من قَلْعَةِ الجَبَل[b]، كان موضِعُها وما حَوْلَها مَقْبَرَةً، ويُعْرَف الآن خُطُّها بخُطِّ سُوَيْقَة العِزِّي[1]. أنشأها الأميرُ الكبير سَيْفُ الدِّين أُلْجاي اليُوسُفي[c] في

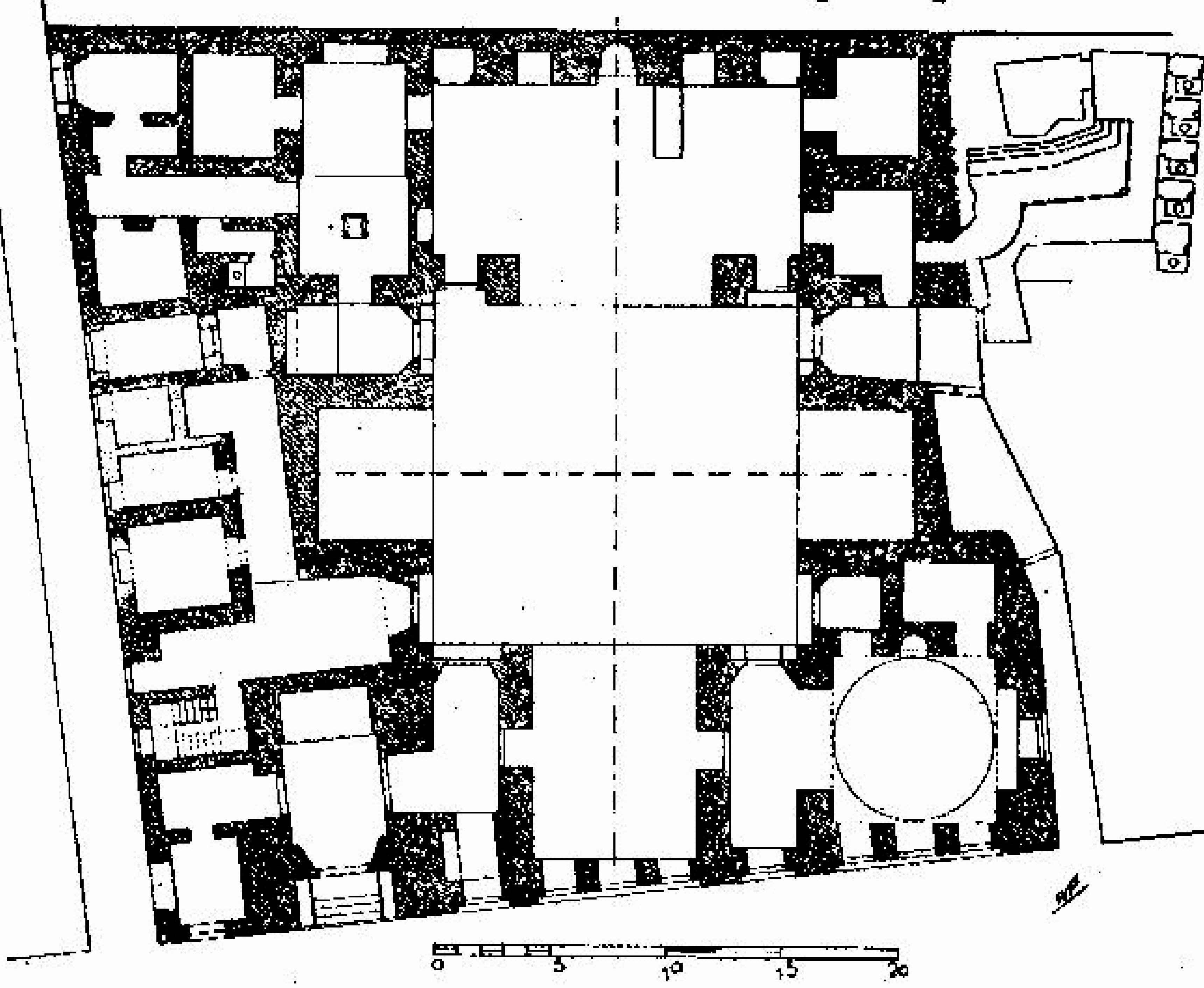
a) المُسَوَّدَة : مدرسة أُلْجاي بالتَّبانة ؟ b) في المُسَوَّدَة : وهي المَدْرَسَة المقابلة لمَدْرَسَة أم السُّلْطان يَفْصل بينهما الشَّارع المسلوك إلى قَلْعَة الجَبَل، وهو تحديد غريب ! c) إضافة من المُسَوَّدَة.

= علي محمد وآله». (Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 116; Wiet, G., *RCEA* XIV, n° 5503).

[1] من الغريب أنَّ المَقريزي أخطأ في تحديد مَوْضِع مَدْرَسَة أُلْجاي في المُسَوَّدَة، فذكر أنَّها بالتَّبانَة في مقابلة مَدْرَسَة أمّ السُّلْطان، وأنَّه يَفْصِل بينهما الشَّارعُ المسلوك إلى قَلْعَة الجبل! ثم صَوَّبَ موضعها في المُبَيَّضَة، أو أنَّه لم تكن هناك وَقْتَ إنشائها أي مَبانٍ بينها وبين شارع باب الوزير؟

ولا تزالُ مَدْرَسَةُ أُلْجاي قائمةً في أوَّل شارع سُوق =

سنة ثمانٍ وستين وسبع مائةٍ[1]، وجَعَلَ بها دَرْسًا للفُقَهاء الشَّافِعِيَّة ودَرْسًا للفُقَهاء الحَنَفِيَّة وخِزانَة كُتُب، وأقامَ بها مِنْبَرًا يُخْطَب عليه يوم الجُمُعَة. وهي من المَدارِس المعتبرة الجَليلة، ودَرَّسَ بها شيخُنا جَلالُ الدِّين التَّبَّاني الحَنَفي، وكانت سَكَنَه.



مُخَطَّطُ مَدْرَسَةُ أُلْجَـاي اليُوسُفي (عن اللجنة)

= السِّلاح من جهة جامِع ومَدْرَسَة السُّلْطان حسن، وتُعرف بجامِع أُلْجاي اليوسفي وجامع الشايس نسبةً إلى الأمير علاء الدِّين علي بن أحمد الطِّيبَرْسي المعروف بابن الشايس الذي تَوَلَّى نظارة هذا الجامع بعد وفاة منشئه فعُرِف به. وقُبَّةُ هذه المَدْرسة قُبَّةٌ شاهقة مُضَلَّعَة تَضْليعًا حلزونيًّا يعد الأوَّل من نوعه (انظر الصورة)، وله أُنْموذج ثانٍ في قُبَّة أيْتَمُش البجاسي مع تَنَوّع بسيط في مبدأ التَّضْليع. (المقريزي: السلوك ٣: ٢١٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٠٤- ٢٠٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ١٢٠؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٥١ (٧١-٧٢)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٨٨- ١٩١؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٣١٣- ٣١٦؛ مدحت مسعد الجمَّال: مدرسة ومسجد أُلْجاي اليوسفي - دراسة معمارية، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٣٥٣- ١٣٧٥).

[1] هذا التاريخُ مخالِفٌ للتاريخ الموجود بالفعل على بابِ المَدْرسة، إلَّا إذا كان هذا تاريخ المَدْرسة الأخرى التي أشار إليها المقريزي في المُسَوَّدَة بشارع التَّبَّانة؟ والتاريخ المثبت على عِضادَتي مَدْخَل المَدْرَسَة يفيد أنَّ الفراغَ منها كان في شهر رَجَب سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م، ونَصُّه:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم - الآية ١٨ سورة التوبة - صَدَقَ الله العظيم. أمَرَ بإنْشاء هذا الجامِع والمَدْرَسَة المباركة المَقَرُّ الأشْرَف العالي المَوْلَوي الأميري السَّيْفي أُلْجاي=

أُلجاي **بن عبد الله اليُوسُفي** : الأميرُ سَيْفُ الدين[1] تَنَقَّلَ في الخِدَم حتى صَارَ من جُمْلَة الأُمَرَاءِ بديار مصر . فلمّا قامَ الأميرُ أَسَنْدَمُر النَّاصِري بأَمْرِ الدَّوْلَة ، بعد قَتْلِ الأمير يَلْبُغا الخاصَّكي العُمَري ، في شَوَّالٍ سنة ثمانٍ وستين وسبع مائةٍ ،/ قَبَضَ على أُلْجاي في عِدَّةٍ من الأُمَرَاء ، وقيَّدهم وبَعَثَ بهم إلى الإسْكَنْدَرية ، فسُجِنُوا إلى عاشِر صَفَرَ سنة تسع وستين. فأَفْرَج الملكُ الأَشْرَفُ شَعْبان بن حُسَيْن عنه ، وأعْطاه إمْرَة مائة وتَقْدِمَة ألف ، وجَعَلَه أميرَ سِلاحٍ بَرَّاني ، ثم جَعَلَه أمير سِلاح أتابَكَ العَساكِر وناظِر المارِسْتان المَنْصوري عِوَضًا عن الأمير مَنْكَلي بُغا الشَّمْسي في سنة أربعٍ وسبعين وسبع مائةٍ . وتزوَّجَ بخَوَنْد بَرَكَة أمّ السُّلْطان الملك الأَشْرَف ، فعَظُمَ قدره ، واشتهر ذكره ، وتَحَكَّم في الدَّوْلَة تَحَكُّمًا زائِدًا إلى يوم الثلاثاء سادِس المحرَّم سنة خمسٍ وسبعين وسبع مائةٍ . فركب يُرِيدُ مُحارَبة السُّلْطان بسَبَبِ طَلَبه مِيراث أمّ السُّلْطان بعد مَوْتِها ، فرَكِبَ السُّلْطانُ وأُمَراؤه . وباتَ الفَرِيقان لِيلة الأربعاء على الاسْتِعْدادِ للقِتالِ إلى بُكْرَة نَهارِ الأربعاء ، فواقَعَ أُلْجاي مع أُمَرَاءِ السُّلْطانِ إحدى عشرة وَقْعَة ، انْكَسَرَ في آخِرها أُلْجاي ، وفَرَّ إلى جِهَةِ بِرْكَة الحَبَش ، وصَعِدَ من الجَبَلِ وخَرَج[a] من عند الجَبَل الأحمر إلى قُبَّةِ النَّصْر ، ووَقَفَ هناك . فاشْتَدَّ على السُّلْطان ، فبَعَثَ إليه خِلْعَة بنيابَة حَماه ، فقال : لا أتَوَجَّه إلّا ومعي مَماليكي كلُّهم وجَميع أمْوالي ، فلم يُوافِقْه السُّلْطان على ذلك ، وباتَ الفَرِيقان على الحَرْب ، فتَسَلَّلَ أكثرُ مَماليك أُلْجاي في الليل إلى السُّلْطان .

وعندما طَلَعَ النَّهار يوم الخميس ، بَعَثَ السُّلْطانُ عَساكِرَه لمحارَبَة أُلْجاي بقُبَّةِ النَّصْر ، فلم يُقاتلهم ، ووَلَّى مُنْهزِمًا ـ والطَّلَبُ وراءَه ـ إلى ناحية الخَرْقانية بشاطئ النِّيل قَرِيبًا من قَلْيوب . فتَحَيَّرَ وقد أدْرَكَه العَسْكَرُ ، فألْقَى نفسه بفَرَسِه في البَحْر يُرِيدُ النَّجاة إلى البَرِّ الغربي ، فغَرِقَ بفَرَسه ، ثم

a) ساقطة من بولاق .

= أتابك العساكر المنصورة الملكي الأشْرَفي ـ أعَزَّ الله نَصْرَه ـ بتاريخ شهر رَجَب سنة أربع وسبعين وسبع مائة». وكذلك الكتابة الموجودة أعلى الباب الرئيس ، ونَصُّها :

«بِسْم الله الرَّحْمن الرَّحيم . أمَرَ بإنشاء هذا الجامع والمَدْرَسَة المباركة المَقَرّ الأشْرَف أُلجاي أتابك العساكر المنصورة الملكي الأشْرَفي ـ غَفَرَ الله له ولجميع المسلمين ـ بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n[os] 187, 188; Kallus, L., *RCEA* XVII, n[os] 774001, 774002).

[1] راجع ترجمة أُلْجاي اليوسفي كذلك عند ، المقريزي : السلوك ٣: ٢٣٠؛ ابن حجر : إنباء الغمر ١: ٦٤ وبيض له في الدرر الكامنة ١: ٤٣٣؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ١٢٩، المنهل الصافي ٣: ٤٠-٤٤؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢: ١٣٤.

خَلُصَ الفَرَسُ وهَلَكَ أُلْجاي ، فوَقَعَ النِّداءُ بالقاهِرَة وظَواهِرِها على إحْضارِ مَماليكه ، فأُمْسِكَ منهم جَماعَة .

وبَعَثَ السُّلْطانُ الغَطَّاسين إلى البَحْرِ تَتَطَلَّبه ، فتتبَّعوه حتى أَخْرجوه إلى البَرّ في يوم الجمعة تاسع المحرَّم سنة خمسٍ وسبعين وسبع مائةٍ . فحُمِلَ في تابُوتٍ على لِبَّادٍ أحمر إلى مَدْرَسَته هذه ، وغُسِّلَ وكُفِّنَ ودُفِنَ بها . وكان مُهابًا جَبَّارًا عَسُوفًا عَتِيًّا ، تَحَدَّثَ في الأَوْقافِ ، فشَدَّدَ على الفُقَهاءِ وأهانَ جَماعةً منهم ، وكان معروفًا بالإقْدام والشَّجاعَة .

مَدْرَسَةُ أُمّ السُّلْطان

بالتَّبَّانَة[a]

[أثر رقم ١٢٥]

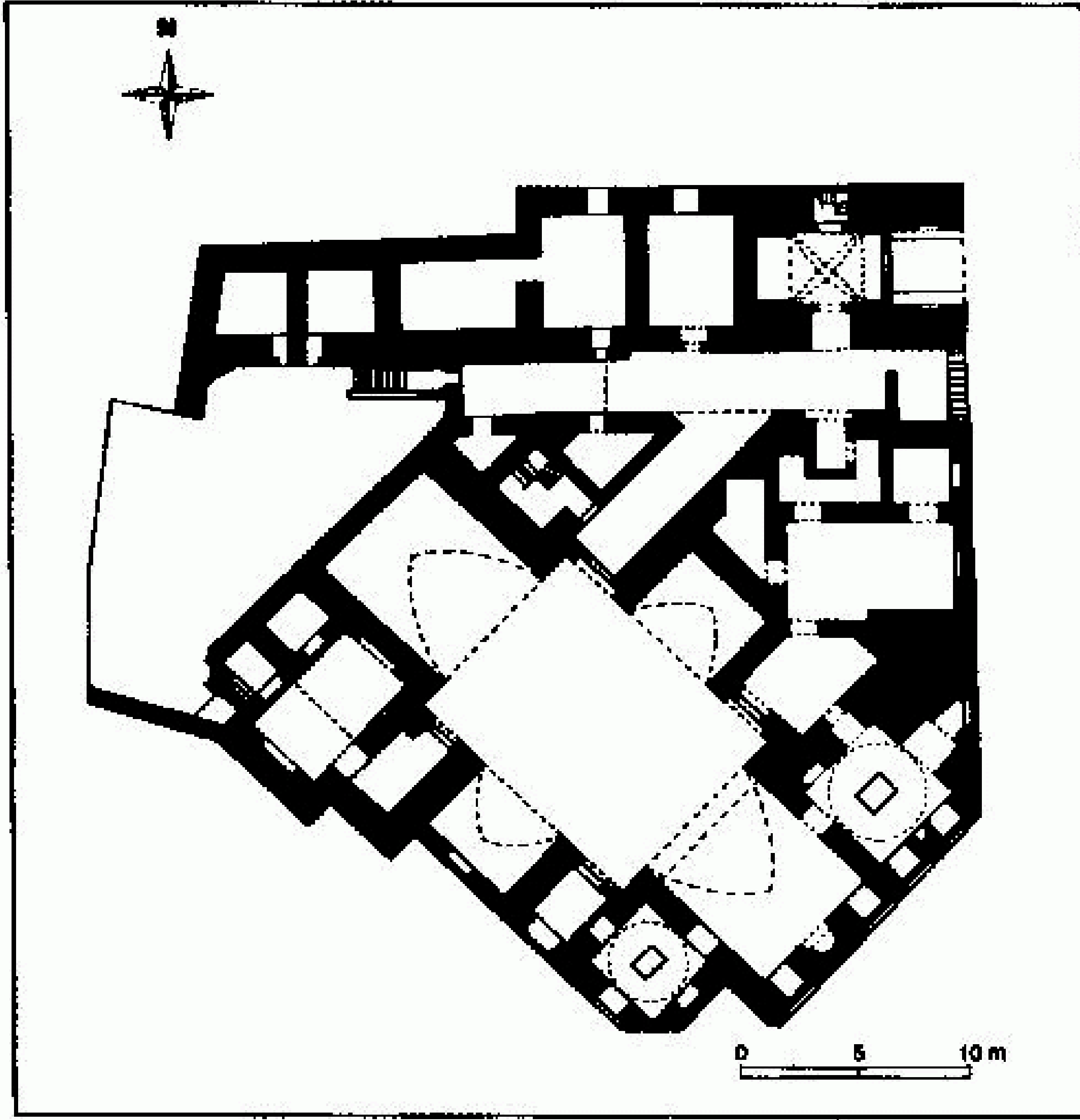
هذه المَدْرَسَةُ خارِج بابِ زَوِيلَة بالقُرْبِ من قَلْعَةِ الجَبَل ، يُعْرَف خُطُّها الآن بـ«التَّبَّانَة»[١] ، ومَوْضِعُها كان قَديمًا مَقْبَرَةً لأَهْلِ / القاهِرَة . أنشأتها السِّتُّ الجَليلَة الكبرىٰ خَوَنْد[b] بَرَكَة ، أمّ السُّلْطان الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حسين[٢] ، في سنة إحدى وسبعين وسبع مائةٍ ، وعَمِلَت بها دَرْسًا للشَّافِعِيَّة ودَرْسًا للحَنَفِيَّة ، وعلى بابِها حَوْضَ ماءٍ للسَّبيل [c]ومَكْتَبًا للأيْتام[c] . وهي من

a) إضافة من المُسَوَّدَة . b) ساقطة من بولاق . c-c) ساقطة من بولاق .

[١] كان خُطُّ التَّبَّانة يشتمل على المنطقة الممتدَّة من بابِ الوزير إلى الدَّرْبِ الأحمر ، ويتوسَّطها الآن شارعُ باب الوزير وشارعُ التَّبَّانَة ، وأصبح شارع التَّبَّانَة يُطْلَق الآن على الطريق الممتدة من شارع باب الوزير عند تلاقيه بشارع التَّبَويَّة وسوق السِّلاح إلى شارع الدَّرْب الأحمر . وعُرِف بخُطِّ التَّبَّانَة لأنَّه كانت فيه أسواقُ التِّبْن اللازم لمؤونة دواب القاهرة في هذا العَصْر . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٨٠هـ[١]) .

[٢] ما تزالُ هذه المَدْرَسَة قائمةً في شارع باب الوزير وتُعْرَف بـ «جامع أمّ السُّلْطان» ، والمَدْخلُ الرئيس لهذه المَدْرسة من أَحْفَلِ مداخِلِ المدارس المملوكية زُخْرفًا وأنْدَرِها تَصْميمًا ، وهو مَدْخلٌ مرتفعٌ به مُكَسَّلَتان ، وعَقْدُه من أجمل وأبْدَع العُقُود الملوَّنة من المُقَرْنَصات ذات الدَّوالي المذهبة ، تُحيط به كتابةٌ كوفية مشتملة على آية الكُرْسي . وهذا النَّوْع من المداخل متأثِّرٌ بالعمائر السَّلجوقية التي تُعْنَى بزَخْرَفَة المداخل . وللمَدْرَسَة أربعةُ إيوانات متعامدة يتوسَّطها صَحْنٌ مكشوف ، وقد حُلِّي سَقْفُ الإيوان القِبْلي بنُقُوشٍ زَرْقاء ومذهبة . ويكتنف الإيوان الشَّرْقي قُبَّتان : خُصِّصَت القِبْلية لدَفْن السُّلطان شَعْبان ، كما دُفِنَ فيها أيضًا ابنه الملك المنصور حاجي المتوفى سنة ٨١٤هـ/١٤١١م ، وأُعِدَّت القُبَّة البحرية لدَفْن خَوَنْد بَرَكَة التي دُفِنَت معها ابنتها خَوَنْد زَهْرَة المتوفاة سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠م . (راجع ، المقريزي : السلوك ٣ : ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢٨٢؛ أبا المحاسن : النجوم=

المَدَارِس الجَلِيلَة (aحَسَنَة الرُّخام والبِنَاءa)، وفيها دُفِنَ ابنُها الملكُ الأَشْرَف بعد قَتْلِه [١].



مُخَطَّط مَدْرَسَة أُمّ السُّلْطان (عن Meinecke)

a-a) ساقطة من بولاق.

= الزاهرة ١١:٥٩هـ [١]؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ٢: ١١٥، ١٨٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥:١٢٦ (٦٠-٦١)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٨٢-١٨٧؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣:٢٩٨-٣٠٧؛ Fernandes, L., *The Madrasa of Umm al-Sultan Shaʿbân*, Thesis AUC 1976, n° 317؛ مرفت محمد عيسى: مدرسة أم السُّلْطان شعبان، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٧٧؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢:١٢٩١-١٣١٠).

[١] يَدُلُّ على ذلك شَرِيطٌ من الكتابة أعلى المَدْخل أسْفَل مُقَرْنَصات التاج يحمل النَّصّ التالي، الذي جعل إنشاء المدرسة سنة ٧٧٠هـ لا سنة ٧٧١هـ كما يذكر المقريزي: «بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم - الآية ١٨ سورة التوبة - أَمَرَ بإنشاء هذه المَدْرَسَة المباركة لوالدته مَوْلانا السُّلْطان المالك الملك الأَشْرَف شَعْبان بن المرحوم حسين سُلْطان الإسلام والمسلمين قاتل الكَفَرَة والمُشْركين محيي العَدْل في العالمين مُظْهِر الحَقّ بالبراهين حامي حَوْزَة الدِّين سَيِّد الملوك والسَّلاطين، قسيم أمير المؤمنين، قاهِر الخَوَارِج والمُتَمَرِّدين، كَنْز الغُزاة والمجاهدين، مُنْصِف المظلومين من الظَّالمين، ذُخْر الأرامل والمحتاجين، صَاحِب الدِّيار المصرية والشَّامية والحُصُون الإسْماعيلية والثُّغُور السَّكَنْدَرية والقِلاع السَّاحلية والأَقْطار الحجازية والأَعْمال الفُراتية، ناصِر المِلَّة المحمدية، أعَزَّ الله أنْصاره، وذلك في شهور سنة سبعين وسبع مائة للهجرة المحمدية، وصَلَّى الله على سيدنا محمد وآله». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 178; Kallus, L., *RCEA* XVII, n° 770005).

بَرَكَةُ

السِّتُّ الجَلِيلَة خَوَنْد، أمّ الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن [1]. كانت أَمَةً مُوَلَّدَةً، فلمَّا أُقيمَ ابنُها في مَمْلَكَة مصر، عَظُمَ شأنُها، وحَجَّت في سنة سبعين وسبع مائةٍ بتَجَمُّلٍ كثيرٍ وبَذَخٍ[a] زائِد، وعلى مَحَفَّتِها العَصائِبُ السُّلْطانية والكُوسات تَدُقُّ معها. وسارَ في خِدْمَتِها من الأُمَرَاء المقدَّمين: بَشْتاك العُمَري رأْس نَوْبَة، وبَهادُر الجَمالي، ومائة مَمْلوكٍ من المماليك السُّلْطانية أرْبابِ الوَظائِف. ومن جملة ما كان معها قِطارُ جِمالٍ مُحَمَّلةٍ مَحائِر، قد زُرِعَ فيها البَقْلُ والخَضْراواتُ إلى غير ذلك مِمَّا يَجِلُّ وَصْفُه [2].

فلمَّا عادَت في سنة إحدى وسبعين وسبع مائةٍ، خَرَجَ السُّلْطانُ بعَساكِرِه إلى لِقائِها، وسارَ إلى البُوَيْب في سادس عشر المحرَّم. وتَزَوَّجَت بالأمير الكبير أُلْجاي اليُوسُفي وبها طالَ واسْتطالَ. ماتَت في [b]يوم ثاني عشرين[b] ذي القعدة سنة أربعٍ وسبعين وسبع مائةٍ.

وكانت خَيِّرَةً عَفيفَةً، لها بِرٌّ كثيرٌ ومعروفٌ مَعْروف، تحدَّث النَّاسُ بِحَجَّتها عِدَّةَ سنين لما كان لها من الأفْعال الجَميلَة في تلك المشاهِد الكريمة، وكان لها اعْتِقادٌ في أهْلِ الخَيْر، ومحبَّةٌ في الصَّالحين، وقَبْرُها مَوْجودٌ بقُبَّةِ هذه المَدْرَسَة. وأَسِفَ السُّلْطانُ على فَقْدِها، ووَجَدَ وَجْدًا كثيرًا لكثرة حُبِّه لها.

واتَّفَق أنَّها لمَّا ماتَت أَنْشَدَ الأديبُ شِهابُ الدِّين أحمد بن يحيى الأَعْرَج السَّعْدي:

[الكامل]

في ثانيَ العشرين من ذي قِعْدَة[3] كانَتْ صَبيحةُ مَوْتِ أمّ الأَشْرَف
فـالله يَـرْحَـمَـهـا ويُـعْـظِـمُ أَجْـرَه ويكون في عاشُورَا مَوْتُ اليُوسُفي

---

a) بولاق: برج. b-b) ساقطة من بولاق.

ورغم أنّ هذا النّصّ وغيره من النُّصوص الموجودة في أنحاء المَدْرَسة تُشيرُ إلى أنّ الأشْرَف شَعْبان قد أنشأها لوالدته، فالأرجح ـ تبعًا لرواية المَقْريزي ونَظَرًا لصِغَرِ سِنّ السُّلْطان أنّ والدته هي المنشئة لها وكتبت اسمه عليها.

[1] راجع ترجمة السَّيِّدَة خَوَنْد بَرَكَة وأخبارها عند، المقريزي: السلوك ٣: ٢١٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٤١، الدرر الكامنة ٢: ٦-٤٧؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٥٨-٥٩، ١٢٥، المنهل الصافي ٣: ٣٥٥-٣٥٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ١١٤-١١٥.

[2] المصادر المذكورة في الهامش السابق وأضف إليها، الجزيري: درر الفرائد المنظمة ٢: ١٩٠٨؛ Behrens - Abouseif, D., «The Mahmal Legend and the Pilgrimage of the Ladies of the Mamluk Court», *MSR* I (1997), pp. 87-96.

[3] في السلوك ٣: ٢١١، والنجوم الزاهرة ١١: ٦٠: في مستهل العشر من ذي الحجة.

فكان كما قال. وغَرِقَ أُلْجاي اليُوسُفي، كما تقدَّم ذكره، في يوم عاشُوراء [١].

المَدْرَسَةُ الأَيْتَمُشِيَّة

[أثر رقم ٢٥٠]

هذه المَدْرَسَةُ خارِج القاهِرَة داخِل بابِ الوَزير تَحْت قَلْعَةِ الجَبَل برَأْس التَّبَّانَةِ [a]. أنشأها الأميرُ الكبير سَيْفُ الدِّين أَيْتَمُش البِجاسي [b] ثم الظَّاهِري [c] أتابَك العَساكِر [c] في سنة خمسٍ وثمانين وسبع مائةٍ، وجَعَلَ بها دَرْسَ فِقْهٍ للحَنَفِيَّة، وبَنَى بجانِبِها فُنْدُقًا كبيرًا يَعْلُوه رَبْعٌ، ومن وَرائِها خارِج بابِ الوَزير حَوْضَ ماءٍ للسَّبيل [c] ومُصَلَّى الأَمْوات، وبَنَى أيضًا إلى جانب المَدْرَسَة المذكورة فُندقًا [c] ورَبْعًا كبيرًا [d]، وهي مَدْرَسَةٌ ظَريفَة.

أَيْتَمُش بن عبد الله، **الأمير الكبير سَيْف الدِّين البِجّاسي ثم الظَّاهِري**، كان أَحَدَ المماليك اليَلْبُغاوية [e] [٣].

---

a) العبارة في المُسَوَّدَة: داخل باب الوزير بالتَّبَّانَة بقُرْب قَلْعَة الجَبَل. b) في آياصوفيا وميونخ: البجاشي. c-c) إضافة من المُسَوَّدَة. d) ساقطة من بولاق. e) بعد ذلك على هامش نسخة ميونخ: بياض في الأصل نحو صفحة.

---

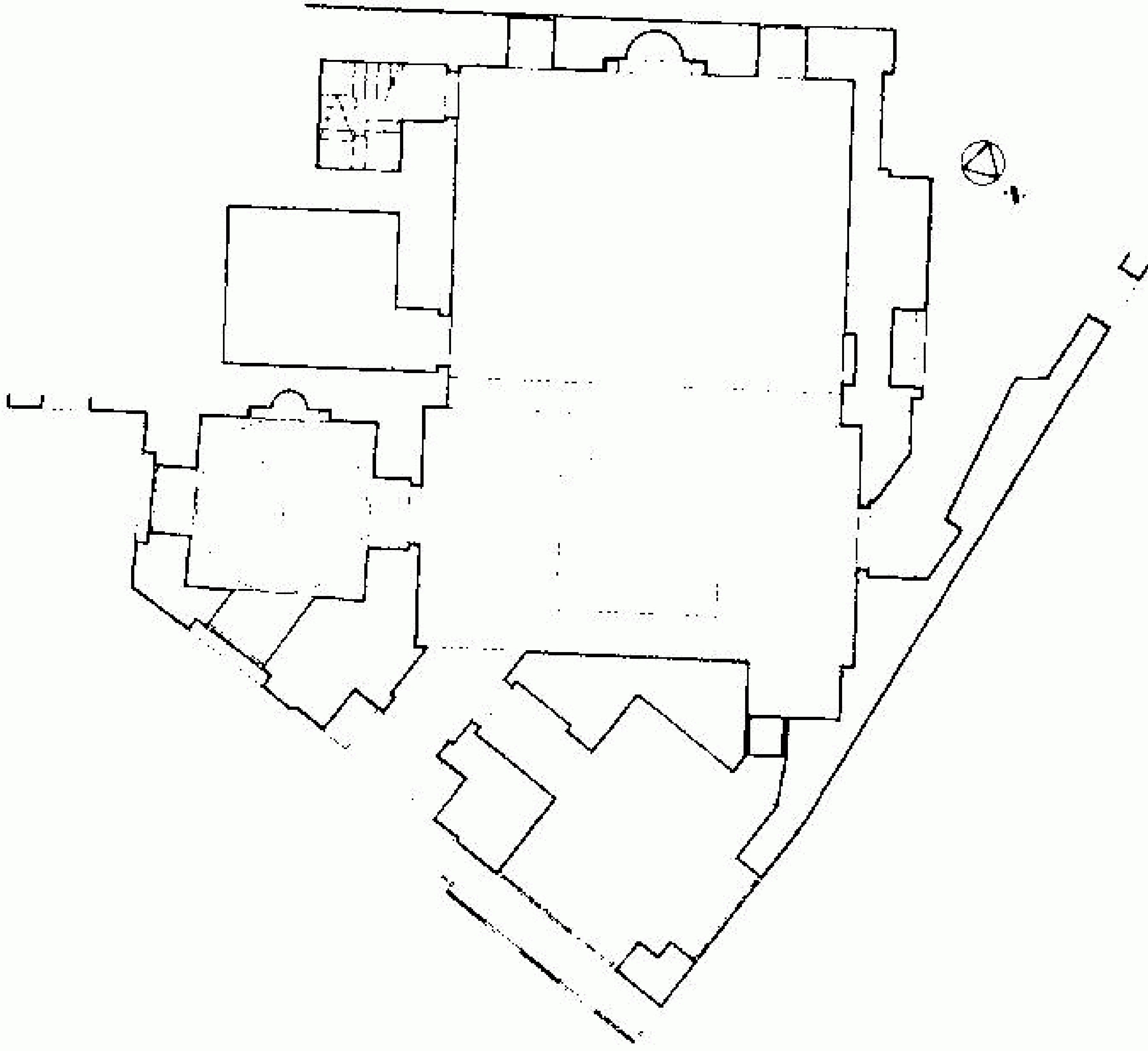
[١] في السلوك ٣: ٢١١: «أنشدني البيتين المذكورين صاحِبُنا صارِمُ الدِّين إبراهيم بن دُقْماق، قال: أنشدنيهما الأديبُ شهابُ الدِّين أحمد الأعْرَج السَّعْدي».

[٢] ما تزالُ هذه المَدْرَسَة - المعروفة الآن بـ «جامِع أَيْتَمُش» - قائمةً بشارع المَحْجَر عند تلاقيه بشارع بابِ الوزير، وفَوْق مدخلها كتابةٌ تاريخيةٌ نصُّها:

«أَمَرَ بإنشاء هذه التُّرْبَة المباركة العَبْدُ الفقيرُ إلى الله تعالى أَيْتَمُش النجاشي [كذا] رأس نَوْبَة الظَّاهري في سنة خمسٍ وثمانين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 190; Kallus, L., *RCEA* XVIII, n° 785 002).

وراجع كذلك، المقريزي: السلوك ٣: ٥٠٢، ٩٨٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٦٨، ١٢: ١٨٩؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٢٧٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٥٦٠، ٥٨٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٣١ (٦٣)؛ أحمد محمد أحمد: منشآت الأمير أيتمش البجاسي بباب الوزير - دراسة معمارية أثرية، رسالة دكتوراه بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩٤؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٢١-٣٤.

[٣] راجع ترجمة الأمير أيتمش البجاسي، المتوفى سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، كذلك عند، المقريزي: السلوك ٣: ٥٠٢، ١٠١٣، ١٠١٤؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ١١٨؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٣٧، ١٢: ١٨٤-١٨٩، ١٣: ١٢-١٣؛ المنهل الصافي ٣: ١٤٣-١٥١؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٦٢؛ السخاوي: الضوء اللامع ٢: ٣٢٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٥٥٨- ٥٦٠.



مُخَطَّط المَدْرَسة الأَيْتَمُشية (عن صالح لمعي)

المَدْرَسَةُ المَجْدِيَّةُ الخَلِيلِيَّةُ

هذه المَدْرَسَةُ بمصر يُعْرَف موضعُها بدَرْبِ البلاط(a) ¹، عَمَّرَها الشَّيْخُ الإمام مَجْدُ الدِّين أبو محمد عبد العزيز ابن الشَّيْخ الإمام أمين الدِّين أبي عليّ الحُسَيْن بن الحَسَن بن إبراهيم الخَليلي الدَّاري، فتَمَّت في شهر ذي الحِجَّة سنة ثلاثٍ وستين وستّ مائةٍ، وقَرَّرَ فيها مُدَرِّسًا شافِعيًّا ومُعيدَيْن وعشرين نَفَرًا طَلَبَة، وإمامًا راتِبًا ومُؤَذِّنًا، وقَيِّمًا لكَنْسِها وفَرْشِها ووَقُود مَصابيحها وإدارَة ساقِيَتها، وإجْراءِ(b) الماءِ إلى فَسْقيتها.

---

a) بولاق: البلاد. b) بولاق: أجرى.

---

¹ رُبَّما يكون المقصود زُقاق البلاط الذي كانت تفتح عليه الأبوابُ الغربية للجامع العتيق.

ووَقَفَ عليها غَيْطًا بناحية بارِنْبار من أعْمالِ المُزاحِمَتَيْن ، وبُسْتانًا بَمحلَّةِ الأمير من المُزاحِمِيَّة الغربية ، وغَيْطًا بناحية نُطوبَس ، ورَبْع غَيْط بظاهِر ثَغْر رَشيد ، وبُسْتانًا ونصف بُسْتان بناحية بَلْقَس ، ورباعًا بمَدينَة مصر [1] .

ومَجْدُ الدِّين هذا هو والِدُ الصَّاحِب الوَزير فَخْر الدِّين عُمَر بن الخَليلي . ودَرَّسَ بهذه المَدْرَسَة الصَّاحِبُ فَخْر الدِّين إلى حين وَفاتِه . وتوفِّي مَجْدُ الدِّين بدِمَشْق في ثالث عشر رَبيع الآخر سنة ثمانين وستّ مائةٍ ، وكان مَشْهورًا بالصَّلاح [2] .

المَدْرَسَةُ النَّاصِرِيَّة

بالقَرافَة

هذه المَدْرَسَةُ بجوار قُبَّة الإمام محمد بن إدْريس الشَّافِعِيِّ ـ رضي الله عنه ـ من قَرافَةِ مصر [3] . أنشأها السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، ورَتَّبَ بها مُدَرِّسًا يُدَرِّس الفِقْه على مَذْهَبِ الشَّافِعِي ، وجَعَلَ له في كلِّ شهر من المعلوم عن التَّدْريس أربعين دينارًا مُعامَلَة صَرْف كلّ دينار ثلاثة عشر دِرْهَمًا وثُلُث دِرْهَم ، وعن مَعْلُوم النَّظَر في أوْقافِ المَدْرَسَة عشرة دنانير ، ورَتَّبَ له من الخُبْز في كلِّ يوم ستين رطلًا بالمصري وراوِيتين من ماء النِّيل ، وجَعَلَ فيها مُعيدَيْن وعِدَّة من الطَّلَبَة [4] . ووَقَفَ عليها حَمَّامًا بجوارها ، وفُرْنًا تجاهها ، وحَوانيتَ بظاهِرِها ، والجَزيرَة التي يُقال لها جَزيرَة الفِيل ببَحْر النِّيل خارِج القاهِرَة .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٩٦ (ونَصُّه أكثرُ تَفْصيلًا) .

[2] انظر ترجمة مَجْد الدِّين الخليلي الدَّاري كذلك عند ، الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨ : ٤٧٣ . وهو أيضًا صاحِبُ «الرِّباط المجْدي» الذي كان يقع بدَيْر الطِّين (ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٠٢) .

[3] انظر قُبَّة الإمام الشَّافعي ، فيما يلي ٩٠٩ - ٩١٤ .

[4] هذه المَدْرَسَة حَلَّ محلَّها ، في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي ، المَسْجِدُ الذي عَمَّرَه الأمير عبد الرحمن كتْخُدا القازْدُغْلي سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م ، يقول الجَبَرْتي وهو يُعَدِّد مُنشآت الأمير : «وعَمَّرَ المَسْجِد بجوار ضَريح الإمام الشَّافِعِي ـ رضي الله عنه ـ في مكانِ المَدْرَسَة الصَّلاحية (النَّاصرية)» (عجائب الآثار ٢ : ٨) . وبذلك تكون «المَدْرَسَة الصَّلاحية» قد حَلَّ محلَّها الآن «جامِعُ الإمام الشَّافعي» . ثم أمَرَ بتجديد المَسْجِد في سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م خديو مصر ـ محمد توفيق باشا على طِراز المدارس المملوكية . (أبو شامة : الروضتين ١ : ٦٨٨ ؛ المقريزي : السلوك ١ : ٦٣ ، ٢٦١ (والتعليق الوارد بهامش الصفحة غير صواب) ؛ العيني : عقد الجمان (العصر الأيوبي) ١ : ٢٤٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦ : ٥٤ - ٥٥ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٩ ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٠٧ - ١٠٨) .

وتَخَلَّف من المَدْرَسَة الصَّلاحية كتابةٌ تاريخية بالخط -

ووَلِيَ تدريسَها جَماعَةٌ من الأكابِر والأَعْيان ؛ ثم خَلَت من مُدَرِّسٍ ثلاثين سنة ، واكْتُفِيَ فيها بالمعيدين وهم عَشَرَةُ أَنْفُس . فلمَّا كانت سنة ثمانٍ وسبعين وستِّ مائةٍ [١]،/ وَلِيَ تَدْريسَها قاضي ١:٢ القُضاة تقيُّ الدِّين محمد بن رَزِين الحَمَوي بعد عَزْلِه من وَظيفَة القَضَاء ، وقُرِّرَ له نصف المَعْلوم . فلمَّا ماتَ وليها الشَّيْخُ تقيُّ الدِّين بن دَقيق العيد برُبْع المَعْلوم . فلمَّا وَلِيَ الصَّاحِبُ بُرْهان الدِّين الخِضْر السِّنْجاري التَّدْريس [٢]، قُرِّرَ له المَعْلوم الشَّاهِد به كِتابُ الوَقْف .

المَدْرَسَةُ المُسَلَّمِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ بمَدينَة مصر في خُطِّ السُّيُوريين [٣]، أنشأها كبيرُ التُّجَّار ناصِرُ الدِّين محمد ابن مُسَلَّم ـ بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد اللام ـ البالِسي الأَصْل ، ابن بِنْت كبير التُّجَّار شَمْس الدِّين محمد بن يَسِير ـ بفَتْح الياء آخِر الحُرُوف وكَسْر السين المهملة ، ثم ياء آخر الحروف بعدها راء ـ [الكارِمي][a]، وماتَ في سنة ستٍّ وسبعين وسبع مائةٍ قبل أن تتم [٤]، فوصَّى بتكملَتِها

---

a) زيارة ضرورية من المصادر .

= النَّشخ الأَيُّوبي ، محفوظة الآن في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، نصُّها :

«بُنِيَت هذه المَدْرَسَة باسْتِدْعاء الشَّيْخ الفقيه الإمام الـ ... الزَّاهِد نَجْم الدِّين رُكْن الإسلام قُدْوَة الأنام مُفْتي الفِرَق ، أبو البَرَكات بن المُوَفَّق الخَبُوشَاني ـ أدامَ الله توفيقه ـ لفُقَهاءِ أصحابِ الشَّافِعي ـ رِضْوان الله عليه ـ الموصوفين بالأُصولية المُوَحِّدة الأَشْعَرِيَّة على الحَشْوية وغيرهم من المُبْتَدِعَة ، وذلك في شهر رَمَضان سنة خمسٍ وسبعين وخمس مائة» . (Wiet, G., *RCEA* IX, n° 3339) .

كما تبقَّى منها كذلك مِصْراعان مُغَشَّيان بالنُّحاس محفوظان أيضًا بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة . (حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٠٨) .

[١] قاضي القضاة تقي الدِّين أبو عبد الله محمد بن الحسين ابن رَزِين بن موسىٰ بن عيسىٰ بن موسىٰ العامِري الحَمَوي ، المتوفى سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م . (راجع ترجمته عند ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٣ : ١٨- ١٩؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٨ : ٤٦- ٤٨؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١ : ٥٩، ٦٥؛ المقريزي : السلوك ١ : ٦٥٧، ابن حجر : رفع الإصر ٣٥٦؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٣) .

[٢] المقريزي : السلوك ١ : ٧١٣.

[٣] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٩٩ وفيه : «أَوْصَى بعمارتها من بَعْدِه وأَرْصَدَ لها سِتَّةَ عشر ألف دينار فعمرت وجاءت من أحسن المدارس ، لم يكن بمصر مَدْرَسَةٌ أحسن بناءً منها» ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٧ : ٢٥٨.

[٤] انظر ترجمة محمد بن مُسَلَّم التاجر الكارمي ، المتوفى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م ، عند ، المقريزي : المقفى الكبير ٧ : ٢٥٧- ٢٥٨، السلوك ٣ : ٢٤٦؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٥ : ٢٦؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ١٣٢، الدليل الشافي ٢ : ٧٠٥.

وأَفْرَدَ لها مَالًا ، ووَقَفَ عليها دورًا وأرْضًا بناحية قَلْيوب ، وشَرَطَ أن يكون فيها مُدَرِّس مالِكي ومُدَرِّس شافِعِيّ ومُؤَدِّب أطْفَال وغير ذلك . فكَمَّلَها مَوْلاهُ ووَصِيُّه الكبير كافُور الخَصِيّ الرُّومي بعد وَفاةِ أسْتاذِه ، وهي الآن عامِرَة .

وبَلَغَ ابن مُسَلَّم هذا من وُفُور المال وعِظَم السَّعادَة ما لم يَبْلُغْه أحَدٌ ممَّن أدْرَكْناه ، بحيث إنَّه جاءَ نَصيبُ أَحَدِ أوْلادِه نحو مائتي ألف دينار مصرية ، وكان كثيرَ الصَّدَقات على الفُقَراء ، مُقْتِرًا على نَفْسِه إلى الغاية ، وله أيضًا مَطْهَرَة عظيمة بالقُرْب من جَامِع عَمْرو بن العَاص ونَفْعُها كبير ، وله أيضًا دارٌ جَليلَة على سَاحِل النِّيل بمصر . وكان أبُوه تاجرًا سَفَّارًا بعدما كان حَمَّالًا ، فصاهَر ابن بَسِير ، ورُزِق محمدًا هذا من ابنته ، فنَشَأَ على صِيانَةٍ ، ورُزِقَ الحَظَّ الوافِر في التِّجارَة وفي العَبيد . فكان يبعث أَحَدَهم بمالٍ عظيمٍ إلى الهِنْد ، ويَبْعَث آخَرَ بمثل ذلك إلى بِلاد التَّكْرور ، ويَبْعَث آخَر إلى بِلاد الحَبَشَة ، ويَبْعَث عِدَّةً آخرين إلى عِدَّةِ جِهاتٍ من الأرْض ، فما منهم من يَعُود إلَّا وقد تضاعَفَت فَوائِدُ مالِه أضْعافًا مُضاعَفَةً .

مَدْرَسَةُ إينَال

[أثر رقم ١١٨]

هذه المَدْرَسَةُ خارِج بابِ زَوِيلَة بالقُرْبِ من بابِ حارَة الهِلالِيَّة بخُطِّ القَمَّاحين[a]. كان مَوْضِعُها في القَديم من حُقُوق حارَة المَنْصُورَة ، أوْصَى بعِمارَتِها الأميرُ الكبيرُ سيْفُ الدِّين إينال اليُوسُفي ، أَحَدُ المماليك اليَلْبُغاوية ، فابتدأ بعَمَلِها في سنة أربعٍ وتسعين ، وفُرِغَت في سنة خمسٍ وتسعين وسبع مائةٍ[1] .

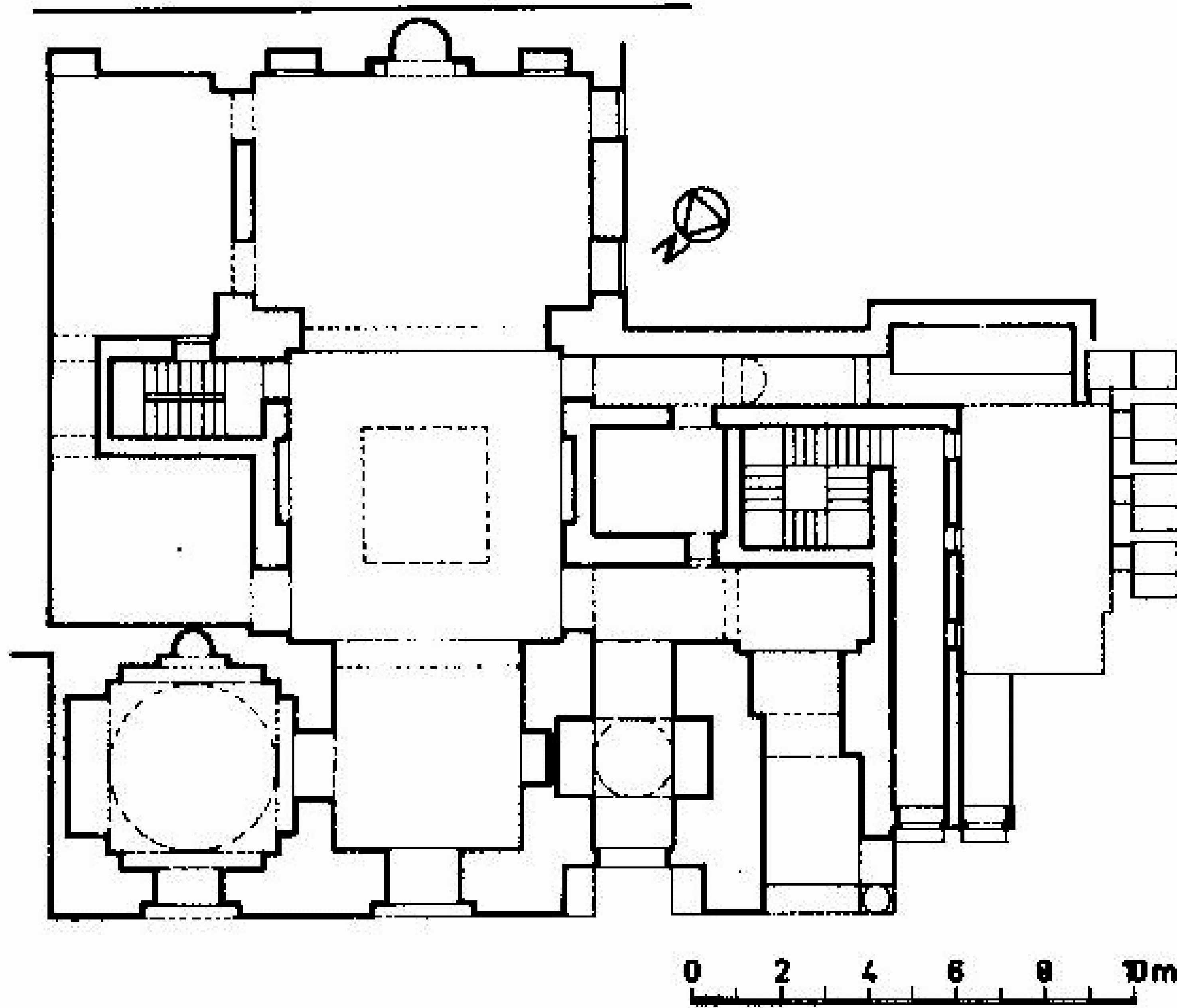
---

a) في المُسَوَّدَة : هي المَدْرَسَة اللطيفة التي بالقَمَّاحين بالشَّارع بالقُرْبِ من بابِ حارة اليانسية (؟) وهو الأصْوَب .

---

[1] لا تزالُ مَدْرَسَةُ الأمير إينال اليُوسُفي قائمةً بشارع قَصَبَة رَضْوان بالخَيَمِيَّة خارِج باب زَوِيلَة بجوار جَامِع محمود الكردي (مَدْرَسَة جمال الدِّين محمود الأُسْتادَّار ، فيما تقدم ٥٩٠–٥٩٤) وتُعْرَف بـ «جامع إينال» ، على يسار المُتَّجه إلى المَغَرْبِلين والسُّرُوجية . وتُوجَد كتابةٌ تاريخيةٌ منقوشَةٌ على أُسْكُفَّة المَزْيَرَة الواقعة على يمين مَدْخَل المَدْرَسَة تحمل النَّصَّ التالي : «[أنشأ هـ]ـذا السَّبيل المبارك من فَضْلِ الله تعالى المقرّ المرحوم السَّيْفي إينال الأتابكي الملكي الظَّاهري ـ تَغَمَّدَه الله برحمته ـ بتاريخ شهر ربيعِ الآخر سنة خمسٍ وتسعين وسبع مائة» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, 199 bis; Kallus, L., *RCEA* XVIII, n° 795 005).

وراجع عن المَدْرَسَة ، أبا المحاسن : المنهل الصافي =



مُخَطَّط مَدْرَسَةُ إينَـال (عن صالح لمعي)

ولم يَعْمَل فيها سِوَى قُرَّاء يَتَنَاوَبُون قِراءَة القُرْآن على قَبْرِه، فإنَّه لمَّا ماتَ في يوم الأربعاء رابع عشر جُمادَى الآخرة سنة أربعٍ وتسعين وسبع مائةٍ، دُفِنَ خارِج باب النَّصْر حتى انْتَهَت عِمارَةُ هذه المَدْرَسَة، فنُقِلَ إليها ودُفِنَ فيها.

إينَـال

هذا وَلِيَ نِيابَة حَلَب، وصارَ في آخِر عمره أتابَك العَساكِر بديار مصر حتى ماتَ. وكانت جنازَتُه كثيرة الجَمْع مَشَى فيها السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق والعَساكِر[1].

= ٣: ١٩٤؛ السخاوي: تحفة الأحباب ١٠٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٤٥٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٣٣ (٣٤)، ٤: ١٣١ (٦٣)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٧١- ٩٦.

[1] راجع ترجمة الأمير سَيْف الدِّين إينال اليُوسُفي السَّيْفي اليَلْبُغاوي، المتوفى سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م، عند ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩/٢: ٣١٨؛ المقريزي: السلوك ٣: ٧٦٦، ٧٧٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٤٦٢؛ إنباء الغمر ١: ٤٤١؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ١٢٨- ١٢٩، المنهل الصافي ٣: ١٨٩- ١٩٤؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٣٥١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٤٥٢.

وإينال معناه باللغة التركية: شُعاع القَمَر، إي: القَمَر، ونال: الشُّعاع. (أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ١٩٤).

مَدْرَسَةُ الأميرِ جَمالِ الدِّين الأُسْتادّار

[أثر رقم ٣٥]

هذه المَدْرَسَةُ برَحْبَةِ بابِ العيد من القاهِرَة، كان مَوْضِعُها قَيْسارِيَّةً يَعْلُوها طِباقٌ كلُّها وَقْفٌ فأَخَذَها وهَدَمَها [١]، وابتدأ بشَقِّ الأساسِ في يوم السبت خامس جُمادَى الأولى سنة عشرٍ وثمان مائةٍ، وجَمَعَ لها الآلات من الأحْجارِ والأخْشَابِ والرُّخام وغير ذلك.

وكان بمَدْرَسَةِ الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حسين بن محمد بن قَلاوون، التي كانت بالصُّوَّة تِجاه الطَّبْلَخاناه من قَلْعَة الجَبَل، بقيّةٌ من حاصِلها[a] فيها شَبابيكُ من نُحاسٍ مُكَفَّتٍ بالذَّهب والفِضَّة، وأبْوابٌ مُصَفَّحَة بالنُّحاس البَديع الصَّنْعَة المُكَفَّت، ومن المَصَاحِفِ وكُتُبِ الحَديث[b] والفِقْه وغيره من أنْواعِ العُلُوم جملة. فاشْتَرَى ذلك من الملكِ الصَّالِح المَنْصور حاجي بن الأَشْرَف بمبلغ ستّ مائة دينار ــ وكانت قيمتُها عَشَرات أَمْثال ذلك ــ ونَقَلَها إلى دارِه [٢]. فكان مِمَّا فيها عشرة مَصَاحِف، طُول كلِّ مُصْحَفٍ منها أربعة أشْبار إلى خمسة في عَرْضٍ يقرب من ذلك، أَحَدُها بخَطِّ ياقُوت وآخَر بخَطِّ ابن البَوَّاب، وباقيها بخُطوطٍ مَنْسوبَةٍ [٣]، ولها جُلودٌ في غاية الحُسْن معمولة في أكياس الحَرير الأَطْلَس؛ ومن الكُتُبِ النَّفيسَة عشرة أحْمال جَميعُها مكتوبٌ في أوَّلِه الإشْهادُ على الملك الأَشْرَف بوَقْفِ ذلك، ومَقَرُّه في مَدْرَسَته [٤].

---

a) بولاق: داخلها. b) بولاق: الكتب في الحديث.

---

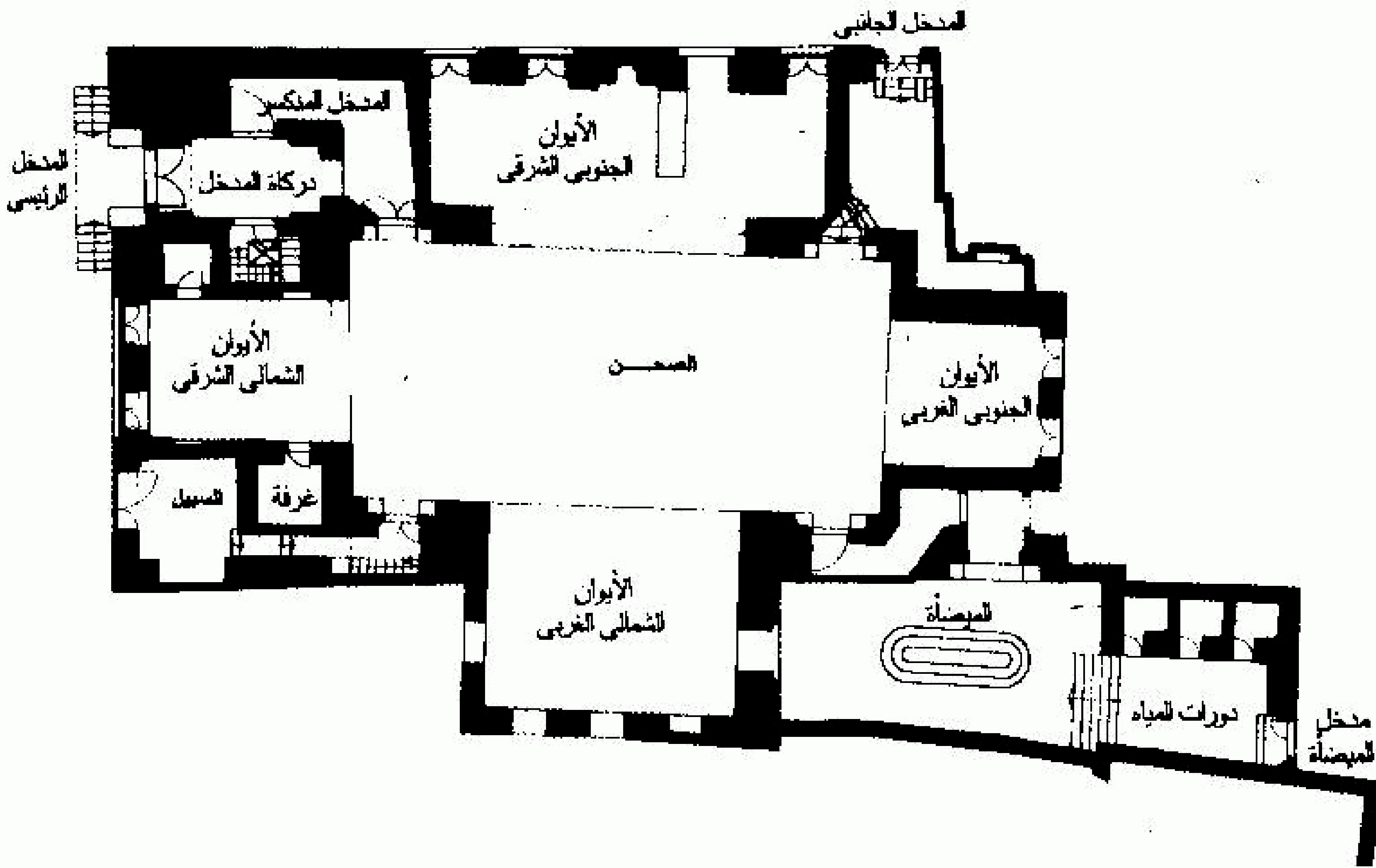
[١] انظر عن رَحْبَة باب العيد، فيما تقدم ٣: ١٤٩، وأشار المقريزي في أكثر من موضع إلى القَيْسارية المستجدَّة برَحْبَة باب العيد التي هَدَمَها جمالُ الدِّين الأُسْتادّار من أجل بناء مَدْرَسته، ولكنه لم يُفْردها بمَدْخَلٍ مستقلٍّ في الفَصْل الذي عَقَدَه لذكر القياسِر.

[٢] انظر فيما يلي ٦٦٢- ٦٦٦، المَدْرَسَة الأَشْرَفِيَّة شَعْبان.

[٣] انظر عن المصاحِف التي كَتَبَها كُلٌّ من عليّ بن هِلال ابن البَوَّاب وياقُوت المُسْتَعْصِمي، والمصاحِف المكتوبة بخُطوطٍ منسوبة، أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط ٥٧- ٦٥، ٣٠٧- ٣١٣.

[٤] لا تزالُ مَدْرَسَةُ جمال الدِّين الأُسْتادّار قائمةً بشارع التُّمْبَكشية وناصية شارع حَبْس الرَّحْبة بالجمالية، وتُعْرَف بـ«جامع الجَمالي» و«الجامع المُعَلَّق» لأنّه يُصْعَد إليه بسُلَّم ذي جناحين بكلِّ جَناحٍ ستّ دَرَجات. وتَخْطيطُ المَدْرَسَة على طِراز المدارس المُتعامِدَة: صَحْنٌ أوْسط مكشوف تُحيط به أربعةُ أواوين. وللمَدْرَسة واجهتان: الواجهة البَحْرية ــ وهي الواجهة الرئيسة ــ تُطِلُّ على شارع التُّمْبَكشية، والواجهة القِبْلية وتُطل على شارع حَبْس الرَّحْبَة.

ويوجد بأعلى دائر الصَّحْن كِتابةٌ تاريخية بالخط الثُّلث المملوكي، نَصُّها: =



مُخطَّط مَدْرَسَة جمال الدِّين الأسْتادار (عن المجلس الأعلى للآثار)

فلمَّا كان يوم الخميس ثالِث شهر رَجَب سنة إحدى عشرة وثمان مائة، وقد انتهت عِمارَتُها، جَمَعَ بها الأميرُ جَمالُ الدِّين القُضاة والأَعْيان، وأَجْلَس الشَّيْخ هَمَّام الدِّين محمد بن أحمد الخُوارَزْمي الشَّافِعِيّ على سِجَّادَة المَشْيَخَة، وعَمِلَه شَيْخ التَّصَوُّف ومُدَرِّس الشَّافِعِيَّة، ومَدَّ سِماطًا جَليلًا أَكَلَ عليه كلُّ من حَضَرَ، وملأ البِرْكَة التي بوَسَطِ المَدْرَسَة ماءً قد أُذيبَ فيه سُكَّر مُزِجَ بماءِ اللَّيْمون، وكان يَوْمًا مَشْهُودًا.

= «بسْم الله الرَّحْمن الرَّحيم ـ الآيات ١-١١ سورة الجُمُعَة ـ وَقَفَتْ هذه المَدْرَسة المباركة [...] الله ـ وكان الفراغُ من عمارتها في شهر ربيع الأوّل عام إحدى عشرة وثمان مائة، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 204).

راجع، المقريزي: السلوك ٤: ٦١، ١٧٥-١٧٦، ٣٥٣، ٣٧٦، درر العقود الفريدة ٣: ٥٦٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٧٨٥، ٧٩٢، ٨١١؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٢١٩ (٧٤)، ٥: ٢٧٥-٢٧٦ (١٢١)؛ محمد عبد الستار عثمان: وثيقة وقف جمال الدِّين يوسف الأستادار ـ دراسة تاريخية أثرية وثائقية، القاهرة ١٩٨٣؛ ٧٣-٢٠٨؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٢١١-٢٣٨.

ونَظَرًا لتأثُّر المَدْرَسة بزِلْزال أكتوبر سنة ١٩٩٢، فقد قام المجلس الأعلى للآثار بالقاهرة بأعمال ترميم وتجديد شاملة للمدرسة، وافْتُتِحَت في نهاية عام ٢٠٠٢.

وقَرَّرَ في تَدْرِيس الحَنَفِيَّة بَدْر الدِّين / محمود بن محمد المعروف بالشَّيخ زادَه الخَرْزِياني [١]، وفي تَدْرِيس المالِكية شَمْس الدِّين محمد بن [a] البساطي، وفي تَدْرِيس الحَنابِلَة فَتْح الدِّين أبا الفَتْح محمد بن نَجْم الدِّين محمد بن الباهِي [b]، وفي تَدْرِيس الحَدِيث النَّبَوي شِهاب الدِّين أحمد ابن عليّ بن حَجَر [٢]، وفي تَدْرِيس التَّفْسير شَيْخ الإسْلام قاضي القُضَاة جَلال الدِّين عبد الرحمن ابن البُلْقيني . فكان يجلس من ذَكَرْنا واحِدًا بعد واحِدٍ في كلِّ يومٍ إلى أن كان آخرُهم شيخَ التَّفْسير، فكان مِسْكَ الخِتام، وما منهم إلَّا من يحضر معه، ويُلْبِسه ما يَليق به من الملابِس الفاخِرَة .

وقَرَّرَ عند كلٍّ من المُدَرِّسين الستة طائِفَةً من الطَّلَبَة، وأَجْرَى لكلٍّ واحِدٍ ثلاثة أرْطال من الخُبْز في كلِّ يوم، وثلاثين دِرْهَمًا فُلوسًا في كلِّ شهر، وجَعَلَ لكلِّ مُدَرِّسٍ ثلاث مائة دِرْهَم في كلِّ شهر [٣]، ورَتَّبَ بها إمامًا وقَوَمَةً ومؤذِّنين وفَرّاشين ومُباشِرين، وأكثر من وَقْفِ الدُّور عليها، وجَعَلَ فائِضَ وَقْفِها مَصْرُوفًا لذُرِّيَّتِه . فجاءَت في أَحْسَن هِنْدام وأَتَمِّ قالِب وأَفْخَر زِيّ وأَبْدَع رُخام [c]. إلَّا أنَّها وما فيها من الآلات، وما وُقِفَ عليها، أُخِذَ من النَّاسِ غَصْبًا، وعَمِلَ فيها الصُّنَّاعُ بأَبْخَسِ أُجْرَةٍ مع العَسْفِ الشَّديد .

فلمَّا قَبَضَ عليه السُّلْطانُ وقَتَلَه في جُمادَىٰ الأوَّل سنة اثنتي عشرة وثمان مائة [٢] واسْتَوْلى على أمْوالِه، حَسَّنَ جَماعةٌ للسُّلْطان أن يَهْدِمَ هذه المَدْرَسَة، ورَغَّبوه في رُخامِها فإنَّه غايةٌ في الحُسْن؛ وأن يَسْتَرْجِعَ أوْقافَها فإنَّ مُتَحَصَّلَها كثير، فمالَ إلى ذلك وعَزَم عليه . فكَرِه ذلك [d] الرَّئيسُ فَتْحُ الدِّين فَتْح الله كَاتِب السِّرّ، واسْتَشْفَع أن يُهتدَّ بَيْتٌ بُنِيَ على اسْمِ الله يُعْلَن فيه بالأذان خَمْس مَرَّات في اليوم والليلة، وتُقامُ به الصَّلَواتُ الخَمْس في جَماعَة عَدِيدَة، ويَحْضُرُه في عَصْرِ كلِّ يومٍ مائة وبضعة عشر رَجُلًا يَقْرَأُون القُرْآن في وَقْت التَّصَوُّف، ويَذْكُرون الله ويَدْعُونه، ويَتَحَلَّقُ به الفُقَهاءُ لتَدْريس [e] تَفسير القُرآن الكريم وحَديث [f] رَسُولِ الله ﷺ وفِقْه الأئِمَّة الأربعة، ويُعلَّم فيه

---

a) بياض في آياصوفيا وميونخ . b) بولاق : الباهلي . c) بولاق : نظام . d) بولاق : فكَرِه ذلك للسلطان . e) بولاق : لدرس . f) بولاق : وتفسير حديث .

---

[١] توفي سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م، (الصيرفي : نزهة النفوس ٢: ٣٧٣) .

[٢] هو شهاب الدِّين أحمد بن علي بن حَجَر العَسْقلاني الحافظ المشهور .

[٣] المقريزي : السلوك ٤ : ٧٨ .

أيْتامُ المُسْلمين كِتابَ الله عَزَّ وجَلَّ، ويُجْرَى على أهْلِه[a] المذكورين الأرْزاق [b]من الخُبْز[b] في كلِّ يومٍ ومن المالِ في كلِّ شهر. ورأى أنَّ إزالةَ مثل هذا وَصْمَةٌ في الدِّين، فتجرَّد له، وما زالَ بالسُّلْطان يُرَغِّبه في إبْقائِها - على أن يُزال منها اسْمُ جَمال الدِّين وتُنْسَب إليه، فإنَّه من الغَبْن[c] هَدْم مثلها ونحو ذلك - حتى رَجَعَ إلى قَوْلِه، وفَوَّض أمْرَها إليه، فدَبَّرَ ذلك أحْسَنَ تَدْبير.

وهو أنَّ مَوْضِعَ هذه المَدْرَسَة كان وَقْفًا على بَعْضِ التُّرَب، فاسْتَبْدَلَ به جَمالُ الدِّين[١] أرْضًا من جملة أراضي الخَراج بالجيزيَّة[d]، وحَكَمَ له قاضي القُضَاة كمالُ الدِّين عُمَر بن العَديم الحَنَفيّ[٢][e] [b]بصِحَّة الاسْتِبْدال[b]، وهَدَم البِناء وبَنَى مَوْضِعَه هذه المَدْرَسَة، وتَسَلَّمَ مُتَوَلِّي مَوْضعها الأرْض المُسْتَبْدَل بها، إلى أن قُتِلَ جَمالُ الدِّين وأُحيطَ بأمْوالِه، دَخَلَ فيما أُحيطَ به هذه الأرْض المُسْتَبْدَل بها.

وادَّعى السُّلْطانُ أنَّ جمالَ الدِّين افْتاتَ عليه في أَخْذِ هذه الأرْضِ، وأنَّه لم يأْذَن في بَيْعها من بَيْتِ المال. فأَفْتَى حينئذٍ قاضي القُضَاة شَمْس الدِّين محمد المَدَني[f] المالِكي بأنَّ بِناءَ هذه المَدْرَسَة - الذي وَقَفَه جَمالُ الدِّين على الأرْض التي لم يَمْلِكها بوَجْهٍ صَحيح - لا يَصِحُّ، وأنَّه باقٍ على مِلْكه إلى حين مَوْتِه.

فنَدَبَ عند ذلك شُهُودَ القِيمَة إلى تَقْويمِ بِناءِ المَدْرَسَة، فقَوَّمُوها باثني عشر ألف دينار ذَهَبًا، وأثْبَتُوا مَحْضَرَ القِيمَة على بعض القُضَاة. فحَمَلَ المبلغ إلى أَوْلادِ[g] جَمال الدِّين حتى تَسَلَّموه

---

a) بولاق: هؤلاء. b-b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: الفتن. d) بولاق: الجيزة. e) ساقطة من بولاق. f) بولاق: محمد شمس الدين المدني. g) بولاق: أولاده.

---

[١] انظر ترجمة جمال الدِّين يُوسُف بن أحمد الأسْتادَّار البِجاسي البيري، المتوفى سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، عند المَقريزي: السلوك ٤: ١١٣-١١٤، ١٢٩ (وفيه: «وقد بَسَطْتُ ترجمته في «التاريخ الكبير المُقَفَّى» وفي كتاب «دُرَر العُقود الفريدة في تراجم الأعْيان المفيدة»)، درر العقود الفريدة ٣: ٥٦٢-٥٧٢ (وفيه: «وكانت بيني وبينه صُحْبَةٌ مُدَّة سنين ولنا اجتماعاتٌ في المسامرة أوَّل الليل بالمَدْرَسَة السَّابقية ...»)؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٤٤٥-٤٤٨، ذيل الدرر الكامنة ٢٠٥؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٣: ١٧٥، الدليل الشافعي ٧٩٦-٧٩٧؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٢٦٠؛ السخاوي: الضوء اللامع ١٠: ٢٩٤-٢٩٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٧٩٥؛ محمد عبد الستار عثمان: وثيقة وقف جمال الدِّين يوسف الأستادَّار، ٧-٧٠.

[٢] انظر ترجمة قاضي القضاة كمال الدِّين عمر ابن إبراهيم بن العَديم الحَنَفي فيما تقدم ٢: ٢٩٦هـ[٢]؛ وعن الاسْتِبْدال انظر فيما تقدم ٣: ٢٠١هـ[١] وأضِف إلى ما ذكر من مراجع، جمال الخولي: الاستبدال واغْتِصاب الأوقاف - دراسة وثائقية، الإسكندرية - دار الثقافة العلمية ٢٠٠١.

وباعُوا بِناءَ المَدْرَسَة للسُّلْطان، ثم اسْتَرَدَّ السُّلْطانُ منهم المبلغ المذكور، وأَشْهَدَ عليه أنَّه وَقَفَ أرْضَ هذه المَدْرَسَة بعدما اسْتَبْدَلَ بها، وحَكَمَ حاكِمٌ حَنَفيٌّ بصِحَّةِ الاسْتِبْدال.

ثم وَقَفَ البِناءَ الذي اشْتَراه وحَكَمَ بصِحَّتِه أيضًا، ثم اسْتَدْعى بكتابِ وَقْف جَمال الدِّين ولَخَّصه ثم مَزَّقَه، وجَدَّدَ كِتاب وَقْفٍ يَتَضَمَّن جَميعَ ما قَرَّرَه جَمالُ الدِّين في كِتابِ وَقْفِه من أرْبابِ الوَظائِف، وما لهم من الخُبْز في كلِّ يومٍ ومن المعلوم في كلِّ شهرٍ، وأبْطَلَ ما كان لأوْلادِ جَمال الدِّين من فائِضِ الوَقْف.

وأَفْرَد لهذه المَدْرَسَة مِمَّا كان جَمالُ الدِّين جَعَلَه وَقْفًا عليها عِدَّةَ مَواضِع تقوم بكفاية مَصْرُوفها، وزادَ في أوْقافِها أرْضًا بالجيزِيَّة، وجَعَلَ ما بقيَ من أَوْقافِ جَمال الدِّين على هذه المَدْرَسَة: بعضه وَقْفًا على أوْلاده، وبعضه وَقْفًا على التُّرْبَة التي أنشأها على قَبْر[a] أبيه الملك الظَّاهِر بَرْقُوق خارج باب النَّصْر. وحَكَمَ قُضاةُ القُضَاة الأرْبَع[b] بصِحَّةِ هذا الكِتاب، بعدما حَكَمُوا بصِحَّة كِتاب وَقْف جَمال الدِّين، ثم حَكَمُوا بِبُطْلانِه.

فلمَّا تَمَّ ذلك مُحِيَ من هذه المَدْرَسَة اسْمُ جَمال الدِّين ورَنْكُه[١]، وكُتِبَ اسْم السُّلْطان الملك النَّاصِر فَرَج بدائِر صَحْنِها من أعْلاه، وعلى قناديلها وبُسُطِها وسُقُوفِها. ثم نَظَرَ السُّلْطانُ في كُتُبِها العلمية المَوْقُوفَة بها، فأَقَرَّ بها[c] منها جملةَ كُتبٍ بظاهِر كلِّ سِفْرٍ منها فَصْلٌ يتضَمَّن وَقْف السُّلْطان له، وحُمِلَ كثيرٌ من كُتُبِها إلى قَلْعَةِ الجبَل، وصارَت هذه المَدْرَسَةُ تُعْرَف بـ «النَّاصِرِيَّة» بعدما كان يُقال لها «الجَمالِيَّة»[٢].

ولم تَزَلْ على ذلك حتى قُتِلَ النَّاصِرُ وقَدِمَ الأميرُ شَيْخُ إلى القاهِرَة، واسْتَوْلَى على أُمُورِ الدَّوْلَة، فتَوَصَّلَ شَمْسُ الدِّين محمد، أخو جَمال الدِّين، وزَوْج ابنته شَرَف الدِّين أبي بكر بن العَجَمي، مُوَقِّع الأُسْتادَّار بالأمير شَيْخ، حتى أَحْضَرَ قُضاة القُضَاة، وحَكَمَ الصَّدْر على ابن الأدمي قاضي ٤٠ القُضاة الحَنَفِيَّة برَدِّ / أوْقافِ جَمال الدِّين إلى وَرَثَتِه، من غير اسْتيفاءِ الشُّروط في الحكْم، بل تَهَوَّرَ فيه وجازَف. ولذلك أَسْبابٌ منها: عِنايَةُ الأمير شَيْخ بجَمال الدِّين الأُسْتادَّار، فإنَّه لما انْتَقَلَ إليه

a) بولاق: في قُبَّة. b) بولاق: وحكم القضاة الأربعة. c) ساقطة من بولاق.

[١] انظر عن الرَّنْك، فيما تقدم ٣: ٤٨٨-٤٩٠هـ.

[٢] المقريزي: السلوك ٤: ١٧٥-١٧٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٨٢٧-٨٢٨.

إقْطاعُ الأمير بَجَاس بعد مَوْت الملك الظَّاهِر بَرْقُوق ، اسْتَقَرَّ جَمالُ الدِّين أُسْتادَّاره كما كان أُسْتادَّار بَجاس ، فَخَدَمَه خِدْمَةً بالغةً ، وخَرَجَ الأميرُ شَيْخُ إلى بِلاد الشَّام واسْتَقَرَّ في نِيابَة طَرابُلُس ثم في نِيابَة الشَّام ، وخِدْمَة جَمال الدِّين له ولحاشِيَته ومن يَلُوذ به مستمرَّة .

وأرْسَلَ مرَّةً الأمير شَيْخ من دِمَشْق بصَدْرِ الدِّين بن الأدْمي المذكور في الرِّسالة إلى الملك النَّاصِر ، وجَمال الدِّين حينئذٍ عَزيزُ مصر ، فأنزله وأكرمه وأنْعَمَ عليه ووَلَّاه قَضاء الحَنَفِيَّة وكِتابَة السِّرِّ بدِمَشْق ، وأعادَه إليه . وما زال مُعْتنيًا بأمُور الأمير شَيْخ ، حتى اتُّهِم بأنَّه[a] قد مالأه على السُّلْطان ، فقَبَضَ عليه الملكُ النَّاصِرُ بسَبَب ذلك ونَكَبَه .

فلمَّا قُتِلَ النَّاصِرُ ، واسْتَوْلَى الأميرُ شَيْخُ على الأمُور بديار مصر ، وَلَّى قَضَاءَ القُضَاة[b] الحَنَفِيَّة بديار مصر لصَدْر الدِّين عليّ بن الأدْمي المذكور ، ووَلَّي أُسْتادَّاره بَدْر الدِّين حسن بن مُحِبّ الدِّين الطَّرابُلُسي أُسْتادَّار السُّلْطان . فخَدَمَ شَرَفُ الدِّين أبو بكر بن العَجَمي - زَوْج ابنة أخي جَمال الدِّين - عنده مُوَقِّعًا وتَمكَّن منه ، فأغْراه بفَتْح الدِّين فَتْح الله كاتِب السِّرِّ ، حتى أثْخَنَ جراحَه عند الملك المُؤَيَّد شَيْخ ، ونَكَبَه بعدما تَسَلْطَن . واسْتَعَان أيضًا بقاضي القُضَاة صَدْر الدِّين ابن الأدْمي ، فإنَّه كان عَشيرَه وصَديقَه من أيَّام جَمال الدِّين ، ثم اسْتَمالَ ناصِر الدِّين محمد ابن البارِزي ، مُوَقِّع الأمير الكبير شَيْخ .

فقامَ الثلاثَةُ مع شَمْس الدِّين ، أخي جَمال الدِّين ، حتى أُعيدَ إلى مَشْيَخَة خانْكاه بَيْبَرْس وغيرها من الوَظائِف التي أُخِذَت منه عندما قَبَضَ عليه الملكُ النَّاصِرُ وعاقَبَه ، وتَحَدَّثوا مع الأمير الكبير في ردِّ أوْقافِ جَمال الدِّين إلى أخيه وأوْلادِه ، فإنَّ النَّاصِرَ غَصَبَها منهم ، وأَخَذَ أمْوالَهم وديارَهم بظُلْمِه إلى أن فَقَدُوا القُوت ، ونحو هذا من القَوْل حتى حَرَّكوا منه حِقْدًا كامِنًا على النَّاصِر ، ونَبَّهوا منه عَصَبِيَّه[c] لجَمال الدِّين ؛ هذا وغَرَضُ القَوْم في الباطِن تأخير فَتْح الله[d] والإيقاع به ، فإنَّه ثَقُلَ عليهم وُجودُه معهم . فأمَرَ عند ذلك الأميرُ الكبيرُ بعَقْد مَجْلِس حَضَرَه قُضاةُ القُضَاة والأُمَرَاءُ وأهْلُ الدَّوْلَة ، عنده بالحَرَّاقَة من باب السِّلْسِلَة[1] ، في يوم السبت تاسع عشرين شهر رَجَب سنة خمس عشرة ، وتَقَدَّمَ أخو جَمال الدِّين ليَدَّعي على فَتْح الدِّين فَتْح الله

a) بولاق : حتى إنّه اتهم بأنّه . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : وعملوا منه عصبية . d) بولاق : فتح الدين .

[1] انظر فيما تقدم ٣:٧٨٦هـ ١ .

كاتِب السِّرّ ، وكان قد عَلِمَ بذلك ، ووكَّلَ بَدْرَ الدِّين حَسَنًا البُرْديني - أَحَد نُوَّاب الشَّافِعِيَّة - في سَماعِ الدَّعْوى ورَدِّ الأَجْوِبَة .

فعندما جَلَسَ البُرديني للمُحاكَمَة مع أخي جَمال الدِّين ، نَهَرَه الأميرُ الكبير وأقامَه ، وأَمَرَ بأن يكون فَتْحُ الله هو الذي يَدَّعي عليه ، فلم يجد بُدًّا من جُلوسه . فما هو إلَّا أن ادَّعَى عليه أخو جَمال الدِّين بأنَّه وَضَعَ يَدَهُ على مَدْرَسَة أخيه جَمال الدِّين وأَوْقافِه بغير طَريق ، بادَر قاضي القُضَاة صَدْرُ الدِّين عليُّ بن الآدَمي الحَنَفي ، وحَكَمَ برَفْع يده وعَوْد أوقاف جَمالِ الدِّين ومَدْرَسَته إلى ما نَصَّ عليه جَمالُ الدِّين ، ونَفَّذَ بقيَّةُ القُضَاةُ حُكْمَه ، وانفَضُّوا على ذلك .

فاسْتَوْلَى أخو جَمال الدِّين وصِهْرُه شَرَفُ الدِّين على حاصِلٍ كبير كان قد اجتمع بالمَدْرَسَة من فاضِل رِيعها ومن مالٍ بَعَثَه الملكُ النَّاصِرُ إليها ، وفَرَّقُوه ، حتى كَتَبُوا كِتابًا اخْتَرَعوه من عند أنفسهم ، جَعَلُوه كِتابَ وَقْفٍ للمَدْرَسَة ، زادوا فيه : أنَّ جَمالَ الدِّين اشْتَرَطَ النَّظَر على المَدْرَسَة لأخيه شَمْس الدِّين المذكور وذُرِّيته ، إلى غير ذلك مِمَّا لَفَّقُوه بشَهادَة قَوْمٍ اسْتَمالوهم فمالوا . ثم أَثْبَتُوا هذا الكتاب على قاضي القُضَاة صَدْر الدِّين بن الأدمي ، ونَفَّذَه بقيَّةُ القُضَاة .

فاستَمَرَّ الأَمْرُ على هذا البُهْتان المُخْتَلَق والإفْك المُفْتَرَى مُدَّةً ، ثم ثارَ بعضُ صُوفِيَّة هذه المَدْرَسَة ، وأَثْبَتَ مَحْضَرًا بأنَّ النَّظَر لكاتِب السِّرّ ، فلمَّا ثَبَتَ ذلك ، نُزِعَت يَدُ أخي جَمالِ الدِّين عن التَّصَرُّف في المَدْرَسَة ، وتَوَلَّى نَظَرَها ناصِرُ الدِّين محمد بن البارزي كاتِب السِّرّ ، واسْتَمَرَّ الأَمْرُ على هذا . فكانت قِصَّةُ هذه المَدْرَسَة من أَعْجَبِ ما سُمِعَ به في تَناقُضِ القُضَاةِ وحُكْمِهم بإبْطالِ ما صَحَّحُوه ، ثم حُكْمِهِم بتَصْحيح ما أَبْطَلوه ، كلُّ ذلك مَيْلًا مع الجاه ، وحِرْصًا على بَقَاءِ رِئاسَتهم ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ ويُسْئَلُونَ﴾ [الآية ١٩ سورة الزخرف] .

المَدْرَسَةُ الصَّرْغَتْمُشِيَّة

[أثر رقم ٢١٨]

هذه المَدْرَسَةُ خارِج القاهِرَة بجوار جَامِع الأمير أبي العَبَّاس أحمد بن طُولُون ، فيما بينه وبين قَلْعَةِ الجَبَل[1] . كان مَوْضِعُها قَديمًا من جملة قَطائِع ابن طُولُون ، ثم صارَ عِدَّةَ مَساكِن فأَخَذَها الأميرُ سَيْفُ الدِّين صَرْغَتْمُش النَّاصِري رأس نَوْبَة النُّوَب وهَدَمَها ، وابتدأ في بِناءِ

[1] أي بين الجَامِع وبين الطَّريق التي تُوَصِّل إلى قَلْعَةِ الجَبَلِ .

المَدْرَسَة[١] يوم الخامِس[a] من شهر رَمَضان سنة ستٍّ وخمسين وسبع مائة، وانتهت في جُمادَى الأولى سنة سبعٍ وخمسين[٢].

وقد جاءَت من أَبْدَعِ المباني وأَجَلِّها، وأَحْسَنِها قالبًا، وأَبْهَجِها. فرَكِبَ إليها الأميرُ صَرْغَتْمُش في يوم الثلاثاء تاسعه وحَضَرَ إليه الأميرُ سَيْفُ الدِّين شَيْخُو العُمَري مُدَبِّر/ الدَّوْلَة، والأميرُ طاشْتَمُر القاسِمي حَاجِب الحُجَّاب، والأميرُ تُوقْتاني الدَّوادار، وعامَّةُ أُمَرَاءِ الدَّوْلَة، وقُضَاةُ القُضَاةِ الأرْبَع، ومَشايِخُ العِلْم.

ورَتَّبَ مُدَرِّس الفِقْه بها قَوام الدِّين أمير كاتِب بن أمير عُمَر العَميد بن العَميد أمير غازي الأتْقائي، فألقى القَوام الدَّرْس، ثم مُدَّ سِماطٌ جَليلٌ بالهِمَّة الملوكية، ومُلِئَت البِرْكَةُ التي بها شُكَّرًا قد أُذيبَ بالماء، فأَكَل النَّاسُ وشَرِبوا، وأُبيحَ ما بقي من ذلك للعامَّة فانْتَهَبُوه. وجَعَلَ الأميرُ

a) بولاق: الخميس.

[١] لا تزالُ المَدْرَسَةُ الصَّرْغَتْمُشِيَّة باقيةً وتُعْرَف بـ «جَامِع صَرْغَتْمُش» بشارع الخُضيري بالسَّيِّدَة زَيْنَب بجوار جَامِع أحمد بن طُولُون من الجهة البحرية الغربية لَصْق الزِّيادَة الغربية للجَامِع، وبسببها سُدَّ بابان من أبواب هذه الزِّيادة. وتَصْميمُ المَدْرَسَة على النَّمَطِ المتعامِد: أربعة إيوانات حول صَحْنٍ مكشوف تتوسَّطه فَسْقِيَّةٌ حولها ثمانية عُمُد رخامية، وهذه الفَسْقِيَّةُ ليست هي الفَسْقِيَّة القديمة. وواضحٌ في عمارة المدرسة وجود تأثيراتٍ فارسية، وهو ما جَعَلَ المرحوم حسن عبد الوهاب يُرَجِّح أنَّ مهندسها كان فارسيًّا.

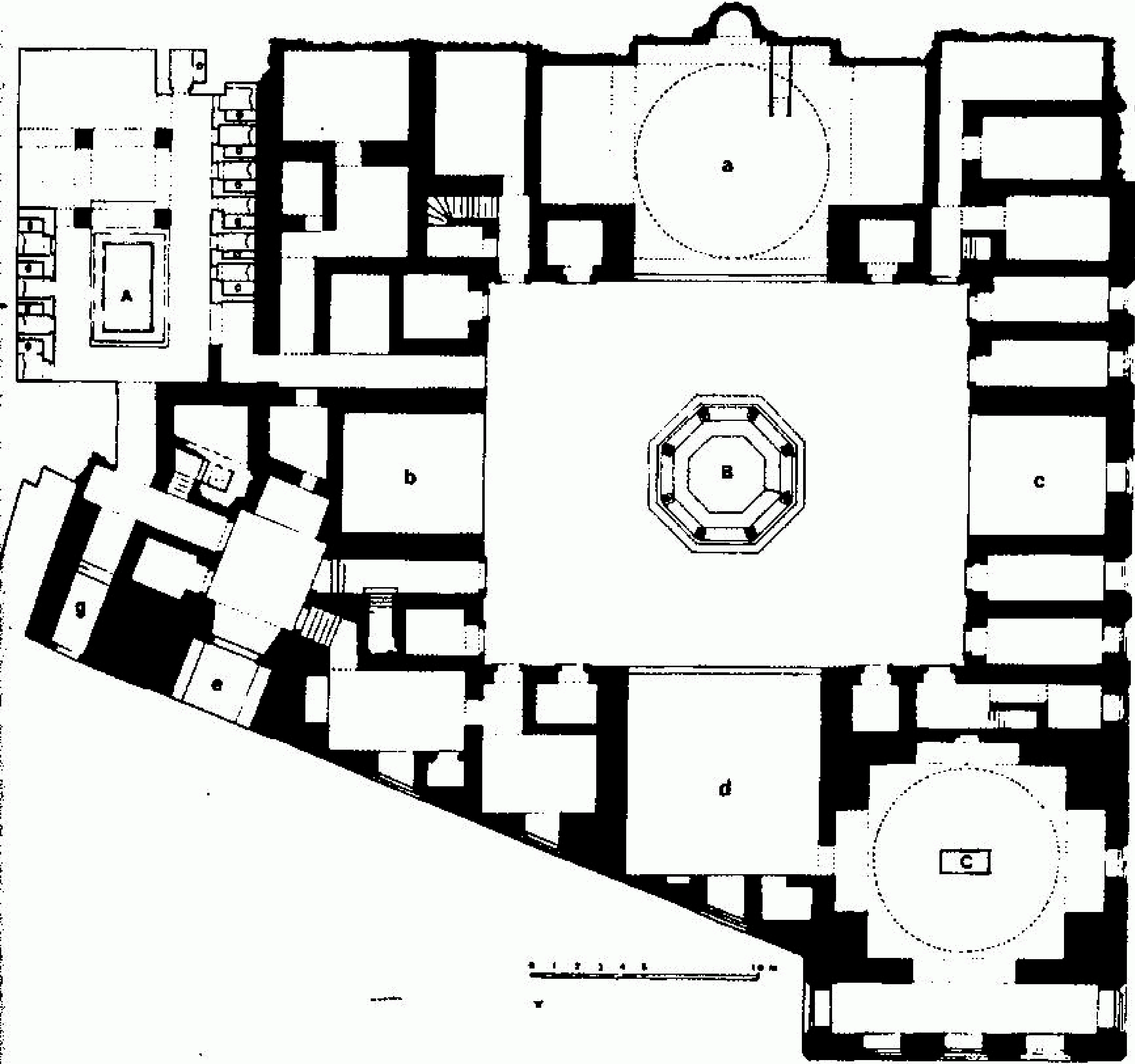
وقد قامت لجنةُ حفظ الآثار العربية بترميم وإصْلاح ما تَهَدَّم من المدرسة، وبناء القُبَّة التي فوق الإيوان الشرقي الذي به المِحْراب. وفي عام ٢٠٠٢ افتتحت المدرسة بعد أعمال صيانةٍ وترميم شاملة قام بها المجلس الأعلى للآثار بالقاهرة نتيجة لتأثُّرها بزلزال أكتوبر سنة ١٩٩٢.

(راجع، المقريزي: السلوك ٣: ٢٢، ٢٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٣٢٨، ٣٠٨هـ[٢]؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٥٥٥؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٣٢٣ (١٢٠)، ٥: ٩٢-٩٣ (٣٨)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٦٠- ١٦٤؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٢٦٧- ٢٧٥؛ ولسيد جودة القصاص: «المدرسة الصَّرْغَتْمُشية - دراسة أثرية ومعمارية» رسالة ماجستير بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٣؛ آمال العمري: «دراسة لزخارف على لَوْحٍ من الرخام عثر عليه في مدرسة صرغتمش»، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ١ (١٩٧٥)، ١٤٣- ١٧٦؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٠٨٧-١١٢٧).

[٢] توجد على جانبي المَدْخل الرئيس للمَدْرسة كتابةٌ تاريخيةٌ بالخَطِّ النَّسْخ المملوكي، نَصُّها:

«أَمَرَ بإنْشاء هذه المَدْرَسَة المباركة المقرُّ الأشْرَفُ العالي المولوي العالمي العادلي الفاضِلي السَّيْفي صَرْغَتْمُش رأسُ نَوْبَة الملكي النَّاصري [مُرَبِّي العُلَ]ماء مُقَوِّي الضُّعَفاء باني المدارس والمساجِد في ربيع الآخر سنة سبعٍ وخمسين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 161; Wiet, G., *RCEA* XVI, n° 6262).

صَرْغَتْمُش هذه المَدْرَسَة وَقْفًا على الفُقَهاءِ الحَنَفية الأفاقِيَّة، ورَتَّب بها دَرْسًا للحَديث النَّبوي، وأجرى لهم جَميعًا المعاليمَ من وَقْفٍ رَتَّبه لهم[١].



مُخَطَّط المَدْرَسة الصَّرْغَتْمَشية (عن Golvin)

[١] وراجع أيضًا المقريزي: السلوك ٣: ٢٨، وتوجد وثيقة وقف الأمير صَرْغَتْمُش بأرشيف وزارة الأوقاف برقم ٣١٩٥، وانظر كذلك عبد اللطيف إبراهيم: «نَصَّان جديدان من وثيقة الأمير صَرْغَتْمُش»، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ٢٧-٢٨ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)، ١٢١-١٥٨، ١٤٣-٢١٠). المقريزي: السلوك ٣: ٢٩.

وقال أُدَباءُ العَصْر فيها شِعْرًا كثيرًا، فقال العلّامةُ شَمْسُ الدِّين محمد بن عبد الرَّحْمَلن ابن الصَّائغ الحَنَفي:

[الطويل]

لِيَهْنِكَ يا صَرْغَتْمُش ما بَنَيْته ... لأُخْراكَ في دُنياكَ من حُسْنِ بُنْيانِ
به يَزْدَهي التَّرْخيمُ كالزَّهْر بَهْجَةً ... فلِلَّه من زَهْرٍ ولله من بانِ

وخَلَعَ في هذا اليوم على القَوام خِلْعَةً سَنِيَّة، وأرْكَبه بَغْلَةً رائِعَةً، وأجازَه بعشرة آلاف دِرْهَم على أبياتٍ مَدَحَه بها في غاية السَّماجَة، وهي:

[المتدارك]

أَرَأيْتُم من حوا النُّوَبا ... وأتَى قُرَبًا ونَفَى رِيَبًا
فبَدَا عَلَمًا وسَمَا كَرَمًا ... ونَمَا قَدَمًا ولقد غَلَبًا
بتُقًى وهُدًى ونَدًى وَجَدا ... فغدا وسدى وَجَبَى وَحَبَا
أبدى سَنَنًا أحيا سُنَنًا ... حلّى زَمَنًا عند الأُرَبا
هذالك صَرْغَتْمُش سَكَبَتْ ... أيّام إمارَته السُّحُبا
وأزالَ الجَدْبَ إلى خِصْبٍ ... والضَّنْكَ إلى رَغَدٍ قَلَبًا
بإعانة جبّار رَبّي ... ذى العَرْش وقد بَذَلَ النَّشَبا
مَلِكٌ فَطِنٌ رُكْنٌ لَسِنٌ ... حَسَن بسن رَبَّى الأُدَبا
مَلِكُ الكُبَرا مَلِكُ الأُمَرا ... مَلِك العُلَما مَلِكُ الأُدَبا
بَحْرٌ طَامٍ غَيْثٌ هَامٍ ... قَدْرٌ سَامٍ حامي الغُرَبا
ببشاشَتِه وسَماحَتِه ... وحَماسَتِه جلّى الكُرَبا
ودِيانَتِه وصِيانَتِه ... وأمانَتِه حازَ الرُّتَبا
أبْهَى أَصْلًا أسْنَى نَسْلًا ... أحْظَى خَصْلًا بلا الغُرَبا
نِعْمَ المأْوَى مِصْرٌ لمَّا ... شَمِلَت قَوْمًا قَبْلًا نُجُبا
فنَمَت نُورًا وسَمَت نُورًا ... وعَلَت دُرَرًا ورأت طَرَبا
نَسَقَت دُرَرًا وَسَقَت دُرَرًا ... ووَعَت غُرَرا وَحَوَت أَدَبا
وخطابَةً افْتَخَرَت وعَنَت ... وسَمَت وزَرَت وَحَوَت أَرَبا
خُذْ دُرَّتَنا ثم الجنِ جَنَا ... منها ومِنّي فمعي طَلَبا
مَنْ كان عَنَا نَسَبي عَلَنا ... فأراب لنا نَعِمَتْ نَسَبا
كَنَوْنِ أبَا لحَنيفَة ثـ ... ـم قَوام الدِّين بذا لَقَبا
عش في رَجَب تَرَ من عَجَبٍ ... من مُنْتَجَبٍ عَجَبًا عَجَبا

صَرْغَتْمُش

النَّاصِريّ ـ الأميرُ سَيْفُ الدِّين رَأْس نَوْبَة [1]، جَلَبَه الخَواجَا [a] الصَّوَّاف في سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مائةٍ، واشْتَراهُ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد ابن قَلاوون بثمانين[b] ألف دِرْهَم فِضَّةٍ، عنها يومئذٍ نحو أربعة آلاف مِثْقالٍ ذَهَبًا، وخَلَعَ على الخَواجَا تَشْرِيفًا كامِلًا بحِياصَة ذَهَب، وكَتَبَ له تَوْقيعًا بمُسامَحة مائة ألف دِرْهَم من مَتْجَره، فلم يَعْبَأ به السُّلْطانُ وصارَ في أيَّامه من جملة الجَمْدارية.

وحُكيَ عن القاضي شَرَفِ الدِّين عبد الوهَّاب ناظِر الخاصّ، أنَّ السُّلْطانَ أنْعَمَ على صَرْغَتْمُش هذا بعَشْرِ طاقات أديم طائِفي، فلمَّا جاءَ إلى النَّشْو، تَرَدَّدَ إليه مِرارًا حتى دَفَعها إليه. ولم يَزَلْ خامِلَ الذِّكْر إلى أن كانَت أيَّامُ المُظَفَّر حاجي بن محمد بن قَلاوون، فبَعَثَه مسفرًا مع الأمير فَخْر الدِّين إياز السِّلاح دار، لمَّا اسْتَقرَّ في نِيابَة حَلَب، فلمَّا عادَ من حَلَب ترقَّى في الخِدْمَة، وتَمَكَّن من[c] المُظَفَّر، وتَوَجَّه في خِدْمَة الصَّالِح بن محمد بن قَلاوون إلى دِمَشْق في نَوْبَة بَيْبُغا روس[d]، وصارَ السُّلْطانُ يَرْجِعِ إلى رأيه. فلمَّا عادَ من دِمَشْق، أَمْسَكَ / الوَزِيرَ عَلَمَ الدِّين عبد الله بن زُنْبور ٤٠٥ بغير أَمْرِ السُّلْطان وأَخَذَ أمْواله، وعارَضَ في أَمْره الأَمير شَيْخو والأمير طاز. ومن حينئذٍ عَظُمَ، ولم يَزَلْ حتى خُلِعَ السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِح، وأُعيدَ النَّاصِرُ حَسَن بن محمد بن قَلاوون. فلمَّا أَخْرَجَ الأمير شَيْخو، انْفَرَدَ صَرْغَتْمُش بتَدْبير أُمُور المملكة، وفَخُمَ قَدْرُه، ونَفَذَت كَلِمَتُه، فعَزَلَ قُضَاةَ مصر والشَّام، وغَيَّرَ النُّوَّابَ بالمماليك. والسُّلْطانُ يَحْقِدُ عليه، إلى أن أَمْسَكَه في العشرين من شهر رَمَضَان سنة تسعٍ وخمسين، وقَبَضَ معه على الأمير طَشْتَمُر القاسِمي حاجِب الحُجَّابِ، والأميرِ مَلَكْتَمُر المُحَمَّدي وجَماعَة، وحَمَلَهم إلى الإسْكَنْدَرية، فسُجِنُوا بها، وبها ماتَ صَرْغَتْمُش بعد شهرين واثني عشر يومًا من سِجْنِه في [e] ذي الحِجَّة سنة تسعٍ وخمسين وسبعِ مائةٍ.

---

a) بياض في آياصوفيا. b) بولاق: بمائتي. c) بولاق: عند. d) بولاق: يلبغاروس. e) بياض في النسخ.

---

[1] راجع ترجمة الأمير سَيْف الدِّين صَرْغَتْمُش النَّاصِري كذلك عند، الصفدي: أعيان العصر ٢: ٥٥٥- ٥٦٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٢١٣؛ الفاسي: العقد الثمين ٥: ٤٠؛ المقريزي: السلوك ٣: ٤٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٠٥- ٣٠٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٣٠٨، ٣٢٨، المنهل الصافي ٦: ٣٤٢- ٣٤٤. والنصّ الموجود هنا مصدره أعيان العَصْر.

وكان جَميلَ الصُّورة ، مَليحَ[a] الهيْئَة ، يَقْرأُ القرآن الكريم ، ويُشارِكُ في الفِقْه على مَذْهَبِ الحَنَفِيَّة ، ويُبالِغُ في التَّعَصُّبِ لمَذْهَبِه ، ويُقَرِّبُ العَجَمَ ويكْرِمهم ، ويُجلّهم إجْلالًا زائدًا ، ويَشْدُو طَرَفًا من النَّحْو . وكانت أَخْلاقُه شَرِسَةً ، ونفسُه قويَّةً ، فإذا بَحَثَ في الفِقْه أو اللُّغَة اشْتَطَّ .

ولمَّا تَحَدَّثَ في الأَوْقافِ وفي البَريد ، ضَاقَ[b] النَّاسُ معه ، فلم يكن أحَدٌ يركب خَيْلَ البَريد إلَّا بمَرْسُومِه . ومَنَعَ كلَّ من يركب البَريد أن يَحْمِلَ معه قُماشًا ودَراهِم على خَيْل البَريد ، واشْتَدَّ في أَمْرِ الأَوْقاف ، فعَمُرَت في مُباشَرَتِه . ولمَّا قُبِضَ عليه أَخَذَ السُّلْطانُ أمْوالَه فكانت شَيْئًا كثيرًا[c].

[d]المَدْرَسَةُ القَيْسَرانِيَّة

هذه المَدْرَسَةُ خارِج بابِ زَوِيلَة بأوَّلِ المَوازِنِيِّين بالشَّارِع الأَعْظَم على رأسِ زُقاقِ القاعَة ، وهي مَسْجِدٌ أنشأه الشَّيْخُ أبو القاسِم بن أبي الحَسَن القَيْسَراني البَزَّاز في سنة [e] وستِّ مائةٍ ، وجَعَلَ به ميعاد الرقائق[f] ومَكْتَب أيْتام وقُرَّاء . وكان لهذا المَسْجِد بابٌ شارِعٌ بالموازِنِيِّين وعُلُوّ رَبْع جَوْهَر النُّوبي ، فهَدَمَ ذلك كلَّه الأميرُ جَمالُ الدِّين محمود بن علي أُسْتاذْدار السُّلْطان الملك الظَّاهِر سَيْف الدِّين بَرْقُوق حين عَمَّرَ مَدْرَسَتَه التي على رأسِ زُقاقِ القاعَة ، وعَمَّرَ في مَوْضِع ذلك سِقايَةَ السَّبيل ، وأرادَ أن يَجْعَل بابَه من داخِل زُقاق القاعَة [1]، فلم يُفْلِحْ بعدها وقُبِضَ عليه عَقِيبَ ذلك واعْتُقِل بخِزانَة شَمائِل إلى أن ماتَ بها . واسْتَمَرَّ هذا المَسْجِدُ خَرابًا إلى الآن .

وهذا المَسْجِدُ المذكور يُعْرَف بـ «المَدْرَسَة القَيْسَرانِيَّة» ، وكانت إمامَتُه بيد الشَّيْخ [e].

مَدْرَسَةُ مَحْمُود بن علي المُؤَذِّن

هذه المَدْرَسَةُ وَجَدْتُ ذِكْرَها في كُتُبِ الأَمْلاكِ القديمة وأنَّها بخُطِّ الموازِنيين ، والذي يَظْهَرُ لي أنَّها هي «المَسْجِدُ المُعَلَّق» الذي على رأسِ الزُّقاقِ الذي بجوار دارِ القُرْدُمِيَّة التي كان يسكنها الأميرُ جَمالُ الدِّين محمود الأُسْتادَّار [2].

---

a) بولاق : مليح الصورة ، جميل . b) بولاق : خاف . c) في بولاق بعد ذلك : يكلّ عنه الوَصْف . d) من هنا وحتى نهاية القوس فيما يلي صفحة ٦٨٩ إضافة من مُسَوَّدَة الخِطَط لا توجد في نُسَخ الخطط التي رَجَعْتُ إليها . e) بياض في المُسَوَّدَة . f) كذا في المسودة .

---

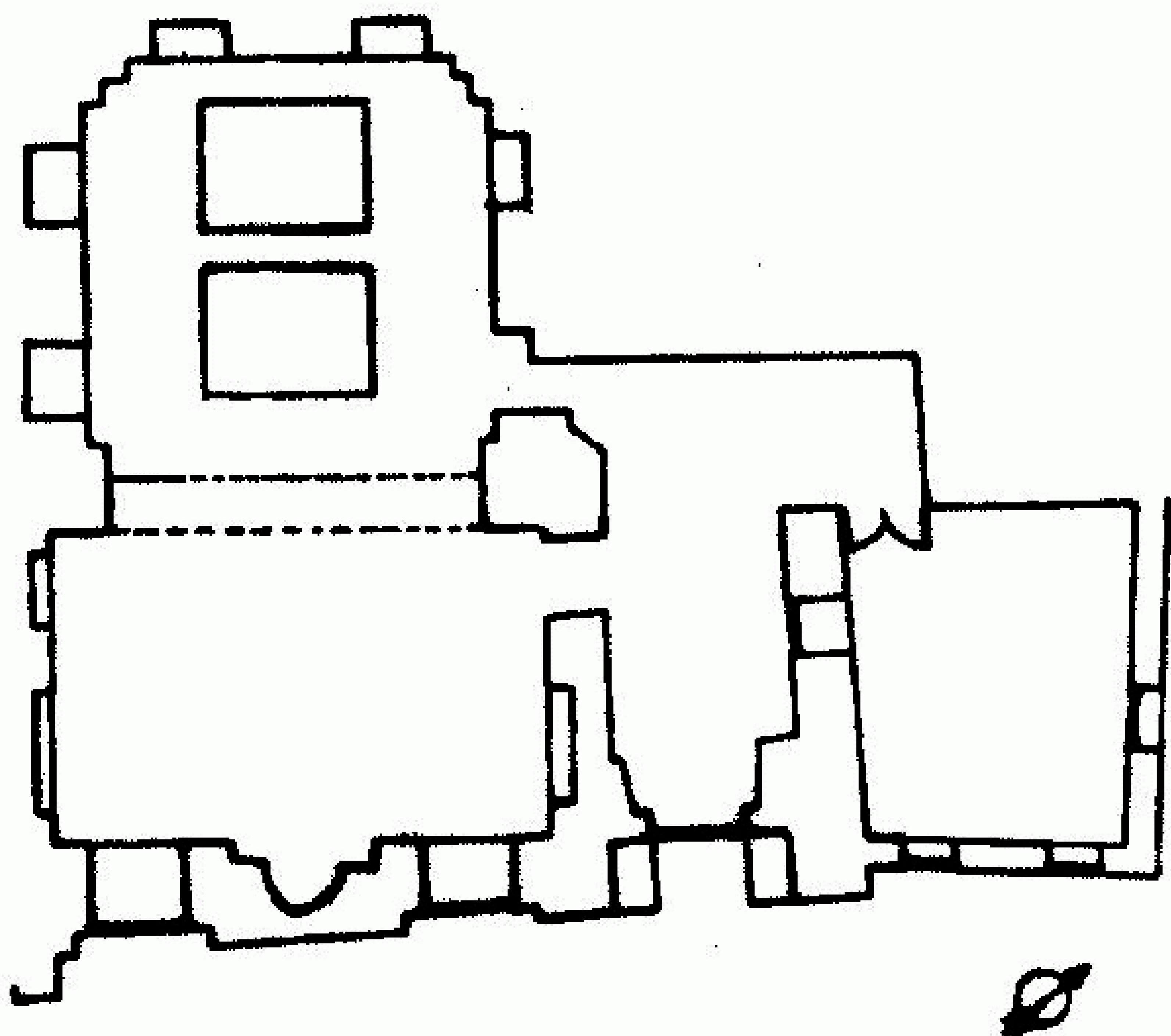
[1] انظر فيما تقدم ٥٩٠، مدرسة جمال الدّين محمود الأُسْتادّار .

[2] انظر فيما تقدم ٣: ٢١٧، وهذا المجلد ٥٩٠.

مَدرَسَةُ [قُطْلُوبُغَا] الذَّهبي

[أثر رقم ٢٤٢]

قُبالَة داره ؛ أنشأها الأميرُ سَيْفُ الدِّين قُطْلُوبُغَا الذَّهَبي في سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائةٍ [١]. وهي



مُخَطَّط مَدْرَسَة قُطْلُوبُغَا الذَّهَبي (عن اللجنة)

---

[١] تقعُ هذه المَدْرَسَة بشارع سُوقِ السّلاح بالدَّرْبِ الأحْمَر، ولها واجهَةٌ واحِدَةٌ رئيسة، هي الواجهة الجنوبية الشرقية المشرفة على شارع سُوقِ السِّلاح، ويوجد بأعْلى المَدْخل الرَّئيس للمَدْرَسَة شَريطٌ بالخَطِّ النَّسْخ المملوكي يشتمل على النَّصِّ الآتي:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. أمَرَ بإنْشاءِ هذه المَدْرَسَة المباركة الجَنَاب العالي المَوْلَوي الأميري الكبيري السَّيْفي قُطْلُوبُغَا الذَّهَبي الملكي المُظَفَّري وذلك بتاريخ شهر المحرَّم سنة ثمان وأربعين [وسبع مائة]».

van Berchem, M., *CIA* Egypte I, n°151;)
. (Wiet, G., *RCEA* XVI, n°6038

وراجع دراسة آمال العمري: «مَدْرَسَة قُطْلُوبُغَا الذَّهَبي ٧٤٨هـ/١٣٤٧م بشارع سُوق السِّلاح بالقاهرة»، دراسات أثرية إسلامية ٣ (١٩٨٨)، ١٧-١٤١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩٤٣-٩٥٤.

المَدْرَسَة اللَّطيفَة التي بجوار دارِ ابن آقْبُغَا آص[a][١].

مَدْرَسَةُ ابن آقْبُغَا آص
بأوّل سُوَيْقَة العِزّي مِمّا يلي جامع المارِداني[٢]

بَنَاها الأميرُ ناصِرُ الدِّين محمد بن الأمير عَلاء الدِّين آقْبُغَا آص[٣] أسْتاذدار السُّلْطان الملك الأشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن بن محمد بن قَلاوون التُّرْكي في سنة خمسٍ وستين وسبع مائةٍ، ووَقَفَها على الشَّافِعِيَّة، وولي تَدْريسها الشَّيْخُ الإمامُ وليُّ الدِّين المَنْفَلوطي الشَّافِعي، رحمه الله تعالى.

وتوفي الأميرُ ناصِرُ الدِّين المذكور [b].

المَدْرَسَةُ الدَّواداريَّة
بسُوَيْقَة المُشَبِّب[٤]

بَناهَا الأميرُ الكبيرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس المَنْصوري الدَّوادار نائِب السَّلْطَنَة المُعَظَّمَة بالدِّيارِ المصرية كان، في سنة ثلاثٍ وسبع مائةٍ، ووَقَفَها على الحَنَفِيَّة[٥].

---

a) بعد ذلك بياض أربعة أسطر. b) بياض في المُسَوَّدَة.

---

[١] لم يشر أحدٌ من المؤرِّخين إلى دار ابن آقْبُغا آص التي كانت تقع ـ تبعًا لوصف المقريزي ـ بشارع سوق السِّلاح قبل التقائه بشارع التَّبانة.

[٢] لم يُشِر أحَدٌ، بخلاف المقريزي، إلى هذه المَدْرَسَة، ويبدو أنَّها كانت تقع في المنطقة الواقعة بين شارع سُوق السِّلاح وشارع بابِ الوزير (؟)

[٣] انظر ترجمة الأمير ناصر الدِّين محمد بن الأمير علاء الدِّين آقْبُغا آص، المتوفى سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م، فيما تقدم ٣: ٢١٢هـ[٢]، وأضف إلى المراجع المذكورة هناك: ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩/٢: ٣٥٦-٣٥٧.

[٤] يُطْلِقُ المَقْريزي اسم «سُوَيْقَة المُشَبِّب» على المنطقة الواقعة بين سُوَيْقَة العِزِّي (شارع سُوق السِّلاح الآن) وشارع باب الوزير وسِكَّة المَحْجَر والتي يخترقها شارع الغَنْدور، ولم يستخدم هذا الاسم في المُبَيَّضة حيث أطلق على المنطقة كلِّها اسم «سُوَيْقَة العِزِّي».

[٥] ذَكَرَ المقريزي في المقفى الكبير ٢: ٥٣٣، أنَّ ركن الدِّين بيبرس الدَّواداري أنشأ بسُوَيْقَة العِزِّي خارج باب زَوِيلَة مَدْرَسَةً تُعْرَف بـ«المَدْرَسَة الدَّوادارية»، كما ذَكَرَ أيضًا في السلوك ٢: ٢٦٩، أنَّه تُنْسَب إليه «المَدْرَسَةُ الدَّوادارية» بخُطِّ سُوَيْقَة العِزِّي خارج القاهرة، وقال أبو المحاسِن: إنَّه =

وكان الأميرُ رُكْنُ الدِّين المذكور من أكابِر مَماليك [94V] السُّلْطانِ الملك المَنْصور قَلاوون ووُلِّي الدَّوادارية وأُعْطِي إمْرَةَ مائة وتَقْدِمَة ألفٍ، ثم وُلِّي نِيابَة السَّلْطَنَة بالدِّيار المصرية بعد عَزْلِ الأمير بَكْتَمُر الجوكَنْدار في سنة [a] وسبع مائةٍ في الأيّام النّاصِرية محمد بن قَلاوون، ثم قُبِضَ عليه واعْتُقِلَ، ثم أُفْرِجَ عنه واسْتَمَرَّ أميرًا كبيرًا يَجْلِس بالإيوان رأس المَيْسَرَة، وبقي كذلك إلى أن توفِّي في رَمَضَان سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائةٍ عن ثمانين سنة، ودُفِن بالمَدْرَسَة المذكورة[١].

وصنَّف تاريخًا كبيرًا مَشْهورًا به[٢] أعانَه عليه كاتِبُه ابنُ كَبَر النَّصْراني[٣]. وكان حَنَفيًّا أُجيزَ بالفَتْوَى والتَّدْريس يُلازم الصَّلاة مع الجماعَة ويُحْيِى أكثر لَيْلِه بالتَّهَجُّد ويَقْضي نَهارَه بسَماعِ الحَديث النَّبَوي والبَحْثِ في العِلْم، ويُخْرِجُ زَكاةَ مالِه وعُشُورَ غِلالِه، وحَجَّ. وكان لا يُسيغُ غَيْبَةً ولا يرى بالوَقيعَةِ في أحَدٍ، ذا عِفَّةٍ ودِيانَةٍ، ووَقَفَ سَائِرَ أمْلاكِه على جِهاتِ بِرٍّ، رحمه الله.

---

a) بياض في المُسَوَّدَة.

= صاحِب المَدْرَسَة الدَّوادارية بخُطِّ سُوَيْقَة العِزِّي خارج القاهرة. (النجوم الزاهرة ٩:٢٦٣).

وذكر محمد بك رمزي أنَّ محمد بن محمد الأُشكوبي المعروف بألتي بَرْمَق (أي ذي السِّتِّ أصابع)، المتوفى سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٤م، ذكر صَاحِبُ «خُلاصَة الأثَر» أنَّه دُفِن تحت مِحْراب المَدْرَسَة الدّاودارية، (ولم أقف على ذلك في ترجمته الواردة في خلاصة الأثر ٤:١٧٤)؛ ثم أضافَ أنَّه لمَّا زار المسجد المعروف بألتي بَرْمَقٍ (الواقع في شارع الغَنْدور المتفرِّع من شارع سُوق السِّلاح والمسجّل في الآثار برقم ١٢٦)، وَجَدَ بأعلى مِحْرابِه كتابةً باللغة التركية تُفيدُ أنَّ ألتي بَرْمَق مَدْفُونٌ تحت مِحْراب هذا الجامع. وبذلك يكون جَامِعُ ألتي بَرْمَق قد حَلَّ محلَّ المَدْرسة الدَّوادارية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٢٦٣هـ[١]).

[١] راجع ترجمة بَيْبَرْس الدَّوَادار عند، النويري: نهاية الأرب ٣٣:١٨٣-١٨٤؛ الصفدي: أعيان العصر ٢:٧٩-٨٠، الوافي بالوفيات ١٠:٣٥٢؛ وابن حبيب: تذكرة النبيه ٢:١٥٨؛ المقريزي: السلوك ٢:٢٦٩، المقفى الكبير ٢:٥٣١-٥٣٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢:٤٣؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٢٦٣-٢٦٤، المنهل الصافي ٣:٤٤٧-٤٤٨؛ Ashtor, E., *EI* [2] art. *Baybars al-Mansûrî* I, p. 1162.

[٢] هو التاريخُ المعروف بـ«زُبْدَة الفِكْرَة في تاريخ الهِجْرَة»، ويقع في نحو خمسة وعشرين مجلَّدًا، نُشِرَ منه الجزء الذي يبدأ بذكر بداية الدَّوْلَة التركية بالديار المصرية وينتهي بحوادث سنة ٧٠٩هـ، مرَّتين: الأولى بتحقيق زبيدة محمد عطا (بيروت ١٩٧٦، القاهرة ٢٠٠١)، والثانية بتحقيق دونالد س. ريتشاردز، في بيروت سنة ١٩٩٨.

[٣] الشيخ المُؤْتَمَن شمس الرِّياسة بن الشيخ الأسْعَد أبي البَرَكات بن كَبَر، المتوفى سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م. (Atiya, A.S., *CE* art. *Ibn Kabar* IV, pp. 1267-68).

[95r] المَدْرَسَةُ الأَشْرَفِيَّةُ المُسْتَجِدَّةُ

هي المَدْرَسَةُ الكبرىٰ التي لم تَكْمُل عِمارَتُها على الصُّوَّة مُقابِل بابِ القَلْعَة على رأسِ سُوَيْقَة المُشَبِّب[1] والتَّبَّانَة. كان السُّلْطانُ الشَّهيدُ الملكُ الأَشْرَفُ شَعْبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ـ رحمه الله تعالى ـ قد أَمَرَ بعمارَتِها[2]، وأرادَ أن يَجْعَلَها مُضاهِيةً لِمَدْرَسَةِ السُّلْطان حَسَن[3]. فشَرَعَ في عِمارَتِها ونَقَلَ إليها الرُّخامَ المُثَمَّنَ، وبَنَى بها هذه البَوَّابَة ـ التي هي من الحِجارَة الصَّوَّان العَظيمَة الجافية ـ وكانت قد وُجِدَت في بَعْضِ المباني القَديمَة فنُقِلَت إلى القاهِرَة وجُعِلَ الحَجَرُ الواحِدُ في الرُّكْنِ الأيمن والحَجَرُ الثَّاني في الرُّكْنِ الأيسر والحَجَرُ الثالث عَتَبَةً للبابِ من عُلُوِّه. وجُعِلَ بها قُبَّتان وبَنَى بها الإيوان الكبير وعَقْد قَبْوه الذي هو أَوْسَعُ من قَبْوِ مَدْرَسَةِ السُّلْطان حَسَن، وغَرِمَ فيها جملةً عَظيمَةً من الأَمْوال.

ثم سَافَرَ السُّلْطانُ الملكُ الأَشْرَفُ إلى الحِجاز الشَّريف[4]، ورَجَعَ من الطَّريق من عَقَبَة أَيْلَة حين

---

[1] انظر هـ[4] صفحة ٦٥٨.

[2] بدأ في عمارتها في خامس عشر صفر سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، وشَرَعَ في هَدْمِ بَيْت الأمير شَمْسِ الدِّين سُنْقُر الجمالي ليضيفه إليها، ونُقِلَ إليها عمودان عظيمان وُجِدَا في بَيْتِ خَوَنْد تَتَر الحجازية (فيما تقدم ٣: ٢٣١-٢٣٢) عَمَّةِ السُّلْطان، وكان المُشِدُّ عليها أَيْنَبك. (المقريزي: السلوك ٣: ٢٥١؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ١٠٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٦٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ٢: ١٥٣- ١٥٤، ١٨٣).

[3] ذكر أبو المحاسن أنَّه ضَاهَى بها مَدْرَسَة عَمِّه السُّلْطان الملك النَّاصِر حسن التي بالرُّمَيْلَة تجاه قَلْعَةِ الجَبَلِ. (النجوم الزاهرة ١٣: ١٢٣).

وتَحْتَفِظُ دارُ الكُتُب المصرية (تحت رقم ١٠ مصاحف) بالمُصْحَفِ الذي وَقَفَه الأَشْرَفُ شَعْبان على هذه المَدْرَسة وعليه وَقْفِيةٌ نَصُّها:

«وَقَفَ مَوْلانا المَقامُ الأَعْظَم الشَّريف السُّلْطان المالِكي الملكي الأَشْرَفي أبو المُظَفَّر شَعْبان بن حسين وَلَد المَقام الشَّريف الشَّهيد المرحوم مَوْلانا السُّلْطان المالِك المَلِك النَّاصر محمد ابن مولانا السُّلْطان الملك المنصور قَلاوون الصَّالحي تغمَّدهما الله برحمته، جَميعَ هذا المُصْحَف الكريم وَقْفًا صَحيحًا شَرْعِيًّا تَقَرُّبًا إلى رَبِّه عزَّ وجَلَّ وشَرَطَ أن يكون مَقَرُّه والقراءة فيه بالخَانْقاه والمَدْرَسَة والجامِع الأَشْرَفي المعروف بإنْشَاء المقام الشَّريف بالصُّوَّة تجاه القَلْعَة المنصورة بالقاهرة المحروسة، وشَرَطَ النَّظَر فيه لنفسه أيَّام حياته ثم بعده للنَّاظِر في أَمْرِ الخانْقاه بتاريخ شهر الله المحرَّم سنة ثمان وسبعين وسبع مائة».

وهذا المُصْحَف كَتَبَهُ علي بن محمد المُكْتِب الأَشْرَفي خامس عشر شهر الله المحرَّم سنة أربع وسبعين وسبع مائة.

(James, D., *Qur'ans of the Mamluks*, p. 232).

[4] أَخْلَعَ السُّلْطان، وهو نازلٌ بسِرْياقوس في شَوَّال سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، على الشيخ ضِياء الدِّين القِرْمي الحَنَفي باسْتِقْراره شَيْخ شُيُوخ المَدْرَسَة التي أنشأها بالصُّوَّة وقد =

قامَتِ المماليكُ عليه، وقُتِلَ في سنة ثمانٍ وسبعين وسبع مائةٍ وكان ذلك قَبْلَ فَراغِها، وغُلِّقَت وسُدَّ[ت] أبوابُها ولم تَكْمُل إلى الآن.

ومن الاتِّفاقِ العَجيب في أَمْرِ هذه المَدْرَسَة أنَّ السُّلْطانَ الملكَ الأَشْرَف ـ رحمه الله تعالى ـ كان قد أرْسَلَ إلى الشَّام وأَمَرَ بعَمَلِ شَبابيك المَدْرَسَة المذكورة وأبْواب وسَلاسِل وتَنانير وآلات الوَقُود وغير ذلك، فعُمِلَ ذلك جَميعُه وأُرْسِلَ ذلك إلى القاهِرَة فجُعِلَ في حَاصِلٍ إلى جانِب المَدْرَسَة إلى أن تَكْمُل ويُجْعَل ذلك بها، فاتَّفَق أنْ [95v] وَقَعَت النَّارُ في ذلك واحْتَرَقَ جَميعُه وذلك قبل سَفَرِ السُّلْطان إلى الحِجاز، فتَطَيَّرَ النَّاسُ له من ذلك وعَلِمُوا أنَّ هذه المَدْرَسَةَ أمْرُها لا يتمّ وكذلك السَّفَر المذكور، فسُبْحانَ الفَعَّالِ لما يُريد[١].

قال كاتِبُه: وفي سنة إحدى عشرة وثمان مائةٍ نَقَضَ الأميرُ الوَزيرُ المُشيرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار بعض ما كان بها من الرُّخام الذي كان على أبْوابِ القاعات الأربعة، وعَمِلَ بعضَه في ظاهِر السَّبيل الذي بناه للمَلِكِ النَّاصِر فَرَج تِجاه بابِ زَوِيلَة[٢]، واشْتَرَى من حاجي بن الأَشْرَف ما

= أشرفَت على الفَراغ، وأبْطَلَ هذا اللَّقَب من مُتَوَلي مَشْيَخَة خانْكاه سِرْياقوس. (المقريزي: السلوك ٣: ٢٧٣– ٢٧٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٧٠؛ وفيما يلي ٧٢٨– ٧٢٩، ٧٦٨).

[١] ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ١٧٠.

[٢] سَبيلُ النَّاصِر فَرَج. مُلاصِقٌ لزاوية النَّاصِر فَرَج المعروفة بالدَّهيشة الواقعة عند تقاطُع شارعي تَحْتَ الرَّبْع وقَصَبَة رِضْوان أمام باب زَوِيلَة، ومسجل بالآثار برقم ٢٠٣. ووَصَفَته حُجَّةُ وَقْفِ السُّلْطان فَرَج بن بَرْقوق بأنَّه «خارج بابي زَوِيلَة برأسِ سُوق الفَكَّاهين بالقُرْبِ من الجامِع الصَّالحي برأس الشَّارع الأعْظَم المقابلة لباب زَوِيلَة المذكور». والسَّبيل مجاورٌ لبابِ الزَّاوية عبارة عن «رواقٍ مُرَبَّع مفروش الأرض بأصناف الرُّخام المُلَوَّن النَّفيس المُثَمَّن بوزَرَة دايرة، بها ألْواح كبار من نفيس الرُّخام من السُّمَّاقي والزَّرْزوري والمَرْسيني والشَّحْم واللَّحْم وغير ذلك. وبه على اليَمْنَةِ شاذِرْوان مُذَهَّب بسلسبيل مُذَهَّب، يَعْلوه قَوْصَرَة معقودة بَدَق الرُّخام المُلَوَّن والفُصُوص المُلَوَّنة والتحاسين المدهشة والعُرُوق الخطامي، بها عِدَّةٌ من السِّباع المعمولة من النُّحاس المُمَوَّه بالذَّهَب المعمولة برَسْم نُزُول الماء إلى الشَّاذِرْوان» «وبسِفْل ذلك وما جاوره بناءُ الصِّهْريج المبني في تُخُوم الأرض بالطُّوب الآجر والمُونَة المحكمة المُعَدّ لاسْتِقْرار الماء به». (Lamei Mostafa, S., *Moschee des Farag ibn Barqûq in Kairo*, pp. 45-49).

والرُّخامُ الواردُ ذكره في هذا الوَصْف هو الرُّخامُ الذي نَقَضَه الوَزيرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار من المَدْرَسَة الأشْرَفِيَّة والذي يُشيرُ إليه نَصُّ المقريزي.

ويوجد أعلى شُبَّاك السَّبيل المُغَشّى بحجابٍ من المُصَبَّعات النحاسية لَوْحٌ من الخَشَب مكتوبٌ عليه:

«أَمَرَ بإنْشاء هذا السَّبيل المبارك سَيِّدُنا ومَوْلانا السُّلْطان الملك النَّاصِر فَرَج بن بَرْقُوق عَزَّ نَصْرُه» (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n°226).

ولا يحمل هذا النَّقْشُ، أو غيره من نُقُوش الزَّاوية، أيَّة تواريخ، ولكن بما أنَّ جمال الدِّين الأُسْتادَّار هو الذي تَوَلَّى بناءها، وأنَّه توفي في مطلع سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، فيكون تاريخ بناء هذه الزَّاوية والسَّبيل الملحق بها قبل هذا التاريخ.

وكانت زاويةُ وسَبيلُ النَّاصِر فَرَج بن بَرْقُوق (زاوية =

بقي بها من شَبابيك ونُحاس وخمس مائة مُجَلَّدَة من الكُتُب بمبلغ خمس مائة دينار، وعَمِلَ الشَّبابيكَ بمَدْرَسَتِه التي أنشأها برَحْبَة [بابِ] العيد [1].

ولمَّا كان في سنة أربع عشرة[2] وثمان مائة هَدَمَها النَّاصِرُ فَرَج حتى سَوَّاها بالأرْض، وأَخَذَ بَعْضَ أحْجارِها ورَدَّ أنْقاضَها بالرَّمَيْلَة وبالصُّوَّة، وتَنَاهَبَ النَّاسُ كثيرًا من حِجارَتِها ولم يَدَع منها سوى بَوَّابَتِها ويَسيرًا منها، وقُتِلَ وهي قائِمَةٌ لا يُنْتَفَع بها [3].

مَدْرَسَةُ قَماري الحَمَوِيّ
بالجَمالِيَّة

[أثر رقم ١٢٨]

بَنَاها الأميرُ سَيْفُ الدِّين قَمَاري الحَمَوي في سنة ثلاثٍ وخمسين وسبع مائةٍ[a] [4].

---

a) بعد ذلك بياض خمسة أسطر في المُسَوَّدَة.

- الدُّهيشة) بارزةً عن خَطِّ التَّنظيم الجديد لشارع تَحْت الرَّبْع، فقامت لجنةُ حِفْظ الآثار العربية بفكِّها وإعادتها إلى الخَلْف بما يتناسب مع خَطِّ التَّنظيم الجديد سنة ١٩٢٣، وما زال أثَرُ صهريج السَّبيل موجود في نَهْر الطَّريق يَدُلّ على موقع السَّبيل الأصلي.

(راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢٠٣:٢ (٥٠)، ١٦:٦ (٧)؛ Lamei Mostafa, S., *Moschee des Farag ibn Barqûq in Kairo*, Gluckstadt 1972; id., «The Cairenne : Sabil : Form and Meaning», *Muqarnas* VI (1989), pp. 35, 38-41؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢٣٩:٣-٢٥٨؛ وفيما تقدم ٢٦٩:٢).

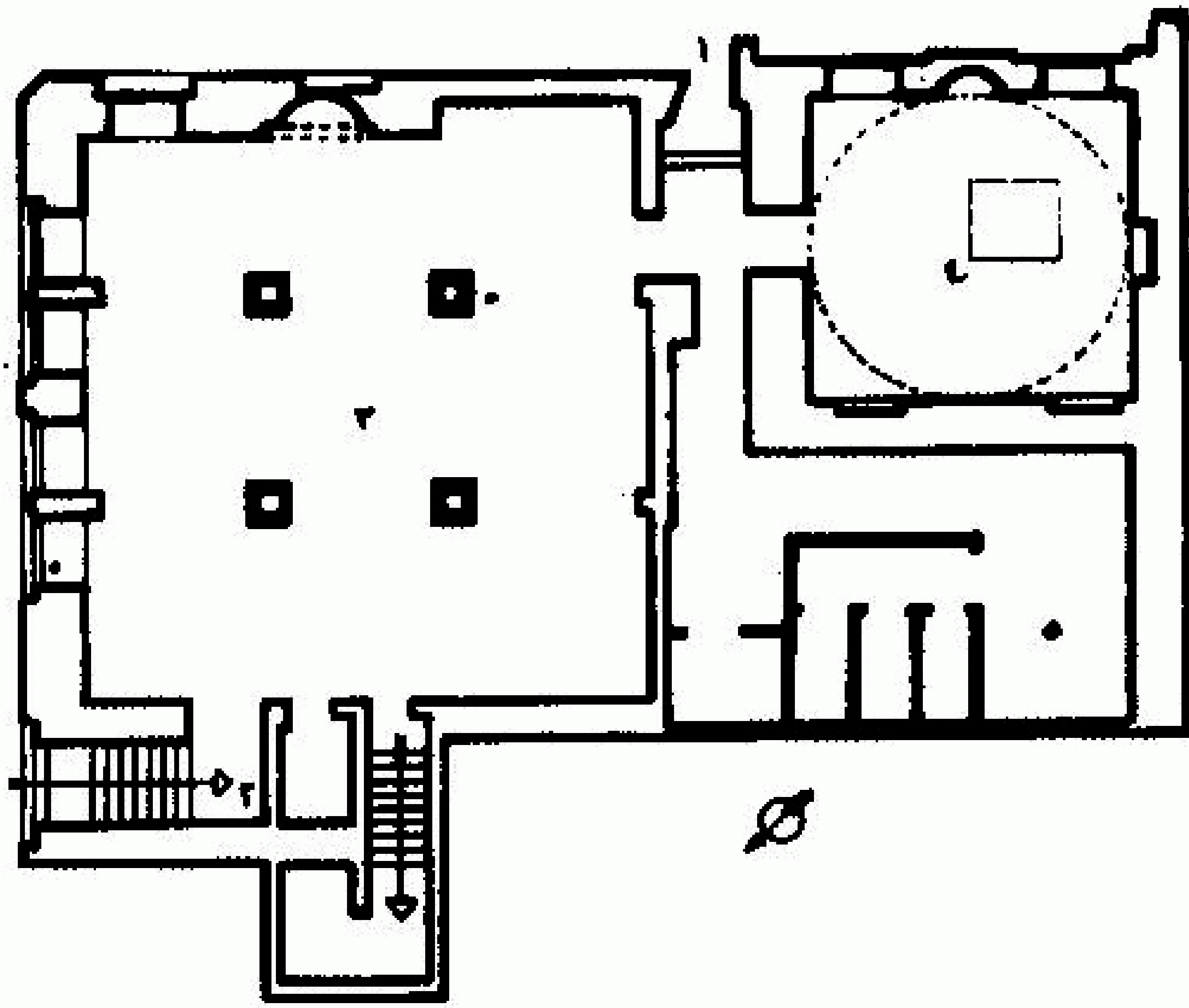
[1] انظر فيما تقدم ٦٣٦.

[2] في أوّل جمادى الأوْل منها (المقريزي: السلوك ٢٧٣:٣؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٤٩٢:٢-٤٩٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢٣:١٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٨٠٧:٢/١، ٨١٣).

[3] حَلَّ مَحَلّ هذه المَدْرَسَة المارِسْتان المُؤَيدي الذي شَيَّدَه السُّلْطانُ المُؤَيَّد شَيْخ المحمودي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣٣٤:١١-٣٣٥؛ وفيما يلي ٧٠٢).

[4] ما تزالُ مَدْرَسَةُ قماري قائمةً على ناصيتي عَطْفَة عبد الله بك وحارة عبد الله بك المتفرعة من شارع المغربلين على يسار المتّجه من باب زَوِيلَة إلى الشروجية وشارع محمد علي، وتُعْرَف بجامع قماري وقُبَّة قُماري.

(وانظر كذلك، علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٤١:٢ (٣٧)، ١٩٨:٥ (٨٧)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٦٢٩:٢-٦٣٥).



مُخطَّط مَدْرَسَةُ قَماري الحَمَويّ بالهِـلاليَّة

المَدْرَسَةُ الصَّارِمِيَّة

داخِلَة في الدَّرْبِ الذي به دارُه عند قَنْطَرَةِ آقْسُنْقُر[١] وشَقّ الثُّعبان[٢]، بَناها الأميرُ صارِمُ الدِّين إبراهيم المعروف بشَادّ العَمائِر السُّلْطانِيَّة، وكان من أُمَرَاءِ الطَّبْلَخانات بالدِّيار المصرية. وكان بِناؤُه [96r] لها في سنة [a] وسبع مائةٍ ووَقَفَها على الشَّافِعِيَّة، ووَلَّى تدْريسَها قاضيَ القُضَاة

a) بياض في المُسَوَّدة.

[١] انظر موضع قَنْطَرَة آق سُنْقُر (قَنْطَرَة سُنْقُر)، فيما تقدم ٣: ٤٩٢.

[٢] شَقّ الثُّعْبان. يَدُلُّ على موضعه الآن الحارة المعروفة بِشَق الثُّعْبان داخل حارة عابدين التي بداخلها جامع حسين باشا أبي أُصْبُع الواقع بين مسجد الشيخ الخَلْوَتي ومسجد الشيخ رَمَضان؛ وكان في الأصل من أراضي حِكْر الزُّهْري. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣: ٢٠ (٨٧)؛ وفيما تقدم ٣: ٣٧٨).

ولَعَلّ مَوضع المَدْرسة هو القُبَّة المعروفة الآن بقُبَّة إبراهيم الأنصاري، بدَرْب الجَمَامِيز من شارع بورسعيد بجوار مكتبة خَرْبُوش.

ناصِرَ الدِّين محمد بن المَيْلَق الشَّافِعي [1]، وذلك قَبْل أن يلي القَضَاء [a].

المدرسة بميدان القمح
خارج باب القنطرة

مُنْشِئُها وواقِفُها الأميرُ شِهابُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن الأمير شُجاع الدِّين نَصْر ابن يُوسُف الهَكَّاري المَلكي الظَّاهري الرُّكْني، وهي بحَضْرَة بابِ مَيْدانِ القَمْح الشَّرْقي. وهي وَقْفٌ على المُشْتَغِلين بمَذْهَبِ الإمام الشَّافِعي. وجَعَلَ بها إمَامًا شَافِعِيَّ المَذْهَب، ووَلَّي تَدْرِيسَها القاضي كمالَ الدِّين أبا محمد عبد الوَهَّاب بن محمد بن فارِس بن حسين المُزَني الشَّافِعي. وتاريخُ كِتابِ الوَقْفِ الحادي والعشرين من رَبيعِ الأوَّل سنة أربعٍ وستين وستّ مائةٍ [2].

مدرسة الحاجب بكتمر
خارج باب النصر

بجوار دارِه بالتَّبَّانين وسُوقِ الدَّريس [3]. بَناها الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَكْتَمرُ الحُسَامي الوَزير المعروف بابن الحَاجِب النَّاصِري في سنة [b]، وهو أَحَدُ مماليك المَلك المَنْصور قَلاوون، تَنَقَّلَ في الدُّوَلِ إلى أن تَوَلَّى نِيابَة السَّلْطَنَة بغَزَّة مُدَّةً، ثم أُحْضِرَ إلى الدِّيارِ المصرية وقُلِّدَ الوَزارَة [96v] بها بعد الصَّاحِبِ فَخْرِ الدِّين عُمَر بن الخَليلي لأنَّه كان فَصيحًا، وله

a) بعد ذلك بياض ستة أسطر في المُسَوَّدَة. b) بياض في المُسَوَّدَة.

[1] ناصِرُ الدِّين محمد بن عبد الدَّائم بن سلامة الشَّاذِلي ابن بنت المَيْلَق، وربما قيل له المَيْلَقي، المتوفى سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٥م. (المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٣٧-٤١؛ السلوك ٣: ٨٤٦؛ ابن حجر: رفع الإصر ٣٦٤-٣٦٦، إنباء الغمر ١: ٥٠٣، الدرر الكامنة ٣: ٤٩٤-٤٩٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٤٧، ١٢: ١٤٦-١٤٨).

[2] رُبَّما تكون هي نفسها الجامِع الذي ذكره المقريزي. (فيما تقدم ٤: ٥)، بين الجَوامِع الموجودة خارج القاهرة ممَّا يلي النِّيل، باسم «جامِع مَيْدان القَمْح»؟

[3] انظر فيما تقدم ٣: ٢٠٧، وكانت له دارٌ أخرى فيما بين الخُرُنْشُف وحارة بَرْجوان، فيما تقدم ٣: ١٧٨.

دُرْبَةٌ بالأمُور، ثم نُقِلَ من الوَزارَة إلى الحُجوبِيَّة في سنة إحدى عشرة وسبع مائةٍ، فأقامَ حاجِبًا إلى ثامِن شهر رَبيعِ الأوَّل سنة أربعَ عشرةَ، فقَبَضَ عليه المَلِكُ النَّاصِرُ محمد واعْتَقَلَه إلى شَوَّالٍ [سنة] خمسَ عشرةَ، فأفْرَج عنه ووَلَّاه نِيابَة صَفَد فأقامَ بها إلى أوَّلِ سنة ثمانِ عشرةَ، فأحْضَرَه السُّلْطانُ على البَريد وأنْعَم عليه بتَقْدِمَةِ ألفٍ بالدِّيار المصرية. وكان فيه تأنٍّ وله أمْوالٌ ومَتاجِرُ. وتوفي في سنة تسعٍ وعشرين وسبع مائةٍ بالقاهِرَة ودُفن بمَدْرَسَته خارِج بابِ النَّصْر[1].

مَدْرَسَةُ قَراجا

(a.

مَدْرَسَةُ ابن كَراي

(b.

المَدْرَسَةُ الشَّميساطيَّة

(b [2].

---

a) بَيَّض لها أربعة أسطر. b) بَيَّض لها ثلاثة أسطر.

---

[1] راجع ترجمة الأمير سيف الدِّين بَكْتَمُر الحاجب، المتوفى سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م، عند الصفدي: أعيان العصر ١:٧٠٣-٧٠٦، الوافي بالوفيات ١٠:١٩٠-١٩٢؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٩: ٣٥٢؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢: ١٨٣، ١٩٨؛ المقريزي: السلوك ٢: ٣١٤؛ المقفى الكبير ٢:٤٦٦-٤٦٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢:١٧-١٨؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٧٧، المنهل الصافي ٣:٣٨٦-٣٩٠ (وفيهما وفاته سنة ٧٣٨هـ).

[2] هذه المدارسُ الثلاثة بَيَّضَ لها المقريزي ولم يذكر عنها أي شيء.

[97r] المَدْرَسَةُ بخُطّ سُوَيْقَة مُنْعِم[1]

[أثر رقم ١٥١]

أنشأها أوّلًا الأميرُ مُقْبِلُ الرُّومي[2] أحَدُ أُمراءِ النَّاصِر فَرَج، وقُتِلَ في وَقْعَةِ اللَّجُّون بين النَّاصِر والأمير شَيْخ والأمير نَوْروز في المحرَّم سنة خمسَ عشرةَ وثمان مائةٍ. فلمَّا اسْتَبَدَّ الأميرُ شَيْخُ بسَلْطَنَةِ الدِّيار المصرية ـ بعد القَبْضِ على الخَليفَة المُسْتعين بالله ـ أقامَ رجلًا جاءَ من عند النَّاصِر والْتَحَقَ به أيَّامَ مُخالَفَتِه بالشَّام يقالُ له قانِباي أمير آخور[3] فأخَذَ المَدْرَسَة المذكورة وأكْمَلَها وجَعَلَ بها مُدَرِّسًا حَنَفيًّا ومُدَرِّسًا شافِعِيًّا وعند كلٍّ منها عِدَّةٌ من الطَّلَبَة، ونَصَبَ بها مِنْبَرًا للخُطْبَةِ في يوم الجُمُعَة وصَلَّى فيها. وحَضَرَ الفُقَهاءُ بها الدُّروسَ في ذي الحِجَّة سنة ستّ عشرة وثمان مائةٍ. ثم إنَّ المُؤَيَّد شَيْخ وَلَّاه نِيابَة دِمَشْق فخَرَج إليها في المحرَّم سنة سبع عشرة.

مَدْرَسَةُ أُمِّ أَنُوك

بالصَّحْراءِ خارج باب البَرْقِيَّة

بَنَتْها السِّتّ خَوَنْد طُغَاي النَّاصِرِية المعروفة بأُمّ أَنُوك، جِهَة السُّلْطان النَّاصِر محمد بن قَلاوون التُّركي. وهي وَقْفٌ على الشَّافِعِيَّة وهي بجوار تُرْبَتها[4].

---

[1] هذه المَدْرَسَة هي المعروفة الآن بـ «جامع قاني باي المحَمَّدي» بأوّل شارع شَيْخون على يسار الدَّاخِل من جهة مَيْدان صَلاح الدِّين على رأس دَرْب السَّمَّاكين. ذكرَ أبو المحاسن أنَّه عَمَّرها «برأس سُوَيْقَة مُنْعِم من الصَّلِيبَة بالشَّارع الأعْظَم». (النجوم الزاهرة ١٤:١٣٥).

وكان هذا الجامعُ قد تخرَّب في نهاية القرن التاسع عشر، ونَظَرًا لأنَّه كان يقع تجاه دار الأمير عبد اللَّطيف باشا فقد قامَ بتجديده في سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢:٣١٤ (١١٦)، ٥:٢٤٨-٢٤٩ (١٠٩)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣:٢٧١-٢٨٩).

[2] الأمير مُقْبِل الرُّومي هو صَاحِب المَدْرَسَة الزّمامِيَّة. (فيما تقدّم ٥٨٤).

[3] هو الأمير سَيْفُ الدِّين قاني باي المحَمَّدي الظَّاهِري نائب الشَّام، المتوفى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م. (المقريزي: السلوك ٤:٣٢٨؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣:٨٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤:١٣٥-١٣٦، المنهل الصافي ٩/١٤-١٨؛ السخاوي: الضوء اللامع ٦:١٩٦).

[4] انظر فيما يلي ٧٨٤ (خانقاه أم أنوك).

المَدْرَسَةُ بالصُّوَّة
تجاه الطَّبْلَخاناه بقَلْعَة الجَبَل

أنشأها الأميرُ شَيْخ لمَّا قَدِمَ إلى مصر بعد قَتْلِ النَّاصِر بدِمَشْق واسْتِقْرارِه أميرًا كبيرًا ليَتَوَسَّع بها في مَسْكَنِه من الإسْطَبْلِ السُّلْطاني ، فلمَّا اسْتَبَدَّ بالمملكة بعد القَبْضِ على الخَليفَة المُسْتَعين بالله ، عَمِلَ هذه الدَّار مَدْرَسَةً ونَصَبَ فيها مِنْبَرًا للخُطْبَة في يوم الجُمُعَة[1] .

[97v] مَدْرَسَةُ ابن غُلامِها
ببُولاق

بناها صَدَقَة بن أحمد المعروف بابن غُلامِها السِّمْسار في الغِلال في سنة إحدى وتسعين وسبع مائة[a] [2] .

مَدْرَسَةُ إبْراهيم الزُّوَيْل
بجوار الجامع المارْداني

هي المَدْرَسَةُ الصَّغيرَة التي عند قِبْلَة الجامِع المذكور ، بناها الحاج إبراهيم بن [b].

مَدْرَسَةُ أَلْطُنْقُش
بالتَّبَّانَة

شارِعَةٌ على رأسِ الطَّريق العُظْمَىٰ على يسار السالِك من جامِع المارْداني إلى القَلْعَة ، بَنَاها [b].

---

a) بعد ذلك بياض ثلاثة أسطر في المُسَوَّدَة . b) بياض في المُسَوَّدَة .

---

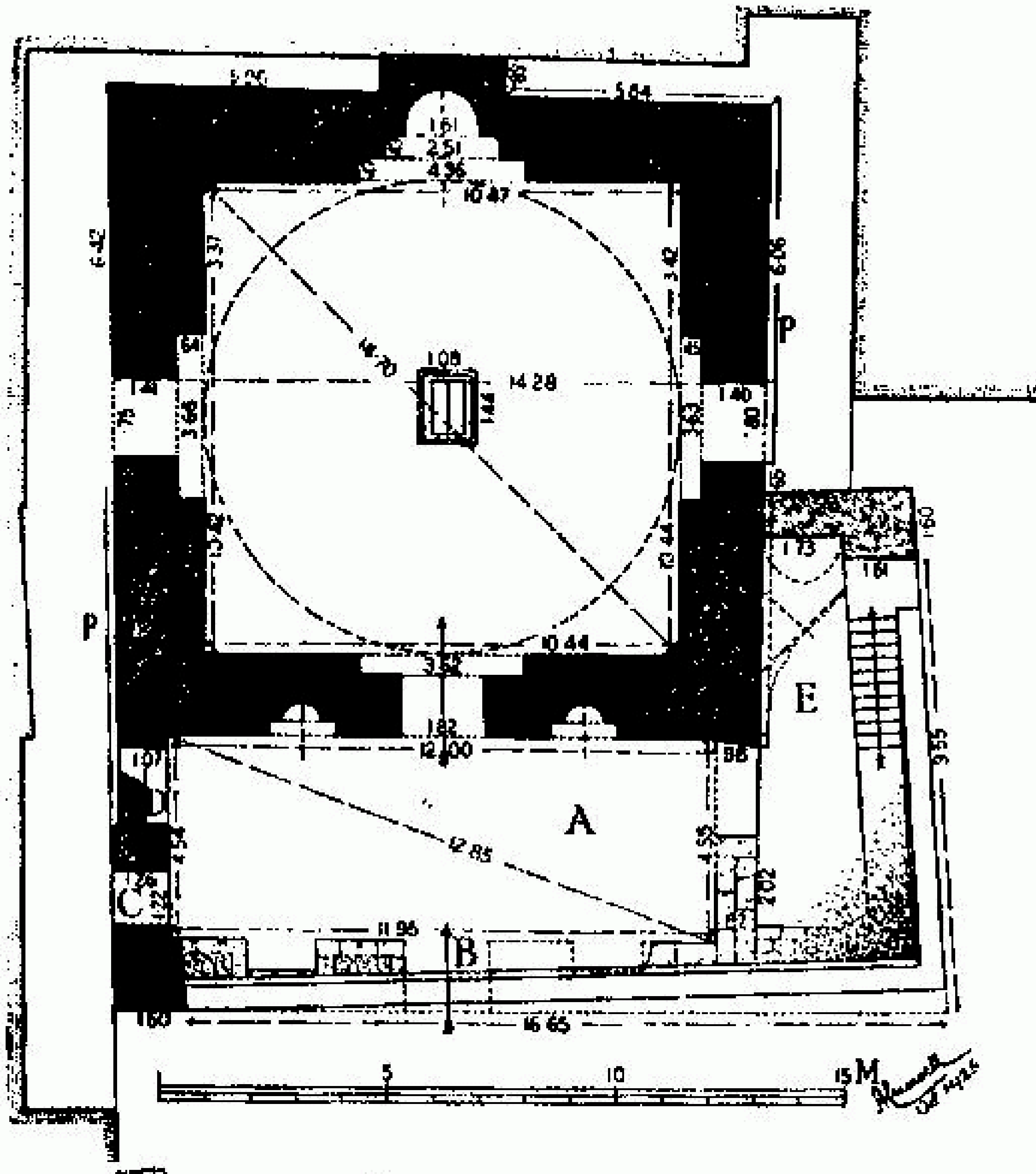
[1] هذه المَدْرَسة أنشأها السُّلْطانُ المُؤَيَّد شَيْخ ، هي والمارِسْتان المُؤَيَّدي ، في موضع المَدْرَسَة الأشْرَفِيَّة على الصُّوَّة تجاه القَلْعَة . (ابن إياس : بدائع الزهور ٢ : ٣٨) ، وانظر فيما تقدم ٣٢٧ «جامع الصُّوَّة» .

[2] شَيَّدَ ابنُ غُلامِها كذلك جامِعًا بخُطِّ الزَّرْبِيَّة . (فيما تقدم ٥ : ١٢) .

المَدْرَسَةُ الأَشْرَفِيَّة

[أثر رقم ٢٧٥]

بناها السُّلْطانُ الملكُ الأشْرَفُ صَلاحُ الدِّين خَليل بن السُّلْطان الملك المنصور قَلاوون بقُرْبِ المَشْهَدِ النَّفيسي في سنة [a] وتسعين وستّ مائةٍ، ونُقِل إليها من تُرْوجَة قَتيلًا ودُفِنَ بها. وكان قَتْلُه ثالِثَ عشرَ المحرَّم سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائةٍ [1].



مُخَطَّط قُبَّة الأشْرَف (عن Creswell)

a) بياض في المُسَوَّدَة.

[1] لا تزالُ قُبَّةُ الأشْرَف الملحقة بالمَدْرَسَة والمشتملة على قَبْر المنشِئ قائمةً بشارع الأشْرَف إلى الشمال من المَشْهَد النَّفيسي، وعليها كتابةٌ تاريخيةٌ تُفيدُ أنَّ الأشْرَفَ خَليل أمَرَ بإنشائها في شهور سنة سبع وثمانين وستّ مائة، وهو=

مَدْرَسَةُ أبي غالِب

هذه المَدْرَسَةُ خارِج بابِ الخُوخَة بجوار المَسْجِد القَديم الذي هو مَسْجِد المأمُون ابن البَطائحي [1]. بَنَى هذه المَدْرَسَة بجوارِ داره القاضي تاجُ الدِّين أبو غالِب الكَلْبَشاوي القِبْطي

= ما زال وَليّ عَهْد أبيه، ونَصُّ الكتابة:

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم. أمَرَ بإنْشاء هذه القُبَّة الشَّريفَة مَوْلانا وسَيِّدُنا السُّلطانُ الملكُ الأشْرَفُ العالِمُ العادِلُ المجاهِدُ المُرابِطُ المثاغِرُ المؤيَّدُ المُظَفَّرُ المَنْصُور [صَلا]ح الدُّنْيا والدِّين [سَقَط نحو متر من الكتابة] قاتِل الكَفَرَة والمشركين، قاهِر الخَوارِج والمتمرِّدين، مُبيدُ الطُّغاة والمارقين، محيي العَدْل في العالمين مُنْصِف المَظْلومين من الظّالمين، كَنْز الفُقَراء والمساكِين كَهْف الضُّعَفاء والمُنْقَطعين، ناصِر الحَقّ بالبَراهين، محيي مِلَّة سَيِّد المُرْسلين، حامي حَوْزَة الدِّين، أبو الفَتْح خليل ابن مَوْلانا وسَيِّدنا السُّلْطان الأعْظَم الملك المَنْصُور سُلْطان العَرَب والعَجَم مالِك رِقاب الأُمَم سُلْطان الشَّام واليَمَن ملك البَحْرَيْن خادِم الحَرَمَيْن الشَّريفَيْن صَاحِب القِبْلَتَيْن، ملك الدِّيار المصرية والجهات الحجازية والبلاد الشّاميّة والأعمال الفُراتية والدِّيار البَكْرية، أوْحَد الملوك العصرية بَهْلَوان جَهان قِر[ ] سَيْف الدُّنْيا والدِّين سُلْطان الإسْلام والمسلمين قاتِل الكَفَرَة والمشركين، قاهِر الخَوارِج والمُتَمَرِّدين قلاوون الصَّالحي قسيم أمير المؤمنين، أدامَ الله أيَّامَه وحَرَسَ أنْعامَه، وذلك في شهور سنة سبع وثمانين وست مائة» (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n°95; Wiet, G., *RCEA* XIII, n°4895).

راجع كذلك، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١٦٨؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢٤- ١٢٥؛ المقريزي: السلوك ١: ٧٦٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٥هـ [1]؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 214-18؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٨٢- ٨٨؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٧٧- ١٩٠؛ وفيما تقدم ٣: ٧٧٣هـ [3].

[1] فيما يلي ٧١٧ (مَسْجِد بابِ الخُوخَة)؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ١٦٣ (وفيه أنّها تجاه باب الخُوخَة)؛ السخاوي: التبر المسبوك: ٣١٥ (نشرة دار الكتب المصرية) (وفيه أنّها بباب الخُوخَة بالقُرْبِ من قَنْطَرَة الموشكي ومجاورَةً للمَدْرَسَة الزَّيْنِيَّة). أقولُ: إنَّ المَدْرَسَة الزَّيْنِيَّة ـ المعروفة بجامع القاضي يحيى زَيْن الدِّين والقائمة إلى الآن في وَسَط شارع بورسعيد عند تقاطعه مع شارع الأزْهَر (مسجلة بالآثار برقم ١٨٢) ـ حَلَّت في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م مَحَلَّ مَسْجِد باب الخُوخَة الذي كان يُعْرَف كذلك بمَسْجِد المأمُون البطائحي. وقد تَوَصَّلَ محمد بك رمزي إلى أنَّ مَدْرَسَة أبي غالِب هي التي حَلَّ مَحَلَّها الجامِعُ الذي كان يُعْرَف بجامِع الحِفْني بشارع جامِع البَنَات. وهذا الجامع جَدَّدَه الأميرُ عبد الرَّحْمَن كَتْخُدا في سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م، وعُرِفَ بـ«جامِع الحِفْني» أو الحِفْناوي نسبةً إلى الشيخ محمد بن سالم الحِفْناوي الشّافِعي الخَلْوَتي، لأنَّ دارَه كانت تجاور هذا الجامع. وكان هذا الجامِعُ من الجَوامِع المعلَّقة يرتفع عن سَطْحِ الأرْض بعِدَّةِ دَرَجات، وجَدَّدَه ديوانُ عُمُوم الأوْقاف في سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ٢٠٩- ٩٩)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٤١- ١٤٢هـ [3]).

ومع توسيع شارع الخَليج المصري (شارع بورسعيد الآن) في منتصف القرن العشرين أُزيلَ صَفُّ المباني الذي كان يطلّ على الخليج، وأُزيلَ معه جامِعُ الحِفْني (مَدْرَسة أبي غالِب) وكان مسجلًا بالآثار برقم ٤٥١، ولم يتبق من المباني التي كانت في هذا الصَّفّ سوى: جامِع يُوسُف الحين في مَيْدان بابِ الخَلْق، وجامِع القاضي يحيى زَيْن الدِّين عند تقاطع شارع الأزْهَر مع شارع بورسعيد.

المصري الكاتِب ناظِر الذَّخيرَة السُّلْطانية وصَاحِب ديوان المَقَرّ العالي الأمير الكبير سَيْف الدِّين أرْغُون شاه [98v] الأَشْرَفي ، وبَنَى إلى جانِبها الحَوْضَ ومَكْتَبَ السَّبيل ووَلَّى تدريسها الشَّيْخ عَلاء الدِّين الأَقْفَهسي الشَّافِعي وتَصْديرَ القِراءَات لشَيْخِنا فَخْر الدِّين البِلْبَيْسي الشَّافِعي إمامِ الجامِع الأزْهَر وذلك في سنة [a] وسبعين وسبع مائةٍ . وكان أبو غالِب المذكور مَشْهُورًا بخَيْرٍ ودينٍ وعِفَّةٍ ، وفيه عَقْلٌ وسُكون ، وحَجَّ إلى بَيْتِ الله الحَرام[b] [١] .

المَدْرَسَةُ البُلْقينيّة

بَنَاها شَيْخُنا شيخُ الإسْلام أبو حَفْص عُمَر بن رَسلان سِراج الدِّين البُلْقيني مُجْتَهِد العَصْر في [a] [٢] .

المَدْرَسَةُ الشَّريفيّة
بحارة بهاء الدّين

كانت قاعَةً يَسْكُنُها الشَّريفُ شِهابُ الدِّين الحَسَن بن محمد المعروف بابن قاضي العَسْكَر ، ثم جَعَلَها مَدْرَسَةً للشَّافِعيَّة ، وجَعَلَ بها تَصْدير قِراءات[c] [٣] .

---

a) بياض في المُسَوَّدة . b) بعد ذلك بياض سطران في المُسَوَّدة . c) بياض خمسة أسطر في المُسَوَّدة .

---

[١] توفي تاج الدِّين أبو غالِب الكَلْبَشاوي ، ناظِر الذَّخيرة الشَّريفة ، في منتصف شوَّال سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٦م . (المقريزي : السلوك ٣: ٢٦٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ١٤١- ١٤٢؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢: ١٦٣) .

[٢] كانت تِجاه داره بحارَة بَهاء الدِّين بالقُرْبِ من بابِ القَنْطَرَة . (ابن الفرات : تاريخ الدول ٩/١: ١٧٨؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ٣٨٩، ١٤: ٢٣٧؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢: ٦٧٤؛ وفيما تقدم ٣: ١٧٢) .

وحارَةُ بَهاء الدِّين يدُلُّ على موضعها الآن الشارع المعروف بشارع بين السَّيارِج المواجه لزاوية أبي الخَيْر الكُلَيْباتي جنوب الجامع الحاكمي ، وتُعْرف المدرسة البُلْقينية الآن باسم جامِع البُلْقيني . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٣: ١٢٣-١٢٤ (٢٢)؛ ٤: ١٣٩ (٦٦)، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ٣٨٩هـ [٢]؛ وفيما تقدم ٣: ٣-٤) .

[٣] ذَكَرَ ابنُ إياس هذه المَدْرَسَة ونَسَبها إلى الشَّريف شَمْس الدِّين محمد بن شهاب الدِّين أحمد بن محمد بن الحسين ابن محمد ، المعروف بابن أبي الرَّكْب نقيبُ الأشْراف بالقاهرة ، المتوفى سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م . (بدائع الزهور ١/١: ٥٩٠) .

المَدْرَسَةُ النَّابُلُسِيَّة

لم يَذْكُرها ابنُ عبد الظَّاهِر . هذه المَدْرَسَةُ [99r] بالزُّقاقِ المُقابِل لبابِ الخانْقاه الصَّلاحية سَعيد السُّعَداء [1]، أوْقَفَها عَلَمُ الدِّين إبراهيم بن خالِد بن محمد بن السَّلْم القُرَشي النَّابُلُسي الشَّافعي العَدْل ، على الفُقَهاءِ الشَّافعية في رَبيعِ الأوَّل سنة سبعٍ وستّ مائةٍ ، وهو والِد القاضي عَلاء الدِّين عُثْمان بن النابُلُسي ناظِر الدَّواوين [2]. وهي دارُ الأمير عَلَم الدِّين كُرجي الأسَدي [a].

المَدْرَسَةُ الكُهَارِيَّة

هي المَدْرَسَةُ التي بالقُرْبِ من الجَوْذَرِيَّة ، وهي على يمين السَّالِك من الفَحَّامين والغَضَاريين إلى طَواحين المِلْحيين [3]، وهي دار الشَّيْخ عَديّ المُلْك أبي البَرَكات بن عُثْمان وَكيل المأمُون ابن البَطائحي - وسيأتي ذِكر ذلك في الآدُر [4] - ثم تَنَقَّلَت إلى أن مَلَكَتْها السِّتُّ الجَليلَة كُهَار خاتُون - واسمها حَبيبَة وكُهَار لقبٌ لها - وهي ابنة الأمير جَمال الدِّين محمود بن جاكر ، وكانت زَوْجَة الأمير الإسْفِهْسَلار الكبير فَخْر الدِّين عُثْمان بن قَزْل أسْتادّار الملك الكامِل محمد بن أبي بكر ابن أيُّوب ، [99v] فوَقَفَتْها على الشَّافِعِيَّة في سنة سبعٍ وثلاثين وستّ مائةٍ ، ولم يَذْكُرها ابنُ عبد الظَّاهِر في كِتابِه وهي من شَرْطِه [b] [5].

---

a) بعد ذلك بياض ثلاثة أسطر في المُسَوَّدَة . b) بعد ذلك في المُسَوَّدَة بياض خمسة أسطر .

---

[1] يدلُّ على موضع المَدْرَسة النَّابُلُسية ، الزَّاوية المعروفة الآن بـ «زاوية الأرْبعين» الواقعة بداخل دَرْب المَبيضَة المقابل للخانْقاه الصَّلاحية سعيد السُّعَداء بالجمالية . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦ : ٥٠-٥١ (١٩) ؛ وفيما تقدم ٣ : ٢٦٤ : ٩، ١٧) .

[2] راجع ترجمة علاء الدِّين عثمان بن إبراهيم النَّابُلُسي صاحِب كتاب «تاريخ الفَيُّوم وبلاده» ، المتوفى سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م ، فيما تقدم ١ : ٢٣١هـ [3].

[3] انظر المقريزي : السلوك ٢ : ١٧٠، ٢٢٣، وفيما تقدم ٣ : ١٢٤ (دَرْب كركامة) ، وفيما يلي ١٠٧١.

[4] قَدَّمَ المقريزي في المُبَيَّضَة ذِكْر الدُّور ، ولم يَرِد بها أي ذِكْر لدار الشيخ عَدِيّ المُلْك أبي البَرَكات محمد بن عثمان وَكيل المأمون البطائحي . (ابن ميسر : أخبار مصر ٩١؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٨١، ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢١) .

[5] ذَكَرَ المقريزي (فيما تقدم ٣ : ١٢٤) أنَّ دَرْبَ كُرْكامَة فيه المَدْرسة الكُهارية بجوار حارة الجَوْذَرِيَّة المسلوك إليه من الفَحَّامين والغَضَاريين ويُتَوَصَّل منه إلى المَدْرسة الشَّريفية . والمَدْرَسَةُ الشَّريفية لا تزال قائمةً باسم جامع بَيْبَرْس الخيَّاط (مسجلة بالآثار برقم ١٩١) في حارة الجودرية بدَرْب =

[100r] مَدْرَسَةُ مُقْبِل الأَشِقْتَمُري
بِخَطّ التَّبَّانَة[1]

بَنَاهَا الطَّواشي مُقْبِلٌ الأَشِقْتَمُري، وتَمَّت يوم الجُمُعَة غُرَّة سنة سبعٍ وثمان مائةٍ، وجَعَلَ بها دَرْسًا للشَّافِعِية ونَصَبَ في تدريسه بُرْهان الدِّين إبراهيم البيجوري. ومات زَيْنُ الدِّين مُقْبل الأَشِقْتَمُري وهو رأس نَوْبَة الجَمْدارِيَّة في يوم الاثنين رابع ربيعِ الآخر سنة تسعَ عشرةَ وثمان مائةٍ بالطَّاعُون ودُفِنَ في مَدْرَسَته. وكان رُومِيًّا يَحْفَظ كتاب «الحَـاوي» في الفِقْه ويُذاكِر الفُقَهاء مع تَدَيُّنٍ، رحمه الله[2].

[106v] المَدْرَسَةُ الظَّاهِرِيَّة
المُسْتَجَدَّة
[أثر رقم ١٨٧]

هذه المَدْرَسَةُ مَكانُها من جملة حُقُوقِ القَصْرِ الغربي، وتَغَيَّرَ مَكانُها بعد زَوالِ الدَّوْلَة الفاطِمية عِدَّةَ مِرارٍ، وآخِر ما أَدْرَكْناه خانًا كبيرًا يُعْرف بـ«خَانِ الزَّكاة» وعُلُوُّه رَبْعٌ مُشْرِفٌ على شارع بَيْن القَصْرَيْن وتحته حَوانيتُ يسكنها الصَّيارِفُ. وتَنَقَّل وَقْفُه عِدَّةَ مِرارٍ، إلى أن اسْتَبَدَّ الملكُ الظَّاهِرُ سَيْفُ الدِّين أبو سعيد بَرْقُوق بمملكة الدِّيار المصرية وأَحَبَّ إنْشَاءَ مَكانٍ لِذِكْرِ الله وإقامَةِ الصَّلاةِ ونَشْرِ العِلْم؛ فوَقَعَ الاخْتيارُ على هذا المكان[3] وجَعَلَ أَمْرَ العِمارَة فيه إلى الأمير جَهَارْكَس الخَليلي

= سعادة، أمَّا المدرسة الكُهارية فقد حَلَّ محلَّها الآن الجامعُ المعروف بجامِع الجودري وزاوية الجودرية بحارة الجودرية المُوَصِّلَة إلى جامع بَيْبَرْس الخَيّاط. وجَدَّدَ هذا الجامع الشيخ أحمد مِنَّة الله المالكي سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣:١٧٨ (٤٠)، ٦:٦٤ (٢٤)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٦٧هـ[3]).

[1] أضافَ أبو المحاسن والسخاوي (الدليل الشافي ٧٤٠؛ الضوء اللامع ١٠:١٦٧) أنَّها بخُطِّ التَّبَّانَة خارج القاهرة عند مَفْرَق الطُّرُق.

وربَّما كانت هذه المَدْرَسَة هي الزَّاوية الواقعة بشارع التَّبَّانَة عند اتِّصاله بشارِع باب الوزير، المعروفة بـ«زاوية أبي اليوسفين» (المسجلة بالآثار برقم ٢٣٤)؟ (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢:٢٨٢ (١٠٢)، ٦:٤٧ (١٨)).

[2] راجع ترجمة الطَّواشي مُقْبِل الأَشِقْتَمُري عند، المقريزي: السلوك ٤: ٣٧٧؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٤٣، الدليل الشافي: ٧٤٠؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٣٨٠؛ السخاوي: الضوء اللامع ١٠: ١٦٧.

[3] في السلوك ٣: ٥١٩، والنجوم الزاهرة ١١: ٢٣٩،=

أمير آخُور [١]، فشَرَعَ في هَدْمِ الخانِ والرَّبْعِ المذكور في يوم [a] الرابع والعشرين من شهر رَجَب سنة ستٍّ وثمانين وسبع مائةٍ [٢]، وانْتَصَبَ لذلك الأميرُ جِهارْكَس بنَفْسِه ومماليكه، وساقَ عِدَّةً من الأبْقَار والجَواميس لنَقْلِ الحِجارَة من الجبَلِ على العَجَل، واسْتَعْمَل الصُّنَّاعَ من الحَجَّارين والبَنَّاة والفَعَلَة وغيرهم بالأَجْر ولم يُسَخِّر أحَدًا من النَّاسِ في العَمَل، إلَّا أنَّه كان دَهْقانًا مُماحِكًا عارِفًا يحبُّ القَلْب في المعاملة، فثَقُلَ على العُمَّالِ ذلك منه [٣].

وسَيَّرَ إلى سَواحِلِ البِلاد الشَّامِيَّة فاحْتَمَلَ القِطَعَ العَظيمَة من الرُّخامِ المُلَوَّن، وجَدَّ في العَمَلِ حتى تجمَّلَت في أعْظَمِ قالَبٍ وأتمِّ هِنْدام وأضْخَم بُنْيانٍ وأجَلِّ مِقْدار وأوْسَع قَدْرٍ كأنَّها تُضاهي أعْمالَ إرَم وتَفْخَر على مَصانِع عاد وتَشْخَر بمباني العمالِقَة. فاشْتَمَلَت على أرْبَعَةِ أواوين دائِرَة، بساحَةٍ فيها بِرْكَةُ ماءٍ، مفروشة كلُّ هذه الأواوين والسَّاحَة بالرُّخامِ البَديع الزَّيِّ الفاخِرِ المُثَمَّن، وبدائِرِها كلِّها الرُّخام، وبحذائها قُبَّةٌ جَليلَةٌ شامِخَةٌ قد أُعِدَّت لدَفْنِ الأمْوات، ومن وَرائِها المساكِنُ الكبيرة لطَلَبَة العِلْم، والمَطْبَخ لأجْلِ الطَّعَام، والمَيْضَأة والسَّاقية [٤].

---

a) بياض في المُسَوَّدَة.

= وبدائع الزهور ١/٢: ٣٤٩، أنَّ السُّلْطان اسْتَبْدَل خَان الزَّكاة من وَرَثَةِ النَّاصِر محمد بن قلاوون بقطعة أرض ....، وانظر كذلك فيما تقدم ٢: ٢٤٨.

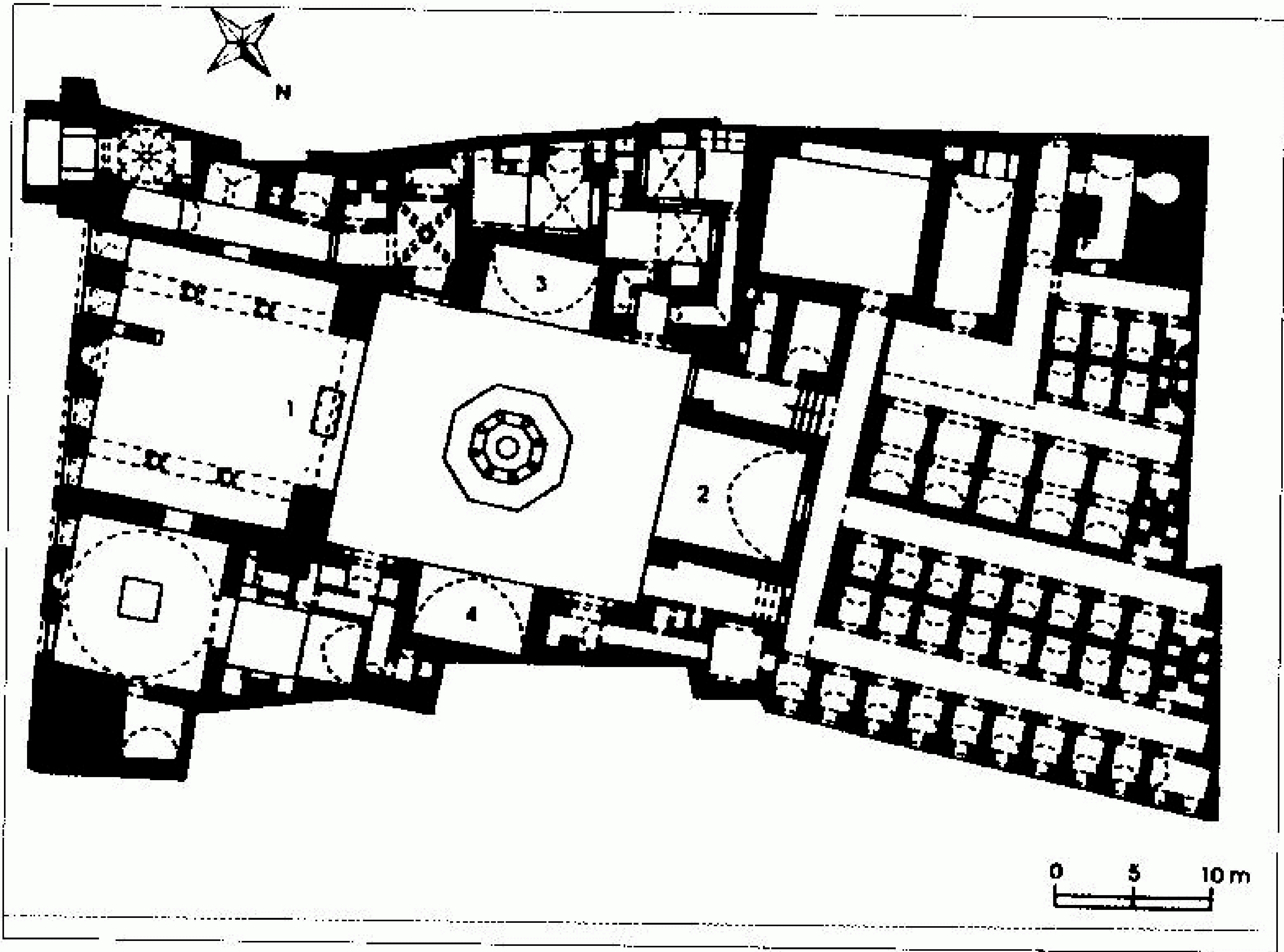
[١] انظر عنه، فيما تقدم ٣: ٣١٢هـ [٢].

[٢] راجع، المقريزي: السلوك ٣: ٥٢٣، ٥٤٣، ٩٤٦؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٢٩٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٣٩، ١٢: ١١٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٢٩٥، ٣٤٩؛ وفيما تقدم ٣: ١٧٣.

[٣] ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٣٥٠.

[٤] ما تزالُ المَدْرَسَةُ الظَّاهرية الجَديدَة (تمْييزًا لها عن المَدْرَسَة الظَّاهرية العَتيقَة، التي أنشأها الظَّاهر بيْبَرْس) قائمةً في شارع المُعِزّ لدين الله شمال المَدْرَسَة النَّاصِرية وفي مواجهة قَصْر بَشْتاك. وهي عبارة عن صَحْنٍ مَكشوف تحيط به أربعة إيوانات أهمّها إيوان القِبْلَة الذي فُرِشَت أرضيته بالرُّخام. (راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٧ (٥)، ١٤٦-١٤٧ (٥١)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٩٢-١٩٧؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٤: ٣٧-٤٨؛ Lamei Mostafa, S., *Madrasa, Hanqâh und Mosoleum des Barqûq in Kariro*, Glückstadt 1982؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٣٥-٧٠، والمصادر المذكورة في هامش ٢ فيما تقدم).

وهذه الخانْقاه الملحقة بالمَدْرسة والواقعة خَلْفها اندَثَرت مُعْظَمُ التفاصيل المعمارية الخاصَّة بها ولم يَبْقَ منها سوى أطْلالِ حوائطها الخارجية ومَدْخلها المُطلّ على حارَة البَرْقُوقية، وانظر فيما يلي ٧٤٣.



مُخَطَّط المَدْرَسَة الظَّاهِرِيَّة المستجدة (عن صالح لمعي)

[107r] ، ولمَّا [كان][a] في ليلة الرابع عشر من جُمادَى الآخرة سنة ثمانٍ وثمانين وسبع مائةٍ نُقِلَ إلى القُبَّة من هذه المَدْرَسَة الأميرُ الكبيرُ آنَص والِد الملك الظَّاهِر بَرْقُوق من تُرْبته خارج باب النَّصْر ودُفِنَ بها [1].

وفي يوم الخميس ثاني عشر رَجَب نَزَلَ السُّلْطانُ ومعه أُمَرَاءُ الدَّوْلَة وأرْبابُ الوَظائِف إلى المَدْرَسَة ، وقد كَمُلَت واجْتَمَعَ بها عامَّةُ القُضَاة ومَشايخُ العِلْم ووُجوهُ النَّاس ، ومُدَّ سِماطٌ عَظيمٌ أكَلَه الجماعَةُ وانْتَهَبْتُه النَّاسُ ، ودارَت السُّقَاةُ بالأواني المُذابُ فيها السُّكَّر بالماء ومُلِئَت البِرْكَةُ التي بها [بالـ]ـسُّكَّر واللَّيْمون [2].

---

a) زيادة اقتضاها السياق .

---

[1] المقريزي : السلوك ٣ : ٥٤٦؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ :٢١٨– ٢١٩، وفيه أنَّه دُفِن بتُرْبة الأمير يُونُس الدَّوادار برأس الرَّوْضَة خارج باب البَرْقِيَّة من القاهرة .

[2] المقريزي : السلوك ٣ : ٥٤٦، ٥٤٧؛ ابن حجر : إنباء الغمر ١ : ٣١٣؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ :٢٤٣– ٢٤٤؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢ : ٣٧٢. =

واسْتَقَرّت جَامِعَ خُطْبَةٍ لإقامَة الجُمُعَة بها، وخانْقاه ودُرُوس عِلْمٍ أربعة للفِقْه في المَذاهِبِ الأربعة ودَرْسَ تفسير ودَرْسَ حَديثٍ ودَرْس قِراءات. وتَقَرّرَ في مَشْيَخَة الخانْقاه وتَدْريس الحَنَفِيّة الشَّيْخُ عَلاءُ الدِّين العَلاء بن أحمد بن محمد السِّيرامي إلى أن ماتَ يوم الأحد ثالِث جُمادَى الأولى سنة تسعين وسبع مائةٍ، وفي تَدْريس التَّفْسير شَيْخُ الإسْلام سِراج الدِّين عُمَر البُلْقيني. وجَعَلَ لكلِّ من الطَّلَبَة الخُبْز واللَّحْم المطبوخ في كلِّ يومٍ والمَعْلوم من الدَّراهم والصَّابون والزَّيْت والحَلْواء في كلِّ شهرٍ. وجَعَلَ لها أوْقافًا تَزِيدُ عن المُقَرَّرِ بها.

وخَلَعَ في هذا اليوم على الأمير جَهارْكَس الخَلِيلي وأرْكَبه فَرَسًا بعُدَّةٍ ذَهَبٍ، وخَلَعَ على المُعَلِّم شِهاب الدِّين أحمد الطُّولُوني المُهَنْدِس[1] وأُرْكِبَ فَرَسًا بعُدَّةٍ ذَهَبٍ، وعلى خمسة عشر من مماليك الخَلِيلي وأنْعَم على كلٍّ منهم بخمس مائةِ دِرْهَم فِضَّة، وخَلَعَ على بَقِيَّة أكابِر الصُّنَّاع والمُهَنْدِسين.

وقال شُعَراءُ الوَقْت فيها شِعْرًا كثيرًا؛ فمن ذلك قَوْلُ شِهابِ الدِّين أحمد ابن العَطَّار[2]:

[البسيط]

قد أنشأ الظَّاهِرُ السُّلْطانُ مَدْرَسَةً ... فاقَت على إرَمٍ مَعْ سُرْعَةِ العَمَلِ
يكفي الخَلِيليّ أنْ جاءَت لدَعْوَتِه ... شُمُّ الجِبالِ لها تَسْعى على عَجَلِ

= ويدلُّ على تاريخ الانتهاء من بناء المدرسة كتابةٌ تاريخية بأعلى واجهة المَدْرسة نَصُّها:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآية ٢١ سورة الحديد ـ أَمَرَ بإنْشاءِ هذه المَدْرَسَة المباركة والخانْقاه مَوْلانا السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ سَيْفُ الدُّنْيا والدِّين، أبو سعيد بَرْقوق سُلْطان الإسلام والمسلمين نُصْرَة الغُزاة والمجاهدين، حامي حَوْزَة الدِّين، ذُخْر الأيْتام والمساكين، كَنْز الطَّالِبين صَاحِب الدِّيار المصرية والبلاد الشَّامية ـ عزَّ الله نَصْرَه ـ وذلك في مُباشَرَة العَبْد الفقير إلى الله تعالى المُقِرّ السَّيْفي جَرْكَس الخَلِيلي أمير آخور الملك الظَّاهر أبو [كذا] سعيد بَرْقُوق، أدامَ الله أيَّامَه بمحمدٍ وآلِه ياربَّ العالمين. وكان الفَراغُ في مستهلِّ ربيع الأوَّل سنة ثماني وثمانين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n°192؛ وانظر كذلك Lamei Mostafa, S., *op.cit.*, pp. 76-77).

[1] شهاب الدِّين أحمد بن الطُّولُوني مهندس المَدْرَسَة، هو مهندس ابن مهندس من أُسْرَة اشْتَغَلَت بالعِمارَة وقامَت بأعمالٍ معمارية في مصر والحجاز، قال أبو المحاسن: «كان مُعَلِّم السُّلْطان ومُهَنْدِسه وشادّ عَمائِره، ثم تَزَوَّجَ الملكُ الظَّاهِر بَرْقُوق بأخته أو بنته، فنال بمُصاهَرَة السُّلْطان السَّعادَة وأثْرى وصارَ من ذوي الرِّئاسة، وتَوَجَّه إلى عمائر مكة غير مَرَّة آخرها في سنة ٨٠١هـ، وتوفي عند عودته في صفر من هذا العام، ودُفِن بالمَعْلاة من مكة. (المنهل الصافي ٢:٢٨٣-٢٨٤؛ وانظر كذلك المنهل الصافي ٩:٢٩٨ ترجمته أو ترجمة أخيه؟)؛ وانظر كذلك ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩:٤٧٧:١١.

[2] ابن حجر: إنباء الغمر ١:٣١٣، ٣١٤.

[ومن رأى الأعْمِدَة التي بها عَرَفَ الإشارَة][a].

وقَوْله :

[السريع]

قُلْ للمَليك الظَّاهِر المُرْتَضى هَنِئْتَ بالمَدْرَسَةِ الفائِقَة
خَنَقْتَ حُسَّادَك قَهْرًا بها فيا لَها مَدْرَسَةً خانِقَة

[107v] وقال الأديبُ المُعْتَقِد شِهابُ الدِّين أحمد بن أبي العَبَّاس الشَّاعِر الدَّمَنْهوري :

[البسيط]

الظَّاهِرُ الملكُ السُّلْطانُ هِمَّتُه كادَت لرِفْعَتِها تَعْلو على زُحَلِ
وبعضُ خُدَّامِه طَوْعًا لخِدْمَتِه يَدْعُو الجِبالَ فتأتيه على عَجَلِ

وما زالَ أمْرُها مُسْتَقيمًا وأحْوالُها مَرْعِيَّة وتعاليمُ أرْبابها اليومية والشهرية جاريةً إلى أن حَدَثَت الكَوائِنُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائةٍ ، فبَطَلَ الطَّعامُ لغَلاءِ الأصْناف .

ثم حَسُن برأي الملك النَّاصِر فَرَج أن يُجَدِّد لمَدْرَسَةِ أبيه وَقْفًا يستجدُّه ، فجَعَلَ ناحيةَ أنْبُوبَة من الجيزَة وَقْفًا عليها ، وأُعيد لها الطَّعامُ إلى أن قُتِلَ الملكُ النَّاصِرُ في سنة خمسَ عشرة وثمان مائةٍ ، واسْتَوْلى الأميرُ شَيْخ على البِلاد وأبْطَلَ كثيرًا من الأوْقافِ المستجدَّة أَخْرَجَ أنبوبَة عن وَقْفِ المَدْرَسَة وأقْطَعَها لبعض أصْحابه .

وبَرْقُوق هذا [b][1].

[خانُ الزَّكاة][c]

وعُرِف هذا الخانُ بخانِ الزَّكاة لأنَّه[d] لمَّا انْقَضَت دَوْلَةُ بني أيُّوب ، واسْتَبَدَّ عِزُّ الدِّين أيْبَك التُّرْكُماني بمملكة الدِّيار المصرية وتلَقَّبَ بـ«الملك المُعِزّ» واسْتَوْزَرَ رَجُلًا من الدَّواوين الأقْباط

a) زيادة من إنباء الغمر . b) بياض في المُسَوَّدَة صفحة ونصف . c) زيادة اقتضاها السِّياق . d) المُسَوَّدَة : فإنَّه .

[1] كتبَ المقريزي مَدْخَل ترجمة السُّلْطان بَرْقوق ولم يتمَّه ، وانظر فيما تقدم ٣: ٧٨٠-٧٨١ وهـ[1] صفحة ٧٨١ وما ذكر فيه من مصادر ومراجع ؛ وبيَّضَ المقريزي كذلك لترجمة بَرْقُوق في درر العُقُود الفريدة ١: ٤٥٥، وأشار إلى ذلك السَّخاوي حيث قال : «ذكره المقريزي في عُقُوده ، وبيَّضَ له» (الضوء اللامع ٣: ١٢).

المَسَالِمَة يُعْرَف بشَرَفِ الدِّين هِبَة الله بن صَاعِد الفائِزي [1]، فقَرَّرَ على النَّاسِ أمْوالًا جَباهَا من التُّجَّارِ ومَياسير النَّاسِ وأرْبابِ العَقارات، ورَتَّبَ مُكُوسًا وضَمانات سَمَّاها «الحُـقُوق والمُعامَلات» [2]، منها:

«زَكاةُ الدَّوْلَبَة»، وهو أنَّه: يُعْتَبر مالُ الإنْسَانِ، ويُؤْخَذ منه زَكاتُه في العام، ويَسْتَقِرُّ ذلك المأخُوذ منه ضَريبَةً لازمةً لابُدَّ من اسْتِخْراج ذلك منه، فإن نَزَلَت به جائِحَةٌ أو [ذَهَبَ][a] مالُه لا يُتْرَك له ما كان يُؤْخَذ منه، ولو ماتَ أُخِذَت تلك الزَّكاةُ من وَرَثَتِه أبدًا ما بَقُوا، سَواءً بقي المالُ المَوْروث معهم أو نَفَدَ منهم [3]. وكان مُسْتَخْرَجُ هذه الجِهَة بهذا الخان، فلذلك عُرِفَ بـ«خَانِ الزَّكاة». وما زالَ هذا الدِّيوانُ منذ حَدَثَ في سنة خمسين وستّ مائة إلى أن أبْطَلَه الملكُ المَنْصُور قَلاوون في أيَّام سَلْطَنته، وكان فيه على الخَـلْقِ من الضَّرَرِ ما لا يُمْكِن شَرْحُه حتى أراحَ الله منه[b] [4].

---

a) زيادة اقتضاها السِّياق. b) آخر القسم المنقول من مُسَوَّدَة الخِطَط والذي بدأ فيما تقدم صفحة ٦٥٦.

---

[1] راجع أخبار الوزير صَاعِد الفائِزي، فيما تقدم ٣: ٢٩٧- ٢٩٨.

[2] انظر فيما تقدم ١: ٢٨٤، ٣: ٤٠٩، ٧٦٨.

[3] انظر فيما تقدم ١: ٢٨٦.

[4] فيما تقدم ١: ٢٨٦.

ذِكْرُ المَارِسْتَانَات

قال الجَوْهَرِيُّ في كِتابِ[a] «الصِّحاح»: والمارِسْتانُ بَيْتُ المَرْضَى، مُعَرَّبٌ عن ابن السِّكِّيت[1].

وذَكَرَ الأستاذُ إبراهيم بن وَصِيف شاه في كِتابِ «أخْبارِ مصر»: أنَّ الملكَ مَناقيوش بن أَشْمون ـ أحَدَ ملوك القِبْط الأُوَل بأرضِ مصر ـ أوَّلُ من عَمِلَ البيمارسْتانات لعِلاجِ المَرْضَى، وأوْدَعَها العَقاقيرَ، ورَتَّبَ فيها الأطبَّاءَ، وأَجْرَى عليهم ما يَسَعُهم. ومَناقيوش هذا هو الذي بَنَى مَدينَة إخْميم، وبنَى مَدينَة سَنْتَريه[2].

وقال زاهِدُ العُلَماء أبو سَعيد مَنْصُور بن عِيسَى[3]: أوَّلُ من اخْتَرَع المارِسْتان وأَوْجَدَه بُقْراط بن أبو إقليدس، وذلك أنَّه عَمِلَ بالقرب من دارِه ـ في مَوْضِعٍ من بُسْتانٍ كان له ـ مَوْضِعًا مُفْرَدًا للمَرْضَى، وجَعَلَ فيه خَدَمًا يَقُومُون بمُداواتهم، وسَمَّاه «أَخَسْدُولين»[b]، أي: مَجْمَع المَرْضَى[4].

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: أصدولين.

---

[1] الجوهري: الصحاح ٢: ٩٧٥؛ وراجع عن البيمارستانات عمومًا، أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م؛ Dunlop, D.H., *EI*[2] art. *Bimâristân* I, pp. 1259-61.

[2] انظر فيما تقدم ١: ٣٧٦، ٧٣٦، ٦٤٩.

[3] زاهِدُ العُلَماء، أبو سعيد منصور بن عيسى، كان نَصْرانِيًّا نَسْطورِيًّا وأخوه مُطْران نَصيبين، خَدَمَ بصناعة الطِّب نَصير الدَّولة بن مَرْوان الذي أَلَّفَ له ابن بُطْلان «دَعْوَة الأطِبّاء». وزاهِدُ العلماء هو الذي بنى «بيمارِسْتان مَيّافارِقِين». ومن بين مؤلفاتِه «كتابُ البيمارستانات»، لم يصل إلينا. (ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١: ٢٥٣، ٣٠٩).

[4] وَرَد هذا النَّصُّ كذلك عند ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١:٢٧ (وربَّما كان هو مصدر النقل؟).

وأوَّلُ من بَنَى المارِسْتانَ في الإسلام ودارَ المَرْضَى الوَليدُ بن عبد الملك ، وهو أيضًا أوَّل من عَمِلَ دارَ الضِّيافَة ، وذلك في سنة ثمانٍ وثمانين [1] . وجَعَلَ في المارِسْتان الأطِبَّاء ، وأجْرَى لهم الأرْزاقَ ، وأمَرَ بحَبْسِ المجْذُومين لئلَّا يَخْرُجوا ، وأجْرَى عليهم وعلى العُمْيان الأرْزاق .

وقال جامع «السِّيرَة الطُّولُونية» ـ وقد ذَكَرَ بِناءَ جَامِع ابن طُولُون ـ : وعَمِلَ في مؤخَّرِه مَيْضَأةً وخِزانَةَ شَرابٍ فيها جَميعُ الشَّرابات والأدوية ، وعليها خَدَمٌ ، وفيها طَبيبٌ جالِسٌ يوم الجُمُعَة لحادِثٍ يَحْدُث للحاضِرين للصَّلاة [2] .

مَارِسْتَانُ ابن طُولُون

هذا المارِسْتانُ مَوْضِعُه الآن في أرْضِ العَسْكَر ـ وهي الكِيمان والصَّحْراء التي فيها بين جَامِع ابن طُولُون وكُوم الجَارِح ، وفيما بين قَنْطَرَةِ السَّدّ التي على الخَليج ظاهِرَ مَدينَة مصر ، وبين السُّور الذي يَفْصِل بين القَرافَة وبين مصر ـ وقد دَثَرَ هذا المارِسْتانُ في جملة ما دَثَرَ ، ولم يَبْقَ له أثَرٌ .

قال أبو عُمَرَ الكِنْدي في «كِتابِ الأُمَرَاء» : وأمَرَ أحمد بن طُولُون أيضًا ببِنَاءِ المارِسْتان للمَرْضَى ، فبُنِيَ لهم في سنة تسعٍ وخمسين ومائتين [3] .

وقال جامِعُ «السِّيرَة الطُّولُونية» : وفي سنة إحدى وستين ومائتين ، بَنَى أحمد بن طُولُون المارِسْتان ، ولم يكن قَبْل ذلك بمصر مارِسْتان . ولمَّا فَرَغَ منه حَبَسَ عليه دارَ الديوان ، ودُوْرَه إلى الأساكِفَة ، والقَيْساريَّة ، وسُوق الرَّقيق . وشَرَطَ في المارِسْتان أنْ لا يُعالَج فيه جُنْدي ولا مَمْلوك ، وعَمِلَ حَمَّامين للمارِسْتان : إحْداهُما للرِّجال ، والأخرى للنِّساء ، وحَبَسَهُما على المارِسْتان وغيره . وشَرَطَ أنَّه إذا جيءَ بالعَليل تُنْزَعُ ثِيابُه ونَفَقَتُه ، وتُحْفَظ عند أمين المارِسْتان ، ثم يُلْبَس ثِيابًا ويُفْرَش له و ويُغْدَى عليه ويُراحُ بالأدْوية والأغْذية والأطِبَّاء حتى يَبْرَأ ، فإذا أكَلَ فَرُّوجًا ورَغيفًا ، أُمِرَ بالانْصِرافِ ، وأُعْطِيَ مالَه وثِيابَه .

وفي سنة اثْنتين وستين ومائتين ، كان ما حَبَسَه على المارِسْتان والعَيْنَ والمَسْجِدِ في الجَبَل ـ الذي يُسَمَّى تَنُّور فِرْعَوْن ـ وكان الذي أُنْفِقَ على المارِسْتان ومُسْتَغَلّه : ستين ألف دينار . وكان يركب بنفسه في كلِّ يوم جُمُعَة ، ويَتَفَقَّد خَزائِنَ المارِسْتان وما فيها والأطبَّاء ، وينظُر إلى المرضى وسائِر

---

[1] انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٧:٤٦٣ – ٤٦٤؛ وفيما تقدم ٢:٥ .

[2] انظر فيما تقدم ٦٤.

[3] الكندي : ولاة مصر ٢٤٣.

الأَعِلّاء والمحبُوسين من المجانين . فدَخَلَ مَرَّةً حتى وَقَفَ بالمجانين ، فناداه واحِدٌ منهم مَغْلُول : أيُّها الأمير ، اسْمَع كلامي ، ما أنا بمَجْنُون ، وإنَّما عُمِلَت عليَّ حِيلَةٌ ، وفي نفسي شَهْوَةُ رُمَّانة عريشية أكبر ما يكون ، فأَمَرَ له بها من ساعَته ، ففَرِحَ بها وهَزَّها في يده ورازَها ، ثم غافَل / أحمد ابن ٢ طُولُون ورَمَى بها في صَدْره ، فنَضَحَت على ثِيابِه ، ولو تمكَّنَت منه لأتَت على صَدْرِه . فأَمَرَهُم أن يَحْتَفِظوا به ، ثم لم يُعاوِد بَعْد النَّظَر في المارِسْتان [1].

مارِسْتانُ كافُور

بَنَاهُ كافُورُ الإخْشيدي ، وهو قائِمٌ بتَدْبير دَوْلَة الأمير أبي القاسِم أُنُوجُور بن محمد الإخْشيد ، بمَدينَة مصر في سنة ستٍّ وأربعين وثلاث مائةٍ .

مارِسْتانُ المَعافِر

هذا المارِسْتانُ كان في خِطَّةِ المَعَافِر التي مَوْضِعها ما بين العامِر من مَدينَة مصر وبين مُصَلَّى خَوْلان التي بالقَرافَة ، بناهُ الفَتْحُ بن خاقانَ في أيَّام أمير المؤمنين المُتَوَكِّل على الله ، وقد بادَ أثَرُه [2].

المارِسْتانُ الكَبيرُ المَنْصُوري

[أثر رقم ٤٣]

هذا المارِسْتانُ بخُطِّ بَيْنِ القَصْرَيْن من القاهِرَة . كان قاعَةَ سِتِّ المُلْك ابنة العَزيز بالله نِزار ابن المُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ [3] ، ثم عُرِفَ بدارِ الأمير فَخْر الدِّين جَهارْكَس ، بعد زَوالِ الدَّوْلة الفاطِمِيَّة ، وبدار مَوْسَك ، ثم عُرِفَ بالملك المُفَضَّل قُطْبِ الدِّين أحمد ابن الملك العادِل أبي بكر ابن أيُّوب ، وصارَ يُقالُ لها «الدَّارُ القُطْبِيَّة» . ولم تَزَلْ بيد ذُرِّيته إلى أن أَخَذَها الملكُ المَنْصُور قَلاوون الألْفي الصَّالِحِي ، من مُؤْنِسَة خاتُون ، ابنة الملك العادِل ـ المعروفة بالقُطْبِيَّة ـ وعُوِضَت عن ذلك قَصْرَ الزُّمُرُّد برَحْبَةِ بابِ العيد ، في ثامِن عشرين ربيع الأوَّل سنة اثنتين وثمانين وستِّ مائةٍ ،

[1] هذا النَّصُّ لا يُوجَد فيما وَصَل إلينا من سيرة أحمد بن طُولُون للبَلَوي ، وقد أورده ناشِرُ الكتاب ومُحقِّقُه في هامش صفحة ١٨٠ نَقْلًا عن خِطَط المقريزي .

[2] ذَكَرَ المقريزي (فيما تقدم ٢ : ٣٥٠–٣٥١) «المارِسْتان العَتيق» الذي أنشأه صَلاحُ الدِّين موضع بعض قاعات القَصْرِ الفاطمي الكبير .

[3] فيما تقدم ٢ : ٤٩٩ .

بسِفارَة الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الشُّجاعي مُدَبِّر المَمالِك، ورَسَمَ بعِمارَتها مارِسْتانًا وقُبَّةً ومَدْرَسَةً، فتَوَلَّى الشُّجاعيُّ أَمْرَ العِمارَة، وأَظْهَرَ من الاهْتمامِ والاحْتِفالِ ما لم يُسْمَع بمثله، حتى تَمَّ الغَرَضُ في أسْرَعِ مُدَّةٍ وهي أَحَدَ عشرَ شهرًا وأيَّامٌ. وكان ذَرْعُ هذه الدَّار عشرة آلاف وستّ مائة ذِراع [1].

وخَلَّفَت سِتُّ المُلْك بها ثمانية آلاف جارية، وذَخائِرَ جَليلَة منها قطعةُ ياقُوت أحْمَر زِنَتُها عشرة مثاقيل [2]، [a]وعُرِفَت هذه الدَّار بالأمير فَخْر الدِّين جَهارْكَس ومَوْسَك في أيَّام الغُزّ، والمَسْجِدُ الذي على بابها يُعْرَف بمَوْسَك فيه تَصْديرٌ للقُرآن [a].

وكان الشُّروعُ في بِنائِها مارِسْتانًا أوَّل رَبيعِ الآخر سنة ثلاثٍ وثَمانين وستِّ مائةٍ. وكان سَبَبُ بِنائِه أنَّ الملكَ المَنْصُور لمَّا تَوَجَّه وهو أميرٌ إلى غَزاة الرُّوم، في أيَّام الظَّاهِر بَيْبَرْس سنة خمسٍ وسبعين وستِّ مائةٍ، أصابَه بدِمَشْق قَوْلَنْجٌ عَظيمٌ، فعالَجَه الأطِبَّاءُ بأدْوِيةٍ أُخِذَت له من مارِسْتان نُور الدِّين الشَّهيد فبَرَأ، ورَكِبَ حتى شاهَدَ المارِسْتانَ فأُعْجِب به، ونَذَر إن آتاهُ الله المُلْكَ أن يَبْني مارِسْتانًا.

[a]وقال في كِتاب «سيرَة الملك المَنْصور قَلاوون»، ومنه لَخَّصت [a]: فلمَّا تَسَلْطَن، أَخَذَ في عَمَلِ ذلك، فوَقَعَ الاخْتيارُ على الدَّارِ القُطْبِيَّة، وعَوَّض أَهْلَها عنها قَصْر الزُّمُرُّد. ووَلِيَ الأمير عَلَم

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة.

---

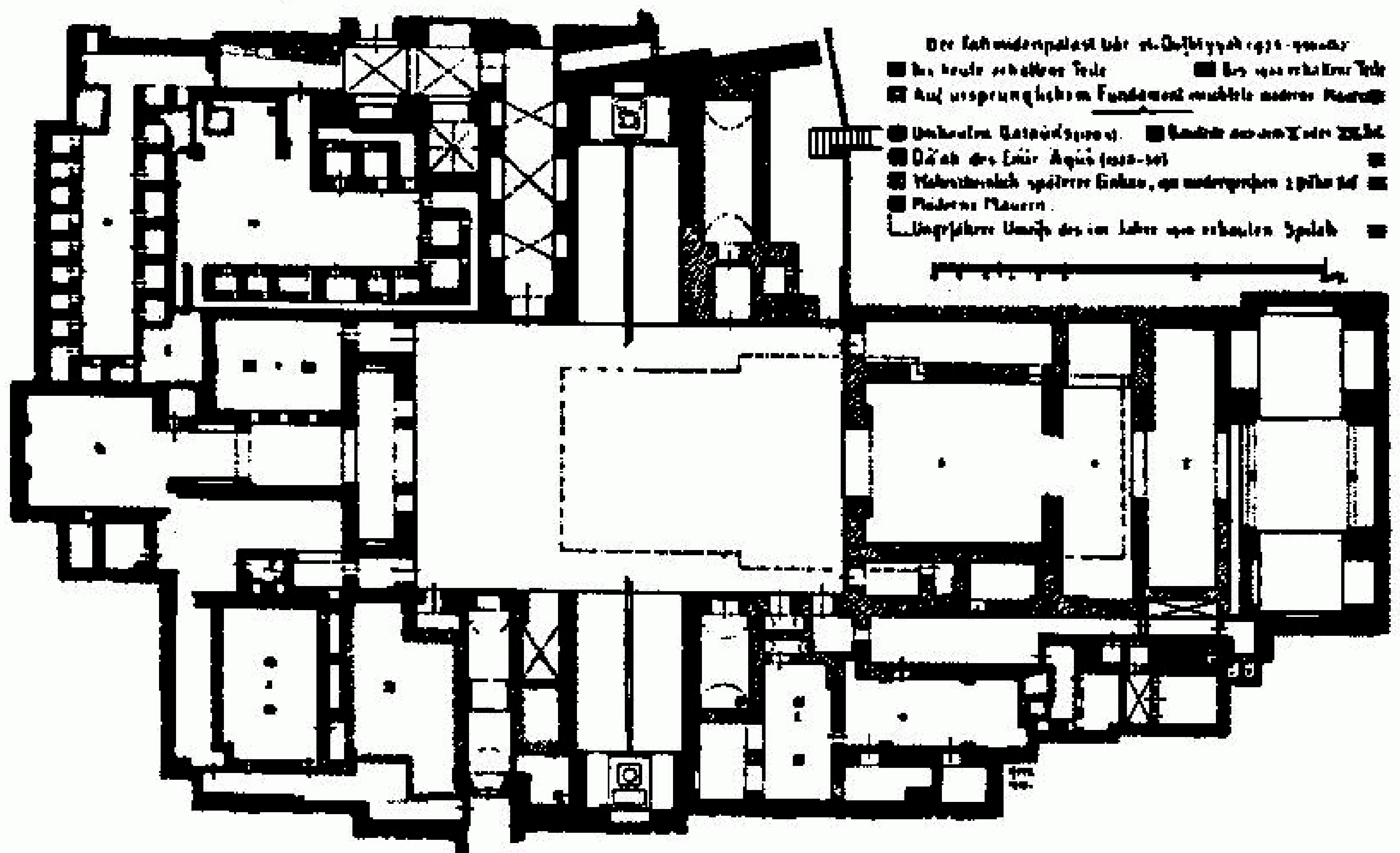
[1] راجع، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٦٠- ٦١، تشريف الأيام والعصور ٥٥- ٥٧، ١٢٦- ١٢٩؛ بيبرس الدوادار ٢٤٨- ٢٥٠؛ شافع بن علي: الفضل المأثور ١٦٦- ١٧٠؛ النويري: نهاية الأرب ٣١: ١٠٦- ١١٠؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧: ٢٣٨؛ المقريزي: السلوك ١: ٧١٦- ٧١٧، ٧٢٥؛ العيني: عقد الجمان ٢: ٣٠٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٢٦- ٣٢٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٥٣- ٣٥٤، أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ٨٣- ١٧١؛ Herz, M., «Un bassin en mosaique de marbre en Maristan al-Mansouri (Kalaoun)», *CR de Comité* XXVIII (1910), pp. 141-47; Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 204-11؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٥٧- ١٧٣؛ حياة ناصر الحجي: «البيمارستان المنصوري منذ تأسيسه وحتى نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية - جامعة الكويت ٢٩/٨ (١٩٨٨)؛ محمد حمزة الحداد: السلطان المنصور قلاوون ١٢١- ١٣٩؛ Northrup, L. S., *From Slave to Sultan*, pp. 119-20; id., «Qalawun's Patronage of the Medical Sciences in Thirteenth - Century Egypt», *MSR* I (1997), pp. 119-40.

[2] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٤٠، والقِصَّة عنده لا تتعلَّق بسِتِّ الملك أخت الحاكم بأمر الله وإنَّما بابنته سِتِّ مصر المتوفاه في مستهل جُمادَى الآخرة سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م. وجاءَ الخَبَرُ في المُسَوَّدَة مسبوقًا بقوله: «ورأيت في كِتابِ «الذَّخائر» أنَّها خَلَّفَت ...».

[3] يَتَّفق هذا التَّلْخيص مع ما وَرَد في كِتابِ «الفَضْل المأثور من سيرة الملك المنصور» لشافِع بن علي.

الدِّين سِنْجر الشُّجاعي أَمْرَ عِمارَتِه، فأبقى القاعَة على حالِها، وعَمِلَها مارِسْتانًا، وهي ذات إيوانات أربعة، بكلِّ إيوانٍ شاذِرْوان [1]، وبدور قاعَتها فَسْقِيَّةٌ يصير إليها من الشاذِرْوانات الماء.

[a)]وكانت قَبْل ذلك دارًا من حُقُوقِ القَصْر، وسَكَنَها أخيرًا الأميرُ قراسُنْقُر المُعِزِّي وتحته مَوْطُوَة الملك الصَّالح نَجْم الدِّين خازنداره شَجَر الدُّرّ، وكانت مُوسِرَةً غَنِيَّةً، فحَمَلَها الخَوْفُ من قَراسُنْقُر المذكور على أن دَفَنَت مالَها في الدَّارِ المذكورة وماتت [a)]. واتَّفَقَ أنَّ بعضَ الفَعَلَة كان يَحْفِر في أساسِ المَدْرَسَة المَنْصورية، فوَجَدَ حُقَّ أُشْنان من نُحاسٍ، ووَجَدَ رَفيقُه قُمْقُمًا نُحاسًا مَخْتُومًا برَصاصٍ، فأَحْضَر ذلك إلى الشُّجاعي، فإذا في الحُقِّ فُصُوصُ ماسٍ وياقُوتٍ وبَلَخْش ولُؤْلُؤ ناصِع يُدْهِش الأبْصار، ووَجَدَ في القُمْقُم ذَهَبًا ـ كان جملة ذلك نَظير ما غَرِمَ على العِمارَة ـ فحَمَله إلى أَسْعَدِ الدِّين كوهْيا النَّاصِري العَدْل، فرَفَعَه إلى السُّلْطان [2].



مُخَطَّط المارِستان المنصوري (عن Herz Pacha)

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدة.

---

[1] انظر عن الشَّاذِرْوان، فيما تقدم ٣: ٢٠١-٢٠٢هـ ٣. [2] شافع بن علي: الفضل المأثور ١٦٩-١٧٠.

ولمّا نَجَزَتِ العِمارَةُ، وَقَفَ عليها المَلِكُ المَنْصُور من الأمْلاكِ ـ بديار مصر وغيرها ـ ما يُقارِبُ ألف ألف درهم في كلّ سنة؛ ورَتَّبَ مَصارِفَ المارِسْتان والقُبَّة والمَدْرَسَة ومَكْتَب الأيْتام. ثم اسْتَدْعى قَدَحًا من شَرابِ المارِسْتان وشَرِبَه وقال: [a]اشْهَدُوا عليّ أنّي[a] قد وَقَفْتُ هذا المارِسْتان[b] على من هو مِثْلي إلى من هو دوني[c]، وجَعَلْتُه وَقْفًا على المَلِك والمَمْلوك والجُنْدي والأمير والكبير والصَّغير والحُرّ والعَبْد، الذُّكور والإناث. ورَتَّبَ فيه العَقاقيرَ والأطِبّاءَ وسائِرَ ما يَحتاج إليه من به مَرَضٌ من الأمْراض.

وجَعَلَ السُّلْطانُ فيه فَرّاشين من الرِّجال والنِّساء لخِدْمَة المَرْضَى، وقَرَّرَ لهم المعاليم، ونَصَبَ الأسِرَّة للمَرْضَى، وفَرَشَها بجميع الفَرْش المحْتاج إليها في المَرَض، وأفْرَدَ لكلّ طائِفَةٍ من المَرْضَى مَوْضِعًا: فجَعَلَ أواوين المارِسْتان الأربعة للمَرْضَى بالحُمّيات ونحوها، وأفْرَد قاعةً للرَّمْدَى، وقاعةً للجَرْحى، وقاعةً لمن به إسْهال، وقاعةً للنِّساء، ومَكانًا للمَبْرورين ينقسم قسمين: قِسْمٌ للرِّجال، وقِسْمٌ للنِّساء.

وجَعَلَ الماءَ يَجْري في جَميع هذه الأماكِن، وأفْرَدَ مَكانًا لطَبْخِ الطَّعام والأدْوية والأشْرِبَة ومَكانًا لتركيب المعاجين والأكْحال والشِّيافات[1] ونحوها، ومَواضِعَ تخزَّن فيها الحَواصِلُ، وجَعَلَ مكانًا تُفَرَّق فيه الأشْرِبَة والأدْوية، ومكانًا يجلس فيه رَئيسُ الأطِبّاء لإلْقاء دَرْسِ طِبٍّ، ولم يَحْصُر /عِدَّة المَرْضَى، بل جَعلَه سَبيلًا لكلّ من يَرِد عليه من غَني وفَقير، ولا حَدَّدَ مُدَّةَ إقامَةِ المريض به، بل يُرَتِّب منه لمن هو مَريضٌ بدارِه سائِر ما يُحْتاج إليه.

ووَكَّلَ الأميرَ عِزَّ الدِّين أَيْبَك الأفْرَم الصَّالِحي أمير جَنْدار[2]، في وَقْفِ ما عَيَّنَه من المواضِع وتَرْتيب أرْبابِ الوَظائِف وغيرهم. وجَعَلَ النَّظَر لنفسه أيّام حَياتِه، ثم من بعده لأوْلادِه، ثم من بَعْدهم لحاكِم المسلمين الشّافِعيّ. فضَمَّن وَقْفَه كِتابًا تأريخه[3] يوم الثلاثاء ثالث عَشْرين صَفَر سنة

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدة. b) إضافة من المُسَوَّدَة. c) بولاق: على مثلي ومن دوني.

---

[1] الشِّيافات: أدْوِيَة للعَيْن ونحوها.

[2] انظر مراجع ترجمة الأمير عِزّ الدِّين أَيْبَك الأفْرَم الصَّالحي النَّجمي، المتوفى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٦م، فيما يلي ٨٠٤.

[3] وَصَلَ إلينا كِتابُ وَقْفِ السُّلْطانِ المَنْصُور قَلاوون على مَصالِحِ البيمارستان المَنْصُوري وهو محفوظٌ بمجموعة محكمة الأحوال الشخصية بدار الوثائق القومية بالقاهرة، ونَشَرَه محمد محمد أمين بعنوان: «وثائق وَقْف السُّلْطان قلاوون على البيمارستان المنصوري» في نهاية الجزء الأوَّل من كتاب «تَذْكِرة النَّبيه» لابن حبيب، القاهرة ـ دار الكتب المصرية ١٩٧٦، ٢٩٥-٣٩٦.

ثمانين وستّ مائةٍ [1]. ولمّا قُرِئَ عليه كِتابُ الوَقْفِ، قال للشُّجاعي: ما رأيتُ خَطَّ الأَسْعَد كاتبي مع خُطُوطِ القُضَاة، أَبْصِر إيش فيه زَغْل حتى ما كَتَب عليه. فما زال يقرِّب لذهنه أنَّ هذا مِمّا لا يَكْتُب عليه إلَّا قُضَاةُ الإسْلام حتى فَهِمَ ذلك.

فبَلَغَ مَصْروفُ الشَّراب منه في كلِّ يومٍ خمس مائة رَطْل سوى السُّكَّر. ورَتَّبَ فيه عِدَّةً ما بين أمينٍ ومُباشِر، وجَعَلَ مُباشرين للإدارة ـ وهم الذين يَضْبطون ما يُشْتَرى من الأصْناف، وما يُحْضَر منها إلى المارِسْتان ـ ومُباشرين لاسْتِخْراج مالِ الوَقْف، ومُباشِرين في المَطْبَخ، ومُباشرين في عِمارَة الأوْقاف التي تتعلَّق به.

وقَرَّرَ في القُبَّة خمسين مُقْرِئًا يتناوَبون قِراءَةَ القُرْآن لَيْلًا ونَهارًا، ورَتَّب بها إمامًا راتِبًا، وجَعَلَ بها رَئيسًا للمُؤَذِّنين عندما يؤذِّنون فوق مَنارَة ليس في إقْليم مصر أَجَلّ منها. ورَتَّب بهذه القُبَّة دَرْسًا لتَفْسير القُرْآن فيه مُدَرِّسٌ ومُعيدان وثلاثون طالِبًا، ودَرْسَ حَديثٍ نَبَويّ، وجَعَل بها خِزانَة كُتُب[1] وستة خُدَّامٍ طَواشِيَّة لا يزالون بها. ورَتَّب بالمَدْرَسَةِ إمامًا راتِبًا، ومُتَصَدِّرًا لإقْراءِ القُرْآن، ودُرُوسًا أربعة للفِقْه على المذاهِب الأربعة. ورَتَّبَ بمَكْتَبِ السَّبيل معلِّمَين يُقْرِئان الأَيْتام، ورَتَّبَ للأَيْتام رَطْلين من الخُبْز في كلِّ يومٍ لكلِّ يتيمٍ مع كُسْوَةِ الشِّتاءِ والصَّيْف.

فلمّا وَلِيَ الأميرُ جَمالُ الدِّين آقُوش نائِبُ الكَرَك نَظَرَ المارِسْتان [a]في سنة سِتٍّ وعشرين وسبع مائة[a]، أنْشَأَ به قاعَةً للمَرْضَى، ونَحتَ الحِجارَةَ المبني بها الجُدُر كلَّها حتى صارت كأنَّها جَديدَة، وجَدَّدَ تَذْهيب الطِّراز بظاهِرِ المَدْرَسَة والقُبَّة، وعَمِلَ خَيْمَةً [b]ذَرْعُها مائة ذراع، نَشَرَها من أوَّل جدار القُبَّة بجوار المَدْرَسَة النّاصرية إلى آخر حَدِّ المَدْرَسَة المَنْصُورية بحذاء الصّاغَة، لأَجْلِ مَقاعِدِ الأَقْفاص حتى تُظلهم من حَرّ الشَّمْس، وصَنَعَ لها حِبالًا تُمَدُّ بها وَقْت الحَرّ وتُجْمَع إذا زالت عنهم الشَّمْس، وجَعَلَها مرتفعةً في الجَوّ[b] ونَقَلَ أيضًا حَوْضَ ماءٍ كان برَسْم شُرْبِ البَهائِم من جانب بابِ المارِسْتان وأَبْطَلَه لتأذِّي النّاس بنَتَنِ رائِحَة ما يجتمع قُدّامه من الأوْساخ، وأنشأ سَبيلَ ماءٍ [a]بباب المارِسْتان[a] يَشْرَبُ منه النّاسُ عِوَض الحَوْضِ المذكور [2]. [a]وصَرَفَ كُلْفَةَ ذلك كلّه من مالِه، ولم يَصْرِف عليه شيئًا من مالِ الوَقْفِ[a].

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b-b) هذه العبارة من المُسَوَّدَة عِوَضًا عن ما وَرَد في النُّسَخ وهو: «تظل الأقْفاص طولها مائة ذراع، قام بذلك من ماله دون مال الوَقْف».

---

[1] انظر فيما تقدم ٥١٣.

[2] هو السَّبيلُ المعروف بـ«سَبيل النّاصِر محمد ابن قلاوون» أَقْدَم أَسْبِلَة القاهرة، وهو مسجَّل بالآثار برقم ٥٦١ (انظر الصورة).

وقد تَوَرَّعَ طائِفةٌ من أهْلِ الدِّيانة عن الصَّلاة في المَدْرَسَة المَنْصورية والقُبَّة، وعابُوا المارِسْتان لكَثْرَة عَسْف النَّاسِ في عَمَله. وذلك أنَّه لمَّا وَقَعَ اخْتيارُ السُّلْطان على عَمَلِ الدَّار القُطْبِيَّة مارِسْتانًا، نَدَبَ الطَّواشي حُسَام الدِّين بِلالًا المُغيثي للكلام في شِرائها. فسَاسَ الأمْرَ في ذلك حتى أنْعَمَت مُؤْنِسَةُ خاتُون بِبَيْعها، على أن تُعَوَّض عنها بدارٍ تلمّها وعِيالِها، فعُوِضَّت قَصْرَ الزُّمُرُّد بِرَحْبةِ باب العيد مع مَبْلغِ مالٍ حُمِلَ إليها، ووَقَعَ البَيْعُ على هذا.

فنَدَبَ السُّلْطانُ الأمير سِنْجِر الشُّجاعي للعِمارَة، فأَخْرَجَ النِّساءَ من القُطْبِيَّة من غير مُهْلَة، وأَخَذَ ثلاث مائة أسير، وجَمَعَ صُنَّاعَ القاهِرَة ومصر، وتَقَدَّم إليهم بأن يعملوا بأجمعهم في الدَّار القُطْبِيَّة، ومَنَعُهم أن يعملوا لأحَدٍ في المدينتين شُغْلًا، وشَدَّدَ عليهم في ذلك - وكان مُهابًا - فلازَمُوا العَمَلَ عنده، ونَقَلَ من قَلْعَةِ الرَّوْضَة ما احْتاجَ إليه من العُمُدِ الصَّوَّان والعُمُدِ الرُّخام والقَواعِد والأعْتَاب والرُّخام البَديع وغير ذلك[1]. وصارَ يركب إليها كلَّ يومٍ، ويَنْقِل الأنْقاضَ المذكورة على العَجَل إلى المارِسْتان، ويعود إلى المارِسْتان، فيقف مع الصُّنَّاع على الأسَاقيل حتى لا يتوانَوْا في عَمَلهم. وأَوْقَفَ مَماليكَه بَيْنَ القَصْرَيْن، فكان إذا مَرَّ أحَدٌ - ولو جَلَّ - أَلْزموه أن يَرْفَعَ حَجَرًا ويُلْقيه في مَوْضِع العِمارَة، فينزل الجُنْدي والرَّئيس عن فَرَسه حتى يفعل ذلك.

فتَرَكَ أكثرُ النَّاسِ المرورَ من هناك، ورَتَّبوا - بعد الفَرَاغ من العِمارَة وتَرْتيب الوَقْف - فُتْيا صُورَتَها: «ما يقول أئِمَّةُ الدِّين في مَوْضِعٍ أُخْرِجَ أهْلُه منه كُرْهًا، وعُمِّر بمُسْتَحثِّين يَعْسِفون الصُّنَّاع، وأَخْرَب ما عَمَّره الغَيْر ونَقَلَ إليه ما كان فيه فعُمِّر به؛ هل تَجُوزُ الصَّلاةُ فيه أم لا؟». فكَتَبَ جَماعَةٌ من الفُقَهاء: «لا تَجُوزُ فيه الصَّلاة».

فما زال المَجْدُ عيسَىٰ بن الخَشَّاب حتى أَوْقَف الشُّجاعي على ذلك، فشَقَّ عليه؛ وجَمَعَ القُضَاة ومَشايخَ العِلْم بالمَدْرَسَة المَنْصُورية، وأَعْلَمَهُم بالفُتْيا. فلم يُجِبه أحَدٌ منهم بشيءٍ سوى الشَّيْخ محمد المَرْجاني، فإنَّه قال: أنا أَفْتَيْتُ بمَنْعِ الصَّلاة فيها، وأقول الآن إنه يُكْرَه الدُّخولُ من بابِها، ونَهَضَ قائمًا، فانفضَّ النَّاسُ.

واتَّفَقَ أيضًا أنَّ الشُّجاعي ما زال بالشَّيْخ محمد المَرْجاني يُلِحُّ في سُؤالِه أن يَعْمَل مِيعادَ وَعْظٍ بالمَدْرَسَةِ المَنْصُورية، حتى أجابَ بعد تمَنُّعٍ شَديد. فحَضَرَ الشُّجاعي والقُضَاةُ، وأخذ المَرْجاني في ذِكْر وُلاةِ الأُمورِ من الملوكِ والأُمَرَاءِ والقُضَاةِ، وذَمَّ من يأخذ الأراضي غَصْبًا ويستحثُّ العُمَّال في

[1] فيما تقدم ٣: ٥٨٦.

عَمائِره ، ويُنْقِصُ من أُجورهم ، وخَتَمَ بقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الآية ٢٧ سورة الفرقان] ، وقام فسأله الشُّجاعيُّ الدُّعاءَ له ، فقال : يا عَلَمَ الدِّين / قد دَعَا لك ودَعَا عليك من هو خَيْرٌ مِنِّي ، وذَكَرَ قَوْلَ ٢:٨ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم : «اللَّهم مَنْ وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فرَفَقَ بهم فارْفُق به ، ومن شَقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه» . وانْصَرَف .

فصارَ الشُّجاعيُّ من ذلك في قَلَقٍ ، وطَلَبَ الشَّيْخ تقيّ الدِّين محمد بن دَقيقِ العيد ـ وكان له فيه اعْتِقادٌ حَسَن ـ وفاوَضَه في حَديثِ النَّاسِ في مَنْعِ الصَّلاة في المَدْرَسَة ، وذَكَرَ له أنَّ السُّلْطانَ إنَّما أرادَ مُحاكاة نُورِ الدِّين الشَّهيد والاقْتِداءَ به ، لرغبته في عَمَلِ الخَيْر ، فوَقَع النَّاسُ في القَدْحِ فيه ، ولم يَقْدَحوا في نُورِ الدِّين . فقال له : إنَّ نُورَ الدِّين أَسَرَ بعض مُلُوكِ الفِرَنْجِ وقَصَدَ قَتْلَه ، ففَدَى نفسه بتَسْليم خمسة قِلاع ، وخمس مائة ألف دينار حتى أَطْلَقه ، فماتَ في طريقه قبل وُصوله مملكته ، وعَمَّرَ نُورُ الدِّين بذلك المال مارِسْتانه بدِمَشْق من غير مُسْتَحث . فمن أين يا عَلَم الدِّين تجد مالًا مثل هذا المال ، وسُلْطانًا مثل نُور الدِّين ؟ غير أنَّ السُّلْطانَ له نِيَّتُه ، وأرجو له الخَيْر بعِمارَة هذا المَوضِع . وأنت إن كان وُقوفُك في عمله بنِيَّة نَفْع النَّاس فلك الأَجْر ، وإن كان لأَجْل أن يعلم أستاذُك عُلوّ هِمَّتك فما حَصَلْت على شيءٍ . فقال الشُّجاعيُّ : الله المُطَّلِع على النِّيَّات . وقَرَّر ابن دَقيق العيد في تَدْريس القُبَّة .

قال مُؤَلِّفُه: إن كان التَّحَرُّج من الصَّلاةِ لأَجْلِ أَخْذِ الدَّارِ القُطْبِيَّة من أَهْلِها بغير رضاهم ، وإخْراجِهم منها بعَسْفٍ ، واسْتِعْمالِ أَنْقاضِ القَلْعَةِ بالرَّوْضَة ؛ فلَعَمْري ما تَمَلُّك بني أيُّوب الدَّار القُطْبِيَّة وبناؤهم قَلْعَةَ الرَّوْضَة وإخراجُهم أَهْلَ القُصُورِ من قُصُورِهم التي كانت بالقاهِرَة ، وإخْراجُ سُكَّانِ الرَّوْضَة من مَساكِنهم ، إلَّا كأَخْذِ قَلاوون الدَّارَ المذكورة وبنائِها بما هَدَمَه من القَلْعَة المذكورة ، وإخْراج مُؤْنِسَة وعِيالِها من الدَّارِ القُطْبِيَّة . وأنت إن أَمْعَنْت النَّظَرَ وعَرَفْت ما جَرَى ، تَبَيَّنَ لك أنَّ ما القَوْمُ إلَّا سارِقٌ من سارِقٍ ، وغاصِبٌ من غاصِبٍ . وإن كان التَّحَرُّج من الصَّلاةِ لأَجْلِ عَسْفِ العُمَّالِ وتَسْخير الرِّجال فشيءٌ آخَر . بالله عَرِّفني ـ فإنِّي غير عارِف ـ مَنْ منهم لم يَسْلُك في أعْماله هذا السَّبيل؟ غير أنَّ بعضَهم أَظْلَمُ من بَعْض [1] .

وقد مَدَحَ غيرُ واحِدٍ من الشُّعَراءِ هذه العِمارَة ، منهم شَرَفُ الدِّين البُوصِيري فقال :

---

[1] انظر كذلك نَقْد المَقْريزي لنظام المماليك ، فيما تقدم ٣ : ٦٩٣، وأبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤:١٥٤:٤–٥.

[الطويل]

وَمَــدْرَسَــةٍ وَدَّ الخَوَرْنَــقُ أنَّــه … لديها حَقيرٌ والسَّديدُ غَديرُ
مَدينَةُ عِلْمٍ والمدارِسُ حَوْلَها … قُرى أو نُجُوم بَدْرُهنّ مُنيرُ
تَبَدَّت فأَخْفى الظَّاهِرِيَّةَ نُورُها … وليس بظُهْرٍ للنُّجومِ ظُهُورُ
بِناءٌ كأنَّ النَّحْلَ هَنْدَسَ شَكْلَه … ولانَت له كالشَّمْعِ فيه صُخُورُ
بَناها سَعيدٌ في بِقاعٍ سَعيدَةٍ … بها سَعِدَتْ قَبْلَ المدارِسِ نُورُ
ومن حَيْثُ ما وَجَّهْتَ وَجْهَكَ نَحْوَها … تَلَقَّتْكَ منها نُضْرَةٌ وسُرُورُ
إذا قامَ يَدْعُو اللهَ فيها مُؤَذِّنٌ … فما هو إلّا للنُّجومِ سَميرُ

[a]وفي سنة سبعٍ وأربعين وسبع مائةٍ بَنَى الأميرُ أرْغُون العَلائي ، لمَّا وَلِيَ نَظَرَ المارِسْتان كُتَّابَ الأيْتام والحانُوت المُعَدّ لسَبيلِ الماءِ تحته على يَسْرَة الدَّاخِل من بابِ المارِسْتان ، وجَعَلَ لذلك وَقْفًا اسْتَجَدَّه .

وما زال أَمْرُ هذا المارِسْتان في زيادَةٍ من القُوَّةِ ووفُورٍ من الحُرْمَة ، بحيث أنَّه إذا تأمَّرَ أَحَدٌ من الأُمَرَاءِ ـ جَليلًا كان فيهم أو حَقيرًا ـ لابدَّ أن يَنْزِلَ من القَلْعَةِ عندما يُخْلَع عليه ليَتَحْلِفَ عند قَبْرِ الملك المَنْصُور بالقُبَّةِ من المارِسْتان ، ويكون ليوم التَّحْليف اجْتماعٌ واهْتمامٌ في المآكِلِ والمشارِب بقَدْرِ مَحَلِّ ذلك الأمير وكِبَرِ مَنْزِلته وعِظَمِ رُتْبته . ولم يَزَلْ ذلك رَسْمًا جاريًا وحُكْمًا ماضِيًا إلى أن زالت دَوْلَةُ بني قَلاوون .

وكان من رُسُوم هذا المارِسْتان رعاية سُكَّانه وخُدَّامِه فلا يُمَكَّن والٍ ولا مُحْتَسِب أن يَحْكُم في أحَدٍ منهم ولا من التَّعَرُّضِ إليهم ، وإنَّما يَرْجِعُ أمْرُهم إلى النَّاظِر ولا بُدَّ أن يكون أكبر أُمَراءِ الدَّوْلَة ، ويليه ناظِرٌ آخر من أرْباب العَمائِم يُعَدُّ من أكابِرِ رُؤساءِ الدَّوْلَة ـ ويُقالُ لها «الوَزارَة الصُّغْرى» ـ إلّا أنَّه منذ وَلِيَ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ المملكة بَطَلَت أكثرُ رُسُومِه واتَّضَعَت عامَّةُ أحْوالِه لاسيما منذ كانت الحوادِثُ والمِحَنُ سنة سِتٍّ وثمان مائةٍ ، وتواتَرت فِتَنُ البلاد الشَّامية وتَغَلَّب عليها المارِقُون ، بَطَلَ ما كان يَصِلُ إليه من مُغلّات بلاد الشَّام وكانت جملةً كبيرةً ، وكثُرَ خَرابُ أوْقافِه التي بالقاهِرَة وارْتَفَعَت أسْعارُ المبيعات فنَقَصَ ما كان به وبَطَل الخُبْزُ الذي كان يُفَرَّق فيه كلَّ يومٍ على طوائفَ من أرْبابِ السَّتْر ، وبَطَل ما كان يُصْرَف منه في كلِّ يومٍ من السُّكَّر وأنْواعِ الأشْرِبَة وأصْنافِ العَقاقيرِ والأكْحال والأدْوِيَة والدَّجاج واللُّحُوم للطَّوارِئ من النَّاس ، وكانت جملةً كبيرةً[a]،

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة .

[a]واقْتُصِدَ في مَصْروفِه وصارَ فيما لا بُدَّ منه للمَرْضَى وأَرْبابِ الجَوامِك ، ومُنِعَ منه ما كان يُصْرَف للطُّوارِئ إلَّا لذي جاه[a] [١].

المَارِسْتَانُ المُؤَيَّدِي

[أثر رقم ٢٥٧]

هذا المارِسْتانُ فَوْقَ الصُّوَّة ، تِجاه طَبْلَخاناه قَلْعَةِ الجَبَل ـ حيث كانت مَدْرَسَةُ الأشْرَف شَعْبان ابن حُسَيْن التي هَدَمَها النَّاصِرُ فَرَج بن بَرْقُوق[٢] ـ وبابُه هو حيث كان بابُ المَدْرَسَة ، إلَّا أنَّه ضَيِّقٌ عمَّا كان . أنشأه المُؤَيَّدُ شَيْخ في مُدَّةٍ أوَّلُها جُمادَى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمان مائةٍ ، وآخرها رجَبَ سنة ثلاثٍ وعشرين ، ونَزَلَ فيه المَرْضَى في نصف شَعْبان ، وعُمِلَت مَصارِفُه من جملة أوْقافِ الجَامِع المُؤَيَّدي المجاوِر لبابِ زَوِيلَة .

فلمَّا ماتَ الملكُ المُؤَيَّدُ في ثامن المحرَّم سنة أربعٍ وعشرين تعَطَّل قَليلًا ، ثم سَكَنَه طائِفَةٌ من العَجَم المُسْتَجْدين في رَبيع الأوَّل منها ، وصارَ مَنْزِلًا للرُّسُل الواردين من البلاد إلى السُّلْطان . ثم عُمِلَ فيه مِنْبَرٌ ، ورُتِّب له خَطيبٌ وإمامٌ ومؤذِّنون وبَوَّابٌ وقَوَمَة ، وأُقيمَت به الجُمُعَة في شهر رَبيع الآخر سنة خمسٍ وعشرين وثمان مائةٍ [٣]. فاسْتَمَرَّ جَامِعًا تُصْرَفُ معاليمُ أرْبابِ وَظائِفِه المذكورين من وَقْفِ الجَامِع المُؤَيَّدي .

---

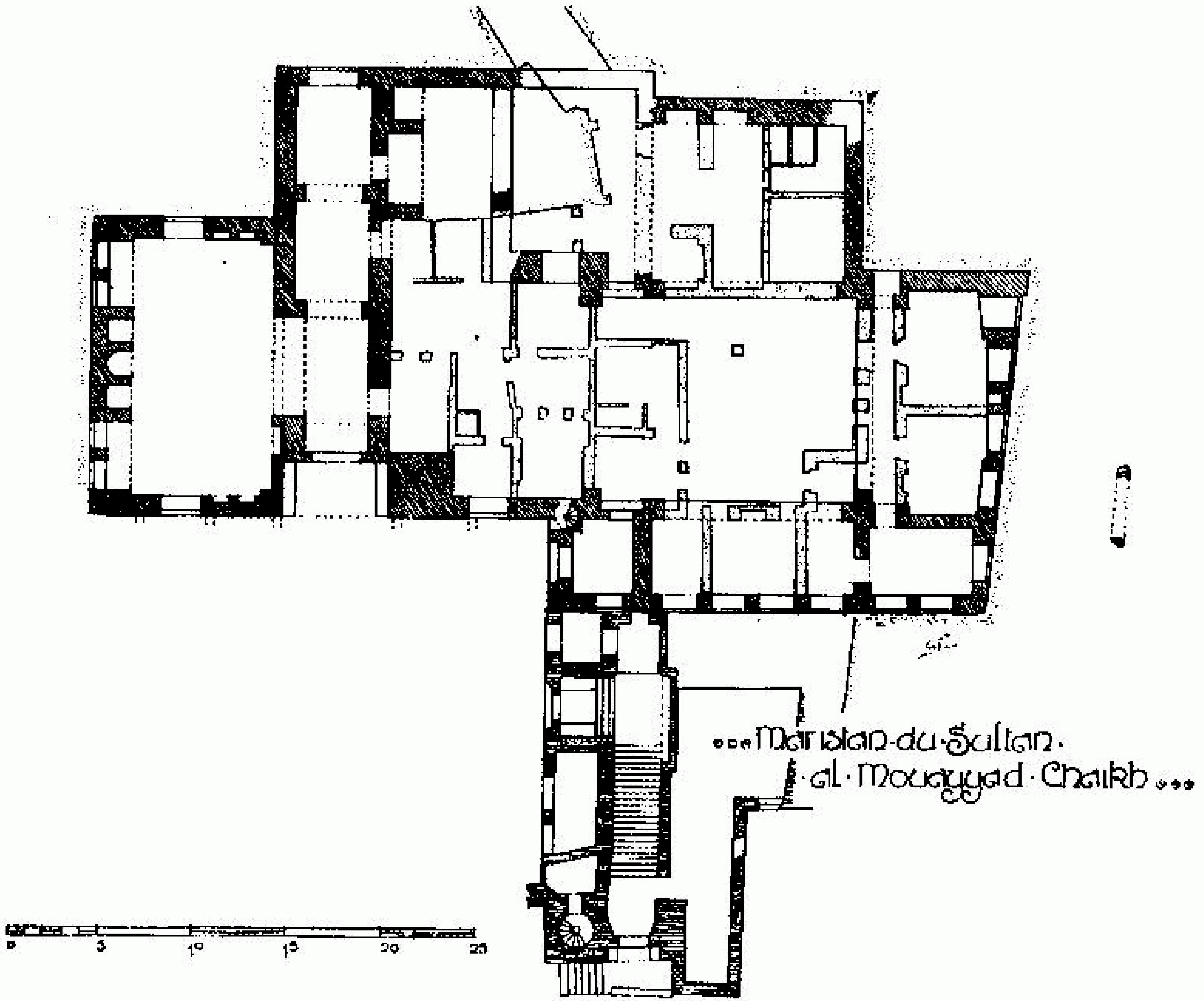
a-a) إضافة من المُسَوَّدة .

---

[١] المقريزي : مُسَوَّدَة الخطط ١٠٥ظ-١٠٦و .

[٢] انظر فيما تقدم ٢:٢٦٦هـ[٢]، ٣:٦٨٨- ٦٩١، وهذا المجلد ٦٦٦.

[٣] المقريزي : السلوك ٤: ٤٥٢، ٦١٠؛ العيني : عقد الجمان (نشرة القرموط) ١٠٨؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢: ١٨٦؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٢: ٣٨، ٦٢، ٨٣؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥:٢٨٦ (١٢٦) حيث نَشَر قِسمًا من وقفية المؤَيَّد وفيها تحديد حُدُوده بأنَّ «حَدُّه القِبْلي ينتهي إلى الصُّوَّه تجاه القَلْعَة ، والبَحْري إلى بيْتِ الجناب الشَّيْفي شُنْقُر المعروف قديمًا بأزْغُون ، والحَدّ الشَّرْقي إلى ساقية الأَشْرَف وفيه الباب الكَبير ومكتب السَّبيل المُعَدّ للأيْتام وأحد عشر حانُوتًا والسَّبيل ، والحَدّ الغَرْبي إلى سُوق الخَيْل» ؛ أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ١٧٢- ١٧٧؛ عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار «العصر المملوكي» ، ٢٥٩؛ محمد محمد أمين: الأوقاف ١٧٣؛ Hampikian, N., *The Bimaristan of al-Mu'ayyad Shaykh and the Area Arround*», Ph. D. Thesis AUC 1991؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣:٣٨٥- ٤١٠.



مُخطَّط المارِسْتان المُؤَيّدي (عن لجنة حِفظ الآثار)

أضافَ المقريزي في السلوك: «فلمّا مات ـ أي المُؤَيَّد شَيْخ ـ لم يوجد في كِتابِ الوَقْفِ المُؤَيّدي له جِهَةُ تَصرُّف، فأُخرِجَت المَرْضَى منه وأُغْلِق، وصارَ منزلًا للرُّسُل الواردين من جهة الشَّرق، فبقي حانَة خَمّار برَسْم شُرْبِ المُسْكِرات وضَرْبِ الطَّنابير وعَمَلِ الفَواحِش، ومع ذلك تُرْبَط به الخُيول. فكان هذا منذ مات المُؤَيَّد إلى هذا الوَقْت، فطَهَّرَه الله من تلك الأرْجاس وجَعَلَه مَحَلَّ عِبادَة». (السلوك ٤: ٦١٠).

ذكر المساجد

قال ابنُ سِيدَه: المَسْجِدُ: المَوْضِعُ الذي يُسْجَدُ فيه. وقَوْلُ [a] الزَّجّاج: كلُّ مَوْضعٍ يُتَعبَّد فيه فهو مَسْجِد، ألا تَرَى أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «جُعِلَت ليَ الأَرضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا»، وقَوْلُه ـ عَزَّ وجَلّ ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [الآية ١١٤ من سورة البقرة]. المعنى على هذا المَذْهَب أنَّه: مَنْ أَظْلَمُ مِمَّن خالَفَ قِبْلَة الإسْلام.

وقد كان حُكْمَه أنْ لا يجيء على «مَفْعِل»؛ لأنَّ حَقَّ اسْم المكان والمَصْدَر من فَعَل يَفْعَل أن يجيء على «مَفْعَل»، ولكنه أَحَدُ الحُروفِ التي شَذَّت فجاءَت / على «مَفْعِل».

قال سِيبَوَيْه: وأمَّا المَسْجِدُ فإنَّهم جَعَلُوه اسْمًا للبَيْت، ولم يأت على «فَعَلَ يَفْعُل». كما قال في المُدُقّ: إنَّه اسم للجُلْمُود [b]، يعني أنَّه ليس على الفِعْل، ولو كان على الفِعْل لقيل مِدَقّ لأنَّه آلَة، والآلاتُ تجيء على «مِفْعَل» كمِخْرَز [c] ومِكْنَس ومِكْسَح.

والمِسْجَدَة الخُمْرَة المَسْجُود عليها، وقَوْلُه تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الآية ١٨ سورة الجن] قيل هو مَواضِع السُّجود من الإنْسان: الجَبْهَة، واليَدان، والرُّكْبَتان، والرِّجْلان [1].

---

a) بولاق: وقال. b) بولاق: الجلود. c) بولاق: كمخزن.

---

[1] ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ٧: ١٨٧.

وقال الشَّرِيفُ: محمَّد بن أَسْعَد الجَوَّاني في كِتابِ «النُّقَط على الخِطَط» عن القاضي أبي عبد الله القُضَاعيّ: إنَّه كان في مصر الفُسْطاط من المَساجِد ستة وثلاثون ألف مَسْجِد [1].

وقال المُسَبِّحيُّ في حَوادِث سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ: وأَحْصَى أميرُ المؤمنين الحاكِمُ بأَمْرِ الله المساجِدَ التي لا غَلَّة لها، فكانت ثمان مائة مَسْجِدٍ. فأَطْلَق لها في كلِّ شهرٍ من بَيْتِ المال تسعة آلاف ومائتين وعشرين دِرْهَمًا. وفي سنة خمسٍ وأربع مائةٍ حَبَسَ الحاكِمُ بأَمْرِ الله سَبْعَ ضِياعٍ، منها إطْفيح وطُوخ، على القُرَّاءِ والمؤذِّنين بالجَوامِع، وعلى مَلْءِ المصابيح والمارِسْتان، وفي ثَمَن الأَكْفان [2].

وذكر ابنُ المُتَوَّج أنَّ عِدَّةَ المساجِد بمصر في زَمَنِه أربع مائةٍ وثمانون مَسْجِدًا، ذَكَرَها.

المَسْجِدُ بِجِوارِ دَيْرِ البَغْل

قد تَقَدَّمَ [3] في أَخْبار الكَنائِس والدِّيارات من هذا الكِتاب خَبَرُ البَغْل، وأنَّه يُعْرَف بدَيْر القُصَيْر [a] [4].

ولمَّا كان في سنة خمسٍ وسبعين وستِّ مائةٍ، خَرَجَ جماعَةٌ من المسلمين إلى دَيْر البَغْل، فرأوا آثارَ مَحاريب بجوار الدَّيْر، فعَرَّفُوا الصَّاحِبَ بَهاء الدِّين بن حِنَّا ذلك، فسَيَّرَ المهندسين لكَشْفِ ما ذكر، فعادُوا إليه وأخبروه أنَّه آثارُ مَسْجِد. فشاوَرَ الملكَ الظَّاهِر بَيْبَرْس، و عَمَّرَه مَسْجِدًا بجانِب الدَّيْر. وهو عامِرٌ إلى الآن وبِتٌّ به، وهو من أَحْسَنِ مُشْتَرَفات مصر، وله وَقْفٌ جَيِّد ومُرَتَّبٌ، يقوم به نَصارَىٰ الدَّيْر.

---

a) بولاق: دير الفطير.

---

[1] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٤٣- ٤٤؛ وفيما تقدم ٢: ١٢٣.

[2] المسبحي: نصوص ضائعة ٣١، وفيما تقدم ١٧٥.

[3] ستأتي أخبارُ الكنائس والدِّيارات فيما يلي، ولم تتقدَّم، راجع حَوْل ترتيب الكتاب المقدمة.

[4] فيما تقدم ١: ١٩٢: ١٥، وفيما يلي ١٠٢٦.

مسجد ابن الجبّاس

هذا المَسْجِدُ خارِج باب زَوِيلَة بالقُرْب من مُصَلَّى الأَمْوات دون بابِ اليانِسِيَّة [1]، عُرِفَ بالشَّيْخ أبي عبد الله محمد بن عليّ بن أحمد بن محمد بن جَوْشَن، المعروف بابن الجَبَّاس ـ بجيم وباء موحَّدة بعدها ألف وسين مهملة ـ القُرَشي العُقَيْلي، الفَقيه الشَّافِعيّ المُقْرئ [2]. كان فاضِلًا صَالِحًا زاهِدًا عابِدًا مُقْرِئًا، كَتَبَ بخطِّه كثيرًا [a]، وسَمِعَ الحَديثَ النَّبويّ. ومَوْلِدُه يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وستّ مائةٍ بالقاهِرَة، ووَفاتُه [b] [3].

مسجد ابن البنّاء

هذا المَسْجِدُ داخِل بابِ زَوِيلَة، وتُسَمِّيه العَوامُّ سَام بن نُوح النبيّ عليه السلَّام، وهو من مُخْتَلقاتِهم التي لا أَصْلَ لها، وإنَّما يُعْرَف بـ «مَسْجِد ابن البَنَّاء» [4].

وسامُ بن نُوح لعَلَّه لم يَدْخُل أرْضَ مصر ألبتَّة، فإنَّ الله ـ سُبْحانَه ـ لمَّا نَجَّى نبيَّه نُوحًا من الطُّوفان، خَرَجَ معه من السَّفِينَةِ أوْلادُه الثلاثة، وهم: سَام وحَام ويافِث. ومن هذه الثلاثة ذَرَأ الله سائِرَ بني آدَم، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُم البَاقِين﴾ [الآية ٧٧ سورة الصافات].

فقَسَمَ نوحُ الأَرْضَ بين أوْلادِه الثلاثة: فصارَ لسَام بن نُوح العِراق وفارِس إلى الهِنْد، ثم إلى حَضْرَمَوْت وعُمَان والبَحْرَيْن وعالِج ويَبْرين ووَبار والدو والدَّهنا، وسَائِر أرْض اليَمَن والحِجَاز. ومن نَسْلِه الفُرْس والسُّرْيانيون والعِبْرانيون والعَرَب والنَّبَط والعَماليق.

---

a) بولاق: كتبا. b) بياض في آياصوفيا وميونخ.

---

[1] يُرَجِّحُ أنَّ هذا المَسْجِد هو المكانُ المعروف الآن بزاوية عبّاس الواقعة في شارع السُّرُوجية بالقرب من جَامِع جَانِم الذي أنشأه في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م الجَنابُ السَّيْفي جانِم، أحَدُ الأمَرَاء العَشْراوات وقريب المقر السَّيْفي يَشْبَك من مَهْدي، مكان مُصَلَّى الأَمْوات، وهو أيضًا يقابل باب جَامِع قَوْصُون. (السخاوي: تحفة الأحباب ١٠٧-١٠٨؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥:١٢٩ (٤٦)).

[2] راجع ترجمة ابن الجَبَّاس عند المقريزي: المقفى الكبير ٦: ٢٥٢.

[3] لم يذكر المقريزي كذلك تاريخ وفاته في المقفى الكبير.

[4] هو الذي يُعْرَف الآن باسم «زاوية العَقَّادين» بجوار سَبيل العَقَّادين بشارع المناخلية (جزء من شارع المعز لدين الله) بالقرب من جَامِع المُؤَيَّد شَيْخ داخل باب زَوِيلَة.

وصَارَ لِحَامَ بن نُوح الجَـنُوب مِمَّا يلي أرْض مصر مَغْرِبًا إلى المَغْرِب الأقْصَى ، ومن نَسْلِه الحَبَشَة والزَّنْج ، والقِبْط سكّان مصر وأهْل النُّوبَة ، والأفارِقة وأهْل إفريقية ، وأجْناس البَرْبَر .

وصارَ ليافِث بن نُوحٍ بَحْر الخَزَر مَشْرِقًا إلى الصِّين ، ومن نَسْلِه الصَّقالِبَة والفِرِنْج والرُّوم والغُوط ، وأهْل الصِّين واليونانيون والتُّرْك .

[a]وقد بَلَغَني أنَّ هذا المَسْجِد كان كَنِيسَةً لليَهود القَرّائيين ، تُعْرَف بسَام بن نُوح ، وأنَّ الحاكِمَ بأمْرِ الله أخَذَ هذه الكَنِيسَة لمَّا هَدَمَ الكنائِس وجَعَلَها مَسْجِدًا . وتَزْعُم اليَهُودُ القَرّائيون الآن بمصر أنَّ سامَ بن نُوح مَدْفونٌ هنا ، وهم إلى الآن يُحَلِّفون من أسْلَمَ منهم بهذا المَسْجِد ، أخْبَرَني به قاضي اليَهود إبراهيم بن فَرَج الله بن عبد الكافي الدَّاودي العاناني [a]. وليس هذا بأوَّلِ شيءٍ اختَلقَتْه العامَّة .

وابنُ البَنّـاء هذا ـ هو محمد بن عُمَر بن أحمد بن جَامِع بن البَنّاء ، أبو عبدِ الله الشَّافِعِيّ المُقْري [١] ؛ سَمِعَ من القاضي مُجَلّى وأبي عبد الله الكيزاني [٢] وغيره ، وحَدَّثَ وأقْرأ القُرْآن ، وانْتَفَعَ به جَماعَةٌ وهو مُنْقَطِعٌ بهذا المَسْجِد .

وكان يُعْرَف خُطُّه بخُطِّ بَيْن البابَيْن ، ثم عُرِفَ بخُطِّ الأقْفالِيين ، ثم هو الآن يُعْرَف بخُطِّ الضُّبَيْبين وبابِ / القَوْس . ٤١٠:٢

وماتَ ابنُ البَنّاء هذا في العَشْر الأوْسَط من شهر رَبيعٍ الآخَر سنة إحدى وتسعين وخمس مائةٍ .

واتَّفَقَ لي عند هذا المَسْجِد أمْرٌ عَجيبٌ ، وهو أنّي مَرَرْتُ من هناك يَوْمًا أعْوامَ بِضعٍ وثمانين وسبع مائةٍ ـ والقاهِرَة يَوْمَئِذٍ لا يَمُرُّ الإنْسانُ بشَارِعها حتى يَلْقَى عَناءً من شِدَّةِ ازْدِحام النَّاس ، لكثرة مُرُورهم رُكْبانًا ومُشاةً ـ فعندما حاذَيْت أوَّلَ هذا المَسْجِد إذا برَجُلٍ يَمْشي أمامي وهو يقول لرَفيقِه : والله يا أخي ما مَرَرْتُ بهذا المكانِ قَطّ إلّا وانْقَطَعَ نَعْلي ؛ فوالله ما فَرَغَ من كلامِه حتى وَطِئ شَخْصٌ ، من كثرة الزِّحام ، على مُؤَخَّر نَعْلِه ـ وقد مَدَّ رجله ليَخْطو ـ فانْقَطَعَ تِجاه بابِ المَسْجِدِ . فكان هذا من عجائِب الأُمُور وغَرائِب الاتِّفاق .

---

a-a) وردت هذه العبارة في هامش نسخة ميونخ مسبوقة بقوله : «وُجِدَ بخَطِّه على هامش الأصل» ، وبعد انتهاء العبارة : «انتهى ما ذكره» ؛ ووَرَدَت كذلك في هامش نسخة آياصوفيا .

---

[١] راجع ترجمة ابن البَنّاء كذلك عند ، المنذري : التكملة لوفيات النقلة ١ : ٢٢١ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٦ : ٤٠٤ .

[٢] في المقفى : مُجَلّى بن جميع ، وأبي البَقاء عمر ابن محمد المقدسي ، وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الكيزاني .

مَسْجِدُ الحَلَبِيِّين

هذا المَسْجِدُ فيما بين بابِ الزُّهُومَة ودَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَة ، على يَسْرَة من سَلَكَ من حَمَّام خُشَيْبَة طالِبًا البُنْدُقانيين . بُنِيَ على المكانِ الذي قَتَلَ فيه الخَليفَةَ الظَّافِر نَصْرُ بن عَبَّاس الوَزير ، ودَفَنَه تَحْتَ الأرْض . فلمَّا قَدِمَ طَلائِعُ بن رُزِّيك من الأُشْمُونَيْن إلى القَاهِرَة ، باسْتِدْعاءِ أَهْلِ القَصْر له ليأْخُذَ بثأرِ الخَليفَة ، وغَلَبَ على الوَزارَة ، اسْتَخْرَجَ الظَّافِرَ من هذا المَوْضِع ونَقَلَه إلى تُرْبَةِ القَصْر ، وبَنَى مَوْضِعَه هذا المَسْجِد وسَمَّاه «المَشْهَد» ، وعَمِلَ له بابَيْن : أَحَدُهما هذا الباب الموجود [a]بدَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَة[a]، والبابُ الثَّاني كان يُتَوَصَّل منه إلى دارِ المَأْمُون البَطائِحي - التي هي اليوم مَدْرَسَة تُعْرَف بالسُّيُوفِيَّة[1] - وقد سُدَّ هذا الباب .

وما بَرِحَ هذا المَسْجِدُ يُعْرَف بالمَشْهَد إلى أن انْقَطَعَ فيه محمدُ بنُ أبي الفَضْل بن سُلْطان ابن عَمَّار بن تَمَّام ، أبو عبد الله الحَلَبي الجَعْبَري المعروف بالخَطيب[2]. وكان صَالِحًا كثيرَ العِبادَة ، زاهِدًا مُنْقَطِعًا عن النَّاس وَرِعًا ، وسَمِعَ الحَديثَ وحَدَّث . وكان مَوْلِدُه في شهر رَجَب سنة أربع وعشرين وستّ مائةٍ بقَلْعَةِ جَعْبَر ، ووَفاتُه بهذا المَسْجِد - وقد طالَت إقامَتُه فيه - يوم الاثنين سادسَ عشرَ جُمادَى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مائةٍ ، ودُفِنَ بمَقابر بابِ النَّصْر - [a]ظاهِر القاهرة[a] - رحمه الله .

وهذا المَسْجِدُ من أَحْسَنِ مَساجِدِ القاهِرَة وأَبْهَجِها[b] [3].

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة . b) العبارة في المُسَوَّدَة : وهو مكانٌ حسن البناء كثير الرخام .

---

[1] انظر فيما تقدم ٢: ٣٦٥.

[2] راجع ترجمته عند، المقريزي: المقفى الكبير ٦: ٥٢١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤: ٢٥٦.

[3] دَخَلَ هذا المسجدُ في أرضِ المَدْرَسَة السُّيوفية (فيما تقدم ٩٩) ، التي حَلَّ مَحَلَّها الآن الجامِعُ المعروف بـ «جامِع الشَّيْخ مُطَهَّر» ، الذي عَمَّره الأمير عبد الرحمن كَتْخُدا القازْدُغْلي سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م ، والواقع الآن على يسار الدَّاخل في شارع المعز لدين الله من جهة شارع جوهر القائد بجوار محلّ السّرَنْجاني ، ومسجل بالآثار برقم ٤٠. (الجبرتي : عجائب الآثار ٢: ٩؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ٢٦٥ (١١٦) ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٤: ١٦١٩-١٦٤٢) . ويقترح صديقي محمد أبو العمائم أنَّ مَسْجِدَ الحَلَبِيين حَلَّ موضعه الآن مَسْجِد الجوهري بحارة الجوهري من السِّكَّة الجَديدة .

مَسْجِدُ الكافُوري

هذا المَسْجِدُ كان في البُسْتانِ الكافُوري من القاهِرَة ، بَنَاهُ الوَزِيرُ المَأْمُونُ أبو عبد الله محمد ابن فاتِك البَطائِحي في سنة ستٍّ عشرةَ وخمس مائةٍ ، وتَوَلَّى عِمارَتَه وَكيلُه أبو البَرَكات محمد ابن عُثْمان ، وكَتَبَ اسْمَه عليه . وهو باقٍ إلى اليوم بخُطِّ الكافُوري ، ويُعْرَف هناك بـ «مَسْجِد الخُلَفاء» ، وفيه نَخْلٌ وشَجَرٌ ، وهو مُرَخَّمٌ رُخامًا حَسنًا[a] [1] .

مَسْجِدُ رَشِيد [b] الدِّين البَهائي [b]

هذا المَسْجِدُ خارِج بابِ زَوِيلَة بخُطِّ تَحْتَ الرَّبْع ، على يَسْرة من سَلَكَ من دار التُّفَّاح يُرِيدُ قَنْطَرَة الخَرْق ، بَنَاهُ رَشيدُ الدِّين البَهائي [2] .

المَسْجِدُ المَعْرُوفُ بزرْعِ النَّوى

هذا المَسْجِدُ خارِج بابِ زَوِيلَة بخُطِّ سُوق الطُّيور ، على يَسْرَة من سَلَكَ من رَأْسِ المَنْجَبِيَّةِ طالِبًا جَامِع قُوصُون والصَّلِيبَة [3] . وتَزْعُم العامَّة أنَّه بُنِيَ على قَبْرِ رَجُلٍ يُعْرَف بزرْعِ النَّوَى ، وهو من أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ . وهذا أيضًا من افْتِراءِ العامَّةِ الكَذِب ، فإنَّ الذين أَفْرَدُوا أَسْمَاءَ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ كالإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البُخاري في «تاريخِه الكبير» ، وابن

---

a) بولاق : برخام حسن.   b-b) إضافة من المُسَوَّدة .

---

[1] زال الآن كُلُّ أثرٍ لهذا المسجد .

[2] يُرَجَّح أن يكون هذا المسجد هو المسجد المعروف الآن بـ «مَسْجِد المَرْأَة» وبـ «مَسْجِد فاطِمة شُقْرا» الواقع بشارع تَحْت الرَّبع على يمين الدَّاخِل إليه من جهة مَيْدان باب الخَلْق ، وأنَّ السَّيِّدة فاطمة شُقْرا قد جَدَّدَته أو أقامت في موضعه مسجدًا جديدًا سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م . وجَدَّدَت وزارةُ الأوقاف المسجد سنة ١٩٠٥ مع الاحتفاظ بأجزائه القديمة وهي الباب العمومي والمنارة والمِحْراب والمِنْبَر . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٣:٢٠٥ (٥١) ، ٥:٢٥٨ (١١٣) ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٢٤٧ - ٢٤٩ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣:١٠١٩ - ١٠٢٧ ؛ وفيما تقدم ٣٥٦) .

[3] حَلَّ محلَّه الآن الزَّاويةُ المعروفة بـ «زاوية الشيخ خِضْر» الواقعة بشارع الشروجية على رأس دَرْبِ الدالي حسين وحارة عبد الله بك عن يسار السالك إلى شارع محمد علي . (السخاوي : تحفة الأحباب ١٠٦ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦:٧٢-٧٣ (٢٧) ، ١٣٣ (٤٧)) .

أبي خَيْثَمَة ، والحافِظ أبي عبد الله بن مُنْذِر ، والحافِظ أبي نُعَيْم الأَصْفَهاني ، والحافِظ أبي عُمَر ابن عبد البَرّ ، والفَقيه الحافِظ أبي محمد عليّ بن أحمد بن سَعيد بن حَزْم ، لم يَذْكُر أحَدٌ منهم صَحابيًّا يُعْرَف بزَرْع النَّوَى .

وقد ذُكِرَ في أَخْبار القَرافَةِ من هذا الكِتاب «مَنْ قُبِرَ بمصر من الصَّحابَة» ، وذُكِرَ في أَخْبارِ مَدينَة فُسْطاطِ مصر أيضًا «مَنْ دَخَلَ مصر من الصَّحابَة» ، وليس هذا منهم .

وهذا إن كان هناك قَبْرٌ فهو لأمينِ الأُمَناءِ أبي عبد الله الحُسَيْن بن طَاهِر الوَزّان . وكان من أَمْرِه أنَّ الخَليفَةَ الحاكِمَ بأَمْرِ الله أبا عليّ مَنْصُور بن العَزيز بالله ، خَلَعَ عليه للوَساطَة بينه وبين النَّاس ، والتَّوْقيع[1] عن الحَضْرَة ، في شهر رَبيعِ الأوَّلِ سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ . وكان قبل ذلك يَتَوَلّى بَيْت المال ، فاسْتَخْدَم فيه أخاه أبا الفَتْح مَسْعُودًا . وكان قد ظَفِرَ بمالٍ يكون عَشَرات أُلُوفٍ[a] وضِياعاتٍ وأَمْتِعَة وطَرائِف وفَرْشٍ وغير ذلك ، في عِدَّةِ آدُرٍ بمصر ، وجَميعُه مِمَّا خَلَّفَه قائِدُ القُوّاد الحُسَيْن بن جَوْهَر القائِد . فبَاعَ المتاعَ ، وأَضافَ ثَمَنَه إلى العَيْن ، فحَصَلَ منه مالٌ كثيرٌ ، وطالَع به[b] الحاكِمَ بأَمْرِ الله فأَمَرَ[a] به أَجْمَع لوَرَثَة / قائِد القُوّاد ، ولم يَتَعَرَّض منه لشيءٍ .

وكَثُرَت صِلاتُ الحاكِم وعَطاؤه وتَوْقيعاتُه بما يُطْلِق في ذلك . فاتَّصَلَ به عن أمين الأُمَناء بعض التَّوَقُّف ، فخَرَجَت إليه رُقْعَةٌ بخَطِّه في الثامن والعشرين من شهر رَجَب سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ ، نُسْخَتها :

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم . الحَمْدُ لله كما هو أَهْلُه :

[السريع]

أَصْبَحْتُ لا أَرْجُو ولا أَتَّقِي ... إلَّا إلـهـي ولَـهُ الـفَـضْـلُ
جَـدِّي نَـبِـيّ وإمـامـي أبـي ... ودِيـنِـيَ الإخْـلاصُ والـعَـدْلُ

ما عِنْدَكم يَنْفَد ، وما عِنْدَ الله باقٍ ، المالُ مالُ الله عَزَّ وجَلَّ ، والخَلْقُ عِيالُ الله ، ونحن أُمَناؤه في الأَرْض ، أَطْلِق أَرْزاقَ النَّاسِ ولا تَقْطَعها ، والسَّلام» .

ولم يَزَل على ذلك إلى أن بَطَلَ أَمْرُه في جُمادَى الآخرة من سنة خمسٍ وأربع مائةٍ ، وذلك أنَّه

a) بياض في بولاق . b) ساقطة من بولاق .

[1] حاشية بخَطِّ المؤلِّف : «التَّوْقيعُ يُعْرَف اليوم بوَظيفَة كِتابَة السِّرّ» .

رَكِبَ مع الحاكِم على عادَته ، فلمّا حَصَلَ بحارَة كُتامَة خارِج القاهِرَة [١] ، ضَرَبَ رَقَبَته هناك ، ودُفِنَ في هذا الموضع تَخْمينًا . واسْتَحْضَر الحاكِم جَماعَةَ الكُتّاب بعد قَتْلِه ، وسأل رُؤَساءَ الدَّواوين عَمّا يَتَوَلّاه كلُّ واحِدٍ منهم ، وأَمَرَهُم بلُزومِ دَواوينهم وتَوَفُّرهم على الخِدْمَة [٢] .

وكانت مُدَّةُ نَظَر ابن الوَزّان في الوَساطَة والتَّوْقيع عن الحَضْرَة - وهي رُتْبَةُ الوَزارَة - سنتين وشهرين وعشرين يومًا . وكان تَوْقيعُه عن الحَضْرَة الإمامية :

«الحَمْدُ لله وعليه تَوَكُّلي» [٣] .

مَسْجِدُ الذَّخيرَة

هذا المَسْجِدُ تَحْت قَلْعَةِ الجَبَل[a][٤] بأوَّلِ الرُّمَيْلَة تِجاه شَبابيك مَدْرَسَة السُّلْطان حَسَن بن محمد ابن قَلاوون التي تلي بابها الكبير الذي سَدَّه الملكُ الظّاهِرُ بَرْقُوق [٥] . أَنْشَأَه ذَخيرَةُ المُلْك جَعْفَر مُتَوَلِّي الشُّرْطَة [٦] .

قال ابنُ المأمون في «تاريخِه» : وفي هذه السَّنَة - يعني سنة عشر[b] وخمس مائةٍ - اسْتُخْدِمَ ذَخيرَةُ المُلْك جَعْفر في ولايَة القاهِرَة والحِسْبَة بسجلٍّ أَنْشَأَه ابنُ الصَّيْرَفي ، وجَرَى من عَسْفِه وظُلْمِه

---

a) أضاف ابن عبد الظاهر : في سوق الخيل. b) في بولاق : ست عشرة ، والمثبت من نسختي ميونخ والفاتح ، وأضافت نسخة آياصوفيا «ست» في الهامش .

---

[١] انْفَرَدَ ابنُ دُقْماق بذكر حارتين (خِطَّتين) لكُتامَة : واحدة داخل القاهرة ، وهي التي ذكرها المقريزي (فيما تقدم ٢٨:٣) ، والأخرى ظاهر القاهرة خارج باب الخَوْخَة يبدو أنّها هي المقصودة في النّصّ الذي نَقَلَه المقريزي هنا عن ابن الصَّيْرَفي (الانتصار ٥: ٣٧؛ وكذلك ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٦٥؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ١٠٨) .

[٢] هذا النَّصّ نَقَلَه المقريزي من ابن الصَّيْرَفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ٥٩- ٦١، وقارن أيضًا مع المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ١٠٨؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٨١، ١٨٢ حيث نَسَبَ الأبيات المذكورة في النَّصّ ، مَرَّةً إلى المُسْتَنْصِر بالله ومَرَّةً أخرى إلى الآمِر بأحكام الله .

[٣] عن «التَّوْقيع» أو «العَلامَة» ، انظر فيما تقدم ٢: ٣٣٨هـ [١] .

[٤] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٠٠ .

[٥] فيما تقدم ٢٨٢ ، ٣٤٢ .

[٦] ذَخيرَةُ المُلْك جَعْفَر بن عُلْوان ، ذكر المقريزي في المقفى الكبير ٣: ٣٩، أنَّ الآمِر بأحكام الله ولّاه وِلايَة القاهرة والحِسْبَة في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م؛ وفي اتعاظ الحنفا ٣: ٢١ أنَّ ذلك كان في سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م ، وفي نهاية الأرب للنويري ٢٨: ٢٧٨ أنّه رُتِّبَ في ولاية القاهرة والحِسْبَة سنة ٥١١هـ/١١١٧م؛ وانفرد ابن مُيَسَّر في أخبار مصر ٦٥ بالقَوْل بأنّه كان على ولاية القاهرة في سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م=

ما هو مَشْهُورٌ، وبَنَى المَسْجِدَ الذي ما بين البابِ الجَدِيد[١] إلى الجَبَل الذي هو به معروف. وسُمِّيَ «مَسْجِدُ لا بالله» بحُكْمِ أنَّه كان يَقْبِضِ النَّاسَ من الطَّرِيق ويَعْسِفهم، فيُحَلِّفُونَه ويَقولون له: «لا بالله»، فيُقَيِّدهم ويَسْتَعْمِلهم فيه بغير أُجْرَة، ولم يَعْمَل فيه منذ أنْشَأه إلَّا صانِعٌ مُكْرَه أو فاعِلٌ مُقَيَّد. وكُتِبَ عليه هذه الأَبْياتُ المشهورة:

[الطويل]

بَنَى مَسْجِدًا لله مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ   وكانَ بِحَمْدِ الله غَيْرَ مُوَفَّقِ
كمُطْعَمَةِ الأيْتامِ مِنْ كَدِّ فَرْجِها   لَكِ الوَيْلُ لا تَزْني ولا تَتَصَدَّقي

وكان قد أَبْدَعَ في عَذابِ الجُنَاة وأَهْلِ الفَسادِ، وخَرَجَ عن حُكْمِ الكِتاب، فابْتُلِيَ بالأَمْراضِ الخارِجَة عن المُعْتاد، وماتَ بعدما عَجَّلَ الله له ما قَدَّمَه، وتَجَنَّبَ النَّاسُ تَشْيِيعَه والصَّلاةَ عليه، وذُكِرَ عنه في حالتيْ غُسْلِه وحُلُوله بقَبْرِه ما يُعيذُ الله كلَّ مُسْلِمٍ من مِثْله[٢].

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر: مَسْجِدُ الذَّخِيرَة تَحْتَ قَلْعَةِ الجَبَل، وذَكَرَ ما تَقَدَّمَ عن ابن المأْمُون[٣].

= (وعنه المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢١).

وذكر القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٨٣ أنّه رأى في بعض سجلات الفاطميين إضافة الحِسْبَة بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشُّرْطَة بهما أحيانًا، ولمَّا كان والي القاهرة قد جَمَعَ ابتداءً من القرن السادس الهجري مهام صاحب الشُّرطة إلى جانب عمله، فتكون إضافة الحِسْبَة إليه أمْرًا طبيعيًّا. (راجع، أيمن فؤاد: تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها في زمن الفاطميين»، حوليات إسلامية ٢٤ (١٩٨٨)، ٧-١٢).

[١] حاشية بخطّ المؤلّف: «البابُ الجديد أدْرَكْتُ عَقْدَه عند رأس المنجيَّة (المُتَنَجِّيَة) يُعْرَف ببابِ القَوْس.

[٢] ابن المأمون: أخبار مصر ٤٧؛ المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٣٩.

وهذا المسجدُ زالَ وحَلَّ مَحَلَّه «زاوية الرِّفاعي» التي هُدِمَت أيضًا وبني عِوَضَها الجامعُ الذي أمَرَت بإنشائه، في سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، خوشْيار هانم والدة الخديو إسماعيل باشا وألْحَقَت به مَدافِنَ لها ولأسرتها وقُبَّتان للشيخين: علي أبي شِبَّاك ويحيى الأنصاري، إلَّا أنَّ العَمَلَ تَوَقَّفَ فيه نحو سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م وظَلَّ كذلك نحو رُبْع قرن، إلى أن استعيد العَمَلُ فيه سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م وافْتُتِحَ للصَّلاة سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م في عَهْدِ الخديو عبَّاس حلمي الثاني وصار يُعْرَف بـ «جامع الرِّفاعي». (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ١٣١-١٣٢ (٤٦-٤٧)؛ Herz, M., *La msoquée al-Rifâ'î au Caire*, Le Caire 1912؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٣٦٣-٣٧١؛ al-Asad, M., «The Mosque of al-Rifâ'î in Cairo», *Muqarnas* X (1993), pp. 108-24).

[٣] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٠-١٠١.

مَسْجِدُ رَسْلان

هذا المَسْجِدُ بحارَة اليانِسِيَّة ، عُرِفَ بالشَّيْخ الصَّالِح رَسْلان [a]بن [a] لإقامَتِه به ، وقد حُكِيَت عنه كراماتٌ ، وماتَ به في سنة إحدى وتسعين وخمس مائةٍ ، وكان يَتَقَوَّت من أُجْرَةِ خِياطَتِه للثِّياب . [a]وابنه محمد بن رَسْلان كان يخيط الثِّياب ويَرْوِي عنه كرامات[a]، وابنُه عبدُ الرَّحْمَن بن محمد بن رَسْلان ، أبو القاسِم كان فَقِيهًا مُحَدِّثًا مُقْرِئًا ، ماتَ في سنة سبعٍ وعشرين وستّ مائةٍ[1].

مَسْجِدُ ابن الشَّيْخي

هذا المَسْجِدُ بآخِرِ[b] خُطِّ الكافُوري ، مِمَّا يلي بابَ القَنْطَرَة وجِهَة الخَلِيج ، مُجاوِرٌ لدارِ ابن الشَّيْخي ، أنشأه المِهْتارُ[2] ناصِرُ الدِّين محمد بن عَلاء الدِّين عليّ الشَّيْخي ، مِهْتار السُّلْطان بالإسْطَبْلات السُّلْطانية ، وقَرَّر فيه شَيْخَنا تقيّ الدِّين محمد بن حاتِم . فكان يَعْمَل فيه مِيعادًا يَجْتَمِعُ النَّاسُ فيه لسَمَاعِ وَعْظِه .

وكان ابنُ الشَّيْخي هذا حَشِمًا فَخُورًا خَيِّرًا ، يُحِبُّ أَهْلَ العِلْم والصَّلاح ويُكْرِمهم ، ولم نَرَ بعده في رُتْبته مثله ، وماتَ ليلة الثلاثاء أوَّل يومٍ من شهر رَبيعٍ الأوَّل سنة ثلاثٍ وتسعين وسبع مائةٍ .

---

a-a) إضافة من المُسْوَدَّة . b) ساقطة من بولاق .

---

[1] الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٦٣٤- ٦٣٦؛ ابن الزيات : الكواكب السيارة ٣١١؛ السخاوي : تحفة الأحباب ٤٣٧؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦:٧٦- ٧٧ (٨)، ١٣٢ (٤٧) .

ويُعْرَف هذا المسجد الآن بـ«زاوية رَسْلان» بحارة اليانسية من جهة الزُّقاق المُوَصِّل إلى شارع المُغَرْبلين.

[2] المِهْتارُ . لَقَبٌ يُطْلَق على كبيرِ كُلِّ طائِفَةٍ من غِلْمانِ البيوت ، كمِهْتار الشَّراب خاناه ، ومِهْتار الطَّشت خاناه ، ومِهْتار الرِّكاب خاناه . و«مِه» بكسر الميم معناه بالفارسية الكبير ، و«تار» بمعنى أَفْعَل التَّفْضيل ، فيكون معنى المِهْتار : الأَكْبَر . (القلقشندي : صبح الأعشى ٥:٤٧٠) .

مَسْجِدُ يانِس

هذا المَسْجِدُ كان تِجاه بابِ سَعادَة خارِجَ القاهِرَة [١].

قال ابنُ المأْمُون في «تاريخه» : وكان الأَجَلُّ المأْمُون ـ يعني الوَزير / محمد بن فاتِك البَطائِحي ـ قد ضَمَّ إليه عِدَّةً من مَماليك الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش من جُمْلَتِهم يانِس ، وجَعَلَه مُقَدَّمًا على صِبْيانِ مَجْلِسه ، وسَلَّمَ إليه بَيْتَ مالِه ، ومَيَّزَه في رُسُومِه . فلمَّا رأَى المذكور في ليلة النِّصْف من شهر رَجَب ـ يعني سنة ستّ عشرة وخمسِ مائةٍ ـ ما عُمِلَ في المَسْجِد المستجَدّ قُبالَة بابِ الخُوخَة [٢] من الهِمَّة ووُفُورِ الصَّدَقات ومُلازَمَةِ الصَّلوات ، وما حَصَلَ فيه من المَثُوبات ، كَتَبَ رُقْعَةً يسأل فيها أن يُفْسَحَ له في بِناءِ مَسْجِدٍ بظاهِر بابِ سَعادَة ؛ فلم يُجِبِ المأْمُونُ إلى ذلك ، وقال له : ما ثَمَّ مانِعٌ من عِمارَةِ المساجِد وأَرْضُ الله واسِعَة ، وإنَّما هذا السَّاحِلُ فيه مَعونَة للمسلمين ومَوْرَدَة للسَّقَّائين ، وهو مَرْسَى مَراكِب الغَلَّة ، والمَضَرَّة في مُضايقَة المسلمين فيه منه ، ولو لم يكن المَسْجِدُ المستجدُّ قُبالَةَ باب الخُوخَة مَحْرَسًا لما اسْتُجِدَّ ، حتى إنَّا لم نَخْرُج عن مِساحَتِه[a] الأولى ، فإن أَرَدْتَ أن تَبْني قِبْليّ مَسْجِد الرِّيفي ، أو على شاطئ الخَليج ، فالطَّريقُ ثَمَّ سَهْلَةٌ . فقَبَّلَ الأَرْضَ وامْتَثَلَ الأَمْر .

فلمَّا قُبِضَ على المأْمُون ، وأَمَّرَ الخَليفَةُ يانِسَ المَذكور ، ولم يَزَل ينقله إلى أن اسْتَخْدَمَه في حَجْبَة بابِه ، سأله في مِثْل ذلك ، فلم يُجِبْه إلى أن أَخَذَ الوَزارَة ، فبَناه في المكانِ المذكور . وكانت مُدَّتُه يَسيرَةً ، فتوفي قَبْلَ إتْمامِه وإكْمالِه ، وكَمَّلَه أَوْلادُه بعد وَفاتِه [٣]. انتهى .

وقد تَقَدَّم خَبَرُ وَزارَة أبي الفَتْح ناظِر الجُيُوش يانِس الأَرْمَنيّ هذا عند ذِكْر الحارَة اليانِسِيَّة من هذا الكِتاب [٤].

---

a) بولاق : نخرج بساحته .

---

[١] عُرِفَ هذا المَسْجِدُ فيما بعد بـ «زاوية الشيخ محمد المغربي» وكان به ضَريحٌ يُعْرَف بهذا الاسم . ثم تَهَدَّمَ بعد مُدَّةٍ وبقي الضَّريحُ وبُنِيَت عليه قُبَّةٌ واستمرَّ على ذلك إلى نحو سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م ، ثم هُدِمَ ودَخَلَ محله في الميدان الذي كان أمام سراي الأمير مَنصور باشا والتي حَلَّ محلَّها الآن مبنى مديرية أمْن القاهرة . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٧٩:٣ (٨) ، ١٣٦:٦ ((٤٨)) .

[٢] فيما يلي ٧١٧.

[٣] ابن المأمون : أخبار مصر ٣٧– ٣٨؛ المقريزي : مُسَوَّدَة الخطط ١١٠و.

[٤] فيما تقدم ٤٨:٣– ٤٩.

مَسْجِدُ بابِ الخُوخَة

هذا المَسْجِدُ تجاه بابِ الخُوخَة بجوار مَدْرَسَةِ أبي غالِب [١]، (aعلى شاطئ الخَليج وهو باقٍ إلى الآن a).

قال ابنُ المأمُون في «تاريخِه» من حَوادِثِ سنة ستّ عشرة وخمس مائةٍ: ولمَّا سَكَنَ المأمُونُ الأَجَلُّ دارَ الذَّهَب [٢] وما معها ـ يعني في أيّام النّيل للنُّزْهَة عند سَكَنِ الخَليفَة الآمِر بأحْكامِ الله بقَصْرِ اللّؤْلُؤة المُطِلّ على الخَليج [٣] ـ رأى قُبالَة بابِ الخُوخَة مَحْرَسًا، فاسْتَدْعَى وَكيلَه [٤] وأَمَرَه بأن يُزيلَ المَحْرَس المذكور، ويَبْني مَوْضِعَه مَسْجِدًا. وكان الصُّنّاعُ يَعْمَلُون فيه ليلًا ونهارًا، حتى إنَّه تَفَطَّرَ بعد ذلك واحْتيج إلى تَجْديده [٥].

المَسْجِدُ المَعْرُوف بِمَعْبَدِ مُوسَى

هذا المَسْجِدُ بخُطِّ الرُّكْن المُخَلَّق من القاهِرَة، تجاه باب الجَامِع الأَقْمَر المُجاوِر لحَوْضِ السَّبيل، وعلى يَمْنَة من سَلَكَ من بَيْن القَصْرَيْن طالِبًا رَحْبَةَ بابِ العيد. أوَّلُ من اخْتَطَّه القائِدُ جَوْهَرٌ عندما وَضَعَ القاهِرَة.

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: ولمَّا بَنَى القائِدُ جَوْهَرٌ القَصْر، دَخَلَ فيه دَيْرُ العِظَام ـ وهو المكان المعروف الآن بالرُّكْن المُخَلَّق، قُبالَة حَوْض الجَامِع الأَقْمَر وقَريب دَيْر العِظَام، والمصريون يقولون بِئْر العَظْمَة

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة.

[١] فيما تقدم ٦٧٦- ٦٧٧.

[٢] فيما تقدم ٣: ٢٠٦- ٢٠٧.

[٣] فيما تقدم ٢: ٥٢٨- ٥٣٣.

[٤] هو عَديُّ المُلْك أبو البَرَكات بن عُثْمان، وكيل المأمُون البطائحي.

[٥] ابن المأمون: أخبار مصر ٥٦.

وسَبَق أن ذكرت (فيما تقدم ٦٧٦هـ [١]) أنّ «مَدْرَسَة أبي غالِب» حَلَّ محَلَّها الجامِعُ المعروف بـ«جَامِع الحِفْني» الذي كان مقابلًا للمَدْرَسَة الفَخْرية (جَامِع البنات)، وأنّه أُزيلَ مع توسيع شارع الخليج المصري (بورسعيد). وبما أنَّ «مَسْجِدَ بابِ الخُوخَة» كان مُجاورًا له وتجاه باب الخُوخَة، فيكون موضعه الجَامِع المعروف الآن بـ«جَامِع القاضي يحيى زَيْن الدِّين» الذي أنشأه، في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م القاضي يحيى بن عبد الرَّزّاق الزَّيْني القِبْطي الظَّاهري الأُسْتادّار المعروف بالأُشْقَر وبقريب ابن أبي الفَرَج، المتوفى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م. (السخاوي: الضوء اللامع ١٠: ٢٣٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٣٣٣ (١٤٦)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢٣٤-٢٣٧).

ـ فكَرِه أن يكون في القَصْر دَيْرٌ ، فنَقَلَ العِظامَ التي كانت به والرُّمَم إلى دَيْرٍ بناه في الخَنْدق ؛ لأنه كان يُقالُ إنّها كانت عِظامُ جَماعَةٍ من الحَوارِيين ، وبَنَى مكانَها مَسْجِدًا من داخِل السُّور[1] ـ يعني سُور القَصْر .

وقال جامِعُ «السِّيرَة الظَّاهِرية بَيْبَرْس» : وفي ذي الحِجَّة سنة ستين وستّ مائة ، ظَهَرَ بالمَسْجِدِ الذي بالرُّكْنِ المُخَلَّق من القاهِرَة حَجَرٌ مكتوبٌ عليه :

«هذا مَعْبَدُ مُوسَىٰ بن عِمْران عليه السَّلام» .

فجُدِّدَت عِمارَته وصَارَ يُعْرَف بمَعْبَدِ مُوسَىٰ من حينئذٍ ، ووُقِفَ عليه رَبْعٌ بجانِبه[2]، وهو باقٍ إلى وَقْتِنا هذا .

مَسْجِدُ نَجْم الدِّين

هذا المَسْجِدُ ظاهِرَ بابِ النَّصْر ، أنْشَأه الملكُ الأَفْضَلُ نَجْمُ الدِّين أبو سَعيد أيُّوب بن شاذي ابن يَعْقُوب بن مَرْوان الكردي ، والِد السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، وجَعَلَ إلى جانِبه

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٥؛ المقريزي : مُسَوَّدَة المواعظ ٣٦٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤: ٣٤- ٣٥.

ويُوجَد مَسْجِدٌ آخر يُعْرَف بمَسْجِد مُوسَىٰ بناحية الصَّف بالجيزة ، أنشأه الوَزيرُ الأفْضَل شاهِنْشاه بن بَدْر الجمالي في شَعْبان سنة ٥١٥هـ/١١٢٠م ، وجَدَّدَه الخَليفَةُ الحافِظُ لدين الله سنة ٥٣١هـ/١١٣٧م ، حيث يحتفظ متحفُ الفن الإسلامي بالقاهرة بلَوْحٍ من الرُّخام مستقْدَم من هذا المَسْجِد يحمل نَصَّيْن أحَدُهما باسم الأفْضَل ، والثاني باسم الحافظ لدين الله ، نَصُّه :

«[بِسْم الله] الرَّحمـ[ـن] الرَّحيم ـ الآية ١٨ سورة التوبة أ[ـ] نشأ هذا المَسْجِد المبارك مَوْلانا [وسَيِّدنا أبو الميمون عبد المجيد] الإمام الحافِظ لدين الله أمـ[ـير المؤمنين، صَلَّى] الله عليه وعلى [آبا]ئه الطاهر[ين وأبـ]ـنائِه الأكْرمين صَلاةً دائمةً إلى يوم الدِّين . وذلك في شهور سنة أحد وثلاثين وخمس مائة» . (CR de comité XXX (1913), pp. 37, 139-40; Wiet, G., RCEA VIII, n°3084).

[2] لم أقِف على هذا الخَبَرِ في «الروض الزاهر» لابن عبد الظاهر ، وذَكَرَ ابنُ شَدَّاد صاحب «تاريخ الملك الظاهر» ٣٤٥، أنَّ الظَّاهر بَيْبَرْس «بَنَى عند الرُّكْن المُخَلَّق مَسْجِدًا ذَكَرَ العَوامُّ أنَّ فيه أثَرَ قَدَمِ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ وبَنَى إلى جواره رَبْعًا كبيرًا يُنْسَب إلى السُّلْطان الملك السَّعيد يشتمل على حوانيت وقيسارية وطباق» ، وقارن مع ابن أيبك كنز الدرر ٨: ٩٣؛ ابن أبي الفضائل : النهج السديد ١٠٤- ١٠٥؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦: ١٣٤- ١٣٥ (٤٧) ، وانظر فيما تقدم ٢: ٣٤٥.

ـ ويحتفظ مُتْحَفُ الفَنّ الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ٦٩٠١ بكتابةٍ أثرية على الرُّخام تشتمل على ثلاثة أسطر بالخَطّ النَّسْخ المملوكي تحمل النَّصّ التالي :

«أمَرَ بفَتْحِ هذا المسجد المبارك الذي يُسَمَّى مَعْبَد مُوسَىٰ ، عليه السَّلام ، مَوْلانا السُّلْطان الملك الظَّاهِر خَلَّد الله ملكه و ...» . (Wiet, G., Inscriptions historiques sur pierres, pp. 56-57, n°79; Fu'âd Sayyid, A., La Capitale de l'Égypte, p. 250).

حَوْضَ ماءٍ للسَّبيل تَرِدُه الدَّوابُّ في سنة ستٍّ وستين وخمس مائةٍ [١].

ونَجْمُ الدِّين هذا قَدِم هو وأخُوه أَسَدُ الدِّين شِيرْكوه من بلاد الأكْراد إلى بَغْداد، وخَدَمَ بها، وتَرَقَّى في الخِدَم حتى صارَ بُزْدَدار[a][٢] بقَلْعَة تَكْرِيت ومعه أخوه. ثم إنَّه انْتَقَلَ عنها إلى خِدْمَة الملك المَنْصور عِماد الدِّين أَتابَك زَنْكي بالمَوْصِل، فخَدَمَه حتى مات، فتَعلَّق بخِدْمَة ابنه الملك العادِل نُور الدِّين محمود بن زَنْكي، فرَقَّاه وأعْطاه بَعْلَبَك، وحَجَّ من دِمَشْق سنة خمسٍ وخمس مائةٍ [٣].

فلمَّا قَدِمَ ابنُه صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب مع عمِّه أَسَد الدِّين شِيرِكوه، من عند نُورِ الدِّين محمود إلى القاهِرَة، وصارَ إلى وَزارَة العاضِد بعد مَوْت شيرْكوه، قَدِمَ عليه أبوه نَجْمُ الدِّين في جُمادَى الآخرة سنة خمسٍ وستين وخمس مائةٍ، وخَرَجَ العاضِدُ إلى لِقائِه، وأَنْزَلَه بمَناظِر اللُّؤْلُؤَة [٤].

فلمَّا اسْتَبَدَّ صَلاحُ الدِّين بسَلْطَنَة مصر بعد مَوْتِ الخَليفَة العاضِد، أَقْطَعَ أباه نَجْم الدِّين الإسْكَنْدَرية والبُحَيْرَة، إلى أن ماتَ بالقاهِرَة في يوم الثلاثاء لثلاثٍ بقين من ذي الحِجَّة سنة ثمانٍ وستين وخمس مائةٍ ـ وقيل في ثامِن عشره ـ من سَقْطَةٍ عن ظَهْرِ فَرَسِه خارِج بابِ النَّصْر، فحُمِلَ إلى دارِه، فماتَ بعد أيَّامٍ [٥].

---

a) بولاق: دزدارًا.

---

[١] ذَكَرَ علي باشا مبارك أنَّ هذا المسجد كان موجودًا في وقته وبداخله ضَريحٌ لرجلٍ صالح، للنَّاس فيه اعْتِقادٌ كبير، ويعمل له حضرة كلَّ يوم جُمُعَة يجتمع فيها كثيرٌ من النِّساء صاحبات الأمراض بقَصْد الشِّفاء من أمراضهن بزيارته وحضور الذِّكر الذي يُعْقَد. (الخطط التوفيقية ٦: ١٣٦ (٤٨)).

[٢] حاشية بخَطِّ المؤَلِّف: «هذه كلمة فارسية معناها «صَاحِب السِّتارَة»، وأصلها: مُزده داره، فبُزده: ستارة، وداره: كأنَّه صَاحِب أو حاكم».

[٣] راجع ترجمة نَجْم الدِّين أيُّوب المعروف بـ «وَالِدِ المُلُوك»، المتوفى سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م، عند ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٢٦٠- ٢٦١؛ أبي شامة: الروضتين ١: ٩ـ ٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ٤٧- ٥١؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٣٧٨- ٣٨١؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٦٧- ٦٨.

[٤] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣١٦- ٣١٧؛ أبو شامة: الروضتين ١: ٤٦٣- ٤٦٧.

[٥] انظر أبا شامة: الروضتين ١/٢: ٥٣٣- ٥٤٢؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ٢٣١- ٢٣٢.

وكان خَيِّرًا جوادًا، مُتَدَيِّنًا، مُحِبًّا لأهْلِ العِلْم والخَيْر،/ وما ماتَ حتى رأى من أوْلادِه عِدَّةَ مُلوكٍ، وصارَ يُقالُ له «أبو المُلُوك». ومَدَحَهُ العِمادُ الأصْبَهاني بعِدَّةِ قَصائِد، ورَثاهُ الفَقيهُ عُمارَة بقَصيدَته التي أوَّلُها:

[الطويل]

هي الصَّدْمَةُ الأولى فمَنْ بانَ صَبْرُهُ ‏ ‏ ‏ على هَوْلِ مَلْقاه تَعاظَمَ أجْرُه[1]

مَسْجِدُ صَوَابٍ

هذا المَسْجِدُ خارِج القاهِرة بخُطِّ الصَّليبَة، عُرِفَ بالطَّواشي شَمْس الدِّين صَواب، مُقَدَّم المماليك السُّلْطانية، وماتَ في ثامن رَجَب سنة اثنتين وأربعين وستّ مائةٍ، ودُفِنَ به، وكان خَيِّرًا دَيِّنًا فيه صَلاحٌ.

المَسْجِدُ بجِوارِ المَشْهَدِ الحُسَيْني

هذا المَسْجِدُ، أنْهِيَ[a] في مُسْتَهَلّ شهر رَجَب من[b] سنة اثنتين وستين وستّ مائة للملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس ـ وهو بدار العَدْل ـ أنَّ مَسْجِدًا على بابِ مَشْهَدِ السيِّد الحُسَيْن ـ عليه السَّلام ـ وإلى جانِبِه مَكانٌ من حُقُوقِ القُصُورِ[c]، بِيعَ وحُمِلَ ثَمَنُه للدِّيوان، وهو ستة آلاف دِرْهَم. فسَأَلَ السُّلْطانُ عن صُورَةِ المَسْجِد وهذا المَوْضِع، وهل كلٌّ منهما بمفرده أو عليهما حائطٌ دائر؟ فقيل له: إنَّ بينهما زَرْب قَصْبٍ، فأَمَرَ بردِّ المبلغ، وأَبْقَى الجَميعَ مَسْجِدًا، وأَمَرَ بعِمارَة ذلك مَسْجِدًا لله تعالى[2].

مَسْجِدُ الفُجْل

هذا المَسْجِدُ بخُطّ بَيْن القَصْرَيْن، تِجاه بابِ البَيْسَرية[d]، أَصْلُه من مَساجِد الخُلَفاء الفاطِميين.

---

a) بولاق: انتهى. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: القصر. d) بولاق: بيت البيسري.

---

[1] عمارة اليمني: النكت العصرية ٢٦٠- ٢٦١؛ أبو شامة: الروضتين ١/٢: ٤٠٥؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ٢٣١- ٢٣٢.

[2] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٩٧؛ المقريزي: السلوك ١: ٥١١- ٥١٢. وهو المَسْجِدُ الذي حَلَّ مَحَلَّه الآن جَامِعُ الحُسَيْن خَلْف المَشْهَد.

أنشأه على ما هو عليه الآن الأميرُ بَشْتَاك لمَّا أَخَذَ قَصْرَ أمير سِلاح ودارَ أَقْطُوان السَّاقي وأَحَدَ عَشْر مَسْجِدًا وأربعة مَعابِد كانت من عِمارَة الخُلَفاء، وأَدْخَلَها في عِمارَتِه التي تُعْرَف اليوم بقَصْرِ بَشْتَاك، ولم يَتْرُك من المساجِد والمعابِد سوى هذا المَسْجِد فقط، ويجلس فيه بعضُ نُوَّابِ القُضَاة المالِكية للحُكْم بين النَّاس [1].

وتُسَمِّيه العامَّةُ «مَسْجِدَ الفِجْل»، وتَزْعُم أنَّ النِّيلَ الأعْظَم كان يَمُرُّ بهذا المكان، وأنَّ الفِجْلَ كان يُغْسَل مَوْضِعَ هذا المَسْجِد فعُرِفَ بذلك. وهذا القَوْلُ كَذِبٌ لا أَصْلَ له. وقد تقدَّم في هذا الكِتابِ ما كان عليه مَوْضِعُ القاهِرَة قبل بنائِها، وما عَلِمْتُ أنَّ النِّيلَ كان يَمُرُّ هناك أبدًا، وبَلَغَني أنَّه عُرِفَ بـ «مَسْجِد الفِجْل» من أجْلِ أنَّ الذي كان يَقُومُ به كان يُعْرَف بالفِجْل، واللهُ أعْلَم.

مَسْجِدُ تِبْـر

هذا المَسْجِدُ خَارِج القاهِرَة مِمَّا يلي الخَنْدَق. عُرِفَ قَديمًا بالبِئْر والجُمَّيزَة، وعُرِفَ بـ «مَسْجِد تِبْر»، وتُسَمِّيه العامَّةُ «مَسْجِدُ التِّبْن» وهو خطأ. ومَوْضِعُه خارِج القاهِرَة قَريبٌ من المَطَرِيَّة [2].

---

[1] المقريزي ٢: ٥٠٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٥٠؛ وفيما تقدم ٣: ٢٢٨: ٩.

ولا يزالُ هذا المسجد مَوْجودًا إلى الآن تحت قَصْرِ بَشْتاك بشارع المعز لدين الله، ويَدُلُّ على التجديد الذي قامَ به الأميرُ بَشْتاك في المسجد ثلاثةُ أسطرٍ بالخَطِّ النسخ المملوكي على لَوْحٍ من الخَشَب كُشِفَ عنه في خزانَةٍ بمَدْرسة النَّاصر محمد بن قلاوون المواجهة لقَصْر بَشْتاك إلى الجنوب قَليلًا، ونُقِلَت إليها في تاريخ نجهله، وهي محفوظة الآن بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ونَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآية ١٨ سورة التوبة ـ أَمَرَ بتجديد هذا المَسْجد المبارك العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى الرَّاجي عَفْوَ رَبِّه بَشْتاك النَّاصري. وكان الفَراغُ من ذلك في شهر ربيع الأوَّل سنة خمسٍ وثلاثين وسبع مائة من الهجرة النبوية». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n°470; Wiet, G., *RCEA* XV, n°5680).

راجع عن المَسْجِد علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٩٠ (١٣)، ٦: ١٣٣-١٣٤ (٤٧) ولكنه خَلَط بينه وبين المسجد المعروف بمَعْبَد مُوسىٰ؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٥٠هـ [3].

[2] ما زالت بقايا هذا المَسْجد قائمةً في الشمال الغربي لمحطة مترو حمَّامات القُبَّة بالقرب من قصْر القُبَّة وتعرف بـ «زاوية محمد التِّبْري» التي أنشأتها السيدة شَفَق نُور والدة الخديو توفيق سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٦م. (الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ١٩٩ - ٢٠٠؛ المقريزي: مسودة الخطط ٣٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٩٦هـ [3]، ١٢: ١٩٨هـ [2]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٥٩ (٢).

وكان خُلَفاءُ الفاطميين الأوائل، وخاصَّةً الظَّاهر لإعزاز دين الله يُكْثِر من الركوب إليه كما ذكر ذلك المُسَبِّحي في حوادث سنة ٤١٥هـ. (أخبار مصر ـ الفهرس ١٣٦).

قال القُضَاعِيُّ : مَسْجِدُ تِبْر بُنِيَ على رأس إبراهيم بن عبد الله بن حَسَن بن حَسَن[a] بن عليّ ابن أبي طالِب ـ رضي الله عنه[1]. أنْفَذَه المَنْصُور فسَرقَه أهْلُ مصر ، ودَفَنوه هناك ، وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة ، ويُعْرَف بمَسْجِد البِئْر والجُمَّيزَة .

وقال الكِنْديُّ في كِتابِ «الأُمَرَاء» : ثم قَدِمَت الخُطَباءُ إلى مصر برأسِ إبراهيم بن عبد الله ابن حَسَن بن حَسَن بن عليّ بن أبي طالِب ، في ذي الحجَّة سنة خمسٍ وأربعين ومائةٍ ، ليَنْصبوه[b] في المَسْجِد الجَامِع ، وقامَت الخُطَباءُ فَذَكَروا أمْرَه[2].

وتِبْر

هذا أحَدُ الأُمَرَاءِ الأكابِرِ في أيَّام الأستاذ كافُور الإخْشيدي . فلمَّا قَدِمَ جَوْهَرٌ القَائِد من المغرب بالعَساكِر ، ثارَ تِبْرٌ الإخْشيدي هذا في جَماعَةٍ من الكافُورية والإخْشيدية وحارَبه ، فانْهَزَمَ بمن معه إلى أسْفَلِ الأرض . فبَعَثَ جَوْهَرٌ يَسْتَعْطِفه ، فلم يُجب ، وأقامَ على الخِلافِ ، فسَيَّر إليه عَسْكرًا حارَبَه بناحية صَهْرَجْت فانْكَسَرَ ، وصارَ إلى مَدينَة صُور التي كانت على السَّاحِل في البَحْر . فقُبِضَ عليه بها ، وأُدْخِلَ إلى القاهِرَة على فيل ، فسُجِنَ إلى صَفَر سنة ستين وثلاث مائةٍ . فاشْتَدَّت المُطالَبَةُ عليه ، وضُرِبَ بالسِّياط ، وقُبِضَت أمْوالُه ، وحُبِسَ عِدَّةٌ من أصْحابِه بالمُطْبَق في القُيود إلى رَبيع الآخَر منها . فجَرَحَ نفسه ، وأقام أيَّامًا مَريضًا ومات ، فسُلِخَ بعد مَوْتِه ، وصُلِبَ عند كُرْسي الجِسْر[c][3].

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر : إنَّه حُشِيَ جِلْدُه تِبْنًا وصُلِبَ ، فرُبَّما سَمَّت العامَّةُ مَسْجِده بذلك لما ذَكَرْناه[4]. وقيل إنَّ تِبْرًا هذا خادِمِ الدَّوْلَة المصرية ، وقَبْرَه بالمَسْجِد المذكور ،

a) بولاق : حسين . b) عند الكندي : فنصبوه . c) جميع النسخ : كرسي الجبل ، والتصويب من المقفى الكبير .

[1] راجع أخبار أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حسن ابن حسن بن علي بن أبي طالِب ، المتوفى سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م ، المعروف بـ«قتيل باخَمْري» عند ، الطبري : تاريخ ٥٣٩:٧ – ٥٥١ ، ٦٢٢ – ٦٤٩ ، ٩٥:٨ – ٩٦ ؛ أبي الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ٢٠٥ – ٢٢٩ ، ٢٣٢ – ٣٠٩ ، ٣١٥ – ٣٨٩ ؛ المسعودي : مروج الذهب ١٤٥:٤ – ١٥١ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢١٨:٦ – ٢٢٤ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٣١:٦ – ٣٣ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢١٦:١ – ٢٢٥ ؛ Veccia Vaglieri, L., *EI* [2] art. *Ibrâhîm b.ʿAbd Allâh* III, pp. 1008-10.

[2] الكندي : ولاة مصر ١٣٦ . وهنا حاشية بخَطّ المُؤلِّف : «ذَكَرَ الحافظ أبو بكر بن ثابت البغدادي في كتاب «المُتَّفِق والمُفْتَرِق» عن إبراهيم بن سُوَيْد الحَنَفي الكوفي ، قال : سألتُ أبا حَنيفَة ـ رحمه الله ـ وكان لي مُكْرمًا أيَّام إبراهيم ، قلت : أيُّهما أحَبُّ إليك بعد حَجَّة الإسلام ، الخُروج إلى هذا الرجل أو الحجّ ؟ فقال : غَزْوَةٌ بعد حَجَّة الإسلام أفْضَل من خمسين حَجَّة» .

[3] المقريزي : المقفى الكبير ٢ : ٥٨٥ ، اتعاظ الحنفا ١ : ١٢٠ .

[4] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٩٩ .

قال كاتِبُه[a]: هذا وَهْمٌ، وإنَّما هو تِبْرٌ الإخْشيدي.

مَسْجِدُ القُطْبِيَّة

هذا المَسْجِدُ كان حيث المَدْرَسَة المَنْصُورية بَيْنَ القَصْرَيْن بالقاهِرَة[b].

[c]مَسْجِدُ ابن البَابَا
بحِكْر الخَازِن

بَنَاهُ الأميرُ بَدْرُ الدِّين جَنْكَلي بن البابا، أحَدُ أكابِر الأُمَرَاء في أيَّام السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، في سنة [d]خمس وثلاثين[d] وسبع مائةٍ بجوار دَارِه، وجَعَلَ فيه دَرْسَ حَديثٍ، وهو مستمرٌّ به إلى الآن[1].

مَسْجِدُ مُرْشِد

قُبَالَة بَابِ الحَمَّام المعروف الآن بحَمَّام الكُوَيْك[2]، ويُعْرَف قَديمًا بحَمَّام عَبَّاس. وبهذا المَسْجِدِ دَرْسٌ للمالِكِيَّة.

مَسْجِدُ الزَّيالِعَة

عُلْوَ بابِ حارَة بَرْجَوان، عُرِفَ بإبراهيم بن الحسين بن علي بن يُونُس، أبو إسحاق اليَمَني الزَّيْلَعي المُقْرئ زَيْن الدِّين. قَرَأ القِراءات السَّبْع على أبي القاسم عبد الرَّحْمَن الصَّفْراوي وأبي القَاسم عيسىٰ بن عبد العزيز ابن عيسىٰ، وتَصَدَّرَ بالجامِع الظَّافِري مُدَّةً، وأعَادَ في المَدْرَسَة القُطْبِيَّة بالبُنْدُقانيين وكان مُفْتِيًا وله مَعْرِفَةٌ بالقِراءات والنَّحْو. ومَوْلِدُه بزَبيد من اليَمَن في سنة سِتّ مائة تَخْمينًا، وتُوفي بالقاهِرَة ليلة الثاني والعشرين من ذي القِعْدَة سنة أربع وسبعين وسبع مائةٍ، وكان دُفِنَ [كذا] بهذا المَسْجِد فعُرِف بمَسْجِد الزَّيالِعَة[c].

---

a) بولاق: مؤلفه. b) بالقاهرة: ساقطة من بولاق وجاء عوضها عبارة: والله أعلم. c-c) هذه الفقرة مضافة من المُسَوَّدَة ٩٨و، ١٠٠ظ. d-d) بياض في المُسَوَّدَة والمثبت من حسن قاسم.

---

[1] هذا المسجد حَلَّ محلَّه الآن المسجد المعروف بـ«مَسْجِد حَسَن باشا طاهر» الذي شُيِّد سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م والواقع عند ناصيتي سِكَّة بِرْكَة الفيل وحارة محمد نسيم بالحلمية الجديدة. (راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٨١ (٨٧)؛ van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n^os 448-50؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٥: ٢٩٩-٣٠٣؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٥: ٥٧-٧٠).

وانظر ترجمة بَدْر الدِّين جَنْكَلي بن البابا، مؤسس الجامع الأصلي فيما تقدم ٣: ٤٧٧.

[2] فيما تقدم ٣: ٢٧٦.

ذِكْرُ الخَوانِك

الخَوانِكُ جَمْعُ خانْكاه [a]بالكاف بعد النون[a]، وهي كلمةٌ فارِسِيَّةٌ معناها : بَيْت [a][أو] دار الصُّوفية، ثم كَثُرَ اسْتِعْمالُها على الألْسِنَة فقيل: «خانْقاه» بالقاف بَدَلًا من الكاف؛ وهذا كما اتُّفِقَ في لَفْظِ المَقْس، فإنَّ أصْلَه المَكْس ثم قيل المَقْس، على ما ذكره القاضي القُضاعي في كِتابِ «خِطَطِ مصر»[a]. وقيل أصْلُها خَونْقاه[b]، أي المَوْضِع الذي يأْكُلُ فيه الملك.

والخَوانِكُ حَدَثَت في الإسلام في حُدُودِ الأربع مائة من سني الهجرة، وجُعِلَت لتَتَخَلَّي الصُّوفِيَّةُ فيها لِعِبادَةِ الله تعالى [1].

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدة. b) بولاق: خونقاه.

---

[1] راجع عن الخوانِك (الخوَانِق) Chabbi, J., *EI*^{2} art. *Khânkâh* IV, pp. 1057-58؛ وعن الخَوانِك (الخَوانِق) في مصر Fernandes L., *The Evolution of Sûfi Institution in Mamluk Egypt: The Khânqâh*, Berlin 1988؛ دولت عبد الكريم عبد الله : معاهِد تَزْكية النُّفوس في مصر في العصرين الأيُّوبي والمملوكي، القاهرة ـ مطبعة حسان ١٩٨٠؛ عاصم محمد رزق : خانْقاوات الصُّوفِيَّة في مصر في العصرين الأيُّوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٧١-١٥١٧م)، ١-٢، القاهرة ـ مكتبة مدبولي ١٩٩٧.

وعن تَغَيُّر الوظيفة والشكل في المُؤَسَّسات الدِّينية المملوكية (المَدْرَسَة والخانْقاه)، راجع Behrens - Abouseif, D., «Change in Function and Form of Mamluk Religious Institutions», *An. Isl.* XXI (1985), pp. 73-93؛ وانظر كذلك حول الزَّوايا Fernandes, L., «The Zâwiya in Cairo», *An. Isl.* XVIII (1982), pp. 116-21; id., «Some Aspects of the *Zâwiya* in Egypt at the Eve of the Ottoman Conquest», *An. Isl.* XIX (1983), pp. 4-17؛ ورسالة سمير عبد المنعم خضري : الأربطة الباقية بالقاهرة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، رسالة ماجستير بكلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٨؛ طارق المرسي : زوايا القاهرة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة ٢٠٠٠؛ وعن طبيعة الخانْقاه والرِّباط والزَّاوية في العصر المملوكي انظر Little, D. P., «The Nature of *Khânqâhs*, *Ribats* and *Zâwiyas* under the Mamlûks» in *Islamic Studies presented to Charles Adams*, W. B. Hallaq and D. P. Little (eds.), Leiden 1992, pp. 91-105؛ وعن ارتباط إنْشاء دور الصوفية بالأوقاف، راجع محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٢٠٤-٢٢٢.

قال الأستاذ عبد الكريم أبو القاسم بن هَوازِن القُشَيْري ، رحمه الله : اعْلَمُوا أنَّ المسلمين بعد رَسُولِ الله ﷺ ، لم يَتَسمّ أفاضِلُهُم في عَصْرِهِم بتَسْمِيَةِ عَلَمٍ سوى «صُحْبَةِ رَسُولِ الله» ﷺ ، إذْ لا فَضيلَةَ فَوْقَها ، فقيل لهم «الصَّحَابةُ» . ولمَّا أَدْرَكَ أَهْلُ العَصْرِ الثَّاني ، سُمِّيَ من صَحِبَ الصَّحابَةَ «التَّابِعين» ، ورأوا ذلك أَشْرَف سِمَةٍ ، ثم قيل لمن بعدهم «أتْباعُ التَّابِعين» . ثم اخْتَلَفَ النَّاسُ وتَبايَنَتِ المَراتِبُ ، فقيل لخَواصِّ خَواصِّ النَّاس مِمَّن لهم شِدَّةُ عِنايَةٍ بأَمْرِ الدِّين «الزُّهَّـــاد» و «العُبَّـــاد» . ثم ظَهَرَت البِدَعُ ، وحَصَلَ التَّداعِي بين الفِرَق ، فكلُّ فَرِيقٍ ادَّعوا أنَّ فيهم زُهَّادًا . فانْفَرَدَ خَواصُّ أَهْلِ السُّنَّة ـ المراعُون أنفسهم مع الله ، الحافِظُون قُلوبَهم عن طَوارِقِ الغَفْلَة ـ باسْم «التَّصَوُّف» ، واشْتُهِرَ هذا الاسْم لهؤلاء الأكابِر قبل المائتين من الهجرة [1] .

قال : وهذه التَّسميةُ غَلَبَت على هذه الطَّائِفَةِ . فيُقال : «رَجُلٌ صُوفِيٌّ» ، وللجَماعَة : «الصُّوفِيَّة» ، ومن يَتَوَصَّل إلى ذلك يُقالُ له : «مُتَصَوِّف» ، وللجَماعَة : «المُتَصَوِّفَة» . وليس يَشْهَد لهذا الاسْم من حيث العربية قِياسٌ ولا اشْتِقاقٌ ، والأَظْهَر فيه أنَّه كاللَّقَبِ . فأمَّا قَوْلُ من قال إنَّه من الصُّوف ، وتَصَوَّفَ ، إذا لَبِسَ الصُّوف ـ كما يُقال تَقَمَّصَ ، إذا لَبِسَ القَميص ـ فذلك وَجْهٌ ، ولكنَّ القَوْمَ لم يَخْتَصُّوا بِلِبْسِ الصُّوف .

ومن قال إنَّهم يُنْسَبون إلى صُفَّةِ مَسْجد رَسُولِ الله ﷺ ، فالنِّسْبَة إلى الصُّفَّة لا تجيء على نحو الصُّوفي . ومن قال إنَّه من الصَّفاء ، فاشْتِقاقُ الصُّوفي من الصَّفَاءِ بعيدٌ في مقتضى اللغة . وقَوْلُ من قال إنَّه مُشْتَقٌّ من الصَّفّ ، فكأنَّهم في الصَّفِّ الأَوَّل بقُلُوبِهم من حيث المُحاضَرَة مع الله تعالى ، فالمعنى صَحيحٌ لكن اللُّغَة لا تقتضي هذه النِّسْبَة من الصَّفّ . ثم إنَّ هذه الطَّائِفَة أَشْهَر من أن يُحْتاج في تَعْيينهم إلى قِياسِ لَفْظٍ واسْتِحْقاقِ اشْتِقاقٍ [2] ، والله أَعْلَم .

وقال الشَّيْخُ شِهابُ الدِّين أبو حَفْص عُمَر بن محمد السُّهْرَوَرْدي ، رحمه الله : والصُّوفيُّ يَضَعُ الأَشْياءَ في مَواضِعها ، ويُدِيرُ الأَوْقات والأَحْوال كلَّها . بالعِلْم يُقيم الخَـلْق مَقامَهم ، ويُقيم أَمْرَ الحَـقّ مُقامَه ، ويَسْتُرُ ما يَنْبَغي أن يُسْتَر ، ويُظْهِر ما يَنْبَغي أن يَظْهَر ، ويأتي بالأُمُور من مَواضِعِها بحُضُورِ عَقْلٍ ، وصِحَّةِ تَوْحيدٍ ، وكمالِ معرفةٍ ، ورِعايَةِ صِدْقٍ وإخْلاص .

فقَوْمٌ من المَـفْتُونين لَبِسُوا أَلْبِسَة الصُّوفِيَّة ليُنْسَبوا إليهم ، وما هم منهم بشيءٍ ، بل هم في غُرور وغَلَطٍ يتستَّرون بِلِبْسَة الصُّوفية توقِّيًا تارَةً ودَعْوَى أخرى ، ويَنْتَهِجُون مَناهِجَ أَهْلِ الإباحَة ،

---

[1] القشيري : الرسالة القشيرية ٣٨٩.

[2] نفسه ٢٧٩.

ويَزْعُمون أنَّ ضَمائِرَهم خَلَصَت إلى الله تعالى ، وأنَّ هذا هو الظَّفَر بالمراد ، والارْتِسام بمَراسِم الشَّريعَة رُتْبَة العَوامّ والقاصِرين الأفْهام ، وهذا هو عَيْنُ الإلْحاد والزَّنْدَقَة والإبْعاد [١]. ولله دُرّ القائِل :

[البسيط]

تَنازَعَ النَّاسُ في الصُّوفيّ واخْتَلَفُوا ... فيه ، وظَنُّوه مُشْتَقًّا من الصُّوفِ
ولَسْتُ أَنْحَل هذا الاسْم غير فَتًى ... صَافَى وصُوفي حتَّى سُمِّيَ الصُّوفي

قال كاتِبُه [a]: ذَهَب والله ما هنالِك ، وصارَت الصُّوفِيَّةُ كما قال الشَّيْخُ فَتْحُ الدِّين محمد ابن محمد بن سَيِّد النَّاس اليَعْمُري [٢]:

[الخفيف]

ما شُرُوطُ الصُّوفي في عَصْرِنا اليو ... م سِوَى سِتَّة بغير زِيادَه
وهي نَيْكُ العُلُوقِ والسُّكْرُ والسَّطْـ ... ـلَةُ والرَّقْصُ والغِنا والقِيادَه
وإذا ما هَذَى وأَبْدَى اتِّحادًا ... وحُلُولًا من جَهْلِه أو إعادَه
وأَتَى المُنْكَراتِ عَقْلًا وشَرْعًا ... فهو شَيْخُ الشُّيُوخِ ذو السَّجادَه

ثم تَلاشَى الآن حَالُ الصُّوفِيَّة ومَشايِخُها حتى صارُوا من سَقْطِ المَتاع ، لا يُنْسَبُون إلى عِلْمٍ ولا دِيانَة ، وإلى الله المُشْتَكَى [٣]!

وأوَّلُ من اتَّخذ بَيْتًا للعِبادَة زَيْدُ بن صُوحان بن صَبْرَة ، وذلك أنَّه عَمَدَ إلى رِجالٍ من أهْلِ البَصْرَة قد تَفَرَّغُوا للعِبادَة ـ وليس لهم تِجاراتٌ ولا غَلَّاتٌ ـ فبَنَى لهم دُورًا ، وأَسْكَنَهم فيها ، وجَعَلَ لهم ما يَقُومُ بمَصَالِحِهم من مَطْعَمٍ ومَشْرَبٍ ومَلْبَسٍ وغيره . فجاءَ يَوْمًا ليزورهم [b]فلم يجدهم[b] فسألَ عنهم ، فإذا عبد الله بن عامِر ، عَامِلُ البَصْرَة لأمير المؤمنين عُثْمان بن عَفَّان ـ

---

a) بولاق : مؤلفه . b-b) ساقطة من بولاق .

---

[١] السهروردي : عوارف المعارف ٦٨- ٦٩.

[٢] راجع ترجمة ابن سَيِّد النَّاس اليَعْمُري عند الصفدي : الوافي بالوفيات ١: ٢٨٩- ٣١١.

[٣] راجع عن التَّصَوُّف في العصر المملوكي Geoffroy, E., *Le soufisme en Égypte et en Syrie sous les derniers Mamelouks et les premiers Ottomans. Orientations spirituelles et enjeux culturels,* Damas - IFEAD 1995؛ ونَظَّمَ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ندوةً دوليةً عنوانها : «تَطَوُّر الصُّوفِيَّة في مصر في العصر المملوكي (٢٦-٢٩ مايو ٢٠٠٣)» ، ستنشر الأوراق المقدَّمة إليها ضمن إصدارات المعهد .

رضي الله عنه ـ قد دَعاهُم ، فأتاه ، فقال له : يا ابن عامِر ، ما تُريدُ من هؤلاء القَوْم ؟ قال : أُريد أن أُقَرِّبهم فيَتشفَّعوا فأُشَفِّعَهُم ، ويَسْألوا فأُعْطيهم ، ويُشيروا عليَّ فأَقْبَل منهم . فقال : لا ، ولا كَرامَة ! فتأتي إلى قَوْمٍ قد انْقَطَعُوا إلى الله تعالى ، فتُدَنِّسهم بدُنْياك ، وتُشْرِكُهم في أَمْرِك . حتى إذا ذَهَبَت أَدْيانُهم ، أَعْرَضْتَ عنهم ، فطاحُوا لا إلى الدُّنْيا ولا إلى الآخرة ، قُومُوا فارْجِعوا إلى مَواضِعِكم . فقاموا ، فأَمْسَكَ ابنُ عامِر ، فما نَطَقَ بلَفْظَة . ذَكَرَه أبو نُعَيْم .

/الخانكاه الصَّلاحيَّة ٤١٠
دارُ سَعيد السُّعَداء دُوَيْرَة الصُّوفيَّة

[أثر رقم ٤٨٠]

هذه الخانْكاه بخُطِّ رَحْبَةِ بابِ العيد من القاهِرَة ، كانت أوَّلًا دارًا تُعْرَفُ في الدَّوْلَة الفاطِمية بدارِ سَعيدِ السُّعَداءِ ـ وهو الأستاذ قَنْبَر ، ويقال عَنْبَر ، وذَكَرَ ابنُ مُيَسَّر أنَّ اسمه بَيان ، ولَقَبَه سَعيدُ السُّعَداء ـ أحَدُ الأُسْتاذين المُحَنَّكين خُدَّام القَصْر ، عَتيق الخَليفَة المُسْتَنْصِر . قُتِلَ في سابع شَعْبان سنة أربعٍ وأربعين وخمس مائةٍ ، ورُمِيَ برأسِه من القَصْر ، ثم صُلِبت جُثَّته ببابِ زَوِيلَة من ناحية الخَرْق [١] .

وكانت هذه الدَّارُ مُقابل دار الوَزارَة ، فلمَّا كانت وَزارَةُ العادِل رُزِّيك بن الصَّالِح طَلائِع ابن رُزِّيك سَكَنَها ، وفَتَحَ من دارِ الوَزارَة إليها سِرْدابًا تحت الأرْض ليمرّ فيه . ثم سَكَنَها الوَزيرُ شاوَرُ ابن مُجِيرٍ في أيَّام وَزارَتِه ، ثم ابنُه الكامِل [٢] . فلمَّا اسْتَبَدَّ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ابن شاذي بمُلْكِ مصر بعد مَوْتِ الخَليفَة العاضِد ، وغَيَّرَ رُسُومَ الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة ، ووَضَعَ من قَصْرِ الخِلافَة وأَسْكَنَ فيه أُمَراءَ دَوْلَتِه الأكْراد ، عَمِلَ هذه الدَّار برَسْم الفُقَراءِ الصُّوفِيَّة الواردين من البلاد الشَّاسِعَة ، ووَقَفَها عليهم في سنة تسعٍ وستين وخمس مائةٍ ، ووَلَّى عليهم شَيْخًا ، ووَقَفَ عليهم بُسْتانَ الحَبَّانِيَّة بجوار بِرْكَة الفيل خارِج القاهِرَة ، وقَيْسارِيَّة الشَّرْب بالقاهِرَة ، وناحية دَهْمَرو من البَهْنَساوية [٣] . وشَرَطَ أنَّ من ماتَ من الصُّوفِيَّة وتَرَكَ عشرين دينارًا فما دونها كانت للفُقَراء ، ولا

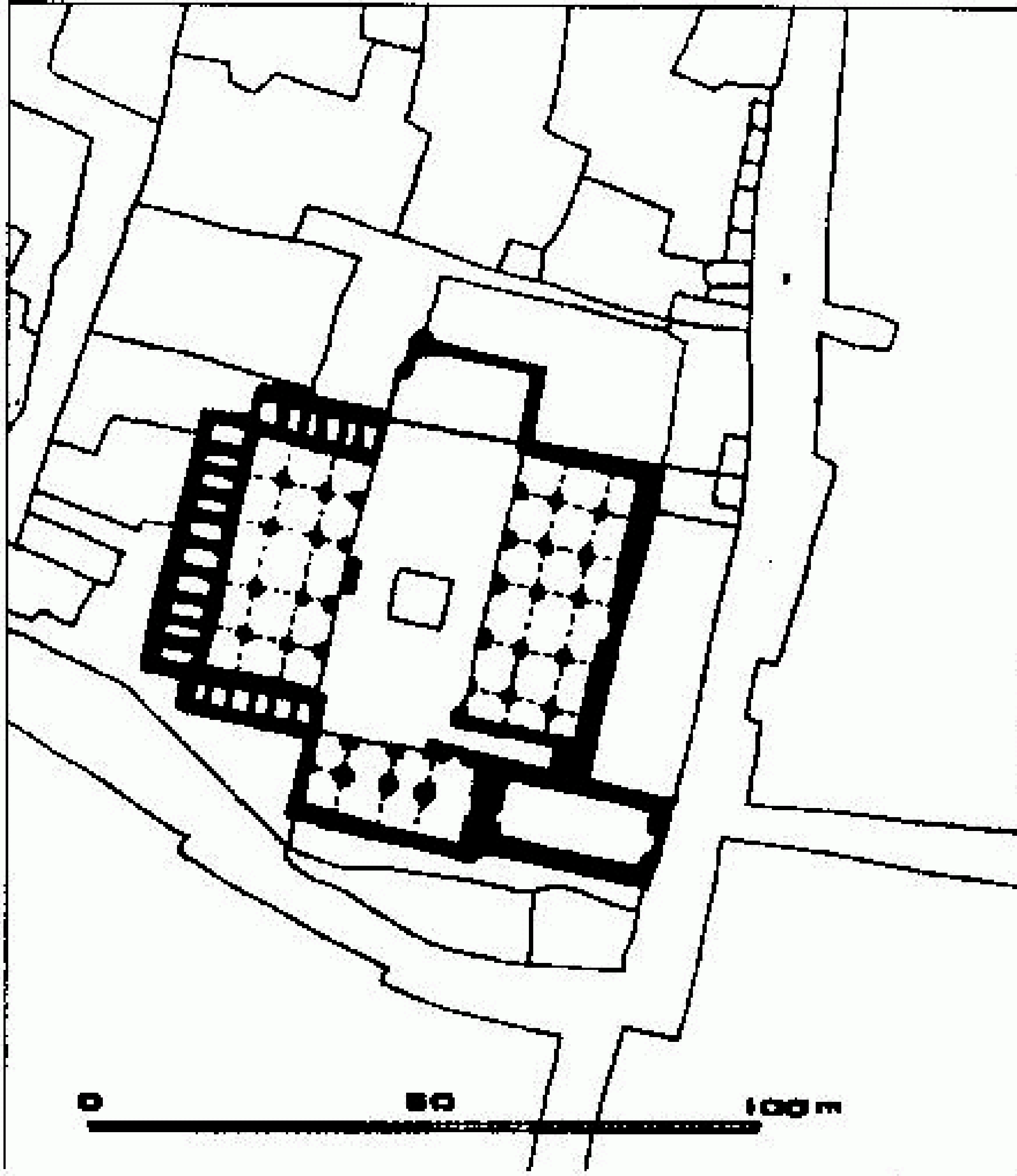
---

[١] ابن ميسر : أخبار مصر ١٤٤؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٢٠٠؛ ومصدر هذا الخبر في المُسَوَّدَة من ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٩ – ٥٠. وترجم المقريزي لبَيان في المقفى الكبير ٢: ٥١٢.

[٢] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٩.

[٣] نفسه ٥٠، ٥٥، ١٣٦.

يَتَعَرَّضُ لها الدِّيوانُ السُّلْطاني، ومن أرادَ منهم السَّفَر يُعْطَى تَسْفِيره. ورَتَّبَ للصُّوفِيَّة في كلِّ يومٍ طَعامًا ولَحْمًا وخُبْزًا، وبَنَى لهم حَمَّامًا بجوارهم[١].



مُخَطَّط خانْقاه سعيد السُّعَدَاء (عن Sylvie Denoix)

وكانت أوَّلَ خانْكاه عُمِلَت بديار مصر، وعُرِفَت بـ «دُوَيْرَة الصُّوفِيَّة»[٢]، ونُعِتَ شَيْخُها

---

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٦٤–٣٦٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٥٠–٥١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٢٤٢–٢٤٣؛ Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 258-59.

[٢] كانت دارُ سعيد السُّعَداء تَقَعُ من جهةٍ تجاه باب القَصْر الفاطمي الكبير المعروف بباب الرِّيح على يَمْنَة السَّالِكِ من الرُّكْن المُخَلَّق إلى رَحْبَة بابِ العيد. (فيما تقدم ٢: ٢٤٨، ٣٤٤، ٤٢٧، ٤٣٤)، ومن جهةٍ أخرى تجاه دار الوَزارَة الكبرى التي حَلَّ محلَّها في مطلع القرن الثامن الهجري خانْقاه بِيبَرْس الجاشنكير والمَدْرسة القَراسُنْقُرِيَّة. وهي تقع الآن بشارع الجمالية تجاه حارَة المُبَيِّضَة على يمين السالك إلى المَشْهَد الحُسَيْني في المنطقة الواقعة بين الدَّرْب الأصْفَر وشارع التُّمْبَكْشية. وتتكوَّن هذه الخانْقاه ـ التي أُدْخِلَ عليها تَعْديلٌ كبيرٌ في العصر المملوكي ـ من صَحْنٍ مكشوف يُحيطُ به أربعةُ أواوين، ويوجد خَلْفَ الإيوان الغربي عشر خَلْوات للصُّوفية. ولم يَبْقَ من واجهات هذه الخانْقاه إلَّا الواجهة الشَّرْقية وطولها في الأصل ٢٦مترًا والتي فُقِدت مُعْظَمُ أجزائها فيما غدا مَدْخَلَها، وبجواره كذلك حَمَّامٌ كان مُخَصَّصًا لسُكَّانها من الصُّوفية كان يعمل في القرن التاسع عشر ويعرف بحَمَّام الجمالية وله مَدْخَلان: أحدهما من داخل الخانْقاه، والآخر من خارجها. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٢١٨ (٧٣)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٨٦٧–٨٧٢).

راجع عن الخانقاه تاريخه وتخطيطه، السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ٢٦٠–٢٦١؛ علي مبارك: ٤: ٢١١–٢١٢ (١٠٢–١٠٣)؛ Fernandes, L., *The Khânqâh*, pp.

بـ «شَيْخ الشُّيُوخ»، [a]وما زال يُنْعَتُ بذلك إلى أن بَنَى النَّاصر محمد بن قَلاوون خانْكاه سِرْياقوس فدَعَا شَيْخَها بشَيْخ الشُّيُوخ[a)][1]. واسْتَمَرَّ ذلك بعده إلى أن كانت الحَوادِثُ والمِحَنُ منذ سنة ستٍّ وثمان مائة، واتَّضَعَت الأَحْوالُ، وتلاشَت الرُّتَبُ، تَلَقَّبَ كلُّ شَيْخ خانْكاه بـ «شَيْخ الشُّيُوخ». وكان سُكَّانُها من الصُّوفِيَّة يُعْرَفون بالعِلْم والصَّلاح، وتُرْجَى بَرَكَتُهم. ووَلِيَ مَشْيَخَتها الأكابِرُ والأعْيانُ ـ كأوْلادِ شَيْخ الشُّيوخ ابن حَمَوَيْه ـ مع ما كان لهم من الوَزارَة والإمارَة، وتَدْبير الدَّوْلَة، وقِيادَة الجُيُوش، وتَقْدِمَة العَساكِر. ووَليها ذو الرِّياسَتين الوَزيرُ الصَّاحِبُ قاضي القُضَاة تقيُّ الدِّين عبد الرَّحْمَـن ابن ذي الرياسَتين الوَزير الصَّاحب قاضي القُضَاة تاج الدِّين بن بِنْت الأعَزّ [c]والشَّيْخُ شَمْسُ الدِّين الأيْكي الصُّوفي المشهور وغيرهما. ومِمَّن تَوَلَّاها في عَصْرِنا قاضي القُضاة جَلالُ الدِّين جارُ الله الحَنَفي والشَّيْخ بُرْهانُ الدِّين إبراهيم الأبْناسي الشَّافِعي والحافِظُ زَيْنُ الدِّين عبد الرَّحيم العِراقي وغيرهم. ومِمَّن أقامَ بها مِمَّن شاهَدْناه من أهْلِ الخَيْر والصَّلاح الشَّيْخ محمد العَجَمي المعروف بـ «صَائم الدَّهْر»، فإنَّه أقامَ بها ما يُقارب ثلاثين سنة وكان يصوم الدَّهْر ويُفْطر كلَّ ليلة على حِمَّص مسلوق بلا زَيْت إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى. ومن مشايخ القرآن شيْخُنا فَخْرُ الدِّين البِلْبَيْسي إمام الجامع الأزْهر وغيره[c)]. ونَزَلَ بها الأكابِرُ من الصُّوفية.

وأخبرني الشَّيْخُ أحمد بن عليّ القَصَّار[2] ـ رحمه الله ـ أنَّه أدْرَكَ النَّاسَ في يوم الجُمُعَة يأتُون من مصر إلى القاهِرَة، ليُشَاهِدُوا صُوفِيَّةَ خانْقاه سَعيد السُّعَداء، عندما يَتَوَجَّهون منها إلى صَلاةِ الجُمُعَة بالجَامِع الحاكِمي، كي تَحْصُل لهم البَرَكَة والخَيْر بمُشاهَدتهم.

وكان لهم في يَوْم الجُمُعَة هَيْئَةٌ فاضِلَةٌ، وذلك أنَّه يخرج شَيْخُ الخانْقاه منها، وبين يَدَيْه خُدَّامُ الرَّبْعَة الشَّريفة ـ قد حُمِلَت على رأسِ أكبرهم ـ والصُّوفِيَّةُ مُشَاةٌ بسُكونٍ وخَفَرٍ إلى بابِ الجَامع

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: فلقب. c-c) اكتفى المقريزي في المبيضة بقوله: وجماعة من الأعيان، والعبارة المثبتة من المُسَوَّدة.

---

[1] انظر فيما يلي ٧٦٨.

21-25, 119-21؛ عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر ١: ١٢٧– ١٥٨، أطلس العمارة الإسلامية ١: ٧٣٥– ٧٥٢؛ Sylvie Denoix *EI*² art. *Sa'īd al-Su'adā'* VIII, pp. 891-92.

[2] الشيخ أحمد بن علي بن عبد الله التَّميمي القَصَّار، بَرَعَ في عِلْم التَّصَوُّف ومال إلى مَذْهَبِ أهْلِ الظَّاهِر، وتوفي سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م، قال المقريزي: «صحبته سنين ونَفَعَني الله به نَفْعًا كثيرًا». (درر العقود الفريدة ١: ٢٠٦–٢٠٧).

الحاكِمي الذي يلي المِنْبَر، فيدخلون إلى مَقْصُورَةٍ كانت هناك على يَسْرَة الدَّاخِلِ من البابِ المذكور - تُعْرَف بمَقْصورَة البَسْمَلَة، فإنَّه بها إلى اليوم بَسْمَلَةٌ قد كُتِبَت بحُروفٍ كِبار - فيُصَلِّي الشَّيْخُ تَحِيَّةَ المسجد تحت سَحابَةٍ مَنْصُوبَة له دائمًا، وتُصَلِّي الجَماعَة. ثم يَجْلِسُون، وتُفَرَّق عليهم أجْزاءُ الرَّبْعَة، فيقرأون القُرآن حتى يُؤَذِّن المؤذِّنون، فتُؤْخَذ الأجزاءُ منهم، ويشتغلون بالتَّرَكُّعِ واسْتِماعِ الخُطْبَة وهم مُنصِتُون خاشِعُون. فإذا قُضِيَت الصَّلاةُ والدُّعاءُ بعدها، قامَ قارِئٌ من قُرَّاءِ الخانْقاه، ورَفَعَ صَوْتَه بقراءَةِ ما تَيَسَّر من القُرْآن، ودَعَا للسُّلْطانِ صَلاحِ الدِّين ولواقِفِ الجَامِع ولسَائِر المسلمين. فإذا فَرَغَ قامَ الشَّيْخُ من مُصَلَّاه، وسارَ من الجَامِع إلى الخانْقاه والصُّوفِيَّة معه كما كان تَوَجُّهُم إلى الجَامِع؛ فيكون هذا من أَجْمَل عَوايد أَهْلِ[a] القاهِرَة.

وما بَرِحَ الأَمْرُ على ذلك إلى أن وَلِيَ الأميرُ يَلْبُغا السَّالِمي نَظَرَ الخانْقاه المذكورة في يوم الجُمُعَة ثامِن عشر جُمادَىٰ الآخرة سنة سبعٍ وتسعين وسبع مائةٍ، فنَزَلَ إليها وأَخْرَجَ كِتابَ الوَقْفِ، وأرادَ العَمَلَ بما فيه من شَرْطِ الوَاقِف؛ فقَطَعَ من الصُّوفِيَّة المُنَزَّلين بها عَشَرات مِمَّن له مَنْصِبٌ ومن هو مَشْهورٌ بمال، وزادَ الفُقَراءَ المجرَّدين - وهم المقيمون بها - في كلِّ يوم رَغيفًا من الخُبْز، فصارَ لكلِّ مجرَّدٍ أربعة أرْغِفَة بعدما كانت ثلاثة، ورَتَّب بالخانْقاه وظيفَتيْ ذِكْر بعد صَلاةِ العِشاءِ الآخرة، وبعد صَلاةِ الصُّبْح. فكَثُر التَّكِيرُ على السَّالِمي مِمَّن أَخْرَجَهم، وزادَ الأشِلَّاءُ، فقال بعضُ أُدَباءِ العَصْر في ذلك:

[الكامل]

يا أَهْلَ خانْقَاه الصَّلاحِ أَرَاكُمُ ... ما بَيْـن شاكٍ لـلزَّمـانِ وشَـاتِمِ
يَكْفيكُمُ ما قد أَكَلْتُم باطِلًا ... من وَقْفِـها وخَرَجْتُمُ بالسَّالِمِ

وكان سَبَبُ وِلايَة السَّالِمي نَظَرَ الخانْقاه المذكورة، أنَّ العادَةَ كانت قَديمًا أنَّ الشَّيْخَ هو الذي يَتَحَدَّث في نَظَرِها. فلمَّا كانت أيَّامُ الظَّاهِر بَرْقُوق وَلِيَ مَشْيَخَتَها شَخْصٌ يُعْرَف بالشَّيْخ محمد البلالي، قَدِمَ من البلاد الشَّامية، وصارَ للأمير سُودُون الشَّيْخُوني - نائِب السَّلْطَنَة بديار مصر - فيه اعْتِقاد. فلمَّا سَعَى له في المَشْيَخَة، / واسْتَقَرَّ فيها بتَعْيينه، سألَه أن يَتَحَدَّث في النَّظَرِ إعانَةً له، ٦:٢ فتَحَدَّث.

وكانت عِدَّةُ الصُّوفِيَّة بها نحو الثلاث مائة رَجُل: لكلٍّ منهم في اليوم ثلاثة أرْغِفَة زِنَتها ثلاثة أرْطال خُبْز، وقطعة لَحْم زنتها ثُلْث رَطْل في مَرَقٍ، وتُعْمَل لهم الحَلْوَى في كلِّ شهر، ويفرَّق

---

a) ساقطة من بولاق.

فيهم الصَّابون ، ويُعْطى كلٌّ منهم في السنة عن ثَمَنِ كُسْوَة قَدْر أربعين دِرْهَمًا . فنَزَّل الأَمير سُودُون عندهم جماعةً كثيرة عَجَزَ ريعُ الوَقْفِ عن القِيامِ لهم بجميع ما ذكر ، فقُطِعَت الحلْوى والصَّابون والكُسْوَة .

ثم إنَّ ناحية دَهْمَرو شَرِقَت في سنة تسعٍ وتسعين لقُصُور ماءِ النّيل ، فوَقَعَ العَزْمُ على غَلْقِ مَطْبَخ الخانْقاه وإبْطالِ الطَّعام ، فلم تحتمل الصُّوفيَّةُ ذلك ، وتَكَرَّرَت شَكْواهُم للملك الظَّاهِر بَرْقُوق ، فوَلَّى الأمير يَلْبُغا السَّالِمِي النَّظَر ، وأَمَرَه أن يعمل بشَرْطِ الواقِف . فلمَّا نَزَلَ إلى الخانْقاه وتَحَدَّثَ فيها ، اجْتَمَعَ بشَيْخ الإسْلام سِراج الدِّين عُمَر بن رَسْلان البُلْقيني ، وأَوْقَفَه على كِتابِ الوَقْف . فأفْتاه بالعَمَلِ بشَرْطِ الواقِف ، وهو أنَّ الخانْقاه تكون وَقْفًا على الطائِفَة الصُّوفية الواردين من البلاد الشَّاسِعَة والقاطِنين بالقاهِرَة ومصر ، فإن لم يُوجَدوا كانت على الفُقَراءِ من الفُقَهاءِ الشَّافِعية والمالِكيَّة الأَشْعَرِيَّة الاعْتِقاد .

ثم إنَّه جَمَعَ القُضَاةَ وشَيْخَ الإسْلام وسَائِرَ صُوفِيَّة الخانْقاه بها ، وقَرَأ عليهم كِتابَ الوَقْفِ وسأل القُضَاةَ عن حُكْم الله فيه . فانْتُدِبَ للكلام رَجُلان من الصُّوفِيَّة هما زَيْنُ الدِّين أبو بكر القِمْني وشِهَابُ الدِّين أَحمد العَبَّادي الحَنَفي ، وارْتَفَعَتِ الأَصْواتُ ، وكَثُر اللَّغَطُ . فأشارَ القُضَاةُ على السَّالِمِي أن يَعْمَل بشَرْطِ الواقِف ، وانْصَرفوا . فقَطَعَ منهم نحو الستين رَجُلًا منهم المذكوران .

فامْتَعَضَ العَبَّادي ، وغَضِبَ من ذلك ، وشَنَّع بأنَّ السَّالِمِي قد كَفَرَ ، وبَسَطَ لِسانَه بالقَوْلِ فيه ، وبَدَت منه سَماجاتٌ ، فقَبَضَ عليه السَّالِمِي وهو ماشٍ بالقاهِرَة ، فاجْتَمَعَ عِدَّةٌ من الأَعْيانِ وفَرَّقوا بينهما ، فبَلَغَ ذلك السُّلْطانُ ، فأَحْضَرَ القُضَاة والفُقَهاء ، وطَلَبَ العَبَّادي في يوم الخَميس ثامِن شهر رَجَب ، وادَّعى عليه السَّالِمِي . فاقْتَضَى الحالُ تَعْزيرَه ، فعُزِّرَ وكُشِفَ رأسه ، وأُخْرِجَ من القَلْعَةِ ماشيًا بين يدي القُضَاة ووالي القاهِرَة إلى بابِ زَوِيلَة ، فسُجِنَ بحَبْسِ الدَّيْلَم ، ثم نُقِلَ منه إلى حَبْسِ الرَّحْبَة .

فلمَّا كان يومُ السبت حادي عشره ، استُدْعي إلى دارِ قاضي القُضَاة جَمال الدِّين محمود القَيْصَري الحَنَفي ، وضُرِبَ بحَضْرَةِ الأمير عَلاء الدِّين عليّ بن الطَّبْلاوي ، والي القاهِرَة ، نحو الأربعين ضَرْبَةً بالعَصَا تحت رجليه . ثم أُعيدَ إلى الحَبْس ، وأُفْرِجَ عنه في ثامِن عشره بشَفاعَةِ شَيْخ الإسْلام فيه .

ولمَّا جَدَّدَ الأميرُ يَلْبُغا السَّالِمِي الجَامِعَ الأَقْمَر ، وعَمِلَ له مِنْبَرًا ، وأُقيمَت به الجُمُعَة في شهر رَبيع

الأوَّل سنة إحدى وثمان مائةٍ[1]. ألزم الشَّيْخ بالخانْقاه والصُّوفِيَّة أن يُصَلُّوا الجُمُعَة به. فصَارُوا يُصَلُّون الجُمُعَة فيه إلى أن زالَت أيَّامُ السَّالِمي، فتَرَكُوا الاجْتِماعَ بالجَامِعِ الأقْمَر، ولم يَعُودُوا إلى ما كانوا عليه من الاجْتِماعِ بالجَامِعِ الحَاكِمي، ونُسِيَ ذلك.

ولم يكن بهذه الخانْقاه مِئْذَنَةٌ، والذي بَنَى هذه المِئْذَنَة شَيْخٌ وَلِيَ مَشْيَخَتَها في سنة بضعٍ وثمانين وسبع مائةٍ، يُعْرَف بشِهابِ الدِّين أحمد الأنْصاري. وكان النَّاسُ يَمُرُّون في صَحْنِ الخانْقاه بنِعالِهِم، فجَدَّدَ شَخْصٌ من الصُّوفيَّة بها ـ يُعْرَف بشِهابِ الدِّين أحمد العُثْماني ـ هذا الدَّرابْزِين، وغَرَسَ فيه هذه الأشجار، وجَعَلَ عليها وَقْفًا لمن يتعاهَدُها بالخِدْمَة.

الخانْقاهُ الرُّكْنِيَّة بَيْبَرس[a]

[أثر رقم ٣٦]

هذه الخانْقاهُ من جملة دَارِ الوَزارَة الكبرىٰ، التي تَقَدَّم ذِكْرُها عند ذكر القَصْر من هذا الكتاب[2]، وهي أجَلُّ خانْقاه بالقاهِرَة بُنْيانًا وأوْسَعُها مِقْدارًا وأتْقَنُها صَنْعَةً. بَنَاها الملكُ المُظَفَّر رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس الجاشَنْكير المَنْصوري قبل أن يلي السَّلْطَنَة وهو أمير، فبدأ في بِنائِها في سنة ستٍّ وسبع مائةٍ، وبَنَى بجانبها رِباطًا كبيرًا يُتَوَصَّل إليه من دَاخِلِها، [b]ومن بابٍ آخر يُسْلَك إليه من الزُّقاقِ المقابل لخانْقاه سَعيد السُّعَداء[b]، وجَعَلَ بجانب الخانْقاه قُبَّةً بها قَبْرُه. ولهذه القُبَّة شَبابيكُ تُشْرِف على الشَّارع المَسْلوك فيه من رَحْبَةِ بابِ العيد إلى بابِ النَّصْر. من جملتها الشُّبَّاكُ الكبير الذي حَمَلَه الأميرُ أبو الحَارِث البَساسيري من بَغْداد لمَّا غَلَبَ الخَليفَة القائِم العَبَّاسي، وأرْسَلَ بعِمامَته وشُبَّاكِه الذي كان بدارِ الخِلافَة في بَغْداد وتَجْلِس الخُلَفَاءُ فيه، وهو هذا الشُّبَّاكُ ـ كما ذُكِرَ في أخْبار دارِ الوَزارَة من هذا الكِتاب[2] ـ فلمَّا وَرَدَ هذا الشُّبَّاكُ من بَغْداد، عُمِلَ بدارِ الوَزارَة، واسْتَمَرَّ فيها إلى أن عَمَّرَ الأميرُ بَيْبَرْسُ الخانْقاه المذكورة فجَعَلَ هذا الشُّبَّاك بقُبَّةِ الخانْقاه، وهو بها إلى يَوْمِنا هذا، وإنَّه لشُبَّاكٌ جليلُ القَدْرِ حَشِم، يكادُ تَتَبَيَّنُ عليه أُبَّهةُ الخِلافَة[3].

---

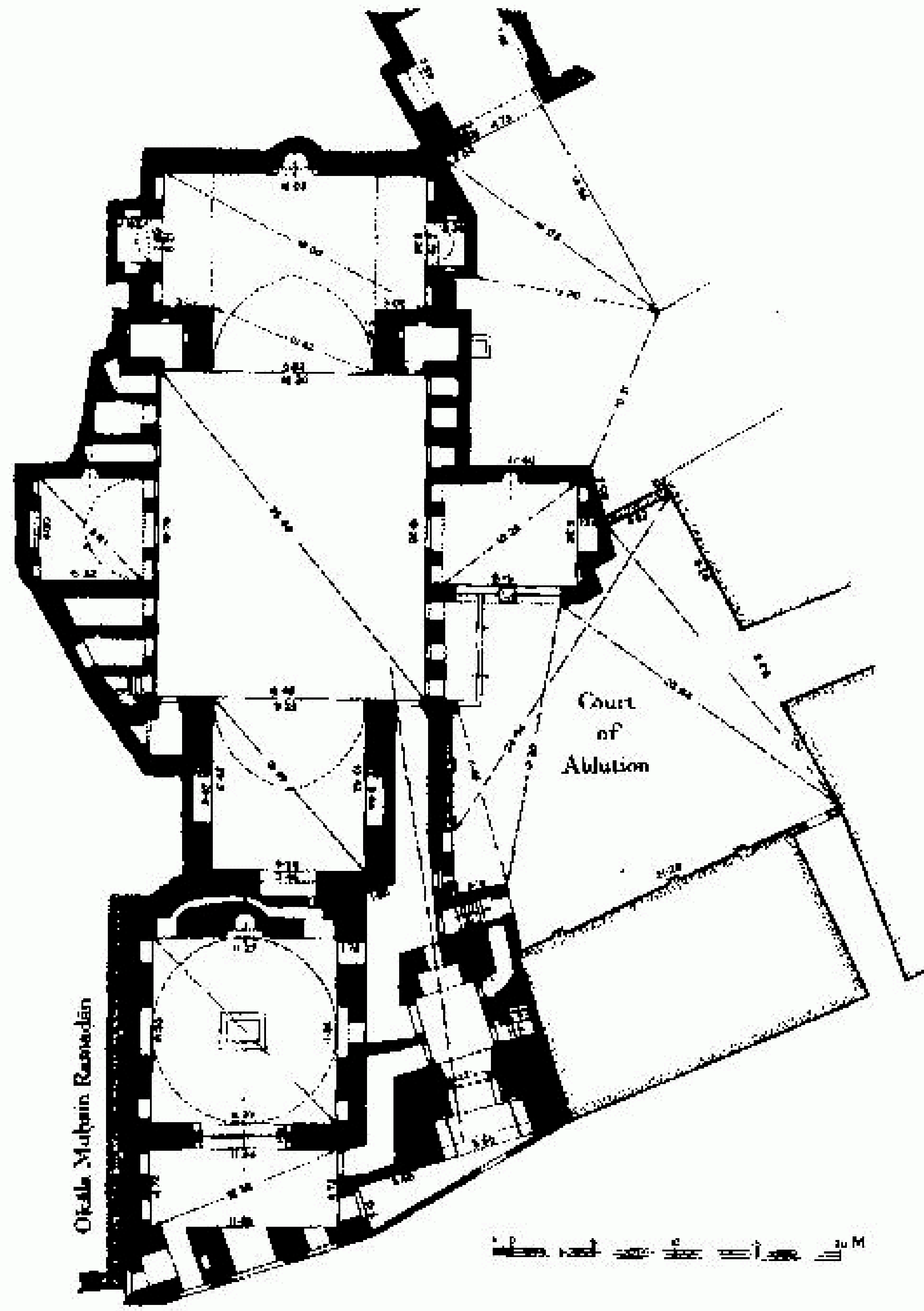
a) بولاق: خانقاه ركن الدِّين بيبرس. b-b) ساقطة من بولاق.

---

[1] فيما تقدم ١٥٢.

[2] فيما تقدم ٢: ٤٤٠ - ٤٤١.

[3] لا تزالُ هذه الخانْقاه باقيةً إلى الآن في شارع الجمالية في مواجهة الدَّرْبِ الأصْفَر، وهي أقْدَمُ خانْقاه باقية في =



مُخَطَّطُ الخانْقاه الرُّكْنِيَّة بَيْبَرْس (عن Creswell)

ولمَّا شَرَعَ في بنائِها رَفَقَ بالنَّاسِ ولاطَفَهُم ، ولم يَعْسِفْ فيها أحدًا في بِنائِها ، ولا أكره صَانِعًا ، ولا غَصَبَ من آلاتِها شيئًا ، وإنَّما اشْتَرَى دارَ الأمير عِزّ الدِّين الأَفْرَم التي كانت بمَدينَة مصر ، واشْتَرَى دارَ الوَزير هِبَة الله بن صَاعِد الفَائِزِي ، وأَخَذَ ما كان فيهما من الأنْقاض ، واشْتَرَى أيضًا

= مَدينة القاهرة ذات تَخْطيطٍ مُتعامِد . ذَكَرَ ابنُ إياس أنّه بدأ في بنائها في رَحْبَة باب العيد ومواجهة الدَّرْب الأصْفَر ، في سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٦م . وزال الرِّباطُ الملحق بها ومكانه الآن الوكالة التي أنشأها سليمان أغا السِّلاح دار سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، ولا تزال موجودة بَحْري الخانقاه وتُعْرَف باسم حُوش عطي . (مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ٢٢٧، النويري : نهاية الأرب ٣٢:١٣١- ١٣٢؛ مفضل ابن أبي الفضائل : النهج السديد ؛ ابن خلدون : التعريف ٣١٢- ٣١٣؛ المقريزي : السلوك ٢: ٣٦؛ العيني : عقد الجمان ٤:٤٢٨- ٤٢٩؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨:١٧٤هـ ٤، ٢٧٦؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١:٤١٨- ٤١٩؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤:١٤٢-١٤٣ (٦٨) ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٣١- ١٣٥؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 249-53؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣:١٦٢- ١٧٢؛ Fernandes, L., «The Foundation of Baybars al-Jashankir: Its Waqf, History and Architecture», *Muqarnas* IV (1987), pp. 21-42؛ عاصم محمد رزق : خانقاوات الصوفية في مصر ١:٢١١- ٢٤٦، أطلس العمارة الإسلامية ٢:٣٦٧- ٣٩٢) .

دارَ الأَنْماطِ التي كانت برأسِ حارَة الجَوْذَرِيَّة من القاهِرَة ونَقَضَها وما حَوْلَها، واشْتَرَى أمْلاكًا كانت قد / بُنِيَت في أرْضِ دارِ الوَزارَة من مُلَّاكها بغير إكراهٍ وهَدَمَها. فكان قِياسُ أرْضِ الخانْقاه والرِّباط والقُبَّة نحو فَدَّانٍ وثلث.

وعندما شَرَعَ في بِنائها حَضَرَ إليه الأميرُ ناصِرُ الدِّين محمد ابن الأمير بَكْتاش الفَخْري أمير سِلاح، وأرادَ التَّقَرُّب لخاطِره وعَرَّفَه أنَّ بالقَصْرِ الذي فيه سَكَنُ أبيه مَغارَةً تحت الأرض كبيرة، يُذْكَر أنَّ فيها ذَخيرَة من ذَخائِر الخُلَفاء الفاطِميين، وأنَّهم لمَّا فَتَحُوها لم يجدوا بها سوى رُخامٍ كثير، فسَدُّوها ولم يَتَعَرَّضوا لشيءٍ مِمَّا فيها. فسُرَّ بذلك، وبَعَثَ عِدَّةً من الأُمَراءِ فَتَحُوا المكان، فإذا فيه رُخامٌ جَليلُ القَدْر عَظِيمُ الهَيْئَةِ، فيه ما لا يوجَد مثله لعِظَمِه، فنَقَلَه من المغارَة، ورَخَّمَ منه الخانْقاه والقُبَّة ودارَه التي بالقُرْب من البُنْدُقانيين وحارَة زَوِيلَة، وفَضَلَ منه شيءٌ كثير عَهْدي أنَّه مُخْتَزَنٌ بالخانْقاه، وأظنُّه أنَّه باقٍ هناك.

ولمَّا كَمُلَت في سنة تسعٍ وسبع مائةٍ [1]، قَرَّرَ بالخانْقاه أربع مائة صُوفي، وبالرِّباط مائة من الجُنْد وأبناء النَّاس الذين قَعد بهم الوَقْتُ، وجَعَلَ بها مَطْبَخًا يُفَرِّق على كلٍّ منهم في كلِّ يومٍ اللحم والطَّعام وثلاثة أرْغِفَة من خُبْزِ البُرّ، وجَعَلَ لهم الحَلْوى، ورَتَّبَ بالقُبَّة دَرْسًا للحَديث النَّبَوي له مُدَرِّسٌ وعنده عِدَّةٌ من المُحَدِّثين، ورَتَّبَ القُرَّاء بالشُّبَّاكِ الكبير يتناوَبون القِراءَة فيه ليلًا ونهارًا، ووَقَفَ عليها عِدَّةَ ضِياعٍ بدِمَشْق وحَماة، ومُنْيَة المُخلص بالجيزَة من أرْضِ مصر، وبالصَّعيد والوَجْهِ البَحْري، والرَّبْع والقَيْسارِيَّة بالقاهِرَة [2].

---

[1] يَدُلُّ على ذلك كتابتان تاريخيتان، الأُولى على الواجهة ونَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآيات ٣٦-٣٨ سورة النور ـ أَمَرَ بإنْشَاءِ هذه الخانْقاه السَّعيدة وَقْفًا مُؤَبَّدًا على جماعَةِ الصُّوفية من فَيْضِ الله تعالى وجزيل إحْسانه، راجيًا بذلك عَفْوَه وغُفْرانَه، العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى [نحو مسافة متر مُحِيَت كتابته عَمْدًا قد تكون: «السُّلْطان الملك المُظَفَّر»] رُكْن الدِّين بَيْبَرْس المَنْصُوري عبد الله والفقير إليه الرَّاجي رحمته يوم القُدُوم عليه ضاعَفَ الله ثوابه وزَكَّى أعماله ويَسَّرَ له أسْباب ما بَسَطَ إليه من المعروف آماله بمَنِّه وكَرَمِه وأَفْضالِه، وصَلَّى الله على سَيِّدنا محمد ...».

والثانية على وَجْهِ العَقْد الغربي لقاعدة القُبَّة، ونَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآيات ٥١-٥٩ سورة الدُّخان ـ وافَقَ الفَرَاغُ من هذه القُبَّة والخانْقاه في شهر رمضان المعظَّم سنة تسع وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, nos 188-89; Wiet, G., *RCEA* XIV, n° 5242-43).

[2] ذَكَرَ ابنُ إياس أنَّه لمَّا كَمُلَت عمارَةُ هذه الخانْقاه كَتَبَ الشيخُ شَرَفُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يُوسُف الدُّرَعي المعروف بابن الوَحيد الكاتِب، المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م، لبَيْبَرْس الجاشنكير خَتْمَةً في سبعة أجزاء، وأضافَ الصُّفَدي أنَّها كتبت بليقَةٍ ذهبيةٍ دَخَلَ فيها جملةٌ من الذَّهَب أعْطاه له الجاشْنكير برَسْم اللِّيقة لا غير ألفًا وستّ مائة دينار. (بدائع الزهور ١/١: ٤١٨؛ الوافي بالوفيات =

فلمَّا خُلِعَ من السَّلْطَنَة وقَبَضَ عليه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون وقَتَلَه ، أَمَرَ بغَلْقِها فغُلِّقت ، وأَخَذَ سَائِر ما كان مَوْقُوفًا عليها ، ومَحَا اسْمَه من الطِّراز الذي بظاهِرِها فَوْق الشَّبابيك ، وأقامَت نحو عشرين سنة مُعَطَّلَة . ثم إنَّه أَمَرَ بفَتْحِها في أَوَّلِ سنة ستٍّ وعشرين وسبع مائةٍ ففُتِحَت ، وأعادَ إليها ما كان مَوْقُوفًا عليها . واسْتَمَرَّت إلى أن شَرُقَت أراضي مصر لقُصُورِ مَدِّ النِّيل أيَّام الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حسين في سنة ستٍّ وسبعين وسبع مائةٍ ، فبَطَل طَعامُها ، وتَعَطَّل مَطْبَخُها ، واسْتَمَرَّ الخُبْزُ ومبلغ سبعة دراهم لكلِّ واحِدٍ في الشهر بَدَل الطَّعام ، ثم صارَ لكلِّ واحِدٍ منهم في الشهر عشرة دَراهم . فلمَّا قَصُرَ مَدُّ النِّيل في سنة ستٍّ وتسعين وسبع مائةٍ بَطَل الخُبْزُ أيضًا ، وغُلِّق المَخْبَزُ من الخانْقاه ، وصارَ الصُّوفِيَّةُ يأْخُذون في كلِّ شهرٍ مَبْلغًا من الفُلُوس مُعامَلَة القاهِرَة ، وهم على ذلك إلى اليوم .

وقد أدْرَكْتُها ولا يمكِّن بَوَّابُها غير أَهْلِها من العُبُورِ إليها والصَّلاةِ فيها لما لها في النُّفُوس من المَهابَة ، ويَمْنَع النَّاسَ من دُخُولِها حتى الفُقَهاء والأجْناد ، وكان لا ينزل بها أَمْرَدُ ، وفيها جَماعَةٌ من أَهْلِ العِلْم والخَيْر . وقد ذَهَبَ ما هنالك ، فنَزَلَ بها اليوم عِدَّةٌ من الصِّغار ومن الأَسَاكِفَة وغيرهم من العَامَّة ، إلَّا أنَّ أَوْقافَها عامِرَة ، وأَرْزاقَها دارَّة بحَسَب نُقُودِ مصر .

[a]ومِمَّن وَلِيَ مَشْيَخَتَها في عَصْرِنا الشَّيْخُ ضياءُ الدِّين عبيد الله القرمي الشَّافِعي ، وقاضي القُضَاة ولي الدِّين بن خَلْدُون المغربي المالكي ، والشَّريف النَّسَّابَة وغيرهم[a] .

ومن حُسْنِ بناءِ هذه الخانْقاه [أنَّه] لم يُحْتَج فيها إلى مَرَمَّةٍ منذ بُنِيَت إلى وَقْتِنا هذا . وهي مبنيَّةٌ بالحَجَر ، وكلُّها عُقُودٌ مُحْكمة بَدَل السُّقُوف الخَشَب ، وقد سَمِعْتُ غَيْرَ واحِدٍ يقول : إنَّه لم تُبْنَ خانْقاه أَحْسَن من بِنائِها .

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدة .

= ٣ : ١٥٠- ١٥١؛ المقريزي : المقفى الكبير ٥ : ٧٢١) . وَصَلَ إلينا هذا المُصْحَفُ المعروف بـ«مُصْحَف بيْبَرْس الجاشْنَكير» ـ وهو أَقْدَمُ مُصْحَفٍ مملوكي وَصَلَ إلينا كاملاً ـ وهو محفوظٌ الآن في المكتبة البريطانية بلندن برقم Add. 22406-13، ودَرَسَه ديفيد جيمس في مقالٍ بعنوان James, D., «Some Observation on the Calligrapher and Illuminators of the Koran of Rukn al-Dîn Baybars al-Jashnagir», *Muqarans* II (1984), pp. 147-57؛ وراجع أيمن فؤاد : الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ٦٦- ٦٧؛ ٣١٣- ٣١٦.

بَيْبَرْس الجاشَنْكير

الملكُ المُظَفَّرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس الجاشَنْكيرالمَنْصُوري[1] ـ اشْتَراه الملكُ المَنْصُور قَلاوون صَغيرًا ، ورقَّاه في الخِدَم السُّلْطانية إلى أن جَعَلَه أَحَدَ الأُمَراءِ ، وأقامَهُ جاشَنْكيرًا ، وعُرِفَ بالشَّجاعَة . فلمَّا ماتَ الملكُ المَنْصُورُ ، خَدَمَ ابنه الملك الأَشْرَف خَليلًا إلى أن قَتَلَه الأمير بَيْدَرا بناحيةِ تَرُوجَة . فكان أوَّلَ من ركب على بَيْدَرا في طَلَب ثأرِ الملك الأَشْرَف ، وكان مُهابًا بين خُشْداشِيته ، فركبوا معه ، وكان من نُصْرَتهم على بَيْدَرا وقَتْلِه ما قد ذُكِرَ في مَوْضعه . فاشْتُهِرَ ذِكْرُه ، وصارَ أُسْتادَّارَ السُّلْطان في أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون في سَلْطَنتِه الثانية ، رَفيقًا للأمير سَلار نائِب السَّلْطَنة ، وبه قَوِيَت الطائِفَةُ البُرْجِيَّة من المماليك ، واشْتَدَّ بأْسُهم ، وصارَ الملكُ النَّاصِرُ تحت حَجْرِ بَيْبَرْس وسَلار إلى أن أَنِفَ من ذلك ، وصارَ إلى الكَرَك .

فأُقيمَ بَيْبَرْس في السَّلْطَنَة يوم السبت ثالِث عشرين شَوَّال سنة ثمانٍ وسبع مائةٍ ؛ فاسْتُضْعِفَ جانِبُه ، وانْحَطَّ قَدْرُه ، ونَقَصَت مَهابتُه ، وتَغَلَّب عليه الأُمَراءُ والمماليكُ ، واضْطَّرَبَت أُمُورُ المملكة لمكانِ الأمير سَلار ، وكَثْرَة حاشيته ، ومَيْلِ القُلُوب إلى الملك النَّاصِر .

وفي أيَّامِه عُمِلَ الجِسْرُ من قَلْيوب إلى مَدينَة دِمْياط ، وهو مَسيرَة يومين طُولًا في عَرْضِ أَرْبع قَصَبات من أعْلاه وستّ قَصَبات من أسفله ، حتى إنه كان يسير عليه ستَّةٌ من الفُرْسَان مَعًا بحِذاءِ بعضهم بَعْضًا [a]. وأَبْطَلَ سَائِرَ الخَمَّارات من السَّواحِل وغيرها من بِلاد الشَّام ، وسامَحَ بما كان من المُقرَّر عليها للسُّلْطان ، وعَوَّضَ الأَجْنادَ بَدَلَه ، وكُبِسَت أماكِنُ الرِّيَب والفَواحِش بالقاهِرَة ومصر ، وأُريقَتِ الخُمُورُ ، وضُرِبَ أُناسٌ كثيرٌ في ذلك بالمقارِع ، وتتبَّع أماكِنَ الفَسَاد ، وبالَغَ في إزالَته ، ولم يُراعِ في ذلك أَحَدًا من الكُتَّاب ولا من الأُمَراء . فخَفَّ المُنْكَرُ ، وخفيَ الفَسادُ . إلَّا أنَّ الله أرادَ

---

a) ساقطة من بولاق .

---

[1] راجع ترجمة المُظَفَّر بَيْبَرْس الجاشَنْكير ، عند الصفدي : أعيان العصر ٢:٧١- ٧٥، الوافي بالوفيات ١٠:٣٤٨- ٣٥٠؛ مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ١٣٧- ١٤٥؛ بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ٤٠٦- ٤١٧؛ النويري : نهاية الأرب ٣٢:١٣٩- ١٤٧؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٩:١٥٦- ١٨٩؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١:٢٨٧- ٢٩١، ٢:١٧- ١٨؛ المقريزي : السلوك ٢:٤٥- ٧١؛ المقفى الكبير ٢:٥٣٤- ٥٥٥؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢:٣٦- ٤٠؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٨:٢٣٢- ٢٧٧؛ المنهل الصافي ٣:٤٦٧- ٤٧٣؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١:٤٢٣- ٤٣١؛ Wiet, G., *EI*² art. *Baybars II* I, p. 1160.

زَوالَ دَوْلَتِه ، فسَوَّلَت له نَفْسُه أن يَبْعَثَ إلى الملك النَّاصِر بالكَرَك يَطْلُب منه ما خَرَجَ به معه من الخَيْلِ والمماليك ، وحَمَّلَ الرَّسولَ إليه بذلك مُشافَهَةً أَغْلَظَ عليه فيها . فحَنَقَ من ذلك ، وكاتَبَ نُوَّابَ الشَّام وأُمَرَاءَ مصر في السِّرّ يَشْكو ما حَلَّ به ، وتَرَفَّقَ بهم وتَلَطَّف بهم / فرَقُّوا له ، وامْتَعَضُوا لما به . ونَزَلَ النَّاصِرُ من الكَرَك ، وبَرَزَ عنها ، فاضْطَرَب الأَمْرُ بمصر ، واخْتَلَّ الحالُ من بَيْبَرْس ، وأَخَذ العَسْكَرُ يَسيرُ من مصر إلى النَّاصِر شيئًا بعد شيء ، وسارَ النَّاصِرُ من ظاهِر الكَرَك يُريدُ دِمَشْق في غُرَّة شَعْبان سنة تسع وسبع مائةٍ . فعندما نَزَلَ الكُسْوَة ، خَرَجَ الأُمَرَاءُ وعامَّةُ أَهْل دِمَشْق إلى لِقائِه ومعهم شِعارُ السَّلْطَنَة ، ودَخَلوا به إلى المَدينَة ـ وقد فَرِحُوا به فَرَحًا كثيرًا ـ في ثاني عشر شَعْبان ، ونَزَل بالقَلْعَة ، وكاتَب النُّوَّاب ، فقَدِموا عليه ، وصارَت ممالِكُ الشَّام كلُّها تحت طاعَتِه ، يُخْطَب له بها ، ويُجْبَى إليه مالُها .

ثم خَرَجَ من دِمَشْق بالعَساكِر يُريدُ مصر ، وأَمْرُ بَيْبَرْس كلَّ يومٍ في نَقْص ، إلى أن كان يوم الثلاثاء سادسَ عشرَ رَمَضان فتَرَك بَيْبَرْس المملكة ، ونَزَلَ من قَلْعَةِ الجَبَل ومعه خَواصُّه إلى جِهَة بابِ القَرافَة ، والعامَّةُ تَصيحُ عليه وتَسُبُّه ، وتَرْجُمُه بالحِجارَة ـ عَصَبِيَّةً للملك النَّاصِر ، وحُبًّا له ـ حتى سارَ عن القَرافَة . ودَعَا الحَرَسُ بالقَلْعَة في يوم الأربعاء للملك النَّاصِر ، فكانَت مُدَّةُ سَلْطَنَة بَيْبَرْس عشرة أشهر وأربعة وعشرين يومًا .

وقَدِمَ الملكُ النَّاصِرُ إلى قَلْعَةِ الجَبَل أَوَّلَ يومٍ من شَوَّال وجَلَسَ على تَخْتِ المملكة ، واسْتَوْلَى على السَّلْطَنَة مَرَّةً ثالثةً . ونَزَلَ بَيْبَرْس بإطْفيح ، ثم صَارَ منها إلى إخْميم ، فلمَّا صارَ بها تَفَرَّقَ عنه من كان معه من الأُمَرَاءِ والمماليك ، فصارُوا إلى الملك النَّاصِر ، فتَوَجَّه في نَفَرٍ يَسيرٍ على طَريقِ السويس يُريدُ بلادَ الشَّام ، فقُبِضَ عليه شَرْقي غَزَّة ، وحُمِلَ مُقَيَّدًا إلى الملك النَّاصِر . فوَصَل قَلْعَةَ الجَبَلِ يوم الأربعاء ثالِث عشر ذي القعدة ، وأُوقِفَ بين يدي السُّلْطان ، وقَبَّلَ الأرْضَ ، فعَنَّفَه ، وعَدَّدَ عليه ذُنُوبًا ووَبَّخَه ، ثم أَمَر به فسُجِنَ في مَوْضِعٍ إلى ليلة الجُمُعَة خامِس عشره ، وفيها لَحِقَ بربِّه تعالى ، فحُمِلَ إلى القَرافَة ودُفِنَ في تُرْبَةِ الفارِس أَقْطاي[1] ، ثم نُقِلَ منها بعد مُدَّةٍ إلى تُرْبَته بسَفْحِ المُقَطَّم فقُبِرَ بها زَمانًا طَويلًا ، ثم نُقِلَ منها ثالِثَ مَرَّة إلى خانْقاهِه ودُفِنَ بقُبَّتِها ، وقَبْرُه هناك إلى يومنا هذا . وأَدْرَكْتُ بالخانْقاه المذكورة شَيْخًا من صُوفِيَّتِها أَخْبَرَني أنَّه حَضَرَ نَقْلَه من تُرْبَتِه بالقَرافَةِ إلى قُبَّةِ الخانْقاه ، وأنَّه تَوَلَّى وَضْعَه في مَدْفَنِه بنفسه .

[1] ما تزالُ بقايا تُرْبَةِ الفارس أقْطاي مَوْجُودَةً في الجهة الجنوبية لقَلْعَة الجَبَل على طريق صلاح سالم على يمين المُتَّجه إلى كوبري السيدة عائشة ، ومسجلة بالآثار برقم ٢٧٧. (راجع ، عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١: ١٠٧٠-١٠٧٨) .

وكان ـ رحمه الله ـ خَيِّرًا عَفيفًا، كثيرَ الحَيَاء، وافِرَ الحُرْمَة، جَليلَ القَدْر، عَظيمًا في النُّفُوس، مُهابَ السَّطْوة في أيّام إمْرَتِه، فلما تَلقَّب بالسَّلْطَنَةِ ووُسِم باسم المُلْك، اتَّضع قَدْرُه، واستُضْعِفَ جانِبُه، وطُمِعَ فيه، وتَغَلَّبَ عليه الأُمَرَاءُ والمماليك، ولم تَنْجَح مَقاصِدُه، ولا سَعِدَ في شيءٍ من تَدْبيره إلى أن انْقَضَت أيّامُه، وأناخَ به حِمامُه، غَفَرَ الله ذُنوبَه [a].

الخانْقَاهُ الجَمالِيَّة

[أثر رقم ٢٦]

هذه الخانْقاهُ بالقُرْبِ من دَرْبِ راشِد يُسْلَك إليها من رَحْبَةِ بابِ العيد، بَنَاها الأَميرُ الوَزيرُ [b]عَلاءُ الدين[b] مُغُلْطاي الجَمالي في سنة ثلاثين[c] وسبع مائةٍ. وقد تقدَّم ذكرُها عند ذِكْرِ المَدارِس من هذا الكِتاب [1].

الخانْقاهُ الظَّاهِرِيَّةُ المُسْتَجَدَّة

[أثر رقم ١٨٧]

هذه الخانْقاهُ بخُطِّ بَيْن القَصْرَيْن، فيما بين المَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّة ودارِ الحَديث الكامِلِيَّة، أنشأها المَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق في سنة ستٍّ وثمانين وسبع مائةٍ. وقد ذُكِرَت عند ذِكْر الجَوامِع من هذا الكِتاب [2].

[d]وأنَّ السُّلْطان الملك الظَّاهِر سَيْف الدِّين بَرْقُوق جَعَلَها جَامِعًا ومَدْرَسَةً وخانْقاه، ورَتَّبَ بها صوفية وأَقَرَّ لهم بها الرَّواتِب الواسعة من الخُبْزِ والطَّعام والحلوى والزَّيْت والصَّابون والكُسْوَة والمعلوم من الدَّراهم في كُلِّ شهر خارجًا عن ذلك، فصارَت تُضاهي خانْقاه الأمير شَيْخُو، رحمه الله [d].

---

a) بولاق: رحمه الله. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة. c) بولاق: ثمانين. d-d) إضافة من المُسَوَّدَة.

---

[1] فيما تقدم ٥٧٥- ٥٧٦.

[2] ذُكِرَت فيما تقدم ٦٨٤ عند ذِكْر المدارِس لا الجَوامِع؛ وانظر كذلك عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر ٢: ٤٨٣- ٥٢٦.

الخانْقاهُ الشَّرابِشِيَّة

هذه الخانْقاهُ فيما بين الجَامِع الأَقْمَر وحارَة بَرْجَوان ، في آخِر المَنْحَر الذي كان للخُلَفَاء [1] ، وهو يُعْرَفُ اليوم بالدَّرْبِ الأَصْفَر [2] ، ويُتَوَصَّلُ منها إلى الدَّرْبِ الأَصْفَر تِجاه خانْقاه بَيْبَرْس ، وبابُها الأَصْلي من زُقاقٍ ضَيِّقٍ بوَسَط سُوقِ حارَة بَرْجَوان[a] [3]. أنشأها الصَّدْرُ الأَجَلُّ نُورُ الدِّين عليُّ ابن محمد بن مَحاسِن الشَّرابِشي ، وكان من ذَوي الغِنَى واليَسار ، صاحِبَ ثَراءٍ مُتَّسِع ، وله عِدَّةُ أَوْقافٍ على جِهاتِ البِرّ والقُرُبات ، وماتَ في [b].

الخانْقاهُ المُهْمَنْدارِيَّة

[أثر رقم ١١٥]

هذه الخانْقاه خارج بابِ زَوِيلَة فيما بين رأسِ[c] اليانِسِيَّة وجَامِع المارِديني [d]. بَناها الأميرُ شِهابُ الدِّين أحمد بن آقوش العَزيزي ، المُهْمَنْدار ونَقيب الجُيُوش ، في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائةٍ . وقد ذُكِرَت في المَدارِس من هذا الكِتاب [4].

---

a) العبارة في المُسَوَّدَة : «وهذه الخانقاه داخلة في الزُّقاق الضَّيِّق المظلم الذي على يَمْنَة مَنْ خَرَجَ من سوق المحايريين طالبًا إلى حارة بَرْجَوان . b) بياض في النسخ . c) بولاق : رأس حارة . d) العبارة في المُسَوَّدَة : عند مُصَلَّى الأموات خارج باب زَوِيلَة والدَّرْب الأحمر .

---

[1] أَطْلَقَ عليها المقريزي (فيما تقدم ٢ : ٢٤٩ : ٢٠) المَدْرَسة الشَّرابِشِيَّة .

[2] فيما تقدم ٣ : ١٣٥ .

[3] رَجَّحَ علي باشا مبارك أنَّ هذه الخانقاه حَلَّ محلَّها والأرض المجاورة لها ابتداءً من منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي ، المنزل المعروف الآن بـ «مَنْزِل (بَيْت) السُّحيمي» (مسجل بالآثار برقم ٣٣٩) ، وهو عبارة عن منزلين أُدْمِجا معًا : الأول بناه الشَّيْخ عبد الوهّاب الطَّبْلاوي ، والثاني بناه الحاج إسماعيل بن إسماعيل شلبي . وعُرِفَ المَنْزِل بعد ذلك بـ «مَنْزِل السُّحيمي» نسبةً إلى الشَّيْخ محمد أمين السُّحيمي ، شَيْخ رِواق الأَتْراك بالجامع الأَزْهَر ، الذي كان آخِر مالِكٍ له . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٢١٥ (٧٢) ، ٦ : ١٤٤-١٤٥ (٥٠) ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٤ : ٨٣٣-٨٧٠) .

[4] فيما تقدم ٦١٢ .

خانقاه بشتاك

/هذه الخانْقاهُ خارِج القاهِرَة على جَانِب الخَليج من البَرّ الشَّرْقي [١]، تِجاه جَامِع بَشْتَاك [a]مُطِلَّة ٢
على الخَليجِ الكبير[a] [٢]. أنشأها الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَشْتَاك النَّاصِري [٣]، وكان فَتْحُها أوَّلَ يومٍ من ذي الحِجَّة سنة ستٍّ وثلاثين وسبع مائةٍ، واسْتَقرَّ في مَشْيَخَتِها شِهابُ الدِّين [b] القُدْسي، وتَقَرَّرَ عنده عِدَّةٌ من الصُّوفيَّة، وأجْرَى لهم الخُبْزَ والطَّعامَ في كلِّ يوم. فاسْتَمَرَّ ذلك مُدَّةً ثم بَطَلَ، وصارَ يُصْرَف لأرْبابِها عِوَضًا عن ذلك في كلِّ شهرٍ مَبْلَغ، وهي عامِرَة إلى وَقْتِنا هذا. وقد نُسِبَ إليها جَماعَةٌ منهم الشَّيْخُ الأديبُ البارِعُ بَدْرُ الدِّين محمد بن إبراهيم، المعروف بالبَدْرِ البَشْتَكي.

خانقاه ابن غراب

[أثر رقم ٣١٢]

هذه الخانْقاهُ خارِج القاهِرَة على الخَليجِ الكبير من بَرّه الشَّرْقي، بجوار جَامِع بَشْتاك من غَرْبيه [٤]. أَنْشأها القاضي الأميرُ سَعْدُ الدِّين إبراهيم بن عبد الرَّزَّاق بن غُراب الإسْكَنْدراني

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) بياض بآياصوفيا وميونخ.

---

[١] حَلَّ محلَّ هذه الخانْقاه في النِّصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، سَبيلٌ وكُتَّابٌ أنشأته الأميرة أُلْفَت هانم قادِن والدة الأمير مصطفى فاضل باشا أخي الخديو إسماعيل باشا سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م. وما تزال بقايا هذا السَّبيل قائمةً إلى الشمال من خانقاه ابن غُراب مطلَّةً على شارع دَرْب الجماميز. (مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٢٢٨؛ المقريزي: السلوك ٢: ٤٠٣، ٤٢٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٨؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦:٨٧ (٣١)، ١٤١ (٤٩)).

[٢] انظر عن الجامع، فيما تقدم ٢٣٦- ٢٣٨.

[٣] انظر ترجمة الأمير بَشْتاك النَّاصري، فيما تقدم ٣: ٩٩- ١٠١.

[٤] خانقاه ابن غُراب. ما تزالُ بقايا هذه الخانْقاه (إيوانٌ واحد) قائمةً عند تقاطع شارع بورسعيد وشارع مصطفى فاضل جنوب المَدْرَسَة الخديوية وفي مواجهة جامع بَشْتاك. وعندما أُعيد بناء المنزل الملاصق لهذه الخانْقاه في سنة ١٩٠٧ على خطِّ التنظيم الجديد الرّاجع إلى الوراء، صارت الزّاوية القبلية من الخانْقاه بلا ساندٍ، قرّرت لجنةُ حِفْظ الآثار العربية فَكَّ البناء كلّه وأعادَت بناءَه على خط التنظيم الجديد مع إظهار ما خفي من الأشغال المحجوبة بارتفاع أرضية الشارع وإزالة النصف العلوي من الواجهة. وقد أُتِمَّت هذا التعديل في سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م، ويَدُلُّ على ذلك كتابةٌ تاريخية نَصُّها: =

ناظِرُ الخاصّ وناظِرُ الجُيُوش وأُسْتادّارُ السُّلْطان وكاتِبُ السِّرّ وأَحَدُ أُمَرَاء الأُلُوف الأكابِرِ [1].

أَسْلَمَ جَدُّه غُراب، وباشَرَ بالإسْكَنْدَرية حتى وَلِيَ نَظَرَ الثَّغْر، ونَشَأَ ابنُه عبد الرَّزّاق هناك، فوَلِيَ أيضًا نَظَرَ الإسْكَنْدَرية، ووُلِدَ له ماجِدُ وإبراهيم. فلمَّا تَحَكَّمَ الأميرُ جَمالُ الدِّين محمود بن عليّ في الأَمْوالِ أيّام الملك الظَّاهِر بَرْقُوق، اخْتَصَّ بإبراهيم، وحَمَلَه إلى القاهِرَة وهو صَبِي، واعْتَنَى به، واسْتَكْتَبَه في خاصّ أَمْوالِه حتى عَرَفَها. فتَنَكَّرَ محمودٌ عليه لأَمْرٍ بَدا منه في مَالِه، وهَمَّ به، فبادَرَ إلى الأمير عَلاءِ الدِّين عليّ بن الطَّبْلاوي، وتَرامَى عليه ـ وهو يومئذٍ قد نافَسَ محمودًا ـ فأَوْصَلَه بالسُّلْطان، وأمكنه من سَمَاعِ كلامِه، فمَلأَ أُذُنَه بذِكْرِ أَمْوالِ محمود، ووَغَرَ صَدْرَه عليه حتى نَكَبَه، واسْتَصْفَى أَمْوالَه كما ذُكِرَ في خَبَرِه عند ذِكْرِ مَدْرَسَةِ مَحْمُود من هذا الكِتاب [2].

= «هذه الخانْقاه المباركة من إنْشاء الأمير سَعْد الدِّين إبراهيم بن عبد الرزّاق بن غُراب الإسكندراني ناظِر الجُيُوش المنصورة والخواصّ الشَّريفة وكاتِب السِّرّ على أيّام السُّلْطان الظَّاهِر بَرْقُوق وولده، أنشأها بعد سنة ثمان مائة من الهجرة. وكانت وجهتها خارجة في الطَّريق ومن دوم أسفلها، فهَدَمتها لجنةُ حِفْظ الآثار العربية وأعادَت بناءَها على سَمْته في عَصْر خديو مصر الأعظم ومليكها الأفْخَم الحاج عبّاس حلمي الثاني أدامَ الله أيّامَه، وذلك في سنة ١٣٢٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السَّلام وأذكى التحية». (Lamei Mostafa, S., *Madrasa, Hanqâh und Mausoleum des Barqûq in Kairo*, p. 104).

ويوجد على عِضَادَة المَدْخَل الأصلي للخانقاه كتابةٌ تاريخية تَنْقُص من أوَّلها وآخرها، نَصُّها:

«[.....] الله وأحْوَجهم إلى عَفْوه إبراهيم بن غُراب أستاذدار العالية وناظِر الجُيُوش المَنْصُورة والخواصّ الشَّريفة وما مع ذلك، تَقَبَّلَ الله منه ولَطَفَ به في الدَّارَيْن بمحمدٍ وآلـه سنة [....]». (van Berchem, M., *CIA*, Égypte I, n°451).

وراجع أيضًا علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦:٨٥-٨٦ (٢١)، ١٣٩ (٤٩)؛ عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر ٢:٥٢٧-٥٣٧، أطلس العمارة الإسلامية ٣: ١٩٥-٢١٠.

[1] سَعْدُ الدِّين إبراهيم بن عبد الرزّاق بن غُراب، أَصْلُه من أوْلاد الكَتَبَة الأَقْباط بالإسكندرية، راجع ترجمته كذلك عند المقريزي: درر العقود الفريدة ١:٩٢-١٠٠، السلوك ٤: ٢٤؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٣٢٨؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٣: ١٥٦، المنهل الصافي ١:١٠٤-١١٢؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٢٢١؛ السخاوي: الضوء اللامع ١:٦٥-٦٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٧٥٥.

[2] فيما تقدم ٥٩٧.



مُخَطَّط خانقاه ابن غُراب (عن صالح لمعي)

ووَلِيَ ابنُ غُراب نَظَرَ الدِّيوان المُفْرَد في حادي عشر صَفَر سنة ثمانٍ وتسعين وسبع مائةٍ وعمره عشرون سنة أو نحوها ـ وهي أوَّلُ وَظيفَةٍ وَلِيهَا ـ فاخْتَصَّ بابن الطَّبْلاوي ولازَمَه ومَلأ عينَه بكَثْرَة المال. فتَحَدَّث له في وَظيفَةِ نَظَرِ الخَاصّ، عِوَضًا عن سَعْدِ الدِّين أبي الفَرَج بن تاج الدِّين مُوسَىٰ، فوَلِيَها في تاسع عشر ذي القعدة، وغُصَّ بمكانِ ابن الطَّبْلاوي، فعَمِلَ عليه عند السُّلْطان حتى غَيَّرَه عليه، ووَلَّاهُ أَمْرَه، فقُبِضَ عليه في دَارِه وعلى سائِر أسْبابِه في شَعْبان في سنة ثمان مائةٍ.

ثم أُضيفَ إليه نَظَرُ الجُيُوش، عِوضًا عن شَرَفِ الدِّين محمد الدَّماميني في تاسِع ذي القعدة سنة ثمان مائةٍ، فعَفَّ عن تَناوُل الرُّسُوم وأَظْهَر من الفَخْرِ والحِشْمَةِ والمكارِم أمْرًا كبيرًا. وقَدَّرَ الله مَوْتَ السُّلْطان في شَوَّال سنة إحدى وثمان مائةٍ، بعدما جَعَله من جملة أَوْصيائه، فباطَن الأمير يَشْبَك الخازِنْدار على إزالَة الأمير الكَبير أَيْتَمُش القائِم بدَوْلَة النَّاصِر فَرَج بن بَرْقوق، وعَمِلَ لذلك أعْمالًا، حتى كانت الحَرْبُ ـ بعد مَوْتِ السُّلْطان الملك الظَّاهِر ـ بين الأمير أَيْتَمُش وبين الأمير يَشْبَك، في رَبيعِ الأَوَّل سنة اثنتين وثمان مائةٍ، التي انْهَزَمَ فيها أَيْتَمُش وعِدَّةٌ من الأُمَرَاءِ إلى الشَّام.

وتَحكُّم الأميرُ يَشْبَك ، فاسْتَدْعَى عند ذلك ابنُ غُراب أخاه فَخْر الدِّين ماجِدًا من الإسْكَنْدَرية ، وهو يلي نَظَرَها ، إلى قَلْعَةِ الجَبَل ، وفُوِّضَت إليه وَزارَةُ الملك النَّاصِر فَرَج بن بَرْقوق ، فقاما بسَائِر أمُورِ الدَّوْلَة إلى أن وَلِيَ الأمير يَلْبُغا السَّالِمي الأُسْتادّارية ، فسَلَكَ معه عادَتَه من المُنافَسَة ، وسَعَى به عند الأمير يَشْبَك حتى قَبَضَ عليه ، وتَقَلَّد وَظيفَة الأُسْتادّارية عِوَضًا عن السَّالمي ، في رابع عشر رَجَب سنة ثلاثٍ وثمان مائةٍ ، مُضافًا إلى نَظَر الخاصّ ونَظَرِ الجُيوش . فلم يُغَيِّر زِيّ الكُتَّاب ، وصارَ له دِيوانٌ كدواوين الأُمَرَاء ، ودُقَّتِ الطُّبُولُ على بابِه ، وخَاطَبَه النَّاسُ وكاتَبُوه بالأمير ، وسارَ في ذلك سِيرَةً ملوكية من كثرةِ العَطَاء ، وزِيادَةِ الأَسْمِطَة ، والاتِّساع في الأُمُور ، والازْدِيادِ من المماليك والخُيُول ، والاسْتِكْثارِ من الخَوَلِ والحَواشي حتى لم يكُن أحَدٌ يُضاهيه في شيءٍ من أحْوالِه . إلى أن تَنازَع الأميران جَكَم وسُودون طاز مع الأمير يَشْبك ، فكان هو المُتَوَلِّي كِبْر تلك الحُرُوب .

ثم إنَّه خَرَجَ من القاهِرَة مُغاضِبًا لأُمَرَاءِ الدَّوْلَة ، وصارَ إلى ناحيةِ تَرُوجَة يُرِيدُ جَمْعَ العُرْبانِ ومحارَبَة الدَّوْلَة ، فلم يَتمّ له ذلك وعادَ ، فدَخَلَ القاهِرَة على حين غَفْلَةٍ ، فنَزَلَ عند جَمالِ الدِّين يُوسُف الأُسْتادّار ، فقامَ بإصْلاحِ أَمْرِه مع الأُمَرَاءِ حتى حَصَلَ له الغَرَضُ ، فظَهَر واسْتَوْلَى على ما كان عليه ، إلى أن تَنَكَّرَت رجالُ الدَّوْلَة على الملك النَّاصِر فَرَج ، فقام مع الأمير يَشْبَك بحَرْبِ السُّلْطان إلى أن انْهَزَمَ الأميرُ يَشْبَك بأصحابِه إلى الشَّام ، فخَرَجَ معه في سنة تسعٍ وثمان مائة ؛ وأمَدَّه ومن معه بالأمْوالِ العَظيمَة حتى صاروا عند الأمير شَيْخ نائِب الشَّام ، واسْتَنْفَرَ العَساكِرَ لِقِتالِ الملك النَّاصِر ، وحَرَّضَهُم على المسير إلى حَرْبه وخَرَج من دِمَشْق مع العَساكِر يُرِيدُ القاهِرَة ؛ فكان من وَقْعَةِ السَّعيدية ما كان ، على ما هو مذكورٌ في خَبَرِ الملك النَّاصِر ، عند ذِكْرِ «الخانْقاه النَّاصِريَّة» من هذا الكتابِ [1] . فاخْتَفَى الأميرُ يَشْبَك وطائِفَةٌ مِن الأُمَرَاء بالقاهِرَة ، ولَحِقَ ابنُ غُراب

---

[1] لم يرد في المُسَوَّدَة أو المُبَيَّضَة ذِكْرٌ لـ «خانْقاه النَّاصِريَّة» ، ولا ترجمةٌ للسُّلْطان الملك النَّاصِر فَرَج بن بَرْقُوق ، الأمْرُ الذي يَدُلُّ مَرَّةً أخرى على أنَّ ما وَصَل إلينا من كِتابِ «الخِطَط» به نَقْصٌ يَتَعَلَّق على الأخَصّ بفَتْرَةِ سَلْطَنَةِ الظَّاهِر بَرْقُوق وابنه النَّاصِر فَرَج . (راجع مُناقَشَة ذلك في المُقَدِّمَة) . كما أنَّ تَرْجَمَة النَّاصِر فَرَج في كِتابِ «دُرَر العُقُود الفَرِيدَة» للمقريزي ٣:١٧-١٨ ، جاءَت في غاية الاخْتِصار ، على عكس اللُّغَة النَّاقِدَة التي استخدمها المقريزي في ترجمته للنَّاصر فَرَج في السلوك ٤:٢٢٥-٢٢٨ ، والتي اعتمد عليها أبو المحاسن بن تَغْري بِرْدي في النجوم الزاهرة ١٣:١٥١-١٥٣ .

وما تزالُ «الخانْقاه النَّاصِرية» قائمةً في قَرافَة المماليك شَرْق طريق صلاح سالم ، ومسجلة بالآثار برقم ١٤٩ . وتُعَدُّ أكبر بناء أثري باقٍ في قَرافاتِ مصر حيث تَشْغَل مِساحَةً قدرها ٧٥٠٠ مترًا مربعًا ، وضَمَّت رُفات صَفْوَةٍ من عُلماء مصر والصَّالحين . وقد شَيَّدَها النَّاصِرُ فَرَج بناء على =

بالأمير إينال باي بن قِجْماس ـ وهو يومئذٍ كبيرُ الأُمَرَاء / النَّاصِرِيَّة ـ ومَلأ عينه بالمال. فتَوَسَّط له مع الملكِ النَّاصِر حتى أَمَّنَه، وأصْبَحَ في دَارِه وجَميعُ النَّاسِ على بابِه.

ثم تَقَلَّدَ وَظيفَةَ نَظَر الجُيُوش، واخْتَصَّ بالسُّلْطان، وما زالَ به حتى اسْتَرْضَاه على الأمير يَشْبَك ومَنْ معه من الأُمَرَاء، وظَهَرُوا من الاسْتِتار، وصارُوا بقَلْعَةِ الجَبَل، فخَلَعَ عليهم السُّلْطانُ وأمَّرَهم، وصارُوا إلى دُورِهِم. فثَقُل على ابن غُراب مكان فَتْح الدِّين فَتْح الله كاتِب السِّرّ، فسَعى به حتى قُبِضَ عليه ووَلِيَ مكانَه كِتابة السِّرّ ليتمكَّن من أغْراضِه.

فلمَّا استقرَّ في كِتابَةِ السِّرِّ أخذَ في نَقْضِ دَوْلَةِ النَّاصِر، إلى أن تَمَّ له مُرادُه فصارَت الدَّوْلَةُ كلُّها على النَّاصِر، فخَلا به، وخَيَّلَهُ وحَسَّنَ له الفِرار فانْقَادَ له، وتَرامَى عليه، فأعَدَّ له رجلين أحَدُهما من مَماليكه ومعهما فَرَسان، ووَقَفا بهما وَراءَ القَلْعَة. وخَرَج النَّاصِرُ وَقْتَ القائلة ومعه مَمْلوكٌ من مَماليكه يُقالُ له بَيْغوت ورَكِبا الفَرَسَيْن، وسارا إلى ناحية طُرَا، ثم عادا مع قاصِدي ابن غُراب في مَرْكَبٍ من المراكِب النِّيلية ليلاً إلى دارِ ابن غُراب، ونَزَلا عنده، وقد خَفِيَ ذلك على جَميعِ أهْلِ الدَّوْلَة.

= وَصِيَّة والده الذي أوْصى بأن تُعَمَّر له تُرْبَةٌ بالصَّحْراء خارج بابِ النَّصْر تجاه تُرْبة الأمير يُونُس الدَّوادار وأن يُدْفَن في لَحْدٍ تحت أرجل الفُقَراء المدفونين بها. (المقريزي: السلوك ٣:٩٣٦-٩٣٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢:١٠٣-١٠٤).

ويتكوَّن البناءُ الذي شَيَّده النَّاصر فرج من جامعٍ فسيح، وقُبَّتان إحْداهما للظَّاهر بَرْقُوق وأوْلاده ومن دُفِن من العُلَماء والصَّالحين، والثانية لأفرادِ أسرته من السَّيِّدات، وخانْقاه للصُّوفية. وأُقيمت الخانقاه ومُلْحقاتها على أرضٍ تكاد تكون مربعة فأصبحت لها أرْبَع وَجْهات، الجنوبية منها تسودها البساطة، وأفْخَمها واجهتُها الغربية وهي الواجهة الرئيسة التي يَتَوَسَّطها منارتان رشيقتان ويَفْتَح فيها المَدْخَلُ الرَّئيس للخانْقاه الذي حُلِّيَ بمُقَرْنَصات دقيقة وكُتِب على جانبيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أَمَرَ بإنشاء هذه الخانْقاه الشَّريفَة السُّلطان الأعظم مالِك رِقابِنا سَيِّد مُلوك العَرَب والعَجَم، مَوْلانا السُّلْطان الملك النَّاصِر ناصِر الدُّنْيا والدِّين أبو السَّعادات فَرَج بن بَرْقُوق، أدامَ الله أيَّامَه».

ويُجاور الخانْقاه سَبيلٌ يَعْلوه كُتَّابٌ، وبواجهته القِبْلية حَوْضٌ لشُرْبِ الدَّواب.

راجع، المقريزي: السلوك ٣:٩٣٦-٩٣٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢:١٠٣-١٠٤؛ حسن عبد الوهاب: «خانقاه فرج بن برقوق وما حولها» في كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية، القاهرة ١٩٦١، ٢٨٣-٣٠٥؛ Lamei Mostafa, S., *Kloster und Mausoleum des Farag ibn Barqûq in Kairo*, Glückstadt 1968؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٤:٥٩-٦٨؛ عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر ٢:٥٣٨-٥٧٩، أطلس العمارة الإسلامية ٣:١٣١-١٦٠.

وعن الكتابات التاريخية بالخانقاه انظر van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n[os]205-24; Lamei Mostafa, S., *op.cit.*, pp. 130-40, n[os]556-93.

وقامَ ابنُ غُراب بتَوْلِيَة عبد العَزيز بن بَرْقُوق، وأَجْلَسه على تَخْت المُلْك عَشَاءً، ولقَّبه بـ «الملك المَنْصُور»، ودَبَّرَ الدَّوْلَة كما أَحَبَّ مُدَّةَ سبعين يَوْمًا، إلى أن أَحَسَّ من الأُمَرَاءِ بتَغَيُّرٍ، فأَخْرَجَ النَّاصِرَ ليلًا، وجَمَعَ عليه عِدَّةً من الأُمَرَاءِ والمماليك، ورَكِبَ معه بلأمَة الحَرْبِ إلى القَلْعَةِ. فلم يَلْبث أَصْحابُ المَنْصُور وانْهَزَمُوا، ودَخَلَ النَّاصِرُ إلى القَلْعَة واسْتَوْلَى على المملكة ثانيًا، فأَلْقَى مَقاليدَ الدَّوْلَة إلى ابن غُراب وفَوَّضَ إليه ما وَرَاءَ سريره، ونَظَمه في خاصَّتِه وجَعَلَه من أكابِرِ الأُمَرَاءِ، وناطَ به جَميعَ الأُمور[1].

فأَصْبَحَ مَوْلَى نِعْمَةِ كلٍّ من السُّلْطان والأُمَرَاء، يَمُنّ عليهم بأنَّه أَبْقَى لهم مُهَجهم، وأعادَ إليهم سَائِرَ ما كانوا قد سُلِبُوه من مُلْكِهم، وأَمَدَّهُم بمالِه وَقْت حاجَتهم وفاقَتهم إليه، ويَفْخَر ويَتَكثَّر بأنَّه أقامَ دَوْلَةً وأزالَ دَوْلَةً، ثم أزالَ ما أقامَ وأقامَ ما أزالَ، من غير حَاجَةٍ ولا ضَرورَةٍ أَلجأته إلى شيءٍ من ذلك، وأنَّه لو شَاءَ أَخَذَ المُلْكَ لنفسه.

وتَرَكَ كِتابَة السِّرّ لغُلامِه وأَحَدِ كُتَّابِه فَخْر الدِّين بن المُزَوِّق، ترفُّعًا عنها واحْتِقارًا لها، ولبس هَيْئَة الأُمَرَاء ـ وهي الكَلَّوْتَة والقِباء ـ وشَدّ السَّيْفَ في وَسَطِه، وتَحَوَّل من دارِه التي على بِرْكَةِ الفيل إلى دارِ بعضِ الأُمَرَاء بحَدْرَة البَقَر. فغاضَبه القُضَاةُ، وكان عند الانتهاء الانْحِطاط.

ونَزَلَ به مَرَضُ المَوْتِ، فنالَ في مَرَضِه من السَّعادَةِ ما لم يُسْمَع بمثله لأحَدٍ من أبناءِ جِنْسه، وصارَ الأمير يَشْبَك ومَنْ دونه من الأُمَرَاءِ يتردَّدون إليه، وأَكْثَرُهم إذا دَخَلَ عليه وَقَفَ قائِمًا على قَدَمَيْه حتى يَنْصَرِف، إلى أن ماتَ يوم الخميس تاسِع عشر شهر رَمَضَان سنة ثمانٍ وثمانِ مائةٍ، ولم يَبْلُغ ثلاثين سنة.

وكانت جَنازَتُه أحَدَ الأُمورِ العَجيبةِ بمصر، لكَثْرَة من شَهِدَها من الأُمَرَاءِ والأَعْيَانِ وسَائِر أَرْبابِ الوَظائِف، بحيث اسْتَأْجَر النَّاسُ السَّقائِفَ والحَوانيتَ لمُشاهَدَتها، ونَزَلَ السُّلْطانُ للصَّلاةِ عليه وصَعِدَ إلى القَلْعَة، فدُفِنَ خارِجَ بابِ المَحْرُوق[2].

وكان من أَحْسَنِ النَّاسِ شَكْلًا، وأَحلاهُم مَنْظَرًا، وأَكْرَمِهُم يَدًا، مع تَدَيُّنٍ وتَعَفُّفٍ عن القاذُورات، وبَسْطِ يَدٍ بالصَّدَقات، إلَّا أنَّه كان غدَّارًا، لا يَتَوانَى عن طَلَبِ عَدُوِّه، ولا يَرْضى

---

[1] فيما تقدم ٣: ٧٨٢.

[2] لا يُعْرَف على وَجْهِ التَّدْقيق الموضع الذي دُفِنَ فيه القاضي سَعْد الدِّين بن غُراب خارج باب المحروق؛ ولكن تُوجَد بقرافَة المماليك بجوار تُرْبة مَنْكَلي بُغَا الفَخْري ومَدْرسة قايتباي ومقْعده قُبَّة تُنْسب خطأً إلى القاضي سَعْد الدِّين ابن غُراب أنشئت في أغلب الظَّنّ سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م ولم يُعْرف منشؤها. (عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ١٨٥-١٩٤).

من نَكْبَته بدونِ إتْلافِ النَّفْس. فكم ناطَحَ كَبْشًا، وثَلَّ عَرْشًا، وعالَجَ جِبالًا شامِخَة، واقْتَلَع دُوَلًا من أصُولِها الرَّاسِخَة.

وهو أحَدُ من قامَ بتَخْرِيب إقْليم مصر، فإنَّه ما زالَ يَرْفَعُ سِعْرَ الذَّهَب حتى بَلَغَ كلُّ دينارٍ إلى مائتي دِرْهَم وخمسين دِرْهَمًا من الفُلُوس، بعدما كان بنحو خمسة وعشرين دِرْهَمًا، ففَسَدَت بذلك مُعامَلَة الإقْليم، وقَلَّت أمْوالُه، وغَلَت أسْعارُ المبيعات، وساءَت أحْوالُ النَّاسِ؛ إلى أن زَالَت البَهْجَة، وانْطَوَى بِساطُ الرَّفَّة، وكادَ الإقليمُ يُدَمَّر ـ كما ذُكِرَ ذلك عند ذِكْرِ الأسْبابِ التي نَشَأ عنها خَرابُ مصر من هذا الكِتاب[١] ـ عَفَا الله عنه وسامَحَه، فلقد قامَ بمُواراةِ آلافٍ من النَّاس الذين هَلَكوا في زَمانِ المِحْنَة سنة ستٍّ وسنة سبعٍ وثمان مائةٍ وتَكْفينهم، فلم يَنْسَ الله له ذلك، وسَتَرَه كما سَتَرَ المسلمين: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [الآية ٦٤ سورة مريم].

الخَانْقَاهُ البُنْدُقْدارِيَّة

[أثر رقم ١٤٦]

هذه الخانْقاهُ بالقُرْبِ من الصَّلِيبَة، كان مَوْضِعُها يُعْرَف قَديمًا بدُوَيْرَة مَسْعُود، وهي الآن تجاه المَدْرَسَة الفارْقانية وحَمَّام الفارْقاني[٢]. أنْشأها الأميرُ عَلاءُ الدِّين أيْدَكين البُنْدُقْدار[a] الصَّالِحي النَّجْمي، وجَعَلَها مَسْجِدًا لله تعالى وخانْقاه، [b]على ما شاهَدْتُه في كتابِ وَقْفِها[b]، ورَتَّبَ فيها

---

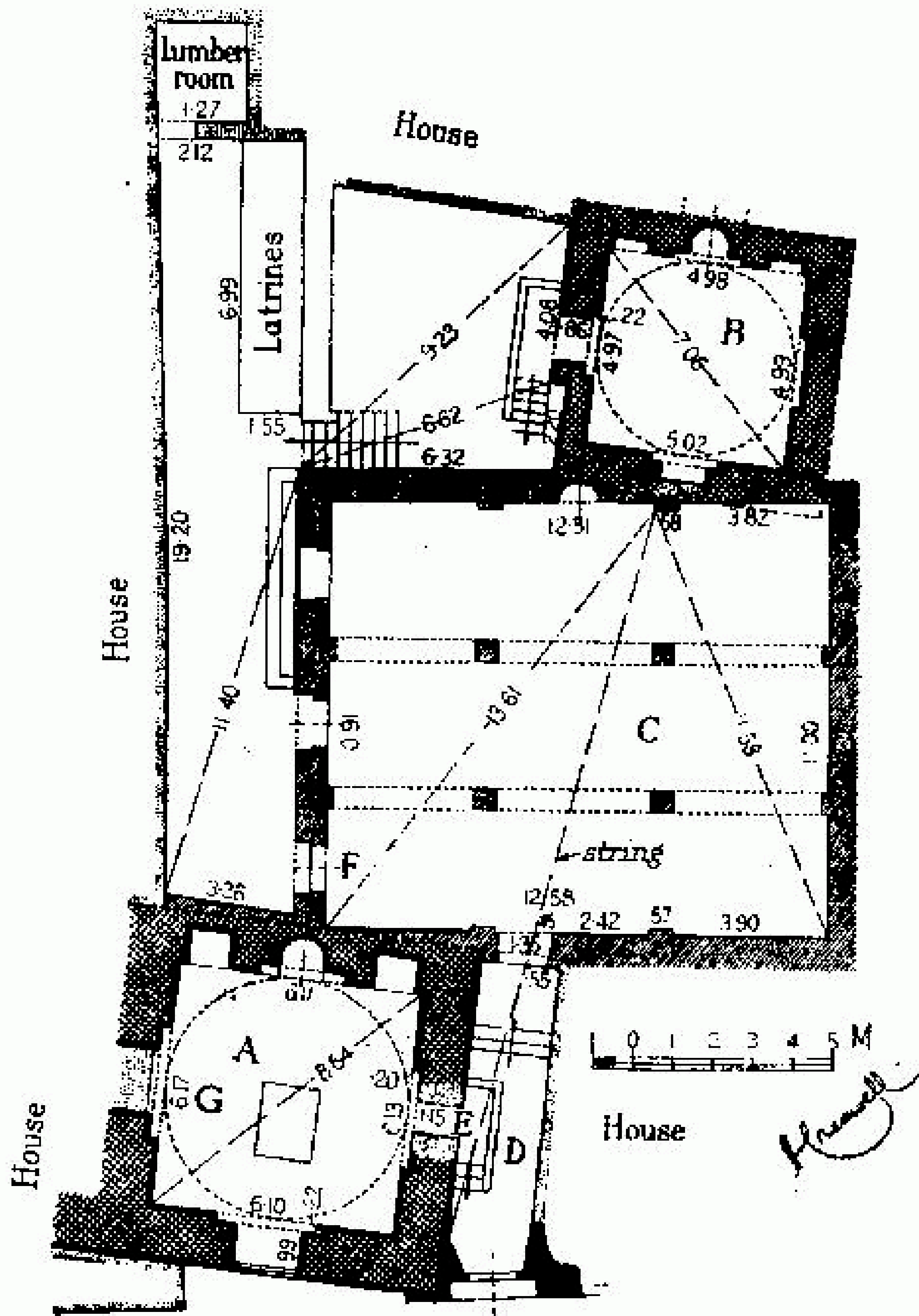
a) بولاق: البندقداري. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة.

---

[١] راجع مناقشة كتابة المقريزي للفَصْلِ المُتَعَلِّق بالأسبابِ التي نَشَأ عنها خراب مصر في المُقَدِّمة.

[٢] ما تزالُ هذه الخانْقاه موجودَةً إلى الآن، وتُعْرَف بـ «زاوية الأبار» بشارع السُّيُوفِيَّة بجوار قَصْر الأمير طاز (فيما تقدم ٣: ٢٤٠-٢٤٢). وقد جَدَّدَها ديوانُ الأوْقاف في سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م. ويُوجَد على يسار الدَّاخِل من باب الخانْقاه قُبَّةٌ أثريةٌ تُشْرِف على الشارع تحتها قَبْرُ الأمير عَلاء الدِّين أيْدَكين، وكان يوجد بها تابوتٌ خَشَبي موضوع فَوْق القَبْر، يوجد منه الآن بقايا ملقاة بجوار الجدار، ويَلْفِت الانْتِباه في هذه القُبَّة الزَّخارِف الجَصِّيَّة الموجودَة حَوْل مِحْرابها، وتوجد داخل الخانْقاه قُبَّةٌ أخرى يُرَجَّح أنَّ أيْدَكين أنشأها لزوجته، وتتميَّز بشبابيكها وزخارفها الجَصِّيَّة الموجودة برَقَبة القُبَّة والتي تُعَدُّ من أدَقِّ نَماذِج الزَّخارف الجَصِّيَّة التي وَصَلَت إلينا. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٦٥هـ[١]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٤٣-٤٤ (١٦-١٧)؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 185-88؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٥٢-٥٤؛ عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر ١: ١٥٩-١٧١؛ أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٠٧-١٢٨).

صُوفيَّةٌ وقُرَّاءٌ في سنة ثلاثٍ وثمانين وستّ مائةٍ . وفي سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مائةٍ ، اسْتَنابه الملكُ المُعِزُّ أَيْبَك ، فوَاظَبَ الجُلُوسَ بالمَدارِس الصَّالِحِيَّة مع نُوَّابِ دارِ العَدْل .



مُخطَّط الخانْقاه البُنْدُقدارية (زاوية الأبار) (عن Creswell)

وإلى أَيْدَكين هذا يُنْسَب الملكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْس البُنْدُقْدارِيّ ؛ لأنّه كان أوّلًا مَمْلوكَه ، ثم انْتَقَلَ منه إلى الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب ، فعُرِفَ بين المماليك البَحْرية ببَيْبَرْس البُنْدُقْداري .

---

[1] يَدُلُّ على هذا التاريخ شريطٌ من الكتابة بالخط النَّسْخ المملوكي على إفريز من الخَشَب تحت مناطق انتقال القُبَّة ، نَصُّه :

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآية ٤٣ سورة الأعراف ـ أنشأ هذه القُبَّة المباركة المقرُّ الأشرف الصَّالحي الأميري الكبيري المخدومي الملكي المنصوري أيْدَكين البُنْدُقْدار بتاريخ ثلاث وثمانين وستّ مائة» . (Wiet, G., *RCEA* XIII, n°4873) .

وعاشَ أَيْدَكين إلى أن صارَ بَيْبَرْس سُلْطانَ مصر ، ووَلَّاهُ نِيابَةَ السَّلْطَنَة بحَلَب في سنة تسعٍ وخمسين وستّ مائةٍ ـ وكان الغَلاءُ بها شَديدًا ـ فلم تَطُل أيَّامُه وفارَقَها بدِمَشْق ، بعد مُحارَبَةِ سُنْقُر الأَشْقَر / والقَبْضِ عليه ، في حادي عشر صَفَر سنة تسعٍ وخمسين وستٍّ مائة ، فأقامَ في النِّيابَةِ نحو شَهْرٍ ، وصَرَفَه الأميرُ عَلاءُ الدِّين طَيْبَرْس الوَزيري .

فلمَّا خَرَجَ السُّلْطانُ إلى الشَّام في سنة إحدى وستين وستّ مائةٍ ، وأقامَ بالطُّور ، أَعْطاهُ إمْرَةَ بمصر وطَبْلَخاناه في رَبيعِ الآخَر منها . وماتَ في ربيعِ الآخَر سنة أربعٍ وثمانين وستّ مائةٍ [1] ، ودُفِنَ بقُبَّةِ هذه الخانْقاه [2] .

خانْقاه شَيْخُو

[أثر رقم ١٥٢]

هذه الخانْقاهُ [a]بشُوَيْقَة مُنْعِم[a] في خُطِّ الصَّلِيبَة خارِجَ القاهِرَة تِجاه جَامِعِ شَيْخُو ، أنشأها الأميرُ الكبيرُ سَيْفُ الدِّين شَيْخُو العُمَري [3] في سنة ستٍّ[b] وخمسين وسبع مائةٍ ، [a]وجَعَلَها مَدْرَسَةً وخانْقاه[a]. كانَ مَوْضِعُها من جملة قَطائِع أحمد بن طُولُون ، وآخِر ما عُرِفَ من خَبَره أنَّه كان مَساكِنَ للنَّاس ، فاشْتَرَاها الأميرُ شَيْخُو من أَرْبابِها ، وهَدَمَها في المحرَّم من هذه السنة [4] . فكانت

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة . b) المُسَوَّدَة : سبع .

---

[1] راجع أخبار الأمير علاء الدِّين أَيْدَكين البُنْدُقْدار ، المتوفى سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م ، عند الصفدي : الوافي بالوفيات ٩: ٤٩١–٤٩٢؛ النويري : نهاية الأرب ٣١: ١٢٨؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٨: ٢٧٦؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨: ٣٣؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢: ٣٤٧، السلوك ١: ٧٣٠؛ العيني : عقد الجمان ٢: ٣٤٦؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ٣٦٥، المنهل الصافي ٣: ١٥٣– ١٥٤.

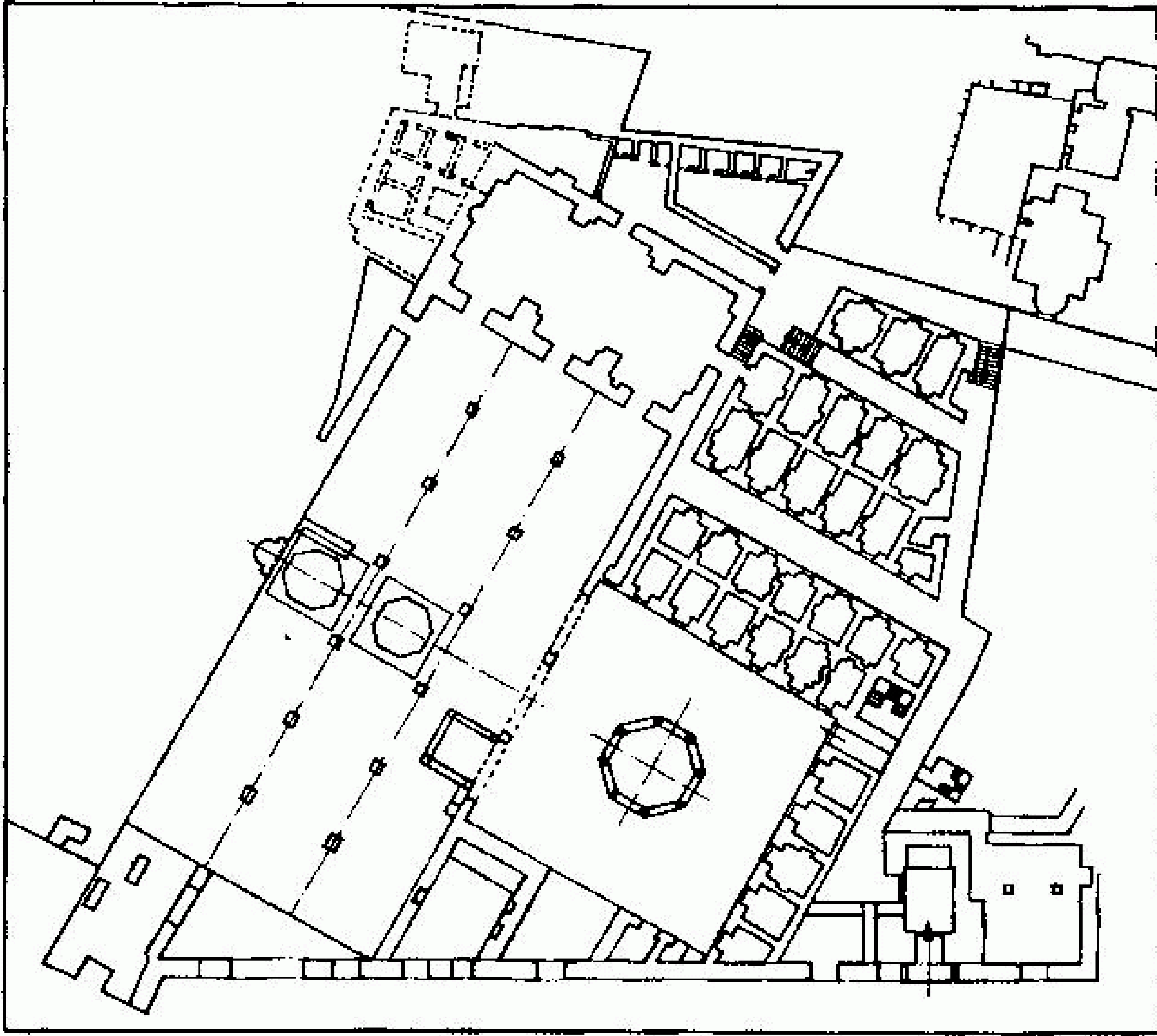
[2] توجد كتابةٌ فوق التركيبة الخشبية التي كانت تقوم فوق الضَّريح تحمل النَّصّ التالي :

«الآية ١٨٥ سورة آل عمران ـ هذا قَبْرُ الفقير إلى الله تعالى الرَّاجي عَفْوَ الله ، الأمير عَلاء الدِّين أَيْدَكين البُنْدُقْدار الصَّالحي النَّجْمي جَعَلَه الله مَحَلَّ عَفْوِه وغُفْرانِه» .

[3] انظر ترجمة الأمير سَيْف الدِّين شَيْخُو العُمَري ، فيما تقدم ٢: ٣١٣– ٣١٤.

[4] أضافَ المَقْريزي في السُّلوك (٣: ١٧) : «وشَرَطَ على الفُقَهاءِ والصُّوفية أن لا يَتَزَوَّجَ منهم إلَّا طائِفَةٌ عَيَّنَهم من كُلِّ مَذْهَب ، وأن يقيم العُزَّابُ بالخانْكاه ليلًا ونهارًا . وشَرَطَ أن لا يكون فيهم ولا منهم قاضٍ ولا شَاهِدٌ يَتَكَسَّب بتَحَمُّل الشَّهادَة» . «ولم يُسَخِّر في بنائها أحَدًا من المُقَيَّدين الذين بالسُّجُون ـ كما هي عادَةُ أُمَراءِ الدَّوْلَة في عَمائِرِهم ـ ولا سَخَّرَ من النَّاسِ أحَدًا بغير أجرة في شيءٍ من أعمال هذه=

مَساحَةُ أرْضِها زيادَةٌ على فَدَّان، فاخْتَطَّ فيها الخانْقاه وحَمَّامين وعِدَّةَ حَوانيت يَعْلوها بُيوتٌ لسُكْنَى العَامَّة [1]، ورَتَّبَ بها دُرُوسًا عِدَّة: منها أربعة دُرُوسٍ لطَوائِف الفُقَهاء الأربعة ـ وهم الشَّافِعيَّة والحَنَفِيَّة والمالِكيَّة والحَنابِلَة ـ ودَرْسًا للحديثِ النَّبَوي، ودَرْسًا لإقْرَاءِ القُرْآن بالرِّوايات السَّبْع، وجَعَلَ لكلِّ دَرْسٍ مُدَرِّسًا وعنده جَماعَةٌ من الطَّلَبَة، وشَرَطَ عليهم حُضُورَ الدَّرْسِ وحُضُورَ وَظِيفَةِ التَّصَوُّف.



مُخَطَّط الخانْقاه الشَّيْخُونية (عن اللَّجْنَة)

= الخانْكاه بل كانت تُوفَّى للعُمَّال أجورُهم».

[1] ما تزالُ «الخانْقاه الشَّيْخونية» قائمةً في شارع شَيْخُون في مواجهة جامعه (فيما تقدم ٢٥٦-٢٦١)، وتشتمل على مَدْخَلٍ ضَخْمٍ خلفه صَحْنٌ مربَّعٌ مكشوف ورواق عرضي كبير في الشَّرْق وبقايا مساكن كانت لصوفيتها، إضافةً إلى حمّام مَدْخله من دهليزها. وبأعْلى مَدْخَلها عَتَبٌ حجري من البازَلْت الأسْوَد كان أصلُه في البَيْت الأخْضَر، أَحَد الآثار المصرية القديمة في مَدينَة مَنْف، وهَدَمَه الأمير شَيْخُو العُمَري بعد سنة ٧٥٠هـ (فيما تقدم ١:٣٦٦) وفوق العَتَب لَوْحَة تأسيسية كتب عليها:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآيتان ٣٦، ٣٧ سورة النور ـ أمر بإنشاء هذا المكان المبارك والمَوْطِن الذي ساهَمَ العَمَلَ فيه النِّيَّة وشارك العَبْدُ الفقير إلى رَبّه جَلَّ وعَلا وتبارَكَ المُعْتَرف من بَحْر نَوالِه المُغْتَرِف من أفْضالِه بكُلِّ لُطْف =

وأقامَ شيخَنا أَكْمَل الدِّين محمد بن محمود في مَشْيَخَة الخانْقاه ومُدَرِّس الحَنفيَّة ، وجَعَلَ إليه النَّظَرَ في أوْقافِ الخانْقاه ، وقَرَّرَ في تَدْريس الشَّافِعيَّة الشَّيْخَ بَهاءَ الدِّين أحمد بن علي [بن عبد الكافي][a] السُّبْكي ، وفي تَدْريس المالِكيَّة الشَّيْخَ خَليلًا ـ وهو مُتَجَنِّد الشَّكْل وله إقْطاعٌ في الحَـلْقَة ـ وفي تَدْريس الحَنابِلَة قاضي القُضَاة مُوَفَّق الدِّين [عبدَ الله][a] الحَنْبَلي [1] ، ورَتَّبَ لكلٍّ من الطَّلَبَة في اليوم الطَّعامَ واللَّحْمَ والخُبْز ، وفي الشهر الحَـلْوَى والزَّيْت والصَّابون ، ووَقَفَ عليها الأوْقافَ الجَليلة ؛ فعَظُم قَدْرُها ، واشْتُهِرَ في الأقْطَار ذِكْرُها ، وتَخَرَّجَ بها كثيرٌ من أهْلِ العِلْم ، وأَرْبَت في العِمارَة على كلِّ وَقْفٍ بديار مصر ؛ إلى أن ماتَ الشَّيْخُ أَكْمَلُ الدِّين في شهر رَمَضَان سنة ستٍّ وثمانين وسبع مائةٍ ، فوَلِيَها من بعده جَماعَةٌ .

ولمَّا حَدَثَتِ المِحَنُ كان بها مَبْلَغٌ كبيرٌ من المالِ الذي فاضَ عن مَصْروفِها ، فأَخَذَه الملكُ النَّاصِرُ فَرَج ، وأَخَذَت أحْوالُها تَتَناقَص حتى صارَ المعلومُ يتأخَّر صَرْفُه لأرْبابِ الوَظائِفِ بها عِدَّةَ أشهر ، وهي إلى اليوم على ذلك .

---

a) زيادة من السلوك للمقريزي .

= تدارك الأمير شَيْخُو العُمَري النَّاصري عَمَّره الله ببقائه ونَصْره وضاعَفَ أسبابَ ثوابِه وأجره ، وعَوَّضَه بقُصُور الجِنانِ بعد امْتِدادِ عُمْره ، وتَقَبَّلَ أعماله الصَّالِحَةَ في سِرِّ القَوْلِ وجَهْرِه وجَعَلَه خالِصًا لوَجْهِه جائِزًا به على الصِّراط المستقيم يوم معاده وحَشْره . تَقَرَّبَ به إلى الله احْتِسابًا وإيمانًا ، وابْتَغَى به فَوْزًا عند رَبِّه وغُفْرانًا . وأوى به كلَّ أَشْعَثَ أغْبَرَ لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّه ، فأَوْلاه إحسانًا ، وجَمَعَ به قَوْمًا كفاهم هَمَّ المؤونة فكفاه الله شَرَّ يَوْمِ الفَزَعِ الأكبر ولَقَّاه أمانًا . يواصلون العَمَلَ بالعِلْم ويَقْطعون اللَّيْل تسبيحًا وقرآنًا (كذا) ﴿تَرَاهُم رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا من الله ورِضْوانًا﴾ . وكان ابتداءُ الشُّرُوع فيه في شهر ربيعِ الأوَّل سنة ستٍّ وخمسين وسبع مائة ، والفَراغُ منه ومِمَّا حَواه في شهر شوَّال من السنة المذكورة» . (van Berchem, M., CIA Égypte I, n°158; Wiet, G., RCEA XVI, n°6239) .

وراجع عن الخانقاه ، التى تُعْرف كذلك بالشَّيْخُونية ، أبا المحاسن : النُّجوم الزاهرة ٧: ١٣١، ١٠: ٢٦٩، ٣٠٣، ١٢: ٦٣، ١٣١؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٥٥٧-٥٥٨، ٥٦٣، ١/٢: ٣٥١-٣٥٢؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ٨٣-٨٤ (٣٤-٣٥)؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣: ٢٥٩-٢٦٦؛ سعاد محمد حسنين : أعمال الأمير شيخو العُمَري النَّاصري المعمارية بالقاهرة ، رسالة ماجستير بآداب القاهرة ١٩٧٦؛ عاصم محمد رزق : خانقاوات الصوفية في مصر ١: ٣١٥-٣٥٦، أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١: ٤٣-١٠٨٥.

[1] المقريزي : السلوك ٣: ١٨.

الخَانْقَاهُ الجَاوْلِيَّة

[أثر رقم ٢٢١]

هذه الخانْقاهُ على جَبَلِ يَشْكُرَ بجوار مَناظِر الكَبْش، فيما بين القاهِرَة ومصر. أنشأها الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِرُ الجَاوْلي في سنة ثلاثٍ[a] وسبع مائةٍ، وقد تقدَّم ذكرُها في المَدَارِس[1].

خَانْقَاهُ أُلْجِيبُغَا المُظَفَّري

هذه الخانْقاه بالصَّحْراء[b] خارِج بابِ النَّصْر فيما بين قُبَّةِ النَّصْر وتُرْبَةِ عُثْمان بن جَوْشَن السُّعُودي، أنشأها الأميرُ سَيْفُ الدِّين أُلْجِيبُغا المُظَفَّري، وكان بها عَدَّةٌ من الفُقَراءِ يُقيمون بها، ولهم فيها شَيْخٌ، ويَحْضُرون في كلِّ يومٍ وَظيفَةَ التَّصَوُّف، ولهم الطَّعامُ والخُبْزُ.

وكان بجانبها حَوْضُ ماءٍ لشُرْبِ الدَّوابِّ، وسِقايَةٌ بها الماءُ العَذْب لشُرْبِ النَّاس، وكُتَّابٌ يَقْرأ فيه أطْفالُ المسلمين الأيْتَام كِتابَ الله تعالى ويَتَعَلَّمُون الخَطّ، ولهم في كلِّ يومِ الخُبْز وغيره. وما بَرِحَت على ذلك إلى أن أخْرَجَ الأميرُ بَرْقُوق أَوْقافَها فتَعَطَّلَت، وأقامَ بها جَماعَةٌ من النَّاسِ مُدَّةً، ثم تَلاشَى أمْرُها. وهي الآن باقيةٌ من غير أن يكون فيها سُكَّانٌ، وقد تَعَطَّلَ حَوْضُها، وبَطَلَ مَكْتَبُ السَّبيل[2].

أُلْجِيبُغا **المُظَفَّري الخَاصَّكي** ـ تقدَّم في أيَّام المَلَكِ المُظَفَّر حاجي ابن المَلَك النَّاصِر محمَّد ابن قَلاوون[3] تَقَدُّمًا كثيرًا، بحيث لم يُشاركه أحَدٌ في رُتْبته. فلمَّا قامَ الملك النَّاصِرُ حَسَن بن محمد بن قَلاوون في السَّلْطَنَة، أقَرَّه على رُتْبته، وصارَ أحَدَ أُمَرَاءِ المَشُورة الذين يَصْدُر عنهم الأَمْرُ والنَّهْيُ.

---

a) النسخ: ثلاث وعشرين. b) إضافة من المُسَوَّدة.

---

[1] فيما تقدم ٦٠٤- ٦٠٧.

[2] علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦:١٤٣ (٥٠).

[3] راجع ترجمة أُلْجِيبُغا المُظَفَّري، المتوفى سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، كذلك عند الصفدي: أعيان العصر ١:٥٩٤- ٥٩٨، الوافي بالوفيات ٩:٣٥٥- ٣٥٨؛ المقريزي: السلوك ٢:٨١٣، المقفى الكبير ٢:٢٧٨- ٢٨٠؛ ابن حجر: =

فلمَّا اخْتَلَفَ أُمَرَاءُ الدَّوْلَة ، أُخْرِجَ إلى دِمَشْق في رَبيعِ الأوَّل سنة تسعٍ وأربعين وسبع مائةٍ ، وأقامَ بدِمَشْق إلى شَعْبان ، وسارَ إلى نِيابَة طَرابُلُس ـ عِوَضًا عن الأمير بَدْرِ الدِّين مَسْعود بن الخَطيري ـ فلم يَزَل على نِيابَتها إلى شهر رَبيعِ الأوَّل سنة خمس وسبع مائةٍ . فكَتَبَ إلى الأمير أَرْغُون شاه نائِب دِمَشْق يستأذنه في الصَّيْدِ إلى النَّاعِم ، فأذِنَ له ، وسَارَ من طَرابُلُس ، وأقامَ على بُحَيْرَة حِمْص أيَّامًا يَتَصَيَّد .

ثم رَكِبَ لَيْلًا بمن معه ، وساقَ إلى خانِ لاجين ظاهِر دِمَشْق ، فوَصَلَه أوَّلَ النَّهار ، وأقامَ به يومه . ثم رَكِبَ منه بمن معه ليلًا ، وطَرَقَ أَرْغُون شاه وهو بالقَصْرِ الأَبْلَق ، وقَبَضَ عليه وقَيَّدَه في ليلةِ الخميس ثالث عشرين شهر رَبيعِ الأوَّل ، وأصبح وهو / بسُوقِ الخَيْل فاسْتَدْعَى الأُمَرَاء وأَخْرَجَ لهم كِتابَ السُّلْطان بإمْساكِ أَرْغُون شاه ، فأَذْعَنُوا له ، واسْتَوْلَى على أمْوالِ أَرْغُون شاه . فلمَّا كان يومُ الجُمُعَة رابع عشرينه ، أصبح أَرْغُون شَاه مَذْبوحًا ، فأشاعَ ألْجَيْبُغا أنَّ أرْغُون شَاه ذَبَحَ نفسه . وفي يوم الثلاثاء أنكر الأُمَرَاء أمْرَه ، وثارُوا لحربه ، فرَكِبَ وقاتَلَهم ، وانْتَصَرَ عليهم ، وقَتَلَ جَماعةً منهم ، وأَخَذَ الأَمْوالَ ، وخَرَجَ من دِمَشْق وسارَ إلى طرابُلُس فأقامَ بها .

ووَرَدَ الخَبَرُ من مصر إلى دِمَشْق بإنكار كلِّ ما وَقَعَ ، والاجتهاد في مَسْكِ ألْجَيْبُغا . فخَرَجَت عَساكِرُ الشَّام إليه ، ففَرَّ من طَرابُلُس ، فأدْرَكَه عَسْكَرُ طرابُلُس عند بَيْرُوت ، وحارَبوه حتى قَبَضُوا عليه ، وحُمِلَ إلى عَسْكَرِ دِمَشْق ، فقُيِّدَ وسُجِنَ بقَلْعَةِ دِمَشْق في ليلة السبت سادس عشر رَبيعِ الآخر ، هو وفَخْر الدِّين إياس ، ثم وُسِّطَ بمَرْسُوم السُّلْطان تحت قَلْعَةِ دِمَشْق بحَضْرَة[a] عَساكِر دِمَشْق ، ووُسِّطَ معه الأميرُ فَخْرُ الدِّين إياس ، وعُلِّقا على الخَشَب في ثامن عشر رَبيعِ الآخر سنة خمسين وسبع مائةٍ ، وعُمْره دون العشرين سنة ، فما طَرَّ شارِبُه وكأنَّه البَدْرُ حُسْنًا والغُصْنُ اعْتِدالًا .

---

a) بولاق : بحضور .

= الدرر الكامنة ١:٤٣٤ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤٥، المنهل الصافي ٣:٤٤– ٤٦.

الخَانْقَاهُ النّاصِرِيّة [a]

بِسِرْيَاقوس

هذه الخانْقاه[1] خارِج القاهِرَة من شَماليها ، على نَحْوِ بَريدٍ منها ، بأوَّلِ تيه بني إسرائيل بسَماسِم سِرْياقوس . أنشأها السُّلْطانُ الملكُ النّاصِرُ محمد بن قَلاوون ، وذلك أنّه لمَّا بَنَى المَيْدانَ والأَحْواشَ في بِرْكَةِ الجُبّ ـ كما ذُكِرَ في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب عند ذِكْرِ بِرْكَة الجُبّ[2] ـ اتَّفَقَ أنّه رَكِبَ على عادَتِه للصَّيْدِ هناك ، فأَخَذَه أَلَمٌ عَظيمٌ في جَوْفِه كادَ يأْتي عليه ، وهو يتَجَلَّد ويَكْتُم ما به حتى عَجَزَ . فنَزَلَ عن الفَرَسِ والأَلَم يتَزايد به ، فنَذَرَ لله إنْ عافاه الله ليبنينّ في هذا المَوْضِع مَوْضِعًا يُعْبَدُ الله تعالى فيه ، فخَفَّ عنه ما يجده ، ورَكِبَ فقضى نَهْمَته من الصَّيْد ، وعادَ إلى قَلْعَةِ الجَبَل ، فلَزِمَ الفِراشَ مُدَّةَ أيّامٍ ، ثم عُوفي . فرَكِبَ بنفسه ، ومعه عِدَّةٌ من المهندسين ، واختَطَّ على قَدْرِ ميلٍ من ناحية سِرْياقوس هذه الخانْقاه ، وجَعَل فيها مائة خُلْوَةٍ لمائة صُوفي ، وبَنَى بجانبها مَسْجِدًا تُقامُ

---

a) النُّسَخ : خانْقاه سِرْياقوس ، والمثبت من المُسَوَّدَة .

---

[1] الخانْقاه النّاصِريّة بسِرْياقوس . كانت تقَع في الفضاء المجاور الآن لجامع الملك الأشْرَف بَرْسباي من الجهَة الغربية جنوب مَدينَة الخانْكاه إحدى مُدُن مركز شبين القناطِر بمحافظة القليوبية على بُعْد عشرين كيلومترًا شمال شَرْق مَدينَة القاهرة . وقد فُقِدَ الآن كلُّ أثَر لهذه الخانْقاه وتَخَلَّف منها فقط شريطٌ من البرونز يحمل كتابةً بالنَّسْخ المملوكي ، نَصُّها :

«مِمّا عُمِلَ برَسْم الخانْقاه السَّعيدَة الملكية النّاصِريّة خَلَّدَ الله مُلْكَه» . (Wiet, G., *RCEA* XV, n°5825) .

وراجع ، النويري : نهاية الأرب ٣٣ : ١٨١ - ١٨٢ ؛ الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ١١٧ ، ١٢٢ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٢ : ١٤٩ - ١٥٠ ؛ المقريزي : السلوك ٢ : ٢٦١ - ٢٦٢ ، ٤٨٩ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٧٩ - ٨٠ ، ٨٣ - ٨٤ ، ١٤٤هـ[1] ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٨٥ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ١٢ : ٥١ - ٥٣ (٢٠ - ٢١) ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٢٢٩ ؛ ونَشَرَ محمد محمد أمين : حُجَّتي وَقْف الخانْقاه بسِرْياقُوس والوَقْف على مصالحها وعلى الصُّوفية بها» ، وهما مؤرختان في جمادى الآخرة سنة ٧٢٥هـ ، وجمادى الأولى سنة ٧٢٦هـ ، في نهاية الجزء الثاني من كتاب «تذكرة النبيه» لابن حبيب ، القاهرة ١٩٨٢ ؛ وانظر كذلك حَيَاة ناصر الحجي : السُّلْطان النّاصِر محمد بن قَلاوون ونظام الوَقْف في عهده ، مع تحقيق ودراسة وثيقة وَقْف سِرْياقُوس ، الكويت ١٩٨٣ ؛ Williams, J.A., «The Khanqah of Siryâqûs: A Mamluk Royal Religious Foundations» in *Quest of an Islamic Humanism: Arabic and Islamic Studies in Memory of Mohamed al-Nowaihi*, Cairo AUC 1984, pp. 108-19.

[2] فيما تقدم ٣ : ٥٤٦.

به الجُمُعَة، وبَنَى بها حَمَّامًا ومَطْبخًا. وكان ذلك في ذي الحِجَّة سنة ثلاثٍ وعشرين وسبع مائةٍ. [a]وكانت عمارَةُ هذه الخانْقاه والقُصُور والمَيْدان سَبَبًا لحَفْرِ الخَليجِ النَّاصري بظاهِر القاهِرَة[a].

فلمَّا كانت سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائةٍ، كَمُل ما أرادَ من بِنائِها، وخَرَجَ إليها بنفسه ومعه الأُمَرَاءُ والقُضَاةُ ومَشايخُ الخَوانِك، ومُدَّت هناك أَسْمِطَةٌ عَظيمَةٌ بداخِل الخانْقاه في يوم الجُمُعَة سابع جُمادَى الآخرة. وتَصَدَّرَ قاضي القُضاةُ بَدْرُ الدِّين محمد بن جماعة الشَّافِعي لإسْماعِ الحَديثِ النَّبَويّ، وقرأ عليه ابنُه عِزُّ الدِّين عبدُ العزيز عشرين حَديثًا تُساعيًا، وسَمِعَ السُّلْطانُ ذلك، وكان جَمْعًا مَوْفُورًا، وأجازَ قاضي القُضَاة الملك النَّاصِر ومن حَضَرَ برواية ذلك وجَميع ما يَجُوز له روايتُه.

وعندما انْقَضَى مَجْلِسُ السَّمَاع، قَرَّرَ السُّلْطانُ في مَشْيَخَةِ هذه الخانْكاه الشَّيْخَ مَجْدَ الدِّين مُوسَىٰ بن أحمد بن محمود الأَقْصَرائي[1]، ولَقَّبه بـ «شَيْخ الشُّيُوخ»؛ فصَارَ يُقالُ له ذلك ولكلٍّ من وَلِيَ بعده، وكان قَبْل ذلك لا يُنْعَت[b] بشَيْخ الشُّيوخ إلَّا شَيْخُ خانْقاه سَعيد السُّعَداء[2].

وأُحْضِرَتِ التَّشاريفُ السُّلْطانية، فخُلِعَ على قاضي القُضَاة بَدْر الدِّين، وعلى وَلَدِه عِزِّ الدِّين وعلى قاضي القُضَاة المالِكية، وعلى الشَّيْخ مَجْد الدِّين أبي حَامِد مُوسَى بن أحمد بن محمود الأَقْصَرائي شَيْخ الشُّيُوخ، وعلى الشَّيْخ علاء الدِّين القُونَوي شَيْخ خانْقاه سَعيد السُّعَداء، وعلى الشَّيْخ قَوام الدِّين أبي محمد عبد المجيد بن أَسْعَد بن محمد الشِّيرازي شَيْخ الصُّوفِيَّة بالجَامِع

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) بولاق: يلقب.

---

[1] توفي أبو حامد الأقْصَرائي سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، راجع ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢: ٣١٨؛ المقريزي: السلوك ٢: ٢٦٢، ٢٨٧، ٥٠٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ١٤٣؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٢٤.

[2] القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٣٨، ١١: ٣٧٠-٣٧٦؛ وفيما تقدم ٧٢٨-٧٢٩. وذَكَرَ كُلٌّ من المقريزي وأبي المحاسن عند حديثهما على «المَدْرَسَة الأشْرَفِيَّة المُسْتَجَدَّة» ـ التي أنشأها الأشْرَفُ شَعْبان بالصُّوَّة مقابل باب القَلْعَة سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م ـ أنَّه أخْلَع وهو نازِل بسِرْياقُوس في شَوَّال سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، على الشَّيْخ ضِياء الدِّين القِرْمي الحَنَفي باستقراره شَيْخ شُيُوخ المَدْرَسَة التي أنشأها بالصُّوَّة وقد أشْرَفَت على الفَراغ، وأبْطَلَ هذا اللَّقَب من مُتَوَلِّي مَشْيَخَة سِرْياقُوس. (السلوك ٣: ٢٧٣-٢٧٤؛ النجوم الزاهرة ١١: ٧٠). ويبدو أنَّ هذا الوَضْع لم يستمرّ طويلًا، فلم يتم استكمال بناء المَدْرَسَة الأشْرَفِيَّة وتَوَقَّف العَمَلُ فيها فَوْر وَفاةِ الأشْرَف شَعْبان، ولم تَلْبَث أن هُدِمَت تمامًا في العقد الأوَّل للقرن التاسع الهجري. (فيما تقدم). وانظر كذلك، عبد الرحمن أبو راس: شيخ الشيوخ بالديار المصرية في الدولتين الأيوبية والمملوكية، القاهرة ١٩٨٧.

الجَديد النّاصِري خارِجَ مَدينَة مصر، وعلى جَماعَةٍ كثيرةٍ، وخَلَعَ على سَائِرِ الأُمَراءِ وأرْبابِ الوَظائِف، وفَرّقَ بها ستين ألف دِرْهَم فِضّة، وعادَ إلى قَلْعَةِ الجَبَل.

فرَغِبَ النّاسُ في السُّكْنَى حَوْلَ هذه الخانْقاه وبنوا الدُّورَ والحَوانيت والخانات، حتى صارَت بَلْدَةً كبيرةً تُعْرَف بـ«خانْقاه سِرْياقُوس»، وتَزايَدَ النّاسُ بها حتى أُنْشِئ فيها سوى حَمّام الخانْقاه عِدَّةُ حَمّامات. وهي إلى اليوم بَلْدَةٌ عامِرَةٌ، ولا يُؤْخَذ بها مَكْسٌ ألبتّة مِمّا يُباعُ من سَائِرِ الأصْنافِ احْتِرامًا لمكانِ الخانْقاه، ويُعْمَل هناك في يوم الجُمُعَة سُوقٌ عَظيمٌ، تَرِدُ النّاسُ إليه من الأماكِن البعيدة، يُباعُ فيه الخَيْل والجِمال والحَمير والبَقَر والغَنَم والدَّجاج والإوَزّ وأصْناف الغَلّات وأنْواع الثّياب وغير ذلك.

وكانت مَعاليمُ هذه الخانْكاه من أسْنَى مَعْلوم بديار مصر: يُصْرَف لكلِّ صُوفي في اليوم من لَحْم الضَّأْن السَّليخ رَطْلٌ قد طُبِخَ في طَعْمٍ شَهِيّ، ومن الخُبْزِ النَّقي أربعة أرْطال. ويُصْرَف له في كلِّ شهرٍ مبلغ أربعين دِرْهَمًا فِضّة: عنها ديناران، ورَطْل حَلْوى، ورَطْلان زَيْتًا من زَيْتِ الزَّيْتُون، ومثل ذلك من الصّابون. ويُصْرَف له ثَمَنُ كُسْوَة في كلِّ سنة، وتَوْسِعَةٌ في كلِّ شَهْرِ رَمَضان وفي العيدَيْن وفي مَواسِم رَجَب وشَعْبان وعاشُوراء وكلّما قَدِمَت فاكِهَةٌ يُصْرَف له مبلغٌ لشِرائِها.

وبالخانْقاه خِزانَةٌ بها السُّكَّر والأشْرِبَة والأدْوية، وبها الطَّبائعي والجَرائِحي والكَحّال ومُصْلِح الشَّعْر. وفي كلِّ رَمَضان يُفَرّق / على الصُّوفية كيزانٌ لشُرْبِ الماء، وتُبَيَّض لهم قُدُورُهُم النُّحاس، ويُعْطَوْن حتى الأُشْنان لغَسْلِ الأيْدي من وَضَرِ اللَّحْم، يُصْرَف ذلك من الوَقْفِ لكلٍّ منهم. وبالحَمّام الحَلّاقُ لتَدْليك أبْدانِهم وحَلْق رُءُوسهم. فكان المُنْقَطِعُ بها لا يَحْتاجُ إلى شيءٍ غيرها، ويَتَفَرَّغ للعِبادَة، ثم اسْتُجِدَّ بعد سنة تسعين وسبع مائةٍ بها حَمّامٌ أُخرى برَسْم النِّساء.

وما بَرِحَت على ما ذَكَرْنا، إلى أن كانت المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائةٍ، فبَطَلَ الطَّعامُ، وصارَ يُصْرَفُ لهم في ثَمَنِه مبلغٌ من نَقْدِ مصر، وهي الآن على ذلك. وأدْرَكْتُ من صُوفيتها شَخْصًا شَيْخًا، يُعْرَف بأبي طاهِر، ينامُ أربعين يومًا بلياليها لا يَسْتَيْقِظ فيها ألبتّة، ثم يَسْتَيْقِظ أربعين يومًا لا ينامُ في لَيْلها ولا نَهارها، أقامَ على ذلك عِدَّة أعْوام، وخَبَرُه مَشْهورٌ عند أهْلِ الخانْقاه، وأخْبَرني أنّه لم يكن في النَّوْمِ إلّا كغيره من النّاس، ثم كَثُرَ نَوْمُه حتى بَلَغَ ما تقدَّم ذكره، وماتَ بهذه الخانْقاه في نحو سنة ثمان مائةٍ.

ومِمّا قيل في الخانْقاه وما أنْشأه السُّلْطانُ بها:

[الرجز]

سِرْ نَحْوَ سِرْياقُوس وانْزِل بفِنَا أرْجائِها ياذا النُّهَى والرُّشْد

تَلْقَ مَحَلًّا للسُّرُورِ والهَنَا ... فيه مَقامٌ للتُّقَى والزُّهْدِ
نَسِيمُه يَقُولُ في مَسِيرِه ... تَنَبَّهِي يا عَذَبَاتِ الرَّنْدِ
ورَوْضُه الرَّيَّانُ من خَليجِه ... يَقُولُ دَعْ ذِكْر أَراضي نَجْدِ

خانقاه أرسلان

هذه الخانْقاه (aعلى شاطئ النِّيلa) فيما بين القاهِرَة ومصر، من جملة أراضي مُنْشَأة المَهْراني. أنشأها الأميرُ بَهاءُ الدِّين أَرْسلان الدَّوادار.

أَرْسَلان

الأميرُ بهاءُ الدِّين الدَّوادار النَّاصِري ـ كان أوَّلًا عند الأمير سَلار أيَّام نِيابته مصر، خَصِيصًا به حَظِيًّا عنده. فلمَّا قَدِمَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون من الكَرَك بعَساكِر الشَّام، ونَزَلَ بالرَّيْدانية ظاهِر القاهِرَة في شهر رَمَضان سنة تسعٍ وسبع مائةٍ، اطَّلَعَ أَرْسَلان على أنَّ جماعةً قد اتَّفَقوا على أن يَهْجِموا على السُّلْطان، ويَفْتِكوا به يوم العيد أوَّل شَوَّال، فجاءَ إليه وعَرَّفَه الحال، وقال له: اخْرُج السَّاعَة واطْلَع القَلْعَة وامْلُكها. فقامَ السُّلْطانُ وفَتَحَ بابَ سِرِّ الدِّهْليز، وخَرَج من غير الباب، وصَعِدَ قَلْعَةِ الجَبَل، وجَلَسَ على سَرير المُلْك، فرَعَى السُّلْطانُ له هذه المناصَحَة. ولمَّا أُخْرِج الأميرُ عِزُّ الدِّين أَيْدَمُر الدَّوادار من وَظيفَته، رُتِّبَ أَرْسَلان في الدَّوادارية.

وكان يَكْتُب خَطًّا مَليحًا، ودَرَّبه القاضي عَلاءُ الدِّين بن عبد الظَّاهِر وخَرَّجَه وهَذَّبَه، فصارَ يَكْتُب بخَطِّه إلى كُتَّاب السِّرِّ عن السُّلْطانِ في المهمَّات بعبارة مسدَّدة وافية بالمقصود، واسْتَوْلى على السُّلْطانِ بحيث لم يَكُن لغيره في أيَّامه ذِكْرٌ، ولم يشتهر فَخْرُ الدِّين وكريمُ الدِّين بعَظَمةٍ إلَّا بعده، واجْتَهَدا في إبعادِه فما قدَرا على ذلك.

وفي أيَّام تَوْليته الدَّوادارية السُّلْطانية، أنشأ هذه الخانْكاه على شاطئ النِّيل. وكان يَنْزِل في كلِّ ليلة ثلاثاء إليها من القَلْعَةِ ويَبِيتُ بها، ويَحْتَفِلُ النَّاسُ للحُضُورِ إليها، ويُرْسل عن السُّلْطانِ إلى مَهَنَّا أمير العرب، ونَفَعَ النَّاس نَفْعًا كبيرًا، وقَلَّدهم مِنَنًا جَسيمَة، وماتَ في ثالث عشرين شهر رَمَضان سنة سبعَ عشرةَ وسبع مائةٍ، فوُجِدَ في تركته ألف ثَوْب أطْلَس، ونَفائِس كثيرة،

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة.

وعِدَّةُ تَواقيع وَمناشِير مُعَلَّمَة . فأنْكَر السُّلْطانُ معرفتها ، ونَسَبَ إليه اخْتلاسَها [1] .

وأوَّلُ من وَلِيَ مَشْيَخَتها تقيُّ الدِّين أبو البَقَاء محمد بن جَعْفَر بن محمد بن عبد الرَّحيم الشَّريف الحُسَيْني القِنائي الشَّافِعِي ، جَدّ الشَّيْخ عبد الرَّحيم القِنائي الصَّالِح المشهور ، وأبوه ضِياء الدِّين جَعْفَر كان فَقيهًا شافِعيًا ، وكان أبو البَقَاءِ هذا عالِمًا عارِفًا زاهِدًا ، قليل التكلُّف ، متقلِّلًا من الدُّنيا ، سَمِعَ الحَديث وأسمعه . ووُلِدَ في سن خمسٍ وأربعين وستّ مائةٍ ، وماتَ ليلة الاثنين رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مائةٍ ، ودُفِنَ بالقَرافَة [2] .

فتَداوَلَ مَشْيَخَتَها القُضاةُ الإخْنائية ، إلى أن كانت آخِرًا بيدِ شَيْخِنا قاضي القُضاة بَدْر الدِّين[a)] عبد الوهَّاب بن أحمد الإخْنائي [3] ؛ فلمَّا ماتَ في سنة تسعٍ وثمانين وسبع مائةٍ ، تلقَّاها عنه عِزُّ الدِّين بن الصَّاحب ، ثم وَلِيَها من بعده ابنه شَمْسُ الدِّين محمد بن الصَّاحِب ، رحمه الله .

خانقاه بكتمر

هذه الخانْقاه [(b] بآخِر القَرافَة الصُّغْرى [b)] في سَفْحِ الجبَلِ مِمَّا يلي بِرْكَة الحبَش [4] ؛ [(c] أدْرَكناها ومَشْيَخَتُها تُعَدُّ من المناصِب الجليلة ؛ لكثرة ما كان بها من المعلوم في اليوم والشهر من اللحم والطَّعام والحمام والحلوى [c)] . أنشأها الأميرُ بَكْتَمُر السَّاقِي ، وابتدأ الحُضُورُ بها في يوم الثلاثاء ثامِن

---

a) بولاق : صَدْر الدِّين . b-b) في النسخ : بطرف القرافة ، وفي السلوك (٢:٢٧٣) : بآخر القرافة مِمّا يلي بركة الحَبَش ، والمثبت من المُسَوَّدَة . c-c) إضافة من المُسَوَّدَة .

---

[1] راجع ترجمة الأمير بَهَاء الدِّين أرْسَلان النَّاصري كذلك عند ، الصفدي : أعيان العصر ١:٤٤٩- ٤٥١، الوافي بالوفيات ٨:٣٤٦- ٣٤٧؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢:١٧- ١٨؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٣٧٢؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٤١، المنهل الصافي ٢:٣٠٠- ٣٠٢.

[2] راجع ، الصفدي : أعيان العصر ٤:٣٧٦- ٣٧٩، الوافي بالوفيات ٢:٣٠٧- ٣٠٨؛ الأدفوي : الطالع السعيد ٥٠٥- ٥٠٦؛ المقريزي : المقفى الكبير ٥:٤٩٩- ٥٠٠؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٤: ٣٥؛ أبي المحاسن : المنهل الصافي ١٠: ٥١١.

[3] راجع، المقريزي : درر العقود الفريدة ٢:٣٦٩- ٣٧٠، السلوك ٣: ٤٨٣؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ٤٩٤، المنهل الصافي ٧:٣٩٣- ٣٩٤ (وهو فيه عبد الوهاب بن محمد) .

[4] هذه الخانْقاه كانت بالقَرافَة الصُّغْرى بجوار مَقام سيدي محمد وَفَا قِبْلي حوش الملك الظَّاهر ، ولم تكن بلَصْقِ جَبَل المُقَطَّم وإنَّما إلى الجنوبِ في المسافة الواقعة بين جَبَّانَة سيدي علي أبي الوَفَا وناحية البساتين . وما زال مَقامُ سيدي علي أبي الوفا قائمًا ويعرف بـ «مَسْجِد السَّادات الوفائية» =

شهر رَجَب سنة ستٍّ وعشرين وسبع مائةٍ. وأوَّلُ من استقرَّ في مَشْيَخَتِها الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّين [a] الرُّومي، ورُتِّبَ له عن مَعْلُوم المَشْيَخَة في كلِّ شَهْر مائة دِرْهَم، وعن مَعْلُوم الإمامَةِ مبلغ خمسين دِرْهَمًا، ورَتَّبَ معه عشرين صُوفيًا: لكلٍّ منهم في الشهر مبلغ ثلاثين دِرْهَمًا، فجاءَت من أجَلِّ ما بُنِيَ بمصر. ورَتَّبَ بها صُوفيّة وقُرَّاءَ، وقَرَّرَ لهم الطَّعامَ والخُبْزَ في كلِّ يومٍ، والدَّراهم والحَلْوَى والزَّيْت والصَّابون في كلِّ شهرٍ، وبَنَى بجانِبِها حَمَّامًا، وأنشأ / هناك بُسْتانًا. ٢:٤

فعَمُرَت تلك الخِطَّة، وصارَ بها سُوقٌ كبيرٌ وعِدَّةُ سُكَّانٍ، وتنافَسَ النَّاسُ في مَشْيَخَتها، إلى أن كانت المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائةٍ، فبطَلَ الطَّعامُ والخُبْزُ منها، وانْتَقَلَ السكَّانُ منها إلى القاهِرَة وغيرها، وخَرِبَت الحَمَّامُ والبُسْتانُ، وصارَ يُصْرَف لأرْبابِ وَظائِفها مَبْلَغٌ من نَقْدِ مصر، وأقامَ فيها رَجُلٌ يَحْرُسُها، وتَمَزَّقَ ما كان فيها من الفَرْشِ والآلاتِ النُّحاس والكُتُبِ والرَّبْعات والقَناديل النُّحاس المُكَفَّت والقَناديل الزُّجاج المُذَهَّب، وغير ذلك من الأَمْتِعَة والنَّفائس الملوكية، وخَرِبَ ما حَوْلَها لخُلُوِّه من السُّكَّان [1].

بَكْتَمُر السَّاقي

الأميرُ سَيْفُ الدِّين [المُظَفَّري] [b]، كان أَحَدَ مَماليك الملك المُظَفَّر بَيْبَرْس الجاشَنْكير. فلمَّا اسْتَقَرَّ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في المملكة بعد بَيْبَرْس، أَخَذَه في جُمْلَة من أَخَذَ من مَماليك بَيْبَرْس، ورَقَّاه حتى صارَ أَحَدَ الأُمَراءِ الأكابِر، وكَتَبَ

---

a) بياض بآياصوفيا. b) زيادة من المقفى الكبير.

= بشارع التُّونسي بسَفْح المُقَطَّم قُرْب ضَريح ابن عَطَاء الله السَّكَنْدَري ومسجل بالآثار برقم ٦٠٨، أمّا خانْقاه بكتمر السَّاقي فقد انْدَثَرت الآن.

راجع كذلك، مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٢٢٧، الشجاعي: تاريخ الملك الناصر ١١٧؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٣٢٦؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ٣١٩، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٨٤، المنهل الصافي ٣: ٣٩٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٦٧.

[1] هنا على هامش آياصوفيا، والكلام لناسخ النُّسْخَة: «أقول: بها إلى الآن رَبْعَةٌ بخَطٍّ كلّه ذَهَب مُزمّك بسواد ... للشعري، وبها نُقُوش ... وعجائب الصنائع ....».

وذَكَرَ ابنُ إياس أنَّ بَكْتَمُر السَّاقي «أنشأ بهذه الخانْقاه حمَّامًا وفُرْنًا وطاحُونًا وساقية وجنينة ... وجَعَلَ في هذه الخانْقاه رَبْعَةً شَرِيفَةً مكتوبةً بالذَّهَب، مَصْرُوفها ألف دينار، وكانت بخَطِّ بعض الأعاجِم». وأضافَ: «ولم تَزَل هذه الرَّبْعَةُ مقيمةً بهذه الخانْقاه والنَّاسُ يتوجَّهون إليها بسبب الفُرْجَة على هذه الرَّبْعَة، فإنَّها كانت من مَحاسِن الزَّمان، ولم =

إلى الأمير تَنْكِز، نائِب السَّلْطَنَة بدِمَشْق، بعد أن قَبَضَ على الأمير سَيْف الدِّين طُغاي الكبير يقول له: هذا بَكْتَمُر السَّاقي يكون لك بَدَلًا من طُغاي، اكْتُب إليه بما تُريد من حَوائِجك [1]. فعَظُمَ بَكْتَمُر، وعَلا محلُّه، وطار ذكرُه. وكان السُّلْطانُ لا يُفارقه ليلًا ولا نهارًا إلَّا إذا كان في الدُّور

= تَزَل هناك إلى سنة تسع وتسع مائة، فلمَّا أنشأ الملكُ الأشْرَفُ قانْصُوه الغوري، مَدْرَسَته التي في الشَّرابشيين نَقَلَ هذه الرَّبْعَة إلى مَدْرَسَتِه، وهي مقيمة بها إلى الآن». (بدائع الزهور ١/١: ٤٦٧، ٤: ٦٩).

أقولُ: هذه الرَّبْعَةُ - وتقع في ثلاثين جزءًا - كَتَبَها عبدالله بن محمد بن محمود الهَمَذاني، في جُمادَى الأولى من شهور سنة ثلاث عشرة وسبع مائة، بدارِ الخَيْرات الرَّشيدية بهَمَذان؛ وهي الرَّبْعَةُ التي أمَرَ بكتابتها الخان الإيلْخاني أولجايْتو (٧٠٣-٧١٦هـ). وقد نُقِلَت هذه الرَّبْعَةُ من مَدْرَسَةِ الغوري في نهاية القرن التاسع عشر إلى الكُتُبْخانة الخديوية (دار الكتب المصرية) وهي محفوظة بها تحت رقم ٧٢ مصاحف. ولا نَعْلَم المُلابَسات التي أدَّت إلى وُصُولِ هذه الرَّبْعَة التي كُتِبَت في هَمَذان إلى الأمير بَكْتَمُر السَّاقي في القاهرة ليوقفها على تُرْبَته بالقَرافَة الصُّغْرَى في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، سوى أن تكون قد وَصَلَت إلى السُّلْطان النَّاصر محمد بن قلاوون بإهداءٍ من الإيلْخانيين، ثم أهداها النَّاصر محمد إلى بَكْتَمُر، فقد كان من الأمراء المقرَّبين إلى السُّلْطان حتى إنَّ ابنه آنوك تَزَوَّج من ابنة الأمير بكتمر السَّاقي. (انظر فيما تقدم ٣: ٢٢٢-٢٢٣، وحُجَّة وَقْف النَّاصر محمد على الأمير بكتمر السَّاقي وذُرِّيته المؤرخة في ١٣ محرم سنة ٧٢١هـ، نشرها محمد محمد أمين في نهاية الجزء الثاني من كتاب «تَذْكِرَة النَّبيه» لابن حبيب، القاهرة ١٩٨٢م). وفيما يلي نَصُّ وَقْفِيَّة بَكْتَمُر للرَّبْعَة:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم. وَقَفَ وحَبَسَ وسَبَّلَ وأبَّدَ وتَصَدَّقَ العَبْدُ الفقيرُ إلى الله تعالى حِصْنُ المسلمين ملجأ القاصِدين أبو سعيد سَيْفُ الدِّين بَكْتَمُر بن عبد الله السَّاقي الملكي النَّاصِري، نَفَعَه الله بالقرآن العظيم، جَميعَ هذه الرَّبْعَة الشَّريفَة المكرَّمة المُعَظَّمَة وعِدَّتُها ثلاثون جزءًا على كافَّة المسلمين في القراءة والمطالعة والنَّقْل والدِّراسَة، وَقْفًا صَحيحًا شَرْعِيًّا وجَعَلَ مستقرَّها بالقُبَّة التي بالتُّرْبة المعروفة بإنْشائِه بالقَرافة الصُّغْرَى المجاورة لحوش الملك الظَّاهِر، وجَعَلَ النَّظَرَ في ذلك لنفسه مُدَّة حياته ثم من بعد لذُرِّيته وذُرِّية ذُرِّيته وإن يَعْلو الأرْشَد فالأرْشَد، فإذا انْقَرَضَت الذُّرِّيةُ ولم يَبْقَ منهم أحَدٌ يكون النَّظَرُ في ذلك الوَقْفِ للشيخ المقيم بالتُّرْبة المذكورة، يجري الحال في ذلك كذلك إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومن عليها وهو خَيْرُ الوارثين. وشَرَطَ الواقِفُ المذكور أنَّ الرَّبْعَة المذكورة لا تَخْرُج من التُّرْبة المذكورة ولا تُعاد ولا تَخْرُج إلَّا للإصْلاح، فحَرامٌ حَرامٌ على مَنْ غَيَّرَه أو بَدَّلَه، ﴿فَمَنْ بَدَّلَه بعدما سَمِعَه فإنَّما إثْمُهُ على الَّذين يُبَدِّلُونَه﴾. وَقَعَ أجْرُ الواقِف المذكور على الله عَزَّ وجَلَّ الذي لا يُضيع أجْرَ من أحْسَنَ عَمَلًا، وذلك في سنة ستٍّ وعشرين وسبع مائة».

James, D., *Qur'ans of The Mamluks*, p.) 239؛ أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط ٣١٨-٣١٩، ٤٣٠-٤٣١).

[1] راجع ترجمة بَكْتَمُر السَّاقي، المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م، عند الصفدي: أعيان العصر ١: ٧٠٩-٧١٤ (مصدر النقل)، الوافي بالوفيات ١٠: ١٩٣-١٩٧؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢: ٢٣٥؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٤٦٨-٤٧٤، السلوك ٢: ٣٦٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ١٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٠٠، المنهل الصافي ٣: ٣٩٠-٣٩٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٦٤.

السُّلْطانية ، ثم زَوَّجه بجارِيته وحَظِيَّته ، فوَلَدَت لبَكْتَمُر ابنه أحمد ، وصارَ السُّلْطانُ لا يأكُل إلَّا في بَيْت بَكْتَمُر مِمَّا تطبخه له أمُّ أحمد في قِدْرٍ من فِضَّة ، وينام عندهم ، ويقوم ، واعْتَقَدَ النَّاسُ أنَّ أحمد وَلَدُ السُّلْطانِ لكثرة ما يُطيلُ حَمْله وتَقْبيله .

ولمَّا شاعَ ذِكْرُ بَكْتَمُر ، وتَسامَعَ النَّاسُ به ، قَدَّموا إليه غَرائِبَ كلِّ شيءٍ ، وأهْدوا إليه كلَّ نَفيس ، وكان السُّلْطانُ إذا حَمَلَ إليه أحَدٌ من النُّوَّاب تَقْدِمَةً لابد أن يُقَدِّم لبَكْتَمُر مثلها أو قَريبًا منها ، والذي يصل إلى السُّلْطان يَهَب له غالبَه . فكَثُرَت أمْوالُه ، وصارَت إشارَتُه لا تُرَدُّ ، وهو عِبارَة عن الدَّوْلَة ، وإذا رَكِبَ كان بين يَدَيْه مائتا عَصًا نَقيب ، وعَمَّرَ له السُّلْطانُ القَصْر على بِرْكَةِ الفِيل[1] .

ولمَّا ماتَ بطَريقِ الحِجَاز في سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبع مائةٍ ، خَلَّفَ من الأمْوالِ والقُماش والأمْتِعَة والأصْنافِ والزَّرْدَخاناه ما يَزيدُ على العادَة والحَدّ ، ويَسْتَحي العاقِلُ من ذِكْرِه . فأخَذَ السُّلْطانُ من خَيْلِه أربعين فَرَسًا ، وقال : هذه لي ما وَهَبْتُه إيَّاها . وبيعَ الباقي من الخَيْل على ما أخَذَه الخاصَّكية بثمنٍ بَخسٍ بمبلغ ألف ألف دِرْهَم فِضَّة ومائتي ألف دِرْهم وثمانين ألفًا دِرْهَم فِضَّة ، خارِجًا عمَّا في الجِشَارات .

وأنْعَمَ السُّلْطانُ بالزَّرْدَخاناه والسِّلاح خاناه التي له على الأمير قُوصُون بعدما أخَذَ منها سَرْجًا واحِدًا وسَيْفًا : القيمة عن ذلك ستّ مائة ألف دينار . وأخَذَ له السُّلْطانُ ثلاثَة صَناديق جَوْهرًا مُثَمَّنًا لا تُعْلَم قِيمَةُ ذلك .

وبيعَ له من الصِّيني والكُتُب والخَتْم والرَّبْعات ونُسَخ البُخاري ، والدَّوايات الفُولاذ والمُطَعَّمَة ، والبَصْم بسَقْطِ الذَّهَب وغير ذلك ، ومن الوَبَر والأطْلَس ، وأنْواع القُماش السَّكَنْدَري والبَغْدادي وغير ذلك شيءٌ كثيرٌ إلى الغاية المفرطة . ودامَ البَيْعُ لذلك مُدَّةَ شهور .

وامْتَنَعَ القاضي شَرَفُ الدِّين النَّشْو ناظِر الخاصّ ، من حُضورِ البَيْع ، واسْتَعْفَى من ذلك ، فقيل له : لأي شيءٍ فَعَلْت ذلك ؟ قال : ما أقْدِر أصْبِر على غَبْنِ ذلك ؛ لأنَّ المائة دِرْهَم تُباعُ بدِرْهَم .

---

[1] فيما تقدم ٣ : ٢٢١ - ٢٢٣ .

ولمَّا خَرَجَ مع السُّلْطانِ إلى الحِجَاز، خَرَجَ بتجمُّلٍ زائِد وحِشْمَةٍ عَظيمَة، وهو ساقة النَّاس كلهم، وكان ثِقْلُه وحالُه[a] نظير ما للسُّلْطان، ولكن يزيد عليه بالزَّرْكَش وآلات الذَّهَب. ووُجِدَ في خِزانَته بطَريق الحِجاز بعد موته خمس مائة تَشْريف: منها ما هو أَطْلَسُ بطَرْز زَرْكَش [b]وحوائِص ذَهب وكَلَّوْتات زَرْكَش[b]، وما دون ذلك من خِلَع أرْبابِ السُّيُوف وأرْبابِ الأقْلام، ووُجِدَ معه قُيودٌ وجَنازير.

وتَنَكَّرَ السُّلْطانُ له في طَريق الحِجَاز، واسْتَوْحَشَ كلٌّ منهما من صاحِبه. فاتَّفق أنَّهم في العَوْدِ مَرِضَ وَلَدُه أحمد، ومَرِضَ من بعده، فماتَ ابنه قبله بثلاثة أيَّام، فحُمِلَ في تابُوتٍ مُغَشًّى بجِلْد جَمَل، ولمَّا مات بَكْتَمُر دُفِنَ مع وَلَدِه بنَخْل، وحَثَّ السُّلْطان في المسير. وكان لا ينام في تلك السَّفْرَة إلَّا في بُرْج خَشَب، وبَكْتَمُر عنده وقُوصُون على الباب، والأُمَراءُ المشايخُ كلُّهم حول البُرْجِ بسيوفهم، فلمَّا ماتَ بَكْتَمُر، تَرَكَ السُّلْطانُ ذلك، فعَلِمَ النَّاسُ أنَّ احْتِرازَه كان خَوْفًا من بَكْتَمُر. ويُقالُ إنَّ السُّلْطانَ دَخَلَ عليه، وهو مَريضٌ في دَرْبِ الحِجَاز، فقال له: بَيْني وبَيْنَك الله. فقال له: كل من فَعَل شيئًا يَلْتَقيه.

ولمَّا ماتَ صَرَخَت زَوْجَتُه أمُّ ابنه أحمد، وبَكَت وأَعْوَلَت إلى أن سَمِعَها النَّاسُ تتكلَّم بالقَبيح في حَقِّ السُّلْطان، من جملته: أنت تَقْتُل مَمْلوكَك، أنا ابني إيش كان [[c]بينك وبينه[c]]؟ فقال لها: بَسّ، تَفْشُرين، هاتي مَفاتيحَ صَناديقِه، فأنا أعْرِف كلَّ شيءٍ أعطيته من الجَواهِر، فرَمَت بالمفاتيح إليه، فأَخَذَها.

ولمَّا وَصَلَ السُّلْطانُ إلى قَلْعَةِ الجَبَل أظهر الحُزْنَ والنَّدامَة عليه، وأعطَى أخاه قَمارى إمْرَة مائة وتَقْدِمَة أَلْف، وكان يقول: ما بقي يجيئنا مثل بَكْتَمُر. وأَمَرَ فحُمِلَت جُثَّتُه وجُثَّةُ ابنه إلى خانْقاهِه هذه، ودُفِنَتا بقُبَّتِها.

وبَدَت من السُّلْطانِ أُمورٌ منكرةٌ بعد مَوْتِ بَكْتَمُر. فإنَّه كان يَحْجُر على السُّلْطان، ويمنعه من مَظالِمَ كثيرة، وكان يَتَلَطَّف بالنَّاس، ويقْضي حَوائِجَهم، ويسُوسُهم أحْسَنَ سِياسَة، ولا يخالفُه السُّلْطانُ في شيءٍ، ومع ذلك فلم يكن له حِمايةٌ ولا رِعايةٌ، ولا لغِلْمانه ذِكْر، ومن المَغْرب يُغْلَق بابُ / إسْطَبْله. ٤٢٥ظ

---

a) بولاق: وجماله. b-b) ساقطة من بولاق. c) زيادة من المقفى الكبير.

وكان مِمَّا له على السُّلْطانِ من المُرَتَّب في كلِّ يومٍ مَخْفِيَّتان، يأخُذ عنهما من بَيْتِ المالِ كلَّ يومٍ سبع مائةِ درهم: عن كلِّ مَخْفِيَّةٍ ثلاث مائة وخمسين دِرْهَمًا. وكان السُّلْطانُ إذا أَنْعَمَ على أَحَدٍ بشيءٍ أو وَلّاه وَظيفَةً، قال له: «روح إلى الأمير بَكْتَمُر وبوس يده». وكان جَيِّدَ الطِّباع، حَسَنَ الأَخْلاق، لَيِّنَ الجانِب، سَهْلَ الانْقِياد، رحمه الله.

خَانْكاه[a] قُوصُون

هذه الخانْكاه[a][1] في شَمالي القَرافَة، مِمَّا يلي قَلْعَةِ الجَبَل، تِجاه جَامِع قُوصون [b]بِبابِ القَرافَة[b]. أنشأها الأميرُ سَيْفُ الدِّين قُوصُون، وكَمُلَت عِمارَتُها في سنة ستٍّ وثلاثين وسبع مائةٍ[2]، وقَرَّرَ في مَشْيَخَتها الشَّيْخَ شَمْسَ الدِّين أبا الثَّناء محمود بن أبي القاسِم أحمد الأَصْفَهاني، ورَتَّبَ له مَعْلومًا سَنِيًّا من الدَّراهِم والخُبْز واللَّحْم والصَّابون والزَّيْت، وسَائِر ما يُحْتَاجُ إليه حتى جَامَكِيَّة غُلام بَغْلَته، واسْتَقَرَّ ذلك في الوَقْفِ من بعده لكلِّ من وَلِيَ المَشْيَخَة بها.

وقَرَّرَ بها جَماعَةً كثيرةً من الصُّوفِيَّة، ورَتَّبَ لهم الطَّعام واللَّحْم والخُبز في كلِّ يومٍ، وفي الشهر المعلوم من الدَّراهم ومن الحَلْوَى والزَّيْت والصَّابون. وما زالَت على ذلك إلى أن كانت المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائةٍ، فبَطَلَ الطَّعامُ والخُبْزُ منها، وصَارَ يُصْرَفُ لمستحقيها مالٌ من نَقْدِ مصر، وتلاشَى أَمْرُها من بعد ما كانت من أَعْظَم جِهات البِرِّ وأكثرها نَفْعًا وخيرًا. وقد تقدَّم ذِكْرُ قُوصُون عند ذِكْر جَامِعه من هذا الكِتاب[3].

---

a) بولاق: خانقاه. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة.

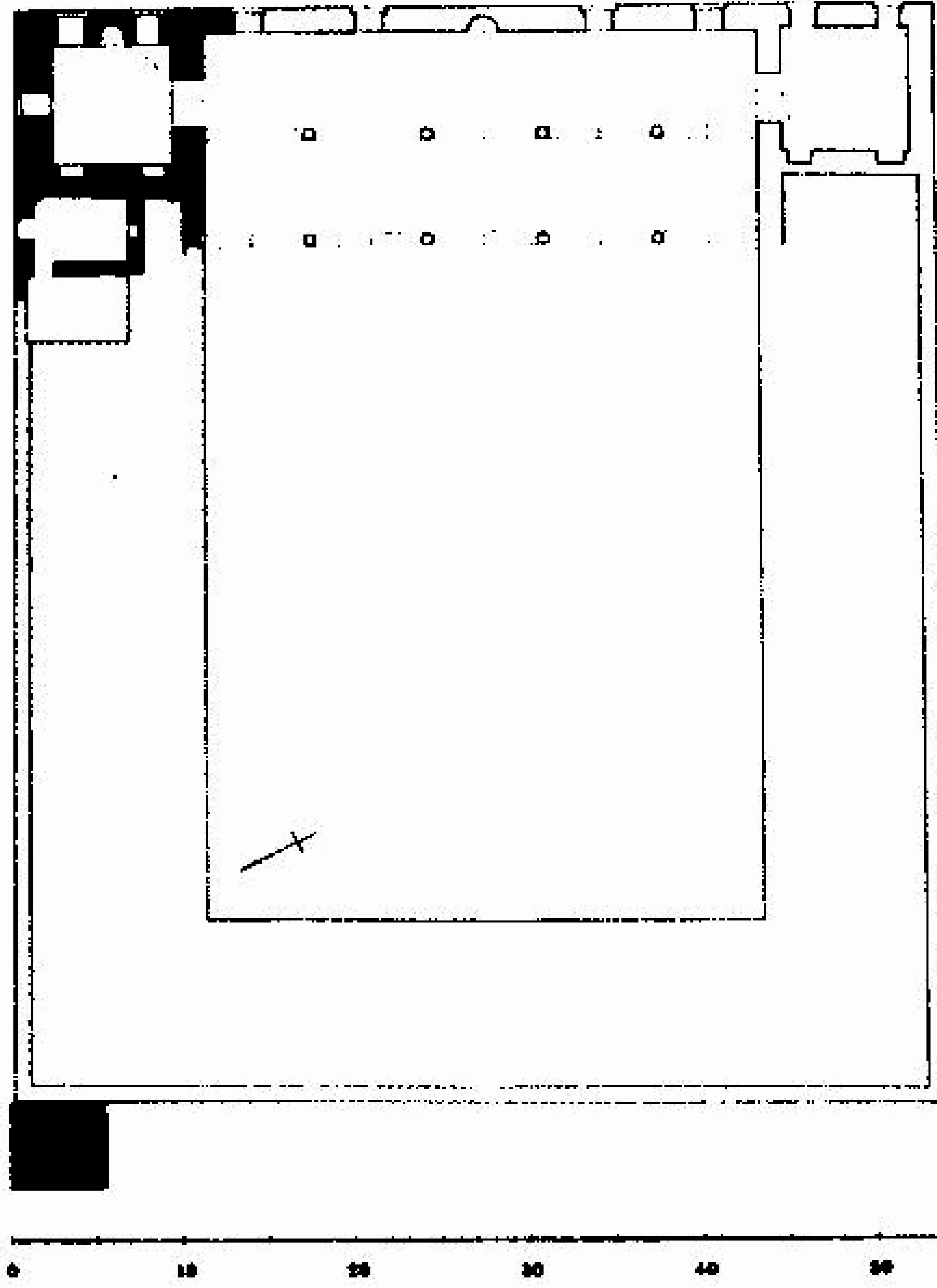
---

[1] انظر عن جامع قُوصُون بالقرافة، فيما تقدم ٣١٨.

[2] يوجد أسفل ودائر مِئْذَنَة الخانقاه كِتابَةٌ تاريخيةٌ، نَصُّها: «الآيات ٤١–٤٣ سورة الأحزاب - وذلك بتاريخ سنة سبع وثلاثين وسبع مائة». (Wiet, G., *RCEA* XV, n°5704).

ولم يَبْقَ من هذه الخانقاه إلّا قُبَّتها الشمالية والمِئْذَنَة المعروفة بـ«المِئْذَنَة الكبيرة» أو «الوُسْطَى» الواقعة غربي مقام جلال الدِّين السُّيُوطي خارج باب القرافَة. (مجهول المؤلف: تاريخ سلاطين المماليك ١٩٠–١٩١، ٢٢٧؛ المقريزي: السلوك ٢: ٣٩٠، ٥٩٢، ٧٤٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٧؛ Ibrâhim, L. ʿA., «The Great Hanqâh of the Emir Qawsûn in Cairo», *MDAIK* 30 (1974), pp. 37-57؛ محمد أبو العمايم: «المِئْذَنَة القبلية وما حولها من الآثار خارج باب القرافة بالقاهرة»، حوليات إسلامية *An.Isl.* ٣٤ (٢٠٠٠)، ٤٥–٨٩؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٦٨٣–٦٩٠، ٦٩١–٦٩٨).

[3] فيما تقدم ٢٢٤–٢٢٦.



مُخَطَّط خانْكاه قُوصُون (عن Meinecke)

خانْكاه طُغَاي تَمُر النَّجْمِي [a]

هذه الخانْكاه[b] بالصَّحْرَاءِ خارِج بابِ البَرْقِيَّة ، فيما بين قَلْعَةِ الجَبَلِ وقُبَّةِ النَّصْر [1]. أنشأها الأميرُ طُغاي تَمُر النَّجْمِي فجاءَت من المباني الجَلِيلَة ، ورَتَّبَ بها عِدَّةً من الصُّوفِيَّة ، وجَعَلَ شَيْخَهم الشَّيْخ

a) بولاق : خانقاه طغاي النجمي . b) بولاق : الخانقاه .

[1] خانْقاه طُغاي تَمُر النَّجْمي ، وتُعْرَف أيضًا بـ «الخانقاه الدَّوادارية» . جاء في (النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٤ ، والمنهل الصافي ٦: ٤١٢)، أنَّها خارج باب المحروق من القاهرة ، وواقعُ الأمر أنَّه لا يوجد فَرْقٌ كبيرٌ في التحديد بين خارج باب البَرْقية ، وخارج باب المحروق ، فالمقصود بهذا التحديد عادةً هو المنطقة الواقعة بصَحْراء المماليك شَرْق طريق صلاح سالم أمام حدائق أغاخان .

وحَدَّدَت حُجَّةُ وَقْفِ القاضي فَتْح الدِّين فَتْح الله ابن مُسْتَعْصِم (انظر عنه فيما تقدم ٣: ٢٠٢-٢٠٤) مَوْقِع خانْقاه طُغاي تَمُر النَّجْمي بالحُدُود التالية : «الحَدُّ القِبْلي ينتهي إلى الطَّريق الفاصلة بينها وبين الجَبَل ، والحَدُّ البَحْري ينتهي إلى الطَّريق التي يُتَوَصَّل منه إلى قُبَّة النَّصْر (فيما تقدم ٣: ٢٠٢-٢٠٤) وغيرها وفيه بابُها ، والحَدّ الشَّرْقي ينتهي إلى الطَّريق الفاصلة بينها وبين تُرْبَة المقرّ المرحوم السَّيْفي =

بُرهان الدِّين الرَّشيدي، وبَنَى بجانِبها حَمَّامًا، وغَرَسَ في قِبْليها بُسْتانًا، وعَمِلَ بجانِب الحَمَّام حَوْضَ ماءٍ للسَّبيل تَرده الدَّوابُ، ووَقَفَ على ذلك عِدَّةَ أوْقاف.

ثم إنَّ الحَمَّام والحَوْض تَعَطَّلا مُدَّةً، فلمَّا ماتَت أُرْزُباي زَوْجَة القاضي فَتْح الدِّين فَتْح الله كاتِب السِّرّ[1] في سنة ثمانٍ وثمان مائةٍ، دَفَنَها خارِج بابِ النَّصْر، وأَحَبَّ أن يَبني على قَبْرِها ويُوقِف عليها أوْقافًا. ثم بَدَا له فنَقَلَها إلى هذه الخانْقاه ودَفَنَها بالقُبَّة التي فيها، وأدارَ السَّاقِيَة، وملأ الحَوْضَ، ورَتَّب لقُرَّاءِ هذه الخانْقاه مَعْلُومًا، وعَزَمَ على تَجْديدِ ما تَشَعَّثَ من بِنائها وإدارَة حَمَّامِها. ثم بَدا له فأنشأ بجانِب هذه الخانْقاه تُرْبَةً، ونَقَلَ زَوْجَته مَرَّةً ثالثةً إليها، وجَعَلَ أمْلاكَه وَقْفًا على تُرْبَتِه.

طُغَاي تَمُر

النَّجْمِي ـ كان دَوادارَ الملكِ الصَّالِح إسماعيل بن محمد بن قَلاوون[2]، فلمَّا ماتَ الصَّالِحُ، اسْتَقَرَّ على حالِه في أيَّام أَخَوَيْه الملك الكامِل شَعْبان والملك المُظَفَّر حاجي. وكان من أَحْسَنِ الأشكال، وأَبْدَعِ الوُجُوه، تَقَدَّمَ في الدُّوَلِ، وصارَت له وَجَاهَةٌ عَظيمَةٌ، وخَدَمَهُ النَّاسُ. ولم يَزَلْ على حالِه إلى أن لَعِبَ به أُغُرْلُو[3] فيمن لَعِب، وأَخْرَجَه إلى الشَّام، وأَلْحَقَه بمن أَخَذَه من غَزَّة، وذلك في أوائِل جُمادَى الآخرة سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائةٍ.

وطُغَاي هذا أوَّلُ دَوادار أَخَذَ إمْرَة مائة وتَقْدِمَة ألف، وذلك في أوَّلِ دَوْلَة المُظَفَّر حاجي. ولمَّا كانت واقِعَةُ الأمير مَلَكْتَمُر الحِجَازي والأمير آقْ سُنْقُر وعِدَّة من الأُمَرَاء، في تاسع عشر رَبيع الآخر سنة ثمانٍ وأربعين وسبعِ مائةٍ، رَمَى طُغايتَمُر سَيْفَه، وبقي بغَيْر سَيْفٍ بعض يوم، ثم إنَّ

= طَشْتَمُر الساقي، والحدّ الغربي ينتهي إلى الطَّريق».
Behrens - Abouseif, D., Fath Allâh and Abû Zakariyya: Physicians under the Mamluks, *CAI* (n°10 (1987), p. 39).

وبما أن تُرْبَة الأمير طَشْتَمُر حُمُّص أخضَر ما تزالُ قائمةً ومسجلةً بالآثار برقم ٩٢ بشارع العفيفي بجَبَّانَة المجاورين شرقي القاهرة.

[1] انظر عن القاضي فتح الدِّين فَتْح الله بن مُسْتَعْصم، فيما تقدم ٣: ٢٠٢- ٢٠٤.

[2] انظر ترجمة طُغاي تَمُر النَّجْمي كذلك عند، الصفدي: أعيان العصر ٢: ٦٠٣- ٦٠٤، الوافي بالوفيات ١٦: ٤٤٩- ٤٥٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٩٩؛ المقريزي: السلوك ٢: ٧٥٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٢٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٤، المنهل الصافي ٦: ٤١١- ٤١٢.

[3] الأميرُ شُجاعُ الدِّين أُغُرْلُو السَّيْفي، المتوفى مقتولًا سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م. راجع أخباره عند، الصفدي: أعيان العصر ١: ٥٤٣- ٥٤٥، الوافي بالوفيات ٩: ٢٩٤- ٢٩٦؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٢٢٤- ٢٢٧، ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤١٧- ٤١٨؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٤٥، المنهل الصافي ٢: ٤٦٠- ٤٦٢.

المُظَفَّرَ أعْطاه سَيْفَه [١]. واسْتَمَرَّ في الدَّوادارية نحو شهر، وأُخْرِج هو والأمير نَجْمُ الدِّين محمود الوَزير، والأمير سَيْفُ الدِّين بَيْدَمُر البدريّ على الهُجْنِ إلى الشّام، فأدركهم الأميرُ سَيْفُ الدِّين مَنْجَك وقَتَلهم في الطَّريق.

خَانكاه أمّ أنُوك

[أثر رقم ٨١]

هذه الخانْكاه[a] خارج بابِ البَرْقِيّة بالصَّحْراء، التي أنشأتها الخاتُون طُغاي، تِجاه تُرْبَة الأمير طَاشْتَمُر السَّاقي [٢]، فجاءَت من أجَلِّ المباني، وجعَلَت بها صُوفيَّةً وقُرَّاءً، ووَقَفَت عليها الأوْقافَ الكثيرة، وقَرَّرَت لكلِّ جاريةٍ من جواريها مُرَتَّبًا يَقُومُ بها [٣].

---

a) بولاق: خانقاه.

---

[١] قارن مع الصفدي: أعيان العصر ١: ٥٤٤، ٥٥٦.

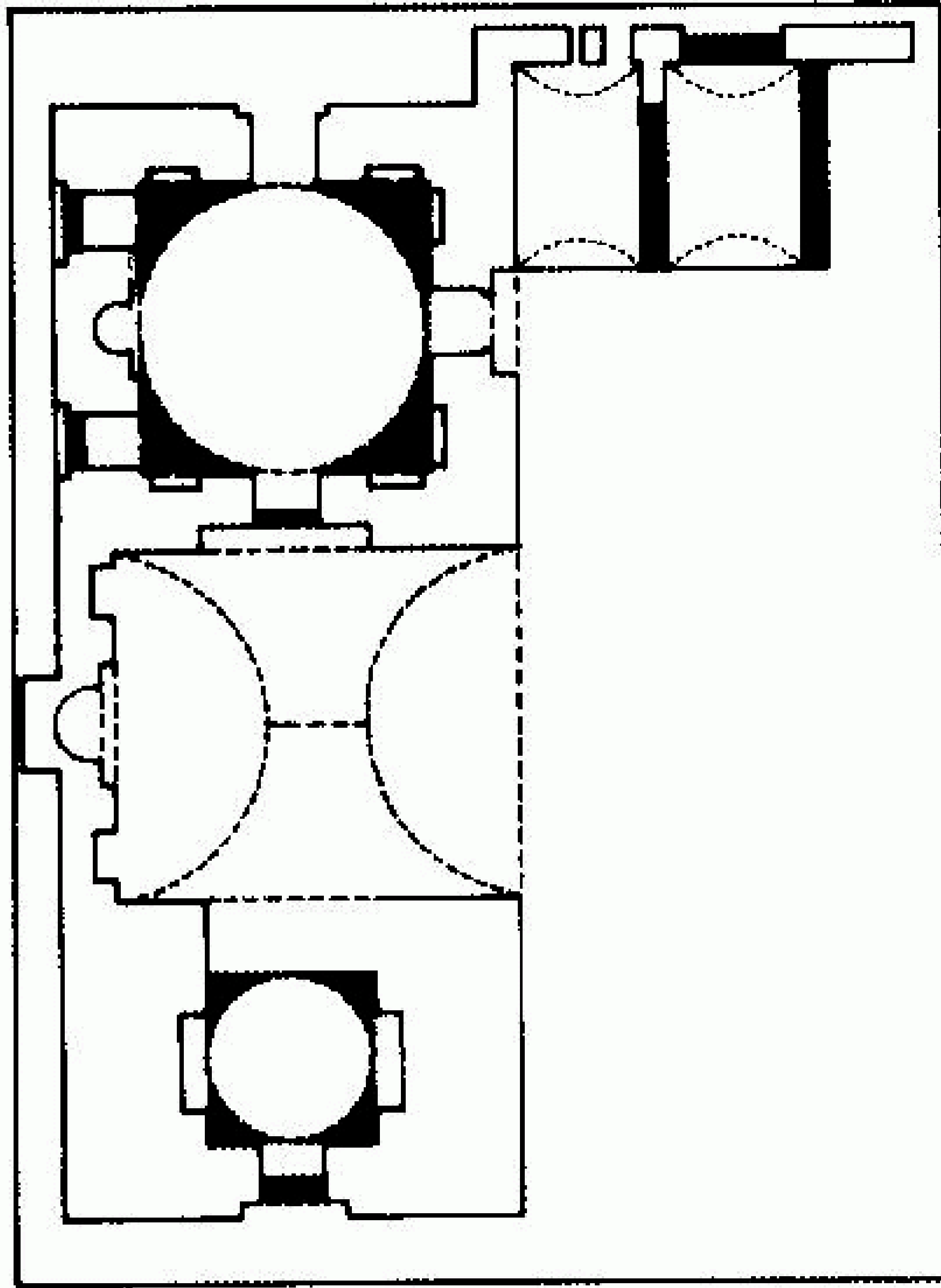
[٢] ما تزال تُرْبةُ الأمير طاشْتَمُر (طَشْتَمُر) السَّاقي قائمةً بشارع العَفيفي بجَبّانَة المجاورين بقَرافَة المماليك شَرْقي طريق صلاح سالم، ومسجلّة بالآثار برقم ٩٢، وتقع في الطَّرَف الشمالي الشَّرْقي للخانكاه لا تجاهها. (انظر فيما يلي ٩١٩هـ[٦]).

[٣] ما تزالُ بقايا خانكاه أمّ أنُوك، وهي عبارة عن قُبّة تحتها ضَريح خَوَنْد طُغاي والدة الأمير أنوك ابن الملك النّاصر محمد ابن قَلاوون قائمةً، بقَرافَة المماليك شرقي طريق صلاح سالم.

ووَصَفَها الجَبَرْتي في مطلع القرن التاسع عشر بأنّها خارج باب البَرْقيّة بالصَّحْراء على يَمْنَة السّالك إلى وَهْدَة الجَبّانَة المعروفة بالبُسْتان وأنّ الفرنسيين، وَقْت وجودهم بالقاهرة، هَدَمُوا منارَة هذه الخانكاه وبعض حوائطها الشمالية، وكان النّاظر عليها الشيخ عبد الله بن حجازي الشَّرْقاوي شيخ الجامع الأزهر، المتوفى سنة ١٢٢٧هـ/١٨١٢م. فأبْطَلَ ساقيتها (التي كانت تجاه بابها في عُلْوِه يُصْعَد إليها بمَزْلَقان ويجري الماءُ منها إلى الخانْقاه على حائِطٍ به قَنْطَرَة يَمُرّ من تحتها المارون وتحت السّاقية حَوْضٌ لسَقْي الدَّواب)، وبنى مكانها زاويةً وعَمِلَ لنفسه بها مَدْفَنًا وعَقَدَ عليه قُبّة وجَعَلَ تحتها مَقْصُورَةً بداخلها تابوت عالٍ مربّع وبنى بجانبها قصرًا ملاصقًا لها يحتوي على أرْوِقة ومساكن ومَطْبَخ.

وأضافَ الجَبَرْتي أنّه دَخَلَ هذه الخانكاه في أواخر القرن الثاني عشر، فوَجَدَ بها روحانية لطيفة وبها مساكِن وسُكّان قاطِنون بها، وفيهم أصحابُ الوَظائِف مثل: المُؤَذِّن والوَقّاد والكَنّاس والمَلّاء، وأنّه دَخَلَ إلى مَدْفَنِ الواقِفة فشاهَدَ على قَبْرِها تركيبةً من الرُّخام الأبيض وعند رأسها خَتْمَةً شريفةً كبيرةً على كرسي بخطٍ جَليلٍ وهي مُذَهَّبَة وعليها اسم الواقِفَة رحمها الله، ثم قال: «فلو أنّ الشيخ الشَّرْقاوي عَمَّر هذه الخانكاه بَدَلَ هذا الذي ارْتَكَبَه من تَخْريبها لكان له بذلك مَنْقَبَة وذِكْر حَسَن في حياتِه وبَعْد مماته». (عجائب الآثار ٤: ٢٥٩-٢٦٠).

وراجع كذلك المقريزي: السلوك ٢: ٧٩٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٨٧، ١١: ١٣؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية؛ ʿAbd ar-Râziq, A., «Trois fondations féminines dans l'Égypte mamelouke», *REI* 41 (1973), pp. 111-26



مُخطَّط خانقاه أمّ أنُوك (عن اللجنة)

طُغَاي الخَوَنْدَة الكُبْرَى[1] زَوْجَةُ السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون، وأمّ ابنه الأمير آنُوك، كانت من جملة إمائِه، فأَعْتَقَها وتَزَوَّجها، ويُقالُ إنَّها أُخت الأمير آقْبُغا عبد الواحِد. وكانت بديعَةَ الحُسْنِ، باهِرَةَ الجَمال، رأت من السَّعادةِ ما لم يَرَه غيرُها من نِسَاءِ الملوك التُّرْك بمصر، وتَنَعَّمَت في مَلاذّ ما وَصَلَ سِواها لمِثْلِها، ولم يَدُمْ السُّلْطانُ على مَحَبَّةِ امرأةٍ سِواها، وصارَت خَوَنْدة بعد ابنة نُوكاي، وأكبر نِسائه حتى من ابنة الأمير تَنْكِز. ٥

وحَجَّ بها القاضي كَريم الدِّينِ الكبير، واحْتَفَل بأَمْرِها، وحَمَلَ لها البُقُولَ في مَحاير طِين على ظُهورِ الجِمال، وأَخَذَ لها الأبْقارَ الحَلَّابَة، فسارَت معها طُول الطَّريق لأجْل اللَّبن الطَّري وعَمَل

= سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٢٤٢-٢٤٦؛ عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر ١: ٢٩١-٣٠٣، أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩٥٥-٩٧٠؛ وفيما تقدم ٦٧٠، «مَدْرَسَة أمّ آنوك بالصَّحْراء».

[1] راجع ترجمة خَوَنْد طُغَاي عند، الصفدي: أعيان العصر ٢: ٥٩٩-٦٠١ (مصدر المقريزي)، الوافي بالوفيات ١٦: ٤٤٧-٤٤٨؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٩: ٣٠٥؛ المقريزي: السلوك ٢: ٧٩٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٢٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٢٣٨.

الجُبْن ، وكان يَقْلي لها الجُبْنَ في الغَدَاء / والعَشَاء . وناهيك بمن وَصَلَ إلى مُداوَمة البَقْل والجُبْن في كلِّ يوم - وهما أَخَسُّ ما يُذْكر[a] - فما عَسَاه يكون بعد ذلك ! وكان القاضي كريمُ الدِّين والأميرُ مَجْليس وعِدَّةٌ من الأُمَرَاء ، يترجَّلون عند النُّزول ، ويَمْشُون بين يديْ مَحَفَّتِها ، ويُقَبِّلون الأرْضَ لها كما يَفْعَلون بالسُّلْطان . ثم حَجَّ بها الأميرُ بَشْتاك في سنة تسعٍ وثلاثين وسبع مائةٍ [1]. ٢٦:٢

وكان الأميرُ تَنْكِز إذا جَهَّزَ من دِمَشْق تَقْدِمةً إلى السُّلْطان ، لابد أن يكون لخَوَنْد طُغاي منها جُزْءٌ وافِر . فلمَّا ماتَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِر ، اسْتَمَرَّت عَظَمَتُها من بَعْدِه إلى أن ماتَت في شهر شَوَّالٍ سنة تسعٍ وأربعين وسبع مائةٍ أيَّام الوَباء ، عن ألفِ جاريةٍ وثمانين خادِمًا خَصِيًّا وأمْوالٍ كثيرةٍ جدًّا .

وكانت عَفيفَةً طَاهِرَةً ، كثيرَةَ الخَيْر والصَّدَقات والمعروف . جَهَّزَت سائِرَ جَواريها ، وجَعَلَت على قَبْرِ ابنها - بقُبَّةِ المَدْرَسَة النَّاصِريَّة بَيْن القَصْرَيْن - قُرَّاءَ ، ووَقَفَت على ذلك وَقْفًا ، وجَعَلَت من جملته خُبْزًا يُفَرَّق على الفُقَراء ، ودُفِنَت بهذه الخانْقاه ، وهي من أَعْمَرِ الأماكِن إلى يَوْمِنا هذا .

خَانْكاه[b] يُونُس

[أثر رقم ١٥٧]

هذه الخانْكاه[b] من جملة مَيْدانِ القَبَق ، بالقُرْب من قُبَّة النَّصْر خارِج بابِ النَّصْر [2]. أدْرَكْتُ

a) بولاق : ما يؤكل . b) بولاق : خانقاه .

[1] راجع كذلك Behrens - Abouseif, D., «The *Mahmal* Legend and the Pilgrimage of the Ladies of the Mamluk Court», *MSR* I (1997), pp. 87-98.

[2] ما تزال هذه الخانْكاه قائمةً في قرافة المماليك شرق طريق صلاح سالم بجوار خانقاه فَرَج بن بَرْقُوق وإلى الشمال منه ، ويوجد أعلى مَدْخَلِها على واجهتها الغربية سطران بالخط النسخي المملوكي يحملان النَّصّ التالي :

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم : لمَّا كان بتاريخ يوم السبت ثامن عشر شَوَّال سنة ثلاثٍ وثمانين وسبع مائة ، توفي المقرّ المرحوم الشَّرَفي أَنَس ، تَغَمَّدَه الله برحمته ، والِد المقرّ الأشْرَف العالي السَّيْفي بَرْقُوق أتابك العساكر عزَّ نَصْرُه» . (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n°189; Kallus, L., *RCEA* XII, n°783 005).

فقد دُفِن الأمير آنَص العثماني الجركسي والِد السُّلْطان الظَّاهِر بَرْقُوق في هذه التُّرْبَة عند وفاته سنة ٧٨٣هـ/١٣٨٢م ، الأمر الذي حدا بالأمير يُونُس إلى بناء تُرْبَةٍ ثانية تحت القَلْعَة ، وإن لم يُقَدَّر له أن يُدْفَن فيها أيضًا .

راجع ، المقريزي : السلوك ٣: ٦٨٩؛ أبا المحاسن :=

مَوْضِعَها وبه عَواميدُ تُعْرَف بعَواميد السِّباق ، وهي أوَّلُ مَكانٍ بُنِيَ هناك [١].

أنشأها الأميرُ يُونُس النَّوْرُوزي الدَّوادار ، كان من مَماليك الأمير سَيْفِ الدِّين جُرْجي الإدْريسي ، أَحَد الأُمَرَاء النَّاصِرِيَّة وأَحَد عُتَقائِه ، فتَرَقَّى في الخِدَم من آخِر أيَّام الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون إلى أن صَارَ من جملة الطَّائفة اليَلْبُغاوية . فلمَّا قُتِلَ الأميرُ يَلْبُغا الخاصَّكي ، خَدَمَ بعده الأميرَ أَسَنْدَمُر النَّاصِري الأتابَكَ ، وصارَ من جملة دَواداريته .

وما زال يَتَنَقَّل في الخدَم إلى أن قامَ الأميرُ بَرْقُوق ـ بعد قَتْلِ الملك الأشْرَف شَعْبان ـ فكان مِمَّن أعانَه وقاتَل معه ، فرَعَى له ذلك ورَقَّاه إلى أن جَعَلَه أَميرَ مائة مُقَدَّم ألف ، وجَعَلَه دَوادارَه لمَّا تَسَلْطَن . فسَلَكَ في رياسَتِه طَريقةً جَليلةً ، ولَزِمَ حالَةً جميلةً : من كَثْرَة الصِّيام والصَّلاة ، وإقامَة النَّامُوس المُلوكي ، وشِدَّة المهابَة ، والإعْراض عن اللَّعِب ، ومُداوَمةِ العُبُوس ، وطُولِ الجُلوس ، وقُوَّةِ البَطْش لسرعة غَضَبه ، ومَحَبَّةِ الفُقَراءِ ، وحُضورِ السَّماع والشَّغَفِ به ، وإكْرام الفُقَهاءِ وأَهْلِ العِلْم .

وأنشأ بالقاهِرَة رَبْعًا وقَيْسارِيَّةً بخُطِّ البُنْدُقانيين ، وتُرْبَةً خارِج بابِ الوَزير تحت القَلْعَة [٢]، وأنشأ بظاهِر دِمَشْق مَدْرَسَةً بالشَّرَف الأعْلى ، وأنشأ خانًا عَظيمًا خارج مَدينَة غَزَّة . وجَعَلَ بجانِب هذه الخانْكاه مَكْتَبًا يَقْرأ فيه أيْتامُ المسلمين كِتابَ الله تعالى ، وبَنَى بها صِهْريجًا يُنْقَل إليه ماءُ النِّيل .

وما زالَ على وُفُورِ حُرْمَتِه ونُفُوذِ كلمته ، إلى أن خَرَجَ الأميرُ يَلْبُغَا النَّاصِري ، نائِب حَلَب ، على الملك الظَّاهِر بَرْقُوق في سنة إحدى وتسعين وسبع مائةٍ . وجَهَّزَ السُّلْطانُ الأمير أَيْتَمُش ، والأَمير يُونُس هذا ، والأمير جَهارْكَس الخَليلي ، وعِدَّةً من الأُمَرَاء والمماليك لقِتالِه . فلَقَوْه بدِمَشْق وقاتَلوه فهَزَمَهُم ، وقُتِلَ الخَليلي ، وفَرَّ أَيْتَمُش إلى دِمَشْق . ونَجَا يُونُس بنفسه يُريدُ مصر ، فأَخَذَه الأميرُ غيفا بن شَطَا أَميرُ الأُمَرَاء ، وقَتَلَه يوم الثلاثاءِ ثاني عشرين شهر رَبيعِ الآخَر سنة إحدى

= النجوم الزاهرة ١١: ٢١٨؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦:١٤٧-١٤٩ (٥١-٥٢)؛ عاصم محمد رزق : خانقاوات الصوفية في مصر ١:٣٠٧- ٣١٤، أطلس العمارة الإسلامية ٢:١٣٩٥- ١٤٠١.

[١] فيما تقدم ٣: ٣٧٦؛ وفيما يلي ٩٢٠.

[٢] ما تزالُ تُرْبَةُ يُونُس الدُّودار التي أنشأها خارج باب الوزير تحت القَلْعَة ، قائمةً بشارع بابِ الوداع المتفرّع من سِكَّة المحْجَر بالحَطَّابَة ، ومسجلة بالآثار برقم ١٣٩، ويوجد على قاعدة قُبَّتِها كتابةٌ بارزةٌ تحمل النَّصَّ التالي :

«أَمَرَ بإنْشاء هذه التُّرْبَة المباركة من فَضْلِ الله تعالى وجَزيلِ عَطائِه المقرّ العالي الأميري الكبيري الأَجَلِّي المحترمي المخدومي الشَّرَفي يُونُس النَّيروزي الدُّودار الملكي الظَّاهِري» . (Kallus, L., *RCEA* XVII, n°783 007) .

وانظر كذلك عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢:١٣٨٧- ١٣٩٤.

وتسعين وسبع مائةٍ ، ولم يُعْرَف له قَبْرٌ بعدما أَعَدَّ لنفسه عِدَّةَ مَدافِن في غير ما مَدينَةٍ من مصر والشَّام [١].

[109r] a) قُبَّـةُ كُمُشْـبُغَـا

هذه التُّرْبَةُ خارِجُ البابِ المَحْروق تَحْتَ الجَبَل [٢]، أنْشأها الأميرُ كُمُشْبُغَا الحَمَوي ـ أَحَدُ المماليك اليَلْبُغاوية ـ تنَقَّلَ في الخِدَمِ حتى صَارَ أَحَدَ الأُمَرَاءِ في أيَّامِ أُسْتاذِه الأمير يَلْبُغَا الخاصَّكِيّ العُمَرِيّ ، وصارَ بعده من الأُمَرَاءِ المقدَّمين ووَلِيَ نِيابَةَ حَلَب . وكانت له في نُصْرَةِ الظَّاهِر بَرْقُوق ـ عند مُحاصَرَتِه لدِمَشْق بعد خُروجِه من الكَرَك ـ يَدٌ جَليلةٌ ، ثم إنَّه انْهَزَمَ عنه يوم شَقْحَب إلى حَلَب ففازَ فيها بحُروبٍ عَظيمةٍ حتى خَلَّصَها لِنِظامِ وَقَفَه عليه في سنة ثلاثٍ وتسعين ، فأَعْظَم مَقْدَمَه وأَنْعَمَ عليه وجَعَلَه أميرًا كبيرًا أتابَكَ العَساكِر . ثم قَبَضَ عليه بعد مُدَّةٍ وسَجَنَه بالإسْكَنْدَرية ، وماتَ بها مَسْجُونًا لليلتين بقيتا من شهر رَمَضان سنة إحدى وثمان مائةٍ ، فلم يَعِشْ بَرْقُوق بعده غير سبعة عشر يومًا ومات . وكان من المُتْرَفين المُتَنَعِّمين في حَياتِه ، كثيرَ الأَكْلِ نَهِمًا إلى الغايَة ، يُحْكَى عنه في ذلك أُمورٌ غَريبَة a) [٣] .

---

a-a) كلُّ هذه الفقرة إضافة من المُسَوَّدة .

---

[١] انظر ترجمة الأمير شَرَفَ الدِّين يُونُس النُّوروزي (النَّيروزي) الدَّوادار كذلك عند، المقريزي: السلوك ٦٨٨:٣- ٦٨٩؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٣٩٠، الدرر الكامنة ٢٦٤:٥- ٢٦٥؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٣٨٤:١١، الدليل الشافي ٢: ٨١٠؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٢٧٩.

[٢] المقريزي : درر العقود الفريدة ٢٥:٣ ، السلوك ٩٨٢:٣ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٢/١: ٥٥٤، وانظر عن الباب المحروق فيما تقدم ٢٨١:٢-٢٨٢ .

[٣] راجع ترجمة كُمُشْبُغَا الحَمَوي اليَلْبُغاوي، المتوفى سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، عند المقريزي: السلوك ٩٧٥:٣، ٩٨٢، درر العقود الفريدة ٢٤:٣- ٢٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٨١:٢- ٨٢، ذيل الدرر الكامنة ٧٥- ٧٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:١٣-١٠، المنهل الصافي ١٤٢:٩- ١٤٦؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢٦:٢- ٢٧؛ السخاوي: الضوء اللامع ٢٣٠:٦- ٢٣١.

خانقاه طيبرس

هذه الخانْقاه من جُمْلَةِ أَراضي بُسْتانِ الخَشَّاب، فيما بين القاهِرَة ومصر، على شاطئ النِّيل [١]. أنشأها الأميرُ عَلاءُ الدِّين طَيْبَرْس الخازِنْدار نَقيبُ الجُيُوش، في سنة سبعٍ وسبع مائةٍ، بجوار جَامِعِه المُقَدَّم ذكره عند ذِكْر الجَوامِع من هذا الكِتاب [٢]، وقَرَّرَ بها عِدَّةً من الصُّوفِيَّة، وجَعَلَ لهم شَيْخًا، وأَجْرَى لهم المعاليم.

ولم تَزَلْ عامِرَةً إلى أن حَدَثَت المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائةٍ، فابْتاعَ شَخْصٌ الوَكالَة والرَّبْعَيْن - المعروفين برَبْعِ بَكْتَمُر - والحَمَّامين، ونَقَضَ ذلك فخَرِبَ الخُطُّ، وصارَ مَخُوفًا. فلمَّا كان في سنة أربعَ عشرةَ وثمان مائةٍ، نُقِلَ الحُضُورُ من هذه الخانْقاه إلى المَدْرَسَة الطَّيْبَرْسِيَّة بجوار الجَامِع الأَزْهَر [٣]، وهي الآن بصَدَدِ أن تَدْثُر وتُمْحَى آثارُها.

خانقاه آقبغا

هذه الخانْقاه هي مَوْضِعٌ من المَدْرَسَةِ الآقْبُغاوية بجِوار الجَامِع الأَزْهَر، أَفْرَدَه الأميرُ آقْبُغا عبد الواحِد، وجَعَلَ فيه طائِفَةً يحضرون وَظيفَة التَّصَوُّف، و أقامَ لهم شَيْخًا، وأَفْرَدَ لهم وَقْفًا يَخْتَصُّ بهم، وهي باقيةٌ إلى يَوْمِنا هذا [٤]. وله أيضًا خانْقاه بالقَرافَة.

الخَرُّوبيَّة

/ هذه الخانكاه بسَاحِل الجِيزَة، تِجاه المِقْياس، كانت مَنْظَرَةً من أَعْظَم الدُّورِ وأَحْسنِها [٥]. ٧:٢
أنشأها زَكِيُّ الدِّين أبو بكر بن عليّ الخَرُّوبي كبير التُّجّار، ثم تَوارَثَهَا من بعده أَوْلادُ الخَرُّوبي التُّجَّار بمصر، فلم تَزَلْ بأَيْديهم إلى أن نَزَلَها السُّلْطانُ المُؤَيَّدُ شَيْخ، في يوم الاثنين ثاني عَشَر شهر رَجَب الفَرْد سنة اثنتين وعشرين وثمان مائةٍ، وأقامَ بها. فاقْتَضَى رأْيُه أن يَجْعَلها خانكاه، فاسْتَدْعَى بابن الخَرُّوبي ليَشْتَريها منه، فتَبَرَّعَ بما يَخُصُّه منها، وصارَ إليه باقيها.

---

[١] الشجاعي: تاريخ الملك الناصر ١١٧.

[٢] فيما تقدم ٢٠٥.

[٣] فيما تقدم ٥٣٦- ٥٣٨.

[٤] فيما تقدم ٥٤٠- ٥٤٤.

[٥] المقريزي: السلوك ٤: ٥٠٢، ٥٢٨، ٥٢٩.

فتقدَّم إلى الأمير سَيْف الدِّين أبي بكر بن المُزَوِّق[a] الأُسْتادَّار بعَمَلِها خانْكاه، وسارَ منها في يوم الأربعاء سادِسَ عشرِه، فأخذَ الأميرُ أبو بكر [b] في عَمَلِها حتى كَمُلَت في آخر السنة. واسْتَقَرَّ في مَشْيَختها شَمْسُ الدِّين محمد [b] بن الحَمْتى الدِّمَشْقي الحَنْبَلي، وخُلِعَ عليه يوم السبت سنة ثلاثٍ وعشرين وثمان مائةٍ، ورُتِّبَ له في كلِّ يومٍ عشرة مؤيَّدية: عنها مبلغ سبعين دِرْهَمًا فُلوسًا، سوى الخُبْز والسَّكن، وقُرِّرَ عنده عشرة من الفُقَراء، لكلٍّ منهم مع الخُبْزِ مُؤَيَّدي في كلِّ يوم، فجاءَت من أحْسَنِ شيءٍ.

ذِكْرُ الرُّبُط

الرُّبُطُ: جَمْعُ رِباط، وهو دَارٌ يَسْكُنُها أهْلُ طَريقِ الله.

قال ابنُ سِيدَه: الرِّباطُ من الخَيْل: الخَمْسُ فما فَوْقَها، والرِّباطُ، والمُرابَطَة: مُلازَمَةُ ثَغْرِ العَدُوِّ، وأَصْلُه أن يَرْبِط كُلُّ واحِدٍ من الفريقين خَيْلَه، ثم صارَ لُزُومُ الثَّغْرِ رِباطًا، ورُبَّما سُمِّيَتِ الخَيْلُ أنْفُسُها رِباطًا. والرِّباطُ المواظَبَة على الأَمْرِ، قال الفارِسيُّ: هو ثانٍ من لُزُومِ الثَّغْر، ولُزُومُ الثَّغْر ثانٍ من رِباطِ الخَيْل. وقوله تعالى: ﴿وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [الآية ٢٠٠ سورة آل عمران]، قِيلَ: مَعْنَاهُ: جاهِدوا، وقيل: واظِبُوا على مَوَاقِيتِ الصَّلاة[1].

وقال أبو حَفْص السُّهْرَوَرْدي في كِتابِ «عَوارِفِ المَعَارِف»: وأَصْلُ الرِّباطِ ما تُرْبَطُ فيه الخُيُولُ، ثم قيل لكلِّ ثَغْرٍ يَدْفَع أهْلُه عمَّن وَراءَهم رِباط، فالمُجاهِدُ المُرابِطُ يَدْفَع عمَّن وَراءَه، والمقيمُ في الرِّباطِ على طاعَةِ الله يَدْفَع به وبدُعائِه البَلاءَ عن العِبادِ والبِلاد[2].

ورَوَى داودُ بن صَالِح، قال: قال لي أبو سَلَمَة بن عبد الرَّحْمَٰن: يا ابن أخي، هل تَدْري في أي شيءٍ نَزَلَت هذه الآية ﴿اصْبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا﴾؟ قُلْتُ: لا. قال: يا ابن أخي، لم يَكُن

a) بولاق: المسروق. b) بياض في آياصوفيا وميونخ.

[1] ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ٩: ١٣٤.
[2] السهروردي: عوارف المعارف ١٠٠.

في زَمَنِ رَسُولِ الله ﷺ غَزْوٌ تُرْبَطُ فيه الخَيْل ، ولكنَّه انْتِظارُ الصَّلاةِ بعد الصَّلاة . فالرِّباطُ جِهادُ النَّفْس ، والمقيمُ في الرِّباطِ مُرابِطٌ مُجاهِدٌ نفسه . واجْتِماعُ أهْلِ الرُّبَط إذا صَحَّ على الوَجْهِ الموضوع له الرُّبَط ، وتَحَقَّق أهْل الرُّبَط بحسن المعاملة ورعاية الأوْقاتِ وتَوَقِّي ما يُفْسِد الأعْمال ويُصَحِّح الأحْوال ، عادَتِ البَرَكَةُ على العِبادِ والبلاد .

وشَرائِط سُكَّانِ الرِّباط قَطْعُ المعاملة مع الخَلْقِ ، وفَتْحُ المعامَلَة مع الحَقّ ، وتَرْكُ الاكْتسابِ اكْتِفاءً بكَفالَة مُسَبِّب الأسْباب ، وحَبْسُ النَّفْسِ عن المخالَطات ، واجْتِنابُ التَّبِعات ، ومُواصَلةُ اللَّيْل والنَّهار بالعِبادَة مُتعوِّضًا بها عن كلِّ عادَة ، والاشْتِغالُ بحِفْظِ الأوْقات ، وملازَمَةُ الأوْراد ، وانتظارُ الصَّلوات ، واجْتِنابُ الغَفَلات ، ليكون بذلك مُرابِطًا مُجاهِدًا [١].

والرِّباطُ هو بَيْتُ الصُّوفِيَّة ومَنْزِلهُم [a]، ولكلِّ قَوْمٍ دارٌ ، والرِّباطُ دارُهم ، وقد شابَهوا أهْلَ الصُّفَّة في ذلك . فالقَوْمُ في الرِّباطِ مُرابِطون مُتَّفِقُون على قَصْدٍ واحِدٍ وعَزْمٍ واحِدٍ وأحْوالٍ متناسبة ، ووُضِعَ الرِّباطُ لهذا المعنى [٢].

قال كاتِبُه [b]: ولاتِّخاذ الرُّبُط والزَّوايا أصْلٌ من السُّنَّة ، وهو أنَّ رَسُولَ الله ﷺ اتَّخَذَ لفُقَراءِ الصَّحابَة ، الذين لا يأوُون إلى أهْلٍ ولا مالٍ ، مَكانًا من مَسْجِدِه كانوا مُقيمين به [c]، عُرِفُوا بأهْلِ الصُّفَّة .

---

a) في عوارف المعارف : ومضربهم . b) بولاق : مُؤَلِّفه . c) بولاق : يقيمون فيه .

---

[١] السهروردي : عوارف المعارف ١٠٠-١٠١ .

ففي الحديث : «ألا أدُلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا وتُرْفَع به الدَّرَجات » . قُلْنا : بَلَى يا رَسول الله ، قال : «إسْباغُ الوُضُوءِ على المكارِهِ ، وكَثْرَةُ الخُطَا إلى المساجد ، وانْتِظارُ الصَّلاة بعد الصَّلاة ، فذلكم الرِّباط» . (نفسه ١٠١؛ النعيمي : الدَّارس في تاريخ المدارس ٢:١٩٥) .

[٢] السهروردي : عوارف المعارف ١٠٢ وقارن مع النُّعَيمي : الدارس في تاريخ المدارس ٢: ١٩٥، وفيه أنَّ العُلَماء لم يَتَعَرَّضوا للفَرْق بين الخانكاه وبين الزَّاوية والرِّباط ، وهو المكان المُتَبَتِّل للأفْعال الصَّالحة والعِبادَة . وانظر مقال دونالد ليتل Little, D. P., «The Nature of Khanqahs, Ribats and Zawiyas under the Mamluks» in Wael B. Hallaq and D. P. Little (eds.), *Islamic Studies presented to Charles J. Adams*, Leiden - Brill 1991, pp. 91-105.

رِباطُ الصَّاحِب

هذا الرِّباطُ مُطِلٌّ على بِرْكَةِ الحَبَش، أنشأه الصَّاحِبُ فَخْرُ الدِّين أبو عبد الله محمد ابن الوَزير الصَّاحِب بَهاءِ الدِّين أبي الحَسَن عليّ بن محمد بن سَليم بن حِنَّا، ووَقَفَ عليه أبوه الصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّين بعد مَوْتِه عَقارًا بمَدينَة مصر، وشَرَطَ أن يسكنه عَشَرَةٌ من الفُقَراءِ المجرَّدين غير المتأهِّلين، وذلك في ذي الحجَّة سنة ثمانٍ وستين وستّ مائةٍ. وهو باقٍ إلى يَوْمِنا هذا، وليس فيه أحَدٌ، ويَسْتأدي رِيعَ وَقْفِه من لا يَقُوم بمَصالِحِه[1].

رِباطُ الفَخْرِي

هذا الرِّباطُ خارِج بابِ الفُتُوح فيما بينه وبين بابِ النَّصْر، بناهُ الأميرُ عِزُّ الدِّين أَيْبَك الفَخْرِي [a]الملكي الظَّاهري السَّعيدي[a]، أحَدُ أُمَراءِ الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس.

رِباطُ[b] البغداديّة

هذا الرِّباطُ[d] بداخِل الدَّرْبِ الأَصْفَر، تجاه خانْقاه بَيْبَرْس، حيث كان المَنْحَرُ الذي ذُكِرَ عند ذِكْر القَصْرِ من هذا / الكِتاب[2]، ومن النَّاسِ من يقول «رِواقُ البغدادية»[3]. وهذا الرِّباطُ بَنَتْه السِّتُّ الجَلِيلَة تِذْكار بايْ خاتُون ابنة الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس، في سنة أربعٍ وثمانين وستّ مائةٍ، للشَّيْخَة الصَّالِحَة زَيْنَب ابنة أبي البَرَكات، المعروفة بِبنت البغدادية، فأنزلتها به ومعها النِّساءُ الخَيِّرات. وما بَرِحَ إلى وَقْتِنا هذا يُعْرَف سُكَّانُه من النِّساءِ بالخَيْر، وله دائمًا شَيْخَةٌ تَعِظُ النِّساءَ وتُذَكِّرهن وتُفَقِّهُهن.

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) في المُسَوَّدَة وفيما تقدم ٣: ٤٠١: رواق.

---

[1] ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر ٣٦١.

[2] فيما تقدم ٢: ٤٣١ - ٤٣٢.

[3] تخرّب الآن هذا الرِّباطُ واعتدى النَّاسُ على أرضه، ولم يتخلّف منه إلّا بقايا قُبّتين قديمتين تَدْخُل إحداهما في الأخرى يُطلَق عليهما «زاوية الشيخ عثمان الشطوحي» بحارة الدَّرْب الأصْفَر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٦٦هـ [3]، ١٢: ١٤٢؛ وانظر كذلك علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ١٥٣ (٥٣)؛ وفيما تقدم ٣: ٤٠١).

وآخِر مَنْ أدْرَكْنا فيه الشَّيْخَة الصَّالِحَة، سَيِّدة نِساء زَمانِها، أُمّ زَيْنَب فاطِمَة بنت عَبَّاس البَغْدادية، توفِّيَت في ذي الحجة سنة أربعَ عشرةَ وسبع مائةٍ، وقد أنافَت على الثمانين. وكانت فَقيهةً وافِرَةَ العِلْم، زاهِدَةً قانِعَةً باليَسير، عابِدَةً واعِظَةً، حَريصَةً على النَّفْع والتَّذْكير، ذاتَ إخْلاصٍ وَخَشْيَة وأمْرٍ بالمعروف، انْتَفَعَ بها كثيرٌ من نِساءِ دِمَشْق ومصر، وكان لها قَبُولٌ زائِدٌ، ووَقْعٌ في النُّفوس[1].

وصارَ بعدها كلُّ من قامَ بمَشْيَخَةِ هذا الرِّباطِ من النِّساءِ يُقالُ لها «البَغْدادية». وأَدْرَكْنا الشَّيْخَة الصَّالِحَةَ البَغْدادية أقامَت به عِدَّةَ سنين على أحْسَنِ طَريقَةٍ، إلى أن ماتَت يوم السبت لثمانٍ بقين من جُمادَىٰ الآخرة سنة ستٍّ وتسعين وسبع مائةٍ.

وأدْرَكْنا هذا الرِّباط، وتُودَعُ فيه النِّساءُ اللاتي طُلِّقْن أو هُجِرْن، حتى يَتَزَوَّجْن أو يَرْجِعن إلى أزْواجهن، صِيانَةً لهن لما كان فيه من شِدَّةِ الضَّبْط، وغايَة الاحْتِراز، والمواظَبة على وَظائِف العِبادات. حتى إنَّ خادِمَة الفَقيرات به كانت لا تُمَكِّن أحَدًا من اسْتِعْمال إبريقٍ ببَزْبُوزٍ، وتُؤَدِّبُ من خَرَجَ عن الطَّريق بما تَراه.

ثم لمَّا فَسَدَتِ الأحْوالُ من عَهْدِ حُدوثِ المِحَن بعد سنة ستٍّ وثمان مائةٍ[a]، تلاشَت أُمورُ هذا الرِّباط، ومَنَعَ مُجاوِرُوه من سَجْنِ النِّساءِ المُعْتَدَّات به، وفيه إلى الآن بقايا من خيْرٍ، ويلي النَّظَرَ عليه قاضي القُضَاة الحَنَفي.

رِباطُ السِّتّ كُلَيْه[b]

هذا الرِّباطُ خارِج دَرْبِ بَطُّوط، من جملة حِكْر سِنْجِر اليَمَني، مُلاصِق السُّور الحَجَر بخُطِّ سُوقِ الغَنَم وجَامِع أَصْلَم. وَقَفَه الأميرُ عَلاءُ الدِّين [c]بن[c] البَزْواناه[d] على السِّت كُلَيْه[b]، المدعوة دُولاي، ابنة عبد الله التَّترية، زَوْج الأمير سَيْف الدِّين البَرْلي[e] السِّلاحْدار الظَّاهِري، وجَعَلَه مَسْجِدًا ورِباطًا، ورَتَّب فيه [c]صُوفِيَّة و[c]إمامًا ومُؤَذِّنًا، وذلكَ في ثالِث عَشَرَ[f] شَوَّال سنة

a) العبارة في المُسَوَّدَة: «عند فساد الزمان بعد الثمان مائة». b) بولاق: كليلة. c-c) من المسودة. d) بولاق: البراباه. e) بولاق: البرلي. f) بولاق: عشرين.

[1] واضِحٌ أنَّ هذه العبارَة ليست على لِسان المقريزي، فالشَّيْخَةُ المذكورة توفيت سنة ٧١٤هـ أي قبل ميلاد المقريزي بأكثر من أربعين عامًا.

أربعٍ وتسعين وستِّ مائةٍ[١].

رِبَاطُ الخَازِن

[هذا الرِّباطُ][a] بقُرْبِ قُبَّةِ الإمام الشَّافِعِيّ - رحمة الله عليه - من قَرافَة مصر. بناهُ الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر بن عبد الله الخَازِن، والي القاهِرَة، وفيه دُفِنَ[٢]. وهذا الخَازِنُ هو الذي يُنْسَبُ إليه حِكْرُ الخَازِن خارِج القاهِرَة[٣].

الرِّبَاطُ المعروف برِواق ابن سُلَيْمان

[أثر رقم ٢٤٥]

هذا الرِّواقُ بحَـارَةِ الهِلاليَّة، خارِج بابِ زَوِيلَةَ[٤]، عُرِفَ بأحمد بن سُلَيْمان بن أحمد ابن سُلَيْمان بن إبراهيم بن أبي المعالي أبي العَبَّاس الرَّحْبي البَطائِحي الرِّفاعي، شَيْخ الفُقَراء الأَحْمَدِيَّة

---

a) زيادة غير موجودة في النسخ.

---

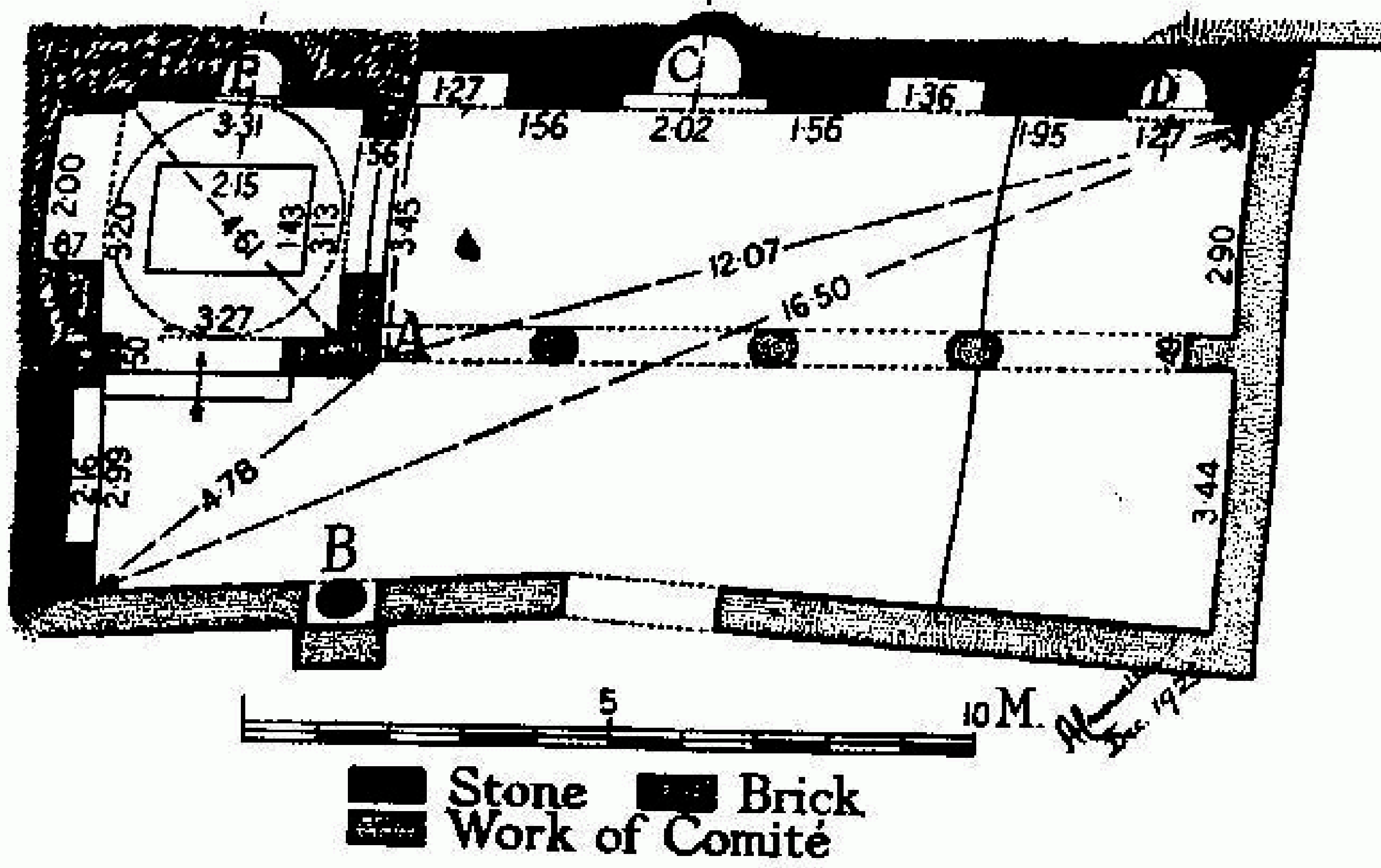
[١] ذَكَرَ المقريزي «دَرْبَ بَطُّوط» (فيما تقدم ٢: ٢٥٥) عند ذكره لما أَدْرَكَه من السُّور اللَّبِن الذي بناه جَوْهَر القائِد، حيث ذكر أنَّه شاهَدَ قِطعًا منه فيما بين بابِ البَرْقِيَّة ودَرْبِ بَطُّوط هَدَمَها شَخْصٌ سنة ٨٠٣هـ. وما يزال جَامِعُ أَصْلَم السِّلاح دار قائمًا بشارع دَرْب شُغْلان عند تلاقيه بشارع فاطمة النبوية بالدَّرْب الأحمر (فيما تقدم ٢٣٢). لذلك فقد رَجَّح حسن قاسم أنَّه رُبَّما كان موضع هذا الرِّباط المَسْجِد المعروف الآن بـ«مَسْجِد السَّيِّدَة فاطمة النبوية» بقُرْب دَرْبِ شُغْلان بالدَّرْب الأحمر، وهذا المسجد جَدَّدَه والي مصر عَبَّاس باشا الأوَّل في منتصف القرن التاسع عشر. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ١٥٥-١٥٦ (٢٦٦)؛ حسن قاسم: المزارات المصرية ٦: ٣٥).

[٢] المقريزي: السلوك ٢: ٣٨٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٠٦. ومن المتعذِّر تعيين مكان تُرْبَة سِنْجِر الخازِن بالقَرافَة الصُّغْرىٰ نظرًا للتغييرات الكثيرة التي طرأت على هذه القَرافَة.

[٣] انظر ترجمة عَلَم الدِّين سِنْجِر الخازن فيما تقدم ٣: ٤٤٩ وهـ[١]، وأضف إلى مصادر الترجمة، المقريزي: السلوك ٢: ٣٨٧- ٣٨٨.

[٤] ما زال هذا الرِّباطُ موجودًا بحارة خَلَوات المتفرِّعة من شارع سُوق السِّلاح خلف جامع أُلْجاي اليوسفي. (راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ١٥٢ (٥٣)؛ حسن عبد الوهاب: «رباط أحمد بن سليمان»، مجلة الهندسة ١٧ (١٩٣٧)، ١٥٤- ١٥٩؛ Creswell, K.A.C., *M A E* II, pp. 220-22؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٨٩- ٩٠؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٢٠٩-٢٢١).

الرِّفاعية بديار مصر . كان عَبْدًا صالِحًا ، له قَبولٌ عَظيمٌ من أُمَرَاءِ الدَّوْلَة وغيرهم ، ويَنْتَمِي إليه كثيرٌ من الفُقَراء الأَحْمَدِيَّة ، ورَوَى الحَديثَ عن سِبْط السِّلَفي وحَدَّث ، وكانت وَفاتُه ليلة الاثنين سادِس ذي الحجَّة سنة إحدى وتسعين وستّ مائةٍ بهذا الرِّواق [١] .



مُخَطَّط رِباط أحمد بن سُلَيْمان (عن Creswell)

رِباطُ دَاود بن إبراهيم

بخُطِّ بِرْكَةِ الفِيل ، بُنِيَ في سنة ثلاثٍ وستين وستِّ مائةٍ .

رِباطُ ابن أبي المَنْصُور

هذا الرِّباطُ بقَرافَةِ مصر ، عُرِفَ بالشَّيخ صَفِيّ الدِّين الحُسَيْن بن عليّ بن أبي المَنْصور الصُّوفي المالِكي [٢] ، كان من بَيْتِ وَزارَة ، فتَجَرَّدَ وسَلَكَ طَريقَ أَهْلِ الله على يد الشَّيْخ أبي العَبَّاس أحمد

---

[١] توجد على تابوت أحمد بن سليمان ثلاثة أسطر من النسخ المملوكي تحمل النَّصّ الآتي :

«بِسْم الله الرَّحْمن الرحيم ـ الآية ١٨٢ سورة آل عمران ـ هذا قَبْرُ الشيخ الصَّالِح الإمام العالم شَيْخ مشايخ الإسلام سيدنا محيي الدِّين أبا (كذا) العَبَّاس أحمد بن سليمان الرِّفاعي . توفي يوم الاثنين السَّادس من شهر ذي الحجَّة سنة تسعين وست مائة» (Wiet, G., *RCEA* XIII, n°4941). وواضح أنَّ هناك فرق سنة بين التاريخ المثبت على التابوت والتاريخ الذي أورده المقريزي .

[٢] الشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّين أبو عبد الله حسين بن علي بن ظَافِر الأَزْدي الأنصاري الخَزْرَجي الحَرّاني المالكي المعروف بابن =

ابن أبي بَكْر الحَزَّار[a] التُّجِيبي المغربي[b] [1]، وتَزَوَّجَ ابنته، وعُرِفَ بالبَرَكَة، وحُكِيَت عنه كَراماتٌ، وصَنَّفَ كِتابَ «الرِّسالَة»، ذَكَرَ فيها عِدَّةً من المشايخ [2]، ورَوَى الحَديثَ وحَدَّثَ، وشارَكَ في الفِقْه وغيره.

وكانت وِلادَتُه في ذي القعدة سنة خمسٍ وتسعين وخمس مائةٍ، ووَفاتُه بِرِباطِه هذا، يوم الجُمُعَة ثاني عشر شهر رَبيعٍ الآخر سنة اثنتين وثمانين وستّ مائةٍ.

رِباطُ المُشْتَهَى

/هذا الرِّباطُ برَوْضَةِ مصر يطلّ على النّيل، وكان به الشَّيْخُ المُسَلِّك [بَهاء الدِّين محمد ابن الكازَرُوني][c] [3].

ولله دَرُّ شَيْخِنا العارِف الأديب شِهاب الدِّين أحمد بن أبي العَبَّاس الشَّاطِر الدَّمَنْهوري، حيث يقول:

[السريع]

بِرَوْضَةِ المِقْياسِ صُوفِيَّةٌ   هم مُنْيَةُ الخاطِرِ والمُشْتَهَى
لهم على البَحْرِ أيادٍ عَلَت   وشَيْخُهم ذاكَ له المُنْتَهَى

---

a) بولاق: الجزار. b) في المقفى الكبير: الأندلسي. c) بياض في النسخ والمثبت من النجوم الزاهرة.

= أبي المَنْصُور ابن الوزير جمال الدِّين أبي الحسين بن جمال الدِّين أبي المَنْصُور، وُلِدَ في حَرَّان سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م، وتوفي بالقَرافَة في مصر، ودُفِنَ برِباطِه سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٢م. (ابن الملقن: طبقات الأولياء ٥٤٠؛ المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٥٦٤-٥٦٧).

[1] أبو العَبَّاس أحمد الحَزَّار بن أبي بكر التُّجيبي، مَنْشَأه بإشْبيليَة من غَرْب الأندلس، وكان يَنْسج الحرير السَّقْلاطون فسُمِّي بالحَزَّار، وصَحِبَ بها رِجالًا، وكان فَقيهًا مُحَدِّثًا رَحَلَ إلى مصر وذاعَ بها صيتُه، وتُوفي سنة ٦١٦هـ/١٢١٨م. (ابن أبي المنصور: رسالة صفي الدِّين بن أبي المنصور ٣- ٢٢؛ المقريزي: المقفى الكبير ١: ٦٧١-٦٨٢).

[2] نَشَرَها ديني جريل Denis Gril بعنوان «رِسالَة صَفيّ الدِّين بن أبي المنصور»، القاهرة ـ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٨٦.

[3] توفي الشيخ العارف بالله المعتقَد المُسَلِّك بَهاء الدِّين محمد بن الكازَرُوني في ليلة الأحد خامس عشر ذي الحجة سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م، ودُفن بهذا الرِّباط (الزَّاوية). وهذا الرِّباط أنشأه بهاء الدِّين الكازَروني سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٤م بجزيرة الرَّوْضَة، ولا تزال آثاره باقية إلى اليوم باسم «زاوية الكازَرُوني»، جَدَّدَتها خوشيار هانم والدة الخديو إسماعيل في سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٢٥هـ[4]).

وقال الإمامُ العَلّامَة شَمْسُ الدِّين محمد بن عبد الرَّحمن بن الصَّائِغ الحَنَفي :

[السريع]

يـا لَـيْـلَـةً مَـرَّت بِـنَـا حُـلْـوَةً　　إن رُمْتَ تَشْبيهًا لها عِبْتَها
لا يَبْلُغُ الواصِفُ في وَصْفِها　　حَدًّا ولا يَلْـقَـى لـه مُـنْـتَـهَـىٰ
بِـتُّ مـع المَعْـشُـوقِ في رَوْضَـةٍ　　ونِلْتُ من خُرْطومِه المُشْتَهَىٰ

رِباطُ الآثار

هذا الرِّباطُ خارج مصر بالقُرْبِ من بِرْكَةِ الحَبَشِ ، مُطِلٌّ على النِّيل ، ومُجاوِرٌ للبُسْتانِ المعروف بالمَعْشُوق [1].

قال ابنُ المُتَوَّج : هذا الرِّباطُ عمَّرَه الصَّاحِبُ تاجُ الدِّين محمد بن الصَّاحِب فَخْر الدِّين محمد ، وَلَد الصَّاحِب بَهاء الدِّين عليّ بن حِنَّا ، بجوارِ بُسْتانِ المَعْشُوق [2] ، وماتَ ـ رَحِمَه الله ـ قَبْل تكملته ، ووَصَّى أن يُكْمَل من ريعِ بُسْتانِ المَعْشُوق ، فإذا كَمُلَت عِمارَتُه يُوقَف عليه ، ووَصَّى الفَقِيه عِزّ الدِّين بن مِسْكين ، فعَمَّرَ فيه شيئًا يَسيرًا وأَدْرَكَه المَوْتُ إلى رَحْمَةِ الله تعالى ، وشَرَعَ الصَّاحِبُ ناصِرُ الدِّين محمد وَلَدُ الصَّاحِب تاجِ الدِّين في تكملته ، فعَمَّرَ فيه شيئًا جيدًا [3]. انتهى .

وإنَّما قيلَ له «رِباطُ الآثار» ، لأنَّ فيه قِطْعَة خَشَبٍ وحَديدة [4] ـ يُقالُ إنَّ ذلك من آثارِ رَسُولِ الله

---

[1] انظر عن المَعْشُوق ، فيما تقدم ٣: ٥٢٧، وكان يقع على النيل بجوار سكن قرية أثر النَّبي من الجهة البحرية .

[2] ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٣٨٥.

[3] ابن دقماق : الانتصار ٤: ١٠٢، وسَمّاه «الرِّباطُ الصَّاحبي التَّاجي» .

[4] شاهَدَ هذه الآثار كُلٌّ من ابن بَطُّوطَة والصَّفَدي ، ذَكَرَ ابنُ بَطُّوطة أنَّها «قِطْعَةٌ من قَصْعَةِ رَسُولِ الله ﷺ والمِيل الذي كان يَكْتَحِلُ به ، والإشْفي الذي كان يَخْصِفُ به نَعْلَه» ، إضافَةً إلى مُصْحَفِ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه ـ الذي بخَطِّ يده ! (مُهَذَّب رحلة ابن بَطُّوطَة ٣٦) ؛ بينما قال الصَّفَدي : «وقد زُرْتُ هذه الآثار في مكانها ورأيتها وهي : قِطْعَةٌ من العَنَزَة (أي الحَرْبَة) ومِرْوَد ومِخْصَف ومَلْقَط وقطعة من قَصْعَة وكَحَلْتُ ناظري برؤيتها» . (الوافي بالوفيات ١: ٢١٨) . وراجع كذلك ، القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٤٣.

وقد نَقَلَ السُّلْطانُ الأَشْرَف قانْصُوه الغوري الآثار النَّبَوية ، بعد أن أفْتَى العُلَماءُ بجواز نَقْلها ، وجَعَلَها في مَدْرسته الموجودة الآن بحي الغورية سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م وأضافَ إليها الرَّبْعَة التي كانت بالخانْقاه البَكْتَمُرِيَّة بالقَرافَة الصُّغْرىٰ (فيما تقدم ٧٧٢-٧٧٥) (ابن إياس : بدائع الزهور ٤: ٦٨) . وظَلَّت هذه الآثار بمَدْرَسة الغوري حتى تَمَّ نَقْلها سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م إلى المسجد الزَّيْنَبِي ، ثم نُقِلَت بعد =

ﷺ ـ اشْتَرَاها الصَّاحِبُ تاجُ الدِّين المذكور بمبلغ ستين ألف دِرْهَم فِضَّة[١] من بَنِي إبراهيم أهْل يَنْبُع، وذَكَرُوا أنَّها لم تَزَل عندهم مَوْرُوثَةً من واحِدٍ إلى آخَرَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وَحَمَلَها إلى هذا الرِّباط، وهي به إلى اليوم يَتَبَرَّكُ النَّاسُ بها، ويَعْتَقِدُون النَّفْعَ بها.

وأدْرَكْنا لهذا الرِّباطِ بَهْجَةً، وللنَّاسِ فيه اجتماعاتٍ، ولسُكَّانِه عِدَّةُ مَنافِع مِمَّن يتردَّدُ إليه أيَّام كان ماءُ النِّيل تحته دائِمًا. فلمَّا انْحَسَرَ الماءُ من تِجاهِه، وحَدَثَت المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائة، قَلَّ تَرَدُّد النَّاسِ إليه، وفيه إلى اليوم بقِيَّة.

ولمَّا كانت أيَّامُ الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن بن محمد بن قَلاوون، قَرَّر فيه دَرْسًا للفُقَهاءِ الشَّافِعِيَّة، وجَعَلَ له مُدَرِّسًا وعنده عِدَّةٌ من الطَّلَبَة، ولهم جَارٍ في كلِّ شهرٍ من وَقْفٍ وَقَفَه عليهم، وهو باقٍ أيضًا. وفي أيَّام الملك الظَّاهِر بَرْقُوق، وَقَفَ قطعةَ أرْضٍ لعَمَلِ الجِسْر المتَّصل بالرِّباط، وبهذا الرِّباط خِزانَةُ كُتُب، وهو عَامِرٌ بأهْلِه[٢].

الوَزيرُ الصَّاحِب تاجُ الدِّين محمد بن الصَّاحِب فَخْر الدِّين محمد ابن الوَزير الصَّاحِب بَهاء الدِّين عليّ بن سَليم بن حِنَّا[٣]. وُلِدَ في سابع شَعْبان سنة أربعين وستّ مائة، وسَمِعَ

= ذلك إلى «خِزانَة الأَمْتِعَة» بالقَلْعَة، ثم نُقِلَت إلى «ديوان الأوْقاف» سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م، وفي العام التالي نُقِلَت إلى «قَصْر عابِدين» ومنه إلى «المَشْهَد الحُسَيْني» حيث أقامَ لها الخديو عَبَّاس حلمي الثاني حجرةً خاصَّةً بها في عام ١٣١١هـ/١٩١٣م ما تزالُ موجودةً وراءَ الجِدار الشَّرْقي للجامِع، وهي عبارة عَن أربعة صناديق من الفِضَّة ملفوفة في قِطعٍ من الدِّيباج الأخضر المطرَّز تشمل: المُكْحَلَة والمِرْوَد في صندوق، والقميص في صندوق، والقَضيب في صندوق، إضافةً إلى شعرتين من اللحية النَّبوية الشَّريفَة! بينما فُقِدَت قطعةُ العَنَزَة وقِطعةُ القَصْعَة والمِخْصَفُ والمِلْقَط. (أحمد تيمور: الآثار النبوية، القاهرة ـ مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥١، ٣٨-٤٦).

[١] عند ابن بطوطة: بمائة ألف درهم، وعند ابن دقماق: بمائتين وخمسين ألف درهم.

[٢] عُمِّر هذا الرِّباطُ أكثر من مَرَّة، فإضافَةً إلى ما ذكره المقريزي، قام بتجديده كذلك النَّاصرُ فَرَجُ بن بَرْقُوق والأَشْرَفُ قانصوه الغوري (Wiet, G., *Inscriptions historiques sun pierre*, pp. 79-80 n° 107)، ثم زالَ الرِّباطُ الأَصْلي الذي أنشأه الصَّاحِبُ تاجُ الدِّين بن حِنَّا، وبُنِي مكانه في العصر العثماني جَامِعٌ صغير جَدَّدَه في سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م الخواجا (أي التاجر) محمود حسن بَرْزَجان، كما تَعَرَّضَ لترميم شاملٍ سنة ١٩١٦م، والجامع الحالي مسجل بالآثار برقم ٣٢٠. (ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٢-١٠٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٤: ٦٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ١٥٠ (٥٢)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٦١هـ [١]؛ Mantran, R., «Inscriptions turques ou de l'époque turque du Caire», *An.Isl.* XI (1972), pp. 212-14؛ محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة ٢٥٤-٢٦٧؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٣٩٣-٤٠٣).

[٣] انظر ترجمة الصَّاحِب تاج الدِّين بن حِنَّا أيضًا عند، الصفدي: أعيان العصر ٥: ١١٢-١٢٧، الوافي بالوفيات ١: ٢١٧-٢٢٨؛ المقريزي: المقفى الكبير ٧: ١١١-=

من سِبْط السِّلَفي وحَدَّث ، وانتهت إليه رياسَةُ عَصْرِه . وكان صَاحِبَ صِيانَةٍ وسُؤْدَد ومَكارِمَ وشاكِلةٍ حَسَنة وبَزَّةٍ فاخِرة إلى الغاية . وكان يتناهَى في المطاعِم والملابِس والمناكِح والمساكِن ، ويَجُودُ بالصَّدَقات الكثيرة ، مع التَّواضُع ومَحَبَّة الفُقَراء وأهْلِ الصَّلاح ، والمبالغة في اعْتِقادِهم . ونالَ في الدُّنْيا من العِزِّ والجاهِ ما لم يَرَه جَدُّه الصَّاحِبُ الكبير بَهاءُ الدِّين ، بحيث إنَّه لمَّا تَقَلَّد الوَزيرُ الصَّاحِبُ فَخْرُ الدِّين بن الخَلِيلي الوَزارَة ، سارَ من قَلْعَةِ الجَبَلِ - وعليه تَشْريفُ الوَزارَة - إلى بَيْتِ الصَّاحِب تاجِ الدِّين ، وقَبَّلَ يَدَه وجَلَسَ بين يَدَيْه ، ثم انْصَرَفَ إلى دارِه .

وما زالَ على هذا القَدْرِ من وُفُورِ العِزِّ ، إلى أن تَقَلَّدَ الوَزارَة في يوم الخميس رابع عشرين صَفَرَ سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائةٍ ، بعد قَتْلِ الوَزير الأمير سِنْجِر الشُّجاعِي ، فلم يَنْجُب ، وتَوَقَّفَت الأحْوالُ في أيَّامه ، حتى احْتاجَ إلى إحْضَارِ تَقاوي النَّواحي المُرْصَدَة بها للتَّخْضير واسْتَهْلَكها . ثم صُرِفَ في يوم الثلاثاء خامِس عشرين جُمادَىٰ الأولىٰ سنة أربعِ وتسعين وستّ مائةٍ ، بفَخْرِ الدِّين عُثْمان بن الخَلِيلي .

وأُعيدَ إلى الوَزارَة مرَّةً ثانيةً فلم يَنْجَح ، وعُزِلَ وسُلِّم مَرَّةً للشُّجاعي ، فجَرَّدَه من ثِيابِه ، وضَرَبَه شَيْئًا واحِدًا بالمقارِع فوق قَميصِه ، ثم أفْرَج عنه على مالٍ ، وماتَ في رابع جُمادَىٰ الآخرة سنة سبعٍ وسبع مائةٍ ، ودُفِنَ في تُرْبَتِهم بالقَرافَة ، وكان له شِعْرٌ جَيِّدٌ .

ولله دَرُّ شَيْخِنا الأديب جَلال الدِّين محمد بن خَطيب دَارَيَّا الدِّمَشْقي البَيْساني ، حيث يقول في الآثار [1]:

[الكامل]

يا عَيْنُ إنْ بَعُدَ الحَبيبُ ودارُه ... ونَأَت مرابِعُه وشَطَّ مَزارُه
فلقد ظَفِرتُ من الزَّمانِ بطائِلٍ ... إنْ لم تَرَيه فهذه آثارُه

وقد سَبَقَه لذلك الصَّلاحُ خَليلُ بن أَيْبَك الصَّفَدي ، فقال :

[الكامل]

/أَكْرِم بآثارِ النَّبيِّ محمدٍ ... مَنْ زارَه اسْتَوْفى السُّرورَ مَزارُه ٤١
يا عَيْنُ دونَك فانْظُري وتَمَتَّعِي ... إنْ لم تَرَيه فهذه آثارُه

=١١٧، السلوك ٢: ٤١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤: ٣٢٢- ٣٢٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٢٨، المنهل الصافي ٢: ٦٩٠- ٦٩١.

[1] ابن دقماق :الانتصار ٤: ١٠٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٥٣.

واقْتَدَى بهما في ذلك أبو الحَزْم المَدَني فقال :

[الكامل]

يا عَيْنُ كَمْ ذا تَسْفَحين مَدامِعا   شَوْقًا لقُرْبِ المُصْطَفَى ودِيارِه
إن كان صَرْفُ الدَّهْرِ عاقَكِ عنهما   فتَمَتَّعي يا عَيْنُ في آثارِه

[a]وكان شَيْخُنا سِراجُ الدِّين عُمَر بن علي الأنْصَاري المعروف بابن المُلَقِّن الشَّافِعي يَطْعَن في الآثار، وذَكَرَ لي أنَّ له فيها مُصَنَّفًا ولم أقِفْ عليه[a] [١].

رِباطُ الأَفْرَم

هذا الرِّباطُ بسَفْحِ الجُرُفِ الذي عليه الرَّصْدُ، وهو يُشْرِفُ على بِرْكَةِ الحَبَشِ، وكان من أحْسَنِ مُتَنَزَّهات أهْلِ مصر. أنشأه الأميرُ عِزُّ الدِّين أَيْبَك الأَفْرَم، أمير خازِنْدار الصَّالِحِي النَّجْمي، ورَتَّبَ فيه صُوفِيَّةً وشَيْخًا وإمامًا، وجَعَلَ فيه مِنْبَرًا يُخْطَب عليه الجُمُعَة والعيدَيْن، وقَرَّرَ لهم مَعالِيمَ من أوْقافٍ أرْصَدَها لهم، وذلك في سنة ثلاثٍ وستين وستّ مائةٍ. وهو باقٍ، إلَّا أنَّه لم يبْق به ساكِنٌ لخَرابِ ما حَوْله، وله إلى اليوم مُتَحَصَّلٌ من وَقْفِه.

والأَفْـرَمُ هذا هو الذي يُنْسَبُ إليه «جِسْرُ الأَفْرَم» خارِج مصر، وقد ذُكِرَ عند ذِكْر الجُسُور من هذا الكِتاب [٢].

a-a) هذه الفقرة ساقطة من بولاق.

[١] ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٣٥٩؛ ابن دقماق : الانتصار ٤: ١٠١ الذي حَدَّدَ أنَّ موضعه كان بحارَة المجانين فيما بين سُوقِ القَصَّابين المتَّصل بالسُّوقِ الكبير والرَّحْبَة بالمَدْرَسَة المعزية، وله بابٌ من ناحية المطابخ السُّلْطانية، وانظر فيما تقدم ٢: ٢٩٨.

[٢] راجع فيما تقدم ٣: ٥٥١- ٥٥٢.
وانظر ترجمة الأمير عِزّ الدِّين أيْبَك الأَفْرَم الصَّالحي النَّجْمي، المتوفى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م عند، الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ٤٧٨؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١: ١٩١؛ ابن الفرات : تاريخ ٨: ٢١٥؛ المقريزي : السلوك ١: ٧٤٩، ١٠٢٤، المقفى الكبير ٢: ٣٢٨- ٣٣٣؛ العيني : عقد الجمان ٣: ٣٣٨- ٣٣٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٨٠، ١٨٩، المنهل الصافي ٣: ١٣٠- ١٣٢.

الرِّبَاطُ العَـلائي

هذا الرِّباطُ خارِجَ مصر، بخُطِّ بَيْن الزُّقاقَيْن شَرْقي الخَليج الكبير ـ يُعْرَف اليوم بـ«خانْقاه المَواصِلَة» ـ وهو آيِلٌ إلى الدُّثُورِ لخَرابِ ما حَوْلَه. أنشأه الملكُ عَلاءُ الدِّين أبو الحَسَن عليُّ ابن الملك المجاهِد سَيْف الدِّين إسْحاق صَاحِب الجزيرَة ابن السُّلْطان[a] الملك الرَّحيم بَدْر الدِّين لُؤْلُؤ صَاحِب المَوْصِل، بجوار دَارِه وحَمَّامِه وطاحُونِه، وجَعَلَ له فيه مَدْفَنًا، ووَقَفَ عليه بُسْتانَ الجَوْف، وبُسْتانًا بناحية شُبْرا، وعِدَّةَ حِصَصٍ من قُرَى فِلَسْطين والسَّاحِل، وأحْكارًا ودُورًا بجانب الرِّباط[1]. وماتَ يوم الجُمُعَة ثامِن رَبيع الآخر سنة إحدىٰ وثلاثين وسبع مائةٍ، ومَوْلِدُه يوم الجُمُعَة ثامِن عشرين المحرَّم سنة سبعٍ وخمسين وستّ مائةٍ بجَزيرَة ابن عُمَر، وكان من الحَلْقَة، وسَمِعَ الحَديث من النَّجيب الحَرَّاني وابن عَرَفَةَ وابن عَلاق، ودُفِنَ فيه.

وبه إلى الآن بَقِيَّةٌ، ويَحْضُره الفُقَهاءُ يَوْمًا في الأسْبوع، وهم عشرة، شيخُهم منهم، ومنهم قارئُ مِيعادٍ وقُرَّاء. وكان أوَّلًا مَعْمُورًا بسُكْنَى أهْلِه دائمًا فيه، وفي هذا الوَقْتِ لا يمكن سُكْناه لكثرة الخَوْفِ من السُّرَّاق.

زَاوِيَةُ الدِّمْيَاطي[b]

هذه الزَّاوِيَة فيما بين خُطِّ السَّبْعِ سِقايات وقَنْطَرة السَّدِّ خارِجَ مصر[2]، إلى جانِبِ حَوْضِ السَّبيل المَعَدِّ لشُرْب الدَّواب[3]. أنشأها الأميرُ عِزُّ الدِّين أَيْبَك الدِّمْياطي الصَّالِحِي

---

a) ساقطة من بولاق. b) أضافت طبعة بولاق هنا عنوانًا لا يوجد في النسخ: ذكر الزَّوايا.

---

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٢ نَصٌّ أكثر تفصيلًا.

[2] زاوية الدِّمْياطي: ما تزالُ قائمةً بشارع السَّدّ الجُوَّاني على رأس شارع الشيخ سليم بقسم السَّيِّدَة زينب، وتُعْرَف بجامع الحَبيبي نسبةً إلى الشيخ محمد الحَبيبية ـ شيخ الطريقة الحَبيبيةِ الذي جَدَّدَ هذا المسجد في سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، ثم دُفِنَ فيه بجوار قَبْر الأمير أَيْبَك ـ مُؤَسِّس الزَّاوية ـ. وجَدَّدَت وزارة الأوقاف هذا الجامع سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢٧٥هـ[3]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٦٥ (٢٤)؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٢: ٢٨٢- ٢٨٥.

[3] اندَثَر الآن هذا الحَوْضُ وحَلَّ مكانه الدَّكاكينُ الواقعة بجوار جامع الحَبيبي من الجهة البحرية المشرفة على شارع السَّدّ، وهو الطريق العام بين مصر والقاهرة من عَهْد الدَّوْلَة الفاطمية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢٧٥هـ[4]).

التَّجِمي [١]، أحَدُ الأُمَرَاء المقدَّمين الأكابِر في أيَّام الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس، وبها دُفِنَ لمَّا ماتَ بالقاهِرَة ليلة الأربعاء تاسِع شَعْبان سنة ستٍّ وتسعين وستّ مائةٍ. وإلى الآن يُعْرَف الحَوْضُ المجاوِر لها بحَوْضِ الدِّمْياطي.

زَاوِيَةُ الشَّيْخ خِضْـر

هذه الزَّاوِيَةُ خارِج بابِ الفُتُوح من القاهِرَة بخُطِّ زُقاقِ الكَحْل [٢]، تُشْرِف على الخَليج الكبير [٣]، عُرِفَت بالشَّيْخ خِضْر بن أبي بكر بن مُوسَىٰ المَهْراني العَدَوي، شَيْخ السُّلْطان الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس [٤].

كان أوَّلًا قد انْقَطَعَ بجَبَلِ المِـزَّةِ خارِج دِمَشْق، فعَرَفَه الأميرُ سَيْفُ الدِّين قَشْتَمُر العَجَمي، وتَرَدَّدَ إليه، فقال له: لابد أن يَتَسَلْطَن الأميرُ بَيْبَرْس البُنْدُقْداري، فأَخْبَرَ بَيْبَرْس بذلك. فلمَّا صارَت المملكةُ إليه بعد قَتْلِ الملك المُظَفَّر قُطُز، اشْتَمَلَ على اعْتِقادِه وقَرَّبَه، وبَنَى له زاوِيَةً بجَبَلِ

---

[١] الأمير عِزُّ الدِّين أيْبك الدِّمْياطي الصَّالحي النَّجْمي، أحد أكابر الأمراء المُقَدَّمين على الجيوش، المتوفى في شَعْبان سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م. (الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ٤٧٧؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧: ١٠١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢٧٥، المنهل الصافي ٣: ١٣٤-١٣٥).

[٢] انظر عن زُقاق الكَحْل، فيما تقدم ٣: ١٣٩، وهو الطريق الواقع جنوب جامع الظَّاهر المعروف بسكة الظَّاهر ويطلق عليه العامّة شارع المَنْسي.

[٣] كانت زاويةُ الشيخ خِضْر قائمةً حتى نهاية القرن العاشر الهجري حيث شاهدها الشيخ عبد الوهاب الشَّعْراني، المتوفى سنة ٩٧٣هـ/١٥٦٥م، وذَكَرَ أنَّ قَبْرَ الشيخ خِضْر كان يُزارُ في وقته، وقد انْدَثَرَت الآن هذه الزَّاوية ودَخَلَت في المساكن، ويدلّ عليها المُرَبَّع القائم عليه المنزلان رقما ٢٩ و٣١ الواقعان في نهاية شارع الإمبابي من الجهة الشرقية على يسار الداخل من سِكَّة الظَّاهر فيما بين هذه السكة وشارع بورسعيد (الخليج المصري سابقًا). (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٦١هـ[١]).

[٤] الشَّيخ خِضْر بن أبي بكر المَهْراني، شيخ الظَّاهر بَيْبَرْس، المتوفى سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م. (راجع أخباره عند، النويري: نهاية الأرب ٣٠: ١٩٨-٢٠٠، ٣٧٦-٣٨٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ٢٢٠-٢٢٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٣: ٣٣٣-٣٣٥؛ الصقاعي: تالي كتاب وفيات الأعيان ٩٠-٩٢؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر ٥٨-٦٠، ٢٧٢-٢٧٤؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٣: ٢٦٤-٢٦٨؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧: ١٠٢-١٠٣؛ المقريزي: السلوك ١: ٦٠٨، ٦٣٤، المقفى الكبير ٣: ٧٥٠-٧٥٦ (اعتمادًا على ابن فضل الله العمري)؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٦١-١٦٢، ٢٧٦-٢٧٧، المنهل الصافي ٥: ٢١٨-٢٢٠؛ Pouzet, L., «Hadir ibn Abi Bakr al-Mihrani (m.7 muh. 676/11 juin 1277), sayh du sultan mamelouk al-Malik al-Zâhir Baibars», *BEO* XXX (1978), pp. 173-83; Holt, P.M., «An Early Source on Shaykh Khadir al-Mihrani», *BSOAS* 46 (1983), pp. 33-39.

المِزَّة، وزاوِيَةً بظَاهِر بَعْلَبَكّ، وزَاوِيَةً بحَمَاه، وزاوِيَةً بحِمْص، وهذه الزَّاوية خارِج القاهِرَة، ووَقَفَ عليها أحْكارًا تُغِلّ في السنة نحو الثلاثين ألف درهم، وأنْزَلَهُ بها.

وصارَ يَنْزِلُ إليه في الأُسْبُوع مَرَّةً أو مَرَّتين، ويُطْلِعُه على غَوامِض أسْراره، ويستشيره في أُمورِه، ولا يَخْرُج عمَّا يُشيرُ به، ويأخُذُه معه في أسْفارِه، وأَطْلَقَ يَدَه، وصَرَّفَه في مَمْلَكَتِه. فهَدَمَ كَنيسَةَ اليَهود بدِمَشْق، وهَدَمَ كَنيسَةً للنَّصارَىٰ بالقُدْس، كانت تُعْرَف بالمُصَلَّبَة، وعَمِلَها زاوِيَةً، وقَتَلَ قِسّيسَها بيده، وهَدَمَ كَنيسَةً للرُّوم بالإسْكَنْدَرية - كانت من كراسي النَّصارَىٰ، ويَزْعُمُون أنَّ بها رأسَ يَحْيَىٰ بن زَكريا - وعَمِلَها مَسْجِدًا سَمَّاه الحَضْرا [a]. فاتَّقَى جانِبَه الخَاصُّ والعامُّ، حتى الأمير بَدْرُ الدِّين بِيلْبَك الخازِنْدار نائِب السَّلْطَنَة، والصَّاحِبُ بَهاء الدِّين عليّ بن حِنَّا، ومُلُوك الأطْراف.

وكان يَكْتُبُ إلى صَاحِب حَماه، وجَميعِ الأُمَراء إذا طَلَبَ حاجَةً، ما مِثالُه :/ «الشَّيْخ خِضْر نَيَّاكُ الحِمارَة». وكان رَبْعَ القامَة كَثَّ اللِّحْية، يَتَعَمَّم عَشْراويّ [1]، وفي لِسانِه عُجْمَة، مع سَعَة صَدْرٍ، وكَرَم شَمائِل، وكَثْرَة عَطاء من تَفْرِقَة الذَّهَب والفِضَّة، وعَمَلِ الأسْمِطَة الفاخِرَة. وكانت أحْوالُه عَجيبَةً لا يَتَكَيَّف، وأقْوالُ النَّاسِ في مختلفة: منهم من يُثْبِتُ صَلاحَه ويَعْتَقِده، ومنهم من يَرْميه بالعَظائِم.

وكان يُخْبِر السُّلْطانَ بأمُورٍ تَقَع، منها أنَّه لمَّا حاصَرَ أَرْسُوف - وهي أوَّل فُتُوحاتِه - قال له: مَتَى نأخُذُ هذه المَدينَة؟ فعَيَّنَ له يَوْمًا يأخُذها فيه، فأخَذَها في ذلك اليوم بعينه، واتَّفَقَ له مثل ذلك في فَتْحِ قَيْسارِيَّة، فلذلك كَثُرَ اعْتِقادُه فيه.

وما أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّريف [b]شَرَفِ الدِّين[b] محمد بن رِضْوان النَّاسِخ في مُلازَمَة السُّلْطانِ له في أسْفارِه [2]:

[الكامل]

ما الظَّاهِرُ السُّلطانُ إلَّا مالِكُ الـ ـدُّنْيا بِذاكَ لنا المَلاحِمُ تُخْبِرُ

ولَنا دَليلٌ واضِحٌ كالشَّمْسِ في وَسَطِ السَّماءِ بكلِّ عَيْنٍ تَنْظُرُ

---

a) بولاق: الخضر، المقفى الكبير: المدرسة الخضراء. b-b) ساقطة من بولاق.

---

[1] عشراوي، أي نسبة إلى عَشائِر العُرْبان.

[2] وردت هذه الأبياتُ في الوافي بالوفيات وتاريخ ابن الفرات والنجوم الزاهرة.

لمَّا رَأَيْنا الخِضْرَ يَقْدُمُ جَيْشَه أَبَدًا عَلِمْنا أنَّه الإسْكَنْدَرُ

وما بَرِحَ على رُتْبَتِه إلى ثامِن عشر شَوَّال سنة إحدى وسبعين وستّ مائةٍ ، فقُبِضَ عليه واعْتُقِلَ بقَلْعَةِ الجَبَلِ ، ومُنِعَ النَّاسُ من الاجْتِماعِ به . ويُقالُ إنَّ ذلك بسبب أنَّ السُّلْطانَ كان أعْطاه تُحَفًا قَدِمَت من اليَمَن ، منها كَرٌّ[1] يَمَني مَليح إلى الغاية ، فأَعْطاهُ خِضْرٌ لبَعْض المُرْدانِ . فبَلَغَ ذلك الأَميرَ بَدْرَ الدِّين الخازِنْدار النائِب ـ وكان قد ثَقُلَ عليه بكثرة تَسَلُّطه ، حتى لقد قال له مَرَّةً بحضرة السُّلْطان : كأنَّك تُشْفِقُ على السُّلْطانِ وعلى أوْلادِه مثل ما فَعَلَ قُطُز بأوْلادِ المُعِزّ ـ فأَسَرَّها في نفسه ، وبَلَّغَ خَبَر الكَرّ اليمني إلى السُّلْطان . فاسْتَدْعاه ، وحَضَرَ جَماعَةٌ حاقَقُوه على أُمُورٍ كثيرة مُنْكَرَة ـ كاللِّواط والزِّنا ونحوه ـ فاعْتَقَلَه ، ورَتَّبَ له ما يَكْفيه من مأكولٍ وفاكِهةٍ وحَلْوى .

ولمَّا سافَرَ السُّلْطانُ إلى بِلادِ الرُّوم ، قال خِضْرٌ لبعض أصْحابِه : إنَّ السُّلْطانَ يَظْهَر على الرُّوم ـ ويَرْجِع إلى دِمَشْق فيَمُوت بها بعد أن أَمُوتَ أنا بعشرين يومًا . فكان كذلك ، وماتَ خِضْرٌ في مَحْبَسِه بقَلْعَةِ الجَبَلِ في سادِس المحَرَّم ، أو سابعه ، من سنة ستٍّ وسبعين وستّ مائةٍ ، وقد أنافَ على الخمسين ، فسُلِّم إلى أَهْلِه ، وحَمَلُوه إلى زَاوِيته هذه ، ودَفَنُوه فيها .

وكان السُّلْطانُ قد كَتَبَ بالإفْراجِ عنه ، فقَدِمَ البَرِيدُ بعد مَوْتِه ، وماتَ السُّلْطانُ بدِمَشْق ، في سابع عشرين المحرَّم المذكور ، بعد خِضْر بعشرين يومًا .

وهذه الزَّاوِيَةُ باقية إلى الآن[a].

زَاوِيَةُ ابن مَنْظُور

هذه الزَّاوِيَةُ خارِج القاهِرَة بخُطِّ الدِّكَّة بجوار المَقْس ، عُرِفَت بالشَّيْخ جَمال الدِّين محمد ابن أحمد بن مَنْظُور بن ياسين بن خَليفَة بن عبد الرَّحْمَن ، أبو عبد الله الكِناني العَسْقَلاني الشَّافِعِيّ الصُّوفي ، الإمام الزَّاهِد[2] . كانت له مَعارِفُ وأَتْباعٌ ومُرِيدون ومَعْرِفَةٌ بالحَديث ؛ حَدَّث عن أبي الفُتُوح الجَلاجِلي[b]، ورَوَى عنه الدِّمْياطي والدَّواداريّ وعِدَّةٌ من النَّاس ، ونَظَرَ في الفِقْه ، واشْتُهِرَ

---

a) بولاق : اليوم . b) بولاق : الجلالي .

---

[1] الكَرّ ـ بالفتح والضم ـ قطعة من قماش تُصْنَع منها العمائم (Dozy, *Suppl. Dict. Ar.* II, 460) .

[2] ترجمته عند الصفدي : الوافي ٢ : ١٠٤؛ المقريزي : المقفى الكبير ٥: ٢٨١– ٢٨٢.

بالفَضِيلَة، وكانت له ثَرْوَةٌ وصَدَقاتٌ. ومَوْلِدُه في ذي القعدة سنة سبعٍ وتسعين وخمس مائةٍ، ووَفاتُه بزاوِيته في ليلة الثاني والعشرين من شهر رَجَب الفَرْد سنة ستٍّ وتسعين وستّ مائةٍ.

وكانت هذه الزّاوِية أوَّلًا تُعْرَف بزاوِيَة شَمْسِ الدِّين بن كُر البَغْدادي.

زَاوِيَـةُ الظَّـاهِري

هذه الزّاوِيَةُ[1] خَارِج بابِ البَحْر، ظاهِر القاهِرَة عند حَمّام طُرْغاي على الخَليج النَّاصِري. كانت أوَّلًا تُشْرِفُ طاقاتُها على بَحْرِ النِّيل الأعظم، فلمّا انْحَسَرَ الماءُ عن سَاحِل المَقْس، وحَفَرَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون الخَلِيجَ النَّاصِرِيّ، صارَت تُشْرِفُ على الخَلِيج المذكور من بَرِّه الشَّرْقي، واتَّصَلَتِ المَناظِرُ هناك؛ إلى أن كانَتِ الحَوادِثُ من سنة ستٍّ وثمان مائةٍ، فخَرِبَت حَمّامُ طُرْغاي، وبِيعت أَنْقاضُها وأَنْقاضُ كثيرٍ مِمّا كان هناك من المَناظِر، وأُنْشِئ مَوْضِعَها[a] بُسْتانٌ عُرِفَ أوَّلًا بعبد الرَّحْمَٰن، صَيْرَفيّ الأمير جَمال الدِّين الأُسْتادّار، لأنَّه أوَّلًا أَنْشَأه، ثم انْتَقَلَ عنه.

والظَّاهِري

هذا هو أحمد بن محمَّد بن عبد الله، أبو العَبّاس جَمال الدِّين الظّاهِرِيّ. كان أبوه محمَّد بن عبد الله عَتيقَ الملك الظّاهِر شِهاب الدِّين غَازي، وبَرَعَ حتى صارَ إمامًا حافِظًا، وتُوفِّي ليلة الثلاثاء لأرْبَعٍ بقين من رَبيعِ الأوَّل سنة ستٍّ وتسعين وستّ مائةٍ بالقاهِرَة، ودُفِنَ بتُرْبَتِه خارِج باب النَّصْر[2].

وابنه عُثْمان بن أحمد بن محمد بن عبد الله فَخْر الدِّين بن جَمال الدِّين الظَّاهِري الحَلَبي، الإمامُ العَلّامَة المُحدِّث الصَّالِح، وُلِدَ في سنة سبعين وستّ مائةٍ، وأسْمَعَه أبوه بديار مصر والشَّام، وكان مُكْثِرًا، وماتَ بزاوِيته (b هذه خارج باب البَحْر b) في سنة ثلاثين وسبع مائةٍ، (b ودُفِنَ بمقابر بابِ النَّصْر b)[3].

---

a) بولاق: هناك. b-b) إضافة من المُسَوَّدة.

---

[1] في المقفى الكبير (١: ٦٠٠) أنّ الذي ابتناها لأبي العباس الظّاهري، الأمير أيْدَغْدي العزيزي.

[2] انظر في ترجمته، الصفدي: أعيان العصر ١: ٣٤٠–٣٤٢؛ الوافي بالوفيات ٨: ٣٦؛ الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ١: ١٢٢؛ المقريزي: المقفى الكبير ١: ٦٠٠؛ أبا المحاسن: المنهل الصافي ٢: ١٢١.

[3] انظر في ترجمته، الصفدي: أعيان العصر ٣: ٢١٢–٢١٣؛ الوافي بالوفيات ١٩: ٤٦٦؛ القرشي: الجواهر =

زَاوِيَةُ الجُمَيْـزَة

/هذه الزَّاوِيَةُ موضعها من جملة أراضي الزُّهْري، وهي الآن خارِج بابِ زَوِيلَةَ بالقُرْبِ من مَعَدِّيَّة فُرَيْج[1]، أنشأها الأميرُ سَيْفُ الدِّين جَيْرَك السِّلاحْ دار المَنْصوري، أَحَدُ أُمَرَاءِ الملك المَنْصور قَلاوون، في سنة اثنتين وثمانين وستّ مائةٍ، وجَعَلَهَا [a]مَسْجِدًا ورِباطًا، وقَرّر[a] فيها عِدَّةً من الفُقَرَاءِ الصُّوفِيَّة.

زَاوِيَةُ الحَلاوي

هذه الزَّاوِيَةُ بخُطِّ الأَبَّارين من القاهِرَة، بالقُرْبِ من الجَامِع الأَزْهَر، أَنْشَأَها الشَّيْخُ مُبارَكٌ الهِنْدي السُّعودي الحَلاوي، أَحَدُ الفُقَرَاءِ من أَصْحابِ الشَّيْخ أَبي السُّعود بن أَبي العَشائِر البارِيني الوَاسِطِي، في سنة ثمانٍ وثمانين وستّ مائةٍ، وأقامَ بها إلى أن ماتَ ودُفِنَ فيها.

فقامَ من بعده ابْنُه الشَّيْخُ عُمَر بن عليّ بن مُبارَك، وكانت له سَماعاتٌ ومَرْوياتٌ، ثم قامَ من بَعْده ابنه شَيْخُنا جَمالُ الدِّين عبد الله ابن الشَّيْخ عُمَر بن عليّ ابن الشَّيْخ مُبارَك الهِنْدي، وحَدَّثَ، فسَمِعْنا عليه بها إلى أن ماتَ في صَفَرَ سنة ثمانٍ وثمان مائةٍ، وبها الآن وَلَدُه، وهي من الزَّوايا المَشْهورَة بالقاهِرَة، [a]تُقْصَدُ لسَماعِ الحَديثِ النَّبَوي بها[a].

زَاوِيَةُ الشَّيْخ[b] نَصْر

هذه الزَّاوِيَةُ خَارِج بابِ النَّصْر من القاهِرَة، أَنْشَأَها الشَّيْخُ نَصْرُ بن سُلَيْمان أبو الفَتْح المَنْبِجي، النَّاسِكُ القُدْوَة، وحَدَّثَ بها عن إبراهيم بن خَليل وغيره. وكان فَقِيهًا مُعْتَزِلًا عن النَّاسِ، مُتَخَلِّيًا للعِبادَة، يَتَرَدَّد إليه أكابِرُ الدَّوْلَة وأَعْيانُ النَّاس[c].

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) إضافة من المُسَوَّدَة. c) بولاق: أكابر الناس وأعيان الدولة.

= المضية ٢: ٥١٧؛ المقريزي: السلوك ٢: ٣٢٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٥٠؛ أبا المحاسن: المنهل الصافي ٧: ٤١٤- ٤١٥.

[1] انظر عن مَعَدِّيَّة فُرَيْج، فيما تقدم ٣٥٥هـ[2].

[2] تُعْرَف هذه الزَّاوِيَة الآن باسم «زاوية الحَلُّوجي».

وكان للأمير رُكْنِ الدِّين بَيْبَرْس الجاشْنَكير فيه اعْتِقادٌ كبيرٌ ، فلمَّا وَلِيَ سَلْطَنَة مصر ، أَجَلَّ قَدْرَه وأَكْرَمَ مَحَلَّه ، فهُرِعَ النَّاسُ إليه ، وتَوَسَّلوا به في حَوائِجِهم . وكان يَتَغالَى في مَحَبَّة العارِف مُحْيي الدِّين محمد بن عَرَبي الصُّوفي ، ولذلك كانت بينه وبَيْن شَيْخ الإسْلام أحمد ابن تَيْمِيَة مُناكَرَةٌ كبيرةٌ ، وماتَ ـ رحمه الله ـ عن بِضْعٍ وثمانين سنة في ليلة السابعِ والعشرين من جُمادَىٰ الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مائةٍ ، ودُفِنَ بها .

زاويةُ الخُدَّام

[هذه الزَّاوِيَةُ][a] خارِج بابِ النَّصْر ، فيما بَيْن شُقَّةِ باب الفُتُوح من الحُسَيْنِيَّة وبَيْن شُقَّةِ الحُسَيْنِيَّة خارِج بابِ النَّصْر ، أَنْشَأها الطَّواشي بِلال القَراجي[b]، وجَعَلَها وَقْفًا على الخُدَّامِ الحَبَش الأَجْناد في سنة سبعٍ وأربعين وستّ مائةٍ[1] .

زاويةُ تقيّ الدِّين

[أثر رقم ٣٢٦]

هذه الزَّاوِيَةُ تحت قَلْعَةِ الجَبَل ، أَنْشَأَها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون ، بعد سنة عشرين وسبع مائةٍ ، لسُكْنَى الشَّيْخ تقيّ الدِّين رَجَب بن أشيرك العَجَمي . وكان وَجيهًا مُحْتَرَمًا عند أُمَرَاءِ الدَّوْلَة ، ولم يَزَلْ بها إلى أن ماتَ يوم السبت ثامِن شهر رَجَب سنة أربع وعشرين[c] وسبع مائةٍ . وما زالَت مَنْزِلًا لفُقَراءِ العَجَم إلى وَقْتِنا هذا[2] .

---

a) زيادة اقتضاها السياق . b) بولاق : الفراجي . c) في النسخ : أربع عشرة ، والتصويب من السلوك والدرر الكامنة .

---

[1] كانت هذه الزَّاوية تقع في سويقة الدريس شاهدها علي باشا مبارك في نهاية القرن التاسع عشر وقال : إنَّ شعائرها مقامة وتُعْرَف أيضًا بـ «زاوية التَّميمي» لأنَّ الشيخ التَّميمي ـ مُفْتي الحنفية سابقًا ـ أجرى بها عمارة سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م» . (الخطط التوفيقية ٦ : ٧١–٧٢ (٢٦)) .

[2] ما تزالُ هذه الزَّاوية موجودةً ، وقد تَجَدَّدَ أغْلَبُ مبانيها ، بدَرْب اللَّبَّانَة المتفرِّع من سِكَّة المَحْجَر تحت القَلْعَة ، وتُعْرَف بـ «تَكِيَّة العَجَمي» أو «تَكِيَّة تقيّ الدِّين البِسْطامي» نسبةً إلى الشيخ محمد البِسْطامي أحد مشايخها السابقين ، المتوفى في رمضان سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م .

وهذه الزَّاوية أنشأها في الأصل السُّلْطانُ الملك المنصور =

زَاوِيَةُ الشَّرِيف مَهْدِي

هذه الزَّاوِيَةُ بجوار زَاوِيَة الشَّيْخ تَقِيّ الدِّين المذكورة، جَدَّدَها[a] الأَميرُ صَرْغَتْمُش في سنة ثلاثٍ وخمسين وسبع مائةٍ.

زَاوِيَةُ الطَّراطِرِيَّة

هذه الزَّاوِيَةُ بالقُرْبِ من مَوْرَدَةِ البَلاط، بناها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون، بوَساطَة القاضي شَرَف الدِّين النَّشْو ناظِر الخاصّ، برَسْم الشَّيْخَيْن الأَخَوَيْن محمد وأحمد ـ المعروفين بالطَّراطِرِيَّة ـ في سنة أربعين وسبع مائةٍ. وكانا من أهْلِ الخَيْرِ والصَّلاحِ، ونَزَلا أوَّلًا في مَقْصُورَةٍ بالجَامِع الأَزْهَر، فعُرِفَت بهما. ثم عُرِفَت بعدهما بمَقْصورَة الحُسَام الصَّفَري[b]، والِد الأمير الوَزير ناصِر الدِّين محمد بن الحُسَام[c]، وهذه المَقْصورَة بآخِر الرِّواق الأوَّل مِمَّا يلي الرُّكْن الغَرْبي.

ولم تَزَلْ هذه الزَّاوِيَةُ عامِرَةً، إلى أن كانتِ المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائة، وخَرِبَ خُطُّ زَرْبِيَّة قُوصُون وما في قِبْلِيّه إلى مُنْشَأَةِ المَهْراني، وما في بَحْرِيه إلى قُرْبِ بُولاق.

زَاوِيَةُ القَلَنْدَرِيَّة

القَلَنْدَرِيَّةُ طائِفَةٌ تنتمي إلى الصُّوفِيَّة، وتارَةً تُسَمّي أَنْفُسها «مَلامَتِيَّة»[1]. وحقيقَةُ القَلَنْدَرِيَّة أنَّهم قَوْمٌ طَرَحُوا التَّقَيُّد بآدابِ المُجالَسات والمُخَالَطات[d]، وقَلَّت أَعْمالُهم من الصَّوْمِ والصَّلاةِ إلَّا الفَرائِض، ولم يُبالُوا بتَناوُلِ شيءٍ من اللَّذَّات / المُباحَة، واقْتَصَرُوا على رِعايَة الرُّخْصَة، ولم يَطْلُبُوا

---

a) بولاق: بناها. b) بولاق: الصفدي. c) المُسَوَّدَة: ناصر الدِّين الحُسامي. d) بولاق: المخاطبات.

= حسام الدِّين لاجين للشيخ تقي الدِّين رجب العَجَمِي في شهر صفر سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، ثم وَسَّعَ السُّلْطانُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون مُصَلَّى الزَّاوية في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، ثم جَدَّدَها السُّلْطانُ الظَّاهِرُ أبو سعيد جَقْمَق سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م. (راجع، المقريزي: السلوك ٢: ١٤١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ١٩٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٨هـ[2]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٦٠-٦١ (٢٢)، ١٥٦ (٥٤)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٦٨٧-٦٩٦).

[1] الملامَتِيَّة. طريقةٌ في التَّصَوُّف الإسلامي، بدأت في الظهور في نَيسابور في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وتَبِع «القَلَنْدَرِيَّة» الملامَتِيَّة في إطارِ طريقةٍ=

حَقائِقَ العَزيمَة ، والْتَزَمُوا ألَّا يَدَّخِروا شيئًا ، وتَرَكُوا الجَمْعَ والاسْتِكْثار من الدُّنْيا ، ولم يَتَقَشَّفوا ، ولا زَهِدُوا ولا تَعَبَّدوا ، وزَعَمُوا أنَّهم قد قَنَعوا بطيبِ قُلوبِهم مع الله تعالى ، واقْتَصَرُوا على ذلك ، وليس عندهم تَطَلُّع إلى طَلَبِ مَزيدٍ سِوَى ما هم عليه من طِيبِ القُلُوب .

والفَرْقُ بن المَلامَتي والقَلَنْدَري : أنَّ المَلامَتي يَعْمَل في كَتْمِ العِبادات ، والقَلَنْدَري يَعْمَل في تَخْريب العادات . والمَلامَتي مُتَمَسِّكٌ بكلِّ أبْوابِ البِرِّ والخَيْر ، ويَرَى الفَضْلَ فيه ، إلَّا أنَّه يُخْفي أعْماله وأحْوالَه [a] ، ويُوقِفُ نفسه مَوْقِفَ العَوامِّ في هَيْئَته ومَلْبُوسه ، سَتْرًا للحال حتى لا يُفْطَن له ، وهو مع ذلك مُتَطَلِّعٌ إلى طَلَبِ [b] المَزيد من العِبادَات . والقَلَنْدَري لا يَتَقَيَّد بهَيْئَةٍ ، ولا يُبالي بما يُعْرَف من حالِه وما لا يُعْرَف ، ولا يَنْعَطِف إلَّا على طِيبِ القُلُوبِ وهو رَأْسُ مالِه [1] .

وهذه الزَّاوِيةُ خارِج بابِ النَّصْر من القاهِرَة ، من الجِهَة التي فيها التُّرَبُ والمَقابِرُ التي تلي المساكِن ، أنشأها الشَّيْخُ حَسَن الجَوالِقي القَلَنْدَري ، أَحَدُ فُقَراء العَجَمَ القَلَنْدَرِيَّة على رَأْيِ الجَوالِقَة [2] . ولمَّا قَدِمَ إلى دِيارِ مصر ، تَقَدَّمَ عند أُمَراءِ الدَّوْلَة التركية ، وأَقْبَلُوا عليه واعْتَقَدوه ، فأثْرَى ثَراءً زائِدًا في سَلْطَنَةِ الملك العادِل كَتْبُغا ، وسافَرَ معه من مصر إلى الشَّام . فاتَّفَق أنَّ السُّلْطانَ اصْطادَ غَزالًا ، ودَفَعَه إليه ليحمله إلى صَاحِبِ حَمَاه . فلمَّا أَحْضَرَه إليه ، أَلْبَسَه تَشْريفًا من حَرير طَرْد وَحْش [c][3] وكَلُّوتَة زَرْكَش ، فقَدِمَ بذلك على السُّلْطان ، فأخَذَ الأُمَراءُ في مُداعَبته ، وقالوا له على سَبيلِ الإنْكار : كَيْف تَلْبَس الحَرير والذَّهَب وهما حَرامٌ على الرِّجال ؟ فأَيْنَ التَّزَهُّد وسُلُوكُ طَريقِ الفَقْرِ ؟ ونَحْو ذلك .

---

a) بولاق : أحواله وأعماله . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : طرزوحش .

= منظّمة ، وإن كانت توجد فروقٌ جِذْريّة بين تفكير ومباشَرَة الملامتية والقلندريّة كما لاحظَ ذلك السُّهْرَوَرْدي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي . (عوارف المعارف ، القاهرة ١٩٧٣ ، ٧٢-٧٥) . وراجع لمزيد من التّفصيلات حول هذا الموضوع ، أبا العلا عفيفي : «رسالة الملامتية لأبي عبد الرحمن محمد السُّلَمي» ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ٦ (مايو ١٩٤٢) ، ٤٧-١٠٥؛ Trimingham, J.S., *The Sûfi Orders in Islam*, Oxford 1971, pp. 264-69; De Jong, F., *EI*[2] art. *Malâmatiyya* VI, pp. 217-18; Tuhrin Yazici, *EI*[2] art. *al-Kalandariyya* IV, p. 439؛ المقريزي : السلوك ١ : ٦٥٥-٦٥٦هـ [4] .

[1] السهروردي : عوارف المعارف ٧٦ (وهو مصدر نقل المقريزي) .

[2] يَدُلّ على موقع هذه الزّاوية الآن الجامع المعروف بـ «جَامِع الخواصّ» الكائن بحارة الخَوَّاص المتفرّعة من شارع الحُسَيْنِيَة خارج باب الفُتُوح . (راجع ، المقريزي : السلوك ٢ : ٢٣٩؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ١٣٥-١٣٦؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٥٦-٢٥٧هـ [4]) .

[3] انظر عن نسيج الطُّرْدوَحْش ، فيما تقدم ٣ : ٧٣٧هـ [1] .

فعندما حَضَرَ صَاحِبُ حَماه إلى مَجْلِس السُّلْطان على العادَة ، قال له : يا خَوَنْد ، إيش عملت معي ؟ الأُمَرَاءُ أَنْكَرُوا عليّ ، والفُقَرَاءُ تُطالِبُني . فأَنْعَمَ عليه بألف دينار . فجَمَعَ الفُقَرَاء والنَّاس ، وعَمِلَ وَقْتًا عَظيمًا بزَاوِيَة الشَّيْخ عليّ الحَرِيريّ خارِج دِمَشْق .

وكان سَمْحَ النَّفْس ، جَميلَ العِشْرَة ، لطيفَ الرُّوح ، يَحْلِق لِحْيَتَه ولا يَعْتَمّ ، ثم إنَّه تَرَكَ الحَلْق ، وصارَت له لِحْيَةٌ ، وتَعَمَّم عِمامَةً صُوفِيَّة ، وكانت له غَضْبَةٌ[a]، وفيه مُرُوءَةٌ وعَصَبِيَّةٌ ، ومات بدِمَشْق في سنة اثنتين وعِشْرين وسبع مائةٍ . وما بَرِحَت[b] هذه الزَّاوِيَة مَنْزِلًا لطائِفَةِ القَلَنْدَرِيَّة ، ولَهُم بها شَيْخٌ ، وفيها منهم عَدَدٌ مَوْفُور .

وفي شهر ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبع مائةٍ ، حَضَرَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ حَسَن ابن محمد بن قَلاوون بخَانْقاه أَبيه الملك النَّاصِر ، في ناحية سِرْياقوس خارج القاهِرَة ، ومَدَّ له شَيْخُ الشُّيُوخ سِماطًا كان من جملة من وَقَفَ عليه بين يَدَي السُّلْطان الشَّريفُ عليّ ، شَيْخ زاوية القَلَنْدَرِيَّة هذه ، فاسْتَدْعاه السُّلْطانُ ، وأَنْكَرَ عليه حَلْقَ لِحْيَتِه واسْتَتابَه ، وكَتَبَ له تَوْقيعًا سُلْطانِيًّا مَنَعَ فيه هذه الطَّائِفَة من تَحْليق لِحاهُم ، وأنَّ من تَظاهَرَ بهذه البِدْعَة قُوبِلَ على فِعْله المُحَرَّم ، وأن يكون شَيْخًا على طائِفَتِه كما كان ما دام وداموا مُتَمَسِّكين بالسُّنَّة النَّبَوِيَّة .

وهذه البِدْعَةُ لها منذ ظَهَرَت ما يزيدُ على أربع مائة سنةٍ ، وأوَّلُ ما ظَهَرَت بدِمَشْق في سنة بضع عشرة وخمس مائةٍ[c]، وكُتِبَ إلى بِلاد الشَّام بإلزام القَلَنْدَرِيَّة بتَرْك زِيِّ الأعاجِم والمَجُوس ، ولا يُمَكَّن أَحَدٌ من الدُّخول إلى بلاد الشَّام حتى يَتْرُكَ هذا الزِّيّ المُبْتَدَع واللِّباس المُسْتَبْشَع المُسْتَشْنَع[d]، ومن لا يلتزم بذلك يُعَزَّر شَرْعًا ، ويُقْلَع من قَرارِه قَلْعًا . فنُودِيَ بذلك في دِمَشْق وأَرْجائِها يوم الأربعاء سادس عشر ذي الحِجَّة .

قُبَّةُ النَّصْر

هذه القُبَّةُ زَاوِيَة يَسْكُنُها فُقَرَاءُ العَجَم ، وهي خارِج القاهِرَة بالصَّحْراء تحت الجَبَل الأَحْمَر ، بآخِرِ مَيْدانِ القَبَق من بَحْريه[1] [e]. جَدَّدَها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن

a) بولاق : غصبة . b) بولاق : وما زالت . c) بولاق : وست مائة . d) ساقطة من بولاق . e) بياض بنسخة آياصوفيا .

[1] ذَكَرَ المقريزي (فيما تقدم ٣: ٣٧٦) أنَّ الأمير يُونُس الدَّوادار عَمَّرَ تُرْبَتَه بعد سنة ٧٨٠هـ/١٣٨٨م تجاه قُبَّة النَّصْر، ثم =

قلاوون على يَدِ الأمير جَمال الدِّين آقُوش نائِب الكَرَك .

زَاوِيَةُ الرُّكْرَاكي

هذه الزَّاوِيَةُ خارِج القاهِرَة في أرْضِ المَقْس . عُرِفَت بالشَّيْخ المُعْتَقَد أبي عبد الله محمد الرُّكراكي ، المغربي المالِكي ، لإقامَتِه بها . وكان فَقيهًا مالِكيًا ، مُتَصَدِّيًا لأشْغالِ المغارِبَة ، يَتَبَرَّكُ النَّاسُ به ، إلى أن ماتَ بها يوم الجمعة ثاني عشر جُمادَىٰ الأولىٰ سنة أربعٍ وتسعين وسبع مائةٍ ، ودُفِنَ فيها [١] .

والرُّكْراكي نِسْبَةٌ إلى رَكْراكَة ، بَلْدَةٌ بالمغرب ، هي أَحَد مَراسي سَواحِل المغرب بقُرْبِ البَحْر المحيط ، تنزل فيه السُّفُن ، فلا تَخْرُج إلَّا بالرِّياح العاصِفَة في زَمَنِ الشِّتاءِ عند تكدُّر الهَواء .

زَاوِيَةُ الشَّيْخِ [a] إبراهيم الصَّائغ

هذه الزَّاوِيَةُ بوَسَطِ الجِسْرِ الأَعْظَم ، تطلّ على بِرْكة الفيل ، عَمَّرَها الأميرُ سَيْفُ الدِّين طُغاي بعد سنة عشرين [b]/ وسبع مائةٍ ، وأَنْزَلَ فيها فَقيرًا عَجَمِيًّا من فُقَراءِ الشَّيْخ تقيّ الدِّين رَجَب ، ٤٣٤ يُعْرَف بالشَّيْخ عِزّ الدين العَجَمي ، وكان يَعْرِف عِلْم [a] صِناعَة الموسيقى ، وله نَغْمَةٌ لذيذةٌ وصَوْتٌ مُطْرِب وغِنـاءٌ جَيِّد ، فأقامَ بها إلى أن ماتَ في سنة ثلاثٍ وعشرين وسبع مائةٍ . فَغَلَبَ عليها الشيخ [c] بُرْهان الدِّين [c] إبراهيم الصَّائغ ، إلى أن ماتَ يوم الاثنين رابع عشر شهر رَجَب سنة أربعٍ

a) ساقطة من بولاق . b) المسودة : إحدى عشرة . c-c) ساقطة من بولاق .

= عَمَّر الأمير قِجْماس - ابن عَمّ الملك الظَّاهِر بَرْقوق تُرْبَة هناك . وذكر السخاوي في حوادث جمادى الأولى سنة ٨٥٤هـ/١٤٥١م ، أنَّ السُّلْطان أمَرَ بإقامة صَلاة اسْتِسْقاء في الصَّحْراء ، فخرَجَ سَائِرُ النَّاس ونُصِبَ للإمام مِنْبَرٌ بين تُرْبَة الظَّاهِر بَرْقُوق وبين قُبَّة النَّصْر بالقرب من الجَبَل . (التبر المسبوك (بولاق) ٣١١) . ويتَّضح من ذلك أنَّ قُبَّة النَّصْر كانت واقعةً في الفَضَاء الكائن شرقي خانْقاه السُّلْطان بَرْقُوق وقُبَّة الأمير يُونُس الدَّوادار بينهما وبين الجَبَل الأحمر . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ٤١هـ [١]) .

[١] المقريزي : السلوك ٣ : ٧٧٩؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٣٤ .

وخمسين وسبع مائةٍ ، فعُرِفَت به [١] .

زاوِيَةُ الجَعْبَرِي

هذه الزَّاوِيَةُ [٢] خارِج بابِ النَّصْر من القاهِرَة ، تُنْسَب إلى الشيخ بُرْهان الدِّين إبراهيم بن مِعْضاد ابن شَدَّاد بن ماجِد الجَعْبَري ، المُعْتَقَد الواعِظ ، كان يَجْلِس للوَعْظ ، فتجتمع إليه النَّاسُ ، ويُذَكِّرهم ويَرْوي الحَديث ، ويُشارِكُ في عِلْم الطِّبّ وغيره من العُلُوم ، وله شِعْرٌ حَسَنٌ ، ورَوَى عن السَّخاوي ، وحَدَّثَ عنه البِرْزالي [a] . وكان له أصحابٌ يُبالِغون في اعْتِقادِه ، ويَغْلون في أَمْرِه ، وكان لا يَراهُ أَحَدٌ إلَّا عَظَّمَ [b] قَدْرَه وأَجَلَّه وأَثْنَى عليه ، وحُفِظَت عنه كلماتٌ طُعِنَ عليه بسَبَبِها ، وعُمِّر حتى جاوَزَ الثَّمانين سنة .

فلمَّا مَرِضَ أَمَرَ أن يُخْرَج به إلى مَكانِ قَبْرِه ، فلمَّا وَقَفَ عليه قال : قُبَيْرٌ جاكَ دُبَيْر [c] . وماتَ بعد ذلك بيومٍ في يوم السبت رابع عشرين المحرَّم سنة سبعٍ وثمانين وستّ مائةٍ [٣] .

والجَعابِرَةُ عِدَّةٌ ، منهم [d] .

a) بولاق : البزراكي . b) بولاق : أعظم . c) بولاق : قبير وحال دبير . d) بياض بالنسخ .

[١] رَجَّحَ علي باشا مبارك أنَّ هذه الزَّاوية هي المكان الذي كان يُوجد لَصْق حوش إبراهيم جَرْكَس في مقابلة منزل حسين باشا حسني الذي كان ناظرًا لمطبعة بولاق والواقعة على يسار المار في شارع مراسينا (عبد المجيد اللَّبَّان الآن) في اتجاه مَيْدان السيدة زينب . (الخطط التوفيقية ٢:٣٢٤ (١٢٠)، ٦:٤٤-٤٥ (١٧)) .

[٢] زالت الآن زاويةُ الجَعْبَري ، بينما مازال قَبْرُه ظاهِرًا يُزار وعليه مَقْصُورةٌ من الخَشَب داخل قاعة بصَحْراء أبي قلاوة بجبَّانة بابِ النَّصْر يُتَوَصَّل إليه من شارع نَجْم الدِّين تجاه حوش الحاج دسوقي الفوانيسي من الجهة الغربية . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧:٣٧٥هـ [٣]) .

[٣] انظر ترجمة إبراهيم بن مِعْضاد الجَعْبَري عند ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٦:١٤٧-١٤٨؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٨:١٢٣-١٢٤؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١:١١٦-١١٧؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨:٧٢-٧٣؛ المقريزي : السلوك ١:٧٤٦، المقفى الكبير ١:٣٢٠-٣٢٢؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٧:٣٧٤-٣٧٦، المنهل الصافي ١:١٧٧-١٧٨ . والجَعْبَري نسبةٌ إلى جَعْبَر : قَلْعَة على الفُرات بين بالِس والرَّقة قُرْب صِفِّين . (ياقوت : معجم البلدان ٢:١٤١-١٤٢) .

زَاوِيَـةُ أَبِي السُّعُود

[هذه الزَّاوِيَةُ][a] خارِج بابِ القَنْطَرَة من القاهِرَة، على حافَةِ الخَليج، عُرِفَت بالشَّيْخ المُبارَك أَيُّوب السُّعُودي. كان يَذْكُر أَنَّه رأى الشَّيْخَ أبا السُّعود بن أبي العَشائِر، وسَلَكَ على يَدَيْه، وانْقَطَعَ بهذه الزَّاوية، وتَبَرَّكَ النَّاسُ به، واعْتَقَدُوا إجابَةَ دُعائِه، وعُمِّرَ وصَارَ يُحْمَل لعَجْزِه عن الحَرَكَة [b]لحُضُورِ الجَماعَةِ[b]. حتى ماتَ، عن مائة سنة، أوَّل صَفَر سنة أربعٍ وعشرين وسبع مائةٍ[1].

زَاوِيَـةُ الحِمْصِي

هذه الزَّاوِيَةُ خارِج القاهِرَة، بخُطِّ حِكْر خَزائن السِّلاح والأوسية، على شاطِئ خَليج الذَّكَر من أرْضِ المَقْس بجوار الدِّكَّة. أنشأها الأميرُ ناصِرُ الدِّين محمد ـ ويُدْعَى طَيْقُوش ـ ابن الأمير فَخْر الدِّين أَلْطُنْبُغَا[c] الحِمْصي، أَحَد الأُمَرَاء في الأيَّام النَّاصِرِيَّة. كان أبوه من أُمَرَاءِ الظَّاهِر بَيْبَرْس.

ورَتَّبَ بهذه الزَّاوية عَشَرَة من الفُقَرَاء القادِرِيَّة[d] شَيْخُهُم منهم، ووَقَفَ عليها عِدَّةَ أماكِن بجِوارِها[e] وحِصَّةً من قَرْيَة بُورين من قُرَى سَاحِلِ الشَّام، وغير ذلك في سنة تسعٍ وسبع مائةٍ. فلمَّا خَرِبَ ما حَوْلَها، وارْتُدِم خَليج الذَّكَر، تعَطَّلَتْ.

وهي الآن قد عَزَمَ مُسْتَحِقُّو رِيعِها على هَدْمِها، لكَثْرَة ما أحاطَ بها من الخَرَابِ من سَائِر جِهاتِها، وصارَ السُّلوكُ إليها مَخُوفًا بعد ما كانت تلك الخِطَّة في غاية العِمارَة، وفي جُمادَى سنة عشرين وثمان مائة[f] هُدِمَت.

---

a) زيادة اقتضاها السياق. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة. c) بولاق: الطنبغا. d) ساقطة من بولاق. e) بولاق: في جوارها. f) بولاق: وسبع مائة.

---

[1] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٦١؛ وقارن مع علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٤٥-٤٦ (١٧)؛ وفيما تقدم ٨١٠.

زَاوِيَةُ المُغَرْبِل

هذه الزَّاوِيةُ خارِج القاهِرَة، بدَرْبِ الزَّرَّاق من الحِكْر، عُرِفَت بالشَّيْخ المُعْتَقَد عليّ المُغَرْبِل، وماتَ في يوم الجُمُعَة خامس جُمادَىٰ الأُولَىٰ سنة اثنتين وتسعين وسبع مائةٍ، [a]ودُفِن بها[a]. ولمَّا كانتِ الحَوَادِثُ من سنة ستٍّ وثمان مائةٍ، خَرِبَت الحُكُورَة، وهُدِمَ دَرْبُ الزَّرَّاق وغيره[1].

زَاوِيَةُ القَصْرِي

هذه الزَّاوِيَةُ بخُطِّ المَقْسِ خارِج القاهِرَة. عُرِفَت بالشَّيْخ أبي عبد الله محمد بن مُوسَىٰ عبد الله ابن حسن القَصْري، الرَّجُل الصَّالِح الفَقيه المالِكي المَغْرِبي، قَدِمَ من قَصْرِ كُتامَة بالمغرب إلى القاهِرَة، وانْقَطَع بهذه الزَّاوية، على طَرِيقَةٍ جَميلَةٍ من العِبادَة وطَلَبِ العِلْم، إلى أن ماتَ بها في التاسع من شهر رَجَب سنة ثلاثٍ وثلاثين وستّ مائةٍ.

زَاوِيَةُ الجَاكِي

هذه الزَّاوِيَةُ في سُوَيْقَة الرِّيش، من الحُكُورَة خارِج القاهِرَة، بجانب الخَلِيج الغربي. عُرِفَت بالشَّيْخ المُعْتَقَد حُسَيْن بن إبراهيم بن عليّ الجاكي، وماتَ بها في يوم الخميس العشرين من شَوَّال سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مائة، ودُفِنَ خارِج بابِ النَّصْر، وكانت جَنازَتُه عَظيمَةً جِدًّا.

وأقامَ النَّاسُ يَتَبَرَّكُونَ بزيارَةِ قَبْرِه إلى أن كانت سنة سبعَ عشرةَ وثمان مائةٍ، فأَقْبَلَ النَّاسُ إلى زيارَة قَبْره، وصَارَ[b] لهم هناك مَجْتَمَعٌ عَظيمٌ في كلِّ يوم، ويحملون إلى / قَبْره النُّذور[c]، ويَزْعُمُون أنَّ الدُّعاءَ عنده لا يُرَدّ، فِتْنةً أَضَلَّ الشَّيْطانُ بها كثيرًا من النَّاسِ، وهم على ذلك إلى يَوْمِنا.

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة. b) بولاق: وكان. c) بولاق: ويحملون النذور إلى قبره.

---

[1] راجع، المقريزي: السلوك ٣: ٧٣٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ١٢٢.

زاويةُ الأبناسي

هذه الزَّاوِيَةُ بخُطِّ المَقْسِ [١]. عُرِفَت[a] بالشَّيْخ الفَقيه بُرهان الدِّين إبراهيم [بن حسن][b] بن مُوسَىٰ بن أيُّوب الأبناسي الشَّافِعِي [٢]. قَدِمَ من الرِّيف، وبَرَعَ في الفِقْه، واشْتُهِرَ بسَلامَةِ الباطِن، وعُرِفَ بالخَيْر والصَّلاح، وكَتَبَ على الفَتْوىٰ، ودَرَّسَ بالجَامِع الأزْهَر وغيره، وتَصَدَّى لأشْغال الطَّلَبَة عِدَّة سنين، وَوَلِيَ مَشْيَخَة الخانْقاه الصَّلاحِيَّة سَعيد السُّعَداء.

وطَلَبَه الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَرْقُوق - وهو يومئذٍ أتابَكُ العَساكِر - حتى يُقَلِّده قَضَاءَ القُضَاة بديار مصر. فتَغَيَّب[c] فِرارًا من ذلك، وتَنَزُّهًا عنه، إلى أن وُلِّيَ غيرُه. وكانت وِلادَتُه قبيل سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائةٍ، ووَفاتُه بمنزلة المُوَيْلِحَة من طَريقِ الحِجَاز - بعد عَوْدِه من الحَج - في ثامِن المحرَّم سنة اثنتين وثمان مائةٍ، ودُفِنَ بعُيُون القَصَبِ.

زاويةُ اليُونُسِيَّة

هذه الزَّاوِيَةُ خارِج القاهِرَة، بالقُرْبِ من بابِ اللُّوق، تنزلها الطائِفَةُ اليُونُسِيَّة: واحِدُهُم يُونُسي - بضم الياء المعجمة باثنتين من تحتها، وبعد الياء واو، ثم نون بعدها سين

---

a) المُسَوَّدَة: أنشأها الفقيه المعتقد. b) بولاق: حسين، وهو زائد فصواب اسمه: إبراهيم بن موسى. c) بولاق: فغيب.

---

[١] أنشأ هذه الزّاوية الشيخ إبراهيم بن مُوسَىٰ الأبناسي نحو سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، بجوار جامع التُّركماني (فيما تقدم ٢٥٥) بشارع بابِ البَحْر، ولم يتبق منها سوى مئذنتها فقط حيث أعيد بناء الزّاوية سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م بعد أن تهدّمت أجزاؤها.

وقدّم محمد الجهيني وَصْفًا لهذه الزّاوية ومشتملاتها من خلال نسخةٍ من وثيقةٍ خاصّة بها كتبت سنة ١٠١٣هـ/١٦٠٤م نقلًا عن الأصْل المكتوب سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م حُرِّرَت باسم ناظر الوَقْف، وهو ابن المُنْشئ شهاب الدّين أحمد بن إبراهيم الأبناسي. والزّاوية مسجلة بالآثار برقم ١٦٦. (محمد الجهيني: أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية «حي باب البَحْر»، ٢٢١–٢٣٠).

[٢] انظر ترجمة بُرْهَان الدّين إبراهيم بن مُوسَىٰ بن أيّوب الأبناسي، المتوفى سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، أيضًا عند المقريزي: المقفى الكبير ١: ١٣٩–١٤٠، درر العقود الفريدة ١: ٧٩–٨٠، السلوك ٣: ١٠٢٤؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ١١٢، ذيل الدرر الكامنة ٨٤–٨٥؛ أبي المحاسن: المنهل الصافي ١: ١٧٨–١٨٠؛ السخاوي: الضوء اللامع ١: ١٤١، ١٧٢.

مهملة ، في آخِرِها ياء آخر الحُروف - نسبة إلى يُونُس .

ويُونُس المنسوب إليه الطَّائِفَةُ اليُونُسية غير واحد : فمنهم يُونُس بن عبد الرَّحْمَن القُمِّي ، مَوْلى آل يَقْطين ، وهو الذي يَزْعُم أنَّ مَعْبودَه على عَرْشِه ، تحمله مَلائِكتُه وإنْ كان هو أقْوَى منها ، كالكَرْكي تحمله رِجْلاه وهو أقْوَى منهما . وقد كَفَرَ من زَعَمَ ذلك ، فإنَّ الله تعالى هو الذي يَحْمِل العَرْشَ وحَمَلَته . وهذه الطَّائِفَةُ اليُونُسية من غُلاةِ الشِّيعَة .

واليُونُسِيَّة أيضًا فِرْقَةٌ من المُرْجِئَة يَنْتَمُون إلى يُونُس السَّمَري[a] . وكان يَزْعُم أنَّ الإيمانَ هو المعرفة بالله والخُضُوع له ، وهو تَرْك الاسْتِكْبار عليه والمحَبَّة له ، فَمَنِ اجْتَمَعَت فيه هذه الخِلال فهو مُؤْمن[1] . وزَعَمَ أنَّ إبْليس كان عارِفًا بالله ، غير أنَّه كَفَرَ باسْتِكْبارِه عليه .

ولهم يُونُس بن يُوسُف[b] بن مُساعِد الشَّيْباني ثم المَخارِقي ، شَيْخ الفُقَراء اليُونُسية ، شَيْخٌ صَالح له كراماتٌ مشهورة ، ولم يكن له شَيْخ ، بل كان مَجْذوبًا ، جُذِبَ إلى طَرِيقِ الخَيْر . توفي بأعْمالِ دارا ، في سنة تسع عشرة وستّ مائةٍ[c] ، وقد ناهَزَ تسعين سنة ، وقَبْرُه مشهورٌ يُزار ويُتَبَرَّك به ، وإليه تُنْسَب هذه الطَّائِفَةُ اليُونُسِيَّة .

زَاوِيَةُ الخَلاطِي

هذه الزَّاوِيَةُ خارِج بابِ النَّصْرِ من القاهِرَة ، بالقُرْبِ من زاوِيَة الشَّيْخ نَصْر المَنْبِجي . عُرِفَت [d] وكانت لهم وَجاهَةٌ : منهم ناصِرُ الدِّين محمَّد بن عَلاء الدِّين علي ابن محمَّد بن حُسَيْن الخَلاطي ؛ ماتَ في نصف جُمادَىٰ الأولىٰ سنة سبع وثلاثين وسبع مائةٍ ، ودُفِنَ بها .

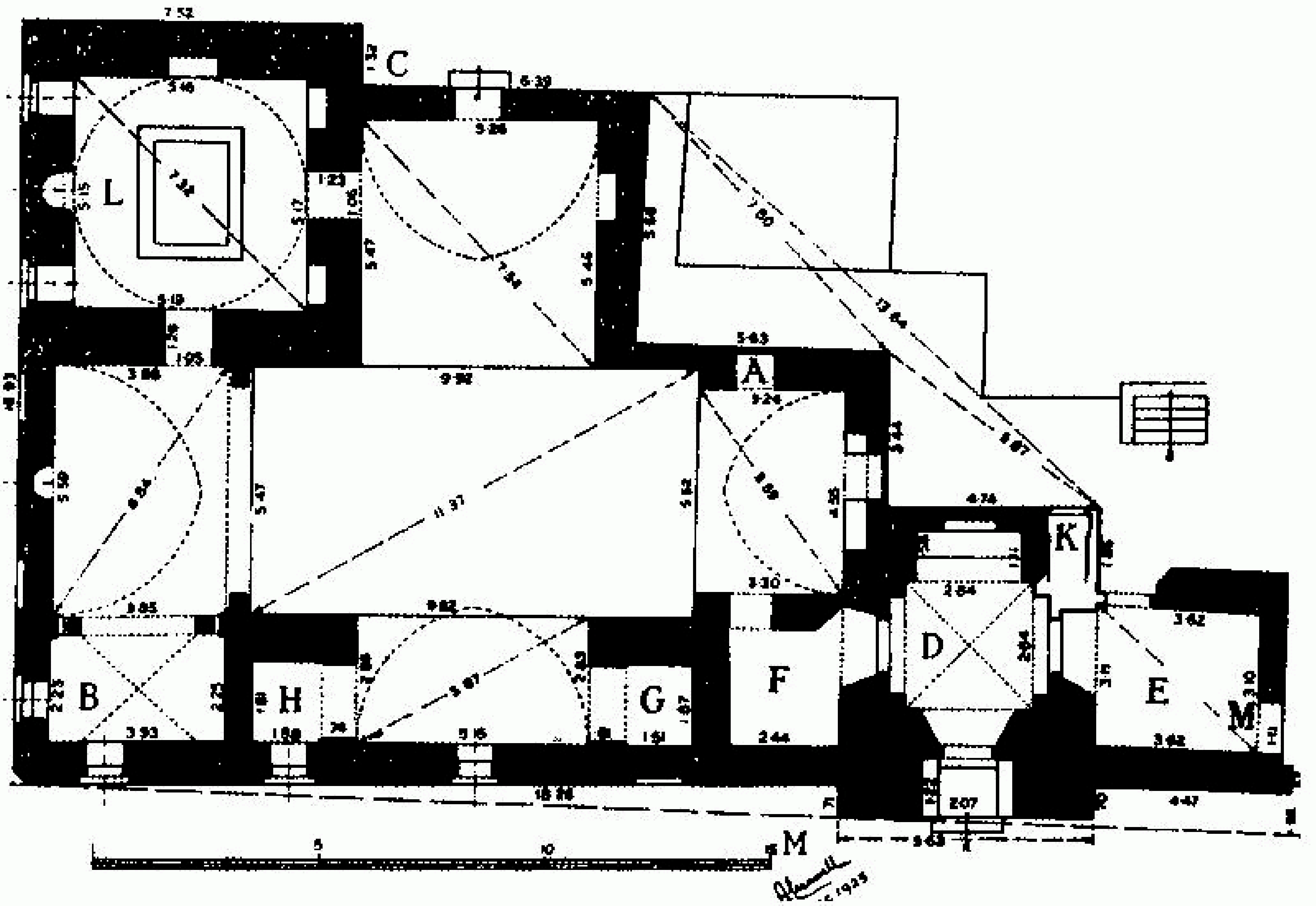
a) بولاق : السموي . b) بولاق : يونس . c) بولاق : سبع مائة . d) بياض بالنسخ .

[1] انظر فيما تقدم ٤١٥ : ١ ، وفيه أنَّ اسمه يُونُس بن عمرو .

الزّاويةُ العَدَويّة
بالقَرافة

[أثر رقم ١٧٢]

هذه الزّاويةُ تُنسَبُ إلى الشَّيخ عَديّ بن مُسَافِر بن إسْماعيل بن مُوسَىٰ بن مَرْوان بن الحَسَن ابن مَرْوان الهَكّاري القُرَشي الأُمَوي، وكان قد صَحِبَ عِدَّةً من المشايخ ـ كعَقيل المَنْبِجي، وحَمّاد الدَّبَّاس، وعبد القَادِر السُّهْرَوَرْدي[1]، وعبد القادِر الجيلي ـ ثم انْقَطَعَ في جَبلِ الهَكّارِيّة من أعْمالِ المَوْصِل، وبَنَى له زَاوِيَةً، فمالَ إليه أهْلُ تلك النَّواحي كلّها مَيْلًا لم يُسْمَع لأرْبابِ الزَّوايا مثله، حتى ماتَ سنة سبعٍ ـ وقيلَ سنة خمسٍ ـ وخمسين وخمس مائةٍ، ودُفِنَ في زَاوِيتِه.



مُخطَّط زاوية الشيخ زَيْن الدِّين يوسف (عن Creswell)

[1] راجع أخبار الشيخ عَدِي بن مُسافِر بن إسماعيل الشّامي ثم الهَكّاري القُرَشي الأُمَوي، المتوفى سنة ٥٥٥هـ أو=

وقَدِمَ ابنُ أخيه إلى هذه البلاد ـ وهو زَيْنُ الدِّين ـ فأُكْرِمَ وأُنْعِمَ عليه بإمْرَة ، ثم تَرَكَها وانْقَطَعَ في قَرْيَةٍ بالشَّام ـ تُعْرَف ببيْت فار ـ على هَيْئَة الملوك : من اقْتِناء الخُيُولِ المُسَوَّمَة والمماليك والجَواري والملابِس ، وعَمَل الأَسْمِطَة الملوكية . فافْتَتَنَت به بَعْضُ نِسَاء الطَّائِفَة القَيْمَرِيَّة ، وبالَغَت في تَعْظيمِه ، وبَذَلَت له أمْوالًا عَظيمَة ، وحاشيتها تَلومُها فيه ، فلا تُصْغي إلى قَوْلِهم . فاحْتالوا حتى أوْقَفُوها عليه ، وهو عاكِفٌ على المُنْكَرات ، فما زادَها ذلك إلَّا ضَلالًا ، وقالت : أنتم تُنْكِرون هذا عليه ، إنَّما الشَّيْخُ يَتَدَلَّل على رَبِّه .

وأتاهُ الأميرُ الكَبيرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الدُّوادارِ ومعه الشِّهاب محمود لتَحْليفه في أوَّلِ دَوْلَة الأَشْرَفية خَليل بن قَلاوون ، إلى قريته . فإذا هو كالملك في قَلْعَته : للتَّجَمُّل الظَّاهِر والحِشْمَة الزَّائِدَة ، والفَرْش الأَطْلَس ، وآنِيَة الذَّهب والفِضَّة ، والنُّضَار الصِّيني وأشْياء تَفُوت العَدَّ إلى غير ذلك من الأَشْرِبَة المختلفة الأَلْوان ، والأَطْعِمَة المُنَوَّعَة . فلمَّا دَخَلا عليه لم يَحْتَفِل بهما ، وقَبَّلَ الأميرُ سِنْجِر يَدَه وهو جَالِسٌ لم يَقُم ، وبقي قائِمًا قُدَّامه يُحَدِّثه ، وزَيْنُ الدِّين يسأله ساعَةً ، ثم أَمَرَه أن يجلس ، فجَلَسَ على ركبتيه متأدِّبًا بين يَدَيْه ، فلمَّا حَلَّفاه ،/ وأَنْعَمَ عليهما بما يُقارِب خمسة عشر ألف دِرْهَم . ٩:٢

وتَخَلَّفَ من طائِفَةِ الشَّيْخ عزُّ الدِّين أميران ، وأَنْعَمَ عليه بإمْرَة دِمَشْق ، ثم نُقِلَ إلى إمْرَةٍ بصَفَد ، ثم أُعيدَ إلى دِمَشْق ، وتَرَكَ الإمْرَة وانْقَطَع بالمِزَّة ، وتَرَدَّدَ إليه الأكرادُ من كلِّ قُطْر ، وحَمَلوا إليه الأَمْوال . ثم إنَّه أرادَ أن يخرج على السُّلْطانِ بمَنْ معه من الأكْراد في كلِّ بلَدٍ ، فباعُوا أموالَهم ، واشْتَروا الخَيْلَ والسِّلاحَ ، ووَعَدَ رجالَه بنيابات البلاد ، ونَزَلَ بأرْضِ اللَّجُّون . فبَلَغَ ذلك السُّلْطانَ الملكَ النَّاصِرَ محمد بن قَلاوون ، فكَتَبَ إلى الأمير تَنْكِز نائِب الشَّام بكَشْفِ أخْبارِهم ، وأَمْسَكَ

= ٥٥٧هـ/١١٦٠م أو ١١٦٢م ، عند ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١١ : ٢٨٩؛ ابن المستوفي : تاريخ إربل ١ :١١٤-١١٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ :٢٥٤-٢٥٥ (مصدر المقريزي) ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ٣١٥؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٠ :٣٤٢- ٣٤٤؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٢٦١.

والشيخ عَدِي هو أصْلُ الطَّريقة المعروفة بـ «اليَزِيدِيَّة» التي كوَّنها ابنه حسن بن عَدِيّ ، المقتول سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م ، والذي يعتقد الأكرادُ رَجْعَته ولا يعتقدون أنَّه قُتِل (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٣ :٢٢٣- ٢٢٤؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٢ :١٠١=١٠٣) . وراجع عن اليزيدية دراسة أحمد تيمور باشا : اليزيدية ومنشأ نحلتهم ، القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ؛ إسماعيل بك جول : اليزيدية قديمًا وحديثًا ، عني بنشرها قسطنطين زريق ، بيروت ـ الجامعة الأمريكية ١٩٣٤.

[1] ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٢٥٤.

[2] زَيْنُ الدِّين أبو المحاسن يُوسُف بن محمد بن حَسَن ابن عَدِيّ ، المتوفى سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م ، هو المَدْفون في هذه =

السُّلْطانُ مَنْ كان بهذه الزَّاوية العَدَوِيَّة ، ودرك على أمير طَبَر ، واخْتَلَفَتِ الأَخْبارُ : فقيل إنَّهم يُريدون سَلْطَنَةَ مصر ، وقيل يُريدون مُلْكَ اليَمَن . فقَلِقَ السُّلْطانُ لأَمْرِهم وأَهَمَّه ، إلى أن أَمْسَكَ الأميرُ تَنْكِز عِز الدِّين المذكور ، وسَجَنَه في سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبع مائةٍ حتى ماتَ ، وفَرَّقَ الأَكْراد ، ولو لم يَتدارَك لأَوْشَكَ أن يكون لهم نَوْبَة .

زَاوِيَةُ السَّدَّار

هذه الزَّاوِيَةُ بِرَأْسِ حارَةِ الدَّيْلَم [1] ، بَنَاها الفَقيرُ المُعْتَقَد علي بن السَّدَّار في سنة سبعين وسبع مائةٍ ، وتوفي سنة ثلاثٍ وسبعين وسبع مائةٍ [2].

= الزَّاوية ، يقول المقريزي عند ذكر وفاته سنة ٦٩٧هـ : «وله تُرْبَةٌ جليلةٌ بالقَرافَة» (السلوك ١:٨٥١) . ويوجد داخل الزاوية ثلاث كتابات تاريخية تشير إحداها إلى تاريخ وفاة المنشئ في ربيع الأوَّل سنة ٦٩٧هـ والثانية إلى تاريخ إنشاء القُبَّة في شوال من نفس العام. (van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 96; Wiet, G., *RCEA* XIII, n° 5041) ، والثالثة مؤرَّخة سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م (*Ibid* I, n° 98; *Ibid.*, XIII, n°5042) ، وتحمل النَّصّ التاريخي التالي :

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآيات ١٠ ـ ١٢ سورة الواقعة ـ هذا مقام السَّيِّد الإمام القُدْوَة شيخ شيوخ الإسلام شيخ الطريقة ومَعْدِن الحقيقة ، فريد العَصْر ، شَرُفَت بأَقْدامِه مصر ، أَوْحَد شيوخ المسلمين زَيْن الدِّين يُوسُف بن الشيخ محمد بن الحسن بن الشَّيْخ عَدِي بن أبو [كذا] البركات ابن صَخْر بن مُسافِر الأُمَوي ، نَفَعَ الله ببركاتهم المسلمين ، وذلك في ربيع الأوَّل سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة» . (*Ibid.*, I, n° 97; *Ibid* XIV, n°5504) .

وهذه الزَّاوية التي كانت تُعْرَف بـ «الزَّاوية العَدَوِيَّة» ثم عُرِفَت بـ «الزَّاوية القادِرِيَّة» ، بسبب سكن جماعة من ذُرِّيَّة السَّيِّد عبد القادر الجيلي بها ، تُعْرَف الآنَ بـ «جامع القادرية» و«جامع عُلَّيّ» ، وما تزالُ باقيةً خارج بابِ القَرافَة عن يمين السَّالِك منه في شارع القادرية المُوَصِّل إلى قَرافَة الإمام الشَّافعي . وهي مكوَّنة من أربعة إيوانات ؛ يوجد ضريح الشيخ زَيْن الدِّين في الرُّكْن الجنوبي منها . (راجع ، ابن الزيات : الكواكب السيارة ١٨٦ - ١٨٨ ؛ السخاوي : تحفة الأحباب ١٩٠ - ١٩٢ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥:١٦٠ (٦٨) ؛ أحمد تيمور : اليزيدية ٤٤ - ٥٣ ؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 229-33; Layla ʿAlî Ibrahîm, «The Zâwiya of Shaykh Zain ad-Dîn Yûsuf in Cairo», *MDAIK* 34 (1978), pp. 79-110 ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢:٢٨٧-٣٠٨) .

[1] ذكر علي باشا مبارك أنَّها بحارة الرُّوم بالقرب من بابِ زَوِيلَة . (الخطط التوفيقية ٦:٨٥ (٣١)) .

[2] الشعراني : الطبقات الكبرى .

ذِكْرُ المَشَاهِدِ التي يَتَبَرَّكُ النَّاسُ بِزِيارَتِها

مَشْهَدُ زَيْنِ العَابِدِين

[أثر رقم ٥٩٩]

هذا المَشْهَدُ فيما بين الجَامِع الطُّولُوني ومَدينَة مصر، تُسَمِّيه العامَّةُ «مَشْهَد زَيْن العابِدين»، وهو خَطأ، وإنَّما هو مَشْهدُ[a] زَيْد بن عليّ، المعروف بزَيْنِ العابِدين بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالِب - عليه السَّلام - ويُعْرَف في القَديم بمَسْجِد مَحْرَس الخُصّ[b] [1].

قال القُضاعيّ: مَسْجِدُ مَحْرَس الخُصّ[b] بُنِيَ على رأسِ زَيْدِ بن عليّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالِب، حين أنفذه هِشَامُ بن عبد الملك إلى مصر، ونُصِبَ على المِنْبَر بالجَامِع، فسَرَقَه أهْلُ مصر، ودَفَنوه في هذا المَوْضِع.

وقال الكِنْديُّ في كِتابِ «الأُمَرَاء»: وقَدِمَ إلى مصر، في سنة اثنتين وعشرين ومائة، أبو الحَكَم ابن أبي الأُبَيْض العَبْسي[c] خَطيبًا برأسِ زَيْدِ بن عليّ - رِضْوان الله عليه - يوم الأَحَدِ لعشرٍ خَلَوْن من جُمادَىٰ الآخرة، واجْتَمَع النَّاسُ إليه في المَسْجِد [الجامِع][d] [2].

---

a) بولاق: مشهد رأس. b) بولاق: الخصي. c) بولاق: القيسي. d) زيادة من ولاة مصر مصدر النقل.

---

[1] ما زالَ مَوْضِعُ مَشْهَد زَيْن العابِدين موجودًا بمَيْدان زَيْن العابِدين بحي زِينهُم جنوب القاهرة، وإن كان البناءُ الحالي - الذي يُعادُ بناؤه الآن - يرجع إلى آخِر عمارة أجْراها به عثمان أغا أغات مُسْتَحْفظان سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، ويوجد من المبنى الأصلي للمَشْهَد المَدْخَل القديم بالوَجْهَة الغربية وهو بابٌ مغطى بمُقَرْنَصات ذات دَلَّايات ذاعَ استخدامها في أبواب القرن الثامن الهجري. (الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ١٩٩؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٨٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥:١٧-١٨ (٤)؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية ٩٤-٩٦؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٥:٩-٢٢).

[2] الكندي: ولاة مصر ١٠٣.

وقال الشَّريفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني في كِتابِ «الجَوْهَر المَكْنُون في ذِكْرِ القَبائِلِ والبُطُون»: وبنو زَيْد بن عليّ زَيْن العابِدين بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالِب ـ عليهم السَّلام ـ الشَّهيد بالكُوفَة، ولم يَبْق له ـ عليه السَّلام ـ غير رأسِه التي بالمَشْهَد الذي بَيْن الكُومَيْن بمصر، بطَريق جَامِع ابن طُولُون وبِرْكَة الفيل، وهو من الخِطَط يعرف بمَسْجِد مَحْرَس الخُصّ[a].

ولمَّا صُلِبَ، كَشَفُوا عَوْرَتَه، فنَسَجَ العَنْكَبوتُ فستَرَها، ثم إنَّه بعد ذلك أُحْرِقَ، وذُرِّيَ في الرِّيح، ولم يَبْق منه إلَّا رَأسُه التي بمصر. وهو مَشْهَدٌ صَحيحٌ لأنَّه طِيفَ بها بمصر، ثم نُصِبَت على المِنْبَر بالجَامِع بمصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة، فسُرِقَت ودُفِنَت في هذا المَوْضِع إلى أن ظَهرَت، وبُنِيَ عليها مَشْهَد.

وذَكَرَ ابنُ عبد الظَّاهِر أنَّ الأَفْضَلَ بن أمير الجُيُوش، لمَّا بَلَغَتْه حكايَةُ رأْسِ زَيْد، أَمَرَ بكَشْفِ المَسْجِد ـ وكان وَسَطَ الأَكْوام، ولم يَبْق من مَعالمه إلَّا مِحْرابٌ ـ فوُجِدَ هذا العُضْو الشَّريف. قال محمد بن مُنْجِب بن الصَّيْرَفي: حَدَّثَني الشَّريفُ فَخْرُ الدِّين أبو الفُتوح ناصِر الزَّيْدي خَطيب مصر ـ وكان من جُمْلَة من حَضَرَ الكَشْف ـ قال: لمَّا خَرَجَ هذا العُضْوُ رأيته، وهو هامَة وافِرَة، وفي الجَبْهَة أَثَرٌ في سَعَةِ الدِّرْهَم، فضُمِّخَ وعُطِّرَ، وحُمِلَ إلى دارٍ حتى عُمِّرَ هذا المَشْهَد. وكان وُجْدانُه في[b] يومَ الأحَد تاسع عشرين ربيع الأوَّل سنة خمس وعشرين وخمس مائةٍ. وكان الوُصُولُ به في يوم أَحَدٍ، ووُجْدانُه في يوم أحَد[1].

زَيْدُ بن عَليّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالِب ـ كُنْيَتُه أبو الحَسَن ـ الإمام الذي تُنْسَبُ إليه «الزَّيْدِيَّة»، إحْدى طَوائِف الشِّيعَة، سَكَن المَدِينَة، ورَوَى عن أبيه عليّ بن الحُسَيْن ـ الملقَّب زَيْن العابِدين ـ وعن أبانِ بن عُثْمان، وعُبَيْد الله بن أبي رافِع، وعُرْوَة بن الزُّبَيْر. ورَوَى عنه محمد بن شِهابٍ الزُّهْريّ، وزَكريا بن أبي زائِدة، وخَلْقٌ، ذَكَرَهُ ابنُ حِبَّان في «الثِّقات»، وقال: رأَى جَماعةً من الصَّحابَة[2].

---

a) بولاق: الخصي. b) ساقطة من بولاق.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٩٦؛ وقارن أبا المحاسن: النجوم ٣: ١٤، ٤١٣؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٢١-٢٢.

[2] راجع ترجمة الإمام زَيْد بن علي الذي تُنْسَب إليه الزَّيْدِيَّة عند، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥: ٣٢٥-٣٢٦؛ الطبري: تاريخ ٧: ١٦٠-١٧٣؛ ابن حِبَّان: مشاهير علماء=

وقيل لجَعْفَرِ بن محمد الصَّادِق عن الرَّافِضَة : إنَّهم يتبرَّأون من عَمِّك زَيْد . فقال : بَرِئَ الله مِمَّن تَبَرَّأ من عَمِّي ، كان والله أقْرَأنا لِكِتابِ الله ، وأفْقَهنا في دينِ الله ، وأوْصَلَنا للرَّحم ، والله ما تُرِكَ فينا لدُنْيا ولا لآخِرَةٍ مثله .

وقال أبو إسْحاق السَّبِيعي : رأيتُ زَيْدَ بن عليّ ، فلم أرَ في أهْلِه مثله ، ولا أعْلَمَ منه ولا أفْضَل ، وكان أفْصَحَهُم لِساناً ، وأكثرهم زُهْداً وبَياناً .

وقال الشَّعْبيّ : والله ما وَلَدَ النِّساءُ أفْضَلَ من زَيْدِ بن عليّ ، ولا أفْقَه ولا أشْجَعَ ولا أزْهَد .

وقال أبو حَنيفَة : شاهَدْتُ زَيْدَ بن عليّ كما شاهَدْت أهْلَه ، فما رأيتُ في زَمانِه أفْقَه منه ولا أعْلَم ، ولا أسْرَع جَواباً ولا أبْيَنَ قَوْلاً ، لقد كان مُنْقَطِع القَرين .

٤٣٢ وقال الأعْمَشُ : / ما كان في أهْلِ زَيْد بن عليّ مثل زَيْد ، ولا رأيت فيهم أفْضَل منه ، ولا أفْصَحَ ولا أعْلَمَ ولا أشْجَعَ ، ولقد وَفَّى له من تابعه لإقامَتِهم على المَنْهَج الوَاضِح .

وسُئِلَ جَعْفَر بن محمد الصَّادِق عن خُرُوجِه ، فقال : خَرَجَ على ما خَرَجَ عليه آباؤه .

وكان يُقَالُ لزَيْدٍ «حَليف القُرآن» ، وقال : خَلَوْتُ بالقُرآنِ ثلاث عشرة سنة أقْرَؤه وأتَدَبَّره ، فما وَجَدتُ في طَلَبِ الرِّزْقِ رُخْصَة ، وما وَجَدتُ ﴿ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله﴾ [الآية ١٠ سورة الجمعة] إلَّا العِبادَة والفِقْه .

وقال عَاصِمُ بن عبد الله بن عُمَر بن الخَطَّاب : لقد أُصِيبَ عندكم رَجُلٌ ما كان في زمانِكم مثله ، ولا أراه يكون بعده مثْلُه : زَيْدُ بن علي . لقد رأيته وهو غُلامٌ حَدَثٌ ، وإنَّه ليسمع الشيء من ذِكْرِ الله فيُغْشَى عليه ، حتى يقول القائل : ما هو بعائِدٍ إلى الدُّنْيا !

وكان نَقْشُ خاتمَ زَيْد «اصْبِر تُؤْجَر ، اصْدُق تَنْج» . وقَرَأَ مَرَّةً قَوْلَه تعالى : ﴿وإنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكم ثُمَّ لا يَكُونُوا أمْثالَكُم﴾ [الآية ٣٨ سورة محمد] . فقال : إنَّ هذا لوَعيدٌ وتَهْديدٌ من الله . ثم قال : اللَّهم لا تَجْعَلْنا مِمَّن تَوَلَّى عنك فاسْتَبْدَلْت به بَدَلًا .

وكان إذا كَلَّمه إنْسانٌ وخافَ أن يَهْجُمَ على أمْرٍ يخاف منه مأْثَمًا ، قال له : يا عبد الله ، أمْسِك أمْسِك ، كُفَّ كُفَّ ، إليك إليك ، عليك بالنَّظَر لنَفْسِك . ثم يَكُفّ عنه ولا يُكَلِّمه .

= الأمصار ٦٣؛ أبي الفرج : مقاتل الطالبيين ١٢٧ - ١٥١؛ المسعودي : مروج الذهب ٤ : ٤١ - ٤٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ : ١٢٢ - ١٢٣؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٥ : ٣٣ - ٣٦؛ Montgomery Watt, W., «Shiʿism under the Umayyads», *JRAS* (1960), pp. 160-70; Sezgin, F., *GAS* I, pp. 556-60; *EI²* art. *Zayd b. ʿAlî* XI, S. P.؛ ناجي حسن : ثورة زيد ابن علي ، بغداد ١٩٦٦؛ محمد أبو زهرة : الإمام زيد ـ حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، القاهرة ١٩٥٩؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ٢١١ - ٢١٥.

وقد اخْتُلِفَ في سَبَبِ قِيام زَيْد، وطَلَبِه الأَمْر لنفسه. فقيل: إنَّ زَيْدَ بن علي، وداود بن علي ابن عبد الله بن عَبَّاس، ومحمد بن عُمَر بن علي بن أبي طالِب، قَدِمُوا على خَالِد بن عبد الله القَسْري بالعِراقِ، فأجازَهُم ورَجَعُوا إلى المَدينَة. فلمَّا وَلِيَ يُوسُف بن عُمَر العِراق، بعد عَزْلِ خالِد، كَتَبَ إلى هَشام بن عبد الملك، وذَكَرَ له أن خالِدًا ابْتاعَ من زَيْد أرْضًا بالمَدينَة بعشرةِ آلاف دينار، ثم رَدَّ الأرْضَ عليه. فكَتَب هِشَامٌ إلى عامِلِ المَدينَة أن يُسَيِّرهم إليه، ففَعَل، فسألهم هِشَامٌ عن ذلك، فأقَرُّوا بالجائزَة، وأنكَرُوا ما سِوَى ذلك، وحَلَفُوا. فصَدَّقَهم وأمَرَهُم بالمسيرِ إلى العراق لِيُقابِلوا خالِدًا، فساروا على كُرْهٍ، وقابلوا خالِدًا، فصَدَّقَهم، وعادُوا نحو المَدينَة. فلمَّا نَزَلُوا القادِسِيَّة، راسَلَ أهْلُ الكُوفَة زَيْدًا، فعادَ إليهم.

وقيل: بل ادَّعَى خالِدٌ القَسْري أنَّه أوْدَعَ زَيْدًا وداود بن علي ونَفَرًا من قُرَيْشٍ مالًا، فكَتَبَ يُوسُف بن عُمَر بذلك إلى الخَليفَة هِشام بن عبد الملك، فأحْضَرَهُم هِشَامٌ من المَدينَة، وسَيَّرَهُم إلى يُوسُف ليجمعهم وخالِدًا، فقَدِمُوا عليه، فقال يُوسُف لزَيْد: إنَّ خالِدًا زَعَمَ أنَّه أوْدَعَ عندك مالًا. فقال زَيْدٌ: كيف يُودِعُني وهو يَشْتُم آبائي على مِنْبَره؟ فأرسل إلى خالد، فأحْضَرَه في عَباءَةٍ، وقال له: هذا زَيْد قد أنْكَرَ أنَّك أوْدَعْتَه شيئًا. فنَظَرَ خالِد إليه وإلى داود، وقال ليُوسُف: أتُريد أن تَجْمَع إثْمك مع إثْمِنا في هذا؟ كيف أُودِعُه وأنا أَشْتُم آباءَه وأَشْتُمه على المِنْبَر؟ فقال زَيْدٌ لخالِد: ما دَعاك إلى ما صَنَعْت؟ فقال: شُدِّدَ عليَّ العَذابُ، فادَّعَيْتُ ذلك، وأمَّلْتُ أن يأتي الله بفَرَجٍ قبل قُدُومِك. فرَجَعُوا، وأقامَ زَيْد وداود بالكُوفَة.

وقيل: إنَّ يَزيد بن خالِد القَسْري هو الذي ادَّعَى أنَّ المالَ وَديعَةٌ عند زَيْد. فلمَّا أمَرَهُم هِشَامٌ بالمسير إلى العِراق إلى يُوسُف، اسْتقالوه خَوْفًا من شَرِّ يُوسُف وظُلْمِه، فقال: أنا أُكْتُب إليه بالكَفِّ عنكم. وأُلْزِمُهم بذلك. فصارُوا على كُرْهٍ، فجَمَعَ يُوسُف بينهم وبين يَزيد، فقال يَزيدُ: ليس لي عندهم قليلٌ ولا كثير. فقال له يُوسُف: أتَهْزأ بأمير المؤمنين؟ فعَذَّبَه يومئذٍ عذابًا كادَ يُهْلِكه، ثم أَمَرَ بالقُرَشيين فضُرِبُوا، وتَرَك زَيْدًا، ثم اسْتَحْلَفَهم وأطْلَقَهم، فلَحِقُوا بالمَدينَة، وأقامَ زَيْدٌ بالكُوفَة.

وكان زَيْدٌ قال لهِشام لمَّا أَمَرَه بالمسير إلى يُوسُف: والله ما آمَن إن بَعَثْتني إليه ألَّا نَجْتَمِع أنا وأنت حَيِيَّيْن أبَدًا. قال: لا بُدَّ من المسير إليه، فسارَ إليه.

وقيل: كان السَّبَبُ في ذلك أنَّ زَيْدًا كان يُخاصِم ابن عَمِّه جَعْفَر بن الحَسَن بن الحسين ابن علي في وُقُوفِ علي، رضي الله عنه: فزَيْدٌ يُخاصِم عن بني حُسَيْنٌ، و جَعْفَر يُخاصِم عن بني

حَسَن ، فكانا يَتَبلَّغان كلَّ غايَة ، ويقومان فلا يُعيدان مِمَّا كان بينهما حَرْفًا .

فلمَّا ماتَ جَعْفَر ، نازَعَه عبدُ الله بن الحَسَن بن الحَسَن . فتنازَعا يومًا بين يدَيْ خالِد بن عبد الملك بن الحارث بالمَدينة ، فأَغْلَظَ عبد الله لزَيْد ، وقال : يا ابن السِّنْدِيَّة . فضَحِكَ زَيْدٌ ، وقال : قد كان إسماعيلُ ـ عليه السَّلام ـ ابن أَمَة ، ومع ذلك فقد صَبِرت أُمِّي بعد وَفاةِ سَيِّدها ، ولم يَصْبر غيرها ـ يعني فاطِمَة بنت الحُسَيْن أم عبد الله ـ فإنَّها تَزَوَّجَت بعد أبيه الحَسَن بن الحَسَن . ثم إنَّ زَيْدًا نَدِمَ ، واسْتَحْيى من فاطِمَة فإنَّها عمَّته ، ولم يَدْخُل إليها زَمانًا . فأَرْسَلَت إليه : يا ابن أخي ، إنِّي لأَعْلَم أنَّ أُمَّك عندك ، كأمِّ عبد الله عنده . وقالت لعبد الله : بِئْس ما قُلْت لأمِّ زَيْد ، أمَا والله لنِعْمَ دَخيلَة القَوْمِ كانت .

وذُكِرَ أنَّ خالِدًا قال لهما : اغْدُوا علينا غَدًا فلَسْت ابن عبد الملك إنْ لم أَفْصِل بينكما . فباتَتِ المَدينَةُ تَغْلي كالمِرْجَل : يقول قائِلٌ قال زَيْدٌ كذا ، ويقول قائِلٌ قال عبد الله كذا . فلمَّا كان من الغَدِ ، جَلَسَ خالِدٌ في المَسْجِد ، واجْتَمَعَ النَّاسُ ، فمن بين شَامِت ومَهْمُوم . فدَعَا بهما خالِد وهو يُحِبّ أن يَتَشاتَما . فذَهَبَ عبد الله يتكلَّم ، فقال زَيْد : لا تَعْجَل يا أبا محمد ، أَعْتَقَ زَيْدٌ كلَّ ما يَمْلِك إن خاصَمَك إلى خالِد أبدًا . ثم أَقْبَلَ إلى خالِد ، فقال له : لقد جَمَعْت ذُرِّيَّة رَسُول الله ﷺ ، لأَمْرٍ ما كان يجمعهم عليه أبو بَكْرٍ ولا عُمَر . فقال خالِد : أما لهذا السَّفيه أحد ؟ فتكلَّم رَجُلٌ من الأَنْصار من آل / عَمْرو بن حَزْم ، فقال : يا ابن أبي تُراب وابن حسين السَّفيه ، أما تَرَى ٤٣٨ لوالٍ عليك حَقًّا ولا طاعَة ؟! فقال زَيْدٌ : اسْكُت أيها القَحْطاني ، فإنَّا لا نُجيبُ مثلك . قال : ولِمَ تَرْغَب عَنِّي ؟ فوالله إنِّي لخَيْرٌ منك وخَيْرٌ من أبيك ، وأُمِّي خَيْرٌ من أُمِّك . فتضاحَكَ زَيْدٌ ، وقال : يا مَعْشَرَ قُرَيْش ، هذا الدِّين قد ذَهَبَ ، أَفَتَذْهَب الأَحْسابُ ؟ فوالله ليَذْهَب دينُ القَوْمِ وما تَذْهَبُ أحْسابُهم . فقامَ عبد الله بن واقِد بن عبد الله بن عُمَر بن الخَطَّاب ، فقال : كَذَبْتَ والله أيُّها القَحْطاني ، فوالله لهو خَيْرٌ منك نَفْسًا وأبًا وأمًّا ومَحْتِدًا . وتناوله بكلامٍ كثير ، وأَخَذَ كَفًّا من حَصْباءِ وضَرَبَ بها الأَرْض ، وقال : والله إنَّه ما لنا على هذا من صَبْرٍ ، وقام .

ثم شَخَصَ زَيْدٌ إلى هِشام بن عبد الملك ، فجَعَلَ هِشام لا يأْذَن له ، وهو يَرْفَع إليه القَصَص . فكلَّما يَرْفَع قِصَّة ، يكتب هِشامٌ في أسْفَلِها «ارْجِع إلى مَنْزِلك» ، فيقول زَيْد : والله لا أَرْجِع إلى خالِدٍ أبدًا . ثم إنَّه أذِنَ له يومًا بعد طُول حَبْسٍ ، فصَعِدَ زَيْد ـ وكان بادِنًا ـ فوَقَفَ في بعضِ الدَّرَجِ وهو يقول : والله لا يُحِبّ الدُّنْيا أَحَدٌ إلَّا ذَلَّ . ثم صَعِدَ ـ وقد جَمَعَ له هِشامٌ أَهْلَ الشَّام ـ فسَلَّمَ ، ثم جَلَسَ . ورَمَى عليه هِشامٌ طَوِيلَةً ، فحَلَفَ لهِشام على شيءٍ ، فقال هِشامٌ : لا أُصَدِّقُك . فقال :

يا أمير المُؤْمنين ، إنَّ الله لم يَرْفَع أحَدًا عن أن يَرْضَى بالله ، ولم يَضَع أحَدًا عن ألّا يَرْضَى بذلك منه . فقال هِشَامٌ : أنت زَيْد المُؤَمِّل للخِلافَة وما أنت والخِلافَة - لا أمّ لك - وأنت ابن أَمَة ؟ فقال زَيْدٌ : لا أَعْلَم أحَدًا عند الله أَفْضَلَ من نَبيٍّ بَعَثَه ، ولقد بَعثَ الله نبيًّا وهو ابنُ أَمَةٍ ، ولو كان به تَقْصيرٌ عن مُنْتَهى غايَة لم يُبْعَث ، وهو إسماعيل بن إبراهيم ، والنُّبُوَّةُ أَعْظَمُ منزلةً من الخِلافَة عند الله ، ثم لم يَمْنَعه الله من أن جَعَلَه أبًا للعَرَب ، وأبًا لخَيْرِ البَشَر محمَّد ﷺ ، وما يقصر برَجُل أبُوه رَسُولُ الله ﷺ ، وبعد أُمّي فاطِمة لا أَفْخر بأمّ . فوَثَبَ هِشَامٌ من مَجْلِسه ، وتَفرَّقَ الشَّامِيون عنه ، وقال لحاجِبِه : لا يَبيتُ هذا في عَسْكري أبدًا .

فخَرَجَ زَيْدٌ وهو يقول : ما كَرِهَ قَوْمٌ قَطُّ حَرَّ السُّيُوف إلّا ذَلُّوا . وسارَ إلى الكُوفَة ، فقال له محمَّد بن عُمَر بن علي بن أبي طالِب : أُذَكِّرك الله يا زَيْد لما لَحِقْت بأهْلِك ، ولا تأتِ أَهْلَ الكُوفَة ، فإنَّهم لا يَفُون لك . فلم يَقْبَل ، وقال : خَرَجَ بنا هِشَامٌ أُسَرَاءَ على غير ذَنْبٍ من الحِجَاز إلى الشَّام ، ثم إلى الجَزيرَة ، ثم إلى العِراق ، ثم إلى تَيْس ثَقيف يَلْعَب بنا . وأَنْشَدَ :

[الكامل]

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني الحُتُوفُ كأنَّني ... أَصْبَحْتُ عن عَرَضِ الحَيَاةِ بمَعْزِلِ
فأَجَبْتُها إنَّ المَنِيَّةَ مَنْزِلٌ ... لابد أن أُسْقَى بكأس المَنْهَلِ
إنَّ المَنِيَّةَ لو تُمَثَّل مُثِّلَتْ ... مِثْلي إذا نَزَلوا بضِيقِ المَنْزِلِ
فَاقني حَياكِ[a] لا أبا لَكِ واعْلَمِي ... أنّي امْرؤ سأَمُوتُ إنْ لم أُقْتَلِ

أَسْتَوْدِعُكَ الله ، وإنّي أُعْطي الله عَهْدًا إن دَخَلَت يدي في طاعَةِ هؤلاءِ ما عِشْت . وفارَقه ، وأَقْبَلَ إلى الكُوفَة ، فأقامَ بها مُسْتَخْفيًا يَتَنَقَّلُ في المنازِل . فأَقْبلَتِ الشِّيعَةُ تَخْتَلِف إليه تُبايعه ، فبايَعَه جَماعَةٌ من وُجُوهِ أهْلِ الكُوفَة . وكانت بَيْعَتُه :

«إنّا نَدْعُوكُم إلى كِتابِ الله وسُنَّةِ نَبيِّه ، وجِهادِ الظالِمين ، والدَّفْع عن المُسْتَضْعَفين ، وإعْطاءِ المَحْرومين ، وقَسْم هذا الفَيْء بين أَهْلِه بالسَّواء ، ورَدّ المَظالِم ، وأفْعالِ الخَيْر ، ونُصْرَةِ أَهْلِ البَيْت ، أتُبايِعُون على ذلك ؟» .

فإذا قالوا : نَعَم ، وَضَعَ يَدَهُ على أيْديهم ويقول :

«عليك عَهْدُ الله ومِيثاقُه وذِمَّتُه وذِمَّةُ رَسُولِ الله ﷺ : لتُؤمِنَنّ بَيْعَتي ، ولتُقاتِلَنّ عَدُوّي ، ولتنصحنّ لي في السِّرّ والعَلانِيَة .

a) بولاق : فاتني حبالك .

فإذا قال : نَعَم ، مَسَحَ يَدَه على يَدِه ، ثم قال : اللَّهم فاشْهَد . فبايَعَه خمسةَ عَشَرَ ألفًا ـ وقيل أرْبَعون ألفًا ـ وأمَرَ أصْحابَه بالاسْتِعْداد . فأقْبَلَ من يُريد أن يَفِي ويَخْرُج معه يَسْتَعِد ويتهيَّأ . فشَاعَ أَمْرُه في النَّاس . هذا على قَوْل مَنْ زَعَم أنَّه أتَى الكُوفَة من الشَّام ، واخْتَفَى بها يُبايع النَّاس .

وأمَّا على قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أنَّه أتَى إلى يُوسُف بن عُمَر ، لمرافَعة خالِد بن عبد الله القَسْري ، أو ابنه يَزيد بن خالِد ، فإنَّه قال : أقامَ زَيْدٌ بالكُوفة ظاهِرًا ، ومعه داود بن علي بن عبد الله بن عَبَّاس ، وأَقْبَلَت الشِّيعَةُ تَخْتَلف إليه ، وتأمُرُه بالخُرُوج ويقولون : إنَّا لنَرْجُو أن تكون أنت المَنْصُور ، وإنَّ هذا الزَّمانَ الذي يَهْلِك فيه بنو أُمَيَّة .

فأقامَ بالكُوفَةِ ، ويُوسُف بن عُمَر يسأل عنه ، فيُقالُ هو هاهُنا ، ويَبْعَث إليه ليَسير ، فيقول : نَعَم ، ويَعْتَل بالوَجَع . فمَكَثَ ما شاءَ الله . ثم أرْسَلَ إليه يُوسُفُ بالمَسير عن الكُوفَة ، فاحْتَجَّ بأنَّه يُحاكم آل طَلْحَة بن عبيد الله بمِلْكٍ بينهما بالمَدِينَة . فأرْسَلَ إليه ليُوَكِّل وَكيلًا ويَرْحَل عنها . فلمَّا رأى الجِدّ من يُوسُف في أَمْرِه ، سارَ حتَّى أتَى القادِسِيَّة ـ وقيل الثَّعلَبِيَّة ـ فتَبِعَه أهْلُ الكُوفَة ، وقالوا له : نحن أَربعون ألفًا ، لم يَتَخلَّف عنك أحَدٌ ، نَضْرب عنك بأسْيافِنا ، وليس هاهُنا من أهْلِ الشَّام إلَّا عِدَّة يَسيرَة ، وبعض قَبائِلنا يَكْفيهم بإذْن الله ، وحَلَفُوا له بالأَيْمانِ المُغَلَّظَة . فجَعَلَ يقول : إنِّي أخافُ أن تَخْذُلوني وتُسْلِموني ، كفِعْلِكم بأبي وجَدِّي . فيَحْلِفُونَ له .

فقال له داود بن علي : لا يَغُرَّك يا ابن عَمِّي هؤلاء ، أليس قد خَذَلُوا من كان أعَزَّ عليهم منك : جَدُّك علي بن أبي / طالبِ حتَّى قُتِل ، والحَسَن من بعده بايَعُوه ، ثم وَثَبُوا عليه وانْتَزَعُوا رِداءَه وجَرَحُوه ؟ أوليس قد أَخْرَجُوا جَدَّك الحُسَيْنَ ، وحَلَفُوا له ، ثم خَذَلُوه وأسْلَمُوه ، ولم يَرْضَوا بذلك حتى قَتَلُوه ؟ فلا تَرْجِع معهم . فقالوا : يا زَيْد ، إنَّ هذا لا يُريدُ أن تَظْهَر أنت ، ويَزْعُم أنَّه وأهْل بَيْتِه أوْلى بهذا الأمْر منكم . فقال زَيْد لداود : إنَّ عَلِيًّا كان يُقاتِله مُعاوِيَة بذَهَبِه ، وإنَّ الحُسَيْن قاتَلَه يَزيدُ والأَمْر مُقْبِلٌ عليهم . فقال له داود : إنِّي أخافُ إن رَجَعْتَ معهم ألَّا يكون أحَدٌ أشَدَّ عليك منهم ، وأنت أعْلَم . ٤٣٩

ومضَى داودُ إلى المَدِينَة ، ورَجَعَ زَيْدٌ إلى الكُوفَة فأتاه سَلَمَة بن كُهَيْل ، فذَكَرَ له قَرابَتَه من رَسُولِ الله ﷺ وحَقَّه ، فأحْسَنَ ، ثم قال له : نَشَدْتُك الله ، كم بايَعَك ؟ قال : أربعون ألفًا . قال : فكم بايَعَ جَدَّك ؟ قال : ثمانون ألفًا . قال : فكم حَصَلَ معه ؟ قال : ثلاث مائة . قال : نَشَدتك الله ، أنت خَيْرٌ أم جَدُّك ؟ قال : جَدِّي . قال : فهذا القَرْنُ خَيْرٌ أم ذلك القَرْنُ ؟ قال : ذلك القَرْنُ . قال : أفَتطْمَع أن يَفي لك هؤلاء وقد غَدَرَ أُولئك بجَدِّك ؟ قال : قد بايَعُوني ،

ووَجَبَتِ البَيْعَةُ في عُنُقِي وعُنُقِهم. قال: أفتأذَنُ لي أن أخْرُج من هذا البَلَد، فلا آمَنُ أن يَحْدُثَ حَدَثٌ فأُهْلِكَ نَفْسي؟ فأَذِنَ له، فخَرَجَ إلى اليَمَامَة.

وكَتَبَ عبدُ الله بن الحَسَن إلى زَيْد:

«أمَّا بَعْد، فإنَّ أَهْلَ الكُوفَة نفج العَلانية، خُور السَّرِيرة، هوج في الرِّدِّ، أجْزَع في اللِّقا، تَقْدُمُهم أَلْسِنَتُهم، ولا تُتابِعُهم قُلُوبُهم، ولقد تَواتَرَت كُتُبُهم إليَّ بِدَعْوَتِهم، فصَمَّمْتُ عن نِدائِهم، وأَلْبَسْتُ قَلْبِي غِشاءً من ذِكْرِهم، يأسًا منهم، واطِّراحًا لهم. وما لهم مِثْل إلَّا ما قال عليُّ بن أبي طالِب صلوات الله عليه: إنْ أَهْمَلْتُم خُضْتُم، وإنْ حُوِّرْتُم خُرْتُم، وإنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ على إمامٍ طَعَنْتُم، وإن أُجِبْتُم إلى مَشاقةٍ نَكَصْتُم».

فلم يُصْغِ زَيْدٌ إلى شيء من ذلك، وأقامَ على حالِه يُبايِعُ النَّاسَ، ويَتَجَهَّزُ للخُرُوج، وتَزَوَّجَ بالكوفة امرأتين، وكان يَنْتَقِل تارَةً عند هذه في بني سَلَمَة قَوْمِها، وتارَةً عند هذه في الأَزْد قَوْمِها، وتارَةً في بني عَبْس، وتارَةً في بني تَغْلِب وغيرهم، إلى أن ظَهَرَ في سنة اثنتين وعشرين ومائة، فأَمَرَ أَصْحابَه بالاسْتِعداد، وأَخذَ من كان يُرِيدُ الوَفاءَ بالبَيْعَة يَتَجَهَّز.

فبلَغَ ذلك يُوسُف بن عُمَر، فبَعَثَ في طَلَبِ زَيْد، فلم يُوجَد. وخافَ زَيْدٌ أن يُؤْخَذَ، فتَعَجَّل قَبْل الأَجَلِ الذي جَعَلَه بينه وبين أَهْلِ الكُوفَة، وعلى الكُوفَةَ يومئذٍ الحَكَمُ بن الصَّلْت في ناسٍ من أَهْلِ الشَّام، ويُوسُف بن عُمَر بالحِيرَة.

فلمَّا عَلِمَ أَصْحابُ زَيْدٍ أنَّ يُوسُف بن عُمَر قد بَلَغَه الخَبَر، وأنَّه يَبْحَث عن زَيْد، اجْتَمَعَ إلى زَيْد جَماعَةٌ من رُءُوسِهم، فقالوا: رَحِمَكَ الله، ما قَوْلُكَ في أبي بكر وعُمَر؟ فقال زَيْدٌ: رَحِمَهما الله وغَفَرَ لهما، ما سَمِعْتُ أَحَدًا من أَهْلِ بَيْتِي يقول فيهما إلَّا خَيْرًا، وإنَّ أَشَدَّ ما أَقُولُ فيما ذَكَرْتُم: إنَّا كُنَّا أَحَقَّ بسُلْطانِ رَسُول الله ﷺ من النَّاس أجمعين، فدَفَعُونا عنه، ولم يَبْلُغ ذلك عندنا بهم كُفْرًا، وقد وَلُوا فعَدَلوا في النَّاس، وعَمِلُوا بالكِتابِ والسُّنَّة. قالوا: فلِمَ يَظْلِمكَ هؤلاء إذا كان أُولئك لم يَظْلِموا؟ وإذا كان هؤلاء لم يَظْلِموا فلم تَدْعُو إلى قِتالِهم؟ فقال: إنَّ هؤلاء لَيْسُوا كأُولئِك، هؤلاء ظالِمون لي ولأَنْفُسِهم ولكم، وإنَّما نَدْعُوهُم إلى كِتابِ الله وسُنَّةِ نَبِيِّه محمد ﷺ، وإلى السُّنَن أن تُحْيَى، وإلى البِدَع أن تُطْفَأ، فإنْ أَجَبْتُمونا سَعِدْتُم، وإنْ أَبَيْتُم فلَسْتُ عليكم بوَكِيل.

ففارَقُوه ونَكَثُوا بَيْعَتَه ، وقالوا : قد سَبَقَ الإمامُ ـ يعنون محمَّدًا الباقِر ، وكان قد مات ـ وقالوا : جَعْفَر ابنه إمامُنا اليوم بعد أبيه . فسَمَّاهم زَيْدٌ «الرَّافِضَة» ، وهم يَزْعُمون أنَّ المُغيرَة سَمَّاهم الرَّافِضَة حين فارَقُوه .

وكانت طائِفَةٌ قد أَتَت جَعْفَرَ بن محمد الصَّادِق قبل قِيام زَيْد ، وأَخْبَرُوه ببَيْعَتِه ، فقال : بايِعُوه لهو والله أَفْضَلُنا وسَيِّدُنا . فعادُوا وكَتَمُوا ذلك .

وكان زَيْدٌ قد وَاعَدَ أَصْحابَه أوَّلَ ليلةٍ من صَفَرَ . فبَلَغَ ذلك يُوسُف بن عُمَر ، فبَعَثَ إلى الحكَم عامِلِه على الكُوفَة يأمُرُه بأن يَجْمَعَ النَّاسَ بالمَسْجِدِ الأعْظَم يَحْصُرُهُم فيه ، فجَمَعَهم وطَلَبُوا زَيْدًا ، فخَرَجَ ليلًا من دارِ مُعاوية بن إسْحاق بن زَيْد بن حارِثَة الأنْصاري ، وكان بها ، ورَفَعُوا النِّيرانَ ، ونادَوا : يا مَنْصُور ، حتى طَلَعَ الفَجْر . فلمَّا أَصْبَحُوا نادَى أَصْحابُ زَيْدٍ بشِعارِهم وثارُوا ، فأَغْلَقَ الحَكَمُ دُروبَ السُّوقِ وأبوابَ المَسْجِد على النَّاس ، وبَعَثَ إلى يُوسُف بن عُمَر وهو بالحِيرَة ، فأخبره الخَبَر ، فأَرْسَلَ إليه خمسين فارِسًا ليَعْرِفُوا الخَبَرَ ، فسارُوا حتى عَرَفُوا الخَبَرَ ، وعادُوا إليه . فسارَت الحِيرَة بأشْرافِ النَّاسِ ، وبَعَثَ ألفين من الفُرْسان وثلاث مائة رَجَّالَة معهم النُّشَّاب . وأَصْبَحَ زَيْدٌ ، فكان جَميعُ من وافاه تلك الليلة مائتي رَجُل وثمانية عشر رَجُلًا ، فقال : سُبْحانَ الله ! أين النَّاس ؟ فقيل : إنَّهم في المَسْجِدِ الأَعْظَم مَحْصُورون ، فقال : والله ما هذا بعُذْرٍ لمن بايَعَنا .

وأَقْبَلَ فلقيه على جَبَّانَةِ الصَّايديين خمس مائة من أَهْلِ الشَّام ، فحَمَلَ عليهم فيمن معه حتى هَزَمَهم ، وانْتَهَى إلى دارِ أَنَسِ بن عُمَر الأَزْدِي ـ وكان فيمن بايَعَه وهو في الدَّار ـ فنُودي فلم يُجب ، فناداه زَيْدٌ فلم يَخْرُج إليه ، فقال زَيْدٌ : ما أَخْلَفَكم ؟ قد فَعَلْتُمُوها ، الله حَسيبُكم . [a]ثم سارَ إلى الكُناسَةِ فحَمَلَ على من بها من أَهْلِ الشَّام فهَزَمَهم[a] ثم سارَ ويُوسُف بن عُمَر يَنْظُر إليه ، وهو في مائتي رَجُلٍ ، فلو قَصَدَه زَيْدٌ لقَتَلَه . و الرَّيانُ يَتْبَع آثارَ زَيْدٍ بالكُوفَة في أَهْلِ الشَّام ، فأَخَذَ زَيْدٌ في المسير ، حتى دَخَلَ الكُوفَة ، فسارَ بعضُ أَصْحابه إلى الجَبَّانَة ، وواقَعوا أَهْلَ / الشَّام ، فأَسَرَ ٤٤٠: أَهْلُ الشَّام منهم رجلًا ، ومَضَوْا به إلى يُوسُف بن عُمَر فقَتَلَه . فلمَّا رأى زَيْدٌ خُذْلانَ النَّاسِ إيَّاه ، قال : قد فَعَلُوها حُسَيْنِيَّة[b] ، وسارَ ، وهو يَهْزِم من لَقِيه ، حتى انتهى إلى بابِ المَسْجِد ، فجَعَلَ أَصْحابَه يُدْخِلون راياتِهم من فَوْقِ الباب ، ويقولون : يا أَهْلَ المَسْجِد اخْرُجوا من الذُّلِّ إلى العِزِّ ،

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق : حسبي الله .

اخْرُجُوا إلى الدِّين والدُّنْيا ، فإنَّكم لَسْتُم في دِينٍ ولا دُنْيا . وزَيْدٌ يقول : والله ما خَرَجْتُ ، ولا قُمْتُ مَقامِي هذا ، حتى قَرَأْتُ القُرْآنَ ، وأَتْقَنْتُ الفرائِضَ ، وأَحْكَمْتُ السُّنَنَ والآدابَ ، وعَرَفْتُ التأويلَ كما عَرَفْت التَّنْزِيل ، وفَهِمْت النَّاسِخَ والمَنْسُوخ ، والمُحْكَم والمُتَشابِه ، والخاصّ والعامّ ، وما تَحْتاج إليه الأُمَّة في دينها مِمَّا لابُدَّ لها منه ولا غِنَى لها عنه ، وإنِّي لعلى بَيِّنَةٍ من رَبِّي .

فرَماهُم أَهْلُ المَسْجد بالحِجارَة من فَوْقِ المَسْجِد ، فانْصَرَف زَيْدٌ فيمن معه ، وخَرَجَ إليه نَاسٌ من أَهْلِ الكُوفَة ، فنَزَلَ دارَ الرِّزْق ، فأتاه الرَّيَّانُ وقاتَلَه ، وخَرَجَ أَهْلُ الشَّام مَساءَ يوم الأربعاء أَسْوأ شيءٍ ظَنًّا .

فلمَّا كان من الغَدِ ، أَرْسَلَ يُوسُف بن عُمَر عِدَّةً عليهم العَبَّاس بن سَعْد المُزَني ، فلقيهم زَيْد ، فاقْتَتَلوا قِتالًا شَديدًا ، فانْهَزَم أَصْحابُ العَبَّاس ، وقُتِل منهم نحو من سبعين . فلمَّا كان العَشي ، عَبَّأ يُوسُف بن عُمَر الجُيُوشَ وسَرَّحَهم ، فالْتَقاهُم زَيْدٌ بمن معه ، وحَمَلَ عليهم حتى هَزَمَهُم وهو يَتْبَعهم . فبَعَثَ يُوسُف طائِفَةً من النَّاشِبَةِ[a] ، فرَمَوْا أَصْحابَ زَيْدٍ ، وهو يُقاتِل حتى دَخَلَ اللَّيْل ، فرُمِيَ بسَهْمٍ في جَبْهَته اليُسْرى ثَبَتَ في دِماغِه . فرَجَعَ أَصْحابُه ، ولا يَظُنّ أَهْلُ الشَّام أنَّهم رَجَعوا للمَساءِ والليل ، فأنزلوا زَيْدًا في دارٍ ، وأتَوْه بطَبيبٍ فانْتَزَعَ النَّصْلَ ، فضَجَّ زَيْدٌ وماتَ رحمه الله ، لليلتين خَلَتا من صَفَر سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وعُمْره اثنتان وأربعون سنة .

ولمَّا ماتَ اخْتَلَفَ أَصْحابُه في أَمْرِه ، فقال بعضُهم : نَطْرَحُه في الماء ، وقال بعضُهم : بل نَحُزُّ رأسَه ونُلْقيه في القَتْلى ، فقال ابنُه يحيى بن زَيْد : والله لا يأكُل لَحْمَ أبي الكِلاب ، وقال بعضُهم : نَدْفنه في الحُفْرَة التي يُؤخَذ منها الطِّين ونَجْعَل عليه الماء ، ففعلُوا ذلك وأَجْرَوا عليه الماء . وكان معه مَوْلًى سِنْدي فدَلَّ عليه ، وقيل رآهم قَصَّارٌ فدَلَّ عليه .

وتَفرَّقَ النَّاسُ من أَصْحابِ زَيْد ، وسَارَ ابنُه يحيى نَحْو كَرْبلاء ، وتَتَبَّع يُوسُف بن عُمَر الجَرْحَى في الدُّور حتى دُلَّ على زَيْدٍ في يوم جُمُعَة ، فأخْرَجه ، وقَطَعَ رأسَه وبَعَثَ به إلى هِشَام بن عبد الملك ، فدَفَعَ لمن وَصَلَ به عشرة آلاف دِرْهَم ، ونَصَبه على بابَ دِمَشْق ، ثم أَرْسَلَه إلى المَدينَة ، وسارَ منها إلى مصر .

وأمَّا جَسَدُه فإنَّ يُوسُف بن عُمَر صَلَبَه بالكُناسَة ، ومعه ثلاثة مِمَّن كانوا معه ، وأقامَ الحَرَسَ عليه . فمَكَثَ زَيْدٌ مَصْلوبًا أكثر من سنتين حتى ماتَ هِشَام ، ووَلي الوَليدُ من بعده ، وبَعَثَ إلى

a) بولاق : الماشية .

يُوسُف بن عُمَر أنْ أنْزل زَيْدًا وأحْرِقه بالنَّار ، فأنْزَلَه وأحْرَقَه ، وذَرَّى رَمادَه في الرِّيح . وكان زَيْدٌ لَمَّا صُلِبَ وهو عُرْيان ، اسْتَرْخَى بَطْنُه على عَوْرَته حتى ما يُرَى من سَوْءَتِه شيءٌ .

ومَرَّ زَيْدٌ مَرَّةً بمحمدِ ابن الحَنَفِيَّة ، فنَظَرَ إليه وقال : أُعيذُك بالله أن تكون زَيْد بن علي المَصْلُوب بالعِراق .

وقال عبد الله بن حُسَيْن بن علي بن الحُسَيْن بن علي : سَمِعْتُ أبي يقول : «اللّهم إنَّ هِشامًا رَضِيَ بصَلْب زَيْد فاسْلُبْه مُلْكَه ، وإنَّ يُوسُفَ بن عُمَر أَحْرَقَ زَيْدًا ، اللَّهُم فسَلِّط عليه من لا يَرْحَمُه ، اللّهم وأَحْرِق هِشَامًا في حَياتِه إنْ شِئْتَ ، وإلَّا فأَحْرِقه بعد مَوْتِه» . قال : فرأيتُ والله هِشامًا مُحْرَقًا لمَّا أَخَذَ بنو العَبَّاسِ دِمَشْق ، ورأيتُ يُوسُف بن عُمَر بدِمَشْق مُقَطَّعًا على كلِّ بابٍ من أبْوابِ دِمَشْق منه عُضْو ، فقلت : يا أبتاه وافَقَت دَعْوَتُك لَيْلَة القَدْر . فقال : لا يا بُنَي ، بل صُمْتُ ثلاثة أيَّامٍ من شهر رَجَب ، وثلاثة أيَّامٍ من شَعْبَان ، وثلاثة أيَّام من شهر رَمَضَان ، كنت أَصُومُ الأربعاء والخميس والجُمُعَة ، ثم أَدْعُو الله عليهما من صَلاةِ العَصْر يوم الجُمعة حتى أُصَلِّي المَغْرِب .

وبعد قَتْلِ زَيْدٍ ، انْتَقَضَ مُلْكُ بني أُمَيَّة وتَلاشَى ، إلى أن أزالَهُم الله تعالى ببني العَبَّاس .

وهذا المَشْهَدُ باقٍ بين كيمانِ مَدينَةِ مصر ، يَتَبَرَّك النَّاسُ بزيارَته ويَقْصِدونه ، لا سيَّما في يَوْمِ عاشُوراء ، والعَامَّةُ تُسَمِّيه «زَيْنَ العابِدين» ، وهو وَهْمٌ ، وإنَّما زَيْنُ العابِدين أبوه ، وليس قَبْرُه بمصر ، بل قَبْره بالبَقيع .

ولمَّا قُتِلَ الإمامُ زَيْد سَوَّدَت الشِّيعَةُ ــ أي لَبِست السَّوَاد ــ وكان أوَّلُ من سَوَّدَ على زَيْدٍ شَيخَ بني هاشِمٍ في وَقْتِه الفَضْلَ بن عبد الرَّحْمَن بن العَبَّاس بن رَبيعَة بن الحارِث بن عبد المُطَّلب بن هاشِم ، ورَثاه بقَصيدَةٍ طويلة ، وشِعْرُه حُجَّة احْتَجَّ به سِيبوَيْه ، توفي سنة تسعٍ وعشرين ومائةٍ .

مَشْهَدُ السَّيِّدة نَفِيسَة

قال الشَّريفُ النَّقيبُ النَّسَّابَةُ شَرَفُ الدِّين أبو عليّ محمد بن أسْعَد بن عليّ بن مَعْمَر بن عُمَر الحُسَيْني الجَوَّاني المالِكي في كِتابِ «الزُّوْرَة[a]» الأنيسَة بفَضْلِ مَشْهَدِ السَّيِّدَة نَفِيسَة ، رضي الله عنها» : نَفِيسَةُ بنتُ[b] الحَسَن بن زَيْدِ بن الحَسَن بن عليّ بن أبي طَالِب ــ عليهم السَّلام ــ أُمُّها أمُّ

a) بولاق : الروضة . b) بولاق : ابنة .

وَلَد ، وإخْوَتُها : القاسِم ومحمَّد وعليّ وإبراهيم وزَيْد وعُبَيْد الله ويحيى وإسماعيل وإسْحاق وأُمّ كُلْثوم ، أوْلاد الحَسَن بن زَيْد بن الحَسَن بن عليّ ، فأُمُّهم أمّ سَلَمَة ، واسمها زَيْنَب ابنة الحَسَن ابن الحَسَن بن عليّ ، وأمُّها أمّ وَلَد [١].

تَزَوَّجَ أمَّ كَلثوم ، أُخْتَ نَفيسَة ، عبدُ الله بن عليّ بن / عبد الله بن عَبَّاس - رضي الله عنهم - ثم خَلَفَ عليه الحَسَن بن زَيْد بن عليّ بن الحَسَن بن عليّ . وأمَّا عليّ وإبراهيم وزَيْد ، إخْوَة نَفيسَة من أبيها ، فأُمُّهم أُمُّ وَلَدٍ تُدْعَى أمّ عبد الحَميد . وأمَّا عبيد الله بن الحَسَن بن زَيْد ، فأُمُّه الزَّائِدَة بنت بِسْطام بن عُمَيْر بن قَيْس الشَّيْباني . وأمَّا إسماعيلُ وإسْحاقُ فهما لأُمَّيْ وَلَدٍ . وكان إسماعيلُ من أَهْلِ الفَضْلِ والخَيْرِ ، صَاحِبَ صَوْمٍ ونُسُك ، وكان يَصُومُ يَوْمًا ويُفْطِر يَوْمًا . وأمَّا يَحيى بن زَيْد فله مَشْهَدٌ معروفٌ بالمَشاهِد ، يأتي ذِكْرُه إن شاءَ الله تعالى [٢].

وتَزَوَّجَ بنَفيسَة - رضي الله عنها - إسْحاقُ بن جَعْفَر الصَّادِق بن محمد الباقِر بن عليّ زَيْن العابِدين بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب - عليهم السَّلام - وكان يُقالُ له إسْحاقُ المُؤْتَمَن ، وكان من أَهْلِ الصَّلاحِ والخَيْرِ والفَضْلِ والدِّين ، رُوِيَ عنه الحَديث ، وكان ابنُ كاسِب إذا حَدَّث عنه يقول : حَدَّثني الثِّقَة الرِّضي إسْحاق بن جَعْفَر . وكان له عَقِب بمصر منهم بَنُو الرَّقّي ، وبحَلَب بنو زُهْرَة . وَلَدَت نَفيسَةُ من إسْحاق وَلَدَيْن ، هما القاسِم وأمّ كُلْثوم ، لم يُعْقِبا .

وأمَّا جَدُّ نَفيسَة ، وهو زَيْدُ بن الحَسَن بن عليّ ، فرَوَى عن أبيه وعن جابِر وابن عَبَّاس ، وَرَوى عنه ابْنُه . وكانت بينه وبين عبدِ الله بن محمد ابن الحَنَفِيَّة خُصُومَة ، وَفَدا لأَجْلِها على الوَليد ابن عبد الملك ، وكان يأتي الجُمُعَة من ثمانية أمْيال ، وكان إذا رَكِبَ نَظَرَ النَّاسُ إليه ، وعَجِبُوا من عِظَمِ خَلْقِه ، وقالوا : جَدُّه رَسُولُ الله .

وكَتَبَ إليه الوَليدُ بن عبدِ الملك يسألُه أن يُبايِعَ لابنه عبد العَزيز ، ويَخْلَع سُلَيْمان بن عبد الملك ، ففَرَق منه وأجابَه . فلمَّا اسْتُخْلِفَ سليمان ، وَجَدَ كِتابَ زَيْدٍ بذلك إلى الوَليد ، فكَتَبَ إلى

---

[١] حاشية بخَطِّ المؤلِّف : «ولِدَت السَّيِّدَة نَفيسَة بمكة سنة خمسٍ وأربعين ومائة ، وقَدِمَت مصر سنة إحدى وسبعين ومائة من المَدينَة ، وبها نشأت» .

وانظر ترجمة السَّيِّدَة نَفيسَة ، رضي الله عنها ، عند الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ١٥٩- ١٩٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥:٤٢٣- ٤٢٤؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٧:١٦٥- ١٦٦؛ ابن الزيات : الكواكب السيارة ٣١- ٣٥؛ السخاوي : تحفة الأحباب ١٢٨- ١٣٦؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٢:١٨٥- ١٨٦؛ Ragib, Y., «Al-Sayyida Nafīsa, sa légende, son culte et son cimetière», *SI* XLIV (1976), pp. 61-86, XLV (1977), pp. 27-55; Strothmann, R., *EI*[2] art. *al-Sayyida Nafīsa* VII, p. 880.

[٢] لم يذكره المقريزي .

أبي بكر بن حَزْم أمير المَدينَة : «ادْعُ زَيْد بن الحسَن فأقْرِه الكِتابَ ، فإن عَرَفَه فاكْتُب إليّ ، وإنْ هو نَكَلَ فقدِّمه ، فاحلف[a] يمينَه عند مِنْبَر رَسُولِ الله ﷺ أنَّه ما كَتَبَه ، ولا أَمَرَ به» .

فخافَ زَيْدٌ الله واعْتَرَفَ ، فكَتَبَ بذلك أبو بَكر ، فكَتَبَ سُلَيمان أن يَضْرِبه مائة سَوْط ، وأن يَدْرَعه عَباءَةً ويُمْشيه حافِيًا . فحَبَسَ عُمَر بن عبد العزيز الرَّسُول ، وقال : حتى أُكَلِّم أميرَ المُؤْمنين فيما كَتَبَ به في حَقِّ زَيْد . فقال للرَّسُول : لا تَخْرُج فإنَّ أميرَ المؤمنين مَريضٌ . فماتَ سُلَيمان ، وأَحْرَقَ عُمر الكِتاب .

وأمَّا والِدُ نَفيسَة ، وهو الحَسَنُ بن زَيْد ، فهو الذي كان والي المَدينَة النَّبَوِيَّة من قِبَل أبي جَعْفَر عبد الله بن محمد المَنْصور ، وكان فاضِلًا أديبًا عالِمًا ، وأمّه أمُّ وَلَدٍ ، توفي أبوه وهو غُلام ، وتَرَكَ عليه دَيْنًا أربعة آلاف دينار ، فحَلَفَ الحَسَن وَلَدَه ألَّا يُظِلّ رأسَه سَقْفٌ إلَّا سَقْفُ مَسْجِد رَسُولِ الله ﷺ ، أو بَيْتُ رَجُلٍ يكلّمه في حاجَة ، حتى يَقْضي دَيْنَ أبيه . فوَفَّاه ، وقَضَاه بعد ذلك .

ومن كَرَمِه أنَّه أُتِيَ بشَابٍ شارِب متأدِّب ، وهو عامِل على المَدينَة ، فقال : يا ابن رَسُولِ الله لا أعُود ، وقد قال رَسُولُ الله ﷺ : «أَقيلُوا ذَوي الهيئات عَثَراتِهم» ، وأنا ابن أبي أُمامَة بن سَهْل ابن حُنَيف ، وقد كان أبي مع أبيك كما قد عَلِمْتَ . قال : صَدَقْتَ ، فهل أنت عائِد ؟ قال : لا والله . فأقاله ، وأَمَرَ له بخمسين دينارًا ، وقال له : تَزَوَّج بها وعُد إليّ . فتابَ الشَّابُّ ، وكان الحَسَنُ ابن زَيْد يُجْري عليه النَّفقَة .

وكانت نَفيسَةُ من الصَّلاحِ والزُّهْدِ على الحَدِّ الذي لا مَزيدَ عليه ، فيُقالُ إنَّها حَجَّت ثلاثين حَجَّة . وكانت كَثيرَةَ البُكاءِ ، تُديمُ قِيامَ اللَّيْل وصِيام النَّهار ، فقيل لها : ألا تَرْفُقين بنَفْسِك ؟ فقالت : كَيْف أَرْفُق بِنَفْسِي وأمامِي عَقَبَةٌ لا يَقْطَعها إلَّا الفائِزون .

وكانت تَحْفَظ القُرْآنَ وتَفْسيرَه . وكانت لا تأكلُ إلَّا في كُلِّ ثلاثِ لَيالٍ أُكْلَةً واحِدَة ، ولا تأكُل من غير زَوْجِها شيئًا .

وقد ذُكِرَ أنَّ الإمامَ الشَّافِعي محمد بن إدْريس كان زَارَها ، وهي من وَرَاءِ الحِجَاب ، وقال لها : «ادْعي لي» ، وكان صُحْبَتُه عبد الله بن عبد الحَكَم . وماتَت ـ رضي الله عنها ـ بعد مَوْتِ الإمامِ الشَّافِعي ـ رحمة الله عليه ـ بأرْبع سنين ، لأنَّ الشَّافِعي تُوُفِّيَ سَلْخَ شهر رَجَب سنة أربعٍ ومائتين ، يُقالُ إنَّها فيمن[b] صَلَّى على الإمام الشَّافِعي .

---

a) بولاق : فأصاب . b) بولاق : وقيل إنَّها كانت فيمن .

وتُوفِّيَتِ السَّيِّدَةُ نَفيسَة في شهر رَمَضَان سنة ثمانٍ ومائتين، [a]وقيل تُوفِّيَت أَوَّلَ يومٍ من رَجَب، وقد أقامَت بمصر سَبْعَ سنين[a]، ودُفِنَت في مَنْزِلها، وهو المَوْضِع الذي به قَبْرُها الآن، ويُعْرَفُ بخُطِّ دَرْب السِّباع ودَرْب بَزْرِب. وأرادَ إسْحاقُ بن الصَّادق - وهو زَوْجُها - أن يَحْمِلَها ليَدْفِنَها بالمَدينَة، فسأله أَهْلُ مصر أن يَتْرُكها، ويَدْفِنها عندهم لأَجْلِ البَرَكَة.

وقَبْرُ السَّيِّدَة نَفيسَة أحَدُ المواضِع المعروفة بإجابَةِ الدُّعاءِ بمصر، وهي أربعةُ مَواضِع: سِجْنُ نَبِيّ الله يُوسُف الصِّدِّيق عليه السَّلام، ومَسْجِدُ مُوسَىٰ صلوات الله عليه وهو الذي بطُرَا، ومَشْهَدُ السَّيِّدَة نَفيسَة رضي الله عنها، والمَخْدَعُ الذي على يَسارِ المُصَلِّىٰ في قِبْلَة مَسْجِد الأَقْدام بالقَرافَة. فهذه المَواضِعُ لم يَزَلِ المِصريون، مِمَّن أصابته مُصِيبةٌ أو لَحِقَتْه فاقَةٌ أو جائِحَةٌ، يَمْضُون إلى أَحَدِها، فيَدْعُون الله تعالى، فيَسْتَجيب لهم، مُجَرَّبٌ ذلك. انتهى.

ويُقالُ إنَّها حَفَرَت قَبْرَهَا هذا، وقَرَأَتْ فيه تسعين ومائة خَتْمَة، وإنَّها لمَّا احْتُضِرَت خَرَجَت من الدُّنْيا، وقد انْتَهَت في حِزْبها إلى قَوْله تعالى: ﴿قُلْ لِمَن مَّا فى السَّمٰوٰتِ والأَرْضِ قُلْ لله، كَتَبَ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الآية ١٢ سورة الأنعام]. ففاضَت نَفْسُها - رحمها الله تعالى - مع قَوْله ﴿الرَّحْمَة﴾.

ويُقالُ إنَّ الحَسَن بن زَيْد - والِدَ السَّيِّدَة نَفيسَة - كان مُجابَ الدَّعْوَة مَمْدوحًا، وإنَّ شَخْصًا وَشَى به إلى أبي جَعْفَر المَنْصُور أنَّه يُريدُ الخِلافَة / لنفسه، فإنَّه كان قد انْتَهَت ٢:٢ إليه رياسَةُ بني حَسَن، فأَحْضَرَه من المَدينَة، وسَلَبَه مالَه، ثم إنَّه ظَهَرَ له كَذِبُ النَّاقِل عنه، فمَنَّ عليه ورَدَّه إلى المَدينَة مُكرَّمًا. فلمَّا قَدِمَها بَعَثَ إلى الذي وَشَى به بهَدِيَّة، ولم يُعْتِبه على ما كان منه.

ويُقالُ إنَّه كان مُجابَ الدَّعْوَة، فمَرَّت به امْرأةٌ، وهو في الأَبْطَح، ومعها ابنٌ لها على يَدِها، فاخْتَطَفه عُقابٌ، فسألتِ الحَسَن بن زَيْد أن يَدْعُو الله لها بردِّه، فرَفَعَ يديه إلى السَّماءِ ودَعا رَبَّه، فإذا بالعُقابِ قد أَلْقَى الصَّغيرَ من غير أن يَضُرَّه بشيءٍ، فأَخَذَتْه أمُّه. وكان يُعَدّ بألفٍ من الكِرام.

---

a-a) ساقطة من بولاق.

ولمَّا قَدِمَت السَّيِّدَةُ نَفيسَة إلى مصر، مع زَوْجِها إسْحاق بن جَعْفَر، نَزَلت بالمَصْوصَة[a]، وكان بجوارها دارٌ فيها قَوْمٌ من أهْل الذِّمَّة، ولهم ابنة مُقْعَدة لم تَمْش قط. فلمَّا كَان في يومٍ من الأيَّام، ذَهَبَ أهْلُها في حاجَةٍ من حَوائجهم، وتَرَكوا المُقْعَدَة عند السَّيِّدَة نَفيسَة، فتوضَّأت وصَبَّت من فَضْلِ وُضُوئها على الصَّبيَّة المُقْعَدَة، وسَمَّت الله تعالى، فقامَت تَسْعَى على قَدَمَيْها ليس بها بأسٌ ألبتَّة. فلمَّا قَدِمَ أَهْلُها وعايَنوها تَمْشي، أتَوْا إلى السَّيِّدَة نَفيسَة - وقد تَيَقَّنوا أنَّ مَشْي ابنتهم كان ببَرَكة دُعائِها - وأسْلَمُوا بأجْمَعِهم على يَدَيْها، فاشْتُهِر بذلك بمصر، وعُرِفَ أنَّه من بَرَكاتِها.



مِحْراب مَشْهَد السَّيِّدة نَفيسة

وتَوَقُّف النِّيلُ عن الزِّيادةَ في زَمَنِها، فحَضَرَ النَّاسُ إليها، وشَكَوا إليها ما حَصَلَ من تَوَقُّف النِّيل، فدَفَعت قِناعَها إليهم، وقالت لهم: أَلْقوه في النِّيل، فأَلْقَوْه فيه، فزادَ حتى بَلَّغَ الله به المنافِع.

وأُسِرَ ابْنٌ لامْرأةٍ ذِمِّيَّة في بِلادِ الرُّومِ، فأَتَت إلى السَّيِّدَة نَفيسَة، وسألتها الدُّعاء أن يَرُدَّ الله ابنها عليها. فلمَّا كان الليلُ لم تَشْعُر الذِّمِّيَّة إلَّا بابْنِها وقد هَجَم عليها دارَها، فسألته عن خَبَرِه، فقال: يا أُمَّاه لم أَشْعُر إلَّا ويَدٌ قد وَقَعَت على القَيْدِ الذي كان في رِجْلي، وقائِلٌ يَقُول: أَطْلِقُوه قد شَفَعَت فيه نَفيسَةُ بنت الحَسَن، فوالذي يُحْلَف به يا أُمَّاه، لقد كُسِرَ قَيْدي، وما شَعَرْتُ بنَفْسي إلَّا وأنا واقِفٌ ببابِ هذه الدَّار. فلمَّا أَصْبَحَتَ الذِّمِّيَّةُ، أَتَتْ إلى السَّيِّدَة نَفيسَة، وقَصَّت عليها الخَبَر، وأَسْلَمَت هي وابنها، وحَسُنَ إسْلامُهما.

---

a) بولاق: المنصوصة.

وذَكَرَ غَيْرُ واحِدٍ من عُلَماءِ الأَخْبارِ[١] بمصر أنَّ هذا قَبْرُ السَّيِّدَة نَفيسَة بلا خِلاف، وقد زارَ قَبْرَها من العُلَماءِ والصَّالِحِين خَلْقٌ لا يُحْصَى عَدَدُهم. ويُقالُ إنَّ أوَّل من بَنَى على قَبْرِ السَّيِّدَة نَفيسَة عُبيدُ الله بن السَّرِيّ بن الحَكَم أميرُ مصر. ومَكْتُوبٌ في اللَّوْحِ الرُّخام الذي على بابِ ضَريحِها ـ وهو الذي كان مُصَفَّحًا بالحَديد ـ بعد البَسْمَلَة ما نَصُّه:

«نَصْرٌ من الله وفَتْحٌ قَريبٌ لعَبْدِ الله ووَلِيِّه، مَعَدّ أبي تَميم الإمام المُسْتَنْصِر بالله، أمير المؤمنين، صَلَوَات الله عليه وعلى آبائه الطَّاهِرين وأبنائِه المُكَرَّمين. أَمَرَ بعِمارَة هذا الباب السَّيِّدُ الأَجَلُّ أميرُ الجُيُوش، سَيْفُ الإسْلام، ناصِرُ الإمام[a]، كافِلُ قُضَاةِ المُسْلمين، وهادِي دُعاةِ المؤمنين، عَضَّدَ الله به الدِّين، وأَمْتَعَ بطُولِ بَقائِه أمير[b] المؤمنين، وأدامَ قُدْرَته، وأَعْلَى كَلِمَته، وشَدَّ عَضُدَه بوَلَدِه الأَجَلِّ الأَفْضَل، سَيْف الإمام، جَلالِ الإسْلام، شَرَفِ الأَنام، ناصِرِ الدِّين خَليلِ أمير المؤمنين، زادَ الله في عَلائِه، وأَمْتَعَ المؤمنين بطُولِ بَقائِه، في شهر رَبيعٍ الآخِرِ سنة اثنتين وثمانين وأربع مائة»[٢].

a) بولاق: الأنام. b) ساقطة من بولاق.

[١] مَصْدَرُ المقريزي هنا هو المُوَفَّق بن عثمان صاحِب كتاب «مُرْشِد الزُّوّار إلى قُبُور الأَبْرار»، حيث يَتَّفِق نَصُّ المقريزي تمامًا مع نَصّ المُوَفَّق بن عثمان. (مرشد الزوار ١٩١–١٩٢). غير أنَّ الكتابة التاريخية التي أَوْرَدَها المقريزي تَتَّفِقُ أكثر مع الأسلوب الفاطمي في النُّصوص الإنْشائية.

[٢] انظر هذا النَّصّ المهم، الذي فُقِدَ تمامًا الآن، عند الموفق ابن عثمان: مرشد الزوار ١٩٢؛ السخاوي: تحفة الأحباب ١٣٥؛ وكذلك عند علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٣٠٤ (١٣٤)؛ van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n° 38; Wiet, G., *RCEA* VII, n° 2776; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 442-43.

ويَحْمل هذا النَّصُّ إشارَةً ذات دلالة عن مشاركة الأَفْضَل بن بَدْر الجمالي لوالده في السُّلْطَة في نهاية حياته. ففي نَصّ مُجْمَل أَوْرَده ابنُ مُيَسَّر، نعرف منه أنَّ بَدْرًا الجمالي، بعد أن قادَ حملةً لتأديب وَلَده الأَوْحَد الذي خَرَج عليه في الإسكندرية سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م، اسْتَنابَ وَلَدَه الأَفْضَل وجَعَلَه وَلِيَّ عَهْدِه في جُمادَى الأولى من هذه السنة (أخبار مصر ٤٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٣٢١؛ وكذلك ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٣: ٢١٧–٢١٨). ويُؤَكِّد ما جاءَ في هذا النَّصّ سِجِلٌّ مُؤَرَّخ في ٧ محرَّم سنة ٤٧٩هـ/٢٥ أبريل سنة ١٠٨٦م، بَعَثَ به الخليفةُ المُسْتَنْصِر بالله إلى دُعاتِه باليمن، نَعْرِف من خِلالِه أنَّ الإمام الفاطمي نَقَلَ سُلْطة بَدْرِ الجمالي إلى وَلَدِه الأَفْضَل شاهِنْشاه في احْتِفالٍ ضخم عُقِدَ بالقَصْر من أجل أن يتفرَّغ والِدُه بَدْرُ الجمالي لدَرْسِ عُلُوم الأئمة والإشْراف على الدَّعْوَة. (السجلات المستنصرية، سجل رقم ١٥؛ عماد الدين إدريس: عيون الأخبار ٧: ١٨٣–١٨٥). وعلى ذلك فليس من الغريب أن نجد اسم الأَفْضَل شاهِنْشاه بألقابه الفخرية يظهر إلى جانب والده سنة =

والقُبَّةُ التي على الضَّريح جَدَّدَها الخَلِيفَةُ الحَافِظُ لدين الله في سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة، وأَمَرَ بعَمَلِ الرُّخام الذي بالمِحْراب[١].

مَشْهَدُ السَّيِّدَة كُلْثُم[a]

[أثر رقم ٥١٦]

هي كُلْثُم[a] بنت القاسِم بن محمد بن جَعْفَر الصَّادِق بن محمد البَاقِر بن عليّ زَيْن العابِدين ابن الحَسَن بن عليّ بن أبي طالب. مَوْضِعه بمَقابِر قُرَيْش بمصر بجوار الخَنْدَق. وهي أُمّ جَعْفَر ابن مُوسَىٰ بن إسماعيل بن مُوسَىٰ الكاظِم بن جَعْفَر الصَّادِق؛ كانت من الزَّاهِدات العابِدات[٢].

---

a) بولاق: كلثوم.

= ٤٨٢هـ/١٠٩٨م في الكتابة التاريخية الموجودة بالمَشْهَد النَّفيسي. (أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢١٧-٢١٨).

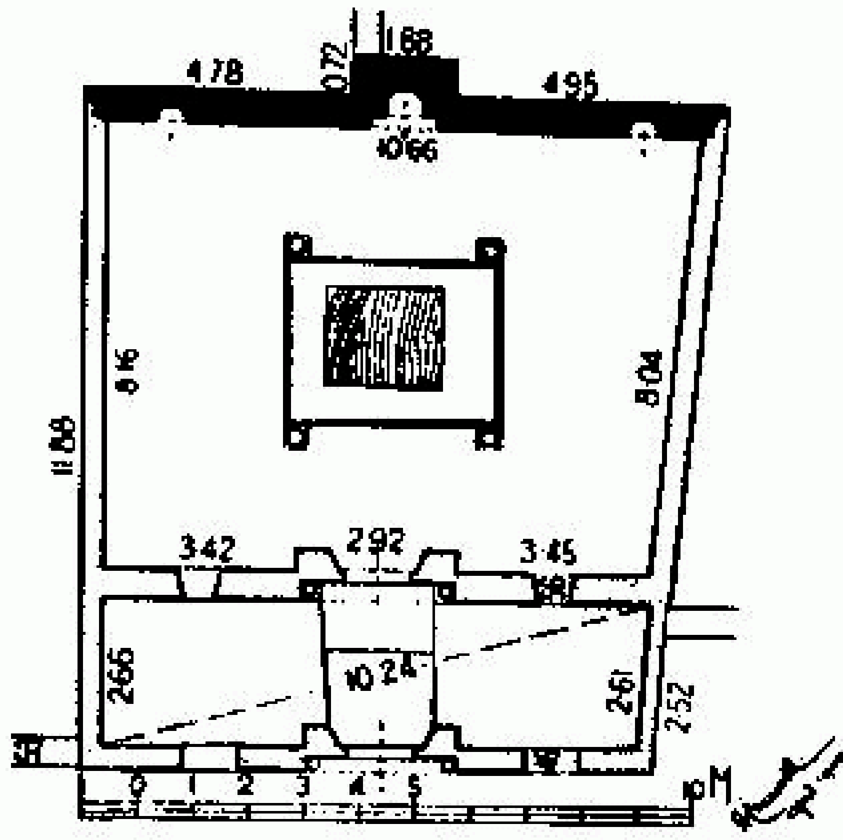
[١] الموفَّق بن عثمان: مرشد الزوار ١٩٢.

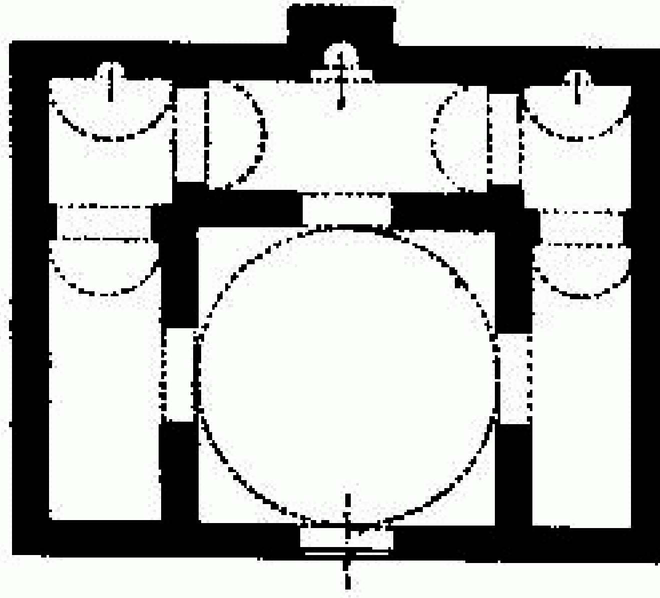
ويرجع المَشْهَدُ النَّفيسي الموجود الآن إلى عام ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ولم يَبْقَ من المَشْهَد نفسه أيُّ أثر، فيما عدا الموقع نفسه ومِحْرابٌ خَشَبي مُتَنَقِّل محفوظٌ الآن بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة. (راجع، Ravaisse, P., «Sur trois mihrâbs en bois sculpté», *MIE* II/2 (1889), pp. 661-65; Creswell, K.A.C. *MAE* I, pp. 257-58; Behrens-Abouseif, D., «The Lost Minaret of Shajarat al-Durr at the Complex in the Cemetry of Sayyida Nafîsa», *MDAIK* XXXIX (1983), pp. 4-7; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 441-46؛ ومقال يوسف راغب المذكور في صفحة ٨٣٨هـ[١].

وقدَّم لنا الرَّحّالةُ الأَنْدَلُسي أبو البَقَاء خالِد بن عيسىٰ البَلَوي، المتوفى سنة ٧٤٠هـ/١٣٤٠م، في رحلته المعروفة بـ«تاج المَفْرِق في تحلية عُلَماءِ المَشْرِق» وَصْفًا نادرًا لمشهد السَّيِّدَة نَفيسَة في النصف الأوَّل من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، نشره يوسف راغب. (انظر Ragib, Y., «Une description arabe du mausosolée d' al-Sayyida Nafîsa au Caire», *Arabica* XXIII (1976), pp. 37-41).

وانظر كذلك فيما تقدم ٢١٤.

[٢] ما يزالُ مَشْهَدُ السَّيِّدَة كُلْثُم قائمًا في شارع الإمام الشَّافعي بجوار مَشْهَدي يحيى الشَّبيه والقاسِم الطَّيِّب. (راجع، الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٦٢؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٩٦؛ Creswell, K.A.C., *MAE* I, pp. 236-38؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٦٢٩-٦٣٩).





مُخَطَّط مَشْهَد السَّيِّدَة كُلْثُم

سَنَا وثَنَا

يُقالُ إنَّهما من أوْلادِ جَعْفَر بن محمد الصَّادِق. كانتا تَتْلُوان القُرْآنَ الكريم في كُلِّ ليلة فماتَت إحْداهُما، فصارَت الأُخرى تَتْلو وتُهْدي ثَوابَ قِراءَتها لأُخْتِها حتى ماتَت [1].

[1] ابن الزيات: الكواكب السيارة ٢٠١، وفيه: أنَّها تُرْبَةٌ ذات بابَيْن عبارة عن حوشٍ لطيف بغير سَقْف.

ذِكْرُ مَقَابِرِ مِصْرَ والقَاهِرَةِ المَشْهُورَة

القَبْرُ مَدْفَنُ الإنْسَان، وجَمْعُه قُبُور؛ والمَقْبَرَةُ مَوْضِعُ القَبْر. قال سِيبَوَيْه: المَقْبَرَةُ ليس على الفِعْل، ولكنه اسْم، وقَبَرَه يَقْبُرُه: دَفَنَه، وأَقْبَرَه: جَعَلَ له قَبْرًا[١].

واعْلَم أنَّ لأَهْلِ مَدينَة مصر ولأَهْلِ القاهِرَة عِدَّةَ مَقابِر، وهي «القَـرافَة»، فما كان منها في سَفْحِ الجبَلِ يُقالُ له «القَرافَةُ الصُّغْرَىٰ»، وما كان منها في شَرْقِ مصر بجوار المساكِن يُقالُ له «القَرافَةُ الكُبْرَىٰ». وفي القَرافَةِ الكُبْرَىٰ كانت مَدافِنُ أَمْواتِ المسلمين منذ افْتُتِحَت أَرْضُ مصر، واخْتَطَّ العَرَبُ مَدينَةَ الفُسْطاط، ولم يكن لهم مَقْبَرَةٌ سِواها.

فلمَّا قَدِمَ القائِدُ جَوْهَر من قِبَلِ المُعِزّ لدين الله وبَنَى القاهِرَة وسَكَنَها الخُلَفاءُ، اتَّخذوا بها تُرْبَةً / عُرِفَت بـ «تُرْبَةِ الزَّعْفَران»، قَبَروا فيها أَمْواتَهُم[٢]، ودَفَنَ رَعيَّتُهم من ماتَ منهم في القَرافَة، إلى أن اخْتُطَّتِ الحاراتُ خارِج بابِ زَوِيلَة، فَقَبَرَ سُكانُها مَوْتاهُم خارِج بابِ زَوِيلَة مِمَّا يلي الجبَل[a]، فيما بين جَامِع الصَّالِح وقَلْعَةِ الجبَل، وكَثُرَتِ المقابِرُ بها عند حُدوثِ الشِّدَّة العُظْمَىٰ أيَّامَ الخَليفَة المُسْتَنْصِر.

ثم لمَّا ماتَ أميرُ الجيُوشِ بَدْرٌ الجَمالي دُفِنَ خارِج بابِ النَّصْر، فاتَّخَذَ النَّاسُ هَنالِك مَقابِرَ مَوْتاهُم، وكَثُرَت مَقابِرُ أَهْلِ الحُسَيْنِيَّة في هذه الجِهَة[٣]. ثم دَفَنَ النَّاسُ الأَمْوات خارِج القاهِرَة في المَوْضِع الذي عُرِفَ بمَيْدانِ القَبَق، فيما بين قَلْعَةِ الجبَلِ وقُبَّةِ النَّصْر، وبنوا هناك التُّرَب الجَليلَة[٤]، ودَفَنَ النَّاسُ أيضًا خارِجَ القاهِرَة فيما بين بابِ الفُتُوحِ والخَنْدَق.

---

a) بولاق: الجامع.

---

[١] سيبويه: الكتاب ٤: ٥٩.

[٢] فيما تقدم ٢: ٣٥١- ٣٥٣.

[٣] فيما تقدم ٣: ٦٣، ٣٦٨، ٤٦٢.

[٤] فيما تقدم ٣: ٣٧٦.

ولكلِّ مَقْبَرةٍ من هذ المَقابِرِ أخبارٌ ، سوف أَقُصُّ عليك من أنبائِها ما انْتَهَت إلى مَعْرِفته قُدْرَتي إن شاءَ الله تعالى .

*

* *

ويَذْكُر أَهْلُ العِنايَة بالأمُورِ المُتقادِمَة أنَّ النَّاسَ في الدَّهْرِ الأَوَّل لم يكونوا يَدْفِنُون مَوْتاهُم إلى أن كان زَمَنُ دوناي - الذي يُدْعى سَيِّد البَشَر ، لكَثْرَة ما عَلَّمَ النَّاسَ من المنافِع - فشَكا إليه أَهْلُ زَمانِه ما يتأذَّون به من خُبْثِ مَوْتاهُم ، فأَمَرَهُم أن يَدْفِنُوهم في خَوابِي ، ويَسُدُّوا رُءُوسَها ، ففَعَلوا ذلك . فكان دُوناي أَوَّلَ من دَفَن المَوْتَى .

وذُكِرَ أنَّ دُوناي هذا كان قَبْل آدَم بدَهْرٍ طَويل ، مبلغه عشرون ألف سنة ، وهي دَعْوَى لا تصحّ . وفي القُرْآنِ الكريم ما يَقْتَضي أنَّ قابِيل بن آدَم أَوَّلُ من دَفَنَ المَوْتَى ، والله أَصْدَقُ القائلين [1] . وقد قال الشَّافِعِيُّ ، رحمه الله : وأَكْرَه أن يُعَظَّم مَخْلُوقٌ حتى يُجْعَل قَبْرُه مَسْجِدًا ، مَخافَة الفِتْنَة عليه وعلى من بَعْدَه .

ذِكْرُ القَرَافَة

رَوَى التِّرْمِذِيُّ من حَديثِ أبي طَيبة عبد الله بن مُسْلِم ، عن عبد الله بن بُرَيْدَة ، عن أبيه - رَفَعَه - : «مَنْ ماتَ من أَصْحابي بأَرْضٍ ، بُعِثَ قائِدًا ونُورًا لهم يَوْمَ القِيامَة» . قال : وهذا حَديثٌ غَريبٌ ، وقد رُوِيَ عن أبي طيبة عن ابن بُرَيْدَة مُرْسَلًا ، وهذا أَصَحُّ [2] .

قال أبو القاسِم عبد الرَّحْمَن بن عبد الله بن عبد الحَكَم في كِتابِ «فُتُوحِ مِصْر» : حَدَّثَنا عبد الله بن صَالِح ، حدَّثَنا اللَّيْثُ بن سَعْد ، قال : سأل المُقَوْقِسُ عَمْرو بن العَاص أن يَبيعَه سَفْحَ المُقَطَّم بسبعين ألف دينار ، فعَجِبَ عَمْرو من ذلك ، وقال : أَكْتُبُ في ذلك إلى أمير المؤمنين . فكَتَبَ بذلك إلى عُمَر - رضي الله عنه - فكَتَب إليه عُمَر : «سَلْه لِمَ أَعْطَاك به ما

---

[1] يشير المقريزي إلى الآية رقم ٣١ سورة المائدة .

[2] الترمذي : الجامع الصحيح ١٣:١٤٥ (باب المناقب) ، ونَصُّ الحديث فيه : «ما من أَحَدٍ من أَصْحابي يموتُ بأرْضٍ إلّا بُعِثَ قائدًا ونورًا لهم يوم القيامة» ؛ الموفق ابن عثمان : مرشد الزوار ١٢-١٣.

أعْطَاكَ ، وهي لا تُزْدَرَع ، ولا يُسْتَنْبَطُ بها ماءٌ ، ولا يُنْتَفَعُ بها ؟» . فسأَلَه فقال : إنَّا لنَجِد صِفَتَها في الكُتُبِ أنَّ فيها غِراسَ الجَنَّة . فكَتَبَ بذلك إلى عُمَر ـ رضي الله عنه ـ فكَتَب إليه عُمَر : «إنَّا لا نَعْلَم غِراسَ الجَنَّة إلَّا المؤمنين ، فاقْبُر فيها مَنْ ماتَ قِبَلَك من المسلمين ، ولا تَبِعْه بشيءٍ» .

فكان أوَّلُ من دُفِنَ فيها رَجُلٌ من المَعافِر[a]، يُقالُ له عامِر ، فقيل عُمِرَت . فقال المُقَوْقِسُ لعَمْرو : ما ذلك ، ولا على هذا عاهَدْتَنا . فقَطَعَ لهم الحَدَّ الذي بين المَقْبَرَة وبينهم[1] .

وعن ابن لَهِيعَة : أنَّ المُقَوْقِسَ قال لعَمْرو : «إنَّا لنَجِد في كتابِنا أنَّ ما بَيْن هذا الجَبَل وحيث نَزَلْتم ، يَنْبُت فيه شجَرُ الجَنَّة» . فكَتَبَ بقَوْلِه إلى عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ فقال : «صَدَقَ ، فاجْعَلْها مَقْبَرَةً للمسلمين»[2] . فقُبِرَ فيها مِمَّن عُرِفَ من أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ خمسةُ نَفَرٍ : عَمْرو بن العَاص السَّهْمِيّ ، وعبد الله بن حُذَافَة السَّهْمي ، وعبد الله بن جَزْءٍ الزُّبَيْدي ، وأبو بَصْرَة[b] الغِفاري ، وعُقْبَة بن عامِر الجُهَني ، ويُقال : ومَسْلَمَة بن مَخْلَد الأنْصاري[3]. انتهى .

ويُقال : إنَّ عامِرًا هو الذي كان أوَّلَ من دُفِنَ بالقَرافَة ، قَبْرُه الآن تحت حائِط مَسْجِدِ الفَتْح الشَّرقي ، وقالت فيه امْرَأَةٌ من العَرَب :

[السريع]

قامَت تَبَكِّيه[c] على قَبْرِه ... مَنْ لي مِنْ بَعْدِكَ يا عامِرُ
تَرَكْتَني في الدَّار ذا غُرْبَةٍ ... قد ذَلَّ من لَيْس له ناصِرُ

ورَوَى أبو سعيد عبد الرَّحْمَن بن أحمد بن يُونُس في «تاريخ مِصْر» ، من حَديثِ حَرْمَلَة ابن عِمْران ، قال : حَدَّثَني عُمَيْر بن أبي مُدْرك الخَوْلاني ، عن سُفْيان بن وَهْبٍ الخَوْلاني ، قال : بَيْنَا نحن نَسيرُ مع عَمْرو بن العَاص في سَفْحِ هذا الجَبَل ، ومعنا المُقَوْقِسُ ، فقال له عَمْرو : يا مُقَوْقِس ، ما بالُ جَبَلِكم هذا أَقْرَع ، ليس عليه نَباتٌ ولا شَجَرٌ على نحو بلاد الشَّام ؟ فقال : لا أدْري ،

a) بولاق : المغافر . b) بولاق : أبو بصيرة . c) بولاق : بواكيه .

[1] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٥٦ ، ١٥٧؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٣٦؛ السيوطي : حسن المحاضرة ١ : ١٣٧؛ وانظر فيما تقدم ١ : ٣٣٦.

[2] نفسه ١٥٧؛ السيوطي : حسن المحاضرة ١ : ١٣٧.

[3] نفسه ١٥٧؛ نفسه ١ : ١٣٧.

ولكن الله أَغْنَى أَهْلَه بهذا النِّيل عن ذلك ، و لكنه نَجِدُ تحته ما هو خَيْرٌ من ذلك . قال : وما هو؟ قال : ليُدْفَنَ تحته ـ أو ليُقْبَرَن تحته ـ قَوْمٌ يَبْعَثُهم الله يَوْمَ القِيامَةِ لا حِسَابَ عليهم . قال عَمْرو : اللَّهم اجْعَلْني منهم . قال حَرْمَلَةُ بن عِمْران : فرأيتُ قَبْرَ عَمْرو بن العَاص ، وقَبْرَ أبي بَصْرة [a]، وقَبْرَ عُقْبَة بن عامِرٍ فيه .

وخَرَّجَ أبو عيسى التِّرْمِذِيّ ، من حَديثِ أبي طَيْبة عبد الله بن مُسْلم ، عن عبد الله بن بُرَيْدَة ، عن أبيه ـ رَفَعَه ـ : «مَنْ ماتَ من أصْحابي بأرْضٍ بُعثَ قائِدًا لهم ونُورًا لهم[b] يوم القِيامَة»[١].

وقال القاضي أبو عبد الله بن محمد بن سَلامَة القُضاعِيّ : القَرافَةُ هم بنو غَصّ بن سَيْف ابن وائل من[c] المَعافِر[d]، وفي نُسْخَة بنو غُصْن[٢].

وقال أبو عُمَر[d] الكِنْدي : بنو مَحْصَن بن سَيْف بن وائِل بن الجيزي بن شُراحْبيل / ابن المَعَافِر[d] بن يَعْفُر ، وقيل إنَّ قَرافَة اسم أمّ عُزافِر وجَحْض ابنيْ سَيْف بن وائِل بن الجيزي[٣]، قد صَحَّفَ القُضَاعي في قَوْلِه «غُصْن» بالغين المعجمة ، والأقْرَبُ ما قاله الكِنْدي ؛ لأنَّه أَقْعَدُ بذلك .

وقال ياقُوتُ : والقَرافَةُ ـ بفَتْح القافِ وراءٍ مُخَفَّفَة وأَلِف خَفيفَة وفاء ـ الأوَّل : مَقْبَرَةٌ بمصر مشهورة ، مُسَمَّاة بقَبيلَةٍ من المَعافِر يُقالُ لهم «بنو قَرافَة» . الثَّاني : القَرافَةُ مَحَلَّة بالإسْكَنْدَرية ، منسوبَةٌ إلى القَبيلَة أيضًا[٤].

وقال الشَّريفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني في كِتاب «النُّقَط» ـ وقد ذَكَرَ جَامِعَ القَرافَة الذي يُقالُ له اليوم جَامِعُ الأَوْلياء ـ : وكان جَمَاعَةٌ من الرُّؤَسَاءِ يَلْزَمون النَّوْمَ بهذا الجَامِع ، ويَجْلسون في ليالي

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : بن . c) بولاق : أبو عمرو . d) بولاق : المغافر .

---

[١] ابن يونس : تاريخ (تاريخ المصريين) ٣٧٤- ٣٧٥؛ السيوطي : حسن المحاضرة ١ : ١٣٨؛ وقارن الموفق ابن عثمان : مرشد الزوار ١٤٠- ١٤١.

[٢] عند أبي المحاسن : «والقرافة سُمِّيت بطائفة من المعافر يُقالُ لهم القرافَة ، نَزَلوا هناك» . (النجوم الزاهرة ١ : ٣٦) .

[٣] فيما يلي ٨٥٩.

[٤] ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٣١٧؛ وانظر كذلك ابن حوقل : صورة الأرض ١٤٧؛ المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٠٩ : ١٢؛ ديوان تميم بن المعز الفاطمي ٢٧؛ الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ١١؛ ابن الزيات : الكواكب السيارة ١٧٩ : ١٠، ١٦؛ الزبيدي : تاج العروس ٦ : ٢١٩- ٢٢٠.

الصَّيْف يتحدَّثون في القَمَر في صَحْنِه، وفي الشِّتاء يَنامُون عند المِنْبَر، وكان يَحْصُل لقيمه الأَشْوِيَة[a] والحَلْوَى والجِرايات.

وكان النَّاسُ يُحِبُّون هذا المَوْضِع، ويَلْزَمُونَه لأَجْلِ من يَحْضُر من الرُّؤساء، وكانت الطُّفَيْلِيَّةُ يَلْزَمون المَبيت فيه لَيالي الجُمَع، وكذلك أكثر المساجِد التي بالقَرافَة والجَبَل والمَشاهِد، لأَجْلِ ما يُحْمَل إليها، ويُعْمَل فيها من الحَلاوات واللُّحومات والأَطْعِمَة [1].

وقال [b]علي بن[b] مُوسَى بن محمد بن سَعيد في كِتابِ «المُغْرِب في أَخْبَار المَغْرِب»: وبِتُّ لياليَ كثيرةً بقَرافَةِ الفُسْطاط، وهي في شَرْقيها، بها مَنازِلُ الأَعْيان بالفُسْطاط والقاهِرَة، وقُبُورٌ عليها مَبانٍ مُعْتَنًى بها، وفيها القُبَّةُ العالية العَظيمَة المُزَخْرَفَة التي فيها قَبْرُ الإمام الشَّافِعيّ - رضي الله عنه - وبها مَسْجِدٌ جَامِعٌ، وتُرَبٌ كثيرة عليها أَوْقافٌ للقُرَّاء، ومَدْرَسَةٌ كبيرة للشَّافِعية. ولا تَكادُ تَخْلو من طَرَبٍ، ولا سِيَّما في اللَّيالي المُقْمِرَة، وهي معظم مُجْتَمَعات أَهْلِ مصر، وأَشْهَر مُتَنَزَّهاتهم، وفيها أقول:

[الكامل]

إنَّ القَرافَةَ قد حَوَتْ ضِدَّيْن من ... دُنْيا وأُخْرى فهي نِعْمَ المَنْزِلُ
يُغْشَى الخَليعُ بها السَّماعَ مُواصِلًا ... ويَطوفُ حَوْلَ قُبورِها المُتَبَتِّلُ
كَمْ لَيْلَةٍ بِتْنا بها ونَديمُنا ... لَحْنٌ يكادُ يَذُوبُ منه الجَنْدَلُ
والبَدْرُ قد مَلأَ البَسيطَةَ نُورُه ... فكأنَّما قد فاضَ منه جَدْوَلُ
وبَدَا يُضاحِكُ أَوْجُهًا حاكَيْنَه ... لمَّا تَكامَلَ وَجْهُهُ المُتَهَلِّلُ [2]

وفَوْقَ القَرافَةِ من شَرْقيها جَبَلُ المُقَطَّم، وليس له عُلُوٌّ ولا عليه اخْضِرارٌ، وإنَّما يُقْصَد للبَرَكَة، وهو نَبيه الذِّكْر في الكُتُبِ، وفي سَفْحِه مَقابِرُ أَهْلِ الفُسْطاط والقاهِرَة [3].

والإجْماعُ على أنَّه ليس في الدُّنْيا مَقْبَرَةٌ أَعْجَبُ منها، ولا أَبْهَى ولا أَعْظَمُ ولا أَنْظَفُ من أَبْنِيتها وقِبابِها وحُجَرِها، ولا أَعْجَبُ تُرْبَةً منها كأنَّها الكافُور والزَّعْفَرَان، مقدَّسَةٌ في جَميعِ الكُتُبِ، وحين تُشْرف عليها تَراها مَدينَةً بَيْضَاء، والمُقَطَّم عالٍ عليها كأنَّه حائِطٌ من وَرائِها.

---

a) بولاق: الأشربة. b-b) إضافة اقتضاها السياق.

---

[1] فيما تقدم ٢٩١.

[2] ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ١: ١٠- ١١.

[3] فيما تقدم ١: ٣٣٥- ٣٣٨.

وقال شَافِعُ بن عليّ [١]:

[الطويل]

تَعَجَّبْتُ من أَمْرِ القَرافَةِ إذْ غَدَت   على وَحْشَةِ المَوْتَى لها قَلْبُنا يَصْبُو
فأَلْفَيْتُها مأْوَى الأَحِبَّة كلِّهم   ومُسْتَوْطَن الأَحْبابِ يَصْبُو له القَلْبُ

وقال الأَديبُ أبو سَعْدٍ[a] محمد بن أحمد العَميدي [٢]:

[الوافر]

إذا ما ضَاقَ صَدْري لم أَجِدْ لي   مَـقَـرَّ عِـبـادَةٍ إلّا الـقَـرافَـهْ
لِئَن لم يَرْحَمِ المَوْلَى اجْتِهادي   وقِـلَّـة نـاصِـري لم أَلْـقَ رَافَـهْ [٣]

واعْلَم أنَّ النَّاسَ في القَديم إنَّما كانوا يَقْبُرُون مَوْتاهُم فيما بين مَسْجِدِ الفَتْح وسَفْحِ المُقَطَّم، واتَّخذوا التُّرَبَ الجَلِيلَة أيضًا فيما بين مُصَلَّى خَوْلان وخِطَّةِ المَعَافِر[b] ـ التي مَوْضِعها الآن كِيمانُ تُرابٍ ـ وتُعْرَف الآن بـ «القَـرَافَةِ الكُـبْرَى» [٤].

---

a) في النسخ: أبو سعيد. b) بولاق: خط المغافر.

---

[١] انظر عن شافع بن علي، فيما تقدم ١: ٨٦*.

[٢] أبو سَعْد محمد بن أحمد العَميدي الكاتب، كان يتولّى ديوان التَّرتيب في آخر عَهْدِ الحاكم بأمْر الله وأوَّل عَهْد خَلَفه الظَّاهِر لإعْزاز دين الله، وعُزِلَ عنه سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م، وتولّى كذلك ديوان الإنْشاء في أيَّام المُسْتَنْصِر بالله، عِوَضًا عن وَلِيّ الدَّوْلَة بن خَيْران، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م. وهو مُؤَلِّف كتاب «الإبانَة عن سَرِقات المُتَنَبِّي»، الذي نشره إبراهيم الدسوقي البساطي، وصدر عن دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦١. (راجع، ياقوت: معجم الأدباء ١٧: ٢١٢-٢١٣؛ القفطي: إنباه الرواة ٣: ٤٦-٤٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢: ٧٥-٧٦، وانظر كذلك المسبحي: أخبار مصر ١٣-١٤).

[٣] انظر هذه الأبيات كذلك عند ياقوت: معجم البلدان ٤: ٣١٧.

[٤] راجع عن «القرافَة الكبرى» وعن قَرافَة مصر الفُسْطاط وقَرافَة القاهِرة، إضافةً إلى ما يُذْكَر في الهامش التالي: Mehren, A., «Revue des monuments funéraires de Kerafa ou de la ville des morts hors du Caire», *Bulletin de l'Académie impériale de Sciences de St.Petersbourg* XVI (1871), pp. 494-526; id., «Tableau géneral des Monuments religieux du Caire», *Ibid* XVI (1871), pp. 530-63; Massignon, L., «La Cité des morts au Caire (*Qarâfa - Darb al-Ahmar*), *BIFAO* LVII (1958), pp. 25-79; Ragib, Y., *Le Cimetière de Misr de la conquête arabe à la conquête fatimide 20/640 - 358/969*, Thèse pour le doctorat du 3° cycle, Université de Paris III, 1972; id., «Sur un groupe de mausolée du Cimetière du Caire», *REI* XL/1 (1972), pp. 189-95; id., «Sur deux monuments funéraires du Cimetière d'al-Qarâfa al-Kubrâ au Caire», *An.Isl.* XII (1974); pp. 67-83; Williams, C., «The Cult of ʿAlid Saints in the Fatimid Monuments of Cairo. Part II: The Mausolea», *Muqarnas* III (1985), pp. 39-60; Gayraud, R.-P.,

فلمَّا دَفَنَ الملكُ الكامِلُ محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب ابنه ، في سنة ثمانٍ وستّ مائة ، بجوار قَبْر الإمام محمد بن إدْرِيس الشَّافِعِيّ ، وبَنَى القُبَّة العَظِيمَة على قَبْر الشَّافِعِيّ [1] ، وأجْرَى لها الماءَ من بِرْكَة الحَبَش بقَناطِرَ مُتَّصلة منها [2] ، نَقَلَ النَّاسُ الأبْنِيَة من القرافَةِ الكُبْرَىٰ إلى ما حَوْلَ الشَّافِعِيّ ، وأنشأوا هناك التُّرَب ، فعُرِفَت بـ «القَــرافَةِ الصُّــغْرَىٰ» ، وأخَذَت عَمائِرُها في الزِّيادةِ ، وتَلاشَى أمْرُ تلك [3] .

وأمَّا القِطْعَةُ التي تلي قَلْعَةَ الجَبَل فتَجَدَّدت بعد السبع مائة من سني الهجرة .

وكان ما بين قُبَّةِ الإمام الشَّافِعِيّ - رحمة الله عليه - وبابِ القَرافَة مَيْدانًا واحِدًا تَتَسابَقُ فيه الأُمَرَاءُ والأَجْنادُ ، ويجتمع النَّاسُ هنالك للتَّفَرُّج على السِّباق ، فتَصيرُ الأُمَرَاءُ تُسابِقُ على حِدَة ، والأجْنادُ تُسابِقُ في جِهَةٍ وهم مُنْفَرِدون عن الأُمَرَاء ، والشَّرْطُ في السِّباق من تُرْبَة الأمير يَبْدَرَا إلى بابِ القَرافَة . ثم اسْتَجَدَّ أُمَرَاءُ دَوْلَة النَّاصِر محمد بن قَلاوون في هذه الجِهَة التُّرَب ، فبَنَى الأميرُ يَبْبُغا[a] التُّرْكُماني ، والأميرُ طَقْتَمُر الدِّمَشْقي ، والأميرُ قُوصُون وغيرهم من الأُمَرَاء . وتبعهم الجُنْدُ وسَائِرُ النَّاس ، فبنَوْا التُّرَب والخَوانِك والأسْواق والطَّواحين والحَمَّامات ، حتى صارَتِ العِمارَةُ من بِرْكَةِ الحَبَش إلى بابِ القَرافَة ، ومن حَدِّ مَساكِن مصر إلى الجَبَل [4] .

---

a) بولاق : يلبغا .

«Istabl ʿAntar (Fostat). Rapport de fouilles», *An.Isl.* XXII (1986), pp. 126, XXIII (1987), pp. 55-71, XXV (1991), pp. 57-87, XXVII (1993), pp. 225-32, XXVIII (1994), pp. 1-27, XXIX (1995), pp. 1-24; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 457-53, 643-64; Gayraud, R.-P., «Le Qarâfa al-kubrâ, dernière demeure des Fatimides», *L'Égypte fatimide*, Paris 1999, pp. 443-64; Taylor, Chr., *In the Vicinity of the Righteous. Ziyara and the Venaration of the Muslim Saints in Late Medieval Egypt*, Leiden 1999; Hani Hamza, *The Northern Cemetry of Cairo*, AUC 2001؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد : قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٨٧.

[1] فيما يلي ٩١١.

[2] هذه إشارةٌ إلى تَجْديد الملك الكامل لقناطِر أحمد ابن طُولُون ، وليست إنشاءً جديدًا قامَ به هو . (انظر فيما يلي ٨٩٣) .

[3] انظر فيما تقدم ٢: ٢٩٦، وفيما يلي ٩٠٩-٩١٢.

[4] المقريزي : السلوك ٢: ٥٤٠.

ومنطقةُ بابِ القرافَة هي المنطقة الواقعة جنوب مَيْدان السَّيِّدَة عائِشَة الحالي ، وعُرِفَت بذلك لوقوعها خارج بابِ القَرافَة ، أحد أبواب سُور صَلاح الدِّين الذي بناه بَهَاءُ الدِّين قراقوش ليحيط بالقاهرة والقَلْعَة والفُسْطاط ، وسُمِّي بذلك لأنَّه يُخْرَج منه إلى القَرافَة . وتَمَّ الكشف عن باب القرافة=

١٥:٢ وانْقَسَمَتِ الطُّرُقُ في القَرافَة ، وتَعَدَّدَت بها / الشَّوارِعُ ، ورَغِبَ كثيرٌ من النَّاسِ في شُكْناها ، لعِظَم القُصُورِ التي أُنْشِئَت بها ، وسُمِّيَت بـ «التُّرَب» ، ولكَثْرَة تَعاهُد أَصْحَابِ التُّرَب لها ، وتَواتُر صَدَقاتِهم ومَبَرَّاتِهم لأَهْلِ القَرافَة .

وقد صَنَّفَ النَّاسُ فيمن قُبِرَ بالقَرافَةِ ، وأَكْثَروا من التأليف في ذلك ، ولست بصَدَدِ شيءٍ مِمَّا صَنَّفُوا في ذلك [1] ، وإنَّما غَرَضي أن أذكُر ما تَشْتَمِل عليه القَرافَة .

*
* *

وفي سنة ثلاثٍ وثلاثين وأربع مائةٍ ظَهَرَ بالقَرافَةِ شيءٌ ، يُقالُ له القُطْرُبة ، تَنْزِل من جَبَلِ المُقَطَّم ، فاخْتَطَفَت جَماعَةً من أَوْلادِ سُكَّانِها ، حتى رَحَلَ أكثرهم خَوْفًا منها . و كان شَخْصٌ من أَهْلِ كَبارَة مصر - يُعْرَف بحَميدٍ الفَوَّال - خَرَج من إِطْفيح على حِمارِه ، فلمَّا وَصَلَ إلى حُلْوان عِشَاء ، رأى امْرَأَةً جالِسَةً على الطَّريق ، فشَكَت إليه ضَعْفًا وعَجْزًا فحَمَلَها خلفه ، فلم يَشْعُر بالحِمار إلَّا وقد سَقَطَ ، فنَظَر إلى المرأة ، فإذا بها قد أَخْرَجَت جَوْفَ الحِمار بمخاليبها ، ففَرَّ وهو يَعْدُو إلى والي مصر ، وذَكَرَ له الخَبَر ، فخَرَجَ بجَماعَتِه إلى المَوْضِع ، فوَجَدَ الدَّابَّة قد أُكِلَ جَوْفُها .

ثم صارَت بعد ذلك تَتَبَع المَوْتَى بالقَرافَة ، وتَنْبِش قُبورَهم ، وتأكُل أجْوافَهم ، وتَتْرُكُهم مَطْروحين ، فامْتَنَع النَّاسُ من الدَّفْنِ في القَرافَةِ زَمَنًا حتى انْقَطَعَت تلك الصُّورَة .

= سنة ١٩٤٣ ، وهو يقع بجوار باب قايتباي بالسيدة عائشة من جهته الجنوبية ، ولا يزال العَقْدُ الداخلي للباب قائمًا وتوجد تفاصيلُ مخطَّطه تحت الرَّدْم حولها خَنْدَق بسور مستدير من جهة شارع الأقدام . أمَّا بابُ قايتباي فقد أزيل من موقعه لوقوعه في مسار كوبري السيدة عائشة العلوي وأعيد بناؤه في موضع مجاور لمكانه الأصلي بانحراف عن مسار السُّور . (محمد أبو العمايم : «المئذنة القبلية وما حولها من الآثار خارج باب القرافة بالقاهرة» ، حوليات إسلامية *An. Isl.* ٣٤ (٢٠٠٠) ، ٤٥ ، ٤٦) .

وقد تَخَرَّبت معظمُ العمائر التي كانت تقع في منطقة بابِ القَرافَة ، وعلى الأخَصّ في فترة وجود الحملة الفرنسية في مصر يقول الجَبَرْتي : إن من بين ما قام به الفرنسيون «هَدْم القِباب والمدافِن الكائنة بالقَرافَة تحت القَلْعَة خَوْفًا من تَتَرُّس المحاربين بها» حيث هَدَمُوها بواسطة البارود والألْغام . (عجائب الآثار ٣ : ٢٦٤-٢٦٥) .

[1] من أهَمّ هذه المؤلَّفات التي وَصَلَت إلينا ، «مُرْشِدُ الزُّوَّار إلى قُبور الأبْرار» للمُوَفَّق بن عثمان ، و«الكواكِبُ السَّيَّارة في ترتيب الزِّيارة» لابن الزَّيَّات ، و«تُحْفَة الأحْباب وبُغْية الطُّلَّاب في الخِطط والمزارات» لنور الدِّين السَّخاوي الحنفي و«مِصْباح الدَّياجي» لابن غَيْنٌ الفُضَلاء ؛ وراجع كذلك مقال يوسف راغب Ragib, Y., «Essai d'inventaire chronologique des guides à l'usage des pèlerins du Caire», *REI* XLI/2 (1973), pp. 259-80 ؛ وفيما تقدم ١ : ٢٧*-٣٠* .

ذِكْرُ المَساجِدِ الشَّهيرَةِ بالقَرافَةِ الكَبيرَة

اعْلَم أنَّ القَرافَةَ بمصر اسْمٌ لمَوْضِعَيْن : «القَرافَةُ الكبيرة» ، حيث الجَامِع الذي يُقالُ له جَامِعُ الأَوْلياء[١] ، و «القَرافَةُ الصَّغيرَة» وبها قَبْرُ الإمام الشَّافِعيّ[٢] . وكانَتَا في أوَّلِ الأَمْرِ خِطَّتَيْن لقَبيلَةٍ من اليَمَنِ ، هم من المَعافِر[a] بن يَعْفُرَ ، يُقالُ لهم «بَنُو قَرافَة» .

ثم صارَت «القَرافَةُ الكبيرة» جَبَّانَةً ، وهي حيث مُصَلَّى خَوْلان والنَّقْعَة[b][٣] ، وما هو حَوْل جَامِع الأَوْلياء ، فإنَّه كان يَشْتَمِل على مَساجِد ورُبَط وسُوق وعِدَّة مَساكِن : منها ما خَرِبَ ، ومنها ما هو باقٍ ، وسترى من ذلك ما يَتَيسَّر ذكره .

مَسْجِدُ الأَقْدام

هذا المَسْجِدُ بالقَرافَةِ (c في خِطَّةِ c) المَعَافِر[a] ، قال القُضَاعِيُّ : ذَكَرَ الكِنْدِي أنَّ الجُنْد بنوه ، وليس من الخِطَط .

وسُمِّي بالأَقْدام لأنَّ مَرْوان بن الحَكَم لمَّا دَخَلَ مصر ، وصالَحَ أَهْلَها وبايَعُوه ، امْتَنَعَ من بَيْعَتِه ثمانون رَجُلًا من المَعَافِر[a] سوى غيرهم ، وقالوا : لا نَنْكُث بَيْعَةَ ابن الزُّبَيْر . فأَمَرَ مَرْوان بقَطْعِ أَيْديهم وأَرْجلهم ، وقَتَلَهم على بئرٍ بالمَعَافِر[a] في هذا الموضع ، فسُمِّيَ المَسْجِدُ بهم لأنَّه بُنِيَ على آثارِهم . والآثارُ : الأَقْدامُ ، يُقالُ جِئْت على قَدَمِ فُلان ، أي على أَثَرِه . وقيل بل أَمَرَهُم بالبَراءَة من عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه ـ فلم يَتَبرَّأُوا منه ، فقَتَلَهم هناك[٤] .

---

a) بولاق : المغافر. b) بولاق : البقعة. c-c) بولاق : بخط.

---

[١] فيما تقدم ٢٨٨.

[٢] فيما يلي ٩٠٩.

[٣] كان مُصَلَّى خَوْلان بالقُرْبِ من مَشْهَدِ آل طَباطَبا ، والنَّقْعَة هي عَيْنُ الماء المعروفة الآن بـ«عَيْن الصِّيرَة» جنوب سور مجرى العُيُون شرق طريق صلاح سالم ، ومَشْهَدُ آل طَباطَبا ما زال قائمًا على بُعْد ٢٣٠ مترًا شمال عَيْن الصِّيرَة ، ومسجل بالآثار برقم ٥٦٣. (الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٢٤٩–٢٥٣ ، ٣٠٥؛ ابن الزيات : الكواكب السيارة ٩ ، ٥٩–٦٣؛ Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 70-71؛ وفيما يلي ٨٧٩–٨٨١) .

[٤] ابن الزيات : الكواكب السيارة ١٨٢ وفيه : وهو معروفٌ بإجابَة الدُّعاء وهو واسع البناء يُصْعَد إليه بدَرَج =

وقيل إنّما سُمّيَ «مَسْجِد الأَقْدام» لأنّ قَبيلَتَيْن اخْتَلَفَتا فيه : كلٌّ تَدَّعِي أنّه من خِطَّتِها ، فقِيسَ ما بينه وبين كلّ قَبيلَةٍ بالأَقْدام ، وجُعِلَ لأقْرَبهما منه .

والقَدِيمُ من هذا المَسْجِد هو مِحْرابُه ، والأَزْوِقَةُ المحيطةُ به ، وأمّا خارِجَه فزِيادَةُ الإخْشيد ، والزِّيادةُ الجَديدَة التي في بَحْريه لسَهْنُون[a] ـ الملقّب بسَهْم الدَّوْلَة ـ مُتَوَلّي السِّتارَة ، وكان من أهْلِ السُّنّة والخَيْر .

ويُقالُ إنّما سُمّي «مَسْجِد الأَقْدام» لأنّه كان يَتَداوَلُه العِبادُ ، وكانت حِجارَتُه كَذّانًا ، فأَثَّرَ فيها مَوْضِعُ أقْدامَهم ، فسُمّي لذلك «مَسْجِد الأقْدام» .

مَسْجِدُ الرَّصْد

هذا المَسْجِدُ بَناهُ الأَفْضَلُ أبو القاسِم شاهِنْشاه بن أمير الجُيُوش بَدْرِ الجَمالي ، بعد بِنائِه للجَامع المعروف بجَامِع الفِيلَةِ ، لأَجْلِ رَصْدِ الكَواكِب بالآلَة التي يُقالُ لها ذات الحَلَق ، كما ذُكِرَ فيما تقدَّم [1].

مَسْجِدُ شَقِيق المُلْك

هذا المَسْجِدُ بجوار مَسْجد الرَّصْد ، بَنَاه شَقيقُ المُلْك خُسْرُوان صَاحِب بَيْتِ المالِ ، أَحَدُ خُدّام القَصْر في أيّام الخَليفَة الحَافِظ لدين الله ، في سنة إحدى وأربعين وخمس مائةٍ ، وعَمِلَ فيه للحَافِظ ضِيافَةً عَظيمَةً حَضَرَ فيها بنفسه ومعه الأُمَرَاءُ والأُسْتاذُون وكافَّةُ الرُّؤَساء .

وكان فيه كَرَمٌ وسُمُوُّ هِمَّة ، وكان لمساجِد القَرافَة والجَبَل عنده رُوْزنامَج بأسماء أرْبابها ، فيُنْفِذ إليهم في أيّام العِنَب والتّين لكلّ مَسْجِدٍ [b]قَفَصَ تينٍ وقَفَصَ عِنَبٍ ، ويُرْسِل في أيّام الرُّطَب لكُلّ مَسْجِدٍ[b] قَفَصَ رُطَبٍ ، ويُرْسِل في كلّ ليلةٍ من ليالي الوَقُودِ لكلّ مَسْجِدٍ خَرُوفَ شِوَاء وسَطْلَ جوذّاب وجَام حَلْوى ، ولا سيّما إذا كان بائِتًا في هذا المَسْجِدِ ، فإنّه لا يأكل حتى يُسَيِّر ذلك لمن اسْمُه عنده .

---

a) بولاق : لسمعون . b-b) ساقطة من بولاق .

= من الحَجَر ، والخَطّ معروفٌ به . وعند باب هذا المسجد من الجهة القبلية قبْرُ السيدة الشّريفة المعروفة بالخضراء» .

[1] فيما تقدم ١٤٦- ١٤٨.

وكان يَعْمَل جِفانَ القَطائِف المحَشُوَّة باللَّوْز والسُّكَّر والكافُور والمِسْك، وفيها ما فيه بَدَلَ اللَّوْز الفُسْتُق، ويَسْتَدْعي من لا يَقْدِر على ذلك من أهْلِ الجبَل والقَرافَة وذَوي البُيُوت المُنْقَطعين، ويَأْمُر / إذا حَضَرُوا بسَكْبِ الحلْو والسَّيْرج عليه بالجِرارِ، ويأمرهم بالأَكْلِ منه والحَمْلِ معهم وكان ٤٤٦ظ
أَحَبُّهم إليه من يأكل طَعَامَه، ويَسْتَدْعي بِرَّه وإنْعامَه، رحمه الله.

مَسْجِدُ الأَنْطاكي

هذا المَسْجِدُ كان أيضًا بالرَّصْدِ.

وما بَرِحَت هذه المَساجِدُ الثَّلاثَة بالرَّصْدِ يسكُنها النَّاسُ إلى ما بعد سنة ثمانين وسبع مائةٍ. ثم خَرِبَت، وصارَ الرَّصْدُ من الأماكِن المخُوفَة بعد ما أدركتُه مُتَنَزَّهًا للعامَّة.

مَسْجِدُ النَّارِنْج

هذا المَسْجِدُ عامِرٌ إلى يَوْمِنا هذا، فيما بين الرَّصْدِ والقَرافَةِ الكُبْرىٰ، بجانِب سِقايَة ابن طُولُون ـ المعروفة بعَفْصَة الكبرىٰ ـ غربيها إلى البَحْري قَليلًا، وهو المُطِلُّ على بِرْكَةِ الحَبَش شرقي الكَنْعي[a] وقِبْلي القَرافَة. بنته الجِهَةُ الآمِرية، المعروفة بجِهَة الدَّار الجَديدة، في سنة اثنتين وعشرين وخمس مائةٍ، أَخْرَجَت له اثني عشر ألف دينار على يد الأُسْتاذَيْن: افْتِخار الدَّوْلَة يُمْن، ومُعِزّ الدَّوْلَة الطَّويل، المعروف بالوَحْشِ.

وتولَّى العِمارَة والإنْفاق عليه الشَّريفُ أبو طَالِب مُوسَىٰ بن عبد الله بن هاشِم بن مُشْرِف ابن جَعْفَر بن المُسْلم بن عبيد الله بن جَعْفَر بن محمد بن إبراهيم بن محميد اليَماني بن عبيد الله ابن مُوسَىٰ الكاظِم، الحُسَيْني المُوسَوي، المعروف بابن أُخَيِّ الطيِّب بن أبي طالِب الوَرَّاق. وسُمِّي «مَسْجِدُ النَّارِنْج» لأنَّ نارِنْجَه لا يَنْقَطِع أبدًا.

---

a) بولاق: الكنفي.

مَسْجِدُ الأَنْدَلُس

هذا المَسْجِدُ في شَرْقيّ القَرافَةِ الصُّغْرَىٰ بجانب مَسْجد الفَتْح [1]، في الموضع الذي يُعْرَف عند الزُّوّار بالنُّقْعَة [a]، وهو مُصَلَّىٰ المَعافِر على الجَنائِز [2]. ويُقال إنَّه بُنِيَ عند فَتْح مصر، وقيل بُنِيَ في خِلافَةِ مُعاوِيَة بن أبي سُفْيان. ثم بَنَتْه جِهَةُ مَكْنون ـ واسْمُها عَلَم الآمِريَّة ـ أمّ ابنة الآمِر، التي يُقالُ لها سِتّ القُصُور، في سنة ستٍّ وعشرين وخمس مائةٍ، على يَدِ المعروف بالشَّيْخ أبي تُراب [3].

وجِهَةُ مَكْنُون

هذه كان الخَليفَةُ الآمِرُ بأحْكام الله كَتَبَ صَداقَها، وجَعَلَ المُقَدَّمَ منه أربعة عشر ألف دينار، وكان لها صَدَقاتٌ وبِرٌّ وخَيْرٌ وفَضْلٌ، وعندها خَوْفٌ من الله، وكانت تَبْعَثُ إلى الأشْرافِ بصلاتٍ جَزيلَةٍ، وتُرْسِلُ إلى أرْبابِ البُيُوت والمستورين أمْوالًا كثيرة.

ولمَّا وَهَبَ الآمِرُ لهَزّار الملوك ولبَرْغَش، في كلّ يومٍ، مائتي ألف دينار عَيْنًا؛ لكلٍّ منهما مائة ألف دينار؛ حَضَرَ إليها عِشاءً على عادَته، فأغْلَقَت بابَ مَقْصورَتها قبل دُخُوله، وقالت له: والله ما تَدْخُل إليّ، أو تَهَبَ لي مِثْل ما وَهَبْت لواحِدٍ من غُلامَيْك؛ فقال: السَّاعة؛ ثم اسْتَدْعَى بالفَرّاشين فحَضَرُوا، فقال: هاتُوا مائة ألف دينار السَّاعَة. ولم يَزَل واقِفًا إلى أن حَضَرَت عشرةُ كِيَسة، في كلّ كِيسٍ عشرة آلاف دينار، ويحمله عشرة من الفَرّاشين؛ ففَتَحَت له الباب ودَخَلَ إليها.

ومَكْنونٌ هذا هو الأُسْتاذ الذي كان برَسْم خِدْمَتها، ويُقالُ له مَكْنون القاضي لسُكُونِه وهُدوئِه، وكان فيه خَيْرٌ وبِرٌّ كبير.

وبجانب مَسْجِدِ الأَنْدَلُس هذا «رِباطٌ» من غَرْبيه، بَنَتْه جِهَةُ مَكْنون هذه في سنة ستٍّ وعشرين وخمس مائةٍ، برَسْم العَجائِز الأَرامِل. فلمَّا كان في سنة أربعٍ وسبعين [b] وخمس مائةٍ،

---

a) بولاق: البقمة. b) في معجم البلدان: أربع وتسعين.

---

[1] فيما يلي ٨٥٨.

[2] فيما يلي ٨٧٨.

[3] مَصْدَر هذه المعلومات ياقوت: معجم البلدان ١: ٢٦٤، ومصدر ياقوت فيها: الشَّريف الجَوّاني والقُضاعي.

بَنَى الحاجِبُ لُؤْلُؤ العادِلي ، برَحْبَةِ الأَنْدَلُس والرِّباط ، بُسْتانًا وأَحْواضًا ومَقْعدًا ، وجَمَع بين مُصَلَّى الأَنْدَلُس وبين الرِّباط بحَائِطٍ بينهما[a] [1] ، وعَمِلَ ذلك لحُلُول العَفيف حاتِم بن مُسْلِم المَقْدِسي الشَّافِعِيّ به .

ولمَّا ماتَ السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري بدِمَشْق ، في المحرَّم سنة ستٍّ وسبعين وستِّ مائةٍ ، وقامَ من بعده في السَّلْطَنَة ابنُه الملكُ السَّعيدُ محمد بَرَكَة خان ، عَمِلَ لأبيه عَزاءً بالأَنْدَلُس هذا . فاجْتَمَعَ هناك القُرَّاءُ والفُقَهاءُ ، وأُقيمَت المطابِخُ ، وهُيِّئت المطاعِمُ الكثيرةُ ، وفُرِّقَت على الزَّوايا ، ومُدَّت أَسْمِطَةٌ عَظيمَةٌ بالخِيام التي ضُرِبَت حَوْلَ الأَنْدَلُس . فأَكَلَ النَّاسُ على اخْتِلافِ طَبقاتهم ، وَقَرأ القُرَّاءُ خَتْمةً شَريفَةً ، وعُدَّ هذا الوَقْتُ من المُهِمَّات العَظيمَة المَشْهُودَة[b] بديار مصر . وكان ذلك في المحرَّم سنة سبعٍ وسبعين وستِّ مائةٍ ، على رأسِ سَنَةٍ من مَوْتِ الملك الظَّاهِر ، فقال في ذلك القاضِي مُحْيي الدِّين عبد الله بن عبد الظَّاهِر :

[مجزوء الرجز]

يا أَيُّها النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلًا بصِدْقٍ قد كُسي
إنَّ عَزا السُّلْطانِ في غَرْبٍ وشَرْقٍ ما نُسِي
أَلَيْس ذا مَأْتَمُه يُعْمَلُ في الأَنْدَلُس

٤٤٧ /ثم عُمِلَ بعد ذلك مُجْتَمَعٌ في المَدْرَسَةِ النَّاصِرية بجِوار قُبَّةِ الشَّافِعي من القَرافَة ، ومُجْتَمَعٌ بجَامِع ابن طُولُون ، ومُجْتَمَعٌ بجَامِع الظَّاهِر من الحُسَيْنِيَّة خارج القاهِرَة ، ومُجْتَمَعٌ بالمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّة بَيْن القَصْرَيْن ، ومُجْتَمَعٌ بالمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّة ، ومُجْتَمَعٌ بدارِ الحَديث الكامِلية ، ومُجْتَمَعٌ بالخانْقاه الصَّلاحية سَعيد السُّعداء ، ومُجْتَمَعٌ بالجَامِع الحاكِمي [2].

وأُقيمَ في كلِّ واحِدٍ من هذه المُجْتَمَعاتِ الأَطْعِمَةُ الكثيرة ، وعُمِلَ للتَّكارِرَة خُوانٌ ، وللفُقَراءِ خُوانٌ حَضَرَه كثيرٌ من أَهْلِ الخَيْر والصَّلاح ، فقيل في ذلك :

[الطويل]

فشُكْرًا لَهَا أوقاتُ بِرٍّ تُقُبِّلتَ لقد كان فيها الخَيْرُ والبِرُّ أَجْمَعَا

a) بعد ذلك في معجم البلدان ، مصدر النقل : جَعَلَ موضعه دارَ بَقَرٍ للسَّاقِيَة التي تَسْتَقي الماء الذي يجري إلى البُسْتان . b) بولاق : المشهورة .

[1] ياقوت : معجم البلدان ١ : ٢٦٤. الفرات : تاريخ الدول والملوك ٧: ١١٥؛ المقريزي : السلوك

[2] ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٢٣١- ٢٣٢؛ ابن ١:٦٤٨- ٦٤٩.

لقد عَمَّتِ النُّعمَى بها كُلَّ مَوْطِنٍ ... سَقَتْها الغَوادِي مَرْبَعًا ثم مَرْبَعَا
ولمَّا مَضَى السُّلْطانُ لم يَمْضِ جُودُه ... وخَـلَّـفَ فينـا بِـرَّه مُـتَنَوِّعَـا
فَتًى عِيشَ في مَعْروفِه بعد مَوْتِه ... كما كان بعد السَّيْلِ مَجْراه مَرْتَعَا
فَـدامَ لـه مِـنَّـا الـدُّعَـاءُ مُـكَـرَّرًا ... مَدَى دَهْرِنا، واللهُ يَسْمَعُ مَنْ دَعَا[1]

مَسْجِدُ النَّقْعَة [a]

هذا المَسْجِدُ مُجاوِرٌ لمَسْجِدِ الفَتْح من غَرْبِيه، بناهُ الأمير أبو مَنْصُور صَافي الأَفْضَلي.

مَسْجِدُ الفَتْح

هذا المَسْجِدُ مَشهُورٌ بجِوار قَبْرِ النَّاطِق، بَناهُ شَرَفُ الإسْلام سَيْفُ الإمام يانِس الرُّومي وَزِير مصر. وسُمِّيَ بالفَتْحِ لأنَّ منه كان انْهِزامُ الرُّوم إلى قَصْرِ الشَّمْع، حين قَدِمَ الزُّبَيْرُ بن العَوَّام والمِقْدادُ بن الأَسْوَد في سِواهم، مَدَدًا لعَمْرو بن العَاص، وكان الفَتْح.

ويُقالُ إنَّ مِحْرابَه اللَّطيف الذي بجانِبِه الشَّرْقي قَدِيم، وإنَّ تحت حائِطِه الشَّرْقي قَبْرَ عامِر الذي كان أَوَّل من دُفِنَ بالقَرافَة[2]. ومِحْرابُ مَسْجِد الفَتْح مُنْحَرِفٌ عن خَطِّ سَمْتِ القِبْلَة إلى جِهَة الجَنُوب انْحِرافًا كثيرًا كما ذُكِرَ عند ذِكْر مَحاريب مصر من هذا الكتاب[3]، واسْتُشْهِدَ يومئذٍ جَماعَةٌ دُفِنُوا في مَجْر الحَصَا، فكان يُرَى على قُبُورِهم في اللَّيْل نُورٌ.

مَسْجِدُ أُمِّ عَبَّاس جِهَة العادِل بن سَلَّار

هذا المَسْجِدُ كان بجِوار مُصَلَّى خَوْلان بالمَعافِر[b] غربي المقابر[4]. بَنَته بُلَّارَة[c] زَوْج العادِل ابن السَّلار، سُلْطان مصر في خِلافَة الظَّافِر، سنة سبعٍ وأربعين وخمسِ مائةٍ، على يَدِ المعروف بالشَّريف عِزّ الدَّوْلَة الرَّضَوي بن القَفَّاص، وكانت بُلَّارَة[c] مغربية، وهي أمّ الوَزير عَبَّاس

---

a) بولاق: البقعة. b) بولاق: بالمغافر. c) في النسخ: بلاوة. والتصويب من المصادر.

---

[1] ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧: ١١٥.

[2] الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٨٦-٢٨٧.

[3] فيما تقدم ٣٩.

[4] فيما يلي ٨٧٩.

الصُّنْهاجي الباديسي. وقد دُثِرَ هذا المَسْجِدُ.

مَسْجِدُ الصَّالِح

هذا المَسْجِدُ كان بخُطِّ جَامِع القَرافَة، المعروف بجَامِع الأوْلياءِ، عُرِفَ بمَسْجِد بني عبيد الله، وبمَسْجِدِ القُبَّة، وبمَسْجِدِ القُرَّاء[a] [1]. والذي بَنَاهُ الصَّالِحُ طَلائِعُ بن رُزِّيك وزير مصر، وكان في أعْلاه مَناظِرَ، وعِمارَته مُتْقَنَة الزِّيّ، وأدْرَكْتُه عامِرًا إلى ما بعد سَنَةِ ثمان مائةٍ.

مَسْجِدُ وَلِيّ عَهْدِ المُؤْمِنين[b]

الأميرُ أبي هاشِم[c] العَبَّاس بن شُعَيْب بن داود المَهْدي، أَحَدُ الأقارِب في الأيَّام الحاكِميَّة. كان إلى جَانب مَسْجِد الصَّالِح، وبجانبه تُرْبَتُه. وكان المَسْجِدُ من حَجَر، وبابُه مَحْمُولٌ على أرْبَع حَنايا، وتحت الحَنَايَا بابُ المَسْجِد، وفي شَرْقية أيضًا أرْبَعُ حَنايا.

وكانت دارُ أبي هاشِم هذا بمصر دار الأفْراح، ومن وَلَدِه الشَّريف الأمير الكبير أبو الحَسَن عليّ ابن الأمير عَبَّاس بن شُعَيْب بن [d]مسلم بن[d] أبي هَاشِم المذكور، ويُعْرَف بالشَّريف الطَّويل وبالنَّبَّاس.

مَسْجِدُ الرَّحْمَة

كان[e] في صَدْرِ القَرافَةِ الكُبْرَى، بالقُرْبِ من تُرْبَةِ رُكْنِ الإسْلامِ محمود ابن أخت الملك الصَّالِح طَلائِع بن رُزِّيك [2].

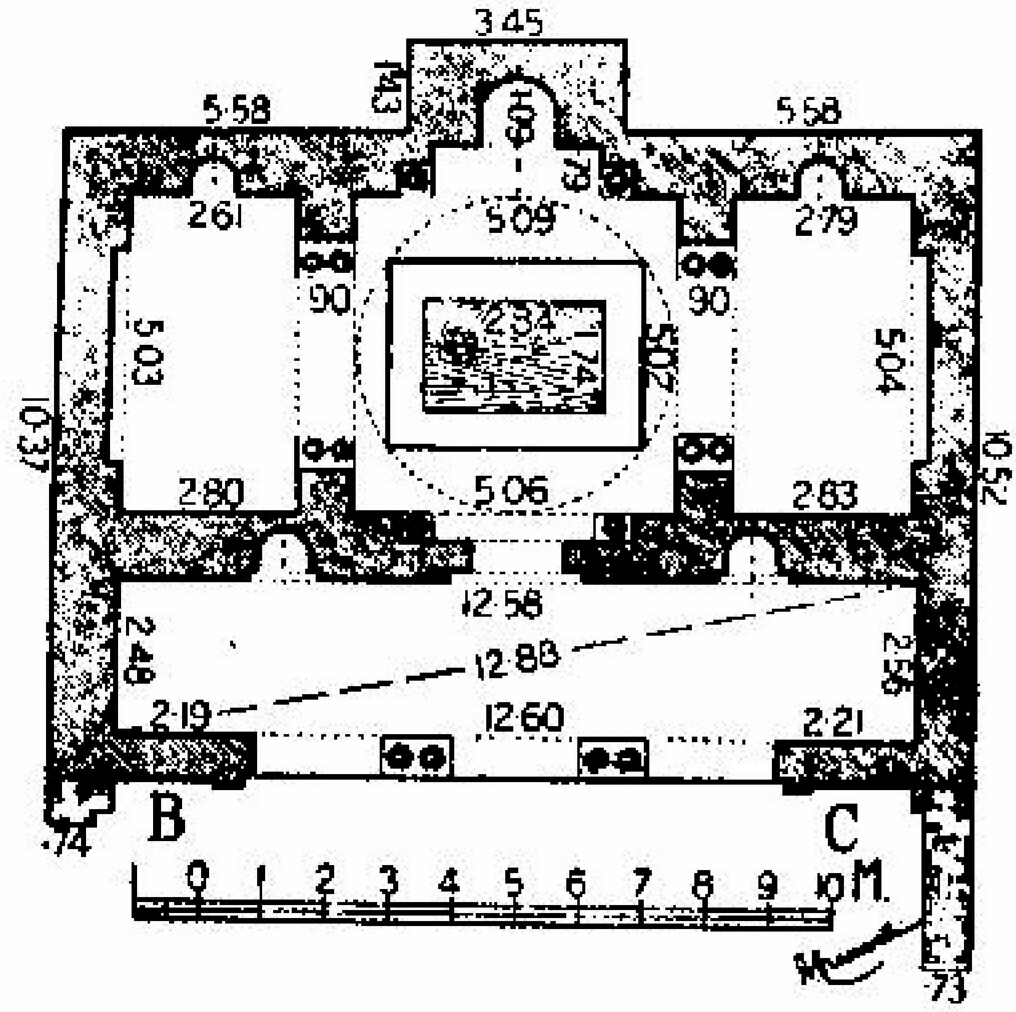
قال الكِنْدِيُّ: ومنها مَسْجِدُ القَرافَة، وهم بنو مَحْصَنِ بن سَيْف بن وائِل بن الجيزي، قِبْلي القَرافَة على يمينك إذا أَمَمْتَ مَسجدَ الأَقْدام، مقابِلُه فَسْقِيَّةٌ صغيرة، وله منارَةٌ، يُعْرَف بمَسْجِد

a) بولاق: العزاء. b) بولاق: ولي عهد أمير المؤمنين. c) بولاق: هو الأمير أبو هاشم. d-d) ساقطة من بولاق. e) بولاق: هذا المسجد كان.

[1] قارن مع ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٧٤-١٧٥.

[2] ابن الزَّيات: الكواكب السيارة ١٧٩: ٢٠ وفيه: «وهو في الرَّحْبَة التي قِبْلي سوق القَرافَة تجاه دار حَسَن الرّائض».

الرَّحْمَة . وعُرِفَ هذا المَسْجِدُ بأبي تُراب / الصَّوَّاف ، وَكيل الجِهَة التي بَنَتِ الأَنْدَلُس[a] ورِباطَه ٢
ومَشْهَدَ رُقَيَّة[b]. وهذا أبو تُراب تَوَلَّى بِناءَه [1] ، وكان يقوم بخدمته الشَّيْخُ نَسيم .



مُخَطَّط مَشْهَد السَّيِّدَة رُقَيَّة (عن Creswell)

وأبو تُرابٌ هو الذي أُخْرِجَ إليه وَلَدُ الآمِر في قُفَّةٍ من خُوصٍ فيها حَوائِج طَبيخ من كُرَّاث وبَصَلٍ وجَزَر ، وهو طِفْلٌ في القِماطِ ، في أسْفَلِ القُفَّة والحَوائِج فَوْقَه ، ووَصَلَ به إلى القَرافَة ، وأرْضَعَتْه المُرْضِعَةُ بهذا المَسْجِدِ ، وخَفِيَ أمْرُه عن الحافِظ حتى كَبِرَ وصارَ يُسَمَّى قُفَيْفَة . فلمَّا حانَ نَفْعُه ، نَمَّ عليه أبو عبد الله الحُسَيْن بن أبي الفَضْل عبد الله بن الحسين الجَوْهَري الواعِظ ، بعدما ماتَ الشَّيْخ أبو تُراب ، عند الحافِظ . فأَخَذَ الصَّبي وفَصَدَه فماتَ ، وخَلَعَ على ابن الجَوْهَري ، ثم

a) بولاق : مسجد الأندلس . b) بولاق : مسجد رقية .

[1] ذكر ابن الزَّيات أنّه يوجد بالحَوْمَة قَبْرٌ مكتوبٌ عليه : «أبو تميم تُراب الحافظي جدّ بني تُراب ... وهو الذي بنى للحافِظ مَشْهَد رُقَيَّة» . (الكواكب السَّيَّارة ١٧٨ : ١٠) .

وما زال مَشْهَدُ السَّيِّدَة رُقَيَّة ، وهو أحدُ مَشاهِد الرُّؤية ، موجودًا في شارع الخليفة بجوار مَشْهَدي عاتكة والجعفري ، وهو مسجل بالآثار برقم ٢٧٣ ، ويوجد على الضَّريح الموجود بالمَشْهَد كتابةٌ تاريخية تؤكد ما ذكره المقريزي ، نَصُّها :

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم ـ سورة الإخلاص ـ هذا ضَريح السَّيِّدَة رُقَيَّة بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالِب صلوات الله عليه وعلى الأئمة من عترته أجمعين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين . بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم ـ الآيات ٣٣ ، ٥١-٥٤ سورة الأحزاب ـ ممَّا أمَرَ بعَمَل هذا الضَّريح المبارك الجهة الكريمة الآمرية التي يقوم بخدمتها القاضي مكنون الحافظي على يد السني أبو [كذا] تُراب حَيْدَرَة بن أبي الفتح ، فرحم الله من تَرَحَّم عليه ، في سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة» (Wiet, G., *CIA* Égypte II, n° 591 ; Wiet, G., *RCEA* VIII, n° 3092) .

وراجع كذلك ، ابن الزيات : الكواكب السيارة ١٧٨ ، ١٨٤ : ١٨ ؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٩٣-٩٤ ؛ السخاوي : تحفة الأحباب ١٢٠-١٢٣ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ١٨٧-١٨٨ ، ٦ : ٥٦ ؛ Wiet, G., *CIA* Égypte, II, pp. 195-207; Creswell, K.A.C., *MAE* I, pp. 247-51 ؛ زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٢٢٠-٢٢١ ؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ١ : ١٠٣-١٠٩ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٢ : ١٢٦-١٣٠ ؛ Ragib, Y., «Les mausolées fatimdes du

نُفِيَ إلى دِمْياط، فماتَ بها في جُمادَىٰ سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مائةٍ[١].

مَسْجِدُ مَكْنُون

هو بجانِب مَسْجد الرَّحْمَة، بَنَاهُ الأستاذُ مَكْنُون القاضي، الذي تَقَدَّم ذِكْرُه في مَسْجِد الأَنْدَلُس[٢].

مَسْجِدُ رَيْحَان[a]

هذا المَسْجِدُ كان في وَجْهِ مَسْجِد أبي تُراب، قُبالَة دار البَقَر من القَرافَةِ الكُبْرىٰ. وجَدَّده أُسْتاذُ الجِهَة الحافِظِيَّة، واسْمُه رَيْحان في سنة اثنتين وأربعين وخمس مائةٍ.

مَسْجِدُ جِهَة بَيَان

هذا المَسْجِدُ كان في بَطْحَاءِ مَسْجِد الأَقْدام بجِوارِ تُرَبِ الماذَرائيّين، بَنَته الجِهَةُ الحافِظية، المعروفة بجِهَة بَيان الحُسَامي، على يد أبي الفَضْل الصَّعيدي المعروف بابن مُوَفَّق[b].

وحَكَى الخَليفَةُ عن هذه الجِهَة خَبَرًا عَجيبًا، قال القاضي المكينُ أبو الطَّاهِر إسماعيل ابن سَلامَة: قال لي أميرُ المؤمنين الحَافِظُ يومًا: يا قاضي أبا الطَّاهِر؛ قلت: لَبَّيْك يا أمير المؤمنين؛ قال: أُحَدِّثك بحَديث عَجيب؟ قلت: نَعَم؛ قال: لمَّا جَرَى من أبي عليّ بن الأَفْضَل ما جَرَى، بَيْنا أنا في المَوْضِع الذي كنت مُعْتَقَلًا فيه، رأيت كأنّي قد جَلَسْتُ في مَجْلِسٍ من مَجالِسِ القَصْر أعرفه، وكأنَّ الخَلافَةَ قد أُعيدَت إليَّ، وكأنَّ المُغَنِّيات قد دَخَلْن يُهَنِّئنني ويغنين بين يديّ، وفي جملتهن جارِيَةٌ معها عُودٌ ـ يَغني هذه الجارية المذكورة ـ فأنشأت تُغَنِّي قَوْلَ أبي العَتاهية[٣]:

---

a) بولاق: جهة ريحان. b) بولاق: الموفق.

---

quartier d'al-Mashâhid», *An.Isl.* XVII (1981), pp. 18-29; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 651-57؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٦٨١-٦٩٩.

[١] راجع، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٩-٢٥٣.

[٢] فيما تقدم ٨٥٦.

[٣] ديوان أبي العتاهية، تحقيق شكري فيصل، دمشق ١٩٦٥، ٦١٢.

[المتقارب]

أَتَتْـه الخِلافَـةُ مُـنـقَـادَةً إِلَـيـه تُجَـرِّرُ أَذْيـالَـهـا
فـلـم تَـكُ تَـصْـلُـحُ إِلَّا لَـهُ ولم يَـكُ يَـصْـلُـحُ إِلَّا لَـهـا
ولـو نَـالَـهـا أَحَـدٌ غَـيْـرُه لـزُلْـزِلَـتِ الأَرْضُ زِلْـزَالَـهـا

وكأنّي قُمْتُ إلى خِزانَةٍ بالمجْلِس أَخَذْتُ منها حُقَّةً فيها جَوْهَر فمَلأتُ فَمَها منه، ثم اسْتَيْقَظتُ. فوالله يا قاضي ما كان إلَّا يومان حتى كُسِرَ عليُّ الحَبَش، لمَّا قُتِلَ أبو عليّ ابن الأَفْضَل، وقيل لي: السَّلامُ على أمير المؤْمنين. فلمَّا خَرَجْتُ، وأَقَمْتُ أيَّامًا، جَلَسْتُ في ذلك المجْلِس الذي رأيتُه في النَّوْم، ودَخَلَ الجَواري يُهَنِّئنني، فغَنَّت إحْداهُنَّ - وهي ذات عُود - ذلك الصَّوْت بعينه، فقلت لها: على رِسْلِك حتى نَقْضي نحن أيضًا من حَقِّك ما يَجب علينا، وقُمْتُ إلى الخزانَة، وأَخَذْتُ الحُقَّ الذي فيه الجَوْهَر، ثم جِئْت إليها وقُلْت لها: افْتَحي فاك، فَفَتَحتْه وحَشَوْتُه جَوْهَرًا، وقلت لها: إنَّ لك علينا في كلِّ سنةٍ في مثل هذا اليوم مثل ذلك.

مَسْجِدُ تَوْبَة

ابن[a] مَيْسَرَة الكُتامي مُغَنّي المُسْتَنْصِر، كان في شَرْقي الأَقْهُوب، وقُبالَته تُرْبَةُ نَشَب الطَّبَّالَة[b] صاحِبَة أَرْضِ الطَّبَّالَة، وكلاهُما في القَرافَةِ الكُبْرىٰ[1].

مَسْجِدُ دُرّي

كان[c] في القَرافَةِ الكُبْرىٰ في رَحْبَةِ الأَقْهُوب، بناه شِهابُ الدَّوْلَة دُرِّي، غُلام المُظَفَّر أخي الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش، في سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمس مائةٍ، وكان أَرْمَنِيًّا فأَسْلَم، وصارَ من المتشدِّدين في مَذْهَبِ الإمامية، وقرأ «الجُمَل» للزَّجَّاجي في النَّحْو، و«اللُّمَع» لابن جِنِّي. وكانت له خَرائِطُ من القُطْنِ الأبيض يَعْملها[d] في يَدَيْه ورِجْلَيْه، وكان يَتَوَلَّى خَزائِنَ الكُسْوات، ولا يَدْخُل على بُسُطِ السَّلاطِين، ولا على بُسُطِ الخَليفَة الحافِظِ لدين الله، ولا يَدْخُل / مَجْلِسَه إلَّا بالخَرائِط في رِجْلَيْه، ولا يأخُذ من أَحدٍ رُقْعَةً إلَّا وفي يده خَريطَة، يَظُنُّ أنَّ من لَمَسَه نَجَّسَه، ٩٠:٢

a) بولاق: هو ابن. b) بولاق: تربة تنسب إلى الطبالة. c) بولاق: هذا المسجد كان. d) بولاق: يلبسها.

[1] فيما تقدم ٣: ٤١٦.

وَسْوَسَةً منه . فإنِ اتَّفقَ أنَّه صافَحَ أحَدًا ، أو أَمْسَكَ رُقْعَةً بيده من غير خَريطَةٍ ، لا يَمَسّ ثَوْبَه ولا بَدَنَه حتى يَغْسِلَها ، فإنْ مَسَّ ثَوْبَه غَسَلَ الثَّوْبَ . وكان الأُسْتاذون يَعْبَثُون به ، ويَرْمُون في بِساطِ الخَليفَة الحافِظ العِنَب ، فإذا مَشَى عليه وانْفَجَر ، ووَصَلَ ماؤه إلى رجليه ، سَبَّهُم وحَرَدَ ، فيَضْحَكُ الخَليفَةُ منه[a] ولا يُؤاخِذُه [1] .

وعَمِلَ مَرَّةً الوزيرُ رِضْوانُ بن وَلَخْشي دَواةً حِلْيَتها ألف دينار مُرَصَّعَة ، فدَخَلَ عليه شِهابُ الدَّوْلَة دُرِّي الصَّغير هذا ، وقد أُحْضِرَتِ الدَّواةُ المذكورة ، فقال له : يا مولانا أَحْسَنَ ما مُدَّ من[b] هذه الدَّواة ، ووَقِّع على هذه ، فيكون ذلك زَكاتُها ، إذْ لله فيه رِضًا ولنَبِيِّه . وناوَلَه رُقْعَةَ الشَّريف القاضي سَنَاءِ المُلْك أَسْعَدَ الجَوَّاني النَّحْوي ، يَطْلُب فيها راتِبًا لابنه الشَّريف أبي عبد الله محمد في الشهر ثلاثة دنانير ، فوَقَّع عليها . فلمَّا كان في اللَّيْل رأى في نَوْمِه أميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالِب - رضي الله عنه - وهو يقول : جَزاكَ الله خَيْرًا على فِعْلِكَ اليوم .

مَسْجِدُ سِتّ غَزَال

هذا المَسْجِدُ كان في القَرافَةِ الكُبْرَى بجوار تُرْبَةِ النُّعْمانَ [2] ، بَنَتْه سِتُّ غَزال في سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مائةٍ . وكانت غَزَالُ هذه صَاحِبَةَ دَواةِ الخَليفَة ، لا تَعْرِف شيئًا إلَّا أحْكام الدَّوْي واللَّيْق ومَسْحِ الأَقْلام والدَّواة ، وكان برَسْم خِدْمَتِها الأستاذُ مأْمُون الدَّوْلَة الطَّويل .

مَسْجِدُ رِيَاض

وَقَّافَة[c] الحافِظ لدين الله ، كانت تَقِفُ بين يَدَيْه بالقَصْر . وكان بجوارِ المَصْنَعَة الصُّغْرَى الطُّولُونية التي يجيء الماءُ إليها من عَفْصَة الكُبْرَى ، وكان فيه حُوش به عِدَّةُ بُيُوتٍ للنِّساءِ المُنْقَطِعات .

a) منه ، ساقطة من بولاق . b) أحسن من مداد . c) بولاق : هو لوقافة .

[1] فيما تقدم ٣: ٢٦٩- ٢٧١ .

[2] أشار المقريزي عَرَضًا إلى تُرْبَة النُّعْمان بالقرافة الكبرى ، فيما تقدم ١: ٥٠٤، وفيما يلي ٨٦٧.

مَسْجِدُ عَظِيمِ الدَّوْلَة

كان[a] مُعَلَّقًا بخُطِّ سُوقِ القَرافَة الكبرىٰ، وكان عَظِيمُ الدَّوْلة هذا صَقْلَبِيًّا، صَاحِبَ السِّتر وحَامِلَ المِظَلَّة. وكان بجوار هذا المَسْجِد مَسْجِدُ التِّمْسَاح، ومَسْجِدُ السِّدْرَة، ومَسْجِدُ جِهَة مُراد.

وكان القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي الفَرَج هِبةُ الله بن المُيَسّر، لمَّا عَمِلَ قُدّامَه مَنارَةَ النُّحاس الرُّومية ذات السَّواعِد، واجْتازَ بها من تَحْتِ سِدْرَةِ المَسْجِدِ في لَيْلَة الوَقُود، نصف شهر رَجَب سنة ثلاثين وخمس مائةٍ، عاقَتْها السِّدْرة، فأَمَرَ بقَطْعِ بَعْضِها، فقيل له: لا تَفْعَل فإنَّ قَطْعَ السِّدْر مَحْذُورٌ، وقد رَوَى أبو داود في كِتابِ «السُّنَن» له أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ الله رَأْسَه في النَّار»[1]، فقَطَعَها على رُكوبِ نصف شَعْبان، فما أَسْنَى، وصُرِفَ في المحرَّم، ونُفِيَ إلى تِنِّيس وقُتِل[2].

مَسْجِدُ أَبِي صَادِق

هذا المَسْجدُ كان غَرْبي مَسْجِد الأَقْدام، بَناهُ ابن سَعْدُون، أبو الحَسَن عليّ بن محمد البَغْدادِي، بعد سنة عشرين وأربع مائةٍ، وجَدَّدَه أخوه أبو عبد الله الحُسَيْن بن محمد بن الحَسَن ابن سَعْدون البَغْدادي، سنة ثلاثٍ وأربعين وأربع مائةٍ.

وهو مَسجِدُ أبي صَادِق مُرْشِد المَديني المالِكيّ المحَدِّث، وكان قارِئَ المُصْحَف بالجَامِع ومُصَلِّيًا به، ومُصَدِّرًا فيه لإقْراءِ السَّبْع، وكان فيه حِنَّةٌ على الحَيَوانات، لا سِيَّما على القِطَطِ والكِلاب، وكان مُشارِفَ الجَامِع، وجَعَلَ عليه جاريًا من الغُدَد كلّ يوم لأجْل القِطَط. وكان عند دارِه بزُقاقِ الأَقْفالِ من مصر، كِلابٌ يُطْعِمُها ويَسْقيها، ورُبَّما تَبِعَ دابَّتَه منها شيءٌ معه في الأسْواق.

قال الشَّريفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني النَّسّابَة في كِتابِ «النُّقَط على الخِطَط»: حَدَّثَني الشَّيخُ مُنْجِبُ، غُلام أبي صَادِق، قال: كان لمولاي الشَّيخ أبي صَادِق كَلْبٌ لا يُفارِقه

---

a) بولاق: هذا المسجد كان.

---

[1] أبو داود: السنن ٢: ٦٥٠ (باب قطع السِّدْر).

[2] ابن حجر: رفع الإصر ٤٢٧ (نقلًا عن الشريف الجواني).

أبَدًا : إذا كان راكِبًا يَمْشي خَلْفَه ، فإذا وَقَفَت بَغْلَته قام تَحْت يَدَيْها ، فإذا رآه النَّاسُ قالوا : هذا أبو صَادِق وكَلْبُه .

وحَدَّثَني قال : وَلَدَت كَلْبَةٌ في مُسْتَوْقَد حَمّام ، وكان المُؤَذِّنُ يأتي خَلْفَ مَوْلاي سَحَرًا كلَّ يوم لقِراءَةِ المُصْحَف ، وكان مَوْلاي يأخُذ في كُمِّه كلَّ يَوْم رَغيفًا . فإذا حاذَى مَوْضِعَ الكَلْبَة ، قَلَعَ طَيْلَسانَه ، وقَطَعَ الخُبْزَ للكَلْبَة ، ويَرْمي لها بنفسه إلى أن تأْكُل ، ثم يَسْتَدْعي الوَقَّاد ويُعْطيه قِيراطًا ، ٤٠٠ ويقول له : اغْسِل قَدَحَها وامْلأه ماءً حُلْوًا ، ويَسْتَحْلِفه على ذلك . /فلمَّا كَبِر أوْلادُها ، صَارَ يأْخُذ بعد رغيفَيْن إلى أن كَبِرُوا وتَفَرَّقُوا .

وحَدَّثَني قال : كان قد جَعَلَ كِراءَ حانُوتٍ ، برَسْم القِطاط بالجَامِع العَتيق ، من الأحْباس . وكان يُؤتَى بالغُدد مُقَطَّعةً فيَجْلِس ويَقْسِم عليها ، وإن قِطَّةً كانت تَحْمِل شَيْئًا من ذلك وتَمْضي به ، وفَعَلَت ذلك مِرارًا . فقال مَوْلاي للشيخ أبي الحَسَن بن فَرَج : امْض خَلْفَ هذه القِطَّة ، وانْظُر إلى أين تُؤَدِّي ذلك . فمَضَى ابنُ فَرَج فإذا بها تُؤَدِّيه إلى أوْلادِها ، فعادَ إليه وأَخْبَرَه . فكان بعد ذلك يَقْطع غُدَدًا صِغارًا على قَدْرِ مَساغِ القِطَط الصِّغارِ ، وغُدَدًا كِبارًا للكِبار ، ويُرْسِل بجُزْءِ الصِّغار إليهم إلى أن كَبِرُوا .

مَسْجِدُ الفَرّاش

كان[a] بالقَرافَةِ الكُبْرَى ، بَنَاهُ أحمد فَرّاش الأفْضَل بن أمير الجُيُوش . وبجوارِه مَسْجدُ بني يَزيد[b] بن حُسَام ، ومَسْجِدُ الإجابَة القَديم ، وتُرْبَةُ العَطّار ، ودارُ البَقَر ، وقَناطِرُ الإطْفيحي كلّ ذلك بالقُرْبِ من جَامِع القَرافَة .

مَسْجِدُ تاج المُلُوك

هذا المَسْجِدُ قُدَّام دارِ النُّعْمان وتُرْبَته من القَرافَةِ الكُبْرَى[1] ، بَنَاهُ تاجُ المُلُوك بَدْران بن أبي الهَيْجاء الكُرْدي المارَواني[c]، وهو أخو سَيْف الدِّين حُسَيْن بن أبي الهَيْجاء ، صِهْر

a) بولاق : هذا المسجد كان . b) بولاق : بناء زيد . c) بولاق : الماردانى .

[1] فيما تقدم ٨٦٥.

بني رُزِّيك، وكان مُجْتَمَعُ أهْلِ مصر عنده في الأعْيادِ والمواسِم وليالي الوَقُود.

مَسْجِدُ الثَّمَّار

كان[a] مُلاصِقًا للزِّيادَة التي في بَحْري مَسْجِد الأقْدام، وفيه قُبُورُ بني الثَّمَّار.

مَسْجِدُ الحَجَر

كان[a] بَحْريّ مَسْجِد عَمَّار بن يُونُس مَوْلَى المَعافِر[b]، وشَرْقيّ قَصْر الزُّجاج من القَرافَةِ الكُبْرَىٰ. بَنَتْه مَوْلاةُ علي بن يحيى بن طَاهِر - المعروف بابن أبي الخارِجي المَوْصِلي - في رَبيعِ الأوَّل سنة ثلاثين وأربع مائةٍ.

مَسْجِدُ القَاضِي يُونُس

كان[a] غربي مَسْجِد الحَجَر المذكور. بَناه الشَّيْخُ عَدِيُّ المُلْك [أبو البَرَكات محمد][c] ابن عُثْمان، صَاحِب دارِ الضِّيافَة[1]، ثم صَارَ بيَد قاضي القُضَاة بمصر المُوَفَّق كمال الدِّين أبي الفَضَائِل يُونُس بن محمد ابن الحَسَن - المعروف بجوامَرْد - خَطيب القُدْس القُرَشي. وكان من الأعْيان، ولم يَشْرَب قَطّ من ماءِ النِّيل بل من ماءِ الآبار، ولم يأكلْ قَطّ للسُّلْطان خُبْزًا، وكان يَرْوي الحَديث عن جَدِّه.

مَسْجِدُ الوَزِيرِيَّة

كان[a] بالقَرافَةِ الكُبْرَىٰ وله مَنارَةٌ بجوار بابِ رِباطِ الحِجَازِيَّة وكانتِ الحِجَازِيَّةُ واعِظَةَ زمانِها، وكانت من الخَيِّرات لها القَبُول التَّام، وتُدْعَى أمّ الخَيْر، وكان لها من الصِّيتِ كما كان لابن الجَوْهَري، وكانت على غايةٍ من الكَرَمِ وحُسْنِ الأخْلاقِ والشِّيَم.

---

a) بولاق: هذا المسجد كان. b) بولاق: المغافر. c) زيادة اقتضاها السياق.

---

[1] انظر عن الشيخ عَديّ المُلْك أبي البركات محمد بن عثمان، فيما تقدم ٢: ٥٣٦، ٥٨٥، وهذا المجلد ٧١١.

ومن مَكارِمِ أَخْلاقِها ، وحُسْنِ طِباعها وكِياسَة انْطباعِها ، ما حَكاهُ الجَوَّاني النَّسَّابَة في كِتابِ «النُّقَط على الخِطَط» ، قال : حَدَّثَني الشَّيْخُ أبو الحَسَن بن السَّرَّاج ، المُؤَذِّن بالجَامِع بمصر ، قال : كان قُدَّامَ البابِ الأوَّل من أبْوابِ جَامِع مصر بَيَّاعُ رُطَبٍ يَقْعُد على الأرضِ وبين يَدَيْه أَقْفاصُ رُطَبٍ من أَحْسَن الأرْطاب . فبينا الحِجازِيَّة الواعِظَة هذه ذاتَ يومٍ قد قارَبَت الخُرُوجَ من بابِ الجَامِع ، وهي في حَفَدَتِها وجَواريها ، وإذا ذلك الرَّطَّابُ يُنادي على قَفَصِ رُطَبٍ قُدَّامه : مَعاشِرَ النَّاسِ ، اشْتروا الطيبة الحِجازِيَّة على أَربعة ، على أَرْبعة ، يُريد على أربعة أرْطالِ رُطب بدِرْهم . فلمَّا سمعته الحِجَازِيَّة ، وَقَفَت قَبْل أن تَخْرُج من بابِ الجَامع ، وأَنْفَذَت إليه بعض الجَواري فصَاحَت به ، فلمَّا أتاها قالت له : يا أخي قولك «الحِجَازِيَّة على أرْبَعَة» مُشْكل ، لا تَرْجِع تُنادي كذا ، وهذا رُباعي هَدِيَّة مِنِّي لك ، رِبْحُ هذا القَفَص ، ولا تُناد كذا . فأَخَذَه وَقَبَّلَ يَدَها ، وقال : السَّمْعُ والطَّاعة .

مَسْجِدُ ابن العِكْر

/ غَرْبي[a] مَسْجِد أبي صَادق ، بحَضْرة مَسْجد الأَقْدام مُقابل[b] قَصْر الكَنْعي[c] ، وبحِذاءِ مَسْجِد التَّارِخْ ، بَنَاهُ القاضي العادِل ابن العكر .

مَسْجِدُ ابن كَبَّاس

كان[d] مُجاوِرًا للقَناطِر الإطْفيحِيَّة ، على يَسار من أَمَّ طَريق الجَامِع . بَناهُ القَاضِي ابن كَبَّاس .

مَسْجِدُ الشَّهْمِيَّة

كان[d] شَرْقي مَسْجِد الأَقْدام ، وغَرْبي قَناطِر ابن طُولون ، مَجاورًا لتُرْبَة القاضي ابن قابُوس . كان يُعَرف بمَسْجِد الفُقَّاعَة من الكِلاع ، ويُعْرَف أيضًا بمَسْجِد شَاذِن الفَضْلي ، غُلام الوَزير جَعْفَر ابن الفَضْل بن الفُراتَ .

---

a) بولاق : هذا المسجد غربي . b) بولاق : قبالة . c) بولاق : الكتفي . d) بولاق : هذا المسجد كان .

مَسْجِدُ زِكْنَاده [a]

كان[b] غَرْبي مَسْجِد عَمَّار بن يُونُس. بناه زِكْناده[a] المُخَنَّث، بعدما تَاب، في سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مائةٍ.

جَامِعُ القَرَافَة

٥ هذا الجَامِعُ يُعْرَف اليوم بـ «جَامِع الأَوْلياء». وهو مَسْجِدُ بني عَبْد الله بن مانِع بن مَزْروع، ويُعْرَف بمَسْجِد القُبَّة، وقد ذُكِرَ عند ذِكْر الجَوامِع من هذا الكِتا[١].

مَسْجِدُ الإِطْفِيحي

هذا المَسْجِدُ كان في البَطْحاء، بَحْري مَجْرَى جَامِع الفِيَلَةِ إلى الشَّرْقِ، مُخالِطًا لخِطَطِ الكِلاع ورُعَيْن والأَكْنوع والأَكْحُول. ويُقالُ له «مَسْجِد وُحَاظَة بن سَعْدِ الإِطْفيحي»، من أَهْل إطْفيح، ١٠ شَيْخٌ له سَمْت، وكَتَبَ الحَدِيثَ في سنة ثمانٍ وخمسين وأربع مائةٍ وما قبلها، وسَمِعَ من الحَبَّال[٢]، وهو في طَبَقَته، وهو رفيق الفَرَّاء، وابن مُشْرف، وابن الحَطِيَّة، وأبي صَادِق، وسَلَكَ طَريقَ أَهْلِ القَناعَةِ والزُّهْدِ والعُزْلَةِ كأَبي العَبَّاس ابن الحَطِيَّة.

---

a) بولاق: زنكاده. b) بولاق: هذا المسجد كان.

---

[١] فيما تقدم ٢٨٨–٢٩٤.

[٢] الحبَّال، هو الحافِظُ أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد ابن عبد الله النُّعْماني، المعروف بالحبَّال، المتوفى سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م، مُحَدِّثٌ ثِقَة، قال الذَّهَبي: «كان يتعانى التِّجارة في الكُتُب، ولهذا حصل عنده من الأُصول والأجزاء ما لا يوصف كثرة». (تذكرة الحفاظ ٣: ١١٩٢؛ سير أعلام النبلاء ١٨: ٤٩٦). راجع ترجمته عند، ابن ميسر: أخبار مصر ٥٠–٥١ (وفيه وفاته سنة ٤٨٣هـ)، وعنه المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٣٢٦؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣: ١١٩١–١١٩٦، سير أعلام النبلاء ١٨: ٤٩٥–٥٠٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٥: ٣٥٥؛ المقريزي: المقفى الكبير ١: ١٦٢–١٦٣؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ١٢٩؛ السيوطي: حسن المحاضرة ١: ٣٥٣–٣٥٤.

وكتب ابن الحبَّال قائمةً سَجَّلَ فيها «وفيات المصريين في العهد الفاطمي»، بَعَثَ بها إلى محدِّث دِمَشْق الكبير ابن الأكْفاني، بدأها بذكر وفيات المصريين من سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م وانتهى فيها إلى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، نَشَرَها الدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٦)، ٢٨٦–٣٣٨، كما أعاد نَشْرَها محمود محمد الحداد، وصدرت عن دار العاصمة =

وكان الأفْضَلُ الكبير شاهِنْشاه، صَاحِب مصر، قد لَزِمَه، واتَّخَذَ السَّعْيَ إليه مُفْتَرِضًا، والحَديثَ معه شَهْوَةً وغَرَضًا لا يَنْقَطِع عنه. وكان فَكِهَ الحَديث، قد وَقَفَ من أخبارِ النَّاسِ والدُّوَلِ على القَديمِ والحَديث، وقَصَدَه النَّاسُ لأَجْلِ حُلُولِ السُّلْطانِ عنده لقَضَاءِ حَوائِجهم، فقَضَاها. وصارَ مَسْجِدُه مَوْئِلًا للحاضِر والبادي، وصَدًى لإجابَة صَوْتِ النادِي.

وشَكَا الشَّيْخُ إلى الأَفْضَلِ تَعَذُّر الماء ووُصُوله إليه، فأَمَرَ ببناء «القَناطِر»، التي كانت في عَرْضِ القَرافَة، من المجْرى الكبيرة الطُّولُونِيَّة. فبُنِيَت إلى المَسْجِد الذي به الإطْفيحي، ومَضَى عليها من النَّفَقَةِ خمسة آلاف دينار، وعَمِلَ الإطْفيحي صِهْريجَ ماءٍ شَرْقي المَسْجِد عَظيمًا مُحْكَم الصَّنْعَة، وحَمَّامًا وبُسْتانًا كان به نَخْلَة سَقَطَت بعد سنة خَمْسٍ[a] وخمس مائةٍ.

وعَمِلَ الأَفْضَلُ له مَقْعدًا بحِذاءِ المَسْجِد إلى الشَّرْقِ، عُلُوَّ زِيادَة في المَسْجِد شَرْقيه، وقاعَة صَغيرَة مُرَخَّمَة. إذا جاءَ إلى[b] عنده جَلَسَ فيها، وخَلَا بنفسه، واجْتَمَعَ معه وجالَسه[c]، وكان هذا المَقْعَدُ على هَيْئَة المَنْظَرَة بغير سَتائِر، كلّ من قَصَدَ الإطْفيحي من الكَنْعي[d] يَرَاه.

وكان الأَفْضَلُ لا يَأْخُذُه عنه القَرار. يَخْرُج في أكثر الأوْقات من دارِ المُلْك - باكِرًا أو ظُهْرًا أو عَصْرًا - بَغْتَةً، فيَتَرَجَّل، ويَدُقّ الباب وَقارًا للشَّيْخ - كما كان الصَّحابَةُ - رضي الله عنهم - يَقْرَعُون أبْوابَ النَّبي ﷺ - بظُفْر الإبْهام والمِسْبَحَة، كما يَخْضِب بهما الخَاضِب.

فإن كان الشَّيْخُ يُصَلِّي، لا يزالُ واقِفًا حتى يَخْرُج من الصَّلاة ويقول: من؟ فيقول: وَلَدُك شاهِنْشاه، فيقول: نَعَم. ثم يَفْتَح فيُصافِحُه الأفْضَلُ، ويَمُرُّ بيده التي لَمَس بها يَد الشَّيْخ على وَجْهه، ويَدْخُل. فيقول الشَّيْخُ: نَصَرَك الله، أَيَّدَكَ الله، سَدَّدَك الله، هذه الدَّعْوات الثَّلاث لا غير أبَدًا. فيقولُ الأَفْضَلُ. آمين.

وبَنَى له الأَفْضَلُ المُصَلَّى ذات المَحاريب الثَّلاثَة، شَرْقي المَسْجِد إلى القِبْلي قَليلًا، ويُعْرَف بمُصَلَّى الإطْفيحي. كان يُصَلَّى فيه على جَنائِز مَوْتَى القَرافَة.

وكان سَبَبُ اخْتِصاصِ الأَفْضَلِ بهذا الشَّيْخ، أنَّه لمَّا كان مُحاصِرًا نِزار بن المُسْتَنْصِر بالإسْكَنْدَرِية، وناصِر الدَّوْلَة أفْتكين الأَرْمَنيّ، أحَد مَماليك أمير الجُيُوش بَدْر، وكانت أمّ الأَفْضَل

---

a) بولاق: خمسين. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: حادثة. d) بولاق: الكتفي.

= بالرياض سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

إذْ ذاك ـ وهي عَجُوزٌ لها سَمْتٌ ووَقار ـ تَطوفُ كلَّ يوم وفي الجُمُعَة الجَوامِع والمَساجِد والرُّباطات والأسْواقِ ، وتَسْتَقْصي الأخْبار ، وتَعْلَم مُحِبَّ وَلَدها الأفْضَل من مُبْغِضِه .

وكان الإطْفيحي قد سَمِعَ بخَبَرِها ، فجاءَت يوم / جُمُعَة إلى مَسْجِده ، وقالت له : يا سَيِّدي وَلَدي في العَسْكَر مع الأَفْضَلِ ، الله يأخُذ لي الحَقَّ منه ، فإنّي خائِفَة على ولدي ، فادْعُ الله لي أن يُسَلِّمه . فقال لها الشَّيْخُ : يا أمَةَ الله ، أما تَسْتَحيين تَدْعِين على سُلْطانِ الله في أرْضِه ، المُجاهِد عن دينه ؟ الله تعالى يَنْصُرُه ويُظَفِّره ويُسَلِّمُه ويُسَلِّم وَلَدكِ ، ما هو إنْ شاءَ الله إلَّا مَنْصور مُؤَيَّد مُظَفَّر كأنَّك به وقد فَتَح الإسْكَنْدَرية ، وأسَرَ أعْداءَه ، وأتى على أحْسَنِ قَضِيَّةٍ وأجْمَلِ طَوِيَّة ، فلا تَشْغَلي لك سِرًّا ، فما يكون إلَّا خَيْرًا إن شاءَ الله تعالى .

ثم إنَّها اجْتازَت بعد ذلك بالفَار الصَّيْرَفي بالقاهِرَة بالسَّرَّاجين ، وهو والِدِ الأمير عبد الكريم الآمِري صَاحِب السَّيْف ، وكان عبد الكريم قد وَلِيَ مصر بعد ذلك في الأيَّام الحافِظِيَّة ، وكان عبدُ الكريم هذا له في أيَّام الآمِر وَجاهَةٌ عَظيمَةٌ وصَوْلَةٌ ، ثم افْتَقَرَ .

فوَقَفَت أمُّ الأفْضَل على الصَّيْرَفي تَصْرف دينارًا ، وتَسْمَع ما يقول لأنَّه كان إسْماعيليًّا مُتَغاليًا ، فقالت له : وَلَدي مع الأَفْضَل ، وما أدْري ما خَبَرُه ؟ فقال لها الفارُ المذكور : لَعَنَ الله المذكور الأرْمَنِيَّ الكَلْب ، العَبْد السُّوءَ ابن العَبْد السُّوء ، مَضَى يُقاتِل مَوْلاه ومَوْلَى الخَلْق . كأنَّك والله يا عَجُوز برأسِه جائِزًا من هاهُنا على رُمْح ، قُدَّام مَوْلاه نِزار ومَوْلاي ناصِر الدَّوْلَة ، إن شاءَ الله تعالى ، والله يَلْطُف بوَلَدِك ، من قال لَكِ تُخَلِّيه يَمْضي مع هذا الكَلْب المنافِق ؟ وهو لا يَعْرِف من هي .

ثم وَقَفَت على ابن بابان الحَلَبي ـ وكان بَزَّازًا بسُوقِ القاهِرَة ـ فقالت له مثل ما قالت للفار الصَّيْرَفي ، وقال لها مثل ما قال لها .

فلمَّا أَخَذَ الأَفْضَلُ نِزارًا وناصِر الدَّوْلَة ، وفَتَحَ الإسْكَنْدَرية حَدَّثَته والِدَتُه الحَديث ، وقالت : إنْ كان لك أبٌ بعد أمير الجُيُوش ، فهذا الشَّيْخُ الإطْفيحي . فلمَّا خَلَعَ عليه المُسْتَعْلي بالقَصْر ، وعادَ إلى دار المُلْك بمصر ، اجْتازَ بالبَزَّازين يومًا ، فلمَّا نَظَرَ إلى ابن بابان الحَلَبي ، قال : انْزِلوا بهذا ، فنَزَلوا به ، فقال : رأسَه ، فضُرِبَت عُنُقُه تحت دُكَّانِه ، ثم قال لعَبْدٍ على أحد مُقَدَّمي رِكابِه الحَلَقِ هاهنا ، لا يَضيعُ له شيءٌ إلى أن يأتي أَهْلُه ، فيَتَسلَّمُوا قُماشَه .

ثم وَصَلَ إلى دُكَّانِ الفار الصَّيْرَفي ، فقال : انْزِلوا بهذا ، فنَزلوا به ، فقال رأسه ، فضُرِبَت عُنُقُه تحت دُكَّانه . وقال ليُوسُف الأصْغَر ، أحد مُقَدَّمي الرِّكاب . اجْلِس على حانُوتِه إلى أن يأتي أَهْلُه

وَيَتَسلَّمُوا مَوْجُودَه ، وإيَّاك وماله وصُنْدُوقه ، وإن ضَاعَ منه دِرْهَم ضَرَبْتُ عُنُقَك مكانَه ، كان لنا خصم أخذناه ، وقد فَعَلْنا به ما يَرْدَع غيره عن فِعْلِه ، وما لنا ماله ولا فَقْر أَهْله .

ثم أتَى الأَفْضَلُ إلى الشَّيْخ أبي طاهِر الإطْفيحي ، وقَرَّبه وخَصَّصَه ، إلى أن كان من أَمْرِه ما شَرَحْناه .

مَسْجِدُ الزَّيّات

مُجاوِرٌ[a] بَيْت الخَوَّاص غربيه .

ومَسْجِدُ ابن أبي الرَّدَّاد يُعْرَف بمَسْجِد الأنْطاكِي ، ومَسْجِدُ الفاخُوري يعرف بمَسْجِد البَطْحَاء ، ومَسْجدُ ابن أبي الصَّغير ، قِبْلي مَسْجِد بني مَانع ، وهو جَامِعُ القَرافَة . ومَسْجِدُ الشَّريفَة بُنِيَ في سنة إحدى وخمس مائة ، ومَسْجِدُ ابن أبي كامِل الطَّرابُلُسي كان بحارَة الفُرْن ، بَناه الأعَزّ بن أبي كامِل . والمَعْبَدُ الذي كان على رأسِ العَقَبَة التي يُتَوَصَّل منها إلى الرَّصْدِ ، بناه أبو محمد عبد الله الطَّبَّاخ ، ويُقالُ إنَّه كان بالقَرافَةِ الكبرىٰ اثنا عشر ألف مَسْجِد.

القَصْرُ المعروف بباب ليون بالشَّرَف

هذا القَصْرُ كان على طَرَفِ الجبَل ، بالشَّرف الذي يُعْرَف اليوم بالرَّصْد[b]، وجاءَ الفَتْحُ وهو مَبْنِيّ بالحِجارَة ، ثم صَارَ في مَوْضِعِه مَسْجِدٌ عُرِفَ بمَسْجِدِ المَقْس .

والمَقْسُ ضَيْعَةٌ كانت تُعْرَف بأمّ دُنَيْن ، سُمِّيَتِ المَقْس لأنّ العَاشِرَ كان يَقْعُد بها وصَاحِبَ المكْس ، فقُلِبَ فقيل «المَقْس» ، وليون اسم بَلَدٍ بمصر ، بلُغَة السُّودان والرُّوم . وقد ذُكِرَ المَقْس عند ذِكْر ظَواهِر القاهِرَة من هذا الكِتاب[1].

---

a) بولاق : هذا المسجد مجاور. b) بياض في الأصول ، والمثبت مما تقدم .

---

[1] فيما تقدم ٣:٤٠٣- ٤١٣.

ذِكْرُ الجَواسِق التي بالقَرَافَة

قال ابنُ سِيدَة :الجَوْسَقُ : الحِصْنُ ، وقيل هو شَبيهٌ بالحِصْن ، مُعَرَّب[1] .

وقال الشَّرِيفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني النَّسَّابَة في «كِتابِ النُّقَط على الخِطَط» : الجَواسِقُ بالقَرافَةِ والجَبَّانَةِ كانت تُسَمَّى القُصُور ، وكان بالقَرافَةِ قَصْرُ الكَنْمي[a]، وقَصْرُ بني كَعْبٍ ، وقَصْرُ بني عُقْبَة ، وقَصْرُ أبي قُبَيْل ، وقَصْرُ العَزيز ، وقَصْرُ البَغْدادي ، وقَصْرُ يَشْب ، وقَصْرُ ابن كَرامَة .

جَوْسَقُ بَني عَبْد الحَكَم

كان جَوْسَقًا كبيرًا له حُوش ، وكان في وَسَطِ القَرافَة ، بحَضْرة مَسْجِد بني سَريع ، الذي يُقالُ له الجَامِعُ العَتيق ، وهو أَحَدُ الجَواسِق الثلاثة ، وهو جَوْسَقُ عبد الله بن عبد الحَكَم الفَقيه الإمام ، وجَدَّدَ هذا الجَوْسَق ابنُ اللُّهيب المَغْرِبي .

/جَوْسَقُ بَني غَالب

ويُعْرَف بِبني بابَشَاذ ، كان بالمعافِر[b]، بُنِيَ في سنة ثلاثٍ وخمسين وأربع مائةٍ ، وإلى جانِبه قَبْرُ الشَّيْخ أبي الحَسَن طَاهِر بن بابَشَاذ .

جَوْسَقُ ابن مُيَسَّر

كان بجوار جَوْسَق بني غالِب . بناهُ أبو عبد الله بن محمد ابن القاضي أبي الفَرَج هِبَة الله . وكان أبو الفَرَج هو الخَطيب بجَامِع مصر ويوم الغَدير ، وهو شَافِعي المذهَب ، وهو هِبَة الله ابن هِبَة الله بن المُيَسَّر ، وذلك في جُمادَىٰ الآخرة سنة خمسَ عَشْرةَ وخمسِ مائةٍ .

---

a) بولاق : الكنفي . b) بولاق : بالمغافر .

---

[1] ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم (جسق) ٦ : ٩٤.

وأبو عبد الله هذا هو الذي كان بعد ذلك قاضي القُضَاة بمصر، وهو الذي حَبَس القَياسِر التي كانت في القَشّاشين بمصر، وكان يُحْمَل قُدّامَه المنارَة الرُّومية النُّحاس ذات السَّواعِد التي عليها الشَّمْعُ ليالي الوُقُودات. وكان فيه كَرَمٌ، سَمِعَ بأنَّ الماذَرائي[a] عَمِلَ في أيّامِه الكَعْك الصَّغير، المَحْشُو بالسُّكَّر ـ المسمَّى «افْطِن له» ـ فأَمَرَ هو بعَمَلِ لُبّ الفُسْتُق المُلَبَّس بالسُّكَّر الأبيضِ الفانيذ المُطَيَّب بالمِسْك، وعَمِلَ منه في أوَّلِ الحَال شيئًا عِوَضَ لُبِّه لُبّ ذَهَب في صَحْنٍ واحِد، فمَضَى فيه جُمْلَة، وخُطِفَ قُدّامه، تَخاطَفَه الحاضِرُون، ولم يعد لعمله بل الفُسْتُق المُلَبَّس، وهو أوَّل من أَخْرَجه بمصر. وكان قد سَمِعَ في سيرة أبي بكر الماذَرائي[a] أنّه عَمِلَ هذا الافْطِن له، وجَعَل في كُلّ واحدٍ خمسة دنانير، ووَقَفَ أستاذٌ على السِّماط، فقال لأحد الجُلَساء: «افْطِن له»، وكان على السِّماط عِدَّةُ صُحُونٍ من ذلك الجِنْس، لكن ما فيها ما فيه دَنانير إلّا صَحْنٌ واحِد. فلمّا رَمَزَ الأستاذ لأَحَدِ الجُلَساء على سِماطِ الماذَرائي[a] بقوله «افْطِن له» ـ وأشارَ إلى الصَّحْن ـ تَناوَلَ الرَّجُل منه، فأصابَ ذلك فاعْتَمَد له، فحَصَل له جُمْلَة. ورآه النَّاسُ وهو إذا أَكَلَ يُخْرِج شيئًا من فَمِه ويجمع بيده، ويَحُطّ في حِجْرِه، فتَنَبَّهوا وتَزاحَمُوا عليه، فقيل لذلك المَعْمول من ذلك الوَقْت: «افْطِن له».

وقُتِل هذا القاضي في تِنِّيس، في أيَّام بَهْرام الوَزير النَّصْراني الأَرْمَنيّ، سنة (b وعشرين وخمس مائةٍ.

جَوْسَقُ ابن مُقَشِّر[c]

كان جَوْسَقًا طَويلًا ذا تُرْبَةٍ إلى جانِبِه.

جَوْسَقُ الشَّيخ أبي محمد

عامِل ديوان الأشْراف الطَّالِبيين. و«جَوْسَق ابن عبد المحسِّن» بخُطّ الأكْحُول. و«جَوْسَقُ البَغْدادي الجَرْجَرائي» ـ كان قَبْرُه إلى جانِبِه ـ خَرِبَ في سنة عشرينَ وخمس مائةٍ، و«جَوْسَقُ الشَّريف أبي إسماعيل إبراهيم بن نَسيب الدَّوْلَة الكُلْثُمي المُوسَوي» نَقيب مصر.

---

a) بولاق: المادراني. b) بياض في النسخ، وفي بولاق ست (؟) c) بولاق: ابن مقشر.

---

[1] ابن ميسر: أخبار مصر ١٢٧؛ ابن حجر: رفع الإصر ٣: ١٦٣، المقفى الكبير ٧: ٤٠٠– ٤٠١؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ١٥٢؛ وفيما تقدم ٢: ١٢٨ (عن الشريف الجوّاني)؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٤٢٧–٤٢٨ (عن الشريف الجواني).

جَوْسَقُ المَاذَرائي[a]

هذا الجَوْسَقُ لم يَبْقَ من جَواسِق القَرافَة غيره. وهو جَوْسَقٌ كبيرٌ جِدًّا على هَيْئَة الكَعْبَة، بالقُرْبِ من مُصَلَّى خَوْلان في بَحْريه، على جانبيه المَمَرُّ من مَقْطَعِ الحِجارَة؛ بَنَاهُ أبو بكر محمد ابن علي المَاذَرائي[a] في وَسَطِ قُبُورِهم من الجَبَّانَة.

وكان النَّاسُ يَجْتَمعون عند هذا الجَوْسَق في الأعْياد، ويُوقَد جميعُه في لَيْلَة النِّصْف من شَعْبان كلّ سنة وقُودًا عظيمًا، ويَتَحلَّق القُرَّاءُ حَوْلَه لقِراءَةِ القُرْآن، فيَمُرُّ للنَّاس هنالِك أوْقاتٌ، في تلك الليلة وفي الأعْياد، بَديعَةٌ حَسَنَة.

جَوْسَقُ حَبِّ الوَرَقَة

كان هذا الجَوْسَقُ بحَضْرَةِ تُرْبَة ابن طَباطَبا. أدْرَكْتُه عامِرًا، وقد خَرِبَ فيما خَرَّبَه السُّفَهاءُ من تُرَبِ القَرافَةِ وجَواسِقِها، زَعْمًا منهم أنَّ فيها خَبايا.

وكان أكابِرُ أُمَراءِ المَعافِر[b]، ومَنْ بَعْدَهم ومن يَجْري مَجْراهم، لكلٍّ منهم جَوْسَقٌ بالقَرافَةِ يَتَنَزَّه فيه، ويَتَعَبَّدُ الله تعالى هناك، وكان من هذه الجَواسِق ما تَحْتَه حَوْضُ ماءٍ لشُرْبِ الدَّواب وفَسْقِيَّةٌ وبُسْتان.

وكان بالقَرافَةِ عِدَّةُ قُصُور، وهي التي تُسَمَّى بـ «الجَواسِق»، لها مَناظِرُ وبَساتين، إلَّا أنَّ الجَواسِقَ أكثرها بغير بَساتين، ولا بِئْر، بل مَناظِرَ مُرْتَفِعة، ويُقالُ لها كلّها «قُصُور»:

قَصْرُ القَرافَة

بَنَتْه السَّيِّدَةُ تَغْريد[c]، أمّ العَزيز بالله، في سنة ستٍّ وستين وثلاث مائة، على يد الحَسَن ابن عبد العزيز الفارسي المُحْتَسِب، هو والحَمَّام الذي كان في غَرْبيه، وبَنَتِ البِئْر والبُسْتَان المعرُوف بالتَّاج، المعروف بحِصْن أبي المَعْلُوم، وبَنَت جَامِعَ القَرافَة.

---

a) بولاق: المادراني. b) بولاق: المغافر. c) بولاق: تفريد.

ثم جَدَّدَه الآمِرُ بأحكام الله ، وبَيَّضَه في سنة عشرين وخمس مائةٍ ، وعَمِلَ شرْقي بابِه مَصْطَبَةً للصُّوفيَّة ، وكان مُقَدَّمهم الشَّيخ أبو إسْحاق إبراهيم المعروف بالمادِح ، وكان الآمِرُ يَجْلِسُ في الطَّاق بالمَنْظَر الذي بَناه بأعْلَى القَصْر ، ويَرْقُص أهْلُ الطَّريقَة قُدَّامه .

وقد ذُكِرَ هذا القَصْر عند ذِكْر مَناظِر الخُلَفَاء من هذا الكِتاب [1] . ولم يَزَل هذا القَصْرُ إلى رَبيعِ الآخر سنة سبعٍ وستين وخمس مائة .

ذِكْرُ الرِّبَاطات التي كانت بالقَرَافَة

/كان بالقَرافَةِ الكبيرةِ عِدَّةُ دُورٍ ، يُقالُ للدَّارِ منها «رِباط» ، على هَيْئة ما كانت عليه بُيُوتُ أزْواجِ النَّبيّ ﷺ ، يكون فيها العَجائِزُ والأرامِلُ العابِدات ، وكانت لها الجِرايات والفُتُوحاتُ ، وكان لها المقاماتُ المشهورة من مَجالِسِ الوَعْظ .

رِباطُ بِنْتِ الخَوَّاص

كان تِجاه مَسْجِد بيد الفَقيه مُجَلّي بن جُمَيْع بن نَجا الشَّافِعي ، مُؤَلِّف كِتابِ «الذَّخائِر» ، وقاضي القُضَاة بمِصر .

رِباطُ الأشْرَاف

كان برَحْبَةِ جَامِع القَرافَةِ يُعْرَف بالقُرَّاء ، وبيني عبد الله ، وبمَسْجِد القُبَّة ، وهو شَرْقي بُسْتَان ابن نَصْر . بَناهُ أبو بكر محمد بن علي المَاذَرائي [a]، ووَقَفَه على نِسَاءِ الأشْراف .

رِباطُ الأنْدَلُس

بَنَتْه الجِهَةُ المعروفة بجِهَة مَكْنُون الآمِريَّة كما تَقَدَّم .

---

a) بولاق : المادراني .

---

[1] فيما تقدم ٢ : ٥٨٠-٥٨١ .

رِباطُ ابن العَكّاري

كان بحَضْرَة مَسْجِد بني سَريع، المعروف بالجَامِع العَتيق.

رِباطُ الحِجَازِيّة

بَنَتْه، وحَبَسَتْه على الحِجازِية، فَوْز؛ جارية علي بن أحمد الجَرْجرائي الوَزير، هو والمَشْجِد الذي تَقَدَّم ذكره.

رِباطُ رِياض

كان بجِوارِ مَسْجِد الحَاجَةِ رِياض.

ذِكْرُ المُصَلَّيَات والمَحَارِيب التي بالقَرافَة

وكان في القَرافَةِ عِدَّةُ مُصَلَّيَات وعِدَّةُ مَحارِيب، منها:

مُصَلَّى المَعافِر[a]
وَهُوَ الأَنْدَلُس

جَدَّدَه ابنُ بَرْك الإخشيدي، ثم بَنَته جِهَةُ مَكْنُون الآمِرِيَّة في سنة ستٍّ وعشرين وخمس مائةٍ.

مُصَلَّى الشَّرِيفَة

كان بدَرْبِ القَرافَة بحَذْرة الجَبَّاسين وخِطَّة الصَّدَف. بَنَاهُ أبو محمد عبد الله بن الأَرْشُوفي الشَّامي التَّاجِر سنة سبعٍ وسبعين وخمس مائةٍ.

---

a) بولاق: المغافر.

مُصَلَّى عَقَبَة القَرافَة

يُعْرَف بـ «مُصَلَّى الأَنْدَلُس» ، كان ذا مَصْطَبةٍ مُرَبَّعَة على يَسْرَة الطَّالِع إلى القَرافَة . بَناه يُوسُف ابن أُحمد الأَنْدَلُسِي الأَنْصاري في شهر رَمَضان سنة خمسَ عشرةَ وخمس مائةٍ .

مُصَلَّى القَرافَة

جَدَّدَه الفَقيهُ ابن الصَّبَّاغ المالِكي في سنة عشرين وخمس مائةٍ ، وكان بحَضْرَة مَسْجِد أبي تُراب تِجاه دار التِّبْر .

مُصَلَّى الفَتْح

كان مُلاصِقًا لمَسْجِد الفَتْح . بناه أبو محمد القَلْعي المَغْرِبي المُنَجِّم الحافِظي .

مُصَلَّى جِهَة العادِل

أبي الحَسَن بن السَّلار وَزير مصر .

مُصَلَّى الإطْفِيحي

بجِوار مَسْجِد الإطْفيحي الذي تَقَدَّم ذكره .

مُصَلَّى الجَزَجَرائي[a]

بناه الوَزيرُ علي بن أُحمد الجَرْجرائي[a] .

وكانت بالقَرافَة الكبرىٰ والجَبَّانة عِدَّةُ مَحارِيب خَرِبَت كلّها [b].

مُصَلَّى خَوْلان

هذه المُصَلَّى عُرِفَت بطائِفَةٍ من العَرَب الذين شَهِدُوا فَتْح مصر ، يقالُ لهم خَوْلان ، وهم من

a) بولاق : الجرجاني . b) هنا في هامش نسخة ميونخ : بياض في الأصل .

قَبائل اليَمَن، واسمه نكل بن عَمْرو بن مالِك بن زَيْد بن عَريب. وفي هذه المُصَلَّى مَشْهَدُ الأعْياد، ويَؤُمّ النَّاسَ ويَخْطُب لهم بها في يوم العيد، خَطيبُ جَامِع عَمْرو بن العَاص. وليست هذه المُصَلَّى هي التي أنشأها المسلمون عند فَتْحِ أرْضِ مصر، وإنَّما كانت مُصَلَّى العِيد في أوَّلِ الإسْلام غير هذه.

قال القُضَاعي: «مُصَلَّى العِيد»، كان مُصَلَّى عَمْرو بن العَاص مُقابِل اليَحْمُوم، وهو الجَبَلُ المُطِلّ على القاهِرَة، فلمَّا وَلِيَ عبدُ الله بن سَعْد بن أبي سَرْح مصر، أَمَرَ بتَحْويله، فحُوِّل إلى مَوْضِعِه، المعروف اليوم بـ «المُصَلَّى القَديم»، عند دَرْب السِّباع، ثم زادَ فيه عبدُ الله بن طاهِر سنة عشر ومائتين، ثم بناهُ أحمد بن طُولُون في سنة ستٍّ وخمسين ومائتين، واسْمُه باقٍ عليه إلى اليوم.

قال الكِنْدي: ولمَّا قَدِمَ شَفي الأَصْبَحي إلى مصر، وأهْلُ مصر قد اتَّخَذُوا مُصَلًّى بحِذاءِ ساقِية أبي عَوْن عند العَسْكَر، قال: ما لهم وَضَعُوا مُصَلَّاهم في الجَبَل المَلْعون، وتَرَكُوا الجَبَل المُقَدَّس، يعني المُقَطَّم؟

قال [الحَسَنُ بن ثَوْبان][a]: فقَدَّمُوا مُصَلَّاهم إلى / مَوْضِعِه الذي هو به اليوم، يعني المُصَلَّى القَديم المذكور. ٢

وقال الكِنْدي: ثم ضَاقَ المُصَلَّى بالنَّاسِ في إمارَة عَنْبَسَةَ بن إسْحاق الضَّبِّي على مصر، في أيَّام المُتَوَكِّل على الله، فأَمَرَ عَنْبَسة بابْتِناءِ المُصَلَّى الجَديد. فابْتُدِئَ ببنائِه في العَشْر الأخير من شهر رَمَضَان سنة أربعين ومائتين، وصُلِّي فيه يوم النَّحْر من هذه السنة[1].

وعَنْبَسةُ هو آخِرُ عَرَبي وَلِيَ مصر، وآخِرُ أمير صَلَّى بالنَّاسِ في المَسْجِد[2]، وهو المُصَلَّى الذي بالصَّحْراءِ عند الجارودي. ثم جَدَّدَه الحاكِمُ وزادَ فيه، وجَعَلَ له قُبَّةً، وذلك في سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ.

---

a) زيادة من ولاة مصر اقتضاها السياق وهو سَنَد الرواية.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٢٢٧– ٢٢٨.

[2] نفسه ٢٢٨؛ وفيما تقدم ٢: ٧٨.

وكان أُمَرَاءُ مصر إذا خَرَجُوا إلى صَلاةِ العِيد بالمُصلَّى ، أوْقَفُوا جَيْشًا في سَفْحِ الجَبَل ـ مِمَّا يلي بِرْكَة الحَبَش ـ ليراعِي النَّاسَ حتى يَنْصَرِفوا من الصَّلاة ، خَوْفًا من البُجَة . فإنَّهم قَدِمُوا غير مَرَّة ، رُكْبانًا على النُّجُب ، حتى كَبَسُوا النَّاسَ في مُصَلَّاهُم ، وقَتَلُوا ونَهَبُوا ، ثم رَجَعُوا من حيث أتَوْا .

فخَرَجَ عبدُ الحَميد بن عبد الله بن عبد العَزيز بن عبد الله بن عُمَر بن الخَطَّاب ، غَضَبًا لله وللمسلمين مِمَّا أصابَهم من البُجَة ، فكَمَنَ لهم بالصَّعيد في طَريقهم ، حتى أقْبَلُوا ، كعادَتهم في أخْذِ النَّاس في مُصَلَّى العيد ، فكَبَسَهم ، وقَتَلَ الأعْوَر رَئيسَهم . بعدما أقْبَلُوا إلى المُصَلَّى في العيد في سنة ستٍّ وخمسين ومائتين ـ وأميرُ مصر أحمد بن طُولُون ـ على النُّجُب ، وكَبَسُوا النَّاسَ في مُصَلَّاهُم ، وقَتَلوا ونَهَبُوا منهم ، وعادُوا سالِمِين .

ثم دَخَلَ العُمَري إلى بلاد البُجَة غازِيًا ، فقَتَلَ منهم مَقْتَلَة عَظيمَةً ، وضَايقهم في بلادِهم إلى أن أعْطَوه الجِزْيَة ـ ولم يكونوا أعْطَوا أحَدًا قَبْلَه الجِزْيَة ـ وسارَ في المسلمين وأهْل الذِّمَّة سِيرةً حسنة ، وسالَم النُّوبَة إلى أن بَدَأ النُّوبَةُ بالغَدْرِ في المَوْضِع المعروف بالمَرِيس[1] . فمالَ عليهم وحارَبَهم ، وخَرَّبَ دِيارَهم ، وسَبَى منهم عالَمًا كبيرًا ، حتى كان الرَّجُلُ من أصْحابِه يَبْتاعُ الحاجَة من الزَّيَّات والبَقَّال بنُوبي أو نُوبية لكثرتهم مَعَهُم . فجاءُوا إلى أحمد بن طُولُون ، وشَكَوْا له من العُمَري ، فبَعَثَ إليه جَيْشًا ليُحارِبَه ، فأوْقَعَ بالجَيْش وهَزَمَهُم ، وكانت له أنْباءٌ وقِصَص . إلى أن قَتَلَه غُلامان من أصْحابه ، وأحْضَرا رأسَه إلى أحمد بن طُولُون ، فأنْكَرَ فِعْلَهُما ، وضَرَبَ أعْناقَهُما ، وغَسَلَ الرَّأس ودَفَنَه[2] .

---

[1] انظر عن مريس النُّوبة فيما تقدم ١: ٥١٨، ٥١٩، ٥٣٧، ٥٣٨.

[2] راجع، المقريزي: المقفى الكبير ٤: ٤٠٣- ٤١٥؛ وفيما تقدم ١: ٥٣٤.

ذِكْرُ المَسَاجِدِ والمَعَابِدِ التي بالجَبَلِ والصَّحْرَاءِ

وكان بجَبَلِ المُقَطَّم وبالصَّحْراءِ ـ التي تُعْرف اليوم بالقَرَافَة الصُّغْرَىٰ ـ عِدَّةُ مَساجِدَ وعِدَّة مَغايِرَ يَنْقَطِع العُبَّادُ بها، منها ما قد دَثَرَ، ومنه شيءٌ قد بَقِيَ أَثَرُه.

التَّنُّور[a]

هذا المَسْجِدُ في أَعْلَى جَبَل المُقَطَّم من وَرَاءِ قَلْعَةِ الجَبَل في شَرْقيها أدْرَكْتُه عامِرًا، وفيه من يُقيمُ به.

قال القُضَاعِيُّ: المَسْجِدُ المعروف بالتَّنُّور بالجَبَل، هو مَوْضِعُ تَنُّور فِرْعَوْن. كان يُوقَد له عليه[b]، فإذا رأوا النَّار عَلِمُوا بركوبه، فاتَّخذوا له ما يُريد، وكذلك إذا رَكِبَ مُنْصَرِفًا من عَيْن شَمْس. ثم بَنَاهُ أحمد بن طُولُون مَسْجِدًا في صَفَر سنة تسعٍ وخمسين ومائتين. ووَجَدْتُ في كِتابٍ قَدِيمٍ أن يَهُوذَا بن يَعْقُوب، أخا يُوسُف ـ عليه السلام ـ لمَّا دَخَلَ مع إخْوَتِه على يُوسُف، وجَرَى من أمْرِ الصُّواع ما جَرَى، تأخَّرَ عن إخْوَتِه، وأقامَ في ذِرْوَةِ الجَبَلِ المُقَطَّم في هذا المكان، وكان مُقابِلًا لتَنُّور فِرْعَوْن الذي كان يُوقَد له فيه النَّار.

ثم خَلَا ذلك المَوْضِع إلى زَمَنِ أحمد بن طُولُون، فأُخْبِر بفَضْلِ المَوْضِع، وبمَقامِ يَهُوذَا فيه، فابْتَنَى فيه هذا المَسْجِد والمَنَارَة التي فيه، وجَعَلَ فيه صِهْريجًا فيه الماء، وجَعَل الإنْفاقَ عليه ممَّا وَقَفَه على البيمارِسْتان بمصر والعَيْن التي بالمَعافِر[c] وغير ذلك.

ويُقالُ: إنَّ تَنُّور فِرْعَوْن لم يَزَل في هذا المَوْضِع بحالِه، إلى أن خَرَجَ إليه قائِدٌ من قُوَّادِ أحمد ابن طُولُون، يُقالُ له وَصِيف قَاطْرميز[d]، فهَدَمَه وحَفَر تَحْتَه، وقَدَّرَ أنَّ تَحْتَه مالًا، فلم يَجِد فيه شيئًا، وزالَ رَسْمُ التَّنُّور وذَهَبَ[1].

---

a) بولاق: مسجد التنور. b) في مرشد الزوار: كان يوقد عليه بالطَّرْفاء واللُّبان والصَّنْدل ليرفع عن أهل مصر الوباء. c) بولاق: المغافر. d) ولاة مصر (٢٦٨، ٢٦٩): وصيف القَطْرَميز.

---

[1] الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ١٩- ٢٠؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٣- ١٤.

وأَنْشَدَ أبو عُمَر الكِنْدِي في كِتاب «أُمَرَاءِ مِصْر» من أبْياتٍ لسَعيدِ القاصّ [١] :

[الطويل]

وتَنُّورُ فِرْعَوْنَ الذي فَوْقَ قُلَّةٍ ... على جَبَلٍ عالٍ على شاهِقٍ وَعْرِ [a]
بَنَى مَسْجِدًا فيه يَرُوقُ [b] بِناؤُه ... وَيَهْدِي به في اللَّيْلِ إن ضَلَّ مَن يَسْرِي
تَخالُ سَنَا قِنْدِيلِه وَضِياءَهُ ... سُهَيْلًا إذا ما لاحَ في اللَّيْلِ للسَّفْرِ

القُرْقُوبي

قال القُضَاعِيُّ : المَسْجِدُ المعروف بالقُرْقُوبي هو على قُرْنَة الجَبَلِ المُطِلّ على كَهْفِ السُّودان . بناه أبو الحَسَن القُرْقُوبِي الشّاهِد ، وَكيلُ التُّجّار بمصر ، في سنة خمس عشرة وأربع مائةٍ [٢] . وكان في مَوْضِعه مِحْرابُ حِجارَة يُعْرَف بِمحْرابِ ابن الفُقّاعي ، الرَّجل الصّالِح ، وهو على يَسارِ المِحْراب [٣] .

مَسْجِدُ أمير الأُمَراء
بَدْر المُسْتَنْصِري [c]

[أثر رقم ٣٠٤]

على قُرْنَةِ الجَبَلِ البَحْرية ، المُطِلَّة على وادي مَسْجِد مُوسَى ، عليه السَّلام [٤] .

---

a) في ولاة مصر : على شاهق عالٍ على جَبَلٍ وَعْر. b) ولاة مصر : يفوق . c) في النسخ وفي مرشد الزوار ، مصدر المقريزي : رفق المستنصري وهو خطأ صوابه ما أثبته ، وانظر هـ [٤] فيما يلي .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٢٧٦؛ وفيما تقدم ٢: ١٠٧.

[٢] رُبَّما كان هو نفسه أبو الحسن (الحسين) علي بن ... القُرْقُوبي الذي ذكره المُسَبِّحي في حوادث سنة ٤١٥هـ. (أخبار مصر ٥٨، ٩٦).

[٣] الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٢١؛ ابن الزيات : الكواكب السيارة ١٤.

[٤] نفسه ٢٢، وبقية الخَبَر فيه : «أنشأه الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين في أيّام الجناب السَّيِّد الأجَلّ أمير الجيُوش سَيْف الإسلام رِفْق المُسْتَنْصري في شهر المحرم الحرام سنة ٤٨٧هـ ، والدُّعاءُ مُجابٌ بهذا المكان وليس له نظير» .

وواضِحٌ أنّ هناك خطأً في نَصّ المُوَفَّق بن عثمان ـ الذي اعتمد عليه المقريزي ـ فالألْقابُ الشَّرَفيّة المذكورة هي بلا جِدال ألْقابُ أمير الجيُوش بَدْر المُسْتَنْصري لا رِفْق المُسْتَنْصِري عُدّة الدَّوْلَة وعمادها زمام الأتْراك ومُتَوَلِّي =

Section A-B

مَسْجِدُ بَدْرِ المُسْتَنْصري أو المَشْهَد الجُيُوشي، المُخَطَّط والمَنْظُور (عَن Creswell)

= القَصْر. (ابن ميسر: أخبار مصر ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٤:١٣٨)، والتاريخ المذكور يتَّفِق تمامًا مع التاريخ المثبت على اللَّوْحِ الموجود فوق مَدْخَلِ المَشْهَد الواقع على قرنة الجَبَلِ المُقَطَّم المطلة على وادي مُوسَىٰ، المعروف بـ«المَشْهَد الجُيُوشي»، والمسجل بالآثار برقم ٣٠٤. ويحمل هذا اللَّوْح كتابةً تاريخية بالخطّ الكوفي من خمسة أسطر، نَصُّها:

«بِسْم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ الآيتان ١٨ سورة الجن، و١٠٨ سورة التوبة ـ مِمَّا أَمَرَ بعمارة هذا المَشْهَد المبارك =

كَهْفُ السُّودَان

[أثر رقم ٥١٧]

مَغارٌ في الجَبَلِ لا يُعْلَم من أحْدَثَه [a]، ويُقالُ إنَّ قَوْمًا من السُّودَانِ نَقَرُوه فنُسِبَ إليهم، وكان صَغيرًا مُظْلِمًا، فبَنَاه الأحْدَبُ الأَنْدَلُسي القَزَّاز، وزادَ في سِفْلِه مَواضِعَ نَقَرَها، وبَنَى عُلْوَه. ويُقالُ إنَّه أنْفَقَ فيه أكثر من ألف دينار، ووَسَّعَ المجَازَ الذي يُسْلَك منه إليه، وعَمِلَ الدَّرَجَ النُّقُر التي يُصْعَد عليها إليه، وبَدَأ بُنْيانَه [b] مستهلّ سنة إحدى وعشرين وأربع مائةٍ، وفَرَغ منه في شَعْبان من هذه السنة [1].

a) بعد ذلك عند الموفق بن عثمان: ولا في أي زمانٍ أُحْدِث. b) بولاق: في بنيانه.

= فتى مَوْلانا وسيدنا الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئِمّة الطّاهرين وأبنائه الأكرمين، وسَلَّم إلى يوم الدِّين، السَّيِّد الأجَلّ أمير الجُيُوش سَيْف الإسْلام ناصِر الإمام كافِل قُضاةِ المسلمين وهادي دُعاةِ المؤمنين ـ عَضَّدَ الله به الدِّين، وأَمْتَعَ بطولِ بقائه أمير المؤمنين، وأدامَ قُدْرَتَه وأعلى كلمته وكَبَّدَ عَدُوّه وحَسَدَته ـ ابتغاءَ مَرْضاةِ الله في المحرَّم سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مائة».

van Berchem, M., *CIA* Égypte I, n°32, pp. 56-) .(57; Wiet, G., *RCEA* VII, n°2752

وراجع عن المَشْهَد وتَخْطيطه والغَرَضِ من بنائه، van Berchem, M., «Une mosquée du temps des Fatimides au Caire - Notice sur le gami‘ al-Guyûshi», *MIE* II (1889), pp. 605-17; Hautecoeur, L., *Les mosquées du Caire* I, pp. 229-32; Creswell, K.A.C., *MAE* I, pp. 155-60؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ١: ٨٩-٩٤؛ Shâfe‘i, F., «The Mahhad al-Juyûshi - Archeological Notes and Studies», in *Studies in Islamic Art and Architecture in honour of Professor K.A.C Creswell*, AUC 1965, pp. 237-52; Grabar, O., «The Earlist Islamic Commemorative Structures», *Ars Orientalis* VI (1966), pp. 27-29, n°48؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ١: ٢٧٧-٢٨٤؛ Ragib, Y., «Un oratoire fatimide au sommet du Muqattam», *SI* LXV (1987), pp. 51-67; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 433-40؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٤٥٥-٤٦٨.

[1] الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢١-٢٢، ٣١٩؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٤. وكَهْفُ السُّودان في أصله مَحْجَرٌ فرعوني قديم، وهو عبارة عن مَغارَة عميقة في داخل الجبل فوق منطقة الإباجيّة أسفل مَشْهَد الجيوشي، استغلته في النصف الأول من القرن العشرين طائفةُ المُتَصَوِّفَة المعروفة بالبكْتاشية، وعرف كذلك بتكية المغاوري لوجود قبر قايغوزيس أبدال المعروف بـ عبد الله المغاوري بداخله، كما دُفِنَ بالقرب منه ابنٌ للسُّلْطان حسين كامل سلطان مصر بين سنتي (١٩١٤-١٩١٧). (انظر كذلك، عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٤٤٩-٤٥٤).

العـارِضُ

هذا المكانُ مَغارَةٌ في الجَبَلِ ، عُرِفَت بأبي بكر محمد جَدّ مُسْلم القاري لأنّه نَقَرَها ، ثم عُمِّرَت بأمْرِ الحَاكِم بأمْرِ الله [١] ، وأُنْشِئَت فيها مَغارَةٌ هي باقِيَة إلى اليوم . وتَحْتَ العارِضِ قَبْرُ الشَّيْخ العارِف عُمَر بن الفارِض[٢] - رحمه الله - ولله دَرُّ القائِل[٣] :

[الكامل]

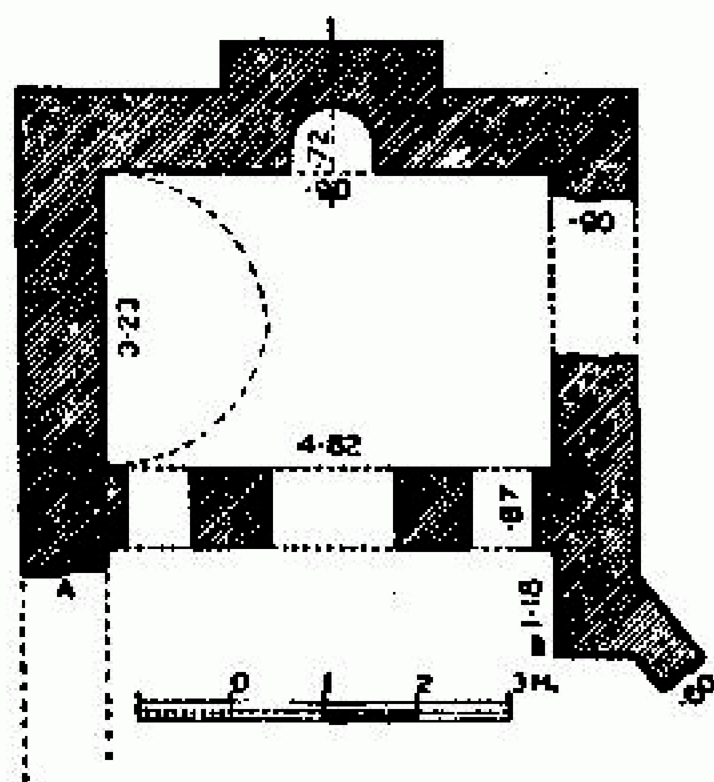
جُزْ بالقَرافَةِ تَحْتَ ذَيْلِ العَارِضِ ... وقُلِ السَّلامُ عليكَ يا ابْنَ الفارِضِ

وقد ذَكَرَ القُضَاعِيُّ أرْبَعَ عشرة مَغارَةٍ في الجَبَلِ ، منها ما هو باقٍ ، وليس في ذِكْرِها فائِدَة .

اللُّؤْلُؤَة

[أثر رقم ٥١٥]

هذا المكانُ مَسْجِدٌ في سَفْحِ الجَبَلِ باقٍ إلى يَوْمِنا هذا . كان مَسْجِدًا خَرابًا ، فبَنَاهُ الحَاكِمُ بأمْرِ الله ، وسَمَّاه «اللُّؤْلُؤَة» . قيل كان بِناؤه في سنة ستٍّ وأربع مائةٍ ، وهو بِناءٌ حَسَن [٤] .



مُخَطَّط مَسْجد اللُّؤْلُؤة (عن Creswell)

---

[١] الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٢٣ (ومصدره القضاعي) . وشبه أن يكون العارض هو الجرف الكلسي الذي يقع عليه الآن خانقاه شَاهين الخَلْوَتي .

[٢] المنذري : التكملة لوفيات النقلة ٣ : ٣٨٨ - ٣٨٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٤٥٥ ؛ الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٥٤٦ - ٥٥٠ ؛ ابن الزيات : الكواكب السيارة ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ؛ السخاوي : تحفة الأحباب ٣٨٢ - ٣٨٣ ؛ وانظر كذلك حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٢٤٣ - ٢٤٦ ؛ Homerin, Th. E., «The Domed Shrine of Ibn al-Fârid», *An.Isl.* XXV (1991), pp. 133-38.

[٣] هو الشَّيْخُ علي سِبط ابن الفارِض (ابن بنته) كما عند المُوَفَّق بن عثمان : مرشد الزوار ٥٤٧ .

[٤] يوجد «مَسْجِدُ اللُّؤْلُؤَة» على بُعْد أمتارٍ جنوب شَرْق -

مَسْجِدُ الدُّعاء[a]

فيما بين اللُّؤْلُؤَةِ ومَسْجِد مَحْمُود، وهو مَسْجِدٌ قَديمٌ يُتَبَرَّكُ بالصَّلاةِ فيه[1]، وقد ذُكِرَ مَسْجِدُ محمود عند ذِكْرِ الجَوامِع من هذا الكِتاب؛ لأنَّه تُقامُ فيه الجُمُعَة[2].

دِكَّةُ القُضاة

قال القُضاعِيُّ: هي دِكَّةٌ مُرْتَفِعَةٌ عن المساجِد في الجَبَلِ، كان القُضَاةُ بمصر يَخْرُجُون إليها لنَظَرِ الأَهِلَّةِ كلَّ سَنةٍ، ثم بُنِيَ عليها مَسْجِدٌ.

مَسْجِدُ فَايِق

مَوْلَى خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولُون: كان في سَفْحِ الجَبَلِ مِمَّا يلي طَريق مَسْجِد مُوسَىٰ، عليه السَّلام.

مَسْجِدُ مُوسَى

بَنَاهُ الوَزيرُ أبو الفَضْل جَعْفَر بن الفَضْل بن الفُرات[3].

---

a) بولاق: مسجد الهرعاء.

= «مَشْهَد إِخْوَة يُوسُف» في سَفْح المُقَطَّم. وكان هذا المَسْجِدُ يسْتَنِد في الأساس إلى جَبَلِ المُقَطَّم، ولكن الحجَّارين عَزَلوه تمامًا عن هذا الموقع وأصبح قائمًا وحده بعد أن ابتعد عن جِدار الجَبَل، ونراه الآن فوق قمة مُنْحَدَر كجزيرةٍ منعزلة في وَسَط المحاجِر، بعد أن قامت بترميمه وإعادة بنائه طائفةُ البُهْرَة في عقد التسعينيات من القرن العشرين. (الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٤؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٤، ٢٩٦؛ Creswell, K.A.C. *MAE* I, pp. 113-115, 236؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ١: ٣٠-٣١؛ Ragib., Y., «Deux monuments fatimides au pied du Muqattam», *REI* XLV/I (1978), pp. 110-14; Fu'ād Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 658-60؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٤١٩-٤٢٥).

[1] الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٤ (ومصدره القضاعي)، وأضاف بعد ذلك: «ويُعْرَف بمَسْجِد الإجابة أيضًا».

[2] فيما تقدم ١٧٩-١٨٠.

[3] الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٣.

مَسْجِدُ زَهْرُون بالصَّحْرَاء

هو مَسْجِدُ أبي محمد الحَسَن بن عُمَر الخَوْلاني، ثم عُرِفَ بابن المُبَيِّض. وكان زَهْرُون قَيِّمَه، فنُسِبَ إليه [١].

مَسْجِدُ الفُقَّاعِي

هو أبو الحَسَن علي بن الحَسَن بن عبد الله، كان أبوه فُقَّاعِيًّا بمصر، وهو مَسْجِدٌ كبيرٌ، بَنَاه كافُور الإِخْشيدي [٢]، ثم جَدَّدَه وزادَ فيه مَسْعُود بن محمد صَاحِب الوَزِير أبي القاسم عليّ ابن أحمد الجَرْجَرائي.

وكان في وَسَطِ هذا المَسْجِد مِحْرابٌ مَبْني بطُوبٍ، يُقالُ إنَّه من بِناءِ حَاطِب بن أبي بَلْتَعَة رَسُولِ رَسُولِ الله ﷺ إلى المُقَوْقِس، ويُقالُ إنَّه أَوَّلُ مِحْرابٍ اخْتُطَّ في مصر، وكان أبو الحَسَن التَّميمي قد زَادَ فيه بِناءً قَبْل ذلك.

مَسْجِدُ الكَنْز

هذا المَسْجِدُ كان شَرْقي الخَنْدَق، وبَحْرِي قَبْر ذي النُّون المصري [٣]. وكان مَسْجِدًا صغيرًا يُعْرَف بالدُّعام [a]، وماتَ قَبْل تَمامِه، فهَدَمَه أبو طاهِر محمد بن علي القُرَشي القُرْقُوبي، ووَسَّعَه وبَنَاه.

وحُكِيَ أنَّه لمَّا هَدَمَه رأى قائِلًا يقول في المَنَام: على أَذْرُعٍ من هذا المَسْجِد كَنْز. فاسْتَيْقَظ وقال: هذا من الشَّيْطان، فرأى هذا القائِل ثَلاث مَرَّات. فلمَّا أصبح أَمَرَ بحَفْرِ

---

a) بولاق: بالزمام، ونسخة الفاتح: الدعام.

---

[١] الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٧٦-٢٧٧، وفيه بعد ذلك: «وقبره مُسَنَّم على صورة الهَرَم خارج المسجد».

[٢] توفي أبو الحسن علي بن الحسن بن عبد الله، لثمانٍ خَلَوْن من صفر سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مائة، كما هو مكتوبٌ على قَبْره، كذا ذكره الموفق بن عثمان وأضاف: وقبره مشهورٌ وهو في فناء مسجده المعروف في الجبّانة. (مرشد الزوار ٣٢٠-٣٢١).

[٣] راجع عن قَبْر ذي النون المصري، الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٣٧٧-٣٨٧؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ٢٣٣-٢٣٧.

المَوْضِع فإذا فيه قَبْرٌ، وظَهَرَ له لَوْحٌ كبير تَحْته مَيِّتٌ في لَحْدٍ، كأَعْظَم ما يكون من النَّاسِ جُثَّةً ورأسًا، وأَكْفانُه طَرِيَّة لم تُبْلَ منها إلَّا ما يلي جُمْجُمَة الرأس، فإنَّه رأى شَعْرَ رأْسِه قد خَرَجَ من الكَفَنِ، وإذا له جُمَّة[1]. فرَاعَه ما رأى، وقال: هذا هو الكَنْز بلا شَكّ، وأَمَرَ بإعادَة اللَّوح والتُّراب كما كان، وأَخْرَجَ القَبْرَ عن سَائِر الحيطان، وأَبْرَزَه للنَّاسِ، فصارَ يُزارُ ويُتَبَرَّك به[2].

مَسْجِدٌ في غَرْبي الخَنْدَق

أنشأه أبو الحَسَن بن النَّجَّار الزَّيَّات في سنة إحدى وأربعين وأربع مائةٍ.

مَسْجِدُ لُؤْلُؤ الحَاجِب بِالقَرَافَةِ الصُّغْرَى

بَنَى بجانِبه مَقْبَرَةً، وحَفَرَ عندها بئرًا حتى انْتَهَى الحَفَّار إلى قُرْبِ الماء، فقال الحَفَّارُ: إنِّي أَجِدُ
٥٤ في البِئْر شيئًا كأنَّه حَجَر. فقال له لؤلؤ: تَسَبَّب في قَلْعِه. فلمَّا قَلَعَه فارَ الماءُ وأَخْرَجه، وإذا هو / اشطام مَرْكِب، وهو الخَشَبَة التي تُبْنَى عليها السَّفينة[3].

وهذا يُصَدِّق ما قاله أَرَسْطاطاليس في كِتابِ «الآثار العُلْوية»؛ قال: إنَّ أَهْلَ مصر يَسْكُنُون فيما انْحَسَرَ عنه البَحْرُ الأَحْمَر[4]، يعني بَحْر الشَّام.

وقد ذُكِرَ خَبَرُ لُؤْلُؤ هذا عند ذِكْر حَمَّام لُؤْلُؤ[5].

---

[1] الجُمَّة بضم الجيم: مجتمع شعر الرأس.

[2] الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٣٩٢- ٣٩٣؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ٢٣١-٢٣٢ وسمّاه: التُّرْبَة المعروفة بالكنز ونقل نصّ ابن عثمان.

[3] أشارَ ابنُ الزَّيات: الكواكب السيارة ٢١٥ إلى تُرْبة الشَّنْجاري لا مَدْرَسته وذكر أنَّها التُّرْبَة العظمى الحسنة البناء المقابلة لجامع الشَّافِعي، بها جماعةٌ من العلماء والقضاة.

[4] أرسطوطاليس: الآثار العلوية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة ١٩٦١.

[5] فيما تقدم ٣:٢٨٣- ٢٨٥.

[121r] [a] مَدْرَسَةُ السُّنْجاريّ بالقَرافَة

هذه المَدْرَسَةُ بجانب جَامِع القَرافَة المجاوِر لتُرْبَة الشَّافِعي [1]، رحمه الله، أنشأها بَدْرُ الدِّين أبو المحاسِن يُوسُف بن الحسن بن علي بن الخِضْر المعروف بالسُّنْجاري. ومَوْلِدُه في سنة ثمانٍ وسبعين وخمس مائة بسَوادِ إرْبِلَ، وماتَ يوم السَّبْت رابع عَشَرَ رَجَبَ سنة ثلاثٍ وستين وستّ مائة بالقاهرة [2]، وذلك أنَّه دَخَلَ الحَمَّامَ وأَكَلَ بعد خروجه مُطَجَّنًا أصْفَر وسَكَنْجَبِينًا وأرادَ أن يتقيأ فلم يَقْدِر ومات، فحَضَرَ تاجُ الدِّين عبد الوَهَّاب بن بنت الأعَزّ العلائي دَفْنَه وحَضَرَ وَلَدُ بَدْر الدِّين فأخَذَه تاجُ الدِّين وجَعَلَه في مِحْرابِ المَدْرَسَة، وقال له: إن كنت عاقِلًا فهذا مَوْضِعُك وإلَّا فلا تلومَنَّ إلَّا نَفْسَك [3].

مَسْجِدُ الأشْعُوب بالقَرافَة

قال الشَّريفُ النَّقيبُ محمد بن أسْعَد بن علي بن [مَعْمَر بن عُمَر] [b] الحُسَيْني الجَوَّاني النَّسَّابَة في كِتابِ «الجَوْهَر المَكْنُون في ذِكْر القَبائل والبُطُون»: الأَشْعُوبُ فَخْذٌ من حِمْيَر، وهم بنو أشْعَبان بن عَمْرُو بن قَيْس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شَمْس بن وائِل بن قطن بن عَريب بن زُهَيْر ابن أَيْمَن بن هَمَيْسِع بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، ولهم خِطَّةٌ مَسْجِدٍ بالقَرافَةِ معروف بالأشْعُوب مُجاوِرٌ لقَناطِر المَجْراة التي عَمِلَها الأفْضَلُ بن أمير الجُيُوش سُلْطان مصر، لتُوَصِّل الماءَ إلى مَسْجِدِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الإطْفيحي. وكان هذا الأشْعُوب بيَدِ الفَقيه الصَّدْرِ العالم أبي الحسين يحيى بن زُهَيْر بن الصَّوَّاف المالِكي رحمه الله [a].

---

a-a) إضافة من مُسَوَّدَة الخِطَط. b) زيادة مما يلي.

---

[1] تَقَعُ تُرْبَة (قُبّة) الشَّافعي بالقَرافَة الصُّغْرَى (فيما يلي ٩٠٩-٩١٤).

[2] راجع ترجمة بَدْر الدِّين السُّنْجاري عند، الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٩: ١٨٣-١٨٥؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧: ٣٨؛ العيني: عقد الجمان ١: ٤١١-٤١٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢١٩.

[3] أقامَ عبدُ اللَّطيف البَغْدادي، في فترة إقامته في مصر، بهذا المسجد يُقْرِئُ النَّاس، كما ذكر في سيرته التي نَقَلَ عنها ابن أبي أُصيبعة: عيون الأنباء ٢: ٢٠٥: ٢٤.

مَقَامُ المُؤْمِن

قيل إنَّه مُؤْمِنُ آل فِرْعَوْن لأنَّه أقامَ فيه[1]. وهذا بَعيدٌ من الصِّحَّة.

قَنَاطِرُ ابن طُولُون وبِئْرُه

[أثر رقم ٣٠٦]

هذه القَناطِرُ قائِمَةٌ إلى اليوم من بِئْر أحمد بن طُولُون التي عند بِرْكَة الحَبَش، وتُعْرَف هذه البِئْر في زَمَنِنا[a] بِبِئْر عَفْصَة، ولا تَزالُ هذه القَناطِرُ إلى أثناء القَرافَةِ الكُبْرَىٰ، ومن هناك خَفِيَت لتَهَدُّمها، وهي من أَعْظَم المباني[2].

قال القُضَاعِيُّ: «قَناطِرُ أحمد بن طُولُون وبِئْرُه بظاهر المَعافِر»، كان السَّبَبُ في بِناءِ هذه القَناطِرِ أنَّ أحمد بن طُولُون رَكِبَ فمَرَّ بمَسْجِد الأَقْدام وَحْدَه، وتقدَّم عَسْكَرُه وقد كَدَّه العَطَش، وكان في المَسْجِدِ خَيَّاطٌ، فقال: يا خَيَّاط، أَعِنْدَكَ ماءٌ؟ قال: نَعم. فأَخْرَجَ له كُوزًا فيه ماءٌ وقال: اشْرَب ولا تَمُدّ، يعني لا تَشْرَب كثيرًا. فتَبَسَّم أحمدُ بن طُولُون، وشَرِبَ فمَدَّ فيه حتى شَرِبَ أكثره، ثم ناوَلَه إيَّاه، وقال: يا فَتَى سَقَيْتنا وقلت لا تَمُدّ! فقال: نَعَم، أَعَزَّكَ الله، مَوْضِعُنا

---

a) بولاق: عندنا.

---

[1] الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٠.

[2] لا تزالُ بعضُ عُقُود قناطِر ابن طُولُون التي تُعْرَف الآن بـ«مَجْرى الإمام» قائمةً، يُتَوَصَّل إليها من الطريق المؤدي إلى قَرافَة البساتين؛ فإذا سار المرءُ في الشَّارع المؤدي إلى قُبَّة الإمام الشافعي ثم يدخل في شارع الطحاوية إلى اليسار، ثم ينعطف إلى اليمين في شارع الكردي، تظهر له بعدما يقرب من كيلومترين القناطِرُ وبُرْجُ المأخذ المتَّصل بها على بعد نحو نصف كيلومتر من هذا الشارع المؤدي إلى البساتين والمعادي. وبُرْجُ المأخذ هذا هو أكثر أجزاء القناطِر الباقية تماسكًا، وشُيِّدَ عند حافَة صَخْرَةٍ بارزة من الأرض يخرج منها وادٍ صغير اقتطع من الصَّخْر، ويتجه نحو السهل الخصب لمنطقة البساتين. وهي مبنية بآجر يُماثل في الشَّكْل والحجم آجر الجامع الطُّولُوني، وعُقُودُها منكسرة مثل عُقُود الجامع أيضًا. (راجع، البلوي: سيرة أحمد بن طولون ٣٥١؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٧–٥٨؛ Hassan, Z. M., *Les Tulunides*, pp. 295-97؛ زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في مصر ٥٥، ٦٤–٦٦؛ Creswell, K.A.C., *EMA* II, pp. 329-32؛ فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية ١: ٥٠١–٥١٠؛ Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 56-57؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٩٧–١١٤).

هلهنا مُنْقَطِع، وإنّما أُخَيِّط جُمْعَتي حتى أَجْمَع ثَمَن رَاوِيَة. فقال له: والماءُ عندكم هاهنا مُعْوِز؟ فقال: نَعَم.

فمَضَى أحمد بن طُولُون. فلمّا حَصَلَ في داره قال: جِيئوني السّاعَة[a] بخَيَّاطٍ في مَسْجِد الأَقْدام، فما كان بأَسْرَعِ من أن جاءوا به. فلمّا رآه قال: سِرْ مع المهندسين حتى يَخُطُّوا عندك مَوْضِع سِقايَة ويُجْروا الماءَ، وهذه أَلْف دينار خُذْها.

وابتدأ في الإنْفاقِ، وأَجْرَى على الخَيَّاطِ في كلّ شهرٍ عشرة دنانير، وقال له: بَشِّرْني ساعَةَ يَجْري الماءُ فيها. فجَدُّوا في العَمَلِ، فلمّا جَرَى الماءُ أتاه مُبَشِّرًا، فخَلَعَ عليه وحَمَلَه، واشْتَرَى له دارًا يَسْكُنها، وأَجْرَى عليه الرِّزْقَ السَّنِيّ الدّارّ.

وكان قد أُشيرَ عليه بأن يُجْرِيَ الماءَ من عَيْنِ أبي خُلَيْد المعروفة بالنَّعْش. فقال: هذه العَيْن لا تُعْرَف أبدًا إلّا بأبي خُلَيد، وإنّي أُريدُ أن أَسْتَنْبِط بِئرًا. فعَدَلَ عن العَيْنِ إلى الشَّرْق، فاسْتَنْبَطَ بِئْرَه هذه، وبَنَى عليها القَناطِر، وأَجْرَى الماءَ إلى الفَسْقِيّة التي بقُرْب دَرْب سالِم [1].

وقال جَامِعُ «السِّيرَة الطُّولُونِيّة»: وأمّا رَغْبَتُه في أبْوابِ الخَيْر فكانت ظاهِرَةً بَيِّنَةً واضِحَةً. فمن ذلك: بِناءُ الجَامِع والبيمارِسْتان، ثم العَيْن التي بناها بالمعافِر[b]، وبناها بِنِيَّةٍ صَحيحَةٍ ورَغْبَةٍ قَوِيَّة، حتى إنها لَيْس لها نَظير، ولهذا اجتهد الماذَرَائِيّون وأَنْفَقُوا الأموالَ الخَطِيرَة ليَحْكوها، فأَعْجَزَهُم ذلك، لأنّها وَقَعَت في مَوْضِعٍ جِيرانُه كلُّهم مُحْتاجُون إليها. وهي مَفْتُوحَةٌ طُول النَّهار لِمَن كَشَفَ وَجْهَه للأَخْذِ منها، ولِمَن كان له غُلامٌ أو جارِيَة، والليل للفُقَراء والمساكين فهي جباة ومعونة. واتَّخَذ لها مُسْتَغَلًّا فيه فَضْل وكِفايَة لمصالِحِها.

والذي تَوَلَّى لأحمد بن طُولُون بِنَاءَ هذه العَيْن رَجُلٌ نَصْرانِيٌّ، حَسَن الهَنْدَسَة حاذِقٌ بها، وأنه دَخَلَ إلى أحمد بن طُولُون في عَشِيَّةٍ من العَشَايا، فقال له: إذا فَرَغْتَ مِمّا تَحْتاجُ إليه فيها[a]، فأَعْلِمْني لنَرْكَب إليها لنراها[c]. فقال: تَرْكَب الأمير - [d]أيَّدَه الله[d] - إليها في غَدٍ فقد فَرَغْت.

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: بالمغافر. c) بولاق: لتراها. d-d) ساقطة من بولاق.

---

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٧- ٥٨.

وتَقَدَّمَ النَّصْرانيُّ فرَأَى مَوْضِعًا بها يَحْتاج إلى قَصْرِيَّة جير وأرْبع طُوبات ، فبادَرَ إلى عَمَلِ ذلك . وأقبلَ أحمدُ بنُ طُولُون يتأمَّل العَيْنَ ، فاسْتَحْسَن جَميعَ ما شاهَدَه فيها ، ثم أقْبَلَ إلى المَوْضِع الذي فيه قَصْرِيَّة الجير ، فوَقَفَ بالاتِّفاقِ عليها ، فلرُطوبَة الجير غاصَت يَدُ الفَرَسِ فيه فكَبَا بأحمد ، ولسُوءِ ظَنِّه قَدَّرَ أن ذلك لمَكْروهٍ أرادَ به النَّصْرانِيُّ ، فأمَرَ به فشَقَّ عنه ما عليه من الثِّياب ، وضَرَبَه خمس مائة سَوْطٍ ، وأمَرَ به إلى المُطْبَق ، وكان المسكينُ يَتَوَقَّع من الجائِزَة مثل ذلك دنانير ، فاتَّفَقَ له اتِّفاقُ سُوءٍ .

وانْصَرَفَ أحمدُ بن طُولُون وأقامَ النَّصْرانيّ ، إلى أن أرادَ أحمد بن طُولون بِناءَ الجَامِع ، فقَدَّرَ له ثلاث مائة عَمُود ، فقيل له : ما تَجِدها ، أو تُنْفِذ إلى الكَنائِس في الأرْيافِ والضِّياعِ الخَراب فتَحْمِل ذلك ، فأنْكَرَه ولم يَخْتَره ، وتَعَذَّبَ قَلْبُه بالفِكْرِ في أمْرِه .

وبَلَغَ النَّصْرانيَّ وهو في المُطْبَق الخَبَرُ ، فكَتَبَ إليه : أنا أبْنيه لك كما تُحِبّ وتَخْتار بلا عُمُد إلّا عَمُودَيِ القِبْلَة ، فأحْضَره ـ وقد طالَ شَعْرُه حتى تَدَلَّى على وَجْهِه ـ فبَناه [1] .

قال : ولمَّا بَنَى أحمدُ بن طُولُون هذه السِّقايَة . بَلَغَه أنَّ قَوْمًا لا يَسْتَحِلُّون شُرْبَ مائِها . قال مُحَمَّدُ بن عبد الله بن عبد الحَكَم الفَقيه : كنت ليلةً في داري ، إذْ طُرِقَت بخَادِمٍ من خُدَّامِ أحمد ابن طُولُون ، فقال لي : الأمير يَدْعُوك . فرَكِبْت مَذْعُورًا مَرْعُوبًا ، فعَدَلَ بي عن الطَّريقِ ، فقُلْت : أيْنَ تَذْهَب بي ؟ فقال : إلى الصَّحْراءِ والأميرُ فيها . فأيْقَنْتُ بالهَلاكِ ، وقُلْت للخَادِمِ : الله الله فيَّ ، فإنِّي شَيْخٌ كبيرٌ ضَعيفٌ مُسِنٌّ ، فتَدْري ما يُراد مِنِّي فارْحَمْني . فقال لي : احْذَر أن يكون لك في السِّقايَةِ قَوْل .

وسِرْتُ معه وإذا بالمشاعِل في الصَّحْراء ، وأحمد بن طُولُون راكِبٌ على بابِ السِّقايَة وبَيْن يَدَيْه الشَّمْعُ ، فنَزَلْت وسَلَّمْتُ عليه ، فلم يَرُدّ عليَّ ، فقُلْتُ : أيُّها الأميرُ إنَّ الرَّسُولَ أعْنَتَني وكَدَّني وقد عَطِشْت ، فيأْذَن لي الأمير في الشُّرْب ، فأرادَ الغِلْمانُ أن يَسْقُوني ، فقُلْتُ : أنا آخُذُ لنَفْسي فاسْتَقَيْت وهو يَراني ، وشَرِبْت وازْدَدْتُ في الشُّرْب حتى كِدْت أنْشَق ، ثم قُلْت : أيُّها الأمير ، سَقاكَ الله من أنْهارِ الجَنَّة فلقد أُرْوِيت / وأُغْنيت ، ولا أدْري ما أَصِفُ : أطِيبَ الماء في حَلاوته ٨:٢
وبَرْده ، أم صَفاءَه ، أم طِيبَ رِيحِ السِّقايَة ؟ قال : فنَظَرَ إليَّ وقال : أُريدك لأمْرٍ وليس هذا وَقْتُه ، فاصْرِفوه ، فصُرِفْت . فقال لي الخَادِمُ : أصَبْت . فقُلْت : أحْسَنَ الله جَزاءَك ، فلَوْلاك لهَلَكْت [2] .

---

[1] البلوي : سيرة أحمد بن طولون ١٨٠- ١٨٢.

[2] لم أجد هذا النّصّ فيما وَصَل إلينا من «السيرة =

وكان مَبْلَغُ النَّفَقَةِ على هذه العَيْنِ في بِنائِها ومُسْتَغَلّها أربعين ألف دينار.

وأنْشَد أبو عُمَر [a] الكِنْدي في كِتابِ «الأُمَراءِ» لسَعيدِ القاصّ أبياتًا في رِثاءِ دَوْلَةِ بني طُولُون، منها في العَيْنِ والسِّقايَة:

[الطويل]

وَعَيْنٌ مَعِين الشُّرْب غير [b] زَكيَّةٍ ... وعينُ أُجاجٍ للرُّواة وَللطُّهْر
كأنَّ وُفودَ النِّيل في جَنَباتِها ... تَروحُ وتَغْدُو بيْنَ مَدٍّ إلى جَزْرِ
فـارَقـها [c] مُسْتَنْبِطًا لمعينها ... من الأرْضِ من بَطْنٍ عَميقٍ إلى ظَهْرِ
بِناءٌ لو انَّ الجِنَّ جاءَت بمِثْلِه ... لقِيلَ لقد جاءَت بمُسْتَفْظَعٍ نُكْرِ
تَمُرُّ على أرْضِ المَعافِر كُلّها ... وشَعْبانَ والأَحْمُور والحَيّ من بِشْرِ
قَبائِلُ لا نَوْءُ السَّحابِ يَمُدُّها ... ولا النِّيلُ يَرْويها ولا جَدْوَلٌ يَجْري [1]

وقال الشَّريفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني النَّسَّابة في كِتاب «الجَوْهَر المَكْنُون في ذِكْر القَبائِلِ والبُطُونِ»: سريع فَخْذٌ من الأشْعَريين، وهم ولد سَريع بن ماتِع، من بني الأَشْعَر بن أدَد بن زَيْد ابن يَشْجُب بن عَريب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، وهم رَهْطُ أبي قَبِيل التّابِعي الذي خِطَّتُه اليوم الكُوم، شَرْقي قَناطِر سِقايَة أحمد بن طُولُون ـ المعروفة بعَفْصَة الكبيرة ـ بالقَرافَة.

الخَنْدَقُ

هذا الخَنْدَقُ كان بقَرافَةِ مصر قد دَثَر، وعلى شَفيره الغَرْبي قَبْرُ الإمام الشَّافِعيّ ـ رضي الله عنه ـ وكان من النِّيل إلى الجَبَل. حُفِرَ مَرَّتين: مَرَّةً في زَمَنِ مَرْوان بن الحَكَم، ومَرَّةً في خِلافَة الأَمين محمد بن هارُون الرَّشيد [2]، ثم حَفَرَه أيضًا القائِدُ جَوْهَرٌ.

a) بولاق: أبو عمرو. b) بولاق: عين. c) بولاق: قارن بها.

= الطُّولونية» للبَلَوي.

[1] الكندي: ولاة مصر ٢٧٦.

[2] راجع حَوْل خَبَر هذا الخَنْدَق، المسعودي: مروج الذهب ٣: ٢٨٨؛ الكندي: ولاة مصر ٦٥؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ١٥٨، ١٦٥–١٦٨. وخَصَّصَ أبو عمر محمد بن يوسف الكِنْدي كتابًا خاصًّا حَوْلَ الحَرْب التي وَقَعَت في سنة ٦٥هـ على الخَنْدَق الذي حَفَرَه ابن جَحْدَم عامل عبد الله بن الزُّبَيْر للدفاع عن الفُسطاط. وعنوان هذا =

قال القُضاعِيُّ: الخَنْدَقُ، هو الخَنْدَقُ الذي في شَرْقِي الفُسْطاط في المقابِر. كان الذي أثارَ حَفْرَه مَسيرُ مَرْوان بن الحكَم إلى مصر، وذلك في سنة خمسٍ وستين، وعلى مصر يومئذٍ عبدُ الرَّحْمَن بن عُقْبَة بن جَحْدَم الفِهْرِي، من قِبَلِ عبد الله بن الزُّبَيْر - رضي الله عنه. فلمَّا بَلَغَه مَسيرُ مَرْوانِ إلى مصر، أَعدَّ واسْتَعَدَّ وشَاوَرَ الجُنْدَ في أمْرِه. فأشارُوا عليه بحَفْرِ الخَنْدَق، والذي أشارَ به عليه رَبيعَةُ بن حُبَيْش الصَّدَفِي. فأَمَرَ ابنُ جَحْدَم بإحْضَارِ المحاريث[a] من الكُوَر لحَفْرِ الخَنْدَق على الفُسْطاط، فلم يَبْق قَرْيَةٌ من قُرَى مصر إلَّا حَضَرَ من أَهْلِها النَّفَرُ.

وكان ابتداءُ حَفْرِه غُرَّة المحرَّم سنة خمسٍ وستين، فما كان شيءٌ أَسْرَعُ من فَراغِهِم منه، حَفَرُوه في شهرٍ واحِد. وكانت الحَرْبُ من وَرائِه يَغْدُون إليها ويروحُون، فسُمِّيَت تلك الأيَّام «أيَّام الخَنْدَق والتَّراويح» لرَواحِهِم إلى القِتال. وكانتِ المَعَافِر[b] أكثر قَبائِل أَهْل مِصر عَدَدًا، كانوا عشرين ألفًا.

ونَزَلَ مَرْوان عَيْنَ شَمْسٍ، لعَشْرٍ خَلَوْن من شهر رَبيع الآخر سنة خمسٍ وستين، في اثني عشر ألفًا، وقيل عشرين ألفًا، فخَرَجَ أَهْلُ مصر إلى مَرْوان، فحَارَبُوه يومًا واحِدًا بعَيْنِ شَمْس، ثم تَحاجَزوا، ورَجَعَ أَهْلُ مصر إلى خَنْدَقِهِم فتحصَّنُوا به، وصَحِبَهُم جُيُوش مَرْوان على باب الخَنْدَق. فاصْطَفَّ أَهْلُ مصر على الخَنْدَق، فكانوا يَخْرُجُون إلى أصحابِ مَرْوان فيُقاتِلونهم نُوَبًا نُوَبًا، وأقامُوا على ذلك عشرة أيَّام، ومَرْوانُ مُقيمٌ بعَيْنِ شَمْس[1].

وكَتَبَ مَرْوانُ إلى شِيعَتِهِ من أَهْلِ مصر - كُرَيْب بن أَبْرَهَة بن الصَّبَّاح الحِمْيَري، وزِياد ابن حَناطَة التُّجيبي، وعايِش[c] بن سَعيد المُرادي - يقول: إنَّكم ضَمِنْتُم لي ضَمانًا لم تَقُومُوا به، وقد طالَتِ الأيَّامُ والممانَعَة. فقام كُرَيْب وزياد وعايِش[c] إلى ابن جَحْدَم، فقالوا له: أيُّها الأمير، إنَّه لا قَوامَ لنا بما تَرَى، وقد رأينا أن نَسْعَى في الصُّلْحِ بينك وبين مَرْوان، وقد مَلَّ النَّاسُ الحَرْبَ وكَرِهُوها وقد خِفْنا أن يُسَلِّمَكَ النَّاسُ إلى مَرْوان فيكون مُحَكَّمًا فيك. فقال: ومَنْ لي بذلك؟ فقال كُرَيْب: أنا لَكَ به.

a) وردت هذه الكلمة في أصل نسخة المؤلف المنقول منها: المواريث، وكتب النسّاخ فوقها: كذا، وواضح أنّه سبق قلم، صوابه ما أثبته. b) بولاق: المغافر. c) بولاق: عابس.

= الكتاب - الذي لم يصل إلينا - «الخَنْدَق» أو «كتاب الخَنْدَق والتَّراويح» لأنَّ أهل مصر كانوا يقاتلون نُوَبًا، وهو من مصادر المقريزي. (فيما تقدم ٣: ٥٤٥).

[1] الكندي: ولاة مصر ٦٦.

فسَفِرَ[a] كُرَيْب وصاحِباه في الصُّلْحِ على أمانٍ كَتَبَه مَرْوان لأَهْلِ مصر وغيرهم مِمَّن شَرِبَ ماءَ النِّيل ، وعلى أن يُسَلِّم لابن جَحْدَم من بَيْتِ المالِ عشرة آلاف دينار ، وثلاث مائة ثَوْب بقطرية ، ومائة رَيْطَة ، وعشرة أفْراس ، وعشرين بَغْلًا ، وخمسين بَعيرًا . فتَمَّ الصُّلْحُ على ذلك .

ودَخَلَ مَرْوان الفُسْطاط مستهلّ جُمادَىٰ الأولىٰ سنة خمس وستين ، فنَزَلَ دارَ الفُلْفُل ، ودَفَعَ إلى ابن جَحْدَم جَميعَ ما صَالَحَه عليه ، وسارَ ابنُ جَحْدَم إلى الحِجاز ، ولم يَلْقَ كلُّ واحِدٍ منهما الآخر[٢].

وتَفَرَّقَ المصريون ، وأَخَذُوا في دَفْنِ قَتْلاهم والبُكاءِ عليهم ، فسَمِعَ مَرْوانُ البُكاءَ ، فقال : ما هذه النَّوادِبُ ؟ فقيل على القَتْلى ، قال : لا أَسْمَع نائِحَةً تَنُوح إلَّا أَحْلَلْت بمن هي في دارِه العُقُوبَة . فسَكَتْن عند ذلك .

ودَفَنَ أَهْلُ مصر قَتْلاهُم فيما بين الخَنْدَق والمُقَطَّم ، وهي المقابِرُ التي يُسَمِّيها المصريون «مَقابِر الشُّهَداء» ، ودَفَنَ أَهْلُ الشَّام قَتْلاهُم فيما بين الخَنْدَق ومُنْيَة الأَصْبَغ[٣] . وكان قَتْلَىٰ أَهْلِ مصر ما بين الستّ مائة إلى السبع مائة ، وقَتْلَى أَهْلِ الشَّام / نحوًا من الثماني مائة[b].

ولمَّا بَرَزَ مَرْوانُ من الفُسْطاطِ سائِرًا إلى الشَّام ، سَمِعَ رَجْبَةَ[c] النِّسَاء يَنْدبن قَتْلاهن ، قال : وَيْحَهن ، ما هذا ؟ قالوا : النِّسَاءُ على مَقابِرهن يَنْدُبْن قَتْلاهن ، فعَرَجَ عليهن ، فأَمَرَ بالانْصِراف . قالوا : كذا هُنَّ كلَّ يوم . قال : فامْنَعُوهُنَّ إلَّا من سَبْتٍ إلى سَبْت[d].

وخَرَجَ مَرْوان من مصر إلى الشَّام لهِلالِ رَجَب سنة خمسٍ وستين ، وكان مُقامُه بالفُسْطاط شهرين ، واسْتَخْلَفَ ابنه عبد العزيز على مصر ، وضَمَّ إليه بِشْر بن مَرْوان ـ وكان حَدَثًا ـ ثم ولَّى عبد الملك بِشْرًا بعد ذلك البَصْرَة .

قال : ثم دَثَر هذا الخَنْدَق إلى أيَّام خَلْعِ الأَمين بمصر ، وبَيْعَة المأمون ، وولى البلد عباد بن محمد ابن حِبَّان ـ مَوْلَى كِنْدَة ـ من قِبَل المأمون . فكَتَبَ الأَمينُ بمصر إلى أَهْلِ الحَوْفَيْن في القِيامِ بِبَيْعَتِه ، وقِتالِ عباد وأَهْل مصر ، فتَجمَّعَ أَهْلُ الحَوْفِ لذلك واسْتَعَدُّوا .

---

a) بولاق : فسعى . b) بولاق : نحو الثلاث مائة . c) بولاق : وجبة . d) بولاق : إلَّا من سبب .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٦٧.

[٢] حاشية بخط المؤلِّف : «مُنْيَة الأَصْبَغ ظاهر الحُسَيْنِيَّة خارج القاهرة».

وبَلَغَ أَهْلَ مصر، فأشاروا على عباد بحَفْر الخَنْدَق، فحَفَرُوا خَنْدَقًا من النِّيل إلى الجَبَل، واحْتَفَرُوا هذا الخَنْدَق العَتيق. فكان القِتالُ عليه أيَّامًا متفرِّقةً إلى أن قُتِلَ الأَمينُ، وتَمَّتْ بَيْعَةُ المأمُون. ثم لم يُحْفَر بعد ذلك إلى يَوْمِنا هذا[1].

وذَكَرَ ابنُ زُولاق أنَّ القائِدَ جَوْهرًا لمَّا اخْتَطَّ القاهِرَة، وكَثُرَ الإرْجافُ بمَسير القَرامِطَة إلى مِصْر، حَفَرَ خَنْدَقَ السَّرِيّ بن الحكَم بباب مَدينَة مِصْر، وعَمِلَ عليه بابًا في ذي القعدة سنة ستين وثلاث مائة، وحَفَرَ خَنْدَقًا في وَسَطِ مَقْبَرَةِ مصر، وهو الخَنْدَق الذي حَفَرَه ابنُ جَحْدَم. ابتدأ حَفْرَه من بِرْكَةِ الحَبَش حتى وَصَلَه بخَنْدَقِ عبد الرَّحْمَن بن جَحْدَم، حتى بَلَغَ به قَبْرَ محمد بن إدْريس الشَّافِعيّ، ثم حَفَرَ من الجَبَلِ إلى أن وَصَل لخَنْدِق ابن جَحْدَم وَسَط المقابر، وبدأ به يوم السبت التاسع من شوَّال سنة إحدى وستين وثلاث مائة، وفَرَغَ منه في مُدَّةٍ يسيرة.

القِبَابُ السَّبْع

[أثر رقم ٤٧٣]

هذه القِبَابُ بآخِر القَرافَة الكُبْرَىٰ مِمَّا يلي مَدينَة مصر[2]. قال ابنُ سَعيدٍ في كِتابِ «المُغْرِب»: والقِبابُ السَّبْعُ، المشهورة بظاهِر الفُسْطاط، هي مَشاهِدُ على سَبْعَةٍ من بني المَغْرِبي، قَتَلَهُم الخليفَةُ الحاكِمُ بعد فِرارِ الوَزير أَبي القاسِم الحُسَيْن بن عليّ بن المَغْرِبي إلى أبي الفُتُوح حَسَن ابن جَعْفر بمَكَّة. وفي ذلك يقول أبو القاسِم بن المَغْرِبي:

---

[1] راجع، الكندي: ولاة مصر ١٧٥–١٧٧.

[2] توجد في المنطقة الخالية المتسعة الواقعة شرق طريق صلاح سالم على بُعْد نحو كيلومتر جنوب عَيْن الصِّيرَة، مجموعةُ أطْلالٍ يُطْلِق عليها العامَّة اسم «السَّبع بَنات». فقد كان يوجد في هذا الموضع سَبْعُ قِبابٍ تَضُمُّ رُفات أعضاء أسرة بني المغربي الذين راحو ضحيةً لجنون الحاكم بأمر الله.

وذكر ابنُ الزَّيات السَّبْع قِباب، وقال: إنَّها على صَفٍّ ذكرها ابنُ مُيَسَّر في قِصَّةٍ طويلة، وهم من الفاطميين. وقد ابتدأ صَاحِبُ «المِصْباح» بزيارة القَرافَة من هنا». (الكواكب السيارة ١٧٨؛ السخاوي: تحفة الأحباب ٢٩٣). وللأسف فإنَّ نَصَّ ابن مُيَسَّر الذي يُشيرُ إليه ابنُ الزَّيات لم يَصِل إلينا.

ولا نستطيع أن نُعَيِّن من بين هذه القِباب الآن سوى أطْلال ثلاث قِباب على خطٍّ واحد، وأطْلالِ قُبَّة رابعة إلى الجنوب تنحرف قليلاً. وتُمَثِّل القِبابُ الأربعة نفس الشَّكْل ونفس الأبْعاد. والقُبَّة الثالثة، الأكثر اكتمالاً، تتكوَّن من قاعة مُرَبَّعَة طول كلِّ ضِلعٍ منها ٤,٩٥ مترًا، وجُدْرانها الأربعة يتخلَّلها في وسطها فتحةٌ معقودة. وكانت هذه القِبابُ في الأساس ست تُرَب ومع ذلك تعرف بالقِباب السَّبْع، كما يذكر النويري (نهاية الأرب ٢٨:١٨٧)، وذلك بسبب تُرْبةٍ سابعة توجد بالقُرْبِ منها هي تُرْبةُ أبي الطَّاهِر الإطْفيحي (السخاوي: تحفة الأحباب ٢٩٣). وجَعَلَ=

[الطويل]

إذا شِئْتَ أن تَرْنُو إلى الطَّفِّ باكِيًا ... فدُونَكَ فانْظُرِ نَحْوَ أَرْضِ المُقَطَّمِ

تَجِدْ من رِجالِ المَغْرِبي عِصابَةً ... مُضَمَّخَةَ الأَجْسَامِ من حُلَلِ الدَّمِ

فكَمْ تَرَكُوا مِحْرابَ آيٍ مُعَطَّلٍ ... وكم تَرَكُوا من سُورةٍ لم تُخَتَّمِ[١]

وقد ذَكَرْتُ أَخْبارَ بني المَغْرِبي عند ذِكْرِ بَساتِين الوَزِير من بِرْكَةِ الحَبَش[٢].

ويتَعَلَّق بهذا المَوْضِع من خَبَرِهم أنَّ أبا الحَسَنِ، عليَّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن محمد ابن المَغْرِبي، لمَّا خَرَجَ من بَغْداد وصارَ إلى مصر في أيّام العَزيز بالله بن المُعِزّ لدين الله، في سنة إحدى وثمانين وثلاث مائةٍ، رَتَّبَ له في كلِّ سنةٍ ستة آلاف دينار، وصارَ من شُيُوخ الدَّوْلَة. فقال يومًا لمُؤَدِّب وَلَدِه أبي القاسِم حُسَيْن - وهو عليّ بن مَنْصور بن طالب، المعروف بأبي الحَسَن دَوْخَلة ابن القارِح[a] - سِرًّا: أنا أخافُ هِمَّةَ ابني أبي القاسِم أن تَنْزُو به إلى أن يُورِدَنا مَوْرِدًا لا صَدْرَ عنه، فإن كانتِ الأنْفاسُ مِمَّا تُحْفَظ وتُكْتَب، فاكْتُبها واحْفَظْها وطالِعْني بها.

فقال أبو القاسِم في بعض الأيَّام لمُؤَدِّبه هذا: إلى متى نَرْضَى بالخُمُولِ الذي نحن فيه؟ فقال له: وأيُّ خُمُولٍ هذا؟ تأْخُذُون من مَوْلانا في كلِّ سنةٍ ستَّة آلاف دينار، وأبوكم من شُيُوخ الدَّوْلَة. فقال: أُريدُ أن تُصار إلى أَبْوابِنا الكَتائِبُ والمواكِبُ والمَقانِبُ، ولا أَرْضَى بأن يُجْرَى علينا كالوِلْدان والنِّسْوان.

---

a) بولاق: القادح.

= النويري بناء الحاكم بأمر الله لهذه القباب نحو شهر ربيع الأوّل سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م. (نهاية الأرب ١٨٧:٢٨). راجع أيضًا، علي مبارك، الخطط التوفيقية ١٦٨:٩- (٦٣-٦٤)؛ Herz, M., «Les Mausolées d'el-Sabaʿ Banât dans la plaine entre l'Imâm al-Chafei et le Vieux - Caire», *CR du Comité* XXVIII (1911), pp. 122-25; Creswell, K.A.C., *MAE* I, pp. 107-113; Massignon, L., «La Cité des morts» *BIFAO* LVII (1958), pp. 51-57؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ٣١:١-٣٣؛ Grabar, O., «The Earlist Islamic Commemorative Structures», *Ars Orientalis* VI (1966), pp. 22-23, n°30؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٢٤٠-٢٤٣؛ Ragib, Y., «Sur un groupe de mausolées du cimetière du Caire», *REI* XL/1 (1972), pp. 189-95; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 647-49؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢٢٩:١-٢٤٣.

[١] ابن سعيد: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٥٧-٥٨؛ السخاوي: تحفة الأحباب ١٧٠-١٧١.

[٢] فيما تقدم ٥٢٣:٣-٥٢٧.

فأعادَ ذلك على أبيه، فقال: ما أَخْوَفَني أن يُخَضِّب أبو القاسِم هذه من هذه. وقَبَضَ على لِحْيَتِه وهامَتِه وعَلِمَ ذلك أبو القاسِم، فصارَت بينه وبين مُؤَدِّبِه وَحْشَةٌ؛ وكان ذلك في خِلافَةِ الحاكِم بأمْرِ الله مَنْصُور بن العَزيز.

وتَحَدَّث القائِدُ أبي عبد الله الحُسَيْن بن جَوْهَر، وكان الحاكِمُ قد أكثر من قَتْلِ رُؤساءِ دَوْلَتِه، وصارَ يَبْعَث إلى القائِد كلَّما قَتَلَ رَئيسًا برأسِه، ويقول: هذا عَدُوّي وعَدُوّك. فقَبَضَ على أبي الحَسَن علي بن الحُسَيْن المَغْرِبي، والِد الوَزير أبي القاسِم الحُسَيْن، وعلى أخيه أبي عبد الله محمد ابن الحُسَيْن، وعلى مُحَسِّن ومحمد أخَوَيّ الوَزير المذكور لثلاثٍ خَلَوْن من ذي القعدة سنة أربع مائةٍ، وفَرَّ الوَزيرُ أبو القاسِم الحُسَيْن بن المَغْرِبي من مصر، في زِيّ حَمّالٍ، لليالٍ من ذي القِعْدَة، ولَحِقَ بحَسّان بن الجَرّاح، وكان من أمْرِه ما كان.

ذِكْرُ الأحْواضِ والآبارِ التي بالقَرافَة

حَوْضُ القَرافَة

أَمَرَ ببنائِه السَّيِّدَةُ سِتُّ المُلْك، عَمَّة الحاكِم بأمْرِ الله ابنة المُعِزّ لدين الله، في شَعْبان سنة ستٍّ / وستين وثلاث مائةٍ، واخْتَلَّ في أيّام العادِل أبي الحَسَن ابن السَّلار، وَزير مصر في سنة ستٍّ وأربعين وخمس مائةٍ، فأمَرَ بعِمارَتِه.

ثم انْشَقَّ في سنة ثمانين وخمس مائةٍ. فجَدَّده القاضي السَّعيد ثِقَةُ الثِّقات ذو الرِّياستين أبو الحَسَن علي بن عُثْمان بن يُوسُف بن إبراهيم بن يُوسُف بن أحمد بن يَعْقُوب بن مُسْلِم بن مُنَبِّه، أحد بني عبد الله بن عبد الرَّحْمَن بن أبي رَبيعَة بن المُغيرَة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم المَخْزُومي، صَاحِبُ النَّظَرِ في ديوان مصر، ومُصَنِّفُ كِتاب «المِنْهاج في أحْكامِ الخَراج»، وهو كِتابٌ جَليلُ الفائِدَة[1].

[1] راجع ما كتبته عن المخزومي وكتابه «المنهاج في أحكام خراج مصر» فيما تقدم ١:٨٢-٨٣.

ولم تَزَل آثارُ هذا القاضي حَميدَةً، ومَقاصِدُه سَديدَةً، وعنده نَخْوَةٌ قُرَشِيَّةٌ ومُروءَةٌ وعَصَبِيَّة. وهو وإن طَابَ أُصُولًا فقد زَكا فُرُوعًا، وإن تَفَرَّقَت في سِواه فَضائِلُ فقد جَمَعها الله جَميعًا، ولم يَزَل مُنْذُ كان يَسْعَى في الأمانة على صِراطٍ مُسْتَقيم، آخِذًا بقَوْلِه تعالى إخْبارًا عن الكريم ابن الكريم: ﴿اجْعَلْني على خَزائِنِ الأَرْضِ إنّي حَفيظٌ عَليمٌ﴾ [الآية ٥٥ سورة يوسف].

الحَوْضُ
بجوار قَصْر القَرافَة

في ظَهْرِ الحَمّام العَزيزي، بحَضْرَة قُرْن القَرافَة، أَمَرَت ببنائِه أمُّ الخَليفَة الظّاهِر لإعْزاز دين الله - واسْمها السَّيِّدَة رَصَد - على يَد وَكيلِها الشَّريف المُحَدِّث أبي إبراهيم أحمد بن القاسم ابن المَيْمُون ابن حَمْزَة الحُسَيْني العَبْدَلي، شيخ القُرّاء[a] وابن الخَطّاب التككي[b].

حَوْضٌ بحَضْرَة الأشْعُوب

وهو قَصْرُ بني عُقَيْب [c].

حَوْضٌ في داخِل قَصْر أبي المَعْلُوم

مُجاوِر للبِئْر الكبيرة ذات الدَّواليب. بَناهُ المُحْتَسِبُ الفارِسي، مع بنائِه[d] البِئْر والمَيْضَأة، في أيّام السَّيِّدَة أمّ العَزيز. ويُقالُ إنَّ الحَوْضَ والبِئْرَ من بِناءِ المَاذَرائي[e]، وإنّما جَدَّدَته عَمَّةُ الحاكِم.

حَوْضٌ بقَصْر بني كَعْب وبجانِبه بِئْر

أنْشَأه الحاجِبُ لُؤْلُؤ، وهو من حُقُوقِ قَصْر بني كَعْب. وقد خَرِبَت هذه الأَحْواضُ ودَثَرَت.

---

a) بولاق: الفراء. b) بولاق: الفلكي. c) بياض بنسختي ميونخ وآياصوفيا. d) بولاق: عمارة. e) بولاق: المادراني.

ذِكْرُ الآبارِ التي بِبِرْكَةِ الحَبَش والقَرافَة

بِئْرُ أبي سَلامَة

وتُعْرَف بِبِئْر الغَنَم، وهي قِبْلي البوينة، وموضعها أحْسَن مَوْضِع في البِرْكَة، وهي التي عَنَى أبو الصَّلْت أُمَيَّة بن عبد العَزيز بقَوْلِه:

[السريع]

لله يَـوْمـي بـبِـرْكَـةِ الحَبَـش ... والأُفُقُ بين الضِّـيَاءِ والغَـبَش
والنِّيلُ تَحْتَ الرِّياح مُضْطَرِبٌ ... كَـصـارِمٍ في يَمـينِ مُرْتَـعِـش
ونَـحْـنُ في رَوْضَـةٍ مُـفَـوَّفَـةٍ ... دُبِّج بالنُّـورِ عِـطْـفُـها ووُشّي
قد نَـسَـجَـتْـها يَدُ الغَـمَامِ لما ... فنحن من نَسْجِها على فَرَشِ
وأثْـقَـلُ الـنَّـاسِ كـلّـهـم رَجُـلٌ ... دَعاه داعي الهَوَى فلم يَطِشِ
فـعـاطِـنـي الرّاحَ إنَّ تـارِكَـهـا ... من سُورَةِ الهَمّ غير مُنْتَعِشِ
واسْـقِـنـي بـالـكِـبـارِ مُـتْـرَعَـةً ... فـهـن أَشْـفَي لِـشِـدَّة العَـطَـشِ

بِئْرُ غَرْبي دَيْر مَرْحَنّا وبُسْتان العَبيدي

ودَيْر مَرْحَنّا يُعْرَف اليوم في زَمانِنا بدَيْر الطِّين، وهو عامِرٌ بالنَّصارَىٰ[1].

بِئْرُ الدَّرَج

شرقي بَساتين الوَزير، لها دَرَجٌ يُنْزَل به إليها، عَمِلَها الحاكِمُ بأمْر الله، وشَرْقيها قُبُورُ النَّصارَىٰ، وبعدهم إلى جِهة الجَبَل قُبُورُ اليَهود، والبُسْتانُ المجاوِر لعَقَبة الصُغْرَىٰ ـ أوّل بِرْكَة الحَبَش ـ على لِسان الجَبَل الخارج إلى البِرْكَة، مُجاوِرَة لبِئْر النَّعْش وبِئْر السَّقَّايين، وهي المعروفة بِبِئْر أبي مُوسَىٰ خُلَيْد، وقد صارَ هذا البُسْتانُ إلى المُهَذَّب بن الوَزير[2].

---

[1] فيما يلي.

[2] علي مبارك: الخطط التوفيقية ٩:١٦٨ (٦٤).

بِئْـرُ الزُّقَاق

شَرْقي عَفْصَة الصُّغرىٰ ، والزُّقَاقُ معروفٌ إذْ ذاك في الجَبَل ، وفي أوَّلِه بِئْرٌ مُرَبَّعَة كان يُسْقَى منها البَقَرُ والغَنَم .

ذِكْرُ السَّبْعَةِ التي تُزارُ بالقَرافَة [1]

اعْلَم أنَّ زِيارَة القَرافَة كانت أوَّلًا يوم الأرْبعاء ، ثم صارَت لَيْلَة الجُمُعَة ، وأمَّا زِيارَةُ يوم السبت فقيل إنَّها قَديمَةٌ ، وقيل / متأخِّرَة . ٤٦١ وأوَّلُ من زارَ يوم الأربعاء ، وابْتَدَأ بالزِّيارَة من مشْهَد السَّيِّدَة نَفيسَة ، الشَّيخُ الصَّالِح أبو محمد عبد الله بن رافِع بن تَرْجَم بن رافِع ، الشَّارعي الشَّافِعي المقابِري ، الزَّوّار المعروف بعابِد . ومولده سنة إحدى وستين وخمس مائةٍ ، ووَفاتُه بالهِلاليَّة خارِج باب زَويلَة في ليلة الثَّاني والعشرين من شَعْبان سنة ثمانٍ وثلاثين وستّ مائةٍ ، ودُفِنَ بسَفْحِ المُقَطَّم على تُرْبَةِ بني نَهار بَحْري تُرْبَة الرُّوذَيْني .

وأوَّلُ من زارَ ليلة الجُمُعَة الشَّيْخُ الصَّالِحُ المقرئُ أبو الحَسَن علي بن أحمد بن جَوْشَن ـ المعروف بابن الجَبَّاس ـ والِد شَرَف الدِّين محمد بن علي بن أحمد بن الجَبَّاس ، فجَمَع النَّاسَ وزارَ بهم في لَيْلَةِ الجُمُعَة في كلِّ أسْبُوع ، وزارَ معه في بعض اللَّيالي السُّلْطانُ الملكُ الكامِلُ ناصِرُ الدِّين أبو المعالي محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب ، ومَشَى معه أكابِرُ العُلَماء .

وكان سَبَبُ تَجَرُّدِ أبي الحَسَن بن الجَبَّاس وانْقِطاعِه إلى الله تعالى ، أنَّه دَوْلَب مَطْبَخ سُكَّر شَرِكَة رجل ، فوَقَفَ عليهما مالٌ للدِّيوان فسُجِنَا بالقَصْر ، فقرأ ابنُ الجَبَّاس في بعض اللَّيالي سورَة الرَّعْد ، فسَمِعَه السُّلْطانُ الملكُ العادِلُ أبو بكر بن أيُّوب ، فقامَ حتى وَقَفَ عليه وسأله عن خَبَرِه ، فأعْلَمَه بأنَّه سُجِنَ على مَبْلَغِ كذا ، فأمَرَ بالإفْراجِ عنه ، فأبى إلَّا أن يُفْرَج عن رَفيقِه أيضًا ، فأُفْرِجَ عنهما جَميعًا .

واتَّفَقَ أنَّه مَرَّ في بَعْضِ ليالي الزِّيارَة بزَاوِيَةِ الفَخْر الفارِسي ، فخَرَجَ وقال له : ما هذه البِدْعَة ؟ في غَدٍ أُبْطِلُها . ثم دَخَلَ الزَّاوية وخَرَجَ بعد ساعَةٍ ، وأَمَرَ برَدِّ ابن الجَبَّاس ، فلمَّا جاءَه قال : دُمْ على ما

---

[1] انظر ما كتبه حول هذا الموضوع أنور لوقا في مجلة أرابيكا. Louca, A., «Pèlerinage à trois voix. Lecture d'un texte de Maqrîzî», *Arabica* XXXVI (1989), pp. 93-108.

أنت عليه ، فإنّي رأيت قَوْمًا السَّاعة ، فقالوا : هل تُعْطينا ما يُعْطينا ابنُ الجَبَّاس في ليالي الجُمَع ؟ فعَلِمْتُ أنَّ ذلك هو الدُّعاءُ والقِراءَة .

وأمّا زيارَةُ يوم السَّبْت ، فقد تقَدَّم أنَّه اخْتُلِفَ فيها ، وحَكَى المُوَفَّقُ بن عُثْمان ، عن القُضَاعيّ ، أنّه كان يَحُثُّ على زِيارَةِ سَبْعَةِ قُبُورٍ ، وأنَّ رَجُلًا شَكَا إليه ضَيق حَالِه والدَّيْن ، فقال له : عليك بزِيارَة سَبْعَةِ قُبُور [1] .

أوَّلُهم : الشَّيْخ أبو الحَسَن علي بن محمد بن سَهْل بن الصَّائغ الدِّيْنَوَري ، وتوفي ليلة الثلاثاء لثلاثَ عشرة بقيت من شهر رَجَب سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائةٍ .

والثَّاني : عبد الصَّمَد بن محمد بن أحمد بن إسْحاق بن إبراهيم البَغْدادي ، صَاحِب الخُلَفاء ، وتوفي سنة خمسٍ وثلاثين وثلاث مائةٍ .

والثَّالِث : أبو إبراهيم إسْماعيل ابن   المُزَني ، وتوفي سنة أربعٍ وستين ومائتين .

والرَّابع : القاضي بَكَّار بن قُتَيْبَة ، وتوفي سنة سبعين ومائتين .

والخَامِس : القاضي المُفَضَّل بن فَضالَة ، وتوفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين .

والسَّادِس : القاضي أبو بكر عبد الملك بن الحَسَن القُمْني ، وتوفي في ذي الحِجَّة سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائةٍ .

والسَّابع : أبو الفَيْض ذو النُّون ثَوبان بن إبراهيم المِصْري ، وتوفي سنة خمسٍ وأربعين ومائتين .

وكانوا أوَّلًا يَزورُون بعد صَلاةِ الصُّبْح ، وهم مُشَاةٌ على أقْدامِهم ، إلى أن كانت أيَّامُ شَيْخ الزُّوَّار محمد العَجَمي السُّعودي ، فزارَ راكِبًا في يوم السبت بعد طُلُوعِ الشَّمْس ، لأنَّ رجليه كانتا مُعَوَّجَتَيْن لا يستطيع المَشْي عليهما ، وذلك في أواخِر سنة ثمان مائةٍ . وتوفي في عاشِر شهر رَمَضَان سنة تسعٍ وثمان مائةٍ .

فجاءَ بعده الزَّائر شَمْس الدِّين محمد بن عيسىٰ المَرْجُوشي السُّعُودي ، ومُحْيي الدِّين عبد القادِر بن عَلاءِ الدِّين محمد بن عَلَم الدِّين بن عبد الرَّحْمن ـ الشهير بابن عُثْمان ـ ففعَلا ذلك ، ومات ابنُ عُثْمان في سابع شهر رَبيع الآخر سنة خمسَ عشرةَ وثمان مائةٍ . فاسْتَمَرَّتِ الزِّيارَةُ على ذلك .

وقد حَكَى صَاحِبُ كِتابِ «مَحاسِن الأبْرار ومَجالِس الأخْيار» سبعةً غير من ذَكَرْنا ، وسَمَّاهم المُحَقِّقين ، وهم : صِلَةُ بن مُؤَمَّل ، وأبو محمد عبد العَزيز بن أحمد بن علي بن جَعْفَر الخُوارَزْمي ، وسَالِمُ العَفيف ، وأبو الفَضْل بن الجَوْهَري ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحُسَيْن ـ عُرِفَ

---

[1] الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٣٣٢ ؛ ابن الزيات : الكواكب السيارة ٣٢١ .

بالبَزَّار ـ ، وأبو الحسن علي ـ عُرِفَ بطَيْر الوَحْشِ ـ ، وأبو الحَسَن علي بن صَالِح الأَنْدَلسي الكَحَّال .

وذَكَرَ أيضًا سبعةً أُخَرَ ، وهم : عُقْبَة بن عامِر الجُهَني ، والإمام أبو عبد الله محمد بن إدْريس الشَّافِعي ، وأبو بكر الدَّقَّاق ، وأبو إبراهيم إسْماعيل المُزَني ، وأبو العَبَّاس أحمد الجَزَّار ، والفَقيه ابن دِحْيَة ، والفقيه ابن فارِس اللَّخْمي . وزِيارَتُهم يوم الجُمُعَة بعد صَلاةِ الصُّبْح ، والعَمَل عليها في الزِّيارَة الآن ، إلَّا إنَّهم يجتمعون طَوائِفَ ، لكلِّ طائِفَةٍ شَيْخ ، ويُقيمُون مَناوِر كِبارًا وصِغارًا ، ويخرجون في ليالي الجُمَع ، وفي كلِّ سَبْتٍ بُكْرَةَ النَّهار ، وفي كلِّ يومِ أرْبعاء بعد الظُّهْر ، وهم يَذْكُرون الله ، فيزورُون ، ويَجْتَمع معهم من الرِّجالِ والنِّساءِ خَلائِقُ لا تُحْصَى ، ومنهم من يَعْمَل ميعادَ وَعْظٍ ، ويقال لشَيْخ كلِّ طَائِفَةٍ «الشَّيخ الزَّائِر» . فتَمُرُّ لهم في الزِّيارَةِ أُمُورٌ منها ما يُسْتَحْسَن ، ومنها ما يُنْكَر ، ولكُلِّ عَبْدٍ ما نَوَى .

فمن أَشْهَر مَزارَاتِ القَرافَة

قبْرُ الإمام أبي عبد الله محمد بن إدْريس الشَّافِعيّ[1]

رَحمة الله ورِضوانُه عَلَيْه

[أثر رقم ٢٨١]

وتوفِّي يومُ الجُمُعَة آخِر يومٍ من شهر رَجَب سنة أربعٍ ومائتين بفُسْطاطِ مصر ، وحُمِلَ على الأَعْناقِ حَتَّى دُفِنَ في مَقْبَرَةِ بني زُهْرَة ، أوْلاد عبد الله بن عبد الرَّحْمَن بن عَوْف الزُّهْري ـ رضي الله عنه ـ وعُرِفَت أيضًا بتُرْبَةِ أوْلادِ ابن عَبْد الحَكَم .

وقال القُضاعِيُّ : وقد جَرَّبَ النَّاسُ خيْرَ هذه التُّرْبَة المُبارَكَة والقَبْرِ المُبارَك .

ويُنْقَلُ عن المُزَنيّ أنَّه قال فيه :

[الطويل]

سَقَى الله هذا القَبْرَ من أجْلِ من به[a] من العَفْوِ ما يُغْنيه عَنْ طَلَلِ المُزْنِ

---

a) بولاق : وَبْل مُزْنه .

---

[1] انظر مراجع ترجمة الإمام محمد بن إدريس الشّافعي ، فيما تقدم ٣٦٩هـ [٢] .

لقد كان كُفُوًا للعِداةِ ومَعْقِلًا ورُكْنًا لهذا الدِّين ، بَلْ أيُّما رُكْنِ

هكذا وَقَفْتُ عليه ، ثم رَأَيْتُ بعد ذلك أنَّ المُزَنِيّ - رحمه الله - لمَّا دُفِنَ ، مَرَّ رَجُلٌ على قَبْرِه ، وإذا بهاتِفٍ يقول... فذَكَرَ البَيْتَيْن .

وقال آخَرُ : [البسيط]

لله دَرُّ الثَّرَى ما ضَمَّ من كَرَمٍ بالشَّافِعي حَليفِ العِلْمِ والأَثَرِ
يا جَوْهَرَ الجَوْهَرِ المَكْنُونِ من مُضَرٍ ومن قُرَيْشٍ ومن سَادَاتها الأُخَرِ
لمَّا تَوَفَّيْتَ وَلَّى العِلْمُ مُكْتَئِبًا وضَرَّ مَوْتُك أَهْلَ البَدْوِ والحَضَرِ[1]

ولآخَرَ : [البسيط]

أَكْرِمْ به رَجُلًا ما مِثْلُه رَجُلٌ مُشارِكٌ لرَسُولِ الله في نَسَبِه
أَضْحَى بمِصر دَفِينًا في مُقَطَّمِها نِعْمَ المُقَطَّمِ والمَدْفُونِ في تُرَبِه

ومَناقِبُ الشَّافِعيّ - رحمه الله - كثيرةٌ ، قد صَنَّفَ الأَئِمَّةُ فيها عِدَّةَ مُصَنَّفاتٍ[2] ، وله في «تاريخي الكبير المُقَفَّى» ترجمةٌ كبيرةٌ[3] .

ومن أَبْدَعِ ما حُكِيَ من مَنَاقِبِه : أنَّ الوَزيرَ نِظامَ المُلْك ، أبا عليّ الحَسَن بن عليّ بن إسْحاق ، لمَّا بَنَى المَدْرَسَة النِّظاميَّة ببَغْداد ، في سنة أربع وسبعين وأربع مائة ، أَحَبَّ أن يَنْقِلَ الإمامَ الشَّافِعيّ من مَقْبَرَتِه بمصر إلى مَدْرَسَته ، وكَتَب إلى أمير الجُيُوش بَدْرٍ الجَمَالي - وَزير الإمام المُسْتَنْصِر بالله مَعَدّ - يَسْأَله في ذلك ، وجَهَّز له هَدِيَّةً جَليلَةً . فرَكِبَ أَميرُ الجُيُوش في مَوْكِبه ، ومعه أعْيانُ الدَّوْلَة ووُجُوهُ المصريين من العُلَماءِ وغيرهم ، وقد اجْتَمَع النَّاسُ لرُؤْيَتِه . فلمَّا نَبَش القَبْرَ ، شَقَّ ذلك على النَّاسِ وماجُوا ، وكَثُرَ اللَّغَطُ ، وارْتَفَعَتِ الأَصْواتُ ، وهَمُّوا برَجْمِ أَمير الجُيُوشِ والثَّوْرَة به ، فسَكَّتَهُم ، وبَعَثَ يُعْلِم الخَليفَةَ أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بصُورَةِ الحَال . فأعادَ جَوابَه بإمْضاءِ ما أرادَ نِظامُ المُلْك ، فقُرِئَ كِتابُه بذلك على النَّاسِ عند القَبْرِ ، وطُرِدَت العامَّةُ والغَوْغاءُ من حَوْلِه ، ووَقَعَ الحَفْرُ حتى انْتَهوا إلى اللَّحْدِ . فعندما أرادُوا قَلْعَ ما عليه من اللَّبِن ، خَرَج من اللَّحدِ رائِحَةٌ عَطِرةٌ أَسْكَرَت من حَضَرَ فَوْقَ القَبْرِ حتى وَقَعُوا صَرْعَى ، فما أفاقُوا إلَّا بَعْد

---

[1] الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٤٩٥-٤٩٦ .

[2] انظر الكتب المُصَنَّفَة في مناقِب الإمام الشَّافِعي ، فيما تقدم ٣٦٩-٣٧٠هـ ٢ .

[3] المقريزي : المقفى الكبير ٥: ٣٠٩-٤١٩ .

ساعَةٍ، فاسْتَغْفَروا مِمَّا كان منهم، وأَعادُوا رَدْمَ القَبْرِ كما كان، وانْصَرَفُوا.

وكان يَوْمًا من الأَيَّام المذكورة، وتَزاحَمَ النَّاسُ على قَبْرِ الشَّافِعِيّ يَزورُونَه مُدَّةَ أربعين يومًا بلياليها، حتى كان من شِدَّةِ الازْدِحام لا يُتَوَصَّل إليه إلَّا بعَناءٍ ومَشَقَّةٍ زائِدَة. وكَتَبَ أميرُ الجُيُوشِ مَحْضَرًا بما وَقَعَ، وبَعَثَ به وبهَدِيَّةٍ عَظيمَةٍ مع كِتابِه إلى نِظام المُلْك، فقُرِئَ هذا المَحْضَرُ والكِتابُ بالمَدْرَسَةِ النِّظامِيَّة[a] ببَغْداد وقد اجْتَمَعَ العالَمُ على اخْتِلافِ طَبَقاتِهِم لسَماعِ ذلك، فكان يَوْمًا مَشْهودًا ببَغْداد.

وكَتَبَ نِظَامُ المُلْكِ إلى عامَّةِ بُلْدانِ المَشْرق - من حُدُودِ الفُراتِ إلى ما وَرَاءِ النَّهْر - بذلك، وبَعَثَ مع كُتُبِه بالمَحْضَرِ وكِتابِ أمير الجُيُوش، فقُرِئَت في تلك الممالِك بأَسْرِها، فزادَ قَدْرُ الإمام الشَّافِعِيّ عند كافَّةِ أَهْلِ الأَقْطار وعامَّةِ جَميعِ أَهْلِ الأَمْصَار بذلك.

وقد أَوْرَدْتُ في كِتاب «إمْتاعِ الأَسْمَاعِ بِمَا للرَّسُولِ من الأَنْبَاءِ والأَحْوالِ والحَفَدَةِ والمَتَاعِ ﷺ» نَظِير هذه الوَاقِعَة، وَقَعَ لضَريح رَسُولِ الله ﷺ.

ولم يَزَل قَبْرُ الشَّافِعِيّ يُزارُ ويُتَبَرَّكُ به، إلى أن كان يوم الأَحَد لسَبْعٍ خَلَت من جُمادَىٰ الأُولىٰ سنة ثمانٍ وستّ مائةٍ، فانتهى بِنَاءُ هذه القُبَّة التي على ضَريحِه، وقد أَنْشَأَها الملكُ الكامِلُ المُظَفَّرُ المَنْصُور أبو المعالي ناصِر الدِّين محمد، ظَهير أمير المؤمنين، ابن السُّلْطان الملك العادِل سَيْف الدِّين أبي بكر بن أَيُّوب، وبَلَغَت النَّفَقَةُ عليها خمسين ألف دينار مصرية، وأُخْرِج في وَقْتِ بِنائِها بعِظامٍ كثيرةٍ من مَقابِرَ كانت هناك، ودُفِنَت في مَوْضِعٍ من القَرافَة[1].

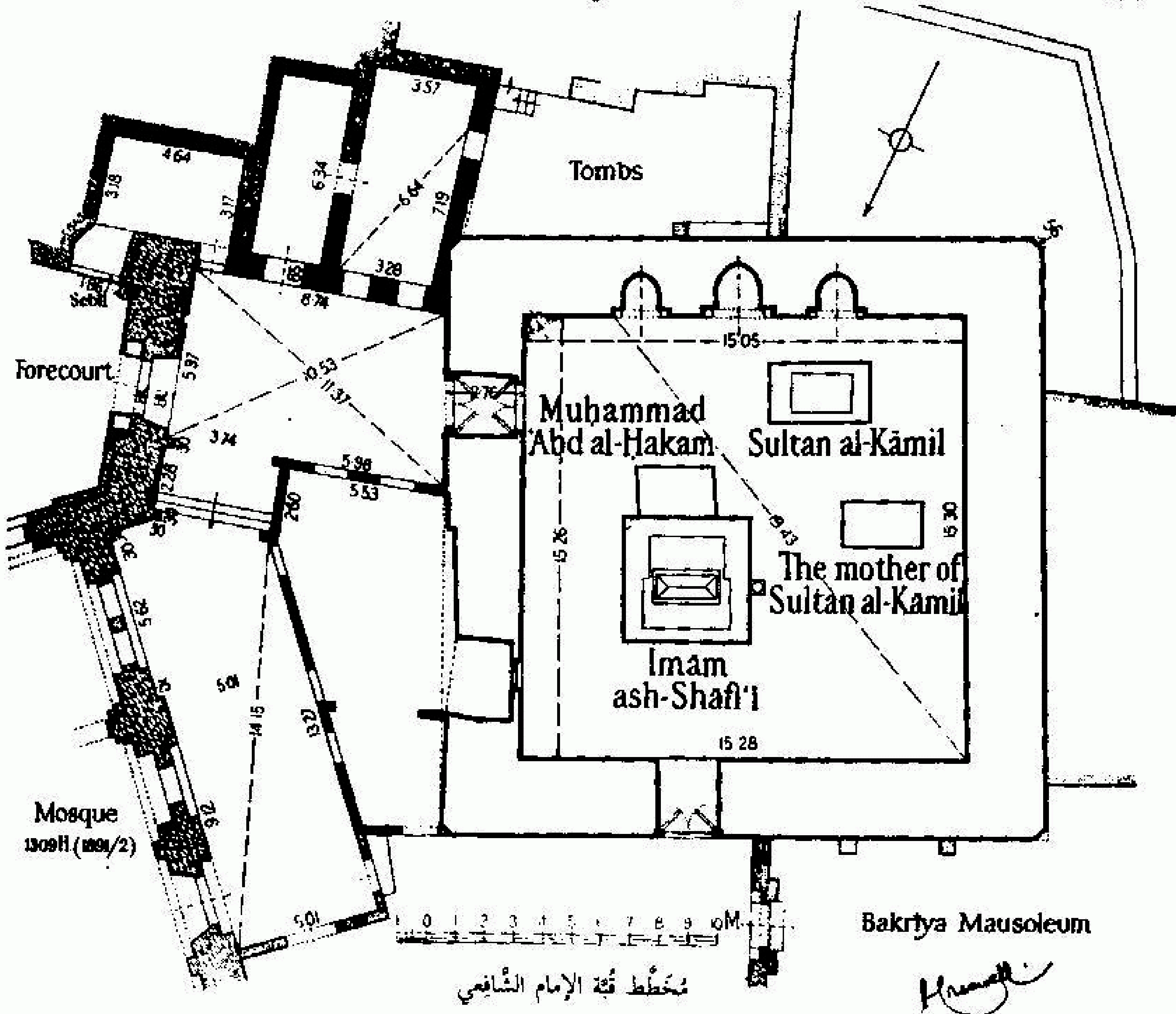
---

a) بولاق: بالنِّظامية.

---

[1] فيما تقدم ٨٥١.

وما تزالُ قُبَّةُ الإمام الشَّافِعي قائمةً في الشَّارع المعروف به والذي يبدأ من أسْفَل كوبري السَّيِّدَة عائشة عند باب القرافة. (راجع، ابن جبير: الرحلة ٢٢-٢٣؛ الموفق ابن عثمان: مرشد الزوار ٤٨٣-٤٩٦؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٤؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ٢٠٩-٢١٥؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٠٦-١١٣؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ٢: ٣٣-٣٦؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٢: ١٤٠-١٥٧؛ محمود وصفي محمد: مقام الإمام الشافعي والعُشاري ٦٠٨هـ-١٢١١م، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ٢ (١٩٧٧)، ٢٢٠-٢٣٢؛ Wiet, G., «Les inscriptions du Mousolée de Shâfiʿî», *BIE* XV (1932-33), pp. 167-85; Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 64-76 ; van Reeth, J., «La barque de l'Imam as Safiʿî» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyûbid and Mamluk Eras* II, pp. 249-63؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٩٧١-٩٨٣.



مُخطَّط قُبّة الإمام الشّافعي

وبهذه القُبَّة أيضًا قَبْرُ السُّلْطان الملك العَزيز عُثْمان ابن السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف ابن أيُّوب ، وقَبْرُ أُمِّه شَمْسَة . وقيل فيها عِدَّةُ أشْعارٍ ، منها قَوْلُ الأديب الكاتِب ضِياء الدِّين أبي الفَتْح مُوسَى بن مُلْهِم :

[المتقارب]

مَـرَرْتُ عـلى قُـبَّـةِ الـشَّـافِـعيّ فـعـايَـن طَـرْفِي عـلـيها العُـشاري

فـقُـلْـتُ لِـصَـحْـبِـي لا تَـعْـجَـبُـوا فـإنَّ المَراكِـبَ فَـوْقَ الـبِـحَـارِ[١]

/وقال عَلاءُ الدِّين أبو عَمْرو[a] عُثْمان بن إبراهيم النَّابُلُسي :

---

a) بولاق : أبو علي .

---

[١] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٨٠ .

[المتقارب]

لقد أَصْبَحَ الشَّافِعيُّ الإما مُ فينا له مَذْهَبٌ مُذْهِبُ
ولو لم يَكُن بَحْرَ عِلْمٍ لما غَدَا وعلى قَبْرِه مَرْكَبُ

وقال آخَر:

[الطويل]

أَتَيتُ لقَبْر الشَّافِعيّ أَزورُه فعَارَضْنا فُلْكٌ وما عنده بَحْرُ
فقُلْتُ تعالى الله تِلْكَ إشارَةٌ تُشيرُ بأنَّ البَحْرَ قد ضَمَّه القَبْرُ

وقال شَرَفُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن سَعيد بن حَمَّاد البُوصيري صَاحِبُ البُرْدَة:

[الطويل]

بقُبَّةِ قَبْرِ الشَّافِعيّ سَفينَةٌ رَسَت في بِناءٍ مُحْكَمٍ فَوْق جُلْمُودِ
ومُذْ غاضَ طُوفانُ العُلومِ بقَبْرِه اسْـ ـتَوى الفُلْكُ من ذاكَ الضَّريحِ على الجُودي[1]

ومنها:

قَبْرُ الإمام اللَّيْث بن سَعْد

رَحِمَه الله[2]

قد اشْتُهِرَ قَبْرُه عند المتأخِّرين. وأوَّلُ ما عَرفته من خَبَرِ هذا القَبْرِ: أنَّه وُجِدَت مَصْطَبَةٌ في آخِر قِبَابِ الصَّدَف[3] ـ وكانت قِبابُ الصَّدَفِ أربع مائة قُبَّة فيما يُقال ـ عليها مكتوبٌ:

«الإمامُ الفَقيه الزَّاهِد العالِم اللَّيْث بن سَعْد بن عبد الرَّحْمَن أبو الحارِث المصري، مُفْتي أَهْل مصر».

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨١. وانظر عن العُشاري الموجودة فوق قُبَّة الشَّافعي، محمد وصفي محمد: «مقام الإمام الشافعي والعُشاري ٦٠٨هـ-١٢١١م»، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ٢ (١٩٧٧)، ٢٢٠-٢٣٢؛ van Reeth, J., «La barque de l'Imam ash-Shâfi'î», dans U. Vermeulen (ed.) *Egypt and Syria in Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, II, pp. 249-63.

[2] ما زال قَبْرُ الإمام اللَّيْث قائمًا بشارع الإمام اللَّيْث جنوب قُبَّة الإمام الشافِعي، راجع حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٩٨-٢٠١؛ وانظر مراجع ترجمة اللَّيْث بن سَعْد، المتوفى سنة ١٧٥هـ/٧٩١م فيما تقدم ٣٦٤هـ[1].

[3] في مُرْشد الزوار ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٧٧: «قِبابُ الصَّدَفيين»، وفي الكواكب السيارة ٨٣: «مقابِرُ بني الصَّدَف» الذين منهم المؤرِّخُ المصري أبو العبَّاس أحمد ابن يُونُس بن عبد الأعْلَىٰ الصَّدَفي الشَّافعي.

كما ذُكِرَ في كِتابِ «هادي الرَّاغِبين في زِيارَةِ قُبُور الصَّالِحِين» لأبي محمد عبد الكَرِيمَ ابن عبد الله بن عبد الكَرِيم بن عليّ بن محمد بن عليّ بن طَلْحَة [1]، وفي كِتابِ «مُرْشِد الزُّوَّار» للمُوَفَّق ابن عُثْمان [2]. وذَكَرَ الشَّيْخُ محمد الأَزْهَري في كِتابِهِ «في الزِّيارَة» أنَّ أوَّلَ من بَنى عليه وحَيَّرَ، كبيرُ التُّجَّار أبو زَيْدٍ المصري، بعد سنة أربعين وستّ مائةٍ.

ولم يَزَلِ البِناءُ يَتَزايدُ إلى أن جَدَّدَ الحاجُ سَيْفُ الدِّين المقدَّم عليه قُبَّتَه، في أيَّام الأَشْرَف شَعْبان ابن حسين بن محمد بن قلاوون، قُبَيْل سنة ثمانين وسبع مائةٍ، ثم جُدِّدَت في أيَّام النَّاصِر فَرَج ابن الظَّاهر بَرْقُوق، على يد الشَّيْخ أبي الخَيْر محمد ابن الشيخ سليمان المادِح، في محرَّم سنة إحدى عشرة وثمان مائةٍ.

ثم جُدِّدَت في سنة اثنتين وثلاثين وثمان مائةٍ على يَدِ امْرَأةٍ قَدِمَت من دِمَشْق، في أيَّام المُؤَيَّد شَيْخ، عُرِفَت بمَرْحَبا بنت إبراهيم بن عبد الرَّحمن أخت عبد الباسِط، وكان لها معروفٌ وبرٌّ، تُوُفِّيَت في تاسع عشرين ذي القعدة سنة أربعين وثمان مائةٍ.

ويجتمع بهذه القُبَّة، في لَيْلَةِ كلِّ سَبْتٍ، جماعةٌ من القُرَّاءِ، فيَتْلُون القُرآنَ الكريم تِلاوَةً حَسَنةً حتى يَخْتِمُوا خَتْمَةً كامِلَةً عند السَّحَر. ويَقْصدُ المَبِيت عندهم، للتَّبَرُّك بقِراءَةِ القُرآنِ، عِدَّةٌ من النَّاس. ثم تَفاحَشَ الجَمْعُ، وأَقْبَلَ النِّساءُ والأَحْداثُ والغَوْغاءُ، فصارَ أَمْرًا مُنْكَرًا، لا يُنْصِتُون لقِراءَةٍ، ولا يَتَّعِظُون بمَواعِظ، بل يَحْدُث منهم على القُبُورِ ما لا يَجُوز. ثم زادُوا في التَّعَدِّي حتى حَفَرُوا ما هُنالِكَ خارِجَ القُبَّةِ من القُبُور، وبنوا مَباني اتَّخذوها مَراحيضَ وسِقايات ماء.

ويَزْعُم من لا عِلْمَ عنده أنَّ هذه القِراءَة، في كلِّ لَيْلَةِ سَبْت عند قَبْر اللَّيْث بزَعْمِهم، قَدِيمَةٌ من عَهْد الإمام الشَّافِعي. وليس ذلك بصَحِيحٍ، وإنَّما حَدَثَت بعد السبع مائةٍ من سني الهجرة بمَنامٍ ذَكَرَ بعضُهم أنَّه رآه، وكانوا إذْ ذاك يَجْتَمِعُون للقِراءَةِ عند قَبْرِ أبي بَكْرِ الأَدْفُوي.

---

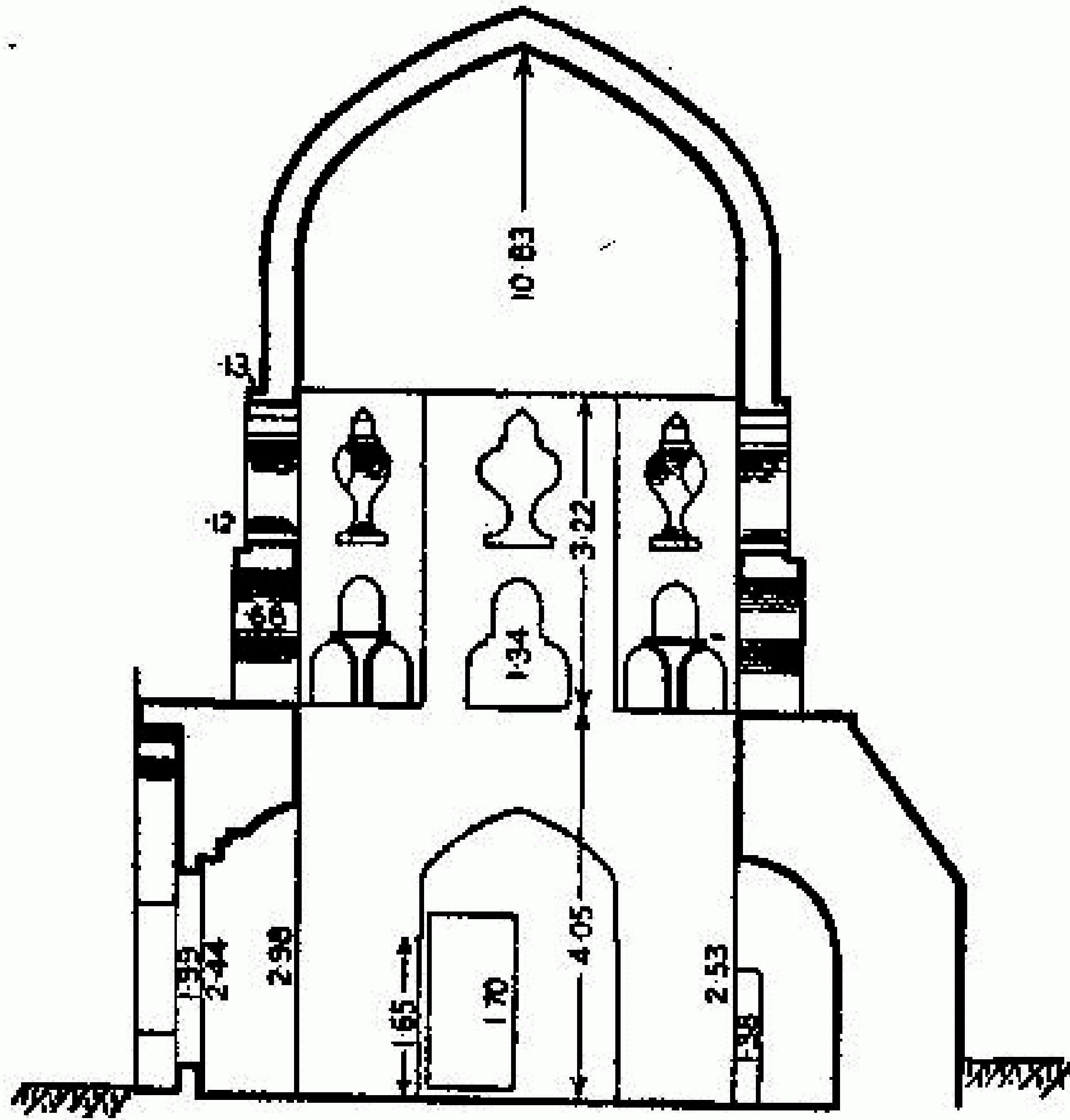
[1] صَوابُ اسمه كامِلًا، أبو محمد (الفَضْل) عبد الكريم ابن عَطايا بن عبد الكريم بن علي بن محمد بن علي بن طَلْحَة القُرَشي الزُّهْري الإسكندري نَزيلُ القَرافَة، المتوفى في رمضان سنة ٦١٢هـ/ يناير سنة ١٢١٦م. (راجع، المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٢: ٣٤٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة الثانية والستون (نشرة مؤسسة الرسالة) ١٠٦-١٠٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٩: ٨١؛ السيوطي: حسن المحاضرة ١: ٤٥٦، بغية الوعاة ٣١١، وفيه: «أورده المقريزي في المقفى»، وهي من التراجم السَّاقِطة من النسخة التي وَصَلَت إلينا.

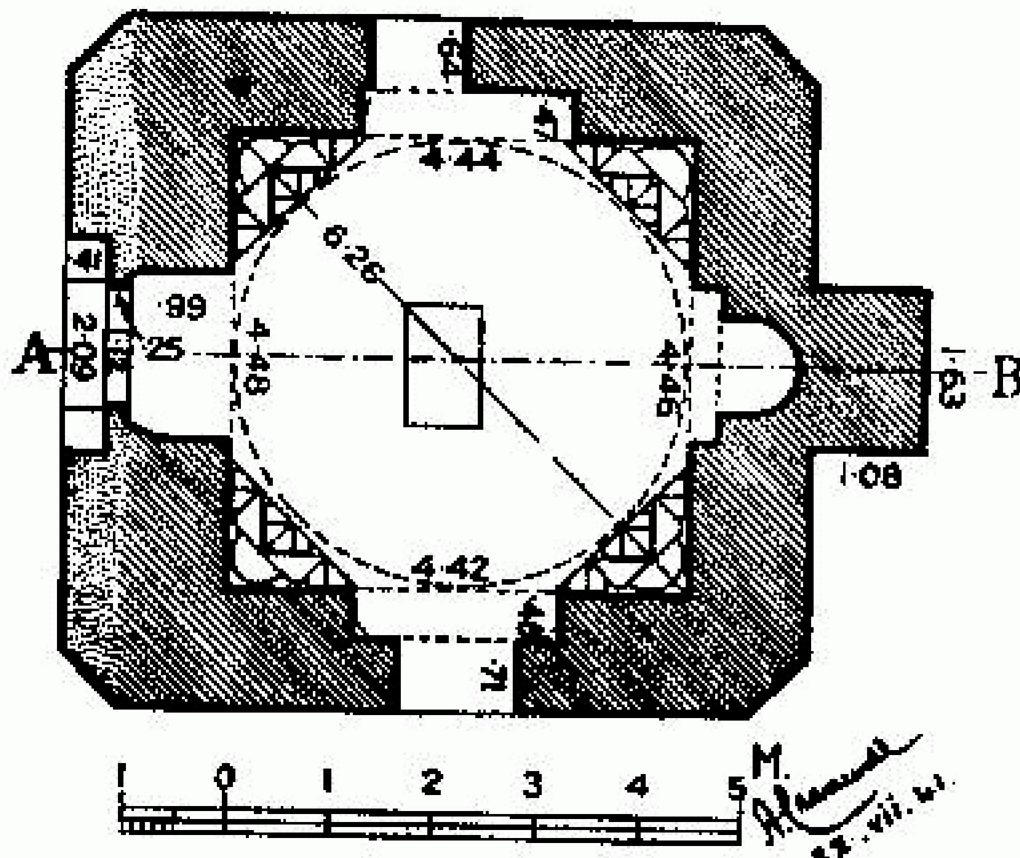
ونَقَلَ المقريزي كذلك من كتابه الخاص بالزيارات في المقفى الكبير ٥: ٦٤٨ في ترجمة أبي بكر محمد بن داود الدُّقِّي. وراجع أيضًا Ragib, Y., *Essai d'inventaire*, pp. 264-65.

[2] الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٤٠٨-٤٨١.

ذِكْرُ المَقَابِر خَارِج بابِ النَّصْر

اعْلَم أنَّ المقَابِرَ ، التي هي الآن خارِج بابِ النَّصْر ، إنَّما حَدَثَت بعد سنَة ثمانين وأربع مائةٍ . وأوَّلُ تُرْبَةٍ بُنِيَت هناك «تُرْبَةُ أميرِ الجيُوشِ بَدْرٍ الجَمالي» لمَّا ماتَ ودُفِنَ فيها ، وكان خُطُّها يُعْرَف برأْسِ الطَّابِيَة [1] .





مُخطَّط قُبَّة بَدْر الجمالي (الشَّيْخ يُونُس) (عن Creswell)

---

[1] فيما تقدم ٣: ٦٣، ٣٦٨، ٤٦٢.

قال الشّرِيفُ أمينُ الدَّوْلَة ، أبو جَعْفَر محمد بن محمد بن هِبَة الله العَلَوي الأَفْطَسي ، وقد مَرَّ بتُرْبَةِ الأَفْضَلِ :

[مجزوء الكامل]

أجْرَى دَمًا أجْفانيه حدث برأس الطَّابِية
(aلأَعَزّ مَفْقودٍ بهa) صَدَعَ الزَّمانُ صَفاتِيَه
بَالٍ وما بَلِيَت أيا دِيه عَلَيَّ الباقِيَه

وبخارج بابِ النَّصْر ، في أوائلِ المَقَابِر ، قَبْرُ زَيْنَب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جَعْفَر ابن الحَنَفِيَّة يُزار ، وتُسَمِّيه العامَّةُ «مَشْهَدَ السِّت زَيْنَب» .

ثم تَتابَعَ دَفْنُ النَّاسِ مَوْتاهُم في الجِهَةِ التي هي اليوم من بَحْرِيّ مُصَلَّى الأَمْواتِ إلى نحو الرَّيْدانِيَّة . وكان ما في شَرْقِيّ هذه المَقْبَرَة إلى الجَبَلِ بَراحًا واسِعًا - يُعْرَفُ بمَيْدانِ القَبَق ، ومَيْدانِ العيد ، والمَيْدانِ الأَسْوَد - وهو ما بين قَلْعَةِ الجَبَلِ إلى قُبَّةِ النَّصْر تَحْت الجَبَلِ الأَحْمَر [1] .

فلمَّا كان بعد سنة عشرين / وسبع مائة ، تَرَكَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون النُّزولَ إلى هذا ٢
المَيْدان وهَجَرَه . فأوَّلُ من ابتدأ فيه بالعِمارَةِ الأميرُ شَمْسُ الدِّين قَراسُنْقُر ، فاختَطَّ تُرْبَتَه التي تُجاوِر اليوم تُرْبَة الصُّوفِيَّة ، وبَنَى حَوْضَ ماءٍ للسَّبيل ، وجَعَلَ فَوْقَه مَسْجِدًا . وهذا الحَوْضُ بجوارِ بابِ تُرْبَةِ الصُّوفِيَّة ، أَدْرَكْتُه عامِرًا هو وما فَوْقَه ، وقد تَهَدَّم وبَقِيَت منه بَقِيَّة [2] . ثم عَمَّرَ بعده نِظامُ الدِّين آدَم ، أخو الأمير سَيْف الدِّين سَلار ، تِجاه تُرْبَة قراسُنْقُر مَدْفَنًا وحَوْضَ ماءٍ للسَّبيل ومَسْجِدًا مُعَلَّقًا [3] . وتَتابَعَ الأُمَراءُ والأَجْنادُ وسُكَّانُ الحُسَيْنِيَّة في عِمارَةِ التُّرَب هناك ، حتى انْسَدَّت طَريقُ المَيْدان ، وعَمَّروا بجَوَانِبِه أيضًا b).

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدة. b) المُسَوَّدَة : أيضًا جوانبه ، والمثبت من ميونخ وبولاق : الجُوَّانِيَّة .

---

[1] فيما تقدم ٣: ٣٦٩- ٣٧٦.

[2] المقريزي : السلوك ٢: ٥٤٠؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٨٧، ويَدُلُّ وصفهما على أنَّ تُرْبَة قراسُنْقُر كانت تقع في قَرافَة المُجاورين شرق القاهرة، لا خارج باب النَّصْر.

[3] لم أجد ذكرًا لتُرْبَة نِظام الدِّين آدم فيما بين يدي من مصادر. ووَرَدَ ذكرُ نِظام الدِّين آدم عَرَضًا عند المقريزي : السلوك ٢: ٧٥؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١١.

وأخذَ صُوفيّةُ الخانْقاه الصَّلاحِيَّة سَعيد السُّعَداء قِطْعَةً كبيرةً[a] قَدْرَ فَدّانين وأداروا عليها سُورًا من حَجَر، وجَعلوها مَقْبَرةً لمن يموت منهم، [b]فسُمِّيَت «تُرْبَة الصُّوفِيَّة»[b]، وهي باقيةٌ إلى يَوْمِنا هذا، وقد وَسَّعُوا فيها بعد سنة تسعين وسبع مائةٍ بقِطْعَةٍ من تُرْبَةِ قَراسُنْقُر[1].

وما بَرِحَ النَّاسُ يَقْصِدُونَ «تُرْبَة الصُّوفِيَّة» هذه لزيارَةِ من فيها من الأمْواتِ، ويَرْغَبون في الدَّفْنِ بها، إلى أن تولَّى مَشْيَخَةَ الخانْقاه الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّين محمد البلالي، فسَمَحَ لكُلِّ أحَدٍ أن يَقْبُرَ مَيِّتَه بها على مالٍ يَأْخُذُه منه، فقُبِرَ بها كثيرٌ من أعْوانِ الظَّلَمَة ومن لم تُشْكَر طَريقَتُه، فصارَت مَجْمَعَ نِشوانٍ ومَجْلِسَ لَعِبٍ.

وعَمَّر أيضًا بجوار «تُرْبَة الصُّوفِيَّة» الأَمِيرُ مَسْعُود بن خَطير تُرْبَةً، وعَمِل لها مَنارَةً من حِجارَةٍ لا نَظيرَ لها في هَيْئَتها، وهي باقية[2]. وعَمَّر أيضًا مَجْدُ الدِّين السَّلَّامي تُرْبَةً[3]، وعَمَّرَ الأميرُ سَيْفُ الدِّين كوكاي تُرْبةً [b]مُقابِل تُرْبَة الصُّوفِيَّة[b][4]، وعَمَّر الأميرُ طاجار[c] الدَّوَادار على رأسِ المطبق[a] مُقابِل قُبَّة النَّصْر، تُرْبَةً[5]. وعَمَّر الأميرُ سَيْفُ الدِّين طَشْتَمُر السَّاقِي على الطَّريق تُرْبَةً[6]. وبَنَى

a) إضافة من المُسَوَّدَة. b-b) إضافة من المُسَوَّدَة. c) بولاق: طاجاي. d) بولاق: القبق.

[1] كانت تُرْبَةُ الصُّوفِيَّة في الموضع الذي يُعْرَف الآن بجَبَّانَة باب النَّصْر خارج باب النَّصْر. وقد دُفِن بهذه التُّرْبَة إضافةً إلى صُوفِيَّة الخانْقاه الصَّلاحية وخانْقاه بيبرس الجاشنكير عددٌ كبيرٌ من العُلَماء منهم: مُؤَسِّسُ عِلْم الاجْتِماع العَلَّامَة عبد الرحمن بن خَلْدُون ومُؤَرِّخُنا تقي الدِّين المقريزي. (راجع، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٢٣٤، ٢٧٥، ٣٢٤، ٤٧٥؛ المقريزي: درر العقود الفريدة ٢: ٣٦٨، ٥٢٢؛ ٣: ٧٢، ٢٥٦، ٣٧٦).

وللأسف فقد أزيلت هذه التُّربة في عام ٢٠٠٢م بغَرَض تَوسيع الطريق المعروف بشارع جلال الواقع بمحاذاة سور القاهرة الشمالي ليَرْبط بين شارع المنصورية شرقًا وشارع الجيش غربًا.

[2] الأمير بَدْر الدِّين أمير مَسْعُود بن أوْحَد بن الخطير، أحد مُقَدَّمي الألوف، المتوفى سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م. (المقريزي: السلوك ٢: ١٠٢٢ (الكشاف)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ١١٧- ١١٨؛ أبو المحاسن: الدليل الشافي ٢: ٧٣٣-٧٣٤). وأشار إلى تُرْبته صاحب كتاب تاريخ سلاطين المماليك ٢١٣.

[3] انظر فيما تقدم ٣: ١٣٢-١٣٣.

[4] توفي الأمير سَيْف الدِّين كوكاي المنصوري السِّلاح دار سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. (المقريزي: السلوك ٢: ٧٩٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤١).

وذكر أبو المحاسن أنَّها كانت على رأس الهِدْفَة تجاه تُرْبَة الملك الظَّاهِر بَرْقُوق؛ وانظر كذلك ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٣٢٩، ٣٥٨، ٣٩٤، ٤٧٥؛ المقريزي: السلوك ٣: ٣١٩، ٤٥١- ٤٥٢.

[5] الأمير سَيْفُ الدِّين طاجار المارْدِيني النَّاصِري الدَّوادار، كان من خَواصِّ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ومن أكابِر مماليكه. ورَقَّاه في الرُّتَب حتى وَلَّاه الدَّوادارية. وكان ممَّن انضمَّ إلى الملك المنصور أبي بكر فقُبِضَ عليه عند خَلْعِه وقُتِلَ مع الأمير بَشْتاك بثَغْر الإسكندرية سنة ٧٤٢هـ/١٣٤٨م. (المقريزي: السلوك ٢: ٥٧١، ٦١٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣١٤؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٦: ٣٦٠- ٣٦٢، النجوم الزاهرة ١٠: ٧٥).

[6] تُرْبَةُ طَشْتَمُر السَّاقي أُنْشئت سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٥م، وتُعْرَف أيضًا بتُرْبَة حُمُّص أخضَر، ما تزالُ قائمةً في شارع =

الأُمَرَاءُ إلى جانِبِه عِدَّةَ تُرَبٍ ، وبَنَى الطَّواشي مُحْسن البَهائي تُرْبةً عَظيمَةً ، وبنت خَوَنْد طُغاي تُرْبَةً تِجاه تُرْبَة طَشْتُمُر السَّاقي ، وجَعَلَت لها وَقْفًا[1] . وبَنَى الأميرُ ([a]سَيْفُ الدِّين[a]) طُغَاي تَمُر النَّجْمي الدَّوادار تُرْبَةً وجَعَلَها خانْقاه ، وأنشأ بجوارها حَمَّامًا وحَوانيتَ ، وأسْكَنَها للصُّوفِيَّة والقراء[b])[2] . وبَنَى الأميرُ مَنْكَلي بُغَا الفَخْري تُرْبَةً[3] ، والأمير طَشْتُمُر طَلَلَيْه تُرْبَةً[4] ، والأميرُ أُرنان تُرْبَة . وبَنَى كثيرٌ من الأُمَرَاء وغيرهم التُّرَب ، حتى اتَّصَلَت العِمارَةُ من مَيْدانِ القَبَق إلى تُرْبَةِ الرَّوْضَة خارِج باب البَرْقِيَّةِ . و([a]عُمِّرَت بمَيْدانِ القَبَقِ أيضًا عِدَّةُ تُرَب[a]) .

فما ماتَ المَلكُ النَّاصِر ([a]محمد بن قَلاوون[a]) حتَّى بَطَلَ من المَيْدانِ السَّباقُ بالخَيْل[c]) ، ومُنِعَت طَرِيقُه من كثرة العَمائِر . ([a]قال كاتِبُه[a]) : وأدْرَكْتُ بعد سنة ثمانين وسبع مائةٍ عِدَّةَ عَوامِيدَ من رُخام منصوبة - يُقالُ لها عَواميدُ السَّباق - فيما بين قُبَّةِ النَّصْر ([a]ومَوْضِع تُرْبَة الملك الظَّاهِر بَرْقُوق[a]) وقَريبٌ من القَلْعَة[5] .

وأوَّلُ من أدْرَكناه[d]) عَمَّر في البَراحِ الذي كان فيه عَواميدُ السَّباق الأميرُ يُونُس الدَّوادار ، في أيَّام الملك الظَّاهِر ، تُرْبَتَه الموجودة هناك[6] ([a]والمَكْتَب السَّبيل[a]) . ثم عَمَّر الأميرُ قِجْماسُ ابن عَمّ الملك الظَّاهِر بَرْقُوق ، تُرْبَةً بجانِب تُرْبَة يُونُس . وأُحيطَ على قِطْعَةٍ كبيرةٍ حائِط ، وقُبِرَ فيها من ماتَ من مَماليكِ السُّلْطان ، وقُبِرَ فيها الشَّيْخُ عَلاءُ الدِّين السِّيرامي شَيْخُ الخانْقاه الظَّاهِرية ، والشَّيْخُ المُعْتَقَد طَلْحَة ، والشَّيْخُ المُعْتَقَد أبو بَكْرِ البِجائي[7] .

فلمَّا مَرِضَ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق ، أوْصَى أن يُدْفَن تحت أَرْجُل هؤلاء الفُقَراء ، وأن يُبْنَى على قَبْرِه تُرْبَةٌ ، فدُفِنَ حيث أوْصَى ، وأُخِذَت قِطْعَةٌ مِساحَتُها عشرة آلاف ذِراع ، وجُعِلَت خانْقاه ،

---

a-a) إضافة من المُسَوَّدَة . b) في المُسَوَّدَة : خانقاه ودكاكين وحمامًا ، وزخرف ذلك بالرخام والذهب ، ورتب فيها صوفية وقراء . c) المُسَوَّدَة : انقطع الميدان عن سباق الخيل . d) إضافة من المُسَوَّدَة .

= الدَّرَمَللي المتفرّع من شارع العَفيفي بقَرافَة المماليك شرق طريق صلاح سالم ، ومسجلة بالآثار برقم ٩٢.

[1] انظر عن تُرْبة خَوَنْد طُغاي ، فيما تقدم ٧٨٤.

[2] انظر أيضًا فيما تقدم ٧٨٢-٧٨٣ .

[3] ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٤٤٤:٢/٩ ؛ وانظر فيما تقدم ٣: ١٦٥.

[4] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٨٨:٩ ، والأميرُ سَيْفُ الدِّين طَشْتَمُر النَّاصري أحد أمراء الألوف بالدِّيار المصرية ، توفي بالقاهرة في شوال سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م . وقيل له طَلَلَيْه لأنَّه كان إذا تكلَّم قال في آخر كلامه : طَلَلَيْه . (المقريزي : السلوك ٢: ٧٩٤؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٢٣٧) .

[5] فيما تقدم ٣: ٣٧٦، وهذا المجلد ٧٩٠ .

[6] فيما تقدم ٧٨٩- ٧٩٠.

[7] ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٩: ٤٤، ٤١٨ .

وجُعِلَ فيها قُبَّةٌ على قَبْرِ السُّلْطان وقُبورِ الفُقَراء المذكورين ، وتَجَدَّدَ من حينئذٍ هناك عِدَّةُ تُرَبٍ جَليلَةٍ ، حتى صَارَ المَيْدانُ شَوارِعَ وأَزِقَّةً [a].

و[b]كان عَزْمُ[b] الملكِ النَّاصِر فَرَج بن بَرْقُوق [c]أن يَتَّخِذَ حَوْلَ تُرْبَةِ أبيه عِدَّةَ مَساكِنَ ، فبَنَى سُوقًا ورَبْعًا بجوارها ، وبَنَى حَمَّامًا تجاهها ، ونَقَلَ[c] سُوقَ الجِمَال وسُوقَ الحَمير من الرُّمَيْلَة[d] تحْتَ القَلْعَة إلى تجاه بابِ[d] التُّرْبَة التي عَمَّرَها على قَبْرِ أَبيه ، فاسْتَمَرَّ ذلك أيَّامًا في سنة أربع عشرة وثمان مائةٍ ، ثم أُعيدَتِ الأَسْواقُ إلى مَكانِها . وكان قَصْدُه أن يَبْني هناك خانًا كبيرًا ينزل فيه المُسافِرون ، ويَجْعَل بجانِبِه سُوقًا ، وبَنَى طاحُونًا وحَمَّامًا وفُرْنًا لتَعْمُر تلك الجِهَة بالنَّاسِ ، فماتَ قَبْلَ بِناءِ الخان ، وخَلَتِ الحَمَّامُ والطَّاحُونُ والفُرْنُ بعد قَتْلِه [1].

[c]ولقد قال لي شَيْخُنا أُسْتاذُ الزَّمان قاضي القُضَاة أبو زَيْد عبد الرَّحْمَن بن خَلْدون غير مَرَّةٍ : لا بُدَّ أن يَصيرَ هذا المكانُ مَدينَةً . وكان ـ رحمه الله ـ في هذا البابِ عَجَبًا ، يقول أُمُورًا جَرَّبْناها عليه فلم تُخطئ ، فكنت أرى أنَّه محدَّث ! وأَخبرني صاحِبُنا الخطيبُ زَيْنُ الدِّين أبو هُرَيْرَة عبد الرَّحْمَن بن النَّقَّاش قال : [c].

a) المُسَوَّدَة : سككًا وطرقًا . b-b) بولاق والنسخ : ونَقَلَ، والمثبت من المُسَوَّدَة . c-c) إضافة من المُسَوَّدَة . d) إضافة من المُسَوَّدَة .

[1] راجع لتفاصيل أكثر ، حسن عبد الوهاب : «خانقاه فرج بن برقوق وما حولها» ، المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية ، القاهرة ١٩٦١، ٢٨٣-٣٠٥؛ Mostafa, S., *Kloster und Mausoleum Farag ibn Barqûq in kairo*, Gluckstaat 1968، وفيما تقدم ١/٧٥١هـ .

ذِكْرُ كَنائِسِ اليَهُود[١]

قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا﴾ [الآية ٤٠ سورة الحج]، قال المُفَسِّرون: الصَّوامِعُ للصَّابِئِين، والبِيَعُ للنَّصَارَىٰ، والصَّلَواتُ كَنائِسُ اليَهُود، والمَساجِدُ للمُسْلِمين؛ قاله ابنُ قُتَيْبَة[٢]. والكَنيسُ كلمةٌ عِبْرانِيَّةٌ معناها بالعربية: الموضعُ الذي يُجْتَمَع فيه للصَّلاة.

ولهم بديارِ مصر عِدَّةُ كَنائِس: منها كَنيسَةُ دُمُوه بالجِيزَة، وكَنيسَة جَوْجَر من القُرَى الغربية، وبمصر الفُسْطاط كَنيسَةٌ بخُطِّ المَصَّاصَة في دَرْبِ الكَرْمَة، وكنيستان بخُطِّ قَصْرِ الشَّمْع، وبالقاهِرَة كَنيسَةٌ بالجَوْذَرِيَّة، وفي حارَةِ زَوِيلَة خَمْسُ كَنائِس.

كَنيسَةُ دُمُوه[٣]

هذه الكَنيسَةُ أعْظَمُ مَعْبَدٍ لليَهود بأرْضِ مصر. فإنَّهم لا يَخْتَلِفون في أنَّها المَوْضِعُ الذي كان يأوِي إليه مُوسَىٰ بن عِمْران ـ صَلَواتُ الله عليه ـ حين كان يُبَلِّغ رِسالات الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ إلى فِرْعَوْن، مُدَّة / مُقامِه بمصر، منذ قَدِمَ من مَدْيَن إلى أن خَرَجَ بِبَني إسرائيل من مصر. ويَزْعُمُ يَهُودُ ٢: أنَّها بُنِيَتْ هذا البِناء الموجود، بعد خَرابِ بَيْتِ المَقْدِس الخَرابَ الثَّاني على يَد طِيطُش ببضعٍ وأربعين سَنَة، وذلك قَبْل ظُهُورِ المِلَّة الإسلامية بما ينيف على خمس مائة سنة.

وبهذه الكَنيسَة شَجَرَةُ زَيْزَلَخْت في غاية الكِبَر، لا يَشُكُّون في أنَّها من زَمَنِ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ ويَقُولُون: إنَّ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ غَرَسَ عَصَاه في مَوْضِعِها، فأنْبَتَ الله هناك هذه

---

[١] هذا الفَصْلُ من هنا وحتى صفحة فيما يلي، نَشَرَه وترجمه إلى اللُّغَة الفرنسية L. Leroy بعنوان Leroy, L., «Les Synagogues des Juifs. Moise et Élite d'aprés les traditions arabes», *ROC* XI (1906), pp. 149-62, 371-402; XII (1907), pp. 190-208, 269-79؛ كما نَشَرَ هذا الفَصْل كاملًا حتى صفحة ٩٦٣ فيما يلي، عبد المجيد دياب بعنوان: «تاريخ اليهود وآثارُهم في مصر»، القاهرة – دار الفضيلة ١٩٩٧.

[٢] ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ١٦٢.

[٣] دُمُوه. بضم الدَّال والميم وسكون الواو وهاء خالصة. (ياقوت: المشترك وضعًا ١٨٢).

الشَّجَرَة ، وأنَّها لم تَزَل ذاتَ أغْصانٍ نَضِرَة ، وساقٍ صَاعِدٍ في السَّماء ، مع حُسْنِ اسْتِواءٍ وثُخْنٍ في اسْتِقامَة [١] ، إلى أنْ أَنْشَأَ الملكُ الأَشْرَفُ شَعْبَانُ بن حُسَيْنٍ مَدْرَسَته تحت القَلْعَة ، فذُكِرَ له حُسْنُ هذه الشَّجَرَة ، فتَقَدَّم بقَطْعِها ليَنْتَفِعَ بها في العِمارَة ، فَمَضَوْا إلى ما أُمِرُوا به من ذلك ، فأَصْبَحَت وقد تَكَوَّرَت وتَعَقَّفَت ، وصارَت شَنيعَةَ المَنْظَر ، فتَرَكوها ، واسْتَمَرَّت كذلك مُدَّةً [٢]. فاتَّفَقَ أن زَنَىٰ يَهُودي بيَهُودية تحتها ، فتَهَدَّلَت أغْصَانُها ، وتَحاتَّ وَرَقُها ، وجَفَّت حتى لم يَبْقَ بها وَرَقَةٌ خَضْراء ، وهي باقِيةٌ كذلك إلى يَوْمِنا هذا .

ولهذه الكَنيسَة عيدٌ يَرْحَل اليَهُودُ بأهاليهم إليها في «عِيدِ الخِطَاب» ، وهو في شهر سِيوان ، ويَجْعَلُون ذلك بَدَلَ حَجِّهم إلى القُدْسِ [٣].

وقد كان لمُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ أَنْباءٌ قد قَصَّها الله تعالى في القُرْآنِ الكريم وفي التَّوْراة ، ورَوَىٰ أَهْلُ الكِتابِ وعُلَماءُ الأَخْبَارِ من المسلمين كثيرًا منها [٤]. وسأَقُصُّ عليك في هذا المَوْضِعِ منها ما فيه كِفَاية ، إذْ كان ذلك من شَرْطِ هذا الكِتاب .

مُوسَىٰ بن عِمْران

وفي التَّوْراة : عَمْرام بن قاهَت[a] بن لاوي بن يَعْقُوب بن إسْحاق بن إبراهيم خَليل الرَّحْمَن ، صَلَواتُ الله وسَلامُه عليهم ، أمُّه يُونابذ[b] بنتِ لاوي ، فهي عَمَّةُ عِمْران والِد مُوسَىٰ [٥]. وُلِد بمصر في اليوم السابع من شهر آذار سنة ثلاثين ومائةٍ لدُخُولِ يَعْقُوب على يُوسُف ، عليهما السَّلام بمصر [٦].

---

a) كذا في النسخ ، وفي التوراة قَهات . b) بولاق : يوحانذ ، وفي التوراة : يوكابد .

---

[١] بنيامين التطيلي : الرحلة ، ترجمة وتعليق عِزرا حَدَّاد ، بغداد ١٣٨٤هـ ، ١٧٥.

[٢] فيما تقدم ٦٦١.

[٣] فيما يلي ٩٤٨.

[٤] على الأخصّ الثعلبي : قصص الأنبياء ١٤٧ - ٢٢١؛ المسعودي : مروج الذهب ١: ٥٤ - ٥٦؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ١٦ - ٢٠؛ النويري : نهاية الأرب ١٣: ١٧٣ - ٢٧٧؛ وانظر كذلك Heller, B., *EI*[2] art. *Mûsâ* VII, pp. 638-39.

[٥] التوراة ، سفر العَدَد ، ٢٦/٥٨ - ٥٩.

[٦] وُلِدَ مُوسَىٰ - عليه السَّلام - بعد مائة وثلاثين عامًا من دُخُولِ يَعْقُوب - عليه السَّلام - إلى مصر ، وبما أنَّه كان في سِنِّ الثمانين وَقْتَ خُروجِ بني إسْرائيل من مصر ، فيكون مجموعُ ذلك مائتين وعشر سنين ، هي فترة إقامة بني إسْرائيل في مصر . وبذلك تَتَّفِقُ روايةُ المقريزي تقريبًا مع ما جاءَ في التَّوْراة .

وكان بنو إسْرائيل ـ منذ ماتَ لاوي بن يَعْقُوب في سنة أربعٍ وتسعين لدُخُولِ يَعْقُوب مصر[1] ـ في البَلاءِ مع القِبْط، وذلك أنَّ يُوسُف ـ عليه السَّلام ـ لمَّا ماتَ في سنة ثمانين من قُدُوم يَعْقُوب مصر، كان المَلِكُ إذْ ذاك بمصر دارِم بن الرَّيَّان ـ وهو الفِرْعَوْنُ الرَّابع عندهم، وتُسَمِّيه القِبْطُ دريمُوس ـ فاسْتَوْزر بعده رَجُلًا من الكَهَنَةُ يقالُ له بَلاطِس، فحَمَلَه على أذَى النَّاسِ، وخالَفَ ما كان عليه يُوسُف[2].

وساءَت سِيرَةُ الملك حتى اغْتَصَبَ كلَّ امرأةٍ جَميلَةٍ بمَدينَة مَنْف وغيرها من النَّواحي فشَقَّ ذلك من فِعْلِه على النَّاسِ، وهَمُّوا بخَلْعِه من المُلْك. فقامَ الوَزيرُ بَلاطُس في الوَساطَةِ بينه وبين النَّاسِ، وأسْقَطَ عنهم الخَراجَ لثلاثِ سنين، وفَرَّقَ فيهم مالًا حتى سَكَنُوا[3].

واتَّفَقَ أنَّ رجُلًا من الإسْرائيليين ضَرَبَ بعضَ سَدَنَةِ الهياكِل فأدْمَاه، وعابَ دينَ الكَهَنَة، فغَضِبَ القِبْطُ، وسألوا الوَزيرَ أن يُخْرِجَ بني إسْرائيل من مصر، فأبَى. وكان دارِمُ الملك قد خَرَجَ إلى الصَّعيد، فبَعَثَ إليه يُخْبِرُه بأمْرِ الإسْرائيلي، وما كان من القِبْطِ في طَلَبِهم إخْراج بني إسْرائيل من مصر، فأرْسَلَ إليه ألَّا يُحْدِث في القَوْمِ حَدَثًا دون مُوافاتِه؛ فشَغَبَ القِبْطُ، وأجْمَعُوا على خَلْعِ الملك وإقامَة غيره. فسَارَ إليهم الملكُ، وكانت بينه وبينهم حُرُوبٌ قُتِلَ فيها خَلْقٌ كثير، ظَفِرَ فيها الملكُ، وصَلَبَ مِمَّن خالَفَه بحافتي النِّيل طَوائِفَ لا تُحْصَى، وعادَ إلى أكثر مِمَّا كان عليه من ابْتِزازِ النِّساء، وأخْذِ الأمْوال، واسْتِخْدام الأشْراف والوُجُوه من القِبْط ومن بني إسْرائيل فأجْمَعَ الكُلُّ على ذَمِّه. واتَّفَقَ أنَّه رَكِبَ في النِّيل، فهاجَت به الرِّيحُ، وأغْرَقَه الله ومن معه، ولم تُوجَد جُثَّتُه إلَّا عند شَطْنُوف[4].

فأقامَ الوَزيرُ من بعده في المُلْك ابنه معاديوس، وكان صَبِيًّا ـ ويُسَمِّيه بعضُهم مَعْدان ـ فاسْتَقامَ الأمْرُ له، ورَدَّ النِّساء اللاتي اغْتَصَبهُن أبوه، وهو خامِس الفَراعِنَة. فكَثُر بنو إسْرائيل في زَمَنِه، ولَهَجُوا بثَلْبِ الأصْنام وذَمِّها[5].

---

[1] يتَّفِقُ هذا التاريخ مع ما جاءَ في سِفْرِ التَّكْوين بالتَّوْراة، فقد كان عُمْرُ يُوسُف – عليه السَّلام – عندما جاءَ يَعْقُوب – عليه السَّلام – وأسْرَتُه إلى مصر تسعة وثلاثين عامًا، وكان لاوي يكبره بأربع سنوات أي أنَّ عمره كان ثلاثة وأربعين عامًا، فيكون قد أمْضى في مصر أربعًا وتسعين عامًا، وهو ما يتَّفِقُ مع ما جاءَ في سِفْر الخُرُوج ٦/١- ٩.

[2] النويري: نهاية الأرب ١٥: ١٢٧، وفيما تقدم ١: ٣٨٤- ٣٨٥.

[3] نفسه ١٥: ١٢٨- ١٢٩.

[4] نفسه ١٥: ١٢٩- ١٣٠. وانظر عن قَرْيَة شَطْنُوف وتحديد موضعها، فيما تقدم ١: ١٦٦هـ[1].

[5] نفسه ١٥: ١٣٠؛ وفيما تقدم ١: ٣٨٥.

وهَلَكَ بَلاطُس الوَزير ، وقامَ من بعده في الوَزارَة كاهِنٌ يُقالُ له أمْلادَه ، فأَمَرَ بإفْرادِ بني إسْرائيل ناحيةً في البَلَدِ ، بحيث لا يَخْتَلِطُ بهم غيرهم ، فأُقْطِعُوا مَوْضِعًا في قِبْلي مَدينَة مَنْف صارُوا إليه ، وبَنَوْا فيه مَعْبَدًا كانوا يَتْلُون به صُحُفَ إبْراهيم ، عليه السَّلام [١].

فخَطَبَ رَجُلٌ من القِبْطِ بعضَ نِسائِهم ، فأَبَوا أن يُنْكِحوه ـ وقد كان هَوِيَها ـ فأَكْبَرَ القِبْطُ فِعْلَهم ، وصارُوا إلى الوَزير ، وشَكَوْا من بني إسْرائيل ، وقالوا : هؤلاء قَوْمٌ يَعيبُونَنا ، ويَرْغَبُون عن مُناكَحَتِنا ، ولا نُحِبُّ أن يُجاوِرُونا ما لم يَدينُوا بدِينِنا . فقال لهم الوَزيرُ : قد عَلِمْتم إكْرامَ طُوطِيس الملك لجَدِّهم ، ونَهْراوش من بَعْده ، وقد عَلِمْتُم بَرَكَة يُوسُف ، حتى جَعَلْتُم قَبْرَه وَسَطَ النِّيل ، فأَخْصَبَ جانِبَا مصرَ بمكانِه . وأمَرَهُم بالكَفِّ عن بني إسْرائيل ؛ فأمْسَكُوا ، إلى أن احْتَجَبَ مَعْدان وقامَ من بعده في المُلْك ابنه أكْسامِس ـ الذي يُسَمِّيه بعضُهم كاسِم ـ بن مَعْدان بن الرَّيَّان ابن الوَليد بن دَوْمَع العَمْليقي ، وهو السَّادِس من فَراعِنَة مصر ، وكان أوَّلُهم يُقالُ له فِرْعان ، فصَارَ ذلك اسْمًا لكُلِّ من تَجَبَّر وعَلَا أمْرُه [٢].

وطالَت أيَّامُ كاسِم ، وماتَ وَزيرُ أبيه ، فأقامَ من بعده رَجُلًا من بَيْتِ المملكة/ ٤٦ يُقالُ له طَلْما ابن قُومَس . وكان شُجاعًا ساحِرًا ، كاهِنًا كاتِبًا حَكيمًا ، دَهِيًّا مُتَصَرِّفًا في كلِّ فَنٍّ ، وكانت نفسُه تُنازِعُه المُلْك ـ ويُقالُ إنَّه من وَلَدِ أُشْمُون الملك ، وقيل من وَلَد صَـا ـ فأحبَّه النَّاسُ ، وعَمَّرَ الخَرَابَ ، وبَنَى مُدُنًا من الجانِبين ، ورأى في نُجومِه أنَّه سيكون حَدَثٌ وشِدَّةٌ [٣].

وشَكَا القِبْطُ إليه من الإسْرائيليين ، فقال : «هم عَبيدُكم» . فكان القِبْطي إذا أرادَ حاجَةً ، سَخَّرَ الإسْرائيلي وضَرَبَه ، فلا يَغيرُ عليه أحَدٌ ولا يُنْكِر عليه ذلك ، فإن ضَرَبَ الإسْرائيليُّ أحَدًا من القِبْطِ قُتِلَ ألبَتَّة ، وكذلك كانت تَفْعَلُ نِساءُ القِبْطِ بالنِّساءِ الإسْرائيليَّات . فكانت أوَّل شِدَّةٍ وذُلٍّ أصاب بني إسْرائيل ، وكَثُرَ ظُلْمُهم وأذاهُم من القِبْط [٤].

واسْتَبَدَّ الوَزيرُ طَلْما بأمْرِ البَلَدِ ، كما كان العَزيزُ مع نَهْراوش ، وتوفي أكْسامِس الملك ، فاتُّهِمَ طَلْما بأنَّه سَمَّه ، فرَكِبَ في سِلاحِه ، وأقامَ لاطِس الملك مَكانَ أبيه . وكان ابنُه جَريئًا مُعْجَبًا ، فصَرَفَ طَلْما بن قُومَس عمَّا كان عليه من خِلافَتِه ، واسْتَخْلَفَ رَجلًا يُقالُ له «لاهُوق» من وَلَد صَا ، وأنْفَذَ طَلْما عامِلًا على الصَّعيد ، وسَيَّرَ معه جَماعَةً من الإسْرائيليين ، وزادَ تَجَبُّره وعُتُوُّه ، وأَمَرَ

---

[١] النويري : نهاية الأرب ١٥ : ١٣٠ .

[٢] نفسه ١٥ : ١٣٠ – ١٣٢ ؛ وفيما تقدم ١ : ٣٦٣ .

[٣] نفسه ١٥ : ١٣٣ .

[٤] نفسه ١٥ : ١٣٣ ؛ التوراة ، سفر الخروج ١/١٣ – ١٤ .

النّاسَ جَميعًا أن يَقُومُوا على أرْجُلِهم في مَجْلِسه، ومَدَّ يَدَه إلى الأمْوال، ومَنَعَ النّاسَ من فُضُولِ ما بأيْديهم، وقَصَرَهم على القُوتِ، وابْتَزَّ كثيرًا من النِّساء، وفَعَلَ أكثر مِمَّا فَعَلَه مَلِكٌ تَقَدَّمه، واسْتَعْبَدَ بني إسْرائيل، فأَبْغَضَه الخاصُّ والعامُّ.

وكان طَلْما، لَمَّا صُرِفَ عن الوَزارَة وخَرَجَ إلى الصَّعيد، أرادَ إزالَة المَلِك والخُرُوج عن طاعَتِه. فجَبَى المال، وامْتَنَعَ من حَمْله، وأخَذَ المعادِن لنفسه، وهَمَّ أن يُقيمَ مَلِكًا من وَلَد قُبْطرين ويَدْعُو النّاسَ إلى طاعَتِه، ثم انْصَرَفَ عن ذلك، ودَعَا لنفسه، وكاتَبَ الوُجُوه والأعْيان، فافْتَرَقَ النّاسُ، وتطاوَلَ كلُّ واحدٍ من أبْناءِ المُلوك إلى المُلْك، وطَمِعَ فيه. ويُقالُ: إنَّ رُوحانيًّا ظَهَرَ لطَلْما، وقال له: إنْ أَطَعْتَني قَلَّدْتك مِصْر زَمانًا طَويلًا، فأجابَه وقَرَّبَ إليه أشْياءَ، منها غلامٌ من بني إسْرائيل، فصارَ عَوْنًا له[١].

وبَلَغَ الملكَ خَبَرُ خُرُوج طَلْما عن طاعَتِه، فوَجَّهَ إليه قائِدًا قَلَّدَه مكانَه، وأمَرَه أن يَقْبِض على طَلْما، ويبعث به إليه مُوثَقًا، فصارَ إليه، وخَرَجَ طَلْما للِقائِه، وحارَبَه فظَفِرَ به، واسْتَوْلَى على ما معه، فجَهَّزَ إليه الملكُ قائِدًا آخَر فهَزَمَه، وسارَ في إثْرِه - وقد كَثُفَ جَمْعُه - فبَرَزَ إليه الملك، واحْتَرَبَا، فكانت لطَلْما على الملك فقَتَلَه، واسْتَوْلى على مَدينَة مَنْف، ونَزَلَ قَصْرَ المملكة[٢].

وهذا هو فِرْعَونُ مُوسَىٰ - عليه السَّلامُ - وبعضهم يُسَمِّيه الوَليد بن مُصْعَب، وقيل هو من العَمالِقَة، وهو سابعُ الفَراعِنَة. ويُقالُ إنَّه كان قَصيرًا، طويل اللِّحْية، أشْهَل العَيْنَيْن، صَغيرَ العَيْن اليُسْرَى، في جَبينِه شامَة، وكان أعْرَج. وقيل إنَّه كان يُكْنى بأبي مُرَّة، وإنَّ اسْمه الوَليد ابن مُصْعَب، وإنَّه أوَّلُ من خَضَّبَ بالسَّوادِ لَمَّا شَابَ؛ دَلَّه عليه إبْليس[٣].

وقيل إنَّه كان من القِبْطِ، وقيل إنَّه دَخَلَ مَنْف على أتانٍ يحمل النَّطْرون ليبيعه، وكان النَّاسُ قد اضْطربوا في تَوْلية الملك، فحَكَّمُوه ورَضُوا بتَوْلية من يُوَلِّيه عليهم. وذلك أنَّهم خَرَجُوا إلى ظاهِر مَدينَة مَنْف ينتظرون أوَّلَ من يَظْهَر عليهم ليُحَكِّموه، فكان هو أوَّل من أقْبَلَ بحِمارِه، فلمَّا

---

[١] النويري: نهاية الأرب ١٥: ١٣٤- ١٣٥.

[٢] نفسه ١٥: ١٣٥.

وتَتَّفِقُ أحْداثُ هذه الاضْطِرابات هنا مع الرِّوايات المصرية عن خُروج بني إسْرائيل والتي حَفِظَها المُؤَرِّخُ اليهودي يُوسُفوس Josephus نَقْلًا عن المُؤَرِّخ مانيتون Manetho. وتُشيرُ هذه الرِّواية إلى أنَّ الفِرْعَوْنَ أمينوفيس طُرِدَ من مصر نتيجة هذه الاضْطِرابات وأنَّه اضْطُرَّ للجوء إلى الحَبَشَة حيث بقي بها ثلاثة عشر عامًا. (Josephus with an english translation by Louis H. Feldman, London 1965, I, p. 281).

[٣] نفسه ١٥: ١٣٥- ١٣٦.

حَكَّمُوه ورَضُوا بحُكْمِه ، أقامَ نفسه مَلِكًا عليهم . وأنْكَرَ قَوْمٌ هذا ، وقالوا : كان القَوْمُ أدْهَى من أن يُقلِّدوا مُلْكَهم من هذه سَبيلُه .

فلمَّا جَلَسَ في المُلْك اخْتَلَف النَّاسُ عليه ، فَبَذَلَ لهم الأمْوالَ ، وقَتَلَ من خالَفَه بمن أطاعَه حتى اعْتَدَلَ أمْرُه ، ورَتَّبَ المراتِب ، وشَيَّدَ الأعْمال ، وبَنَى المُدُن ، وخَنْدَق الخنادِق ، وبَنَى بناحية العَرِيش حِصْنًا ، وكذلك على جَميعِ حُدُودِ مصر ، واسْتَخْلَفَ هامان ـ وكان يَقْرُب منه في نَسَبِه ـ وأثارَ الكُنُوز ، وصَرَفَها في بِنَاءِ المدائِن والعِمارات ، وحَفَرَ خَليجَ سَرْدُوس وغيره ، وبَلَغَ الخَرَاجُ بمصر في زَمَنِه سبعة وتسعين ألف ألف دينار ، بالدِّينار الفِرْعَوْني ، وهو ثلاثة مَثاقِيل[1] .

وفِرْعَونُ هو أوَّلُ من عَرَّفَ العُرَفَاءَ على النَّاس . وكان ممَّن صَحِبَه من بني إسْرائيل رَجُلٌ يقال له إمْري ـ وهو الذي يُقالُ له بالعِبْرانية عِمْرام وبالعربية عِمْران ـ بن قاهَث بن لاوي ، وكان قَدِمَ مصر مع يَعْقُوب ـ عليه السَّلام ـ فجَعَلَه حَرَسًا لقَصْرِه يتولَّى حِفْظَه وعنده مَفاتِيحه وإغْلاقه باللَّيْل . وكان فِرْعَوْنُ قد رأى في كِهانَتِه ونُجُومه أنَّه يَجْري هَلاكُه على يد مَولودٍ من الإسْرائيليين ، فمنعهم من المُناكَحَة ثلاث سنين التي رأى أنَّ ذلك المَوْلُودَ يُولَد فيها . فأتَتَ امْرَأةُ إمْري إليه في بعض اللَّيالي بشيءٍ قد أصْلَحَته له ، فواقَعَها ، فاشْتَمَلَت منه على هارُون ، ووَلَدَته لثلاثٍ وسبعين من عمره ، في سنة سبعٍ وعشرين ومائةٍ لقُدُوم يَعْقُوب إلى مصر ، ثم أتته مَرَّةً أخرى ، فحَمَلَت بمُوسَىٰ لثمانين سنة من عُمْره[2] .

ورأى فِرْعَوْنُ في نُجُومِه أنَّه قد حُمِلَ بذلك المَوْلُود ، فأمَرَ بذَبْحِ الذُّكْرانِ من بني إسْرائيل ، وتَقَدَّمَ إلى القَوابِل بذلك ، فوُلِدَ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ في سنة ثلاثين ومائةٍ لقُدُومِ يَعْقُوب إلى مصر ، وفي سنة أربعٍ وعشرين وأربع مائةٍ لولادة إبراهيم الخَليل ـ عليه السَّلام ـ ولمُضِيّ ألف وخمس مائةٍ وستّ سنين من الطُّوفان .

وكان من أمْرِه ما قَصَّه الله سبحانَه من قَذْفِ أُمِّه له في التَّابوت ، فألْقاه النِّيلُ إلى تَحْتِ قَصْرِ ٤٦ الملك ، وقد أَرْصَدَت أمُّه أخْتَه على بُعْدٍ لتَنْظُر من يَلْتَقِطُه فجاءَت ابنةُ / فِرْعَونَ إلى البَحْر مع جَواريها ، فرأته واسْتَخْرَجَتْه من التَّابُوت ، فرَحِمَته وقالت : هذا من العِبْرانيين من لنا بظِئْرٍ[3] تُرْضِعُه ؟ فقالت لها أخْتُه : أنا آتيك بها . وجاءَت بأمِّه ، فاسْتَرْضَعَتها له ابْنَة فِرْعَوْن إلى أن

---

[1] النويري : نهاية الأرب ١٥: ١٣٦.

[2] نفسه ١٥: ١٣٧، وكذلك ١٣: ١٧٨-١٧٩؛ التوراة، سفر الخروج ١/١٥-٢٢.

[3] الظِّئْر . المُرْضِعَةُ لغَيْر وَلَدِها . (الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٥٥٥).

فَصَلَ، فأَتَت به إلى ابْنَة فِرْعَوْن، وسَمَّته «مُوسَىٰ»، وتَبَنَّته ونَشَأ عندها[١].

وقيل بل أَخَذَتْه امْرَأَةُ فِرْعَوْن، واسْتَرْضَعَت أُمَّه، ومَنَعَت فِرْعَوْن من قَتْله، إلى أن كَبِرَ وعَظُمَ شأنُه، فرَدَّ إليه فِرْعَوْنُ كثيرًا من أَمْرِه، وجَعَلَه من قُوَّادِه ـ وكانت له سَطْوَةٌ ـ ثم وَجَّهَه لغَزْو الكُوثانِيين[a]، وقد عاثُوا في أَطْرافِ مصر، فخَرَجَ في جَيْشٍ كَثيفٍ وأَوْقَعَ بهم، فأَظْفَرَه الله، وقَتَلَ منهم كثيرًا وأَسَرَ كثيرًا، وعادَ غانِمًا، فَسَرَّ ذلك فِرْعَون، وأُعْجِبَ به هو وامرَأتُه[٢]. واسْتَوْلَى مُوسَىٰ، وهو غُلام، على كثيرٍ من أَمْر فِرْعَوْن، فأرادَ فِرْعَوْنُ أن يَسْتَخْلِفه؛ حتَّى قَتَلَ رَجُلًا من أشْرافِ القِبْط له قَرابَة من فِرْعَوْن، فطَلَبَه[٣].

وذلك أنَّه خَرَجَ يومًا يَمْشي في النَّاسِ ـ وله صَوْلَةٌ بما كان له في بَيْتِ فِرْعَوْن من المُرَبِّي والرَّضاع ـ فرأى عِبْرانِيًّا يُضْرَب، فقَتَلَ المصري الذي ضَرَبَه ودَفَنَه، وخَرَجَ يومًا آخر فإذا برَجُلَيْن من بني إسْرائيل، وقد سَطَا أحَدُهُما على الآخَر، فزَجَرَه، فقال له: ومن جَعَلَ لك هذا؟ أتُريد أن تَقْتُلَني كما قَتَلْتَ المصري بالأَمْس[٤]؟ ونَمَا الخَبَرُ إلى فِرْعَوْن فطَلَبَه، وأَلْقَى الله في نَفْسه الخَوْفَ لما يُريد من كرامته، فخَرَجَ من مَنْفِ، ولحَقَ بمَدْيَن عند عَقَبة أَيْلَة ـ وبنو مَدْيَن أُمَّةٌ عَظيمَةٌ، من بني إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ كانوا ساكِنين هناك ـ وكان فِرارُه وله من العُمْرِ أَرْبَعُون سنة، فنَزَلَ عند يترون[b][٥]، وهو شُعَيْب ـ عليه السَّلام ـ من وَلَد مَدْيَن بن إبراهيم، وكان من تَزْويجه ابْنَته، ورعايته غَنَمَه، ما كان له، فأقامَ هنالِك تسعًا وثلاثين سنة، نَكَحَ فيها صَفّوراء ابنة شُعَيْب[٦]. وبنو إسْرائيل مع

---

a) بولاق: اليونانيين. b) بولاق: بيرون.

---

[١] راجع الآيات ٧-١٤ سورة القصص؛ والتوراة، سفر الخروج ١/٢-١٠.

[٢] يُشيرُ المُؤَرِّخ اليهودي يُوسِفوس Josephus إلى أنَّ مُوسَىٰ - عليه السَّلام - تولَّى قِيادَة حملة ضد الإثيوبيين في الجنوب وأنَّه اسْتَوْلى على عاصمتهم سابا Saba - التي أَطْلَقَ عليها قَمْبيز فيما بعد مِروي Meroe. (*Josephus* IV, p. 273). وقد حَلَّ اسم الكوثانيين عِوَضًا عن الإثيوبيين في نَصِّ المقريزي، لأنَّ العَرَبَ كانوا يُشيرون إلى إثيوبيا باسم الحَبَشَة فاخْتَلَطَ عليهم الاسم.

[٣] النويري: نهاية الأرب ١٥: ١٣٧.

[٤] راجع، الآيات ١٥-٢٠ سورة القصص؛ التوراة، سفر الخروج ١١/٢-١٥؛ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٢٩، ونشرة Breydy ٤١؛ النويري: نهاية الأرب ١٣: ١٨٣-١٨٤.

[٥] أَطْلَقَت عليه التوراةُ اسم راجل Raguel، وأطْلَقَ عليه يُوسُفُوس Josephus جترو Jéthro.

[٦] الآيات ٢١-٢٨ سورة القصص؛ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٢٩؛ النويري: نهاية الأرب ١٣: ١٨٤-١٨٦.

فِرْعَوْن وأَهْل مصر ـ كما قال الله تعالى : ... يَسُومُونَهم سُوءَ العَذابِ ويَسْتَعْبِدُونَهم﴾ [١].

فلمَّا مَضَى من سنة الثمانين لمُوسَىٰ شهر وأسْبُوع ، كَلَّمه الله جَلَّ اسْمُه ـ وكان ذلك في اليوم الخامس عَشَرَ من شهر نيسان ـ وأَمَرَه أن يَذْهَب إلى فِرْعَوْن ، وشَدَّ عَضُدَه بأخيه هارُون ، وأيَّدَه بآياتٍ : منها قَلْبُ العَصَا حَيَّة ، وبَياضُ يَدِه من غير سُوء ، وغير ذلك من الآياتِ العَشْر التي أحَلَّها الله بِفِرْعَوْن وقَوْمِه ، وكان مَجيءُ الوَحْي من الله تعالى إليه وهو ابنُ ثمانين سنة .

ثم قَدِمَ مصر في شهر أيار ، ولَقِيَ أخَاه هارُون ، فسُرَّ به ، وأَطْعَمَه جُلْبانًا فيه ثَرِيد ، وتنبَّأ هارُون وهو ابن ثلاثٍ وثمانين سنة ، وغَدَا به إلى فِرْعَوْن ، وقد أُوحِيَ إليهما أن يأْتيا إلى فِرْعَوْن ليَبْعَث معهما بني إسْرائيل ، فيَسْتَنْقِذانهم من هَلَكَةِ القِبْط وجَوْر الفَراعِنَة ، ويَخْرُجُون إلى الأرْض المُقَدَّسَة التي وَعَدَهم الله بمُلْكِها على لِسانِ إبْراهيم وإسْحاق ويَعْقُوب ، فأَبْلَغَا ذلك بني إسْرائيل عن الله ، فآمَنُوا بمُوسَىٰ واتَّبَعُوه .

ثم حَضَرَا إلى فِرْعَوْن ، فأقامَا ببَابِه أيَّامًا ـ وعلى كلٍّ منهما جُبَّة صُوف ، ومع مُوسَىٰ عَصَاه ـ وهما لا يَصِلان إلى فِرْعَوْن لشِدَّة حُجَّابِه . حتى دَخَلَ عليه مُضْحِكٌ كان يَلْهُو به ، فعَرَّفَه أنَّ بالبابِ رَجُلَيْنِ يَطْلُبان الإذْن عليكَ ، يَزْعُمان أنَّ إلهَهُما قد أَرْسَلَهما إليك ، فأَمَرَ بإدْخالِهما . فلمَّا دَخَلَا عليه خَاطَبَه مُوسَىٰ بما قَصَّه الله في كِتابِه ، وأراهُ آيَةَ العَصَا وآيَته في بَياضِ اليَدِ [٢].

فغاظَ فِرْعَوْنَ ما قاله مُوسَىٰ ، وهَمَّ بِقَتْلِه ، فَمَنَعَه الله سبحانَه بأنْ رأى صُورَةً قد أَقْبَلَت ، ومَسَحَت على أَعْيُنِهم فعَمُوا . ثم إنَّه لما فَتَحَ عن عَيْنَيْه ، أَمَرَ قَوْمًا آخرين بقَتْلِ مُوسَىٰ ، فأَتَتْهُم نارٌ أحْرَقَتْهم ، فازْدادَ غَيْظُه ، وقال لمُوسَىٰ : من أينَ لكَ هذه النَّواميس العِظَام ؟ أَسَحَرَةُ بَلَدِي عَلَّمُوك هذا ، أمْ تَعلَّمْته بعد خُرُوجِك من عندنا ؟ فقال : هذا نامُوسُ السَّمَاءِ ، ولَيْسَ من نَوامِيسِ الأرْض . قال فِرْعَوْنُ : ومَنْ صاحِبُه ؟ قال : صَاحِبُ البِنْيَة العُلْيا . قال : بل تَعَلَّمْتها من بَلَدي .

وأَمَرَ بجَمْعِ السَّحَرَةِ والكَهَنَة وأصْحابِ النَّواميس ، وقال : اعْرِضُو عليَّ أرْفَعَ أعْمالِكم ، فإنِّي أرَى نَوامِيسَ هذا السَّاحِر رَفِيعَةً جدًّا . فعَرَضُوا عليه أعْمالَهم ، فسَرَّه ذلك ، وأحْضَر مُوسَىٰ ، وقال له : لقد وَقَفْتُ على سِحْرِك ، وعندي من يَفُوقُ عليك . فواعَدَهم «يَوْمَ الزِّينَة» . وكان جَماعَةٌ من البَلَدِ قد اتَّبَعُوا مُوسَىٰ فقَتَلَهم فِرْعَوْن . ثم إنَّه جَمَعَ بين مُوسَىٰ وبين سَحَرَتِه ، وكانوا مائتي ألف

---

[١] يعني ما ذكرته الآيات أرقام ٤٩ سورة البقرة و١٤١ سورة الأعراف و٦ سورة إبراهيم؛ وكذلك التوراة، سفر الخروج ٢/٢٣–٢٥.

[٢] يعني الآيات ٩–٢٢ سورة طه.

وأربعين ألفًا، يَعْمَلُون من الأعْمالِ ما يُحَيِّر العُقُول، ويأْخُذ القُلُوب، من دُخْنٍ مُلوَّنات تُرى الوُجوهَ مَقْلُوبَةً مُشَوَّهَةً، منها الطَّويل والعَريض، والمَقْلُوب جَبْهته إلى أسْفَل ولحِيَته إلى فَوْق، ومنها ما له قُرُونٌ، ومنها ما له خُرْطُومٌ وأنْيابٌ ظاهِرَة كأنْيابِ الفِيَلَة، ومنها ما هو عَظيمٌ في قَدْرِ التُّرْس الكبير، ومنها ما له آذان عِظامٌ، وشِبْه وُجُوه القُرُود بأجْسَادٍ عَظيمَة تبْلغ السَّحاب، وأجْنِحَة مُرَكَّبةٌ على حَيَّات عَظيمَةٍ تَطيرُ في الهَوَاء ويَرْجع بعضُها على بَعْض فيَبْتَلِعه، وحَيَّات يَخْرَج من أفْواهِها نارٌ تَنْتَشِر في النَّاس، وحَيَّات تَطير وتَرْجع في الهَوَاء، وتَنْحَدِر على كلِّ من حَضَرَ لتَبْتَلِعه، فيَتَهارَب النَّاسُ منها، وعِصِيّ تُحلِّق في الهَوَاء، فتَصيرُ حَيَّات برُؤُوس وشُعُور وأذْناب تَهِمّ بالنَّاسِ أن تَنْهَشُهُم، ومنها ما له قَوائِمُ، ومنها تَماثيلُ مَهولَة. وعَمِلوا له دُخْنًا تُغْشي أبْصَارَ النَّاسِ عن النَّظَرِ فلا يَرَى بعضُهم بَعْضًا، ودُخْنًا تُظْهِرُ صُوَرًا كَهَيْئَةِ الثِّيران في الجَوِّ على دَوابٌ يَصْدِمُ بعضُها بَعْضًا، ويُسْمَعُ لها ضَجيج، وصُوَرًا خُضْرًا على/ دَوابٌ ٨:٢ خُضْرٍ، وصُوَرًا سُودًا على دَوابٌ سُودٍ هائِلَة. فلمَّا رأى فِرْعَوْنُ ذلك، سَرَّه ما رَأَى هو ومن حَضَرَه، واغْتَمّ مُوسَىٰ ومَنْ آمَنَ به، حتَّى أوْحَىٰ الله إليه ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ * وأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ [الآيتان ٦٨، ٦٩ سورة طه].

وكان للسَّحَرَةِ ثلاثَةُ رُؤَسَاءٍ - ويُقالُ بل كانوا سبعين رَئِيسًا - فأَسَرَّ إليهم مُوسَىٰ: قد رأيتُ ما صَنَعْتُم، فإن قَهَرْتُكُم أتُؤْمِنُون بالله؟ قالوا: نَفْعَل. فغاظَ فِرْعَونَ مُسارَّةُ مُوسَىٰ لرُؤساء السَّحَرَةِ؛ هذا والنَّاسُ يَسْخَرُون من مُوسَىٰ وأخيه، ويَهْزأون بهما وعليهما دُرَّاعَتان من صُوفٍ، وقد احْتَزَمَا بليف.

فَلَوَّحَ مُوسَىٰ بعَصَاه حتى غابَت عن الأعْيُنِ، وأَقْبَلَت في هَيْئَة تِنِّينٍ عَظيمٍ له عَيْنَانِ تَتَوَقَّدان، والنَّارُ تَخْرُج من فيه ومِنْخَرَيْه، فلا يَقَع على أحَدٍ إلا بَرِصَ، ووَقَعَ من ذلك على ابنة فِرْعَوْن فَبَرِصَت. وصارَ التِّنِّينُ فاغِرًا فاه، فالْتَقَط جَميعَ ما عَمِلَته السَّحَرَة، ومائتي مَرْكِب كانت مَمْلوءَةً حِبالًا وعِصِيًّا وسَائِر من فيها من المَلَّاحِين - وكانت في النَّهْر الذي يَتَّصِل بدارِ فِرْعَوْن - وابْتَلَعَ عُمُدًا كثيرةً وحِجَارَةً قد كانت حُمِلت إلى هناك ليُبْنَى بها.

ومَرَّ التِّنِّينُ إلى قَصْرِ فِرْعَوْن ليَبْتَلِعَه - وكان فِرْعَوْنُ جالِسًا في قُبَّةٍ على جانِبِ القَصْر ليُشْرِف على عَمَلِ السَّحَرَةِ - فوَضَعَ نابَه تحت القَصْر، ورَفَعَ نابَه الآخر إلى أعْلاه، ولَهَبُ النَّار يَخْرُجُ من فيه حتى أحْرَق مَواضِعَ من القَصْر، فصاحَ فِرْعَوْنُ مُسْتغيثًا بمُوسَىٰ - عليه السَّلام - فزَجَرَ مُوسَىٰ التِّنِّين، فانْعَطَفَ ليَبْتَلِع النَّاسَ، ففَرُّوا كلُّهم من بَيْن يَدَيْه، وانسابَ يُريدُهم، فأمْسَكه مُوسَىٰ، وعادَ في يَدِه عَصًا كما كان.

ولم يَرَ النَّاسُ من تلك المَراكِب ، وما كان فيها من الحبالِ والعِصِيّ والنَّاسِ ، ولا من العُمُدِ والحِجارَة ، وما شَرِبه من ماءِ النَّهْر حتى بانَت أرْضُه أثَرًا . فعند ذلك قالت السَّحَرَةُ : ما هذا من عَمَلِ الآدَمِيين ، وإنَّما هو من فِعْلِ جَبَّارٍ قَديرٍ على الأشْياء ! فقال لهم مُوسَىٰ : أَوفوا بعَهْدِكُم ، وإلَّا سَلَّطْتُه عليكم يَبْتَلِعُكم كما ابْتَلَعَ غيركم . فآمَنُوا بمُوسَىٰ ، وجاهَرُوا فِرْعَوْن ، وقالوا : هذا من فِعْلِ إله السَّماء ، وليس هذا من فِعْلِ أهْلِ الأرْض . فقال : قد عَرَفْتُ أنَّكم قد واطَأْتُموه عليَّ وعلى مُلْكي حَسَدًا منكم لي . وأَمَرَ فقُطِّعَت أيْديهم وأرْجُلهم من خِلاف ، وصُلِبُوا [1] ، وجاهَرَتْه امْرَأتُه ، والمُؤْمِنُ الذي كان يَكْتُم إيمانَه [2] .

وانْصَرَفَ مُوسَىٰ ، فأقامَ بمصر يَدْعُو فِرْعَوْنَ أَحَدَ عشر شهرًا ، من شهر آيار إلى شهر نيسان المستقبل ، وفِرْعَوْن لا يُجيبه ، بل اشْتَدَّ جَوْرُه على بني إسْرائيل واسْتِعْبادُهم ، واتِّخاذهم سُخْرِيًّا في مِهْنَة الأعْمال . فأصابَت فِرْعَوْنَ وقَوْمَه الجَوائحُ العَشْر [3] ، واحِدَةً بعد أخرى ، وهو يَتَثَبَّت لهم عند وُقُوعِها ، ويَفْزَع إلى مُوسَىٰ في الدُّعاء بانْجِلائِها ، ثم يُلِحُّ عند انْكِشافها ، فإنَّها كانت عَذابًا من الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ عَذَّبَ الله بها فِرْعَون وقَوْمَه .

فمنها أنَّ ماءَ مِصْر صارَ دَمًا حتى هَلَكَ أكثرُ أهْلِ مصر عَطَشًا ، وكثُرَت عليهم الضَّفادِعُ حتى وَسَّخَت جميعَ مَواضِعِهم ، وقَذَّرَت عليهم عَيْشَهم وجَميعَ مآكِلِهم ، وكَثُرَ البَعُوض حتى حَبَسَ الهَواء ومَنَعَ النَّسيم ، وكَثُرَ عليهم ذُبابُ الكِلاب حتى جَرَّحَ أبْدانَهم ونَغَّصَ عليهم حَياتَهم ، وماتَت دَوابُّهم وأغْنامُهم فجْأةً ، وعَمَّ النَّاسَ الجَرَبُ ، والجُدَري حتى زادَ مَنْظَرُهم قُبْحًا على مَناظِر الجَذْمَىٰ .

ونَزَلَ من السَّماءِ بَرَدٌ مَخْلُوطٌ بصَواعِقَ أهْلَكَ كلَّ ما أدْرَكَه من النَّاسِ والحَيَوانات ، وذَهَبَ بجَميع الثِّمار ، وكَثُرَ الجَراد والجَنادِبُ التي أكَلَت الأشْجار ، واسْتَقْصَت أُصولَ النَّبات ، وأظْلَمَت الدُّنْيا ظُلْمَةً سَوْداء غَليظَة حتى كانت من غِلَظِها تُحَسّ بالأجْسام . وبعد ذلك كلِّه نَزَلَ المَوْتُ فجأةً على بُكُورِ أوْلادِهم ، بحيث لم يَبْقَ لأحَدٍ منهم وَلَدٌ بِكْر إلَّا فُجِعَ به في تلك الليلة ، ليكون لهم في ذلك شُغْلٌ عن بني إسْرائيل .

---

[1] وهو ما رَوَته الآياتُ من ٤٢ إلى ٧٩ من سورة طه ، ومن ١٠٦ إلى ١٢٦ من سورة الأعراف ، وكذلك الآيات من ٧٥ إلى ٨٩ من سورة يونس ، والآيات ٢٩ إلى ٥١ من سورة الشعراء .

[2] راجع الآيات ٢٨-٣٥ سورة غافر .

[3] انظر الآية ١٠١ سورة الإسْراء ، ونَصُّ الآية أنَّها تسع آيات لا عَشْر ؛ وانظر كذلك النويري : نهاية الأرب ١٣: ١٩٧-١٩٨ .

وكانت اللَّيْلَةُ الخامِسةَ عشرةَ، من شهر نيسان سنة إحدى وثمانين لمُوسَىٰ، فعند ذلك سَارَعَ فِرْعَوْنُ إلى تَرْكِ بني إسْرائيل، فخَرَجَ مُوسَىٰ - عليه السَّلام - من لَيْلَتِه هذه، ومعه بنو إسْرائيل، من عَيْنِ شَمْس.

وفي «التَّوْراة» أنَّهم أُمِروا عند خُرُوجِهم أن يَذْبَح أهْلُ كلِّ بَيْتٍ حَمْلًا من الغَنَم إنْ كان كِفايَتَهم، أو يَشْتَرِكوا مع جيرانِهم إنْ كان أكثر، وأنْ يَنْضَحُوا من دَمِه على أبْوابِهم ليكون عَلامَةً، وأن يأكُلوا شُواةَ رَأسه وأطْرافه ومِعَاه، ولا يَكْسِرُوا منه عَظْمًا، ولا يَدَعوا منه شيئًا خارجَ البُيوت، وليكن خُبْزُهم فَطيرًا، وذلك في اليوم الرابع عشر من فَصْلِ الرَّبيع، وليأكُلوا بسرعة، وأوْساطهم مَشْدُودَةٌ وخِفافُهم في أرْجُلهم وعِصِيُّهم في أيْديهم، ويَخْرُجوا ليلًا، وما فَضَل من عَشَائِهم ذلك أحْرَقُوه بالنَّار. وشَرَعَ هذا عِيدًا لهم ولأعْقابِهم، ويُسَمَّى هذا «عيدُ الفِصْح»[1].

وفيها أنَّهم أُمِرُوا أن يَسْتَعيروا منهم حُلِيًّا كثيرًا يَخْرُجون به، فاستعارُوه وخَرَجُوا في تلك الليلة بما معهم من الدَّوابِّ والأنْعَام، وأَخْرَجُوا معهم تابُوتَ يُوسُف - عليه السَّلام - اسْتَخْرَجه مُوسَىٰ من المَدْفَنِ الذي كان فيه بإلهام مِن الله تعالى. وكانت عِدَّتُهم ستُّ مائة ألف رجل مُحارِب، سوى النِّساء والصِّبْيان والغُرَباء[2]، وشُغِلَ القِبْطُ عنهم بالمآتِم التي كانوا فيها على مَوْتاهِم، فسارُوا ثلاث مَراحِل ليلًا ونَهارًا، حتى وافَوْا إلى فُوَّهَة الجَبَرُوت - وتُسَمَّى نَار مُوسَىٰ - وهو سَاحِلُ البَحْر بجانِب الطُّور.

فانْتَهَى خَبَرُهم إلى فِرْعَوْن في يومين ولَيْلَة، فنَدِمَ بعد خُروجِهم، وجَمَعَ قَوْمَه، وخَرَجَ في كثرةٍ، كَفاكَ / عن مِقْدارِها قَوْلُ الله - عَزَّ وجَلَّ، إخْبارًا عن فِرْعَوْن، أنَّه قال عن بني إسْرائيل - وعِدَّتهم ما قد ذُكِرَ، على ما جَاءَ في التَّوْراة -: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۞ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ [الآيتان ٥٤، ٥٥ سورة الشعراء]. ولحِقَ بهم في اليوم الحادي والعشرين من نيسان، فأقامَ العَسْكران ليلةَ الواحِد والعشرين على شاطئ البَحْر.

وفي صَبيحَةِ ذلك اليوم، أُمِرَ مُوسَىٰ أنْ يَضْرِبَ البَحْرَ بعَصَاه ويَقْتَحِمه، ففَلَقَ الله لبني إسْرائيل البَحْر اثني عشر طَرِيقًا، عَبَرَ كلُّ سِبْطٍ من طَريق، وصارَت المياهُ قائِمَةً عن جانِبِهم كأمْثال الجِبال، وصُيِّرَ قاعُ البَحْر طَرِيقًا مَسْلوكًا لمُوسَىٰ ومن معه، وتَبِعَهم فِرْعَوْن وجُنُودُه فلمَّا خاضَ بنو

---

[1] التوراة، سفر الخروج ١٢/١- ٢٨.

[2] التوراة، سفر الخروج ١٢/٣٥- ٣٨؛ وقارن سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٣١، ونشرة Breydy ٢- ٣؛ الثعلبي: قصص الأنبياء ١٧٣- ١٧٤؛ النويري: نهاية الأرب ١٣: ٢٠٨.

إسْرائيل إلى عَدْوَة الطُّور ، انْطَبَقَ البَحْرُ على فِرْعَوْن وقَوْمه ، فأَغْرَقَهُم الله جميعًا ، ونَجَا مُوسَىٰ وقَوْمُه [1].

ونَزَلَ بنو إسْرائيل جَميعًا في الطُّور ، وسَبَّحُوا مع مُوسَىٰ بتَسْبيحٍ طَويل قد ذُكِرَ في التَّوْراة . وكانت مَرْيَمُ ، أُخْت مُوسَىٰ وهارُون ، تَأْخُذ الدُّفّ بيديها ، ونِسَاءُ بني إسْرائيل في أَثَرِها بالدُّفُوف والطُّبُول ، وهي تُرَتِّل التَّسْبيح لهن . ثم سَارُوا في البَرِّ ثلاثة أيّام ، وأَقْفَرَت مصر من أَهْلِها ومَرَّ مُوسَىٰ بقَوْمِه ، ففَنَى زادُهم في اليوم الخامس من آيار ، فضَجُّوا إلى مُوسَىٰ ، فدَعَا رَبَّه ، فنَزَلَ لهم المَنُّ من السَّماءِ . فلمَّا كان اليوم الثالث والعشرون من آيار عَطِشوا وضَجُّوا إلى مُوسَىٰ ، فدَعَا رَبَّه ، فَفَجَّرَ له [اثنتي عشرة][a] عَيْنًا من الصَّخْرَة [2].

ولم يَزَلْ يَسيرُ بهم حتى وافَوْا طُورَ سينين غُرَّةَ الشهر الثالث لخُرُوجِهم من مصر ، فأَمَرَ الله مُوسَىٰ بتَطْهير قَوْمِه ، واسْتِعْدادهم لسَماعِ كلامِ الله سبحانه ، فطَهَّرَهم ثَلاثَةَ أيّام . فلمَّا كان في اليوم الثالث ـ وهو السَّادس من الشهر ـ رَفَعَ الله الطُّورَ وأَسْكَنَه نُورَه ، وظَلَّلَ حَوالَيْه بالغَمَام ، وأَظْهَرَ في الآفاقِ الرُّعُود والبُرُوق والصَّواعِق [3]، وأَسْمَعَ القَوْمَ من كلامِه عَشْر كلمات ، وهي : «أنا الله رَبُّكُم واحِدٌ ، لا يَكُنْ لكُم مَعْبُودٌ من دُوني ، لا تَحْلِف باسْم رَبِّك كاذِبًا ، اذْكُر يوم السَّبْت واحْفظْه ، بِرّ والديك وأَكْرِمْهما ، لا تَقْتُل النَّفْسَ ، لا تَزْنِ ، لا تَسْرِقْ ، لا تَشْهَدْ بشَهادَةِ زُور ، لا تَحْسِدْ أخاكَ فيما رُزِقَه» .

فصَاحَ القَوْمُ وارْتَعَدُوا ، وقالوا لمُوسَىٰ : لا طاقَةَ لنا باسْتِماع هذا الصَّوْتِ العَظيم ، كن السَّفيرَ بَيْنَنا وبين رَبِّنا ، وجَميعَ ما يأْمُرنا به سَمِعْنا وأَطَعْنا [4] . فأَمَرَهُم بالانْصِراف ، وصَعِدَ مُوسَىٰ إلى الجَبَلِ في اليوم الثاني عشر ، فأقامَ فيه أربعين يومًا ، ودَفَعَ الله إليه اللَّوْحَيْنُ الجَوْهَر المكتوبَ عليهما العَشْرُ كلمات ، ونَزَلَ في اليوم الثاني والعشرين من شهر تَمُّوز ، فرأى العِجْلَ ، فارْتَفَعَ الكِتابُ وثَقُلا على يَدَيْه ، فأَلْقاهُما وكَسَرهُما ، ثم بَرَدَ العِجْلَ وذَرَّاه على الماءِ ، وقَتَلَ من القَوْمِ من اسْتَحَقَّ القَتْل [5] .

---

a) زيادة اقتضاها السياق تبعًا لما وَرَدَ في الآية ١٦٠ سورة الأعراف .

---

[1] الآيات ٦٣–٦٨ سورة الشعراء .

[2] الآية ١٦٠ سورة الأعراف .

[3] الآية ١٧١ سورة الأعراف .

[4] التوراة ، سفر الخروج ٢٠/١– ٢٠.

[5] التوراة ، سفر الخروج ٣٢/٧– ٢٠، وسفر التثنية ٩/٩– ٢١؛ والآيات ١٤٨–١٥٢ سورة الأعراف ؛ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٣٢، ونشرة Breydy ٣.

وصَعِدَ إلى الجَبَلِ فى اليوم الثَّالِث والعشرين من تمُّوز ، ليَشْفَعَ في الباقين من القَوْم ، ونَزَلَ في اليوم الثاني من أيْلول بعد الوَعْدِ من الله له بتَعْويضِه لَوْحَيْنْ آخرين مَكْتُوبًا عليهما ما كان في اللَّوْحَيْنْ الأوَّلين . فصَعِدَ إلى الجَبَلِ ، وأقامَ أربعين ليلةً أخرى ، وذلك من ثالِث أيْلول إلى اليوم الثاني عشر من تشرين[1].

ثم أمَرَه الله بإصْلاحِ القُبَّة ، وكان طُولُها ثلاثينَ ذِرَاعًا في عَرْضِ عشرة أذْرُع ، وارْتِفاع عشرة أذْرُع ، ولها سُرادِقٌ مَضْروبٌ حَواليها مائة ذراع في خمسين ذراعًا ، وارْتِفاع خمسة أذْرُع فأخَذَ القَوْمُ في إصْلاحِها ، وما تُزَيَّن به من السُّتُور من الذَّهَبِ والفِضَّة والجَواهِر ، ستة أشهر الشِّتاء كلِّه . ولمَّا فَرَغَ منها نُصِبَت في اليوم الأوَّل من نيسان في أوَّلِ السنة الثانية .

ويُقالُ إنَّ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ حارَبَ هنالِك العَرَبَ ، مثل طَسْم وجَديس والعَماليق وجُرْهُم وأهْل مَدْيَن ، حتى أفْناهُم جَميعًا ، وإنَّه وَصَلَ إلى جَبَلِ فاران ، وهو مَكَّة ، فلم يَنْجُ منهم إلَّا من اعْتَصَمَ بمَلِكِ اليَمَن ، أو انْتَمَى إلى بني إسْماعيل ، عليه السَّلام .

وفي ثُلُثي الشهر الثَّاني[a] من هذه السَّنَة ، ظَعَنَ القَوْمُ في بَرِّيَّة الطُّور بعد أن نَزَلَت عليهم التَّوْراةُ ، وجُمْلَةُ شَرائِعِها ستّ مائةٍ وثلاث عشرة شَريعَة .

وفي آخر الشهر الثَّالِث حُرِّمَت عليهم أرْضُ الشَّام أنَّ يَدْخُلُوها ، وحَكَمَ الله تعالى عليهم أن يَتِيهُوا في البَرِّيَة أربعين سنةً لقَوْلهم : نَخافُ أهْلَهَا لأنَّهم جَبَّارون . فأقامُوا تسع عشرة سنة في رَقيم[2] ، وتسع عشرة سنة في أحد وأربعين مَوْضِعًا مَشْرُوحَة في التَّوْراة .

وفي اليوم السَّابع من شهر أيْلول من السنة الثانية ، خَسَفَ الله بقَارُون وبأوْليائه ـ بدُعَاءِ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ عليهم ـ لمَّا كَذَّبُوا[3] . وفي شهر نيسان من السنة الأربعين ، تُوفِّيَت مَرْيَمُ ابنة عِمْران ، أخْت مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ ولها مائة وستّ وعشرون سنة . وفي شهر آب منها ، ماتَ هارُون ـ عليه السَّلام ـ وله مائة وثلاث وعشرون سنة[4] .

---

a) بولاق : الباقي .

---

[1] التوراة ، سفر الخروج ١/٣٤ - ٤ ، وسفر التثنية ١٠/١ - ٢ .

[2] حاشية بخَطِّ المؤلِّف : «والرَّقيم بينها وبين مَدينَة كَرَك الشُّوبَك مَرْحَلتان» .

[3] الآيات ٧٦-٨٢ سورة القصص .

[4] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٣٢ ، ونشرة Breydy ٤ .

ثم كان حَرْبُ الكَنْعانِيين وسَيْحُون ، والعُوج صَاحِبِ البَثْنِيَّة من أرْضِ حُوران ، في الشُّهُور التي بعد ذلك إلى شهر شَبَاط .

فلمَّا أهَلَّ شَبَاط أخَذَ مُوسَىٰ في إعادَة التَّوْراةِ على القَوْم ، وأَمَرَ بكَتْبِ نُسْخَتِها وقِراءَتِها ، وحِفْظ ما شاهَدُوه من آثارِه ، وما أخَذُوه عنه من الفِقْه ، وكان نِهايَةُ ذلك في اليوم السَّادِس من آذار . وقال لهم في اليوم السَّابع منه : إنِّي في يومي هذا اسْتَوْفَيْت عشرين ومائة سنة ، وإنَّ الله قد عَرَّفَنِي أنَّه يَقْبِضُني فيه ، وقد أَمَرَني أن أُسْتَخْلِفَ عليكم يُوشَع بن نُون ، ومعه السَّبْعُون رَجُلًا الذين اخْتَرْتُهم قبل هذا الوَقْت ، ومعهم إلعازِر بن هارون / أخي ، فاسْمَعُوا له وأطِيعُوا ، وأنا أُشْهِدُ ٤٧٠:٢ عليكم الله الذي لا إله إلَّا هو والأرْضَ والسَّموات أن تَعْبُدُوا الله ، ولا تُشْرِكوا به شيئًا ، ولا تُبَدِّلُوا شَرائعَ التَّوْراةِ بغيرها . ثم فارَقَهُم ، وصَعِدَ الجَبَلَ ، فقَبَضَه الله تعالى هناك ، وأخْفاه ، ولم يَعْلَم أحَدٌ منهم قَبْرَه ، ولا شاهَدَه [1].

وكان بين وَفاةِ مُوسَىٰ وبين الطُّوفان ألف وستّ مائة وستّ وعشرون سنة ، وذلك في أيَّام منوجَهْر مَلِك الفُرْس .

وزَعَمَ قَوْمٌ أنَّ مُوسَىٰ كان أَلْثَغ . فمنهم من جَعَلَ ذلك خِلْقَةً ، ومنهم من زَعَمَ أنَّه إنَّما اعْتَراه حين قالت امْرَأةُ فِرْعَوْن لفِرْعَوْن : لا تَقْتُل طِفْلًا لا يَعْرِف الجَمْر من التَّمْر . فلمَّا دَعَا له فِرْعَوْن بهما جميعًا ، تَناوَلَ جَمْرَةً فأَهْوَى بها إلى فيه ، فاعْتَراه من ذلك ما اعْتَراه . وذَكَرَ محمد بن عُمَرَ الواقِدِي أنَّ لِسانَ مُوسَىٰ كانت عليه شامةٌ فيها شَعْرات ، ولا يَدُلُّ القُرْآنُ على شيءٍ من ذلك ، فليس في قَوْلِه تعالى : ﴿واحْلُل عُقْدَةً من لِساني﴾ [الآية ٢٧ سورة طه] . دَليلٌ على شيءٍ من ذلك دون شيء .

فأقامُوا بَعْدَه ثلاثين يومًا يَبْكُون عليه ، إلى أن أوْحَى الله تعالى إلى يُوشَع بن نُون بتَرْحِيلهم ، فقادَهُم وعَبَرَ بهم الأُرْدُن في اليوم العاشِر من نِيسَان ، فوافَوْا أرِيحَا ، فكان منهم ما هو مَذْكورٌ في مَواضِعِه . فهذه جُمْلَةُ خَبَرِ مُوسَىٰ ، عليه السَّلام [2].

---

[1] التوراة ، سفر التثنية ، الإصحاح الثاني والثلاثون إلى الرابع والثلاثين .

[2] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٣٢، ونشرة Breydy ٤٤؛ النويري : نهاية الأرب ١٤ : ١- ٤.

كَنِيسَةُ جَوْجَر

هذه الكَنِيسَةُ من أَجَلِّ كَنائِس اليَهُود. ويَزْعُمُون أنَّها تُنْسَب لنَبِي الله إلْياس ـ عليه السَّلام ـ وأنَّه وُلِدَ بها، وكان يَتَعَاهَدُها في طُولِ إقامَتِه بالأرْضِ إلى أن رَفَعَه الله إليه.

إلْياس

هو فِيْنحاس بن إلِعَـازِر بن هارُون ـ عليه السَّلام[1] ـ ويُقالُ إلياسين بن ياسين بن عِيزَار بن هارُون، ويُقالُ هو إلْياهُو ـ وهي عِبْرانية مَعْناها قادِر أزَلي ـ وعُرِّبَ فقيل إلْياسُ[2].

ويَذْكُر أهْلُ العِلْم من بني إسْرائيل أنَّه وُلِدَ بمصر، وخَرَجَ به أبوه إلعازِر من مصر مع مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ وعُمْرُه نحو الثلاث سنين، وأنَّه هو الخِضْر الذي وَعَدَه الله بالحَيَاة، وأنَّه لمَّا خَرَجَ بِلْعام بن باعُورا ليَدْعُو على مُوسَىٰ صَرَفَ الله لِسانَه حتى يَدْعُو على نَفْسِه وقَوْمِه.

وكان مِنْ زِنَى بني إسْرائيل بنِساءِ الأَمُورانِيين وأَهْل مُؤَاب ما كان، فغَضِبَ الله تعالى عليهم، وأوْقَعَ فيهم الوَبَاءَ، فماتَ منهم أربعةٌ وعشرون ألفًا، إلى أن هَجَمَ فِينْحاس هذا على خِباءٍ فيه رَجُلٌ على امْرأةٍ يَزْني بها، فَنَظَمَهُما جميعًا برُمْحِه، وخَرَجَ وهو رافِعهما، وشَهَرَهُما غَضَبًا لله، فرَحِمَهم الله سُبْحانه، ورَفَعَ عنهم الوَباء وكانت له أيضًا آثارٌ مع نبيِّ الله يُوشَع بن نُون، ولمَّا ماتَ يُوشَع قامَ من بعده فِينْحاس هذا هو وكالاب ابنُ يوفنا، فصَارَ فِينْحاس إمامًا، وكالاب يَحْكُم بينهم.

وكانت الأَحْداثُ في بني إسْرائيل، فسَاحَ إلْياسُ، ولَبِسَ المُسُوح، ولَزِمَ القِفَار، وقد وَعَدَه الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ في التَّوْرَاة بدَوامِ السَّلامَة فأَوَّلَ ذلك بعضُهم بأنَّه لا يَمُوت فامْتَدَّ عُمْرُه إلى أن مَلَكَ يَهُوشافاط بن آسَا بن أَفْيا بن رَحْبَعَم[a] بن سُلَيْمان بن دَاود ـ عليهما السَّلام ـ على سِبْطِ يَهُوذا في

---

a) عند سعيد بن البطريق: رحبعام.

---

[1] كتاب يوشع بن نون ٢٢/ ٣٢، ٢٤/ ٣٣.

[2] وَرَدَ ذِكْرُ إلْياس في القرآن الكريم في قَوْلِه تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ المُرْسَلِين﴾ [الآية ١٢٣ سورة ص]، وانظر كذلك الثعلبي: قصص الأنبياء ٢٢٣- ٢٢٩؛ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٣٤، ونشرة Breydy ٥؛ النويري: نهاية الأرب ١٤: ٩-٢٨؛ Wensinck, A. L. & Vajda G., *EI*² art. *Ilyâs III*, pp. 1184-85.

بَيْتِ المَقْدِس، وملك آخاب[a] بن عَمَري على الأَسْباطِ من بني إسْرائيل بمَدينَة شَمْرون المعروفة اليوم بنابُلُس[١].

وساءَت سِيرَةُ آخاب[a] حتى زادَت في القُبْحِ على جَميعِ من مَضَى قَبْله من مُلُوك بني إسْرائيل، وكان أَشَدَّهُم كُفْرًا، وأكثرهم رُكونًا للمُنْكَر، بحيث أَرْبَى في الشَّرِّ على أبيه وعلى سَائِر من تَقَدَّمه، وكانت له امْرَأةٌ يُقالُ لها سيصْيال[b] ابنة أشاعِل ملك صَيْدَا، أَكْفَرُ منه بالله وأَشَدُّ عُتُوًّا واسْتِكْبارًا، فعَبَدَا وَثَنَ بَعَال[٢] الذي قال الله جَلَّ ذكره فيه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ * الله رَبُّكُم وربُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ [الآيتان ١٢٥، ١٢٦ سورة الصافات]، وأقامَا له مَذْبَحًا بمَدينَة شَمْرون.

فأَرْسَل الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ إلى آخاب[a] عَبْدَه إلْياس رَسُولًا لِيَنْهَاه عن عِبادَةِ وَثَنِ بَعْل، ويأمُرَه بعِبادَةِ الله تعالى وَحْدَه، وذلك قَوْلُ الله ـ عَزَّ مَنْ قائِل: ﴿وإِنَّ إلْيَاسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ * إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ * الله رَبُّكُم وَرَبُّ آبائِكُم الأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوه ...﴾ الآيات ١٢٣ ـ ١٢٧ سورة الصافات]، ولمَّا أَيِسَ من إيمانهم بالله وتَرْكِهم عِبادَة الوَثَن، أَقْسَمَ في مُخاطَبَته آخاب[a] أن لا يكون مَطَرٌ ولا نَدَى، ثم تَرَكَه.

فأَمَرَه الله سُبْحانَه أن يَذْهَب ناحية الأُرْدُن. فمَكَثَ هناك مُخْتَفِيًا ـ وقد مَنَعَ الله قَطْرَ السَّماء حتى هَلَكَت البَهائِمُ وغيرها ـ فلم يَزَل إلْياسُ مُقيمًا في اسْتِتارِه إلى أن جَفَّ ما كان عنده من الماء. وفي طُولِ إقامَتِه كان الله ـ جَلَّ جَلالُه ـ يَبْعَث إليه بغِرْبان تَحْمِل له الخُبْزَ واللَّحْم، فلمَّا جَفَّ ماؤه الذي كان يَشْرَبُ منه لامْتِناعِ المَطَر، أَمَرَه الله أن يَسِير إلى بعض مَدائن صَيْدا.

فخَرَجَ حتى وافَى بابَ المَدينَة، فإذا امْرَأةٌ تَحْتَطِب، فسأَلَها ماءً يَشْرَبه وخُبْزًا يأْكُلُه، فأَقْسَمَت له أنَّ ما عندها إلَّا مثل غَرْفَة دَقيق في إناءٍ وشيءٍ من زَيْت في جَرَّة، وأنَّها تَجْمَع الحَطَب لتَقْتات منه هي وابنها. فبَشَّرها إلْياسُ ـ عليه السَّلام ـ وقال لها: لا تَجْزَعي وافْعَلي ما قُلْتُ لك، واعْمَلي لي خُبْزًا قَليلًا قبل أن تَعْمَلي لنفسك ولوَلَدِك، فإنَّ الدَّقيقَ لا يَعْجَز من الإناء ولا الزَّيْت من الجَرَّة

---

a) بولاق: أخوب. b) كذا في نسخ الخطط، وفي المصادر: أرابل أو أربيل أو زابل (؟)

---

[١] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٥٣، ونشرة Breydy ١٨-١٩. [٢] نفسه ١: ٥٦، نفسه ١٩.

حتى يَنْزِل المَطَر ، ففَعَلَت ما أَمَرَها به ، وأقامَ عندها ، فلم يَنْقُص الدَّقيقُ ولا الزَّيْتُ بعد ذلك ، إلى أن ماتَ وَلَدُها ، وجَزَعَت عليه ، فسألَ إلْياس رَبَّه تعالى فأحْيا الوَلَد [1].

وأَمَرَهُ الله أن يَسِير إلى آخاب[a] مَلك بني إسْرائيل ليُنْزِل المَطَرَ عند إخْبارِه له بذلك ، فسارَ إليه ، وقال له : اجْمَع بني / إسْرائيل وأبْناء بَعَال . فلمّا اجْتَمَعُوا قال لهم إلْياسُ : إلى متى هذا الضَّلال ؟ ٢: إنْ كان الرَّبُّ الله فاعْبُدُوه ، وإنْ كان بَعَال هو الله ، فارْجِعُوا بنا إليه . وقال : ليُقَرِّب كُلٌّ منّا قُرْبانًا ، فأُقَرِّب أنا لله ، وقرِّبُوا أنتم لِبَعَال ، فمن تُقُبِّلَ منه قُرْبانُه ، ونَزَلَت نارٌ من السَّماء فأكَلَتْه ، فإلهُهُ الذي يُعْبَد . فلمّا رَضُوا بذلك ، أحْضَرُوا ثَوْرَيْن ، واخْتارُوا أحَدَهما وذَبَحُوه ، وصارُوا يُنادُون عليه : يال بَعَال ، يال بَعَال ، وإلْياس يَسْخَر بهم ويقول : لو رَفَعْتُم أصْواتَكم قليلًا فلعلَّ إلٰهَكم نائِمٌ أو مَشْغُول . وهم يَصْرُخُون ويَجْرَحُون أيْديهم بالسَّكاكين ودَماؤُهم تَسيل ، فلمّا أيِسُوا من أن تَنْزِل النّارُ وتأْكُل قُرْبانَهُم ، دَعَا إلْياس القَوْمَ إلى نفسه ، وأقامَ مَذْبَحًا ، وذَبَحَ ثَوْرَه وجَعَلَه على المَذْبَح ، وصَبَّ الماءَ فَوْقَه ثلاث مَرّات ، وجَعَلَ حَوْلَ المَذْبَح خَنْدَقًا مَحْفُورًا . فلم يَزَلْ يَصُبّ الماءَ فَوْقَ اللَّحْم حتى امْتَلأَ الخَنْدَق من الماء ، وقامَ يَدْعُو الله ـ عَزَّ اسْمَه ـ وقال في دُعائِه : اللّهم أَظْهِر لهذه الجَماعَة أنَّك الرَّبُّ ، وأنّي عَبْدُك عامِل بأمْرِك . فأَنْزَلَ الله سُبْحانَه نارًا من السَّماء أَكَلَت القُرْبان ، وحِجارَة المَذْبَح التي كان فَوْقَها اللَّحم ، وجَميعَ الماءَ الذي صُبَّ حَوْلَه . فَسَجَدَ القَوْمُ أجْمَعُون ، وقالوا : نَشْهَدُ أنَّ الرَّبَّ الله ، فقال إلْياسُ : خُذُوا أنْبِياءَ[b] بَعَال ، فأُخِذُوا وجيءَ بهم ، فذَبَحَهم كُلَّهم ذَبْحًا ، وقال لآخاب[a]: انْزِل وكُل واشْرَب ، فإنَّ المَطَر نازِلٌ ، فنَزَلَ المَطَرُ على ما قال .

وكان الجُهْدُ قد اشْتَدَّ ، لانقِطاع المَطَر مُدَّة ثلاث سنين وأشهر ، وغَزُرَ المَطَرُ حتى لم يَسْتَطع آخاب[a] أن يَتَصَرف لكثرته ، فغَضِبَت سيصْيال ، امْرأة آخاب[a]، لقَتْل أنْبِياءِ[b] بَعَال ، وحَلَفَت بآلِهَتها لتَجْعَلَن رُوحَ إلْياس عوضَهم [2]. ففَزِعَ إلْياس ، وخَرَجَ إلى المفاوز وقد اغْتَمّ غَمًّا شديدًا ، فأَرْسَلَ الله إليه مَلَكًا معه خُبْزٌ ولَحْمٌ وماءٌ ، فأكَلَ وشَرِبَ ، وقَوّاهُ الله حتى مَكَثَ بعد هذه الأَكْلَة

a) بولاق : أحؤب . b) بولاق : أبناء .

[1] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٥٧، ونشرة Breydy ٢٠.

[2] نفسه ١ : ٥٧ – ٥٨، نفسه ٢١ – ٢٢.

أربعين يومًا لا يأكُل ولا يَشْرَب . ثم جاءَه الوَحْيُ بأن يَمْضي إلى دِمَشْق ، فسَارَ إليها ، وصَحِبَ إليَسَعُ بن شَافَاتa) ـ ويُقالُ بن حَظُور ـ فصَارَ تلميذه . فخَرَجَ من أريحَا ومعه إليَسْع حتى وَقَفَ على الأُرْدُن ، فنَزَع رِداءَه ولَفَّه ، وضَرَبَ به ماءَ الأُرْدُن ، فافْتَرَق الماءُ عن جانِبَيْه وصارَ طَريقًا . فقال إلْيَاس حينئذٍ لإلْيَسَعْ : اسأل ما شِئْت قَبْلَ أن يُحالَ بَيْني وبينك ، فقال إليَسْع : أسأل أن يكون رُوحُك فيَّ مُضاعَفًا ، فقال : لقد سألت جَسِيمًا ، ولكن إنْ أبْصَرْتَني إذا رُفِعْتُ عنك يكون ما سألت ، وإنْ لم تُبْصِرْني لم يكن . وبينما هُمَا يتحدَّثان إذْ ظَهَرَ لهما كالنَّار فَرَّق بينهما ، ورُفِعَ إلْياس إلى السَّمَاء وإلْيَسَعْ يَنْظُره ، فانْصَرَفَ وقامَ في النُّبُوَّة مَقامَ إلْياس .

وكان رَفْعُ إلْياس في زَمَن يَهُورام بن يَهُوشافاط ، وبين وَفاة مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ وبين آخِر أيَّام يَهُورام خمس مائة وسبعون سنة ، ومُدَّة نُبُوَّة مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ أربعون سنة . فعلى هذا يكون مُدَّة عُمْر إلْياس ، من حين وُلِدَ بمصر إلى أن رُفِعَ بالأُرْدُن إلى السَّماءِ ، ستّ مائة سنة وبضع سنين .

والذي عليه عُلَمَاءُ أهْلِ الكِتابِ ، وجَماعَةٌ من عُلَمَاءِ المسلمين ، أنَّ إلْياسَ حَيٌّ لم يَمُت . إلَّا أنَّهم اخْتَلَفُوا فيه ، فقال : بعضُهم إنَّه هو فِينْحاس كما تقدَّم ذكره ، ومَنَعَ هذا جَماعَةٌ وقالوا : هما اثْنان ، والله أعْلم .

كَنِيسَةُ المَصَّاصَة

هذه الكَنيسَةُ يُجِلُّها اليَهُودُ ، وهي بخُطِّ المَصَّاصَة من مَدينَةِ مصر ، ويَزْعُمُون أنَّها رُمِّمَت في خِلافَةِ أمير المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ ومَوْضِعُها يُعْرَف بدَرْبِ الكَرْمَة ، وبُنِيَت في سنة خمس عشرة وثلاث مائة للإسْكَنْدَر ، وذلك قَبْل المِلَّة الإسْلامية بنحو ستّ مائة وإحدى وعشرين سنة ، ويَزْعُم اليَهُودُ أنَّ هذه الكَنيسَة كانت مَجْلِسًا لنَبِيّ الله إلْياس [1] .

---

a) عند ابن البطريق : إليشع بن يوثافاط .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤:١٠٨ ، وفيه أنَّها كنيسة لليهود القرّائين بالمَصُوصَة بزُقاقٍ من أزِقَّة عَرَب الكَرْمَة .

كنيسة الشاميين

هذه الكَنيسَةُ بخُطِّ قَصْرِ الشَّمْع من مَدينَة مصر. وهي قَديمَةٌ مكتوبٌ على بابِها بالخَطِّ العِبْراني ـ حَفْرًا في الخَشَب ـ أنَّها بُنِيَت في سنة ستٍّ وثلاثين وثلاث مائةٍ للإسْكَنْدَر، وذلك قَبْل خَراب بَيْتِ المَقْدِس الخَرابَ الثَّاني ـ الذي خَرَّبَه طِيطُش ـ بنحو خمسٍ وأربعين سنة، وقَبْل الهِجْرَة بنحو ستّ مائة سنة، وبهذه الكَنيسَة نُسْخَةٌ من التَّوْراة لا يَخْتَلِفُون في أنَّها كلَّها بخَطِّ عِزْرا النَّبي، الذي يُقالُ له بالعربية العُزَيْر[1].

كنيسة العراقيين

هذه الكَنيسَةُ أيضًا بخُطِّ قَصْر الشَّمْع[2].

كنيسة بالجوذرية

هذه الكَنيسَةُ بحارَةِ الجَوْذَرِيَّة من القاهِرَة. وهي خَرابٌ منذ أَحْرَقَ الخَليفَةُ الحاكِمُ بأَمْرِ الله حارَةَ الجَوْذَرِيَّة على اليَهُود، كما تَقَدَّم ذِكْرُ ذلك في الحارات، فانْظُره[3].

---

[1] أبو المكارم: تاريخ ٥٤ (أبو صالح: تاريخ ٥٦)؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣١٧؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٨، وفيه أنّها بجوار خُوخَة خبيصة والدَّرْب هناك. وهذه الكنيسةُ هي التي عُرِفَت فيما بعد بـ «مَعْبَد بن عِزْرَة» وتَقَع شَرْق كنيسة أبو سِرْجة بالقرب من كنيسة السّتّ بَرْبارة داخل حِصْن بابليون، وكانت في الأصل كنيسة للملاك ميخائيل وبيعت لليهود في عَهْدِ أحمد بن طُولُون (فيما يلي ١٠٠٤). وهُدِمَت هذه الكنيسة وأُعِيدَ بناؤها في نهاية القرن التاسع عشر، وفي أثناء عملية الهَدْمِ كُشِفَ بداخلها عن مجموعة أوراق الجنِيزَة Cairo Geniza Documents. (راجع، Coquin, Ch., *Les edéfices chrétiens du Vieux-Caire*, pp. 173-76؛ بدرام ميكال: الآثار اليهودية في مصر، ترجمة الضوي يونس وعمرو زكريا، القاهرة - دار الفكر الحديث ١٩٩٦، ٢٩- ٤٤؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٤٢٧- ٤٣٨؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس والأديرة في مصر ٩١. وراجع عن أوراق الجنيزة واكتشافها المُقَدِّمَة الشاملة التي كتبها س. د. جويتين Goitein, S.D. *A Mediterranean Society* I, pp. 1-28; id., *EI*[2] art. *Genniza* II, pp. 1010-12).

[2] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٨، وفيه أنّها بزقاق اليهود بجوار المُعَلَّقَة.

[3] فيما تقدم ٣: ١٢.

كَنِيسَةُ القَـرَّائِين

هذه الكَنيسَةُ كان يُسْلَك إليها من تِجَاهِ بابِ سِرِّ المارِسْتان المَنْصُوري في حَدْرَةٍ يُنْتَهَى إليها بحارَة زَوِيلَة [1]، وقد سُدَّت الخُوخَة التي كانت هناك، فصَارَ لا يُتَوَصَّل إليها إلَّا من حَارَةِ زَوِيلَة . وهي كَنيسَةٌ تَخْتَصُّ بطائِفَةِ اليَهُود القَرَّائِين .

كَنِيسَةُ دارِ الحَدْرَة

هذه الكَنيسَةُ بحارَةِ زَوِيلَة ، في دَرْبٍ يُعْرَف الآن بدَرْبِ الرَّايِض ، وهي من كنائِس الـ (a .

كَنِيسَةُ الرَّبَّانِيِّين ٤٧٢

هذه الكَنيسَةُ بحارَةِ زَوِيلَة ، بدَرْبٍ يُعْرَف الآن بدَرْبِ البَنَّادين ، يُسْلَك منه إلى تِجَاه السَّبْعِ قاعاتِ وإلى سُوَيْقَة المَسْعُودي وغيرها وهي كَنيسَةٌ تَخْتَصُّ بالرَّبَّانِيِّين من اليَهُود .

كَنِيسَةُ ابن شُمَيْخ

هذه الكَنيسَةُ بجِوار المَدْرَسَة العاشُورِيَّة من حارَة زَوِيلَة . وهي مِمَّا يَخْتَصُّ به طائِفَةُ القَرَّائِين .

كَنِيسَةُ السَّمَـرة

هذه الكَنيسَةُ بحارَةِ زَوِيلَة ، في خُطِّ دَرْبِ ابن الكُوراني ، تَخْتَصُّ بالسَّمَرة .

وجَميعُ كَنائِسِ القاهِرَة المذكورَة مُحْدَثَةٌ في الإسْلام بِلا خِلافٍ .

---

a) بياض في الأصول .

---

[1] يعد من ضمن حارَة زَوِيلَة القديمة الحارة المعروفة الآن بحارَة اليهود الرَّبَّانيين التي يُسْلَك إليها من سُوقِ الصَّيارِفَة ، وحارَة اليهود القَرَّائين التي يُسْلَك إليها من الخُرُنْفِش عند بابِ سُوقِ السَّمَك وأيضًا من شارع خميس العَدْس ودَرْبِ الصَّقالِيَة . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٣ : ٧٣ (٥)) .

ذِكْرُ تَارِيخِ اليَهُودِ وأعْيَادِهِم[1]

قد كانت اليَهُودُ أوَّلًا تُؤَرِّخُ بِوَفاةِ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ ثم صَارَت تُؤَرِّخُ بتأريخ الإسْكَنْدَر ابن فيلبس. وشُهُورُ سَنَتِهِم اثْنَا عَشَر شهرًا، وأيَّامُ السَّنَة ثلاث مائة وأربعة وخمسون يومًا. فأمَّا الشُّهُور فإنَّها: تِشْري، مَرْحِشْوان، كِسْليو، طِيبِت، شِفَط، آذَر، نِيسَن، أيَار، سِيْوان، تَمُّوز، آبْ، أيْلُول[2].

وأيَّامُ سَنَتِهم أيَّامُ سنة القَمَر، ولو كانوا يَسْتَعْمِلونها على حالِها لكانت أيَّامُ سَنَتِهم وعَدَدُ شُهُورهم شيئًا واحِدًا، ولكنه لمَّا خَرَجَ بنو إسْرائيل من مِصْر مع مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ إلى التِّيه، وتَخَلَّصُوا من عَذابِ فِرْعَوْن وما كانوا فيه من العُبُودية، واتَّمَرُوا بما أُمِرُوا به ـ كما وُصِفَ في السِّفْر الثَّاني من التَّوْراة ـ اتَّفَقَ ذلك ليلة اليوم الخامِس عشر من نِيسَن، والقَمَرُ تامُّ الضَّوْء، والزَّمانُ

---

[1] لمزيد من المعلومات عن تاريخ اليهود في مصر، راجع مصطفى كمال عبد العليم: اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان، القاهرة ١٩٦٨؛ Mann, J., *The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs*, I-II, Oxford 1920; Fischel, W. J., *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, NY 1969; Goitein, S.D., *A Mediterranean Society. The Jews Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza*, I-V, Berkely - Los Angles 1967-89; Golb N., «The Topography of the Jews of Medieval Egypt: Inductive Studies Based Primarily upon Documents from the Cairo Geniza», *JNES* 24 (1967), pp. 251-70, 32 (1974), pp. 116-49; Stern, S. M., «A Petition of the Fatimid Caliph al-Mustanir concerning a Conflict within the Jews Community», *REJ* 138 (1969), pp. 203-15; Ashtor, E., «The Number of the Jews in Mediaeval Egypt», *JJS* 18 (1967), pp. 9-42, 19 (1969), pp. 1-22; Bosworth, C.E., «Christian and Jewish Religious Dignitaris in Mamluk Egypt and Syria: Qalqashandi's Information on their Hierarchy, Titulature and Appointment», *IJMES* 3 (1972), pp. 59-74, 199-216; Cohen, M. R., *Jewish Self-Governement in Medieval Egypt. The Origins of the Office of Head of the Jews, Ca 1065-1126.* Princeton 1980; Stilman, N.A., «The Non-Muslim Communities: The Jewish Community» in *The Cambridge History of Egypt*, vol I-Islamic Egypt, Petry C. F., (ed.), Cambridge 1998, pp. 198-210؛ مارك كوهن: المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى، جامعة تل أبيب ١٩٨٧؛ قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى – دراسة وثائقية، القاهرة ١٩٧٧، نفسه: اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، القاهرة ١٩٨٧.

[2] البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية ٥٢؛ النويري: نهاية الأرب ١: ١٥٩.

رَبيع. فأُمِرُوا بحِفْظِ هذا اليوم، كما قال في السِّفْر الثَّاني من التَّوْراة: احْفَظُوا هذا اليوم سُنَّةً، لخَلُوفِكم إلى الدَّهْرِ في أربعة عَشَرَ من الشهر الأوَّل، وليس مَعْنَى الشَّهر الأوَّل هذا شَهْر تِشْري، ولكنَّه عَنَى به شَهْر نِيْسَن، من أجْلِ أنَّهم أُمِرُوا أنْ يكون شَهر الباسخ[a] رَأْس شُهُورهم، ويكون أوَّلَ السَّنَة. فقال مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ للشَّعْب: «اذْكُرُوا اليوم الذي خَرَجْتُم فيه من التَّعَبُّد، فلا تأكُلوا خَميرًا في هذا اليوم، في الشهر الذي يَنْضُرُ فيه الشَّجَر»[1]. فلذلك اضْطُرُّوا إلى اسْتِعمالِ سنة الشَّمْسِ، ليَقَعَ اليومُ الرَّابع عشر من شهر نِيسَن في أوانِ الرَّبيع حين تُورِقُ الأشْجارُ وتُزْهِرُ[b] الثِّمارُ، وإلى اسْتِعْمالِ سَنَةِ[c] القَمَرِ ليكون جِرْمُه فيه بَدْرًا تامَّ الضَّوْء في بُرْجِ الميزان.

وأحْوَجَهُم ذلك إلى إلْحاقِ الأيَّام التي يُتَقَدَّم بها عن الوَقْتِ المَطْلوب بالشُّهُور إذا اسْتَوْفَت أيَّام شَهْرٍ واحِد، فألْحَقُوها بها شهرًا تامًّا سَمُّوه آذارَ الأوَّل وسَمُّوا آذارَ الأصْلي آذارَ الثَّاني لأنَّه رَدَفَ سَمِيًّا له وتَلاه، وسَمَّوْا السَّنَة الكَبيسة «عِبُورًا» اشْتِقاقًا من مُعُبارث وهي المَرْأةُ الحُبْلَى بالعِبْرانية، لأنَّهم شَبَّهُوا دُخُولَ الشَّهْر الزَّائِد في السَّنَة بحَمْلِ المَرْأة ما ليس من جُمْلَتها[2]، ولهُم في اسْتِخْراجِ ذلك حِساباتٌ كثيرةٌ مذكورةٌ في الأزْياج.

وهم في عَمَلِ الأَشْهُر مُفْتَرِقُون فِرْقَتَيْنِ:

إحْداهُما الرَّبَّانِيَّة: واسْتِعْمالهم إيَّاها على وَجْهِ الحِسَابِ بمَسِيري الشَّمْسِ والقَمَرِ الوسط، سواء رُئِيَ الهِلالُ أو لم يُرَ، فإنَّ الشهر عندهم هو مُدَّةٌ مَفْروضَةٌ تَمْضي من لدن الاجْتِماع الكائِن بين الشَّمْس والقَمَرِ في كُلِّ شَهْر. وذلك أنَّهم كانوا ـ وَقْتَ عَوْدِهِم من الجالية ببابِل إلى بَيْتِ المَقْدِس ـ يَنْصِبُون على رُؤوس الجِبالِ دَيادِبَ، ويُقيمُون رُقَباء للفَحْصِ عن الهِلال، وألْزَمُوهُم بإيقادِ النَّار، وتَدْخينِ دُخَانٍ يكون عَلامَةً لحُصُولِ الرُّؤْيَة.

وكانت بينهم وبين السَّامِرَة العَداوَةُ المعروفةُ، فذَهَبَت السَّامِرَةُ ورَفَعُوا الدُّخانَ فَوْق الجَبَلِ قَبْل الرُّؤْيَة بيوم، ووالَوْا بين ذلك شُهُورًا اتَّفَقَ في أوائِلها أنَّ السَّمَاء كانت مُتَغَيِّمَة حتى فَطِنَ لذلك مَنْ في بَيْتِ المَقْدِس، ورأَوْا الهِلالَ غَداةَ اليوم الرَّابع أو الثَّالِث من الشهر مُرْتَفِعًا عن الأُفُق من جِهَة المَشْرِق، فعَرَفُوا أنَّ السَّامِرَة فَتَنَتْهم، فالْتَجأوا إلى أصْحابِ التَّعاليم في ذلك الزَّمان ليأمَنُوا بما

a) عند البيروني: الفصح، وهي الصواب. b) بولاق: تزهو. c) عند البيروني: شهور.

[1] ويعرف بـ «عيد الفطيرة»، انظر فيما يلي ٩٦١.
[2] البيروني: الآثار الباقية ٥٢-٥٣.

يَتَلَقَّوْنه من حِسابِهِم مَكايِدَ الأَعْداء، واعْتَلُّوا لجَوازِ العَمَلِ بالحِسابِ، ونِيابَتِه عن العَمَلِ بالرُّؤْيَة، بعِلَلٍ ذَكَروها. فعَمِلَ أَصْحابُ الحِسابِ لهم الأَدْوارَ، وعَلَّمُوهم اسْتِخْراجَ الاجْتِماعاتِ ورُؤْيَةِ الهِلال [1].

وأَنْكَرَ بعضُ الرَّبَّانِيَّة حَديثَ الرُّقَباءِ ورَفْعهم الدُّخَان، وزَعَمُوا أَنَّ سَبَبَ اسْتِخْراج هذا الحِساب هو أَنَّ عُلَمَاءَهم عَلِمُوا أَنَّ آخِرَ أَمْرِهِم إلى الشَّتاتِ، فخَافُوا إذا تَفَرَّقُوا في الأَقْطار، وعَوَّلُوا على الرُّؤْيَة، أن تَخْتَلِفَ عليهم في البُلْدانِ المختلفة، فيَتَشَاجَرُوا، فلذلك اسْتَخْرَجُوا هذه الحُسْبَانات، واعْتَنَى بها إليعازرُ بن فروح، وأَمَرُوهُم بالْتِزامِها والرُّجُوعِ إليها حَيْث كانُوا [2].

والفِرْقَةُ الثَّانية هم المَبادِيَّة[a] الذين يَعْمَلُون[b] مَبادئَ الشُّهور من الاجْتِماع[c]، ويُسَمُّوْن القُرَّاء والأَشْمَعِيَّة، لأَنَّهم يُراعُون العَمَلَ بالنُّصُوصِ دون الالْتِفاتِ إلى النَّظَرِ والقِياس [3].

ولم يَزالُوا على ذلك إلى أن قَدِمَ عانان رأس الجَالُوت من بِلادِ المَشْرِقِ، في نحو الأربعين ومائة من الهجرة، إلى دارِ السَّلام بالعِراق، فاسْتَعْمَلَ الشُّهور برُؤْيَة الأَهِلَّة، على مِثْلِ ما شُرِعَ في الإسْلام، ولم يُبال / أيّ يوم وَقَعَ من الأسْبوع، وتَرَكَ حِسابَ الرَّبَّانيين، وكَبَسَ الشُّهور بأن نَظَرَ كُلَّ سَنَةٍ إلى زَرْعِ الشَّعير بنواحي العِراقِ والشَّام، فيما بين أَوَّلِ شهر نِيسَن إلى أن يَمْضي منه أربعة عشر يومًا، فإنْ وَجَدَ باكُورَةً تَصْلُح للفَريك والحَصَاد تَرَكَ السَّنَة بَسيطَةً، وإنْ وَجَدَها لم تَصْلُح لذلك كَبَسَها حينئذٍ.

وتَقَدَّمَت المَعْرِفَةُ بهذه الحالَةِ أَنَّ من أُخِذَ برَأْيِه يَخْرُج لسبعةٍ تبقى من شِفْط، فيَنْظُرُ بالشَّام والبِقاع المُشابِهَة له في المِزاج إلى زَرْعِ الشَّعير، فإنْ وَجَدَ السَّفَا ـ وهو شَوْكُ السُّنْبُل ـ قد طَلَعَ عَدَّ منه إلى الباسح[d] خمسين يومًا، وإنْ لم يَرَه طَالِعًا كَبَسَها بشَهْرٍ: فبَعْضُهم يُرْدِف الكَبْس بشِفْط، فيكون في السَّنَة شِفْط وشِفْط مرّتين، وبعضهم يُرْدفه بآذَر، فيكون آذَر وآذَر في السنة مرّتين. وأَكْثَرُ اسْتِعْمال العانانية لشِفْط دون آذَر، كما أَنَّ الرَّبَّانية تَسْتَعْمِل آذَر دون غيره [4].

---

a) النّسخ: الميلادية، وانظر فيما يلي ٩٥٥: ٤. b) بولاق: يعلمون. c) في الآثار الباقية: من عند الاجتماع. d) الآثار الباقية: الفصح.

---

[1] البيروني: الآثار الباقية ٥٧ - ٥٨.

[2] نفسه ٥٨.

[3] نفسه ٥٨؛ وفيما يلي ٩٥٥.

[4] نفسه ٥٩.

فمن يَعْتَمِدُ من الرَّبانِيَّة عَمَلَ الشُّهور بالحِسابِ ، يقول : إنَّ شَهْر تِشْري لا يكون أوَّلُه يوم الأحد والأربعاء ، وعِدَّته عندهم ثلاثون يومًا أبدًا ، وفيه «عيد رَأس السَّنَة» ، وهو عيدُ البِشارَة بعَتْقِ الأرِقَّاء ، وهذا العِيدُ في أوَّل يومٍ منه [1].

ولهم أيضًا في اليوم العاشِر منه «صَوْمُ الكِبُور» ، ومعناه «الاسْتِغْفار» . وعند الرَّبَّانِيين أنَّ هذا الصَّوْمَ لا يكون أبدًا يوم الأحد ولا الثلاثاء ولا الجُمُعَة ، وعند من يَعْتَمِد في الشُّهُور الرُّؤْيَة أنَّ ابْتِداءَ هذا الصَّوْم من غُرُوبِ الشَّمْس في ليلة العاشِر إلى غُرُوبها من ليلة الحادي عَشَر ، وذلك أرْبَع وعشرون سَاعَة . والرَّبَّانِيُّون يجعلون مُدَّةَ الصَّوْم خمسًا وعشرين ساعَةً إلى أن تَشْتَبِك النُّجُومُ ، ومن لم يَصُم منهم هذا الصَّوْم قُتِلَ شَرْعًا ، وهم يَعْتَقِدون أنَّ الله يَغْفِر لهم فيه جَميعَ الذُّنُوب ، ما خَلا الزِّنا بالمُحْصَنَات ، وظُلْم الرَّجُلِ أخاه ، وجَحْدِ الرُّبُوبِيَّة [2].

وفيه أيضًا «عِيدُ المِظَلَّة» [a]، وهو سبعةُ أيَّام ، يُعَيِّدُون في أوَّلِها ، ولا يَخْرُجون من بُيُوتِهم كما هو العَمَلُ يوم السَّبْت . وعِدَّةُ أيَّام المِظَلَّة إلى آخِر اليوم الثَّاني والعشرين تَمام سبعة أيَّام ، واليوم الثامِن يقالُ له «عيدُ الاعْتِكاف» ، وهم يَجْلِسون في هذه الأيَّام السَّبْعة ـ التي أوَّلُها خامِس عشر تِشْري ـ تحت ظِلالِ سَعْفِ النَّخْل الأخْضَر وأغْصَانِ الزَّيْتُون ، ونحوها من الأشْجار التي لا يَتَنَاثَرُ وَرَقُها على الأرْض ، ويَرَوْن أنَّ ذلك تَذْكارٌ منهم لإظْلالِ الله آباءَهم في التِّيه بالغَمَام . وفيه أيضًا ، عند القَرَّائين خاصَّةً ، صَوْمٌ في اليوم الرَّابِع والعشرين منه ، يُعْرَف بـ « صَوْم كَدَلْيا » ، وعند الرَّبَّانيين يكون هذا الصَّوْمُ في ثالِثِه [3].

وشهر مَرَحِشْوان رُبَّما كان ثلاثين يومًا ، ورُبَّما كان تسعة وعشرين يومًا ، وليس فيه عيد [4].

وكِسْلِيو رُبَّما كان ثلاثين يومًا ، ورُبَّما كان تسعة وعشرين يومًا ، وليس فيه عيد ، إلَّا أنَّ الرَّبَّانيين

---

a) الآثار الباقية : عيد المظال .

---

[1] البيروني : الآثار الباقية ٢٧٥؛ ويسمُّونه «عيد رأس هيشاه أي «عيد رأس الشهر» (فيما يلي ٩٦٢).

[2] نفسه ٢٧٦-٢٧٧، وفيه أنَّ صَوْمَ الكِبور يدعى العاشُوراء، وهو الصَّوْمُ المفروض بين سَائر الصِّيام؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤٣٦:٢ وسمَّاه كذلك: «عيد صُومازيا».

[3] البيروني : الآثار الباقية ٢٧٧؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤٣٦:٢-٤٣٧.

[4] نفسه ٢٧٧، وفيه : وعَدَدُ أيَّامه ثلاثون في السنة التامَّة وتسعة وعشرون في المعتدلة والنَّاقِصة.

يَسْرُجُون على أبْوابِهم ليلة الخامس والعشرين منه ، وهو مُدَّة أيَّام يُسَمُّونَها « الحنُكَة »[1] ، وهو أمْرٌ مُحْدَثٌ عندهم ، وذلك أنَّ بعض الجَبَابِرة[2] تَغَلَّب على بَيْتِ المَقْدِس ، وقَتَلَ من كان فيه من بني إسْرائيل ، وافْتَضَّ أبْكارَهم . فوَثَب عليه أوْلادُ كاهِنِهم[a] ـ وكانوا ثمانية ـ فقَتَلَه أصْغَرُهم ، وطَلَبَ اليَهُود زَيْتًا لوَقُود الهَيْكَل ، فلم يَجِدُوا إلَّا يَسيرًا وَزَّعُوه على عَدَدِ ما يُوقِدُونه من السُّرُج في كلّ لَيْلَة إلى ثمانِ لَيال ، فاتَّخَذُوا هذه الأيَّام عيدًا ، وسَمُّوْها « أيَّام الحنُكَة » ، وهي كلمة مأخوذة من التَّنْظيف ، لأنَّهم نَظَّفُوا فيها الهَيْكَل من أقْذارِ أشْياعِ ذلك الجبَّار . والقَرَّاءون لا يَعْمَلون ذلك ، لأنَّهم لا يُعَوِّلون على شيءٍ من أمْرِ البَيْت الثَّاني[3] .

وشهر طِيبِت عَدَدُ أيَّامه تسعة وعشرون يومًا . وفي عاشِره صَوْمٌ ، سَبَبُه أنَّه في ذلك اليوم كان ابتداءُ مُحاصَرَة بُخْتَ نَصَّر لمَدينَة بَيْتِ المَقْدِس ، ومُحاصَرَة طِيطُش لها أيضًا في الخَرابِ الثَّاني[4] .

وشِفْط أيَّامُه أبدًا ثلاثون يومًا ، وليس فيه عيد[5] .

وشهرُ آذَر عند الرَّبَّانِيين ـ كما تقدَّم ـ يكون مرَّتين في كُلِّ سَنَة : فآذَر الأوَّل عَدَدُ أيَّامِه ثلاثون يومًا إن كانت السَّنَة كَبِيسَة ، وإنْ كانت بَسيطَة فأيَّامُه تسعة وعشرون يومًا ، وليس فيه عيدٌ عندهم . وآذَر الثَّاني أيَّامُه تسعة وعشرون يومًا أبدًا ، وفيه عند الرَّبَّانِيين صَوْمُ البُوري [ومعناه المُساهَمَة] في اليوم الثالثَ عشرَ منه ، والفَوْر في اليوم الرابع عشر واليوم الخامس عشر .

وأمَّا القَرَّاءون فليس عندهم في السَّنَة شهر آذَر سوى مَرَّةٍ واحِدَة ، ويَجْعَلُون صَوْمَ الفَوْر في ثالِث عشره ، وبعده إلى الخامِس عشره ، وهذا أيضًا مُحْدَث . وذلك أن بُخْتَ نَصَّر لمَّا أجْلَى بني إسْرائيل من بَيْتِ المَقْدِس وخَرَّبَه ، ساقَهُم جِلايَةً إلى بِلاد العِراقِ ، وأسْكَنَهُم في مَدينة جي التي يُقالُ لها أَصْبَهَان . فلمَّا ملك أرْدَشير بن بابَك مُلْك الفُرْس ـ وتُسَمِّيه اليَهُود إخْشِوارِس[b] ـ كان له وَزيرٌ يُسَمَّى هيمون ، وكان لليَهُودِ حينئذٍ حَبْرٌ يُقالُ له مَرْدُوخاي ، فبَلَغَ أرْدَشير أنَّ له ابنة عَمٍّ جميلة الصُّورَة ، فتَزَوَّجَها وحَظِيتْ عنده ، واسْتَدْنَى مَرْدُوخاي ابن عَمِّها وقَرَّبه . فحَسَده الوَزيرُ

---

a) صبح الأعشى : أولاد كُهّانهم . b) صبح الأعشى : أجثادوس .

---

[1] ومعناه التّنظيف .
[2] هو : انخشطينوس ملك اليونانيين .
[3] البيروني : الآثار الباقية ٢٧٨؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٢:٤٣٨- ٤٣٩.
[4] نفسه ٢٧٩.
[5] نفسه ٢٧٩.

هيمون ، وعَمِلَ على هَلاكِه وهَلاكِ اليَهُود الذين في مَمْلَكة أرْدَشير ، ورَتَّبَ مع نُوّابِ أرْدَشير في سَائِر أعْمالِه أن يَقْتُلُوا كلَّ يَهُودِي عندهم في يومٍ عَيَّنَه لهم ، وهو الثالث عشر من آذر[a] [1] ، فبَلَغ ذلك مَرْدُوخاي ، فأَعْلَمَ ابنة عَمِّه بما دَبَّرَه الوَزيرُ ، وحَثَّها على إعْمالِ الحيلَة في تَخْليص قَوْمِها من الهَلَكَة . فأَعْمَلَت أرْدَشير بحَسَدِ الوَزير لمَرْدُوخاي على قُرْبِه من الملك وإكْرامِه ، وما كَتَبَ به ٤٧٤ إلى العُمَّالِ من قَتْلِ اليَهُودِ ، وما زالَت به تُغْريه على الوَزير إلى أنْ أَمَرَ بقَتْلِه وقَتْلِ أهْلِه ، وكَتَبَ / لليَهُودِ أمانًا .

فاتَّخَذَ اليَهُودُ هذا اليوم من كلِّ سنة عيدًا ، وصَامُوه شُكْرًا لله تعالى ، وجَعَلُوا من بعده يومين اتَّخذوهما أيَّام فَرَحٍ وسُرُور ولَهْوٍ ومُهاداة من بَعْضهم لبَعْض ، وهم على ذلك إلى اليوم . ورُبَّما صَوَّرَ بَعْضُهم في هذا اليوم صُورةَ هَيْمون الوَزير ، وهم يُسَمُّونه هامان ، فإذا صَوَّرُوه أَلْقَوه بعد العَبَثِ به في النَّار حتى يَحْتَرِق [2] .

وشَهْرُ نِيسَن عَدَدُ أيَّامِه ثلاثون يومًا أبدًا . وفيه «عيد الباسِح» ، الذي يُعْرَف اليوم عند النَّصارَىٰ بالفِصْح ، ويكون في الخامِس عَشَر منه ، وهو سَبْعةُ أيَّام يأْكُلُونَ فيها الفَطير ، ويُنَظِّفُون بُيُوتَهم ، من أجْلِ أنَّ الله سبحانه خَلَّصَ بني إسْرائيل من أَسْرِ فِرْعَوْن في هذه الأيَّام ، حتى خَرَجُوا من مصر مع نبيِّ الله مُوسَىٰ بن عِمْران ـ عليه السَّلام ـ وتَبِعَهم فِرْعَوْنُ فأَغْرَقَه الله ومن معه ، وسَارَ مُوسَىٰ ببَني إسْرائيل إلى التِّيه .

ولمَّا خَرَجُوا من مصر مع مُوسَىٰ ، كانوا يأْكُلُون اللَّحْم والخُبْز والفَطير ، وهم فَرِحُون بخَلاصِهِم من يَدِ فِرْعَوْن ، فأُمِرُوا باتِّخاذِ الفَطير وأَكْلِه في هذه الأيَّام ، ليَذْكُروا ما مَنَّ الله عليهم به من إنْقاذِهِم من العُبُودِيَّةِ ، وفي آخِر هذه الأيَّام السبعة كان غَرَقُ فِرْعَوْن ، وهو عندهم يَومٌ كبير [3] . ولا يكون أَوَّلُ هذا الشَّهْر عند الرَّبَّانيين أبدًا يوم الاثنين ، ولا يوم الأربعاء ولا يوم الجُمُعَة ، ويكون أَوَّلُ الخمسينيات من نصْفه .

---

a) صبح الأعشى : النصف من آذار .

---

[1] أضافَ في صبح الأعشى : «وإنَّما خَصَّ هذا اليوم دون سَائِر الأيَّام لأنَّ اليَهُودَ يَزْعُمون أنَّ مُوسَىٰ وُلِدَ فيه وتوفي به» . وواضح من تطابق نَصِّه مع نَصِّ المقريزي أنَّهما اعتمدا على مَصْدَرٍ مشترك .

[2] القلقشندي: صبح الأعشى ٢:٤٣٧-٤٣٨ .

[3] نفسه ٢: ٤٣٧.

وشَهْرُ أيار عَدَدُ أيَّامِه تسعة وعشرون يومًا . وفيه « عيدُ المَوْقِف »،وهو حَجُّ الأَسَابيع، وهي الأَسَابيع التي فُرِضَت على بني إسْرائيل فيها الفَرائِض . ويُقالُ لهذا العيد في زَمَنِنا « عيد العَنْصَرَة » ، و « عيد الخِطَاب » ، ويكون بعد « عيد الفَطير » ، وفيه خُوطِبَ بنو إسْرائيل في طُورِ سَيناء ، ويكون هذا العيد في السَّادِس منه ، وفيه أيضًا يوم الخميس ، وهو آخِر الخَمْسينيات ولا يكون « عيد العَنْصَرَة » عند الرَّبَّانيين أبدًا يوم الثلاثاء ، ولا يوم الخميس ولا يوم السَّبْت [1].

وشَهْرُ تمُّوز أيَّامُه تسعة وعشرون يومًا . وليس فيه عيدٌ ، لكنَّهم يَصُومُون في تاسِعِه لأنَّ فيه هُدِمَ سُورُ بَيْتِ المَقْدِس عند مُحاصَرَة بُخْتَ نَصَّر له . والرَّبَّانيون خاصَّةً يَصُومُون يوم السابع عشر منه ، لأنَّ فيه هَدَمَ طِيطُش سُورَ بَيْتِ المَقْدِس ، و خَرَّبَ البَيْتَ الخَرابَ الثَّاني .

وشَهْرُ آبْ ثلاثون يومًا وفيه « عيد القَرَّائين » ؛ صَوْمٌ في اليوم السابع واليوم العاشِر ، لأنَّ بَيْتَ المَقْدِس خَرِبَ فيهما على يَد بُخْتَ نَصَّر . وفيه أيضًا كان إطْلاقُ بُخْتَ نَصَّر النَّار في مَدينَة القُدْس وفي الهَيْكَل ، ويَصُومُ الرَّبَّانيون اليوم التاسع منه ، لأنَّ فيه خُرِّبَ البَيْتُ على يَد طِيطُش الخَرابَ الثَّاني .

وشهر أيْلول تسعة وعشرون يومًا أبدًا ، وليس فيه عِيدٌ [2]. والله أعْلَم .

ذِكْرُ مَعْنَى قَوْلِهِم يَهُودي

اعْلَم أنَّ يَعْقُوب بن إسْحاق بن إبراهيم ـ صَلوات الله عليهم أجمعين ـ سَمَّاهُ الله « إسْرائيل » ، ومَعْنَى ذلك الذي رأسُه القادِر ، وكان له من الوَلَدِ اثْنا عَشَرَ ذَكَرًا ، يُقالُ لكلِّ واحِدٍ منهم سِبْط ويُقالُ لمجموعهم الأسْبَاط ، وهذه أسْماؤهم : رُوبيل ، وشَمْعون ، ولاوِي ، ويَهُوذا ، ويَساخِر ، وزُبُولُون ـ والستة أشِقَّاء : أمُّهُم لِيا بنت لابان بن بَتْويل بن ناحُور ، أخي إبراهيم الخَليل [كذا] وكان ، وأشَار ، ودَان ، ونفْتالي ، ويُوسُف ، وبِنْيامِين [3].

فلمَّا كَبِرَ هؤلاء الأسْباطُ الاثْنا عَشَر ، قَدَّمَ عليهم أبُوهُم يَعْقُوب ـ وهو إسْرائيل ـ ابنه يَهُوذا ، وجَعَلَه حاكِمًا على إخْوَتِه الأحَد عشر سِبْطًا ، فاسْتَمَرَّ رَئِيسًا وحاكِمًا على إخْوَتِه إلى أن مات ،

---

[1] القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ٤٣٧؛ النويري : نهاية الأرب ١:١٩٦-١٩٧.

[2] البيروني : الآثار الباقية ٢٨٢.

[3] القلقشندي : صبح الأعشى ١٣ : ٢٦٤.

فوَرِثَت أوْلادُ يَهُوذا رياسَة الأسْباط من بعده . إلى أنْ أَرْسَلَ الله تعالى مُوسَىٰ بن عِمْران بن قاهاث ابن لاوي بن يَعْقُوب إلى فِرْعَوْن ، بعد وَفاةِ يُوسُف بن يَعْقُوب ـ عليهما السَّلام ـ بمائة وأرْبع وأربعين سنة ، وهم رُؤساءُ الأسْباط .

فلمَّا نَجَّى الله مُوسَىٰ وقَوْمَه بعد غَرَقِ فِرْعَوْن ومن معه ، رَتَّب ـ عليه السَّلام ـ بني إسْرائيل الاثني عَشَر سِبْطًا أرْبَع فِرَق ، وقَدَّمَ على جَميعهم سِبْط يَهُوذا . فلم يَزَل سِبْطُ يَهُوذا مُقَدَّمًا على سَائِر الأسْباط أيَّام حَيَاةِ مُوسَىٰ ـ عليه السلام ـ وأيَّام حَيَاة يُوشَع بن نُون . فلمَّا ماتَ يُوشَع سأل بنو إسْرائيل الله تعالى ، وابْتَهَلُوا إليه في قُبَّة الشَّمْشَار أن يُقَدِّم عليهم واحِدًا منهم ، فجاءَ الوَحْيُ من الله بتَقْديم عِثْنيآل بن قَناز من سِبْط يَهُوذا ، فتَقَدَّم على سَائِر الأسْباط ، وصارَ بنو يَهُوذا مُقَدَّمين على سَائِر الأسْباط من حينئذٍ إلى أنْ مَلَّكَ الله على بني إسْرائيل نَبِيَّه دَاودُ ـ وهو من سِبْط يَهُوذا ـ فوَرِثَ مُلْك بني إسْرائيل من بَعْده ابنه سُلَيْمان بن دَاوُد ، عليهما السَّلام . فلمَّا ماتَ سُلَيْمان افْتَرَقَ مُلْكُ بني إسْرائيل من بَعْدِه ، وصَارَ لمَدينَةِ شَمْرُون ـ التي يُقَالُ لها اليوم نابُلُس ـ عشرة أسْباط ، وبقي بمَدينَة القُدْس سِبْطان : هما سِبْطُ يَهُوذا ، وسِبْطُ بِنْيامين .

وكان يُقالُ لسُكَّانِ شَمْرُون « بنو إسْرائيل » ، ويُقالُ لسُكَّان القُدْس « بنو يَهُوذا » ، إلى أن انْقَرَضَت دَوْلَةُ بَني إسْرائيل من مَدينَة شَمْرُون بعد مائتين وإحدى وخمسين سنة ، فصارُوا كُلُّهم بالقُدْسِ تحت طاعَةِ المُلُوكِ من بني يَهُوذا إلى أن قَدِمَ بُخْتَ نَصَّر وخَرَّبَ القُدْس ، وجَلَّا جَميعَ بني إسْرائيل إلى بابِل ، فعُرِفُوا هناك بين الأُمَم بـ « بَني يَهُوذا » .

٤٧٥ واسْتَمَرَّ هذا سِمَةً لهم بين الأُمَم بعد ذلك ، إلى أن / جاءَ الله بالإسْلام ، فكان يُقالُ للواحِد منهم « يَهُوذِي » بذالٍ معجمة نسبةً إلى سِبْط يَهُوذا ، وتلاعَبَ العَرَبُ بذلك على عادَتهم في التَّلاعُب بالأسْماء المُعْجَمَة ، وقالُوها بدالٍ مهملة ، وسَمَّوا طائِفَةَ بني إسْرائيل « اليَهُود » ، وبهذ اللُّغَة نَزَلَ القُرْآن . ويُقالُ إنَّ أوَّلَ من سَمَّى بني إسْرائيل « اليَهُود » بُخْتَ نَصَّر [1] ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية ٢١٦ ، ٢٣٢ سورة البقرة ، والآية ٦٦ سورة آل عمران ، والآية ١٩ سورة النور] .

---

[1] رَجَّح القلقشندي أنَّ اشتقاق كلمة «يَهُود» من قَوْلِهم : هَادَ إذا رَجَعَ . ولَزِمَهُم هذا الاسم من قَوْلِ مُوسَىٰ - عليه السَّلام - : ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الآية ١٥٦ سورة الأعراف] ، أي رَجَعْنا وتَضَرَّعنا . (القلقشندي : صبح الأعشى ٢٥٣:١٣) .

ذِكْرُ أَصْلِ[a] مُعْتَقَدِ اليَهُودِ وَكَيْفَ وَقَعَ عِنْدَهُم التَّبْدِيل

اعْلَم أنَّ الله تعالى[b] لمَّا أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ على نَبِيِّه مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ ضَمَّنَها شَرائِعَ المِلَّة المُوسَوِيَّة ، وأَمَرَ فيها أن يُكْتَب لكلِّ مَنْ يلي أمْرَ بني إسْرائيل كِتابٌ يَتَضَمَّن أحْكامَ الشَّريعَة لِيَنْظُر فيه ، ويَعْمَل به ، وسُمِّي هذا الكِتابُ بالعِبْرانية « مِشْنَا » ، ومَعْناه : اسْتِخْراج الأحْكام من النَّصِّ الإلهي ، وكَتَبَ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ بخَطِّ يَدِه « مِشْنا » كأنَّه تَفْسيرٌ لما في التَّوْراةِ من الكلام الإلهي [1].

فلمَّا مَاتَ مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ وقامَ من بعده بأمْرِ بني إسْرائيل يُوشَع بن النُّون ومَنْ بَعْدَه ، إلى أن كانت أيَّامُ يُهُيَاخيم[c] ملك القُدْسِ ، غَزاهُم بُخْتَ نَصَّر الغَزْوَة الأُولى وهم يَكْتُبُون لكلٍّ من مَلَكَهم « مِشْنا » ، يَنْقِلُونَها من المِشْنَا التي بخَطِّ مُوسَىٰ ، ويَجْعَلُونَها باسْمِه . فلَمَّا جَلَا بُخْتَ نَصَّر يُهُيَاخيم[c] الملكَ ، ومعه أعْيانَ بني إسْرائيل وكُبَرَاءَ بَيْت المَقْدِس ـ وهم في زِيادَةٍ على عشرةِ آلاف نَفْس ـ سَارُوا ، ومعهم نُسَخُ « المِشْنا » التي كُتِبَت لسَائِر مُلُوكِ بني إسْرائيل بأَجْمَعِها ، إلى بِلاد المَشْرِق .

فلمَّا سَارَ بُخْتَ نَصَّر من بابِل الكَرَّة الثَّانية لغَزْوِ القُدْس ، وخَرَّبَه ، وجَلَّا جَميعَ مَنْ فيه وفي بِلاد بني إسْرائيل من الأسْباط الاثني عشر ، إلى بابِل ، أقامُوا بها ، وبَقِي القُدْسُ خَرابًا لا ساكِنَ فيه مُدَّةَ سبعين سنةٍ ، ثم عادُوا من بابِل بعد سبعين سنة ، وعَمَّرُوا القُدْس ، وجَدَّدُوا بِناءَ البَيْتِ ثانِيًا ، ومعهم جَميعُ نُسَخ « المِشْنَا » التي خَرَجوا بها أوَّلًا .

فلمَّا مَضَتْ من عِمارَةِ البَيْتِ الثَّاني بعد الجَلَاية ثلاث مائة ونَيِّف من السِّنين ، اخْتَلَفَ بنو إسْرائيل في دينِهم اخْتِلافًا كثيرًا ، فخَرَجَ طائِفَةٌ من آلِ دَاوُد ـ عليه السَّلام ـ من بَيْت المَقْدِس ،

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : سبحانه . c) بولاق : يهوياقيم .

---

[1] راجع عن التَّوْراة JE art. *Torah* XII, pp. 196-99; Urbach, E.E., *ER* art. *Torah* XIV, pp. 556-65؛ وعن «المِشْنَا» *JE* art. *Mishnah* VIII, pp. 609-19; Neusber, J., *ER* art. *Mishna and Tosefta* IX, pp. 559-63.

وسَارُوا إلى الشَّرْق كما فَعَلَ آباؤهم أوَّلًا ، وأخَذُوا معهم نُسَخًا من « المِشْنَا » التي كُتِبَت للمُلُوك من « مِشْنَا » مُوسَىٰ التي بخَطِّه ، وعَمِلُوا بما فيها ببلاد الشَّرْق من حين خَرَجُوا من القُدْسِ إلى أن جَاءَ الله بدِينِ الإسْلام ، وقَدِمَ عانان رأس الجَالُوت من المَشْرِق إلى العِراق ، في خِلافَةِ أمير المؤمنين أبي جَعْفَر المَنْصُور ، سنة ستٍّ وثلاثين ومائةٍ من سني الهجرة المُحَمَّدِيَّة [1] .

وأمَّا الذين أقامُوا بالقُدْسِ من بني إسْرائيل بعد خُرُوجِ من ذَكَرْنا إلى الشَّرْق من آلِ دَاوُد فإنَّهم لم يَزالُوا في افْتِراقٍ واخْتِلافٍ في دِينِهم إلى أنْ غَزاهُم طِيطُش ، وخَرَّب القُدْسَ الخَرابَ الثَّاني - بعد قَتْلِ يَحْيى بن زَكريا ، ورَفْعِ المَسيح عِيسى بن مَرْيَم - عليهما السَّلام - وسَبَى جَميعَ من فيه وفي بلاد بني إسْرائيل بأسْرِهم ، وغَيَّبَ نُسَخَ «المِشْنَا » التي كانت عندهم ، بحَيْث لم يَبْقَ معهم من كُتُبِ الشَّريعةِ سوى التَّوْراة وكُتُب الأنْبياء . وتَفَرَّقَ بنو إسْرائيل من وَقْتِ تَخْريب طِيطُش بَيْتَ المَقْدِس في أقْطارِ الأرْضِ ، وصَارُوا ذِمَّةً إلى يَوْمِنا هذا .

ثم إنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّن تأخَّر إلى قُبَيْل تَخْريب القُدْس - يُقالُ لهما شَماي وهَلال - نَزَلا مَدينةَ طَبَرِيَّة ، وكَتَبَا كِتابًا سَمَّياه « مِشْنا » باسْمِ مِشْنا مُوسَىٰ - عليه السَّلام - وضَمَّنا هذا « المِشْنا » الذي وَضَعَاه أحْكامَ الشَّريعَة ، ووافَقَهُما على وَضْعِ ذلك عِدَّةٌ من اليَهُود .

وكان شَماي وهَلال في زَمَنٍ واحِدٍ ، وكانا في أواخِرِ مُدَّة تَخْريب البَيْتِ الثَّاني ، وكان لهَلال ثَمانون تِلْميذًا أصْغَرهم يُوحانان بن زَكاي ، وأدْرَكَ يوحانان بن زَكاي خَرابَ البَيْت الثَّاني على يد طِيطُش . وهَلال وشَماي أقْوالُهما مَذْكورَة في « المِشْنا » ، وهي في ستة أسْفارٍ تَشْتَمِل على فِقْه التَّوْراة ، وإنَّما رَتَّبها النُّوسي ، من وَلَدِ دَاود النَّبي ، بعد تَخْريب طِيطُش للقُدْسِ بمائةٍ وخمسين سنة .

وماتَ شَماي وهَلال ولم يُكْمِلا المِشْنَا ، فأكْمَلَه رَجُلٌ منهم يُعْرف بيَهُوذا من ذُرِّيَّة هَلال ، وحَمَلَ اليَهُودَ على العَمَلِ بما في هذا « المِشْنَا » ، وحَقيقَته أنَّه يَتَضَمَّن كثيرًا مِمَّا كان في مِشْنَا النَّبي مُوسَىٰ - عليه السَّلام - وكثيرًا من آراءِ أكابِرِهم . فلمَّا كان بَعْد وَضْع هذا « المِشْنَا » بنحو خمسين سنة ، قامَ طائِفَةٌ من اليَهُود يُقالُ لهم « السَّنْهَذرين »[a] - ومعنى ذلك : الأكابِر - وتصَرَّفُوا في

---

a) بولاق : السنهدوين .

---

[1] انظر فيما يلي ٩٥٢ ، ٩٥٥.

تَفْسير هذا «المِشْنَا» برأيهم، وعَمِلوا عليه كِتابًا اسْمه «التَّلْمُود» أخْفَوا فيه كثيرًا ممَّا كان في ذلك «المِشْنَا»، وزادُوا فيه أحْكامًا من رَأْيهم[1]. وصَارُوا منذ وُضِعَ هذا «التَّلْمُود» الذي كَتَبُوه بأيْديهم، وضَمَّنُوه ما هو من رأْيهم، يَنْسُبُون ما فيه إلى الله تعالى، ولذلك ذَمَّهُم الله في القُرْآن الكريم بقَوْلِه تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بأيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا به ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية ٧٩ سورة البقرة].

وهذا «التَّلْمودُ» نُسْخَتَان مُخْتَلِفَتان في الأحْكامِ. والعَمَلُ إلى اليوم على هذا «التَّلْمُود» عند فِرْقَةِ الرَّبَّانيين، بخِلافِ القَرَّائين فإنَّهم لا يَعْتَقِدون العَمَلَ بما في هذا «التَّلْمود». فلمَّا قَدِمَ عانان رأس / الجَالُوت إلى العِراق، أنْكرَ على اليَهُود عَمَلَهم بهذا التَّلْمُود، وزَعَمَ أنَّ الذي بيده هو الحَقّ ٢
لأنَّه كُتِبَ من النُّسَخ التي كُتِبَت من مِشْنَا مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ الذي بخَطِّه[2].

والطَّائِفَةُ الرَّبَّانِيُّون ومن وافَقَهُم لا يُعَوِّلون من التَّوْراةِ التي بأيْديهم إلَّا على ما في هذا «التَّلْمود»، وما خالَفَ ما في «التَّلْمُود» لا يَعْبَأون به ولا يُعَوِّلُون عليه، كما أَخْبَرَ تعالى، إذْ يقول حِكايَةً عنهم: ﴿إنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الآية ٢٣ سورة الزخرف].

ومَنْ اطَّلَعَ على ما بأيْديهم وما عِنْدَهم من التَّوْراة، تَبَيَّنَ له أنَّهم ليسوا على شيءٍ، وأنَّهم إنْ يَتَّبِعُون إلَّا الظَّنَّ وما تَهْوَى الأنْفُسُ. ولذلك لما نَبَغَ فيهم مُوسَىٰ بن مَيْمُون القُرْطُبي عَوَّلُوا على رَأْيِه، وعَمِلُوا بما في كِتابِ «الدَّلالَة» وغيره من كُتُبِه[3]، وهم على رَأْيه إلى زَمَنِنا.

---

[1] راجع عن «التَّلْمود» .JE art. *Talmud* XII, pp. 1-40

[2] فيما يلي ٩٥٥.

[3] مُوسَىٰ بن مَيْمُون اليهودي القُرْطُبي Moses Ben Maymoun، نشأ بالأندلس وقرأ بها العلوم، وأُكْرِه مع آخرين على الإسلام، فأظْهَرَه وأسَرَّ اليهودية إلى أن أمْكَنَتْه الفُرْصَةُ في الرِّحْلَة فَخَرَجَ عن الأنْدَلُس إلى مصر، زَمَن الفاطِميين، ومعه أهْلُه ونَزَلَ مَدينَة الفُسْطاط بين يَهُودِها، فأظهر دينَه وارْتَزَق بالتجارة في الجَوْهَر وما يجري مَجْراه. وبعد سُقُوطِ الدَّوْلَة الفاطمية قَرَّبَه القاضي الفاضِل وقَرَّرَ له رِزْقًا. ولمَّا كان ابنُ مَيْمُون عالمًا بشَرائع اليَهُود فقد أصبح رئيسًا ليَهُودِ مصر، وصَنَّفَ كِتابًا في مَذْهَب اليَهُود سَمَّاه «الدَّلالَة» ويُعْرَف أيضًا بـ«دَلالَة الحائرين» يستجيده بعضُ اليَهُود ويذمُّه بعضُهم ويُسَمِّيه «الضَّلالَة». وتوفي ابنُ مَيْمُون سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، ونُقِل جثمانُه بعد وفاته ودُفِنَ بجوار بُحَيْرَة طَبَرِيَّة بناءً على وَصِيَّته. (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٣٩-٢٤٠، ٢٤٢؛ القفطي: تاريخ الحكماء ٣١٧-٣١٩؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢: ١١٧؛ ابن شاكر: فوات الوفيات ٤: ١٧٥-١٧٦). وقد أصْبَح ابن مَيْمُون رأسًا لأسْرَةٍ يهوديةٍ لَعِبَت دَوْرًا هامًّا في تاريخ اليَهُود في مصر خاصَّةً زَمَن ابنه إبراهام وحفيده داود. (راجع، Vajda, G., *EI*[2] art. *Ibn Maymûn* III, pp. 900-2; *EJ* art. *Maimonides Moses* XI, pp. 754-81; *Arabham Ben Moses* II, pp. 150-52؛ ولإسحاق ولفنسون كتاب: مُوسَىٰ بن مَيْمُون، القاهرة ١٩٤٥. وكِتابُه «دَلالَة الحائرين» نَشَرَه حسين آتاي بعد أن عارَضَه بأصوله العربية والعبرية وصَدَرَ عن كلية الإلهيات بجامعة أنقرة سنة =

ذِكْرُ فِرَقِ اليَهُودِ الآن

اعْلَم أنَّ اليَهُود الذين قَطَّعَهم الله في الأرْض إنَّما [هي][a] أرْبَعُ فِرَق ، كلُّ فِرْقَةٍ تُخَطِّئ الطَّوائِفَ الأُخَر ، وهي : « طَائِفَةُ الرَّبَّانِيين » ، و « طَائِفَةُ القَرَّائِين » ، و « طائِفَةُ العانانِية » ، و « طائِفَةُ السَّمَرَة » . وهذا الاخْتِلافُ حَدَثَ لهم بعد تَخْرِيبِ بُخْتَ نَصَّر بَيْتَ المَقْدِس ، وعَوْدِهم من أرْضِ بابِل بعد الجِلاية إلى القُدْسِ ، وعِمارَةِ البَيْت ثانِيًا . وذلك أنَّهم في إقامَتِهم بالقُدْسِ أيَّام العِمارَة الثانِية ، افْتَرَقُوا في دينهم ، وسَارُوا شِيَعًا .

فلمَّا مَلَكَهُم اليُونانُ بَعْد الإسْكَنْدَر بن فِيلبس ، وقامَ بأَمْرِهم في القُدْسِ هُورْقانوس بن شَمْعُون ابن مَشيثا ، واسْتَقامَ أمْرُه فسُمِّيَ مَلِكًا ـ وكان قَبْلَ ذلك هو وجَميع من تَقَدَّمَه ، مِمَّن وَلِيَ أَمْرَ اليَهُود في القُدْس بعد عَوْدِهِم من الجِلايَة ، إنَّما يُقالُ له « الكُوهِن الأَكْبَر » ـ فاجْتَمَعَ لهُورْقانوس مَنْزِلَةُ المُلْك ومَنْزِلَةُ الكُهُونية ، واطْمأنَّ اليَهُودُ في أيَّامِه ، وأَمِنُوا سَائِرَ أعْدائِهم من الأُمَم ، فبَطِرُوا مَعيشَتَهم ، واخْتَلَفُوا في دِينِهم ، وتَعادَوْا بسَبَب الاخْتِلاف .

وكان من جُمْلة فِرَقِهم إذْ ذاك طائِفَةٌ يُقالُ لها « الفُرُوشِيم » [phorisees] ـ ومَعْناه المُعْتَزِلَة ـ ومن مَذْهَبِهم القَوْل بما في التَّوْراة على مَعْنَى ما فَسَّرَه الحُكَماءُ من أسْلافِهم ؛ وطائِفَةٌ يُقالُ لهم « الصَّدُوقِية » [b][Sadducees] نُسِبُوا إلى كبيرٍ لهم يُقالُ له صَدُوق [c]، ومَذْهَبُهم القَوْل بنَصِّ التَّوْراة وما دَلَّ عليه القَوْلُ الإلهي فيما دون ما عَداه من الأقْوال ؛ وطائِفَةٌ يُقالُ لهم « الحَسِيدِيم » [d][Essenes] ـ ومعناه الصُّلَحاءُ ـ ومَذْهَبُهم الاشْتِغالُ بالنُّسُك وعِبادَة الله سُبْحانَه ، والأَخْذُ بالأَفْضَلِ والأَسْلَم في الدِّين [1] .

---

a) بولاق : أمَّا ، والنسخ : إنَّما ، وأضاف ناسخ نسخة ميونخ في الهامش : لعله سَقَطَ هي. b) بولاق : الصدوفية . c) بولاق : صدوف . d) بولاق : الجسديم .

= ١٩٧٤، وأعادت طبعه بالتصوير مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

[1] فيما يلي ٩٥٩-٩٦٠، ومصدره في هذه المعلومات كما صَرَّح هناك هو «تاريخ يُوسُف بن كُـرْيُـون Joseph Ben Gorion أو Josephus Gorionides.

وكانت الصَّدوقية[a] تُعادي المُعْتَزِلَة عَداوَةً شَديدةً، وكان الملك هورْقانُوس أوَّلًا على رأي المُعْتَزِلَة ـ وهو مَذْهَبُ آبائِه ـ ثم إنَّه رَجَعَ إلى مَذْهَبِ الصَّدوقية[a]، وبايَنَ المُعْتَزِلَة وعاداهُم، ونادَى في سَائِر مَمْلكته بمَنْعِ النَّاسِ جملةً من تَعَلُّم رأي المُعْتَزِلَة والأَخْذِ عن أَحَدٍ منهم، وتَتَبَّعَهم وقَتَلَ منهم كثيرًا[١].

وكانت العامَّةُ بأسْرِها مع المُعْتَزِلَة، فثارَت الشُّرُورُ بين اليَهُود، واتَّصَلَت الحُرُوبُ بينهم، وقَتَلَ بعضُهم بعضًا[٢] إلى أن خُرِّبَ البَيْتُ على يد طِيطُش الخَرابَ الثَّاني، بعد رَفْعِ عِيسَىٰ ـ صلوات الله عليه ـ وتَفَرَّقَ اليَهُودُ من حينئذٍ في أقْطارِ الدُّنْيا، وصارُوا ذِمَّةً، والنَّصارَىٰ تَقْتُلُهم حيثما ظَفِرَت بهم، إلى أنْ جاءَ الله بالمِلَّة الإسْلامية، وهم في تَفَرُّقِهم ثَلاثُ فِرَقٍ: الرَّبَّانيون، والقُرَّاء، والسَّمْرة.

فأمَّا «الرَّبَّانِيَّة» فيُقالُ لهم بنو مَشْنَو ـ ومعنى مَشْنَو: الثَّاني ـ وقيل لهم ذلك لأنَّهم يَعْتَبِرون أمْرَ البَيْت الذي بُني ثانيًا، بعد عَوْدِهِم من الجلَاية وخَرَّبَه طِيطُش، ويُنْزِلونه في الاحْتِرام والإكْرام والتَّعْظيم مَنْزِلة البَيْت الأوَّل الذي ابتدأ عِمارَته دَاود، وأتَمَّه ابنُه سُلَيمان ـ عليهما السَّلام ـ وخَرَّبَه بُخْتَ نَصَّر، فصَارَ كأنَّه يُقالُ لهم «أصْحابُ الدَّعْوَة الثَّانِيَة». وهذه الفِرْقَةُ هي التي كانت تَعْمَل بما في المِشْنَا الذي كُتِبَ بطَبَرِيَّة بعد تَخْريب طِيطُش القُدْس، وتُعَوِّل في أَحْكام الشَّريعَة على ما في التَّلْمُودِ إلى هذا الوَقْتِ الذي نحن فيه، وهي بَعيدَةٌ عن العَمَلِ بالنُّصُوصِ الإلهية، مُتَّبِعَةٌ لآراءِ من تَقَدَّمَها من الأحْبَارِ[٣].

ومَنْ اطَّلَعَ على حَقيقَة دِينها، تَبَيَّنَ له أنَّ الذي ذَمَّهم الله به في القُرْآنِ الكريم حَقٌّ لا مِرْيَةَ فيه، وأنَّه لا يَصِحُّ لهم من اسْم اليَهُودِيَّة إلَّا مُجَرَّد الانْتِماء فقط، لا أنَّهم فِي الاتِّباع على المِلَّة المُوسَوِيَّة، لا سيَّما منذ ظَهَرَ فيهم مُوسَىٰ بن مَيْمُون القُرْطُبي، بعد الخمس مائة من سني الهِجْرَة المحَمَّدِيَّة، فإنَّه رَدَّهم مع ذلك مُعَطِّلَة، فصَارُوا في أُصُولِ دينهم وفُرُوعِه أبْعَدَ النَّاسِ عمَّا جاءَ به أنْبياءُ الله تعالى من الشَّرائع الإلهية[٤].

وأمَّا «القُـرَّاءُ» فإنَّهم بنو مَقْرَا ـ ومعنى مَقْرَا: الدَّعْوَة ـ وهم لا يُعَوِّلُون على البَيْتِ الثَّاني جملةً. ودَعْوَتُهم إنَّما هي لما كان عليه العَمَلُ مُدَّةَ البَيْتِ الأوَّل، وكان يُقالُ لهم «أصْحَابُ

a) بولاق: الصدوقية.

[١] يوسف بن كريون: منتخبات من تاريخ يوسفوس ٩٣- ٩٤.
[٢] نفسه ٩٥-٩٦.
[٣] القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ٢٥٦- ٢٦٧.
[٤] فيما تقدم ٩٥٢.

الدَّعْوَةِ الأولى » ، و هم يُحَكِّمُون نُصُوصَ التَّوْراةِ ، ولا يَلْتَفِتُون إلى قَوْلِ مَنْ خالَفَها ، ويَقِفُون مع النَّصِّ دون تَقْلِيدِ من سَلَف . وهم مع الرَّبَّانيين من العَداوَة بحيث لا يَتَناكَحُون ، ولا يَتَجاوَرُون ، ولا يَدْخُل بَعضهم كَنيسَة بَعْض.

ويُقالُ للقَرّائين أيضًا « المَبادِيَّة » ، لأنّهم كانوا يَعْمَلُون مَبادي الشُّهور من الاجْتِماع الكائن بين
٤٧٧:٢ الشَّمْس والقَمَر ، ويُقالُ لهم أيضًا / « الأَسْمَعِيَّة » ، لأنَّهم يُراعُون العَمَل بنُصُوصِ التَّوْراة دون العَمَلِ بالقِياس والتَّقْليد [1].

وأمّا « العانانِيَّة » فإنَّهم يَنْتَسِبُون إلى عانان رأْس الجالُوت الذي قَدِمَ من المَشْرِق ، في أيَّام الخَليفَة أبي جَعْفَر المَنْصُور ، ومعه نُسَخُ « المِشْنا » الذي كُتِبَ من الخَطّ الذي كُتِبَ من خَطِّ النَّبِي مُوسَىٰ . وأنّه رأَى ما عليه اليَهُودُ من الرَّبَّانيين والقَرّائِين يُخالِف ما معه ، فتَجَرَّدَ لخِلافِهِم ، وطَعَنَ عليهم في دِينهم ، وازْدَرَى بهم . وكان عَظيمًا عندهم يَرَوْن أنَّه من وَلَدِ دَاود ـ عليه السَّلام ـ وعلى طَرِيقٍ فاضِلَة من النُّسُكِ على مُقْتَضَى مِلَّتِهم ، بحيث يَرَوْن أنَّه لو ظَهَرَ في أيَّام عِمارَة البَيْت لكان نَبِيًّا ، فلم يَقْدِروا على مُناظَرته لما أوتي مع ما ذَكَرْنا من تَقْريب الخَليفَة له وإكْرامِه [2].

وكان مِمّا خالَفَ فيه اليَهُودَ اسْتِعْمالُ الشُّهُور برُؤْيَة الأَهِلَّة على مِثْل ما شُرِع في المِلَّة الإسْلامية ، ولم يُبال في أي يوم وَقَعَ من الأسْبُوع ، وتَرَكَ حِسابَ الرَّبَّانيين ، وكَبَسَ الشُّهُور ، وخَطَّأَهُم في العَمَل بِذلك ، واعْتَمَدَ على كَشْف زَرْع الشَّعير [3] ، وأَجْمَلَ القَوْلَ في المَسيح عيسىٰ بن مَرْيَم ـ عليه السَّلام ـ وأَثْبَتَ نُبُوَّة نَبِيِّنا محمَّد ﷺ ، وقال : هو نَبِيٌّ أُرْسِلَ إلى العَرَب ، إلَّا أنَّ التَّوْراةَ لم تُنْسَخ . والحَقُّ أنَّه أُرْسِلَ إلى النَّاس كافَّةً ﷺ .

ذِكْرُ السَّمَرَة

اعْلَم أنَّ طائِفَة السَّمَرَة ليسوا من بني إسْرائيل ألبتَّة ، وإنَّما هم قَوْمٌ قَدِمُوا من بِلادِ المَشْرِق ، وسَكَنُوا بِلادَ الشَّام وتَهَوَّدُوا . ويُقالُ إنَّهم من بني سامَرُك بن كَفَرْكا ابن رَمْي ـ وهو شَعْبٌ من شُعُوبِ الفُرْسِ ـ خَرَجُوا إلى الشَّام ومعهم الخَيْل والغَنَم

---

[1] فيما تقدم ٩٤٤؛ وانظر كذلك Nemoy, L., *EI* [2] art. *Karaites* IV, pp. 627-32; Faü, J.-F., *Les Caraites*, édition Brepols 2000.

[2] البيروني : الآثار الباقية ٥٨ - ٥٩؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١ : ١٩٦؛ Vajda, G., *EI* [2] art. ʿ*Anâniyya* I, pp. 495-96؛ وفيما تقدم ٩٥٢.

[3] نفسه ٥٨.

والإبِل والقِسِيّ والنُّشّاب والسُّيُوف والمواشي، ومنهم السَّمَرَة الذين تَفَرَّقُوا في البِلاد.

ويُقالُ إنَّ سُلَيْمان بن داود لمَّا ماتَ، افْتَرَقَ مُلْكُ بني إسْرائيل من بَعْده، فصَارَ رُحْبَعام[a] ابن سُلَيْمان على سِبْط يُهُودا بالقُدْسِ، وملك يُرْبعَام[b] بن نِياطِ على عشرة أسْبَاط من بني إسْرائيل، وسَكَن خارِجًا عن القُدْسِ، واتَّخَذَ عِجْلَين دَعَا الأسْباطَ العَشْرة إلي عِبادَتِهما من دونِ الله إلى أن مات. فوَلِيَ مُلْك بني إسْرائيل من بَعْدِه عِدَّةُ مُلُوك، على مثل طَرِيقَته في الكُفْرِ بالله وعِبادَةِ الأوْثان [1]. إلى أن مَلَكَهم عَمْري بن مذاب[c]، من سِبْط مِنَشَّأ بن يُوسُف، فاشْتَرَى مَكانًا من رَجُلٍ اسْمه شَامِر بِقنْطار فِضَّة، وبَنَى فيه قَصْرًا، وسَمَّاه باسمِ اشْتَقَّه من اسْم شَامِر الذي اشْتَرَى منه المكان، وصَيَّرَ حَوْلَ هذا القَصْرِ مَدِينةً، وسَمَّاها مَدينَة شَمْرُون، وجَعَلَها كرسي مُلْكِه إلى أن مات؛ فاتَّخَذَها مُلُوكُ بني إسْرائيل من بَعْدِه مَدينَة للمُلْك، وما زالوا فيها إلى أن وَلِيَ هُوشَاع ابن إيلا، و هم على الكُفْرِ بالله، وعِبادَةِ وَثَن بَعَال[d] وغيره من الأوْثَانِ، مع قَتْلِ الأنْبِياء؛ إلى أنْ سَلَّطَ الله عليهم سِنْحَاريب ملك المَوْصِل، فحَاصَرَهُم بمَدينَة شَمْرون ثلاث سنين، وأخذ هُوشَاع أسيرًا، وجَلَّاه ومعه جَميع من في شَمْرون من بني إسْرائيل، وأنزلهم بهَرَاة وبَلْخ ونهَاوَنْد وحُلْوان. فانْقَطَعَ من حينئذٍ مُلْكُ بني إسْرائيل مِن مَدينَة شَمْرُون، بعدما مَلَكُوا من بعد سُلَيْمانَ ـ عليه السَّلام ـ مُدَّةَ مائتي سنة وإحدى وخمسين سنة.

ثم إنَّ سِنْحاريب مَلِك المَوْصِل نَقَلَ إلى شَمْرُون كثيرًا من أهْل كُوَشا وبابِل وحَماه، وأنْزَلَهم فيها ليُعَمِّرُوها، فبَعَثُوا إليه يَشْكُون من كَثْرَةِ هُجُوم الوَحْشِ عليهم بشَمْرُون. فسَيَّرَ إليهم من عَلَّمَهم التَّوْراةَ، فتَعَلَّموها على غير ما يَجِب، وصَارُوا يُقْرأونها ناقِصَةً أربعة أحْرُف: الألِف والهَاء والخَاء والعَيْن، فلا يَنْطِقُون بشيءٍ من هذه الأحْرُف في قِراءَتهم التَّوْراة، وعُرِفُوا بين الأُمَم بالسَّامِرَة لسُكْناهم بمَدِينَة شَمْرون.

وشَمْرُون هذه هي مَدينَة نابُلُس، وقيل لها سَمْرون ـ بسين مهملة ـ ولسُكَّانها سامِرَة، ويُقالُ معنى السَّمَرَة حَفَظَة ونَواطِير. فلم تَزَل السَّمْرةُ بنابُلُس إلى أن غَزَا بُخْت نَصَّر القُدْس، وأجْلَى اليَهُودَ منه إلى بابِل، ثم عادُوا بعد سبعين سنة، وعَمَّروا البَيْت ثانيًا؛ إلى أنْ قامَ الإسْكَنْدَرُ من بِلاد

a) بولاق: رحبعم، المسعودي: أرخبعم. b) بولاق: بربعم، والمسعودي: يوربعم. c) بولاق: نوذب. d) بولاق: بعل.

[1] قارن مع المسعودي: مروج الذهب ١: ٦٥- ٦٦.

اليُونان ، وخَرَجَ يُريدُ غَزْوَ الفُرْس ، فَمرَّ على القُدْسِ ، وخَرَج منه يُريد عُمَان ، فاجْتازَ على نابُلُس ، وخَرَج إليه كبيرُ السَّمْرة بها ـ وهو سِنْبلاط السَّامِري ـ فأنْزَلَه ، وصَنَعَ له ولقُوَّادِه وعُظَماءِ أصْحابِه صَنيعًا عَظيمًا ، وحَمَلَ إليه أمْوالًا جَمَّة وهَدايا جَليلَة ، واسْتأذَنه في بِناءِ هَيْكلٍ لله على الجَبَل ، الذي يُسَمَّى عندهم « طُور بريك » ، فأَذِنَ له وسَارَ عنه إلى مُحارَبَة دارا ملك الفُرْس . فبَنَى سِنْبلاط هَيْكلًا شَبيهًا بهَيْكَلِ القُدْس ليَستميل به اليَهُود ، ومَوَّهَ عليهم بأنَّ « طُور بَريك » هو المَوْضع الذي اخْتارَه الله تعالى ، وذَكَرَه في التَّوْراةِ بقَوْله فيها « اجْعَلْ البَرَكَة على طُورِ بَريك » .

وكان سِنْبلاطُ قد زَوَّجَ ابنته بكاهِنٍ من كُهَّان بَيْتِ المَقْدِس يُقالُ له مِنَشَّا ، فمَقَتَ اليَهُودُ مِنَشَّا على ذلك ، وأبْعَدُوه وحَطُّوه عن مَرْتَبَتِه عُقُوبَةً له على مُصَاهَرَةِ سِنْبلاط . فأقام سِنْبلاط مِنَشَّا زَوْجَ ابنته كاهِنًا في هَيْكَلِ طُورِ بَريك ، وأَتَتْه طَوائِفُ من اليَهُود وضَلُّوا به ، وصارُوا يَحُجُّون إلى هَيْكله في الأعْياد ، ويُقَرِّبُون قَرابينَهم إليه ، ويَحْمِلُون إليه نُذُورَهم وأعْشارَهم ، وتَرَكُوا قُدْسَ الله وعَدَلُوا عنه . فكَثُرَت الأمْوالُ في هذا الهَيْكَلِ ، وصارَ ضِدَّ البَيْت المُقَدَّس ، / واسْتَغْنَى كَهَنتُه وخُدَّامُه ، وعَظُمَ أمْرُ مِنَشَّا ، وكَبُرَت حالَتُه . ٤٧٨

فلم تَزَلْ هذه الطَّائِفَةُ تَحُجُّ إلى « طُورِ بريك » حتى كان زَمَنُ هُورْقانُوس بن شَمْعُون الكُوهِن ، من بني حشمتاي ، في بَيْتِ المَقْدِس . فسَارَ إلى بِلاد السَّمْرَة ، ونَزَلَ على مَدينَة نابُلُس ، وحَصَرَها مُدَّةً وأخَذَها عَنْوَةً ، وخَرَّبَ هَيْكَلَ طُورِ بَريك إلى أسَاسِه ـ وكانت مُدَّةُ عِمارَته مائتي سنة ـ وقَتَلَ مَنْ كان هناك من الكَهَنَة . فلم تَزَل السَّمْرَةُ بعد ذلك إلى يومنا هذا تَسْتَقْبِل في صَلاتِها ـ حيثما كانت من الأرْض ـ طُور بَريك بجَبَلِ نابُلسِ ، ولهم عِباداتٌ تُخالِفُ ما عليه اليَهُود ، ولهم كَنائِسُ في كُلِّ بَلَدٍ تَخُصُّهم .

والسَّمْرَةُ يُنْكِرون نُبُوَّةَ داودُ ومن تَلاهُ من الأنْبِياء ، وأَبَوا أنْ يكون بعد مُوسَى ـ عليه السَّلام ـ نَبِيٌّ ، وجَعَلُوا رُؤساءَهم من وَلَدِ هارُون ـ عليه السَّلام ـ وأكثرهم يَسْكُن في مَدينَةِ نابُلُس ، وهم كثيرٌ في مَدائِن الشَّام ، ويُذْكَر أنَّهم الذين يقولون : « لا مِسَاس » [1] ، ويَزْعُمُون أنَّ نابُلُس هي بَيْتُ المَقْدِس ، وهي مَدينَةُ يَعْقُوب ـ عليه السَّلام ـ وهناك مَراعِيه [2] .

---

[1] وهو ما جاءَ في الآية ٩٧ سورة طه : ﴿قال فَاذْهَب فإنَّ لَكَ في الحَيَاةِ أنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وإنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ .

[2] المسعودي : مروج الذهب ١ :٦٦– ٦٧. وأضاف المسعودي : «والأسامِرَة في وَقْتِنا هذا – وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مائة – بِبلاد فِلَسْطين والأرْدُن في قُرًى مُتَفَرِّقَة مثل القرية المعروفة بعارا – وهي بين الرَّمْلَة وطَبَرِيَّة – وغيرها من القُرَى إلى مَدينَة نابُلُس».

وذَكَرَ المَسْعُودي أنَّ السَّمَرَةَ صِنْفَان مُتبايِنان : أحَدُهُما يُقالُ له « الكُوشَانُ » ، والآخَر « الرُّوشَان » ، أحَدُ الصِّنْفَيْن يقولُ بقِدَمِ العالَم [1] .

والسَّامِرَةُ تَزْعُمُ أنَّ التَّوْراةَ التي في أيْدي اليَهُود ليست التَّوْراةَ التي أوْرَدَها مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ ويقولون تَوْراةُ مُوسَىٰ حُرِّفَت وغُيِّرَت وبُدِّلَت ، وإنَّ التَّوْراةَ هي ما بأيْديهم دون غيرهم [2] .

وذَكَرَ أبو الرَّيْحان محمد بن أحمد البيرُوني أنَّ السَّامِرَة تُعْرَفُ باللَّامَساسِيَّة . قال : وهم « الأبْدَالُ » الذين بَدَّلَهم بُخْتَ نَصَّر بالشَّام حين أسَرَ اليَهُودَ وأجْلاها . وكانت السَّامِرَةُ أعانُوهُ ودَلُّوه على عَوْراتِ بني إسْرائيل ، فلم يُحَرِّكْهم [a] ولم يَقْتُلْهم ولم يَسْبِهم ، وأنْزَلَهم فِلَسْطِين من تحتِ يَدِه ، ومَذاهِبُهم مُمْتَزِجَةٌ من اليَهودية والمَجُوسِيَّة . وعامَّتُهم يكونُون بمَوضِعٍ من فِلَسْطِين يُسَمَّى نابُلُس ، وبها كِنائِسُهم ، ولا يَدْخُلون حَدَّ بَيْتِ المَقْدِس منذ أيَّام داود النَّبي ـ عليه السَّلام ـ لأنَّهم يَدَّعُون أنَّه ظَلَم واعْتَدَى ، وحَوَّلَ الهَيْكَلَ المُقَدَّس من نابُلُس إلى إيْليا ـ وهو بَيْتُ المَقْدِس ـ ولا يَمَسُّون النَّاسَ ، وإذا مَسُّوهم اغْتَسَلُوا ، ولا يُقِرُّون بنُبُوَّةِ من كان بعد مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ من أنْبِياء بني إسْرائيل [3] .

وفي « شَرْحِ الإنْجيل » أنَّ اليَهُودَ انْقَسَمَت بعد أيَّامِ دَاوُد إلى سَبْعِ فِرَق [4] :

الكُـتَّابُ ـ وكانوا يُحافِظُون على العاداتِ التي أجْمَعَ عليها المَشايخ مِمَّا ليس في التَّوْرَاة .

والمُعْتَزِلَةُ ـ وهم « الفِرِيسِيُّون » ، وكانوا يُظْهِرُون الزُّهْدَ ، ويَصُومُون يومين في الأسْبُوع ، ويُخْرِجُون العُشْر من أمْوالِهم ، ويَجْعَلُون خُيُوطَ القِرْمز في رُؤُوس ثيابِهم ، ويَغْسِلون جَميع أوانيهم ، ويُبالِغُون في إظْهارِ النَّظافَة .

---

a) بولاق : يحربهم .

---

[1] المسعودي : مروج الذهب ١ : ٦٧ .

[2] نفسه ١ : ٦٨ ـ ٦٩ .

[3] البيروني : الآثار الباقية ٢١ ؛ وانظر كذلك Noja Noseda, S., *EI*[2] art. *al-Sâmira* VII, pp. 1080-82.

[4] قارن كذلك مع ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ٦٨ ـ ٦٩ ، وسَمَّى فيه الفِرَق السَّبْع : الرَّبَّانيون ، واللاويُّون ، والمُعْتَزِلَة ، والزَّنادِقَة ، والمُغْتَسِلُون ، والنُّسَّاك ، والسَّمَرَة .

والزَّنادِقَةُ ـ وهم من جِنْسِ السَّامِرَة وهم من « الصَّدوقِيَّة » ، فيَكْفُرُون بالملائِكة والبَعْث بعد المَوْت وبجَميع الأنْبِياء ، ما خَلا مُوسَىٰ فقط فإنَّهم يُقِرُّون بنُبُوَّتِه .

والمُتَطَهِّرُون ـ وكانوا يَغْتَسِلُون كلَّ يومٍ ، ويَقُولُون : لا يَسْتَحِقُّ حَياةَ الأَبَدِ إلَّا من يَتَطَهَّر كلَّ يوم .

والأَسَابِيُّون ـ ومعناه : الغِلاظُ الطِّباع ، وكانوا يُوجِبُون جَميعَ الأوَامِر الإلهية ، ويُنْكِرُون جَميعَ الأَنْبِياءِ سوى مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ ويَتَعَبَّدُون بكُتُبِ غير الأَنْبِياءِ .

والمُتَقَشِّفُون ـ وكانوا يَمْنَعُون أكْثَرَ المآكِل وخاصَّةً اللَّحْم ، ويَمْنَعُون من التَّزَوُّج بِحَسَبِ الطَّاقَة ، ويقولُون بأنَّ التَّوْراةَ ليست كلَّها لمُوسَىٰ ، ويتَمَسَّكون بصُحُفٍ منسوبةٍ إلى أخْنُوخ وإبراهيم ـ عليه السَّلام ـ ويَنْظُرُون في عِلْم النُّجُوم ويَعْمَلُون بها .

والهيرُدُوسِيُّون ـ سَمَّوْا أنفسهم بذلك لمُوالاتِهم هِيرُدُوس مَلِكهم ، وكانوا يَتَّبِعُون التَّوْراة ويَعْمَلون بما فيها . انتهى .

وذَكَرَ يُوسُفُ بِنْ كُرْيُون[1] في « تاريخِه » أنَّ اليَهُودَ كانوا في زَمَنِ مَلِكِهم هُورْقانُوس ـ يعني في زَمَنِ بِنَاءِ البَيْتِ بعد عَوْدِهِم من الجالِيَة[a] ـ ثَلاثَ فِرَقٍ : الفَرُوشيم [b] [pharisees]، ومَعْناهُ المُعْتَزِلَة ، ومَذْهَبُهم القَوْلُ بما في التَّوْراةِ وما فَسَّره الحُكَماءُ من سَلَفِهم . والصَّدُوقِيَّة [Sadducees] [c]،

a) بولاق : الجلابة .　b) بن كريون : الفروسمر .　c) بولاق : الصدوفية ، بن كريون : الصّدوقيون .

[1] يوسف بن كُرْيُون اليهودي Joseph Ben Gorion (Josephus Gorionides)، مُؤلِّفٌ يهوديٌّ يُرَجَّح أنَّه عاشَ في النصف الأوَّل للقرن العاشر الميلادي ، كَتَبَ كتابًا يُعْرَف بـ *Sefer Yosippon*، ولكن عنوانه الأصلي كان «تاريخ وحُرُوب اليَهُود» أو «تاريخ بَيْت المَقْدِس». وهو تاريخٌ لليهود منذ زَمَن السَّبْي البابلي (٥٣٩ قبل الميلاد) إلى سُقُوطِ دَوْلَة اليَهُود سنة سبعين للميلاد ، مع رواياتٍ تاريخية عن بابليون واليونان وروما وبلادٍ أخرى . وهذا الكتابُ اختصارٌ لتاريخ يُوسُفُوس اليهودي الذي كَتَبَه باللغة اليونانية . وقد تَعَرَّفَ ابنُ حَزْم الأنْدَلسي ، المتوفى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، على ترجمةٍ عربيةٍ لهذا الكتاب عَمِلَها يهودي من أهْلِ اليمن ، يبدو أنَّها نفسُ الترجمة التي اعْتَمَدَها المقريزي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي . (*The Jewish Encyclopedia* VII, pp. 259-60) . وحَقَّقَ يوسف السُّلفون منتخبات من الترجمة العربية لمختصر تاريخ يُوسُفُوس التي كتبها يُوسُف بن كُرْيُون ، ونَشَرها في بيروت سنة ١٨٦٦، ١٨٧٢.

أصْحابُ رَجُلٍ من العُلَماءِ يُقالُ له صَدُوق [a]، ومَذْهَبُهم القَوْلُ بنَصِّ التَّوْراة وما دَلَّتْ عليه دون غيره . والحَسيديم [Essenes] [b]، ومعناه الصُّلَحاءُ ، وهم المُشْتَغِلون بالعِبادَة والنُّسُك ، الآخِذُون في كلِّ أمْرٍ بالأفْضَل والأسْلَم في الدِّين[١]. انتهى . وهذه الفِرْقَةُ هي أصْلُ فِرْقَتَي الرَّبَّانِيين والقُرَّاء .

فَصْــل

زَعَمَ بَعْضُهم أنَّ اليَهُودَ عانانِيَّة وشَمْعُونيَّة [c] _ نِسْبَةً إلى شَمْعُون الصِّدِّيق ، وَالِي [d] القُدْس عند قُدُوم الإسْكَنْدَر [e] _ وجَالُوتِيَّة ، وفَيُّومِيَّة ، وسَامِرِيَّة ، وعُكْبَرِيَّة ، وأصْبَهانِيَّة ، وعِراقِيَّة ، ومَغارِبَة [f]، وشُرُشْتانِيَّة ، وفِلَسْطِينِيَّة ، ومالِكِيَّة ، ورَبَّانِيَّة .

فالعانانِيَّة[٢] تقول بالتَّوْحيدِ والعَدْلِ ونَفْي التَّشْبية ، وأَشْمِعْث [g] تُشَبِّه ،وتُبالِغ الجالُوتية في التَّشْبيه . وأمَّا الفَيُّومِيَّة فإنَّها تُنْسَبُ إلى أبي سَعيدٍ الفَيُّومي ، وهم يُفَسِّرون التَّوْراة على الحُرُوف المُقَطَّعَة . والسَّامِرِيَّةُ يُنْكِرون كثيرًا من شَرائِعِهم ، ولا يُقِرُّون بنُبُوَّةٍ من جَاءَ بعد يُوشَع . والعُكْبَرِيَّة ، أصْحابُ أبي مُوسَىٰ البَغْدادي العُكْبَري وإسْماعيل العُكْبَري ، يُخالِفُون أشْياءَ من السَّبْتِ وتَفْسير التَّوْراة .

والأصْبَهانِيَّة[٣] أصْحَابُ أبي عِيسَىٰ الأصْبَهاني ، وادَّعَى النُّبُوَّة ، وأنَّه عَرَجَ [h] إلى السَّماءِ فمَسَحَ الرَّبُّ على رأسِه ، وأنَّه رأى محمَّدًا ﷺ / فآمَن به . ويَزْعُم يَهُودُ أصْبَهان أنَّه الدَّجَّالُ ، وأنَّه يَخْرُج من ناحِيَتِهم .

---

a) بولاق : صادوف . b) بولاق : الحسديم . c) وردت هذه الكلمة في سائر النسخ بعد كلمة الإسكندر . d) بولاق : ولي . e) بولاق : أبي الأسكندر . f) الملل والنحل : مقاربة . g) بولاق : الشمعونية . h) بولاق : عرج به .

---

[١] Josephus with an english translation by Louis H. Feldman, London 1965, IX, pp. 9-21؛ Edition Brepols 1990. يوسف بن كريون : منتخبات من تاريخ يوسيفوس ، بيروت ١٨٧٢، ٩٣-٩٤.

وراجع عن هذه الفِرَق الثلاثة JE art. *Pharisees* IX, pp. *Sadducees* X, pp. 630-33; art. *Essenes* V, pp. 224-32.؛ وانظر كذلك عن الحَسيديم الذين يعادلون المُتَصَوِّفة دراسة Robberechts, E., *Les Hassidim*,

[٢] سَمَّاهُم الشهرستاني : العِنانية بَدلًا من العانانية ونَسَبَهم إلى عِنان (لا عانان) بن داود رأس الجالوت . (الملل والنحل ١:١٩٦) ، وانظر فيما تقدم ٩٥٥.

[٣] سَمَّاهم الشهرستاني : العِيسَوِيَّة ونَسَبَهم إلى كُنْيَته : أبي عيسىٰ . (الملل والنحل ١:١٩٦) .

والعِراقِيَّةُ تُخالِفُ الخُراسانِيَّةَ في أوْقاتِ أعْيادِهم ، ومُدَدِ أيّامِهم .

والشِّرِشْتانِيَّةُ ، أصْحابُ شِرِشْتان ، زَعَمَ أنَّه ذَهَبَ من التَّوْراةِ ثمانون سُوقَة ـ أي آيَة ـ وادَّعَى أنَّ للتَّوْراةِ تأْويلًا باطِنًا مُخالِفًا للظَّاهِرِ .

وأمَّا يَهُودُ فِلَسْطِين فزَعَمُوا أنَّ العُزَيْرَ ابن الله تعالى ، وأنْكَرَ أكثرُ اليَهُود هذا القَوْل .

والمالِكِيَّةُ تَزْعُم أنَّ الله تعالى لا يُحْيي يَوْمَ القِيامَة من المَوْتى إلَّا من احْتَجَّ عليه بالرُّسُلِ والكُتُبِ . ومالِكٌ هذا هو تِلْميذ عانان .

والرَّبَّانيةُ تَزْعُم أنَّ الحائِضَ إذا مَسَّتْ ثَوْبًا بينْ ثِيابٍ ، وَجَبَ غُسْل جميعِها .

والعِراقِيَّةُ تَعْمَل رُؤُوس الشُّهور بالأَهِلَّة ، وآخَرون يَعْمَلون بالحِسابِ . والله أعْلَم .

فَصْــل

وهم يُوجِبُون الإيمانَ بالله وَحْدَه ، وبمُوسَىٰ عليه السَّلام وبالتَّوْراةِ ، ولا بُدَّ لهم من دَرْسِها وتَعَلُّمها ، ويَغْتَسِلُون وَيَتَوضَّأون ،ولا يَمْسَحُون رُؤُوسَهُم في وُضُوئهم ، ويبدأون بالرِّجْل اليُسْرى ، وفي شيءٍ منه خِلافٌ بَيْنَهم ، وعانان يَرَى أنَّ الاسْتِنْجاء قبل الوُضُوء ، ويَرَى أشْمِعث أنَّ الاسْتِنْجَاء بعد الوُضُوء ، ولا يتوضَّأون بما تَغَيَّرَ لَوْنُه أو طَعْمُه أو رِيحُه ، ولا يُجيزُون الطَّهارَةَ من غَديرٍ ما لم يكن عَشْرَة أذْرُع في مثلها ، والنَّوْمُ قاعِدًا لا يَنْقُض الوُضُوء عندَهم ما لم يَضَع جَنْبَه الأرْضَ ، إلَّا العانانِيَّة فإنَّ مُطْلَق النَّوْم عندهم يَنْقُض .

ومَنْ أحْدَثَ في صَلاتِه من قيءٍ أو رُعافٍ أو رِيحٍ ، انْصَرَفَ وتَوَضَّأ ، وبنى على صَلاتِه ، ولا تَجوزُ صَلاةُ الرَّجُلِ في أقَلَّ من ثلاثة أثْوابٍ : قَميص ، وسَراويل ، ومُلاءَة يَتَرَدَّى بها ، فإنْ لم يَجد المُلاءَة صَلَّى جالِسًا ، فإنْ لم يَجِد القَميصَ والسَّراويلَ صَلَّى بقَلْبِه ، ولا تَجُوزُ صَلاةُ المَرْأة في أقَلَّ من أرْبَعَة أثْواب . وعليهم فَريضَةُ ثلاث صَلَوات في اليوم والليلة : عند الصُّبْح ،وبعد الزَّوال إلى غُرُوب الشَّمْس ، ووَقْت العَتْمَة إلى ثُلُث اللَّيْل ، ويَسْجُدُون في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ سَجْدَةً طَويلةً ، وفي يوم السَّبْت وأيَّام الأعْياد يَزيدُون خَمْس صَلوات على تِلْك الثَّلاث .

ولهم خَمْسَةُ أعْياد :

عِيدُ الفَطير ـ وهو الخامِس عَشَر من نِيسَن ، يُقيمُون سبعة أيَّام لا يَأْكُلُون سِوَى الفَطِير ، وهِي الأيَّامُ التي تَخَلَّصُوا فيها من فِرْعَون وأَغْرَقَه الله .

وعِيدُ الأسَابِيع ـ بعد الفَطِير بسَبْعَة أسابِيع ، وهو اليوم الذي كَلَّمَ اللّه تعالى فيه بني إسْرائيل من طُورِ سَيناء .

وعِيدُ رأسِ الشَّهْر ـ وهو أوَّلُ تِشْري ، وهو الذي فُدِي فيه إسْحاقُ ـ عليه السَّلام ـ من الذَّبْح ، ويُسَمُّونَه « عيد رأْس هَشايا » ، أي : رأْس الشَّهْر .

وعِيدُ صُومارْيا ـ يعني الصَّوْم العَظيم .

وعِيدُ المِظَلَّة ـ يَسْتَظِلُّون سَبْعَة أيَّام بقُضْبانِ الآسِ والخِلاف[1] .

ويجب عليهم الحَجُّ في كلِّ سنةٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لمَّا كان الهَيْكَلُ عامِرًا ، ويُوجِبُون صَوْمَ أربعة أيَّام : أوَّلُها سابع عشر تَمُّوز من الغُرُوب إلى الغُرُوب ـ وعند العانانِيَّة هو اليوم الذي أَخَذَ فيه بُخْتَ نَصَّر البَيْت ـ والثَّاني عاشِر آب ، والثالِث عاشِر كانُون الأوَّل ، والرَّابع ثالِث عَشر آذار .

ويَتَشَدَّدُون في أمْرِ الحائِض بحَيْث يَعْتَزِلُونَها وثِيابَها وأوانيها ، وما مَسَّتْه من شيءٍ فإنَّه يُنَجَّس ويجب غُسْله ، فإنْ مَسَّت لَحْمَ القُرْبان أُحْرِقَ بالنَّارِ ، ومَنْ مَسَّهَا أو شيئًا من ثِيابها وَجَبَ عليه الغُسْل ، وما عَجَنَتْه أو خَبَزَتْه أو طَبَخَتْه أو غَسَلَتْه فكُلُّه نَجِسٌ حَرامٌ على الطَّاهِرين حِلٌّ للحَيْض .

ومَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا نُجِّسَ سبعة أيَّام لا يُصَلِّي فيها ، وهم يُغَسِّلُون مَوْتاهم ، ولا يُصَلُّون عليهم .

ويُوجِبُون إخْراجَ العُشْر من جَميعِ ما يَمْلِك ولا يَجِب حتى يَبْلُغَ وَزْنُه أو عَدَدُه مائة ، ولا يُخْرَجِ العُشْرُ إلَّا مَرَّةً واحِدَةً ، ثم لا يُعادُ إخْراجُه .

ولا يَصِحُّ النِّكاحُ عندهم إلَّا بوَلِي وخِطْبَة وثلاثة شُهُود ، ومَهْر مائتي دِرْهَم للبِكْر ومائة للثَّيِّب لا أقَلّ من ذلك . ويُحْضَر عند عَقْدِ النِّكاح كأسُ خَمْرٍ وباقَة مَرْسين ، فيأْخُذ الإمامُ الكأس ، ويُبارِك عليه ، ويَخْطُب خِطْبَة النِّكاح ، ثم يَدْفَعه إلى الخَتَن ويقول : قد تَزَوَّجْت فُلانَة بهذه الفِضَّة أو بهذا الذَّهَب ـ وهو خاتَم في يَدِه ـ وبهذا الكأْس من الخَمْر وبمَهْرِ كذا ، ويَشْرَب جُرْعَةً من الخَمْر ، ثم يَنْهَضُون إلى المَرْأة ، ويأْمُرُونَها أنْ تأخُذ الخاتَم والمَرْسين والكأْس من يَدِ الخَتَن ، فإذا أَخَذَت وشَرِبَت جُرْعَةً ، وَجَبَ عَقْدُ النِّكاح . ويَضْمن أوْلِياءُ المَرْأة البَكارَة ، فإذا زُفَّت إليه ، وَكَّلَ

---

[1] النويري : نهاية الأرب ١:١٩٥-١٩٧؛ قاسم : أهل الذمة في مصر العصور الوسطى ١٢٣-١٢٧؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٢:٤٣٦-٤٣٧؛ قاسم عبده وفيما تقدم ٩٤٥.

الوَلِي من يَقِف ببابِ الخَلْوَة ـ وقد فُرِشَت ثِيابٌ بيض ـ حتى يُشاهِد الوَكيلُ الدَّم ، فإنْ لم تُوجَد بِكْرًا رُجِمَت .

ولا يَجُوزُ عَنْدَهم نِكاحُ الإمَاء حتى يُعْتَقْن ، ثم يُنْكَحْن .

والعَبْدُ يُعْتَق بعد خِدْمَتِه لسِنينَ مَعْلُومَة ، وهي ستّ سنين ، ومنهم من يُجَوِّز بَيْعَ صِغارِ أوْلادِه إذا احْتاجَ .

ولا يُجَوِّزُون الطَّلاقَ إلَّا بفاحِشَةٍ أو سِحْرٍ ، أو رُجُوعٍ عن الدِّين ، وعلى من طَلَّقَ خمسة وعشرون دِرْهَمًا للبِكْر ، ونِصْفُ ذلك للثَّيِّب ، ويَنْزل في كِتابِها طَلاقُها بعد أن يَقولُ الزَّوْجُ : أنْتِ طالِقٌ مِنِّي مائة مَرَّة ومُخْتَلِعَةٌ مِنِّي ، وفي سَعَةٍ أن تَتَزَوَّجي مَنْ شِئْتِ .

ولا يَقَعُ طَلاقُ الحَامِلِ أبَدًا ، نعم إلَّا أن يُجَوِّزوه .

ويُراجِعُ الرَّجُلُ امْرَأتَه ما لم تَتَزَوَّج ، فإن تَزَوَّجَت حُرِّمَت عليه إلى الأبَد .

والخِيارُ بين المُتبايِعَيْنْ ما لم يُنْقَل المَبيع إلى البائِع .

والحُدُودُ عندهم على خَمْسَةِ أوْجُه : حَرْقٌ ، ورَجْمٌ ، وقَتْلٌ ، وتَعْزيرٌ ، وتَغْريمٌ . فالحَرْقُ على من زَني بأمِّ امْرَأتِه أو رَبِيبَتِه أو بامْرأةِ أَبيه / أو امْرَأة ابْنِه ، والقَتْلُ على مَنْ قَتَلَ ، والرَّجْمُ على المُحْصَن إذا ٤٨٠:٢ زَنَى أو لاطَ ، وعلى المَرْأة إذا مَكَّنَت من نَفْسها بهيمَة ، والتَّعْزيرُ على مَنْ قَذَفَ ، والتَّغْريمُ على مَنْ سَرَقَ ، ويَرَوْنَ أنَّ البَيِّنَة على المُدَّعِي ، واليَمينَ على من أنْكر .

وعندهم أنَّ من أتَى بشيءٍ من سَبْعَةٍ وثلاثين[a] عَمَلًا في يوم السَّبْتِ أو لَيْلَتِه ، اسْتَحَقَّ القَتْلَ ، وهي : كَرْبُ الأرْضِ ، وزَرْعُها ، وحَصَادُ الزَّرْعِ ، وسِياقَةُ المَاءِ إلى الزَّرْعِ ، وحَلْبُ اللَّبَن ، وكَسْرُ الحَطَب ، وإشْعالُ النَّار ، وعَجْنُ العَجِين ، وخَبْزُه ، وخِياطَةُ الثَّوْب ، وغَسْلُه ، ونَسْجُ سِلْكَيْنِ ، وكِتابَةُ حَرْفَيْن أو نَحْوهما ، وأخْذُ الصَّيْد ، وذَبْحُ الحَيَوان ، والخُرُوجُ من القَرْيَة ، والانْتِقالُ من بَيْتٍ إلى آخر ، والبَيْعُ ، والشِّراءُ ، والدَّقُّ ، والطَّحْنُ ، والاحْتِطابُ ، وقَطْعُ الخُبْز ، ودَقُّ اللَّحْم ، وإصْلاحُ النَّعْل إذا انْقَطَعَت ، وخَلْطُ عَلَفِ الدَّابَة ، ولا يَجُوزُ للكاتِبِ أن يَخْرُج يوم السَّبْت من مَنْزِله ومعه قَلَمُه ، ولا الخَيَّاطِ ومعه إبْرَتُه . وكُلُّ من عَمِلَ شيئًا استَحَقَّ به القَتْل ، فلم يُسَلِّم نفسه ، فهو مَلْعُون .

---

a) كذا في سائر النُّسَخ ، وصَوابُه سبعة وعشرين ليُوافِق التَّفْصيل بعده .

ذِكْرُ قِبْطِ مِصْرَ ودِيانَاتِهِم القَدِيمَة وكَيْفَ تَنَصَّرُوا ثم صارُوا ذِمَّةً للمُسْلِمين، ومَا كانَ لهم في ذلكَ من القِصَصِ والأنْباءِ وذِكْر الخَبَر عن كَنائِسِهِم ودِياراتِهِم وكَيْفَ كانَ ابْتِداؤها ومَصِيرُ أمْرِها[1]

اعْلَم أنَّ جَميعَ أَهْلِ الشَّرائِع، أتْبَاع الأَنْبِياء - عليهم السَّلام - من المُسْلِمين واليَهُود والنَّصارَىٰ، قد أَجْمَعوا على أنَّ نُوحًا - عليه السَّلام - هو الأبُ الثاني للبَشَر، وأنَّ العَقِبَ من آدَمَ - عليه السَّلام - انْحَصَرَ فيه، ومنه ذَرَأَ الله تعالى جَميعَ أوْلادِ آدَم، فليس أَحَدًا من بَني آدَم إلَّا وهو من أوْلادِ نُوح.

وخالَفَت القِبْطُ والمَجُوسُ وأَهْلُ الهِنْدِ والصِّين ذلك، فأنْكَرُوا الطُّوفَانَ، وزَعَمَ بعضُهم أنَّ الطُّوفَانَ إنَّما حَدَثَ في إقْليمِ بابِل وما وَراءَه من البِلادِ الغربية فَقَط، وأنَّ أولادَ كُيُومَرْت - الذي هو عندهم الإنْسانُ الأوَّل[2] - كانوا بالبِلادِ الشَّرْقية من بابِل، فلم يَصِل الطُّوفَانُ إليهم ولا إلى الهِنْدِ والصِّين.

والحَقُّ ما عليه أهْلُ الشَّرائِع، وأنَّ نُوحًا - عليه السَّلام - لَمَّا أَنْجاهُ الله ومن معه بالسَّفينَة نَزَلَ بهم - وهم ثمانون رَجُلًا سوى أوْلادِه - فماتُوا بعد ذلك ولم يُعْقِبوا، وصَارَ العَقِبُ من نُوحٍ في أوْلادِه الثلاثة، ويُؤَيِّدُ هذا قَوْلُ الله تعالى عن نُوحٍ: ﴿وجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ﴾ [الآية ٧٧ سورة الصافات][3].

---

[1] نَشَرَ هذا الفَصْل مع ترجمةٍ ألمانية المستشرق الألماني فرديناند وستنفلد بعنوان Wustenfeld, F., *Macrizi's Geschichte der Capten*, Gottingen 1847 [réédition par Hildesheim, New York: Olms Gotha 1979] اعتمادًا على نسختي مكتبة غوطا Gotha بألمانيا ومكتبة ڤيينا Wien بالنمسا، وذلك قبل صدور طبعة بولاق. ونَقَلَه إلى الإنجليزية مالان بعنوان Malan, S.C., *A Short History of the Coptes and their Church Transleted from the Arabic of Taqi-ed- Dîn el-Maqrîzi, London 1873*. كما نَشَرَه، نَقْلًا عن طَبْعَة بولاق، مينا إسْكَنْدَر المحامي في القاهرة سنة ١٨٩٨ على نَفَقَة جمعية التَّوْفيق القِبْطية بعنوان: «القَوْل الإبْريزي للعَلَّامَة المقريزي»؛ ثم نَشَرَه مُؤَخَّرًا عبد المجيد دياب بعنوان: «تاريخ الأقْباط المعروف بالقَوْل الإبْريزي للعلامة المقريزي»، القاهرة - دار الفضيلة ١٩٩٨ اعتمادًا على نَشْرَة مينا إسْكَنْدَر ومُقابلًا بنسخة الخِطَط المحفوظة في مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٧٩ جغرافيا.

[2] المسعودي: مروج الذهب ١: ٢٦٠- ٢٦٢، ٢٧٩.

[3] نفسه ١: ٤٤.

وكان من خَبَرِ ذلك أنَّ أوْلادَ نُوحِ الثلاثة ـ و هم : سَام ، وحَام ، ويافِث ـ اقْتَسَمُوا الأرْضَ . فصَارَ لبني سَام بن نُوح أرْضُ العِراق وفارِس إلى الهِنْد ، ثم إلى حَضْرَمَوْت وعُمَان والبَحْرَيْن وعالج ويبرين ووَبَار والدَّوّ والدَّهْنَاء ، وجَميعُ أرْضِ اليَمَن وأرْضِ الحِجاز . وصَارَ لبني حَام بن نُوح جَنُوبُ الأرْض مِمَّا يلي أرْض مصر ، مَغْرِبًا إلى بِلادِ المَغْرب الأقْصَى . وصَارَ لبني يافِث بن نُوح بَحْر الخَزَر ، مَشْرِقًا إلى الصِّين .

فكان من ذُرِّيَّة سَام بن نُوح : القُضَاعِيُّون ، والفُرْس ، والسُّرْيانيون ، والعِبْرانِيُّون ، والعَرَبُ المُسْتَعْرِبَة ، والنَّبَطُ ، وعَادٌ وثَمُود ، والآمُورانِيُّون ، والعَمالِيقُ ، وأُمَمُ الهِنْدِ وأهْلُ السِّنْدِ ، وعِدَّةُ أُمَمٍ قد بادَت .

وكانت ذُرِّيَّةُ حَام بن نُوح من أربعة أوْلادِهِ الذين هم : كُوش ومِصْرايِم وفوط[a] وكَنْعان . فمن كُوش الحَبَشَة والزَّنْج ، ومن مِصْرايِم قِبْطُ مصر والنُّوبَة ، ومن فوط[a] الأفارِقَةُ أهْل إفْرِيقِيَّة ومَنْ جاوَرَهُم إلى المَغْرِب الأقْصَى ، ومن كَنْعَان أُمَمٌ كانت بالشَّام حارَبَهُم مُوسَىٰ بن عِمْران ـ عليه السَّلام ـ وقَوْمُه من بني إسْرائيل ، ومنهم أجْناسٌ عَديدَةٌ من البَرْبَرِ دَرَجُوا .

وكانت مَساكِنُ بني حَام من صَيْدا إلى أرْضِ مصر ، ثم إلى آخِرِ إفْرِيقِيَّةَ نحو البَحْر المُحِيطِ ، وانْتَشَرُوا فيما بين ذلك إلى الجَنُوب ، وهم ثلاثون جِنْسًا .

وكان من ذُرِّيَّة يافِث بن نُوح : الصَّقْلَبُ ، والفِرنْجَةُ ، والغاليُّون من قَبائِل الرُّوم ، والقُوطُ[b] ، وأهْلُ الصِّين ، وقَوْمٌ عُرِفُوا بالماذَنيين ، واليُونانيون ، والرُّومُ الفَريقيون ، وقَبائِلُ الأتْراك ، ويأْجُوج ومأْجُوج ، وأهْلُ قُبْرُس ورُودَس . وعِدَّةُ بني يافِث خمسة عشر جِنْسًا ، سَكَنُوا القُطْر الشَّمالي إلى البَحْر المُحِيط ، فضاقَت بهم بِلادُهم ، ولم تَسَعْهُم لكَثْرَتهم فَخَرجُوا منها ، وتَغَلَّبُوا على كثيرٍ من بِلادِ بني سَام بن نُوح .

وذَكَرَ الأستاذُ إبراهيم بن وَصِيف شَاه الكاتِب : أنَّ القِبْطَ تُنْسَب إلى قِبْطيم بن مِصْرايِم ابن مِصْر بن حَام بن نُوح ، وأنَّ قِبْطيم أوَّلُ من عَمِلَ العَجائِبَ بمصر وأثارَ بها المعادِن وشَقَّ الأنْهار ، لمَّا وَلِيَ أرْضَ مصر بعد أبيه مِصْرايِم ، وأنَّه لَحِقَ بَلْبَلَة الألْسُن وخَرَج منها وهو يَعْرِف اللُّغَة القِبْطِيَّة ، وأنَّه مَلَكَ مُدَّةَ ثمانين سنة ومات ، فاغْتَمَّ لمَوْتِه بنُوه وأهْلُه ، ودَفَنُوه في الجانِب

a) بولاق : قفط . b) بولاق : الغوط .

الشَّرْقي من النِّيل بسَرَبٍ تحت الجَبَلِ الكبير، فقامَ من بعده في مُلْكِ مصر ابنُه قِفْطيم ابن قِبْطيم[1].

وزَعَم بَعْضُ النَّسَّابةِ أنَّ مصر بن حَام بن نُوح - ويُقَالُ له مِصْرايم، ويُقَالُ بل مِصْريم بن هِرْمِس ابن هُرْدُوس جَدّ الإسكَنْدَر، وقيل بل قِفْط بن حَام بن نُوح - نَكَحَ بَخْت بنت تباويل بن ترس ابن يافِث بن نُوح. فوَلَدَت له بُوقير وقِبْط أبا قِبْط مصر. قال ابنُ إسْحَاق: ومن هاهُنا قالوا إنَّ مِصْر ابن حَام بن نُوح، وإنَّما هو مصر بن هِرْمس بن هِرْدُوس بن مَيْطُون بن رُومي بن ليطي بن يُونان، وبه سُمِّيَت مصر، فهي مَقْدُونية. وقيل القِبْطُ من وَلَدِ قِبْط بن مصر بن قِفْط بن حَام بن نُوح، وبمصر هذا سُمِّيَت مصر[2].

ذِكْرُ دِيانَةِ القِبْطِ قَبْل تَنَصُّرِهِم

اعْلَمْ أنَّ قِبْطَ مصر كانوا في غابِرِ الدَّهْرِ أهْلَ شِرْكٍ بالله يَعْبُدُون الكَواكِبَ، ويُقَرِّبُون لها قَرابِينَهم، ويُقيمُون على أسْمائِها التَّماثيلَ كما هي أفْعالُ الصَّابِئَة.

وذَكَرَ ابنُ وَصيف شَاه، أنَّ عِبادَةَ الأصْنام أوَّل ما عُرِفَت بمصر، أيَّام قِفْطريم بن قِبْطيم ابن مِصْرايم بن بَيْصَر بن حَام بن نُوح، وذلك أنَّ إبْليس أثارَ الأصْنَامَ التي غَرَّقها الطُّوفان، وزَيَّنَ للقِبْطِ عِبادَتَها، وأن البُودْسير بن قِبْطيم أوَّل من تَكَهَّنَ وعَمِلَ بالسِّحْر، وأنَّ مناوش ابن مِنْقاوش أوَّل من عَبَدَ البَقَر من أهْلِ مِصْر[3].

وذَكَرَ المُوَفَّقُ أحمد بن أبي القَاسم بن خَليفَة - المعروف بابن أبي أُصَيْبِعة - أنَّه كان للقِبْط مَذْهَبٌ مَشْهُورٌ من مَذاهِبِ الصَّابِئَة ولهم هَياكِلُ على أسْمَاءِ الكَواكِب يَحُجّ إليها النَّاسُ من أقْطار الأرْضِ، وكانت الحُكَماءُ والفَلاسِفَةُ مِمَّن سِواهُم تَتَهافَت عليهم، وتُريدُ التَّقَرُّبَ إليهم لما كان عندهم من عُلُومِ السِّحْر والطِّلَّسْمات والهَنْدَسَة والنُّجُوم والطِّبّ والحِسَاب والكِيْمياء، ولهم في ذلك أخْبارٌ كثيرةٌ، وكانت لهم لُغَةٌ يَخْتَصُّون بها، وكانت خُطوطُهم

---

[1] النويري: نهاية الأرب ١٥: ٤٦؛ وفيما تقدم ١: ٤٦- ٤٧.

[2] الهمداني: الإكليل ١: ٦٣، ٦٤- ٦٥؛ وفيما تقدم ١: ٣٦٩- ٣٧٠.

[3] النويري: نهاية الأرب ١٥: ٤٦- ٤٧، ٤٩، ٦٧.

ثَلاثَة أصْناف: خَطُّ العامَّة، وخَطُّ الخاصَّة ـ وهو خَطُّ الكَهَنَة المُخْتَصَر ـ وخَطُّ المُلوك[١].

وقال ابنُ وَصيف شاه: كانت كَهَنَةُ مصر أعْظَمَ الكُهَّان قَدْرًا، وأجَلَّها عِلْمًا بالكِهانَة، وكانت حُكَماءُ اليُونانيين تَصِفُهم بذلك، وتَشْهَدُ لهم به، فيقولون: اخْتَبَرْنا حُكَماءَ مصر بكذا وكذا، وكانُوا يَنْحُون بكهانَتِهم نحو الكَواكِب، ويَزْعُمُون أنَّها هي التي تُفيضُ عليهم العُلُومَ وتُخْبِرهم بالغُيُوب، وهي التي تُعَلِّمُهم أسْرارَ الطَّوالِع وصِفَةَ الطَّلاسِم، وتَدُلُّهم على العُلوم المَكْتُومَة والأسْماء الجَليلَة المَخْزونَة. فعَمِلُوا الطِّلَّسْمات المشهورة، والنَّواميسَ الجَليلَة، ووَلَّدُوا الأشْكالَ النَّاطِقَة، وصَوَّرُوا الصُّوَرَ المُتَحرِّكة، وبَنَوا العالي من البُنْيان، وزَبَرُوا عُلومَهُم في الحِجَارَة[a]، وعَمِلُوا من الطِّلَّسْمات ما دَفَعُوا به الأعْدَاء عن بِلادِهم، فحِكَمُهم باهِرَة، وعَجائِبُهم ظاهِرَة[٢].

وكانت أرْضُ مصر خَمْسًا وثمانين كُورَة، منها: أسْفَلُ الأرْض خمس وأرْبَعون كُورَة، ومنها بالصَّعيدِ أرْبَعون كُورَة، وكان في كُلِّ كُورَة رَئِيسٌ من الكَهَنَة وهم السَّحَرَة.

وكان الذي يَتَعبَّدُ منهم للكَواكِب السَّبْعَة السَّيَّارَة سبع سنين يُسَمُّونه «باهِر»، والذي يَتَعبَّد منهم لها تِسْعًا وأربعين سنة ـ لكُلِّ كَوْكَب سَبْع سنين ـ يُسَمُّونَه «قاطِر»، وهذا يقوم له المَلِكُ إجْلالًا، ويُجْلِسه معه إلى جانبِه، ولا يَتَصرَّف إلا برأْيه، وتَدْخُل الكَهَنَةُ ومعهم أصْحابُ الصَّنائِع فيَقِفُون حِذاء القاطِرِ[٣].

وكان كلُّ كاهِنٍ منهم يَنْفَرِد بخِدْمَة كَوْكَبٍ من الكَواكِب السبعة السَّيَّارة لا يَتَعَدَّاه إلى سِواه، ويُدْعَى بعَبْدِ ذلك الكَوْكَب، فيُقالُ: عَبْدُ القَمَر، عَبْدُ عُطارِد، عَبْدُ الزُّهْرَة، عَبْدُ الشَّمْس، عَبْدُ المرِّيخ، عَبْدُ المُشْتَري، عَبْدُ زُحَل. فإذا وَقَفُوا جَميعًا قال «القاطِرُ» لأحَدِهِم: أين صَاحِبُك اليوم؟ فيَقُولُ: في بُرْجِ كذا، ودَرَجَة كذا، ودَقيقَة كذا. ثم يَقُولُ للآخَر كذلك، فيُجيبُه، حتى يأتي على جَميعِهم، ويَعْرِف أماكِنَ الكَواكِب من فَلَكِ البُرُوج. ثم يَقُولُ للمَلِك: يَنْبَغِي أن تَعْمل اليوم كذا، أو تأكُل كذا، أو تُجامِع في وَقْتِ كذا، أو تَرْكب وَقْت كذا، إلى آخِر

a) عند النويري: في الصُّلْب من الصَّوَّان.

[١] قارن ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١: ٣٨؛ وهو ما أُطْلَقَ عليه عُلَماءُ المصريات: الخَطّ الدِّيمُوطيقي والخَطّ الهيراطيقي والخَطّ الهيرُوغْليفي.

[٢] النويري: نهاية الأرب ١٥: ٤٠.

[٣] نفسه ١٥: ٤٠.

ما يَحْتاج إليه ، والكاتِبُ قائِمٌ بين يَدَيْه يَكْتُب ما يقول ، ثم يَلْتَفِت « القاطِرُ » إلى أهْلِ الصِّناعات ويُخْرِجُهم إلى دارِ الحِكْمَة ، فيَضَعُون أيْديهم في الأعْمال التي يَصْلُح عَمَلَها في ذلك اليوم ، ثم يُؤَرِّخ ما جَرَى في ذلك اليوم في صَحيفَة ، وتُخَزَّن في خَزائِن الملك [1].

وكان المَلِكُ إذا هَمَّه أمْرٌ ، جَمَعَ الكُهَّانَ خارِجَ مَدينَة مَنْف ـ وقد اصْطَفَّ النَّاسُ لهم بشارِع المَدينَة ـ ثم يَدْخُل الكُهَّانُ رُكْبانًا على قَدْرِ مُراتِبِهم والطُّبُل بين أيْديهم ، وما منهم إلَّا مَنْ أظْهَرَ أُعْجُوبَةً قد عَمِلَها : فمنهم من يَعْلُو وَجْهَه نُورٌ كهَيْئَة نُورِ الشَّمْس لا يَقْدِر أحَدٌ على النَّظَرِ إليه ، ومنهم من على بَدَنِه جَواهِرُ مُخْتَلِفَة الألْوان قد نُسِجَت على ثَوْبٍ ، ومنهم من يَتَوَشَّح بحَيَّاتٍ عَظيمَة ، ومنهم من يَعْقِد فَوْقَه قُبَّةٌ من نُور ، إلى غير ذلك من بَديعِ أعْمالِهم . ويَصيرُون كذلك إلى حَضْرَةِ الملك ، فيُخْبِرُهم بما نَزَلَ به ، فيُجيلُون رأْيَهُم فيه حتى يَتَّفِقُوا على ما يُصَرِّفُونَه به [2].

وهذا ـ أعَزَّكَ الله ـ من خَبَرِهم لمَّا كان المُلْكُ فيهم . فلمَّا اسْتَوْلَت العَماليقُ على مُلْكِ مِصْر ، ومَلَكَتْها الفَراعِنَةُ ، ثم تَداوَلَتْها من بَعْدِهم أجْنَاسٌ أُخَر ، تَناقَصَت عُلُومُ القِبْطِ شيئًا بعد شيءٍ إلى أن تَنَصَّرُوا ، فغَادَرُوا عَوايدَ أهْلِ الشِّرْك ، واتَّبَعُوا ما أُمِرُوا به من دِينِ النَّصْرانِيَّة ، كما ستَقِفُ عليه تِلْوَ هذا إنْ شاءَ الله تعالى .

ذِكْرُ دُخُولِ قِبْطِ مِصْر في دِينِ النَّصْرانيَّة [3]

اعْلَم أنَّ النَّصارَىٰ ، أتْباعُ عيسَىٰ نَبِي الله ابن مَرْيَم ـ عليه السَّلام ـ سُمُّوا نَصارَىٰ لأنَّهم يَنْتَسِبُون إلى قَرْيَة النَّاصِرَة من / جَبَلِ الجَليل ـ بالجيم ـ ويُعْرَف هذا الجَبَلُ بجَبل كَنْعَان ، وهو الآن ٨٢:٢
في زَمَنِنا من جملة مُعامَلة صَفَد [4].

---

[1] النويري : نهاية الأرب ١٥ : ٤١ .

[2] نفسه ١٥ : ٤١ .

[3] من هنا وحتى صفحة فيما يلي ، وكذلك خَبَر كنيسة الزُّهْري فيما يلي ، نَشَرَة هنريكو جوزيف ويتزر مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٢٨م بعنوان : Wetzer, H.J., *Taki-eddini Makririi Historia Coptorum Christianorum in Aegypto Arabice*, Solisbaci 1828.

[4] المسعودي : مروج الذهب ١ : ٧٠ - ٧١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ١٣ : ٢٧١ ، الذي أضافَ إلى التفسير الذي أورده المقريزي ، أنَّها أُخِذَتْ من قَوْلِ المسيح - عليه السَّلام - للحَوارِيِّين : ﴿مَنْ أنْصارِي إلى الله﴾ وقَوْلِ الحَوارِيِّين : ﴿نَحْنُ أنْصارُ الله﴾ [الآية ٥٢ سورة آل عمران ، والآية ١٤ سورة الصَّفّ] .

والأَصْلُ في تَسْمِيتهم « نَصارَىٰ » أنَّ عيسَىٰ بن مَرْيَم ـ عليه السَّلام ـ لمَّا وَلَدَتْه أُمُّه مَرْيَم ابنة عِمْران بِبَيْتِ لَحْم ، خارِج مَدينَة بَيْتِ المَقْدِس ، ثم سارَت به إلى أرْضِ مصر وسَكَنَتْها زَمانًا ، ثم عادَت به إلى أرْضِ بني إسْرائيل قَوْمِها ، نَزَلَت قَرْيَةَ النَّاصِرَة . فنَشَأ عِيسَىٰ بها ، وقيل له يَسُوعُ النَّاصِري [1] .

فلمَّا بَعَثَه الله تعالى رَسُولًا إلى بني إسْرائيل ، وكان من شَأْنه ما سَتَراه إلى أن رَفَعَه الله إليه ، تَفَرَّقَ الحَوارِيُّون ـ وهم الذين آمَنُوا به ـ في أقْطار الأرْضِ يَدْعُون النَّاسَ إلى دِينِه ، فنُسِبُوا إلى ما نُسِبَ إليه نَبِيُّهم عِيسَى بن مَرْيَم ، وقيل لهم « النَّاصِرِيَّة » ، ثم تَلاعَبَ العَرَبُ بهذه الكلمة وقالوا : « نَصارَىٰ » [2] .

قال ابنُ سِيدَه : ونَصْرِيٌّ ونُصْرِي[a] وناصِرَة ونَصُورِيَّةٌ : قَرْيَةٌ بالشَّام ، والنَّصارَىٰ مَنْسُوبُون إليها . هذا قَوْلُ أهْلِ اللُّغَة ، وهو ضَعِيفٌ إلَّا أنَّ نادِرَ النَّسَب يَسَعُه[b] . وأمَّا سِيبَوَيْه فقال : أمَّا النَّصارَىٰ فذَهَبَ الخَليلُ إلى أنَّه جَمْعُ نَصْرِيٍّ ونَصْرانٍ ، كما قالوا : نَدْمانُ ونَدامَى ، ولكنهم حَذَفُوا إحدى الياءَيْن كما حَذَفُوا من أُثْفِيَّة ، وأبْدَلُوا مَكانَها ألفًا . قال : وأمَّا الذي نُوَجِّهُه نحن عليه فإنَّه جاءَ على نَصْرانٍ ، لأنَّه قد تَكَلَّم به ، فكأنَّك جَمَعْتَ وقُلْتَ نَصارَى كما قُلْت نَدامَى ، فهذا أقْيَسُ ، والأوَّلُ مَذْهَبٌ ، وإنَّما كان أقْيَسَ لأنَّا لم نَسْمَعْهُم قالوا نَصْرِيٌّ .

والتَّنَصُّرُ : الدُّخُولُ في دين النَّصْرانِيَّة ، ونَصَّرَهُ : جَعَلَه كذلك . والأنْصَرُ : الأَقْلَفُ ، وهو من ذلك ؛ لأنَّ النَّصارَىٰ قُلْف [3] .

وفي « شَرْحِ الإنْجِيل » أنَّ مَعْنَى قَرْيَة ناصِرَة : الجَدِيدَة ، والنَّصْرانية : التَّجَدُّد ، والنَّصْراني : المُجَدِّد . وقيل نُسِبُوا إلى نَصْران ، وهو من أبْنِيَة المبالغة ، ومَعْناه أنَّ هذا الدِّين في غير عِصابَةِ صَاحِبِه ، فهو دِينُ من يَنْصُره من أتْباعِه .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : يسنيعه .

---

[1] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٩١ ، ونشرة Breydy ٤٤٨ ؛ ساويرس بن المقفع : كتاب المجامع ١٤٠ .

[2] وَرَدَت كلمة «نَصارَىٰ» خمس عشرة مَرَّة في القُرآنِ الكريم ، وهي الكلمةُ التي تستخدمها المصادرُ العربية الإسلامية لتعريف أتْباع الدِّيانة المسيحية . أمَّا كلمة «مَسيحي» جـ . مسيحيُّون فلم تظهر إلَّا ابتداءً من القرن السَّادِس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وفي أوْساطِ المسيحيين أنفسهم فقط . (السمعاني : الأنساب ٥٣٠ظ) . وراجع مناقشة تاريخ استِخْدام هذه الكلمة في المصادر العربية المختلفة في مقال Fiey, J.M., *EI*² art. *Nasârâ* VII, pp. 970-74.

[3] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ١٩٩ – ٢٠٠ .

وإذا تَقرَّرَ هذا ، فاعْلَم أنَّ المَسيحَ - رُوحُ الله وكَلِمَتُه أَلْقاها إلى مَرْيَم - هو « عيسَىٰ »[1]. وأصْلُ اسمه بالعِبْرانية - التي هي لُغَة أُمِّه وآبائِها - إنَّما هو « ياشُوع » ، وسَمَّتْه النَّصارَىٰ « يَسُوع » ، وسَمَّاهُ الله تعالى - وهو أصْدَقُ القائلين - « عِيسَى » ومَعْنَى يَسُوع في اللغة السُّرْيانية : المُخَلِّص ، قاله في « شَرْحِ الإنْجيل » .

ونَعَته بالمَسيح ، وهو الصِّدِّيق ، وقيل لأنَّه كان لا يَمْسَح بيده صَاحِبَ عاهَةٍ إلَّا بَرَأ ، وقيل : لأنَّه كان يَمْسَح رُؤوس اليتامَى ، وقيل لأنَّه خَرَجَ من بَطْنِ أُمِّه مَمْسوحًا بالدُّهْن ، وقيل لأنَّ جِبْريلَ - عليه السَّلام - مَسَحه بجَناحِه عند وِلادَته صَوْنًا له من مَسِّ الشَّيْطان .

وقيل المَسيحُ اسْمٌ مُشْتَقٌّ من المَسْحِ ، أي الدُّهْنِ ؛ لأنَّ رُوحَ القُدُسِ قامَ بجَسَدِ عِيسَىٰ مَقامَ الدُّهْنِ الذي كان عند بني إسْرائيل يَمْسَح به المَلِكُ ويَمْسَح به الكَهَنُوت ، وقيل لأنَّه مَسَحَ بالبَرَكَة ، وقيل لأنَّه أَمْسَحَ الرِّجْلَيْنِ ليس لرِجْلَيْه أخْمَص ، وقيل لأنَّه يَمْسَح الأرْضَ بسِياحَتِه لا يَسْتَوْطِن مَكانًا ، وقيل هي كلمة عِبْرانِيَّة أَصْلُها « ماسِيح » ، فتَلاعَبَت بها العَرَبُ وقالت : « مَسيح »[2].

وكان من خَبَرِه - عليه السَّلام - أنَّ مَرْيَمَ ابنة عِمْران ، بَيْنَا هي في مِحْرابها ، إذْ بَشَّرَها الله تعالى بعِيسَىٰ ، فخَرَجَت من بَيْتِ المَقْدِس وقد اغْتَسَلَت من المحيض ، فتَمَثَّلَ لها المَلَكُ بَشَرًا في صُورَة يُوسُف بن يَعْقُوب النَّجَّار - أحَدِ خُدَّام القُدْس - فنَفَخَ في جَيْبِها ، فسَرَت النَّفْخَةُ إلى جَوْفِها ، فحَمَلَت بعِيسَى كما تَحْمَل النِّساءُ بغير ذَكَر ، بل حَلَّت نَفْخَةُ المَلَك منها مَحَلَّ اللِّقاح ، ثم وَضَعَت بعد تسعة أشهر - وقيل بل وَضَعَت في يوم حَمْلِها - بقَرْيَةِ بَيْتِ لَحْم من عَمَلِ مَدينَة القُدْسِ ، في يوم الأربعاء خامِس عشرين كانون الأوَّل ، وتاسِع عشرين كِيَهْك ، سنة تسع عشرة وثلاث مائة للإسْكَنْدَر[3].

فقَدِمَت رُسُلُ مَلِك فارِس في طَلَبِه ، ومعهم هَدِيَّةٌ له فيها ذَهَبٌ ومُرٌّ ولُبانٌ ، فتَطَلَّبه[a] هيرُدُوس - مَلِكُ اليَهُود بالقُدْس - ليَقْتُله وقد أُنْذِرَ به . فسارَت أُمُّه مَرْيَم به ، وعُمْرُه سَنَتان ، على حِمارٍ

---

a) بولاق : فطلبه .

---

[1] عِيسىٰ بن مَرْيَم ، هو الاسم الذي اسْتَخْدَمه القُرْآنُ الكَريم للحديث عن يَسُوع المَسيح ، وقد وَرَدَ في خمس عشرة سُورَةً وخُصِّصَ له فيها ثلاثٌ وتسعون آية ، هي أساسُ المَفْهوم الإسلامي للمسيحية . (راجع Anawati G.C., *EI*[2] art. *ʿIsâ* IV, pp. 85-90 وما ذكر من مراجع) .

[2] السمعاني : الأنساب ٥٣٠ظ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ١٣: ٢٨١.

[3] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١: ٨٩، ونشرة Breydy ٤٦.

ومعها يُوسُف النَّجّار، حتى قَدِمُوا إلى أرْض مصر، فسَكَنُوها مُدَّةَ أرْبَع سنين، ثم عادُوا وعُمْر عِيسَى سِتّ سنين، فنَزَلَت به مَرْيَم قَرْيَةَ النَّاصِرَة من جَبَلِ الجَلِيلِ فاسْتَوْطَنَتْها.

فنَشَأ بها عِيسَىٰ حتى بَلَغَ ثلاثين سنة، فسَارَ هو وابن خالَته يحيى بن زَكَريا ـ عليهما السَّلام ـ إلى نَهْر الأُرْدُن، فاغْتَسَلَ عِيسَى فيه، فحَلَّت عليه النُّبُوَّة [1]. فمَضَى إلى البَرِّيَّة، وأقامَ بها أربعين يومًا لا يَتناوَل طَعَامًا ولا شَرابًا، فأوْحَى الله إليه بأن يَدْعُو بني إسْرائيل إلى عِبادَةِ الله تعالى، فطافَ القُرَى، ودَعَا النَّاسَ إلى الله تعالى، وأبْرَأ الأكْمَه والأبْرَص، وأحْيَا المَوْتى بإذْنِ الله، وبَكَّتَ اليَهُودَ، وأمَرَهُم بالزُّهْدِ في الدُّنْيا والتَّوْبَة من المعاصي [2].

فآمَنَ به الحَوارِيُّون ـ وكانوا قَوْمًا صَيَّادين ـ وقيل قَصَّارين، وقيل مَلَّاحين ـ وعَدَدُهم اثْنا عشر رَجُلًا [3] وصَدَّقُوا بالإنْجيل الذي أنْزَلَه الله تعالى عليه، وكَذَّبَه عامَّةُ اليَهُود وضَلَّلوه، واتَّهَمُوه بما هو بَرِيءٌ منه. فكانت له ولهم عِدَّةُ مُناظَراتٍ آلت بهم إلى أن اتَّفَقَ أحْبارُهُم على قَتْلِه، وطَرَقُوه لَيْلَة الجُمُعَة، فقيل إنَّه رُفِعَ عند ذلك، وقيل بل أخَذُوه وأتَوْا به إلى بِلاطُس البَنْطي[Pilatus] [a] ـ شِحْنَة القُدْس من قِبَلِ الملكِ طِيبارْيوس قَيْصَر [Tiberius] ـ ورَاوَدُوه على قَتْلِه وهو يَدْفَعُهم عنه، حتى غَلَبُوه على رأيه بأنَّ دِينَهم اقْتَضَى قَتْلَه، فأمْكَنَهُم منه [4].

وعندما أدْنَوه من الخَشَبَةِ ليَصْلِبُوه، رَفَعَهُ الله إليه ـ وذلك في السَّاعَة السَّادِسَة من يوم الجُمُعَة خامِس عشر شهر نيسَن، وتاسع عشرين شهر بَرَمْهات، وخامِس عشر شهر آذار [5]، وسابع عشر/ شهر ذي القِعْدَة ـ وله من العُمْرِ ثلاثٌ وثلاثون سنة وثلاثة أشهر. فصَلَبُوا ٤٨٣ الذي شُبِّهَ لهم، وصَلَبُوا معه لِصَّيْن، وسَمَّرُوهُم بمَسامير الحَديد، واقْتَسَم الجُنْدُ ثِيابَ المَصْلوب. فغَشِيَت الأرْضَ ظُلْمَةٌ دامَت ثلاث ساعات حتى صَارَ النَّهارُ شِبْه اللَّيْل، ورُئِيَت

---

a) بولاق: النبطي.

---

[1] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩١، ونشرة Breydy ٤٨.

[2] ساويرس بن المقفع: كتاب المجامع ١٤٠-١٤١.

[3] وهم: سَمْعَان الذي يُقالُ له بُطْرُس، وأنْدراوس أخوه، ويَعْقُوب بن زَبَدي، ويُوحَنَّا أخوه، وفيلِبُّس، وبَرْثُولْماوُس، وتُوما، ومَتَّى العَشَّار، ويَعْقُوب بن حَلْفا، ولبَّاوُس المُلَقَّب تَدَّاوُس، وسَمْعَان القَناوي، ويَهُوذا الإسْخَرْيُوطي الذي أسْلَمَه. (إنجيل متى ١٠/١-٤).

[4] ساويرس بن المقفع: كتاب المجامع ١٦٣؛ سعيد ابن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩١، ٩٢، ونشرة Breydy ٤٨.

[5] وَرَدَ التاريخُ عند سعيد بن البَطْريق: الجمعة ثلاثة وعشرين من آذار، وسبع وعشرين يومًا من بَرَمْهات.

النُّجُومُ، وكان مع ذلك هَزَّةٌ وزَلْزَلَة [١].

ثم أُنْزِلَ المَصْلوبُ عن الخَشَبةِ بُكْرَةَ يوم السبت، ودُفِنَ تحت صَخْرَةٍ في قَبْرٍ جديد، ووُكِّلَ بالقَبْرِ من يَحْرُسُه لئلّا يأْخُذَ المَقْبُورَ أصْحابُه. فزَعَم النَّصارَىٰ أنَّ المَقْبورَ قامَ من قَبْرِه لَيْلَة الأَحَدِ سَحَرًا، ودَخَلَ عَشِيَّةَ ذلك اليوم على الحَوارِيِّين وحادَثَهم ووَصَّاهم، ثم بعد الأربعين يَوْمًا من قِيامِه صَعِدَ إلى السَّماءِ والحَوارِيُّون يُشاهِدُونَه، فاجْتَمَعُوا بعد رَفْعِه بعَشَرَة أيَّام في عِلِّيَة صَيُّون - التي يُقالُ لها اليوم صَهْيون - خارج القُدْس، وظَهَرَت لهم خَوارِقُ، فتَكَلَّموا بجَميعِ الأَلْسُن، فآمَنَ بهم فيما يُذْكَر زيادَةٌ على ثلاثة آلاف إنْسانٍ، فأخَذَهم اليَهُودُ وحَبَسُوهُم، فظَهَرَت كَرامَتُهم، وفَتَحَ الله لهم بابَ السِّجْن لَيْلًا، فخَرَجُوا إلى الهَيْكَلِ، وطَفِقوا يَدْعون النَّاس، فهَمَّ اليَهُودُ بقَتْلِهم وقد آمَنَ بهم نَحْو الخمسة آلاف إنْسانٍ، فلم يَتَمَكَّنوا من قَتْلِهم. فتَفَرَّقَ الحَوارِيُّون في أقْطارِ الأرْضِ يَدْعُون إلى دِين المَسيحِ [٢].

فسَارَ بُطْرُس [Petrus]، رأس الحَوارِيِّين، ومعه شَمْعُون الصَّفا إلى أنْطاكية ورُومِيَّة، فاسْتَجابَ لهم بَشَرٌ كَثيرٌ، وقُتِلَ في خامِس أَبِيب وهو «عِيدُ القَصْرِيَّة».

وسَارَ أنْدَراوس أخُوه إلى نِيقْيَة وما حَوْلها، فآمَنَ به كثيرٌ، وماتَ في بِزَنْطِية في رابع كِيَهْك.

وسَارَ يَعْقُوب بن زَبَدي [a]، أخو يُوحَنَّا الإنْجِيلي، إلى بَلَدِ أَبِدِيْنِية، فتَبِعَه جماعَةٌ، وقُتِلَ في سابع عشر بَرْمُودَة.

وسَارَ يُوحَنَّا الإنْجِيلي إلى آسيا وإفُسُس، وكَتَبَ إنْجيلَه باليُونانِي، بعدما كَتَبَ مَتَّى ومُرْقُص ولُوقَا أناجيلهم، فوَجَدَهم قد قَصَّرُوا في أمُورٍ فتَكَلَّمَ عليها - وكان ذلك بعد رَفْعِ المَسيح بثلاثين سنة - وكَتَبَ ثَلاثَ رَسائِل، وماتَ وقد أنافَ على مائة سنة.

---

a) بولاق: زيدي.

---

[١] وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِم إنَّا قَتَلْنا المَسِيحَ عِيسَىٰ ابن مَرْيَم رَسُولَ الله وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم وإنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوه يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ الله إلَيْه وكان الله عَزيزًا حَكِيمًا﴾ [الآيتان ١٥٧، ١٥٨ سورة النساء]؛ وقارن مع سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩٢، ونشرة Breydy ٥٠.

[٢] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١:٩٢-٩٣، ونشرة Breydy ٥٠- ٥١.

وسَارَ فيلبُس إلى قَيْسارِيَّة وما حَوْلَها ، وقُتِلَ بها في ثامن هاتُور ، وقد اتَّبَعَه جَماعاتٌ من النَّاس .

وسَارَ بَرْتولُوماوُس إلى أرْمِينِيَة وبلاد البَرْبَر وواحات مِصْر ، فآمَنَ به كثيرٌ ، وقُتِل .

وسَارَ تُومَا إلى الهِنْد ، فقُتِلَ هناك .

وسَارَ مَتَّى العَشَّار إلى فِلَسْطِين وصُور وصَيْدا ومَدينَة بُصْرَى ، وكَتَبَ إنْجيلَه بالعِبْرانِي بعد رَفْع المَسيح بتسعِ سنين ، ونَقَلَه يُوحَنَّا إلى اللغة الرُّومِيَّة [1] . وقُتِلَ مَتَّى بقَرْطاجَنَّة في ثامِن عشر بابَه بعدما اسْتَجابَ له بَشَرٌ كثيرٌ .

وسَارَ يَعْقُوبُ بن حَلْفا إلى بِلادِ الهِنْدِ ، ورَجَعَ إلى القُدْسِ ، وقُتِلَ في عاشِر أَمْشير .

وسَارَ يَهُوذَا بن يَعْقُوب من أنْطاكية إلى الجَزيرَة ، فآمَنَ به كثيرٌ من النَّاسِ ، وماتَ في ثاني أبيب .

وسَارَ شَمْعُون إلى سِميسَاط وحَلَب ومَنْبِج وبِزَنْطِية ، وقُتِلَ في سابع أبيب .

وسَارَ مِيتَاس إلى بِلادِ الشَّرْق ، وقُتِلَ في ثامِن عشَرَ بَرَمْهات .

وسَارَ بُولُص الطُّرْسُوسِي إلى دِمَشْق وبِلادِ الرُّوم ورُومِيَّة ، فقُتِلَ في خامِس أَبيب .

وتَفَرَّقَ أيضًا سَبْعون رَسُولًا أُخَر في البِلاد ، فآمَنَ بهم الخَلائِقُ . ومن هؤلاء السَّبْعين مُرْقُص الإنْجيلي ، وكان اسْمُه أوَّلًا يُوحَنَّا ، فعَرَفَ ثَلاثَة ألْسُن : الفِرِنْجي ، والعِبْراني ، واليُوناني . ومَضَى إلى بُطْرُس برُومِيَّة ومصر والحَبَشَة والنُّوبَة ، وأقامَ حَنانيا أسْقُفًا على الإسْكَنْدَرية ، وخَرَجَ إلى بَرْقَة ، فكَثُرَت النَّصارَىٰ في أيَّامِه ، وقُتِلَ في ثاني عيد الفِصْح بالإسْكَنْدَرية .

ومن السبعين أيضًا : لُوقَا الإنْجيلي الطَّبيب تِلْميذ بُولُص . كَتَبَ الإنْجيل باليُونانية ، عن بُولُص بالإسْكَنْدَرية ، بعد رَفْعِ المسيح بعشرين سنة ، وقيل باثنتين وعشرين سنة .

ولمَّا فَرَّ بُطْرُس رأسُ الحَوارِيِّين من حَبْسِ رُومِيَّة ، ونَزَلَ بأنْطاكِية ، أقامَ بها دارْيوس بَطْرَكًا ـ وأنْطاكية أحَد الكراسي الأربعة التي للنَّصارَى ، وهي : رُومِيَّة ، والإسْكَنْدَرية ، والقُدْسُ ، وأنْطاكية ـ فأقامَ دارْيوس بَطْرَكَ أنْطاكية سَبْعًا وعشرين سنة ، وهو أوَّلُ بَطارِكَتها ، وتَوارَثَ من بَعْدَه البَطارِكَة بها البَطْرَكية واحِدًا بعد واحِد [2] .

---

[1] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٩٤، ونشرة Breydy ٥٣.

[2] القلقشندي : صبح الأعشى ٥ : ٤٧٣، ١٣ : ٢٧٤ حيث جَعَلَها خمسة كراسي بإضافَة كرسي القُسْطَنْطينية الذي نشأ مع اعتراف الإمبراطورية الرُّومانية الشَّرْقية بالمسيحية كديانَةٍ رَسْمية للدَّوْلَة في عَهْدِ الإمبراطور قُسْطَنْطين .

ودَعَا شَمْعُون الصَّفَا برُومِيَّة خمسًا وعشرين سنة ، فآمَنَت به بَطْرَكِيَّته وسَارَت إلى القُدْس ، وكَشَفَت عن خَشَبات الصَّليب ، وسَلَّمَتْها إلى يَعْقُوب بن يُوسُف الأُسْقُف ، وبَنَت هناك كَنيسَةً ، وعادَت إلى رُومِيَّة ـ وقد اشْتَدَّت على دِينِ النَّصْرانِيَّة ـ فآمَنَ معها عِدَّةٌ من أهْلِها .

واجْتَمَعَ الرُّسُلُ بمَدينة رُومِيَّة ، ووَضَعُوا القَوانين ، وأَرْسَلُوها على يد قليمُوس ، تِلْميذ بُطْرُس ، فكَتَبُوا فيها عَدَدَ الكُتُب التي يَجِب قَبُولَها من العَتيقة والجَديدَة [١] .

فأمَّا العَتيقَة : فالتَّوْراةُ ، وكِتابُ يُوشَع بن نُون ، وكِتابُ القُضَاة ، وكِتابُ راعُوت [a]، وكِتابُ يهوديت ، وسِيَرُ المُلُوك ، وسِفْرُ بِنْيامين ، وكُتُبُ المكابِيِّين [b]، وكِتابُ عِزْرَة ، وكِتابُ أَسْتير ، وقِصَّةُ هامان ، وكِتاب أَيُّوب ، وكِتابُ مَزامير دَاود ، وكُتُبُ سُلَيْمان بن دَاوُد ، وكُتُبُ الأَنْبِيَاء ـ وهي ستة عشر كِتابًا [٢] ـ وكِتابُ يُوشَع بن سِيْراخ [c].

وأمَّا الكُتُبُ الحَديثَة : فالأناجيلُ الأرْبَعة [٣]، وكِتابُ القاثِيلِيقُون [d] [٤]، وكِتابُ بُولُص ، وكِتابُ الأبْرَكْسيس ـ وهو قِصَصُ الحَوارِيِّين [٥] ـ وكتابُ أَقْليمُوس [٦]، وفيه ما أَمَر به الحَوارِيُّون وما نَهَوْا عنه .

ولمَّا قَتَلَ الملكُ نِيرُون قَيْصر ، بُطْرُس رأْس / الحَوارِيِّين برُومِيَّة ، أُقيمَ من بَعْدِه لينوس بَطْرَك رُومِيَّة ـ وهو أوَّلُ بَطْرَكٍ صَارَ على رُومِيَّة ـ فأقامَ في البَطْرَكِيَّة اثنتي عشرة سنة ، وقامَ من بَعْدِه البَطارِكَةُ بها واحِدًا بعد واحِدٍ إلى يَوْمِنا هذا الذي نحن فيه . ٤:٢

a) بولاق : راغون . b) بولاق : المقانين ، والنسخ : المقابين ، والصواب ما أثبته . c) بولاق : شبراخ . d) بولاق : القاثيلقون .

[١] الكُتُبُ العتيقَة هي المعروفة بـ«العَهْدِ القديم» Ancient (Old) Testament؛ والكُتُبُ الحَديثَة هي المعروفة بـ«العَهْدِ الجَديد» Nouveau (New) Testament.

[٢] في العَهْدِ القديم ثمانية عشر كِتابًا هي : سِفْر أشعيا ، سِفْر إرْميا ، سِفْر المراثي ، سِفْر بازوك ، سِفْر حِزْقِيال ، سِفْر دانْيال ، سِفْر هُوشَع ، سِفْر يُوئيل ، سِفْر عامُوس ، سِفْر عُوبِدْيا ، سفر يُونان ، سِفْر ميخا ، سِفْر نَحُوم ، سِفْر حَبَقُوق ، سِفْر صَفنيا ، سِفْر حَجَّاي ، سِفْر زكريا ، سِفْر ملاخي .

[٣] هي : إنْجيل مرقص ، وإنجيل مَتَّى ، وإنجيل لُوقا ، وإنجيل يُوحَنَّا . (المسعودي : مروج الذهب ١ : ٧١ ، ٢ : ٣٧؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١ : ٢٠٢ ، القلقشندي : صبح الأعشى ١٣ : ٢٧١-٢٧٣؛ وراجع مقال الأب قنواتي (Anawati, G.C. *EI*² art. *Indjil* III, pp. 1235-38) .

[٤] المعروف بـ«الرَّسائل العَامَّة» .

[٥] ويُعْرَف بـ«أعْمالِ الرُّسُل» كَتَبَه لُوقا بالرُّومية لرَجُلٍ شريفٍ من عظماء الرُّوم يُقالُ له ثاوُفيلا .

[٦] رُبَّما كان المقصود به الرِّسالة التي بَعَثَ بها البابا Clement Iᵉʳ إلى الكورِنْثيين .

ولمَّا قُتِلَ يَعْقُوبُ، أُسْقُف القُدْس، على يَدِ اليَهُود، هَدَمُوا بَعْده البِيْعَة، وأَخَذُوا خَشَبَةَ الصَّليب والخَشَبَتَيْنِ معها ودَفَنُوها، وأَلْقَوْا على مَوْضِعِها تُرابًا كثيرًا، فصَارَ كُومًا عَظِيمًا، حتى أَخْرَجَتْها هِيلانَة أمّ قُسْطَنْطِين، كما سَتَراه قَرِيبًا إنْ شاءَ الله تعالى [1].

وأُقِيمَ بعد قَتْل يَعْقُوب سَمْعانُ ابن عَمِّه، أُسْقُف القُدْس، فمَكَثَ اثنتين وأربعين سنةً أُسْقُفًا ومات، فتَداوَلَ الأسَاقِفَةُ بعده الأُسْقُفِيَّة بالقُدْسِ واحِدًا بعد آخَر.

ولمَّا أقامَ مُرْقُص حَنانيا ـ ويقال أنانْيو ـ بَطْرَك الإسْكَنْدَرية، جَعَلَ معه اثني عشر قِسًّا، وأَمَرَهم إذا ماتَ البَطْرَك أن يَجْعَلوا عِوَضَه واحِدًا منهم، ويُقيمُوا بَدَلَ ذلك القِسّ واحِدًا من النَّصَارَىٰ حتى لا يَزالُوا أبدًا اثني عشر قِسًّا، فلم تَزَل البَطارِكَةُ تُعْمَل من القُسُوس إلى أن اجْتَمَعَ ثلاث مائة وثمانية عشر، كما سَتَراه إنْ شاءَ الله تعالى [2].

وكان بَطْرَكُ الإسْكَنْدَرية يُقالُ له «البَابَا» من عَهْدِ حَنانْيا هذا، أوَّلِ بطارِكة الإسْكَنْدَرية، إلى أن أُقيمَ دِيمِتْرِيوس، وهو الحادِي عشر من بَطارِكَة الإسْكَنْدَرية، ولم يكن بأرْضِ مصر أساقِفَةٌ، فنَصَبَ الأساقِفَة بها، وكَثُرُوا. فغَزاها في بَطْرَكيته هِرَقْل، وصَارَ الأساقِفَةُ يُسَمُّون البَطْرَك «الأب»، والقُسُوسُ وسَائِرُ النَّصارَىٰ يُسَمُّون الأُسْقُف «الأب»، ويَجْعَلُون لَفْظَة «البَابَا» تَخْتَصُّ ببَطْرَك الإسْكَنْدَرية، ومعناها «أب الآباء» [b]. ثم انْتَقَلَ هذا الاسْمُ عن كُرْسِي الإسْكَنْدَرِية إلى كُرْسِي رُومِيَّة، من أجْلِ أنَّه كُرْسِي بُطْرُس رأس الحَوارِيين، فصَارَ بَطْرَكُ رُومِيَّة يُقالُ له «البَابَا»، واسْتَمَرَّ على ذلك إلى زَمَنِنا الذي نحن فيه [3].

---

a) كذا في النسخ، وعند ابن البطريق لنيوس. b) بولاق: أبو الآباء.

---

[1] فيما تقدم ١: ٧٢٢-٧٢٣؛ وفيما يلي ٩٨٣.

[2] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩٥، ونشرة Breydy ٥٣؛ وفيما يلي ٩٨٢: ٣.

[3] نفسه ٩٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٤٧٢، ١٣: ٢٧٤.

وقد جَمَعَ المقريزي في روايته عن تاريخ النَّصْرانية بين ذِكْر أباطِرَة الرُّومان – سواءٌ في روما أو في بيزَنْطَه (القُسْطَنْطينية) – وذِكْر البطارِكَة الذين تَوَلَّوْا في عَهْدِهم في الأرْبَعِ كراسي الرَّئيسة: روما والإسْكَنْدَرية وأنْطاكية وبَيْت المَقْدِس ثم القُسْطَنْطينية، مُتْبِعًا في ذلك نَصًّا يجمع بين روايتي سعيد بن البَطْريق (أوتيخيوس) والمكين جِرْجِس بن العَميد (راجع المُقَدِّمَة)؛ بينما أفْرَدَ مُعاصِرُه القَلْقَشَنْدي ذكر الأباطِرَة عن ذِكْر البطارِكة، ونَصَّ صَراحَةً على اعتماده على تاريخ المكين جِرْجِس بن العَميد. (القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣٠٨-٣٢١ (ذكر البطَارِكَة)، وقد نَقَلَ تيسيران وفييت هذه القائمة إلى اللغة الفرنسية Tisserant, E. et Wiet, G., «La liste des Patriarches d'Alexandrie», *ROC* XXIII (1922-23), pp. 123-43؛ ٥: ٣٨٤-٣٩٦ (ذكر الأباطِرَة)).

وأقامَ أنانيوا ، وهو حَنانْيا ، في بَطْرَكِيَّة الإسْكَنْدَرية اثنتين وعشرين سنة ، وماتَ في عشرين هاتُور سنة سبعٍ وثمانين لظُهُور المسيح . فأُقيمَ بعده مِينْيوَا ، فأقامَ ثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر ، وماتَ[1].

وفي أثناء ذلك ثَارَ اليَهُود على النَّصارَىٰ ، وأخْرَجُوهم من القُدْس ، فعَبَرُوا الأُرْدُن ، وسَكَنُوا تلك الأماكِن[2]. فكان بعد هذا بقَليلٍ خَرابُ القُدْسِ ، وجِلايَة اليَهُود ، وقَتْلِهم على يد طِيطُش ـ ويُقالُ طِيطُوس ـ بعد رَفْعِ المسيح بنَحْو أربع وأربعين سنة . فكَثُرَت النَّصارَىٰ في أيَّام بَطْرَكِيَّة مِينْيوا ، وعادَ كثيرٌ منهم إلى مَدينَة القُدْسِ بعد تَخْريب طِيطُش لها ، وبَنَوْا بها كَنيسَةً وأقامُوا عليها سَمْعَان أُسْقُفًا ، ثم أُقيمَ بعد مِينْيوا في الإسْكَنْدَرية في البَطْرَكِيَّةِ كِرْتِيانوا[3].

وفي أيَّام الملك أنْدِيانوس قَيْصَر ، أصَابَ النَّصارَى منه بَلاءٌ كثيرٌ ، وقَتَلَ منهم جَماعَةً كثيرةً ، واسْتَعْبَدَ باقيهم . فنَزَلَ بهم بَلاءٌ لا يُوصَف في العُبُودية ، حتى رَحِمَهُم الوُزراءُ وأكابِرُ الرُّوم ، وشَفَعُوا فيهم ، فمَنَّ عليهم قَيْصَرُ وأعْتَقَهُم[4]. وماتَ كِرْتِيانُوا بَطْرَك الإسْكَنْدَرية ، في حادِي عشر بَرَمُودَة ، بعدما دَبَّرَ الكُرْسِي إحدى عشرة سنة ، وكان جَيِّدَ[a] السِّيرَة . فقُدِّمَ بعده إبْريموا ، فأقامَ اثنتي عشرة سنة ، وماتَ في ثالث مِسْرَى .

واشْتَدَّ الأمْرُ على النَّصارَىٰ في أيَّام الملك أرنْدِريانُوس ، وقَتَلَ منهم خَلائِقَ لا يُحْصَى عَدَدُهم ، وقَدِمَ مصر ، فأفْنَى من بها من النَّصارَىٰ ، وخَرَّبَ ما بُنِيَ في مَدينَة القُدْسِ من كَنيسَة النَّصارَىٰ ، ومنعهم من التَّرَدُّدِ إليها ، وأنْزَلَ عِوَضَهم بالقُدْسِ اليُونانيين ، وسَمَّى القُدْسَ إيلِيَا ، فلم يَتَجاسَر نَصْرانِيٌّ أنْ يَدْنُو من القُدْس[5].

وأُقيمَ بعد مَوْتِ إبْريموا بَطْرَك الإسْكَنْدَرية يُسْطُس [Justus]، فأقامَ إحدى عشرة سنة ، وماتَ في ثاني عشر بَؤُونَة . فخَلَفَ بعده أومانْيوا [Eumenes]، فأقامَ عشر سنين وأربعة أشهر ، وماتَ في عاشر بَابَة . فأُقيمَ بعده مَرْقِيانُو[c] [Mark]، بَطْرَك الإسْكَنْدَرية ، تسع سنين وستة أشهر ، وماتَ في

---

a) بولاق : حميد . b) بولاق : أرمانيون . c) بولاق : موقيانو .

---

[1] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١: ٩٦.

[2] نفسه ١: ٩٧، ونشرة Breydy ٥٧.

[3] نفسه ١: ٩٨- ٩٩.

[4] نفسه ١: ١٠٠.

[5] نفسه ١: ١٠١- ١٠٢، ونشرة Breydy ٥٨- ٥٩؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٥: ٣٨٦.

سادِس طُوبَة . فقُدِّمَ بعده على الإسْكَنْدَرية كلُوتْيانُوا [Celadian]، فأقامَ أربع عشرة سنة ، وماتَ في تاسع أَبيب . وفي أيَّامِه اشْتَدَّ الملك أوراْليانُوس قَيْصَر على النَّصارَىٰ ، وقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيرًا .

وقُدِّمَ على كُرْسِي الإسْكَنْدَرية بعد كلُوتْيانُوا غربنو [Agrippirus] بَطْرَكًا ، فأقامَ اثنتي عشرة سنة ، وماتَ في خامس أمْشير . وفي أيَّام بَطْرَكيَّتِه اتَّفَقَ رأيُ البَطارِكَة ، بجَميع الأمْصَار ، على حِساب فِصْح النَّصارَىٰ وصَوْمِهم ، ورَتَّبُوا كيفَ يُسْتَخْرَج ، ووَضَعُوا « حسَابَ الأبَقْطي » ، وبه يَسْتَخْرِجُون مَعْرِفَة وَقْتِ صَوْمِهم وفِصْحِهم ، واسْتَمَرَّ الأمْرُ على ما رَتَّبُوه فيما بعد . وكانوا قبل ذلك يَصُومُون بعد الغِطَاس أربعين يومًا ـ كما صَامَ المسيحُ ـ عليه السَّلام ـ ويُفْطرون ، وفي عيد الفِسْح يَعْمَلون الفسْح مع اليَهُود . فنَقَلَ هؤلاء البَطارِكَة الصَّوْمَ وأوْصَلوه بعيد الفِسْح ، لأنَّ عيدَ الفِسْح كانت فيه قِيامَةُ المسيح من الأمْوات بزَعْمِهم وكان الحَوارِيُّون قد أُمِرُوا أن لا يُغَيَّر عن وَقْتِه ، وأنْ يَعْمَلوه كلَّ سنةٍ في ذلك الوَقْت [1].

ثم أُقيمَ بكُرْسي الإسْكَنْدَرية بعد غربنو في البَطْركية يُولْيانُوس [Julian]، فأقامَ عشر سنين ، ومات في ثامن بَرَمْهات . فاسْتَخْلَف بعده دِيمْتريُوس [Demetrius] فأقامَ بعده في البَطْرَكيَّة ثلاثًا وثلاثين سنة ، وماتَ [2]. وكان فَلَّاحا أُمِّيًا ، و له زَوْجةٌ ذُكِرَ عنه أنَّه لم يُجامِعْها قط . وفي أيَّامِه أثارَ الملك سُورْيانوس[a] قَيْصَر على النَّصارَىٰ بَلاءً كبيرًا في جَميع مَمْلَكَتِه ،/ ٤٨٥:٢ وقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيرًا ، وقَدِمَ مصر وقَتَلَ جَميعَ من فيها من النَّصارَىٰ ، وهَدَمَ كنائِسَهم ، وبَنَى بالإسْكَنْدَرية هَيْكلًا لأصْنامِه [3].

ثم أُقيمَ بعده في بَطْرَكِيَّة الإسْكَنْدَرية تاوَكْلا[b]، فأقامَ ستّ عشرة سنَة ، وماتَ في ثامِن كِيَهْك . فلَقي النَّصارىٰ من الملك مَكْسيمُوس قَيْصَر شِدَّةً عَظيمَةً ، وقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيرًا ، فلمَّا ملك فِيلِبُس قَيْصَر أكْرَمَ النَّصارَىٰ . وقَدَّمَ على بَطْرَكِيَّة الإسْكَنْدَرية دُنُوشيُوس ، فأقامَ تسع عشرة

---

a) عند ابن البطريق : أوربلينوس . b) بولاق : باركلا .

---

[1] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١: ١٠٤- ١٠٥؛ ونشرة Breydy ٥٩- ٦٠؛ يحيى بن سعيد : تاريخ الأنطاكي ٢٧١- ٢٧٢، ٢٧٤. وكان سعيد بن البطريق قد خَصَّصَ المقالة الثانية من تاريخه (التي لم تَصل إلينا) لذكر كيف يُسْتَخْرَج فِصْحُ اليهود وفِصْحُ النَّصارَىٰ وصَوْمُهم. وهي التي اعتمد عليها ولخَّصَها يحيى ابن سعيد الأنطاكي .

[2] تتَّفق فترةُ تَوَلِّي ديمتريوس مع ما جَاءَ عند المكين بن العميد ، بينما هي عند ابن الرّاهب ٣٢ سنة و٢١٩ يومًا ، وعند سعيد بن البطريق ٤٣ سنة .

[3] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١: ١٠٤.

سنة ، وماتَ في ثالِث تُوت . وفي أيّامِه كان الرّاهِبُ أَنْطونْيُوس المصري ، وهو أَوَّل من ابتَدأ بِلبْس الصُّوف ، وابتدأ بعِمارَة الدِّيارات في البَراري ، وأَنْزَلَ بها الرُّهْبان .

ولَقِي النَّصارَى من الملك داقْيُوس قَيْصَر شِدَّةً . فإنَّه أَمَرَهُم أن يَسْجُدُوا لأصْنامِه ، فأبَوْا من السُّجُود لها ، فقَتَلَهم أبْرَحَ قَتْلٍ ، وفَرَّ منه الفِتْيَةُ أصْحابُ الكَهْف من مَدينَة أُفْسُس ، واخْتَفَوا في مَغارَةٍ في جَبَلٍ شَرْقي المَدِينَة وناموا ، فضَرَب الله على آذانِهم ، فلم يَزالُوا نائِمين ثلاث مائة سنين وازْدادوا تِسْعًا [١] . فقامَ من بعده بالإسْكَنْدَرية مَكْسيمُوس ، وأقامَ بَطْرَكًا اثنتي عشرة سنة ، وماتَ في رابع عشر بَرَمُودَة .

فأُقِيمَ بعده ثاوْبا[a] بَطْرَكًا مُدَّة تسع[b] سنين وتسعة أشهر ، وماتَ . وكانت النَّصارَى قَبْلَه تُصَلِّي بالإسْكَنْدَرية خُفْيَةً من الرُّوم خَوْفًا من القَتْلِ ، فلاطَف ثاوْبا[a] الرُّوم ، وأهْدَى إليهم تُحَفًا جَليلَة حتى بَنَى كَنيسَة مَرْيَم بالإسْكَنْدَرية فصَلَّى بها النَّصارَى جَهْرًا .

واشْتَدَّ الأَمْرُ على النَّصارَى في أيّام الملك طَيْبازيوس قَيْصَر ، وقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيرًا .

فلمَّا كانت أيَّامُ دِقْلِطْيانُوس قَيْصَر ، خالَفَ عليه أَهْلُ مصر والإسْكَنْدَرية ، فقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيرًا ، وكَتَبَ بغَلْقِ كَنائِسِ النَّصارَى ، وأَمَرَ بعِبادَة الأصْنَام ، وقَتَلَ من امْتَنَع منها ، فارْتَدَّ خَلائِقُ كثيرةٌ جِدًّا . وأقامَ في البَطْرَكِيَّة بعد ثاوْبا[a] بُطْرُس ، فأقامَ إحدى عشرة سنة ، وقُتِلَ في الإسْكَنْدَرية بالسَّيْف ، وقُتِلَ معه امْرَأته وابْنَتَاه لامْتِناعِهم من السُّجُودِ للأَصْنام . فقامَ بعده تِلْميذُه أرْشِلاوُس ، فأقامَ ستة أشهر ومات [٢] .

وبدِقْلِطْيانوس هذا ، وقتْلِه لنَصارَىٰ مصر ، يُؤَرِّخُ قِبْطُ مصر إلى يَوْمِنا هذا ـ كما قد ذَكَرْناه في تأْريخ القِبْطِ عند ذِكْر التَّواريخ من هذا الكِتاب ـ فراجِعه [٣] .

a) بولاق : تؤوبا . b) بولاق : سبع .

[١] هم الفِتْيَةُ أصْحابُ الكَهْف الذين أوْرَدَ الله تعالى قِصَّتَهم في سورة الكهف : الآيات ٩- ٢٦. وراجع ، سعيد ابن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١١٢، ونشرة Breydy ٦١، ٨٦- ٨٨؛ المسعودي : مروج الذهب ٢: ٣٩؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ٧٥؛ وفيما يلي ٩٨٦.

[٢] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١: ١١٦؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ٧٧- ٧٨.

[٣] فيما تقدم ١: ٧١٠- ٧١٢.

ثم قامَ من بعده مَكْسيمانُوس قَيْصَر، فاشْتَدَّ على النَّصارَىٰ، وقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيرًا، حتى كانت القَتْلى منهم تُحْمَل على العَجَلِ، وتُرْمَى في البَحْرِ [1].

ثم قامَ بعد أَرْشِلاوس في بَطْرَكِيَّةِ الإسْكَنْدَرية إسْكَنْدَروس، تِلْميذ بُطْرُس الشَّهيد، فأقامَ ثَلاثًا وعشرين سنة، وماتَ في ثاني عشرين بَرْمُودة. وفي بَطْرَكيته كان «مَجْمَعُ النَّصارَىٰ بمَدينَة نِيْقية»، وفي أيَّامِه كَتَبَ النَّصارَى وغيرهم من أَهْلِ رُومِيَّة إلى قُسْطَنْطِين ـ وكان على مَدينَة بِزَنْطِية ـ يَحُثُّونه على أن يُنْقِذهم من جَوْر مَكْسيمانُوس، وشَكَوْا إليه عُتُوَّه، فأجْمَعَ على المَسيرِ لذلك.

وكانت أُمُّه هيلاني، من أَهْلِ قُرَى مَدينَة الرُّها، قد تَنَصَّرَت على يَد أُسْقُفِ الرُّهَا، وتَعَلَّمَت الكُتُب. فلمَّا مَرَّ بقَرْيَتِها قُسْطُس ـ صَاحِبُ شُرْطَة دِقْلِطْيانُوس ـ رآها فأَعْجَبَته، فتَزَوَّجَها، وحَمَلَها إلى بِزَنْطِية مَدينَته، فوَلَدَت له قُسْطَنْطِين، وكان جَميلًا، فأَنْذَرَ دِقْلِطْيانوس مُنَجِّمُوه بأَنَّ هذا الغُلام قُسْطَنْطِين سيَمْلِك الرُّوم، ويُبَدِّلُ دينَهم، فأَرادَ قَتْلَه، ففَرَّ منه إلى الرُّهَا، وتَعَلَّم بها الحِكْمَة اليُونانية حتى ماتَ دِقْلِطْيانُوس، فعادَ إلى بِزَنْطية، فسَلَّمَها له أبوه قُسْطُس وماتَ [2].

فقامَ بأَمْرِها، بعد أبيه، إلى أن اسْتَدْعاه أَهْلُ رُومِيَّة، فأَخَذَ يُدَبِّر في مَسيره، فرأى في مَنامِه كَوَاكِبَ في السَّماء على هَيْئَة الصَّليب، وصَوْتٌ من السَّماءِ يقول له: «احْمِلْ هذه العَلامَة تَنْتَصِر على عَدُوِّك». فقَصَّ رُؤْياهُ على أَعْوانِه، وعَمِلَ شَكْلَ الصَّليب على أعْلامِه وبنُودِه، وسَارَ لحَرْب مَكْسيمانُوس برُومِيَّة، فبَرَزَ إليه وحارَبَه، فانْتَصَرَ قُسْطَنْطِين عليه، وملك رُومِيَّة، وتَحَوَّلَ منها فجَعَلَ دارَ مُلْكِه قُسْطَنْطِينيَّة. فكان هذا ابْتداءُ رَفْعِ الصَّليب وظُهُورِه في النَّاسِ، فاتَّخَذَه النَّصارَىٰ من حينئذٍ، وعَظَّمُوه حتى عَبَدُوه [3].

وأَكْرَمَ قُسْطَنْطِين النَّصارَىٰ، ودَخَلَ في دِينِهم بمَدينَة نيقُومِدِيا في السنة الثانية عشرة من مُلْكِه على الرُّوم، وأَمَرَ ببِناء الكَنائِس في جميع مَمالِكِه، وكَسَرَ الأَصْنَامَ، وهَدَمَ بيوتَها.

---

[1] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١١٨.

[2] نفسه ١:١١٧-١١٨.

[3] نفسه ١: ١٢١؛ المسعودي: مروج الذهب ٢: ٤٣، ومَصْدَرُ هذه الرِّوايات هو يوسابيوس القَيْصَري (Eusebius of Caesarea): حياة قسطنطين العظيم، تعريب القمص مرقس داود، القاهرة - مكتبة المحبة ١٩٧٥، ٢٤-٢٥؛ أوروسيوس (Orosius): تاريخ العالم ٤٦٠. وراجع حول هذا الموضوع أيضًا *The Oxford Dictionary of Byzantium* art. *Cross, Cult of the* I, pp. 551-53.

وعَمِلَ «المَجْمَع بمَدينَة نِيقْيه»[١]، وسَبَبُه: أنَّ الإسْكَنْدروس، بَطْرَك الإسْكَنْدرية، مَنَع أرْيُوس [Arius] من دُخُول الكَنيسَة وحَرَمَه لمُقالَتِه، ونَقَلَ عن بُطْرُس الشَّهيد بَطْرَك إسْكَنْدَرية أنَّه قال عن آرْيُوس: إنَّ إيمَانَه فاسِدٌ، وكتَبَ بذلك إلى جَميعِ البَطارِكَة.

فمَضَى آرْيُوس إلى المَلك قُسْطَنْطِين ومعه أُسْقُفان[٢] فاسْتَغاثُوا به وشَكَوْا الإسْكَنْدَروس، فأمَرَ بإحْضارِه من الإسْكَنْدرية، فحَضَرَ هو وآرْيُوس، وجَمَعَ له الأعْيانَ من النَّصارَى ليُناظِرُوه. فقال آرْيُوس: كان الأبُ إذْ لم يكن الابْن، ثم أُحْدِثَ الابنُ فصارَ كَلِمَةً له، فهو مُحْدَث مَخْلُوق فَوَّضَ إليه الأَبُ كلَّ شيءٍ، فخَلَقَ الابنُ - المُسَمَّى بالكَلِمَة - كُلَّ شيءٍ من السَّمَوات والأرْض وما فيهما، فكان هو الخَالِقَ بما أعْطاهُ الأَبُ. ثم إنَّ تلك الكَلِمَة تجَسَّدَت من مَرْيَم ورُوح القُدُس، فصارَ ذلك مَسيحًا، فإذًا المَسيحُ مَعْنَيان: كَلِمَة، وجَسَد، وهما جَميعًا مَخْلُوقان. فقال الإسْكَنْدَرُوس: أيُّما أوْجَب عِبادَةً: مَنْ خَلَقَنا، أو عِبادَة مَنْ لم يَخْلُقْنا؟ فقال آرْيُوس: بل عِبادَة / ٨٦:٢ من خَلَقَنا أَوْجَب. فقال الإسْكَنْدَروس: فإنْ كان الابنُ خَلَقَنا كما وَصَفْت، وهو مَخْلُوقٌ، فعِبادَته أَوْجَب من عِبادَة الأب الذي ليس بمَخْلُوق، بل تكون عِبادَةُ الخَالِق كُفْرًا، وعِبادَةُ المَخْلُوق إيمانًا، وهذا أَقْبَحُ القَبيح[٣].

فاسْتَحْسَن المَلِكُ قُسْطَنْطِين كَلامَ إسْكَنْدَروس، وأَمَرَه أن يَحْرِم آرْيُوس فَحَرَمه، وسأل إسْكَنْدَروس الملك أن يُحْضِرَ الأسَاقِفَة، فأَمَرَ بهم، فأَتَوْه من جَميع مَمالِكه، واجْتَمَعُوا بعد ستة أشهر بمَدينَة نِيقْيَة، وعِدَّتُهم ألفان وثلاث مائة وأربعون[a] أُسْقُفًا، مُخْتَلفون في المَسيح. فمنهم من يقول: الابْنُ من الأبِ بمَنْزِلَة شُعْلَةِ نارٍ تَعَلَّقَت من شُعْلَةٍ أُخْرَى، فلم تَنْقُص الأولى بانْفِصالِ الثانية عنها. وهذه مَقالَةُ سَبلِيُوس[b] الصَّعيدي ومن تَبِعَه. ومنهم من قال: إنَّ مَرْيَم لم تَحْمِل بالمَسيح

---

a) في المصادر المسيحية: ألفان وثمانية وأربعون. b) عند ابن البطريق: سابليوس.

---

[١] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١:١٢٣- ١٢٤؛ نفسه ٢: ٤٢؛ يوسابيوس القيصري: حياة قسطنطين ٨٦- ٩٥؛ ساويرس بن المقفع: كتاب المجامع ١٦٢- ١٦٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:٢٧٥- ٢٧٦. وعُقِدَ «مَجْمَعُ نِيقْيَة» في الفترة بين ١٩ يونية و٢٥ أغسطس سنة ٣٢٥م في مَدينة نِيقْيَة Nicaes إحدى مُدُن الأناضُول الكبيرة التي كان لها شأنٌ كبيرٌ في عَصْرِ الدَّوْلَة البيزنطية، وهي المَدينَةُ التركية التي تعرف الآن باسم إزْنيك Eznik. (راجع *The Oxford Dictionary of Byzantium Nicaea, Council of* II, pp. 1464-65; Karen Torjesen, *CE* art. *Nicaea, Council of* VI, pp. 1790-92.

[٢] هما: أومانيُوس أُسْقُف مَدينَة نيقومدية، وأوسابيُوس أُسْقُف مَدينَة فيلا.

[٣] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١٢٤- ١٢٥.

تسعة أشهر ، بَلْ مَرَّ بأَحْشَائِها كمُرورِ الماءِ بالميزاب . وهذا قَوْلُ إلْيان ومن تَبِعَه . ومنهم من قال : المَسيحُ بَشَرٌ مَخْلُوقٌ ، وإنَّ ابْتِدَاءَ الابن من مَرْيم ، ثم إنَّه اصْطُفِي فصَحِبَتْه النِّعْمَةُ الإلهية بالمَحَبَّةِ والمَشيئَةِ ، ولذلك سُمِّيَ ابن الله ـ تعالى عن ذلك ـ ومع ذلك فالله واحِدٌ قَيُّومٌ ، وأنْكَرَ هؤلاء الكَلِمَةَ والرُّوح فلم يُؤْمِنُوا بهما . وهذا قَوْلُ بُولُص السُّيمساطي بَطْرَك أَنْطاكِية وأصْحابِه . ومنهم من قال : الآلِهَةُ ثَلاثَة : صَالِحٌ ، وطَالِحٌ ، وعَدْلٌ بينهما ؛ وهذا قَوْلُ مَرْقِيون وأتْباعه . ومنهم من قال : المَسيحُ وأمُّه إلهان من دون الله . وهذا قَوْلُ المرايمَة من فِرَق النَّصارَىٰ [1] . ومنهم من قال : بل الله خَلَقَ الابْن ـ وهو الكلمة في الأَزَل ـ كما خَلَقَ الملائِكَة رُوحًا طاهِرَةً مُقَدَّسَة بَسيطَة مُجَرَّدَة عن المادَّة ، ثم خَلَقَ المَسيح في آخِر الزَّمان من أحْشَاءِ مَرْيم البَتُول الطَّاهِرَة ، فاتَّحَدَ الابن المَخْلوق في الأَزَل بإنْسانِ المَسيح ، فصَارا واحِدًا . ومنهم من قال : الابنُ مَوْلُودٌ من الأَبِ قبل كلِّ الدُّهُور غير مَخْلُوقٍ ، وهو جَوْهَرٌ من جَوْهَره ونُورٌ من نُورِه ، وإنَّ الابنَ اتَّحَدَ بالإنْسانِ المأْخُوذ من مَرْيم ، فصَارَا واحِدًا وهو المَسيح . وهذا قَوْلُ الثلاث مائة وثمانية عَشَر .

فتَحَيَّرَ قُسْطَنْطِين في اخْتِلافِهم ، وكَثُرَ تَعَجُّبه من ذلك ، وأَمَرَ بهم فأُنْزِلُوا في أماكِنَ ، وأجْرَى لهم الأَرْزَاقَ ، وأَمَرَهُم أن يَتَنَاظَروا حتى يَتَبَيَّنَ له صَوابُهم من خَطَئِهم . فثَبَتَ الثلاث مائة وثمانية عشر على قَوْلِهم المذكور ، واخْتَلَفَ باقيهم . فمالَ قُسْطَنْطِين إلى قَوْلِ الأكثر ، وأَعْرَضَ عمَّا سِواه ، وأَقْبَلَ على الثلاث مائة وثمانية عشر ، وأَمَرَ لهم بكراسي ، وأجْلَسَهم عليها ، ودَفَعَ إليهم سَيْفَه وخاتَمَه ، وبَسَطَ أيْديهم في جَميعِ مَمْلَكته . فبارَكُوا عليه ، ووَضَعُوا له كِتابَ « قَوانين المُلُوكِ وقَوانين الكَنيسَة » ، وفيه ما يتَعَلَّق بالمُحاكَمات والمُعامَلات والمُناكَحات ، وكَتَبُوا بذلك إلى سَائِر الممالِك [2] .

وكان رَئيسُ هذا المَجْمَع : الإسْكَنْدَروس بَطْرَك [3] الإسْكَنْدَرية ، وإسْطارِس بَطْرَك أَنْطاكية ،

---

[1] إلى هنا يتَّفِق مع نَصِّ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١:١٢٥ - ١٢٦ .

[2] النَّصُّ عند سعيد بن البطريق : «ووَضَعُوا له أربعين كِتابًا فيها السُّنَنُ والشَّرائِعُ ، منها ما يَصْلُح للملك أن يعملها ويَعْمَل بها ، ومنها ما يَصْلُح للأَسَاقِفَة أن يَعْمَلوا بما فيها» . (التاريخ المجموع ١٢٧) .

[3] حاشية بخَطِّ المؤَلِّف : «أَصْلُ هذه الكلمة بَطْرِيراك ، وكانت تُقالُ باللغة الرومية : أرسياروس ومعناها هنا : رئيس الآباء ، ثم حُوِّلَت من اللغة الرومية إلى اللغة القِبْطية فقيل : بَطْرِيرارك ، ثم تلاعَبَ بها العَرَبُ» .

أقولُ : وعند القلقشندي : «البطارِكَة جَمْعُ بَطْرَكٍ ، وهي كلمةٌ يونانية مركبَّة من لَفْظَيْنِ أحدهما : بَطْر ومعناه [بياض بالأُصول] والثانية : يَرْك ومعناها [بياض بالأُصول] . ورأيت في تَرَسُّل العَلاء بن المُوصَلايا ، كاتِب القائم بأَمْرِ الله =

ومَقّارْيُوس، أسْقُف القُدْس، ووَجَّه سلطوس[a] بَطْرَك رومية بِقِسّيسَيْن اتَّفَقا معهم على حِرْمان آرْيُوس، فحَرَمُوه ونَفَوه.

ووَضَعَ الثلاث مائة وثمانية عشر «الأمانَة» المَشْهورَة عندهم، وأوْجَبُوا أن يكون الصَّوْمُ مُتَّصِلًا بعيد الفِسْح على ما رَتَّبه البَطارِكَةُ في أيّام الملك أورالْيانُوس قَيْصَر، كما تقدَّم [١]، ومَنَعُوا أن يكون للأسْقُفِ زَوْجَةٌ - وكان الأساقِفَةُ قَبْل ذلك إذا كان مع أحَدِهم زَوْجَةٌ لا يُمْنَع منها إذا عَمِلَ أُسْقُفًا، بخِلافِ البَطْرَك فإنّه لا يكون له امْرَأةٌ ألْبَتَّة - وانْصَرَفُوا من مَجْلِس قُسْطَنْطين بكَرامَةٍ جَليلَة [٢].

والإسْكَنْدَرُوس هذا هو الذي كَسَرَ الصَّنَمَ النُّحاس الذي كان في هَيْكَل زُحل بالإسْكَنْدَرية، وكانوا يَعْبُدونه، ويَجْعَلُون له عيدًا في ثاني عشر هَتُور، ويَذْبَحُون له الذَّبائِح الكثيرة فأرادَ الإسْكَنْدَروس كَسْرَ هذا الصَّنَم، فمَنَعَه أهْلُ الإسْكَنْدَرية، فاحْتالَ عليهم، وتَلَطَّفَ في حيلته إلى أن قَرُبَ العِيد، فجَمَعَ النَّاسَ، ووَعَظَهُم، وقَبَّحَ عندهم عِبادَة الصَّنَم، وحَثَّهُم على تَرْكِه، وأن يُعْمَل هذا العيد لميكائيل، رَئيس الملائِكة الذي يَشْفَع فيهم عند الإله، فإنَّ ذلك خَيْرٌ من عَمَلِ العِيد للصَّنَم، فلا يَتَغَيَّر عَمَل العِيد الذي جَرَت عادَةُ أهْلِ البَلَد بعَمَلِه، ولا تَبْطُل ذَبائِحُهم فيه.

فرَضِي النَّاسُ بهذا، ووَافَقُوه على كَسْرِ الصَّنَم، فكَسَرَه وأحْرَقَه، وعَمِلَ بَيْتَه كَنيسَةً على اسْمِ ميكائيل. فلم تَزَل هذه الكَنيسَةُ بالإسْكَنْدَرية إلى أنْ حَرَقَها جُيُوشُ الإمام المُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ، لمَّا قَدِمُوا في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائةٍ، واسْتَمَرَّ عِيدُ ميكائيل عند النَّصارَىٰ بدِيار مصر باقِيًا يُعْمَل في كلّ سنة [٣].

---

a) عند ابن البطريق: سلبسطرس.

= العَبّاسي: «فَطْرَك» بإبْدال الباء فاء، والعامَّةُ يقولون: «بَتْرَك» بإبْدال الطاء تاء». (صبح الأعشى ٥: ٤٧٣، ١٣: ٢٧٣).

[١] فَصَّلَ ذلك ابنُ البِطْريق فقال: «وثَبَّتوا أنَّ الابْن مَوْلُودٌ من الأب قَبْل كلّ الدُّهُور، وأنَّ الابْنَ من طبيعَةِ الأب غير مَخْلوقٍ... واتَّفَقُوا على أن يكون فِصْحُ النَّصارَىٰ في يوم الأحد الذي يكون بعد فِصْحِ اليهود، وأن لا يكون فِصْحُ اليهود مع فِصْح النَّصارَىٰ في يوم واحد. (انظر كيفية حِساب فِصْح النَّصارَىٰ عند يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي ٢٧١- ٢٧٢، ٢٧٤). وثَبَّتوا ما وَضَعَه ديمتريوس بَطْريك الإسكندرية وغابانوس أُسْقُف بَيْت المقدس ومقسيموس بَطْريك أنطاكية وبُقْطُر بَطْريك رومية من حساب الصَّوْم والفِصْح، وأن يكون فِطْرُ النَّصارَىٰ يوم فِصْحِهم، وهو يوم الأحد الذي يكون بعد فِصْح اليهود». (التاريخ المجموع ١: ١٢٧).

[٢] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٢٦- ١٢٧، ١٢٨.

[٣] نفسه ١: ١٢٤.

وفي السنة الثانية والعشرين من مُلْكِ قُسْطَنْطين ، سَارَت أُمُّه هِيلاني إلى القُدْس ، وبَنَت به كَنائِسَ للنَّصارَىٰ ، فدَلَّها مَقارْيُوس الأسْقُف على الصَّليب ، وعَرَّفَها ما عَمِلَتْه اليَهُودُ ، فعاقَبَت كَهَنَة اليَهُود حتى دَلُّوها على المَوْضِع ، فحَفَرَتْه فإذا قَبْرٌ وثلاثُ خَشَبات ، زَعَمُوا أنَّهم لم يَعْرِفُوا الصَّليبَ المَطْلوب من الثَّلاث خَشَبات ، إلَّا بأنْ وُضِعَت كلُّ واحِدَةٍ منها على مَيِّتٍ قد بَلِي فقامَ حيًّا عندما وُضِعَتِ عليه خَشَبَةٌ منها . فعَمِلُوا لذلك عِيدًا ، مُدَّة ثلاثة أيَّام ، عُرِفَ عندهم بـ « عيد الصَّليب » .

ومن حينئذٍ عَبَدَ النَّصارَىٰ الصَّليب ، وعَمِلَت له هيلاني غُلافًا من ذَهَب ، وبَنَت كَنيسَةَ القِيامَة ـ التي تُعْرَف بكَنيسَة قُمامَة ـ وأقامَت مَقارْيُوس الأسْقُف على بِناءِ بَقِيَّة الكَنائِس ، وعادَت إلى بِلادِها . فكانت مُدَّةُ ما بَيْنَ وِلادَةِ المَسيح وظُهُورِ الصَّليب / ثلاث مائة وثمانٍ وعشرين سنة [1]. ٤٨٧:٢

ثم قامَ في بَطْرَكِيَّة الإسْكَنْدَرية ، بعد إسْكَنْدَروس ، تلميذُه إثْناسْيُوس الرَّسُولي ، فأقامَ ستًّا وأربعين سنة ، وماتَ بعد ما ابْتُلِيَ بشَدائِدَ ، وغابَ عن كُرْسيه ثلاثَ مَرَّات [2].

وفي أيَّامه جَرَت مُناظَراتٌ طَويلَةٌ مع أوْسانْيُوس[a] للأُسْقُف آلَت إلى ضَرْبه وفِرارِه . فإنَّه تَعَصَّبَ لآرْيُوس ، وقال : إنَّه لم يَقُل إنَّ المَسيحَ خَلَقَ الأشْيَاءَ ، وإنَّما قال : به خُلِقَ كُلُّ شيءٍ ، لأنَّه كَلِمةُ الله التي بها خَلَقَ السَّمَوات والأرْضَ ، وإنَّما خَلَقَ الله تعالى جَميعَ الأشْيَاء بكَلِمَته ، فالأشْياءُ به كُوِّنَت لا أنَّه كَوَّنَها ، وإنَّما الثلاث مائة وثمانية عشر تَعَدَّوْا عليه [3].

وفي أيَّامِه تَنَصَّرَ جَماعَةٌ من اليَهُود ، وطَعَنَ بَعضُهم في التَّوْراة التي بأيْدي اليَهُود ، وأنَّهم نَقَصُوا منها ، وأنَّ الصَّحيحَة هي التي فَسَّرَها السَّبْعون [4]. فأَمَرَ قُسْطَنْطين اليَهُودَ بإحْضارِها ، وعاقَبَهُم

---

a) ابن البطريق : أومانيوس .

---

[1] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١٢٩ – ١٣٠؛ القلقشندي : صبح الأعشى ١٣ : ٢٨٣؛ وفيما تقدم ١ : ٧٢١ – ٧٢٤.

[2] نفسه ١ : ١٣٠.

[3] نفسه ١ : ١٣١.

[4] التَّوْرَاةُ السَّبْعِينِيَّة : هي التَّوْراةُ التي نُقِلَت إلى اليونانية في عَهْدِ بَطْلَمْيُوس الثاني Philadelphos، الذي كان يَشْهَد جَلَسات جوارِ الفَلاسِفَة ، فَلَفَتَ انتباهَه تَفَوُّق طائِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ أعْلَنُوا عن أنفسهم أنَّهم يهود . فطَلَبَ الملك ترجمة التَّوْراة التي يَسْتَنِدُون إليها في حِوارِهم . فبَعَثَ إلى أورَشَليم فأشْخَصَ منها سبعين رَجُلًا من اليهود وأمَرَهُم أن يُفَسِّرُوا له التَّوْراة وكُتُبَ الأنْبياء من العِبْرانية إلى اليونانية ، وصَيَّرَ كُلَّ واحِدٍ منهم في بيتٍ على حِدَةٍ لينظُر كيف يكون تَفْسيرُ كُلِّ واحِدٍ منهم . تقول المصادرُ : إنَّهم لمَّا فَسَّروا الكُتُبَ نَظَرَ إلى =

على ذلك حتى دَلُّوه على مَوْضِعها بمصر، فكَتَب باحْضارِهَا فحُمِلَت إليه، فإذا بينها وبين تَوْراةِ اليَهُود نَقْصُ ألفٍ وثلاث مائة وتسع وستين سنة، زَعَمُوا أنَّهم نَقَصُوها من مَوالِيد من ذُكِرَ فيها لأجْلِ المَسيح.

وفي أيَّامِه بَعَثَت هِيلاني بمَالٍ عَظِيم إلى مَدِينةِ الرُّها، فبُني به كَنائِسُها العَظِيمَة، وأَمَرَ قُسْطَنْطِين بإخْراج اليَهُود من القُدْس، وأَلْزَمَهم بالدُّخُولِ في دين النَّصْرانِيَّة، ومَنِ امْتَنَعَ منهم قُتِل. فتَنَصَّرَ كثيرٌ منهم، وامْتَنَعَ أكثرُهم فقُتِلوا، ثم امْتَحَن من تَنَصَّرَ منهم بأن جَمَعهم يوم الفِسْح في الكَنيسَة وأَمَرَهُم بأكْلِ لَحْم الخِنْزير، فأبى أَكْثَرُهم أن يأكُل منه، فقَتَلَ منهم في ذلك اليوم خَلائِقَ كثيرةً جِدًّا[1].

ولمَّا قامَ قُسْطَنْطِين بن قُسْطَنْطِين في الملك بعد أبيه، غَلَبَت مَقالَةُ آرْيُوس على القُسْطَنْطِينية وأنْطاكِية والإسْكَنْدَرية، وصَارَ أكثرُ أهْلِ الإسْكَنْدَرية وأرْض مصر آرْيوسِيين ومَنانِيِّين، واسْتَوْلوا على ما بها من الكَنائِس، ومالَ الملكُ إلى رَأيهم، وحَمَلَ النَّاسَ عليه، ثم رَجَعَ عنه[2].

وزَعَم كيرُلُس[a]، أسْقُف القُدْس، أنَّه ظَهَرَ من السَّماءِ، على القَبْرِ الذي بكَنيسَةِ القُمامَة، شِبْهُ صَليبٍ من نُورٍ في يوم عيد العَنْصُرَة، لعشرة أيَّامٍ من شهر أيار، في السَّاعَة الثالثة من النَّهَار، حتى غَلَبَ نُورُه على نُورِ الشَّمْسِ، ورآه جَميعُ أهْلِ القُدْسِ عَيانًا، فأقامَ فَوْق القَبْرِ عِدَّةَ ساعات والنَّاسُ تُشاهِدُه. فآمَنَ يومئذٍ من اليَهُود وغيرهم عِدَّةُ آلافٍ كثيرة[3].

ثم لمَّا مَلَكَ يُولْيانُوس[b] ابن عم قُسْطَنْطِين، اشْتَدَّت نِكايَتُه للنَّصَارَىٰ، وقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيرًا، ومَنَعَهم من النَّظَرِ في شيءٍ من الكُتُبِ وأَخَذَ أواني الكَنائس والدِّيارات، ونَصَبَ مائِدَةً كبيرةً عليها أَطْعِمَة مِمَّا ذَبَحه لأصْنامِه، ونادَى: «مَنْ أرادَ المال فليَضع البَخُور على النَّار، وليأكل من ذَبائِح الحُنَفاء ويأخُذ ما يُريد من المال»، فامْتَنَعَ كثيرٌ من الرُّوم، وقالوا: نحن نَصارَىٰ، فقَتَلَ منهم

---

a) بولاق: ايرس. b) بولاق: مولهيانوس.

= تفاسيرهم فإذا التَّفْسيرُ واحِدٌ ليس فيه اخْتِلاف! فجَمَعَ الكُتُبَ وخَتَمَها بخاتمه وصَيَّرها في هَيْكَلِ صَنَمٍ يُقالُ له سِيرابِيُون. (يوسف بن كريون: منتخبات من تاريخ يوسفوس ٤٩-٥١؛ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٨٥، نشرة Breydy ٤١؛ مصطفى كمال عبد العليم: اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان، القاهرة ١٩٦٨، ٣٣). وقد أصبحت هذه الترجمة فيما بعد تُمَثِّلُ النَّصَّ المعتمد لـ«العَهْدِ القَديم» في الكِتابِ المُقَدَّس عند المسيحيين.

[1] ابن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٣٣.

[2] نفسه ١: ١٣٦.

[3] نفسه ١: ١٣٥.

خَلائِقَ، ومَحَا الصَّليبَ من أعْلامِه وبُنُودِه [١].

وفي أيَّامِه سَكَنَ القِدِّيسُ أناريون[a] بَرِّيَّة الأُرْدُن، وبَنَى بها الدِّيارات، وهو أوَّل من سَكَنَ بَرِّيَّة الأرْدُن من النَّصَارَىٰ [٢].

فلمَّا مَلَكَ يوسْانيوس[b] على الرُّوم ـ وكان مُتَنَصِّرًا ـ أعاد[c] كلَّ من فَرَّ[d] من الأسَاقِفَة إلى كُرْسيه، وكَتَبَ إلى إثْناسْيُوس ـ بَطْرَك الإسْكَنْدَرية، أن يَشْرَحَ له الأمانَةَ المستقيمة فجَمَعَ الأسَاقِفَة وكَتبُوا له أن يَلْزَم أمانَة الثلاث مائة وثمانية عشرة.

فثارَ أهْلُ الإسْكَنْدَرية على إثْناسْيوس[e] ليَقْتُلُوه ففَرَّ، وأقامُوا بَدَلَه لُوقْيوس ـ وكان آرْيوسِيًّا ـ فاجْتَمَعَ مَجْمعُ الأسَاقِفَة بعد خمسة أشهر، وحَرَموه ونَفَوه، وأعادُوا إثْناسْيوس[e] إلى كُرْسيه، فأقامَ بَطْرَكًا إلى أن ماتَ؛ فخَلَفَه بُطْرُس، ثم وَثَب الآرْيوسيُّون عليه بعد سنتين ففَرَّ منهم، وأعادُوا لُوقْيوس، فأقامَ بَطْرَكًا ثلاثَ سنين، ووَثَبَ عليه أعْداؤه ففَرَّ منهم، فرَدُّوا بُطْرُسَ في العشرين من أمْشير، فأقامَ سنةً [٣].

وقَدِمَ في أيَّام والِيسَ ملك الرُّوم آرْيُوس أُسْقُف أنْطَاكية إلى الإسْكَنْدَرية بإذْن الملك، وأَخْرَجَ منها جَماعَةً من الرُّوم، وحَبَسَ بُطْرُس بَطْرَكَها، ونَصَبَ بَدَلَه آرْيُوسَ السُّيمساطي. ففَرَّ بُطْرُس من الحَبْسِ إلى رُومِيَّة، واسْتَجارَ ببَطْرَكِها. وكان واليس آرْيوسيًّا، فسَارَ إلى زِيارَة كَنيسَة مارْتُومَا بمَدينَة الرُّهَا، ونَفَى أُسْقُفَها وجَماعَةً معه إلى جَزيرَة رُودس، ونَفَى سَائِر الأسَاقِفَة لمُخالَفَتهم لرَأْيه ما عَدَا اثنين، وأقامَ في بَطْرَكِيَّة الإسْكَنْدَرية طِيماثاوُس، فأقامَ سبع سنين ومات.

وفي أيَّامه كان «المَجْمَعُ الثَّاني من مَجامِع النَّصَارَىٰ بقُسْطَنْطِينيَّة»، في سنة اثْنتي عشرة ومائة[f] لدِقْلِطْيانوس، فاجْتَمَعَ مائةٌ وخمسون أسْقُفًا، وحَرَمُوا مَقْدينُون[g]، عَدُوّ رُوحِ القُدُس، وكلَّ من قال بقَوْلِه، وسَبَبُ ذلك أنَّه قال: إنَّ رُوحَ القُدُس مَخْلُوقٌ، وحَرَمُوا معه غيرَ واحِدٍ لعَقائِدَ شَنيعَة تَظاهَرُوا بها في المَسيح. وزادَ الأساقِفَةُ في الأمانةِ التي رَتَّبها الثلاث مائة وثمانية عشرة [٤]. ونُؤْمِن

---

a) بولاق: أبارنوس. b) بولاق: يوسيانوس. c) بولاق: عاد. d) بولاق: كان فرّ. e) بولاق: إيناسيوس. f) عند ساويرس: السنة السابعة عشر ومائة. g) عند ابن البطريق وساويرس: مقدونيوس.

---

[١] ابن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٣٧.

[٢] نفسه ١: ١٣٧ – ١٣٨.

[٣] نفسه ١: ١٣٩.

[٤] فيما تقدم ٩٨٢، وراجع *The Oxford Dictionary of Byzantium* art. *Constantinople, Council of* I, p. 512; Frend, W.H.C., *CE* art. *Constantinople, First Council of* II, pp. 593-95.

بالرُّوح القُدُس، الرَّب المُحْيي المُنْبَثِق من الأب ـ قُلْتُ: تعالى الله عَمَّا يقولون عُلُوًّا كبيرًا ـ وحَرَّمُوا أن يُزادَ فيها بعد ذلك شيءٌ، وكان هذا المَجْمَعُ بعد مَجْمع نِيقِيَّة بثمانٍ وخمسين سنة[1].

وفي أيَّامِه بُنِيَت عِدَّةُ كَنائِسَ بالإسْكَنْدَرية، واسْتُتِيبَ جَماعَةٌ كثيرةٌ من مَقالَة آرْيُوس. وفي أيَّامِه أَطْلَقَ للأسَاقِفَة والرُّهْبان أكْلَ اللَّحْم يوم الفِسْح ليُخالِفُوا الطَّائِفَة المنانِيَّة[2]، فإنَّهم كانوا يُحَرِّمون أكْلَ اللَّحْم مُطْلَقًا، ورَدَّ الملك أغْراذْيانُوس كلُّ من نَفَاه واليس من الأسَاقِفَة، وأَمَرَ / أن يَلْزَم كلُّ واحِدٍ دينَه ما خَلا المَنانِيَّة[3].

ثم أُقيمَ بكُرْسي الإسْكَنْدَرية ثاؤفيلا، فأقامَ سبعًا وعشرين سنة، وماتَ في ثامِن عشر بَابَة[4]. وفي أيَّامِه ظَهَرَ الفِتْيَةُ أَهْلُ الكَهْف ـ وكان تاوذاسيوس إذْ ذاك مَلِكًا على الرُّوم ـ فبَنَى عليهم كَنيسَةً، وجَعَلَ لهم عِيدًا في كلِّ سَنَةٍ[5].

واشْتَدَّ الملك تاوذاسيوس على الآرِيوسيِّين، وضَيَّقَ عليهم، وأَمَرَ فأُخِذَت منهم كَنائِسُ النَّصارَىٰ بعدما حَكَمُوها نحو أربعين سنة، وأَسْقَطَ من جَيْشِه من كان آرْيوسيًّا، وطَرَدَ من كان في ديوانِه وخَدَمِه منهم، وقَتَلَ من الحُنَفَاءِ كثيرًا، وهَدَمَ بُيوتَ الأصْنَامِ بكلِّ مَوْضِع وفي أيَّامِه بُنِيَت كَنيسَةُ مَرْيَم بالقُدْس.

وفي أيَّام الملك أرْقاذْيوس[a] بُنِي دَيْرُ القُصَيْر[b] ـ المعروف الآن بدَيْر البَغْل ـ وفي جَبَلِ المُقَطَّم شَرْقي طُرا خارِج مَدينَة فُسْطاط مصر[6].

ثم أُقيمَ في بَطْرَكِيَّة الإسْكَنْدَرية كِرُلُّص، فأقامَ اثنتين وثلاثين سنة، وماتَ في ثالِث أبيب. وهو أوَّلُ من أقامَ القَوْمَة في كَنائِس الإسْكَنْدَرية وأرْض مصر.

---

a) النسخ: أرغاديوس. b) بولاق: دير القصر.

---

[1] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٤٥- ١٤٦؛ ساويرس بن المقفع: كتاب المجامع ١٦٤- ١٦٦؛ وفيما تقدم ٢: ٤٨٦.

[2] انظر وَصْف الطائفة المنانية عند ابن البطريق: التاريخ ١٤٧:١- ١٤٨؛ و The Blackwell Dictionary of Eastern Christianity, art. Manicheanism, pp. 302-4.

[3] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٤٦، وفيه: وكان أكثر مَطارِنَة مصر وأسَاقِفَتِهم مَنانية.

[4] نفسه ١: ١٤٩.

[5] نفسه ١: ١٥٠- ١٥١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣٩٣؛ وفيما تقدم ٢: ٤٨٥.

[6] القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣٩٣؛ وفيما تقدم ١: ١٩٢، ٧٠٧، وفيما يلي ١٠٣٠.

وفي أيّامِه كان « المجْمَعُ الثّالِث من مَجامِعِ النَّصارَىٰ » ، بسَببِ نَسْطُورس بَطْرَك قُسْطَنطِين ، فإنَّه مَنَعَ أن تكونَ مَرْيم أمَّ عِيسَىٰ ، وقال : إنَّما وَلَدَت مَرْيمُ إنْسانًا اتَّحَدَ بمَشيئَة الإله ـ يعني عِيسَىٰ ـ فصَارَ الاتِّحادُ بالمَشيئَة خاصَّةً لا بالذَّاتِ ، وإنَّ إطْلاق الإله على عِيسَى ليس هو بالحَقيقَة بل بالمَوْهِبَة والكَرامَة . وقال : إنَّ المَسيحَ حَلَّ فيه الابْنُ الأزَلي ، وإنِّي أعْبُدُه لأنَّ الإله حَلَّ فيه ، وإنَّه جَوْهَران وأقْنُومان ومَشيئَة واحِدَة . وقال في خُطْبَتِه يوم الميلاد : إنَّ مَرْيَم وَلَدَت إنْسانًا ، وأنا لا أعْتَقِدُ في ابن شهرين وثلاثة الإلهية ، ولا أسْجُد له سُجُودي للإله . وكان هذا هو اعْتِقادَ تاذُروس ودِيُوادَارُس الأُسْقُفَيْن ، وكان من قَوْلِهما : إنَّ المَوْلُودَ من مَرْيَمَ هو المَسيح ، والمَوْلُودَ من الأبِ هو الابْن الأزَلي ، وإنَّه حَلَّ في المَسيح فسُمِّيَ ابنَ الله بالمَوْهِبَة والكَرامِة ، وإنَّ الاتِّحَادَ بالمَشيئَة والإرادَة ، وأثْبَتُوا لله ـ تعالى عن قَوْلِهم ـ وَلَدَيْن : أحَدُهُما بالجَوْهَر ، والآخَر بالنِّعْمَة .

فلمَّا بَلَغَ كُرِلُّص بَطْرَك الإسْكَنْدَرِيةَ مَقالَ نَسْطُورِس ، كَتَبَ إليه يُرْجِعه عنها ، فلم يَرْجِع . فكَتَبَ إلى إكْليمس بَطْرَك رُومِيَّة ، وإلى يُوحَنَّا بَطْرَك أنْطاكية ، وإلى يُونالِيُوس أسْقُف القُدْس ، يُعَرِّفُهم بذلك . فكَتَبُوا بأجْمَعِهِم إلى نَسْطُورِس ليَرْجِع عن مَقالَتِه ، فلم يَرْجِع . فتَواعَدَ البَطارِكَة على الاجْتِماع بمَدِينَة إفِسُس . فاجْتَمَعَ بها مائتا أسْقُف ، ولم يَحْضُر يُوحَنَّا بَطْرَك أنْطاكِية ، وامْتَنَعَ نَسْطُورِس من المجيء إليهم بعدما كَرَّرُوا الإرْسال في طَلَبِه غير مَرَّة ، فنَظَرُوا في مَقالَتِه ، وحَرَمُوه ونَفَوه . فحَضَرَ بعد ذلك يُوحَنَّا ، فعَزَّ عليه فَصْلُ الأمْر قَبْل قُدومِه ، وانْتَصَرَ لنَسْطُورِس ، وقال : قد حَرَمُوه بغير حَقٍّ [١] .

وتَفَرَّقُوا من إفِسُس على شَرٍّ ، ثم اصْطَلَحُوا ، وكَتَبَ المَشْرِقيُّون صَحيفَةً بأمانَتهم وبحِرْمان نَسْطُورِس ، وبَعَثُوا بها إلى كرِلُّص . فقَبِلَها ، وكَتَبَ إليهم بأنَّ أمانَته على ما كَتَبُوا . فكان بين المجْمَع الثّاني وبين هذا المجْمَع خمسون ـ وقيل خمس وخمسون ـ سنة .

وأمَّا نَسْطُورِس فإنَّه نُفِيَ إلى صَعيدِ مصر ، فنَزَل مَدِينَة إخْميم ، وأقامَ بها سبعَ سنين ، وماتَ فدُفِنَ بها . وظَهَرَت مَقالَتُه ، فقَبِلَها بَرْصُوما أسْقُف نَصِيبين ، ودانَ بها نَصارَىٰ أرْضِ فارِس والعِراق والمَوْصِل والجَزيرَة إلى الفُرات ، وعُرِفُوا إلى اليوم بـ « النَّسْطُورِيَّة » [٢] .

---

[١] راجع عن مَجْمَع إفِسُس الذي عُقِدَ سنة ٤٣١م ، ساويرس بن المقفع : كتاب المجامع ١٦٦- ١٦٨؛ *The Oxford Dictionary of Byzantium* art. *Ephesus, Council of* I, p. 707, Leslie W. Barnard, *CE* art. *Ephesus, First Council of* III, pp. 959-60.

[٢] ابن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١٥٥ ، ١٥٦- ١٥٨ ، وانظر كذلك الشهرستاني : الملل والنحل ١ : ٢٠٥- ٢٠٦ ، Holmberg, B., *EI*[2] art. *Nastûriyyûn* VII, pp. 1032-35 ، وانظر رَدّ سعيد بن البطريق على النَّسْطوريين في التاريخ المجموع ١ : ١٥٩- ١٧٦ .

ثم قَدَّمَ تاوُداسِيُوس ملك الرُّوم ، في الثامنة من مُلْكِه ، دِيُسْقُورُس بَطْرَكًا بالإسْكَنْدَرية ، فظَهَرَ في أيَّامه مَذْهَبُ أوطاخي ، أحَدِ القُسُوس[a] بالقُسْطَنْطِينيَّة ، وزَعَم أنَّ جَسَدَ المَسيح لَطيفٌ غير مُساوٍ لأجْسادِنا ، وأنَّ الابْن لم يأخُذ من مَرْيم شيئًا . فاجْتَمَع عليه مائةٌ وثلاثون أسْقُفًا ، وحَرَمُوه [1] .

واجْتَمَعَ بالإسْكَنْدَرية كثيرٌ من اليَهُود في يوم الفِسْح ، وصَلَبُوا صَنَمًا على مِثالِ المَسيح وعَبَثُوا به ، فثارَ بينهم وبين النَّصارَىٰ شَرٌّ قُتِلَ فيه بين الفريقين خَلْقٌ كثيرٌ ، فبَعَثَ إليهم ملكُ الرُّوم جَيْشًا قَتَلَ أكثر يَهُودِ الإسْكَنْدَرية .

وكان « المَجْمَعُ الرَّابع من مَجامِع النَّصارَىٰ بمَدينَة خَلْقِدُونْية » . وسَبَبُه أن دِيُسْقُورُس ، بَطْرَك الإسْكَنْدَرية ، قال : إنَّ المَسيحَ جَوْهَرٌ من جَوْهَرَيْن ، وقُنُومٌ من قُنُومين ، وطَبيعَةٌ من طَبيعَتين ، ومَشيئَةٌ من مَشيئَتين . وكان رأيُ مَرْقيانُوس مَلك الرُّوم أنَّه جَسَدٌ ، وأهْلِ مَمْلكته أنَّه جَوْهَران وَطَبيعَتان ومَشيئَتان وقُنُومٌ واحِد . فلمَّا رأَى الأساقِفَةُ أنَّ هذا رأي الملك خافُوه ، فوافَقُوه على رأْيه ، ما خَلا دِيُسْقُورُس وستة أسَاقِفة ، فإنَّهم لم يُوافِقُوا الملك ، وكتَبَ مَنْ عَداهُم من الأسَاقِفَة خُطُوطَهم بما اتَّفَقُوا عليه .

فبَعَثَ دِيُسْقُورُس يَطْلُب منهم الكِتابَ ليَكْتُب فيه . فلمَّا وَصَلَ إليه كِتابُهم ، كَتَبَ فيه أمانَته هو ، وحَرَمَهم وكلَّ من يَخْرُج عنها . فغَضِبَ الملك مَرْقيانُوسِ ، وهَمَّ بقَتْلِه ، فأُشِيرَ عليه بإحْضارِه ومُناظَرَتِه ، فأَمَرَ به فحَضَرَ ، وحَضَر ستّ مائة وأربعة وثلاثون أسْقُفًا . فأَشَارَ الأسَاقِفَةُ والبَطارِكَةُ على دِيُسْقُورُس بمُوافَقَة رأي الملك ، واسْتِمْراره على رِياسَتِه . فدَعَا للملك وقال لهم : الملكُ لا يَلْزَمه البَحْثُ في هذه الأُمُور الدَّقيقَة ، بل يَنْبَغي له أن يَشْتَغِل بأُمُورِ مَمْلَكَتِه وتَدْبيرِها ، ويَدَع الكَهَنَة يَبْحَثُون عن الأمانَةِ المُسْتَقيمَة فإنَّهم يَعْرِفُون الكُتُب ، ولا يكون له هَوَى مع أحَدٍ ويَتَّبع الحَقّ .

فقالت بلْخَارية زَوْجَة الملك مَرْقِيانُوس ، وكانت جالِسَةً / بإزائِه : يا دِيُسْقُورُس قد كان في زَمانِ ٢ أمِّي إنْسانٌ قَوي الرَّأس مِثْلك ، وحَرَمُوه ونَفَوه عن كُرْسيه ، تَعْني يُوحَنَّا فَمَ الذَّهب بَطْرَك قُسْطَنْطِينيَّة . فقال لها : قد عَلِمْت ما جَرَى لأمِّك ، وكيف ابْتُلِيَت بالمَرَضِ الذي تَعْرِفيه ، إلى أن

---

a) بولاق : الثانية . b) بولاق : القنومين .

---

[1] ابن البطريق : التاريخ المجموع ١:١٧٩- ١٨٠؛ ساويرس بن المقفع : كتاب المجامع ١٦٦- ١٦٨.

مَضَت إلى جَسَدِ يُوحَنَّا فَم الذَّهبِ ، واستَغفَرَت فعُوفيتْ . فخَنَقَت من قَوْلِه ، ولَكَمَتْه ، فانقَلَعَ له ضِرْسان ، وتَناوَلَته أيْدي الرِّجال ، فنَتَفُوا أكثر لِحْيَتِه ، وأَمَرَ الملكُ بحِرْمانِه ونَفْيه عن كُرْسيه . فاجْتَمَعُوا عليه وحَرَمُوه ونَفَوه ، وأُقِيمَ عِوَضَه بُرطاوُس[a] [1].

ومن هذا المجْمَع افْتَرَقَ النَّصارَىٰ ، وصارُوا « مَلْكِيَّة » على مَذْهَبِ مَرْقِيانُوس الملك ، و« يَعْقُوبية » على رأي دِيُسْقُورُس ، وذلك في سنة ثلاثٍ وتسعين ومائةٍ لدِقْلِطْيانُوس ، وكَتَبَ مَرْقِيانُوس إلى جَميع مَمْلَكَتِه أنَّ كُلَّ من لا يَقُول بقَوْلِه يُقْتَل . فكان بين المجْمَعِ الثَّالِث وبين هذا المجْمَع إحْدى وعشرون سنة [2].

وأمَّا دِيُسْقُورُس فإنَّه أَخَذَ ضِرْسَيْه وشَعْر لِحْيَته وأرْسَلَها إلى الإسْكَنْدَرية ، وقال : هذه ثَمَرَةُ تَعَبِي على الأمانَة . فتَبِعَه أهْلُ إسْكَنْدَرية ومصر ، وتَوَجَّه في نَفْيه فعَبَرَ على القُدْسِ وفَلَسطين ، وعَرَّفَهم مَقالَتَه ، فتَبِعُوه وقالوا بقَوْلِه ، وقَدَّم عِدَّة أَسَاقِفَةٍ يَعْقُوبية ، وماتَ وهو مَنْفِي في رابع تُوت ، فكانت مُدَّةُ بَطْرَكِيَّته أرْبَع عشرة سنة . وبقي كُرْسي المَمْلَكَة بغَيْر بَطْرَك مُدَّةَ مملكة مَرْقِيانُوس ، وقيل بل قُدِّمَ بُرطاوُس [a].

وقد اخْتُلِفَ في تَسْمِية « اليَعْقُوبِيَّة » بهذا : فقِيلَ : إنَّ دِيُسْقُورُس كان يُسَمَّى قَبل بَطْرَكيته يَعْقُوبَ ، وإنَّه كان يَكْتُب وهو مَنْفِي إلى أصْحابِه بأن يَثْبُتُوا على أمانَةِ المسكين المَنْفِي يَعْقُوب . وقيل : بل كان له تِلْميذٌ اسْمُه يَعْقُوب ، وكان يُرْسِلُه وهو مَنْفِي إلى أصْحابِه ، فنُسِبُوا إليه . وقيل : بل كان يَعْقُوبُ تِلْميذَ سَاويرُس بَطْرَك أنْطاكِية ، وكان على رأي دِيُسْقُورُس ، فكان سَاويرُس يَبْعَث يَعْقُوب إلى النَّصارَىٰ ، ويُثَبِّتهم على أمانَةِ دِيُسْقُورُس ، فنُسِبُوا إليه . وقيل بل كان يَعْقُوبُ كثيرَ العِبادَة والزُّهْد ، يَلْبَس خِرَق البَراذِع ، فسُمِّيَ يَعْقُوب البَراذِعي من أجْل ذلك ، وأنَّه كان يَطُوف البِلاد ، ويَرُدُّ النَّاسَ إلى مَقالَةِ دِيُسْقُورُس ، فنُسِبَ من اتَّبَعَ رأْيَه إليه ، وسُمُّوا « يَعْقُوبِيَّة » ، ويُقالُ ليَعْقُوب أيضًا : يَعْقُوب السُّروجي [3].

---

a) عن ابن البطريق : بروطاريوس .

---

[1] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١٨١- ١٨٢؛ ساويرس بن المقفع : كتاب المجامع ١٦٩- ١٨٤؛ وانظر كذلك *The Oxford Dictionary of Byzantium* art. *Chalcedon, Council of* I, p. 404; Frend, W.H.C., *CE* art. *Chalcedon, Council of* II, pp. 512-15.

[2] نفسه ١ : ١٨٣؛ وقارن القلقشندي : صبح الأعشى ٥ : ٣١٢.

[3] عن مَذْهَبِ «اليعقوبية» أو «أصْحاب الطَّبيعَة الواحِدَة» أتباع يَعْقُوب البَرَاذِعي ، راجع Frend, W.H.C, *The Rise*

وفي أيَّام مَرْقِيانُوس كان سَمْعَانُ الحَبِيس، صَاحِبُ العَمُود، وهو أوَّلُ راهِب سَكَنَ صَوْمَعَةً، وكان مُقامُه بمَغارَةٍ في جَبَلِ أنْطاكِية [١].

ولمَّا ماتَ مَرْقِيانُوس، وَثَبَ أهْلُ الإسْكَنْدَرية على بُرطاوُس[a] البَطْرَك، وقَتَلُوه في الكَنِيسَة، وحَمَلُوا جَسَدَه إلى المَلْعَبِ الذي بَنَاه بَطْلَميوس، وأحْرَقُوه بالنَّارِ من أجْلِ أنَّه مَلْكي الاعْتِقاد، فكانت مُدَّةُ بَطْرَكِيته ستّ سنين [٢].

وأقامُوا عِوَضَه طيماثاوُس[b] ـ وكان يَعْقُوبيًّا ـ فأقامَ ثلاث سنين، وقَدِمَ قائِدٌ من قُسْطَنْطِينية [٣] فنَفَاه، وأقامَ عِوَضَه سَاويرُس ـ وكان مَلْكِيًّا ـ فأقامَ اثنتين وعشرين سنة، وماتَ في سابع مِسْرَى [٤].

فلمَّا ملك زَيْنُون بن لاوُن الرُّوم، أكْرَم اليَعْقُوبية، وأعَزَّهُم لأنَّه كان يَعْقُوبيًّا، وكان يَحْمِل إلى دَيْرِ بومَقَّار[a] [٥] كلَّ سنةٍ ما يَحْتاجُ إليه من القَمْحِ والزَّيْت. وهَرَبَ سَاويرُس من كرْسِي الإسْكَنْدَرية إلى وادي هُبَيْبٍ، ورَجَعَ طِيماثاوُس من نَفْيه، فأقامَ بَطْرَكًا سنتين ومات. فأقيمَ بعده بُطْرُس، فأقامَ ثمانِ سنين وسبعة أشهر وستَّة أيَّام، ومات في رابع هَتُور [٦].

فأُقيمَ بعده أثَناشيوس[c]، فأقامَ سبع سنين، وماتَ في العشرين من تُوت، وفي أيَّامِه احْتَرَقَ المَلْعَبُ الذي بَنَاه بَطْلَمْيُوس [٧]. وأقيمَ يُوحَنَّا في بَطْرَكِيَّة الإسْكَنْدَرية ـ وكان يَعْقُوبيًّا ـ فأقامَ تسع سنين، وماتَ في رابع بَشَنْس، فخَلا الكُرْسِي بعده سنة. ثم أُقيمَ يُوحَنَّا الحَبِيس، فأقامَ إحدى

---

a) عند ابن البطريق: بروطاريوس. b) عند ابن البطريق: ثيموثاوس. c) عند ابن البطريق: إيناس.

---

of the Monophysite Movement, 2nd edition, Cambridge 1979; id., *CE* art. *Monophysitism* V, pp. 1669-79; Aziz S. Atiya, *CE* art. *Jacob Baradaeus* IV, pp. 1318-19; , *EI* [2] art. *Ya'kubiyya*؛ وكذلك الشهرستاني: الملل والنحل ١:٢٠٦-٢٠٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:٢٧٨-٢٨٠.

[١] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٨٣.

[٢] نفسه ١:١٨٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣١٢.

[٣] يقالُ له بلاوس (ابن البطريق).

[٤] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١:١٨٤ (وفيه وكان يَعْقُوبيًّا أقام خمس عشر سنة ومات؟).

[٥] حاشية بخَطِّ المُؤلِّف: «أنْبا مقار كان أُسْقُف أدْكو، فنفي مع دِيُسْقُورُس، ودَيْرُ بو مَقار بوادي هُبَيْب». (انظر فيما يلي ٢:٥٠٨).

[٦] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٨٥.

[٧] نفسه ١: ١٨٦.

وعشرين سنة[a]، وماتَ في سابع عشرين بَشَنْس. فأُقيمَ بعده دِيُسقُورُس الجَديد، فأقامَ سنتين وخمسة أشهر، وماتَ في سابع عشر بابَة[b][١].

وكَتَبَ إيلْيا بَطْرَك القُدْس، إلى نِسْطاس مَلك الرُّوم، بأنْ يَرْجِع عن مَقالَة اليَعْقُوبية إلى مَقالة المَلْكية، وبَعَثَ إليه جَماعةً من الرُّهْبان بهَدِيَّةٍ سَنِيَّة. فقَبِلَ هَدِيَّتَه، وأجازَ الرُّهْبَانَ بجوائزَ جَليلَة، وجَهَّزَ له مالًا جَزيلًا لعِمارَة الكنائِس والدِّيارات والصَّدَقات. فتَوَجَّه سَاويرُس إلى نِسْطاس، وعَرَّفَه أنَّ الحَقَّ هو اعْتِقادُ اليَعْقُوبية، فأَمَرَ أن يُكْتَب إلى جَميع مَمْلَكته بقَبُول قَوْل دِيُسْقُورُس، وتَرْك المَجْمَع الخَلْقَدُوني. فبَعَثَ إليه بَطْرَكُ أنْطاكِية بأنَّ هذا الذي فَعَلْتَه غير واجِب، وأنَّ المَجْمَع الخَلْقَدونِي هو الحَقّ. فغَضِبَ الملكُ ونَفَاه، وأقامَ بَدَلَه.

فأَمَرَ إيلْيا، بَطْرَك القُدْس، بجَمْع الرُّهْبانِ ورُؤسَاءِ الدِّيارات. فاجْتَمَعَ له منهم عشرةَ آلاف نَفْس، وأحْرَمُوا نِسْطاس الملك ومَنْ يقُولُ بقَوْلِه. فأَمَرَ نِسْطاس بنَفْي إيلْيا إلى مَدِينة أَيْلَة، فاجْتَمَع بَطارِكَةُ المَلْكية وأسَاقِفَتُهم وأحْرَمُوا الملك نِسْطاس ومَنْ يَقُولُ بقَوْلِه[٢].

وفي أيَّام نِسْطانوس الملك، ألْزَمَ الحُنَفَاء أهْل حَرَّان ـ وهم الصَّابِئَة ـ بالتَّنَصُّر. فتَنَصَّرَ كثيرٌ منهم، وقَتَلَ أكْثَرَهم على امْتِناعِهم من دين النَّصْرانية، ورَدَّ جَميعَ من نَفَاه نِسْطاس من المَلْكية، فإنَّه كان مَلْكِيًّا. وأُقيمَ طيماثاوُس[c] في بَطْرَكِيَّة الإسْكَنْدَرية ـ وكان يَعْقُوبِيًّا ـ فأقامَ ثلاثَ سنين ونُفي[٣].

وأُقيمَ بَدَله أبُولِينارْيُوس، وكان مَلْكِيًّا، فجَدَّ في رُجُوعِ النَّصارَىٰ بأَجْمَعِهم إلى رأْي المَلْكية، وبَذَلَ جُهْدَه في ذلك، وأَلْزَمَ نَصارَىٰ مصر بقَبُولِ الأمانَة المُحْدَثَة، فوافَقُوه / ووَافَقَه رُهْبانُ دِياراتِ بُومَقَّار بوادي هُبَيْب. هذا ويَعْقُوب البَراذِعي يَدُورُ في كلِّ مَوْضِع، ويُثَبِّت أصْحابَه على الأمانَة التي زَعَمَ أنَّها مُسْتَقيمَةٌ. وأَمَرَ الملكُ جَميعَ الأساقِفَة بعَمَلِ الميلاد في خامِس عشرين كانون الأوَّل، وبعَمَلِ الغِطاس لِستٍّ تَخْلو من كانُون الثاني، وكان كثيرٌ منهم ٤٩٠:٢

---

a) عند ابن البطريق: إحدى عشرة سنة. b) عند ابن البطريق: أقام سنة واحدة ومات. c) عند ابن البطريق: ثاودوسيوس.

---

[١] ابن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٩٢.

[٢] نفسه ١: ١٩٣ – ١٩٤.

[٣] نفسه ١: ١٩٩.

يَعْمَل الميلادَ والغِطاس في يومٍ واحِدٍ، وهو سادِس كانون الثَّاني، وعلى هذا الرأْي الأَرْمَنُ إلى يَوْمِنا هذا.

وفي هذه الأَيَّام ظَهَرَ يُوحَنَّا النَّحْوي بالإسْكَنْدَرية، وزَعَم أنَّ الأبَ والابْن ورُوحَ القُدُس ثلاثةُ آلِهَة، وثَلاثُ طَبائع وجَوْهرٌ واحِدٌ. وظَهَرَ يولْيان، وزَعَمَ أنَّ جَسَدَ المَسيح نَزَلَ من السَّمَاء، وأنَّه لَطَيْفٌ رُوحاني لا يَقْبَل الآلام إلَّا عند مُقارَفَة الخَطِيئة، والمَسيحُ لم يُقارِف خَطيئَةً، فلذلك لم يُصْلَب حَقيقَةً ولم يتألَّم ولم يَمُت، وإنَّما ذلك كلُّه خَيال.

فأَمَرَ الملكُ البَطْرَك طيماثاوُس أن يَرْجِع إلى مَذْهَب المَلَكِيَّة فلم يَفْعَل، فأَمَرَ بقَتْلِه، ثم شَفَعَ فيه ونُفِيَ. وأُقيمَ بَدَلَه بُولُص ـ وكان مَلْكِيًّا ـ فأقامَ سنتين، فلم يَرْضَه اليَعاقِبَةُ، وقيل إنَّهم قَتَلُوه، وصَيَّرُوا عِوَضَه بَطْرَكًا دِيلوس ـ وكان مَلْكِيًّا ـ فأقامَ خمس سنين في شِدَّةٍ من التَّعَب، وأرادُوا قَتْلَه، فهَرَبَ وأقامَ في هَرَبِه خَمْسَ سنين ومات[1].

فبَلَغَ ملك الرُّوم يوشطيانوس أنَّ اليَعْقُوبيَّة قد غَلَبُوا على الإسْكَنْدَرية ومصر، وأنَّهم لا يَقْبَلُون بَطارِكَتَه. فبَعَثَ أبُوليناريُوس أحَد قُوَّادِه، وضَمَّ إليه عَسْكَرًا كبيرًا، إلى الإسْكَنْدَرية. فلمَّا قَدِمَها، ودَخَل الكَنيسَة نَزَعَ عنه ثِيابَ الجُنْد، ولَبِسَ ثِيابَ البَطارِكَة وقَدَّسَ. فهَمَّ ذلك الجَمْعُ برَجْمِه، فانْصَرَفَ وجَمَع عَسْكَرَه، وأَظْهَرَ أنَّه قد أتاه كِتابُ الملك ليَقْرأه على النَّاسِ، وضَرَبَ الجَرَس في الإسْكَنْدَرية يوم الأحد. فاجْتَمَعَ النَّاسُ إلى الكَنيسَة حتى لم يَبْقَ أحَدٌ، فَطَلَع المِنْبَر وقال: يا أَهْلَ الإسْكَنْدَرية إنْ تَرَكْتُم مَقالَة اليَعْقُوبية، وإلَّا أخافُ أنْ يُرْسِل الملكُ فيَقْتُلَكم، ويَسْتَبيحَ أمْوالَكُم وحَريمَكُم. فهَمُّوا برَجْمِه، فأشارَ إلى الجُنْدِ، فوَضَعُوا السَّيْف فيهم، فقَتَلَ من النَّاسِ ما لا يُحْصَى عَدَدُه حتى خاضَ الجُنْدُ في الدِّماء، وقيل إنَّ الذي قُتِلَ يومئذٍ مائتا ألف[a] إنْسان، وفَرَّ منهم خَلْقٌ إلى الدِّياراتِ بوادي هُبَيْب، وأخَذَ المَلَكِية كنائِسَ اليَعاقِبَة[2]. ومن يومئذٍ صارَ كُرْسي اليَعْقُوبيَّة في دَيْر بومُقَّار بوادِي هُبَيْب[3]:

---

a) في صبح الأعشى: مائتين.

---

[1] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٩٩- ٢٠٠، ويشتمل نَصُّ المقريزي على معلوماتٍ عن اليَعاقِبَة لا توجد في نَصِّ ابن البطريق؟

[2] القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣١٢.

[3] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٢٠٠- ٢٠١، ونشرة Breydy ١٠٥.

وفي أيَّامِه ثارَت السَّامِرَةُ على أرْضِ فَلَسْطين ، وهَدَمُوا كَنائِسَ النَّصارَىٰ ، وأحْرقُوا ما فيها ، وقَتَلُوا جَماعَةً من النَّصَارَىٰ فبَعَثَ الملكُ جَيْشًا قَتَلُوا من السَّامِرَة خَلْقًا كثيرًا ، ووَضَعَ من خَراجِ فَلَسْطين جُمْلَةً ، وجَدَّدَ بناءَ الكَنائِس ، وأنْشأ مارِسْتانًا ببَيْتِ المَقْدِس للمَرْضَى ، ووَسَّع في بِناءِ كَنيسَة بَيْتِ لَحْم ، وبَنَى دَيْرًا بطُورِ سيناء [١]، وعَمِلَ عليه حِصْنًا حَوْله عِدَّة قَلالي ، ورَتَّبَ فيها حَرَسًا لحِفْظِ الرُّهْبان [٢].

وفي أيَّامِه كان « المَجْمَعُ الخامِسُ من مَجامِعِ النَّصارَىٰ » . وسَبَبُه أنَّ أُريجَانُس ، أُسْقُف مَدينَة مَنْبِج ، قال بتناسُخِ الأرْواح ، وقال كلٌّ من أُسْقُفِ أَنْقَرَة وأُسْقُفِ المَصيصَة وأُسْقُفِ الرُّهَا : إنَّ جَسَدَ المسيح خَيالٌ لا حَقيقي . فحُمِلُوا إلى القُسْطَنطِينية ، وجُمِعَ بينهم و بين بَطْرَكِها أوطس [a]، وناظَرَهُم وأوْقَعَ عليهم الحِرْمان . فأَمَرَ الملكُ أن يُجْمَع لهم مَجْمَعٌ ، وأَمَرَ بإحْضَار البَطارِكَة والأساقِفَة ، فاجْتَمَعَ مائةٌ وأربعون أسْقُفًا ، وحَرَمُوا هؤلاء الأساقِفَة ومن يقُول بقَوْلِهم . فكان بين المَجْمَع الرَّابع الخَلقَدُوني وبين هذا المَجْمَع مائة وثلاث وستّون سنة[b] [٣].

ولمَّا ماتَ القَائِدُ الذي عَمِلَ بَطْرَك الإسْكَنْدَرية ، بعد سبع عشرة سنة ، أُقيمَ بعده يُوحنَّا ـ وكان مَنانِيًّا ـ فأقامَ ثلاث سنين ومات [٤].

وقَدَّمَ اليَعاقِبَةُ بَطْرَكًا اسْمُه ثاوداسْيُوس [Theodose]، أقامَ مُدَّة اثنتين وثلاثين سنة ، وقَدَّم المَلَكية بَطْرَكًا اسمه داقْيُوس [c] [Gainus]. فكَتَب الملكُ إلى مُتَوَلِّي الإسْكَنْدَرية أن يَعْرِض على بَطْرَك اليَعاقِبَة أمانَة المَجْمَع الخَلِقْدوني ، فإنْ لم يَقْبَلْها أخْرَجَه ، فعَرَضَ عليه ذلك فلم يَقْبَله ، فأخْرَجَه وأقامَ بعده بُولُص التِّنِّيسي [Paul le Tobennesiote]، فلم يَقْبَله أهْلُ الإسْكَنْدَرية وماتَ ، فغُلِّقَت كَنائِسُ القِبْط اليَعاقِبَة ، وأصَابَهم من المَلَكيَّة شَدائِدُ كثيرةٌ ، واسْتَجَدَّ اليَعاقِبَة

---

a) عند ابن البطريق : أوتيشيوس . b) عند ابن البطريق : مائة سنة وثلاث سنين . c) في صبح الأعشى : داقيانوس .

---

[١] هو الدَّيْرُ الذي يُعْرَف الآن بـ«دَيْرِ سانْت كاثْرين» في جنوب شِبْه جَزيرَة سيناء . (فيما يلي ١٠٥٦-١٠٥٩) .

[٢] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٢٠١-٢٠٤ نَصٌّ أكثرُ تفصيلًا ، ونشرة Breydy ١٠٥- ١٠٦.

[٣] نفسه ١ : ٢٠٥، وعُقِدَ هذا المَجْمَعُ في القُسْطنطينية في الفترة بين ٥ مايو ويونية سنة ٥٥٣م ، راجع *The Oxford Dictionary of Byzantium* art. *Constantinople, Council of* I, p. 512; Frend, W.H.C., *CE* art. *Constantinople, Second Council of* II, pp. 595-96.

[٤] نفسه ١ : ٢٠٩.

بالإسْكَنْدَرية كَنيستَيْنِ في سنة ثمانٍ وأربعين ومائتين لدِقْلِطْيانُوس[١].

وماتَ ثاوداسْيُوس ثامن عشرين بُؤونَة بعد اثنتين وثلاثين سنة من بَطْرَكِيَّته، منها مُدَّة أرْبع سنين مُدَّة نَفْيِه في صَعيد مصر، وأُقيمَ بعده بُطْرُس - وكان يَعْقُوبيًّا - في خُفْيَةٍ بدَيْر الزُّجاج بالإسْكَنْدَرية، قَدَّمه ثَلاثَةُ أسَاقِفَة. فأقامَ سنتين، وماتَ في خامِس عشرين بؤونَة.

وفي سنة إحدى وثمانين وثمان مائة للإسْكَنْدَرية[a]، أُقيمَ دَاميانو بَطْرَكًا بالإسْكَنْدَرية - وكان يَعْقُوبيًّا - فأقامَ ستًّا وثلاثين سنة، وماتَ في ثامن عشرين بَؤونَة. وفي أيَّامِه خَرِبَت الدِّياراتُ، وأقامَ المَلَكِيَّةُ لهم بالإسْكَنْدَرية بَطْرَكًا مَنانِيًّا اسمه أثْناس [Athanase]، فأقامَ خَمْسَ سنين ومات. فأُقيمَ بعده يُوحَنَّا - وكان مَنانِيًّا - ولُقِّبَ بـ «القائم بالحَقّ»، فأقامَ خمسة أشهر ومات. فأُقيمَ بعده يُوحَنَّا «القائِم بالأَمْرِ» - وكان مَلْكِيًّا - فأقامَ إحدى عشرة سنة، ومات[٢].

وفي أيَّامِ الملك طَيْبارْيُوس مَلِك الرُّوم، بَنَى النَّصارَىٰ بالمَدائِن - مَدائِن كِسْرَى - هَيْكَلًا وبَنَوا أيضًا بمَدينَة واسِط هَيْكَلًا آخرَ.

وفي أيَّام الملك مُوريق قَيْصَر، زَعَم راهِبٌ اسْمُه مارُون أنَّ المَسيحَ - عليه السَّلام - طَبيعَتان ومَشيئَة واحِدَة / وأُقْنُوم واحِد. فتَبِعه على رَأْيه أهْلُ حَمَاة وقِنِّسْرين والعَواصِم وجَماعَةٌ من الرُّوم، ودانُوا بقَوْلِه، فعُرِفُوا بين النَّصارَى بـ «المارُونِيَّة»، فلمَّا ماتَ مارُون، بنوا على اسْمِه دَيْر مارُون بحَمَاة[٣]. ٤٢

وفي أيَّام فُوَقا مَلِك الرُّوم، بَعَثَ كِسْرَى مَلِك فارِس جُيُوشَه إلى بِلادِ الشَّام ومِصْر، فخَرَّبُوا كَنائِسَ القُدْسِ وفِلَسْطين وعامَّة بِلادِ الشَّام، وقَتَلُوا النَّصارَى بأجْمَعِهم، وأتَوْا إلى مِصْر في طَلَبِهم، فقَتَلُوا منهم أمَّةً كبيرةً، وسَبَوْا منهم سَبْيًا لا يَدْخُل تحت حَصْر. وساعَدَهُم اليَهُودُ في

---

a) ساقطة من بولاق.

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣١٣.

[٢] Wiet, G., Note sur Maspero, J., *Historie des Patriarches d'Alexandrie*, Paris 1922, p. 220.

[٣] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٢١٠؛ المسعودي: التنبيه والإشراف ١٥٣-١٥٤ وأضافَ المسعودي: «وقد أتَيْنا على شَرْحِ مَذْهَبِه ... في كِتابِنا في «المقالات في أصُولِ الدِّيانات»، وهو كِتابٌ مَفْقودٌ الآن؛ وراجع عن المارونية أتْباع القدِّيس مارُون والمنتشرين الآن في لُبْنان على وَجْهِ الخُصُوص Janin, J., *Les églises orientales et les rites orientaux*, Letouzey & Ané 1997, pp. 446-67; *The Blackwell Dictionary of Eastern Christianity*, art. *Maronite Church*, pp. 305-8.

مُحارَبَة النَّصارَىٰ وتَخْريب كَنائِسهم، وأَقْبَلُوا نحو الفُرْسِ من طَبَريَّة وجَبَل الجَليل وقَرْيَة النَّاصِرَة ومَدينَة صُور وبلادِ المَقْدِس، فنالُوا من النَّصارَىٰ كلَّ مَنال، وأَعْظَمُوا النِّكايَة فيهم، وخَرَّبُوا لهم كَنيسَتَيْن بالقُدْسِ [1]، وحَرَّقُوا أماكِنَهم، وأخَذُوا قِطْعَةً من عُودِ الصَّليب، وأَسَرُوا بَطْرَكَ القُدْسِ وكثيرًا من أصْحابِه. ثم مَضَى كِسْرَى بنَفْسِه من العِراق لغَزْو قُسْطَنْطِينيَّة، تَخْت مَلِك الرُّوم، فحاصَرَها أرْبَعَ عشرة سنة [2].

وفي أيَّام فُوقَا أُقيمَ يُوحنَّا الرَّحُوم، بَطْرَك الإسْكَنْدَرية، على المَلْكِيَّة. فدَبَّرَ أرْضَ مصر كلَّها عَشْر سنين، وماتَ بقُبْرس وهو فارّ من الفُرْس. فخَلَا كُرْسي إسْكَنْدَرية من البَطْرَكية سبع سنين، لخُلُوّ أرْضِ مصر والشَّام من الرُّوم، واخْتَفَى من بَقِيَ بها من النَّصارَى خَوْفًا من الفُرْس [3].

وقَدَّمَ اليَعاقِبَةُ نَسْطاسْيُوس بَطْرَكًا، فأقامَ اثنتي عشرة سنة، وماتَ في ثاني عشرين كِيَهْك سنة ثلاثين وثلاث مائة لدِقْلِطْيانُوس، فاسْتَرَدَّ ما كانت المَلْكِية قد اسْتَوْلَت عليه من كَنائِس اليَعاقِبَة، ورَمَّ ما شَعَّثَه الفُرْسُ منها. وكانت إقامَتُه بمَدينَة الإسْكَنْدَرية، فأَرْسَلَ إليه أثناسيوس بَطْرَك أنطاكية هَدِيَّةً صُحْبَة عِدَّة كثيرة من الأساقِفَة، ثم قَدِمَ عليه زائِرًا، فتَلَقَّاه وسُرَّ بقُدومِه، وصارَت أرْضُ مصر في أيَّامه جَميعُها يَعاقِبَة لخُلُوِّها من الرُّوم.

فثارَت اليَهُودُ في أثناء ذلك بمَدينَة صُور، وراسَلُوا بقيَّتهم في بلادِهم، وتَواعَدُوا على الإيقاعِ بالنَّصارَى وقَتْلِهم. فكانت بينهم حَرْبٌ اجْتَمَعَ فيها من اليَهُودِ نحو عشرين ألفًا، وهَدَمُوا كَنائِسَ النَّصارَى خارِجَ صُور فقَوِي النَّصارَى عليهم وكاثَرُوهُم، فانْهَزَمَ اليَهُودُ هَزيمَةً قَبيحَةً، وقُتِلَ منهم خَلْقٌ كثيرٌ [4].

وكان هِرَقْلُ قد مَلَكَ الرُّوم بقُسْطَنْطِينية، وغَلَبَ الفُرْسَ بحِيلَةٍ دَبَّرَها على كِسْرَى حتى رَحَلَ عنهم، ثم سارَ من قُسْطَنطينية ليُمَهِّدَ مَمالِكَ الشَّام ومصر، ويُجَدِّد ما خَرَّبَه الفُرْسُ منها. فخَرَجَ إليه اليَهُودُ من طَبَريَّة وغيرها، وقَدَّمُوا له الهَدايا الجَليلَة، وطَلَبُوا منه أن يُؤَمِّنهم، ويَحْلِف لهم على ذلك، فأَمَّنَهُم وحَلَفَ لهم [5].

---

[1] هما: كَنيسَة الجسمانية، وكَنيسَة إلينة.

[2] ابن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٢١٦، ونشرة Breydy ١١٨- ١١٩.

[3] نفسه ١: ٢١٦- ٢١٧، ٢١٨، ونشرة Breydy ١١٩- ١٢١.

[4] نفسه ١: ٢١٨- ٢١٩، ونشرة Breydy ١٢٢.

[5] نفسه ٢: ٢- ٤، ونشرة Breydy ١٢٤- ١٢٧.

ثم دَخَل القُدْسَ ـ وقد تَلَقَّاهُ النَّصَارَىٰ بالأناجيل والصُّلْبان والبَخُور والشُّمُوع المُشْعَلَة ـ فوَجَدَ المَدينَة وكنائِسَها وقُمامَتها خَرابًا، فَساءَه ذلك وتَوَجَّعَ له. وأَعْلَمَه النَّصَارَىٰ بما كان من ثَوْرَةِ اليَهُودِ مع الفُرْسِ، وإيقاعِهِم بالنَّصَارَىٰ وتَخْريبهم الكَنائِس، وأنَّهم كانوا أَشَدَّ نِكايَةٍ لهم من الفُرْسِ، وقامُوا قِيامًا كبيرًا في قَتْلِهم عن آخِرِهم، وحَثُّوا هِرَقْلَ على الوَقِيعَةِ بهم، حَسَّنُوا له ذلك. فاحْتَجَّ عليهم بما كان من تأْمِينِه لهم وحَلْفِه، فأفْتاه رُهْبانُهم وبَطارِكَتُهم وقِسِّيسُوهُم بأنَّه لا حَرَجَ عليه في قَتْلِهم، فإنَّهم عَمِلُوا عليه حِيلَةً حتى أَمَّنَهم من غير أن يَعْلَم بما كان منهم، وأنَّهم يقُومُون عنه بكَفَّارَة يَمِينِه: بأن يَلْتَزِمُوا ويُلْزِمُوا النَّصَارَىٰ بصَوْمِ جُمُعَة في كلِّ سنةٍ عنه على مَمَرِّ الزَّمان والدُّهُور. فمال إلى قَوْلِهِم، وأَوْقَعَ باليَهُودِ وَقيعَةً شَنْعَاء أبادَهُم جَميعَهم فيها، حتى لم يَبْقَ في مَمالِك الرُّوم بمصر والشَّام منهم إلَّا من فَرَّ واخْتَفَى. فكَتَبَ البَطارِقَةُ والأَساقِفَةُ إلى جَميعِ البِلادِ بإلْزام النَّصَارَى بصَوْمِ أُسْبوعٍ في السنة، فالْتَزَمُوا صَوْمَه إلى اليوم، وعُرِفَت عندهم بـ «جُمُعَة هِرَقْل»، وتَقَدَّم هِرَقْل بعمارَة الكَنائِس والدِّيارات، وأَنْفَقَ فيها مالًا كبيرًا [1].

وفي أيَّامه أُقيمَ أدراسْلُون [a]، بَطْرَك اليَعاقِبَة بالإسْكَنْدَرية، فأقامَ ستَّ سنين، وماتَ في ثامِن طُوبَة، فخَرِبَت الدِّياراتُ في مُدَّةِ بَطْرَكيته [2]. وأُقيمَ بعده على اليَعاقِبَة بِنْيامين، فعَمَّرَ الدَّيْر الذي يُقالُ له «دَيْر أبو بِشَاي» و «دَيْر سَيِّدَة أبو بِشَاي»، وهما في وادي هُبَيْب، فأقامَ تسعًا وثلاثين سنة، مَلَكَ الفُرْسُ منها مصر عشر سنين [3].

ثم قَدِمَ هِرَقْل فقَتَلَ الفُرْسَ بمصر، وأقام قيرَش بَطْرَك الإسْكَنْدَرية ـ وكان مَنانِيًّا ـ وطَلَبَ بِنْيامين لِيَقْتُله فلم يَقْدِر عليه لفرارِه منه [4]. وكان هِرَقْلُ مارُونِيًّا، فظَفِر بمينا أخي بِنْيامين، فأحْرَقَه بالنَّار عَداوَةً لليَعاقِبَة، وعادَ إلى القُسْطَنْطِينية. فأظْهَرَ الله دِينَ الإسْلام في أيَّامِه، وخَرَجَ مُلْكُ مصر والشَّام من يَدِ النَّصَارَىٰ، وصَارَ النَّصَارَىٰ ذِمَّةً للمُسْلِمين.

فكانت مُدَّةُ النَّصَارَىٰ منذ رُفِعَ المَسيح إلى أن فُتِحَت مصر، وصَارَ النَّصَارَىٰ من القِبْط ذِمَّة للمُسْلِمين [b] منها مُدَّة كَوْنِهم تَحْت أيْدي الرُّوم يَقْتُلُونهم أَبْرَح قَتْلٍ بالصُّلْبِ والتَّحْريق بالنَّار والرَّجْم بالحِجارَة وتَقْطيع الأَعْضَاء [b] ومنها مُدَّة اسْتِيلائهم بتَنَصُّر المُلُوك [b].

---

a) كذا في النسخ، والصواب كما في تاريخ بطاركة الكنيسة: أندرونيقوس. b) بياض في الأصول.

---

[1] سعيد بن البطريق ٢: ٥-٧، ونشرة Breydy ١٢٧-١٣٠.

[2] ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة PO I (1907), pp. 484-86.

[3] *Ibid.*, pp. 487-518.

[4] *Ibid.*, pp. 493.

٤٩٢:٢

ذِكْرُ دُخُولِ النَّصارَىٰ من قِبْطِ مصر في طَاعَةِ المُسْلِمين وأدائِهم الجِزْيَة واتِّخاذِهم ذِمَّةً لهم، وما كان في ذلك من الحوادِث والأنْباء

اعْلَم أنَّ أرْضَ مصر، لمَّا دَخَلَها المُسْلِمُون، كانت بأجْمَعِها مَشْحُونَةً بالنَّصارَىٰ. وهم على قِسْمَيْنِ متبايِنَيْن في أجْناسِهم وعَقائِدِهم: أحَدُهُما: «أهْلُ الدَّوْلَة»، وكلُّهم رُوم من جُنْدِ صَاحِبِ القُسْطَنْطِينية مَلك الرُّوم، ورأيُهم ودِياناتُهم بأجْمعِهم «دِيانَةِ المَلْكِيَّة»، وكانت عِدَّتُهم تَزيدُ على ثلاث مائة ألف رُومي. والقِسْمُ الآخرُ «عامَّةُ أهْلِ مصر» ـ ويُقالُ لهم «القِبْطُ»[1] ـ وأنْسابُهم مُخْتَلِطَة، لا يَكادُ يَتَمَيَّزُ منهم القِبْطي من الحَبَشي من النُّوبي من الإسْرائيلي الأصْل من غَيْرِه، وكلّهم «يَعاقِبَة»: فمنهم كُتَّابُ المَمْلَكة، ومنهم التُّجّارُ والبَاعَةُ، ومنهم الأساقِفَةُ والقُسُوسُ ونحوهم، ومنهم أهْلُ الفِلاحَة والزَّرْع، ومنهم أهْلُ الخِدْمَة والمِهْنَة وبينهم وبين المَلْكِية أهْل الدَّوْلَة من العَداوَة ما يَمْنَع مُناكَحَتَهم، ويُوجِبُ قَتْلَ بَعضهم بَعْضًا، ويَبْلُغ عَدَدُهم عَشرات آلاف كثيرة جِدًّا، فإنَّهم في الحَقيقَة أهْلُ أرْضِ مصر أعْلاها وأسْفَلِها[2].

فلمَّا قَدِمَ عَمْرو بن العاص بجُيُوشِ المُسْلِمين معه إلى مصر، قاتَلَهم الرُّومُ حِمايةً لمُلْكِهم ودَفْعًا لهم عن بِلادِهم. فقَاتَلَهم المُسْلِمون، وغَلَبُوهم على الحِصْنِ كما تَقدَّم ذِكْرُه[3]. فطَلَبَ القِبْطُ من عَمْرو المُصالَحَة على الجِزْيَة، فصالَحَهم عليها، وأقَرَّهُم على ما بأيْديهم من الأراضي وغيرها، وصَارُوا معه عَوْنًا للمُسْلِمين على الرُّوم حتى هَزَمَهُم الله تعالى، وأخْرَجَهُم من أرْضِ مصر.

وكَتَبَ عَمْرو لِبِنْيامين بَطْرَك اليَعاقِبَة «أمانًا»، في سنة عشرين من الهجرة، فسَرَّه ذلك وقَدِمَ على عَمْرو، وجَلَسَ على كُرْسِي بَطْرَكيته بعدما غابَ عنه ثلاثَ عشرة سنة: منها في مُلْكِ فارِس لمصر عشر سنين، وباقيها بعد قُدُوم هِرَقْل إلى مصر. فغَلَبَت اليَعاقِبَةُ على كَنائِس مصر ودِياراتِها كلِّها، وانْفَرَدُوا بها دُونَ المَلْكِيَّة.

---

[1] راجع عن القِبْطِ ومَدْلُولِ المُصْطَلَح A.S. Atiya, *EI²* art. *al-Kibt* V, pp. 92-97; *The Coptic Encyclopedia* II, pp. 599-635.

[2] انظر فيما يلي ١٠٢٤.

[3] فيما تقدم ٢: ١٠-٢٤.

ويَذْكُرُ عُلَماءُ الأَخْبارِ من النَّصارَىٰ [١] : أنَّ أميرَ المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ لمَّا فَتَحَ مَدينَة القُدْس ، كَتَبَ للنَّصارَىٰ « أمانًا » على أنْفُسِهم وأوْلادِهِم ونِسائِهِم وأمْوالِهِم ، وجَميعِ كَنائِسِهم لا تُهْدَم ولا تُسْكَن ، وأنَّه جَلَسَ في وَسَطِ صَحْنِ كَنيسَة القُمامَة ، فلمَّا حانَ وَقْتُ الصَّلاةِ خَرَجَ وصَلَّى خارِجَ الكَنيسَة على الدَّرَجَة التي على بابِها بمُفْرَدِه ، ثم جَلَسَ وقال للبَطْرَك : لو صَلَّيْتُ داخِلَ الكَنيسَة لأَخَذَها المُسْلِمُون من بَعْدي ، وقالُوا : « هاهُنا صَلَّى عُمَر » . وكَتَبَ كِتابًا يَتَضَمَّن أنَّه لا يُصَلِّي أحَدٌ من المُسْلِمين على الدَّرَجَة إلَّا واحِدٌ واحِدٌ ، ولا يَجْتَمِع المُسْلِمُون بها للصَّلاة فيها ، ولا يُؤَذِّنُون عليها ، وأنَّه أشارَ عليه البَطْرَك باتِّخاذِ مَوْضِعِ الصَّخْرَة مَسْجِدًا ـ وكان فَوْقَها تُرابٌ كثير ـ فتَناوَلَ عُمَر ـ رضي الله عنه ـ من التُّرابِ في ثَوْبِه ، فبادَرَ المُسْلِمُون لرَفْعِه حتى لم يَبْقَ منه شيءٌ ، وعَمَّرَ المَسْجِدَ الأقْصَىٰ أمامَ الصَّخْرَة [٢] . فلمَّا كانت أيَّامُ عبد الملك ابن مَرْوان ، أدْخَلَ الصَّخْرَة في حَرَمِ الأقْصَى ، وذلك سنة خمسٍ وستين من الهجرة [٣] .

ثم إنَّ عُمَر ـ رضي الله عنه ـ أتَى بَيْتَ لَحْم ، وصَلَّى في كَنيسَتِه عند الحَنِيَّة[a] التي وُلِدَ فيها المَسيحُ ، وكَتَبَ سِجِلًّا بأيْدِي النَّصارَىٰ أنْ لا يُصَلِّي في هذا المَوْضِع أحَدٌ من المُسْلِمين إلَّا رَجُلٌ بعد رَجُلٍ ، ولا يَجْتَمِعُوا فيه للصَّلاةِ ، ولا يُؤَذِّنُوا عليه [٤] .

ولمَّا ماتَ البَطْرَكُ بِنْيامين في سنة تسعٍ وثلاثين من الهجرة بالإسْكَنْدَرية ، في إمارَةِ عَمْرو الثَّانية ، قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ بَعْده أغاثو[b]، فأقامَ سبع عشرة سنة ، وماتَ سنة ستٍّ وخمسين [٥] . وهو الذي بَنَى كَنيسَة مُرْقُص بالإسْكَنْدَرية ، فلم تَزَلْ إلى أن هُدِمَت في سَلْطَنَةِ الملك العادِلِ أبي بَكْر ابن أيُّوب . وكان في أيَّامِه الغَلاءُ مُدَّةَ ثلاثِ سنين ، وكان يَهْتَمّ بالضُّعَفاء .

---

a) بولاق : الخشبة . b) كذا في النسخ ، وعند ساويرس بن المقفع : أغاتون .

---

[١] يَقْصِدُ بذلك سَعيد بن البَطْريق (أوتيخيوس) والمكين جرجس بن العميد اللذين أوْرَدا نَصَّ الأمانِ الذي أعْطاهُ الخَليفَةُ عُمَر بن الخَطَّاب لصَفْرونْيُوس بَطْرَك بَيْتِ المَقْدِس ، والذي قَدَّمَ المقريزي هنا مُلَخَّصًا لمحتواه . (وفيما يلي ١٠٥٨) .

[٢] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٢ : ١٧-١٨ ، وفيه : «وهي الصَّخْرَةُ التي كَلَّمَ الله يَعْقُوبَ عليها ، وسَمَّاها يَعْقُوبُ «بابَ السَّماء» وسَمَّاه بنو إسْرائيل «قُدْس الأقْداس» ؛ المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ٢٨-٢٩ .

[٣] نفسه ٢ : ٣٩ ؛ نفسه ٥٨ .

[٤] نفسه ٢ : ١٨ ؛ نفسه ٢٨-٢٩ .

[٥] ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة **PO V** (1910), pp. 3-10 .

فأُقيمَ بعده إيسَاك ـ وكان يَعْقُوبيًّا ـ فأقامَ سنتين وأحَد عشر شهرًا ومات [١] . فقدَّمَ اليَعاقِبَةُ بعدَه سِيمُون السُّرْياني ، فأقامَ سبعَ سنين ونصفًا وماتَ [٢] . وفي أيَّامِه قَدِمَ رَسُولُ أهْلِ الهِنْد في طَلَبِ أُسْقُفٍ يُقيمُه لهم ، فامْتَنَعَ من ذلك حتى يأْذَن له السُّلْطانُ [٣] ، وأقامَ غيره ، وخَلا بعد مَوْتِه كُرْسي الإسْكَنْدَرية ثلاثَ سنين بغير بَطْرَك .

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ في سنة إحدى وثمانين الإسْكَنْدَرُوس ، فأقامَ أرْبعًا وعشرين سنة ونِصْفًا ـ وقيل خَمْسًا وعشرين سنة ـ وماتَ سنة ستٍّ ومائة [٤] . ومَرَّت به شَدائِدُ صُودِرَ فيها مَرَّتين ، أُخِذَ منه فيهما ستة آلاف دِينار . وفي أيَّامِه أُمِّر عبدُ العزيز بن مَرْوان ، فأَمَرَ بإخْصاءِ الرُّهْبانِ فأُخْصُوا ، وأُخِذَت منهم الجِزْيَةُ عن كلِّ راهِبٍ دينار . وهي أوَّلُ جِزْيَةٍ أُخِذَت من الرُّهْبان [٥] .

ولمَّا وَلِي مصر عبدُ الله بن عبد الملك بن مَرْوان ، اشْتَدَّ على النَّصَارَىٰ ، واقْتَدَى به قُرَّة ابن شَرِيك أيضًا في وِلايَتِه على مصر ، وأنْزَلَ بالنَّصَارَىٰ شَدائِدَ لم يُبْتَلوا قَبْلَها بمِثْلِها [٦] . وكان عبدُ الله ابن الحَبْحَاب ، مُتَوَلِّي الخَراج ، قد زادَ على القِبْطِ قِيراطًا في كلِّ دينار . فانْتَقَض عليه عامَّةُ الحَوْف الشَّرْقي من القِبْط ، فحارَبَهم المسلمون ، وقَتَلُوا منهم عِدَّةً وافِرةً في سنة سبعٍ ومائةٍ [٧] .

واشْتَدَّ أيضًا أُسَامَة بن زَيْد التَّنُوخي مُتَوَلِّي الخَراج على النَّصَارَىٰ ، وأوْقَعَ بهم ، وأخَذَ أمْوالَهُم ، ووَسَم أيْدِي الرُّهْبان بحَلْقَةِ حَديدٍ فيها اسْمُ الرَّاهِب واسْمُ دَيْرِه وتاريخُه . فكلُّ من وَجَدَه بغَيْر وَسْمٍ قَطَعَ يَدَه ، وكتَبَ إلى الأعْمالِ / بأنَّ من وُجِدَ من النَّصَارَىٰ ، وليس معه مَنْشُورٌ ، أن يُؤْخَذ ٤٩٣:٢
منه عشرة دنانير . ثم كَبَسَ الدِّيارات ، وقَبَضَ على عِدَّةٍ من الرُّهْبانِ بغير وَسْم ، فضَرَبَ أعْناقَ بعضِهم ، وضَرَبَ باقِيهم حتَّى ماتُوا تَحْتَ الضَّرْب [٨] . ثم هُدِمَت الكَنائِسُ ، وكُسِرَتِ الصُّلْبانُ ،

---

[١] ساويرس بن المقفع .op.cit., pp. 21-26

[٢] .Ibid., pp. 27-48

[٣] .Ibid., pp. 36-37؛ المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ٦٧–٦٨ (مصدر المقريزي) .

[٤] Ibid., pp. 50-83؛ نفسه ٦٨ .

[٥] Ibid., pp. 51-52, 56-60 (وصُحِّفَ النَّصُّ فيه فصار «فأخْصَى جميع الرُّهبان» بَدَلَ : فأحْصَى بالحاء المهملة) ؛ نفسه ٦٨– ٦٩ .

وانظر حَوْلَ الجِزْيَة ، فيما تقدم ١:٢٠٧–٢٠٨، ٢٨٨–٢٨٩؛ وأضِف إلى ما ذُكِرَ هناك مقال يوسف راغب Ragib, Y., «Sauf-Conduits d'Egypte omayyade et abbasside», *An.Isl.* XXXI (1997), pp. 143-68، الذي أوْرَدَ فيه من خلال أوْراق البَرْدي صُوَرًا لبعض تصاريح الأمان أو جوازات المرور التي كانت تُمْنَح لدافعي الجِزْيَة في العَصْرَيْن الأُمَوي والعَبَّاسي .

[٦] Ibid., p. 64؛ نفسه ٦٩؛ وراجع مناقشة حقيقة ما يُثار حول فترة وِلاية قُرَّة بن شَرِيك من خلال أوراق البَرْدي ، فيما تقدم ٢:٤٩هـ [٥] .

[٧] الكندي : ولاة مصر ٩٥؛ وفيما تقدم ١:٢١٢–٢١٣ .

[٨] المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ٦٩ .

ومُحِيَت التَّماثيلُ، وكُسِرَت الأصْنامُ بأجْمَعِها ـ وكانت كثيرَة ـ في سنة أربعٍ ومائةٍ، والخَليفَةُ يومئذٍ يَزيدُ بن عبد الملك[1].

فلمَّا قامَ هِشَامُ بن عبد الملك في الخِلافَة، كَتَبَ إلى مصر بأنْ يَجْرِي النَّصَارَىٰ على عَوايِدِهم وما بأيْدِيهم من العَهْد. فقَدِمَ حَنْظَلَةُ بن صَفْوان أميرًا على مصر في وِلايَتِه الثانية، فتَشَدَّدَ على النَّصَارَىٰ، وزادَ في الخَراج، وأحْصَى النَّاسَ والبَهائِم، وجَعَلَ على كلِّ نَصْراني وَسْمًا صُورَة أسَد، وتَتَبَّعهم فمَنْ وَجَدَه بغير وَسْمٍ قَطَع يَدَه[2].

ثم أقامَ اليَعاقِبَةُ بعد مَوْتِ الإسْكَنْدَروس بَطْرَكًا اسْمه قَسيمَا، فأقامَ خمسة عشر شَهْرًا وماتَ، فقَدَّمُوا بعده تاذُرُس في سنة تسعٍ ومائةٍ، وماتَ بعد إحدى عشرة سنة. وفي أيَّامِه أُحْدِثَت كَنيسَةُ بُومِنا[a] بخُطِّ الحَمْراء، ظَاهِر مَدينَة مصر، في سنة سبع عشرة ومائةٍ، فقامَ جَماعَةٌ من المُسْلِمين على الوَليد بن رِفاعَة أمير مصر بسَبَبِها[3].

وفي سنة عشرين ومائةٍ، قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ مِيخائيل بَطْرَكًا، فأقامَ ثلاثًا وعشرين سنة وماتَ. وفي أيَّامِه انْتَقَضَ القِبْطُ بالصَّعيد، وحارَبُوا العُمَّال في سنة إحدى وعشرين، فحُورِبُوا، وقُتِلَ كثيرٌ منهم. ثم خَرَجَ يُحَنِّس بسَمَنُّود وحارَبَ، وقُتِلَ في الحَرْب، وقُتِلَ معه قِبْطٌ كثيرٌ في سنة اثنتين وثلاثين وماتَ. ثم خالَفَت القِبْطُ برَشيد، فبَعَثَ إليهم مَرْوانُ بن محمد، لمَّا قَدِمَ مصر، وهَزَمَهُم[4].

وقَبَضَ عبدُ الملك بن مُوسَىٰ بن نُصَيْر أمير مصر على البَطْرَك مِيخائِيل، فاعْتَقَلَه وألْزَمَه بمالٍ، فسَارَ بأساقِفَةٍ في أعْمالِ مصر يَسْأَل أهْلَها، فوَجَدَهُم في شَدائِدَ، فعَادَ إلى الفُسْطاط ودَفَعَ إلى عبد الملك ما حَصَلَ له، فأفْرَجَ عنه. فنَزَلَ به بَلاءٌ كبيرٌ من مَرْوان، وبَطَشَ به وبالنَّصَارَىٰ، وأحْرَقَ مصر وغَلَّاتِها. وأَسَرَ عِدَّةً من النِّساءِ المُتَرَهِّبات ببَعْضِ الدِّيارات، وراوَدَ واحِدَةً منهم عن نَفْسِها، فاحْتالَت عليه، ودَفَعَتْه عنها بأنْ رَغَّبَتْه في دُهْنٍ معها إذا ادَّهَن به الإنْسانُ لا يَعْمَل فيه

a) بولاق: بوقنا.

[1] المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٧٠؛ وقارن مع ساويرس بن المقفع *Ibid.*, pp. 67-72.

[2] نفسه ٧٠.

[3] الكندي: ولاة مصر ٩٩-١٠٠؛ وفيما يلي ١٠٦٣.

[4] نفسه ١٠٣، ١١٦، ١١٨؛ وفيما تقدم ١: ٢١٣.

السِّلاح ، وأَوْثَقَتْه بأن مَكَّنَتْه من التَّجْرِبَة في نَفْسِها ، فتمَّت حِيلَتُها عليه ، وأَخْرَجَت زَيْتًا ادَّهَنَت به ، ثم مَدَّت عُنُقَها ، فضَرَبَها بسَيْفِه أطارَ رأْسَها . فعَلِمَ أنَّها اخْتارَت المَوْتَ على الزِّنَا .

وما زالَ البَطْرَكُ والنَّصارَىٰ في الحَديد مع مَرْوان ، إلى أن قُتِلَ ببُوصير ، فأُفْرِجَ عنهم .

وأمَّا « المَلَكِيَّة » فإنَّ مَلِكَ الرُّوم لاون ، أقامَ قَسِيمًا بَطْرَكَ المَلَكِيَّة بالإسْكَنْدَرِية في سنة سبعٍ ومائةٍ ، فمَضَى ومعه هَدِيَّة إلى هِشَام بن عبد الملك . فكَتَبَ له بِرَدِّ كَنائِس المَلَكِيَّة إليهم ، فأخَذَ من اليَعاقِبَة كَنيسَةَ البِشارَة . وكان المَلَكِيَّةُ أقامُوا سَبْعًا وسبعين سنة بغَيْرِ بَطْرَكٍ في مصر ، من عَهْدِ عُمَر ابن الخَطَّاب - رضِي الله عنه - إلى خِلافَة هِشَام بن عبد الملك ، فغَلَبَ اليَعاقِبَةُ في هذه المُدَّة على جَميعِ كَنائِس مصر ، وأقامُوا بها منهم أَساقِفَة . وبَعَثَ إليهم أَهْلُ بِلادِ النُّوبَة في طَلَبِ أَساقِفَة ، فبَعَثُوا إليهم من أَساقِفَة اليَعاقِبَة ، فصارَت النُّوبَةُ من ذلك العَهْدِ يَعاقِبَة [1] .

ثم لمَّا ماتَ مِيخائِيل ، قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ في سنة ستٍّ وأربعين ومائةٍ أَنْبا مَشْنَا ، فأقامَ سَبْعَ سنين وماتَ . وفي أيَّامه خَرَجَ القِبْطُ بناحِيَة سَخَا ، وأَخْرَجُوا العُمَّالَ في سنة خمسين ومائةٍ ، وصَارُوا في جَمْعٍ . فبَعَثَ إليهم يَزِيدُ بن حَاتِم بن قَبِيصَة أميرُ مصر عَسْكَرًا ، فأتاهُم القِبْطُ لَيْلًا ، وقَتَلُوا عِدَّةً من المُسْلِمين ، وهَزَمُوا باقيهم [2] .

فاشْتَدَّ البَلاءُ على النَّصارَىٰ ، واحْتاجُوا إلى أَكْلِ الجِيَف ، وهُدِمَت الكَنائِسُ المُحْدَثَة بمصر ، فهُدِمَت كَنيسَةُ مَرْيَم المجاوِرَة لأبي شِنُودَةَ بمصر ، وهُدِمَت كَنائِسُ مَحَارِس قُسْطَنْطين . فبَذَلَ النَّصارَىٰ لسُلَيْمان بن علي أمير مصر في تَرْكِها خمسين ألف دينار ، فأَبَى . فلمَّا وَلي بَعده مُوسَىٰ ابن عِيسَىٰ ، أَذِنَ لهم في بِنائِها ، فبُنِيَت كلُّها بمَشُورَة اللَّيْث بن سَعْد وعبد الله بن لَهِيعَة قاضي مصر ، واحْتَجَّا بأنَّ بِناءَها من عِمارَة البِلاد ، وبأنَّ الكَنائِسَ التي بمصر لم تُبْنَ إلَّا في الإسْلام في زَمَنِ الصَّحابَةِ والتَّابِعين [3] .

فلمَّا ماتَ أَنْبا مَشْنَا ، قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ بعده يُوحَنَّا ، فأقامَ ثلاثًا وعشرين سنة وماتَ . وفي أيَّامه خَرَجَ القِبْطُ ببَلْهِيب سنة ستٍّ وخمسين ، فبَعَثَ إليهم مُوسَىٰ بن عُلَيٍّ أمير مصر ، وهَزَمَهُم [4] .

---

[1] ابن البطريق ، التاريخ المجموع ٢: ٤٥- ٤٦ ، المكين ابن العميد : تاريخ المسلمين ٨٣- ٨٤.

[2] الكندي : ولاة مصر ١٣٧- ١٣٨؛ وفيما تقدم ١: ٢١٣.

[3] الكندي : ولاة مصر ١٥٦؛ وفيما يلي ١٠٦٣.

[4] نفسه ١٤١؛ وفيما تقدم ١: ٢١٣.

وقَدَّمَ بعده اليعاقِبَةُ مُرْقُص الجَديد، فأقامَ عشرين سنةٍ وسبعين يومًا ومات. وفي أيّامه كانت الفِتْنَةُ بين الأمين والمأمون، فانْتُهِبَت النَّصارَى بالإسْكَنْدَرية، وأُحْرِقَت لهم مَواضِعُ عَدِيدة، وحُرِّقَت دِياراتُ وادي هُبَيْب ونُهِبَت، فلم يَبْقَ بها من رُهْبانها إلّا نَفَرٌ قَليل. وفي أيّامِه مَضَى بَطْرَكُ المَلْكِيَّة إلى بَغْداد، وعالَجَ بَعْضَ حَظايا أهْلِ الخَليفَة، فإنّه كان حاذِقًا بالطِّب، فلمّا عُوفِيَت كَتَبَ له بَرَدِّ كَنائِس المَلْكِيَّة التي تَغَلَّبَ عليها اليَعاقِبَةُ بمصر، فاسْتَرَدَّها منهم، وأقامَ في بَطْرَكِيَّة المَلْكِيَّة أربعين سنة ومات[1].

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ بعد مُرْقُص يَعْقُوب، في سنة إحدى عشرة ومائتين، فأقامَ عَشْرَ سنين وثمانية أشهر وماتَ. وفي أيّامِه / عُمِّرَت الدِّياراتُ، وعادَ الرُّهْبانُ إليها، وعُمِّرَت كَنيسَةٌ بالقُدْسِ لمن يَرِد ٤:٢
من نَصارَى مصر، وقَدِمَ عليه دِيُونُوسْيس بَطْرَك أنْطاكِية، فأكْرَمَه حتّى عادَ إلى كُرْسيه[2].

وفي أيّامِه انْتَقَضَ القِبْطُ في سنة ستّ عشرة ومائتين. فأوْقَعَ بهم الأفْشِين حتى نَزَلُوا على حُكْمِ أمير المُؤْمنين عبد الله المأْمُون، فحَكَمَ فيهم بقَتْلِ الرِّجال، وبَيْع النِّساء والذُّرِّيَّة، فبِيعُوا وسُبي أكثَرُهم[3].

ومن حينئذٍ ذَلَّت القِبْطُ في جَميعِ أرْضِ مصر، ولم يَقْدِر أحَدٌ منهم بعد ذلك على الخُرُوجِ على السُّلْطانِ، وغَلَبَهم المُسْلِمون على عامَّة القُرَىٰ؛ فرَجَعُوا من المُحارَبَة إلى المكايَدَة، واسْتِعْمالِ المَكْر والحيلَة ومُكايَدَة المُسْلِمين، وعَمِلُوا كُتّاب الخَراج، فكانت لهم وللمسلمين أخْبارٌ كثيرةٌ يأتي ذِكْرها إنْ شاء الله تعالى[4].

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ سِيماوِن بَطْرَكًا في سنة اثنين وعشرين ومائتين، فأقامَ سنةً ومات ـ وقيل بل أقامَ سبعة أشهر وستّة عشر يومًا ـ فخَلا كُرْسي البَطارِكَة بعده سنةً وسبعة وعشرين يومًا[5].

وقَدَّمَ اليَعاقِبَةُ يُوسَاب في دَيْر بومَقَّار بوادي هُبَيْب، في سنة سبعٍ وعشرين ومائتين، فأقامَ ثماني عشرة سنة ومات. وفي أيّامِه قَدِمَ مصر يَعْقُوب مُطْران الحَبَشَة، وقد نَفَتْه زَوْجَةُ مَلِكِهم وأقامَت عِوَضَه أُسْقُفًا، فبَعَثَ مَلِكُ الحَبَشَة يَطْلُب إعادَتَه من البَطْرك، فبَعَثَ به إليه، وبَعَثَ أيضًا

---

[1] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٢: ٥١- ٥٢، وفيه أنّها حَظِيَّةٌ من أهل اليمن كانت للخليفة هارون الرَّشيد؛ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ١٢٣.

[2] المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ١٤٠.

[3] الكندي: ولاة مصر ٢١٥، ٢١٦؛ وفيما تقدم ١: ٢١٣.

[4] فيما تقدم ١: ٢١٤.

[5] المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ١٤٤.

عِدَّةَ أساقِفَة إلى إفْريقية . وفي أيَّامه مات بَطْرَكُ أنْطاكِية الوَارِد إلى مصر في السنة الخامسة عشرة من بَطْرَكِيَّته [١].

وفي أيَّامِه أَمَرَ المُتَوَكِّلُ على الله ، في سنة خَمْسٍ وثلاثين ومائتين ، أهْلَ الذِّمَّة بلِبْس الطَّيالِسَة العَسَلِيَّة وشَدّ الزَّنانير ، ورُكوب السُّرُوج بالرُّكُب الخَشَب ، وعَمَل كُرَتَيْن في مُؤَخَّر السُّرُج ، وعَمَلِ رُقْعَتَيْن على لِباسِ رِجالِهم تُخالِفان لَوْن الثَّوْب ، قَدْرُ كلِّ واحدة منهما أرْبَع أصَابع ، ولَوْن كلِّ واحِدَة منهما غير لَوْن الأُخرى ، ومن خَرَج من نِسائِهم تَلْبَس إزارًا عَسَلِيًّا ، ومَنَعُهم من لِباسِ المناطِق ، وأَمَرَ بهَدْمِ بِيَعِهم المُحْدَثَة ، وبأخْذِ العُشْرِ من مَنازِلِهم ، وأن يَجْعَلَ على أبْوابِ دُورِهم صُوَرَ شَياطين من خَشَب . ونَهَى أن يُسْتَعانَ بهم في أعْمالِ السُّلْطانِ ولا يُعَلِّمهم مُسْلِم ، ونَهَى أن يُظْهِرُوا في شَعانِينهم صَليبًا ، وأن لا يُشْعِلُوا في الطَّرِيقِ نارًا [a]، وأَمَرَ بتَسْوِية قُبُورِهم مع الأرْض ، وكَتَبَ بذلك إلى الآفاق [٢].

ثم أَمَرَ في سنة تسعٍ وثلاثين أهْلَ الذِّمَّة بلِبْسِ دُرَّاعَتَيْن عَسَلِيَّتَيْن على الدَّراريع والأَقْبِيَة ، وبالاقْتِصَار في مَراكِبهم على رُكُوبِ البِغَالِ والحَمير دون الخَيْل والبَرَاذين [٣].

فلمَّا ماتَ يُوسَاب ، في سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، خَلا الكُرْسي بعده ثلاثين يومًا . وقَدَّمَ اليَعاقِبَةُ قِسِّيسًا بدَيْر يُحَنِّس ، يُدْعَى بِميكائيل ، في البَطْرَكِيَّة . فأقامَ سنةً وخمسة أشهر ، وماتَ فدُفِنَ بدَيْر بومَقَّار ، وهو أوَّل بَطْرَك دُفِنَ فيه ، فخَلا الكُرْسي بعده أحَدًا وثمانين يومًا [٤].

---

a) كذا في النُّسَخ ، وعند الطبري : أن يَشْتَعِلُوا في الطريق أي يُشرعوا .

---

[١] المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ١٤٤- ١٤٥.

[٢] الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٩: ١٧١- ١٧٢.

[٣] نفسه ٩: ١٩٦؛ وانظر كذلك أبا المكارم : تاريخ ٦٤ (أبا صالح : تاريخ ٦٦)؛ ابن قيِّم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، تحقيق صبحي الصالح ، دمشق ١٩٦١، ٢١٩- ٢٢٤؛ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٢: ٦٣؛ جان موريس فييه : أحوال النَّصارَىٰ في خِلافَة بني العَبَّاس ، بيروت - دار المشرق ١٩٩٠، ١٣٩- ١٤٢؛ وراجع ما كتبه تريتون Tritton حول ملابس أهل الذِّمَّة في كتابه : أهل الذِّمَّة في الإسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٧، ١٢٧- ١٤١.

[٤] المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ١٥١- ١٥٢؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/١:١- ٢ واسمه فيه : خايال البطْرك .

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ في سنة أربعٍ وأربعين ومائتين شَمَّاسًا بدَيْر بُومَقَّار، اسْمه قَسيمَا، فأقامَ في البَطْرَكِيَّة سَبْعَ سنين وخمسة أشهر وماتَ. فخَلَا الكُرْسي بعده أحدًا وخمسين يومًا [1]. وفي أيَّامِه أَمرَ تُوفيل بن مِيخائيل، ملك الرُّوم، بمَحْو الصُّوَرِ من الكَنائِس، وأن لا تَبْقَى صُورَةٌ في كَنيسَةٍ. وكان سَبَبُ ذلك أنَّه بَلَغه عن قَيِّم كنيسَة أنَّه عَمِلَ في صُورَة مَرْيَمَ - عليها السَّلام - شِبْه ثَدْي يَخْرُج منه لَبَن يَنْقُط في يوْمِ عيدها. فكَشَفَ عن ذلك، فإذا هو مَصْنُوعٌ ليأخُذ به القَيِّمُ المال، فضَرَبَ عُنُقَه، وأبْطَلَ الصُّوَرَ من الكَنائِس، فبَعَثَ إليه قَسيمَا [2]، بَطْرَك اليَعاقِبَة، وناظَرَه حتى سَمَحَ بإعادَة الصُّوَر على ما كانت عليه [3].

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ سَاتِير[a] بَطْرَكًا، فأقامَ تسع عشرة سنة وماتَ [4].

فأُقيمَ يُوسانِيُوس في أوَّلِ خِلافَة المُعْتَزّ، فأقامَ إحدى عشرة سنة ومات، وعَمِلَ في بَطْرَكِيَّته مَجارِي تَحْتَ الأرْض بالإسْكَنْدَرية يَجْرِي بها الماءُ من الخَليج إلى البُيُوت. وفي أيَّامِه قَدِمَ أحمد ابن طُولُون مصر أميرًا عليها [5].

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ مِيخائِيل، فأقامَ خَمْسًا وعشرين سنةً، وماتَ بعدما أَلْزَمَه أحمدُ بن طُولُون بحَمْلِ عشرين ألف دينار، باعَ فيها رِباعَ الكَنائِس المَوْقُوفَة عليها، وأرْضَ الحَبَش ظاهِر فُسْطاط مصر، وباعَ الكَنيسَةَ بجوار المُعَلَّقَة من قَصْرِ الشَّمْع لليَهُود [6]، وقَرَّرَ «الدِّيارِيَّة» على كُلِّ نَصْراني قِيراطًا في السَّنَة [7]، فقامَ بنصف المُقَرَّر عليه. وفي أيَّامِه قُتِلَ الأمير أبو الجَيْش خُمارَوَيْه بن أحمد ابن

---

a) كذا في النُّسَخ، وفي المصادر النصرانية: سانيتو، سانوتيوس.

---

[1] ابن العميد ١٥٢؛ ساويرس ٢/١:٢-١٢.

[2] عند ابن البطريق وابن العميد: صفرونيوس.

[3] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٢:٦٣-٦٤؛ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ١٥٢-١٥٣.

[4] المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ١٥٩؛ ساويرس: تاريخ البطاركة ٢/٢: ٧٠.

[5] نفسه ١٦١.

[6] المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٢١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣١٧. وهي الكنيسة المعروفة بـ«كَنيسَة الشَّاميين» والتي تُعْرَف الآن بـ«مَعْبَد بن عِزْرَة». (فيما تقدم ٩٤٠).

[7] الدِّيارِيَّة. هي الصَّدَقَاتُ التي كان النَّصارَى يَدْفَعُونها كُلَّ عام إلى الأساقِفة أو الأدْيِرَة، ثم يَتَوَلَّى البَطْرَكُ جَمْعَها من كلِّ أسْقُفٍ. واشْتَقَّت الدِّيارِيَّةُ في جميع كراسي مصر على كُلِّ نَسَمَة من الرِّجالِ والنِّساءِ قيراطُ ذَهَبٍ في السَّنَة، وصَارَ الأساقِفَةُ يأخُذُون ذلك فيقتاتُون به ويدفعوا منه «الدِّيارِيَّة» للبَطْرَك في كُلِّ سنةٍ، وهي جملة دنانير على كلِّ واحِدٍ على قَدْرِ كرسيه. (ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ١: ٢٥، ٢/٢:٧٩).

طُولُون ؛ فلمَّا ماتَ شَغَر كُرسِي الإسْكَنْدَرية بعده من البَطارِكَة أَرْبَعَ عشرة سنة [١].

وفي يوم الاثنين ثالِث شَوّال سنة ثلاث مائةٍ أُحرِقَت الكَنيسَةُ الكُبْرَىٰ المعروفة بالقِيامَة[a] في الإسْكَنْدَرية ، وهي التي كانت هَيكَل زُحَل ، وكانت من بِناءِ كَلاوْبَطْرَة[b] [٢].

وفي سنة إحدى وثلاث مائةٍ قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ غُبْرِيال بَطْرَكًا ، فأقامَ إحدى عشرة سنة ومات ، وأُخِذَت في أيَّامه « الدِّيارية » على الرِّجالِ والنِّساءِ [٣].

وقَدَّمَ بَعْدَه اليَعاقِبَةُ في سنة إحدى عشرة وثلاث مائةٍ قَسِيما ، فأقامَ اثنتي عشرة سنة وماتَ [٤].

وفي يوم السبت النِّصْف من شهر رَجَب سنة اثنتي عشرة[c] وثلاث مائة ، أَحْرَقَ المُسْلِمُون كَنيسَة مَرْيَم بدِمَشْق ، ونَهَبُوا ما فيها من الآلات والأواني ، وقِيمَتُها كثيرةٌ جدًّا ، ونَهَبُوا دَيْرًا للنِّساء بجوارها ، وشَعَّثُوا كَنائِسَ النَّسْطُورية واليَعْقُوبِيَّة [٥].

وفي سنة ثلاث عشرة وثلاث مائةٍ ، قَدِمَ / الوَزيرُ علي بن عِيسَىٰ بن الجَرّاح إلى مصر . فكَشَفَ البَلَد [٦] ، وأَلْزَمَ الأساقِفَة والرُّهْبان وضُعَفاءَ النَّصارَىٰ بأداءِ الجِزْيَة ، فأدَّوها ، ومَضَى طائِفَةٌ منهم إلى بَغْداد ، واسْتَغاثُوا بالمُقْتَدِر بالله . فكَتَبَ إلى مصر بأن لا يُؤْخَذ من الأساقِفَة والرُّهْبان والضُّعَفاء جِزْيَةٌ ، وأن يَجْرُوا على العَهْدِ الذي بأيْديهم [٧]. ٤٩٥

وفي سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مائةٍ ، قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ بَطْرَكًا اسْمُه [c]، فأقامَ عشرين سنة ومات . وفي أيَّامه ثارَ المُسْلِمُون بالقُدْسِ سنة خمسٍ وعشرين وثلاث مائةٍ ، وحَرَقُوا كَنيسَة القِيامَة ونَهَبُوها ، وخَرَّبُوا منها ما قَدَرُوا عليه [٨].

---

a) عند ابن البطريق : التي كانت تسمى القيسارية؟ b) بولاق : كلابطره . c) بياض في النسخ ، وفي تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٢:٨٢ أنّ اسمه مقاره الراهب .

---

[١] المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ١٧٦؛ ساويرس ابن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٢:٧٠- ٧١.

[٢] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٢: ٧٩؛ المكين ابن العميد : تاريخ المسلمين ١٩٦.

[٣] ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ٢:٧٨- ٨٠.

[٤] نفسه ٢/٢:٨٠- ٨٢؛ المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ١٩٦.

[٥] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٢: ٨٣؛ المكين ابن العميد : تاريخ المسلمين ١٩٦.

[٦] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ٢١٣.

[٧] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٢: ٨٣؛ المكين ابن العميد : تاريخ المسلمين ٩١ .

[٨] نفسه ٢: ٨٧. (وهو آخر ما وَصَلَ إلينا من تاريخ =

وفي يوم الاثنين آخر شَهْر رَجَب سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مائةٍ ماتَ سَعيدُ بنُ بَطْريق، بَطْرَك الإسْكَنْدَرية على المَلَكِيَّة، بعدما أقامَ في البَطْرَكِيَّة سَبْعَ سنين ونصفًا، في شُرورٍ مُتَّصِلَة مع طائِفَته. فبَعَثَ الأميرُ أبو بكر محمد بن طُغْج الإخْشيد أبا الحسين[1] من قُوَّادِه في طائِفَةٍ من الجُنْد، إلى مَدينَةِ تِنِّيس حتى خَتَمَ على كَنائِس المَلَكِيَّة، وأحْضَرَ آلاتِها إلى الفُسْطاط - وكانت كثيرةً جدًّا - فافْتَكَّها الأسْقُفُ بخمسة آلاف دينار، باعُوا فيها من وَقْفِ الكَنائِس[2]، ثم صَالَح طائِفَته، وكان فاضِلًا وله تاريخٌ مُفيد[3].

وثارَ المُسْلمون أيضًا بمَدينَة عَسْقَلان، وهَدَمُوا كَنيسَة مَرْيَم الخَضْرَاء، ونَهَبُوا ما فيها، وأعانَهم اليَهُودُ حتى أحْرَقُوها ففَرَّ أسْقُفُ عَسْقَلان إلى الرَّمْلَة، وأقامَ بها حتى مات[4].

وقَدَّمَ اليَعاقِبَةُ في سنة خمسٍ وأربعين وثلاث مائةٍ تاوفانْيوس بَطْرَكًا، فأقامَ أرْبَعَ سنين وستة أشهر ومات. فأُقيمَ بعده مِينَا، فأقامَ إحدى عشرة سنة ومات. فخَلا الكُرْسي بعده سنةً[5].

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ أفْراهام بن زُرْعَة في سنة ستٍّ وستين وثلاث مائةٍ، فأقامَ ثلاث سنين وستة أشهر، ومات مَسْمُومًا من بَعْض كُتَّابِ النَّصارَىٰ، وسَبَبه أنَّه مَنَعه من التَّسَرِّي[6].

فخَلا الكُرْسي بعده ستة أشهر. وأُقيمَ فيلاتاوُس في سنة تسعٍ وستين، فأقامَ أرْبعًا وعشرين سنة ومات، وكان مُتْرَفًا[7]. وفي أيَّامِه أخَذَت المَلَكِيَّة كَنيسَة السَّيِّدَة - المعروفَة بكَنيسَة البَطْرَك -

= سعيد بن البطريق)؛ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٠٨.

[1] ويُعْرَف بابن الأحْوَل. (يحيى بن سعيد: تاريخ ٢٥).

[2] المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٠٨-٢٠٩؛ يحيى بن سعيد: تاريخ ٢٣-٢٤؛ وسعيدُ بنُ البَطْريق المعروف بـأوتيخيوس Eutychiès (٢٦٣-٣٢٨هـ/٨٧٧-٩٤٠م) هو بَطْرَكُ الإسْكَنْدَرية المَلَكاني بين سنتي ٣٢١-٣٢٨هـ/٩٣٣-٩٤٠م، ومُؤلِّفُ العديد من الكتب الطِّبِّيَّة والتاريخية وأحَدُ أبْرَزِ الوُجوه في الأدَبِ الملكاني في عصره. (راجع، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢: ٨٦-٨٧؛ Franqoise Micheau, *EI* [2] art. *Sa'īd b al-Bitrik* VIII, pp. 883-85; Aziz S. Atiya, *CE* art. *Ibn al-Bitriq* IV, pp. 1265-66).

[3] هو التاريخ المعروف بـ «كتاب التاريخ المجموع على التَّحْقيق والتَّصْديق»، الذي نَشَره لويس شيخو اليسوعي وكارا دي فو وحبيب الزَّيَّات بعنوان *Eutychii Patriarchae Alexandrini Annales*, CSCO 7 Paris 1905-9، والذي وَجَدَ له Breydy نَصًّا آخر مخالفًا في مكتبة دَيْر سانت كاترين يُظَنُّ أنَّه التأليفُ الأوَّل للكتاب، نَشَره سنة ١٩٨٧ (انظر المقدمة).

[4] يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي ٢٨؛ المكين ابن العميد: تاريخ المسلمين ٢٠٩.

[5] المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٢٩، ٢٣٠؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٢: ٨٣-٨٤.

[6] نفسه ١٤٦؛ نفسه ٢/٢: ٩١-١٠٠.

[7] نفسه ٢/٢: ١٠٠-١١٥.

تَسلَّمَها منهم بَطْرَك المَلْكِيَّة أرْسانيُوس في أيَّام العَزيز بالله نِزار بن المُعِزّ [١].

وفي سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائةٍ، قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ زَخارْياس[a] بَطْرَكا، فأقامَ ثماني وعشرين سنة: منها في البَلايا مع الحَاكِم بأمْر الله أبي علي مَنْصُور بن العَزيز بالله تسع سنين، اعْتَقَلَه فيها ثلاثة أشْهر، وأَمَر به فأُلْقي للسِّباع هو وسَوْسَنَة النُّوبي، فلم تَضُرَّه فيما زَعَمَ النَّصارَىٰ. ولمَّا ماتَ خَلا الكُرْسي بعده أربعة وسبعين يومًا [٢].

وفي بَطْرَكيته نَزَلَ بالنَّصارَىٰ شَدائِدُ لم يَعْهَدُوا مثلها، وذلك أنَّ كثيرًا منهم كان قد تَمَكَّنَ في أعْمالِ الدَّوْلَةِ حتى صَارُوا كالوُزَرَاءِ وتَعاظَمُوا لاتِّساعِ أحْوالِهم وكَثْرَةِ أمْوالِهم، فاشْتَدَّ بأْسُهم، وتَزايَدَ ضَرَرُهم ومُكايَدَتُهم للمُسْلِمين. فأَغْضَبَ الحاكِمَ بأمْرِ الله ذلك ـ وكان لا يَمْلِك نفسه إذا غَضِبَ ـ فقَبَضَ على عِيسَى بن نَسْطُورُس النَّصْراني، وهو إذْ ذاك في رُتْبَةٍ تُضاهِي رُتْبَة الوُزَرَاء، وضَرَب عُنُقَه [٣]. ثم قَبَضَ على فَهْدِ بن إبراهيم النَّصْراني، كاتِب الأسْتاذ بَرْجَوان، وضَرَبَ عُنُقَه [٤].

وتَشَدَّدَ على النَّصارَىٰ، وألْزَمَهم بِلبْس ثِيابِ الغِيارِ وشَدّ الزُّنَّار في أوْساطِهم [٥]، ومَنَعَهم من عَمَلِ الشَّعانين وعيد الصَّليب، والتَّظاهُر بما كانت عادَتُهم فِعْلَه في أعْيادِهم من الاجْتِماع واللَّهْو، وقَبَضَ على جَميعِ ما هو مُحَبَّس على الكنائِس والدِّيارات، وأدْخَلَه في الدِّيوان، وكَتَبَ إلى

---

a) في النسخ: زخريس، والتصويب من تاريخ بطاركة الكنيسة.

---

[١] المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٤٧، وفيه أنَّ سَبَبَ ذلك «أنَّ العَزيز بالله تَزَوَّجَ امرأةً نَصْرانيةً مَلْكيَّة ورُزِقَ منها بِنْتًا. وكان للمرأةِ أخَوان: أحَدُهُما اسمه أُرِستس صَيَّره بَطْرَكًا على بَيْتِ المَقْدِس، والآخر أرسانيوس صَيَّره بَطْرَكًا للمَلْكيَّة على القاهرة ومصر، وكان لهما من العزيز جانِبٌ لأنَّهما أخْولَة ابنته وتَقَدَّما في مملكته، وأنَّ أرْسانيوس طَلَبَ الكنيسة من العزيز فأمَرَ أن تعطى له».

[٢] نفسه ٢٦٣-٢٦٤؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ١١٦:٢/٢- ١٥١.

[٣] توفي عيسىٰ بن نَسْطورس في ثاني عشر ربيع الأوَّل سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م من عِلَّةٍ ألَمَّت به، يقول المقريزي - أغْلَب الظَّنّ نَقْلًا عن المُسَبِّحي -: «فتأسَّفَ الحاكِمُ على فَقْدِه من غير قَتْلٍ وقال: ما أسِفْتُ على شيءٍ قَطّ أسَفي على خَلاصِ ابن نَسْطورس من سيفي وكنت أوَدُّ ضَرْبَ عُنُقَه لأنَّه أفْسَدَ دَوْلَتي وخانَني ونافَقَ عليّ ...». (اتعاظ الحنفا ٢: ٨٥، ٩٣).

[٤] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٤٤؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ١٢٣:٢/٢.

[٥] انظر تفصيل ذلك عند يحيى بن سعيد: تاريخ ٢٥٦، ٢٩٥- ٢٩٩؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ ١٢٤:٢/٢- ١٢٥، ١٢٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٨٥، ٩٣- ٩٥، وفيما تقدم ٢: ٢٨٣.

أعْمالِه كلِّها بذلك ، وأَحْرَقَ عِدَّةَ صُلْبانٍ كثيرة ، ومَنَعَ النَّصارَىٰ من شِراءِ العَبيد والإمَاء . وهَدَمَ الكَنائِس التي بخُطِّ راشِدَة ظَاهِر مَدينَة مصر ، وأخْرَب كَنائِسَ المَقْس خَارِج القاهِرَة ، وأباحَ ما فيها للنَّاس ، فانْتَهَبُوا منها ما يَجِلُّ وَصْفُه[1] وهَدَم دَيْر القُصَيْر ، وأنْهَبَ العامَّة ما فيه ، ومَنَعَ النَّصارَىٰ من عَمَلِ الغِطاسِ على شاطِئ النِّيل بمصر ، وأبْطَلَ ما كان يُعْمَل فيه من الاجْتِماع للَّهْو .

وألْزَمَ رِجالَ النَّصارَىٰ بتَعْليق الصُّلْبانِ الخَشَب - التي زِنَة كُلّ صَليبٍ منها خمسة أرْطال - في أعْناقِهِم ، ومَنَعَهُم من رُكُوبِ الخَيْل ، وجَعَلَ لهم أنْ يَرْكَبُوا البِغالَ والحَمير بسُرُوجٍ ولُجُمٍ غير مُحلَّاة بالذَّهَبِ والفِضَّة ، بل تكون من جُلُودٍ سُود .

وضُرِبَ بالجَرَس في القاهِرَة ومصر . أن لا يُرْكِب أحدٌ من المكاريَّة ذميًّا ، ولا يحمل نُوتي مسلمٌ أحدًا من أهْلِ الذِّمَّة ، وأن تكون ثِيابُ النَّصارَىٰ وعَمائِمُهُم شَديدَة السَّواد ، ورُكُب سُروجهم من خَشَب الحمير ، وأن يُعَلِّق اليَهُودُ في أعْناقِهِم خَشَبًا مُدَوَّرًا زِنَة الخَشَبة منها خمسة أرْطال ، وهي ظاهِرَة فَوْق ثِيابِهِم .

وأَخَذَ في هَدْمِ الكَنائِسِ كُلِّها ، وأباحَ ما فيها وما هو مُحبَّس عليها للنَّاس نَهْبًا وإقْطاعًا . فهُدِمَت بأسْرِها ، و نُهِبَ جَميعُ أمْتِعَتِها ، وأُقْطِعَ أحْباسَها ، وبَنَى في مَواضِعها المساجِد ، وأذِنَ بالصَّلاة في كَنيسَة شِنُودَة بمصر ، وأُحيطَ بكَنيسَةِ المُعَلَّقَة في قَصْرِ الشَّمْع .

وأكْثَرَ النَّاسُ من رَفْعِ القِصَصِ بطَلَبِ كَنائِسِ أعْمال مصر ودياراتِها . فلم يَرُدّ قِصَّةً منها إلَّا وقد وَقَّعَ عليها بإجابَةِ رافِعِها لما سَأَلَ فأخَذُوا أمْتِعَة الكَنائِس والدِّيارات ، وباعُوا بأسْواقِ مصر ما وَجَدُوا من أواني الذَّهبِ والفِضَّة وغير ذلك ، وتَصَرَّفُوا في أحْباسِها . ووُجِدَ بكَنيسَة شِنُودَة مالٌ جَليلٌ ، ووُجِدَ في المُعَلَّقة من المَصَاغ وثِيابِ الدِّيباج أمْرٌ كثيرٌ جدًّا إلى الغاية .

وكَتَبَ إلى وُلاةِ الأعْمال بتَمْكينِ المُسْلِمين من هَدْمِ الكَنائِس والدِّيارات ، / فعَمَّ الهَدْمُ فيها من سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ ؛ حتى ذَكَرَ من يُوثَق به في ذلك أنَّ الذي هُدِمَ إلى آخِر سنة خمس وأربع مائةٍ ، بمصر والشَّام وأعْمالِهما ، من الهَياكِل التي بَناها الرُّومُ نَيِّف وثلاثون ألف بِيعَةٍ ، ونُهِبَ ما فيها من آلاتِ الذَّهَب والفِضَّة وقُبِضَ على أوْقافِها ، وكانت أوْقافًا جَليلَةً على مَبانٍ عَجيبَة .

وألْزَم النَّصارَىٰ أنْ تكونِ الصُّلْبَانُ في أعْناقِهِم إذا دَخَلُوا الحَمَّام ، وألْزَم اليَهُودَ أن يكون في أعْناقِهِم الأجْراسُ إذا دَخَلُوا الحَمَّام ثم ألْزَمَ اليَهُودَ والنَّصارَىٰ بخُروجِهِم كلّهم من أرْضِ مصر إلى

---

[1] يحيى بن سعيد : تاريخ ٢٥٢- ٢٥٣؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٢٧٠؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٤٨.

بلاد الرُّوم . فاجْتَمَعُوا بأَسْرِهم تَحْتَ القَصْر من القاهِرَة ، واسْتَغاثُوا ولاذُوا بعَفْو أمير المُؤْمنين حتى أُعْفُوا من النَّفْي . وفي هذه الحَوادِث أَسْلَم كثيرٌ من النَّصارَىٰ [1] .

وفي سنة سبع وأربع مائةٍ ، وَثَبَ بَعْضُ أكابِر البُلْغَر على مَلِكِهم قَمْطُورُس فقَتَلَه ، ومَلَكَ عِوَضَه ، وكَتَبَ إلى باسيل مَلِك قُسْطَنْطِينية بطاعَتِه فأَقَرَّه ، ثم قُتِل بعد سنة . فسَارَ المَلِكُ باسيل إليهم ، في شَوَّال سنة ثمانٍ وأربع مائةٍ ، واسْتَوْلَى على مَمْلَكة البُلْغَر ، وأقامَ في قِلاعِها عِدَّةً من الرُّوم ، وعادَ إلى قُسْطَنْطِينية . فاخْتَلَطَ الرُّومُ بالبُلْغَر ، ونَكَحُوا منهم ، وصَارُوا يَدًا واحِدَةً بعد شِدَّة العَداوَة [2] .

وقَدَّمَ اليَعاقِبَةُ عليهم سَانُونيوس[a] بَطْرَكًا بالإسْكَنْدَرية ، في سنة إحدى وعشرين وأربع مائةٍ ، في يوم الأحَد ثالِث عشرين بَرَمْهات فأَقامَ خمس عشرة سنة ونصفًا ، وماتَ في طُوبَة ، وكان مُحِبًّا للمَال وأخَذَ « الشَّرْطونِيَّة » . فخَلَا الكُرْسي بعده سنةً وخمسة أشهر [3] .

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَة إخرِسْطُودُلُس بَطْرَكًا ، في سنة تسع وثلاثين وأربع مائةٍ ، فأقامَ ثلاثين سنة ، وماتَ بالمُعَلَّقَة من مصر . وهو الذي جَعَلَ كَنيسَة بومَرْقُورَة بمصر ، وكَنيسَة السَّيِّدَة بحَارَة الرُّوم من القاهِرَة في أيَّام بَطْرَكِيَّته . فلم يَقُم بَعْدَه بَطْرَكٌ اثنين وسبعين يومًا [4] .

---

a) بولاق : سابونين .

---

[1] عن وَضْعِ أهْلِ الذِّمَّة عُمُومًا في عَهْدِ الحاكِم بأمْرِ الله ، الذي يُعَدُّ استثناءً في العَصْر الفاطِمي الذي اتَّسَمَ بتسامُحِ الفاطِميين مع أهْلِ الذِّمَّة ، راجع ، أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٦٥- ١٦٧و ما ذكر من مصادر ومراجع ؛ وكذلك سَلَّام شافعي محمود : أهْل الذِّمَّة في مصر في العصر الفاطمي الأوَّل ، القاهرة – تاريخ المصريين ١٩٩٥؛ فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي ، ١- ٢، القاهرة – تاريخ المصريين ٢٠٠٠؛ Ferré, A., *CE* art. *Hakim bi-Amr-Illāh* IV, pp. 1200-3.

[2] المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ٢٦٤؛ يحيى ابن سعيد : تاريخ ٣٢٧- ٣٢٨.

[3] نفسه ٢٦٥؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٢:١٥١- ١٥٩.

والشَّرْطُونِيَّة The Laying on of hands: نَوْعٌ من الضَّريبة نَقَضَ بها البطارِكَةُ قانُونَ الآباءِ الحَوارِيين ومُعَلِّمي البِيْعَة القِدِّيسين القائلين أنْ لا يُؤْخَذ عن مَوْهِبَةِ الله ، وهي الكَهَنُوت ، لا ذَهَبٌ ولا فِضَّة ، وقيمتها قيراطُ ذَهَبٍ من كُلِّ أسْقُفٍ مقابل تَرْسيمه . (ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٢: ٧٤، ٧٥) .

[4] نفسه ٢٧٩، نفسه ٢/٣:١٦٣- ٢٠٧.

ثم أقامَ اليَعاقِبَةُ كِيرِلُّص ، فأقامَ أرْبعَ عشرة سنة وثلاثة أشهر ونِصفًا ، وماتَ بكَنيسَة [ميكائيل بـ][a] المختار من جَزيرَة مِصْر - المعروفة بالرَّوْضَة - في سَلْخِ رَبيع الآخر سنة خمسٍ وثمانين وأربع مائةٍ ، وعَمِلَ بَدْلَةً للبَطارِكَة من دِيباجٍ أزْرَق وبُلّارية دِيباج أحْمَر بتَصاوِير ذَهَب ، وقَطَعَ «الشَّرْطُونِيَّة» . فلم يُوَلّ بَعْدَه بَطْرَكٌ مُدَّة مائة وأربعة وعشرين يومًا [1].

ثم أُقيمَ مِيخائيل الحَبِيس بسِنْجار[b] [من أعمال نَستروه[c]] في سنة اثنتين وثمانين وأربع مائةٍ ، فأقامَ تسعَ سنين وثمانية أشهر ، وماتَ في المُعَلَّقة بمصر [2].

وكان المُسْتَنْصِرُ بالله ، لمَّا نَقَصَ نِيلُ مصر ، بَعَثَه إلى بِلادِ الحَبَشَة بهَدِيَّةٍ سَنِيَّة فتَلَقَّاه مَلِكُها ، وسأله عن سَبَبِ قُدُومِه ، فعَرَّفَه نَقْصَ النّيل ، وضَرَرَ أهْلِ مصر بسبب ذلك . فأمَرَ بفَتْحِ سَدٍّ يَجْرِي منه الماءُ إلى أرض مصر ففُتِحَ ، وزادَ النّيل في لَيْلَةٍ واحِدَة ثلاثة أذْرُع ، واسْتَمَرَّت الزِّيادَةُ حتى رُوِيَت البلادُ وزُرِعَت . ثم عادَ البَطْرَكُ فخَلَعَ عليه المُسْتَنْصِرُ وأحْسَنَ إليه [3].

وفي سنة اثنتين وتسعين وأربع مائةٍ ، قَدَّمَ اليَعاقِبَة أبا مقاره[d] بَطْرَكًا بدَيْر بومَقّار ، وكَمُلَ بالإسْكَنْدَرية وعادَ إلى مصر ثم مَضَى إلى دَيْر بومَقّار فقَدَّسَ به ، ثم جاءَ إلى مصر فقَدَّسَ بالمُعَلَّقة ، فأقامَ ستًّا وعشرين سنة وأحدًا وأربعين يَومًا وماتَ [4]. فخَلَت مِصْرُ من بَطْرَكِ اليَعاقِبَة سنتين وشهرين .

---

a) زيادة من تاريخ بطاركة الكنيسة . b) في النسخ : سنجار وبولاق : بسنجار ، والمثبت من تاريخ بطاركة الكنيسة . c) زيادة من المكين بن العميد . d) النسخ وابن العميد : مقاري ، والتصويب من تاريخ بطاركة الكنيسة .

---

[1] المكين ٢٧٩- ٢٨٠؛ ساويرس ٢/٣:٢٠٧- ٢٣٢.

[2] نفسه ٢٨٩؛ نفسه ٢/٣:٢٣٣- ٢٤٩.

وسِنْجار اسْمٌ لقريتين في الوَجْهِ البَحْري ، الأولى إحدى قرى كورة النَّسْتَراويه - وهي المقصودة هنا - كانت كرسي أُسْقُفِيَّة قَبْل الإسلام ، وحَلَّ محلَّها الآن كوم سِنْجار في جزيرة واقعة في بُحَيْرَة نَسْتَرَاوة التي تُعْرَف اليوم ببحيرة البُرُلُّس . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ١:٢٨٤)؛ والثانية كانت تقع بين إبْيار وبرما في محافظة الغربية ، يَدُلُّ عليها الآن القرية المعروفة بكوم النَّجّار بمركز كَفْر الزَّيّات بمحافظة الغربية ، وكان اسمها القِبْطي هو بشَنْجري . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٢:١٣٠) . وراجع أيضًا Meinardus, O., «Singar, an Historical and Geographical Study», *BSAC* XVIII (1966), pp. 175-79; id., *CE* art. *Sinjar* VII, p. 2140.

[3] المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ٢٨٩- ٢٩٠.

[4] نفسه ٢٩٨؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/١:١- ٢٥.

وفي أيَّامِه حَدَثَت زَلْزَلَةٌ عَظيمَةٌ بمصر هُدِمَ فيها كَنيسَةُ [ميخائيل بـ][a] المختار بالرَّوْضَة، واتُّهِمَ الأَفْضَلُ ابن أمير الجيُوش بهَدْمِها فإنَّها كانت في بُسْتَانِه، وفي أيَّامه أَبْطَلَ عَوايِدَ كَثيرَة للنَّصارَىٰ، فبَطُلَت بَعْدَه [١].

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ غُبْرَيال، المُكَنَّى بأبي العَلا صَاعِد بن تريك، الشَّمَّاس بكنيسَة مَرْقُوْريوس في سنة خمسٍ وعشرين وخمس مائةٍ بالمُعَلَّقَة، وكَمُل بالإسْكَنْدَرية، وقَدَّسَ بالأَدْيِرَة بوادِي هُبَيْب، وأقامَ أَرْبَع عشرة سنة ومات [٢]. فخَلَا بَعْدَه كُرْسي اليَعاقِبَة ثلاثة أشهر.

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ مِيخائيل بن التَّقْدوسي، الرَّاهِب بقَلَّاية دَمْشَري[b]، بَطْرَكًا [c]بكَنيسَة المُعَلَّقَة بمصر وكَمُلَ في الإسْكَنْدَرية، فأقامَ تسعة أشهر وماتَ يوم الجُمُعَة رابع شَوَّال سنة إحدى وأربعين وخمس مائةٍ فلم يُوَلّ بعده بَطْرَك[c] مَدَّة سنة وسبعين يومًا [٣].

ثم أُقِيمَ يُونُس أبو الفَتْح بَطْرَكًا بالمُعَلَّقةِ، وكَمُلَ بالإسْكَنْدَرية، فأقامَ تسع عشرة سنة، وماتَ في سابع عشرين جُمَادَى الآخِرة سنة إحدى وخمسين وخمس مائةٍ. فخَلَا الكُرْسي بَعْدَه ثلاثة وأربعين يومًا [٤].

وقُدِّمَ مُرْقُص بن زُرْعَةَ، المُكَنَّى بأبي الفَرَج، بَطْرَك اليَعاقِبَة بمصر، وكَمُل بالإسْكَنْدَرية، فأقامَ اثنتين وعشرين سنة وستَّة أشهر وخمسة وعشرين يومًا ومات [٥].

وفي أيَّامِه انْتَقَلَ مُرْقُص بن قُنْبُر، وجَماعَةٌ من القَنابِرَة، إلى رأْيِ المَلَكِيَّة، ثم عادَ إلى اليَعْقُوبيَّة فقُبلَ، ثم عَادَ إلى المَلَكِيَّة ورَجَعَ فلم يُقْبَلْ. وكان هذا البَطْرَكُ له هِمَّةٌ ومُرُوءَةٌ، وفي أيَّامِه كان حَريقُ شَاوَر الوَزير لمصر في ثامِن عشر هَتُور، فاحْتَرَقَت كَنيسَةُ بُومَرْقُورَة، وخَلَا بعده كُرْسي البَطارِكَة سبعة وعشرين يومًا [٦].

---

a) زيادة من تاريخ بطاركة الكنيسة. b) كذا في النسخ وفي تاريخ بطاركة الكنيسة: دنشتري. c-c) ساقطة من بولاق.

---

[١] المكين ٢٩٨- ٢٩٩؛ ساويرس ٣/١:٥- ٧.

[٢] نفسه ٣/١:٢٥- ٣٦.

[٣] نفسه ٣/١:٣٦- ٤٠.

[٤] نفسه ٣/١:٤٠-٥٧ وهو فيه: يُوحَنَّا البَطْرَك.

[٥] نفسه ٣/٢:٥٩- ٩٨.

[٦] أبو المكارم: تاريخ أبي المكارم ٢:٤٥ (أبو صالح: تاريخ ٤٧)، وانظر عن حريق الفسطاط فيما تقدم ٢:١٤٢- ١٤٦.

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ يُوَانِس[a] بن أَبِي غالِب بَطْرَكًا، في يوم الأحد عاشر ذي الحجة سنة أربعٍ وثمانين وخمس مائةٍ، وكَمُلَ بالإسْكَنْدَرية. فأقامَ ستًّا وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا وثلاثة عشر يومًا، وماتَ يوم الخميس رابع عشر شهر رَمَضَان سنة ثنتي عشرة وستّ مائةٍ بالمُعَلَّقة بمصر، ودُفِنَ بالحَبَش[١].

وكان في ابْتِداءِ أمْرِه تاجِرًا يَتَرَدَّدُ إلى اليَمَن[b] في المَتْجَر[c] حتى كَثُرَ مالُه[٢]، وكان معه مالٌ لأوْلادِ الجَبَّاب[d]، فاتَّفَق أنه غَرِقَ في بَحْرِ المِلْح وذَهَبَ مَالُه، ونَجَا بنفسه إلى القاهِرَة، وقد أَيِسَ أوْلاد الجَبَّاب[d] من مالِهِم. فلمَّا لَقِيَهُم أعْلَمَهم أنَّ مالَهُم قد سَلِم، فإنَّه كان قد عَمِلَه في نَقَائِر خَشَبٍ مُسَمَّرَة في المَرْكِب، فصَارَ لهم به عِنايَة. فلمَّا مات مُرْقُص بن زُرْعَة، سَعَى يُوانِس هذا للقِسّ أبي ياسِر،/ فقال له أوْلادُ الجَبَّاب[d]: خُذْ أنت البَطْرَكية ونحن نُزَكِّيك، فوافَقَهم، وأُقيمَ بَطْرَكًا، فشَقَّ ذلك على أبي ياسِر، وهَجَرَه بعد صُحْبَةٍ طَويلَة. وكان معه لمَّا اسْتَقَرَّ في البَطْرَكِيَّة سبعةَ عشر ألف دينار مصرية أنْفَقَها على الفُقَرَاء، وأبْطَل «الدِّيارِيَّة»، ومَنَعَ «الشَّرْطُونِيَّة»، ولم يأكُل لأحَدٍ من النَّصَارَىٰ خُبْزًا، ولا قَبِلَ من أحَدٍ هَدِيَّة[٢]. ١٩٧:٢

فلمَّا مات قامَ أبو الفُتُوح نَشْو الخِلافَة[e] بن الميقاط، كاتِب الجَيْش مع السُّلْطان الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب، في وِلايَة القِسّ داوُد بن يُوحَنَّا بن لُقْلُق الفَيُّومي، فإنَّه كان خَصيصًا به[٣]. فأجابَه، وكَتَب تَوْقيعَه من غير أن يَعْلَم الملك الكامِل محمد ابن السُّلْطان، فشَقَّ ذلك على النَّصارَىٰ، وقامَ منهم الأَسْعَدُ بن صَدَقَة، كاتِب دارِ التُّفَّاح بمصر، ومعه جَمَاعَةٌ، وتَوَجَّهُوا سَحَرًا ومعهم الشُّمُوعُ إلى تَحْتِ قَلْعَةِ الجَبَل - حيث كان سَكَنُ الملك الكامِل - واسْتَغاثُوا به، ووَقَعُوا في القِسّ، وقالوا: لا يَصْلُح، وفي شَرِيعَتِنا أنَّه لا يُقَدَّم البَطْرَك إلَّا باتِّفاقِ الجُمْهُورِ عليه. فبَعَثَ الملكُ الكامِلُ يُطَيِّب خَواطِرَهم.

---

a) النسخ وابن العميد: يونس. b) عند ابن العميد: إلى بلاد الهند واليمن. c) بولاق: البحر. d) بولاق: الخباب. e) بولاق: نشو الخليفة.

---

[١] ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/٢: ٩٨-١٣٢.

[٢] عند ساويرس: «ذو مالٍ ويَسارٍ من صِباه، سَارَ ذلك إليه من أبيه وأجداده. وكان له دارٌ وكالة بمَدينَة مصر يَتَّجر فيها ويبيع ويَشْتري أَصْنافَ البَضائع، وله شكَّرِيَّةٌ لعَمَل الشكَّر وطَواحين وأمْلاك». (تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/٢: ٩٩).

[٣] المكين بن العميد: أخبار الأيوبيين ١٢٨ (مصدر المقريزي).

وكان القِسُّ قد رَكِبَ بُكْرَةً ، ومعه الأساقِفَةُ وعالَمٌ كثيرٌ من النَّصارَىٰ ، ليُقَدِّموه بالمُعَلَّقَة بمصر وذلك يوم الأحَد . فرَكِبَ الملكُ الكامِلُ بسَحر كثير[a] من القَلْعَة إلى أبيه بدارِ الوَزارَة من القاهِرَة حيث سَكَنُه ، وأوْقَفَ وِلايَة القِسّ . فبَعَثَ السُّلْطانُ في طَلَبِ الأساقِفَة ليَتَحقَّق الأَمْرَ منهم ، فوافَقَهم[b] الرُّسُل مع القِسّ في الطَّريق ، فأخَذوهُم ودَخَلَ القِسُّ إلى كَنيسَة بُوجُرْج التي بالحَمْراء[c]، وبَطَلت بَطْرَكِيته ، وأقامَت مصرُ بغير بَطْرَك تسع عشرة سنة ومائةٍ وستين يومًا [١].

ثم قُدِّمَ هذا القِسُّ[d] بَطْرَكًا ، في يوم الأحَد تاسع عشرين شَهْرِ رَمَضان سنة ثلاثٍ وثلاثين وستّ مائةٍ ، فأقامَ سبعَ سنين وتسعة أشهر وعشرة أيّام ، وماتَ يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رَمَضان سنة أربعين وستّ مائةٍ ، ودُفِنَ بدَيْر الشَّمْع بالجيزَة ، وكان عالمًا بدينه ، مُحِبًّا للرِّياسَة ، وأَخَذَ « الشَّرْطُونِيَّة » في بَطْرَكِيَّته ، وكانت الدِّياراتُ بأَرْضِ مصر[e] قد خَلَتَ من الأسَاقِفَة ، فقَدَّمَ جَماعَةَ أَسَاقِفَةٍ كثيرَة بمالٍ كثيرٍ أخَذَه منهم ، وقاسَى شَدائِدَ ، ورافَعَه الرَّاهِبُ عِماد المَرْشار[f]، ووَكَّلَ عليه وعلى أقَارِبه وأَلْزامِه ، وساعَده الرَّاهِبُ السُّني ابن الثُّعْبَان ، وأَشَاعَ مَثالِبَه ، وقال : لا يَصِحّ له كهنُوتِيَّة[g] لأنَّه تقَدَّم بالرِّشْوَة وأَخْذِ « الشَّرْطونِيَّة » . وجَمَعَ عليه طائِفَةً كثيرَةً ، وعَقَدَ مَجْلِسًا عند الصَّاحِب مُعين الدِّين حَسَن بن شَيْخ الشُّيوخ ، في أيّام الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب ، وأَثْبَتَ على البَطْرَك قَوادِح ، فقَامَ الكُتَّاب النَّصارَىٰ في أمْرِه مع الصَّاحِب ، بمالٍ يحمله إلى السُّلْطان ، حتى اسْتَمَرَّ على بَطْرَكِيته ، وخَلَا كُرْسِي البَطارِكَة بعده سَبْع سنين وستّة أشهر وستة وعشرين يومًا [٢].

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ أَثْناسْيُوس ابن القِسّ أبي المكارِم بن كُلَيْل بالمُعَلَّقَة ، في يوم الأحَد رابع شهر رَجَب سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مائةٍ ، وكَمُلَ بالإسْكَنْدَرية ، فأقامَ إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يومًا ، وماتَ يوم الأحد ثالِث[h] المحرَّم سنة ستين وستّ مائةٍ ، فخَلَت مِصْرُ من البَطْرَكِيَّة خمسة وثمانين[i] يومًا [٣].

---

a) بولاق : بشجو كبير ، وعند ابن العميد : باكرًا جدًّا . b) بولاق : فواقهم . c) بعد ذلك عند ابن العميد : عند السبع سقايات . d) عند ابن العميد : قُدِّم أنْبا كيرلص داود بن لقلق . e) ابن العميد (مصدر النقل) : وكانت الدِّيار المصرية . f) بولاق : المارشال . g) بولاق : كهونية ، ابن العميد : كهنوت . h) ابن العميد : ثالث عشر . i) ابن العميد : وثلاثين .

---

[١] المكين بن العميد : أخبار الأيوبيين ١٢٨- ١٢٩، وقارن مع ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/٢:١٢٣- ١٣٠.

[٢] نفسه ١٤٢.

[٣] المكين بن العميد : أخبار الأيوبيين ١٦٢.

وفي أيَّامِه أخَذَ الوَزيرُ الأَسْعَدُ شَرَفُ الدِّين هِبَةُ الله بن صَاعِد الفَائِزي الجَوالي من النَّصَارَىٰ مُضاعَفَةً[1].

وفي أيَّام [المَلِك المُظَفَّر قُطُز[a]] ثارَت عَوامُّ دِمَشْق، وخُرِّبَتْ كَنيسَةُ مَرْيَم بدِمَشْق بعد إحْراقِها ونَهْبِ ما فيها، وقُتِل جَماعَةٌ من النَّصَارَىٰ بدِمَشْق، ونَهْبِ دُورِهم وخَرابها في سنة ثمانٍ وخمسين وستّ مائةٍ، بعد وَقْعَة عَيْن جَالُوت وهَزيمَة المُغُل. فلمَّا دَخَلَ السُّلْطانُ الملك المُظَفَّر قُطُز إلى دِمَشْق، قَرَّرَ على النَّصَارَىٰ بها مائة ألف وخمسين ألف دِرْهَم، جَمَعُوها من بينهم، وحَمَلُوها إليه بسِفارَة الأمير فارِس الدِّين أَقْطاي المُسْتَعْرِب أتابَك العَسْكَر[2].

واقِعَةُ النَّصارَىٰ

وفي سنة اثنتين وتسعين[b] وستّ مائةٍ، كانت «واقِعَةُ النَّصارَىٰ». ومن خَبَرِها أنَّ الأمير سِنْجر الشُّجاعي كانت حُرْمَتُه وافِرَةً في أيَّام المَلِك المَنْصُور قَلاوون، فكان النَّصَارَىٰ يركبون الحَمير بزَنانير في أوْساطِهم، ولا يَجْسُر نَصْرانيٌّ يُحَدِّث مُسْلِمًا وهو راكِبٌ، وإذا مَشَى فبِذِلَّةٍ، ولا يَقْدِرُ أحَدٌ منهم يَلْبَس ثَوْبًا مَصْقُولًا. فلمَّا مات المَلِكُ المَنْصُور، وتَسَلْطَن من بعده ابنُه الملكُ الأشْرَف خَليل، خَدَمَ الكُتَّابُ النَّصَارَىٰ عند الأُمَراء الخاصَّكِيَّة، وقَوَّوا نُفُوسَهم على المُسْلِمين، وتَرَفَّعُوا في مَلابِسِهم وهَيْئاتِهم. وكان منهم كاتِبٌ عند خاصَّكي يُعْرَف بعَيْن الغَزَال، فصَدَفَ يَوْمًا في طَريق مصر سِمْسَار شُونَة مَخْدُومِه، فنَزَلَ السِّمْسَارُ عن دابَّته، وقَبَّلَ رِجْلِ الكاتِب فأخَذَ يَسُبُّه، ويُهَدِّده على مالٍ قد تأخَّرَ عليه من ثَمنِ غَلَّةِ الأمير، وهو يَتَرَفَّقُ له ويَعْتَذِرُ، فلا يَزيدُه ذلك عليه إلَّا غِلْظَة. وأَمَرَ غُلامَه فنَزَلَ، وكَتَّفَ السِّمْسَار، ومَضَى به - والنَّاسُ تَجْتمع عليه - حتى صَارَ إلى صَليبَة جَامِع أحمد بن طُولُون، ومعه عالَمٌ كبيرٌ، وما منهم إلَّا من يَسْأله أن يُخَلِّي عن السِّمْسار، وهو يَمْتَنِع عليهم، فتَكاثَرُوا عليه، وألْقَوه عن حِمارِه، وأطْلَقُوا السِّمْسَار وكان قد قَرُبَ من بَيْتِ أسْتاذِه، فبَعَثَ غُلامَه ليَنْجِدَه بمن فيه، فأتاه بطَائِفَةٍ من غِلْمانِ الأمير وأوجاقيته، فخَلَّصُوه من النَّاسِ، وشَرَعُوا في القَبْضِ عليهم ليَفْتِكُوا بهم. فصَاحُوا عليهم ما يَحِلّ، ومَرُّوا مُسْرِعين إلى أن وَقَفُوا تَحْتَ القَلْعَةِ، واسْتَغاثُوا:

---

a) في النسخ: وفي أيَّامه، والزيادة من المكين بن العميد. b) كذا بالنُّسخ وهو خطأ صوابه ما أثبته اعتمادًا على نص العيني.

---

[1] المكين بن العميد: أخبار الأيوبيين ١٦٥.

[2] نفسه ١٧٥- ١٧٦؛ وتاريخ المسلمين ١٦٩.

« نَصَرَ اللهُ السُّلْطان » ، فأرْسَلَ يَكْشِف الخَبَر . فعَرَّفُوه ما كان من اسْتِطالَة الكاتِبِ النَّصْراني على السِّمْسَار ، وما جَرَى لهم .

فطَلَبَ عَيْنَ الغَزَال [a]وصَاحَ به : كَيْف تُسَلِّطُ غِلْمانَك على المسلمين لأجْل نَصْرَاني ؟ فاعْتَذَر بأنَّه واقِفٌ في الخِدْمَة ولا عِلمَ له بشيءٍ من هذا ، فبَعَثَ السُّلْطانُ يَطْلُب جميع من في إسْطَبْل عَيْنَ الغَزال[a]، ورَسَمَ للعَامَّة بإحْضَار/ النَّصارَىٰ إليه ، وطلب الأمير بَدْر الدِّين بَيْدَرا النائِب والأمير سِنْجِر الشُّجاعي ، وتَقَدَّم إليهما بإحْضار جَميع النَّصَارَىٰ بين يَدَيْه ليَقْتُلهم . فما زالا به حتى استَقَرَّ الحالُ على أنْ يُنادَى في القاهِرَة ومصر : ألَّا يَخْدِم أحَدٌ من النَّصارَىٰ واليَهُود عند أمير . وأمَرَ الأُمَرَاء بأجْمَعهم أن يَعْرِضُوا على من عندهم من الكُتَّاب النَّصَارَىٰ الإسْلام ، فمن امْتَنَع من الإسْلام ضُرِبَت عُنُقُه ، ومَنْ أسْلَمَ اسْتَخْدَمُوه عندهم . ورَسَمَ للنَّائِب بعَرْضِ جَميع مُباشِري ديوانِ السُّلْطان ويَفْعَل فيهم ذلك . ٤٩٨:٢

فنَزَلَ الطَّلَبُ لهم وقد اخْتَفَوا ، فصَارَت العامَّةُ تَسْبق إلى بيوتهم وتَنْهَبُها ، حتى عَمَّ النَّهْبُ بُيوتَ النَّصارَىٰ واليَهود بأجْمَعِهم ، وأخْرَجُوا نِساءَهم مَسْبِيَّات ، وقَتَلُوا جَماعَة بأيْديهم . فقامَ الأميرُ بَيْدَرا النَّائِبِ مع السُّلْطان في أمْرِ العامَّة ، وتَلَطَّف به حتى رَكِبَ والي القاهِرَة ونادَى : « مَنْ نَهَبَ بَيْتَ نَصْراني شُنِق » . وقَبَضَ على طَائِفةٍ من العامَّة ، وشَهَرَهُم بعدما ضَرَبَهم فانْكَفُّوا عن النَّهْب بعدما نَهَبُوا كَنِيسَة المُعَلَّقَة بمصر ، وقَتَلُوا منها جَماعَة .

ثم جَمَعَ النَّائِبُ كثيرًا من النَّصارَىٰ ، كُتَّاب السُّلْطان والأُمَراء ، وأوْقَفَهم بين يَدَي السُّلْطان عن بُعْدٍ منه . فرَسَمَ للشُّجاعِي وأمير جَانْدار أن يأخُذَ عِدَّةً معهما ، ويَنْزلوا إلى سُوقِ الخَيْل تَحْت القَلْعَة ، ويَحْفِروا حَفيرَةً كبيرَةً ، ويُلْقُوا فيها الكُتَّابَ الحاضِرين ، ويُضْرِمُوا عليهم الحَطَب نارًا . فتَقَدَّم الأميرُ بَيْدَرا ، وشَفَعَ فيهم . فأبَى أن يَقْبَل شَفَاعَته ، وقال : ما أُريدُ في دَوْلَتي دِيوانًا نَصْرانِيًّا فلم يَزَل به حتى سَمَحَ بأنَّ من أَسْلَم منهم يَسْتَقِرُّ في خِدْمَتِه ، ومن امْتَنَعَ ضُرِبَت عُنُقُه . فأخْرَجَهم إلى دارِ النِّيابَة ، وقال لهم : « يا جَماعَة ، ما وَصَلَت قُدْرَتي مع السُّلْطان في أمْرِكم إلا على شَرْطٍ ، وهو أنَّ من اخْتار دِينَه قُتِل ، ومن اخْتار الإسْلام خُلِعَ عليه وباشَرَ » .

فابْتَدَرَه المكينُ بن السُّقاعي ، أَحَدُ المُسْتَوْفين ، وقال : « يا خَوَنْد وأيُّنا قَوّاد يَخْتارُ القَتْل على هذا الدِّين الخَرَا ؟ والله دِينٌ نُقْتَل ونَمُوتُ عليه يَرُوح لا كَتَبَ الله عليه سَلامَة ، قولوا لنا الذي تَخْتاروه

---

a-a) ساقطة من بولاق .

حتى نَرُوح إليه » . فغَلَبَ بَيْدَرَا الضَّحِك ، وقال له : وَيْلَك أنَحْنُ نَخْتارُ غيرَ دِينِ الإسْلام ؟ فقال : يا خَوَنْد ما نَعْرِف ، قُولُوا ونحن نَتْبَعكم .

فأحْضَرَ العُدُولَ واسْتَسْلَمَهُم ، وكَتَبَ بذلك شِهاداتٍ عليهم ، ودَخَلَ بها على السُّلْطان . فألْبَسهم تَشارِيفَ ، وخَرَجُوا إلى مَجْلِسِ الوَزِير الصَّاحِب شَمْس الدِّين محمد بن السَّلْعُوس . فبدأ بَعْضُ الحاضِرين بالمكين بن الشقاعي وناوَلَه وَرَقَةً ليَكْتُب عليها ، وقال : يا مَوْلانا القاضي اكْتُب على هذه الوَرَقَة ، فقال : يا بني ما كان لنا هذا القَضَاء في خَلَدٍ . فلم يَزالُوا في مَجْلِس الوَزِير إلى العَصْر ، فجَاءَهم الحَاجِبُ وأخَذَهُم إلى مَجْلِس النَّائِب ، وقد جَمَعَ به القُضَاة ، فجَدَّدُوا إسْلامَهُم بحَضْرَتِهم .

فصَارَ الذَّلِيلُ منهم بإظْهارِ الإسْلام عَزيزًا ، يُبْدِي من إذْلالِ المُسْلمين ، والتَّسَلُّط عليهم بالظُّلْم ، ما كان تَمْنَعه نَصْرانِيتُه من إظْهارِه . وما هو إلَّا كما كَتَبَ به بعضُهم إلى الأمير بَيْدَرا النَّائِب :

[الرمل]

أَسْلَمَ الكافِرُون بالسَّيْفِ قَهْرًا | وإذا ما خَلَوْا فهم مُجْرِمُونا
سَلِمُوا من رَواحِ مالٍ ورُوحٍ | فهم سَالِمُون لا مُسْلِمُونَا[1]

وفي أُخْرَيات شهر رَجَب سنة سبع مائةٍ ، قَدِمَ وَزِيرُ مُتَمَلِّك المَغْرِب إلى القاهِرَة حاجًّا[2] ، وصارَ يَرْكَب إلى المَوْكِب السُّلْطاني وبُيُوت الأُمَرَاء . فبَيْنا هو ذات يوم بسُوقِ الخَيْل تَحْت القَلْعَة ، إذا هو برَجُلٍ راكِبٍ على فَرَسٍ ، وعليه عِمامَة بَيْضَاء وفَرَجِيَّة مَصْقُولَة ، وجَماعَة يَمْشُون في رِكابه ، وهم يَسْأَلُونَه ويَتَضَرَّعُون إليه ويُقَبِّلُون رِجْلَيْه ، وهو مُعْرِضٌ عنهم ويَنْهَرُهُم ، ويَصيح بغِلْمانِه أن يَطْرُدُوهُم عنه . فقال له بَعْضُهم : يا مَوْلاي الشَّيخ بحَياة وَلَدِك النَّشْو تَنْظُر في حَالِنا . فلم يَزِدْه ذلك إلَّا عُتُوًّا وتَحامُقًا . فرَقَّ المَغْرِبي لهم ، وهَمَّ بمُخاطَبته في أمْرهم ، فقيل له وإنَّه مع ذلك نَصْراني . فغَضِبَ لذلك ، وكادَ أن يَبْطِش به ، ثم كَفَّ عنه وطَلَع إلى القَلْعَةِ ، وجَلَسَ مع الأمير سَلار نائِب السُّلْطان والأمير بَيْبَرْس الجاشْنَكِير ، وأخَذَ يُحادِثهم بما رآه وهو يَبْكِي رَحْمَةً للمُسْلِمين بما نالَهُم من قَسْوَةِ النَّصَارَى . ثم وَعَظَ الأُمَرَاءَ ، وحَذَّرَهم نِقْمَةَ الله ، وتَسْليطَ عَدُوِّهم

---

[1] العيني : عقد الجمان ٣ : ١٨١- ١٨٥؛ Mounir Megally, *CE* art. *Waqiʿat al-Nasârâ* VII, pp. 2316-18.

[2] كان سُلْطانُ المغرب وَقْتَذاك النَّاصِرُ لدين الله أبو يَعْقُوب يُوسُف بن يَعْقُوب المَرِيني (٦٨٥-٧٠٦هـ) . (مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ٩٨) .

عليهم من تَمْكِين النَّصَارَىٰ من رُكُوبِ الخَيْلِ ، وتَسَلُّطهم على المُسْلِمين وإذْلالِهم إيَّاهم ، وأنَّ الواجِبَ إلْزَامُهم الصَّغار وحَمْلهم على العَهْدِ الذي كَتَبَه أميرُ المُؤْمنين عُمَر بن الخَطَّاب ، رضِي الله عنه [١] . فمالُوا إلى قَوْلِه ، وطَلَبُوا بَطْرَكَ النَّصَارَىٰ وكُبَراءَهم ودَيَّان اليَهُود .

فجُمِعَت نَصَارَى كَنِيسَة المُعَلَّقَة ، ونَصَارَى دَيْر البَغْل ونحوهم ، وحَضَرَ كُبَرَاءُ اليَهُود والنَّصَارَىٰ ، وقد حَضَر القُضَاةُ الأربعة ، وناظَرُوا النَّصَارَىٰ واليَهُود . فأَذْعَنُوا إلى الْتِزام « العَهْد العُمَري » ، وأَلْزَمَ بَطْرَكُ النَّصَارَىٰ طائِفَته النَّصَارَىٰ بِلِبْس العَمائِم الزُّرْق ، وشَدّ الزُّنار في أوْساطِهم ، ومَنَعهم من رُكُوبِ الخَيْلِ والبِغال ، والْتِزام الصَّغار ، وحَرَّم عليهم مُخالَفَة ذلك أو شيءٍ منه ، وإنَّه بريءٌ من النَّصْرانية إنْ خَالَف [٢] . ثم اتَّبَعه دَيّانُ اليَهُود بأَنْ أوْقَعَ الكَلِمَة على من
٤٩٩:٢ خَالَفَ من اليَهُود ما شُرِطَ عليه من لِبْس العَمَائم الصُّفْر والْتِزامِ / « العَهْدِ العُمَري » ، وكُتِبَ بذلك عِدَّةُ نُسَخٍ سُيِّرَت إلى الأَعْمال [٣] .

فقامَ المَغْرِبي في هَدْم الكَنائِس . فلم يُمَكِّنه قاضي القُضَاة تَقِيُّ الدِّين محمد بن دَقِيق العِيد من ذلك ، وكَتَبَ خَطَّه بأنَّه لا يَجُوز أن يُهْدَم من الكَنائِس إلَّا ما اسْتُجِدَّ بِناؤُه . فغُلِّقَت عِدَّةُ كَنائِس بالقاهِرَة ومصر مُدَّة أيَّام فسَعَى بَعْضُ أعْيانِ النَّصَارَىٰ في فَتْحِ كَنيسَةٍ حَتَّى فَتَحَها . فثارَت العامَّةُ ،

---

[١] من بين ما قاله لهم : «كيف تَرْجُون النَّصْرَ والنَّصَارَىٰ تَرْكَب عندكم الخُيُول وتَلْبَس العمائم البيض ، وتُذِلُّ المسلمين وتُمَشِّيهم في خِدْمَتِهم؟» . (المقريزي : السلوك ١ : ٩١٠) .

[٢] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «الأَصْلُ في تعبير الذِّمَّة منهم أنَّ سَعْد بن أبي وَقَّاص اسْتَخْلَف خالِد بن عُرْفُطَة على الكوفَة ، فأسلمت امْرَأَةٌ فأتته فذَكَرَت أنَّ زَوْجَها يضربها على أن تَعُودَ إلى النَّصْرانية وأقامَت على ذلك بَيِّنَةً ؛ فضَرَبَه خالِد وحَلَّقَه وفَرَّقَ بينها وبينه . فأتَى النَّصْراني عُمَر بن الخَطَّاب فشَكَا خالِدًا ، فأشْخَصَ عُمَر خالِدًا إليه فأَخْبَرَه أنَّه نَصْراني وقَصَّ عليه قَضِيَّته ، فقال عُمَرَ : «الحُكْمُ ما حَكَمت فيه» ، وكَتَبَ إلى الأَمْصَار أن تُجَزَّ نَواصيهم ، وأن لا يَلْبَسُوا ملابِس المسلمين حتى يُعْرَفُوا» .

وراجع كذلك ، ابن قَيِّم الجَوْزِية : أحكام أهل الذِّمَّة ، تحقيق صبحي الصَّالِح ، دمشق ١٩٦١؛ النابلسي : تجريد سَيْف الهِمَّة لاستِخْراج ما في ذِمَّة أهل الذِّمَّة ، نَشَرَ كلود كاهِن أقسامًا منه بعنوان Cahen, Cl., «Histoires Coptes d'un Cadi médiéval», *BIFAO* LIX (1960), pp. 133-50; id., *EI* [2] art. *Dhimma* II, pp. 234-38; Fattal, A., *Le statut légal des Non-musulmans en pays d'Islam*, Beyrout 1958; Bar Ye'or, *The Dhimmi Jews and Christians under Islam*, London 1985; Aziz S. Atiya, *CE* art. *Ahl al-Dhimmah* I, pp. 72-73؛ إضافةً إلى كتاب تريتون : أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٧.

[٣] تناول دراسة «العَهْدِ العُمَري» والشُّرُوط الواردة فيه ، العَديدُ من المصادر المُتَقَدِّمَة والدِّراسات الحديثة ، وهي بين مُثْبِت له أو مُنْكِر له ، وقد أَوْجَز هذه الدِّراسات وعَلَّق عليها عُبادَة عبد الرحمن كحيلة في كتابه : عَهْد عمر ... قراءة جديدة ، القاهرة ١٩٩٦.

ووَقفُوا للنَّائِب والأُمَرَاء، واسْتَغاثُوا بأنَّ النَّصَارَىٰ قد فَتَحُوا الكَنائِس بغَيْرِ إذْن، وفيهم جَماعَةٌ تَكَبَّرُوا عن لِبْس العَمائِم الزُّرْق، واحْتَمَى كثيرٌ منهم بالأُمَرَاء، فنُودِيَ في القاهِرَة ومصر: أنْ يَلْبَس النَّصَارَىٰ بأجْمَعِهم العَمائِمَ الزُّرْق، ويَلْبَس اليَهُود بأَسْرِهم العَمائِمَ الصُّفْر، ومن لم يَفْعَل ذلك نُهِبَ مالُه وحَلَّ دَمُه. ومُنِعُوا جَميعًا من الخِدْمَة في ديوان السُّلْطان ودَواوين الأُمَرَاء حتى يُسْلِمُوا.

فتَسَلَّطَت الغَوْغَاءُ عليهم وتَتَبَّعوهم، فمن رَأَوْه بغير الزِّيّ الذي رُسِمَ به ضَرَبُوه بالنِّعال وصَفَعُوا عُنُقَه حتى يَكاد يَهْلِك، ومن مَرَّ بهم وقد رَكِبَ ولا يَثْني رِجْلَه أَلْقَوه عن دابَّته، وأَوْجَعُوه ضَرْبًا. فاخْتَفَى كَثيرٌ منهم، وألجَأَت الضَّرُورَة عِدَّةً من أعْيانِهم إلى إظْهارِ الإسْلام أَنَفَةً من لِبْس الأَزْرَق ورُكُوبِ الحَمير[1].

(a) وقد أَكْثَرَ شُعَرَاءُ العَصْر في ذِكْر تَغْيير زِيّ أَهْلِ الذِّمَّة. فقال عَلاءُ الدِّين علي بن مُظَفَّر الوَداعي:

[الطويل]

لقد أُلْزِمَ الكُفَّارُ شَاشَات ذِلَّةٍ   تَزيدُهُم من لَعْنَةِ الله تَشْوِيشَا
فقُلْتُ لهم ما أَلْبَسُوكُم عَمائِمًا   ولكنَّهم قد أَلْزَمُوكم بَراطِيشَا

وقال شَمْسُ الدِّين الطِّيبي:

[البسيط]

تَعَجَّبُوا للنَّصَارَىٰ واليَهُود مَعًا   والسَّامِرِيِّين لمَّا عُمِّمُوا الخِرَقَا
كأنَّما باتَ بالأَصْباغِ مُنْسهِلًا   نَسْرُ السَّمَاءِ فأَضْحَى فَوْقَهم ذَرَقَا (a)[2]

فبَعَثَ مَلِكُ بَرْشِلونة، في سنة ثلاثٍ وسبع مائةٍ، هَدِيَّةً جَليلَةً زائِدَةً عن عادَته، عَمَّ بها جَميعَ أَرْبابِ الوَظائِف من الأُمَرَاء مع ما خَصَّ به السُّلْطان، وكَتَبَ يَسْأَل في فَتْح ـ الكَنائِس. فاتَّفَق

---

a-a) كل هذه الفقرة ساقطة من نسخة ميونخ.

---

[1] راجع حول هذا الموضوع بتفاصيل أكثر، النويري: نهاية الأرب ٣١:٤١٦–٤٢٦؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٩:٤٧–٥١؛ مفضل بن أبي الفضائل: النهج السديد *PO* XX (1929) pp. 38-40؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:٣٧٧–٣٧٨؛ المقريزي: السلوك ١:٩٠٩–٩١١؛ العيني: عقد الجمان ٤:١٤٠–١٤١، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٨:١٣٢–١٣٥؛ وكذلك قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٧، ٧٥–٧٦.

[2] انظر الأبيات كذلك عند أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٨:١٣٥.

الرَّأْيُ على فَتْحِ كَنيسَة حارَة زَويلَة لليَعاقِبَة ، وفَتْح كَنيسَة البُنْدُقانيين من القاهِرَة [1] .

ثم لمَّاكان يَوْم الجُمُعة تاسع شهر رَبيع الآخر سنة إحدى وعشرين وسبع مائةٍ ، هُدِمَت كَنائِسُ أَرْض مصر في سَاعَةٍ واحِدَةٍ ، كما ذُكِرَ في أَخْبار كَنيسَة الزُّهْري [2] .

وفي سنة خَمْس وخَمْسين وسبع مائةٍ ، رُسِمَ بتَحْرير ما هو مَوْقُوفٌ على الكَنائِس من أراضي مصر ، فأنافَ على خمسةٍ وعشرين ألف فَدَّان . وسَبَبُ الفَحْص عن ذلك كَثْرَةُ تَعاظُم النَّصَارَىٰ ، وتَعَدِّيهم في الشَّرّ والإضْرارِ بالمُسْلمين ، لتَمَكُّنهم من أُمَرَاءِ الدَّوْلَة ، وتَفَاخُرهم بالملابِس الجَليلَة والمُغالاةِ في أثْمانِها ، والتَّبَسُّط في المآكِل والمَشارِب ، وخُرُوجُهم عن الحَدِّ في الجَراءَة والسَّلاطَة . إلى أن اتَّفَقَ مُرُورُ بَعْضِ كُتَّابِ النَّصَارَىٰ على الجَامِع الأزْهَر من القاهِرَة ، وهو راكِبٌ بخُفٍّ ومِهْمازٍ ، وبقباءٍ إسْكَنْدَري طُرِحَ على رَأْسِه ، وقُدَّامُه طَرَّادون يَمْنَعُون النَّاسَ من مُزاحَمتِه ، وخَلْفَه عِدَّةُ عَبيدٍ بثِيابٍ سَرِيَّة على أكاديش فارِهَة . فشَقَّ ذلك على جَماعَةٍ من المسلمين ، وثارُوا به وأنْزَلُوه عن فَرَسه ، وقَصَدُوا قَتْلَه وقد اجْتَمَعَ عالَمٌ كبيرٌ ، ثم خَلُّوا عنه . وتَحَدَّثَ جَماعَةٌ مع الأمير طَاز في أمْرِ النَّصَارَىٰ وما هُمْ عليه ، فوعَدَهم بالإنْصافِ منهم ، فرَفَعُوا قِصَّةً على لِسانِ المسلمين ـ قُرِئَت على السُّلْطانِ الملك الصَّالح صَالِح بحَضْرَةِ الأُمَراءِ والقُضَاةِ وسَائِر أهْلِ الدَّوْلَة ـ تَتَضَمَّن الشَّكْوَى من النَّصَارَىٰ ، وأن يُعْقَد لهم مَجْلِسٌ ليَلْتَزِموا بما عليهم من الشُّرُوط . فرُسِمَ بطَلَبِ بَطْرَكِ النَّصَارَىٰ وأعْيانِ أهْلِ مِلَّتِهم ، وبطَلَبِ رَئيسِ اليَهُودِ وأعْيانِهم ، وحَضَرَ القُضَاةُ والأُمَراءُ بين يَدَي السُّلْطان ، وقَرَأ القاضي عَلاءُ الدِّين علي بن فَضْلِ الله ، كاتِب السِّرّ ، العَهْدَ الذي كُتِبَ بين المُسْلِمين وبَيْنَ أهْلِ الذِّمَّة ـ وقد أحْضَرُوه معهم ـ حَتى فَرَغَ منه . فالْتَزَمَ من حَضَر منهم بما فيه ، وأقَرُّوا به ، فعُدِّدَت لهم أفْعالُهم التي جاهَرُوا بها وهم عليها ، وأنَّهم لا يَرْجِعون عنها غير قليل ، ثم يَعُودُون إليها كما فَعَلُوه غير مَرَّةٍ فيما سَلَف .

فاسْتَقَرَّ الحَالُ على أن يُمْنَعُوا من المُباشَرَةِ بشيءٍ من ديوانِ السُّلْطانِ ودَواوين الأُمَرَاءِ ولو أظْهَرُوا الإسْلام ، وألَّا يُكْرَه أحَدٌ منهم على إظْهارِ الإسْلام ، ويُكْتَب بذلك إلى الأعْمَال .

فتَسَلَّطَتِ العامَّةُ عليهم ، وتَتَبَّعوا آثارَهم ، وأخَذُوهُم في الطُّرُقاتِ ، وقَطَعُوا ما عليهم من الثِّيابِ ، وأوْجَعُوهم ضَرْبًا ، ولم يَتْرُكوهُم حتى يُسْلِموا ، وصَارُوا يُضْرِمون لهم النَّار ليلقوهم

---

[1] مفضل بن أبي الفضائل : النهج السديد *PO* XX (1929), pp. 95-96؛ المقريزي : السلوك ١ : ٩٥٠ - ٩٥١؛ العيني : عقد الجمان ٤ : ٣٠٤ - ٣٠٥، والمقصود في النَّصّ ملك أرَجُونَة Jayme II، وكانت قاعِدَةُ مملكته مَدينَة بَرْشِلُونة .

[2] فيما يلي ١٠٦٦ .

فيها. فاخْتَفَوا في بُيوتِهم[١]، ولم يَتَجاسَروا على المَشْي بين النَّاس، فنُودي المَنْعُ من التَّعرُّض لأذاهم.

فأخَذَت العامَّةُ في تَتَبُّع عَوْراتِهم، وما عَلَّوه من دُورِهم على بِناءِ المُسْلمين فهَدَمُوه، واشْتَدَّ الأمْرُ على النَّصارَىٰ باخْتِفائِهم؛ حتى إنَّهم فُقِدُوا من الطُّرقاتِ مُدَّةً، فلم يُرَ منهم ولا من اليَهُود أَحَدٌ. فرَفَعَ المُسْلِمون قِصَّةً، قُرِئَت في دارِ العَدْل في يوم الاثنين رابع عشر شهر رَجَب، تَتَضَمَّن أنَّ النَّصارَىٰ قد اسْتَجَدُّوا عِمارات في كَنائِسهم، ووَسَّعُوها.

هذا وقد اجْتَمَعَ بالقَلْعَةِ عالَمٌ عَظيمٌ، واسْتَغاثُوا بالسُّلْطانِ / من النَّصارَىٰ، فرَسَمَ برُكُوبِ والي ٢:١٠٢ القاهِرَة، وكَشْفه على ذلك. فلم تَتَمَهَّلِ العامَّةُ ومَرَّت بسرعة، فخَرَّبَت كَنيسَة بجوار قَناطِر السِّباع، وكَنيسَة بطَريقِ مصر للأَسْرَي، وكَنيسَة الفَهَّادين بالجُوَّانية من القاهِرَة، ودَيْر نَهْيا من الجيزَة، وكَنيسَة بناحية بُولاق التَّكْروري، ونَهَبُوا حَواصِلَ ما خَرَّبُوه من ذلك – وكانت كثيرة – وأخَذُوا أخْشابَها ورُخامَها، وهَجَمُوا كَنائِسَ مصر والقاهِرَة، ولم يَبْقَ إلَّا أن يُخَرِّبُوا كَنيسَة البُنْدُقانِيين بالقاهِرَة، فرَكِبَ الوالِي ومَنَعَهم منها، واشْتَدَّت العامَّةُ، وعَجَزَ الحُكَّام عن كَفِّهم.

وكان قد كُتِبَ إلى جَميعِ أعْمالِ مصر وبِلادِ الشَّامِ أن لا يُسْتَخْدَم يَهُودِي ولا نَصْراني ولو أَسْلَم، وأنَّه من أسْلَم منهم لا يُمَكَّن من العُبور إلى بَيْتِه ولا من مُعاشَرَة أهْلِه إلَّا أن يُسْلِموا، وأن يُلْزَم من أسْلَمَ منهم بمُلازَمةِ المساجِد والجَوامِع لشُهُود الصَّلوات الخَمْس والجُمَع، وأنَّ من ماتَ من أهْلِ الذِّمَّة يَتَولَّى المُسْلِمون قِسْمَة تَرِكَته على وَرَثَته إنْ كانَ له وارِث، وإلَّا فهي لبَيْتِ المالِ، وكان يَصْلي ذلك البَطْرَك. وكُتِبَ بذلك مَرْسُومٌ قرئَ على الأُمَراء، ثم نَزَلَ به الحاجِب فقَرَأه في يوم الجُمُعة سادِس عشرين جُمادَى الآخرة بجَوامِعِ القاهِرَة ومصر، فكان يَوْمًا مَشْهودًا[٢].

ثم أُحْضِرَ في أُخْرَيات شَهْرِ رَجَب، من كَنيسَة شَبْرا بعدما هُدِمَت، أُصْبُع الشَّهيد – الذي كان يُلْقَى في النِّيل حتى يَزيد بزَعْمِهم – وهو في صَنْدوق. فأُحْرِق بين يَدَي السُّلْطان بالمَيْدان من قَلْعَةِ الجَبَل، وذُرِّيَ رَمادُه في البَحْر خَشْيةً من أخْذِ النَّصارَىٰ له[٣].

---

[١] انظر عن أماكِن تَجَمُّع أهْلِ الذِّمَّة – وعلى الأخَصّ النَّصارَىٰ – في القاهرة في العَصْر الإسلامي، دراسة دوريس بهرن أبو سيف Behrens - Abouseif, D., «Locations of Non-Muslim Quarters in Medieval Cairo», *An.Isl.* XXII (1986), pp. 117-32.

[٢] راجع، المقريزي: السلوك ٢:٩٢١–٩٢٧، نصًّا أكثر تَفْصيلًا، وأوْرَدَ القلقشندي نَصَّ المَرْسُوم الذي أصْدَرَه السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ صَالِح باعتماد اليَهُود والنَّصارَىٰ والسَّامِرَة حُكْم عَهْدِ أمير المؤمنين عمر بن الخَطَّاب، رضي الله عنه. (صبح الأعشى ١٣:٣٧٨–٣٨٧).

[٣] انظر عن عيد الشهيد وإلْغائِه، فيما تقدم ١:١٨٣–١٨٥.

فقَدِمَت الأَخْبارُ بكَثْرَة دُخُولِ النَّصارَىٰ، من أَهْلِ الصَّعيد والوَجْهِ البَحْري، في الإِسْلام وتَعَلُّمهم القُرْآن، وأَنَّ أكثر كَنائِسِ الصَّعيد هُدِمَت وبُنِيَت مَساجِدَ، وأنَّه أَسْلَم بمَدينَة قَلْيُوب في يَوْمٍ واحد أربع مائةٍ وخمسون نَصْرانِيًّا، وكذلك بعامَّة الأَرْياف، مَكْرًا منهم وخَديعَة حتى يُسْتَخْدَموا في المُباشَرات، ويَنْكِحوا المُسْلِمات. فتَمَّ لهم مُرادُهم، واخْتَلَطَت بذلك الأَنْساب حتى صَارَ أكثرُ النَّاس من أَوْلادِهم [1].

ولا يَخْفَى أَمْرُهم على من نَوَّرَ الله قَلْبَه. فإنَّه يَظْهَر من آثارِهم القَبيحَة، إذا تَمَكَّنُوا من الإِسْلام وأَهْله، ما يَعْرِف به الفَطِن سُوءَ أَصْلِهم وقَديمَ مُعاداةِ أَسْلافِهم للدِّين وحَمَلَته.

فَصْــل

النَّصارَىٰ فِرَقٌ كثيرة: المَلْكانية، والنُّسْطُورية، واليَعْقُوبية، والبُوذْعانية، والمَرْقُولية - وهم الرُّهاوِيُّون الذين كانوا بنَواحي حَرّان - وغير هؤلاء. فمنهم مَنْ مَذْهَبُه مَذْهَب الحَرّانِيَّة، ومنهم من يقول بالنُّور والظُّلْمَة، والثَّنَوِيَّةُ كلُّهم يُقِرُّون بنُبُوَّة المَسيح - عليه السَّلام - ومنهم من يَعْتَقِد مَذْهَبَ أَرِسطاطاليس.

والمَلْكَانِيّة واليَعْقُوبِيّة والنُّسْطُورِيَّة مُتَّفِقُون على أنَّ مَعْبُودَهم ثلاثة أقانيم، وهذه الأَقانيم الثَّلاثة شيءٌ واحِد، وهو جَوْهرٌ قَديمٌ، ومَعْناه أَبٌ وابنٌ ورُوحُ القُدُس إلهٌ واحِدٌ، وأَنَّ الابْن نزَلَ من السَّماءِ، فتَدَرَّع جَسَدًا من مَرْيم، وظَهرَ للنَّاسِ يُحْيي ويُبْرِئُ ويُنْبِئُ، ثم قُتِلَ وصُلِبَ، وخَرَجَ من القَبْر لثلاثٍ، فَظَهر لقَوْمٍ من أَصْحابِه، فعَرَفُوه حَقَّ معرفته، ثم صَعِدَ إلى السَّماءِ فجَلَسَ عن يَمين أَبِيه؛ هذا الذي يَجْمَعهم اعْتِقادُه.

---

[1] راجع عن تَحَوُّلِ الأَقْباطِ إلى الإسلام في العصر المملوكي البَحْري دراسة دونالد ليتل Little, D.P., «Coptic Conversion to Islam under the Bahri Mamluks», *BSOAS* XXXIX (1978), pp. 552-69؛ وأعادَ نَشْرها في كتاب Gervers, M. and Bikkazi, R. J. (eds.), *Conversion and Continuity: Indigenous Christian Communities in Islamic Lands, Eighth to Eighteenth Centuries*, Toronto 1990, pp. 263-88؛ ودراسة قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، ١٧١- ١٧٩.

[2] حَوْلَ فِرَقِ النَّصارَىٰ والفُرُوق بينها، راجع الشهرستاني: الملل والنحل ١: ٢٠١- ٢٠٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ٢٧٦- ٢٩١؛ Janim, J., *Les églises orientales et les rites orientaux*, Letouzey & Ané 1997; *The Blackwell Dictionary of Eastern Christianity*, Blackwell - Oxford 2001.

ثم إنَّهم يَخْتَلِفُون في العِبارَة عنه : فمنهم من يَزْعُم أنَّ القَدِيم جَوْهَر واحِد يَجْمَعه ثلاثةُ أقانيم ـ كل أُقْنُوم منها على جَوْهَر خاصّ ـ فأحَدُ هذه الأقانيم أبٌ واحِدٌ غير مَوْلُود ، والثَّالِث رُوحٌ فائِضَة مُنْبَثِقَة بين الأب والابْن ، وأنَّ الابن لم يَزَل مَوْلُودًا من الأب ، وأنَّ الأب لم يَزَل والِدًا للابن ، لا على جِهَة النِّكاح والتَّناسُل ، لكن على جِهَة تَوَلُّد ضِياءِ الشَّمْس من ذاتِ الشَّمْس ، وتَوَلُّد حَرّ النَّار من ذاتِ النَّار .

ومنْهم من يَزْعُم أنَّ معنى قَوْلِهم أنَّ الإله ثلاثةُ أقانِيم ، أنَّها ذاتٌ لها حَياةٌ ونُطْقٌ : فالحَياةُ هي رُوح القُدُس ، والنُّطْق هو العِلْم والحِكْمَة ، والنُّطْقُ والعِلْمُ والحِكْمَة والكَلِمَةُ عِبارَة عن الابْن ، كما يُقالُ الشَّمْسُ وضِياؤُها والنَّارُ وحَرُّها ، فهو عِبارَةٌ عن ثَلاثَةِ أشْياء تَرْجِعُ إلى أصْلٍ واحِد .

ومنْهم من يَزْعُم أنَّه لا يَصِحُّ له أن يُثْبت الله فاعِلًا حَكيمًا ، إلَّا أنَّه يُثْبته حَيًّا ناطِقًا . ومعنى النَّاطِق عندهم العالِمُ المُمَيِّز ، لا الذي يُخْرِج الصَّوْت بالحُرُوف المركَّبة ، ومعنى الحَيّ عندهم من له حَياة بها يكون حَيًّا ، ومعنى العالِم من له عِلْم به يكون عالِمًا ؛ قالوا : فذاتُه وعِلْمُه وحَياتُه ثلاثة أشْياء والأصْل واحِد . فالذَّاتُ هي العِلَّة للاثْنَيْن اللَّذين هُمَا العِلْم والحَياة ، والاثْنان هما المَعْلُولان للعِلَّة .

ومنْهم من يَتَنَزَّه عن لَفْظ العِلَّة والمَعْلُول في صِفَةِ القَديم ، ويقول : أبٌ وابْنٌ ، ووالِدَةٌ ورُوحٌ ، وحَياةٌ وعِلْمٌ ، وحِكْمَةٌ ونُطْق .

قالوا : والابْنُ اتَّحَدَ بإنْسانٍ مَخْلُوقٍ ، فصَارَ هو وما اتَّحَدَ به مَسيحًا واحِدًا ، وإنَّ المَسيحَ هو إله العِبادِ ورَبُّهم .

ثم اخْتَلَفُوا في صِفَةِ الاتِّحَاد . فزَعَمَ بعضُهم أنَّه وَقَعَ بين جَوْهَرٍ لاهُوتي وجَوْهَرٍ ناسُوتي اتِّحادٌ فصَارَا مَسيحًا واحِدًا ، ولم يُخْرِج الاتِّحادُ كلَّ واحِدٍ منهما عن جَوْهَرِيتِه وعُنْصُره ، وأنَّ المَسيحَ إله مَعْبُودٌ ، وأنَّه ابنُ مَرْيَم الذي حَمَلَته ووَلَدَته ، وأنَّه قُتِلَ وصُلِبَ .

وزَعَمَ قَوْمٌ أنَّ المَسيحَ بعد الاتِّحاد جَوْهَران أحُدُهما لاهوتي ، والآخَر ناسُوتي ، وأنَّ القَتْلَ والصَّلْبَ وَقَعَا به من جِهَة ناسُوته لا من جِهَة لاهُوته ، وأنَّ مَرْيَم حَمَلَت المسيحَ ووَلَدَته من جِهَة ٢ ناسُوتِه ، وهذا قَوْل النَّسْطُوريَّة . ثم يقولون : إنَّ المَسيحَ بكماله / إلهٌ مَعْبُودٌ ، وإنَّه ابنُ الله ؛ تعالى الله عن قَوْلِهم .

وزَعَمَ قَوْمٌ أنَّ الاتِّحادَ وَقَعَ بين جَوْهَرَيْن : لاهُوتي ، وناسُوتي ، فالجَوْهَرُ اللَّاهُوتي بَسيطٌ غير مُنْقَسِم ولا مُتَجَزِّئ . وزَعَمَ قَوْمٌ أنَّ الاتِّحادَ على جِهَة حُلُول الابْن في الجَسَد ومُخالَطَته إيَّاه . ومنهم

من زَعَم أنَّ الاتِّحادَ على جِهَة الظُّهور، كظُهُورِ كِتابَة الخاتَم والنَّقْش إذا وَقَع على طِينٍ أو شَمْع، وكظُهُور صُورَة الإنْسان في المِرآة، إلى غير ذلك من الاخْتِلافِ الذي لا يُوجَد مِثْلُه في غَيْرِهم، حتى لا تَكادُ تَجِد اثْنَيْن منهم على قَوْلٍ واحِد.

و «المَلْكانِيَّة» تُنْسَب إلى مَلِك الرُّوم، وهم يقُولُون: إنَّ الله اسْم لثَلاثَة مَعانٍ، فهو واحِدٌ ثلاثة، وثَلاثَة واحِد. و «اليَعْقُوبِيَّة» تقول: إنَّه واحِدٌ قديمٌ، وإنَّه كان لا جِسْم ولا إنْسَان، ثم تَجَسَّمَ وتَأنَّس[1]. و «المَرْقُولِيَّة» قالوا: الله واحِد، وعِلْمُه غيره قديم معه، و المَسِيحُ ابنه على جِهَة الرَّحْمَة، كما يُقالُ إبْراهيمُ خَليلُ الله. والمَرْقُولية تَزْعُم أنَّ المَسيحَ يَطُوفُ عليهم كلَّ يومٍ وليلةٍ. و «البوزْغانِيَّة» تَزْعُم أنَّ المَسيحَ هو الذي يَحْشُر المَوْتَى من قُبُورِهم ويُحاسِبهم.

فَصْــل

وعندهم لا بُدَّ من «تَنْصِير» أوْلادِهم، وذلك أنَّهم يَغْمِسُون المَوْلُودَ في ماءٍ قد أُغْلِي بالرَّيَّاحين وألْوانِ الطِّيب في إجَّانَة جَديدة، ويَقْرأون عليه من كِتابِهم، فيَزْعُمُون أنَّه حينئذٍ يَنْزِل عليه رُوحُ القُدُس، ويُسَمُّون هذا الفِعْل «المَعْمُودِيَّة»[2].

«وطَهارَتُهم» إنَّما هي غَسْلُ الوَجْهِ واليَدَيْن فَقط، ولا يَخْتَتِنُ منهم إلَّا اليَعْقُوبِيَّة، ولهم سَبْعُ «صَلَواتٍ» يَسْتَقْبِلون فيها المَشْرِق، و «يَحُجُّون» إلى بَيْتِ المَقْدِس، و «زَكاتُهم» العُشْر من أمْوالِهم، و «صِيامُهم» خَمْسُون يومًا.

فالثَّاني والأربعون منه «عِيد الشَّعانِين»، وهو اليوم الذي نَزَل فيه المسيحُ من الجَبَل ودَخَلَ بَيْتَ المَقْدس. وبعده بأربعة أيَّام «عِيدُ الفِصْح»، وهو اليوم الذي خَرَجَ فيه مُوسَىٰ وقَوْمُه من مصر.

---

[1] المَلْكِية أو المَلْكانية. هم الطَّائِفَةُ المعروفة بالرُّوم الأُرْثُوذُكس، واليعاقِبةُ هم المُونُوفيزيين، أي أتْباع مَذْهَب الطَّبيعَة الواحدة. (انظر فيما تقدم ٩٨٩).

[2] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف: «التَّعْميدُ هو غَمْس التائب في الماء، يُشيرون بذلك إلى الانْغماس في الطَّاعة والتَّجَرُّد عن المخالفة، كما وَرَدَت شَريعَةُ الإسلام بتطهير الكافِر حين يُسْلِم. هذا أَصْلُه عندهم وعُمْدتهم فيه تَعْميد يُوحَنَّا للمَسيح، ثم صارُوا يُعَمِّدون أوْلادَهم».

[3] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف: «اعْلَم أنَّ المسيحَ بنَصِّ إنْجليهم إنَّما يُصَلِّي إلى أورشليم، وهي البَيْت المَقْدِس، التي هي قِبْلَةُ الأنْبِياء، ولم يَزَلْ يتوَجَّه إليها إلى أن رُفِع. وكان مِمَّا أَحْدَث النَّصارَىٰ بعد المسيح الصَّلاة إلى جهة المَشْرق زَعْمًا منهم بأنَّ صاحِبَهم صُلِبَ بتلك الجِهَة، قالوا: فتَوَجَّبَ علينا التَّوَجُّه إلى حيث صُلِبَ، وهم محجوجون بما لا تَسَعُه هذه الطريدة».

وبعده بثلاثة أيّام « عِيدُ القِيامَة » ، وهو اليوم الذي خَرَج فيه المَسيحُ من القَبْرِ بزَعْمِهم . وبعده بثمانية أيّام « عِيدُ الجَديد » ، وهو اليوم الذي ظَهَرَ فيه المَسيحُ لتَلامِذَتِه بعد خُروجِه من القَبْر . وبعده بثمانية وثلاثين يومًا « عِيد السُّلّاق » ، وهو اليوم الذي صَعِد فيه المَسيحُ إلى السَّماء . ولهم « عِيدُ الصَّليب » ، وهو اليوم الذي وَجَدُوا فيه خَشَبَة الصَّليب ، وزَعَمُوا أنّها وُضِعَت على مَيِّت فعاشَ [1] .

ولهم أيضًا « عِيدُ الميلاد » و «عِيدُ الذَّبْح» .

ولهم قَرابِينُ وكَهَنَةٌ : فالشَّمّاسُ فَوْقُه القِسُّ ، وفَوْقَ القِسِّ الأُسْقُف ، وفَوْقَ الأسْقُف المِطْران ، وفَوْقَ المِطْران البَطْريق [2] .

والسُّكْرُ عندهم حَرامٌ ، ولا يَحِلُّ لهم أَكْلُ اللَّحْم ولا الجِماعُ في الصَّوْم ، وكلُّ ما يُباعُ في الشوق ولم تَعَفْه أنْفُسُهم يُباحُ أكْلُه ، ولا يَصِحُّ النِّكاحُ إلّا بحُضُورِ شَمّاسٍ وقِسٍّ وعُدُولٍ ومَهْرٍ ، ويُحَرِّمون من النِّساءِ ما يُحَرِّمه المُسْلِمون ، ولا يَحِلُّ الجَمْعُ بين امْرأتين ، ولا التَّسَرِّي بالإمَاءِ إلّا أن يُعْتَقْن ويُتَزَوَّج بهن ، وإذا خَدَمَ العَبْدُ سَبْعَ سنين عُتِقَ .

ولا يَحِلُّ طَلاقُ المَرْأة ، إلّا أن تأتي بفاحِشَةٍ مُبينَةٍ فتُطَلَّق ، ولا تَحِلُّ للزَّوْجِ أبدًا ، وحَدُّ المُحْصِن إذا زَنَى الرَّجْمُ ، فإن زَنَى غير مُحْصَنٍ وحَمَلَت منه المَرْأةُ تَزَوَّجَ بها ، ومن قَتَلَ عَمْدًا قُتِل ، ومن قَتَلَ خَطأً يَهْرَب ولا يَحِلُّ طَلَبُه ، وأكثرُ أحْكامِهِم من التَّوْراة ، وقد لُعِنَ منهم من لاطَ أو شَهِدَ بالزُّورِ أو قامَرَ أو زَنَى أو سَكِر .

---

[1] راجع عن أعيادِ القِبْط ، النويري : نهاية الأرب ١:١٩١- ١٩٤؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٢:٤٢٥- ٤٣٥ ، ١٣ : ٢٨٤؛ قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر العصور الوسطى ١٢٠- ١٢٣؛ وفيما تقدم ١:٧١٤- ٧٢٩.

[2] راجع ، القلقشندي : صبح الأعشى ٥:٤٧٢- ٤٧٤ ، ١٣ : ٢٧٤.

ذِكْرُ دِياراتِ النَّصارَىٰ [1]

قال ابنُ سِيدَه: الدَّيْرُ خانُ النَّصارَىٰ، والجَمْعُ أَدْيارٌ، وصاحِبُه دَيَّارٌ ودَيْرانِيٌّ [2]. قُلْتُ: الدَّيْرُ عند النَّصارَىٰ يَخْتَصُّ بالنُّسَّاكِ المُقيمين به، والكَنِيسَةُ مُجْتَمَعُ عامَّتِهم للصَّلاة.

[الوَجْه القِبْلي]

القَلَّايَةُ بمِصْر

هذه القَلَّايةُ بجَانِب المُعَلَّقة، التي تُعْرَف بقَصْرِ الشَّمْع، في مَدِينَة مصر. وهي مَجْمَعُ أكابِر الرُّهْبانِ وعُلَماءِ النَّصارَىٰ، وحُكْمُها عندهم حُكْم الأَدْيِرَة.

---

[1] نَشَرَ L. Leroy ترجمةً فرنسيةً للفَصْلِ الخاصِّ بالأديرة عند المقريزي. Leroy, L. «Les convents des chrétiens. Traduction de l'arabe d'al-Makrîzî», *ROC* XIII (1908), pp. 33-46, pp. 192-204.

وراجع حول ديارات النَّصارَىٰ وكنائسهم في مصر، الشابشتي: الديارات، تحقيق كوركيس عَوَّاد، بغداد ١٩٥١، ١٩٦٦ (وكان عزيز سوريال عطية قد نَشَرَ ما يَتَعَلَّق بالأديرة المصرية التي وَرَدَت في كتابِ الشابشتي في مقالٍ عنوانه Atiya, A.S., «Some Egyptian Monasteries according to the unpublished Ms of al-Shabushti's Kitab al-Diyarat», *BSAC* V (1939), pp. 1-28)؛ أبا صالح الأرمني: تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني تُذْكَر فيه أخبارٌ من نواحي مصر وإقطاعها، نشره B.T.A. Evetts, *The Churches and Monasteries of Egypt and Some Neighbouring Countries*, Oxford 1895؛ ثم وُجِدَت نُسْخَةٌ جديدة كاملة للكِتاب دَلَّت على أنَّ المؤلِّف الأصلي لهذا الكتاب هو المؤتَمَن أبو المكارِم سَعْدَ الله بن جرجس بن مَسْعُود، نشرها في أربعة أجزاء الأنبا صموئيل السُّرْياني، القاهرة ١٩٨٤، ٢٠٠٠. (وانظر المُقَدِّمَة)؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١: ٣٦٠-٣٨٦؛ Wallters, C. C., *Monastic Archeology in Egypt*, London 1974 (نَقَلَه إلى العربية إبراهيم سلامة إبراهيم بعنوان: الأديرة الأثرية في مصر، القاهرة - المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٢)؛ Meinardus, O., *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts*, Cairo - AUC 1989؛ الأنبا صموئيل وبديع حبيب جورجي: دليل الكنائس والأديرة في مصر، القاهرة ٢٠٠٢؛ *The Coptic Encyclopedia* III, pp. 695-884؛ وفيما يلي ١٠٦٠هـ [1].

[2] ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ١٠٢؛ وانظر معنى الدَّيْر أيضًا عند ياقوت: معجم البلدان ٢: ٤٩٥.

دَيْرُ طُـرَا

ويُعْرَف بدَيْر أبي جُرْج، وهو على شَاطِئِ النِّيل [١].

وأبو جُرْج هذا هو جِرْجس. وكان مِمَّن عَذَّبَه الملكُ دِقْلِطْيانُوس ليَرْجِع عن دينِ النَّصْرانِيَّة، ونَوَّعَ له العُقُوبات من الضَّرْبِ والتَّحْريق بالنَّار فلم يَرْجِع، فضَرَبَ عُنُقَهَ بالسَّيْفِ في ثالِث تِشْرين وسابع بابَة [٢].

دَيْرُ شَعْـرَان

هذا الدَّيْرُ في حُدُودِ ناحِية طُرَا، وهو مَبْني بالحَجَر واللَّبِن، وبه نَخْلٌ، وبه عِدَّةُ رُهْبان. ويُقالُ إنَّما هو دَيْرُ شَهْرانِ بالهاء، وإنَّ شَهْران كان من حُكَماءِ النَّصارَىٰ، وقيل بل كان مَلِكًا [٣].

وكان هذا الدَّيْرُ يُعْرَف قَديمًا بمَرْقُورْيُوس ـ الذي يُقالُ له مَرْقُورَة وأبو مَرْقُورَة ـ ثم لمَّا سَكَنَه بَرْصُوما بن التَّبَّان، عُرِفَ بدَيْر بَرْصُومَا. وله عيدٌ يُعْمَل في الجُمُعَة الخامِسَة من الصَّوْم الكبير، فيَحْضُره البَطْرَكُ وأكابِرُ النَّصارَىٰ، ويُنْفِقُون فيه مالًا كثيرًا [٤].

ومَرْقُورْيُوس هذا كان مِمَّن قَتَله دِقْلِطْيانُوس، في تاسع عشر تَمُّوز وخامِس عشرين أبيب، وكان جُنْدِيًّا.

دِيـرُ الرُّسُل

هذا الدَّيْرُ خَارِج ناحِيَة الصَّفِّ والوَدْي، وهو دَيْرٌ قَديمٌ لَطيف.

---

[١] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١: ٣٧٣، وفيه: وموقعه قِبْلي القرافة ومصر يلي بِرْكة الحَبَش.

[٢] أبو المكارم: تاريخ ٢:٥٩ (ابو صالح: تاريخ).

[٣] لا يزال هذا الدَّيْر قائمًا ويُعْرف بـ «دَيْر شَهْران» و«دَيْر العُزْبان»، ويقع في المنطقة المعروفة الآن بـ «المَعْصَرَة» بين طُرا وحُلْوان جنوب القاهرة. (نفسه ٢: ٥٨؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١:٣٦٦- ٣٦٩؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ١: ٢٦٠؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr Shahrân III, pp. 862-63.*

[٤] حاشية بخَطِّ المؤَلِّف: «قال الشَّعْبي عن ابن عبَّاس في قَوْلِ الله تعالى: ﴿وَالَّذينَ لا يَشْهَدُون الزُّور وإذا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرامًا﴾ [الآية ٧٢ سورة الفرقان]، قال: أعْيادُ المُشْرِكين، يعني الشَّعانين وغير ذلك.

دَيْـرُ بُطْرُس وبُولُص

هذا الدَّيْرُ خَارِجَ إطْفِيح من قِبْلِيها ، وهو دَيْرٌ لَطيفٌ ، وله عيدٌ في خامِس أَبيب يُعْرَف بعيد /القَصْرِية [1] . ٥٠

وبُطْرُسُ هذا هو أكبر الرُّسُل الحَوارِيِّين ، وكان دَبَّاغًا ـ وقيل صَيَّادًا ـ قَتَلَه الملكُ نِيرون في تاسع عشرين حُزَيْران وخامِس أَبيب . وبُولُص هذا كان يَهودِيًّا ، فتَنَصَّرَ بعد رَفْعِ المَسيح ـ عليه السَّلام ـ ودَعَا إلى دِينِه ، فقَتَلَه الملكُ نِيرون بعد قَتْلِه بُطْرُس بسَنَة .

دَيْـرُ الجُمَيْزَة

ويُعْرَف بدَيْر الجُود ، ويُسَمِّي مَوْضِعَه البَحَّارَةُ جَزائِرَ الدَّيْر ، وهو قُبالَةَ المَيْمُون ، وهو عِزْبَة لدَيْر العَرَبَة [a] . بُنِيَ على اسْم أَنْطونْيُوس ـ ويُقالُ أَنْطُونَة ـ وكان من أَهْلِ قِمْن ، فلمَّا انْقَضَت أيَّامُ الملك دِقْلِطْيانوس وفاتَتْه الشَّهادَة ، أحَبَّ أن يَتَعوَّض عنها بعِبادَةٍ تُوَصِّلُ ثَوابَها أو قَريبًا من ذلك ، فتَرَهَّبَ [2] . وكان أوَّلَ من أحْدَثَ الرَّهْبانِيَّة للنَّصارَىٰ عِوَضًا عن الشَّهادَة ، وواصَلَ أرْبعين يَوْمًا لَيْلًا ونَهارًا طاوِيًا لا يَتناوَلُ طَعامًا ولا شَرابًا مع قِيام اللَّيْلِ ، وكان هكذا يَفْعَل في الصِّيام الكبير كلَّ سنة .

دَيْـرُ العَـرَبَة [a]

هذا الدَّيْرُ يُسارُ إليه في الجَبَل الشَّرْقي ثلاثة أيَّام بسَيْر الإبِل ، وبَيْنَه وبَيْنَ بَحْر القُلْزُم مَسافَة يوم كامِلٍ ، وفيه غالِبُ الفَواكِه مُزْدَرَعَة ، وبه ثلاثة أعْيُنٍ تَجْري ، وبَنَاه أَنْطونْيُوس المقدَّم ذكره [3] .

---

a) بولاق : العزبة .

---

[1] راجع ، Coquin, R.-G., Martin, M. & Grossmann, P., *CE* art. *Dayr al-Qasriyyah III*, pp. 849-50.

[2] أبو المكارم : تاريخ ٢:٦٩ (أبو صالح : تاريخ ٧٠) ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي : ٢٥٨ ؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr al-Maymûn III*, p. 838.

[3] هو الدَّيْر المعروف بـ «دَيْر الأنْبا أَنْطونْيُوس والواقع على بُعْدِ ٤٥ كم جنوب غرب فنار الزَّعْفرانَة بالبحر الأحمر عند سفح النهاية الجنوبية لسلسلة جَبَل جَلالَة ، وعلى بُعْدِ =

ورُهْبَانُ هذا الدَّيْر لا يَزالُون دَهْرَهُم صَائِمين، لكنَّ صَوْمَهُم إلى العَصْرِ فقط، ثم يُفْطِرون، ما خَلا الصَّوْم الكبير والبَرْمُولات، فإنَّ صَوْمَهُم في ذلك إلى طُلُوعِ النَّجْم. والبَرْمُولات هي الصَّوْمُ كذلك بُلغَتِهِم.

دَيْرُ أَنْبَا بُولا

وكان يُقالُ له أوَّلًا «دَيْرُ بُولُص»، ثم قيل له «دَيْرُ بُولا»، ويُعْرَف بـ«دَيْر النَّمُورَةِ» أيضًا. وهذا الديرُ في البَرِّ الغَرْبي من الطُّور، على عَيْنِ ماءٍ يَرِدُها المُسافِرُون. وعندهم أنَّ هذه العَيْنَ تَطَهَّرت منها مَرْيَم، أُخْت مُوسَىٰ - عليهما السَّلام - عند نُزُولِ مُوسَىٰ ببَني إسْرائيل في بَرِّيَّة القُلْزُم[1].

وأنْبَا بُولا هذا كان من أَهْلِ الإسْكَنْدَرية، فلمَّا ماتَ أبوه تَرَكَ له ولأخيه مالًا جَمًّا، فخاصَمَه أخُوه في ذلك وخَرَجَ مُغاضِبًا له، فرأى مَيِّتًا يُقْبَر فاعْتَبَر به، ومَرَّ على وَجْهِه سائِحًا حتى نَزَلَ على هذه العَيْنِ، فأقامَ هناك والله تعالى يَرْزُقُه، فمَرَّ به أنْطونيُوس، وصَحِبَه حتَّى مات، فبَنَى هذا الدَّيْر على قَبْرِه. وبين هذا الدَّيْر والبَحْر ثَلاث ساعات، وفيه بُسْتانٌ فيه نَخْلٌ وعِنَبٌ، وبه عَيْنُ ماءٍ تَجْري أيضًا.

دَيْرُ القُصَيْر

قال أبو الحَسَن عليّ بن محمد الشَّابُشْتي في كِتابِ «الدِّيارات»: وهذا الدَّيْرُ في أعْلى الجَبَلِ، على سَطْحٍ في قُلَّته، وهو دَيْرٌ حَسَنُ البِنَاءِ مُحْكَمُ الصَّنْعَة، نَزِهُ البُقْعَة، وفيه رُهْبانٌ مُقيمُون به، وله بِئْرٌ مَنْقُورَة في الحَجَر يُسْتَقَى له منها الماءُ، وفي هَيْكَلِه صُورَةُ مَرْيَم - عليها السَّلام - في لَوْحٍ، والنَّاسُ يَقْصِدُون المَوْضِع للنَّظَر إلى هذه الصُّورَة. وفي أعْلاه غُرْفَةٌ بناها أبو الجَيْش خُمارَوَيْه ابن أحمد بن طُولُون، لها أرْبَعُ طاقاتٍ إلى أرْبَع جِهات، وكان كثير الغَشَيان لهذا الدَّيْر، مُعْجَبًا

= ٢٩٠ كم من القاهرة من طريق السُّوَيْس. (راجع، Otto Meinardus, *CE* art. *Dayr Arbâ Antuniyûs III*, pp. 720-21؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ٢٢٠-٢٢١).

[1] يَقَعُ هذا الدَّيْرُ قُرْب شاطئ البَحْر الأحْمَر على بُعْدِ ٢٥ كم جنوب غَرْب فنار الزَّعْفَرانَة. (راجع، أبا المكارم: تاريخ ٢: ٧٠ (أبا صالح: تاريخ ٧١)؛ Otto Meinardus, *CE* art. *Dayr Anbâ Bûla* III, p. 741؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ٢٢٢-٢٢٣).

بالصُّورَة التي فيه ، يَسْتَحْسِنها ويَشْرَب على النَّظَر إليها . وفي الطَّريق إلى هذا الدَّيْر من جِهَة مصر صُعُوبَة ، وأمَّا من قِبْليه فسَهْلُ الصُّعود والنُّزول ، وإلى جانِبِه صَوْمَعَه لا تَخْلو من حَبِيسٍ يكون فيها . وهو مُطِلٌّ على القَرْيَة المعروفة بشَهْران [1] ، وعلى الصَّحْراء والبَحْر ، وهي قَرْيَة كبيرة عامِرَة على شاطئِ البَحْر ، ويَذْكُرُون أنَّ مُوسَىٰ ـ صَلَواتُ الله عليه ـ وُلِدَ فيها ، ومنها أَلْقَتْه أمُّه إلى البَحْر في التَّابُوت [2] . [a]وبه أيضًا دَيْرٌ يُعْرَف بدَيْرِ شَهْران[a].

ودَيْرُ القُصَيْر هذا أحَدُ الدِّيارات المَقْصُودَة والمُتَنَزَّهات المَطْرُوقَة ، لحُسْنِ مَوْضِعِه وإشْرافِه على مصر وأعْمالِها [3] ، وقد قال فيه شُعَراءُ مصر ووَصَفُوه ، فَذَكَروا طِيبَه ونُزْهَتَه ، ولأبي هُرَيْرَة بن أبي العِصَام فيه من المُنْسَرِح :

كَمْ لِي بدَيْرِ القُصَيْرِ من قَصْفِ ··· مع كُلِّ ذي صَبْوَةٍ وذي ظُرُفِ
لَـهَـوْتُ فيه بـشَـادِنٍ غَـنِـجٍ ··· تَـقْـصُـرُ عنـه بَـدائِـعُ الـوَصْـفِ [4]

وقال ابنُ عَبْد الحَكَم في كِتاب «فُتُوحِ مِصْر» : وقد اخْتُلِف في القُصَيْر : فعن ابن لَهِيعة قال : ليس بقُصَيْر مُوسَىٰ النَّبي ﷺ ولكنّه مُوسَىٰ السَّاحِر . وعن المُفَضَّل بن فَضالَة عن أبيه قال : دَخَلْنا على كَعْبِ الأحْبَار ، فقال لنا : مِمَّن أنتم ؟ قُلْنا : فِتْيانٌ من أهْلِ مصر ، فقال : ما تَقُولُون في القُصَيْر ؟ قُلْنا : قُصَيْر مُوسَىٰ ؟ فقال : ليس بقُصَيْر مُوسَىٰ ، ولكنَّه قُصَيْر عَزِيز مصر ، كان إذا جَرَى النِّيلُ يَتَرَفَّعُ فيه ، وعلى ذلك إنَّه لَمُقَدَّس من الجَبَلِ إلى البَحْر .

---

a-a) هذه العبارة مقحمة على نَصِّ الشَّابشتي .

---

[1] شَهْران . هو المَوْضِع المعروف الآن بـ «المَعْصَرة» بين طرا وحُلْوان جنوب القاهرة .

[2] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١:٣٦٣- ٣٦٦.

[3] أقول : ودَيْر القُصَيْر أيضًا هو الموضع الذي اختفى قربه الخَلِيفَةُ الفاطمي الثالث في مصر الحاكمُ بأمْرِ الله سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م . (يحيى بن سعيد : تاريخ ٣٥٩- ٣٦٠؛ أبو المكارم : تاريخ ٢:٦٥ (أبو صالح : تاريخ ٦٦) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤:١٩١) .

[4] يقع هذا الدَّيْر أعلى جَبَل طُرَا غَرْب محطة كوتسكا (راجع ، الشابشتي : الديارات ٢٨٤- ٢٨٥؛ وراجع كذلك أبا المكارم : تاريخ ٢:٦٠- ٦٢؛ ياقوت : معجم البلدان ٢:٥٢٦- ٥٢٨؛ Coquin, R. - G. & Grossmann, P., *CE* art. *Dayr al-Qusayr* III, pp. 853-55؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٢٢ ، وأطلق عليه أيضًا اسم «دَيْر الأنبا أرْسانْيُوس») .

قالَ : ويُقالُ بل كان مَوْقِدًا يُوقَد فيه لفِرْعُون إذا هو رَكِبَ من مَنْف إلى عَيْنِ شَمْسٍ . وكان على المُقَطَّم مُوْقِدٌ آخر ، فإذا رأَوْا النَّارَ عَلِمُوا برُكوبه فأعَدُّوا له ما يُريد ، وكذلك إذا رَكِبَ مُنْصَرِفًا من عَيْنِ شَمْس ، والله أعْلَم [1] .

وما أَحْسَنَ قَوْلِ كُشَاجِم [2] :

[الطويل]

سَلامٌ على دَيْرِ القُصَيْرِ وسَفْحِه   بجَنَّاتِ حُلْوانٍ إلى النَّخَلاتِ
مَنازِلُ كانت لي بِهِنّ مآرِبٌ   وكُنَّ مَواخِيري ومُنْتَزَهاتي
إذا جِئْتَها كان الجِيادُ مَراكِبي   ومُنْصَرَفي في السُّفْنِ مُنْحَدِراتِ
/فأَقْبِضُ بالأَسْحار وَحْشِيَّ عَيْنِها   وأَقْتَنِصُ الإنْسِيَّ في الظُّلُماتِ
معي كُلُّ بَسَّامٍ أَغَرَّ مُهَذَّبٍ   على كلِّ ما يَهْوى النَّديمُ مُواتي
ولَحْمانِ مِمَّا أَمْسَكَتْهُ كِلابُنا   عَلَيْنا ومِمَّا صِيدَ في الشَّبَكاتِ [3]
وكَأْسٌ وإبْريقٌ وناىٌ ومِزْهَرٌ   وسَاقٌ غَريرٌ فاتِرِ اللَّحَظاتِ
كأنَّ قَضيبَ البَانِ عند اهْتِزازِه   تَعَلَّمَ من أعْطافِه الحَرَكاتِ
هُنالِكَ تَصْفُو لي مَشارِبُ لَذَّتي   وتَصْحُبُ أيَّامُ السُّرورِ حَياتي

وقال عُلَماءُ الأَخْبار من النَّصارَى : إنَّ أَرْقاديوس ، مَلِك الرُّوم ، طَلَبَ أَرْسانْيوس ليُعَلِّم وَلَدَه ، فظَنَّ أنَّه يَقْتله ، ففَرَّ إلى مِصرِ وتَرَهَّبَ ، فبَعَثَ إليه أمانًا ، وأعْلَمه أنَّ الطَّلَبَ من أجْلِ تَعليم وَلَدِه ، فاسْتَعْفَى وتَحَوَّلَ إلى الجَبَل المُقَطَّم شَرْقي طُرَا ، وأقامَ في مَغارَةٍ ثَلاثَ سنين ومات . فبَعَثَ إليه أرْقادْيوس ، فإذا هو قد ماتَ ، فأَمَرَ أن يُبْنى على قَبْرِه كَنيسةٌ [4] . وهو المكانُ المَعْروف بدَيْرِ القُصَيْر ، ويُعْرَف الآن بـ « دَيْر البَغْل » ، من أجْلِ أنَّه كان به بَغْلٌ يُسْتَقى عليه الماءُ ، فإذا خَرَجَ من الدَّيْرِ أتى المَوْرَدة هناك من يَمْلأُ عليه ؛ فإذا فَرَغ من الماءِ تَرَكَه فعادَ إلى الدَّيْر [5] .

وفي رَمَضان سنة أربع مائةٍ أَمَرَ الحاكِمُ بأمْر الله بهَدْمِ دَيْر القُصَيْر ، فأقامَ الهَدْمُ والنَّهْبُ فيه مُدَّة أيَّام [6] .

---

[1] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٥٧– ١٥٨.

[2] انظر ديوان كُشاجِم ، دِراسَة وشَرْح وتَحْقيق النَّبَوي عبد الواحد شَعْلان ، القاهرة – مكتبة الخانجي ١٩٩٧، ٥٤.

[3] ياقوت : معجم البلدان ٢: ٥٢٧.

[4] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١٥٢، ونشرة Breydy ٨٩؛ والنَّصُّ عند ابن البطريق غنيٌّ بالتفصيلات ، وانظر كذلك فيما تقدم ٩٨٦: ١٤.

[5] انظر كذلك فيما تقدم ١: ١٩٢، وهذا المجلد ٧٠٧، ٩٨٦.

[6] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٨١؛ بينما يذكر يحيى ابن سعيد : تاريخ ٣٠٤– ٣٠٥، أنَّ الحاكم بأمر الله أذِنَ بتجديد عمارة هذا الدَّيْر ؟

دَيْرُ مَرْحَنَّا

قال الشَّابُشْتِي : دَيْرُ مَرْحَنَّا على شاطئ بِرْكة الحَبَش ، وهو قَريبٌ من النِّيل ، وإلى جانِبه بَساتِينُ أنشأ بعضَها الأميرُ تَميم بن المُعِزّ ، ومَجْلس على عُمُد حَسَن البِناء مَليح الصَّنْعَة مُسَوَّر أنْشأه الأميرُ تَميم أيضًا . وبقرب الدَّيْر بِئْرٌ تُعْرَف بِبِئْر تَمَّاتِي ، عليها جُمَّيزَة كبيرة يَجْتمعُ النَّاسُ إليها ، ويَشْرَبُون تَحْتَها .

وهذا المَوْضِع من مَغاني اللَّعب ، ومَواطِن القَصْف والطَّرَب ، وهو نَزِه في أيَّام النِّيل وزِيادَة البَحْر وامْتلاء البِرْكَة ، حَسن المَنْظَر في أيَّام الزَّرْع والنَّوَاوير ، لا يكاد حينئذٍ يَخْلَو من المُتَنَزِّهين والمُتَطَرِّبين ، وقد ذَكَرت الشُّعَراءُ حُسْنَه وطِيبَه [1] . وهذا الدَّيْرُ يُعْرَف اليوم بدَيْر الطِّين (بالنُّون) .

دَيْرُ أبي النَّعْناع

هذا الدَّيْرُ خارِج أَنْصِنا ، وهو من جملة عِماراتها القَديمَة ، وكَنيسَتُه في قَصْرِه لا في أرْضِه ، وهو على اسْم أبي يُحَنَّس القُصَيِّر ، وعيده في العشرين من بابَه [2] ، وسيأتي ذِكْر أبي يُحَنَّس هذا [3] .

دَيْرُ مَغارَة شِقِلْقِيل

هو دَيْرٌ لَطيفٌ مُعَلَّق في الجَبَل ، وهو نَقْرٌ في الحَجَر على صَخْرَةٍ تحتها عَقَبة ، لا يُتَوَصَّل إليه من أعْلاه ولا من أسْفَلِه ولا سُلَّم له ، وإنَّما جُعِلَت له نُقُورٌ في الجَبَلِ ، فإذا أرادَ أحَدٌ أن يَصْعَد إليه

---

[1] الشابشتي : الديارات ٢٨٩- ٢٩٠؛ ياقوت : معجم البلدان ٢:٥٣٥- ٥٣٦؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١:٣٦١-٣٦٢ وهو فيه : دَيْر مَرْ يُحَنَّا ، وانظر كذلك Coquin, R. - G., *CE* art. *Dayr al-Tin* III, pp. 881-82.

[2] مَدينَة أَنْصِنا التي كان يقع بها هذا الدَّيْر أصْلُها مَدينَة Antinoé التي أنشأها في شَرْقِ النِّيل الإمبراطور الروماني هَدْرِيان قَبْرًا لغُلامِه أنطونْيو (أنطونيوس) الذي غَرِقَ عندها في النِّيل ، ثم بنى حوله أعيانُ المَدينَة مساكنهم ، وعندما جاء العَرَبُ أطْلَقوا عليها اسم أَنْصِنا . وبسبب خَرابِ هذه المَدينَة اعتبارًا من عام ١٢٣٠هـ/١٨١٥م قُيِّدَ زِمامُها باسم الشيخ عُبادَة ، إحدى توابع أنْصِنا ، وصارَ اسمُ قرية الشَّيخ عُبادَة يُطْلَق على كُلِّ المَدينَة . وهي تقع الآن في مركز مَلَّوي بمحافظة المنيا . (ياقوت : معجم البلدان ١:٢٦٥- ٢٦٦؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ١:١٣٢- ١٣٣، ٢/ ٤: ٦٣؛ وانظر عن الدَّيْر Coquin, R.-G., Martin, M. & Grossmann, P., *CE* art. *Dayr Abû Hinnis* III, pp. 701-3.

[3] فيما يلي ١٠٤٢.

أُرْخِيت له سَلَبَة فأمْسَكَها بيده ، وجَعَلَ رِجْلَيْه في تلك النُّقُور وصَعِدَ ، وبه طاحُونَة يُديرُها حِمَارٌ واحِدٌ [1] .

ويُطِلُّ هذا الدَّيْر على النِّيل تِجاه مَنْفَلُوط وتِجاه أُمّ القُصُور ، وتِجاهه جَزِيرَةٌ يُحيطُ بها الماءُ ـ وهي التي يُقَال لها شِقِلْقِيل ـ وبها قَرْيَتان : إحْداهُما شِقِلْقِيل ، والأخرى بني شُقَيْر [2] ولهذا الدَّيْر عيدٌ يَجْتَمِعُ فيه النَّصَارَىٰ ، وهو على اسْم بُومِينَا ، وهو من الأَجْناد الذين عاقَبَهم دِقْلِطْيانُوس لِيَرْجِع عن النَّصْرانِيَّة ويَسْجُد للأَصْنَام ، فثَبَتَ على دِينِه ، فقَتَلَه في عاشِر حُزَيْران وسادِس عَشَر بابَه .

دَيْـرُ بُقْطُـر

بحَاجِر أَبْنُوب ، من شَرْقي بني مُرّ ، تحت الجَبَل على مائتي قَصَبَة منه . وهو دَيْرٌ كبيرٌ جِدًّا ، وله عِيدٌ يجتمع فيه نَصَارَىٰ البِلاد شَرْقًا وغَرْبًا ، ويَحْضُرُه الأُسْقُف .

وبُقْطُر هذا هو ابن رُومانُوس كان أبوه من وُزَرَاءِ دِقْلِطْيانوس ، وكان هو جَميلًا شُجاعًا له مَنْزِلَةٌ من المَلِك ، فلمَّا تَنَصَّرَ وَعَدَه الملك ومَنَّاه لِيَرْجِع إلى عِبادَة الأَصْنَام فلم يَفْعَل ، فقَتَلَه في ثاني عشرين نيسان وسابع عشرين بَرَمُودَة .

دَيْـرُ بُقْطُـر شُو [a]

في بَحْري أَبْنُوب وهو دَيْرٌ لَطيفٌ خالٍ ، وإنَّما تأتيه النَّصَارَىٰ مَرَّةً في كلِّ سنة [3] .

وبُقْطُر شُو [a] مِمَّن عَذَّبه دِقْلِطْيانوس لِيَرْجِع عن النَّصْرانية فلم يَرْجع ، فقَتَلَه في العشرين من هَتُور ، وكان جُنْدِيًّا .

---

a) بولاق : بقطر شق .

---

[1] يُعْرَف هذا الدَّيْر أيضًا بـ « دَيْر مار مينا » بجَبَل أبي فُود . (Coquin, R.-G., & Martin, M., *CE* art. *Dayr Mâr Minâ* III, p. 834) .

[2] شِقِلْقِيل ، اسمها الأصلي شِقافيل ، إحدى قرى مركز أَبْنُوب بمحافظة أسْيُوط ، وبني شُقَيْر إحدى قرى مركز مَنْفَلُوط بمحافظة أسْيُوط . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٤ : ٦، ٧٦، ٧٧) .

[3] كان هذا الدَّيْر يَقَعُ على الضَّفَّة الشرقية للنِّيل على بُعْدِ خمسة كيلومترات شمال مَدينَة أَبْنُوب بمحافظة أسْيُوط . (Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr Buqtur & Shû* III, pp. 797-98) .

دَيْرُ بُوجُرَج

بُنِيَ على اسْم بُوجُرَج وهو خارِج المُعَيْصَرة بناحية شَرْق بني مُرّ، وتارَةً يَخْلو من الرُّهْبان، وتارَةً يَعْمُر بهم، وله وَقْتٌ يُعْمَل العيدُ فيه.

دَيْرُ حَمَاس

وحَمَاسُ اسْمُ بَلَدٍ هو بَحْريها، وله عيدان في كلِّ سنةٍ، وجُموعاتٌ متعدِّدة [1].

دَيْرُ الطَّيْر

هذا الدَّيْرُ قَديمٌ، وهو مُطِلٌّ على النِّيل، وله سَلالِمُ مَنْحُوتةٌ في الجبَل، وهو قُبالَة سَمَلُوط.

وقال الشَّابُشْتي: وبنَواحي إخْميم دَيْرٌ كبيرٌ عامِرٌ يُقْصَد من كلِّ مَوْضِعٍ، وهو بقُرْبِ الجبَل المعروف بجَبَلِ الكَهْف، وفي مَوْضِعٍ من الجبَلِ شَقٌّ، فإذا كان يَوْم عيد هذا الدَّيْر لم يَبْق في البَلَدِ بُوقير حتى يجيء إلى هذا المَوْضِع، فيكون أمْرًا عَظيمًا / بكَثْرَتِها واجْتِماعِها وصِياحِها عند الشَّقّ، ولا يزالُ الوَاحِدُ بعد الوَاحِدِ يُدْخِل رأسَه في ذلك الشَّقّ ويَصيح، ويَخْرُجُ ويجيء غَيْرُه؛ إلى أن يَعْلَق رأسُ أحدِها، ويَنْشَب في المَوْضِع، فيَضْطَرِب حتى يَمُوت، وتَتَفَرَّق حينئذٍ الباقية فلا يَبْقَى منها طائِرٌ [2]. ٢:٥٠٤

وقال القاضي أبو جَعْفَر القُضَاعي: ومن عَجائبها - يَعْني مصر - شِعْبُ البُوقِيرات بناحية أُشْمُوم من أرْضِ الصَّعيد، وهو شِعْبٌ في جَبَلٍ فيه صَدْعٌ تأتيه البُوقِيراتَ في يومٍ من السَّنَة كان

---

[1] رَجَّحَ Coquin أنَّه الدَّيْر المعروف بـ «دَيْر العَوانَة» بمحافظة أسْيُوط. (Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE*, art. *Dayr al-ʿAwâna* III, p. 784).

[2] كان دَيْرُ الطَّيْر أو دَيْرُ جَبَلِ الطَّيْر وعِزْبَتُه من تَوابِع ناحية طَهْنا الجبَلِ إلى أن فُصِلَ منها بزِمامٍ خاصٍّ في تاريخ سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م، وبذلك أصبح ناحيةً قائمةً بذاتها. وهو يقع الآن في نِطاق مركز سَمالُوط بمحافظة المنيا على بُعْد كيلومترين جنوب مَعَدِّيَّة بني خالد. (راجع، الشابشتي: الديارات ٣١٤-٣١٥؛ أبا المكارم: تاريخ ٢:٩٨-٩٩؛ ياقوت: معجم البلدان ٢:٥٢٠؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٣:٢٤٠). وجَمَعَ رامِز بُطْرُس رِوايات المُؤَرِّخين والرَّحّالَة العرب والرَّحالة الأوروبيين حول دَيْر جَبَلِ الطَّيْر في مقالٍ عنوانه - Ramez W. Boutros, «Dayr al-ʿAdrâ' - Gabal al-Tayr (Moyenne - Egypte) d'après les polyfraphes arabes et les voyageurs européens», *Cahiers de la bibliothèque Copte 11*, édité par A. Boud'hors, Paris-Louvain 2000, pp. 107-19؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ١٤٤-١٤٥).

مَعْروفًا ، فتَعْرِض أنْفُسَها على الصَّدْع ، فكُلَّما أدْخَل بُوقِير منها مِنْقارَه في الصَّدْعِ مَضَى لطيته ، فلا تَزالُ تَفْعَلُ ذلك حتى يَلْتَقي الصَّدْعُ على بُوقير منها فيَحْبِسه ، وتَمْضي كُلُّها ، ولا يزالُ ذلك الذي تَحبسه مُعَلَّقًا حتى يَتساقَط [١].

قال مُؤَلِّفُه : وقد بَطَلَ هذا في جُمْلَةِ ما بَطَلَ .

دَيْرُ بُو هِرْمِينَة [a]

بَحْري فاو الخَرَاب ، وبَحْريه بِرْبا فاو ، وهي مَمْلُوءَة كُتُبًا وحِكَمًا ، وبين دَيْرِ الطِّين وهذا الدَّيْر نحو يومين ونصف . وأبو هِرْمِينَة هذا من قُدَماءِ الرُّهْبان المشهورين عند النَّصارَىٰ .

دَيْرُ السَّبْعَة جِبال بإخْميم [٢]

هذا الدَّيْرُ داخِل سبعة أَوْدِيَة ، وهو دَيْرٌ عالٍ بَيْنَ جِبالٍ شامِخة ، ولا تُشْرق عليه الشَّمْس إلَّا بعد ساعتين من الشُّرُوق لعُلُوِّ الجبَلِ الذي هو في لَحْفِه ، وإذا بقي للغُرُوبِ نحو ساعتين ، خُيِّلَ لمن فيه أنَّ الشَّمْسَ قد غابَت وأقْبَلَ اللَّيْلُ ، فيُشْعِلُون حينئذٍ الضَّوْءَ فيه . وعلى هذا الدَّيْر من خارِجِه عَيْنُ ماءٍ تُظِلّها صَفْصَافَة ، ويُعْرَف هذا المَوْضِع الذي فيه «دَيْر الصَّفْصَافَة» بوادي المُلُوك ؛ لأنَّ فيه نَباتًا يُقالُ له المُـلُوكَة ، وهو شِبْه الفِجْل ، وماؤه أحْمَر قان يَدْخُل في صِباغ أهْلِ عِلْم الكِيمياء[b] [٣].

ومن داخِل هذا الدَّيْر

a) بولاق : أبو هرمنية . b) بولاق : صناعة علم أهل الكيمياء .

[١] فيما تقدم ١ : ٨٣.

[٢] يقع هذا الدَّيْر على مسافة كيلومترين شمال عِزْبَة الأَقْباط التي تبْعُد ١٥ كم جنوب البَداري وقُرْب قرية العُثْمانية بمحافظة أسيوط في منطقة منعزلة في الصحراء . (أنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٦٩) .

[٣] يَقَعُ دَيْرُ السَّبْعَة جِبال الآن في وادي بير العَيْن جنوب غَرْب إخْميم، (Coquin, R.-G., Martin, M. & Grossmann, P., *CE* art. Bayr *al-Sab'at Jibâl* III, pp. 857-58؛ وراجع عن أَدْيِرَة إخْميم Coquin, R.-G. & McNally, Sh., *CE* art. *Akhmîm* I, pp. 78-80) .

دَيْرُ القُرْقُس

وهو في أَعْلى جَبَلٍ قد نُقِرَ فيه ، ولا سُلَّمَ له[a] بل يُصْعَدُ إليه في نُقُورٍ في الجَبَل ، ولا يُتَوَصَّل إليه إلَّا كذلك . [b]وبَيْنَ إخْميم وبين دَيْر عَيْنُ الصَّفْصَافة نصف نهار[b] ، وبَيْنَ دَيْر الصَّفْصَافَة ودَيْر القُرْقُس ثلاثُ ساعات ، وتحت دَيْر القُرْقُس عَيْنُ ماءٍ عَذْبٍ وأَشْجارُ بان [١] .

دَيْرُ صَبْرَة

في شَرْقي إخْميم ، عُرِفَ بعَرَبٍ يُقالُ لهم صَبْرَة[c]، وهو على اسْم مِيخائيل المَلَك ، وليس به غَيْر راهِبٍ واحِدٍ [٢] .

دَيْرُ بو أَبْسَادَة[e] الأُسْقُف

قَرِيبٌ من ناحية تَفِه ، وهو بالحَاجِر ، وتِجاهُه في الغَرْبِ مُنْشَأة إخْميم . كان أبو أَبْسادَة هذا من عُلَماءِ النَّصارَىٰ [٣] .

دَيْرُ بُوهُور الرَّاهِب

ويُعْرَف بدَيْرِ سَوادَه ، وسَوادَة عَرَبٌ تَنْزِل هناك ، وهو قُبالة مُنْيَة بني خَصيب ، خَرَّبَتْه العَرَبُ [٤] .

---

a) العبارة في بولاق : ولا يُعْلَم له طريق . b-b) ساقطة من بولاق . c) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وفي بولاق : بني صَبْرَة . e) بولاق : أبي بشادة .

---

[١] راجع ، Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr al-Qurqâs* III, pp. 852-53.

[٢] راجع ، Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr al-Malâk Mikkâ'il* III, pp. 823.

[٣] يَقَعُ دَيْرُ بو أَبْسادَة على الضَّفَّة اليمنى للنِّيل في بَلْدَة الأَحَايْوَة شَرْق على بُعْد ١٨ كم جنوب مَدينة إخْميم بمحافظة سوهاج . (Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr Anbâ Bisâdah* III, pp. 732-33).

[٤] تَقَعُ أَطْلالُ دَيْر بُوهُور عند سَفْحِ جَبَّانَة النَّصارَىٰ الكبرىٰ بالمِنْيا على الضَّفَّة اليمنى للنِّيل ، وعلى بُعْدِ نحو أربعة كيلومترات جنوب شرق المَدينة ، وعلى بُعْدِ كيلومتر واحد شرق قرية سَوادَة . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ١٢: ١٦٥-١٦٣ ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٣: ٢٠١ ، Coquin, R.-G., *CE* art. *Dayr Apa Hor* III, pp. 770-71 ؛ الأنبا صموئيل : دليل الأديرة ١٤٦) .

وهذه الأَدْيِرَةُ كلُّها في الشَّرق من النِّيل، وجَميعُها لليَعاقِبة، وليس في الجانبِ الشَّرقي الآن سِواها، وأمَّا الجانِبُ الغَرْبي من النِّيل فإنَّه كَثيرُ الدِّيارات لكثرة عِمارَتِه.

دَيْرُ دُمُوه بالجيزة

ويُعْرف بدُمُوة السِّباع، وهو على اسم قُزْمان ودِمْيان، وهو دَيْرٌ لَطيفٌ، وتَزْعُم النَّصارَىٰ أنَّ بعضَ الحُكَماءِ ـ كان يُقالُ له سَبُع ـ أقامَ بدُمُوه، وأن كَنيسَة دُمُوه التي بأيْدي اليَهُود الآن كانت دَيْرًا من دِيارات النَّصارَىٰ، فابْتاعَتْه منهم اليَهُودُ في ضَائِقَةٍ نَزَلَت بهم [1]، وقد تَقَدَّم ذِكْرُ كَنيسَة دُمُوه [2].

وقُزْمان ودِمْيان من حُكَماء النَّصارَىٰ ورُهْبانِهم العُبَّاد، ولهما أَخْبارٌ عندهم.

دَيْرُ نَهْيا

قال الشَّابُشْتي: ونَهْيَا بالجيزَة، ودَيْرُها هذا من أحْسَنِ دِيارات مصر وأنْزَهِها، وأطْيبها مَوْضِعًا، وأجَلِّها مَوْقِعًا، عامِرٌ برُهْبانِه وسُكَّانِه، وله في أيَّام النِّيلِ مَنْظَرٌ عَجيبٌ، لأنَّ الماءَ يُحيطُ به من جَميعِ جِهاتِه، فإذا انْصَرَف الماءُ، وزُرِعَت الأرْض، أظْهَرت أراضيه غرائِبَ النَّواويرِ وأصْناف الزَّهْر. وهو من المُتَنَزَّهات المَوْصُوفة، والبِقاع المُسْتَحْسَنة، وله خَليجٌ يَجْتَمِع فيه سائِرُ الطَّيْر، فهو أيضًا مُتَصَيَّد مُمْتِع، وقد وَصَفَتْه الشُّعَراءُ وذَكَرَت حُسْنَه وطِيبَه [3]؛ قُلْتُ: وقد خَرِبَ هذا الدَّيْر.

دَيْرُ طَمُوَيْه

قال ياقُوت: طَمُوَيْه ـ بفَتْح الطَّاء وسُكُون الميم وفَتْح الواو وياء ساكنة ـ قَرْيَتان بمصر: إحْداهُما في كُورَة المُرْتاحِيَّة، والأُخْرَى بالجيزَة [4].

---

[1] أبو المكارم: تاريخ ٢: ٨٥، وفيه: جَدَّدَ عمارته الشيخُ أبو سعيد الكاتِب كان بديوان المكاتبات؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٣: ٢٠-٢٢، وفيه: أنَّ دُمُوه هي الموضع المعروف الآن بـ «مَنْيَل شِيحَة» الواقع عند أوَّل طريق الصَّعيد.

[2] فيما تقدم ٩٢٢-٩٢٣.

[3] الشابشتي: الديارات ٢٩٤؛ أبو المكارم: تاريخ ٢: ٧٧؛ ياقوت: معجم البلدان ٢: ٥٣٩-٥٤٠؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١: ٣٦٢؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr Nahyâ* III, pp. 843-45. ويُرَجِّح الأنبا صموئيل أنَّه الدَّيْر الذي كَشَفَت عن أساساته هيئةُ الآثار في الأطراف الغربية لقرية المنصورية على مسافة مائة متر من قصر حافظ عفيفي، والتي تبعد ١٨ كم من الجيزة. (دليل الكنائس ٨٠).

[4] ياقوت: المشترك وضعا ٢٩٤.

قال الشَّابُشْتي : وطَمْوَيْه في الغَرْب بإزاءِ حُلْوان ، والدَّيْر راكِبُ البَحْر ، حَوْلَه الكُرُومُ والبَساتِينُ والنَّخْلُ والشَّجَرُ ، وهو نَزِهٌ عامِرٌ آهِلٌ ، وله في النِّيل مَنْظَرٌ حَسَنٌ ، وحين تَخْضَرُّ الأَرْضُ يكون في بِساطَيْنِ من البَحْرِ والزَّرْع . وهو أَحَدُ مُتَنَزَّهات أَهْلِ مصر المذكورة ، ومَواضِع لَهْوِها المَشْهُورَة [1].

ولابن أبي عَاصِم المِصْري فيه من البَسيط [2] :

واشْرَبْ بطَمْوَيْه من صَهْباءَ صافِيَةٍ تُزْري بخَمْر قُرَى هِيتٍ وعانات
/على رِياضٍ من النُّوَّار زاهِرَةٍ تَجْري الجَداولُ فيها بين جَنَّاتِ ٥٠٥:٢
كأَنَّ نَبْتَ الشَّقيق العُصْفُري بها كاساتِ خَمْرٍ بَدَت في إِثْرِ كاسَاتِ
كَأَنَّ نَرْجِسَها من حُسْنِه حَدَقٌ في خُفْيَةٍ يُشاجَى بالإشَاراتِ
كأَنَّما النِّيلُ في مَرِّ النَّسيم به مُسْتَلِئمٌ في دُرُوع سابِرِيَّاتِ
مَنازِلَ كنت مَفْتُونًا بها يفِعًا وكُنَّ قِدْمًا مَواخِيرِي وحاناتي
إِذْ لا أزالُ مُلِحًّا بالصَّبُوحِ على ضَرْبِ النَّواقِيس صَبًّا بالدِّياراتِ

قُلْتُ : هذا الدَّيْرُ عند النَّصارَىٰ على اسْم بُوجُرْج ، ويَجْتَمِع فيه النَّصارَىٰ من النَّواحي .

دَيْرُ أَقْفَاص

وصَوابها أَقْفَهْس ، وقد خَرِبَ [3].

دَيْرٌ خارج ناحية مِنْهَري

خَامِل الذِّكْر لأنَّهم لا يُطْعِمُون فيه أحدًا [4].

---

[1] الشابشتي : الديارات ٢٩٨- ٢٩٩، ٤١٠- ٤١١؛ أبو المكارم: تاريخ ٢:٨٥ (أبو صالح : تاريخ ٨٥)؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١: ٣٧١، وفيه : وهو في الجانب الغربي بإزاء حلوان ، والدير راكب على البحر؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٣: ٢١.

[2] الشابشتي : الديارات ٢٩٩؛ ياقوت : معجم البلدان ٢: ٥١٩؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١:٣٧١- ٣٧٢.

[3] أبو المكارم: تاريخ ٢:١٠٥- ١٠٦، ١٢١ (أبو صالح: تاريخ ١٠١- ١٠٢، ١١٥)؛ Coquin, R.-G., CE art. *Aqfahs* I, p. 183.

[4] حَلَّ مَحَلَّ هذا الدَّيْر الآن ، الدَّيْرُ المعروف بـ «دَيْر العَجايبي» وَسَط المزارع بين قرية مِنْهَرَى والسِّكَّة الحديد قُرْب محطَّة أبي قُرْقاص بمحافظة المنيا . (الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ١٤٧) .

دَيْرُ الخَادِم

على جانِب المَنْهَى بأعْمالِ البَهْنَسَا ، على اسْم غُبْرَيال المَلَك ، به بُسْتانٌ فيه نَخْلٌ وزَيْتُون [١] .

دَيْرُ أَشْنين

عُرِفَ بناحية أَشْنين فإنَّه في بَحْرِيها ، وهو لَطيفٌ على اسْم السَّيِّدَة مَرْيَم ، وليس به سوى راهِبٍ واحِد [٢] .

دَيْرُ إيسُوس

ومعنى إيسُوس : يَسُوع . ويُقالُ له « دَيْر أَرْجَنُوس » ، وله عِيدٌ في خامِس عشرين بَشَنْس . فإذا كان لَيْلَةُ هذا اليوم سُدَّت بِئْرٌ فيه تُعْرف بِبئْر إيسُوس ، وقد اجْتَمَع النَّاسُ إلى السَّاعَة السادسة من النَّهار ، ثم كَشَفُوا الطَّابق عن البِئْر ، فإذا بها قد فاضَ ماؤها ثم يَنْزِل ، فحيث وَصَلَ الماءُ قاسُوا منه إلى مَوْضِع اسْتَقَرَّ فيه الماءُ ، فما بَلَغَ كانت زِيادَةَ النِّيل في تلك السنة من الأَذْرُع [٣] .

دَيْرُ سَدَمَنْت

على جَانب المَنْهَى ، بالحَاجِر بين الفَيُّوم والرِّيف ، على اسْم بُوجُرْج وقد ضَعُفَت أحْوالُه عمَّا كان عليه ، وقَلَّ ساكِنُه [٤] .

---

[١] أبو المكارم : تاريخ ٢:٩٧ (أبو صالح : تاريخ ٩٤) ؛ ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٨؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr al-Khâdim* III, p. 814.

[٢] نفســه ٢:١٢١ (نفســه ١١٥) . وأشْنين هي القرية المعروفة الآن بـ «أشْنين النَّصَارَىٰ» : وتَبْعُد تسعة كيلومترات غَرْب مَغَاغَة بمحافظة المنيا . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٣:٢٤٣؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٣٨) .

[٣] يَقَعُ هذا الدَّيْر الآن في الضِّفَّة الغربية للنِّيل إلى الشَّرْق من بَحْر يُوسُف وعلى مسافة عشرة كيلومترات غَرْب أشْنين النَّصَارَىٰ وثمانية كيلومترات شمال البَهْنَسَا . (نفســه ٢:٩٩ (نفســه ٩٦) ؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr al-Jarrûs* III, pp. 813-14؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٣٩) .

[٤] النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده ٢٢، ١١٨، وفيه أنَّه «على بَحْر الفَيُّوم بَحْري سَدَمَنْت في الجَبَل بأراضي قَمْبَشَا» ، وتُعْرَف هذه البَلْدَة الآن باسم سَدَمَنْت الجَبَل ، وتَدْخُل في نِطاق محافظة بني سُوَيْف . (محمد رمزي : القاموس =

دَيْـرُ النَّقْـلون

ويُقالُ له « دَيْرُ الخَشَبَة » و « دَيْرُ غُبْرَيال المَلَك » ، وهو تحت مَغارَة في الجَبَل الذي يُقالُ له طارِف الفَيُّوم ، وهذه المَغَارَة تُعْرَف عندهم بمَظِلَّة يَعْقُوب ، يَزْعُمُون أنَّ يَعْقُوبَ ـ عليه السَّلام ـ لمَّا قَدِمَ مصر كان يَسْتَظِل بها . وهذا الجَبَلُ مُطِلٌّ على بَلَدَيْن يُقالُ لهما : إطْفيح شَلا وشَلا [1].

ويُملأ الماءُ لهذا الدَّيْر من بَحْر المَنْهَى ، ومن تحت دَيْر سَدَمَنْت ، ولهذا الدَّيْر عيدٌ يجتمِع فيه نَصَارَىٰ الفَيُّوم وغيرهم ، وهو على السِّكَّة التي تَنْزِل إلى الفَيُّوم ، ولا يَسْلُكها إلَّا القَليلُ من المسافِرين .

دَيْـرُ القَـلَمُون

هذا الدَّيْرُ في بَرِّيَّة ، تحت عَقَبة القَلَمُون ، يَتَوَصَّلُ المُسافِرُ منها إلى الفَيُّوم ، يُقالُ لها عَقَبة الغَرِيق ، وبُني هذا الدَّيْرُ على اسْم صَمْويل الرَّاهِب ، وكان في زَمَنِ الفَتْرَة ما بين عِيسَىٰ ومحمَّد صلى الله عليهما وسَلَّم ، وماتَ في ثامِن كِيَهْك . وفي هذا الدَّير نَخْلٌ كثيرٌ يُعْمَل من تَمْرِه العَجْوَة ، وفيه أيضًا شَجَرُ اللَّبْخ ولا يُوجَد إلَّا فيه ، وثَمَرُه بقَدْرِ اللَّيْمُون طَعْمُه حُلْو في مِثْل طَعْم الرَّامِخ ، ولنَواهُ عِدَّةُ مَنافِع [2].

وقال أبو حَنِيفَة في كِتابِ « النَّبات » : ولا يَنْبُت اللَّبْخُ إلَّا بأَنْصِنا ، وهو عُودٌ تُنْشَر منه أَلْواحُ السُّفُن ، ورُبَّما أَرْعَف ناشِرُها ، ويُباعُ اللَّوْحُ منها بخمسين دينارًا ونحوها ، وإذا شُدَّ لَوْحٌ منها بلَوْحٍ ، وطُرِحا في الماءِ سنة ، الْتأما وصَارَا لَوْحًا واحِدًا [3].

= الجغرافي ٢/٣:١٦١) . ويقع الدَّير الآن على بَحْر يُوسُف بجوار مدينة إهْناشيا ، ويَبْعُد عنها سبعة كيلومترات ويَبْعُد عن بني سُوَيْف عشرين كيلومترًا . (الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٢٥) .

[1] أبو المكارم : تاريخ ٢:٩١ (أبو صالح : تاريخ ٩٠) ؛ ياقوت : معجم البلدان ٢: ٥٢٨؛ النابلسي : تاريخ الفيوم ٢٢. وهو قريبٌ من قَمَبَشا الواقعة قِبْلي الفَيُّوم إلى الشَّرق منها على بعد خمسة عشر كيلومترًا . (Meinardus, O. & Grossmann, P. *CE* art. *Dayr al-Naqlûn* III, pp. 845-47) ؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٣١.

[2] أبو المكارم : تاريخ ٢:٩٢-٩٣ ، (أبو صالح : تاريخ ٩١-٩٢) ؛ النابلسي : تاريخ الفيوم ٢٢ وفيه : وهو آخر الأعمال قريب من البَهْنَسا ؛ ويُعْرَف هذا الدَّيْرُ الآن باسم «دَيْر الأنبا صموئيل القَلَموني» ، ويقع جنوب غربي الفَيُّوم في القسم الشمالي من وادي المُوَيْلح . (Coquin, R.-G., Martin, M. & Grossmann, P., *CE* art. Deyr Samû'il of Qalâmun III, pp. 758-60.

[3] أبو حنيفة الدينوري : كتاب النبات ، اعتنى بجمعه محمد حميد الله ، القاهرة - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٧٣، ٢٥٤؛ وفيما تقدم ١:٥٥٥: ١٠=

وفي هذا الدَّيْر قَصْرَان مَبْنيان بالحِجارَة، وهما عاليان كبيرَان لبَياضِهما إشْراقٌ. وفيه أيضًا عَيْنُ ماءٍ تَجْري، وفي خارِجه عَيْنٌ أخرى. وبهذا الوَادِي عِدَّةُ مَعابِد قَديمَة، وثَمَّ وادٍ يُقالُ له الأمَيْلِح فيه عَيْنُ ماءٍ تَجْري، ونخيلٌ مُثْمِرَة تأْخُذ العَرَبُ ثَمَرَها. وخارِج هذا الدَّيْر مَلَّاحَة يَبيعُ رُهْبانُ الدَّيْر مِلْحها، فيَعُمّ تلك الجِهات.

دَيْرُ السَّيِّدَة مَرْيَم

خارِج طَنْبَدَى [١]، ليس فيه سِوى راهِبٍ واحِد، وهو على غير الطَّريق المَسْلُوك.

وكان بأعْمالِ البَهْنَسا عِدَّةُ دياراتٍ خَرِبَت.

دَيْرُ بُوفَانا [a]

بَحْري بني خالِدٍ [٢]، وهو مَبْني بالحَجَر، وعِمارَتُه حَسَنَة، وهو من أعْمالِ المُنْيَة، وكان به في القَديم ألْفُ راهِب، وليس به الآن سوى راهِبَيْن، وهو في الحَاجِر تحت الجَبَل [٣].

دَيْرُ بالُوجَه

على جَنْبِ المَنْهَى، وهو لأهْلِ دَلْجَة [٤]، وهو من الأَدْيِرَة الكِبار، وقد خَرِبَ حتر لم يَبْق به سوى راهِبٍ أو راهِبَيْن، وهو بإزاءِ دَلْجَة، بينه وبينها نحو ساعتين [٥].

---

a) بولاق: برقانا.

= وصَوَّب الكلمة هناك إلى اللَّبخ عِوَضًا عن البنج.

[١] طَنْبَدى: قريةٌ إلى جوار أشني (أشْنين النَّصارَى) غربي النِّيل بصعيد مصر، تقع الآن بمركز مَغَاغَة بمحافظة المنيا. (ياقوت: معجم البلدان ٤:٤٢–٤٤٣؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٣: ٢٤٩؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. Tanbida VII, pp. 2201-2).

[٢] بني خالِد. تَقَعُ غربي بَحْر يُوسُف، وهي إحدى قرى مركز مَلَّوي بمحافظة المنيا. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٤: ٦٤).

[٣] تقع بقايا دَيْر بوفانا في الصحراء الغربية على بُعْدِ أربع كيلومترات غرب قصر هور. (راجع، Coquin, R.-G., Martin, M. & Grossmann, P., *CE* art. Dayr Abū Fanah III, pp. 698-700؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ١٤٩).

[٤] دَلْجَة. قريةٌ بصعيد مصر غربي النِّيل، وهي إحدى قرى مركز دَيْرمواس بمحافظة المنيا. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٤: ٤٦–٤٧).

[٥] راجع كذلك أبا المكارم: تاريخ ٢: ١٢٢ (أبا =

دَيْرُ مَرْقُورَة

ويُقالُ أبو مَرْقُورَة . هذا الدَّيْرُ تحت دَلْجَة بخارِجِها من شَرْقِيها ، وليس به أحَدٌ .

دَيْرُ صَنَبُو ٥٠٦:٢

في خارِجها من بَحْريها . على اسْم السَّيِّدَة مَرْيَم ، وليس به أحَدٌ[١] .

دَيْرُ تادُرُس

قِبْلي صَنَبُو ، وقد تَلاشَى أَمْرُه لاتِّضاعِ حَالِ النَّصارَىٰ .

دَيْرُ الرَّيْرَمُون

في شَرْقي ناحِية الرَّيْرَمُون[٢] ، وهو شَرْقي مَلَّوي وغَرْبي أَنْصِنا ، وهو على اسْم المَلَك غُبْرِيال .

دَيْرُ المُحَرَّق

تَزْعُمُ النَّصارَىٰ أنَّ المَسيحَ ـ عليه السَّلام ـ أقامَ في مَوْضِعِه ستة أشهر وأيَّامًا . وله عيدٌ عَظيمٌ ـ يُعْرَف بـ « عيد الزَّيْتُونَة » و « عِيد العَنْصَرَة » ـ يجتمع فيه عالَمٌ كثيرٌ[٣] .

= صالح : تاريخ ١١٦) .

[١] أبو المكارم : تاريخ ١٠١ (أبو صالح : تاريخ ٩٨) . وصَنَبُو ، واسمها الأصلي شَنْبُو ، قريةٌ بصعيد مصر غربي النِّيل تقع الآن في مركز دَيْروط بمحافظة أسيوط . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٤:٤٨) . وتقع كنيسة الدَّيْر الآن داخل مدينة صَنَبُو على بُعْد ثمانية كيلومترات جنوب دَيْروط . (الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٥٩) .

[٢] الرَّيْرَمُون . إحدى قرى مركز مَلَّوي بمحافظة المنيا . (نفسه ٢/٤:٦٣) . ويَقَعَ الدَّيْر على الضَّفَّة الغربية للنِّيل ويبعد عن مَلَّوي بنحو أربع كيلومترات . (الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٥١) .

[٣] سمَّاها أبو المكارم : تاريخ ١٠٢ (أبو صالح : تاريخ ٩٩) كنيسة العذراء بقوص قام (ومعنى قوس قام – المكَفَّن بالحَلْفاء) ، وذَكَرَ أنَّها أوَّلُ كنيسةٍ بُنِيت في أرْض مصر ، وجاءَ إليها المسيح والسيدة مَرْيَم ، وعادوا منها إلى الشَّام . ويقع الدَّير غربي النِّيل على رأس جَبَلٍ على بُعْد عشرة كيلومترات غرب القوصية بمحافظة أسْيوط . (ياقوت : معجم البلدان ٢:٥٣٢–٥٣٣؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/ ٤:٧٧–٧٨؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Deyr al-Muharraq* III, pp. 840-41؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٦٠) . و«عيد الزَّيْتُونة» هو المعروف بـ Palm Sunday و«عيد العَنْصَرَة» هو المعروف بـ Pentecast.

دَيْرُ بَنِي كَلْب

عُرِفَ بذلك لنُزُولِ بني كَلْبٍ حَوْلَه [١]، وهو على اسْم غُبْرِيال، وليس فيه أحَدٌ من الرُّهْبانِ، وإنَّما هو كَنيسَةٌ لنَصَارَىٰ مَنْفَلُوط، وهو غَرْبيها.

دَيْرُ الجَاوْلِيَّة

هذا الدَّيْرُ ناحية الجَاوْلية من قِبْليها، وهو على اسْم الشَّهيد مَرْقُورُس ـ الذي يُقالُ له مَرْقُورَة ـ وعليه رِزْقٌ مُحَبَّسَة، وتأتيه النُّذُورات والعَوايد، وله عِيدان في كلِّ سَنَة [٢].

دَيْرُ السَّبْعَة جِبال

هذا الدَّيْرُ على رأْسِ الجَبَل الذي غَرْبي سُيُوط على شَاطئ النِّيل، ويُعْرَف بـ «دَيْر يُحَنَّس القُصَيِّر»، وله عِدَّةُ أعْيَادٍ، وخَرِبَ في سنة إحدى وعشرين وثمان مائةٍ من مَنْسَرٍ طَرَقَه لَيْلًا [٣].

يُحَنَّس[a]

ويُقالُ أبو يُحَنَّس[a] القُصَيِّر، كان راهبًا قُمُّصًا له أخْبَارٌ كثيرَةٌ، منها أنَّه غَرَس خَشَبَةً يابسَةً في الأرْض بأمْرِ شَيْخَةٍ له، وسَقَاها الماءَ مُدَّةً، فصَارَت شَجَرَةً مُثْمرةً تأكُل منها الرُّهْبانُ، وسُمِّيَت شَجَرَة الطَّاعَةِ ودُفِنَ في دَيْرِه.

---

a) بولاق: بخنس.

---

[١] بني كَلْب هي القرية المعروفة الآن بـ «بني مَجْد»، تغيَّر اسْمُها إلى هذا الاسم الجديد في ٧ ديسمبر سنة ١٩٣١، وهي إحدى قرى مركز مَنْفَلُوط بمحافظة أسيوط. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٤:٧٧). وتَقَعُ بقايا كنيسة الدَّيْر وَسَط قرية بني مَجْد على بُعْد ثلاثة كيلومترات غَرْب مَنْفَلُوط. (الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ١٦٢).

[٢] يَقَعُ هذا الدَّيْر جنوب قرية الجاولي التي تَبْعُد ثمانية كيلومترات جنوب مَنْفَلُوط بمحافظة أسْيُوط. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٤: ٧٥؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr al-Jawli* III, p. 814؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ١٦٤).

[٣] انظر فيما يلي ١٠٥٥.

دَيْـرُ المُطِـل

هذا الدَّيْرُ على اسْم السَّيِّدَة مَرْيَم ، وهو على طَرَفِ الجَبَل تحت دَيْر السَّبْعَة جِبال قُبالَة سُيُوط ، وله عِيدٌ يَحْضُرُه أَهْلُ النَّواحي ، وليس به أَحَدٌ من الرُّهْبان .

أَدْيِـرَة أُدْرُنْكَـة

اعْلَم أَنَّ ناحِيَة أُدْرُنْكَة[1] هي من قُرَى النَّصارَىٰ الصَّعايِدَة ، ونَصاراها أَهْلُ عِلْمٍ في دينهم وتَفاسيرهم في اللِّسان القِبْطي ، لهم أَدْيِرَةٌ كثيرةٌ في خارِج البَلَد من قِبْليها مع الجَبَل ، وقد خَرِبَ أَكْثرُها[2] ، وبَقِي منها :

دَيْـرُ بُوجُـرْج

وهو عامِرُ البِنَاء ، وليس به أَحَدٌ من الرُّهْبان ، ويُعْمَل فيه عيدٌ في أوانِه .

دَيْرُ أَرْضِ الحَاجِر ودَيْرُ ميكائيل وَدَيْرُ كَرْفُونَـة

على اسْم السَّيِّدَة مَرْيَم ، وكان يُقالُ له « أرافُونة وأَغْرَفُونا » ، ومَعْناهُ : النُّسَّاخ ، فإنَّ نُسَّاخَ عُلُومِ النَّصارَىٰ كانت في القَديم تُقيمُ به . وهو على طَرَفِ الجبَل ، وفيه مَغايرُ كثيرة ، منها ما يَسيرُ الماشي بجَنْبِه نحو يومين .

دَيْـرُ أبي بفَـام

تحت دَيْرِ كَرْفُونَة بالحَاجِر ، وقد كان أبو بفام جُنْدِيًّا في أيّام دِقْلِطْيانُوس فتَنَصَّرَ ، وعُذِّبَ ليَرْجِع عن دينه ، ثم قُتِلَ في ثامن عشرين كانون الأوَّل وثاني كِيَهْك[3] .

---

[1] أُدْرُنْكة . هي المعروفة الآن باسم دُرُنْكَة وتقع جنوب غرب مَدينَة أسْيُوط الحالية بالوَجْه القِبْلي . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٤:٢٧-٢٨) .

[2] راجع ، أبو المكارم : تاريخ ٢:٩٧ (أبو صالح : تاريخ ٩٤) ؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr Durunkah* III, pp. 799-800 ؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٧٠- ١٧١.

[3] أبو المكارم : تاريخ ٢: ٧٦، ١١٩ (أبو صالح : =

دَيْرُ بوسَاويرُس

بحَاجر أُدْرُنْكَة ، كان على اسْم السَّيِّدَة مَرْيَم . وكان سَاوِيرُس من عُظَمَاءِ الرُّهْبان ، فعَمِلَ بَطْرَكًا وظَهَرَت آيةٌ عند مَوْتِه ، وذلك أنَّه أنْذَرَهُم لمَّا سَارَ إلى الصَّعيد بأنَّه إذا ماتَ يَنْشَقُّ الجَبَل ، وتَقَع منه قِطْعَةٌ عَظيمَةٌ على الكَنيسَة فلا تَضُرّها . فلمَّا كان في بَعْض الأيَّام سَقَطَت قِطْعَةٌ عَظيمَةٌ من الجَبَل كما قال ، فعَلِمَ رُهْبانُ هذا الدَّيْر بأنَّ ساوِيرُس قد مات ، فأرَّخُوا ذلك فوَجَدُوه وَقْتَ مَوْتِه ، فسَمُّوا الدَّيْر حينئذٍ باسْمِه [1].

دَيْرُ تاذرُس

تحت دَيْر بوساوِيرُس . وتاذُرُس اثنان كانا من أجْنادِ دِقْلِطيانوس : أحَدُهُما يُقالُ له قاتِل التِّنّين ، والآخر : الإسْفِهْسَلار ، وقُتِلا كما قُتِلَ غيرهما .

دَيْرُ مَنْسَى آك

ويُقالُ مَنْسَاك ، ومَنَى سَاك ، وأَنْسَاآك ، ومعنى ذلك إسْحاقُ . وكان على اسْم السَّيِّدة مارِتْهَام - يعني مارْمَرْيَم - ثم عُرِفَ بمَنْسَاك ، وكان راهِبًا قَديمًا له عندهم شُهْرَة . وبهذا الدَّيْر بِئْرٌ تحته في الحَاجِر منها شُرْب الرُّهْبان ، فإذا زادَ النِّيلُ شَرِبوا من مائِه .

دَيْرُ الرُّسُل

تحت دَيْر مَنْسَاك ، ويُعْرَف بدَيْر الأثْل ، وهو لأعمالِ بُوتيج

ودَيْرُ مَنْسَاك لأهْلِ رِيفَة[a][2] هو ودَيْرُ ساوِيرُس ، ودَيْرُ كَرْفُونَة لأهْلِ سُيُوط ، ودَيْرُ بُوجُرج لأهْلِ

---

a) بولاق : ربقة .

= تاريخ ٧٦، ١١٤)؛ Coquin, R.-G. & Martin, M. CE art. Dayr *Abu Bifâm* III, p. 969؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٧٧، ويقع هذا الدير في مدينة طما .

[1] أبو المكارم : تاريخ ٢: ١١٨؛ ياقوت : معجم البلدان ٢: ٤٩٦؛ Coquin, R.-G., *CE* art. *Dayr Anbâ Sâwirus* III, pp. 760-61.

[2] ذكر ابنُ فَضْل الله العمري : مسالك الأبصار ١: ٣٨٤ دَيْر رِيفَه ، وذكر أنَّه بصعيد مصر فوق سُيُوط لا يبعد عن الجَبَل الغربي المطلّ على ريفَه .

دُرُنْكَة c). ودَيْرُ الأَثْل كان في خَرابٍ ، فعَمَّرَ بجانبه كَفْرٌ لَطيفٌ عُرِفَ بمَنْشَأة الشَّيْخ ، لأنَّ الشَّيْخ أبا بكر الشَّاذِلي أنشأه ، وأنشأ بُستانًا كبيرًا ، وقد وَجَدَ مَوْضِعه بئرًا كبيرة ، وجَدَ بها كَنْزًا . أخبرني من شاهَد من ذَهَبِه دنانير مُرَبَّعة بأحَدِ وَجْهَيْها صَليب ، وزِنَة الدِّينار مِثْقال ونصف .

وأَدْيِرَةُ دُرُنْكَة a) المذكورة قَريبٌ بَعْضُها من بَعْض ، وبينها مَغاير عَديدَة مَنْقُوشٌ على أَلْواحٍ فيها نُقُوشاتٌ من كِتابَةِ القُدَماء ، كما على البَرَابي ، وهي مُزَخرَفَةٌ بعِدَّةِ أَصْباغٍ مُلَوَّنَة تَشْتَمِل على عُلُومٍ شَتَّى .

ودَيْرُ السَّبْعَة جِبَال ، ودَيْرُ المُطِلّ ، / ودَيْرُ النَّسَّاخ ، خارِج سُيُوط في المقابِر . ٥٠٧:٢

ويُقالُ إنَّه كان في الحَاجِر ثلاث مائةِ وستون دَيْرًا ، وإنَّ المُسافِرَ كان لا يَزالُ من البَدْرَشَين إلى أُصْفُون في ظِلِّ البَساتِين ، وقد خَرِبَ ذلك وبادَ أَهْلُه .

دَيْرُ مُوشَة

ومُوشَى[١] خارِجَ سُيُوط من قِبْلِيها . بُني على اسْمِ تُومَا الرَّسُول الهِنْدِي ، وهو بين الغِيطان قَرِيبٌ من رِيفَة c)[٢] ، وفي أيَّام النِّيل لا يُوصَل إليه إلَّا في مَرْكِبٍ ، وله أَعْياد .

والأَغْلَبُ على نَصَارَى هذه الأَدْيِرَة مَعْرِفَةُ القِبْطي الصَّعيدي ، وهو أَصْلُ اللُّغَةِ القِبْطِية ، وبَعْدَها اللُّغَة القِبْطِيَّة البُحَيْرِية d). ونِساءُ نَصَارَى الصَّعيد وأَوْلادُهم لا يَكادُون يَتَكلَّمون إلَّا بالقِبْطِيَّة الصَّعيدية ، ولهم أيضًا مَعْرِفَةٌ تامَّةٌ باللغةِ الرُّومية[٣].

دَيْرُ بُومَقْروفَة

وأبو مَقْروفَة اسْمٌ للبَلْدَة التي بها هذا الدَّيْر . وهو مَنْقُورٌ في لَحْفِ الجَبَل ، وفيه عِدَّةُ مَغايِر ، وهو

---

a) بولاق : أدرنكة . b) بولاق : أدرنكه . c) بولاق : ربقة . d) بولاق : البحرية .

---

[١] مُوشَه (مُوشَا) . قريةٌ كبيرةٌ في غربي النِّيل تَقَعُ مبانيها على مُرْتَفَعٍ من الأرض يحيط به قَرْبُوص ، أي حائط برَصيف مبني بالطُّوب الأحمر والمونة ، يقي مبانيها من تأثير مياه مَلَقَة أسْيُوط ، أي حَوْض الرَّي وَقْت فيضان النِّيل . وهي إحدى قرى مَرْكز أسْيُوط بمحافظة أسْيُوط الحالية . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢٩:٤/٢) .

[٢] رِيفَه . قَرْيَةٌ تَقَعُ جنوب مَدينَة أسْيُوط الحالية . كانت في الأصْل من أعمال دُرُنْكَة . (نفسه ٢٨:٤/٢) .

[٣] فيما يلي ١٠٨٣ .

على اسْم السَّيِّدَةِ مَرْيَم . وبمَقْروفَة نَصَارَىٰ كثيرة غَنَّامَة ، ورُعَاة أكثرهم هَمَج ، وفيهم قَليلٌ من يَقْرَأ ويَكْتُب . وهو دَيْرٌ مُعَطَّش [١] .

دَيْرُ بوبَفَام

خارِجَ طِمَا ، وأهْلُهَا نَصَارَىٰ ، وكانوا قَديمًا أهْلَ عِلْمٍ [٢] .

دَيْرُ بوشِنُودَة

ويُعْرَف بـ « الدَّيْر الأَبْيَض » وهو غَرْبي ناحية سُوهَاج ، وبناؤه بالحَجَرِ ، وقد خَرِبَ ولم يَبْق منه إلَّا كنيسَتُه . ويُقالُ : إنَّ مِساحَتَه أرْبَعَة فَدادين ونصف ورُبْع ، والباقي منه نحو فَدَّان ، وهو دَيْرٌ قَديم [٣] .

الدَّيْرُ الأحْمَر

ويُعْرَف بدَيْر بوإبْشَاي ، وهو بَحْري الدَّيْر الأَبْيَض بينهما نحو ثلاث ساعات ، وهو دَيْرٌ لَطيفٌ مَبْني بالطُّوب الأحْمَر . وأبوإبْشَاي هذا من الرُّهْبانِ المعاصِرين لشِنُودَة ، وهو تِلْميذه ، وصَارَ من تحت يده ثلاثة آلاف راهِب ، وله دَيْرٌ آخَر في بَرِّيَّة شيهات [٤] .

---

[١] يَقَعُ دَيْرُ بومَقْروفَة على الضَّفَّة اليسرى للنّيل على بُعْدِ اثنى عشر كيلومترًا جنوب أبي تيج بمحافظة أسْيُوط ، وتُعْرَف البَلَد الآن بدَيْر الجنادِلَة . (راجع ، ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٢٤؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٤ : ١٨؛ Coquin, R.-G. & Crossmann, P., *CE* art. *Dayr Abû Maqrûfa* III, pp. 704-6) .

[٢] تَقَعُ مَدينَة طِما في محافظة سوهاج (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٤ : ١٣٥، وراجع عن الدَّيْر Coquin, R.-G., *CE* art. *Dayr Abû Bifûm* III, p. 697) .

[٣] هذا الدَّيْرُ ، هو الدَّيْر الذي لجأ إليه الوَزيرُ الفاطمي بَهْرام الأرْمني ، وهو الوَزيرُ النَّصْراني الوحيد بين وُزَراء السَّيْفِ الفاطِميين ، اتِّقاءً لحركة الجِهَاد التي قادَها الوَزيرُ السُّنِّي رِضْوان بن وَلَخْشي والي الغربية في ذلك الوقت . (راجع ، ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٤٩٧؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١ : ٣٧٤-٣٨٤؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr Anbû Shinuda* III, pp. 761-69؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٧٨-١٧٩) .

[٤] راجع ، Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr Anbû Bishoi* III, pp. 736-39؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٧٩- ١٨٠.

دَيْرُ بُومِيسَاس

ويقال أبو مِسيس، واسمه مُوسَىٰ. وهذا الدَّيْر تحت البَلْيَنَا، وهو دَيْرٌ كبير[1].

وأبو مِسيس هذا كان راهِبًا من أَهْلِ البَلْيَنَا، وله عندهم شُهْرَة، وهم ينذرونه، فيَزْعُمُون فيه مَزاعِم.

ولم يَبْقَ بعد هذا[a] إلّا أَدْيِرَةٌ بحَاجِر إسْنَا ونَقَّادَة قَليلَة العِمارَة. وكان بأُصْفُون «دَيْرٌ كبيرٌ»، وكانت أُصْفُون من أحْسَنِ بلاد مصر، وأكثر نَواحي الصَّعيد فَواكِه، وكان رُهْبانُ دَيْرِها معروفين بالعِلْم والمَهارَة فيه[b]، فخَرِبَت أُصْفُون، وخَرِبَ دَيْرُها.

وهذا آخِرُ أَدْيِرة الصَّعيد، وهي كُلُّها مُتلاشيةٌ آيلة إلى الدُّثُور، بعد كثرة عِمارَتِها، ووُفُورِ أَعْدادِ رُهْبانِها وسَعَة أَرْزاقِهم، وكَثْرَةِ ما كان يُحْمَل إليهم.

وَأَمَّا الوَجْهُ البَحْري

فكان فيه أَدْيِرَةٌ كثيرةٌ خَرِبَت، وبقي منها بَقِيَّةٌ. فكان بالمَقْسِ ـ خارِج القاهِرَة من بَحْريها ـ عِدَّةُ كَنائِس هَدَمها الحَاكِمُ بأمْرِ الله أبو عليّ مَنْصُور، في تاسع عشر ذي الحِجَّة سنة تسع وتسعين وثلاث مائةٍ، وأباحَ ما كان فيها، فنُهِبَ منها شيءٌ كثيرٌ جِدًّا بعدما أَمَرَ، في شهر رَبيع الأوَّل منها، بهَدْمِ كَنائِسِ رَاشِدَة خارِج مَدينَة مصر من شَرْقِيها، وجَعَل مَوْضِعَها الجَامِعَ المعروف براشِدَة[2].

وهَدَمَ أيضًا في سنة أربعٍ وتسعين كنيسَتَيْن هناك، وأَلْزَمَ النَّصارىٰ بِلِبْس السَّواد وشَدّ الزُّنّار، وقَبَضَ على الأَمْلاك التي كانت مُحَبَّسَة على الكنائِس والأَدْيِرَة، وجَعَلَها في دِيوان السُّلْطان، وأَحْرَق عِدَّة كثيرةً من الصُّلْبان، ومَنَع النَّصارىٰ من إظْهارِ زِينَةِ الكَنائِس في عيد الشَّعانين،

---

a) بولاق: هذا الدَّير. b) ساقطة من بولاق.

---

[1] أبو المكارم: تاريخ ٢:١٠٦-١٠٧؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ١٨٩:٣/٢-١٩٠؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ١٩١. وتقع البقايا الأثرية لهذا الدَّير على مساحة كيلومترين شمال معبد أبيدوس بالعرابة المدفونة بمحافظة سوهاج.

[2] فيما تقدم ١٢٦-١٢٩.

وتَشَدَّدَ عليهم ، وضَرَبَ جَماعَةً منهم [1].

وكانت بالرَّوْضَةِ كَنيسَةٌ بجوار المِقْياس ، فهَدَمَها السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب في سنة ثمانٍ وثلاثين وستّ مائةٍ [2].

وكان في ناحِيَة أبي النُّمْرُس من الجيزَة « كَنيسَةٌ » ، قامَ في هَدْمِها رَجُلٌ من الزَّيالِعَة ، لأنَّه سَمِع أصْواتَ النَّواقيس يُجْهَر بها في ليلة الجُمُعَة بهذه الكَنيسَة . فلم يَتَمَكَّن من ذلك في أيَّام الأشْرَف شَعْبان بن حسين ، لتَمَكُّن الأقْباطِ في الدَّوْلَة ، فقامَ في ذلك مع الأمير الكبير بَرْقُوق ـ وهو يومئذٍ القائِمُ بتَدْبير الدَّوْلَة ـ حتَّى هَدَمَها على يد القاضي جَمال الدِّين محمود العَجَمي ، مُحْتَسِب القاهِرَة ، في ثامِن عشَرَ رَمَضان سنة ثمانين وسبع مائةٍ ، وعُمِلَت مَسْجِدًا .

دَيْرُ الخَنْدَق

ظاهِرَ القاهِرَة من بَحْريها ، عَمَّرَه القائِدُ جَوْهَر عِوَضًا عن دَيْر هَدَمَه في القاهِرَة كان بالقُرْبِ من الجامِع الأقْمَر ، حيث البِئْر التي تُعْرَف الآن ببِئْر العَظْمَة ، وكانت إذْ ذاكَ تُعْرَف ببِئْر العِظام ، من أجْلِ أنَّه نَقَلَ عِظامًا كانت بالدَّيْر ، وجَعَلَها بدَيْر الخَنْدَق [3]. ثم هُدِمَ دَيْرُ الخَنْدَق في رابع عشرين شَوَّال سنة ثمانٍ وسبعين وستّ مائةٍ في أيَّام المَنْصُور قَلاوون ، ثم جُدِّدَ هذا الدَّيْر الذي هناك بعد ذلك ، وعُمِلَ كنيسَتَيْن يأتي ذكرهما في الكَنائِس .

دَيْرُ سِرْياقُوس

كان يُعْرَف بأبي هُور ، وله عيدٌ يَجْتَمِع فيه النَّاسُ ، وكان فيه أُعْجُوبَةٌ ذَكَرَها الشَّابُشْتي . وهو أنَّ من كان به خَنازيرُ ، أخَذَه رَئيسُ هذا الدَّيْر وأَضْجَعَه ، وجاءَه بخِنْزيرٍ فلَحَسَ مَوْضِعَ الوَجَع ، ثم أكَلَ الخنازير / التي فيه ، فلا يَتَعَدَّى ذلك إلى المَوْضِع الصَّحيح ، فإذا تَنَظَّفَ المَوْضِعُ ، ٥٠٨:٢

---

[1] فيما تقدم ١٠٠٧-١٠٠٨.

[2] هي المعروفة بكنيسة ميكائيل (ميخائيل) المختارة بجزيرة مصر . (ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ٣: ٢٠٩، ٢١٠؛ وفيما تقدم ٣:٥٨٢: ١.

[3] أبو المكارم : تاريخ ١: ٢٠-٢١؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٥ . ويَدُلُّ على موضع هذا الدَّيْر الآن المنطقة المعروفة بدَيْر الأنْبا رويس ودَيْر الملاك البحري ، حيث مقرّ البطركية المرقسية بشارع رمسيس بالعباسية ؛ وراجع أيضًا Grossmann, P., *CE* art. *Dayr al-ʿIzâm* III, p. 810; Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr al-Khandaq* III, pp. 814-15؛ وفيما يلي ١٠٦١.

ذَرَّ عليه رَئيسُ الدَّيْر من رَماد خِنْزير فَعَلَ مثل هذا العَمَل من قَبْل ، ودَهَنَه بزَيْت قِنْديل البِيْعَة ، فإنَّه يَبْرَأ ، ثم يُؤْخَذُ ذلك الخِنْزير الذي أَكَلَ خنازير العَليل ، فيُذْبَح ويُحْرَق ، ويُعَدُّ رَمادُه لمثل هذه الحالة . فكان لهذا الدَّيْر دَخْلٌ عظيمٌ ممَّن يَبْرَأ من هذه العِلَّة ، وفيه خَلْقٌ من النَّصارَىٰ [1] .

دَيْرُ أَتْرِيب

ويُعْرَف بمارِي مَرْيَم ، وعيده في حادي عشرين بَؤُونة ، وذَكَرَ الشَّابُشْتي أنَّ حَمَامَةً بَيْضاءَ تأتي في ذلك العيد فتَدْخُل المَذْبَح ، لا يَدْرُون من أين جاءَت ، ولا يَرَوْنَها إلى يومِ مثله [2] . وقد تَلاشَى أَمْرُ هذا الدَّيْر حتى لم يَبْق به إلَّا ثلاثة من الرُّهْبان ، لكنهم يَجْتَمِعُون في عِيدِه ، وهو على شاطئ النِّيل قَريب من بَنْها العَسَل .

دَيْرُ المُغَطَّس

عند المَلَّاحات ، قَريبٌ من بُحَيْرَة البُرُلُّس ، وتَحُجُّ إليه النَّصارَىٰ من قِبْلي أَرْضِ مصر ومن بَحْريها ـ مثل حَجِّهم إلى كَنيسَة القُمامَة ـ وذلك يوم عِيدِه ، وهو في بَشَنْس ، ويُسَمُّونه «عيد الظُّهُور» ، من أَجْلِ أنَّهم يَزْعُمُون أنَّ السَّيِّدَة مَرْيَم تَظْهَر لهم فيه ، ولهم فيه مَزاعِمُ كلُّها من أكاذِيبهم المُخْتَلَقَة [3] .

وليس بحِذاءِ هذا الدَّيْر عِمارَةٌ ، سوى مُنشأةٍ صَغيرةٍ في قِبْليه بشَرْقٍ ، وبقُرْبه المَلَّاحَةُ التي يُؤْخَذ منها المِلْح الرَّشيدِي . وقد هُدِمَ هذا الدَّيْرُ في شَهر رَمَضان سنة إحدى وأربعين وثمان مائةٍ بقِيام بَعْضِ الفُقَراءِ المُعْتَقدين [4] .

---

[1] الشابشتي : الديارات ٣١١ ، وسَمَّاه «بِيْعَة أبي هُور» أبو المكارم : تاريخ ٢ : ٤١ (أبو صالح : تاريخ ٤٣) . (وفيه جَدَّدَها الشيخ أبو الفَخْر كاتب الرَّواتب بديوان المَجْلِس) ؛ ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٤٩٧ ؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١ : ٣٦٠ ؛ Coquin, R.-G., *CE* art. *Dayr Apa Har* III, pp. 771-72.

[2] نفسه ٣١٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٤٩٧ .

[3] Coquin, R.-G., *CE* art. *Dayr al-Maghtis* III, pp. 818-19.

[4] المقريزي : السلوك ٤ : ١٠٣٤ . وهذا التاريخ المتأخر الوارد في هذه العبارة إضافةٌ أضافَها المقريزي إلى نُسْخَته عندما كان يكتب أحداثَ السَّنوات الأخيرة من «السُّلوك» ، فقد وَرَدَ نفسُ الخَبَر في «السُّلوك» في حوادث سنة ٨٤١هـ وأَرْدَفَه المقريزي بقوله : «وقد بَسَطْت الكلامَ على هذا عند ذِكْرِ الكنائِس والدِّيارات من كِتابِ «المَوَاعِظ والاعْتِبار بذِكْر الخِطَطِ والآثار» .

دَيْرُ العَسْكَر

في أرْضِ السَّبَاخ على يَوْمٍ من دَيْرِ المُغَطَّس ، على اسْمِ الرُّسُل ، وبقُرْبِه مَلَّاحَةُ المِلْح الرَّشيدي ، ولم يَبْقَ به سِوى رَاهِبٍ واحِدٍ [١].

دَيْرُ جِمْيانَة

على اسْمِ بُوجُرْج ، قَرِيبٌ من دَيْرِ العَسْكَر ، على ثَلاثِ ساعات منه ، وعيدُه عَقِب عيد دَيْر المُغَطَّس ، وليس به الآن أحَدٌ [٢].

دَيْرُ المَيْمَة [a]

بالقُرْبِ من دَيْرِ العَسْكَر . كانت له حالاتٌ جَليلَةٌ ، ولم يكن في القَديم دَيْرٌ بالوَجْهِ البَحْري أكثرُ رُهْبانًا منه ، إلَّا أنَّه تَلاشَى أمْرُه وخَرِبَ ، فنَزَلَه الحَبَش وعَمَّرُوه [٣].

وليس في السَّبَاخ سوى هذه الأربعة الأدْيِرة . وأمَّا « وادي هُبَيْب » .

وهو « وادي النَّطْرُون » ـ ويُعْرَف ببَرِّيَّة شيهات ، وببَرِّيَّة الأسْقيط [b]، وبِميزان القُلُوب ـ فإنَّه كان بها في القَديم مائةُ دَيْر ، ثم صَارَت سبعةً مُمْتَدَّةً غَرْبًا على جَانِبِ البَرِّيَّة القاطِعَة بين بلاد البُحَيْرَة والفَيُّوم . وهي في رِمالٍ مُنْقَطِعَةٍ ، وسِباخٍ مالِحَةٍ ، وبِرارٍ منقطعةٍ مُعْطِشَةٍ ، وقِفارٍ مُهْلِكَةٍ . وشَرابُ أهْلِها من حَفائر ، وتَحْمِلُ النَّصارَىٰ إليهم النُّذُورَ والقَرابِين [٤]. وقد تَلاشَت في هذا الوَقْتِ ،

---

a) بولاق : الميمنة . b) بولاق : الأسقط .

---

[١] يَقَعُ هذا الدَّيْر بالقُرْب من بِلْقَاس شمال شرق الغربية ، وهي الآن تابعة لمحافظة الدَّقْهلية . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ١ : ٨٤، ٢/٢: ٢٧؛ Coquin, R.-G., *CE* art. *Dayr al-ʿAstar* III, pp. 783-84) .

[٢] يُعْرَفُ الآن بـ «دَيْر سِت دِمْيانَة» ، وهو على بُعْد عشرة كيلومترات شمال مدينة بِلْقاس بمحافظة الدَّقَهْلِيَّة . (راجع Coquin, R.-G. & Grossmann, P. *CE* art. *Dayr Sitt Dimyânah* III, pp. 870-72) .

[٣] ذَكَرَ محمد رمزي أنَّ المَيْما والعَسْكَر كانتا ذات وِحْدَةٍ مالية مشتركة ويجمعهما زِمامٌ واحِدٌ ، وحَلَّ محلَّهما اعتبارًا من سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م مَدينة بِلْقاس بمحافظة الدَّقَهْلِيَّة . (القاموس الجغرافي ٢/٢: ٢٧؛ Coquin, R.-G., *CE* art. *Dayr al-Maymah* III, pp. 837-38) .

[٤] وادي هُبَيْب – بضم الهاء وفتح الباء المُوَحَّدَة وياء =

بعدما ذَكَرَ مُؤَرِّخو النَّصارَىٰ أنَّه خَرَج إلى عَمْرو بن العَاص من هذه الأَدْيِرَة سبعون ألف راهِب ، بيد كُلِّ واحدٍ عُكَّازٌ ، فسَلَّمُوا عليه ، وأنَّه كَتَبَ لهم كِتابًا هو عندهم .

فمنها :

دَيْرُ بُومَقَّار الكَبير

وهو دَيْرٌ جَليلٌ عندهم ، وبخارِجه أدْيِرَةٌ كثيرةٌ خَرِبَت ، وكان دَيْرُ النُّسّاكِ في القَديم ، ولا يَصِحُّ عندهم بَطْرَكِيَّةُ البَطْرَك حتى يُجْلِسُوه في هذا الدَّيْر بعد جُلُوسِه بكُرْسي سَكَنْدَرية . ويُذْكر أنَّه كان فيه من الرُّهْبانِ ألف وخمس مائةٍ لا تَزالُ مُقيمَةً به ، وليس به الآن إلَّا قَليلٌ منهم [١] .

والمقَّاراتُ ثَلاثَة : أكبرهم صَاحِبُ هذا الدَّيْر ، ثم أبو مَقَّار الإسْكَنْدَراني ، ثم أبو مَقَّار الأُسْقُف . وهؤلاء الثَّلاثَة قد وُضِعَت رِمَمُهم في ثَلاثِ أنابيب من خَشَبٍ ، وتَزُورُها النَّصارَىٰ بهذا الدَّيْر ، وبه أيضًا الكِتابُ الذي كَتَبَه عَمْرو بن العَاص لرُهْبانِ وادِي هُبَيْب ، بجَرايَةِ نواحي الوَجْه البَحْري ، على ما أَخْبَرَني من أَخْبَرَ برُؤْيَتِه فيه .

أبو مَقّار الأكْبَر هو مَقارْيُوس [٢] . أَخَذَ الرُّهْبَانِيَّة عن أنْطونْيُوس ، وهو أوَّلُ من لَبِسَ عندهم القُلُنْسُوَة والأَسْكيم ـ وهو سَيْرٌ من جِلْدٍ فيه صَليبٌ يَتَوشَّح به الرُّهْبانُ فقط ـ

= ساكنة وباء أخرى ـ يُنْسب إلى الصَّحابي هُبَيْب بن مُغَفَّل الغِفاري ، ويَدُلُّ على موضعه الآن الموضعُ المعروف بـ «وادي النَّطْرون» في الصَّحْراء الغربية غربي الدِّلْتا جنوبي محافظة البحيرة . (راجع : ياقوت : معجم البلدان ٥ : ٣٤٦؛ أبا المكارم : تاريخ ١ :٩٥ - ١٠٦؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١ :٣٧٤ ، وسَمَّى دياراته «الدّيارات الشّبْع» ، وذكر أنَّه مَرَّ على بعضها في الصُّحْبَة الشَّريفة النَّاصرية ، أي مع السُّلْطان النَّاصر محمد بن قلاوون ؛ ابن دقماق : الانتصار ٥ :١١٣؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ١ : ٤٧٤؛ وفيما تقدم ١ :٥٠٦-٥٠٧) .

وعن أدْيِرَة وادي النَّطْرون راجع ، Evelyn - White, H. G., *The Monasteries of the Wadi'n Natrun*, I-III, New York 1926-33; Toussoun, O., *Etude sur Wadi Natrun, ses moines et ses cowents,* Alexandria 1931; Russel, D., *Mediaeval Cairo and the Monasteries of the Wadi al-Natrun. A Historical Guide*, London 1962; Aelred Cody, *CE* art. *Scetis* VII, pp. 2102-6.

[١] ما زال هذا الدَّيْر قائمًا بوادي النَّطْرون . (راجع ، أبا المكارم : تاريخ ١ :٩٥ - ٩٨؛ بتلر ، ١: الكنائس القبطية القديمة ١ :٢٤١ - ٢٥٧؛ صموئيل السرياني : دليل الكنائس والأديرة ٢٧ - ٢٨؛ Matta al-Miskin, *CE* art. *Dayr Anbâ Maqqâr* III, pp. 348-56) .

[٢] أبو مقار الأكبر ، هو القِدِّيس مقارْيُوس المصري أو الأكبر ، من كِبار نُسّاكِ القَرْن الرابع الميلادي في صَحْراء وادي النَّطْرون ، ويُحْتَفَل بعيده في ٢٧ بَرَمهات ، وأُطْلِق عليه اسم : المصري أو الأكبر لتمييزه عن معاصِره مقارْيُوس السَّكَنْدَري . (راجع ، Guillaumont, A., *CE* art. *Macarius the Egyptian*, Saint V, pp. 1491-92) .

ولقى أنْطُونيُوس بالجَبَلِ الشَّرقِي من حيث دَيْر العَرَبَة [a]، وأقامَ عِنده مُدَّةً ، ثم ألْبَسه لِبَاسَ الرَّهْبانِيَّة ، وأَمَرَه بالمسيرِ إلى وادِي النَّطْرون ليُقيمَ هناك ، ففَعَلَ ذلك . واجْتَمَعَ عنده الرُّهْبانُ الكثيرةُ العَدَدِ ، وله عندهم فَضائِلُ عَديدَة ، منها : أنَّه كان لا يَصُومُ الأرْبَعين إلَّا طاوِيًا في جَميعِها ، لا يَتَناوَل غَذاءً ولا شَرابًا ألْبَتَّة ، مع قِيام لَيلِها ، وكان يَعْمَل الخُوص ويتَقَوَّت منه ، وما أَكَلَ خُبْزًا طَرِيًّا قَطّ ، بل يأخُذُ القَراقِيش فيَبِلّها في نُقاعَةِ الخُوص ، ويَتَناوَل منها هو ورُهْبانُه[b] ما يُمْسِك الرَّمَقَ من غير زِيادَة ، هذا قُوتُهم مُدَّةَ حياتِهم حتى مَضَوْا لسَبِيلِهم .

وأمَّا أبو مَقَّار الإسْكَنْدَراني [١] ، فإنَّه سَاحَ من الإسْكَنْدَرية إلى مَقارْيُوس المذكور ، وتَرَهَّبَ على يَدَيْه .

ثم كان أبو مَقَّار الثَّالث ، وصَارَ أُسْقُفًا .

دَيْرُ بويُحَنِّس القَصِير

يُقالُ إنَّه عُمِّرَ في أيَّام قُسْطَنْطين بن هِيلانَة . ولأبي يُحَنِّس هذا فَضائِلُ مذكورَةٌ ، وهو من أَجَلِّ الرُّهْبان . وكان لهذا الدَّيْر حالاتٌ شهيرةٌ ، وبه طَوائِفُ من الرُّهْبانِ ، ولم يَبْق به الآن إلَّا ثَلاثَةُ رُهْبان [٢] .

٥٠٩:٢

| دَيْرُ إلْيَاس عليه السَّلام

وهو دَيْرٌ للحَبَشَة . وقد خَرِبَ دَيْرُ يُحَنِّس ، كما خَرِبَ دَيْرُ إلْياس ، أكَلَت الأرَضَةُ أخْشابَهُما

---

a) بولاق : العزبة . b) بولاق : رهبان الدير .

---

[١] أبو مقار الإسكندراني أو القديس مقاريوس السَّكَندري ، أحَدُ رُهْبَانِ منطقة القَلَّاية Kellia في القرن الرابع الميلادي ، ويحتفل بعيده في ٦ بَشَنْس . (راجع ، Guillaumont, A., *CE* art. *Macarius Alexandrinus*, (*Soint* v, pp. 1488-90) . وتقع منطقة القَلَّاية بين بلدتي أبي المطامير وحوش عيسى شمالًا وبلده الدِّلِنْجات جنوبًا ، وهي المنطقة الواقعة أيضًا بين دَمَنْهُور ووادي النَّطْرون ، وبدئ في الكَشْفِ عنها ودراستها اعتبارًا من عام ١٩٦٤ . (راجع ، Guillaumont, A. *CE* art. *Kellia* V, pp. 1396-98؛ صموئيل السرياني : دليل الكنائس ١٧) .

[٢] بدأت جامعة ميتشجان الأمريكية في يناير سنة ١٩٩٢ مَشْرُوعًا للمَسْح الأثري لمنطقة دَيْر بويُحَنِّس القصير ، ووَجدت بعض أرْضِيَّات الدَّيْر على عُمْق ثلاثة أمتار من سَطْح الكوم ، كما وَجَدَت أكثر من خمس عشرة مَنْشُوبِيَّة (أي مَسْكَن الرُّهْبان) في المنطقة المحيطة بالدَّيْر . (صموئيل السرياني : دليل الكنائس ٣٤) .

فَسَقَطَتا ، وصَارَ الحَبَشَةُ إلى دَيْرِ سَيِّدَة بويُحَنّس القُصير ، وهو دَيْرٌ لَطِيفٌ بجِوار دَيْر بُويُحَنّس القُصير .

وبالقُرْب من هذ الأَدْيِرَة :

دَيْرُ أنبانُوب

وقد خَرِبَ هذا الدَّيْرُ أيضًا .

أنبانُوب : هذا من أَهْل سَمَنُّود قُتِلَ في الإسْلام ، ووُضِعَ جَسَدُه في بَيْتٍ بسَمَنُّود .

دَيْرُ الأَرْمَن

قَرِيبٌ من هذه الأَدْيِرَة ، وقد خَرِبَ [1] .

وبجوارِها أيضًا :

دَيْرُ بوأبْشَاي

وهو دَيْرٌ عَظِيمٌ عندهم ، من أَجْل أَنّ أبْشاي هذا كان من الرُّهْبانِ الذين في طَبَقة مَقارْيُوس ويُحَنّس القُصير ، وهو دَيْرٌ كبيرٌ جِدًّا [2] .

دَيْرٌ بإزاءِ دَيْر بوأبْشَاي

كان بيَدِ اليَعاقِبَة ، ثم مَلَكَتْه رُهْبانُ السُّرْيان من نحو ثلاث مائة سنة ، وهو بيدِهِم الآن . ومَواضِعُ هذه الأَدْيِرةُ يُقالُ لها بِرْكَة الأَدْيِرَة .

---

[1] تَرْجِعُ تاريخ هذا الدَّيْر إلى الفترة التي انْتَشَرَ فيها العُنْصُرُ الأَرْمَني في مصر مع قُدُوم أمير الجيوش بَدْر الجمالي إليها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، والذين تَزايَدَ عَدَدُهم وأصبح لهم بَطْرَكٌ خَاصٌّ بهم في الرُّبْع الأوَّل من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي . وكَشَفَت هيئةُ الآثار المصرية هذا الدَّيْر وبه كنيسةٌ ومائدةٌ والعديد من حُجَر الرُّهْبان . وتوجد إلى الشَّرْق منه آثار دَيْر الأَنْبا يُحَنّس القصير ، وعلى مسافة قريبة منه آثار دَيْر الحَبَش ودَيْر أنْبا نوب . (Coquin, R.-G. & Martin, M., CE art. *Dayr al-Arman* III, p. 782؛ صموئيل السرياني : دليل الكنائس ٣٤) .

[2] يَقَعُ هذا الدَّيْر مع دَيْر السَّيِّدَة العَذْراء للسُّرْيان في المنطقة الواقعة بين دَيْر البَرَامُوس ودَيْر أبي مَقّار ، ويَبْعُد عن الرَّسْت هاوس بمسافة ١٢كم ، وعن دَيْر السُّرْيان =

دَيْرُ سَيِّدَة بَرَمُوس[1]

على اسْم السَّيِّدَة مَرْيَم[2]. فيه بَعْضُ رُهْبانٍ، وبإزائِه:

دَيْرُ مُوسَى

ويُقالُ أبو مُوسَىٰ الأَسْوَد ويُقال بَرَمُوس، وهذا الدَّيْرُ لسَيِّدَة بَرَمُوس، فبَرَمُوس اسْم الدَّيْر، وله قِصَّةٌ حاصِلُها أنَّ مَكْسيمُوس ودُومادْيُوس كانا وَلَدَي مَلِك الرُّوم، وكان لهما مُعَلِّمٌ يُقالُ له أَرْسانْيُوس، فسَارَ المُعَلِّم من بِلادِ الرُّوم إلى أرْضِ مصر، وعَبَرَ بَرِّيَّة شِيهات هذه، وتَرَهَّبَ وأقامَ بها حتى ماتَ، وكان فاضِلًا، وأتاه في حَياتِه ابْنَا الملك المذكوران، وتَرَهَّبَا على يَدَيْه، فلمَّا ماتَا، بَعَثَ أبوهُما فبَنَى على اسْمِهما كَنيسَة بَرَمُوس.

وأبو مُوسَىٰ الأَسْوَد كان لِصًّا فاتِكًا قَتَلَ مائة نَفْس، ثم إنَّه تَنَصَّرَ وتَرَهَّبَ، وصَنَّفَ عِدَّةَ كُتُبٍ، وكان مِمَّن يَطْوِي الأرْبعين في صَوْمِه، وهو بَرْبَرِي.

دَيْرُ الزُّجاج

هذا الدَّيْرُ خارِج مَدينَة الإسْكَنْدَرِية، ويُقالُ له «دَيْر[a] الهانَطُون»[b]، وهو على اسم بُوجُرْج الكبير. ومن شَرْطِ البَطْرَك أنَّه لا بُدَّ أن يَتَوَجَّه من المُعَلَّقَة بمصر إلى دَيْر الزُّجَاج هذا، ثم إنَّهم في هذا الزَّمانِ تَرَكُوا ذلك[3].

فهذه أَدْيِرَةُ اليَعاقِبَة.

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: الهابطون.

= بمسافة ٥٠٠ متر. (صموئيل السرياني: دليل الكنائس ٢١، ٢٦).

[1] يَقَعُ هذا الدَّيْر مع دَيْر الأَنْبا بيشوي في المنطقة الواقعة بين دَيْر البَرَامُوس ودَيْر أبي مَقَّار، ويُعْرَف بـ«دَيْر السَّيِّدَة العَذْراء السُّرْيان»، بسبب وُجود بعض الرُّهْبان السُّرْيان به (صموئيل السرياني: دليل الكنائس ٢١).

[2] هو المعروف بـ«دَيْر السَّيِّدَة العَذْراء البَرَامُوس»، ويَقَعُ في أقصى شمال وادي النَّطْرون ويبعد عن الرِّسْت هاوس بنحو ١٢ كم. (نفسه ٣٠ – ٣١).

[3] يُعْرَف بالـ Pehenaton، ويَقَعُ على بُعْد تسعة كيلومترات غَرْب الإسكندرية. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ١:٢٥٨).

و « للنِّسَاءِ دِياراتٌ » تَخْتَصُّ بهن ، فمنها :

دَيْرُ الرَّاهِبَات

بحَارَة زَوِيلَة من القَاهِرَة ، وهو دَيْرٌ عامِرٌ بالأبْكارِ المُتَرَهِّبَاتِ وغيرهن من نِساءِ النَّصارَىٰ .

دَيْرُ البَنات

بحارةِ الرُّوم بالقاهِرَة . عامِرٌ بالنِّساءِ المُترهِّبات .

دَيْرُ المُعلَّقَة

بمَدينَة مصر . وهو أشْهرُ دِياراتِ النِّسَاء ، عامِرٌ بهن .

دَيْرُ بَرْبَارَة

بمصر بجوارِ كَنيسَة بَرْبَارَة . عامِرٌ بالبَنَات المُتَرَهِّبات .

بَرْبَـارة كانت قِدِّيسَةً في زَمانِ دِقْلِطْيانُوس ، فعَذَّبَها لتَرْجِع عن دِيانَتِها وتَسْجُد للأصْنَام ، فثَبَتَتْ على دِينها ، وصَبَرَت على عَذابٍ شَديد ـ وهي بِكْرٌ لم يَمَسَّها رَجُلٌ ـ فلمَّا يَئِس منها ضَرَبَ عُنُقَها وعُنُقَ عِدَّةٍ من النِّسَاءِ معها .

وللنَّصَارَىٰ المَلَكِيَّة قَلَّايَةُ بَطْرَكهم بجوارِ كَنيسَة مِيكائِيل ، بالقُرْبِ من جِسْرِ الأَفْرَم خارِج مصر ، وهي مَجْمَعُ الرُّهْبَان الوارِدين من بِلادِ الرُّوم .

دَيْرُ يُحَنِّس القُصَيْر

المعروف بالقُصير

وصَوابُه عندهم « دَيْرُ القَصِير » ، على وَزْنِ شَهيد ، وحُرِّفَ فقيل « دَيْر القُصَيِّر » ـ بضَمِّ القاف وفَتْح الصَّاد وتشديد الياء ـ فسمَّاهُ المُسْلِمُون دَيْر القُصَيْر ـ بضَمّ القاف وفَتْح الصَّاد وإسْكان الياء آخر الحُرُوف ـ كأنَّه تَصْغير قَصِير[1] .

---

[1] أبو المكارم : تاريخ ١ : ١٠٦ .

وأصْلُه ـ كما عَرَّفْتُك ـ دَيْر القَصير الذي هو ضد الطَّويل، وسُمِّيَ أيضًا دَيْرَ هِرَقْل، ودَيْرَ البَغْل، وقد تَقَدَّم ذكره[١]. وكان من أعْظَم دِيارات النَّصارَىٰ، وليس به الآن سوى واحِدٍ يحرسه، وهو بيد المَلْكِيَّة.

دَيْرُ الطُّور

قال ابنُ سِيدَه: الطُّورُ الجَبَلُ، وقد غَلَبَ على طُورِ سيناء ـ جَبَلٍ بالشَّام ـ وهو بالسُّرْيَانِيَّة طُورَى، والنَّسَبُ إليه طُورِيٌّ وطُوراني[a] [٢].

وقال ياقُوتُ: طُور سبعةُ مَواضِع. الأوَّل: طُور زَيْتا، بلَفْظ الزَّيْت من الأدْهان مَقْصُور، عَلَمٌ لجَبَلٍ بقُرْب رأْس عَيْن. الثَّاني: طُور زَيْتا[b] أيضًا، جَبَل بالبَيْت المُقَدَّس، وهو شَرْقي سُلْوان[c]. الثَّالِث: الطُّور عَلَم لجَبَلٍ بعَيْنِه مُطِلّ على مَدِينَة طَبَرِيَّة بالأُرْدُن. الرَّابع: الطُّور عَلَم لجَبَل كُورَة تَشْتَمِل على عِدَّة قُرًى بأرْضِ مِصْر، من الجِهَة القِبْلِيَة بين مِصْر وجَبَل فارَان. الخَامِس: طُور سَيْناء. اخْتَلَفوا فيه: فقيل هو جَبَلٌ بقرب أيْلَة، وقيل جَبَلٌ بالشَّام، وقيل سَيْناء حِجارَته[d]، وقيل شَجَرٌ فيه[e]. السَّادس: طُورُ عَبْدِين ـ / بفَتْح العين وسكون الباء الموحدة وكسر الدال المهملة وياء ٥١٠:٢
آخر الحُرُوف ونُون ـ: اسْمٌ لبَلْدَة من نَواحي نَصِيبين، في بَطْنِ الجَبَلِ المُشْرِف عليها المُتَّصِل بجَبَلِ جُودي. السَّابع: طُور هارُون أخي مُوسَىٰ عليهما السَّلام[٣].

a) بولاق: طواري. b) بولاق: زيت. c) بولاق: ساوان. d) بولاق: حجازية. e) بولاق: سحريته.

[١] فيما تقدم ، ، وراجع كذلك Fayek Ishak, *CE* art. *Dayr Yuhannes al-Qasir* III, pp. 883-84.

[٢] ابن سيدة: المحكم والمحيط الأعظم ٩: ١٩٠؛ وعند ياقوت: المشترك وَضْعًا ٢٩٧: «الطُّور في اللُّغة العِبْرانية اسمٌ لكُلِّ جَبَلٍ، ثم صَارَ عَلَمًا لجِبالٍ بعينها»، وعند البَكْري: «كُلُّ جَبَلٍ طُور، وأيضًا: الطُّور كُلُّ جَبَلٍ أجْرَد لا يُنْبِت شَجَرًا». (الحميري: الروض المعطار ٣٩٧). وانظر كذلك Honigman, E. & Bosworth, C.E., *EI*[2] art. *al-Tūr* X, pp. 715-17؛ ومقال Dacène, J.-Ch., «Une description arabe du H^ème/10^ème siècle du Mont Sinai», *Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hung.* 55/4 (2002), pp. 319-26، الذي عَرَضَ فيه لوَصْفٍ جَديدٍ مُبَكِّرٍ لجَبَلِ الطُّور وَرَدَ في كِتابِ «دَلائِل القِبْلَة» لابن القاصّ، المتوفى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، ويتَّفِق في قسمٍ كبيرٍ منه مع وَصْف أبي عُبَيْد البَكري في كِتابِ «المسالِك والممالِك». وقَدَّمَ لي الصَّديقُ العزيز Jean-Michel Mouton الأستاذ في جامعة ليون Lyon II في فرنسا والمتخصِّص في دراسة تاريخ سيناء صُورَةً من هذا المَقال. ووَرَدَ كذلك لَفْظُ «الطُّور» في القرآن الكريم في عشرة مواضع، قُرِنَ في موضعين منها مع سَيْناء وسينين.

[٣] ياقوت: المشترك وَضْعًا والمُفْتَرِق صَقْعًا ٢٩٧.

وقال الواحِديُّ في « تَفْسيره » : وقال الكَلْبيُّ وغيرُه : والجَبَلُ في قَوْله تعالى : ﴿ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلى الجَبَلِ ﴾ [الآية ١٤٣ سورة الأعراف] أَعْظَمُ جَبَلٍ بمَدْيَن يُقالُ له زبير [1]، وذَكَرَ البَكْري[a] أنَّ الطُّورَ سُمِّي بِيَطُور بن إسْماعيل . قال السُّهَيْلي : فلَعَلَّه مَحْذُوف الياء إن كان صَحَّ ما قالَه .

وقال عُمَر بن شَبَّة[b]: أَخْبَرَني عبدُ العَزيز ، عن أبي مَعْشَر ، عن سَعيد بن أبي سَعيد ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيْرَة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « أَرْبَعَةُ أنْهارٍ في الجَنَّة ، وأَرْبَعَة أَجْبُلٍ وأَرْبَعُ مَلاحِم في الجَنَّة ، فأمَّا الأنْهارُ فسَيْحان وجَيْحان والنِّيل والفُرات ، وأمَّا الأَجْبُل فالطُّور ولُبْنان وأُحُد ووَرْقان » وسَكَت عن المَلاحِم .

وعن كَعْبِ الأَحْبار : مَعاقِلُ المسلمين ثَلاثَة : فمَعْقِلُهم من الرُّوم دِمَشْق ، ومَعْقِلُهم من الدَّجَّال الأُرْدُن ، ومَعْقِلُهم من يَأْجُوج ومأْجُوج الطُّور .

وقال شُعْبَةُ عن أرْطاة بن المُنْذِر : إذا خَرَجَ يأْجُوج ومأْجُوج ، أَوْحَى الله تعالى إلى عيسَىٰ ابن مَرْيَم ، عليه السَّلام : أنّي قد أَخْرَجْتُ خَلْقًا من خَلْقي لا يُطيقُهم أَحَدٌ غَيْري ، فمُرَّ بمن مَعَك إلى جَبَلِ الطُّور . فيَمُرّ ومعه من الذَّراري اثنا عشر أَلْفًا .

وقال طَلْقُ بن حَبيب عن زُرْعَة : أَرَدْتُ الخُرُوجَ إلى الطُّور ، فأَتَيْتُ عبد الله بن عُمَر ـ رضي الله عنهما ـ فقلت له ، فقال : إنَّما تُشَدُّ الرِّحال إلى ثَلاثَةِ مَساجِد : إلى مَسْجِد رَسُولِ الله ﷺ ، والمَسْجِدِ الحَرَام ، والمَسْجِدِ الأَقْصَى ، فدَعْ عنكَ الطُّور فلا تَأْتِه .

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سَلامَة القُضَاعي ، وقد ذَكَر كُوَر أَرْضِ مصر : ومن كُوَرِ القِبْلَة قُرَى الحِجَاز ، وهي كُورَة الطُّور وفارَان ، وكُورَة رَايَة والقُلْزُم ، وكُورَة أَيْلَة وحَيِّزِها ، ومَدْيَن وحَيِّزِها ، والعُوَيْنِد والحَوْرَاء وحَيِّزهما ، ثم كُورَة بَدَا وشُعَيْب [كذا] .

قُلْتُ : لا خِلاف بين عُلَماءِ الأَخْبار ، من أَهْلِ الكِتابِ ، أنَّ جَبَلَ الطُّور هذا هو الذي كَلَّمَ الله تعالى نَبِيَّه مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ عليه أو عِنْده ، وبه إلى الآن دَيْرٌ بيد المَلْكِيَّة ، وهو عامِرٌ ، وفيه بُسْتَانٌ كبيرٌ به نَخْلٌ وعِنَب وغير ذلك من الفَواكِه .

---

a) بولاق : الكلبي . b) بولاق : شيبة .

---

[1] البكري : معجم ما استعجم ٣: ٨٩٧.

وقال الشَّابُشْتي : وطُورُ سَيناءَ هو الجَبَلُ الذي تَجلَّى فيه النُّورُ لمُوسَىٰ بن عِمْران ـ عليه السَّلام ـ وفيه صُعِقَ ، والدَّيْرُ في أعْلى الجَبَل مَبْني بحَجَرٍ أَسْوَد ، عَرْضُ حِصْنه سَبْع أَذْرُع ، وله ثلاثة أبْوابِ حَديد ، وفي غَربيه بابٌ لَطيفٌ ، وقُدَّامُه حَجَرٌ أُقيم : إذا أرادُوا رَفْعَه رَفَعُوه ، وإذا قَصَدَهم أحَدٌ أرْسَلُوه ، فانْطَبَقَ على المَوْضِع ، فلم يُعْرَف مَكانُ الباب .

وداخِلُ الدَّيْر عَيْنُ ماءٍ ، وخارِجُه عَيْنٌ أخرى .

وزَعَمَ النَّصارَىٰ أنَّ به نارًا من أنْواعِ النَّار التي كانت ببَيْت المَقْدِس ، يَقِدُون منها في كُلِّ عَشِيَّةٍ ، وهي بَيْضاء لَطِيفَة ضَعيفَة الحَرّ لا تَحْرق ، ثم تَقْوى إذا أوقدَ منها السِّراجُ .

وهو عامِرٌ بالرُّهْبان ، والنَّاسُ يَقْصِدُونه ، وهو من الدِّيارات المَوْصُوفَة . قال ابنُ عاصِم[a] فيه[1] :

[البسيط]

يا راهِبَ الدَّيْر ماذَا الضَّوْءُ والنُّورُ ‏ ‏ فقد أضَاءَ بمَا في دَيْرِك الطُّورُ؟

هَلْ حَلَّتِ الشَّمْسُ فيه دُونَ أبْرُجِها ‏ ‏ أو غُيِّبَ البَدْرُ فيه وهْوَ مَسْتُورُ؟

فقالَ : ما حَلَّهُ شَمْسٌ ولا قَمَرٌ ‏ ‏ لكِن يُقَرَّبُ فيه اليومَ قُورِيرُ

قُلْتُ : ذَكَرَ مُؤَرِّخُو النَّصارَىٰ[2] أنَّ هذا الدَّيْر أَمَرَ بعِمارَتِه يُوسطِنْيانُوس ، ملك الرُّوم بقُسْطَنْطينية ، فعُمِلَ عليه حِصْنٌ فوقه عِدَّةُ قَلالي ، وأُقيمَ فيه الحَرَسُ لحِفْظِ رُهْبانِه من قَوْمٍ يُقالُ لهم بنو صَالِح من العَرَب . وفي أيَّام هذا الملك كان « المَجْمَعُ الخَامِس » من مَجامِع النَّصارَىٰ[3] .

وبينه وبين القُلْزُم ـ وكانت مَدينَةً ـ طَرِيقَان : إحْداهُما في البَرّ والأخرى في البَحْر ، وهما جَميعًا يُؤَدِّيان إلى مَدينَة فاران ، وهي من مَدائِن العَمالِقَة ، ثم منها إلى الطُّور مَسيرَة يومَيْنِ ، ومن مَدينَة مِصْر إلى القُلْزُم ثلاثة أيَّام ، ويُصْعَد إلى جَبَل الطُّور بستة آلاف وستّ مائةٍ وستّ وستين مَرْقاة .

وفي نِصْفِ الجَبَل كَنيسَة لإيلْياء النَّبي ، وفي قُلَّتِه كَنيسَةٌ على اسْم مُوسَىٰ ـ عليه السَّلام ـ بأسَاطِينَ من رُخَامٍ وأبْوابٍ من صُفْر ، وهو المَوْضِع الذي كَلَّم الله تعالى فيه مُوسَىٰ ، وقَطَعَ منه

---

a) بولاق والنسخ : ابن عامر ، والمثبت من الديارات للشابشتي ومعجم البلدان لياقوت ، وانظر فيما تقدم ١٠٣٧ .

---

[1] الشابشتي : الديارات ٣١٠؛ ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٥٢٠؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١ : ٣٧٢ .

[2] أي سعيد بن البطريق (أوتيخيوس) وهو المصدر الذي اعتمد عليه المقريزي . (فيما تقدم ٩٩٨) .

[3] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٢٠٥-٢٠٦ .

الأَلْواحَ ، ولا يكون فيها إلَّا راهِبٌ واحِدٌ للخِدْمَة ، ويَزْعُمُون أنَّه لا يَقْدِر أحَدٌ أن يَبيتَ فيها ، بل يُهَيَّأ له مَوْضِعٌ من خَارِجٍ يَبِيتُ فيه [1]. ولم يَبْقَ لهاتَيْنِ الكَنيسَتيْنِ وُجُودٌ .

دَيْـرُ البَنَات
بقَصْرِ الشَّمْعِ بِمِصْـر

وهو على اسْم بوجُرْج [2]، وكان مِقْياسَ النِّيل قَبْل الإسْلام ، وبه آثارُ ذلك إلى اليوم .

فهذا ما للنَّصَارَىٰ اليعاقِبَة والمَلْكِيَّة ، رِجالِهم ونِسائِهم ، من الدِّيارات بأرْضِ مصر قِبْلِيها وبَحْرِيها ، وعِدَّتها ستة وثمانون دَيْرًا ؛ منها لليَعاقِبَة [a] دَيْر ، وللمَلْكِيَّة [a].

a) بياض بالنسخ .

[1] سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١:٢٠٢- ٢٠٤، ونشرة Breydy ١٠٧؛ وانظر كذلك ابن أيبك : كنز الدرر ٩:١١٦؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١: ٣٧١؛ Rabino, M.H.L., *Monastère de Sainte - Chaterine du Mont Sinai*, Le Caire 1938; Atiya, A. S., *Monastery of St. Catherine in Mount Sinai*, Cairo 1950; Forsyth, G. H., «The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai. Church and Fortress of Justinian», *Dumberton Oaks Papers* XXII (1968), pp. 3-19; id., *CE* art. *Mount Sinai Monastery of Saint Catherine* V, pp. 1681-86.؛ قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر العصور الوسطى ، ١٣٤-١٣٥

وتشتمل مكتبةُ الدَّيْر على الوثائق الأصْلية التي مَنَحها الخلفاءُ الفاطميون والسَّلاطينُ الأيُّوبيون والمماليك لرُهْبانِ الدَّيْر لتأمينهم ، والتي نَشَرَ القِسْمَ الفاطمي منها صمويل شتيرن Stern, S.M., *Fatimid Decrees. Original Documents from the Fatimid Chancery*, London 1964؛ ونَشَرَ القسم المملوكي منها هانس أرنست Ernest, H., *Die mamlukischen Sultansurkunden des Sinai - Klosters*, Wiesbaden 1960.؛ كما نَشَرَ أحمد عيسى توقيعات الخلفاء والسَّلاطين الواردة في هذه الوثائق في مقالٍ هام عنوانه : «مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء» ، المجلة التاريخية المصرية ٥ (١٩٥٦) ، ١٠٥- ١٢٤.

[2] ربما كان الدَّيْر الذي حَلَّ مَحَلَّه الآن دَيْر مارجِرْجِس للرَّاهِبات . (الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ٨٧) .

ذِكْرُ كَنائِسِ النَّصارَى[١]

قال الأَزْهَرِيُّ : كَنيسَةُ اليَهُودِ جَمْعُها كنائِس ، وهي مُعَرَّبَة أَصْلُها كُنِشْتُ[a][٢] . انتهى .

وقد نَطَقَت العَرَبُ بذِكْرِ الكَنيسَة ، قال العَبَّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَمي[٣] :

[الطويل]

يَدُورُون بي في ظِلِّ كُلِّ كَنيسَةٍ   وما كانَ قَوْمي يَبْتَنُون الكَنائِسا

وقال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيّات[٤] :

[المنسرح]

كـأنَّـهـا دُمْـيَـةٌ مُـصَـوَّرَةٌ   في بِيـعَـةٍ مِنْ كَـنـائِسِ الـرُّومِ

---

a) بولاق : كنشت .

---

[١] نَقَلَ L. Leroy هذا الفَصْل إلى اللغة الفرنسية ونَشَرَه بعنوان Leroy, L., «Les églises des Chrétiens. Traduction de l'arabe de Makrizi», *ROC* XII (1907), pp. 190-208, 269-79.

وراجع عن كَنائِس مصر المصادر والمراجع المذكورة فيما تقدم ١٠٢٥هـ[١] ؛ وأضف إليها Butler, A.J., *Ancient Coptic Churches of Egypt*, I-II, Oxford 1884-86 (نَقَلَهُ إلى العربية إبراهيم سلامة إبراهيم بعنوان : الكنائس القبطية القديمة في مصر ، ١-٢ ، القاهرة سلسلة الألف كتاب الثاني ، ١٩٩٣) ؛ Barmester, O.H.E., Guide to the Ancient Coptic Churches of Cairo, Cairo 1951؛ رؤوف حبيب : الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة ، القاهرة ١٩٩٧؛ صموئيل السُّرياني : عمارة الكنائس والأديرة الأثرية في مصر ، د.ت ؛ مرقس عزيز خليل : أهم الكنائس القبطية بمنطقة مصر القديمة : حصن بابليون والمعبد اليهودي ، القاهرة ١٩٨٥ .

[٢] الأزهري : تهذيب اللغة ١٠ : ٦٤ .

[٣] لم أجد البيت في السينية في الديوان .

[٤] البَيْتُ في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ، بيروت - دار صادر ١٩٥٨ ، ٧١ :

كأنَّها دُمْيَـةٌ مُصَـوَّرَةٌ   مِيعَ عليها الزِّرْيابُ والوَرِقُ

وواضِحٌ أنَّ المقريزي قد اطَّلَع على روايةٍ مخالِفَةٍ لرواية الدِّيوان المنشور !

ويَدُلُّ على مَوْضِعِ كنيسة الخَنْدَق الآن الكاتِدْرائيةُ المَرْقُسِيَّة الواقعة في شارع رَمْسيس بالقُرْبِ من مَيْدانِ العَبَّاسية . (الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٠٠) .

كَنيسَتَا الخَنْدَق[1]

ظَاهِرَ القَاهِرَة

إحداهُما على اسْم غُبْرِيال المَلاك، والأُخرى على اسْم مَرْقُورِيُوس، وعُرِفت بِرُوَيْس، وكان راهِبًا مَشْهورًا بعد سنة ثمان مائةٍ. وعند هاتَيْنِ الكنيسَتَيْنِ يَقْبُر النَّصارَىٰ مَوْتاهُم، وتُعْرَف بـ«مَقْبَرَةِ الخَنْدَق». وعُمِّرَت هاتان الكنيسَتان عِوَضًا عن كَنائِسِ المَقْسِ في الأيَّام الإسْلامية.

---

[1] ذَكَرَ أبو المكارم سَعْد الله هاتين الكنيستين، ووَصَفَ الكَنيسَة الأولى بأنّها «الكنيسةُ العُظْمَىٰ» وأنّ بها من الأبْنِية المُشَيَّدَة والأحجِبَة المُطَعَّمَة بالعاج والأبَنُوس والتَّصاوير والنُّقوش المُذَهَّبَة من عَمَلِ الصُّنَّاع والمُصَوِّرين الأقْباط والعُمُد المَرْمَر وغير ذلك ما يُذْهِل النَّاظِرين. وأسْهَم في تَزْيين هذه الكنيسة جَمالُ الكُفاه أبو سعيد، أحَد موظفي الدَّواوين في الأيَّام الحافِظِية. وأنّه كان من بين المترَدِّدين للصَّلاةِ بهذه الكنيسة وتَناوُل القُرْبان الشَّيْخُ الرَّئيسُ صَنيعَةُ الخِلافَة أبو ذكري يحيى المعروف بالأكْرَم (الأخْرَم) بن الشيخ السَّعيد أبي المكارِم هِبَة الله بن مينا، المعروف بابن بُولُس الكاتِب النَّصْراني مُتَوَلِّي ديوان التَّحْقيق وديوان النَّظَر بين سنتي ٥٣٠-٥٤٢هـ/١١٣٦-١١٤٨م. (أبو المكارم: تاريخ ١:١-٣؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦:٢١٦-٢١٧ (٧٤)). وذَكَرَ المقريزي (فيما يلي ١٠٧٦) أنّ كنيستي حارَة زَوِيلَة تَخَرَّبَتا في واقعة الكنائس سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، وعلى ذلك فإنّ كَنيسَة حارَة زَوِيلَة الموجودة الآن مَحَلّ الكنيسة العُظْمَىٰ مُحْدَثَة بنيت في العصر العثماني. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦:٢١٧-٢١٨ (٧٤-٧٥)؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ٩٧-٩٨).

أمّا الكَنيسَةُ الثّانية فكانت تُعْرَف بـ«كَنيسَة مارْ يَقُولَة» بالدَّرْب المعروف بالتَّشديد ببئر زَوِيلَة، وهي لَطيفَةٌ «جَدَّدَ إنشاءَها في الخِلافَة الآمِرِية واهْتَمَّ بعمارتها وَلِيُّ الدَّوْلَة أبو البَرَكات يُحَنَّا بن أبي اللَّيْث، مُتَوَلِّي ديواني التَّحْقيق والمَجْلِس بين سنتي ٥٠٤ و٥٢٧هـ/١١١٥-١١٣٣م، وأضافَ أبو المكارِم أنّها خُصِّصَت للكاثوليك وأنّ الرُّوم والفِرِنْج وغيرهم كانوا يُقَدِّسُون بها على مَذْبَحٍ مُفْرَد، وإذا حَضَرَ بَطْرَكُ الملكية نَزَلَ بهاه. (أبو المكارم: تاريخ ١:٤). وقد خَرِبَت أيضًا هذه الكنيسةُ في وَاقِعَة الكنائس عام ٧٢١هـ/١٣٢١م، وحَلَّ محلَّها في تاريخٍ لاحقٍ كنيسةٌ يُصْعَد إليها بِدَرَجٍ من المَدْخَل المُوَصِّل للكنيسة الكبرى. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦:٢١٩ (٧٥)؛ وانظر كذلك Wissa, M., *CE* art. *Harit Zawayleh* IV, pp. 1207-8).

أبو المكارم: تاريخ ١:٥-٦؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦:٢٢٠-٢٢١ (٧٦)). النويري: نهاية الأرب ٣٢:٢٨٥؛ مفضل بن أبي الفضائل: النهج السديد (نشرة S.Kartantamer) ٥ (451)؛ المقريزي: السلوك ٢:١٨٢؛ وانظر كذلك Aziz S. Atiya, *CE* art. *Harit al-Rûm* IV, pp. 1206-7؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ٩٩-١٠٠.

كَنيسَةُ حارَة زُوَيلَة

بالقاهرة

كَنيسَةٌ عَظيمَةٌ عند النَّصارَىٰ اليَعاقِبَة، وهي على اسْم السَّيِّدَة، وزَعَمُوا أنَّها قَديمَة تُعْرَف بالحكيم زَايْلون، وكان قَبْل المِلَّة الإسْلامية بنحو مائتين وسبعين سنة، وأنَّه صَاحِبُ عُلُومٍ شَتَّى، وأنَّ له كَنْزًا عظيمًا يُتَوَصَّل إليه من بئْرٍ هناك.

كَنيسَةٌ تُعْرَف بالمُغيثَة

بحارَةِ الرُّوم من القاهِرَة، على اسْم السَّيِّدَة مَرْيَم.

وليس لليَعاقِبَة بالقاهِرَة سوى هاتَيْن الكَنيسَتَيْن.

وكان بحارَةِ الرُّوم أيضًا كَنيسَةٌ أخرى، يُقالُ لها:

كَنيسَةُ بَرْبارَة

هُدِمَت في سنة ثمانِ عشرة وسبع مائةٍ. وسَبَبُ ذلك أنَّ النَّصارَىٰ رَفَعُوا قِصَّةً للسُّلْطانِ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون يَسْأَلُون الإذْنَ في إعادَةِ ما تَهدَّم منها، فأُذِنَ لهم في ذلك، فعَمَّروها أحْسَنَ ما كانت. فغَضِبَت طائِفَةٌ من المُسْلِمين، ورَفَعُوا قِصَّة للسُّلْطانِ بأنَّ النَّصارَىٰ أحْدَثُوا بجانِبِ هذه الكَنيسة بِناءً لم يَكُن فيها، فرَسَمَ للأميرِ عَلَم الدِّين سِنْجِر الخازِن والي القاهِرَة بهَدْمِ ما جَدَّدُوه.

فرَكِب، وقد اجْتَمَع الخَلائِقُ، فبَادَرُوا وهَدَمُوا الكَنيسَة كلَّها في أسْرَع وَقْتٍ، وأقامُوا في مَوْضِعها مِحْرابًا، وأذَّنوا وصَلُّوا وقَرَأُوا القُرْآن، كلُّ ذلك بأيْديهم، فلم تُمْكِنْ مُعارَضَتُهم خَشْيَةَ الفِتْنَة. فاشْتَدَّ الأَمْرُ على النَّصارَىٰ، وشَكَوا أمْرَهُم للقاضي كريم الدِّين ناظر الخَاص، فقامَ وقَعَدَ غَضَبًا لدين أسْلافِه، وما زالَ بالسُّلْطانِ حتى رَسَم بهَدْم المِحْرابِ، فهُدِمَ وصَارَ مَوْضِعُه كُومَ تُراب، ومَضَى الحالُ على ذلك.

كَنيسَةُ بُومِنَا

هذه الكَنيسَةُ قَريبَةٌ من السَّدّ ، فيما بين الكيمان بطَريق مصر ، وهي ثَلاثُ كَنائِس مُتَجاوِرَة : إحْداها لليَعاقِبَة ، والأُخرى للسُّرْيَان ، وأُخْرى للأَرْمَن . ولها عِيدٌ في كلِّ سنةٍ تَجْتَمِع إليه النَّصارَىٰ .

كَنيسَةُ المُعَلَّقَة

بمَدينَة مصر ، في خُطِّ قَصْرِ الشَّمْع ، على اسْم السَّيِّدَة . وهي جَليلَةُ القَدْرِ عندهم [1] ، وهي غير القَلَّايَة التي تَقَدَّمَ ذِكْرُها .

كَنيسَةُ شِنُودَة بمصر

نُسِبَت لأبي شِنُودَة الرَّاهِب القَديم ، وله أَخْبارٌ : منها أنَّه كان مِمَّن يَطْوِي في الأَرْبعين إذا صَام ، وكان تَحْتَ يده ستَّة آلاف راهِب يَتَقوَّت هو وإيَّاهُم من عَمَلِ الخُوص ، وله عِدَّةُ مُصَنَّفات [2] .

كَنيسَةُ مَرْيَم

بجوار كَنيسَة شِنُودَة . هَدَمَها علي بن سُلَيمان بن علي بن عبد الله بن عَبَّاس ، أمير مصر ، لمَّا وَلِي من قِبَل أمير المُؤْمنين الهادي مُوسَىٰ في سنة تسعٍ وستين ومائةٍ ، وهَدَمَ كَنَائِس مَحْرَسِ قُسْطَنْطِين ، وبَذَلَ له النَّصارَىٰ في تَرْكِها خمسين ألف دينار فامْتَنَع . فلمَّا عُزِلَ بمُوسَىٰ بن عِيسَىٰ ابن مُوسَىٰ بن محمد بن علي بن عبد الله بن عَبَّاس ، في خِلافَة هارُون الرَّشيد ، أَذِنَ مُوسَىٰ ابن

---

[1] ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ٢: ٧٣؛ ابن دقماق : الانتصار ٤: ١٠٧؛ Coquin, Ch., *Les édifices chrétiens du Vieux-Caire*, pp. 63-86; id., *CE* art. *Church of al-Mûallaqa* II, pp. 557-60؛ بتلر ، أ.: الكنائس القبطية القديمة في مصر ١: ١٨٠- ٢٠٢؛ رؤوف حبيب : الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة ١٧- ٢٤؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١: ٢٨٣- ٢٩٩؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ٨٨- ٨٩. وعُرِفَت هذه الكنيسة بـ«المُعَلَّقَة» لأنَّها بُنِيَت فوق بُرْجَيْن من أبراج حِصْنِ بابِلْيُون الروماني الجنوبية .

[2] ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ١: ١٨٣- ١٨٤؛ ابن حجر : رفع الإصر ٣٣٤-٣٣٥ (عن ابن زولاق) ؛ Coquin, Ch., *op.cit.*, pp. 37-45؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ٩٣.

عِيسَىٰ للنَّصَارَىٰ في بُنْيانِ الكَنائِس التي هَدَمَها عليّ بن سُلَيْمان، فبُنِيَت كلُّها بمَشُورَةِ اللَّيْثِ ابن سَعْد وعبد الله بن لَهِيعَة، وقالا: «هو من عِمارَة البِلاد»، واحْتَجَّا بأنَّ الكَنائِسَ التي بمصر لم تُبْنَ إلَّا في الإسْلام في زَمَنِ الصَّحابَةِ والتَّابِعِين [1].

كَنِيسَةُ بُوجُرْج الثِّقَة

هذه الكَنِيسَةُ في دَرْبٍ بخُطِّ قَصْر الشَّمْع بمصر، يُقالُ له دَرْب الثِّقَة، ويُجاوِرُها كَنِيسَةُ سَيِّدَة بُوجُرْج [2].

كَنِيسَةُ بَبَرْبارَة بمصر

كَبِيرَةٌ جَلِيلَةٌ عندهم، وهي تُنْسَب إلى القِدِّيسَة بَرْبارَة الرَّاهِبَة، وكان في زَمانِها راهِبَتان أبْكارًا [a]، وهما إنْسِي وتَكْلَة، ويُعْمَل لهن عيدٌ عَظِيمٌ بهذه الكَنِيسَة يَحْضُره البَطْرِيق [3].

كَنِيسَةُ بُوسِرْجَة

بالقُرْبِ من بَرْبَارَةَ، بجِوارِ زَاوِيَة ابن النُّعْمان، فيها مَغارَة يُقالُ إنَّ المسيحَ وأُمَّه مَرْيَمَ ـ عليهما السَّلام ـ جَلَسَا بها [4].

---

a) بولاق: بكران.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٩٩-١٠٠، وفيما تقدم ١٠٠١.

[2] سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٢: ٤١.

[3] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٧ وفيه: هذه الكنيسةُ بقَصْرِ الرُّوم بجوار خُوخَة خَبِيصَة يفصل بينهما مسجد؛ Coquin, Ch., *op.cit.*, pp. 115-130؛ بتلر، أ.: المرجع السابق ١: ٢٠٢-٢١١؛ رؤوف حبيب: المرجع السابق ٣٢-٣٨؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٢٦٥-٢٨٢؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ٨٦-٨٧.

[4] هي الكنيسةُ المعروفة بـ «كَنِيسَة أبي سِرْجَة» St. Sergius، وهي أقدم كنائِس حِصْن بابِلْيُون ومركز أُسْقُفِيَّة بنيت عند منقلب القرن الأول إلى القرن الثاني في زمن عبد الملك بن مروان وفي بطركية يوحنا الثالث. (نفسه ٤: ١٠٧ وفيه أنّها في دَرْبٍ بقصر الرُّوم بَحْري مسجد الشيخ شَمْس الدِّين بن النُّعْمان؛ Coquin, Ch., *op.cit.*, pp. 87-113؛ بتلر، أ.: المرجع السابق ١٦٠-١٨٠؛ رؤوف حبيب: المرجع السابق ٢٥-٣١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٣٠١-٣٠٥؛ Grossmann, P., *CE* art. =

كَنِيسَةُ بابِلْيُون

٥١٢ في قِبْلي قَصْر الشَّمْع بطَريق جِسْر الأَفْرَم [١]. وهذه الكَنيسَةُ قَديمَةٌ جِدًّا، وهي لَطيفَة، ويُذْكَرُ / أَنَّ تَحْتَها كَنْزُ بابِلْيون، وقد خَرِبَ ما حَوْلَها.

كَنِيسَةُ تاوَذْرُوس الشَّهيد

بجِوارِ بابِلْيون. نُسِبَت للشَّهيد تاوَذْرُوس الإسْفِهْسَلار [٢].

كَنِيسَةُ بُومِنَا

بجوار بابِلْيون أيضًا [٣]. وهاتان الكَنيستَان مَغْلُوقتان لخَرابِ ما حَوْلَهما.

كَنِيسَةُ بُومِنَا بالحَمْرَاء

وتُعْرَف الحَمْرَاءُ اليوم بخُطِّ قَناطِر السِّبَاعِ، فيما بين القاهِرَة ومِصْر. وأُحْدِثَت هذه الكَنيسَةُ في سنة سبع عشرة ومائةٍ من سني الهجرة، بإذْن الوَليد بن رِفاعَة أمير مصر. فغَضِبَ وُهَيْب اليَحْصُبي، وخَرَجَ على السُّلْطان، وجَاءَ إلى ابن رِفاعَة ليَفْتِك به، فأُخِذَ وقُتِلَ، وكان وُهَيب مَدَرِيًّا من اليَمَن قَدِمَ إلى مِصْر. فخَرَجَ القُرَّاءُ على الوَليد بن رِفاعَة غَضَبًا لوُهَيْب وقاتَلوه. وصَارَت مَعُونَة، امْرَأَة وُهَيْب، تَطُوفُ لَيْلًا على مَنازِلِ القُرَّاءِ تُحَرِّضُهم على الطَّلَب بدَمِه، وقد حَلَقَت رَأْسَها، وكانت امْرَأَةً جَزْلَةً. فأَخَذَ ابنُ رِفاعَة أبا عيسَىٰ مَرْوان بن عبد الرَّحْمَن اليَحْصُبي بالقُرَّاء، فاعْتَذَر وخَلَّى ابن رِفاعَة عنهم، فسَكَنَت الفِتْنَةُ بعدما قَتَلَ جَماعَةً [٤].

= Babylion I, pp. 318-19؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ٨٥-٨٦).

[١] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٧؛ Coquin, Ch., op.cit., pp. 179-87.

[٢] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٧، Ibid., pp. 189-95؛ بتلر، أ. المرجع السابق؛ رؤوف حبيب: المرجع السابق ٥١- ٥٢؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ٩٥.

[٣] نفسه ٤: ١٠٧، Ibid., pp. 197-202.

[٤] الكندي: ولاة مصر ٩٩- ١٠٠.

وذَكَرَ أبو المكارم: تاريخ ٢: ٤١ (أبو صالح: تاريخ ٤٣)، كنيسةً أخرى بالحَمْرَاء الوُسْطَىٰ تُعْرَف بـ«كنيسة أبي نَقْر» كان يجاورها في العصر الفاطمي سَكَنُ أمين الأمناء أبي اليُمْن ساورس بن مكراوه بن زُنْبور ناظر الرِّيف (مُتَوَلِّي ديوان أسْفَل الأرْض) ووَلَده الوزير الأوْحَد سَيِّد رؤساء=

ولم تَزَل هذه الكَنيسَةُ بالحَمْرَاءِ إلى أن كانت «واقِعَةُ هَدْمِ الكَنائِس»، في أيَّام النَّاصِر محمد ابن قَلاوون، علي ما يأتي ذِكْرُ ذلك والخَبَرِ عن هَدْمِ جَميعِ كَنائِس أرْضِ مصر ودِياراتِ النَّصَارَىٰ في وَقْتٍ واحِدٍ.

كَنيسَةُ الزُّهْري

كانت في المَوْضِعِ الذي فيه اليوم البِرْكَةُ النَّاصِرية، بالقُرْبِ من قَناطِرِ السِّباع، في برِّ الخَليج الغَرْبي غَرْبي اللُّوق.

واتَّفَقَ في أمْرِها عِدَّةُ حَوادِث؛ وذلك أنَّ الملكَ النَّاصِرَ محمد بن قَلاوون لمَّا أنْشَأ مَيْدانَ المَهارىٰ، المُجاور لقَناطِر السِّباع، في سنة عشرين وسبع مائة، قَصَدَ بناء زَرْبِيَّةٍ على النِّيلِ الأعْظَم بجِوار الجَامِع الطَّيْبَرْسي. فأمَرَ بنَقْلِ كُوم تُراب كان هناك، وحَفْر ما تَحْتَه من الطِّين لأجْلِ بِناءِ الزَّرْبِيَّة، وأجْرَى الماءَ إلى مَكانِ الحَفْر، فصَارَ يُعْرَف إلى اليوم بـ«البِرْكَة النَّاصِريَّة»[١].

وكان الشُّرُوعُ في حَفْر هذه البِرْكَة من آخِرِ شهر رَبيعِ الأوَّل سنة إحدى وعشرين وسبع مائة. فلمَّا انْتَهى الحَفْرُ إلى جَانِبِ كَنيسَةِ الزُّهْري ـ وكان بها كثيرٌ من النَّصَارَىٰ لا يزالُون فيها، وبجانِبِها أيضًا عِدَّةُ كَنائِسَ في المَوْضِعِ الذي يُعْرَف اليوم بحَكْر آقْبُغا، ما بين السَّبْع سِقايات وبين قَنْطَرة السَّدّ خارِج مَدينَة مصر[٢] ـ أخَذَ الفَعَلَةُ في الحَفْرِ حَوْلَ كَنيسَةِ الزُّهْري، حتى بَقِيَت قائِمَةً في وَسَطِ المَوْضِعِ الذي عَيَّنَه السُّلْطانُ ليُحْفَر، وهو اليوم بِرْكَة النَّاصِريَّة، وزادَ الحَفْرُ حتى تَعَلَّقَت الكَنيسَة. وكان القَصْدُ من ذلك أن تَسْقُط من غيرِ قَصْدٍ لخَرابِها.

[واقِعَةُ الكَنائِس]

[٣] وصَارَت العامَّةُ، من غِلْمان الأُمَرَاءِ العَمَّالين في الحَفْرِ، وغَيْرِهم في كُلِّ وَقْتٍ يَصْرُخُون على الأُمَرَاءِ في طَلَبِ هَدْمِها، وهم يَتغافَلُون عنهم؛ إلى أن كان يومُ الجُمُعَة التاسِع من شهر رَبيعِ الآخَر من هذه السنة، وَقْتَ اشْتِغال النَّاسِ بصَلاةِ الجُمُعَة،

= الشيف والقلم أبي سَعْد مَنْصُور (ابن الصَّيْرَفي): الإشارة إلى من نال الوزارة ٩٣؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٣١، ٥٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٧٢)، وأحْرِقَت هذه الكنيسة في حريق الفُسطاط سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م.

[١] انظر النويري: نهاية الأرب ٣٣: ١٦؛ المقريزي: السلوك ٢: ٢١٦؛ وفيما تقدم ٣: ٥٤٩- ٥٥٠، ٦٣٠- ٦٣١، ٢: ٣٠٣.

[٢] فيما تقدم ٣: ٣٨٤- ٣٨٦.

[٣] راجع تفاصيل واقعة الكنائس كذلك عند، النويري: نهاية الأرب ٣٣: ١٤- ١٥؛ ابن أيبك: كنز الدرر =

والعَمَلُ من الحَفْرِ بَطَّالٌ ، فتَجَمَّع عِدَّةٌ من غَوْغاءِ العَامَّة بغَيْرِ مَرْسُوم السُّلْطان ، وقالُوا بصَوْتٍ عالٍ مُرْتَفِع : «الله أَكْبَر» ، وَوَضَعُوا أيْديهم بالمَسَاحي ونَحْوها في كَنيسَة الزُّهْري ، وهَدَمُوها حتى بَقِيَت كُومًا ، وقَتَلُوا مَنْ كان فيها من النَّصَارَىٰ ، وأَخَذُوا جَميعَ ما كان فيها .

وهَدَمُوا «كَنيسَة بُومِنا» التي كانت بالحَمْرَاء ـ وكانت مُعَظَّمَةً عند النَّصَارَىٰ من قَديمِ الزَّمان ـ وبها عِدَّةٌ من النَّصَارَىٰ قد انْقَطَعُوا فيها ، ويَحْمِل إليهم نَصَارَىٰ مصر سَائِرَ ما يُحْتَاجُ إليه ، ويُبْعَث إليها بالنُّذُور الجَلِيلَة والصَّدَقَات الكثيرة . فوُجِدَ فيها مالٌ كثيرٌ ما بين نَقْدٍ ومَصَاغٍ وغيره ، وتَسَلَّقَ العَامَّةُ إلى أعْلاها ، وفَتَحُوا أبْوابَها ، وأَخَذُوا منها مالًا وقُماشًا وجِرار خَمْرٍ ، فكان أمْرًا مَهُولًا .

ثم مَضَوا من «كَنيسَة الحَمْرَاء» ، بعدما هَدَمُوها ، إلى كنيستين بجِوارِ السَّبْع سِقايات ـ تُعْرَف إحْداهُما بـ«كَنيسَة البَنَات» ، كان يَسْكُنها بَناتُ النَّصارَىٰ وعِدَّةٌ من الرُّهْبانِ ـ فكَسَروا أبْوابَ الكَنيستين ، وَسَبَوا البَنَات ، وكنّ زِيادَةً على ستين بِنْتًا ـ وأَخَذُوا ما عليهن من الثِّياب ، ونَهَبُوا سَائِرَ ما ظَفِرُوا به ، وحَرَقُوا وهَدَمُوا تلك الكَنائِس كلَّها ، هذا والنَّاسُ في صَلاةِ الجُمُعَة .

فعندما خَرَجَ النَّاسُ من الجَوامِع ، شاهَدُوا هَوْلًا كبيرًا من كَثْرَة الغُبَارِ ودُخانِ الحَريق ، ومَرَجِ النَّاسِ وشِدَّةِ حَرَكاتهم ومعهم ما نَهَبُوه ، فما شَبَّه النَّاسُ الحالَ لهَوْلِه إلَّا بيوم القِيامَة ، وانْتَشَرَ الخَبَرُ ، وطَارَ إلى الرُّمَيْلَة تَحْتَ قَلْعَةِ الجَبَلِ . فسَمِعَ السُّلْطانُ ضَجَّةً عَظيمَةً ورَجَّةً مُنْكَرَةً أَفْزَعَتْه ، فبَعَثَ لكَشْفِ الخَبَرِ ، فلمَّا بَلَغَه ما وَقَعَ انْزَعَجَ انْزعاجًا عَظيمًا ، وغَضِبَ من تَجَرّي العَامَّة وإقْدامهم على ذلك بغَيْرِ أمْرِه ، وأَمَرَ الأمير أيْدَغْمُش أمير آخُور أن يَرْكَب بجَمَاعَةِ الأوشاقِيَّة ، ويتدَارَك هذا الخَلَل ، ويَقْبض على من فَعَلَه .

فأَخَذَ أيدَغْمُش يَتَهَيَّأ للرُّكُوب ، وإذا بخَبَرٍ قد وَرَدَ من القاهِرَة أنَّ العَامَّةَ ثارَت في القاهِرَة ، وخَرَّبَت كَنيسَةً بحَارَة الرُّوم وكَنيسَةً بحَارَة زَوِيلَة . وجَاءَ الخَبَرُ من مَدينَة مصر أيضًا بأنَّ العَامَّة قامَت بمصر في جَمْعٍ كثيرٍ جِدًّا ، وزَحَفَت إلى «كَنيسَة المُعَلَّقَة» بقَصْرِ الشَّمْع ، فأُغْلَقَها النَّصَارَىٰ وهُم مَحْصُورُون بها ، وهي على أن تُؤْخَذ .

= ٩: ٣٠٦؛ مفضل بن أبي الفضائل : النهج السديد (نشرة S. Kortanlamer) ١٣-١٤ (442-43)؛ المقريزي : السلوك ٢: ٢١٦-٢٢٠؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٦٥-٦٨؛ Mounir Megally, *CE* art. *Waqʿat al-Kanâ'is* VII, pp. 2313-16.

فتَزَايَدَ غَضَبُ السُّلْطانِ ، وهَمَّ أن يَرْكَب بنفسه/ ويَبْطِش بالعامَّة ، ثم تأخَّر لمَّا راجعَه الأميرُ أَيْدَغْمُش ، ونَزَلَ من القَلْعَةِ في أربعةٍ من الأُمَرَاءِ إلى مصر ، ورَكِبَ الأمير بَيْبَرْس الحَاجِب والأمير أُلْماس الحَاجِب إلى مَوْضِع الحَفْر ، ورَكِبَ الأميرُ طَيْنال إلى القاهِرَة ، وكلٌّ منهم في عِدَّةٍ وافِرَة ، وقد أَمَرَ السُّلْطانُ بقَتْل من قَدَرُوا عليه من العامَّة بحيث لا يَعْفُو عن أحَدٍ . فقامَت القاهِرَةُ ومصر على سَاقٍ ، وفرَّت النَّهَّابَةُ ، فلم يَظْفَر الأُمَرَاءُ منهم إلَّا بمن عَجَزَ عن الحَرَكَةِ بما غَلَبَه من السُّكْرِ بالخَمْرِ الذي نَهَبَه من الكَنائِس ، ولَحِقَ الأميرُ أَيْدَغْمُش بمصر ، وقد رَكِبَ الوَالي إلى المُعَلَّقَة قَبْل وُصُولِه ليُخْرِج من زُقاقِ المُعَلَّقَة من حَضَرَ للنَّهْبِ ، فأخَذَه الرَّجْمُ حتى فَرَّ منهم ، ولم يَبْق إلَّا أن يَخرق بابَ الكَنيسَة . ٥١٣:٢

فجَرَّدَ أَيْدَغْمُش ومن معه السُّيُوفَ يُرِيدُون الفَتْك بالعامَّة ، فوَجَدُوا عالَمًا لا يَقَعُ عليه حَصْر ، وخافَ سُوءَ العاقِبَة فأَمْسَك عن القَتْلِ ، وأَمَرَ أصْحابَه بإرْجافِ العامَّة من غير إهْراقِ دَمٍ ، ونادَى مُناديه : «من وَقَفَ حَلَّ دَمُه» . ففَرَّ سَائِرُ من اجْتَمَعَ من العامَّة وتَفَرَّقُوا ، وصَارَ أَيْدَغْمُش واقِفًا إلى أن أَذَّنَ العَصْرُ خَوْفًا من عَوْدِ العَامَّة ، ثم مَضَى وأَلْزَمَ والي مصر أن يَبيتَ بأعْوانِه هناك ، وتَرَكَ معه خمسين من الأوشاقِيَّة .

وأمَّا الأميرُ أُلْماس فإنَّه وَصَلَ إلى كَنائِسِ الحَمْرَاءِ وكَنائِس الزُّهْري ليَتَدارَكَها ، فإذا بها قد بَقِيَت كِيمانًا ليس بها جِدارٌ قَائِم ، فعَادَ وعَادَ الأُمَرَاءُ ، فرَدُّوا الخَبَرَ على السُّلْطانِ وهو لا يَزْدادُ إلَّا حَنَقًا ، فما زالُوا به حتى سَكَنَ غَضَبُه .

وكان الأمْرُ في هَدْمِ هذه الكَنائِس عَجَبًا من العَجَب . وهو أنَّ النَّاسَ لمَّا كانُوا في صَلاةِ الجُمُعَة من هذا اليوم بجَامِع قَلْعَةِ الجَبَل ، فعندما فَرَغُوا من الصَّلاةِ ، قامَ رَجُلٌ مُوَلَّه وهو يَصيحُ من وَسَط الجَامِع : «اهْدِمُوا الكَنيسَة التي في القَلْعَة اهْدِمُوها» ، وأكْثَرَ من الصِّياح المُزْعِج حتى خَرَجَ عن الحَدِّ ، ثم اضْطَرَبَ . فتَعَجَّبَ السُّلْطانُ والأُمَرَاءُ من قَوْلِه ، ورُسِمَ لنَقيبِ الجُيُوشِ والحَاجِب بالفَحْص عن ذلك ، فمَضَيَا من الجَامِع إلى خَرائِب التَّتَر من القَلْعَة ، فإذا فيها كَنيسَةٌ قد بُنِيَت فهَدَمُوها ولم يَفْرُغُوا من هَدْمِها حتى وَصَلَ الخَبَرُ بوَاقِعَة كَنائِس الحَمْرَاء والقاهِرَة ، فكَثُرَ تَعَجُّبُ السُّلْطانِ من شأن ذلك الفَقير ، وطُلِبَ فلم يُوقَف له على خَبَرٍ .

واتَّفَقَ أيضًا بالجَامِع الأزْهَر أنَّ النَّاسَ لمَّا اجْتَمَعُوا في هذا اليوم لصَلاةِ الجُمُعَة ، أَخَذَ شَخْصًا من الفُقَراء مِثْلُ الرِّعْدَة ، ثم قامَ بعدما أُذِّنَ قَبْل أن يَخرج الخَطيب ، وقال : «اهْدِمُوا كَنائِس الطُّغْيان والكَفَرَة ، نَعَمْ الله أكْبَر ، فَتَحَ الله ونَصَر» ، وصَارَ يُزْعِجُ نفسه ، ويَصْرُخ من الأسَاس إلى

الأسَاس . فَحَدَق النَّاسُ بالنَّظَرِ إليه ، ولم يَدْرُوا ما خَبَرُه ، وافْتَرَقُوا في أمْرِه ، فقائِلٌ : هذا مَجْنُون ، وقائِلٌ : هذه إشَارَةٌ لشيءٍ . فلمَّا خَرَجَ الخَطِيبُ أمْسَكَ عن الصِّياح ، وطُلِبَ بعد انْقِضَاءِ الصَّلاةِ فلم يُوجَد ، وخَرَجَ النَّاسُ إلى بابِ الجَامِع ، فرأَوا النَّهَّابَة ومعهم أخْشَابُ الكَنائِس وثِيابُ النَّصَارَىٰ وغير ذلك من النُّهُوب ، فسألوا عن الخَبَرِ ، فقيل قد نادَى السُّلْطَانُ بخَرابِ الكَنائِس ، فظَنَّ النَّاسُ الأَمْرَ كما قيل ، حتى تَبَيَّنَ بعد قَليلٍ أنَّ هذا الأمْرَ إنَّما كان من غَيْرِ أمْرِ السُّلْطان . وكان الذي هُدِمَ في هذا اليوم من الكَنائِس بالقاهِرَة : كَنيسَةٌ بحَارَة الرُّوم ، وكَنيسَةٌ بالبُنْدُقانِيين ، وكَنيستَانِ بحَارَة زَوِيلَة .

وفي يوم الأحد الثَّالِث من يوم الجُمُعَة ـ الكائِن فيه هَدْمُ كَنائِس القاهِرَة ومِصْر ـ وَرَدَ الخَبَرُ من الأمير بَدْر الدِّين بَيْلَبَك المُحْسِني ، والي الإسْكَنْدَرية ، بأنَّه لمَّا كان يوم الجُمُعَة تاسع رَبيع الآخر بعد صَلاةِ الجُمُعَة ، وَقَعَ في النَّاسِ هَرَجٌ ، وخَرَجُوا من الجَامِع وقد وَقَعَ الصِّياحُ : هُدِمَت الكَنائِسُ . فرَكِبَ المَمْلوكُ من فَوْرِه ، فوَجَدَ الكنائِسَ قد صارَت كُومًا ، وعِدَّتُها أرْبَع كَنائِس ، وأنَّ بِطاقَةً وَقَعَت من والي البُحَيْرَة : بأنَّ كَنيستَيْن في مَدينَةِ دَمَنْهُور هُدِمَتَا والنَّاسُ في صَلاةِ الجُمُعَة من هذا اليوم ، فكَثُرَ التَّعَجُّب من ذلك . إلى أن وَرَدَ في يوم الجُمُعَة سادِس عشرة الخَبَرُ ، من مَدينَة قُوص ، بأنَّ النَّاسَ عندما فَرَغُوا من صَلاةِ الجُمُعَة في اليوم التاسع من شهر ربيع الآخَر ، قامَ رَجُلٌ من الفُقَرَاءِ وقال : «يا فُقَرَاء اخْرُجوا إلى هَدْم الكَنائِس» . وخَرَجَ في جَمْعٍ من النَّاس ، فوَجَدُوا الهَدْمَ قد وَقَعَ في الكنائِس ، فهُدِمَت سِتُّ كَنائِس كانت بقُوص وما حَوْلَها في ساعَةٍ واحِدَة .

وتَوَاتَر الخَبَرُ من الوَجْهِ القِبْلي والوَجْهِ البَحْري بكَثْرَة ما هُدِمَ في هذا اليوم ، وَقْت صَلاةِ الجُمُعَة وما بعدها ، من الكَنائِس والأدْيِرَة في جَميع إقْليم مصر كلّه ما بَيْنَ قُوص والإسْكَنْدَرية ودِمْياط . فاشْتَدَّ حَنَقُ السُّلْطانِ على العامَّة خَوْفًا من فَسادِ الحَال ، وأخَذَ الأُمَرَاءُ في تَسْكِينِ غَضَبِه ، وقالوا : هذا الأمْرُ لَيْسَ من قُدْرَةِ البَشَر فِعْله ، ولو أرادَ السُّلْطانُ وُقُوعَ ذلك على هذه الصُّورَة لما قَدَرَ عليه ، وما هذا إلَّا بأمْرِ الله سُبْحانه وبقَدَرِه لِمَا عَلِمَ من كَثْرَة فَسَادِ النَّصارَىٰ وزِيادَة طُغْيانِهم ، ليكون ما وَقَعَ نِقْمَةً وعَذابًا لهم .

هذا والعَامَّةُ بالقاهِرَة ومصر قد اشْتَدَّ خَوْفُهم من السُّلْطانِ ، لما كان يَبْلُغُهم عنه من التَّهْديدِ لهم بالقَتْلِ ، ففَرَّ عِدَّةٌ من الأوْباشِ والغَوْغَاءِ ، وأخَذَ القاضي/ فَخْرُ الدِّين ، ناظِرُ الجَيْش ، في تَرْجيع ٥١٤:٢
السُّلْطانِ عن الفَتْكِ بالعامَّة وسِياسَةِ الحالِ معه ، وأخَذَ كريمُ الدِّين الكبير ـ ناظِرُ الخاصّ ـ يُغْريه بهم إلى أن أخْرَجَه السُّلْطانُ إلى الإسْكَنْدَرية بسَبَبِ تَحْصيلِ المالِ ، وكَشْفِ الكَنائِس التي خَرِبَت بها .

[الحَرِيقُ بالقاهِرَة ومصر]

فلم يَمْضِ سوى شهرٍ من يَوْمِ هَدْمِ الكَنائِس حتَّى وقَعَ الحَرِيقُ بالقَاهِرَة ومصر في عِدَّةِ مَواضِع ، وحَصَلَ فيه من الشَّناعَة أضْعافُ ما كان من هَدْمِ الكَنائِس [1]. فوَقَعَ الحَرِيقُ في رَبْعٍ بخُطِّ الشَّوَّائين من القاهِرَة في يوم السَّبْت عاشِر جُمادَىٰ الأولى ، وسَرَت النَّارُ إلى ما حَوْلَه ، واسْتَمَرَّت إلى آخِرِ يوم الأحَد . فتَلِفَ في هذا الحَرِيقِ شيءٌ كثيرٌ .

وعندما أُطْفِئَ وَقَعَ الحَرِيقُ بحَارَةِ الدَّيْلَم ، في زُقاقِ العَرِيسَة ، بالقُرْبِ من دُورِ كَرِيم الدِّين ناظِر الخاصّ في خامِس عشرين جُمادَىٰ الأولى ، وكانت لَيْلَةً شَديدَةَ الرِّيح ، فسَرَت النَّارُ من كلِّ ناحية حتى وَصَلَت إلى بَيْتِ كريم الدِّين . وبَلَغَ ذلك السُّلْطان فانْزَعَجَ انْزِعاجًا عَظيمًا لما كان هناك من الحَواصِلِ السُّلْطانية ، وسَيَّرَ طائِفَةً من الأُمَراءِ لإطْفائِه ، فجَمَعُوا النَّاسَ لإطْفائِه ، وتَكاثَروا عليه .

وقد عَظُمَ الخَطْبُ من ليلة الاثنين إلى ليلة الثلاثاء ، فتزايَدَ الحَالُ في اشْتِعالِ النَّارِ ، وعَجَزَ الأُمَراءُ والنَّاسُ عن إطْفائِها لكَثْرَة انْتِشارِها في الأماكِن وَقُوَّةِ الرِّيح التي ألْقَت باسِقَات النَّخْل ، وغَرَّقَت المراكِب ، فلم يَشُكَّ النَّاسُ في حَريق القاهِرَة كُلِّها ، وصَعِدُوا المآذِن ، وبَرَزَ الفُقَراءُ وأهْلُ الخَيْر والصَّلاح ، وضَجُّوا بالتَّكْبير والدُّعاء وجَأَرُوا ، وكَثُرَ صُراخُ النَّاسِ وبُكاؤُهم ، وصَعِدَ السُّلْطانُ إلى أعْلى القَصْر فلم يتمالَكْ الوُقُوف من شِدَّة الرِّيح .

واسْتَمَرَّ الحَرِيقُ والاسْتِحْثاثُ يَرِد على الأُمَراءِ من السُّلْطانِ في إطْفائِه إلى يوم الثلاثاء . فنَزَلَ نائِبُ السُّلطان ومعه جَميعُ الأُمَراءِ وسَائِر السَّقَّائِين ، ونَزَلَ الأميرُ بَكْتَمُر السَّاقي ، فكان يَوْمًا عَظيمًا لم يَرَ النَّاسُ أعْظَمَ منه ولا أشَدَّ هَوْلًا .

ووُكِّل بأبْوابِ القاهِرَة من يَرُدّ السَّقَّائِين إذا خَرَجُوا من القاهِرَة لأجْلِ إطْفاءِ النَّارِ ، فلم يَبْقَ أحَدٌ من سَقَّائي الأُمَراء وسَقَّائي البَلَدِ إلَّا وعَمِلَ ، وصَارُوا يَنْقِلون الماءَ من المَدارِس والحَمَّامات ، وأُخِذَ جَميعُ النَّجَّارين وسَائِر البَنَّائِين لهَدْمِ الدُّور . فهُدِمَ في هذه النَّوْبَة ما شَاءَ الله من الدُّورِ العَظيمَة والرِّبَاعِ الكبيرة .

---

[1] راجع عن أخبار هذا الحريق كذلك ، النويري : نهاية الأرب ٣٣:١٥-٢٧؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٩: ٣٠٦؛ مفضل بن أبي الفضائل: النهج السديد (S. Kortantamer) ١٤-١٥ (441-42)؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٢: ١٢١؛ المقريزي: السلوك ٢: ٢٢٠-٢٢٧؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٦٣- ٧٣.

وعَمِلَ في هذا الحَريق أربعةٌ وعشرون أمِيرًا من الأُمَرَاءِ المُقَدَّمين ، سِوَى من عَداهُم من أُمَرَاءِ الطَّبْلَخانات والعَشْرَاوات والمماليك ، وعَمِلَ الأُمَرَاءُ بأنْفُسهم فيه ، وصَارَ الماءُ من بابِ زَوِيلَةَ إلى حارَة الدَّيْلَم في الشَّارع بَحْرًا من كَثْرَةِ الرِّجالِ والجِمالِ التي تَحْمل الماء .

ووَقَفَ الأميرُ بَكْتَمُر السَّاقي والأمير أَرْغُون النَّائِب ، على نَقْلِ الحَواصِل السُّلْطانية من بَيْتِ كريمِ الدِّين إلى بَيْتِ وَلَده بدَرْبِ الرَّصاصي [1] ، وخَرَّبُوا ستة عشر دَارًا من جِوار الدَّار وقُبالَتها حتى تَمَكَّنوا من نَقْلِ الحَواصِل .

فما هو إلَّا أنْ كَمَلَ إطْفاءُ الحَريق ونَقْلُ الحَواصِل ، وإذا بالحَريقِ قد وَقَعَ في رَبْعِ الظَّاهر خَارِج بابِ زَوِيلَة [2] ، وكان يَشْتَمِل على مائة وعشرين بَيْتًا ، وتَحْتَه قَيْسارِيَّة تُعْرَف بقَيْسارِيَّة الفُقَرَاء [3] ، وهَبَّ مع الحَريق رِيحٌ قَوِيَّة فرَكِبَ الحاجِبُ والوالي لإطْفائِه ، وهَدَمُوا عِدَّةَ دُورٍ من حَوْلِه حتى انْطَفأ .

فوَقَعَ في ثاني يوم حَريقٌ بدار الأمير سَلَّار في خُطِّ بَيْن القَصْرَيْن [4] ، ابْتَدَأ من الباذْهَنْج ـ وكان ارْتِفاعُه عن الأرْض مائة ذراع بالعَمَل ـ فوَقَعَ الاجْتهادُ فيه حتى أُطْفِئ . فأَمَرَ السُّلْطانُ الأميرَ عَلَمَ الدِّين سِنْجِر الخَازِن والي القاهِرَة ، والأمير رُكْنَ الدِّين بَيْبَرْس الحاجِب ، بالاحْتراز واليَقَظَة .

ونُودي بأنْ يُعْمَل عند كلِّ حانُوت دَنٌّ فيه ماءٌ أو زِيرٌ مَمْلوءٌ بالماء ، وأنْ يُقام مثل ذلك في جَميع الحارات والأزِقَّة والدُّرُوب . فبَلَغَ ثَمَنُ كلِّ دَنٍّ خمسة دراهِم بعد دِرْهَم ، وثَمَنُ الزِّير ثمانية دراهِم .

ووَقَعَ حَريقٌ بحارَة الرُّوم وعِدَّة مَواضِع ، حتى إنَّه لم يَخْلُ يَوْمٌ من وُقُوعِ الحَريق في مَوْضِع .

فتَنَبَّه النَّاسُ لما نَزَلَ بهم ، وظَنُّوا أنَّه من أفْعَالِ النَّصارَىٰ ـ وذلك أنَّ النَّارَ كانت تُرَى في مَنابِر الجَوامِع وحِيطان المَساجِد والمَدارِس ـ فاسْتَعَدُّوا للحَريق ، وتَتَبَّعُوا الأحْوالَ حتى وَجَدوا هذا الحَريق من نَفْطٍ قد لُفَّ عليه خِرَقٌ مَبْلُولَة بزَيْتٍ وقَطْران .

فلمَّا كان لَيْلَةُ الجُمُعَة النِّصْف من جُمادَى ، قُبِضَ على راهِبَيْن عندما خَرَجَا من المَدْرَسَةِ الكُهارِيَّة [5] بعد العشاء الآخرة ، وقد اشْتَعَلَت النَّارُ في المَدْرَسَةِ ورائِحَة الكِبْريت في أيْديهما فحُمِلا إلى الأمير عَلَم الدِّين الخَازِن والي القاهِرَة ، فأَعْلَم السُّلْطانَ بذلك ، فأَمَرَ بعُقُوبَتِهما .

---

[1] انظر عن موقع دَرْبِ الرَّصاصي ، فيما تقدم ٣ : ١٢٣ .

[2] انظر عن مَوْقع رَبْع الظَّاهر ، فيما تقدم ٥٠٠ هـ .

[3] انظر عن موقع قَيْسارية الفُقَراء ، فيما تقدم ٣ : ٣٠٠ .

[4] انظر فيما تقدم .

[5] انظر عن المدرسة الكُهارية ، فيما تقدم ٦٧٨ .

فما هو إلّا أن نَزَلَ من القَلْعَةِ ، وإذا بالعامَّة قد أَمْسَكُوا نَصْرانِيًّا ، وُجِدَ في جَامِع الظَّاهِر ومعه خِرَقٌ على هَيْئَة الكَعْكَة في داخِلِها قَطْرانٌ ونَفْطٌ ، وقد أَلْقَى منها واحِدَةً بجانب المِنْبَر ، وما زالَ واقِفًا إلى أن خَرَج الدُّخَانُ ، فمَشَى يُرِيدُ الخُرُوجَ من الجَامِع . وكان قد فَطِنَ به شَخْصٌ ، وتأمَّله من حيث لم يَشْعُر به النَّصْراني ، فَقَبَضَ عليه ، وتَكاثَرَ النَّاسُ فجَرُّوه إلى بَيْتِ الوَالي ، وهو بهَيْئَة المسلمين ، فعُوقِبَ عند الأمير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الحاجِب . فاعْتَرَف بأَنَّ جَماعَةً من النَّصارَىٰ قد اجْتَمَعُوا على عَمَل نَفْطٍ وتَفْريقه مع جَماعَةٍ من أَتْباعِهِم ، وأنَّه مِمَّن أُعْطِي ذلك ، وأَمَرَ بوَضْعِه عند مِنْبَر جَامِع الظَّاهِر .

ثم أَمَرَ بالرَّاهِبَيْن فعُوقِبَا ، فاعْتَرَفَا/ أَنَّهما من سُكَّان دَيْر البَغْل ، وأنَّهما هما اللَّذان أَحْرَقَا المَواضِع ٥١٥:٢
التي تَقَدَّم ذِكْرُها بالقاهِرَة ، غِيرَةً وحَنَقًا من المُسْلمين لما كان من هَدْمِهِم الكَنائِس ، وأنَّ طائِفَةَ النَّصارَىٰ تَجَمَّعُوا ، وأَخْرَجُوا من بينهم مالًا جَزِيلًا لعَمَلِ هذا النَّفْط .

واتَّفَقَ وُصُولُ كَرِيم الدِّين ناظِر الخَاصّ من الإسْكَنْدَرية ، فعَرَّفَه السُّلْطانُ ما وَقَعَ من القَبْض على النَّصارَىٰ ، فقال : النَّصارَىٰ لهم بَطْرَك يَرْجِعُون إليه ، ويَعْرِف أَحْوالَهم . فرَسَمَ السُّلْطانُ بطَلَبِ البَطْرَكِ عند كَرِيم الدِّين ، ليَتَحَدَّث معه في أَمْرِ الحَرِيق ، وما ذَكَرَه النَّصارَىٰ من قِيامِهِم في ذلك ، فجَاءَ في حِمايَة والي القاهِرَة ، في اللَّيْل خَوْفًا من العامَّة . فلمَّا أَنْ دَخَلَ بَيْت كريم الدِّين بحارَة الدَّيْلَم ، وأَحْضَرَ إليه الثَّلاثَة النَّصارَىٰ من عند الوالي ، قالوا لكريم الدِّين ـ بحَضْرَة البَطْرَك والوالي ـ جَمِيعَ ما اعْتَرَفُوا به قَبْل ذلك . فبَكَى البَطْرَك عندما سَمِعَ كلامَهم ، وقال : هؤلاء سُفَهَاء النَّصارَىٰ قَصَدُوا مُقابَلَة سُفَهَاء المُسْلِمين على تَخْرِيبهم الكَنائِس . وانْصَرَفَ من عند كريم الدِّين مُبَجَّلًا مُكَرَّمًا ، فوَجَدَ كريم الدِّين قد أَقامَ له بَغْلَةً على بابِه ليَرْكَبها ، فرَكِبَها وسَار .

فعَظُمَ ذلك على النَّاسِ ، وقامُوا عليه يَدًا واحِدَةً ، فلَوْلا أَنَّ الوالي كان يُسايِرُه وإلَّا هَلَكَ . وأَصْبَحَ كَرِيمُ الدِّين يُرِيدُ الرُّكوب إلى القَلْعَة على العادَة ، فلمَّا خَرَجَ إلى الشَّارِع ، صَاحَت به العامَّةُ : ما يَحِلّ لك يا قاضي تُحامي للنَّصارَىٰ وقد أَحْرَقُوا بُيُوت المُسْلِمين ، وتُرْكِبهمْ بعد هذا البِغال ، فشَقَّ عليه ما سَمِعَ ، وعَظُمَت نِكايَتُه .

واجْتَمَعَ بالسُّلْطانِ ، فأَخَذَ يُهَوِّن أَمْرَ النَّصارَىٰ المَمْسُوكين ، ويَذْكُر أَنَّهم سُفَهَاءُ وجُهَّالٌ . فرَسَمَ السُّلْطانُ للوالي بتَشْديد عُقُوبَتِهم ، فنَزَلَ وعاقَبَهم عُقُوبَةً مُؤْلِمَةً ، فاعْتَرَفُوا بأَنَّ أربعة عشر راهِبًا بدَيْر البَغْل قد تَحالَفُوا على إحْراقِ دِيارِ المُسْلِمين كلِّها ، وفيهم راهِبٌ يَصْنَع النَّفْط ، وأَنَّهم اقْتَسَمُوا القاهِرَة ومصر : فجُعِلَ للقاهِرَة ثمانية ، ولمصر ستة .

فكَبَسَ دَيْرَ البَغْلِ ، وقَبَضَ على من فيه ، وأَحْرَق من جَمَاعَتِه أربعة بشَارِعِ صَليبَة جَامِعِ ابن طُولُون في يوم الجُمُعَة ، وقد اجْتَمَعَ لمُشاهَدَتهم عالَمٌ عَظيمٌ . فضَرَى من حينئذٍ جُمْهُور النَّاس على النَّصارَىٰ ، وفَتَكُوا بهم ، وصَارُوا يَسْلُبون ما عليهم من الثِّياب ، حتى فَحُشَ الأَمْرُ ، وتَجاوَزُوا فيهم المِقْدار ، فغَضِبَ السُّلْطانُ من ذلك ، وهَمَّ أن يُوقِعَ بالعامَّة .

واتَّفَقَ أنَّه رَكِبَ من القَلْعَةِ يُريدُ المَيْدَان الكبير في يوم السبت ، فرَأَى من النَّاسِ أُمَمًا عَظيمَةً قد مَلأَت الطُّرُقات ، وهم يَصيحُون : «نَصَرَ اللهُ الإسْلام» ، «انْصُر دِينَ محمَّد بن عبد الله» ، فخَرَجَ من ذلك . وعندما نَزَلَ المَيْدان ، أَحْضَرَ إليه الخازِنُ نَصْرانِيين قد قُبِضَ عليهما وهما يَحْرِقان الدُّور ، فأَمَرَ بتَحْريقِهِما ، فأُخْرِجَا وعُمِلَ لهما حفرة ، وأُحْرِقا بمَرْأَى من النَّاس .

وبينا هم في إحْراقِ النَّصْرانِيين إذا بديوانِ الأمير بَكْتَمُر السَّاقي قد مَرَّ يُريدُ بَيْت الأمير بَكْتَمُر ، وكان نَصْرانِيًّا ، فعندما عايَنَه العامَّةُ ، أَلْقَوه عن دابَّتِه إلى الأَرْض ، وجَرَّدُوه من جَميعِ ما عليه من الثِّياب ، وحَمَلُوه ليُلْقُوه في النَّار ، فصَاحَ بالشَّهادَتَيْن ، وأَظْهَر الإسْلام ، فأُطْلِق . واتَّفَق مع هذا مُرُورُ كَرِيم الدِّين ، وقد لَبِسَ التَّشْريف من المَيْدان ، فرَجَمَه من هنالِكَ رَجْمًا مُتتابِعًا ، وصَاحُوا به : «كم تُحامي للنَّصارَىٰ وتَشُدّ معهم» ، ولَعَنُوه وسَبُّوه . فلم يَجِد بُدًّا من العَوْدِ إلى السُّلْطانِ وهو بالمَيْدان وقد اشْتَدَّ ضَجيجُ العامَّة وصِياحُهم حتى سَمِعَهم السُّلْطان .

فلمَّا دَخَلَ عليه ، وأَعْلَمَه الخَبَرَ ، امْتَلأَ غَضَبًا ، واسْتَشارَ الأُمَرَاء ـ وكان بحضرته منهم الأميرُ جَمَالُ الدِّين نائِب الكَرَك ، والأميرُ سَيْفُ الدِّين البُوبَكْري ، والخَطيري ، وبَكْتَمُر الحَاجِب في عِدَّةٍ أخرى ـ فقال الأبوبَكْري : العامَّةُ عَمًى ، والمَصْلَحَةُ أَنْ يَخْرُج إليهم الحاجِبُ ، ويَسْأَلهم عن اخْتيارِهم حتى يُعْلَم . فكَرِهَ هذا من قَوْلِه السُّلْطان ، وأَعْرَضَ عنه . فقال نائِبُ الكَرَك : كلُّ هذا من أَجْلِ الكُتَّاب النَّصارَىٰ ، فإنَّ النَّاسَ أَبْغَضُوهم ، والرَّأْيُ أَنَّ السُّلْطانَ لا يَعْمَل في العامَّةِ شيئًا ، وإنَّما يَعْزِل النَّصارَىٰ من الدِّيوان . فلم يُعْجبه هذا الرَّأْي أيضًا ، وقال للأمير أُلْماس الحَاجِب : امْضِ ومَعَكَ أربعة من الأُمَرَاء ، وضَع السَّيْفَ في العامَّة من حين تَخْرُج من بابِ المَيْدان إلى أن تَصِلَ إلى بابِ زَوِيلَة ، واضْرِب فيهم بالسَّيْف من باب زَوِيلَة إلى بابِ النَّصْر بحيث لا تَرْفَع السَّيْفَ عن أَحَدٍ أَلْبَتَّة . وقال لوالي القاهِرَة : ارْكَب إلى بابِ اللُّوق وإلى بابِ البَحْر ، ولا تَدَعْ أَحَدًا حتى تَقْبِض عليه وتَطْلَعَ به إلى القَلْعَة ، ومتى لم تُحْضِر الذين رَجَمُوا وَكيلي ـ يعني كريم الدِّين ـ وإلَّا وحَيَاة رأسي شَنَقْتُك عِوَضًا عنهم ، وعَيَّنَ معه عِدَّةً من المماليك السُّلْطانية .

فخَرَجَ الأُمَرَاءُ بعدما تَلَكَّأُوا في المَسير حتى اشْتَهَر الخَبَرُ، فلم يَجِدوا أحَدًا من النَّاس حتى ولا غِلْمان الأُمَرَاء وحَواشيهم. ووَقَعَ القَوْلُ بذلك في القاهِرَة، فغُلِّقَت الأسْواقُ جَميعُها، وحَلَّ بالنَّاسِ أمْرٌ لم يُسْمَع بأشَدَّ منه، وسَارَ الأُمَرَاءُ فلم يَجِدوا في طُولِ طَريقهم أحَدًا إلى أن بَلَغُوا بابَ النَّصْر، وقَبَضَ الوالي من بابِ اللُّوق وناحِيَة بُولاق وبابِ البَحْر كثيرًا من الكَلابَرِيَّة والتُّواتِيَّة وأشْقاط النَّاس.

فاشْتَدَّ الخَوْفُ، وعَدَّى كثيرٌ من النَّاسِ إلى البَرِّ الغَرْبِي بالجيزَة، وخَرَجَ السُّلْطانُ من المَيْدان، فلَمْ يجد في طَريقِه إلى أن صَعِدَ قَلْعَةَ الجَبَلِ / أحَدًا من العامَّة. وعندما اسْتَقَرَّ بالقَلْعَة، سَيَّرَ إلى ٥١٦:٢ الوالي يَسْتَعْجِل حُضُورَه، فما غَرَبَت الشَّمْسُ حتى أَحْضَرَ مِمَّن أَمْسَكَ من العامَّة نحو مائتي رَجُل. فعَزَلَ منهم طائِفَةً أَمَرَ بشَنْقِهم، وجَماعَةً رَسَمَ بتَوْسيطهم، وجَماعَةً رَسَم بقَطْع أيْديهم. فصَاحُوا بأَجْمَعِهم: يا خَوَنْد، ما يَحِلُّ لك، ما نحن الذين رَجَمْنا. فبَكَى الأميرُ بَكْتَمُر السَّاقي، ومن حَضَرَ من الأُمَرَاء رَحْمَةً لهم، وما زالُوا بالسُّلْطان إلى أن قال للوالي: اعْزل منهم جَماعَةً، وانْصب الخَشَبَ من بابِ زَوِيلَة إلى تَحْت القَلْعَة بِسُوقِ الخَيْل وعَلِّق هؤلاء بأيْديهم. فلمَّا أصْبَحَ يومُ الأحَد، عَلَّق الجَميعَ من بابِ زَوِيلَة إلى سُوقِ الخَيْل، وكان فيهم من له بَزَّة وهَيْئَة، ومَرَّ الأُمَرَاءُ بهم، فتَوَجَّعوا لهم وبَكَوا عليهم. ولم يَفْتَح أَحَدٌ من أرْبابِ الحَوانيت بالقاهِرَة ومِصْر في هذا اليوم حانُوتًا، وخَرَجَ كَريمُ الدِّين من دارِه يُريدُ القَلْعَة على العادَة، فلم يَسْتَطِع المُرُور على المَصْلُوبين، وعَدَلَ عن طَريقِ بابِ زَوِيلَة.

وجَلَسَ السُّلْطانُ في الشُّبَّاك، وقد أُحْضِرَ بَيْنَ يديه جماعَةٌ مِمَّن قَبَضَ عليهم الوالي، فقَطَعَ أيْدي وأرْجُل ثلاثة منهم، والأُمَرَاء لا يَقْدِرون على الكلام معه في أَمْرِهم لشِدَّة حَنَقِه. فتَقَدَّم كريمُ الدِّينِ، وكَشَفَ رأسَه، وقَبَّلَ الأرْضَ وهو يَسْأل العَفْو، فقَبِلَ سُؤالَه وأَمَرَ بهم أن يَعْملوا في حَفير الجيزَة، فأُخْرِجُوا وقد ماتَ مِمَّن قَطَعَ أيْديهم اثْنان، وأُنْزِلَ المُعَلَّقون من على الخَشَبِ.

وعندما قامَ السُّلْطانُ من الشُّبَّاك، وَقَعَ الصَّوْتُ بالحَريق في جِهَة جَامِع ابن طُولُون، وفي قَلْعَة الجَبَلِ، وفي بَيْت الأمير رُكْن الدِّين الأحْمَدي بحارَة بَهاءِ الدِّين، وبالفُنْدُقِ خارِج بابِ البَحْر من المَقْس، وما فَوْقَه من الرَّبْع. وفي صَبيحَة يوم هذا الحَريق، قُبِضَ على ثلاثة من النَّصارَىٰ وُجِدَ معهم فَتائِل النِّفْط، فأُحْضِرُوا إلى السُّلْطان، واعْتَرَفُوا بأنَّ الحَريقَ كان منهم، واسْتَمَرَّ الحَريقُ في الأماكن إلى يَوْم السبت.

فلمَّا رَكِبَ السُّلْطان إلى المَيْدانِ على عادَتِه ، وَجَدَ نحو عشرين ألف نَفْس من العامَّة قد صَبَغُوا خِرَقًا بلَوْنٍ أَزْرَق ، وعَمِلُوا فيها صُلْبانًا بِيضًا ، وعندما رأَوْا السُّلْطان صَاحُوا بصَوْتٍ عالٍ واحِد : «لا دِينَ إلَّا دِينَ الإسْلام» . «نَصَرَ الله دِينَ محمَّد بن عبد الله» . «يا ملك النَّاصِر يا سُلْطان الإسْلام انْصُرْنا على أهْلِ الكُفْر ، ولا تَنْصُر النَّصارَىٰ» . فارْتَجَّت الدُّنْيا من هَوْلِ أصْواتِهم ، وأَوْقَعَ الله الرُّعْبَ في قَلْب السُّلْطان وقُلُوبِ الأُمَرَاء ، وسارَ وهو في فِكْرٍ زائِدٍ حتى نَزَلَ بالمَيْدان ، وصُراخُ العامَّة لا يَبْطُل . فرأى أنَّ الرَّأْي في استِعْمال المُدارَاة ، وأَمَرَ الحاجِبَ أن يَخْرُج ويُنادي بين يَدَيْه : مَنْ وَجَدَ نَصْرانيًّا فله مالُهُ ودَمُه ، فَخَرَجَ ونادَى بذلك ، فصَاحَت العامَّةُ وصَرَخَت : «نَصَرَكَ الله» ، وضَجُّوا بالدُّعَاء .

وكان النَّصارَىٰ يلْبَسون العَمائِمَ البِيض ، فنُودِيَ في القاهِرَة ومصر : «من وَجَدَ نَصْرانِيًّا بعِمامَةٍ بَيْضاء حَلَّ له دَمُه ومالُه ، ومن وَجَدَ نَصْرانِيًّا راكِبًا حَلَّ له دَمُه ومالُه» . وخَرَجَ مَرْسُومٌ بلِبْس النَّصارَىٰ العِمَامَةَ الزَّرْقَاء ، وألَّا يَرْكَب أَحَدٌ منهم فَرَسًا ولا بَغْلًا ، ومن رَكِبَ حِمَارًا فليَرْكَبه مَقْلُوبًا ، ولا يَدْخُل نَصْرانيٌّ الحَمَّام إلَّا وفي عُنُقِه جَرَس ، ولا يَتَزَيَّا أَحَدٌ منهم بزِيِّ المُسْلِمين .

ومُنِعَ الأُمَرَاءُ من استِخْدام النَّصارَىٰ ، وأُخْرِجُوا من دِيوان السُّلْطانِ ، وكُتِبَ لسَائِر الأَعْمال بصَرْفِ جَميع المباشِرين من النَّصارَىٰ ، وكَثُرَ إيقاعُ المُسْلمين بالنَّصارَىٰ حتى تَرَكُوا السَّعْي في الطُّرُقات ، وأَسْلَمَ منهم جَماعَةٌ كثيرةٌ[1] . وكان اليَهُودُ قد سُكِتَ عنهم في هذه المُدَّة ، فكان النَّصْرانيُّ إذا أرادَ أن يَخْرُج من مَنْزله ، يَسْتَعير عِمامَةً صَفْرَاء من أحَدٍ من اليَهُود ، ويَلْبَسُها حتى يَسْلَم من العامَّة .

واتَّفَقَ أنَّ بَعْضَ دَواوِين النَّصارَىٰ كان له عند يَهودي مبلغ أربعة آلاف دِرْهَم نُقْرَة ، فصَارَ إلى بَيْتِ اليَهُودي وهو مُتَنَكِّر في اللَّيْل ليُطالِبَه ، فأَمْسَكَه اليَهُودي وقال : أنا بالله وبالمُسْلمين ، وصَاحَ . فاجْتَمَعَ النَّاسُ لأَخْذِ النَّصْراني ، ففَرَّ إلى داخِل بَيْت اليَهُودي ، واسْتَجارَ بامْرأَتِه ، وأَشْهَدَ عليه بإبْراءِ اليَهُودي حتى خَلَصَ منه .

وعُثِرَ على طَائِفَةٍ من النَّصارَىٰ بدَيْرِ الخَنْدَق يَعْمَلون النَّفْط لإحْراقِ الأماكِن ، فقُبِضَ عليهم وسُمِّرُوا .

---

[1] انظر فيما تقدم ١٠٢٠-١٠٢١ .

ونُودي في النَّاسِ بالأمانِ ، وأنَّهم يَتَفَرَّجُون على عادَتِهم عند رُكوبِ السُّلْطانِ إلى المَيْدان . وذلك أنَّهم كانوا قد تَخَوَّفُوا على أنْفُسِهم لكَثْرَة ما أوْقَعُوا بالنَّصارَىٰ ، وزادُوا في الخُرُوجِ عن الحَدِّ ، فاطْمأنُّوا وخَرَجُوا على العادَة إلى جِهَة المَيْدان ، ودَعَوْا للسُّلْطان ، وصَارُوا يقولون : «نَصَرَكَ الله يا سُلْطان الأرْضِ ، اصْطَلَحْنَا اصْطَلَحْنا» ، وأعْجَبَ السُّلْطانَ ذلك ، وتَبَسَّمَ من قَوْلِهم .

وفي تلك الليلة وَقَعَ حَريقٌ في بَيْتِ الأمير أُلْماس الحاجِب من القَلْعَة ، وكان الرِّيحُ شَديدًا ، فقَوِيَت النَّارُ وسَرَتْ إلى بَيْتِ الأمير أَيْتَمُش ، فانْزَعَجَ أهْلُ القَلْعَة وأهْلُ القاهِرَة ، وحَسِبُوا أنَّ القَلْعَة جَميعَها احْتَرَقَت .

ولم يُسْمَع بأَشْنَعَ من هذه الكائِنَة . فإنَّه احْتَرَقَ على يَدِ النَّصارَىٰ بالقاهِرَة رَبْعٌ في سُوقِ الشَّوَّائين ، وزُقاقُ العَريسَة بحارَة الدَّيْلَم ، وستة عشر بَيْتًا بجوار بَيْت كريم الدِّين ، وعِدَّةُ أماكِن بحَارَة الرُّوم ، ودارُ بَهادُر بجوار المَشْهَدِ الحُسَيْني ، وأماكِنُ بإسْطَبْل الطَّارِمَة وبدَرْبِ العَسَلِ ، وقَصْرُ أمير سِلاح ، وقَصْرُ سَلار بخُطِّ بَيْنَ القَصْرَيْن ، وقَصْرُ بَيْسري ، وخَانُ الحَجَر والجَمَلُونُ ، وقَيْساريَّةُ الأدْم ، ودارُ بَيْبَرْس / بحَارَة الصَّالِحِيَّة ، ودارُ ابن المَغْرِبي بحَارَة زَوِيلَة ، وعِدَّةُ أماكِن ٥١٧:٢ بخُطِّ بِئْر الوَطاوِيط وبالحِكْر وفي قَلْعَةِ الجَبَلِ ، وفي كثيرٍ من الجَوامِع والمَساجِد ، إلى غير ذلك من الأماكِن بمِصْر والقاهِرَة يطُولُ عَدَدُها .

وخَرِبَ من الكَنائِس «كَنيسَةٌ بخَرائِب التَّتَر» من قَلْعَةِ الجَبَلِ ، و«كَنيسَةُ الزُّهْري» في المَوْضِع الذي فيه الآن البِرْكَةُ النَّاصِرِيَّة ، و«كَنيسَةُ الحَمْرَاء» وكَنيسَةٌ بجوار السَّبْع سِقايات تُعْرَف بـ«كَنيسَة البَنات» ، و«كَنيسَةُ أبي المُنَيا» ، و«كَنيسَةُ الفَهَّادين» بالقاهِرَة ، و«كَنيسَةٌ بحَارَة الرُّوم» ، و«كَنيسَة بالبُنْدُقانِيين» ، و«كَنيسَتَان بحَارَة زَوِيلَة» ، و«كَنيسَةٌ بخِزانَة البُنُود» ، و«كَنيسَةٌ بالخَنْدَق» ، و«أرْبَعُ كَنائِس بثَغْر الإسْكَنْدَرية» ، و«كَنيسَتَان بمَدينَة دَمَنْهُور الوَحْش» ، و«أرْبعُ كَنائِس بالغَرْبِيَّة» ، و«ثَلاثُ كَنائِس بالشَّرْقِيَّة» ، و«سَتُّ كَنائِس بالبَهْنَساوية» ، وبسُيُوط ومَنْفَلُوط ومُنْيَة الخَصِيب «ثَمانِ كنائس» ، وبقُوص وأُسْوانُ «إحدى عشرة كَنيسَة» ، وبالأطْفيحِيَّة «كَنيسَةٌ» ، وبسُوقِ وَرْدان من مَدينَة مصر ، وبالمَصَّاصَة وقَصْرِ الشَّمْع من مصر «ثَمانِ كَنائِس» . وخَرِبَ من الدِّيارات شيءٌ كثيرٌ ، وأقامَ دَيْرُ البَغْلِ ودَيْرُ شَهْران مُدَّةً ليس فيهما أحَدٌ .

وكانت هذه الخُطُوبُ الجَليلَةُ في مُدَّةٍ يَسيرَة ، قَلَّما يَقَعُ مثلها في الأزْمانِ المُتَطاوِلَة ، هَلَكَ فيها من الأنْفُسِ ، وتَلِفَ فيها من الأمْوالِ وخَرِبَ من الأماكِن ، ما لا يُمْكِن وَصْفُه لكَثْرَتِه ، ولله عاقِبَةُ الأُمُور .

كَنِيسَةُ مِيكائِيل

هذه الكَنِيسَةُ كانت عند خَليج بني وائِل خارِج مَدينَة مصر ، قِبْلي عَقَبَةِ يَحْصُب ، وهي الآن قَرِيبَةٌ من جِسْرِ الأَفْرَم ، أُحْدِثَت في الإسْلام ، وهي مَليحَةُ البِنَاء .

كَنِيسَةُ مَرْيَم

في بَساتِين الوَزِير قِبْلي بِرْكَة الحَبَش ، خالِيَة ليسَ بها أحَدٌ .

كَنِيسَةُ مَرْيَم

بناحِيَة العَدَوِيَّة من قِبْليها قَديمَة ، وقد تَلاشَت[1] .

كَنِيسَةُ أنْطونْيُوس

بناحية بَيَاض[2] قِبْلي أُطْفيح ، وهي مُحْدَثَة .

وكان بناحية شَرْنُوب عِدَّةُ كَنائِس خَرِبَت ، وبقي بناحية أَهْرِيت الجَبَل[3] قِبْلي بَيَاض بيومين .

---

[1] ذَكَرَ أبو المكارِم أنَّ كَنيسَة مَرْتمَرْيَم شَيَّدَتها امْرأةٌ اسمها عَدَوِيَّة وَصَلَتْ من المغرب في زَمَنِ المُعِزّ لدين الله في منطقة مُنْيَة السُّودان المعروفة بالعَدَوِيَّة ، وهي تعادل الآن منطقة المعادي القديمة جنوب القاهرة . واهتمّ بعمارة هذه الكنيسة في عَصْر الدَّوْلَة الفاطِمية الشيخ أبو اليُمْن وزير ابن عبد المسيح مُتَوَلِّي الدِّيوان بأسْفَلِ الأرْض في وزارة الأَفْضَل شاهِنْشاه وخِلافَة الآمِر بأحْكام الله . ويَدُلُّ على مَوْضِعها الكنيسة القائمة الآن على الشاطئ الشرقي للنِّيل بين ضاحيتي المعادي وطُرَا جنوب القاهرة والمعروفة بـ«كنيسَة العَذْراء» . (أبو المكارم : تاريخ ٢:٥٤- ٥٥؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٣:١٧- ١٨؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE* art. *Dayr al-*ʿAdawiyyah III, pp. 712-13؛ رؤوف حبيب : الكنائس القبطية ٥٣) .

[2] بَيَاض . تقع على الجانب الشَّرْقي للنِّيل ، وهي إحدى قرى محافظة بني سُوَيْف ، وتُعْرَف الآن بـ«بياض النَّصارَىٰ» لكثرة عَدَدِ النَّصارَىٰ بها . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٣:١٥٩) .

[3] أهريت الجَبَل . تقع على الشاطئ الشَّرْقي للنِّيل ، عُرِفَت ابتداءً من العَصْر العُثْماني باسم الشَّيْخ فَضْل ، صاحِب المقام الكائن بها . وهي إحدى قرى مركز بني مَزَار بمحافظة المنيا . (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/ ٣:٢١٣-٢١٤) .

كَنِيسَةُ السَّيِّدَة

بناحية أُشْكُر[١] وعلى بابِها بُرْجٌ مَبْني بلَبِنٍ كِبار ، يُذْكَر أنَّه مَوْضِعُ وُلِدَ مُوسَىٰ بن عِمْران ، عليه السَّلام .

كَنِيسَةُ مَرْيَم

بناحِيَة الخُصُوص[٢]، وهي بَيْت فعَمِلُوه كَنيسَةً لا يُعْبَأ بها .

كَنِيسَةُ مَرْيَم، وكَنِيسَةُ يُحَنَّس القَصِير، وكَنِيسَةُ غُبْرِيَال

هذه الكنائِسُ الثَّلاث بنَاحِية أبْنُوب[٣].

كَنِيسَةُ إسْبُوطِير

ومعناه المُخَلِّص

هذه الكَنيسَةُ بمَدينَة إخْميم ، وهي كَنيسَةٌ مُعَظَّمَةٌ عندهم ، وهي على اسْم الشُّهَدَاء ، وفيها بِئْرٌ إذا جُعِلَ ماؤُها في القِنْديل صَارَ أحْمَر قانِيًا كأنَّه الدَّمُ .

كَنِيسَةُ مِيكائِيل

بمَدينَة إخْميم[٤] أيضًا .

ومن عَادَة النَّصارَىٰ بهاتَيْنِ الكَنيستَيْنِ إذا عَمِلُوا عِيدَ الزَّيْتُونَة ـ المعروف بعِيدِ الشَّعانِين ـ أنْ يَخْرُج القُسُوسُ والشَّمامِسَةُ بالمَجَامِر والبَخُور والصُّلْبان والأناجِيل والشُّمُوع المُشْعَلَة ، ويَقِفُوا على

---

[١] أُشْكُر . تقع شَرْق النِّيل ، وهي من أعمال الأطْفيحية بمركز الصَّفّ بمحافظة الجيزة . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٣/٢: ٢٥؛ وفيما تقدم ١: ٥٥٨) .

[٢] الخُصُوص . قَرْيَة من أعمال صَعيد مصر شَرْقي النِّيل قُبالَة أسْيُوط ، قال ياقوت : «كُلُّ من فيها نَصارَىٰ» . وظَلَّت تُعْرَف بهذا الاسم إلى سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٥م التي فُكَّ فيها زمام نواحي ولاية أسْيُوط في أيَّام محمد علي باشا ، وعُرِفت باسمها الحالي «الحَمَّام» . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٤: ٣-٤) .

[٣] أبْنُوب . أحَدُ مراكِز محافظة أسْيُوط ، تُعْرَف الآن بـ«أبْنُوب النَّصارَىٰ» . (نفسه ٢/٤: ٣) .

[٤] إخْميم . انظر عنها فيما تقدم ١: ٦٤٩- ٦٥٠.

بابِ القاضي ، ثم أبوابِ الأعْيان من المُسْلمين ، فيُبَخِّرُوا ويَقْرَأُوا فَصْلًا من الإنْجيل ، ويَطْرَحُوا له طَرْحًا ؛ يعني يَمْدَحُونَه .

كَنِيسَةُ بُوبَخُوم

بناحية إتْفَه [1] ، وهي آخِر كَنائِس الجَانِب الشَّرْقي . وبَخُوم - ويقال بَخُومْيُوس - كان راهِبًا في زَمَنِ بُوشِنُودَة ، ويُقالُ له أب الشَّرِكَة من أجْل أنَّه كان يُرَبِّي الرُّهْبان ، فيَجْعَل لكلِّ راهِبَيْنْ مُعَلِّمًا ، وكان لا يُمَكِّن من دُخُولِ الخَمْرِ ولا اللَّحْمِ إلى دَيْرِه ، ويأْمُر بالصَّوْمِ إلى آخِرِ التاسعة من النَّهار ، ويُطْعِم رُهْبانَه الحِمِّص المَصْلُوق - ويُقالُ له عندهم حِمِّص القُلَّة - وقد خَرِبَ دَيْرُه ، وبَقِيَت كَنيسَتُه هذه بإتْفَه قِبْلي إخْميم .

كَنِيسَةُ مُرْقُص الإنْجِيلي
بالجِيزَة

خَرِبَت بعد سنة ثمان مائةٍ ، ثم عُمِّرَت . ومُرْقُص هذا أحد الحَوارِيين ، وهو صَاحِبُ كُرْسي مِصْر والحَبَشَة .

كَنِيسَةُ بُوجُرْج

بناحية أبي النُّمْرُس من الجِيزَة . هُدِمَت في سنة ثمانين وسبع مائةٍ - كما تقدَّم ذكره - ثم أُعيدَت بعد ذلك .

كَنِيسَةُ بُوفَار

آخر أعْمَالِ الجِيزَة .

---

[1] إتْفَه . إحدى قرى مركز إخْميم بمحافظة سوهاج ، تُعْرَف الآن باسم : إدْفا ، على بُعْدِ عشرة كيلومترات غَرْب سُوهاج وثلاثة كيلومترات شَرْق دَيْر الأنْبا بِشاي . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٤ : ١١٣ ؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٧٨) .

كَنِيسَةُ شَنُودَة

بناحية هِرَبْشَنْت [١].

كَنِيسَةُ بُوجُرْج

بناحية بِبَا [٢]: وهي جَليلَةٌ عندهم يأْتُونَها بالنُّذُور، ويَحْلِفُون بها، ويَحْكُون لها فَضائِلَ مُتَعَدِّدَة.

كَنِيسَةُ مارُوطا القِدِّيس

بناحية شُمُشطا [٣]: وهم يُبالِغُون في مارُوطا هذا، وكان من عُظَمَاءِ رُهْبانِهم، وجَسَدُه / في ٥١٨:٢
أُنْبُوبَةٍ بدَيْر بُوبِشَاي من بَرِّيَّة شِيهات يَزورُونه إلى اليوم.

كَنِيسَةُ مَرْيَم بالبَهْنَسا

ويُقالُ إنَّه كان بالبَهْنَسا ثلاث مائةٍ وستون كَنيسَة خَرِبَت كُلُّها، ولم يَبْق بها إلَّا هذه الكَنيسَة لا غير.

كَنِيسَةُ صَمُوئيل

الرَّاهِب بناحية شبرىٰ.

كَنِيسَةُ مَرْيَم

بناحية طَنْبَدَىٰ، وهي قَديمَة.

---

[١] هِرَبْشَنْت. إحدى قرى مركز بِبَا بمحافظة بني سُوَيْف. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٣:١٤٢).

[٢] بِبَا. قاعِدَة مركز بِبَا تقع غربي النِّيل، إحدى قرى الأعمال البَهْنَساوية، وهي الآن ضمن محافظة بني سويف. (نفسه ٢/٣:١٣٧).

[٣] شُمُشطا. إحدى قرى مركز بِبَا بمحافظة بني سُوَيْف تقع غربي النِّيل وتعرف الآن بـ«شُمُشطا السُّلْطاني». (نفسه ٢/٣:١٣٩).

كَنيسَةُ مِيخائيل

بناحية طَنْبَدَىٰ ، وهي كَبيرَة قَديمَة ، وكان هناك كَنائِسُ كثيرة خَرِبَت . وأكثرُ أهْل طَنْبَدَىٰ نَصارَىٰ أصْحاب صَنائِع .

كَنيسَةُ الأبِصْطُولي

أعْني الرُّسُل بناحية أَشْنين ، وهي كبيرة جِدًّا .

كَنيسَةُ مَرْيَم

بناحية أَشْنين أيضًا ، وهي قَديمَة .

كَنيسَةُ مِيخائيل وكَنيسَةُ غبْرِيال

بناحية أَشْنين أيضًا . وكان بهذه النَّاحِيَة مائة وسِتُّون كَنيسَة ، خَرِبَت كُلُّها إلّا هذه الكَنائِس الأرْبَع . وأكثرُ أهْلِ أَشْنين نَصارَىٰ ، وعليهم الدَّرَك في الخِفَارَة . وبظاهِرِها آثارُ كَنائِس يَعْمَلُون فيها أَعْيادَهم : منها كَنيسَة بُوجُرْج ، وكَنيسَة مَرْيَم ، وكَنيسَة مارُوطا ، وكَنيسَة بَرْبَارَة ، وكَنيسَة كِفْريل ، وهو جِبْريل عليه السَّلام .

وفي مُنْيَة ابن خَصيب سِتُّ كنائِس : كَنيسَةُ المُعَلَّقَة وهي كَنيسَةُ السَّيِّدَة ، وكَنيسَةُ بُطْرُس وبُولُص ، وكَنيسَةُ مِيكائيل ، وكَنيسَةُ بُوجُرْج ، وكَنيسَةُ أنْبَا بُولا الطَّمْويهي ، وكَنيسَةُ الثَّلاث فِتْيَة ـ وهم حَنانْيا ، وعَزارْيا ، ومِيصائيل ـ وكانوا أجْنادًا في أيَّام بُخْتَ نَصَّر ، فَعَبَدُوا الله تعالى خُفْيَةً . فلمَّا عَثَرُوا عليهم ، رَاوَدَهم بُخْتَ نَصَّر أن يَرْجِعُوا إلى عِبادَة الأصْنَام ، فامْتَنَعُوا من ذلك فسَجَنَهُم مُدَّةً ليَرْجِعُوا ، فلم يَرْجِعُوا ، فأَخْرَجَهُم وألْقاهُم في النَّار فلم تُحْرِقُهم . والنَّصارَىٰ تُعَظِّمُهُم وإن كانوا قَبْلَ المَسيح بدَهْرٍ .

كَنيسَةُ بِناحِيَة طَحَا

على اسم الحَوَاريين الذين يُقالُ لهم عندهم الرُّسُل .

كَنِيسَةُ مَرْيَم

بناحية طَحَا أيضًا .

كَنِيسَةُ الحَكِيمَيْن

بناحية مَنْهَرَىٰ : لها عيدٌ عَظِيمٌ في بَشَنْس يَحضره الأُسْقُفُ ، ويُقامُ هناك سُوقٌ كبيرٌ في العِيد . وهذان الحكيمان هما : قُزْمَان ودِمْيان الرَّاهِبان .

كَنِيسَةُ السَّيِّدَة

بناحِيَة بُقُرْقاس : قَدِيمَةٌ كبيرَةٌ ، وبناحية مَلَّوي كَنيسَةٌ .

«كنيسة الرُّسُل» ، وكَنيسَتان خَراب : إحْداهما على اسم بُوجُرْج ، والأخرى على اسم المَلَك مِيخائِيل .

وبناحية دَلْجَة كَنائِسُ كثيرة لم يَبْقَ منها إلَّا ثَلاثُ كَنائِس : كَنيسَةُ السَّيِّدَة وهي كبيرَة ، وكَنيسَةُ شِنُودَة ، وكَنيسَةُ مَرْقُورَة . وقد تَلاشَت كُلُّها .

وبناحية صَنَبُو كَنيسَةُ أَنْبا بُولا ، وكَنيسَةُ بُوجُرْج . وصَنَبو كَثيرَةُ النَّصارَىٰ .

وبناحِيَة بِيسَلا[a] ـ وهي بَحْري صَنَبُو ـ كَنيسَةٌ قَدِيمَةٌ ، بجانبها الغَرْبي ، على اسم جِرْجِس وبها نَصارَىٰ كثيرون فَلَّاحُون .

وبناحية دَرُوط كَنيسَة ، وفي خارِجها شِبْه الدَّيْر على اسْم الرَّاهِب سارامائُون ، وكان في زَمانِ شِنُودَة ، وعَمِل أسْقُفًا ، وله أَخْبارٌ شَهيرَةٌ[b] .

وبنَاحِيَة بُوق بني زَيْد «كَنيسَةٌ كبيرةٌ على اسْم الرُّسُل» ، ولها عِيد .

وبالقُوصِيَّة «كَنيسَةُ مَرْيَم» ، و«كَنيسَة غُبْرَيال» .

وبنَاحِيَة دَمْشِير «كَنيسَةُ الشَّهيد مَرْقُورْيُوس» وهي قَدِيمَة ، وبها عِدَّةُ نَصارَىٰ .

وبنَاحِيَة أُمّ القُصُور «كَنيسَةُ بويُحَنَّس القَصير» ، وهي قَدِيمَة .

وبنَاحِيَة بَلُّوط ، من ضَواحي مَنْفَلُوط ، «كَنيسَةُ مِيخائِيل» ، وهي صَغيرَة .

---

a) بولاق : بيلاو . b) بولاق : كثيرة .

وبنَاحِيَة البَلاَعِزة ، من ضَواحي مَنْفَلُوط كَنيسَةٌ صغيرة يُقيمُ بها القِسِّيس بأَوْلادِه .

وبنَاحِيَة شِقِلْقيل ثَلاثُ كَنائِس كِبار قَديمَة : إِحْداها على اسْم الرُّسُل ، وأخرى باسْم مِيخائِيل ، وأخرى باسم بُومِنَا .

وبنَاحِيَة مُنْشَأة النَّصارَىٰ «كَنيسَةُ مِيخائِيل» ، وبِمَدِينَةِ سُيُوط «كَنيسَةُ بُوسِدْرَة» ، و«كَنيسَةُ الرُّسُل» ، وبخارِجها «كَنيسَةُ بُومِينا» .

وبنَاحِيَة دُرُنْكَة كَنيسَةٌ قَديمَةٌ كبيرَةٌ[a] جِدًّا على اسْم الثَّلاثَة فِتْيَة : حَنانْيا ، وعَزارْيا ، ومِيصائِيل ، وهي مَوْرِد لفُقَراء النَّصارَىٰ . ودُرُنْكَة أهْلُها من النَّصارَىٰ يَعْرِفُون اللُّغَة القِبْطِيَّة ، فَيَتَحدَّث صَغيرُهم وكبيرُهم بها ، ويُفَسِّرُونَها بالعَرَبِيَّة .

وبنَاحِيَة رِيفَة «كَنيسَةُ بُوقُلْتَة» ، الطَّبيب الرَّاهِب ، صَاحِب الأحْوال العَجِيبة في مُداوَاةِ الرَّمْدَى من النَّاسِ ، وله عِيدٌ يُعْمَل بهذه الكَنيسَة ، وبها «كَنيسَةُ مِيخائِيل» أيضًا ، وقد أكَلَتِ الأَرَضَةُ جانِب رِيفَة الغَرْبي .

وبنَاحِيَة مُوشَة «كَنيسَةٌ» مُرَكَّبَة على حَمَّام ، على اسْم الشَّهيد بُقْطُر ، وبُنِيَت في أيَّام قُسْطَنْطين ابن هِيلانَة ، ولها رَصِيفٌ عَرْضُه عَشْرَة أذْرُع ، ولها / ثَلاثُ قِباب ، ارْتِفاعُ كلٍّ منها نحو الثمانين ٥١٩:٢
ذِراعًا ، مبنية بالحَجَر الأبيض كلّها ، وقد سَقَطَ نِصْفُها الغَرْبي ، ويُقالُ إنَّ هذه الكَنيسَة على كَنْزٍ تَحْتَها ، ويُذْكَر أنَّه كان من سُيُوط إلى مُوشَة هذه مَمْشاةٌ تَحْت الأرْض .

وبناحية بُقُور ، من ضَواحي بُوتيج ، «كَنيسَةٌ» قَديمَةٌ للشَّهيد أُكْلُوذْيُوس ، وهو يَعْدِل عندهم مَرْقُورِيُوس وجا أُرْجِيوس ، وهو أبو جُرْج ، والإسْفِهْسَلار تادْرُوس ومِنَاوُس ، وكان أُكْلُوذْيوس أبوه من قُوَّاد دِقْلِطْيانُوس وعُرِفَ هو بالشَّجاعَة فَتَنَصَّرَ ، فأَخَذَه الملك وعَذَّبَه ليَرْجِع إلى عِبادَة الأصْنام ، فثَبَتَ حتى قُتِلَ ، وله أخْبارٌ كثيرةٌ .

وبناحية القَطيعَة «كَنيسَةٌ» على اسْم السَّيِّدَة . وكان بها أُسْقُف ، يُقالُ له أَلْدُوَيْن ، بينه وبينهم مُنَافَرَة ، فَدَفَنُوه حَيًّا ، وهم من شِرارِ النَّصارَىٰ مَعْرُوفُون بالشَّرّ ، كان منهم نَصْراني ، يُقالُ له جِرْجِس بن الرَّاهِبَة تَعَدَّى طَوْرَه ، فضَرَبَ رَقَبَتَه الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار بالقاهِرَة في أيَّام النَّاصِر فَرَج بن بَرْقُوق .

---

a) ساقطة من بولاق .

وبنَاحِيَة بُوتيج «كَنائِسُ كثيرَةٌ» قد خَرِبَت . وصَارَ النَّصارَىٰ يُصَلُّون في بَيْت لهم سِرًّا ، فإذا طَلَعَ النَّهار خَرَجُوا إلى آثارِ كَنيسَةٍ ، وعَمِلُوا لها سِياجًا من جَريد شِبْه القَفَص ، وأقامُوا هناك عِباداتِهم .

وبنَاحِيَة بُومَقْروفَة «كَنيسَةٌ قَديمَةٌ لميخائيل» ، ولها عِيدٌ في كُلِّ سنةٍ . وأَهْلُ هذه النَاحِيَة نَصارَىٰ أكثرُهم رُعاةُ غَنَم ، وهم هَمَجٌ رِعَاع .

وبنَاحِيَة دُوَيْنَة «كَنيسَةٌ على اسْم بُويُحَنَّس القَصير» ، وهي قُبَّة عَظيمَة ، وكان بها رَجلٌ يُقالُ له يُوَنَّس ، عَمِلَ أُسْقُفًا ، واشْتَهَرَ بمعرفة عُلُومٍ عَديدَة . فَتَعَصَّبُوا عليه حَسَدًا منهم له على عِلْمِه ، ودَفَنُوه حَيًّا وقد تَوَعَّك جِسْمُه .

وبالمَراغَة التي بين طَهْطَا وطِمَا «كَنيسَةٌ» .

وبنَاحِيَة قِلْفَاو «كَنيسَةٌ كبيرَةٌ» ، وتُعْرَفُ نَصارَىٰ هذه البَلْدَة بمعرفة السِّحْر ونَحْوه . وكان بها في الأيَّام الظَّاهِرِية بَرْقُوق شَمَّاسٌ ، يُقالُ له أبْصَلْطِيس ، له في ذلك يَدٌ طُولَى ، ويُحْكَى عنه ما لا أُحِبُّ حكايته لغَرابَتِه .

وبنَاحِيَة فَرْشُوط «كَنيسَةُ مِيخائيل» ، و«كَنيسَةُ السَّيِّدَة مارْت مَرْيَم» . وبمَدينَة هُو «كَنيسَةُ السَّيِّدَة» و«كَنيسَةُ بُومِنَا» .

وبنَاحِيَة بَهْجُورَة «كَنيسَةُ الرُّسُلُ» . وبإسْنَا «كَنيسَةُ مَرْيَم» ، و«كَنيسَةُ مِيخائِيل» ، و«كَنيسَةُ يُوَحَنَّا المَعْمَداني» ، وهو يَحْيى بن زَكَريا ـ عليهما السَّلام ـ . وبنَقَّادَة «كَنيسَةُ السَّيِّدَة» و«كَنيسَةُ يُوحَنَّا المَعْمَداني» ، و«كَنيسَةُ غُبْريال» ، و«كَنيسَةُ يُوحَنا الرَّحُوم» وهو من أَهْل أَنْطاكية ذوي الأَمْوال ، فزَهِدَ وفَرَّقَ مالَه كُلَّه في الفُقَراء ، وسَاحَ ـ وهو على النَّصْرانِيَّة[a] ـ في البِلاد ، فعَمِلَ أبَواه عَزَاءَه ، وظَنُّوا أنَّه قد مات ، ثم قَدِمَ أَنْطاكية في حَالَةٍ لا يُعْرَف فيها ، وأقامَ في كُوخ على مَزْبَلَة ، وأقامَ رَمَقَه بما يُلْقَى على تِلك المَزْبَلَة حتى مات ، فلمَّا عُمِلَت جَنازَتُه كان مِمَّن حَضَرَها أبوه فعَرَفَ عنده[b] غُلافَ إنْجِيله ، فَفَحَصَ عنه حتى عَرَفَ أنَّه ابنه فَدَفَنَه ، وبَنَى عليه كَنيسَة بأَنْطاكية .

كَنيسَة السَّيِّدَة بمَدينَة قِفْط ، وكان بأُصْفُون عِدَّةُ كَنائِس خَرِبَت بخَرابِها . وبمَدينَة قُوص عِدَّةُ أَدْيِرَة ، وعِدَّةُ كَنائِس خَرِبَت بخَرابِها ، وبقي بها كَنيسَةُ السَّيِّدَة ، ولم يَبْق بالوَجْه القِبْلي من الكَنائس سوى ما تَقَدَّم ذِكْرَنا له .

---

a) بولاق : دين النصرانية . b) ساقطة من بولاق .

وأمّا الوجهُ البحري

ففي مُنية صُرَد [١]، من ضَواحي القاهِرَة، «كَنيسةُ السَّيِّدَة مَرْيَم»، وهي جَليلةٌ عندهم.

وبنَاحِيَة سِنْدَوَة [٢] كَنيسَةٌ مُحْدَثَةٌ، على اسْم بُوجُرج.

وبمَرْصَفَا [٣] كَنيسَةٌ مُسْتَجَدَّةٌ، على اسْم بُوجُرج أيضًا.

وبسَمَنُّود [٤] كَنيسَةٌ على اسْم الرُّسُل، عُمِلَت في بَيْتٍ.

وبسُنْباط [٥] كَنيسَةٌ جَليلَةٌ عندهم، على اسْم الرُّسُل.

وبصُنْدُفَة [٦] كَنيسَةٌ مُعْتَبَرَةٌ عندهم، على اسْم بُوجُرج.

وبالزَّيْدانِيَّة [٧] «كَنيسَةُ السَّيِّدَة»، ولها قَدْرٌ جَليلٌ عندهم.

---

[١] مُنيةُ صُرَد. هي البَلْدَة المعروفة الآن بـ «مُسْطُرُد» إحدى ضواحي القاهرة الشمالية وتقع في نِطاق محافظة القَلْيوبية على شاطئ تِرْعَة الإسْماعيلية، وقد وَرَدَت في كَشْفِ الأُسْقُفِيَّات القِبْطية Tinoni Sourat وهو ترجمة اسمها الغربي بالحروف اللاتينية. وقد حُرِّف هذا الاسم إلى «مُسْطُرُد» في العَصْر العثماني بإدْخال الصَّدْر في العَجْز لسهولة النُّطْق. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/ ١:١٤).

[٢] سِنْدَوَة. إحدى قرى مركز شِبين القناطِر بمحافظة القليوبية. (نفسه ٢/١:٣٥).

[٣] مَرْصَفَا. من القُرَى القديمة ذكر ياقوت أنّها قَرْيَة كبيرة شمال مصر (قُرْب مُنْيَة غَمْر (معجم البلدان ٥:١٠٧). وهي الآن إحدى قرى مركز بَنْها بمحافظة القليوبية. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/١:٢٦).

[٤] سَمَنُّود. أحد مراكز محافظة الغَرْبية، تَقَعُ على الضِّفَّة الغربية لفَرْعِ دِمْياط على بُعْد ثمانية كيلومترات شَرْق مدينة المحلّة الكبرى. (نفسه ٢/٢:٦٩-٧٦؛ Ayman F. Sayyid, *EI*^{2} art. *Samannūd* VIII, pp. 1066-67؛ وفيما تقدم ١:٤٩٧).

[٥] سُنْباط. من القُرَى القديمة تقع على الضِّفَّة الغربية لفَرْع دِمْياط. وهي الآن إحدى قرى مركز زِفْتَى بمحافظة الغربية. (نفسه ٢/٢:٥٨). والكنيسة الموجودة بها الآن ترجع إلى القرن التاسع عشر (دليل ٦٣).

[٦] صُنْدُفَه (صُنْدُفا). من القرى القديمة المجاورة للمَحَلّة الكبرى بمحافظة الغَرْبية، وضُمَّت إليها اعتبارًا من عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، مما أدّى إلى اختفاء اسمها هي وهورين بهرمس والمنتصرية. (نفسه ٢/٢:١٧).

[٧] الزَّيْدانِيَّة. من القرى القديمة أحد قرى مركز المَنْصُورَة بمحافظة الدَّقَهْلية تبعد تسعة كيلومترات شمال المنصورة. (نفسه ٢/١:٢١٤)، والكنيسة الموجودة الآن يرجع بناؤها إلى القرن التاسع عشر. (صموئيل السرياني: دليل الكنائس ٦١).

وفي دِمْياط أرْبَعُ كَنائِس : للسَّيِّدَة ، ولميخائيل ، وليُوحَنَّا المَعْمَداني ، ولماري جِرْجِس ، ولها مَجْدٌ عندهم .

وبناحية شُبْك العَبيد[1] كَنيسَةٌ مُحْدَثَةٌ ، في بَيْتٍ ، على اسْم السَّيِّدَة .

وبالنَّحْرارِيَّة[b)][2] كَنيسَةٌ مُحْدَثَةٌ ، في بَيْتٍ مَخْفي[a)]، وفي لَقَّانَة كَنيسَةٌ بُويُحَنِّس القَصير ، وبدَمَنْهُور كَنيسَةٌ مُحْدَثَةٌ في بَيْتٍ مَخْفي ، على اسْم مِيخائيل ، وبالإسْكَنْدَرية : المُعَلَّقَة ، على اسْم السَّيِّدَة ، وكَنيسَةُ بُوجُرْج ، وكَنيسَةُ يُوحَنَّا المَعْمَداني ، وكَنيسَةُ الرُّسُل .

فهذه كَنائِسُ «اليَعاقِبَة» بأرْضِ مصر .

ولهم بغَزَّة «كَنيسَةُ مَرْيَم» ، ولهم بالقُدْسِ «القُمَامَة» ، و«كَنيسَةُ صُهْيُون» .

وأمَّا «المَلْكِيَّة» فلهم بالقاهِرَة «كَنيسَةُ ماري نِقُولا» بالبُنْدُقانِيين ، وبمصر «كَنيسَةُ غُبْرِيال المَلاك» بخُطِّ قَصْرِ الشَّمْع ، وبها قَلايَّةٌ لبَطْرَكِهم و«كَنيسَةُ السَّيِّدَة» بقَصْرِ الشَّمْع أيضًا ، و«كَنيسَةُ المَلاك مِيخائيل» بجِوارِ بَرْبارَة بمصر ، و«كَنيسَةُ مارْيُوحَنَّا» بخُطِّ دَيْر الطِّين .

والله أعْلَم .

---

a) بولاق : في بيت جحفي . b) بولاق : النحراوية .

---

[1] شُبْكُ العَبيد . قرية قديمة تقع على الطَّريق بين شَطَنُوف ورَشيد ، وهي الطَّريق التي تبدأ من شَطَنُوف إلى شُبْك العبيد ثم مُنُوف ثم مَحَلَّة صُرْد ، وهي القرية التي تُعْرَف الآن باسم «شُبْك الأحَد» إحدى قرى مركز أُشْمُون بمحافظة المنوفية تبعد ٣كم غرب سنتريس . (نفسه ٢/٢: ١٦٠-١٦١)، صموئيل السرياني : دليل الكنائس ٦٧) .

[2] النَّحْرارِيَّة . هي نفسها القرية التي ذكرها المقريزي . (فيما تقدم ١: ٦١٣، ٦٧٦) باسم النَّحْريرية ، وهي تعرف الآن باسم «النَّحَّارية» إحدى قرى مركز كَفْر الزَّيَّات بمحافظة الغربية . (نفسه ٢/٢: ١٢٢-١٢٣) .

[3] لَقَّانَة . قرية قديمة اسمها الاصلي تَقَّانَة ، إحدى قرى مركز شَبْراخيت بمحافظة البُحَيْرَة . (نفسه ٢/٢: ٣٠٨-٣٠٩) .

[142v] (a) مِنْ أَسْبابِ الخَرابِ

أنَّه لم تَزَلِ العادَةُ جارِيةً من قَديمِ الزَّمانِ في مصر بخُرُوجِ أَحَدِ أُمَراءِ الدَّوْلَة إلى جِهَةِ أعْلَى الأرضِ ـ التي يُقالُ لها بِلادُ الصَّعيد ـ وخُرُوجِ آخَرَ إلى أَسْفَلِ الأرْضِ حيث البِلادِ البَحْرية والوَجْهِ البَحْري، لتأمينِ السَّابِلَة وتَتَبُّعِ أَهْلِ الدَّعارَة والفَسادِ من قُطَّاعِ الطَّريق والبَطْشِ بهم، وكان يُقالُ لذلك: «صَاحِبُ السَّيَّارَة» [1]، ثم قيل له في الدَّوْلَةِ التُّرْكية: «الكاشِفُ» [2]. فلمَّا كان في زَمَنِ الظَّاهِرِ بَرْقُوق صَارَ يُوَلِّي الكُشَّافَ والوُلاةَ بالبَراطِيل، ويَخْرُجُون إلى الأعْمَالِ فيَجْبُون من أَهْلِ الأقاليم أَمْوالًا يُسَمُّونَها «القُدُوم والضِّيافَة»، فاخْتَلَّ بذلك الحالُ بعضَ الخَلَلِ، حتى إنَّه بَلَغَني عن الوَزيرِ الصَّاحِب سَعْدِ الدِّين نَصْر الله بن البَقَري أنَّه قال: اعْتَبَرْتُ ما يأخُذه السُّلْطانُ من الوُلاةِ والكُشَّافِ، فوَجَدْتُ ما يَخْسَر في كلِّ سنة ويَنْقُص من الخَراجِ أكثر من ذلك.

فلمَّا ماتَ الظَّاهِرُ وأُقيمَ بعدَه ابنُه النَّاصِرُ فَرَج في السَّلْطَنَة، وكان من قِبَلِ أُمَراءِ أبيه ما كان، ثم قَدِمَ تَيمورلَنْك إلى دِمَشْق وأحْرَقَها، وخَرَجَت مملكةُ الشَّام من حينئذٍ عن طَاعَتِه وصَارَ نُوَّابُها في مُخالَفَةٍ له وعِصْيانٍ لأمْرِه، احْتَاجَ إلى الأمْوالِ حتى يَتَجَهَّزَ لمحارَبَتِهم. فخَرَجَ مِرارًا بعَساكِرِه من مصر إلى الشَّام ولـم يَنَلْ غَرَضًا من الأمير شَيْخ والأمير نَوْرُوز وأتْلَفَ في كلِّ سَفْرَةٍ ممَّا يُنْفِقُه للمماليك وبُيوتاتِه ما يُنيفُ عن ألفِ ألفِ دينارٍ ذَهَبًا، سوى ما معه من الخَيْلِ والجِمالِ والسِّلاح والآلاتِ، وهي بما يُنيفُ عن عَشْرة آلافِ ألف دينار، وسوى ما يَحْتاجُ إليه الأُمَراءُ والأعْيانُ وهو قَريبٌ من ذلك. فاحْتاجَ أنْ مَدَّ يَدَه لأمْوالِ الرَّعِيَّة، وكان جَريئًا مُفْسِدًا، فصَارَ يَبْعَثُ في الوَجْهِ القِبْلي والبَحْري ويَحْتاطُ على ما هنالِك من الجِمالِ والأغْنامِ والخُيولِ، ومَدَّت الكُشَّافُ والوُلاةُ

---

a-a) هذه الفقرة التي تنتهي فيما يلي صفحة ١٠٨٨ إضافة من مُسَوَّدَة الخِطَط.

---

[1] انظر عن وَظيفَة «صَاحِب السَّيَّارَة» أو «مُتَوَلِّي السَّيَّارَة»، وهي وَظيفَةٌ عُرِفت في العَصْرِ الفاطمي الأوَّل. (أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٢٨-٣٢٩).

[2] كاشِف (جـ. كُشَّاف). كان هناك في العَصْر المملوكي كاشِفان من أُمَراء الطَّبْلَخاناه: كاشِفٌ للوَجْه البَحْري وكاشِفٌ للوجه القِبْلي، ويُطْلَق عليه أحْيانًا «والي الوُلاة». (القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٢٥).

أيْديها أيضًا إلى أمْوالِ الكافَّة حتى صارَ الوالي والكاشِفُ يَرْكَب فإذا مَرَّ في طَرِيقِه بغَنَمٍ أو بَقَرٍ أو جِمالٍ أو غيرها أحَاطَ بها وقَتَلَ صاحِبَها ، فامْتَنَعَ التُّجَّارُ من المسيرِ إلى مصر من بِلادِ البُجَة وبِلادِ النُّوبَة وبِلادِ سَواكِن وبِلادِ عَيْذاب وبِلادِ بَرْقَة ، وكان يَرِدُ إلى إقْليم مصر من هذه الأقاليم في آخِر سنته من الإبِل والغَنَم ومن الرَّقيقِ وغير ذلك ما لا يُقَدَّر قَدْرُه .

واشْتَدَّ الفُحْشُ في أخْذِ الأمْوالِ حَتَّى بَلَغَني عن كاشِفٍ كان يُقالُ له أبو دَقْن أنَّه مَرَّةً قَدِمَ من بِلادِ الصَّعيد يُريدُ القاهِرَة ، فلمَّا قارَبَها إذا بمَرْكَبٍ سَائرٍ بعِدَّةٍ من النَّاسِ ما بين تُجَّارٍ وسُوقَةٍ وغيرهم ، فأمَرَ بإدْخالِ المَرْكَبِ إلى البَرِّ وقَتْلِ سَائِرِ من فيها ـ وكانوا فَوْقَ المائة ـ وأخْذِ جَميعِ ما كان معهم . وماتَ النَّاصِرُ والأمْرُ على ذلك ؛ فلمَّا قامَ من بَعْدِه الملكُ المُؤَيَّدُ شَيْخ وأقامَ الأمير بَدْر الدِّين حسن بن مُحِبِّ الدِّين الطَّرابُلُسي الملكي أسْتادَّار السُّلْطان ، قَرَّرَ على البِلادِ فَرائِضَ من ذَهَبٍ تُجْبَى من جَميعِ البِلادِ ، فجُبِيَت وصَارَ يَنُوبُ كُلَّ قَرْيَةٍ للأعْوانِ مزيدٌ مِمَّا يُجْبَى منهم ما يعتمد السُّلْطانُ .

فلمَّا عَزَمَ على التَّوَجُّه لحَرْبِ الأمير نَوْروز ، سَيَّرَ الأمير فَخْر الدِّين عبد الغني ابن الأمير الوزير تاج الدِّين عبد الرَّزَّاق بن أبي الفَرَج ، وهو يَوْمَئِذٍ يَتَوَلَّى أسْتادَّارِيَّة السُّلْطان بعد عَزْلِ مُحِبِّ الدِّين إلى بِلادِ الصَّعيد ، فما عَفَّ ولا كَفَّ ، وكان يَدْخُل إلى البَلَدِ فما يَدَعُ بها شيئًا من الحَيَوانِ حتى يَقْبِضَ عليه . ويَفْتَح أعْوانُه دُورَ النَّاسِ كافَّةً فيَنْتَهِبون ثِيابَ النِّساءِ وحُلِيَّهِنّ ومَتاعَهنّ ، فإذا خَرَجَ عن القَرْيَة أحَاطَ بجميع أعْوانِه وأخَذَ منهم سَائِرَ ما انْتَهَبُوه ، فقدَّر ما معه من الأنْعام على اخْتِلاط جبايتها ، ومن الأعْسَالِ والقُنُود والغِلال والخُيُول بأمْرٍ عَظيم ، فطَرَحه على النَّاسِ بأغْلَى الأثْمان . ثم خَرَجَ إلى الوَجْهِ البَحْري فصَارَ النَّاسُ معه وقَدِمَ منه يوم الثلاثاء حادي عَشَرَ صَفَرَ وقد غَرَّمَ سَائِرَ بِلادِ الوَجْهِ البَحْري أمْوالًا يُقالُ إنَّها مئة ألوفٍ من الذَّهَبِ وسَارَ إلى لِقاءِ السُّلْطان [a] سابع عشره سبعين ألف دينار وثيابٍ وفِضَّة وعروض بنحو ثلاثين ألْف دينار [b] [1].

أنَّه لما رمى العَسَلَ الذي أحْضَرَه من بِلادِ الصَّعيد ألْزَمَ أهْلَ سُوقِ حَارَة بَرْجَوانَ بشيءٍ من العَسَلِ يقرونه من الباعَة وقَبَضَ الأعْوانُ واحِدًا منهم في أوَّلِ ما [c] الأعْوان ، وكان العَسَلُ قد فَرَغَ فأدْخَلُوه السِّجْن حتى يحضر إليهم عَسَلًا آخَر من بلادِ الصَّعيد فيأخُذه وأقامَ في السِّجْن مُدَّة أيَّام [a].

a) كلمة غير واضحة . b) بياض بالمُسَوَّدَة . c) عبارة غير واضحة .

[1] قارن مع المقريزي : السلوك ٤:٢٦٧ ، ٢٧٤-٢٧٥ ، ٢٨٢ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢:٣٠٥-٣٠٦ .

*
* *

«آخِرُ ما وُجِدَ بِخَطِّه رَحِمَهُ الله وأَرْضَاهُ وجَعَلَ
الجَنَّةَ مَقَرَّه ومَثْوَاه. وكان الفَراغُ من كتابَتِه يومِ
السَّبْتِ المُبارَك خامِس عَشَرَ رَبيعِ الأَوَّل سنة
تِسْعِ وسبعين وثمان مائة أَحْسَنَ الله تعالى
عاقِبَتَها، وحَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوَكيل.
وصَلَّى الله على سَيِّدنا محمَّدٍ وآلِه وسلَّم. غَفَرَ الله لكاتِبِه ولمالِكِه
والنَّاظِرِ فيه والمسلمين»[1].

---

[1] حَرِدُ مَتْنٍ Colophon نُسْخَة الأَصْل المعتمدة في تحقيق هذا الجزء، وهي نُسْخَةُ مكتبة ميونخ بألمانيا رقم München 107.